منتخب التبیان فی تفسیر القرآن

تحقیقه تفسیر



حلیلرلی در

عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الايجي العلامة الشافعي المشهور بالعضد
قال في الدرر كان اماما في المعقول قايما بالاصول والمعاني والعربية مشاركا في الفنون كريم
النفس كثير المال جدا كثير الانعام ولد بعد السبعمائة واخذ عن مشايخ عصره ولازم الشيخ
زين الدين الهنكي تلميذ البيضاوي وغيره وولي قضاء الممالك وانجب تلامذة عظاما
اشتهروا في الافاق منهم الشيخ شمس الدين الكرماني والتفتازاني والضياء القرمي وصنف
شرح مختصر ابن الحاجب والمواقف والفوايد الغياثية في المعاني والبيان ورسالة في الوضع
وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة فمات مسجونا سنة ست وخمسين وسبعمائة
من طبقات الوسطى لجلال الدين السيوطي



٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله منزل الكتاب • وملهم الصواب • ومفيض الالباب بمقتضى حكمته • مبين حقايق التنزيل ومعلم دقايق التاويل • وموضح غوامض المعقول بالتمثيل لتعلق مشيته • مدبر امور الكاينات • ومؤسس مباني السافلات والعاليات • ومبدع صنوف الناميات بعظيم قدرته • فاطر الارض والسموات العلى • واهب اصناف النعم على حسب المنى • خالق اصول الممكنات من العرش الى الثرى • لاثاره بعظمته • والصلوة على محمد الذي اشرقت الارض بانوار نبوته • وامتازت نفسه القدسية عن المخلوقات لزكاء جرثومته • واوضح حكم القرآن • وهدى الى سبيل العرفان بعزيز علمه المغترف من بحاره وعظيم منته • ومهد قواعد الاحكام • ومباني الحلال والحرام • على اكمل الاوضاع بكمال عصمته • وعلى اهل بيته الذين هم الذوات الزكية • اللايح على صفحاتهم انوار غرته • والرضوان على الصحابة المتشبثة باذيال غرته • اما بعد فالباعث لشروعي في هذا الخطب الجسيم • والامر العظيم • والشان الاعلى والمرتبة الاسمى • والسيادة العظمى • الذي لاينالها البارع في العلوم المختصة بالكتاب • الحايز قصب السبق من ذوي الالباب • الجامع لاقسام المعالم العربية • والمباحث الادبية • الحاوي لفنون المعاني والفوايد البيانية • المترقي الى اوج الكمال في اللطايف الاصولية • المستشرف على شرفات المقاصد الكلامية • الا بتسديد الهي وتاييد نبوي • مع اعترافي بالقصور في هذه الصنايع • وعدم الاطلاع على تمام هذه البدايع • ليس الا اشارة غير صالحة للممانعة • آبية عن قبول المدافعة • مع ما انضم اليها امران • كل منهما حري بالاتباع • جدير بان لايقابل بالامتناع • احدهما مبالغات صدرت عن طايفة صرفوا اعمارهم في اقتباس العلوم • وتحلت اطوارهم باقتناص شوارد نتايج الفهوم • وحملتهم عليها ما قرعت اسماعهم • وبلغت افهامهم من فوايد جليلة • وعوايد جميلة • ظهرت لي زمان المباحثة في كتب التفسير • واوان المناقشة في ذلك التقرير • ما خلت عنه ما بين ايديهم من تصانيف العلماء • وتضاعيف فوايد العظماء •

جرثومته

ان

ان اؤلف كتابا باشتماله على مناسبات وارتباطات • لمبادي كلمات وغايات • حاويا لدقايق سؤالات وجوابات • وابراز اسرار تقديم وتاخير • وتوحيد وتكرير • وترتيب وصف على حكم • وحكم على وصف • مما يزيد اعداده على الف • محكما تبيانها على ابلغ احكام ورصف • والتزام امتناع لزوم تكرار وتاكيد • مقررا لها على ابلغ انواع التاييد • مبرزا لها في كسوة البرهان • بافصح البيان • واياك والمبادرة الى الانكار • لغرابة الافكار • وسماع معنى مخترع • فقد قال عليه السلام لكل حد مطلع • وكفى اجازة لاستنباط لطايف كلام الله قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه • الا فهم يعطى رجل في كتاب الله من غير انكار وطعن • ان لكل آية ظهر وبطن • وقد اودع حجة الاسلام ما يقرب من هذا الكلام • في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة • وهو ان ترك الظواهر من غير برهان وقواعد مما يتعلق باصول العقايد • لايقتضي تبديع قايل ذلك الكلام • الا فيما يشوش قلب العوام • وذكر صاحب المفاتيح • ان المرجح في اصول الفقه عدم انحصار التفسير فيما نقل عن السلف والاولين بل لغيرهم ذلك • والا لضاع كثير من اللطايف والفوايد • واقول كيف لايسوغ ذلك • وقد اذعن جماهير الفصحاء في الاعصار وعامة البلغاء في جميع الاقطار • بان هذا الكتاب قد اختص بمزايا من الفصاحة والبلاغة • وحلايا من الحلاوة والطلاوة ولطايف التراكيب الحايزة بوجازتها علو ما شتى • الحاوية لاشارات ومعاني هي الغاية القصوى • وانه قد ابت عن مداناته كتب الاولين والآخرين • اذ هو المنادي بلسان الحال • بل بافصح المقال • انا المعجزة المبينة لنبوة سيد المرسلين وخاتم النبيين • وثانيهما الهامات صادقة • وواردات ناطقة • طالبتني به مشمرا عن ساق الجد • واتفاق مساعدة الجد • غير مستقل بالامتناع والرد • هذا • وان في كتاب انوار التنزيل واسرار التاويل • تاليف الامام الاعلم الاعظم • قاضي قضاة المسلمين • حجة الله على الخلايق اجمعين • ناصر الحق والدين • قدس الله روحه • واعظم فتوحه • لمندوحة عن ساير التصانيف في التفاسير • المعزية الى المشاهير لاشتماله على جمهور مباحث الكشاف واللباب • وخلاصة مقاصد اولي الالباب • واحتوائه على القراآت الثمانية والشاذة بذكر اصحابها • وموجبات نزول الآيات واسبابها • ووجوه واحاجي نحوية • واقاويل وتوجيهات ادبية • وغيرها مما لم يظفر بها في اكثر الكتب المؤلفة لهذا الشان • باوضح البيان • منبها على غلطات وقعت لمن تقدمه من الفضلاء • وتكلم فيه من العلماء • ونكات شريفة • واشارات لطيفة • سمح بها قريحته الوقادة • وابرزتها فطنته النقادة • غير انه سكت في بعض الآيات عن التعرض لوجوه المناسبات • اعتمادا على ما تعرض له في غيرها من التاويل • واكتفاء بما سبق من التعليل • ولميله الى غاية الاختصار • اعرض عن كثير من الاقوال • واستكشاف بعض غوامض الاسرار • والضافية تطويل بذكر القراء • مع انه لايجدي بزيادة فايدة • والايجاز لفضي الى نيل عايدة • فلنقتصر في التعبير عن السبعة وما وافقهم يعقوب بقوي • والشاذ وما انفرد به بقرئ • وسوانح المؤلف بالفاظ الاحتمال كلعل ويحتمل ويمكن • وما اختص به من الاسولة والاجوبة بصيغة فان قيل وقلنا • ولقايل • غيرات بما ذكر في اوايل السور من الاحاديث الموضوعة • لان اكثرها موضوعة • قاصدا به شرح بعض ما اشتبه منه ومن الكشاف • بل هو عن اكثر غوامضها كشاف • بعد التزام الاتيان بجميع مباحثه •

اسم الكتاب

وزوايد الانوار عليها ومانى الالباب الامائنة وايداع لطايف مفاتح الغيب فهو حقيق بان يلقب بتحقيق التفسير
فى تكثير التنوير والله الموفق والهادى فى النهاية والمبادى

## سورة الفاتحة مكية

لقوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثانى ولئلا يلزم خلو الصلوة عنها فى وقت وهى واجبة فيها او مستحبة لانها فرضت بمكة ولا ينافى
نزولها بالمدينة ولهذا تسمى مثانى او لانها تثنى فى اقل واجب الصلوة وتسمى سورة الشفاء والشافية والكنز والوافية والحمد
والصلوة لما بينها وبينها من الملابسة وآيها سبع وفاقا انما الخلاف فى ان التسمية اية منها وانعمت عليهم ولذلك تسمى
السبع المثانى وتسمى ام القرآن واساسه لانه ما من معنى فيه مما يتعلق بالعقايد والاعمال الا وفيها ذكره صريحا واستلزاما ولذلك
افتتح بها بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وغيرها من السور عند الشافعى رضى الله عنه خلافا للائمة الثلثة رحمهم الله فانها للفصل
والتبرك عندهم استدلوا بانها لو كانت منها لتواترت كغيرها ولم يقع الخلاف لافادته العلم وايضا وردت احاديث كثيرة
فى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح صلوته بالحمد لله وايضا ذهب الى ذلك قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعى
ويمكن ان يجاب عن الاول بمنع عدم التواتر ولا دلالة لعدم العلم على عدمه لجواز ان يكون لوجود شبهة او تقليد وايضا هو نفى
والافتتاح بالحمد لا ينافيه لجواز ان يكون المراد بيان السورة وايضا يعارض بما ورد من افتتاحه عليه السلام ببسم الله
وقوله عليه السلام فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وانما اختلف فى انها اية او مع ما بعدها لما روت
ام سلمة رضى الله عنها انه عليه السلام عدها مع الحمد لله رب العالمين آية ولنا انه لو لم تكن منها لزم من اثباتها فى المصحف مخالفة الاجماع
على تجريده من غير القرآن وايضا لم ينكر على ابن عباس رضى الله عنهما البسملة حيث قال من ترك بسم الله فقد ترك مائة واربع عشرة آية
ولا يشكل تجرد البراءة عنها لانها موجودة فى النمل وهى وان لم تكن اية منها لكن تركها يستلزم ترك آية هى بعضها ومتعلق الباء
نحو اقرأ لان ما يتلوه مقرو وكذلك كل مفتتح كالمسافر اذا قال اى بسم الله اسافر وقول العرب بالرفاء والبنين اى اعرست وهو
اولى من اضمار ابدأ لانه لما كان الاضمار مسبوقا بالابتداء علم انه مبتدئ بخلاف اقرأ ومن قول ابتداى لعدم كونه فعلا وزيادة الاضمار
لانه يكون فى الظرف ضمير انتقل اليه من اسم الفاعل على تقدير ابتدائى كاين والمراد ابتداء قراءتى وانما قدر المتعلق متاخرا واصله التقديم
لمطابقة الوجود فان اسمه سبحانه متقدم على القراءة وقد جعلت آلة لها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم كل امر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله
فهو ابتر وعلى هذا الباء للآلة نحو بحرت بالقدوم وايضا للاهتمام ولانه اليق بالعظمة وعلى هذا يكون الباء للمصاحبة نحو قوله تعالى
تنبت بالدهن اى وهى دهنية او ذات دهن ودعوى كون هذا الوجه اعرب لان اجراء ما لا بد منه مجرى الالة ليس من لغة العرب
وكونه احسن لانه لا يناسب جعل اسم الله آلة غير مسلمة لان الاول شهادة نفى والثانى معارض بالمانع وهذا ونحوه مقول على السنة
المنزل عليهم ليعلم وجه التبرك باسم الله سبحانه وكيف يحمد ويعظم وانما كسرت والحق الفتح لكونه اخف كما فعل فى لام الابتداء وكاف التشبيه
لانها لا تكون الا حرفا وغيرها قد يقع فعلا واسما وايضا للفرق بينها وبين لام الابتداء وتقريره على هذا التقدير اقرأ متبركا باسم الله
والاسم اصله سمو لانه يجمع على اسماء ولو كان من السمة لجمع على سمات ولو كان من الوسم لقيل اوسام ويصغر على سمى ولو كان من الوسم

لقيل

لقيل وسيم فهو كحنو وحنى وكان اصل سميو او لو كان سمو الكان اعلاله قياسا والا لكان غير قياسى ويقال سميته بكذا او لو كان
من السمة لقيل وسمته وهو من الاسماء العشرة المبنية اوايلها على السكون وزيدت الهمزة فى اوايلها اذا ابتدئ بها لتعذر النطق
بالساكن بخلاف ما لو وقع فى الدرج وهو مشتق من السمو لانه رفعة على المسمى وسمى فى قول الشاعر والله اسماك سما مباركا ، آثرك الله به
تباركا ، حمل على انه لغة فيه كهدى واصله سمو قلبوا الياء الفا لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها هذا عند البصريين واما عند الكوفيين
فاصله وسم عوض عنها همزة الوصل تقليلا للاعلال ورد بانه لم يعهد مثله بل المعهود فى زيادة الهمزة فى الاول ان يكون قد حذف لامه
كما قيل فى بنوا ابن ومن لغاته سم قال باسم الذى فى كل سورة سمه وتضم السين قال وعامنا اعجبنا مقدمه ،
يدعى ابا السمح وقرضاب سمه وهو غير المسمى اذا اريد به الملتفظ به لانه من قبيل الاعراض والمسميات قد تكون جواهر نعم لو تجوز به
صح الاطلاق ويكون العلاقة الملابسة ولا يستدل بسبح اسم ربك لجواز ارادة تنزيه اللفظ الموضوع
للذات عما لا يليق به من سوء الادب وان يكون زيد اخو حى فلان قايم وقول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ،
وان اطلق على الصفة ففى كونه عين الذات او غيره او عينا من وجه غيرا من وجه كافراد العشرة كلام وذهب الشيخ
ابو الحسن الى ذلك وفايدة بسم الله دون بالله يحتمل ان يكون بالنظر الى التبرك باسمه تعالى الا انه اذا كان يتبرك بالاسم
فبالذات اولى من غير عكس لانه يلتبس بالقسم لان السياق يشعر بخلافه وترك الالف كالدرج مع ان الاصل بقاؤها
لكثرة الاستعمال وتطويل الباء للتعويض قال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء والله اسم للمعبود بالحق وكذلك الاله
لكنه بالغلبة لانه فى الاصل لكل معبود واصل الله الاله عوض حرف التعريف عن الهمزة ولهذا يقال يا الله مثل يا اله بالقطع
والا فالاصل الوصل مشتق اما من اله بالفتح الاهة والوهة اى عبد ومنه تاله او من اله بالكسر لان العقل يتحير فى ادراكه
او من الهت اى سكنت فان القلب يسكن لذكره سبحانه او منه بمعنى فزع فانه يفزع اليه والهه غيره اجاره فانه يجير العبد
فى الحقيقة وعند من يطلق على غيره فبظنه الالوهية وما قيل انه من وله بمعنى تحير لان العقل يتحير فى ادراكه فيكون الهمزة منقلبة
عن الواو ولان اصل ولاه كاعاء ولثقل الكسرة على الواو وثقل الضمة فى وجوه مردود بالجمع على آلهة دون اولهة وقول الشاعر ،
كحلفة من ابى رباح ، يسمعها لاهه الكبار ، يدل على انه من لاه اى احتجب وارتفع لاحتجابه سبحانه عن ادراك الابصار وارتفاعه
عن كل شئ ومن قال انه علم فلانه لا بد من اسم يجرى عليه الصفات ولا يصلح غيره لذلك وايضا لو كان وصفا لكان كالرحمن
ولم يكن لا اله الا الله توحيدا ويمكن ان يمنع بانه لم لا يجوز ان يكون لاختصاصه بالحق سبحانه كالعلم كما ذكر لان الاظهر انه وصف
فى اصله لكنه لوجود معنى الاشتقاق فيه لما سبق من مشاركته مع الاصول المذكورة لفظا ومعنى صار كالعلم بالغلبة كالصعق
والثريا فى عدم الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة لانه لا يمكن ان يدل على ذاته بلفظ من غير نظر الى الاعتبارات لانها غير
معقولة للبشر وفيه نظر لان ذلك انما يستقيم ان لو كانت الالفاظ اصطلاحية اما اذا كانت توقيفية فلم لا يجوز ان يضع
الحق سبحانه علما للذات لانه يعلم ذاته ويشكل فانه لا يفيد بالنسبة الى السامع واستدل بانه لو لم ينظر الى الوصفية لم يفد

ظاهر قوله سبحانه وهو الله فى السموات معنى صحيحا لانه يلزم ان يكون ظرفا للذات وقيل هو معرب لاها بالسريانية حذف الالف
وادخل اللام عليه وحذف الفه لحن يمنع انعقاد اليمين به صريحا وقول الشاعر الا لا بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى الرجال
للضرورة وندب تفخيم لامه فيما اذا انفتح ما قبله او انضم وقيل مطلقا وابو حنيفة على الترقيق الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة فى الرحمة
كالغضبان للممتلى غضبا والعليم لكثير العلم ولما استحال نسبة الرحمة اللغوية الى الله سبحانه لانها رقة وانعطاف يقتضى
التفضل والاحسان لانها انفعال اخذت باعتبار الغاية لانها من قبيل الفعل وكذا غيرها والرحمن ابلغ من الرحيم
لانه لولم يدل زيادة البناء على زيادة المعنى لزمه العبث ويؤخذ تارة باعتبار الكمية ومنه قيل يا رحمن الدنيا لشموله المؤمن
والكافر ورحيم الآخرة لاختصاصه بالمؤمن واخرى بالنظر الى الكيفية ومنه قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها عظام بخلاف الدنيوية فان منها ما هى حقيرة بالاضافة وتقديم الرحمن لانه ابلغ ورحمة الدنيا اقدم ولان الرحيم
كالتتمة لما لم يدخل فى الاول لفايدة ان الحقير لا يطلب من العظيم فلو اقتصر على الاول لاحتشم السايل ان يطلب الشئ الحقير
قال تعالى لموسى عليه السلام يا موسى سلنى ملح قدرك وايضا كانه قال اقدر على ما يقدر العبد عليه كخلق الانسان من النطفة وما يقدر
عليه ولانه كالعلم للاختصاص اذ الرحمة المطلقة البالغة نهايتها ليست الا له لان غير الحق سبحانه يقصد بها عوضا دنيويا
او اخرويا او تحصيل ملكة الجود وازالة رذيلة البخل وايضا وجوده وجود نفس الرحمة الالهية لا سيما والكاينات باسرها
مستندة الى الله تعالى ابتداء ولا عبرة بقول المبالغ فى الكفر رحمان اليمامة وايضا تاخير الرحيم كالتعقيب بالتتمة والرديف
لان الاول للجلايل والثانى للدقايق ومنع صرف رحمن اظهر لانه الاغلب فى هذا الباب والخلاف مبنى على ان السبب انتفاء
فعلانة او وجود فعلى وفى ترجيح منع الصرف نظر فان الالحاق بالنظاير يعارضه ان اكثر الاسماء مصروفة وانه الاصل
وانتفاء فعلانة غير مقصود بالذات بل المقصود وجود فعلى ولعل ضمهما الى بسم الله للاشعار بان الابتداء فى كل امر
باسم من هو واهب نعم الدنيا والآخرة هو اللايق بالمحتاج الى رحمته فى كل شئ الحمد لله اى له الثناء على جميع انعامه الذى صدر عنه
باختياره نعمة كانت او غيرها اذ ذاك موضوعة تقول حمدت فلانا على كرمه وعلى علمه ولا يقال حمدته على حسنه بل مدحته فهو اعم
من الحمد وهو اولى من جعله اخوين اذ الاصل عدم الترادف وبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه لانه اعم باعتبار المحل
واخص باعتبار كونه فى مقابلة النعمة والحمد بالعكس قال الشاعر افادتكم النعماء منى ثلثة • يدى ولسانى والضمير المحجبا •
وانما قال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده مع انه من شعبه لكونه اشيع للنعمة واظهر فى الدلالة لان الشكر
بالاعتقاد خفى وبالجوارح يحتمل غيره والعدول عن الاصل الذى هو النصب للاشعار بالحامد وهو المتكلم وجعل الحمد مبتداء
ولله خبره للدلالة على الثبوت والاستمرار وفيه نظر فان التجدد باعتبار مقصود ايضا غير ان التصريح بالفعل وتقديره خلاف
الاصل والثانى هو المتعين لانه من جملة المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لا يستعمل معها ويقرا بكسر دال الحمد وضم لام لله
للاتباع متعاكسين لتنزلهما منزلة كلمة واحدة والثانى اولى لكونه اتباع الحركة البنائية الاعرابية واللام فى الحمد قيل

قيل لتعريف الماهية فتكون الاشارة الى الحقيقة المتعارفة بين الناس وللقايل ان يقول انكارا بانها للاستغراق
بمعنى ان جميع افراد الحمد ثابتة لله سبحانه مجرد دعوى يقابل بالمنع ويسند بانه اذا كان المقتضى للحمد لغير الله من الله يكون الحمد له
فى الحقيقة هذا وان حمله على مطلق الحمد فى غاية السخافة ويدل على عدم عبور قايله على هذا البحث وذلك انه لو حمل عليه وهو المحقق
انه لا دلالة للمطلق من حيث هو على قوة وضعف وكثرة وقلة بل هو عبارة عما يتحقق به الشئ وحينئذ اى تعظيم ومدح فى ذلك
فانه لو ثبت له الحمد لاعطاء لقمة صح ان له مطلق الحمد لاشتماله عليه وسخافته ظاهرة ثم انكار العموم اما ان يكون فى هذا المقام
او مطلقا وهما باطلان اما الاول فلما ذكرنا واما الثانى فقد اقيم عليه الدليل فى قوله سبحانه ان الانسان لفى خسر ونحوه ويدل
على ارادة العموم ان صاحب المفتاح ذكر من فوايد الحمد انه اذا انعم الله على عبد نعمة فقال العبد الحمد لله يقول الله تعالى انظروا
الى عبدى اعطيته ما لا قدر له فاعطانى ما لا قيمة له قال تفسيره انه اذا اعطاه شيئا معتادا كالطعام او كسوة وقال العبد
الحمد لله كان معناه ان كل حمد اتى به احد من الحامدين فهو لله وكل حمد لم يات به وامكن فى العقل دخوله فى الوجود فهو لله فدخل فيه
جميع المحامد التى ذكرها ملايكة العرش والكرسى وساكن جميع اطباق السموات وجميع الانبياء والاولياء والعلماء والخلق
الى وقت يقولون سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال ونعم الله متناهية
وحمده غير متناه وفيه بيان ان الله تعالى قادر مريد لما سبق ان الحمد ثناء على الجميل الاختيارى رب العالمين الرحمن الرحيم
الرب بمعنى التربية فى الاصل وهو اكمال الشئ بالتدريج ثم وصف به للمبالغة نحو عدل وصوم وهو اولى من جعله اسم فاعل من ربه يربه
نحو نم ينم ومعناه المالك ومنه قولهم لان يربنى رجل من قريش احب الى من ان يربنى من هوازن وان كان مجازا لما فيه من المبالغة
واستلزامه الثانى من غير عكس وايضا اسم الفاعل بهذا الوزن قليل ولا يطلق على غيره سبحانه الا بالقيد نحو رب الدار ومنه
قوله تعالى ارجع الى ربك وهو اللايق لان الله تعالى يربى العبد لا لغرضه بل لغرضهم وغير الله لا يربى الا لغرض نفسه قال الله تعالى
خلقتكم لتربحوا على لا لاربح عليكم ولهذا يكون صريحا فى اليمين والعالم اسم لما سوى الحق تعالى وفى الاصل لما يعلم به كالخاتم غلب
على ما يعلم به الحق سبحانه وكل ممكن كذلك باعتبار افتقاره الى مؤثر هو الواجب ابتداء او بوسط لبطلان الدور والتسلسل
وانما جمع لقصد الاستغراق ليتناول جميع الجواهر والاعراض وحمله على تغليب ذوى العلم اولى من جعله للعقلاء واستتباع
غيرهم للنصوصية وقيل الانسان لانه عالم صغير لانه كنسخة للعالم الكبير لاشتماله على جميع ما فيه من الجواهر والاعراض على طريق
المناسبة فى الاستعمال فى الياء والنون واليه الاشارة بقوله تعالى وفى انفسكم وهو تخصيص بغير دليل على الحصر لان الملك والجن
عندنا كذلك واطلاقه يشعر بافتقار الممكن الى الواجب حالة البقاء فى استمرار وجوده وهو كذلك لان علة الحاجة الامكان
وهو باق ويقرا بالنصب بنحمد الذى دل عليه الحمد او بالمدح او بالنداء ولعل الاول اولى لان فى اللفظ دليلا عليه ويستلزم المدح
ويقل التقدير والرحمن والرحيم ذكرا للاشعار بان المقتضى للحمد اتصافه سبحانه بذلك وهو يدل على انه غير موجب بالذات كاحراق النار
والا لم يستحق الحمد على انه لا يجب عليه قضية لسوابق الاعمال كما قال الرابع عن الحق فى الصورتين واعلم ان الحمد يكون للكمال الذاتى

على الحصر بان

وقد يكون للطمع في المستقبل وقد يكون للخوف فالمقتضي للاول كونه اله العالم المشار اليه بالحمد لله والثاني رب العالمين
والثالث الرحمن الرحيم والرابع مالك يوم الدين فكانه قال باي جهة حمدتموني فانا مستحق للحمد فهذا ايضا دليل المذهب
مالك يوم الدين قرئ مالك وملك ويؤيد الاول يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وهو المتصرف للمملوك
كيف شاء من الملك والثاني لمن الملك وهو الاولى لما فيه من التعظيم وان معناه المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك
وايضا سياسة الملك اعظم من سياسة المالك بل السياسة ليست الا له سوى ما ثبت من اقامة الحد للسيد خلافا لابي حنيفة رح
وايضا الملك له الرحمة قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن اردفه بصفة الرحمة بعد ذكر الملك وقيل المالك اولى لانه ملك الرعية
والمالك للعبد والعبد ادون حالا فالقهر في المالكية اكثر وايضا المالكية سبب لاطلاق التصرف دون الملكية وايضا
حروفه اكثر فيضاعف الثواب والجواب انه اذا قوبل بين الادلة كان الاول ارجح ويقرأ ملك وملك بالتخفيف ومالكا منصوب
حالا او مدحا ومرفوعا منونا وغيره على المدح ويكون خبر محذوف وملك مرفوعا ومنصوبا مضافا في الحالين ويوم ظرف
في بعض الاحوال ومجرى مجرى المفعول به في بعضها انشاعه يا سارق الليلة اهل الدار والدين الجزاء ومنه قول الشاعر
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا وقيل الدين المصطلح وقيل الطاعة والمعنى يوم جزائهم وكونه تعالى مالك امور يوم الدين
باعتبار ان المحقق كالواقع على طريقة ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة فتكون الاضافة لفظية لحصول شرط العمل
وهو الاستقبال وجاز ان يكون معنوية بمعنى له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار نحو مصارع مصر فتصلح ان يكون صفة لله
وتخصيص اليوم مع انه سبحانه مالك الاشياء كلها لتعظيمه او لانه لا ينفذ امر غيره فيه وترتب الاوصاف المذكورة على حكم الحمد
يشعر بعليتها له وهو كالتمهيد للحكم المتأخر وهو العبادة والاستعانة وكانه قال من كان هذا شانه من الايجاد والتربية
في اطوار الوجود وافاضة الرحمة الدنيوية والاخروية وانه المثيب على صالحات الاعمال في دار الثواب والزاجر عن المعاصي
بالعقاب على مساوي الاخلاق والافعال حقيق بان يحمد ويستعان به ويخاطب بقول اياك نعبد واياك نستعين وتقديم المفعول
مع ان الاصل تأخيره باعتبار انه فضلة للاهتمام والاختصاص ومنه قول ابن عباس لا نعبد غيرك لما ثبت ان المنعم الحقيقي
في الماضي والحاضر والمستقبل هو الله سبحانه ودل البرهان على كونه قادرا عالما محسنا جوادا الى غير ذلك وكل ما يضاف الى غيره
لا يكون الا بارادته فيكون مستحقا للعبادة على طريق الحصر هو المتحقق دون غيره ويحتمل ان يكون المقصود ان اول ما يقرع
السمع ضمير البارئ سبحانه فيكون النظر الى المعبود اولا ثم الى العبادة لا سيما وشرفها بشرف المعبود وهو اوفق للوجود
ولهذا افضل قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله معنا على قول ابراهيم عليه السلام ان معي ربي فان في الاول النظر الى المعبود
بالاصالة والى نفسه بالتبع بخلاف الثاني وهو كلام في قوة البرهان اذ التقدير ان الله سبحانه هذا شانه وصريح العقل
يحكم بان كل من هذا شانه فهو المخصوص بالعبادة والاستعانة والعدول عن الغيبة الى الخطاب ومنها الى التكلم ومنه الى الخطاب
وبالعكوس من تفنن العرب في الكلام لمقاصد الاهتمام والتعظيم وقلة الالتفات وتنشيط السامع ومنه قوله سبحانه

حتى

حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلي ولم ترقد • وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العاير الارمد • وذلك من نبإ جاءني • وخبرته عن ابي الاسود •
عدل عن الغيبة في البيت المتقدم الى الحضور ومنه الى الغيبة ثم الى المتكلم وهو جار في الاثمد موضع والعاير وجع العين
والخلي الخالي عن العشق ويناسب ذلك حال ارباب الكلام باعتبار الانتقال من الذكر والفكر والوصول الى المقصود بحيث
يصير كالمشاهد المخاطب واياضمير منصوب وما تركب معه من الكاف والهاء والياء لواحق تدل على احوال المرجوع اليه
ولا محل لها من الاعراب كالكاف في ارايتك لانه لو كان له اعراب لكان اما بالفاعلية او المفعولية او الاضافة والاقسام
كلها باطلة لعدم المقتضي ويعلم بالاستقراء فبطل ان يكون له اعراب وما تمسك به الخليل من قول بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه واياالشواب شاذ لا يعتمد عليه ومن جعل الضماير هذه اللواحق فلانها لما فصلت عن العوامل لم يمكن النطق
بها مفردة لخروجها عن جنس كلامهم فزيد اياعمده وقيل الضمير المجموع فان قيل فما المرجح للاول قلنا المرجح ان جعل تلك لواحق
مماله نظاير مشهورة في كلامهم بخلاف العكس وايضا جعل ما يتعذر النطق به تابعا لما لا يتعذر اولى لانه اقوى والتبع يؤيده
ايضا ويقرا بقلب همزته هاء وفتح الهمزة والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ولهذا يقال للطريق المذلل معبد والثوب
الصفيق ذو عبدة ولا يستعمل الا في الخضوع لله سبحانه والاستعانة طلب المعونة والمراد في كل المهمات وقيل في العبادات
وعلى الاول فيتناول الضرورية كاقتدار الفاعل بالآلات والمواد وهي مناط التكليف وغيرها مما يسهل معه الفعل كالراحلة
للقادر على المشي وتكرير الضمير للدلالة على ان الاستعانة ليست بغير الله ويقرا بكسر النون فيهما وتميم يكسر حرف المضارعة
سوى الياء لثقل الكسرة عليها والاصل تقديم الاستعانة على العبادة فانها ايضا بمعونته تعالى لكنه لما كانت السنة
ان يكون الثناء على الله تعالى مقدما على الدعاء كما ورد في الخبر الصحيح عكس ولصاحب الانوار انه لما كان نسبة المتكلم العبادة
الى نفسه توهم تبجحا واعتدادا بعبادته عقبه بالاستعانة ليدل على ان العبادة ايضا لا تتم الا بمعونته ويمكن ان يكون المراد
الاستعانة بالله في التوفيق للاخلاص في العبادة لقوله سبحانه وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وهيئة الشيء
متأخرة عنه ومحل الجملة من اياك الى آخر السورة نحو ان يكون نصبا باضمار قولوا والاتيان بصيغة الجمع دون الافراد
للاشعار بان الصلوة تؤدى بالجماعة وانه كالطالب من غيره العبادة لا سيما واهل الايمان كالنفس الواحدة وانه خرج عبادته
بعبادة غيره لما فيها من التقصير وفايدة طلب الاعانة على العبادة في اثنائها الطلب اتمامها وان لا يفوت بمرض او موت
وان يحصل له حضور القلب فيها اهدنا الصراط المستقيم الهداية دلالة بلطف ويدل عليه استعمالها في الخير ومنه الهدية
من هدى يهدي فقوله تعالى فاهدوهم تهكم وصلته اللام فهو كقوله تعالى واختار موسى قومه والمراد الثبات على الهداية لمن استجمع
انواعها والازدياد منها والترقي الى اعلى مراتبها ما لغيره وايضا قد يعرف الانسان الحق سبحانه ببعض الدلايل ويكون غافلا
عن غيره فيطلب الازدياد في معرفة الله تعالى بما امكنه من دلايل الانفس والافاق وايضا في كل خلق طرفا افراط وتفريط

وبها مذمومان والحق الوسط فالصراط المستقيم ذلك وايضا قوله سبحانه وان هذا صراطي مستقيما قد حمل على الاعراض
عما سوى الله تعالى والاقبال بكليته على الله تعالى فيكون المطلوب ذلك وايضا انما عظمت الشبهات الواقعة في الالهيات
والنبوات وامر المبداء والمعاد مع ان كل احد يطلب المذهب الحق لنفسه ولولا هداية الله تعالى لم يصل الطالب الى المقصود
فيكون اهدنا الصراط المستقيم اشارة الى ذلك وهي وان كانت بحيث لا تكاد تنحصر انواعها لكن لما كان المطلوب الهداية
الى الصراط المستقيم ان يكون المراد بها انواعا خاصة فمنها التمكن من الانتفاع بالقوى المدركة لدلايل الانفس والآفاق
الدالة على وجود الصانع وصفاته وما به يفرق بين الخير والشر وهو المراد بقوله سبحانه وهديناه النجدين اي طريق الخير والشر
ومنها الهداية ببعثة الرسل وانزال الكتب عليهم كما قال فبهداهم اقتده وقال تعالى فيها هدى ونور وقال ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ومنها ما يختص بالانبياء كالوحي والالهام وصادق المنام وكشف الاسرار كما هو للابرار فانهم اكتحل
بصيرتهم بنور العرفان اما بسابق الرياضات او بفيض من الله لقوة الاستعداد ادرك حقايق الاشيا على ما هي عليها واليه اشار
سبحانه بقوله ولقد آتينا لقمن الحكمة والصراط المستقيم اي المستوي شامل لجميع ذلك فسر بطريق الحق وقيل ملة الاسلام
والامر هو القول الطالب للفعل والمراد هنا الدعاء ويشاركه لفظا ومعنى ويتميز الاول بالاستعلاء والثاني بالتسفل
وقرئ بالصاد والسين واشمام الصاد صوت الزاء والاصل السراط وهو الجادة من سرط الشئ اذا ابتلعه لانها
تبتلع السابلة اذا اسلكوه ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم وانما قلب السين صادا لانها مهموسة والصاد والطاء مطبقتان
لانطباق اللسان على الحنك الاعلى ففي القلب مجانسة ومثله مصيطر وسيطر وفصحاها الثانية في الاسلام وفي الامام الصاد
ويذكر ويؤنث كالسبيل والطريق صراط الذين انعمت عليهم في حكم تكرير العامل لانه بدل من الاول بدل الكل وهو المقصود
بنسبة العامل اليه ولذلك كان في حكم تكرير العامل وانما جي بالاول للتوطية وليس المراد اهدار الاول لئلا يشكل بمثل رأيت
غلامه رجلا صالحا وفايدة الابدال التوكيد والتنبيه على ان الصراط المشهود له بالاستقامة صراط من انعم الله عليه فكانه ذكر
ذكرهما اولا ومفسرا ثانيا والمنعم عليه المؤمنون وقيل الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى قبل الضلال وحمله على الاعم
اولى والانعام ايصال النعمة واصلها حال الالتذاذ فاطلقت للمستلذ من النعمة وهي اللين والمراد به اصناف النعم الدينية
وهذا الشمول لم ينشأ من الاطلاق كما توهم من لم يفرق بين المطلق والعام وقد سبق في الحمد بل باعتبار قرينة السياق
وكيف لا ومن كان صراطه الصراط المستقيم كان مهتديا بجميع العبارات ولا يبعد ارادة الدنيوية ايضا فالاولى التحلية
النفس بالاخلاق الفاضلة من العقايد والاعمال الحقة وتخليتها عن الرذايل الردية والثاني كالجاه والمال ولا يخفى صحة
ارادة ما ينتفع به في القسمين كالقوى الحالة في البدن مما يتوقف عليه اكتساب اللذات العقلية والحسية واعظمها الحيوة
لانه لا يمكن الانتفاع بشئ الا عند حصول الحيوة ولهذا قال سبحانه كنتم امواتا فاحياكم ثم قال عقيبه خلق لكم ما في الارض
والآية تدل على ان الكافر لا نعمة عليه وبه قال بعض العلماء خلافا للمعتزلة ولا مانع قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا الآية



وايضا اذا قوبل ما له من النعمة بعذاب الآخرة لم يكن كالقطرة في البحر وايضا لو كان منعما عليه لكان طالبا صراطه وفي الآخير نظر
ومما ينتفع به في القسمين العقل وما يتبعه من الفهم والفكر فان هذه الامور وان اشترك فيها اهل الغضب والضلال لكنه
مما من الله على عباده المقربين اذ هم المنتفعون بها كمال الانتفاع غير المغضوب عليهم ولا الضالين معناه ان المنعم عليهم
هم الجامعون بين الانعام عليهم والسلامة بين الغضب والضلال وهو بدل من الذين ويجوز ان يكون نعتا اما بفرض
التنكير في الموصول باعتبار عدم ارادة طايفة باعيانهم كما جوز جعل يسبني صفة للئيم في قول القائل ولقد امر على اللئيم يسبني
ان لم يجعل حالا او من جهة ان يحكم على غير بتعرفه بالاضافة وان كان توغله في التنكير يأباه نظرا الى انه اضيف الى ماله ضد واحد
وهو المنعم عليهم فيكون تعينه كتعين الحركة من غير السكون وقرئ بالنصب فيكون حالا على الاول عن الضمير في عليهم
وعاملها انعمت او على المدح فالعامل اعني واستثناء متصلا حيث يفسر النعم بما يعم القبيلين والا يكون منقطعا ان اريد
بالموصول غير معينين ويقرأ غير بالضم والمراد بالغضب ما يترتب عليه من الانتقام لامتناع اسناده الى الله سبحانه
لانه ثوران النفس ارادة الانتقام وعليهم الاول في محل النصب والثاني في محل الرفع وزيادة لا في الضالين لتاكيد
معنى النفي في غير ولهذا صح انا زيدا غير ضارب كما صح انا زيدا لا ضارب بخلاف انا زيدا مثل ضارب والفرق انه
اذا كان غير للنفي لا فكانه لا اضافة ولا تقدم لمعمول المضاف اليه على المضاف بخلاف مثل ضارب وهو مضاف اليه
لمثل فهو معمول فلا يتقدم كما لا يتقدم المعمول بطريق الاولى ويقرأ وغير الضالين وهو العدول عن الصراط المستقيم
ولو خطاء وله انواع واسباب شتى والقرينة قوله تعالى في اليهود منهم من لعنه الله وغضب عليه حمل المغضوب عليهم
والضالين على النصارى كقوله تعالى قد ضلوا واضلوا كثيرا ويقل فيه الخبر واتجه عند صاحب الانوار ان يراد بالاول
العصاة وبالثاني الجهال واستأنس للاول بان المنعم عليه من عرف الحق لذاته والخير للعمل به والمقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة او العاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه كقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب عليه والمخل بالعلم جاهل ضال
كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ويمكن ان يحمل على مشترك بين الكل وهو في الاول المستجلب بعقيدته ورذيلته
ما به يهلك اعظم انواعه وفي الثاني من ابطل استعداده على وجه لم ينتفع به اصلا فصار من الهالكين والحمل على اليهود
والنصارى غير مناسب لان غيرهم من المشركين اخبث دينا منهم اعني منكري الصانع نعم لا يبعد ان يراد بالاول
الكفار وبالثاني المنافقون كما سياتي في البقرة ذكر المؤمنين اولا ثم ذكر الكافرين ثم ذكر المنافقين ولم يبعد حمل الاولين
على كل من اخطا في الاعمال الظاهرة وهم الفساق والثاني على من اخطا في الاعتقاد فان اللفظ مع هذا يبقى على عمومه
والتخصيص خلاف الظاهر ويقرأ ولا الضألين بالهمز كشابة ودابة للجد في الهرب من التقاء الساكنين وان جوز هنا
لانه على حده اذ الثاني مدغم والاول حرف لين وآمين اسم فعل يقصر ويمد وهو كالختم على الكتاب ومنه قول علي رضي الله عنه
آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده ولا تطول بذكره لانه ليس من القرآن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام

قال لابی الا اخبرک بسورة لم تنزل فی التوریة و الانجیل والفرقان مثلها قلت بلی یا رسول الله قال
فاتحة الکتاب انها السبع المثانی والقرآن العظیم الذی اوتیته وعن ابن عباس قال بینا انا رسول الله علیه السلام
اذ اتاه ملک فقال ابشر بنورین لم یؤتهما نبی قبلک فاتحة الکتاب وخواتیم سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطیته

## سورة البقرة مدنیة وایها مایتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحیم الم هو وجمیع ما ورد فی اوایل السور مثلها قد اختلف فی المراد منها الاولی ان یحمل علی انها اسماء السور
لان اکثر المتکلمین والخلیل وسیبویه علیه وقد سموا ابلام والدحادثة بن لام الطایی وللنحاس صاد وللنضر عین وللسحاب غین وللجبل
قاف وللحوت نون وتحقیق ذلک ان الله تعالی اما ان یخاطب عباده بالمهمل او بالمستعمل والاول باطل لخلوه عن الفایدة کالتکلم
مع العربی بالزنجی لمنافاته کون جمیع القرآن هدی وبیانا وفوات فایدة التحدی وهو جواب من قال انها رموز لم یقصد بها افهام
الغیر به فتعین الثانی وعلی هذا فاما ان یراد بذلک ما وضع فی لغة العرب او لا اعنی غیر ما وضع فی لغتهم والاول باطل لعدم الوضع والثانی
کذلک لان القرآن نزل بلغتهم والدلیل علی اسمیتها انطباق حده علیها ودخول خواصه من التعریف والجمع والتصغیر واضدادها فیها
ولا ینافیه اطلاق الحروف علیها من الشارح فی قوله علیه السلام الف حرف ولام حرف ومیم حرف لان اصطلاح النحاة فی الحرف عرف طاری
وفی اللغة یراد به اجزاء الکلمة فدلول الصاد مثلا اول حرف ضرب وان سمی بالحرف لمدلوله لم یکن عرفا مجددا ولا مانع من التسمیة بثلثة اسما
واذا نثرت نثر اسماء العدد لتجویز سیبویه التسمیة بالجمل وبیت الشعر انما الممتنع ما ذا رکب کسیبویه ولا یرد علیه اتحاد الاسم
والمسمی لان المجموع السورة والاسم جزؤها ولا کونه متقدما متأخرا لان کل واحد باعتبار الاول بالذات والثانی باعتبار کونها واما صدر
اللفظ المرکب به مثل صاد وقاف لیکون اول ما یقرع السمع مسمی اللفظ ولما لم یکن الابتداء بالساکن استعیرت الهمزة مکان الالف
وهی غیر معربة لفقدان سبب الاعراب وهو الترکیب لکنها قابلة له لعدم المانع وهو مشابهة مبنی الاصل ولهذا القول کتبت جیما
فهی معربة بالقوة دون الفعل ویدل علیه الجمع بین ساکنین فی مثل نون ولولا اعتبار الوقف لما سوغ التقاء الساکنین کالمسوغ
فی المبنیات مثل این وکیف وانما افتتح الله بعض السور ببعض هذه الحروف ایقاظا للمتحدی به حیث کانت مسمیاتها عناصر المرکبات
لتنبیه السامع ان الموحی به من جنس کلامهم فلو لم یکن من عند الله لما عجزوا عن المعارضة مع قوة المظاهرة بالفصاحة لا سیما وفیه
نوع اعجاز لان التلفظ بها شان من یعرف الخط والکتابة والنبی صلی الله علیه وسلم لم یمارس ذلک قط وفاقا فهو من الخوارق وبهذا قال
المبرد وقیل احب الله استماع الکفار الی القرآن وکانوا اذا سمعوا هذه الفواتح استغربوها واصغوا الی ما بعدها هذا وانه قد وقع فی فواتح
السور اربعة عشر اسما فی تسع وعشرین سورة بعددها اذا عد الالف حرفا وهی نصف حروف المعجم اذا لم یعد الالف حرفا مستقلا
وقد استوعب الحروف باعتبار المخارج وان من کل نوع بنصفه فمن المهموسة وهی ما یضعف الاعتماد علی مخرجه نصف سکت فحثه شخص
ومن البواقی المجهورة نصف لن یقطع امر ومن الشدیدة کذلک فی اجدت طبقک وذکر من البواقی الرخوة عشرة یجمعها
خمس علی نصره ومن المطبقة النصف وهی الصاد والطاء دون الضاد والظاء وذکر ما عدا الاربعة المنفتحة

نصفها

نصفها ومن القلقلة نصفها الاقل لقلتها وهی المضطربة عند خروجها وهی قد طبج والیاء من حرفی اللین لقلة ثقلها ومن المستعلیة
نصفها الاکثر القاف والصاد والطاء والخاء والغین والضاد والظاء وما عدا المستعلیة وهی المنخفضة ای یخفض الصوت
بها ستة مشهورة یجمعها اهطمین من جملة اجد طوبت منها وتعرف بحروف البدل وعد منه اللام والصاد والزاء والفاء
والعین والتاء والیاء فی اصیلال وصراط وزراط وجدف واعن وتروغ الدلو وباسمک وذکر منها الصاد واللام
والعین فالمجموع تسعة وما یدغم فی مثله دون المتقارب نصفها الاول وهی خمسة عشر حروف الحلق والصاد والضاد
والطاء والمیم والتاء وذکر ما یدغم فیهما وهی الباقیة للاکثر لکثرة الحاجة لطلب الخفة والفصاحة بالادغام وذکر من حروف
الحلق والذلقیة وهی التی یعتمد علیها بذلق اللسان ای بحدته وهی رب منفل ثلثیهما وذکر من الزواید وهی الیوم تنساه
سبعة تنبیها علی ان ابنیة المزید لا تتجاوز عن السباعیة کعبوثران واذا قوبل مجموع المذکورة بالمتروکة کانت المذکورة اکثر
ولما کانت اصول تراکیب کلماتهم من الواحد الی الخمسة ذکرها مفردة کنون وثنائیة کیس وثلاثیة نحو الم ورباعیة نحو المص
وخماسیة نحو کهیعص وتخصیص الاتیان بثلث مفردات لوجودها فی الاسم والفعل والحرف فی الاسم نحو لام الذی والفعل باق
والحرف الباء وباربع ثنائیات فی تسع سور لوقوع ذلک فی الاقسام الثلثة علی ثلثة انحاء بالفتح والضم والکسر فی الاسم ذو
ومن واذ والفعل کل وبع وخف وفی الحرف لو ومن ومذ ویوجد فی الاسم بالحذف کدم وبدونه کمن وکذا فی الحروف کمن وفی الفعل
والحذف کبع وعلی هذا سایر ما یوجد من التخصیصات فان قیل ما الدلیل علی هذه الدعاوی ولم لا یجوز غیرها قلنا قد تقرر ان صدور
کل امر ممکن ممن امکنه الاتیان بغیره لا بد له من مرجح وهذه امور مناسبة من قبیل مقاصد کلام العرب والاصل عدم غیرها فتعین الحمل
علیها الا ان یظفر بما هو ارجح فایدة ومن هذا التقدیر یعلم الجواب من قول من قال لو لم یعد بجمعها فی اول القرآن مع ان اعادة التنبیه
علی ان المتحدی به مؤلف اولی وکذا الجواب عن قولهم لو لم یکن علی طریقة واحدة احادا ومثنی او ثلاث والجواب عن وجه تخصیص
کل سورة بطایفة منها علی ای وجه ورد یدور السؤال ویلزم المعارضة فعلی هذا یکون المعنی ان المتحدی به من جنس هذه الحروف
الواردة علی طریقة کلامهم وما قیل من انها زیدت للتنبیه والدلالة علی الفراغ من کلام والابتداء باخر فمردود بان الاصل عدم الزیادة
لا سیما ولم یعهد مثله وقصد الفراغ والابتداء لا یختص باوایل السور وما نقل عن ابن عباس رضی الله عنهما اشارة الی کلمات هی
منها کالالف من الاء الله واللام من لطفه والمیم من ملکه ونحوه واستشهد بقول الشاعر قلت لها قفی فقالت لی قاف لا ینافی
کونها اسماء السور لجواز ان یرید بیان کونها منبع الاسماء ومبادی الکلام وذکر ذلک بالتمثیل بامثلة لایقة بدلیل انه عد کل حرف
من کلمات متباینة لانه قصد التفسیر واما الشعر فشاذ والحمل علی ما ذکرنا یستدعی الجمع بین الدلیلین مع انه لم یظهر دلیل یدل
علی التخصیص بتلک المعانی وما قیل من انها للاشارة الی مدد واجال اقوام لان النبی صلی الله علیه وسلم لم ینکر علی الیهود حین حسبوا
الم وقیل کیف ندخل فی دین مدته احدی وسبعون بل تبسم فقالوا اهل غیره فقال علیه السلام المص فقال حیی هذا مائة واحدی
وستون فقالوا اهل غیرها فقال الر فحسبوه مائتی واحدی وثلثین فقالوا اهل غیرها فقال المر فقالوا اخلطت علینا فلا ندری بایها ناخذ

وهي وان لم تكن عربية تكون ملحقة بالمعربات كالمشكاة لايدل على المقصود لجواز ان يكون السكوت لظهور الامر والتبتم
لجهلهم وذهب صاحب الانوار الى ان الاوفق للطايف التنزيل والاقرب الى التحقيق حمله على ان يعلم ان المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف لانه لايلزم نقل اللفظ من معنى الى آخر ولا ان يكون مشتركا بين معنيين في العلم فانه ينافي مقصود العلمية
وهو التعيين وهذا وان كان في غاية التحقيق لكنه يمكن ان يقال يختار النقل وهو في الاعلام كثير ويستغني عن القرينة للاشتهار
وفيه موافقة اكثر العلماء وانه من جنس استعمالاتهم وان يعرب والاصل في الاسماء الاعراب وايضا الحمل على الشي لاينافي فهم ذلك
في الجملة لان فيه اشعارا بان القرآن كلمات عربية معروفة التراكيب من مسميات هذه الالفاظ ونحوه وما قيل انه سر اختص بالله سبحانه
فهو قريب مما نقل من الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة فلابد وان يراد انه سر بين الله تعالى ورسوله لئلا يلزم المحذور المذكور
اول السورة وقال القاضي الماوردي معنى الم انكم ذلك الكتاب اي نزل عليكم والاكلام الزيادة والاستدلال بقول علي رضي الله عنه
على انها من اسماء الله تعالى يا كهيعص فضعيف لجواز ان يريد يا منزلها وهذه الاسماء انما تعرب ان لو كانت مفردة او موازنة لها
كحم فانها مثل قابيل وذلك اذا لم يرد بها الحروف الزايدة للتنبيه او ابعاض الكلمات واما الزايد نحو كهيعص فالحكاية وكذلك طسم
الا يفتح نونها ويصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعل اسما واحدا كدارابجرد والاول يجوز فيه الحكاية والاعراب وفي الثاني الحكاية
لا غير لتعذر الاعراب نحو دعني من تمريان وبدات بالحمد لله وقول الشاعر وجدنا في كتاب بني تميم ۞ احق الخيل بالركض المعار ۞
برفع احق واعرابه اما بالرفع على الابتداء او النصب على طريقة الله لافعلن بتقدير فعل القسم كما جمعهما الشاعر في قوله ۞
يذكرني حاميم والرمح شاجر ۞ فهلا تلا حاميم قبل التقدم ۞ حكى حاميم اولا واعربها ثانيا او مفعول نحو اذكر او الجر على تقدير حرف القسم
فان قيل فاي الوجوه اقوى قلنا الرفع لعدم التقدير ان جعل مبتدا وذلك الكتاب خبره وقلته ان جعل خبر مبتدا محذوف وبدل
على الاول وقف نافع على الكتاب وهو العلة في ترجيح النصب ان جعل مفعول اذكر غير ان للنصب ترجيحا باعتبار عدم الحاجة
الى الاعتدال المذكور في تصحيح كونها اسما واذا بقيت هذه الحروف جاز رفعها بالابتداء او الخبر وان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف
وان كانت مقسما بها جاز فيها النصب والجر كما في الله لافعلن ولا شي منها آية عند غير الكوفيين وعندهم الم في جميع السور والمص
وكهيعص وطه وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات ولولا انه من قبيل التوقيف لكان القياس
ان يكون كل منها آية بالاعرابات الثلث لتقديرها جملا مستقلة واللايق بحث كل من الفواتح ان يذكر في محله ۞ ذلك الكتاب لا ريب فيه ۞
خبر الم اعني الجملة واستغنى عن الضمير الرابط بالاشارة وان جعل خبر محذوف فالتقدير هذه الم وذلك الكتاب اما ان يكون جملة اخرى
او خبرا ثانيا للمحذوف او بدلا ويتعين ان يكون الكتاب صفة لئلا يصير التقدير هذه ذلك وفيه نظر وان نزل الم منزلة الصوت
احتمل ان يكون ذلك الكتاب مبتداء وخبرا ولا ريب فيه خبرا ثانيا ومعناه ان ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل وان يكون
الكتاب صفته والخبر لا ريب فيه او يقدر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب ويجوز ان يكون ذلك خبر الم والكتاب
عطف بيان ولا ريب فيه حالا وعلى الوجه الاول معناه ان ذلك الكتاب هو الكامل دون ما سواه واذا جعل اسم القرآن لم يكن مثل العالم زيد



اعني حمل الاخص على الاعم حيث اريد المؤلف الكامل الذي هو افصح الكتب وابلغها والكتاب مصدر اطلق على المفعول
مبالغة واصله الجمع ومنه الكتيبة للجيش المجتمع او كاللباس بمعنى الملبوس ويجوز اطلاقه على المنظوم مثل الكتب نظرا الى
ما يؤول اليه وتذكير ذلك مع انه اشارة الى الم واريد به السورة لان الكتاب مذكر وهو هو لانه خبره او صفته فكانه نظر
الى مدلوله المذكر كما جاز عكسه كما قال الشاعر ۞ نبئت نعما على الهجران عاتبة ۞ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري ۞ واراد
نعمان ابن المنذر واستعمال ما هو للبعيد لانه اذا وصل من المرسل الى المرسل اليه وكانه بعد ويحتمل ان يكون لبعد المرتبة كما يستعمل
بالقريب بعيد المرتبة واللام للعهد الخارجي ان اشير اليه بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او الذهني ان اريد به الموعود
في الكتب السابقة وايضا روي ان الله تعالى اخبر نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء والنبي عليه السلام اخبر امته وايضا
السورة مدنية واكثرها احتجاج على بني اسرائيل وكان موسى وعيسى عليهما السلام قد اخبراهم ببعثة محمد عليه السلام ونزول هذا
الكتاب عليه الريب مصدر رابني الشي اذا حصل فيك الريبة وهي اضطراب النفس لعدم الظفر باليقين ولذلك سمي به الشك
وفيه الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ويقال للنوايب ريب الزمان ومنه نتربص به
ريب المنون ومعناه ان الكتاب المذكور لظهور برهانه ووضوح بيانه مما لا يشك فيه العاقل بعد التامل من انه كلام الهي
ووحي رباني ولا ينافي قوله سبحانه وان كنتم في ريب لانه لا يلزم من عدم كونه على وجه لا يرتاب فيه العاقل بعد البحث والتامل
ان لا يرتاب فيه اصلا لان المقصود من الريب المحتمل ما يظهر ممن لم ينظر بعين الانصاف وركب طريق الاعتساف
ولهذا اعقبه بما يلزمه من قوله سبحانه فاتوا بسورة وعدم المنافاة اظهر اذا قدر بانه لا ريب فيه للمتقين والاول ابلغ وان استويا
في كونهما من باب التخصيص وريب في السبعة مبني لان التقدير لا من ريب وهو منصوب المحل لان لا النافية حملت على ان حمل
احد النقيضين او النظيرين في التضاد على الآخر ويجمعهما لزومهما الاسماء وانما اخر الخبر ههنا على الاصل وعكس في لا فيها غول
اذ المقصود ههنا نفي الريب عن هذا الكتاب مع عدم ايهامه في كتاب آخر بخلاف ثمه لان المقصود نفي الغول عن خمر الجنة واثباته
لغيرها والوقف في السبعة على ريب يشعر بان فيه خبر هدى وتقديره لا ريب فيه فيه هدى والفرق بين قراءة ابي الشعثاء بالرفع
والمشهورة ان الثانية يفيد نفي جميع احاد الريب لانه نفي لماهية الريب ولو نفي فرد من افرادها لم ينتف الماهية والاولى يحتمله وغيره
نحو لا رجل في الدار ولا رجل فانه يصدق بل رجلان في الثاني ۞ هدى للمتقين ۞ الهدى الدلالة الموصلة الى البغية مصدر كالسرى
والتقى ووقوعه مقابل للضلال وقسيماله نحو قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين يشعر بذلك وقيل مطلق الدلالة ويؤيد الاول
ان المهدي يستعمل في موضع المهتدي الذي هو المعنى الاول وفاقا وهو المراد بكونه مطاوعة ومن لم يعتبر كونها موصلة الى البغية
تمسك بقوله سبحانه واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ويقال هديته فلم يهتد ويمكن ان يجاب عنه بكونه مجاز القلة والمتقي
من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وفي الشرع يختص بالاتقاء عما يضر في الآخرة فيتناول التجنب عن الشرك وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى وعن كل ذنب حتى الصغاير عند بعضهم والاصح خلافه لانها تصير مكفرة بالحسنات كقوله سبحانه وتعالى

ان الحسنات يذهبن السيئات وهو العرف فيه وعليه قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والاعراض عما يطوي الحق سبحانه
والتوجه اليه بكليته وعليه قوله سبحانه واتقوا الله حق تقاته وفسر ههنا بالمراتب الثلث واختصاصه بالمتقين مع انه بحيث
ينتفع به كل احد كما قال تعالى هدى للناس لانهم المنتفعون به حق الانتفاع وعدم ترتب الاثر بالنسبة الى بعض الاشخاص ليس الا
لخلل في القابل والاثر كما يتوقف على الفاعل يتوقف على القابل فمن لم ينظر فيه بعقله مجانبا الف تقليد لا اصل له ولم يتدبر آياته حق التدبر
لم يكن هدى له لمانع فيه الا في الكتاب لانه لو كان فيه لما صار هدى لغيره من العالمين ثم ان اريد بهم من حصل له التقوى بالفعل
فالمراد استدامته والازدياد كما في اهدنا الصراط وان اريد المشارف كاطلاق القتل على القتيل كما في قوله عليه الصلوة والسلام
من قتل قتيلا فله سلبه فاعتبار التجدد والحدوث فان قيل يمكن حمله على الفريقين قلنا لا امتناع له الا عند من يجوز استعمال اللفظ
بين الحقيقة والمجاز لان المتقي بالمعنى الاول حقيقة والثاني مجاز واليه ذهب بعض المحققين مستدلين بقوله تعالى لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله وفي الاستدلال نظر لجواز ان يراد بمن في السموات والارض الغيب المشترك بين المستقر والمتعلق
علمه بها ونسبة الجمل الاربع اذا جعلت مستأنفة من الم الى المتقين نسبة الدليل الى المدلول فالم يشعر بان المتحدى به من جنس
تراكيبهم وان جعل اسم السورة فكانه قيل فما شانه صار معجزا فاجيب بان ذلك لانه كتاب كامل بلغ اقصى الكمال باعتبار الالفاظ
والمعاني ثم ان سئل فما المقتضي لاختصاصه بذلك فالجواب ان السبب انه لا يحوم حوله ريب في كونه من عند الله واي كمال اعظم
من اليقين ثم اذا طلب الدليل على ذلك استدل بقوله هدى للمتقين فانه لولا وضوح برهانه وسطوع بيانه لما استأهل ان يهتدى
بالفطنة لفصاحته وبلاغته وحسن تراكيبه البالغة الى درجة يعجز نوع الانس عن الاتيان باقصر سورة فعلم منه انه معجز من عند الله
وبمعناه اشتماله على الالهيات والنبوات والاخبار عن المغيبات والاقاصيص الاولين وتأسيس الاحكام للآخرين ومكارم
الاخلاق ودلايل الانفس والآفاق ويعلم من ذلك ان المنزل عليه نبي مبعوث بقواطع المعجزات متمم للنبوات ومما يؤيده
تنكير هدى الدال على التعظيم كانه قال هدى واي هدى وسيأتي له نظاير في الكتاب ويحتمل ان يكون وجه الدلالة ان النكرة
باعتبار ما فيها من الاطلاق الصالح لكل نوع ابلغ من تعيين نوع واحد للتخصيص به وحيث احتمل الحمل على جميع انواع الهدى
على سبيل البدل كان ابلغ • الذين يؤمنون بالغيب • الايمان افعال من الامن ومعناه التصديق كان المؤمن آمن
المؤمن به من التكذيب واذا عدي بالباء ضمن معنى الاعتراف لانها صلته وباللام يضمن الانقياد والمطلق صالح لهما
ويستعمل بمعنى الوثوق ومنه قول ابي زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت وهو مناسب هنا وفي عرف الشرع
التصديق بما علم انه من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كالاعتراف بوجود الصانع وصفاته السلبية والايجابية والامور الاخروية
والملايكة والكتب وساير الرسل واستدل من ضم اليه الاعتراف باللسان والعمل بمقتضاه وهم اهل الحديث والمعتزلة
والخوارج بانه الاسلام والا لما يقبل كقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام الاية والاسلام الدين والدين الاعمال وبقوله عليه السلام
الايمان بضع وسبعون شعبة الخبر وعورض بنحو كتب في قلوبهم الايمان وعطف العمل عليه في آيات كثيرة واثباته مع المعاصي

نحو وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وقوله عليه السلام ان تؤمن بالله الحديث فيسلم دليل الاول وهو قوله سبحانه قالت الاعراب
آمنا قل لم تؤمنوا وما نقل عن الشافعي رضي الله عنه موافقا لهم فلعله اراد الايمان المضاف اليه ثمرته يعني الايمان الكامل المطلوب
من المكلف فيكون من باب التخصيص وبهذا المعنى يكون اقرب الى الموضوع اللغوي وحيث عدي بالباء في الآية تعين
ان يكون هو المراد واذا قلنا انه التصديق القلبي فلا بد من انضمام الاقرار اليه ليكون عنوانا عنه وان كان هو المقصود وان لم يعتقد
صحة ما تكلم به كان منافقا وان لم يشاهد العنوان حكم بكفره وان اهمل العمل فلا خلل في ايمانه لكنه يحكم بفسقه والموصول صفة مقيدة
للمتقين اذا اريد بالتقوى ترك ما لا ينبغي لعدم تناوله هذا المعنى وانما يمدح المتقي حينئذ لان التخلي عن الاخلاق الذميمة اذا اتصف
صاحبه بالتحلي بالافعال الكريمة عد من اهل الكمال ويكون موضحة ان فسر بما يعم القبيلين لدلالة الموصوف عليها وجه فرض التناول
ان المتقي في عرف الشرع من جمع بين العقايد الحقة والعبادات البدنية والمالية والمركبة منهما والاجتناب عن المعاصي هذا
اذا جعل محل الموصول الجر فان جعل الرفع او النصب فيكون مدحا منصلا بالمتقين وان كان موصولا عنه فهو مبتدأ خبره
اولئك على هدى ويكون استينافا وعلى التقادير الثلثة يجري مجرى الجواب كان سايلا قال ما بال القرآن صار هدى للمتقين
فاجاب بان ذلك لانهم جامعون لهذه الصفات واختصاص هذه الامور بالذكر لشرفها ويدل على شرف الاول قول ابن مسعود
والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ولعل السبب ان ذلك لا يكون الا بعد النظر البليغ في صدق المخبر فيدعوه
الى الايمان وان لم يشاهده والا فايمان من شاهد الوحي وتواتر المعجزات اقوى لقوة الدليل وفي الثاني ان الصلوة عماد الدين
وعنوان الاسلام وفي الثالثة زوال رذيلة البخل والرياضة في ذلك لانه كالسماحة بالروح والمراد بالغيب الغايب من باب
التسمية بالمصدر للمبالغة ويسمى المطمئن من الارض غيبا وقيل فيعل فيعل خفف كقيل وهو شامل لما لم يدركه الحس امكن او لم يمكن
وما لم يعلم بالبديهة سواء نصب عليه دليل كوجود الباري سبحانه وصفاته او لا كالمشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب هذا كله
اذا جعل صلة الايمان فاما اذا جعل حالا فالتقدير يؤمنون ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة اي غايبين والاحتراز عن المنافقين
لانهم لا يؤمنون الا عند لقاء المؤمنين وهو قريب مما قيل المراد به القلب اذ المعنى يؤمنون بقلوبهم لانهم يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وعلى هذا الباء للآلة وهو من باب التخصيص او الاستعارة • ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون •
اي يعدلون اركانها ويحفظونها صيانة عن وقوع خلل في افعالها ومنه اقام العود اذا قومه او يداومون عليها كقوله تعالى
وهم على صلوتهم دايمون قال • اقامت غزالة سوق الضراب • لاهل العراقين حولا قميطا • اي ادامت بهذه المرأة سوق القتال
لاهل البصرة والكوفة سنة كاملة او من قامت السوق اذا نفقت فان المحافظة عليها كالنافق لعلاقة الرغبة فيها كما ان
المعطل كالكاسد للرغبة عنها او لا يتوانون في ادائها من قام بالامر اذا جد فيه وعكسه قعد عنه وحمل على ادائها قايمين اطلاقا
للبعض وهو القيام وارادة الكل كما فعل ذلك بالركوع والسجود والتسبيح وذكر في الانوار في ترجيح الاول انه اشهر
والى الحقيقة اقرب يعني ان اصل الاقامة في الاجسام فاستعمالها فيما شاكلها اقرب اليها قال وهو افيد لتضمنه التنبيه

نحو وان

على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن والباطنة كالخشوع والاقبال على الله وهو في غاية
الحسن من هذه الحيثية لكن يمكن ان يقال المداومة والمواظبة على الصلوة الشرعية يستلزم تعديل اركانها ولا ينعكس وصيغتها
فعل من صلى وكتبت بالواو للاشعار بالتفخيم الذي هو ترك الامالة وان يمال الى الواو ومخرج اللام من اسفل اللسان كاللام في اسم الله
كالزكوة واصلها دعى فتجوز تشبيها في تخشعه بالراكع بها لاشتمالها عليه او من حرك الصلوين وهما اصل الفخذين لان المصلي يفعل
ذلك في ركوعه وسجوده والرزق في العرف تخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به وهو قريب من الوضع اللغوي الذي
هو الحظ وهو شامل للحرام ايضا خلافا للمعتزلة فانهم خصوه بالحلال لئلا يلزم تمكين الله العبد من الحرام ويدل عليه اسناد الله سبحانه
الى نفسه في معرض الامتنان ولا منة في التمكين من الحرام ولذا ذم المشركين على تحريم ما رزقهم الله في قوله تعالى فجعلتم منه حراما
وحلالا وهذا ينبني على اصل فاسد وهو ان الله سبحانه ليس خالقا لما يسمى شرا بالنسبة الى العبد وقد الزموا بنحو قل كل من عند الله
وانه ينبني على الحسن والقبح العقليين وقد بان فسادهما في اصول الدين والجواب عن الاية مع التنزل ان الدلالة لقرينة
الامتنان ولا يلزم ثبوتها عند عدم القرينة والاسناد لم لا يجوز ان يكون للتعظيم والتحريض واما الذم فلانهم حرموا ما لم يحرم
واستدل لشمول الرزق للحرام بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث عمرو بن قرة قد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك
من رزقه وفيه نظر يندفع بقيام البرهان على اسناد الممكنات الى الله ابتداء ومن الدليل على ذلك قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ولو لم يكن الحرام رزقا لما كان المغتذي بالحرام جميع عمره مرزوقا والنفق والنفد وكل ما وافقهما في الفاء والعين
فيه معنى الذهاب والخروج والانفاق ههنا يصح حمله على الفرض والنفل وتخصيصه بالزكوة لقرينة ضمها الى الصلوة يمكن ان يقال
ينافيه تفويت كمال المدح لانه لا يخرج بها عن رذيلة البخل على الاصح بارادة عموم الانفاق وعذر تقديم المعمول بالاهتمام اولى
من المحافظة على رؤس الآي وذهب صاحب الانوار الى ان الرزق يحتمل ان يشمل النعم الباطنة كقوله عليه السلام ان علما لا يقال به
ككنز لا ينفق منه قال واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون ومن للتبعيض لافادة كراهة
الاسراف ولعل فائدة تقديم اسناد الرزق الى نفسه على الانفاق مع ان من المعلوم انه لا شيء مما ينفق الا من رزق الله
الاشارة الى قيامهم بشكر نعمة الرزق والتصريح بانهم كالوسائط في ذلك ليكون نظر المنفق عليه الى الله في الحقيقة والآية
فالاقتصار على الانفاق يشعر بذلك وهو اخصر والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
ان كان المراد بهم غير الاولين وهو الظاهر لان الاصل في العطف المغايرة بالذات فهم الذين امنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام بتشديد اللام فالتقدير هدى للذين يؤمنون بالغيب وللذين يؤمنون بما انزل اليك لان المتقين
صادق على القسمين صدق الاعم على الاخص فكان التقدير المتقون على فريقين فريق يؤمنون بالغيب وفريق يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا في العطف على الذين يؤمنون بالغيب فان عطف على المتقين كان المعنى القرآن هدى
للمتقين وللذين امنوا بما انزل اليك فلم يدخلوا فيهم فان قيل ان اعني بالمؤمنين بما انزل اليك من قبل قبل اسلامهم فكيف يصح



النعيم وهو لم يؤمنوا بالانجيل وان عنى بعد الاسلام فالمسلمون كذلك ويكون كعطف الشيء على نفسه قلنا انما يتم الاعتراض
ان لو كانت القسمة حاصرة وليست كذلك بل هذا قسم آخر وهو مجموع الزمانين ومؤمنوا اهل الكتاب امنوا ببعض ما انزل
قبل النبي عليه السلام قبل ان يسلموا كالتورية وامنوا ببعضه بعده كالانجيل والمسلمون لم يؤمنوا بشيء منه الا بعده واذا
اريد بهم الاولون فحرف العطف فيه كما في قوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام ◦ وليث الكتيبة في المزدحم ◦ اي الجامع لهذه الصفات
من كونه سيدا ملكا عظيم الهمة اسد الجيش فمعناه انهم الجامعون بين الايمان بالامور الغايبة والكتب الالهية والاعيان
المستفاد من البرهان وتقديم الضمير الدال على الحصر مدح لهم وتعريض باضدادهم الذين يعتقدون امور الاخرة على خلاف
ما هو عليها حيث حملوا ما ورد فيها على التلذذ بمجرد سماع لذيذ ونسيم لطيف وفرح وسرور والقرآن وان لم ينزل حينئذ كله
لكن غلب الموجود وايضا المتحقق كالواقع مثل ونادى اصحاب الاعراف الآية ومنه انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ويقرأ
بناء المعروف والاخرة صفة الدار كقوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي في الاصل مطلق غلبت كالدنيا وقرئ بحذف همزة الاخرة
والقاء حركتها على اللام كقوله دابة الارض ويقرأ بقلب الواو همزة لكون الضمة كانها على الواو وهو كقلب وجوه على اجوه
ومنه ◦ لحب الموقدان الى مؤسى ◦ وجعدة اذ اضاءهما الوقود ◦ اي اضاء الوقود الشخصين ورايتهما صار المحبوبين
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ◦ جملة مرفوع المحل خبر الذين يؤمنون بالغيب او للذين يؤمنون بما انزل
اليك ويمكن ان يقال انه اولى من ان يستانف وان جرى مجرى علة كون الموصوفين بهذه الصفات استقلوا بالهدى
للارتباط اللفظي وحصول التعليل بترتب الحكم على الوصف اذ التقدير ان سبب كونهم كالمختصين بالهدى العظيم الشان
الاتصاف بالصفات السابقة وحينئذ يكون الاستيناف بالموصول وان استونف باولئك فهو جواب من سأل عن علة
اختصاص الموصوفين بالهدى الموصوف بالعظمة المفهوم من التنكير وقد يعاد اسم من استونف عنه الكلام نحو احسنت
الى زيد صديقك القديم يستاهل الاحسان وهو ابلغ من اعادة الاسم وحده لان فيه اشعارا بالمقتضي للاختصاص كما سبق
من ترتب الحكم على الوصف ومعنى الاستعلاء بيان تمكنهم منه فانه كتمثيله بحال من اعتلى الشيء نحو ◦ امتطى الجهل وغوى ◦
واقتعد غارب الهوى ◦ فانه مبالغة في الوصف بالجهل ويقرأ بادغام النون بغنة وغيرها والمفلح بالمهملة والمنقوطة الفائز
ببغيته كانه انفتحت له وجوه الظفر وكل ما شارك هذا التركيب في الفاء والعين نحو فلد وفلق فيه معنى الفتح ولهذا يقال
للمطلقة استفلح بالحاء والجيم وتكرير اسم الاشارة في قوله اولئك هم المفلحون لكون كل من الحكمين كافيا للتمييز بهم عن غيرهم
وان تلك الاوصاف اقتضت كلا منها على حدته وتوسط العاطف هنا دون قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون لكون الخبرين مختلفين في الاول دون الثاني لان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد هكذا قيل
وفيه نظر لانه ان اريد بالاختلاف والاتحاد في اصل المعنى فلا فرق بينهما لانه كما اختلف الهدى والفلاح فكذلك الغفلة والتشبيه
بالبهائم وان اريد باعتبار اللوازم فكذلك نعم يمكن ان يقال لما كان كل من الصورتين يصلح فيه فرض الاتحاد والاختلاف فيه

بالاعتبارين جاز الاستعمالان وتخصيص الثانية بالترك دون الاول لان تكلف الاتحاد فيها اسهل وهو يسميه البصريون
فصلا لانه يفصل الخبر عن الصفة لانه اذا كان الخبر معرفة صلح للخبرية والصفة وبالفصل علم انه خبر لا صفة ويسميه الكوفيون عمادا
لاعتماد التركيب فى كونه كلاما تاما عليه والصحيح انه لا محل له من الاعراب لانه كالحرف وبعض العرب يجعله مبتداء وما بعده خبره
وفايدة تعريف الخبر الاشارة الى انهم هم المفلحون دون غيرهم وهذا فى عرف اهل اللسان واستعمالاتهم وبهذا يندفع تمسك الوعيدية
به على خلود الفساق فى النار لانه لا يلزم من نفى الكمال نفى اصل الشى ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ان من جملة الحروف المشبهة بالفعل باعتبار لزومها الاسماء واعطاء معناه اذ التقدير احقق وتشبه الماضى خاصة لبنائها
على الفتح واشبهت المتعدى لدخولها على اسمين يتم به معناها ويرفع الاول الحاقا بالفاعل والثانى ملحق بالمفعول ولما كان
فرعا لزم اعمالها العمل الفرعى وهو تقديم المنصوب على المرفوع الا اذا كان الخبر ظرفا للتوسعهم انواعا من الاستعمال لكثرة وقوعه
وعند الكوفيين الخبر مرتفع بما كان مرتفعا به قبل دخولها ورد بان ذلك مشروط بالتجرد للتخلف فى خبر كان وايضا لا اثر فيهما
لان تاكيد النسبة لا تحصل الا بهما لزم عملها فيهما كساير العوامل والدليل على التاكيد انه لا يقال ان زيدا منطلق الا اذا سيل عنه
وان انكر الانطلاق قيل انه لمنطلق ولما زاد زيدا اللام ثم القسم والمذكور ابتداء يلاحظ فيه ذلك ومن الاول ويسالونك عن ذى القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض ومن الثانى قول موسى عليه السلام يا فرعون انى رسول من رب العالمين
والكفر فى اللغة ستر النعمة وهو فى الاصل بالفتح وهو الستر ولهذا يقال للزارع كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجى الرسول عليه السلام به ولبس قلنسوة المجوس والكفار انما عد كفرا لدلالته عليه لان المؤمن لا يتجاسر عليه لا لانه كفر
فى نفس الامر والمراد بالضرورة ان يصير كالضرورى قد ذكر ان عدم عطف هذه القصة على الاولى والعطف فى قوله تعالى ان الابرار
لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لبيان اتحاد الاوليين فى الغرض لان الاولى لبيان الكتاب والمنتفع به والثانية لشرح تمردهم
فكانهما واحدة بخلاف الثانى فانها لتقسم الانسان الى الفجار والابرار وهذا وان كان سديدا لكن الاولى ان يقال لما ذكر الحق تعالى
تخصيص كون الكتاب هدى للمتقين واتصافهم بتلك الصفات فكان سائلا قال ما السبب فى كون اضدادهم لم
ينتفعوا به قال لانهم باعراضهم وبطلان استعدادهم قد صاروا بحيث لا ينفع فيهم الانذار والتبليغ فى الدعوة بالكتاب
الى الايمان لانهم معاندون غير رافعين اليه رؤسهم ومن فوايد تعقيب ذكر خالصة عباد الله بهؤلاء العتاة المردة اتمام
المقصود من تذكير الترهيب مع الترغيب والدعوة الى مكارم الاخلاق والزجر عن مساويها واستدلال المعتزلة به وبجميع
ما جاء بلفظ الماضى على حدوثه لانه يستدعى تقدم مخبر عنه والقديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير فالخبر لا يكون قديما ساقط
لانه يمكن ان يكون لحدوث المتعلق كما هو الجواب فى قوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله تعالى من ذكر محدث اى انزال
وسواء اسم بمعنى الاستواء وقع صفة كقولهم رجل عدل والانذار التخويف من عقاب الله ومحل ما بعده رفع بالفاعلية له
اذ التقدير مستو عليهم انذارك وعدمه وقيل يجوز ان يكون خبر ما بعده اذ التقدير انذارك وعدمه سيان عندهم وما بعده

وان كان

وان كان فعلا جاز ذلك فيه لان امتناع الاخبار عنه بتقييد بما اذا اريد به تمام ما وضع له اما اذا قصد به الحدوث الذى هو
جزؤه من باب اطلاق الكل وارادة الجزء فلا مانع ولهذا جاز ان يقع مفعولا لما لم يسم فاعله ومضافا اليه نحو اذا قيل لهم
امنوا ويوم ينفع الصادقين بل يقع مبتداء نحو تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اذ المعنى سماعك به والعدول عن المصدر
الى الفعل لقصد التجدد ولما جردت الهمزة وام عن الاستفهام وصارتا لمجرد الاستواء حسن دخولهما على هذا الفعل ولهذا
قال سيبويه فعل ذلك بالاستفهام كما فعل بحرف النداء اى جرد لمجرد التخصيص نحو اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والمراد بالاستوا
استواؤهما فى علم المستفهم عنهما لعلمه بوقوع احد الامرين لا محالة من الانذار وعدمه لا بعينه وانما اقتصر بذكر الانذار دون
البشارة لانه اذا لم ينفع فيهم التخويف بدفع الضر الذى هو اهم فجلب النفع بطريق الاولى وقرئ بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية مخففتين واما قلبها الفا فانما عد من اللحن لان المتحركة لا تقلب وايضا يلزم التقاء الساكنين على غير حده ويقرأ
بتوسيط الالف وجعل الهمزة الثانية بين بين وبحذف الاستفهامية والقاء الحركة على الميم وبحذفهما مطلقا وفايدة ذكر
لا يؤمنون بيان المراد باستواء الانذار وعدمه ولا محل للجملة الا ان يكون حالا مؤكدة وقد جوز ان يكون مركبة من جملة فعلية
او بدلا عن السابقة وان جعلت خبر ان فالجملة المتقدمة عليها معترضة لبيان المقتضى لعدم الايمان ولا يدل على وقوع التكليف
بالمحال نظرا الى انه لما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بعدم الايمان فوقوعه محال والتكليف به يكون تكليفا بان يؤمنوا انهم لا يؤمنون
فهو جمع بين النقيضين نعم التكليف بالمحال لذاته كقلب الممتنع واجبا وعكسه جايز بمعنى انه لا يلزم محال من صدوره من الله تعالى
لان فعله سبحانه لا يعلل بالغرض لكنه غير واقع دل عليه الاستقراء وقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها واخبار الله سبحانه
عن عدم صدور الايمان عنهم لا ينافى قدرتهم عليه لانه لو كان كذلك لزم انتفاء قدرة البارى تعالى عما اخبر ان يفعله ومما يهدم
قاعدة المعتزلة انه اذا علم الله سبحانه منهم عدم الايمان فالتكليف بالايمان تكليف بامر يستلزم انقلاب العلم جهلا وهو محال لذاته لانه
يقتضى ان يعلم الايمان عنهم ولا يعلمه وايضا انه سبحانه عاب الكفار فى ارادة تبديل كلام الله وقد اخبر الله عنهم بانهم لا يؤمنون
فمحاولة الايمان تكون قصدا الى تبديل كلام الله وهو منهى عنه وترك المحاولة ايضا مخالفة لامر الله فيكون الذم حاصلا على الفعل
والترك وهذا هو معتمد السلف والخلف فى هدم اصول الاعتزال وما ذكره المعتزلة من انه يقبح التكليف لولا قدرة العبد وقد كلفهم
وقال ولو انا اهلكناهم الاية وقد ذمهم على قولهم قلوبنا فى اكنة وقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ولا يخفى ان ما ذكروه لا ينهض جوابا لما سبق بل يجرى مجرى الشنيعات التى تصير سببا لقدح القادحين فى النبوات والقرآن
والتكليف بالشرايع لانهم لما وجدوا كلام الاولين فى غاية القوة وسمعوا هذه الكلمات حسنوها وصار المجموع محصلا لمقاصدهم
الفاسدة وان فرضنا وقوع التكليف بالمحال كما ذهب اليه بعض المحققين وسيق ادلتهم كان ذلك هادما لمذهبهم ايضا
بطريق الاولى ولهذا ذكر صاحب المفاتيح ان اهل السنة احتجوا بهذه الآية وامثالها على وقوع تكليف ما لا يطاق وما قاله تقرير
للجبر المحض وهو احد قولى الشيخ ابى الحسن الاشعرى رحمه الله وان كان اعتماده على الكسب وهو انه قد جرت عادة الله بانه اذا صمم

العبدُ العزمَ على الفعل احدث الله ذلك فيكون ذلك كالشرط للتاثير والقدرة وقيل المراد معينون كابي لهب واحزابه وعلى هذا
يكون اخبارا عن الغيب مطابقا لما هو عليه وفايدة الانذار مع العلم بانه لا ينفع نيل الرسول عليه الصلوة والسلام فضيلة الابلاغ
والزام الحجة • ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم استيناف يتضمن سبب الحكم السابق
والختم كالكتم لان الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم كتم له لئلا يطلع عليه وهو نهاية ما يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه كالعصابة لما يعصب فالبناء للاشتمال على الشئ والختم على القلب من باب الاستعارة وهو ذكر الشئ
باسم غيره او اثبات ما لغيره له لاجل المبالغة في التشبيه ويجوز ان يكون تمثيلا وهو تشبيه بذكر مشبه ومشبه به بخلاف الاستعارة
وجاز ان يكون مجازا وهو استعمال اللفظ في معنى لم يوضع له لعلاقة بينه وبين الموضوع فهو اعم منهما وان جعل من باب التمثيل
فالاولى ان يكون من قبيل المفرد كما سياتي الفرق بينه وبين المركب في الآية المتاخرة ووجه الشبه انه لما لم ينفذ الحق فيها لفساد
استعدادهم واعراضهم عنه حتى صارت اسماعهم بحيث تعافه فكانه استوثق من قلوبهم بالختم وابصارهم لما لم تشاهد ايات
الافاق والانفس الدالة على وحدة الصانع والمعجزات الشاهدة على نبوة الانبياء فكان عليها غطاء وقد وقع التعبير
عن هذا المعنى بالطبع والرين والاغفال والاقساء كما ياتي بيان كل في مقامه والآية حجة على المعتزلة باعتبار اسناد الختم الى الله سبحانه
ولا ينافيه قوله سبحانه بل طبع الله عليها بكفرهم لان هذه الامور انما اسندت الى الله لوقوعها بقدرته وباعتبار كونها مسببة من شنيع
افعالهم اسندت اليهم ولما كان من مذهبهم ان الشر غير واقع بقدرة الله سبحانه ذكروا لهذه الآية ونحوها تاويلات للتوفيق بينها
وبين ما اعتقدوه دليلا لهم فلا بد من ذكرها وذكر الجواب عنها منها انهم لما اعرضوا عن الحق وتمرنوا عليه صار ذلك كالطبيعة فشبه
بما يخلق الانسان عليه والثاني انه من قبيل التمثيل بقلب لا يستعد للادراك كالبهايم او قلوب يقدر ختم الله عليها كما يقال سال به الوادي
اذا هلك ويكون من باب الاستعارة ايضا ومنها لمن كان الحق سبحانه واهب القدر على الافعال كلها اسند اليه لانه المسبب
ومنها انه لما لم يتصور ادراكهم للحق الا بالقهر لان الاعراض عنه صار كالطبيعة ولم يقهرهم عليه لتبقى حكمة التكليف عبر عنه بالختم
ومنها انه من قبيل قولهم قلوبنا في اكنة فيكون حكاية عن عقايدهم الزايغة مع الاستهزاء بهم ومنها ان ذلك في الآخرة والاخبار
عنه بالماضي على طريقة ونادى ويدل عليه نحو قوله سبحانه ونحشره يوم القيمة اعمى ومنها ان المراد من الختم علامة تعرفها الملئكة ليبغضوهم
على تلك الحالة ثم الجواب عن جميع ذلك بكلمة وهو ان يقال لهم انتم معترفون بان جميع ما ذكرتم خلاف الظاهر وان الاصل عدمه وانه
من قبيل التعسفات التي لا يساعدكم الخصم عليها ولا على شئ منها وانه لا يجوز صرف الكلام لا سيما كلام الحق سبحانه عن ظاهره الا بمانع
يمنع منه وقد دل الدليل على لزوم اجرائه على ظاهره نحو قوله سبحانه قل كل من عند الله والآيات الاخر المضيفة الى الله تعالى كثيرة وايضا
ما يضاف الى العبد مثل وما منع الناس من شاء فليؤمن لا يكلف الله نفسا ما جعل عليكم في الدين من حرج لم تلبسون اذا لم يكن الا
باقدار الله سبحانه اياه وتمكنه عليها اعترفوا به كان من قبيل فعل الله لانه لولا الاقدار الصادرة من الله سبحانه لم يدخل فعله في الوجود
والله قادر على ان لا يقدره عليه فيكون تمكينا من الشر والتمكين من الشر شر وحاصل بحثنا اعني القائلين بان افعال العباد



مخلوقة لله تعالى مع المعتزلة بعد الاختلاف في ان المراد بالختم خلق الكفر او الداعية التي اذا انضمت الى القدرة اقتضته ان نقول
القادر على الكفر اما ان يقدر على تركه او لا فان كان الثاني لزم الاضطرار وان كان الاول فالفعل دون الترك اما ان يتوقف على مرجح
او لا وان كان الثاني لزم انسداد باب معرفة الصانع وان كان الاول فالمرجح لا بد وان ينتهي الى الله تعالى لئلا يلزم التسلسل
وحينئذ يلزم الاضطرار والوفاق على الوقف على سمعهم يرشد الى انه معطوف على قلوبهم كيف وختم على سمعه وانما خصص الغشاوة
بالابصار وشمل الختم لهما لان ادراك البصر ليس الا من جهة المقابلة وادراكهما من جميع الجوانب فيختص بالختم فانه يمنع من جميع
الجهات وفايدة تكرير على الاشعار باستقلال كل منهما والاعتذار عن توحيد السمع وجمع الابصار بالامن عن الالتباس بارادة
المفرد لضمير الجمع وانه مصدر في الاصل ليس بقوي لان ذلك يجوز التوحيد والكلام في ان العدول من الجمع مع ما فيه من المطابقة
لا بد من مرجح وفي تقدير حواس سمعهم اضمار لا دلالة عليه بل الجواب انه لما كان مدرك السمع امرا واحدا وهو الصوت ومدرك القلب
والبصر امور متعددة من الجواهر والاعراض كان في توحيده وجمعهما مناسبة بمدركاتها والبصر ادراك العين فاطلاقه على العضو
او القوة الحالة فيه مجاز بعلاقة اطلاق ما للحال على المحل وكذا حكم السمع وذكر صاحب الانوار انه يمكن ان يكون المراد بهما في الآية
لانه اشد مناسبة للختم والتغطية ويمكن ان يقال اذا كان المراد بالختم والتغطية امرين معنويين كان له جهة اخرى تناسب الحمل
على غير العضو والمراد بالقلب ما هو محل العلم وقوله سبحانه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يدل على ان المراد به العقل والمعرفة وقد
اميلت الابصار مع ان الصاد من الحروف المستعلية لان الراء المكسورة يغلبها التكرر وقرئ غشاوة بالنصب على تقدير وجعل
او حذف الجار وايصال الفعل اليه وهو ختم وقرئ بضم الغين والرفع وفتحها والنصب وبفتحها مرفوعة ومنصوبة وبالعين الغير
المعجمة ورفع غشاوة بالابتداء عند سيبويه والظرف عند غيره ويؤيد الثاني العطف على الفعلية ويمكن ان يؤيد الاول بعدم التقدير
وحصول الثبات ولا محل لقوله ختم الله اذا قلنا استيناف او دعاء نحو ربنا اطمس ومحله الرفع ان جعل خبر ان او التقدير ان الذين
كفروا المختوم على قلوبهم ويحتمل النصب على الحال باضمار فعل اي لا يؤمنون مختوما على قلوبهم والعذاب كالنكال وزنا ومعنى يقال
اعذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ولهذا سمي الماء عذبا لقمعه العطش ونقاخا لانه ينقخه وفراتا كذلك ثم اطلق على كل الم شديد
وان لم يكن عقابا يردع الجاني عن العود اليه وقيل من التعذيب اعني ازالة العذب كالتمريض والعظيم بازاء الحقير والكبير ضد الصغير
والحقير دونه فالعظيم فوق الكبير والتنكير في غشاوة للتعظيم اي غشاوة اي غشاوة لانه المانع من ابصار الآيات التي هي كالشمس ضياء
والقمر نورا فناسب ان يكون لهم نوع عظيم من العذاب وعذاب مرفوع بالابتداء ولهم الخبر وفيه ضمير ويجوز ان يرتفع بالظرف
ولا ضمير حينئذ • ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين • هذا الكلام باسره معطوف على قصة المعلنين
بالكفر ومناسبته بما تقدم انه لما ذكر ان هذا الكتاب هدى للمتقين الذين وافقت قلوبهم السنتهم وان الكافرين المعلنين
بالكفر لم ينتفعوا به لكفرهم وعنادهم اراد ان يبين ان من لم يوافق قلبه لسانه واظهر الايمان وابطن الكفر من قبيل القسم الثاني
وان اولا وبال النفاق راجع اليهم اذ القسمة بهم تتم لان المبعوث اليهم المنزل عليهم الكتاب اما ان يتلفظوا بكلمتي الشهادة

اولا والثاني هم الكفار المجاهرون بالكفر والاول امان يوافق قلوبهم السنتهم اولا والاول هم المؤمنون والثاني هم المنافقون
وهم ابغض الكفرة الى الله على الاصح لصورة المخادعة مع الله والاستهزاء بالمؤمنين واهل الدرك الاسفل من النار لانهم في اسفل
ان فلين من درجات الانسان والكافر لم يرض الكذب لنفسه واستنكف بخلاف المنافق ومن قال الكافر اشر منه لانه كاذب
بالقلب واللسان وهو صادق باللسان الناس اسم جمع كرخال جمع رخل بكسر الخاء وهو الانثى من ولد الضأن وانما قلنا
اسم جمع لانه لم ينقل فعال وانما قلنا وزنه فعال لان الابنية على الاصول ولهذا نقول وزن قه افعل لقولهم انسان واناس
وانس وانسي فحذفت الهمزة كما في لوقة وعوض عنها اللام ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
شاذ والناس مشتق من الانس لاستيناس بعضهم ببعض وان كان من آنس فلانهم مبصرون ومن هذه الحيثية سموا البشر
والجن جنا لاجتنانهم وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشاعر وسميت انسانا لانك ناسي
ومن لابتداء الغاية واللام للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد كانه قال ومن الناس ناس وان جعلت للعهد الخارجي فالمعهود الذين
كفروا ولا يبعد ان يكون الذهني اي الجنس الذين عرفتهم وعلى الاول من موصولة والمراد ابن ابي وامثاله ولا مانع من دخولهم
تحت الكفار لان الجنس يصير انواعا بانضمام قيود يميز بعض حصصها عن بعض ولعل تخصيص الايمان بالله وباليوم الآخر
ليوهموا انهم امثال المؤمنين في جميع ما آمنوا به لاشتماله على جملته لان الايمان بالله ايمان به وبجميع صفاته لانه المعبود بالحق المعلوم
عندهم الموصوف بتلك الصفات والايمان باليوم الآخر يستلزم الايمان بالجنة والنار والصراط والميزان ونظاير الكتب
ونحوها واما الملائكة والكتب والرسل فلان كل من آمن به حق الايمان آمن بجميع ذلك لعدم القايل بالتفرقة وفي الآية اشعار
بانهم منافقون فيما يظهرون الايمان به اذ المراد بهم اليهود واعتقادهم في الله كان مخالفا للحق للتشبيه واتخاذ الولد وكذا
في اليوم الآخر لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحوها وتكرار الباء في اليوم لادعاء الايمان بكل بالاصالة وان اراد
منافقي المشركين فلا اشكال وعرف القول بانه التلفظ بما يفيد ويطلق على المقول والمعنى الذهني المعبر عنه باللفظ وللمذهب
والرأي كقول الشافعي وابي حنيفة وتسمية اليوم بالآخر لانه آخر الاوقات المحدودة وهو من وقت الحشر الى ما لا يتناهى
او الى الفصل بين الفريقين وقوله سبحانه وما هم بمؤمنين رد لما قالوه على ابلغ وجه باعتبار اخراجهم من عداد المؤمنين
اذا قيل فلان ناظر في تلك المسألة قلت لم يكن بناظر كذبت اما اذا قلت ليس من الناظرين فكانك قلت انه ليس من هذا الجنس
فهو ابلغ ثم الجملة الاسمية ولهذا عدل عن قولنا آمنوا مع رعاية المطابقة لانه لا يلزم من نفي الايمان في الماضي نفيه مطلقا وفي الآية دليل
على ان التلفظ بالشهادتين من غير المواطاة مع القلب بما يوافقه لا عبرة به والكرامية على ان من لا يعرف الله واقر به يكون مؤمنا
والاطلاق في الايمان المنفي عنهم اولى من التقييد بما ادعوه وان قيل به لانه ابلغ • يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم
وما يشعرون • معنى الخدع في الاصل الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق وتستعمل في ان يوهم الغير
خلاف ما يخفيه مما يكره به ليزله عما هو بصدده وخدع الضب اي توارى في جحره والضب الخادع والخدع هو الذي يوهم الصياد



انه يقبل عليه ثم يخرج من باب آخر وفاعل وان كان بين اثنين كقاتل يستعمل بمعنى فعل نحو عافاك الله ويؤيده قراءة يخدعون
ولما استحال اجراؤه على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية لزم التأويل بخداع النبي عليه السلام على اضماره لان معاملته معاملة الله كما قال
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وان صورة صنيعهم مع الله صورة الخداع اي المنافق وصنيع الله معهم من اجراء حكم الاسلام
عليهم في الظاهر واعداد النار لهم في الباطن استدراجا لهم وكذا معاملة الرسول عليه السلام والمؤمنين معهم صورة فعل المتخادعين
فالمفاعلة على حقيقتها باعتبار الوزن دون جوهر الكلمة وان اريد يخدعون فالعدول الى المغالبة للمبالغة لان الفعل مع المعارض
اقوى فان قيل ما المقتضي لعدم اطلاع الله تعالى رسوله عليه السلام على حالهم في الخداع اولا قلنا لانه يفعل ما يشاء او الحكمة لا نعلمها ويحتمل
ان يكون لزيادة ثواب المؤمنين بتحمل شاقهم وليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم ويصلح ان يكون استينافا لبيين حالهم كان قائلا
قال ما بالهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فقيل له يخادعون وان يكون بيانا ليقول والكلام في الاولوية ما سبق في يؤمنون
وقصدهم في النفاق رواج امرهم وحفظ دمائهم واموالهم والاطلاع على عورات المسلمين ومعنى قوله سبحانه وما يخدعون
الا انفسهم ان وبال الخداع لا يرجع الا اليهم وضررها لا يتجاوزهم في الحقيقة او خداعهم ليس الا مع انفسهم حيث غرتها
الاماني الباطلة وقصدت مخادعة من هو محيط بما في الضماير كلها وقرئ وما يخدعون كما قرئ وما يخادعون ويقرأ ويخدعون
من خدع بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون بالمجهول وانفسهم منصوبة على مع انفسهم والنفس حقيقة في ذات الشيء وهو المراد
هنا وتجوز بها للروح وقيل هي المراد لان نفس الحي به وللقلب لانه محل للروح على رأي ومنه قولهم المرء باصغريه : ومتعلقه
على آخر وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وجعلنا من الماء كل شيء حي وللرأي لان انبعاثه عنها ولانه كذات يأمره بالشيء
وقيل هو المراد والشعور العلم الحسي ان جوزنا اطلاق العلم عليه ومشاعر الانسان حواسه ومنه الشعر والشعار والمعنى اذ اختصاص من
لحوق وبال الخداع بهم مما يحس به لظهوره لا يفقده الا مختل الحاسة • في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون
المرض في الاصل حالة عارضة للبدن يخرجه عن اعتداله الخاص به فيصير مؤوف الاعمال ويتجوز به في الاعراض النفسانية المانعة
لكمالها كالعقايد الفاسدة والحسد والبغض والمعاصي لانها تمنعها عن اكتساب الفضايل ويزيل عنها الحيوة الحقيقية وما دخلها
من الجبن حين شاهد واشوكة المسلمين وامداد الله تعالى اياهم بانواع النصر وقذف الرعب في قلوبهم والزيادة تبسط الرسول
عليه السلام في البلاد والغلبة عليهم في الجهاد وعلى الاول يحمل تألم قلوبهم على فوت الرياسة ومشاهدة قوة الاسلام واستعلاء
اهله لعلو شان الرسول عليه السلام واستقامة امره وعلى الثاني يحمل ما اصابت نفوسهم من آفات الكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة المرض بالطبع وازدياد التكاليف وتكرر الوحي وشد الازر بالنصر واذا حمل المرض على ذلك
لم يرد عليه انه اذا كان المزيد من جنس المزيد عليه والمرض الذي في قلوبهم الكفر فيلزم من زيادته فعل الله الكفر وانه كيف يذمهم
وانه كيف يذمهم على ما خلق فيهم وانما اسند الى الله سبحانه لكونه مسببا من فعله والى السورة في قوله سبحانه فزادتهم رجسا لكون نزولها سببا لها
والعذاب الاليم المولم من الم كوجع فهو وجيع وفيه مبالغة اذ هو على طريقة جد جده وقرئ يكذبون كما قرئ يكذبون وعلى الاول معناه بسبب

كذبهم ابتداله جزؤا له وهو اظهار الايمان وعلى الثانى تكذيبهم الرسول عليه السلام اذا خلوا الى شياطينهم او فى الباطن او للمبالغة
باعتبار الكيفية مثل بيّن الشئ او الكمية مثل موّتت البهايم او من كذب الوحشى اذا جرى قليلا ثم وقف ونظر الى ما وراءه
اذ المنافق لتحيره متردّدة فى امره والكذب هو الاخبار الغير المطابق للواقع والصدق عكسه سواء اعتقده اولا وفى الاستدلال
بحرمة كل كذب لتعليل استحقاق العذاب به نظر لجواز ان يكون العذاب لخصوص هذا الكذب لان من المعلوم انه لو هرب نبى من قاتل
فكذب من علم حاله لدفع القتل عنه لم يكن حراما وورد فى الخبر استثناء صور منه وان كان الصحيح حرمة الكل وما ورد من نسبة صورة
الكذب الى ابراهيم عليه السلام فمؤول بما هو صدق فى الحقيقة ويكون ذلك من قبيل المعاريض وفيها مندوحة عن الكذب كما اول قوله
انى سقيم بمرض القلب وفعله كبيرهم بان غيظه حمله عليه وان سارة اخته فى الاسلام • واذا قيل لهم لا تفسدوا
فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون • القايل هو الله سبحانه او الرسول عليه السلام
او بعض المؤمنين والمقول لهم المنافقون وما روى عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فمن الجايز انهم لم يأتوا باجمعهم
بل سيوجد من المنافقين من هم فى درجتهم لان الآية متعلقة بالضمير الذى فى الآية السابقة وهو ضمير المنافقين الفساد خروج
الشئ عن الاعتدال وبازايه الصلاح ويطلقان على كل ما يضر وينفع وفسادهم اثارة الحروب ومخادعة المسلمين ومعاونة الكفار
بوجوه شتى كافشاء اسرارهم فان قوة الكفار تفضى الى ابطال الشرايع المقتضى للهرج والمرج واظهار المعاصى وتحل بنظام العالم
والجملة عطف على يكذبون وعلى يقول ابعد من جهة المعنى وان كان الاول اقرب وقالوا انما نحن مصلحون جواب لا اذ النهى الفساد عنهم
اورد لوجوده على ابلغ وجه اذ المعنى ليس من شاننا الا الاصلاح لان معنى انما الحصر لانها مركبة من حرف التحقيق والنفى والاصل بقاء
مدلولها وذلك اما بنفى المذكور واثبات ما عداه او بالعكس والاول باطل اتفاقا فتعين الثانى وهو مثل انما زيد منطلق والحمل على انهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض لقوله تع افمن زين له سوء عمله بعيد لانه انما يصح ان لو لم يكونوا معاندين
والا فقد علم اليهود حقيقة دين النبى عليه السلام وكانوا منافقين عالمين بسوء صنيعهم فهذا القول ايضا نفاق منهم فقابل الله تعالى بمثل
ما قالوه وابلغ منه فانهم ادعوا انه ليس من شانهم الا الاصلاح فقال ليس شانهم الا الافساد وذلك للتاكيد بحرف التنبيه والتحقيق
وحرف التنبيه مركبة من الاستفهام والنفى ودخول الاول على الثانى يفيد التحقيق نحو اليس ذلك بقادر ولهذا لا تقع الجملة بعده غير
مصدرة بما يتلقى به القسم الا نادرا وتوسيط ضمير الفصل وتعقيب الاستدراك بلا يشعرون فانه نفى للاحساس راسا وتنزيل
فسادهم منزلة المحسوس • واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
وجه المناسبة انهم لما نهاهم عن الافساد الجامع لترك عامة الرذايل اراد ان يامرهم بما هو اصل الفضايل تكميلا للمطلوب فقال آمنوا
ايمانا خاليا عن النفاق فيدل على قبول توبة الزنديق وان كان مجرد الاقرار باللسان والا لم يفد التقييد بكونه كايمان الناس اى كايمان
الكاملين فى الانسانية لقوله اذ الناس ناس والزمان زمان ويقال فلان ليس بانسان فكما آمن الناس محله النصب على المصدر وما مصدرية
او كافة كانما ويجوز ان يكون اللام للعهد والمعهود الرسول عليه السلام ومن معه او نحو ابن سلام واصحابه والاعتذار عن اسناد

الفعل

الى آمنوا قد سبق فى قوله تع سواء عليهم الآية والهمزة فى انؤمن للانكار والسفه خفة العقل وسخافة الراى وبازائه الحكم واللام فى
السفهاء اما للعهد والمراد فقراء المسلمين وسفهوهم نظرا الى فساد رايهم وتحقير شانهم فان اكثرهم كانوا فقراء مثل اصحاب الصفة
او للجنس وهم داخلون تحت عموم التسفيه مع ان المراد ابن سلام واشياعه للتجلد وقلة المبالاة بهم فقابلهم الله تع فى تسفيههم بابلغ وجه
كما فى النسبة الى الافساد ولانهم ان كانوا جازمين فجهلهم مركب لا يتوقع الخلاص منه بخلاف المعترف بجهله فانه قد يتوقع خلاصه ويعذر
وان كانوا معاندين فاى سفه اعظم من المعرض عن الحق المصر على الباطل لمجرد الفساد وتقييده بلا يعلمون والاول بلا يشعرون لرعاية
المناسبة فان امر الفساد مما يدرك بالحواس بخلاف بحث الامر فى الدين وترك مفعول يعلمون للاشعار بزوال العلم عنهم راسا وان امكن
التقييد بما سبق • واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن • اللقاء المصادفة
ومنه لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته قريبا منه وهو جار مجرى قولهم مرادفى اى رواق بيتى الى رواق بيته والالقاء بمعنى الطرح
لان المطروح يصير بحيث يلقى ولا يبعد عطفه على واذا قيل لهم والمقصود ذكر مقاولتهم مع الفريقين اخلاصا مع الكفار ونفاقا مع
المؤمنين والاول يكون بيانا لحالهم المخالف لما امروا به وهو الاخلاص فلا تكرار وبيان مقالهم ما روى ان ابن ابى مع اضرابه استقبلهم
نفر من الصحابة فقال لاصحابه انظروا الى هؤلاء السفهاء كيف اردهم عنكم فاخذ بيد ابى بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تميم
وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى
فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كيف رايتمونى فعلت فنزلت ولعله انما عبر عن هذا المقال بقول آمنا لان امثال ذلك لا يصدر الا عن المؤمنين
وخلوا يجوز ان يكون من خلا بفلان اذا انفرد معه وخلاك ذم اى عداك ومضى عنك او من خلا به اذا سخر منه ولما ضمن فيه معنى الانهاء
عدى بالى والمراد بالشياطين شياطين الانس شبهوا به لتمردهم وهم المظهرون للكفر والاضافة للمشاركة فيه او رؤساء المنافقين
والقائلون اخوانهم وانما عد سيبويه نونه اصلية لانه من شطن اذا بعد لبعده عن الصلاح ومنه تشيطن او من شاط اى بطل
ولهذا سمى بالباطل فيكون النون زايدة وقوله تع معكم اى فى الاعتقاد وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية لانهم فى معرض
دعوى حدوث الايمان والكفار بالاسمية ارادة الثبات على الكفر وايضا لا يساعدهم نفوسهم لا سيما ولو عكسوا لم يصدقوا
فى دعاويهم الباطلة وهذا ينهض جوابا عن اعتراض يرد عليه على قاعدة المعانى والبيان وهو انه اذا علم انكار السامع لما يقوله اكد
بما يزيل الشك اعنى انهم لما علموا حال المؤمنين معهم من وثوقهم بكفرهم لم ياتوا بما لم يفد المقصود بخلاف الاظهار مع الكفار
وجملة انما نحن مستهزؤن على الاستيناف اولى من التاكيد باعتبار ان رد الاسلام يقارع على اليهودية والبدل نظرا الى ان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر لما فيهما من لزوم الزيادة فكانهم لما ادعوا موافقتهم قالوا لهم فما بالكم تظهرون الاسلام فاجابوا بذلك
ولا يعارض بفوات الارتباط اللفظى لان المقصود من الكلام مطلقا اصابة المعنى المقصود والاستهزاء السخرية والاستخفاف
واصله الخفة ماخوذ من الهزء وهو القتل السريع وهزأت واستهزأت بمعنى واحد كاجبت واستجبت وناقة فلان تهزا به اى تسرع

وهزار على مكانه اي مات وعن بعضهم مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني اي اموت من التعب • الله يستهزئ بهم ويمدهم
في طغيانهم يعمهون • جعل الخبر فعلا دون الاسم بالاسمية المطابقة لكلامهم المفيد للمبالغة لان البليات والمصيبات اللاحقة
بهم كان تحدث وقتا بعد وقت كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين كما كانوا يحدثون الاستهزاء وقتا
بعد وقت وجعل الخبر فعلا لان وتسمية جزاء الاستهزاء استهزاء لكونه مماثلا له في مقدار الضرر او لمقابلة اللفظ باللفظ ولما كان يرجع
وباله عليهم كان كالمستهزئ بهم او الانزال لازمة بهم من الحقارة او شبه معاملة معهم في الدنيا والآخرة تنزيلهم منزلة المسلمين
في الدنيا بصون الدماء وحفظ الاموال وامهالهم في ازدياد الطغيان استدراجا وفي الآخرة بان يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار
فاذا اسرعوا اليه سد دونهم فيضحك منهم المؤمنون كما قال سبحانه فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وترك العطف وعدم اسناده
الى المؤمنين للاشعار بان الله تعالى لم يكلهم الى انفسهم بل تولى مجازاة اعدائهم بنفسه فلا التفات الى صنيعهم مع صنيع الله سبحانه
وفي الاستيناف ما سبق من الفوائد ومعنى قوله تعالى يمدهم يزيدهم من مد الجيش وامده اذا زاده ومنه مد السراج والارض لاصلاحهما
بالزيت والسماد وحيث لم يعد باللام علم انه ليس من المد في العمر ويؤيده ما قرئ من يمدهم والطغيان بضم الطاء وكسرها كلقيان ولقيان
وهو التجاوز في العصيان عن حده والغلو في الكفر تجوز به عن تجاوز الشيء عن مكانه ومنه طغى الماء والعمه عدم الادراك بالبصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير يقال عمه وعامه وعمهاء لا ارض لا منار بها قال • ومهمه اطرافه في مهمه • اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اي حير الذين لا دراية لهم بسلوك الطرق ويعمهون حال من مفعول يمدهم ومن امال الطغيان لم ينظر الى العين والطاء لبعده
عن مجوز الامالة ولما كانت الآية من الحجج الدافعة لآراء المعتزلة الزائغة تعسفوا لها تاويلات بانواع من خلاف الظاهر مثل منع
الالطاف التي منحها للمؤمنين بسبب كفرهم وتزايد الغي والرين لقلوبهم تزايد انشراح قلوب المؤمنين فيكون من باب التشبيه
او تمكين الشيطان من اغوائهم لطغيانهم والاسناد الى الله اسناد الفعل الى المسبب واضافة الطغيان اليهم لئلا يتوهم
ان الاسناد اليه على الحقيقة او انه منع القسر والالجاء او ان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم لينتهوا فلم يزيدوا الا
طغيانا فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه نحو اختار موسى قومه والجواب ما سبق في مثله من ان صرف الكلام عن ظاهره وابطال
الموضوع اللغوية بالكلية مع ان الدليل قد دل على لزوم الكائنات الى الله سبحانه ليس الا لبصير وامثاله قوله سبحانه واما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الآية فانه اذا كان هذا في صورة لم يبعد الحمل على مقاصدهم الفاسدة مع عدم كون اللفظ من قبيل
المتشابه ففيه بطريق الاولى هذا وانه قد تقدم البرهان العقلي والدليل السمعي على صحة الاسناد الى الله تعالى • اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين • اصل الاشتراء بذل الثمن لتحصيل شيء من الاعيان والناض
من العوضين بتعيين للثمنية من جهة انه لا يطلب لعينه وبازائه مشتري لانه لو لم ينظر الى ذلك لكان كل منهما صالحا للثمنية وباذله
مشتري وآخذه بايع ولذلك قيل الاشتراء مما وضع لمعنيين متضادين والمراد في الآية اختيار الضلالة على الهدى واستبدالها
لعلاقة التشبيه فانه اعراض عما في يده لتحصيل غيره به وهو يعم الاعيان والمعاني وقد يستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره



اي اغفلوا الهدى المشار اليه بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة واختار والضلالة وعلى الاول قولهم • اخذت بالجمة راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمرا جيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا • ومعناه بعد الشباب واستبدل بالشعر الطويل
راسا لا شعر عليه وبالاسنان الصحيحة القوية ساقطة وبالعمر الطويل عمرا قصيرا من الجدر وهو الجدار القصير وهو حال مسلم استبدل
الخير بالشر اذا صار نصرانيا والضلالة الجور عن القصد يقال ضل دريص اي ولد الفار نفقه شربه اذا لم يهتد اليه فاستعير
للذهاب عن الصواب في الدين والربح ما فضل على راس المال ولهذا يسمى شفا يقال اشف بعض ولده اذا فضله والتجارة صناعة
البيع والشرى للربح وقرئ تجاراتهم وقوله فما ربحت ترشيح المجاز وهو ان يذكر بعد جري الكلام على المجاز ما يشاكله ويكون كاللازم له
لتقرير المعنى المجازي ومنه قولهم كان في اذني قلبه خطل وان فانه قد جعل كالحمار في البلادة ثم رشح المجاز لتحقيق البلادة باثبات اذنين
لقلبه مع ادعاء الخطل وهو الاسترخاء وهذا محل الاستشهاد فيصير البلادة كالمحسوسة ومنه قوله • ولما رأيت النسر عز ابن داية •
وعشش في وكريه جاش له صدري • عبر عن بياض الشيب بالنسر مجازا وشبه غلبته على الشباب بغلبة النسر على الغراب الذي
كنى به عن سواد الشعر ثم رشح باثبات التعشش والوكر واسناد الخسران الى التجارة وهو لمتعاطيها على الاتساع لتلبسه بها
او للمشابهة بينهما باعتبار كون كل منهما المباشر والمآل سبب الربح وما كانوا مهتدين وان كان المراد به طرق التجارة لا تكرار فيه
لانه كالتعميم بعد التخصيص لانهم لم يقتصروا على عدم تحصيل الربح بل ضيعوا راس المال ايضا بابطال الفطرة السليمة لانه قد بطل
استعدادهم لانتقاش قلوبهم في الاعتقادات الفاسدة والفاء دخلت على الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط وقيل بينهما شرط مضمر
والفاء جوابه • مثلهم كمثل الذي استوقد نارا • المثل النظير في اللغة وفي معناه المثل والمثيل ومثله الشبه والشبه والشبيه فتجوز به
للقول السائر الممثل مضربه وهو المحل الذي ذكر فيه ثانيا بمورده وهو المذكور فيه اولا واختص بما فيه غرابة ولهذا حفظ عن التغيير بل حمل
غيره عليه ويقال لا يغير كالامثال ثم استعير لكل امر فيه غرابة من حال وشان وصفة وقصة ومنه ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التي
وعد المتقون والمقصود بيان حالهم الغريبة بضرب المثل زيادة في التوضيح بعد ذكر حقيقتها لانه اوقع في النفس لالتفاتها اليه
نظرا الى غرابتها لمصير المعقول محسوسا ولهذا كان تشبيه المعقول بالمحسوس ابلغ انواعه كقولك حجة فلان كالشمس وهو المقتضي لكثرة
وقوعه في كتاب الله وكلام الانبياء والعلماء والذي للجمع ان جعل مرجع الضمير في بنورهم كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا والجانب
اللام في الضارب حيث لم يجز ارادة الجمع منها لانه لم يقصد بالوصف بل المقصود الجملة التي هي صلته بل هو وصلة الى وصف المعرفة
بها ولهذا كان حق الجملة التي توصل بها ان تكون معلومة للمخاطب وايضا لما لم يكن اسما تاما بل جزء اسمه كان حقه ان لا يجمع كما لم يجمع
من وما ولطوله مع صلته خففوه من غير وجه واحد بل من وجوه شتى حذف الياء وحركة الذال وحذفها وايضا ليس الذين جمعا
بل زيدت النون لزيادة المعنى ولو كانت للجمع لاطراد الاتيان بالواو في موضع الرفع وهو شاذ وان حمل على ارادة جنس
المستوقدين والفوج لم يحتج الى الاعتذار فان قيل فاي التاويلين اولى بالذهاب اليه قلنا ميل المفسرين الى الاول ولعل ذلك
لقلة التغيير اذ ليس فيه الا اطلاق لفظ صالح المعنى ليس فيه اظهر وارادته بخلاف ارادة جنس المستوقدين والفوج فانه يحتاج

الى تعدى امر يفهم من تمام التركيب فى الجنس وفى الفوج التقدير والتخصيص ويمكن ان يعضد الثانى بانه لما قرن ان الموصول
لم يوضع الا ان يراد به لفظ آخر يدل على التقدير لازما من غير تغيير ولا بد من اعتبار تشبيه قصة المنافقين بقصة الفوج لا تشبيه
ذواتهم بذواتهم لقوله تع مثل الذين حملوا التورية الآية ولا يلزم الجماعة بالواحد وهو من باب تشبيه المركب كما سبق وهو ان يؤخذ
كل من الكيفيتين المنتزعتين من القصتين فيشبه احداهما بالاخرى والاستيقاد طلب الوقود وهو سطوعها وارتفاع
لهبها والنار مشتقة من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا وهى جوهر لطيف خفيف بالاطلاق ولعل الاضاءة
والاحراق ليسا من الذاتيات • فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون • الاضاءة فرط الانارة
ويدل عليه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى ههنا متعدية فالتقدير اضاءة النار ما حول المستوقد وان كانت لازمة فالضمير الذى
فيها يرجع الى ما حملا على المعنى لان ما حوله اماكن واشياء ويؤيده ما يقرأ من ضاءت وعلى فرض كونها لازمة يجوز ان يستتر فى الفعل
ضمير النار على تنزيل اشراق ضوء ما حوله منزلة اشراقها نفسها فتكون ما مزيدة او موصولة ونصب حوله على الظرف واذا قلنا
يستتر الضمير كان بدلا عن الضمير على تقدير اضاءت النار اضاءت ما حولها من باب ابدال المظهر من المضمر وتركيب الحول للدوران
ومنه سمى العام به لدورانه وجواب لما ذهب الله بنورهم او حذف تخفيفا كما فى فلما ذهبوا به ومرجع الضمير الذى كما سبق الموصول المفرد
المؤول بالجمع والمراد المنافقون وان لم يجعل جوابا فاستيناف يصلح جوابا لمن قال ما وجه تشبيههم بمستوقد الذى خمدت ناره ويجوز
ان يكون من التمثيل المركب يبين به المقصود واسناد الاذهاب الى الله تعالى لانه السبب الحقيقى ففى التصريح به مبالغة لا سيما
والانطفاء لا يحصل الا بسبب خفى او سماوى كريح وتعديته بالباء دون غيرها لما فيه من الاستصحاب والاستمساك وما امسك الله
فلا مرسل له هذا فى النار الحقيقية ويحتمل ارادة المجازية من اثارة الفتن والعداوة مع المسلمين قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله لا يقال هى لا يضئ ما حولها لانا نقول اذا كان من قبيل ترشيح المجاز فمعناه ان نار الفتنة تهدى الكفرة الى سفك الدماء
وانواع الفساد وانما لم يقل بضوئهم وهو مقتضى اللفظ لانه الحاصل من المضئ لذاته فيحصل من ايقاد النار لان الاذهاب به
لا يستلزم الاذهاب بالنار فالمراد المبالغة وهو لا يحصل الا به ويدل عليه تأكيده بقوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون والترك الطرح
وضمن معنى صير فاستحق مفعولين كافعال القلوب وهما الضمير وفى ظلمات ومنه قول الشاعر • فتركته جزر السباع ينشنه
يقضمن حسن بنانه والمعصم • اى تركته طعمة السباع كالشاة التى تعد للذبح يتناولنه يقضمن يأكلن بمقدم الاسنان والظلمة
عدم النور وقيل كيفية تمنع الابصار والفرق بينهما بالعدم والملكة مشتق من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تمنع
تمنع الرؤية والتنكير للتعظيم وجمعها لارادة ظلمة النفاق والكفر وظلمة يوم القيامة قال تعالى انظرونا نقتبس من نوركم وفى عد ظلمة
يوم القيمة معهما نظر وجعل ظلمة الضلال والسخط والعقاب او تنزيل شدة الظلمة منزلة الظلمات المتراكمة وهو مثل ضرب للمتمكن
من الهدى المبطل استعداده المتحير فى امره المتحسر لفقدان النعمة المقيمة فهو بيان للآية المتقدمة وترك مفعول لا يبصرون وجعل الفعل
كاللازم ابلغ لانه يصير كأنه سلبت هذه الحاسة عنهم ولقائل ان ينزل الظلمات على فوات الابصار للنظر فى آيات الانفس والآفاق



المستفاد من لا يبصرون وفوات البصيرة وهو التدبر العقلى المستفاد من يعمهون وظلمة فقدان نور يستضاء به يوم القيمة
المعلوم من قوله سبحانه انظرونا نقتبس من نوركم واذا قلنا يدخل هؤلاء المنافقون تحت عمومه لا ضاعتهم حق كلمتى
الشهادة التى تلفظوا بها مبطنين للكفر فيكون استضاءتهم بالنار اخذهم حكم المسلمين لهذه الكلمة واستغفار الظلمة
ما اعد لهم من السخط الدائم والعذاب السرمد والسين فى استوقد للطلب ويجوز ان يكون بمعنى اوقد نحو قوله تعالى
الذين يستحبون الحيوة الدنيا وناصب لما قوله ذهب الله لا اضاءت لانه فى موضع الجر باضافة لما لانه بمعنى حين
صم بكم عمى فهم لا يرجعون • وصفهم بهذه الالفاظ ونفى هذه القوى عنهم مع ثبوتها لهم لعدم ترتب ما هو المراد حصوله بهذا
القوى فكانه قد اصابتها آفات عطلتها عن العمل لقوله • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا • ومن
هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف ملوك الارض اخر الدهر بالصم البكم واصل الصم صلابة تحدث فى الصماخ من دخول
بعض اجزائه فى بعض بحيث يحصل منه تراكم ومنه حجر اصم وانما سمى به عدم حاسة السمع لان سببه اكتناز باطن الصماخ بحيث
لا يوجد فيه تجويف فلا يصل اليه الصوت لان الوصول انما هو بسبب تموج الهواء اليه على ما قيل وان اورد عليه سماع الصوت
من خلف الجدار الصلب والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر فيقال للعقرب عميا لان من شان الحيوان الابصار فلا يقال للجدار
لا يبصر وقيل كيفية تمنع الابصار فيرجع تحت العدم والملكة وهو من باب التمثيل لانه لو كان من الاستعارة لطوى ذكر المستعار منه
بحيث يمكن الحمل على المستعار لو لم يمنعه القرينة نحو قولك رأيت اسدا يرمى النشاب وهو الفرق بينه وبين التمثيل والتشبيه
ومن صورها يمكن حمله على المستعار لولا القرينة قول زهير • لدى اسد شاكى السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم •
اى تام السلاح يقذف به كثيرا اى للوقائع له شعر متلبد اى تجمع على منكبيه ومن اجل المبالغة فى التشبيه ترى رؤساء الكلام
يعرضون عن تراكيب تشعر بالتشبيه رأسا قال ابو تمام • ويصعد حتى لظن الجهول • بان له حاجة فى السماء • فانه قد طوى
ذكر المستعار منه بالكلية ولا يستدل على كونه من باب الاستعارة حيث لم يذكر المبتدأ وهو الضمير الراجع اليهم اذ التقدير
هم صم لانه فى حكم المنطوق نظيره قول من يخاطب الحجاج • اسد على وفى الحروب نعامة • فتخاء تنفر من صفير الصافر • استعارة
نظرا الى انه كالتصريح بالمستعار منه لما صح الاستشهاد بقوله • لا تعجبوا من فى سرباله رجلا • ففيه غيث وليث مسبل مشبل •
هذا كله اذا جعل الضمير للمنافقين فاما اذا جعل للمستوقدين فهى على حقيقتها اذ المعنى انه لما اذهب الله نورهم وتركوا فى ظلمات
شديدة اختلت حواسهم وانتقصت قواهم هكذا قالوه وفيه نظر لان الآية تشعر بفقدان هذه الحواس وعلى فرض تسليم تشبيه
الاختلال فى هذه القوى بذهاب النور لا يلزم فقدانها بالكلية وتوجيه ما يقرأ بنصبها بالنصب الحال من الضمير فى تركهم والفاء
فى فهم لا يرجعون للدلالة على ان سبب عدم الرجوع الى الهدى الذى ضيعوه باعتبار الضلالة عليه هو اتصافهم باوصاف
السابقة وكذا ان حمل على انهم متحيرون فى امرهم لا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون ولعل ذلك لاعتقادهم انهم فى ذلك على الحق
فيكونون جاهلين بضلالهم وح لا يتوقع الخلاص عنه لان المعاند العالم بالحق قد يرجع اليه فى وقت ما • او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

اى انت مخير فى تشبيه حال المنافقين بكل واحد من المثلين المستوقد واصحاب صيب موصوف بهذه الصفات واو ههنا
للتخيير مثل جالس الحسن او ابن سيرين وهو وان لم يكن امرا الا انه فى قوة الامر اذ التقدير مثلهم بهولاء او بهولاء فالتمثيل
بهما متساويان واصله للتساوى فى الشك فاطلقت للتساوى بدونه ويجوز التمثيل بهما جميعا والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول ويقال للمطر والسحاب ايضا قال الشماخ ° واسحم دان صادق الوعد صيب ° وفى الاية يحتمل المطر والسحاب
واطلاقه على السحاب علاقته الحال والمحل وتنكير صيب للتعظيم وفائدة ذكر السماء والصيب لا يكون الا منها انه لو لم يذكره
من السماء احتمل ان يكون من سحاب مطبق للافاق كلها لان كل افق سماء كما قال ° ومن بعد ارض بيننا وسماء ° وفيه مبالغات
من جهة ذكر الصيب الذى يدل على فرط الانسكاب والمبالغة فى نفس اسم الفاعل والتعظيم المستفاد من التنكير واذا اريد
بالسماء السحاب كان اللام لتعريف الماهية لئلا يلزم اثبات نزول المطر من كل فرد من افراده والظلمات اذا اريد بالصيب
المطر تتابع قطرة وظلمة السحاب والليل والظرفية للتلبس به وان كان فى اعلاه ومنحدره وقيل اشتقاق الرعد لحصول ذلك
الصوت باضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا احدتها الريح وهذا بيان للسبب فموضوعه لغة صوت يسمع من السحاب
والكلام فى سببه امر تخمينى لا وثوق به كيف لا وقد عارضه ما قيل السبب ليس الا مداخلة الادخنة او الابخرة بين اجزاء
السحاب فالاولى ما نقله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صوت ملك يسوق السحاب وهو لا ينافى الاشتقاق والبرق
من برق الشى بريقا اذا لمع والكلام فيه كما فى الرعد معقولا ومنقولا والاعتذار عن عدم جمعهما مناسبة مع الظلمات
بكونهما مصدرين فرعى اصلهما ليس بقوى فانه مجوز والكلام فى الترجيح كما فى السمع مع الابصار وكذلك الجواب بارادة الارعاد
والابراق بل الاولى ان يقال لما اختلف الظلمات كما سبق بخلاف الرعد والبرق روعى مطابقة اللفظ والمعنى ° يجعلون
اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ° هم اصحاب الصيب المدلول عليهم بذكر الصيب كدلالة
تذكير الضمير فى يصفق من قول حسان ° يسقون من ورد البريص عليهم ° بردى يصفق بالرحيق السلسل ° حيث اراد
ماء بردى ولو اراد بردى من باب اطلاق المحل وارادة الحال لانث الضمير وبردى نهر بدمشق وتصفيق الشراب تحويله
من اناء الى آخر للامتزاج والرحيق صفوة والمراد مزج ما بردى بها والسلسال ما سهل دخوله فى الحلق والجملة استيناف يبين به
حالهم فى تلك الشدة او صفة محلها الجر صفة للمضاف المقدر وهو كاصحاب صيب اى جاعلين اصابعهم والموضوع فى الاذن
وان كانت الانامل لكن ذكر الاصابع للمبالغة فى الجوف وهو المعنى بالجمعية والصاعقة قصفة رعد هائل يصحبها نار شانها ان لا تمر
بشى الا اهلكته وقيل هى دخان يتحدر من السماء اما لثقله او لمانع من الصعود والاول لا ينطفى الا بصعوبة حتى قيل انها
يقتل ما يمر عليه من حيوان البحر والثانى لشدة نفاذ حتى انه يحرق ما فى الكيس دونه والظاهر ان المراد الثانى من الصعق وهو شدة
الصوت ويتجوز بها على كل هائل مسموع او مشاهد ومن الصواعق يتعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولك سقاه
من العيمة والمعنى بهذا التعلق ان يكون مفعولا او ما يقرار من الصواعق فليس بغلب والا لكان اقل وجوه الكون البائين



متساويين يقول خطيب مصقع وصقع الديك وصقعته الصاعقة وهى بناء الفاعل فيكون اما صفة للقصفة او للرعد
زيدت التاء للمبالغة ان لم تحملها على المصدر وحذر الموت مفعول له ليجعلون لقوله ° واغفر عوراء الكريم ادخاره ° واعرض
عن شتم اللئيم تكرما ° الكلمة العوراء القبيحة والموت عدم الحيوة عما من شانه ان يكون حيا اى متصفا بقوة تابعة للاعتدال
النوعى الفائض عنها ساير القوى وقيل كيفية تضاد الحيوة فالفرق بينهما بالعدمى والوجودى والاستدلال بكونه مخلوقا
فى قوله تعالى خلق الموت والحيوة ضعيف لجواز ارادة التقدير والعدم مقدر وما ورد فى الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم
يؤتى يوم القيمة على صورة كبش فيذبح لا يستدل به لتأويله بنوع من التمثيل واحاطة الله بالكافرين هو ان لا يفوتوه
فيتخلصوا من عقابه كما لا يفوت المحاط من المحيط بصنوف الحيل والا محل للجملة لكونها معترضة ° يكاد البرق يخطف ابصارهم
كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ° كاد تسمى فعل المقاربة لمقاربة الخبر من الدنو والحصول لوجود سببه لكنه لم يكن
موجودا لمانع او فقدان شرط وخبرها يكون فعلا مضارعا للاشعار بانه المقصود بالقرب من غير ان يذكر معه ان لتاكيد القرب
لدلالته على الحال وقد يدخل على خبرها ان للحمل على عسى كما عكس بالحذف عن خبر عسى لاشتراكهما فى اصل التوقع والمقاربة غير ان عسى
وضعت لرجاء حصول الخبر وكاد خبر محض ولذلك يتصرف منه الماضى والمضارع وغيرهما بخلاف عسى والخطف الاخذ بسرعة ويخطف
بكسر الطاء وتشديدها وفتحها وفتح الخاء وهو من يختطف لنقل فتحة التاء الى الخاء ثم الادغام فى الطاء ويخطف بكسر الخاء والتاء
لالتقاء الساكنين واتباع الياء للخاء ويخطف والجملة استيناف يجاب به من يسأل عن حالهم مع شدة الصواعق هكذا
قرروه وللقائل ان يقول ظاهر اللفظ يشعر بانه بيان لحالهم مع البرق والا لكان حق الكلام يكاد الصاعقة وانها وان كانت
لا تخلو عن البرق لكن رعاية المطابقة تقتضى ذلك وقوله كلما الى آخره استيناف آخر يبين حالهم فى زمانى خفوق البرق
وخفوته وذكر ان المعنى انه كلما صادفوا خفقة من البرق مع خوف ان يختطف ابصارهم انتهزوا فرصة فخطوا خطوات وللقائل
ان يقول فى هذا التقرير نظر وهو ان الشخص فى حال يكاد البرق يخطف بصره يكون مبهورا لا يتفرغ للحركة فينبغى ان يحمل على ما اذا اضاء
البرق يمشى لهم مشوا فيه لا حال خطف البرق بصرهم وكلام صاحب الانوار يصح حمله على ذلك حيث قال كلما نور لهم ممشى وهو مفعول
اضاء ان جعل متعديا وان جعل لازما فمعناه لمع واظلم مثله فى انه جاء متعديا واصله ظلم الليل ويؤيده قراءة اظلم مجهولا
وقول ابى تمام ° هما اظلما حالى ثمة اجليا ° ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ° اى الدهر والعقل وحالى الطرب والنشاط والامرد
اى بالسن والاشيب اى بالعقل والاعتبار بشعر من ليس من العرب العرباء للنظر الى انه لا يقول الا برواية اللغة عنهم ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قام الماء اذا جمد والسوق اذا كسد وانما ذكر مع الاضاءة ما يدل على التكرار ومع الاظلام ما لا يدل عليه
للاشعار بحرصهم على المشى عند القدرة بخلاف التوقف وكلما نصب بمشوا الا باضاءة لانه فى صلة ما وهو مجرور والصلة لا تعمل
فى الموصول كالمضاف مع المضاف اليه ° ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شىء قدير ° لو حرف فيها معنى الشرط

معناه امتناع الشئ لامتناع غيره فمعناه لوشاء ان يذهب بسمعهم بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق لاذهبهما لكن اللازم
وهو الاذهاب منتف لانتفاء ملزومه وهو المشية وفايدة هذه الشرطية بيان ان سبب عدم وقوع الاذهاب ابداء المانع
وهو عدم تعلق المشية وتدل على ان تاثير جميع الاسباب يتوقف على مشية الله سبحانه وحذف المفعول وهو ان يذهب لدلالة
الجواب عليه ولا يذكر مفعوله ومفعول اراد الا نادرا مثل فلو شيئت ان ابكى دما لبكيته • وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير بيان
لعدم الاذهاب والتمثيلان يصح جعلهما من قبيل المركب كما سبق انه عبارة عن تشبيه كيفية منتزعة من جملة امور صارت
بالتركيب امرا واحدا بمثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية فان المقصود بيان عدم الانتفاع بما معهم من التورية كالحمار
الحامل للكتب فيكون المقصود تشبيه حال المنافقين في حيرتهم بمن انطفت ناره في ظلمة او من كان في ليلة مظلمة قد اخذته السما
خايفا من الرعد والبرق والصواعق ويصح جعلهما من قبيل المفرد بان يشبه كل جزء من اجزاء احد المركبين لكل من اجزاء الآخر
نحو وما يستوى الاحياء ولا الاموات وما يستوى الاعمى والبصير الآية وقول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى
وكرها العناب والحشف البالى • اى في حال الرطوبة كالعناب واليبوسة الحشف وهو اراد التمر فعلى هذا يكون تشبيه ذوات
المنافقين بالمستوقدين واظهار الايمان بالاستيقاد وانتفاعهم به باضاءة النار وبزوال ذلك على قرب بفساد حالهم
والعذاب الدايم باطفاء النار والذهاب بالنور وفي الثاني تشبيههم بذوى الصيب والايمان المقرون بالخداع بصيب
موصوف بما ذكر لانه وان كان منتفعا به في الجملة عاد نفعه ضرا ونفاقهم مع الحذر من الموت بجعل الاصابع في الاذان من جهة انه
لا يرد شيئا من القدر وتحيرهم وترددهم بالمشى عند لمعان البرق والتوقف عند خفوته ومنع كونهما من قبيل المفرد مجرد دعوى
ولا تمسك بامتناع ذلك في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية لانه لو حمل على المفرد ثمه لزم تشبيه التورية بالاسفار وهو غير مراد
والشئ لا يتناول غير الموجود والمعتزلة قالوا هو ما صح ان يعلم ويخبر عنه وهو مصدر شاء يقال للشائى فيدخل فيه البارى سبحانه
ومنه قوله تعالى قل اى شئ اكبر شهادة قل الله بخلاف ما اذا اريد المشئ وجوده كما في قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير ولا حاجة لنا
الى التخصيص بالممكن وعلى تفسيرهم تناول الممتنع فاحتاجوا الى التخصيص بالممكن بدليل العقل فان المستحيل لا يتعلق القدرة
ولا يخفى ان رايا ناسه لبقاء اللفظ على عمومه وعدم الحاجة الى التخصيص المقتضى بتردد الذهن وملاحظة ما هو خارج عن اللفظ
وقد اختلف في جواز ذلك ومنهم من لم يجوز هذا التخصيص بل التخصيص اصلا والقدرة اشتقاقها من القدر لان القادر
لا يوقع فعله الا بمقدار قوته وما يقتضيه مشيته وهى في الاصطلاح التمكن من الايجاد وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل
قدرة الله عدم العجز وقدرة الانسان هيئة بها يتمكن من التاثير واذا اطلق القادر اريد به من ان شاء فعل وان شاء لم يفعل
والقدير بناء مبالغة فهو الفعال لما يشاء على الوجه الذى يشاء والممكن حال بقائه والحادث حال حدوثه مقدوران وان
اطلق الشئ عليهما جايز وعلة المقدورية الامكان وهو باق ومن ما بين الحيثيتين يكون مقدورات العبد مقدورا لله تعالى



يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم • لما سبق ما يدل من التمثيلات وغيرها على ان السعادة الابدية لا تنال الا بالايمان
وان الكفرة والمنافقين اهل الشقاوة الدايمة حرض على العبادة مؤكدة بالالتفات على طريق التخاطب الدال على الاهتمام
وتعظيم شان العبادة وتنشيط السامع وذكر الرب المشعر بان المقتضى للعبادة كونه سبحانه ربا فان شكر المنعم واجب ويا وان
كانت لنداء البعيد فاستعمالها للقريب لتنزيله منزلة البعيد استقصارا من الداعى لنفسه وهضما لها ولتعظيم المدعو في مثل يا الله والا
فهو اقرب من حبل الوريد او لزيادة الحث عليه وقد يكون لغفلته وهى نايبة مناب ادعو فهى مع المنادى جملة حذف الفعل عنها تخفيفا
واى جئ به وصلة الى نداء المحلى باللام لئلا يلزم اجتماع التعريفين ولا يشكل بنحو يا زيد لاختلاف نوعى التعريف وللاشتراك الا اتفاقا في
فاعطى حكم المنادى وجعل المنادى التى كالوصف الموضح له واقحام الهاء بينها وبين الوصف ليكون بدلا عما يستحقه اى من المضاف اليه
بالزيادة للمناسبة وتخصيصه والتزام رفع الوصف لانه المقصود بالنداء وسبب كثرة وقوع هذا النوع في خطاب الله ان كل
ما خطب الله به يكون امرا عظيما لا بد من التفطن والاذعان له واكثر الناس عن حقيقته غافلون فيحتاج الى نوع تاكيد وفيه تاكيدات
ذكر اى المبهم ثم التفسير واقحام هاء التنبيه والنداء بيا وقد سبق ما فيه والناس اسم جمع وهو والجمع المحلى للعموم بدليل صحة الاستثناء
والاستدلال بقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس الآية من قريش من غير نكير والتاكيد بما هو نص في العموم نحو فسجد الملئكة
كلهم اجمعون وهو يتناول الموجودين وقت الخطاب وضعا ومن ياتى بعدهم بدليل خارج وهو ما تواتر دين النبى عليه السلام
ان كل خطاب من هذا القبيل يتناول من ياتى يوم القيمة الا ما استثناه الدليل وما ذكر عن علقمة والحسن من ان صيغة
يا ايها الناس لكفار مكة ويا ايها الذين آمنوا للمؤمنين او الاولى مكية والثانى مدنية على فرض كونه مرفوعا لا يستلزم التخصيص بالكفار
ولا امرهم بالعبادة دون غيرهم وذلك لان المامور به هو القدر المشترك بين الزيادة في العبادة التى هى للمؤمنين والشروع
فيها الذى هو للكفار وهو مطلق العبادة لئلا يلزم استعمال المشترك بين مفهوميه او الجمع بين الحقيقة والمجاز ولا يشكل بان الكفار
كيف يكونون مكلفين بفروع الايمان وهى لا تصح مع الكفر فيلزم التكليف بالمحال لانه كامر المحدث بالصلوة اذ المراد ان يزيل
المانع ثم يتلبس بها وذلك لان الامر بالشئ امر بما لا يتم الا به اذا كان الامر مطلقا ومقدمته مقدورة والذى خلقكم صفة
رتبت على الحكم بالعبادة ليكون كالعلة لوجوب العبادة لنعمة خلقه سبحانه اياهم فانه عبارة عن ايجاد الشئ على تقدير واستوا
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا سواها وقدرها بالمقياس وفيها تعظيم وان اختص الخطاب بالمشركين وهم يسمون غير الله آلها
وربما فيكون للتقييد ويجوز نصبه ورفعه على المدح بناء على انه لا التباس فيما يطلق على الله من الاسماء • والذين من قبلكم لعلكم
تتقون • عطف على الضمير المنصوب وهو شامل لجميع الممكنات المتقدمة على الانسان بالذات او الزمان وصيغة اولى العلم
على سبيل التغليب او الاكتفاء بذكر الاشرف ولما كانوا قايلين بهذه الدعوى لقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله كانت كالمقررة عندهم وكذا عند المنكر لذلك فانه لتمكنه من النظر المنتج لذلك كالعالم به لانه قوة قريبة من الفعل
وما يقرا من قوله تعالى من قبلكم فهو كقول جرير • يا تيم تيم عدى لا ابا لكم • فانه اقحم تيم الثانى كما اقحم الموصول به ان لم يقل باضمار المضاف اليه

فى الاول ولعل من الحروف المشبهة بالفعل وعملها عمل ان كما سبق ومعناها الترجى والجملة حال من الضمير فى اعبدوا فتقديره
اعبدوا ربكم راجين الاتصاف بالتقوى وحيث جعل غاية العبادة التقوى علم ان اقصى درجات المتوجهين الى الحضرة الالهية
ذلك لا سيما ومن جملة اقسامه التبرا عما سوى الله تعالى وهو مقام اكمل النفوس البشرية وفيه انه لا يقطع بفلاحه بكل حال حيث جعله
راجيا ذا خوف كما قال سبحانه وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقد استفسرت عائشة عنهم فقال عليه السلام هم الذين
يصلون ويصومون ويخافون انه لا يقبل منهم ويجوز ان يكون حالا من مفعول خلقكم مع ما عطف عليه وتقديره خلقكم ومن
قبلكم مشبهين بمن يرجى منه التقوى لاجتماع اسبابه ودواعيه وغير المخاطب مراد من حيث المعنى والنظر فى اللفظ الى تغليب
المخاطب وقيل لعل بمعنى كى ووجه التعليل مناسبته بقوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل بضعفه
لعدم مجئ مثله ويمكن ان يؤيد بقوله سبحانه لعلى اطلع ولعلى اعمل صالحا فان المفهوم منهما التعليل واذا حمل على التعليل فمفعول
يتقون محذوف تقديره لعلكم تتقون محارمه • الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء • يحتمل الموصول النصب على الصفة
او المدح والرفع به او بانه مبتداء خبره فلا تجعلوا لله اندادا والفاء لتضمن المبتداء معنى الشرط وصحة وقوع النهى خبر التاويل
بما يخرجه عن الانشاء نحو مقول فى شانه كذا وجعل يستعمل بمعنى طفق وصار فلا يتعدى ومنه قوله • فقد جعلت قلوص بنى سهيل •
من الاكوار مرتعها قريب • وان كان بمعنى اوجد استدعى مفعولا واحدا مثل وجعل الظلمات ومعنى صير يستدعى مفعولين
نحو ما نحن بصدده وجعلها فراشا معناه صيرورتها مهياة لان يقعد وينام عليها كالفراش وذلك انما يتم بجعلها متوسطة
بين الصلابة واللطافة وقد يستدل بالآية على كونها مسطحة سطحا مستويا وتقييدنا بالمستوى للاحتراز عن المحدب وذهب
والاستدلال لا يتم لان كونها كرية لا ينافى كونها كالفراش لعظم حجمها واتساعها كما ان الجبال مع كونها اوتادا لا ينافى ذلك ثم ان
وجه التشبيه فى ذلك لانه لولا لطف الله وحكمته وارادته جعل بعض جوانبها بارزا من الماء مع ان طبعها الثقل على الاطلاق
ويقتضى ان يكون مغمورة بالماء • والسماء اسم جنس للملك فيقع على المتعدد وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى المبنى به قبة
كان او بناء او خباء ومنه بنى فلان على امرأته لان العروس بامرأته كان يضرب عليها خباء اى جعل السماء كالقبة المضروبة
عليكم فان قيل وجه التشبيه بجعل الارض فراشا ظاهر فما وجه التشبيه فى جعل السماء بناء قلنا اما من جهة ان جميع الخيرات
النازلة الى الارض يكون منها فظاهر واما باعتبار احتوائها على النيرات العظام التى هى اسباب النعم الجسام بها يهتدى
فى ظلمات البر والبحر وينال بها اسباب النفع والخير فان قيل الفاعل المختار كان قادرا على ازال جميع ذلك من جهة فوق فما فائدة
هذه الوساطة قلنا الاستدلال على كمال علم الصانع وقدرته وتناهى حكمته فى خلقها وخلق ما يظهر منها من الشمس والقمر والكواكب وغيرها
من الامور المعنوية من اعظم النعم الجسام والمنن العظام • وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله
اندادا وانتم تعلمون • مقتض آخر للامر بالعبادة فانه عطف على جعل ومن الاولى للابتداء فانه سواء اريد بالسماء السحاب
او الظلمة فان المطر يبتدى منها فانه وان قدر الله وجوده من اسباب ارضية على ما قيل فالاصل هو التدبير السماوى المشار اليه



بقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ومن الثانية للتبعيض والتقدير انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض الرزق فانه لم ينزل كل الماء من السماء ولم يخرج بما انزل كل الثمار ولم يصر تلك كل المرزوق والتنكير الواقع
فى سياق الاية يشعر بذلك ويجوز ان يكون من للتبيين والمراد بالرزق المرزوق والجمع بالالف والتاء الذى للقلة اما لان
يراد به الكثرة كالعكس فى ثلثة قروء او لارادة جماعة الثمرة بدليل قراءة الثمرة هذا وان الجمع المحلى للعموم فيخرج عن القلة
ولكم مفعول رزقا الا ان يراد المرزوق فيكون صفة له وفائدة خلق هذه الاشياء خلقا تدريجيا مع القدرة على ان يخلقها
خلقا دفعيا الانتقال من بعض اطوار الخلقة الى بعضها لازدياد الاستبصار والعبر والاستدلال لعظيم قدرته وقد جرت
عادة الله سبحانه باحداث الكائنات باعتبار تخلية المواد كسوة التصور بعد اعداد اسبابها وارتفاع الموانع منها
ولهذا قال فاخرج به مع ان الخروج ليس الا بقدرة الصانع وقوله فلا تجعلوا نهى معطوف على اعبدوا ونصبه باضمار ان
لانه جواب للامر ويجوز ان يتعلق بجعل فكانه قال اذا كان الله سبحانه قد انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فلا تجعلوا لله اندادا
وهذا اذا استونف بالذى جعل ولكون نهيا صح وقوعه خبرا لتاويله بمقول فيه ودخول الفاء لتضمن المبتداء معنى الشرط
والتقدير ما سبق وان يتعلق بلعل الحاقا له بالاشياء الستة فيكون نصبه نصب فاطلع كما قرئ به فكانه قال لكى تتقوا
فلا تجعلوا لله اندادا والعدول عن الضمير الى المظهر للتصريح بالمقتضى للمنع عن ذلك فان فى اشتقاق لفظ الله ما يرشد اليه
والند المثل المناوى وهو المعادى من النهوء وهو النهوض ومنه قول جرير • اتيما تجعلون الى ندا • وما تيم لذى حسب نديد •
اى اتجعلون تيما ضميما الى فى كونه ندا لى لانه لا يقال جعل كذا اليه ولكن يقال ضم اليه وتخصيص الند بالمخالف المماثل فى الذات
لتخصيص المساوى بالمماثل المقدر وانما سميت اندادا وهم لا يدعون ان الاصنام يخالف الله تعالى بل قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله لانهم لما سموها آلهة شبهوا بمن هو قائل بمماثلتها والقدرة على مخالفتها ويحتمل الاستدلال على لزوم كونها مخالفة بقوله سبحانه
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولما كان استحالة ذلك كالمقرر فى بداية العقل قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل •
اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • وكان على دين
قريش ففارقه وقال ذلك وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ولعل حذف مفعوله للاشعار بان مطلق العلم كاف فى ذلك
لا نوعا بخصوصه يعنى وحالكم انكم ممن اتسم بالعلم والنظر فى الامور فانكم لو تاملتم ادنى تامل اعترفتم بوجود صانع متصف
بالوحدة منزه عن ان يشابه شيئا او يشابهه شئ من المخلوقات وانه لا يقدر على ابداع هذه المصنوعات غيره كما قال سبحانه
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمقصود التنبيه على اتخاذ الانداد فى الجملة لا تقييد المنع منه بكونهم
من اهل العلم فان الجاهل المتمكن من العلم مثله فى التكليف غير انهم لما كانوا عارفين بدقائق الامور وغوامضها متصفين بالفطنة
والذكاء كان التوبيخ اعظم والعرب كانت كذلك لا سيما قريش الساكنون بالحرم فانهم ممن قيل فيهم لا يصطلى نارهم اى
لا تقيد نارهم حتى يصطلى بها وهو كناية عن السبق وذكر صاحب الانوار ان مضمون الآيتين الامر بالتوحيد والنهى

عن الاشراك بذكر المقتضي وهو ترتب الصفة الربوبية على الامر بالعبادة كما سبق وبين ذلك بكونه سبحانه خالقهم وخالق
اصولهم وما يحتاجون اليه في المعاش من المطاعم والملابس اذ الثمرة تطلق على غير المطعوم والرزق على غير المأكول والمشروب
ثم لما تعذر على هذه الامور غيره وشهدت بوحدانيته نهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر
الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريق التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء
والعقل بالماء وما حصل من الكمالات بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار واعلم ان هذا الكلام وان كان سديدا باعتبار
رعاية العلاقة المجازية في جميع ذلك واشار الى جوازه بقوله عليه السلام لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع غير انه يلزم استعمال
اللفظ في الحقيقة والمجاز معا حيث قال مع ما دل عليه الظاهر وفيه كلام الا ان يريد الجمعية بل جواز ذلك في الجملة • وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله • قيل في وجه المناسبة انه لما قرر الوحدانية وبين ما يدل عليها ذكر الحجة على اثبات
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاولى ان يقال لما نعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر هذه السورة مشتملا على وصف الكتاب
بالهدى العظيم الشان وبغى على المنافقين حالهم ودعاهم الى ما فيه سعادة الدارين والتحرز عن شقاوة المنزلين وهو مستلزم
لادعاء كونه وحيا من الله نازلا على رسوله عقبه بما هو المثبت لحقيقة الكتاب المستلزمة لنبوة المنزل عليه ويدل عليه قوله سبحانه
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وان كان المراد ما قالوه لكان اللائق ان يقول ان كنتم في شك من حقية
امر المنزل عليه فأتوا بانسان مثله ووجه الحجة كون القرآن معجزا بالفصاحة والبلاغة كل بليغ وفصيح ممن طولب بمعارضته من العرب
العرباء ومصاقع الخطباء مع ما هم عليه من المضادة والمضارة وافراطهم في العادة والمعارة فلو لم يكن كلاما منزلا من عند الله
لامكنهم الاتيان بما يساويه او يدانيه في حسن الاسلوب والتراكيب لكنهم اختاروا بذل المهج على ذلك ولم يمكنهم المعارضة
باقصر سورة منها وفايدة نزل دون انزل مطابقة الواقع من نزوله منجما على حسب الوقايع وهو سبب ريبهم على زعمهم
كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وكان اللايق بالتحدي نزوله كذلك لانه لو نزل دفعة لقالوا ليس من جنس كلامنا ما هو عادة
اهل الشعر والخطابة فلذلك لا نقدر على معارضته وفيه الزام الحجة عليهم وما يقرأ من قوله عبادنا فالمراد النبي عليه السلام وامته
والاضافة للتشريف والتنبيه على الاختصاص والانقياد لحكمه سبحانه وواو السورة ان كانت اصلية فهي من سور المدينة
لاشتمالها على ما فيها من العلوم والحكم اشتمال المدينة على انواع شتى او من السورة التي هي المرتبة لان السور كالمراتب يترقى
القارى فيها او لها مراتب في الفضل والشرف او الطول والقصر او الثواب قال • ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس
غرابها بمطار • حراب وقد شخصان اي لهما مرتبة في المجد سالمة وعدم طيران الغراب عبارة عن الخصب فان الارض التي
يكون لذلك لا يطير غرابها ويكنى به عن الثبات لانه ينفر عن كل شيء عاجلا ولهذا قيل لاصحاب النبي عليه السلام كان على رؤسهم
الطير وان جعلت الواو مبدلة عن الهمزة فمن السور بمعنى البقية وسورة القرآن طائفة منه مفرزة عن غيرها اقلها ثلاث آيات

وجعل

ولجعل القرآن سورا افرادا افراد نوع وتجاوب نظم خاص بعضه ببعض وتسهيل الحفظ وتنشيط القارى فانه كلما ختم
سورة ابتهج منه كالمسافر يطوي بريدا ومنه الخبر كان الرجل اذا حفظ البقرة وآل عمران جد فينا وكانت قراءتهما
في الصلوة افضل ومن مثله صفة السورة اذ التقدير كاينة من مثل ما نزلنا فالضمير لما اي بسورة مماثلة للقرآن في الفصاحة
والبلاغة ومن للتبيين او للتبعيض والاخفش لما جوز زيادة من في الاثبات حملها على الزيادة وهي للابتداء اذا جعل الضمير
لعبدنا اذ التقدير بسورة كاينة صدورها ممن هو على صفته في كونه اميا لم يتعلم العلوم وعلى هذا التقدير ايضا يجوز ان يكون
صلة فأتوا وذكروا ان رجع الضمير الى ما اولى لتناسب قوله تعالى فأتوا بسورة مثله وساير آيات التحدي ولقايل ان يقول الاولى
الرد الى عبدنا لئلا يلزم ظاهره التكرار واما ما يخاف من انفكاك النظم والترتيب فبحث لفظي وما ذكرناه معنوي وما ذكر
ان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال يأتي بكتاب مثل هذا القرآن شخص
آخر مثله غير مسلم لانه اذا قدر شخص منهم ان يأتي بمثله صح انهم اتوا بمثل القرآن ولا بد من اظهار ميم كنتم لان اخفاءها نوع ادغام
وهي حرف بحبه وادغامها فيما بعدها يقتضي انتقاض صورها • وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين • الشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او من يقوم بالشهادة او بنصر غيره ولما كان التركيب للحضور قيل للامام شاهد لانه يقطع الامر بحضوره
ويحضر النوادي وقد يكون الحضور بالتصور ومنه قيل للمقتول في قتال الكفار شهيد لانه حضر ما كان يرجوه وفايدة هذا الكلام
اتمام الزام الحجة فانه اذا امرهم بان يستعينوا بكل من يتصور منه النصرة والاعانة كان ابلغ ودون معناه ادنى مكان من الشيء
وتدوين الكتب ادناء بعضه من بعض ومنه الديوان ودون في الرتبة ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه مثنيا عليه
انا دون هذا وفوق ما في نفسك وقد اتسع فيه في كل تجاوز من حد ومنه قوله سبحانه لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية ابن ابي الصلت • يا نفس ما لك دون الله من واق •
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا اي ادعوا المعارضة القرآن من حضركم او رجوتم
معونته غير الله فانه لا يأتي بمثله غير الله او متعلق بشهداءكم اي ادعوا من دون الله شهداء اتخذتموهم اولياء او آلهة تشهد لكم
يوم القيمة او ادعوا شهداء يشهدون لكم ان ما آتيتم به مثل القرآن ولا تستشهد والله فان ذلك من عادة العاجز من اقامة
الحجة ولا اشكل باستشهاد النبي عليه السلام كما نطق به القرآن مثل قل الله شهيد بيني وبينكم ونحوه لان ذلك بالظهار البينة
والحجة على يده من وجوه شتى او ادعوا من يشهد بين يدي الله على زعمكم ومنه قول الاعشى • تريك القذى من دونها وهي دونه •
اي يريك الخمر في الزجاجة من قدامها وهي قدام القذى وهو وصف الزجاجة بالرقة والصفاء وقيل بتقدير مضاف اي
من دون اولياء الله وهم فصحاء العرب ووجههم ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثل القرآن وفي امرهم بالاظهار والاستشهاد
بما لا ينفع ولا يضر تبكيت وتهكم بهم وجواب قوله ان كنتم صادقين محذوف مثل فأتوا دل عليه ما قبله وصلة صادقين
مقدرة اي انه من كلام البشر والصدق الخبر المطابق للواقع وتكذيب الله المنافقين في قولهم انك لرسول الله

لايدل على اشتراط اعتقاد حقيقة المخبر انه لذلك عن دلالة او امارة لان التكذيب معروف الى الشهادة لان شرطها العلم
بالمشهود به وكانوا فاقدين له ولعل استعمال ان وهى يدخل على المعاني المحتملة دون اذ للتنزل معهم في دعواهم • فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين • ذكر الفعل دون الاتيان للايجاز وذكر ان
مع ان المقام يقتضي ذكر اذا فانه تعالى كان يعلم عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء اما للتهكم بهم او لظنهم
امكان الاتيان به فان العجز لم يتحقق عندهم بادي الرأي ووجه المناسبة انه لما ذكر مايدل على نبوته عليه السلام من عجزهم بعد
التحدي وهو دليل صدقه عليه السلام في كونه نبيا علم وجوب الايمان به والاتقاء عن العذاب المعد لمن كذبه وكفر به ولعل
الاسهل مأخذا هو ان يقال لما قالوا لو كان مايتلوه من عند الله وهو نبي فنحن نستحق العذاب ولذلك اقترحوا الطلب العذاب
فقال اذا تحدى بالقرآن وتحقق عجزكم فاتقوا العذاب الذي تستحقونه بطلبكم على فرض كونه نبيا ويدل لازم الجزاء وهو التعرض
النازل منزلة الجزاء على سبيل الكناية تقريرا للمكني منه وعدم ذكره يقتضي تهويلا لامر المعاد ولابهامه اعظم منه وفيه تصريح
بالوعيد مع الاختصار ولم جزمت تفعلوا لاتصالها بالمعمول الذي يقتضيه وهو المضارع ولاينافيه دخول حرف الشرط لانه لما
صيرت المضارع ماضيا صارت كالجزء منه باعتبار افادة المجموع معنى واحدا اذ المعنى ان تركتم الفعل ولولا ذلك لما جاز دخول
الحرف على الحرف ولن ابلغ من لا في نفي المستقبل لزيادة الحرف وعند سيبويه واحدى روايتين عن الخليل انها وضعت هكذا
وفي الاخرى انه لا ان خففت بالحذف ويحتمل ان يقال هو اولى من مذهب الفراء حيث قال اصلها لا ابدلت الفها نونا لان زيادة
المعنى تنشأ من زيادة اللفظ ويدل على المبالغة انك اذا قلت لا افعل كذا فان انكر عليك قلت لن افعل والجملة اعتراضية لامحل لها
والوقود بالفتح للآلة وجاء للمصدر وبالضم هو المصدر والاسم بالضم فان حمل على انه سمي بالمصدر لم يلزم الاشتراك بل النقل
او المجاز وهما اولى منه وما يقرأ كذلك يحمل عليه وعلى المصدر فالتقدير وقودها احتراق الناس لئلا يلزم الاخبار عن الحدث بالجثة
والمراد بالحجارة الاصنام وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل وعذبوا بما هو منشأ كفرهم وكانوا طامعين ان تشفع لهم
فيكون اشد كتعذيب الكافرين بالذهب والفضة وما قيل انهما المراد ان هنا يقتضي ان لايكون لتخصيصهما بهم معنى
وما روي عن ابن عباس ان المراد حجارة الكبريت وهو وان كان ينافي بيان قوة النار لايقادها بادنى شيء والمقصود تعظيم
تلك النار تتقد بما لاتتقد به غيرها لكنه يحمل على ان جميع الاحجار بالنسبة اليها كحجارة الكبريت لساير النيران وانما صح
وقوع الجملة التي توصل بالموصول ان تكون معلومة للمخاطب لان الآية مدنية وقد نزل قبلها نارا وقودها الناس والحجارة
والاعداد التهيئة اي جعلت النار عدة لعذاب الكافرين والعدة بالضم الاستعداد ويقال للمال والسلاح التي تعد لحوادث
الزمان وما يقرأ من قوله اعتدت فبمعناه وفي الآية دليل على ان النار مخلوقة الآن ومنه يعلم ان الجنة كذلك باجماع انه لاقائل
بالفرق وعلى ثبوت النبوة منها باعتبار ان التحدي بالاتيان باقصر سورة منه وتركهم المعارضة مع مافيها من الغلبة لهم وابطال
امر النبي عليه السلام واختيار المقاتلة التي فيها خطر الروح وجلاء الوطن الذي هو اشد من القتل كما فسر بها الفتنة في قوله سبحانه

والفتنة

والفتنة اشد من القتل يدل على العجز عنها ومنها الاخبار عن الغيب بقوله تعالى ولن تفعلوا ومنها انه لو لم يتحقق للنبي عليه السلام
لما تحدى بذلك مع مافيه من غلبة خطرهم • وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار •
لما قدم ذكر التهديد للكافرين بالقرآن اذ الكلام كان فيه عطف عليه بشارة المؤمنين به والبشارة الخبر السار لظهور اثر
السرور في البشرة وفي عرف الفقهاء الصدق الاول حتى لو قال الزوج ان بشرتني بقدوم زيد فانت طالق فاخبرت كذبا
او بعد ما اخبر به لم تطلق بخلاف اخبرتني وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم تهكم اذ ورود الترهيب مع الترغيب من العادة
الالهية لتحصيل العقايد الحقة والاعمال الصالحة وتبعيدها عن الرذايل المردية والاخلاق المهلكة للنفس والمعطوف تمام الجملة
لانفس الفعل وحده للنظر في المناسبة بين كونهما امرا او نهيا ويجوز ان يعطف على فاتقوا لانه اذا اثبت النبوة بالتحدي فمن كفر
بالنبي خوف من العذاب ومن آمن به بشر بالثواب والمأمور بالبشارة كل من يقدر على ذلك فيعم النبي وعالم كل عصر وغيرهما لتفخيم
الامر وقد قيل بالتخصيص لكل منهم والاولى التخصيص بالنبي عليه السلام ومثال مايكون المأمور كل احد قوله عليه الصلوة والسلام
بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة وفي الخطاب بالبشارة دون النذارة تفخيم امر المؤمنين ومايقرأ
من البناء للمفعول والعطف على اعدت والصالحات جمع صالحة صفة انث على تأويل الخصلة صارت كالاسماء بالغلبة كالحسنة
قال الحطيئة: كيف الهجاء وماتنفك صالحة • من آل لأم بظهر الغيب تأتيني • وفي العرف ماساغ عند الشرع وحسنه العقل
واللام وان كانت للجنس في الاصل لكن لابد من النظر الى العموم وقد سبق ان ترتب الوصف على الحكم مشعر بعليته له فاستحقاق
البشارة المذكورة تتوقف على مجموع الايمان وصالحات الاعمال والبقاء عليهما الى الموت لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
والعطف يشعر بمغايرة الايمان للاعمال لانه يكون كعطف الشيء على نفسه ومايقال من انه عطف الاخص على الاعم فهو قليل مؤول
لو لم يقل به ولما كان الايمان شرطا للاعمال الصالحة قرنها معه وقلما ورد على غير هذا الوجه وفتح ان لهم بنزع الخافض نحو اختار
موسى قومه اي بان لهم ان قلنا به مثل والله لافعلن والجنات جمع جنة مصدر جنه اذا ستره ومدار تركيب الجيم والنون على الستر
فالمجنون من ستر عقله والجن منه سميت بها لما فيها من الاشجار الملتفة اغصانها الساترة ارضها قال كان عيني في غربي مقتلة ما
من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ولهذا يطلق على البستان ودار الثواب لما فيها من الجنان وقيل لسترها عن الناس
في الدنيا قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الآية وجمعها جمع قلة من غير تحلية لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون ويحتمل ان يقال لا نظرا الى كل منها من المراتب على
حال من يدخلها لانه لادلالة للجنات على العموم فانها نكرة بصيغة جمع القلة في سياق الاثبات والاستحقاق انما هو بالايمان
والعمل الصالح بجعل الشارع ذلك لا لذاته فانهما لايكافيان النعم السابقة فكيف يتصور اقتضاؤهما ثوابا آخر والضمير في
تحتها يرجع الى مضاف مقدر اي من تحت اشجارها والمراد بالنهر المجرى الواسع ويكون اصغر من البحر واكبر من الجدول
كالنيل والفرات وجريها جري مائها اطلاقا للحال على المحل مثل سال الوادي وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود

ولعل الاشارة الى نوع مغايرة لنعيمها نعيم الدنيا كما يأتى فى الثمار واللام تجوز ان تكون للجنس وان تكون للعهد والمعهود قوله تعالى
فيها انهار من ماء الآية وتجرى من تحتها محلها النصب صفة لجنات وان مع اسمها وخبرها فى محل النصب مفعولا ثانيا لبشر
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اى كل حين رزقوا مرزوقا فهو مفعول به وكلما نصب على الظرف
والعامل قالوا ومن فيهما للابتداء او بمعنى موقع الحال اى مبتداء من جنات مبتداء ثمرة وتقييد الرزق بكون ابتدائه من الجنات
وذلك بابتدائها من ثمرها فذو الحال الاولى رزقا وصح وقوعه نكرة لتقدم الحال عليها وذو الحال الثانية الضمير المستكن فى الحال
ويحتمل ان يراد بقوله من ثمرة بيان ما تقدم نحو رايت منك اسدا كانه قال رايتك انت اسد والاشارة الى نوع من الثمرة لا الى فرد منه
كما تقول هذا الماء لا ينقطع مشيرا الى نهر فان المراد المتعاقب جريانه لا بعض منه وان اريد فرد بعينه فلاستحكام الشبه جعل ذاته مجازا
نحو ابو يوسف ابو حنيفة والجملة محلها النصب صفة لجنات او الرفع خبر المحذوف مثل شانهم ذلك او مستانفة يكون جوابا لمن تردد
فى انها من قبيل جنات الدنيا وثمارها من جنس ثمارها او لا فاجيب بانه من قبيل ما رزقوا من قبل اى فى الدنيا لتميل النفس اليها
اكثر من غيره للالف بها او يراد مثل ما فى الجنة وذلك لتشابه ثمرها اطعمتها ولما روى عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها
ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول هذا الكلام فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف فالحمل على ما رزقوا فى الدنيا لا يقتضى
ان تناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها • واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة عطف على قالوا
ومتشابها نصب على الحال والجملة تقديرها قالوه مثل وكذلك يفعلون واذا لم يحمل على تبديل الصحفة فالضمير يرجع الى ما رزقوا فى الجنة
والدنيا لان هذا الذى رزقنا من قبل عليه ونحوه قوله سبحانه فالله اولى بهما اى بجنسى الفقير والغنى وان حمل على التبديل فيرجع
الى الرزق ولا اشكل اثبات التشابه مع فقد التماثل فى الصفة بدليل قول ابن عباس ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء لجواز
ان يكون ذلك لقوة التفاوت فى الرجحان ولان التشابه فى الصورة كاف فى اثبات التشابه وذكر صاحب الانوار لها محملا آخر
وهو ان ما يتلذذ به اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا من الطاعات والمعارف متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يراد بما رزقوا
ثوابه وبالتشابه التماثل فى الشرف فيكون هذا فى الوعد نظير ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد وحمل ما يدل على المطعوم ظاهرا على المعارف
ما ذهب اليه العلماء كما ذكر شيخى ووالدى قدس الله روحه فى كتاب جامع الحقايق من تصانيفه فى شرح الاحاديث سوالا
على قوله تعالى فى الاحاديث القدسية كلكم جايع الا من اطعمته فهلا قال اشبعته فان مجرد الاطعام لا يقتضى الاكتفاء بما اطعم
فاجاب عنه بان الشبع مذموم بالخبر الوارد ولتناول الجوع الحاجة الى درك المعارف والشبع عنها محال لاستحالة الاحاطة بها
والزوج يطلق على المذكر والانثى واصله لما له قرين من نوعه وتطهير الازواج محمول على طهارتهن مما يستقذر منهن من الحيض
والنفاس والاوساخ وسوء الاخلاق ايضا فان الانسان قد يوصف بالطهارة لذلك قال تعالى اقتلت نفسا زكية
وما يقراء من المطهرات فلغة فصيحة والنظر الى افراد الجمع ومن الاول قول الشاعر • واذا العذارى بالدخان تقنعت •
واستعجلت نصب القدور فملت • اى جعلن الدخان كالقناع فى زمن القحط وملت اى لا بست الملة وهو الرماد الحار

ومطهرة

ومطهرة ابلغ من طاهرة للابدان بان الله سبحانه طهرهن للعناية بهن ولا يعارض بايهام سبق دنس لجواز ان يراد
بالتطهير خلقهن لذلك وما يقراء من مطهرة فبمعنى متطهرة والواو للعطف ويجوز ان يكون للحال والازواج مرفوعة
بالظرف او مبتداء هو خبره تقدم عليه لاتساعهم فى الظروف • وهم فيها خالدون • وفسر الخلد بالثبات الدايم والبقاء
اللازم الذى لا ينقطع واستشهد بقوله سبحانه وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد والاستشهاد صحيح واما قول امرئ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالى • وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى • وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال •
فليس بصحيح لان الشاعر لا يريد عدم انقطاع ذلك السعيد ولا يجوز ان يكون حقيقة فى الزمان الذى له اخر وفيما لا آخر له
وان ورد الاستعمال بهما بمعنى انه وضع لكل واحد منهما لئلا يلزم الاشتراك او المجاز وما ورد فى ايات شتى لم يكن الحمل على ذلك
فالحمل على المكث الطويل المشترك بين ما لا آخر له وما له آخر اولى ويدل عليه التقييد بالابد فان التكرار خلاف الاصل ويدل عليه
استعمال الخلود مع دوام الخلود يقال وقف مخلد وكلما جاء صفة لاهل الجنة واهل النار من الكفار فالمراد الدوام الذى
لا آخر له وذكر صاحب الانوار سوالا وجوابا حاصلهما يرجع الى انه قد اشكل الخلود على من لا يعترف بالفاعل المختار وهو
ان الابدان اذا كانت مركبة من الاجزاء المتضادة الكيفية معرضة للاستحالات المقتضية للفناء وكيف يعقل الخلود
فقال ان الله تعالى يعيدها مركبة من اجزاء متساوية فى القوة متفاوتة فى الكيفية لا يقوى شئ منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما فى المعادن قال هذا وان قياس ذلك والعالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل
وضعف البصيرة وما ذكره آخرا اشارة الى قول من لا يثبت الفاعل المختار ويحيل الامور الى الطبايع وانما ختم الكلام به
بالخلود لانه لما ذكر معظم اللذات الحسية من المساكن والمطاعم والمناكح اراد تجريدها عن منغص الزوال • ان الله لا يستحيى
ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها • هذا الكلام يجرى مجرى الجواب عن قول من قال من الكفرة عقيب سماع التمثيلات المذكورة
كيف يصح من الله تعالى التمثيل بالامور الحقيرة كمستوقد النار واصحاب الصيب بل بالذباب والبعوض والله اعظم
من ان يذكر هذه الاشياء ويضرب الامثال بها فاجاب بان الله تعالى لا يترك ذلك لان الشرط فيه ان يكون التمثيل على وفق
حال الممثل له بالاعتبار الذى وقع التمثيل لاجله فى الصغر والكبر والعظم والحقارة لا على وفق الممثل فان فائدة التمثيل بيان
المعنى المعقول بتشبيهه بالمحسوس فان العقل لا يتصرف فى الامور المعنوية الا مع مشاركة من الوهم ومن شانه الميل
الى المحسوسات وهو فائدة التمثيل كما سبق والسبب فى كثرة وقوع الامثال فى الكتاب الالهى وغيره من مقولات الانبياء والعلماء
والمناسب تشبيه الحقير بالحقير والعظيم بالعظيم وكل شئ بما يناسبه فمثل الله حال الاصنام فى القوة بالعاجز عن خلق الذباب
فى قوله يا ايها الناس ضرب مثل الآية ومثل فى الانجيل منازعة الحمقى باثارة الزنابير والقلوب القاسية بالحصاة وغلها
بالنخالة ومن امثال الانجيل على ما حكى فى مفاتح الغيب ان مثل الملكوت كمثل رجل زرع فى قريته حنطة جيدة فى ليل وكان
قد جاء عدوه وزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واثمر العشب غلبه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا اليس حنطة

جنطة نقية زرعت قال بلى فقال من اين هذا الزوان قال لعلكم اذ هبتم ان تقطعوا الزوان فقلعتم معه الحنطة دعوهما
كما نبتا الى الحصاد فامر الحصادين ان تلتقطوا الزوان من الحنطة وتميزوا بينهما وتجمع الزوان ثم تحرق بالنار ويجمع الحنطة
الى الاهراء واقسم لكم ذلك الرجل الذى زرع الحنطة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هي نحن ابناء الملكوت
الذين يعملون بطاعة الله والعدو الذى زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التى يزرعها ابليس واصحابه والحصادون
هم الملئكة يتركون الناس حتى يدنوا اجالهم فيحصدون اهل الخير الى ملكوت السموات عند الله تعالى واهل الشر لها الهاوية
وكان الزوان يلتقط ويحرق بالنار كذلك رسل الله وملائكته يلتقطون من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم
فى اتون الهاوية فيكون هناك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هناك فى ملكوت السماء من كانت له اذن يسمع
فليسمع فان قيل فما معنى قوله فقلعتم معه الحنطة وهلا ميزوا بين الخير والشر قلنا يحتمل ان يريد ان اذهاب الشر عن الوجود
بالكلية مع ان الحكمة الالهية اقتضت امتزاج الخير مع الشرور فى صدور بهائم الانسان فلا يتصور الا باذهابهم بالكلية
فيلزم ذهاب الخير واعماله بسبب ذلك ولعل تقييد الليل للاشارة الى ظلمة الزوال عن ادراك صنيع العدو والعرب يقول
اسمع من قراد واعز من مخ البعوض قال الشاعر يامن يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ماكان منه فى الزمان الاول
والحياء تغير وانكسار يعتري النفس من خوف مايعاب ويذم وبعبارة اخرى تقرب من الاول انقباض النفس عن القبيح
مخافة الذم من الحيوة لانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيمنعها عن افعالها ومنه حيي اى اصاب الحيوة كخشي اذا اعتلت
حشاه والوقاحة التى هي الجراة على القبيح من غير مبالاة به والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلق لطرفي
افراط وتفريط لها وهو الوسط بينهما وبالنسبة الى الله تعالى مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم الذى هو الترك
لما فيه من التمثيل والمبالغة وايضا لعله نظر الى مقابلة قولهم ان الله يستحيي ان يترك ضرب المثل بهذه الاشياء ترك
من يستحيي ومنه ان الله حي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا ومنه قول من يصف ابلا
اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت فى اناء من الورد اى اذا تركن شرب الماء يعرض نفسه فيشربن
بمشافر تشبه الاديم المدبوغ وهو السبت والورد الحمرة الصافية ومنه سمي الورد وكذلك الغضب الوارد فى حقه سبحانه
لانه غليان دم القلب لارادة الانتقام فيراد غايته وهو انزال العذاب على المغضوب عليه واصل الضرب وقع شئ
على آخر والمراد ههنا اعماله من ضرب الخاتم ولما كان المعنى من ان يضرب قال الخليل محله الجر وقال سيبويه منصوب باضمار من
وافضاء الفعل اليه وما افادت مثلا زيادة تنكير فالمعنى اى مثل كان فانها ابهامية فلا يتطرق اليه التقييد وهي ادل من القول
بالزيادة للتاكيد فانه وان كان وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى لكنه لما لم يوضع لغيره بالاستقلال كان على خلاف الاصل
والبعوضة فعول من البعض ومثلها البضع والعضب غلب عليها كالخموش لمطلق الجراح غلب على ما فى الوجه

ونصب

ونصب بعوضة اما لكونها عطف بيان او مفعولا او حالا عن مثلا وجار مع كونه نكرة لتقدمها عليه وامن الالتباس
وان ضمن ضرب معنى الجعل فمفعول ثان وما يقرأ بالرفع فعلى تقدير هو بعوضة ويكون ما خبرية حذف صدر صلتها كما حذف
فى قوله تعالى الذى احسن اى هو ويجوز ان يكون موصوفة بصفة كذلك وعلى هذا التقدير يكون منصوب المحل وان جعلت
استفهامية فمبتداء والمراد رد الاستبعاد على تقدير ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له التمثيل باحقر منها
لحقارة الممثل به وما فوقها اى زاد عليها فى الجثة كالذباب والمعنى ان الله لا يستحيي عن ضرب المثل بالبعوضة فما هو اكبر منها
اولى ويجوز ان يراد بما هو اصغر منها اذ المراد بالفوقية فى المعنى الذى جعلت مثلا فيه وهو الصغر كجناحها قال النبي عليه السلام
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافرا شربة ماء ويمكن حمل قوله عليه السلام ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت بها خطيئة على ذلك وميل المحققين الى الثانى لان القصد تحقير الاوثان واذا كان
المشبه به اشد حقارة كان اقرب الى المقصود وايضا كلما كان الشئ اخفى كان الاطلاع عليه اصعب ولا يعارض بالنظر
الى مدلول فوق لما سبق من ضرب المثل باصغر من البعوضة كضرب المثل بجناحها كما فى الخبر فاما الذين امنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اما حرف تفيد تفصيل المجمل ويدل على الاهتمام
بما صدر وفيه معنى الشرط ولذلك يصدر جوابه بالفاء وذكر سيبويه فى تفسير اما زيد فذاهب فمعناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب
الى انه كاين منه لا محالة وانما دخلت على الخبر بعد ان عرض المبتداء عن الشرط لفظا مع ان الاصل دخولها على الجملة اذ هي الجزاء
لئلا يلي حرف الشرط لافادتها التاكيد وافاد ذكرها احماد امر المؤمنين وذم الكافرين والحق الثابت الذى لا مساغ لانكاره
ويستعمل فى الاعيان الثابتة من قولهم حق الامر اذا ثبت ويقال للقول الصادق والفعل الصايب والاولى رجع الضمير
الى المثل لقربه وان جاز الرجع الى الضرب وانما لم يقل واما الذين كفروا فلا يعلمون رعاية للمطابقة وذكره على وجه الكناية
وهو ذكر ما هو من لوازم الشئ ليدل على ملزومه ليكون كالبرهان على جهلهم لظهوره وفى ماذا وجهان ان يكون ذا بمعنى الذى
وما استفهامية فتكون كلمتين وما بعد ذا صلته والمجموع خبر ما فيكون ما مرفوع المحل فى حكم ما وحدها والاحسن فى جواب
الاول ان يكون مرفوعا وفى الثانى ان يكون منصوبا لمطابقة السؤال الجواب وقد جوز العكس على تاويل المراد خير
واراد خيرا ولهذا قرئ قل العفو بهما والارادة صفة تقتضي رجحان احد طرفي الشئ على الآخر لا فى الوقوع بل فى الايقاع
اى بالرفع والنصب على التقديرين كذا فى
والاحتراز بالقيد الاخير عن القدرة وقيل بديهية كما فى العلم وفى اللغة ضد الكراهة وبالنسبة الى الله ترجيح احد المقدورين
على الآخر وتخصيصه بوجه دون آخر او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار لكونه مفترا بميل مع تفضيل
وقيل علمه تعالى علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح وقيل فى افعاله ان يكون غير ساه ولا مكره ولافعال غيره
امره بها فالمعاصي لا تكون بارادته على هذا وقيل امر سلبي وهو كونه غير مغلوب ولا مكره وفى ذكر هذا نوع استحقار
كما قالت عائشة عجبا لابن عمرو هذا يعني ابن العاص ومثلا منصوب على التمييز كمن يحمل سلاحا ردياكيف ينتفع بهذا سلاحا

وان نصب على الحال فهو مثل هذه ناقة الله لكم اية ٭ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ٭ الاولى
تصور الاضلال والهداية اولا ثم الشروع في غير ذلك ومعنى الاضلال على وجهين ان يصيره ضالا وان يجده كذلك
وعلى الاول فهو اما عن الدين او عن طريق الجنة والاول عبارة عن تقبيح الدين في عينه والثاني عدم التوفيق لما يقربه اليها
وحمله على الاول باطل بالاجماع فلا بد من التاويل على ذلك التقدير فعند اهل الجبر معناه خلق الضلال فيهم لان الاضلال عبارة
عن جعل الشيء ضالا ومنعت المعتزلة هذا التاويل لغة وعقلا اما الاول فلانه لا يقال لمن منع غيره من سلوك الطريق قهرا
اضله بل يقال منعه ويمكن ان يجاب عنه ايضا بانه غير محل النزاع ويعلم بالتامل فيه وباعتبار العقل فلانه اذ اكلفه الايمان
ومنعه عنه يكون جمعا بين الضدين وهو سفه وظلم وهذا الاخير ممنوع وما ذكر من الآيات التي اضاف فيها الاضلال
الى غيره وذم المضلين فيكون الجمع باعتبار اختلاف المعاني وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ذكره على سبيل التهكم
او نقلا عن قول الكفار والجواب عنه وعن امثاله ما سبق على وجه الاستقصاء والهداية احداث اسباب يدرك المهدي
بها بغيته والكلام جواب لماذا اي اضلالا كثيرا او هداية كثيرة والعدول الى الفعل لارادة التجدد كما هو الواقع وهو اولى
من جعل بيانا للجملتين المصدرتين باما وتشعر بان العلم بحقيته ضرب المثل هدى وبيان والجهل بها ضلال وفسوق به
وكثرة الضالين باعتبار الظاهر ظاهر وكثرة المهديين باعتبار المعنى بانهم كثيرون وان قلوا كما قال تعالى وقليل ما هم
وقليل من عبادي الشكور لكنهم كثيرون بالنظر الى الشرف نحو ٭ قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا ٭ وقال ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ٭ ويجوز ان يكون كثرة كل طايفة بالنظر الى انفسهم لا بالنظر الى مقابليهم واصل الفسق على ما
قاله الفراء من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت والفاسق الخارج عن الطاعة وسميت الفارة فويسقة لانها تخرج
من اجل المضرة قال رؤبة ٭ فواسقا عن قصدها جوائرا ٭ وحده في الشرع بانه الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وينبغي ان يراد
والاصرار على الصغيرة والمراد في الآية الخارجون عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وهذا بقرينة السياق
والا فمطلق الفاسق مؤمن عندنا لقوله تعالى وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا ولذلك ان كفرهم باصرارهم بالباطل
لا ينافي وصفهم بالفسق وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة هو نازل بين منزلتي المؤمن والكافر باعتبار انه يوارث ويناكح
ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين لكنه يلعن ويتبرا منه ويعتقد عداوته ولا يقبل شهادته ولما لم يأتوا بدليل
يدل على ما قالوه لم يحتج في الرد عليهم الى كلام ويكفي في الابطال منع ذلك حتى يقوم عليه دليل وحصر الاضلال فيهم مع ترتيب
صفة الفسق عليه يشعر بانه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال ويقرا يضل مبنيا للمجهول ورفع الفاسقين
وذكر صاحب الانوار لمرتكب الكبيرة ثلث درجات التغابي وهو الارتكاب احيانا مستقبحا لها والانهماك وهو اعتياد
الارتكاب بلا مبالاة والجحود وهو ارتكابها مستصوبا لها والاوليان لا ينافي الايمان بخلاف الثالثة ٭ الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه يحتمل النصب بالصفة وبيان الفسق وبالذم للفاسقين والرفع بالابتداء واصل النقض الفسخ و

والفك

والفك ولما صح تسمية العهد حبلا بالاستعارة لعلاقة تشبهه بالوصلة بين المتعاهدين كما قال ابن التيهان للنبي عليه السلام
ان بيننا وبين قومنا حبالا مريد للعهد ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك صح جعله من قبيل
الترشيح كما سبق انه الرمز الى شيء من احوال المستعار مع السكوت عنه كقولك عالم يغترف الناس منه كانك قلت بحر من كثرة
افادته والاغتراف يدل عليه وان اريد ان يكون ترشيحا للمجاز ذكر مع لفظ الحبل والعلاقة ربط احد المتعاهدين بالآخر
ويطلق على كل ما من شانه ان يراعى ويتعهد نحو الوصية واليمين وعلى الدار باعتبار مراعاتها بالرجوع اليها وعلى التاريخ لانه
يتعهد والمراد بالعهد في الآية حجة الدالة على صحة التوحيد ووجوب وجوده وصدق رسوله وجعلها عهدا على سبيل التمثيل فانه يلزم
بهذه الحجج ما يتبين من التمسك بالتوحيد وغيره ولهذا صح قوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم ويحتمل ان يراد ما دل عليه واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وقال القفال يحتمل ان يراد ما اخذ من العهد على قوم من اهل الكتاب
في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما قيل من ارادة ما اخذه الله على الناس وهم على صورة الذر بقوله
الست بربكم فقد رده المتكلمون بان الله تعالى لا يواخذهم بما لا شعور لهم كما لا يواخذهم بالسهو والنسيان اللهم الا ان يحمل
معنى ذرية آدم كما ذرأ الذرية
على ما سبق من التمثيل وقد حمل على ثلاثة عهود العهد والعهد مع الانبياء في تبليغ الرسالة في قوله سبحانه واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومن العلماء في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة ويجوز ارادة
المصدر اي ايثاق الله وهو مضاف الى المفعول والفاعل غير مذكور والمراد ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب ويجوز
ارادة ما التزموه ومن للابتداء لان النقض ظهر بعد الميثاق والضمير في ميثاقه للعهد ٭ ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون عموم ما يتناول كل قطيعة نهي عنها كقطع الرحم المشار اليه بقوله تعالى وتقطعوا
ارحامكم وقطع موالاة المؤمنين وما بينهم وبين النبي عليه السلام من القرابة والايمان ببعض الانبياء والكتب دون البعض
وما يقطع الوصلة بينهم وبين الله بالاعراض عن الخير والقرب من الشر والامر يطلق على معان لكنه في الآية حقيقة في القول
الطالب للفعل ويعتبر علو الامر عند المعتزلة والاستعلاء عند ابي الحسن وقوله تعالى حكاية عن فرعون لقومه ماذا تامرون
يابى ذلك لا بمعنى انه لا يوجد الا بها بل لم يوضع لذلك وان كان الواقع كذلك فهو خارج ويطلق على الشان ومنه وما امر
فرعون برشيد وبه سمي الامر الذي يجمع على امور اطلاقا للمصدر وارادة للمفعول فانه مما يومر به كما قيل له شان والشان
الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده ومحل ان يوصل النصب بدلا من ما والجر بدلا من ضميره والثاني اولى
لفظا ومعنى ولعل السبب انه اذا جعل بدلا من ما كان الابدال قبل صيرورة المبدل بصلة كلاما الا ان يكون في تقدير التقديم
وبحسب المعنى انه يكون التقدير ما امر الله الوصل ولا يصح الا على تقدير ما امر الله وصله والمراد بالفساد ما يعمهم قطع الوصل
والصد عن الايمان وطاعة الرسول عليه السلام لان تمام الصلاح بالطاعة لان التزام المامورات والانتهاء عن المنهيات
لا يكون الا بالشرايع وكذا ترك الظلم والتعدي وفي زوال ذلك العدل الذي قامت به السموات والارض والخسران المؤكد

من جهة او جه يحتمل خسران الاستعداد باهمال النظر فى الآيات ووضع الانكار والطعن بدل الايمان بها والصلاح
بالفساد ونعيم الجنة المقدر لكل احد بالحرمان وحسناتهم التى عملوها بالاحباط ولعل الاشارة اليهم بقوله سبحانه قل ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم الآية • كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون •
كيف معناه السؤال عن الحال كانه قال اعلمونى على اى حال تكفرون فهو استخبار يتضمن الانكار والتعجب عن حالهم
كانه سبحانه انكر وقوع حال يقع الكفر فيها فكانه قال لو وقع منهم الكفر لوقع على حال وصفة لكن لا حال لها فلا وجود له
فهو ابلغ من انكار الكفر واوفق لما بعده لمناسبة فانها احوال متعاقبة والخطاب يعم الكافرين والمنافقين حيث تقدم
ذكر عقايدهم العاطلة واعمالهم الباطلة خاطبهم على وجه التوبيخ والتقريع ووجه الاستعظام ان عظم الكفران بعظم النعمة
وقد عدت اصنافها من قبل وبعد والاستدلال للمعتزلة على كون الكفر من قبل العبد نظرا الى انه لو كان خالق الكفر لحق تع
لما وبخهم وكيف يصح وله ان يقول انت خلقت الكفر فى نفسى اذ الارادة هى الموجبة له لان حاصله يرجع الى طريقة المدح
والذم والامر والنهى والثواب والعقاب والجواب الهادم انه اذا علم انه لا يؤمن فلو آمن انقلب علمه جهلا هذا وانه اذا كان
فيه قدرة صالحة للايمان امتنع كونها مصدرا للايمان الا بمرجح وذلك ان كان من العبد عاد السؤال المحال فلا بد وان ينتهى
الى الله ومعنى كونهم امواتا اجساما خالية عن الحيوة اما المضغ المخلقة وغير المخلقة او النطف كما قال قتادة كانوا امواتا
فى اصلاب آبائهم فاحياهم او الاخلاط او الاغذية او موادها او التراب نظرا الى خلق آدم والاكثر على ان اطلاق الموت
على الجماد مجاز بعلاقة التشبيه لان الميت ما يحل الموت كما سبق ان الموت عدم الحيوة عما من شانه ان يكون حيا ومن قال
مطلق على الجماد تمسك بنحو بلدة ميتا والكلام فى الموت حقيقة لا مجاز والاحياء هو خلق الارواح ونفخها فيهم وانما عطفه
بالفاء والآخرين بثم لانه لا تراخى بخلافهما لان الاماتة عند انقضاء الآجال والمراد بالاحياء الثانى ما يكون بالنشور
يوم نفخ الصور او للسؤال فى القبور ومعنى الرجوع الى الله سبحانه حشرهم يوم القيمة ليجازى كلا بعمله لئلا يكون خلق العباد
كالخالى عن الفائدة باعتبار ان المتعاطى لشاق الطاعات لو لم يرجع الى الله ليجازيه بما اتى به فى الدنيا من حمل النفس
على الاتيان بالمأمورات والكف عن المنهيات كان ما فعله سدى وان لم يجاز المسىء باساءته يكون هو والمطيع سواء
وفيه تضييع حقوق المظلومين لعدم الانتقام من الظلمة وفسر بالنشر من القبور وهو ايضا لهذه الفوائد فان قيل ما فائدة
تقديم الظرف اعنى قوله سبحانه اليه على عامله وهو ترجعون والاصل تأخيره لانه فصل قلنا لمعنيين لان اليه يرجع الى الله
سبحانه والثانى الحصر لانه رجوع يومئذ الى غير الله تعالى لانه لا يتولى الحكم فيه غير الله تعالى رجع امره الى الامير اى الى حيث لا يحكم فيه
غيره وبهذا التقرير يندفع التخيل الباطل للمجسمة حيث قالوا الرجوع يكون الى المكان وفى اسناد الاحياء الى نفسه سبحانه اشارة
الى انه لا مؤثر فى الحيوة والموت الا الارادة القديمة فيبطل من اصنافهما من اهل الطبايع الى غيره كالمزاج والافلاك والكواكب
لما سبق ويأتى من البرهان على صحة الحشر واسناده الى الله غير مرة وتنزل تمكنهم من العلم بالاماتة والاحياء فى الدنيا وبعد الموت



لقيام الدليل منزلة علمهم فى انه لا ينفعهم العذر كانه قال ما اعجب كفركم مع علمكم بهذه الحال وهذا الكلام يجرى مجرى التاكيد لما سبق
فانه لما ذكر الدليل على التوحيد والنبوة ووعد المحسن واوعد المسىء عدد النعم عليهم ليكون الكفر افظع ويمكن ذكر برهان على صحة
الحشر مستفاد من الآية لانه لو امتنع ذلك لكان اما لذاته او لغيره والقسمان باطلان اما الاول فلانه لو لم يصح وجوده لذاته
لما وجد ولكنهم اعترفوا بانهم كانوا امواتا فاحياهم وذلك يدل على انه غير ممتنع لذاته واما الامتناع بالغير فباطل ايضا
لان الله سبحانه فاعل مختار فالموانع وذكر الاماتة معدود مع الاحياء يشعر بانه من جملة نعم يقبح الكفر معها وهى فى ظاهرها
من قبيل النقم واجيب عنه بانها لما كانت وصلة الى الحيوة الحقيقية كما قال سبحانه وان الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم
فان قيل فهذا بالنسبة الى السعداء والمخاطبون كانوا اشقياء فيكون بالنسبة اليهم سببا للهلاك الحقيقى قلنا كون الشىء
غير نافع بالنسبة الى قوم لا ينافى كونه نافعا فى نفسه وكون هذه المعدودات نعمة هى معنى منتزع من تمام القضية لا كل فرد منها
كما ان المذكور من قوله تعالى وكنتم الى الآخر بعد احوالا بعضها ماض وبعضها مستقبل لان المراد من الواقع حالا هو العلم الحاصل منها
وهذا اذا قلنا الخطاب مع الكافر او معه ومع المؤمن اما لو اختص بالثانى لم يرد السؤال ويكون لتقدير المنة عليهم وتبعيد الكفر
عنهم ويكون المعنى كيف يتصور الكفر منكم وكنتم اموات الجهل فاحياكم بالعلم ثم يميتكم عند تقضى الآجال ثم يحييكم الحيوة الابدية
مع النعيم المقيم والسرور الدايم وكيف نصب بتكفرون وانما قال الخليل وغيره انها منصوبة على انه حال لانها فى معنى اية
وقد مضمرة فى كنتم لان الواو ثمة للحال وهى يقرب الماضى الى الحال ولهذا يقال قد قامت الصلوة فى حال قيامها
هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم • تقدير الكلام كيف
تكفرون بالله وهو الذى خلق لكم بهذه النعم واخرها عن ذكر الاحياء لان الانتفاع بها يتوقف عليه ووجه كونها من اعظم النعم
اشتمالها على عامة المنافع الدينية والدنياوية اما الاولى فلما فيها من تمكن المستبصر من الاستدلال بوجود الصانع ووجوب
وجوده وعلمه وقدرته الى آخر الصفات والتعرف لما يناسبها من لذة الآخرة واما الثانية فلوجود ما يتوقف عليه بقاء نوع
الانس وحسن حالهم فى المعائش والتمكن من التناسل والتقوى على الطاعة وغيرها وفى لكم اشعار بان الحكمة فيها ليست الا عود
منافعها الى غير الله سبحانه وان لم يفعله لغرض لانه يكون مستكملا بذلك الغرض والمستكمل ناقص فى ذاته تعالى عما يقول الظالمون
وايضا ان من فعل لغرض يكون عاجزا عن تحصيله بغيره وايضا لو كان الغرض قديما لزم قدم العالم وان كان فعله لذلك الغرض
لغرض يتسلسل ويستدل به على ان الاصل فى المنافع الاباحة لا كما قال اهل الاباحة بل الكل للكل لانه تعالى قابل الكل بالكل لا ان
كل واحد لكل واحد فيقتضى مقابلة الفرد بالفرد والتعيين ثبت بدليل خارج ويعلم منه حرمة اكل الطين لان الماكول ما فى الارض
لا الارض وما لا يتناول الارض الا اذا اريد جهة السفل لان الارض وما فيها فى تلك الجهة وجميعا حال عن الموصول الثانى ويجوز
ان يكون عن الضمير فى الظرف ولما كان اصل الاستواء الانتصاب الذى هو ضد الاعوجاج لزم التأويل بالقصد
لان ذلك من خواص الاجسام اى قصد الى السماء بارادته يقال استوى عليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا

من غير ان يلتفت الى شئ آخر والعلاقة ان من يقصد الى شئ يقوم ويستوي وقيل اصله طلب الاستواء واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية بعض الاجزاء وفسر بالاستيلاء ومنه قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
وفيه ضعف نظرا الى الصلة وهي الى فيحتاج في تصحيحه الى تضمين فعل يناسبه والقصد الى السماء الى خلقها والمراد جهة العلو
والمعنى انه سبحانه قصد بعد خلق الارض وما فيها الى جهة العلو ولا يريد بيان خلق شئ آخر فيما بينهما والترتيب هكذا وهو
انه سبحانه خلق الارض في يومين الى قوله سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات في يومين
كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون يوما والى مكة ثلثون يوما يعني جميع ذلك هذا التقدير ثم استوى الى السماء
في يومين ومجموع ذلك ستة ايام كما نبه عليها في موضع آخر ولا تناقض بينه وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
لجواز ان يكون الدحو بعد ذلك بل الواقع ذلك وهو انه خلق الارض قبل السماء ولكنه سبحانه ما دحاها اعني ما بسطها الا بعد
ذلك ولا يشكل باستبعاد كرتها عند من يقول بها لكونها جسما عظيما فان قيل خلق ما في الارض لا يكون الا بعد الدحية
فيكون خلقها مقدما على خلق السماء قلنا قوله سبحانه والارض بعد ذلك دحاها يدل على تقدم خلق السماء ولا يقتضي مقدم
تسويتها على خلق الارض وهذا اذا لم يستأنف بقوله دحاها على تقدير تعرف الارض وتدبرها وقلنا ان ثم للترتيب فان كان
لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء لم يرد السؤال ونظيره ثم كان من الذين آمنوا وفيه تفخيم وتعظيم والضمير
في فسواهن كون خلقهن مصونة عن الاعوجاج للسماء بالنظر الى مدلولها اذا اريد انفسها لا جهة فوق وقيل هي جمع
ويجوز ان يكون مبهما مثل زيد رجلا وعلى الاول سبع سموات بدل وعلى الثاني تفسير وذكر في المفاتيح انه بالارصاد علم
ان الاقرب محل القمر وبعده محل عطارد وبعده الزهرة وبعده الشمس وبعده المريخ وبعده المشتري وبعده زحل وذلك
ان الكواكب الاسفل اذا مر صار ساترا للاعلى بحيث يصيران كوكب واحد ولا يتميز الا بما يخيل الينا من اللون الغالب
لحمرة المريخ وصفرة عطارد وكذا اختلاف المناظر فانه محسوس للقمر وعطارد وزهرة غير محسوس بغيرها واما في الشمس فقليل
جدا فتكون متوسطة بين القسمين ولا يشكل ذلك بقول اصحاب الارصاد ان الافلاك تسعة حيث اثبتوا الثامن للثوابت
واقول هذا يبتني على لزوم كون حركة الكواكب تابعة للافلاك وهو ممنوع وفي مقدمات دليله شكوك وقالوا التاسع
هو الفلك الاعظم الذي متحرك كل يوم وليلة دورة والقائل ان يقول ما قالوه وان سلم عن الاعتراض والابطال والشكوك
المذكورة في كتبهم فلا منافاة اذ ليس في القرآن نفي الزيادة وذكر صاحب الانوار انه ان عد العرش والكرسي لم يرد
اشكال ولعله يبقى حينئذ اختلاف في التسمية والمعنى بكونه سبحانه بكل شئ عليما الاشارة الى صحة خلق هذه الاشياء
على الوجه الاكمل فانه تعالى لو لم يكن عالما عليما في نهاية الاتقان لما امكن له خلق هذه الممكنات على هذا النسق الانيق والعلم به
يكاد يكون بديهيا وفيه ايماء الى صحة الحشر لان اجزاء المتفرقة من الانسان اشياء معلومة لله تعالى فلا يشذ شئ منها فيعيدها
كما كانت لما سبق من كونها قابلة للحيوة بقوله سبحانه كنتم امواتا فاحياكم بقي امر آخر وهو اثبات القدرة للحي سبحانه على الانشاءات



وقد برهن عليه بدليل الخلق اولا بل خلق ما هو اعظم منه فالحاصل ان هذه الآيات اشتملت على امور ثلثة بيان قبول مواد الاشياء
الجمع والحيوة وعلم الباري سبحانه باجزائها باسرها والقدرة عليها بل اذا ثبت اشتراكها مع جميع الممكنات في الامكان
ومساواة نسبة القدرة الى الكل لزم القول بالجواز ثم بالوجوب بعد اخبار الصادق وسبع سماوات جاز ان يكون حالا
مقدرة معدودة سبع سماوات ۰ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ۰ اذ ظرف زمان ماض يراد به وقوع
نسبة فيه ولذلك يجب اضافتها الى الجمل كاذا للمستقبل وعلة بنائها شبهها بالحرف لفظا فانه كمن ومعنى حيث يحتاج
الى ضميمة وهي منصوبة بالظرف وعاملها قالوا او اذكر اي الحادث وقت كذا فحذف واقيم الظرف مقامه او مضمر مثل بدا خلقكم
بدلالة الكلام المتقدم عليه وقد يستعملان للمجازاة ومعنى قولهم انهما من الظروف الغير المتصرفة انهما لا يقعان الا ظرفين ولا يرد
عليه نحو اذكر اخا عاد اذ انذر قومه انه يقتضي مفعولا به فلو نصب اذ انذر على الظرف خلا المتعدي عن المفعول به لان المفعول محذوف
وهو الحادث ووجه المناسبة ان تعداد نعمة شاملة بعد تلك النعم لآدم وذريته باعتبار الاكرام والتفضيل على الملئكة باعتبار
امرهم بسجوده حيث صار كالقبلة لهم والملئكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل من الالوكة والمالكة وهي الرسالة لانهم رسل الله
الى انبيائه عليهم السلام او كالرسل يقال الكني اليه اي ارسلني واصله الهمزة اي ملأكة فحذفت والقيت حركتها الى ما قبلها تخفيفا
لكثرة الاستعمال والتاء لتأنيث الجمع والدليل على وجودها السمع اعني اخبار من ثبت بالبرهان صدقه وقد اختلف الناس
في حقيقة الملك بعد الاتفاق على وجوده فاكثر المسلمين على ان الملئكة اجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل باشكال
مختلفة ومسكن اكثرها السموات والبحث فيهم على فرض كونهم ذواتا قائمة بانفسها متحيزة مع المجوس وعبدة الاوثان
ولا يجدي ذكر مذهبهم زيادة فائدة ولا على فرض انها غير متحيزة ولا اجسام فعند بعض النصارى انها نفوس ناطقة خيرة
فارقت الابدان كما ان الشياطين عندهم النفوس الخبيثة وقيل انها جواهر قائمة بانفسها غير متحيزة مخالفة للنفوس البشرية
بالنوع وهي اكمل قوة واكثر علما منها وانها بالنسبة الى النفوس البشرية تجري مجرى الشمس بالنسبة الى الضوء وقسموها اقساما
باعتبار كونها مدبرة للعالم العلوي والسفلي غير انهم قسموا القسم الثاني على قسمة النصارى وذكروا على وجودها ادلة عقلية
وذكر غيرهم عليه ادلة اكثرها اقناعية لكنها حقيقية بالنسبة الى من شاهدها واطلع عليها فمنها ان الحق سبحانه اقتضت حكمته
ايجاد الاخس كالميت غير الناطق والاوسط كالشئ الذي يكون ميتا وناطقا وهو الانسان فلان يقتضي ايجاد الاشرف
كالحي الناطق وهو الملك اولى وايضا الحيوة والعلم والعقل اشرف من اضدادها وقد حصلت في العالم الظلماني فبان يحصل
في العالم النوراني اولى وايضا اصحاب الرياضات والمكاشفات اخبروا عنها بالمشاهدة واصحاب الضرورات باعتبار
ما شاهدوها من الآثار العجيبة من الهداية الى المعالجات النادرة وغيرها وكذلك ما يعلم بالرؤيا الصادقة واما اقسامهم وذكر تهم
وما خصهم الله به من التدبيرات وغيرها فمبثوثة في سور الكتاب والاولى ذكر كل في مقامه وقد ذكرت في شرح المصباح زيادة
بحث فيها ومجمل البحث فيهم انهم قسمان قسم مستغرقون في المعارف الالهية لا غير قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون

وهم الملئكة المقربون وقسم فوض تدبيرات العوالم العلوية والسفلية وانزال الوحي وتبليغ الرسالة ونصرة المؤمنين
والاستغفار لهم وهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون على مقتضى التقدير الالهي والمخاطبون جميع الملئكة
لمكان الجمع المحلى وعدم المخصص وعن ابن عباس انهم المحاربون مع الجن حين افسدوا فطردوهم الى الجزاير وقيل ملائكة
الارض وجعل بمعنى صير فخليفة وفي الارض مفعولاه وبمعنى خلق يقتضي واحدا وللقائل ان يقول هذا التفسير اولى بالذهاب اليه
لان التصيير يقتضي وجود شيء ينتقل من حال الى اخرى مثل صار الطين خزفا وزيد اميرا ووقت الاخبار لم يكن حاصلا فتقديره
بالخالق اولى والاظهر ان المراد بالارض كلها لا الارض مكة كما قاله بعضهم والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه ومنه
قوله سبحانه ثم جعلناكم خلائف في الارض وقوله سبحانه ليستخلفنهم في الارض والمراد به آدم على ما قاله ابن عباس
وابن مسعود والسدي ومن يفسد ذريته وقال الحسن ولد ادم وافراد اللفظ للاكتفاء بذكر الاب عن الاولاد كمضر وهاشم
او على تقدير من يخلف او خلفا يخلف وعلى الاول يكون خليفة الجن الذين كانوا قبله وقيل لانه يخلف الله للحكم بين خلقه
وعلى الثاني يكونون خلفا يخلف بعضهم بعضا ويؤيد الاول قوله سبحانه انا جعلناك في الارض خليفة والثاني انا جعلناكم
خلائف في الارض والتاء للمبالغة والخليفة ههنا ليست لحاجة المستخلف بل لقصور المستخلف عليه عن ادراك امر من غير
واسطة النبي كما ان النبي لا يتلقى الوحي الا بواسطة الملك في الاكثر والى الاول اشار فيه بقوله سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا نعم لو اعطاه الله تعالى الاستعداد للاستقلال بالادراك كالمحمد وموسى عليهما السلام استغنى عن الملك احيانا وفائدة
هذا الكلام معهم انه لما علم الله سبحانه انهم اذا اطلعوا على هذا الامر ذكروا ذلك السؤال وكان فيه فائدة التعليم وايضا فيه
فائدة تعليم المشاورة وتعظيم الخليفة ببشارة وجوده قبل ايجاده وان الخير الراجح لا يترك للشر المرجوح ويقرا خليقة
بالقاف • قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون • هذا
سؤال استكشاف عن حكمة تفويض عمارة الارض الى من يفسد فيها او تبديله بمن هو مجبول على الخير المحض واستعلام
لجواب يشفي عليلهم ويروي غليلهم ويرشدهم الى العلم بالمصالح الراجحة على تلك المفاسد وانما لزم القول بذلك
لان الجمهور الاعظم من العلماء على عصمة جميع الملئكة من جميع الآثام خلافا لبعض الحشوية دليل المذهب ايات كثيرة نحو
عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وطعنوا في البشر ولو كانوا عصاة لما حسن منهم ولا يشكل ذلك باعتراضهم على الله لما سبق من حكمة القصد بالسؤال ولا
بالطعن في بني آدم لان ذلك لكشف محل السؤال ولا اعجابهم بانفسهم لان ذلك من قبيل التحدث بنعم الله تعالى وقضية هاروت
وماروت لا عبرة بها على الوجه الذي يتمسك به على عصيان الملك لا سيما وفيها انهما قالا قبل النزول لو ركبت فينا ما ركبت
في بني آدم ما عصيناك بعد ان اخبر الله بعصيانهم وايضا فيه ان فاجرة جعلها الله كوكبا اقسم بها بعد فجورها وهذا في غاية السخافة
نعم مذهب المعتزلة وكثير من الفقهاء انهم على الشر خلافا للحكماء وبعض السنيين ويمكن ان يتمسك للاولين بقوله تعالى

معنى

ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وبهذه الطريقة يذكر اجوبة ادلتهم الواهية اما علمهم بحال بني آدم فقد يكون من مطالعة
اللوح او اخبار الله تعالى اياهم او قياسهم على الجن او باعتبار اختصاص العصمة بهم واذا احتمل ذلك لم يرد ما قالوه من انه
طعن في الغير بمجرد الظن وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم والسفك صب الدم وما يقرا من بناء المفعول فالمرجوع
اليه من وان جعل موصوفا محذوفا فالتقدير يسفك فيهم الدماء وكذا بكسر الفاء وبكسر السين من اسفك وسفك والواو
في ونحن للحال كما يقال اتحسن الى فلان وانا عدوك وانا الصديق المحتاج وهو تقرير للسؤال السابق وهو انه ما الحكمة في استبدال
العصاة بالمعصومين والتسبيح تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ابعد فيها ومنه التقديس
بمعنى التطهير لانه بعده عن القذر ومعناه انا نسبح لك يعني اذا سبحنا بحمدك لانك تستحقه او انا نسبح بحمدك فانه لولا انعامك
بالتوفيق لم نقدر عليه وتسبيحهم سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت كذا روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما والتقدير ملتبسين بحمدك فالظرف في موضع الحال ومعنى التقديس تطهير نفوسهم عن الذنوب لاجل
مرضاة الله سبحانه وكانهما وقعا في مقابلة الفساد وسفك الدماء فان قيل التطهير عن الذنب يستدعي ثبوته وقد سبق انهم
مجبولون على الخير وان فرض استعدادهم لكنها لم تثبت عنهم بالاتفاق قلنا يكون مجازا بعلاقة ان كلا من المبعد عن الشيء
والمانع من ثبوته يكون مجردا عنه في الجملة وهذا الكلام انما يتم اذا لم يفسد بتطهير القلوب عن الالتفات الى الغير كما قاله
ابو مسلم او وصف الله بالعلو والعزة والعدول عن الحقيقة الى المجاز لما فيه من المبالغة وقد سبق انه ليس على وجه العجب
والاستكبار وكانهم نظروا الى ما في الانسان من الشهوة المقتضية للفساد من حيث هي والغضب المستدعي لسفك الدماء
واستعجبوا من استخلاف من كان كذلك مع ان المقصود بالذات هو الخير وهم مجبولون عليه ولم يطلعوا على ان الشهوة اذا
صارت مامورة لصاحبها باستعمال العقل الامر بالخير المهيمن على صاحبه واستعملها فيما امر الله به كانت سببا للتناسل على وجه
لا يقتضي قطع التعهد عن الاولاد كما في الزنا وكذلك الغضب باعتبار دفع باس الظلمة عن المظلومين والجهاد لاعلاء كلمة الله
والقصاص وغيرها وذكر صاحب الانوار هذا المعنى متماله بانهم لم يعلموا ان التركيب يفيد ما لا يفيد الافراد ويعني به ان اجتماع
المذكورات يفيد ما لا يفيده الاحاد كالاحاطة بالجزئيات والاستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة
الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف ولعل قصده بذلك الاشارة الى الفرق بين علوم الملئكة والانس وللقائل
ان يقول هذا القدر ليس بجواب مقنع لان الخير الممتزج بالشر لا يقابل الخير المحض فكان الله سبحانه ذكر جوابا اجماليا وهو
ان علمي بحقايق الاشياء ومنافعها ومضارها يقتضي انه لا يظهر في الوجود الا ما يكون الحكمة في حصوله وانتم لا تعلمون
ذلك ويدل عليه جوابهم اخرا انك انت العليم الحكيم نعم يمكن ان يقال ان ما ذكرتم ان الخير المحض اولى من الممتزج صحيح
ولكن اذا كان بحيث اذا قوبل بينهما كان الثاني ارجح نظرا الى الاستعداد العلمي كما سياتي في التعليم فلا نسلم كون الاول
اولى والمعتزلة تمسكوا بهذا على مذهبهم باضافة هذه الافعال الى انفسهم ولو كانت افعال الله لما حسن التمدح بها ولم يكن

فرق بينه وبين سفك الدماء والجواب بالمنع والمعارضة بسؤال العلم والداعي كما سبق وتجعل هنا متعدّ الى مفعول واحد
كجعل الظلمات والنور وفي سمة الكتاب جعلت متاعك بعضه على بعض وتحمل الجعل الى لك نصب بمفعول قالوا قوله
وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • التعليم قصد احداث العلم
في الغير بمباشرة اسبابه وقد لا يحصل يقال علمته فلم يتعلم وتعليم آدم اما بالهام او خلق علم ضروري فيه بان عرفه اسماء
الاشياء وخواصها وذواتها واصول العلم والصناعات وآلاتها لاستعداد خاص فيه دون غيره وآدم اعجمي كآزر
وما تكلف له من اشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او اديم الارض للخبر الصحيح الدال على خلقه منه مرجوح لان الاشتقاق
من الجامد قليل وكذا هذا الوزن لا سيما ومنع صرفه بالعجمة اظهر وهو كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب
وابليس من الابلاس والمراد بالاسماء ما يعمها الافعال والحروف لان وضع اللغة ما يكون علامة للشئ ان اخذت من الوسم
او السمة او دليلا يرفعه الى الذهن ان اخذت من السمو وقد سبق ان الحق الثاني وفي العرف الاسم هو الموضوع لمعنى
سواء كان مفردا او مركبا وفي الاصطلاح الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد الاول لان
الخطاب مع كل قوم بما هو لغتهم هو المناسب واستدل الشيخ ابو الحسن الاشعري والكعبي والجبائي على ان اللغات
كلها توقيفية بان الله تع خلق علما ضروريا في آدم بتلك الالفاظ والمعاني وانها موضوعة لها والمراد جميع اللغات
التي يتكلم بها اولاده من العربية والعجمية كالفارسية والرومية وغيرهما ومما استدل به قوله سبحانه واختلاف السنتكم
اي لغاتكم ولئلا يلزم التسلسل على فرض الاصطلاح واجيب بان التعليم لا يستدعي كون المعلم موضوعا للتعلم على فرض
ان يراد الالفاظ ومن قال انها اصطلاحية فللنظر الى ان التوقيف اما بالوحي فينبغي ان يتقدمه وهو متأخر لقوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الآية او بغيره في عاقل فينتفي التكليف لحصول معرفة الله تعالى او غيره وهو باطل واجيب باختيار
الخلق في عاقل ولا نسلم انتفاء التكليف ومن جعل البعض توقيفيا والثاني مصطلحا فللجمع بين الدلايل وقد ذكرت
في شرح المنهاج ما يشعر برجحان الاول لا سيما باعتبار الكاينات مستندة الى الله تع ابتداء اكما سبق ولان الاصل عدم
وضع سابق فيكون من الله سبحانه والضمير في عرضهم للمسميات لان تقديره اسماء المسميات وحذفها لدلالة الاسماء
عليها واللام عوض عن المضاف اليه مثل واشتعل الرأس اذ التقدير رأسي ولا بد من ذلك لانه اذا كان السؤال عن اسماء
تلك المسميات فلا بد وان تكون معروضة وان قلنا المعروض ذوات الاشياء فضمير العاقلين للتغليب والمرجوع اليه
في ما يقرأ من عرضهن وعرضها المسميات وقيل المعروض اسماء المسميات والاول اولى حيث لم يقل انبئوني بمسميات
هذه الاسماء والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجراه وفايدة الامر به اظهار شرف آدم وعجزهم عن امر الخلافة
لانه لا بد للخليفة من الاطلاع على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق وتميز الاشياء بعضها عن بعض وذلك يتوقف
على هذا العلم الغايب عنهم ولا استدلال على التكليف بالمحال لان السؤال للتبكيت وذهب المعتزلة الى ثبوت نبوته حينئذ

بهذا

بهذا المعجز وذكر صاحب المفاتيح انه لا يبعد كونه رسولا الى حوا ومن تحداهم من الملئكة ولا بعد في بعثة رسول الى رسول
آخر كابراهيم مع لوط عليهما السلام ويرد على المعتزلة انه لو كان نبيا فالى الجن او الانس او الى الملئكة وبطلان الاولين
ظاهر والثاني ايضا على رأيهم ان الملك افضل وايضا يكون صدور الذنب في حال النبوة وهو غير جائز ومعنى قوله سبحانه
ان كنتم صادقين اني لم اخلق خلقا الا كنتم اعلم منه او احق بالخلافة وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما في قولكم انه لا شئ
يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون بحقه والتصديق كما يستعمل في منطوق الكلام فكذلك في مفهومه من الاخبار
ومن هذا الوجه يعتري الانشاء وقيل معناه اعلموني اسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ان علمتم انكم تكونوا صادقين في ذلك
الاعلام • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم • سبحان مصدر كغفران واستعماله غير مضاف
منصوبا قليل كمعاذ الله فقوله سبحان من علقمة الفاخر • علما للتسبيح شاذ وافتتاح الكلام به للاعتذار عن الاستعجال
في الاستفسار كما جعل موسى ويونس عليهما السلام مفتاح التوبة في قوله سبحانك تبت اليك وسبحانك اني كنت من الظالمين
وهو محمول على الثاني عند الذين قالوا انهم اتوا بالمعصية في قولهم اتجعل فيها قالوا اعتذروا بعد معرفة خطائهم بقولهم
سبحانك وعلى المذهب الحق معناه الاعتراف بالعجز وعدم العلم بالمسؤل عنهم او انهم قالوا ذلك لان الله تع اعلمهم حال بني آدم
فقالوا اعلمتنا فسادهم وسفكهم دماءهم فعلمنا وقلنا وما علمتنا اسماء هؤلاء فكيف نعلمها وفيه اعتراف بفضل الانسان والحكمة
في خلقه وشكر لنعمة العلم الذي افاض عليهم وقد راعوا الادب وفوضوا العلم كله الى الله سبحانه واضمار ناصب سبحانك لدلالة
المصدر عليه وهو بمنزلة تسبيحك كما ان عمرك الله بمنزلة تعميرك الله وقوله انك الى آخره يحتمل اجراوه مجرى تعليل قولهم
لا علم لنا الا ما علمتنا بوجوه من التأكيد التصدير بحرف التحقيق والكلام على طريق الخطاب والاتيان بصيغة المبالغة والتعقيب
بالمبالغة في الحكمة بعد العلم والتركيب من الجملة الاسمية والاتيان بضمير الفصل ان لم يجعل لتأكيد الكاف كما في مررت بك انت
وانما جاز ولم يجز مررت بانت لان التابع يجوز فيه ما لا يجوز في المتبوع كما جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل ومنهم من جعله
مبتداء وما بعده خبره في جميع صور الفصل وفسر العليم بالذي لا يخفى عليه خافية والحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل
شيئا الا وهو متضمن لحكمة بالغة وعلى هذا وجه المناسبة الاشارة بالاول الى ما اضمر واي السؤال وبالثاني الى جعل
الخليفة متضمنا لحكم ومصالح لم تخف عليه وان خفيت عليهم ولعله حمله على المبالغة في كمال العلم والحكمة للباري تعالى
اذ الكلام الاقرب فيه اولى وفي الآية بيان شرف العلم فانه سبحانه ما اظهر حكمته في خلق آدم واستخلافه جوابا للملئكة الا باظهار
العلم فلو كان في الامكان ان يوصف باشرف من العلم لكان المناسب اظهار فضله بذلك لا بالعلم وكيف لا والكتاب الالهي
والكلام النبوي والبرهان العقلي يدل على شرف العلم فالكتاب قوله سبحانه شهد الله الآية وقوله هل يستوي الذين يعلمون
والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي الخبيث والطيب فرق بين الحلال والحرام وقال وهل يستوي الاعمى والبصير
قل هل تستوي الظلمات والنور ويعلم بالتأمل كون كل ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل واطيعوا الله واطيعوا الرسول

واولی العلم و الاصح انهم العلماء لانهم الملوک تجب علیهم طاعة العلماء من غیر عکس و لا یعلم تاویله الا الله و الراسخون
فی العلم وقال قل کفی بالله شهیدا بینی و بینکم ومن عنده علم الکتاب وقوله سبحانه انما یخشی الله من عباده العلماء لا سیما
من قرا بالنصب علی معنی یعظم الله من عباده العلماء ومن الکلام النبوی قوله علیه السلام فضل العالم علی العابد کفضل
القمر لیلة البدر علی سایر الکواکب وفی روایة کفضلی علی ادناکم وورد ان العالم یستغفر له من فی السموات والارض
حتی النملة فی حجرها وحتی الحیتان فی الماء وقال علیه السلام معلم الخیر اذا مات بکی علیه الطیر والسماء ودواب الارض وحیتان
البحور وقال علیه السلام من یطلب بابا من العلم لیرد به باطلا الی حق او ضلالا الی هدی کان عمله کعبادة اربعین عاما
وقال علیه السلام من جاءه الموت وهو یطلب العلم لیحیی به الاسلام کان بینه وبین الانبیاء درجة واحدة فی الجنة وقال
علیه السلام من طلب العلم لیحدث به الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعین نبیا وورد ان الملیکة لتضع اجنحتها
رضا لطالب العلم وقال الحسن صریر قلم العلماء تسبیح وکتابة العلم والنظر فیه عبادة واما البرهان العقلی فهو انه لا شک
ان العلم بالله سبحانه وبصفاته وملیکته وانبیائه وسایر کمل عباده نسبة الیها وکانه لا اشرف من تلک المعلومات فکذلک
النسب المتعلقة بها وایضا کما انه لا شقاوة ولا نقصان اعظم من الجهل فکذلک لا سعادة ولا کمال اعظم من العلم وایضا
اجمع اهل العالم علی انه لا لذة ولا بهجة ولا سرور فی عالم الآخرة اعظم من العلم والجهل یقتضی نقایضها ویکفی فی الدلیل
انا اذا سیلنا من مسیلة فحضر جواب حق حصل لنا فرح عظیم والا کان الامر علی خلافه وایضا المعصیة عند الجهل لا یرجی
زوالها وعند الشهوة یرجی زوالها ولاجل هذا الکمال قال ابن عباس لولده علیک بالادب فانه دلیل علی المروة وانس
فی الوحشة وصاحب فی الغربة وقرین فی الحضر وصدر فی المجلس ووسیلة عند انقضاء الوسایل وغنی عند العدم ورفعة
للخسیس وکمال للشریف وجلالة للملک وورد فی سایر الکتب بیان شرفه علی ابلغ وجه ففی التوریة عظم الحکمة فانی لا اجعل
الحکمة فی قلب عبد الا اردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها لتنال کرامتی فی الدنیا والاخرة وفی الزبور ان الله تعالی
یقول ما جعلت العلم فی واحد من خلقی وانا ارید ضلاله وفی السفر السابعة عشر من الانجیل ویل لمن سمع بالعلم ولم یطلبه اطلبوا
العلم وتعلموه فان لم یسعدکم لم یشقکم وان لم یرفعکم لم یضعکم وان لم یغنکم لم یفقرکم وان لم ینفعکم لم یضرکم یا عیسی عظم
العلماء واعرف فضلهم فانی فضلتهم علی جمیع خلقی الا النبیین والمرسلین کفضل الشمس علی الکواکب وکفضل الآخرة
علی الدنیا وکفضلی علی کل شیء وههنا نکتة وهی ان استثناء النبیین والمرسلین لیس الا لکونهم اعلم من غیرهم والقصد
من ذکر هذه الاشارات بیان مناسبة ذکر العلم والاختصاص به عند الجواب عن استفسار الملیکة واستعجابهم فی استخلافه
وفی الآیة دلیل علی ان المعارف مخلوقة وقالت المعتزلة المراد اما بالتعلیم او نصب الادلة والجواب ان التعلیم تحصیل العلم فی الغیر
کالتسوید والذی یحصل به وضع الدلیل والله فاعله • فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لکم انی اعلم غیب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما کنتم تکتمون • المعنی انه لما اعلم آدم الملیکة باسماء تلک المسمیات اشار الحق سبحانه الی ما قال للملیکة اولا

من قوله

من قوله انی اعلم ما لا تعلمون وفی الکلام بسط لیکون کالدلیل علی انه سبحانه یعلم ما لا یعلمون لانه اذا کان عالما بما غاب
عنهم من امر السموات والارض وما فیهما وما یعلنون وما یسرون کان عالما بما لا یعلمون فان قیل ما لا یعلمه الملیکة
شامل لمعلومات الله مما یتعلق بالمعارف الالهیة فما وجه تخصیص هذا القسم بالذکر قلنا لعل السبب فیه ان ذلک
انسب الی حکمة الاستخلاف لتعلقها بالارض وسکانها وارتباطها بامر السموات وفیه نوع معاتبة علی ترک ما هو اولی
اعنی التوقف الی ظهور الحال وفسر ما تبدون بقول الجعل وما تکتمون اعتقاد کونهم احقاء بالخلافة وانه لا اظن افضل
منهم والحمل علی اظهارهم الطاعة واسرار ابلیس المعصیة ضعیف لان فی کونه منهم کلام وان سلم فجعله کالجماعة یحتاج
الی مجاز وتخصیص عام وفک نظم والکلام فی شرف العلم وکون اللغات توقیفیة قد سبق وقیاس الترکیب صحة اطلاق
المعلم علی الله سبحانه لکن اختصاصه بالمحترفین یمنعه ومن فواید الآیة مغایرة الحکمة للعلم لان الاصل عدم التکرار
وان علم الملک قابل للنقص والازدیاد لقوله سبحانه الا ما علمتنا ومن منع ذلک فی المقربین منهم حمل علیه قوله سبحانه وما منا
الا له مقام معلوم ای فی المعرفة وفی الآیة دلیل علی کون آدم افضل اما من کل الملیکة ان کان المخاطبون کلهم والا فمن هو الآمر
لان الاعلم افضل لما سبق من الدلایل وللقایل ان یقول ان ارید الافضلیة بهذا الاعتبار فمسلم وان ارید مطلقا فلا نسلم
لجواز ان یکون مجموع کمالاتهم بحیث اذا قوبل بمجموع کمالاته یکون ارجح ومما یستدل به علی افضلیة بعض البشر
من بعض الملک • واذ قلنا للملیکة اسجدوا لآدم • عطف علی الظرف السابق بناء علی انه منصوب باذکر وان لم یقدر
ذلک کان عطفا علی الجملة السابقة ویجوز ان یکون عطف هذه القصة علی القصة المتقدمة ووجه الارتباط انه تعالی
لما حقق بتعلیم الاسماء فضل آدم امر الملیکة بالسجود اعترافا بفضله والاجماع علی ان سجود العبادة لا یکون الا لله فیکون
علی طریقة الاکرام کسجدة یعقوب واولاده لیوسف علیهم السلام ویکون کالاعتذار عما قالوه وهو فی الاصل تذلل مع تطامن
قال الشاعر • تری الاکم فیه سجدا للحوافر • وقلت له اسجد للیلی فاسجدا • یعنی البعیر اذا طاطا راسه وفی الشرع وضع الجبهة
علی قصد العبادة به وقیل هذا الامر قبل تمام خلقته لقوله سبحانه فاذا سویته ونفخت فیه من روحی فقعوا له ساجدین فان قیل
کیف ادعیت الاجماع ومنهم من قال انه السجود الشرعی قلنا الممنوع منه ما یکون المقصود بالعبادة غیر الله تعالی
والسجود لآدم لم یکن لذلک بل جعل قبلة تعظیما له کالکعبة والمسجود له بالحقیقة هو الله تعالی وذکر صاحب الانوار انه
انما امرهم الله بالسجود تذللا لما ظهر فیه من عظیم قدرة الله تعالی وباهر آیاته وشکرا لما انعم الله علیهم بسببه لانه جعل
انموذجا للمبدعات کلها بل انموذجا ونسخة لما فی العالم الروحانی والجسمانی وذریعة للملیکة الی استیفاء ما قدر لهم
من الکمالات ووصلة الی ظهور ما تباینوا فیه من المراتب والدرجات ولعل معنی قوله انموذجا للمبدعات انه قد اشتمل
علی الجواهر والاعراض والامکان السابق والوجوب اللاحق والاشتمال علی جمیع العناصر ومشابهة النفس سایر
البسایط والکمال المقدر لهم علم الاسماء فان قیل ما وجه الشرف فی العلم بالالفاظ الدالة علی المسمیات قلنا کفی فی

يكفي في الشرف العلم باسماء الله تعالى التي هي صفات الجلال والاكرام بل الاسماء العظام التي يعد العلم بها من اجل المعارف
الالهية اذ العموم المستفاد من الجمع المحلى المحافظ عليه بقوله كلها شامل لجميع الاسماء ولا يخفى انه ليس المراد بالتعليم مجرد
معرفة تلك الالفاظ بل العلم بها وبالمسميات وهذا اذا لم نقل بسمات الاشياء وخصايصها واللام في قوله تعالى لادم
كما في قوله سبحانه لدلوك الشمس والصلوة لله لا لدلوك الشمس واذا جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال صليت للقبلة والصلوة به
وكما في قول حسان بن ثابت « ما كنت اعرف ان الامر منصرف » عن هاشم ثم منها عن ابي حسن « يريد به علي بن ابي طالب
رضي الله عنه « اليس اول من صلى لقبلتكم » واعرف الناس بالقرآن والسنن « ومن جملة الارتباط انه تذكير بنعمة اخرى اعظم
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين « دل التصدير بالفاء على عدم التوقف في السجود عقيب الامر وابليس
اسم اعجمي مشتق من الابلس ومنع الصرف يمنعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اسمه عزازيل والاباء الامتناع بالاختيار
وانما امتنع تكبرا من ابجاده اياه وصلة الى عبادة الله او تعظيمه بالتحية البليغة وهي السجود والاستكبار طلب التكبر وهو
ان يرى نفسه اكبر من غيره ومعنى كونه من الكافرين اي في علم الله ويجوز ان لا يكون وقد صار بالعصيان الناشي عن التكبر
والطغيان من الكافرين وفي الاية دليل على ان الاستكبار قد يفضي بصاحبه الى الكفر واستقباحه وفيها المنع من الخوض
في اسرار الله وان الامر للوجوب ولا دلالة على الفورية لجواز ان يكون العلم بها بالقرينة من نحو قوله فقعوا له ساجدين لا من جوهر الامر
والموافاة المنسوبة الى الشيخ ابي الحسن اعني ان من علم الله موته على الكفر يكون كافرا على الحقيقة وان كان في الحال مؤمنا معلومة
والباعث له على ذلك اعتقاد افضليته وانه يقبح امر الفاضل بخدمة المفضول كما اشعر به قوله تعالى انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين جوابا لقوله سبحانه ما منعك ان تسجد وفي الاية دليل على افضلية ادم من الملائكة المامورين بالسجود له ان تسجد له
ان كان المراد الكل والا فالمراد الطايفة المامورون على الخلاف السابق ولا باس بذكر المسئلة هنا ومذهب اكثر السنيين
ان الانبياء افضل من الملائكة وخالف فيه المعتزلة والحكماء ووافقهم القاضي ابو بكر وكذا ابو عبد الله الحليمي في الملائكة العلوية
سند المذهب امور الاول ان تكليف الاشرف بنهاية التواضع للادون غير لايق بالحكيم والثاني ان منصب الخلافة اشرف
المناصب فلا ينالها الا الافضل فان خليفة الملك عنده اعظم من غيره والثالث ان الاعلم افضل وقد كان افضل للاية
المذكورة واما كون الاعلم افضل فلقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والرابع قوله تعالى ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والخامس انه عليه السلام ارسل رحمة للعالمين فيكون رحمة لهم فيكون
افضل منهم السادس ان عبادة البشر اشق لقيام الصارف ولان من جملتها ما يتوقف عليه علمهم القياس والاستنباط
اشق من النص وتسلط الشيطان عليهم بالوسوسة دون الملائكة وكل ما هو اشق فهو افضل لقوله عليه السلام افضل العبادة
احمزها وكل من كانت عبادته افضل كان افضل لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم استدل القايل بافضلية الملك بوجوه الاول
ان البسيط اشرف من المركب لان اسباب عدم المركب اكثر ولعدم الحاجة الى الاجزاء والجواب بالمنع ولم لا يجوز ان يكون المستجمع

للروحاني

للروحاني والجسماني افضل لقوة التدبير ودرك المعارف جميعا الثاني انهم مجردون من منشاء الفساد وسفك الدماء
وهو الشهوة والغضب والجواب ان المواظبة على الخدمة مع كثرة الموانع اشد واعظم الثالث انهم روحانيون نورانيون
اصحاب الملاء الاعلى فيكونون افضل والجواب عنه وعن جميع ما ذكر من هذا القبيل ان هذا تفضيل بحسب المادة
والكلام في اعتبار الافضلية باعتبار الانقياد لامر رب العالمين الرابع انهم قادرون على تصريف الاجسام وتدبيرها
فهم اشرف والجواب بمنع اختصاص ذلك بهم لجواز ان يكون في النفوس الانسانية من الكمل من هو قادر على ذلك الخامس
ان اتفاق الانبياء على الحاجة اليهم في امر الوحي يدل على افضليتهم ويمكن ان يجاب عنه بالمنع وهو انه لم لا يجوز ان يكون
لعدم استعداد البشر في تلقي الوحي من الله سبحانه ويكون لهم الشرف بهذا الاعتبار ولا يلزم منه اطلاق الافضلية لجواز
انه اذا قوبل جميع خصال احد القسمين بخصال الاخر يكون افضل وهذا ينهض جوابا عن جميع ما قالوه واما الجواب عما تمسكوا به
في ذلك من ايات الكتاب فنذكر كلا في مقامه عند الاستدلال ومن جملة ما تمسكوا به قوله تعالى الا ان تكونا ملكين عن لسان
الشيطان بان الله تعالى انما نهاكما عن الشجرة كراهة نيل منصب الملائكة الذي هو اشرف والجواب ان ذلك يدل على ان الملك
يستغني عن التناول او تناول تلك الشجرة ولا دلالة فيه على الافضلية وايضا اراد ضم حال الملائكة الى الانسانية ولا يدل
على افضليته اصلا والكلام من الجانبين بعد محال لكن الاولى حوالة ذلك الى اصول الدين والاكتفاء بهذا القدر
بقي الكلام في حال ابليس وظاهر الاية يشعر بانه كان من الملائكة والا لكان استثناؤه من الملائكة المامورين بالسجود
منقطعا وهو مجاز والاصل عدمه لا سيما في القرآن ولا يشكل بقوله سبحانه كان من الجن لاحتمال كونه منهم فعلا وغيره
لما روى ابن عباس رضي الله عنهما ان ضربا من الملائكة يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس وللمانع ان يقول لم لا يجوز
ان يكون اندراجه مع الملائكة لكونه نشا بينهم مغمورا بالوف منهم او الجن ايضا امروا بالسجود وعدم ذكرهم لا يدل
على العدم واكتفى بالملائكة تغليبا والتقدير فسجدوا يعني الفريقين سوى ابليس ويحتاج هذا القايل الى التزام عدم عصمة
الملائكة كلهم وما ذكر عن ابن عباس فمن ان ابليس كان من صنف من الملائكة لا يخالفون الشياطين بالذات بل بالصفات
كالبررة والفسقة من الانس والجن وهو السبب في جواز التغير عليه والهبوط ويشكل ذلك بما روت عايشة رضي الله عنها
ان الملائكة خلقت من النور والجن من النار الا ان يقال انه من قبيل التمثيل فانه لا فرق بينهما باعتبار كون كل جوهرا مضيئا
غير ان النار مغمورة بالدخان وهي محرقة بسبب فرط الحرارة فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت
عادت الحالة الاولى جذعة ولا يزال حتى يذهب النور ويبقى الدخان قال صاحب الانوار هذا اشبه بالصواب واوفق
للجمع بين النصوص وللقايل ان يقول اذا حمل على انه كان جنيا دخل في الملائكة بالاعتبار السابق لم يلزم خلاف الظاهر
الا من وجه وعلى هذا يلزم من وجوه وكان قد حمل على صار كقول ابن احمر « بتيهاء قفر والمطي كانها » قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها «
والاول ما تقدم لان استعمال كان بمعنى صار قليل « وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

فكونا من الظالمين • وجه المناسبة انه تعداد لنعمة اخرى شاملة للذات الحسية والمعنوية مناسب اكرامه بامر
الملئكة بسجوده واستعمال يا ههنا لعله للمبالغة فى التنبيه ارادة شكر النعمة والانتهاء عن المنهى والسكنى من السكون
لكونه استقرارا ولبثا وانما صح عطف وزوجك على المستكن فى اسكن لتاكيده بالمنفصل لئلا يلزم العطف على ما هو
كبعض الكلمة والعدول عن مخاطبتهما معا للاشارة الى انه المقصود وهى تبع واللام فى الجنة للعهد لان المراد دار الثواب
وهى التى سبق ذكرها ومن قال بعدم خلقها كما قاله ابو مسلم الاصفهانى والبلخى قال كان بستانا بفلسطين او بين فارس
وكرمان ولو كان خلق كان امتحانا لآدم والاهباط الانتقال الى الهند لقوله تعالى اهبطوا مصرا واختلف فى كون الامر للاباحة
او للوجوب وللاول ان المناسب للاسكان فى الموضع الطيب والاكل الشهى وللثانى ما يلزمه من النهى عن اكل الشجرة
وهو من اشد التكاليف والصحيح اشتماله على الاباحة والتكليف ومن قال لم تكن الجنة المعهودة فلانها دار الخلد ولو كان
فيها لما لحقه الغرور من ابليس والمنع ظاهر وقال الجبائى كانت جنة فى السماء السابعة اهبط منها الى الاولى ثم الى الارض
والمراد بالزوجة حوا اتفاقا وكذا فى كونها خلقت منه لقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى خلق منها زوجها
قيل خلقت من ضلعه للخبر الصحيح وانما سميت حوا لكونها مخلوقة من شئ حى واختلف فى انها خلقت قبل دخول الجنة او بعده
وجئ الواو فى كلا والفاء فى الاعراف لكون الفعل المعطوف عليه متضمنا للشرط ثمة بخلاف هذه الرغد الواسع وقيل الكثير
الذى لا يعنيك وهو صفة مصدر محذوف اى اكلا رغدا وحيث ظرف للاكل اى اى موضع شئتما وفيه توسيع عليهما
لازاحة العلة فى اكل الشجرة المنهى عنها مع هذا التوسيع العظيم وفى النهى بقوله سبحانه لا تقربا هذه الشجرة انواع من المبالغة
لانه اذا كان القرب منهيا فالتناول بطريق الاولى بخلاف العكس وظاهر النهى للتحريم والنظر فى النهى عنه الآن القرب من الشئ
قد يفضى الى الميل والغفلة عن النهى لشدة المحبة ولهذا قال عليه السلام من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ومن المبالغة
جعل القرب سببا لان يعد من الظالمين نظرا الى الفاء لانه وان كان المراد الظلم بهذا العصيان او تفويت الحظ بترك
الاولى لكنه اتى بما هو ابلغ من قوله فتظلما والمشهور ان الشجرة كانت الحنطة وروى الصديق عن النبى عليه السلام وقيل التين
وقيل الكرم وقيل شجرة من اكل منها احدث وعدم التعيين انسب الى اطلاق الكتاب وما يقرا من كسر شين الشجرة وتا تقربا
والياء فى هذه لغات فيها وابو عمرو كره ما يقرا بكسر الشين وبالياء اى الشيرة وتكونا يجوز ان يكون مجزوما عطفا
على النهى وان ينصب جوابا له والظلم قيل وضع الشئ فى غير موضعه وقيل اضرار غير مستحق • فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين • زل الشئ عن موضعه اى بعد
وازل متعد والمعنى حملهما على الزلة وقرئ ازال بمعناه غيران الاول يقتضى عثرة والضمير للشجرة اى اصدر زلتهما عن جهتها
وهو اولى من الرجع الى الجنة فى القراءة الاولى بمعنى اذهبهما عنها لانها اقرب وازاله بنحو ما نهيكما وهل ادلك قيل كان ذلك
بالوسوسة لقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان وقيل ناداهما من خارج الجنة وقيل دخل ومنعه محمول على الدخول على وجه الكرام

وقيل

وقيل تمثل بصورة دابة وقيل امر من قاله وقيل دخل فى فم الحية فدخلت به وقيل كان آدم يخرج الى السماء من الجنة وقيل الجملة
الخ عطفا على المقدر فى قوله وقلنا اى اذكر وقت قولنا ووقت الازلال والاخراج مما كانا فيه يريد نعيم الجنة وما كانا فيه من الكرامة
واللذة والخطاب باهبطوا لآدم وحوا وابليس وقيل والحية وطاوس وقيل لهما باعتبار الذرية ويؤيده اهبطا منها
جميعا والعداوة اختلاف القلوب من عدو فى الوادى فان كلا من المتعادين فى طرف كالمشاقة وهى التى كانت بينهما ومن
ابليس والحية وان اريد ما بين الذرية فيكون حالا مقدرة والا مقيدة اى متعادين والواو وان احتيج اليها للربط لكن يكتفى
بالضمير لحصول الارتباط والبعض ضد الكل والمستقر موضع القرار ونفس الاستقرار والمتاع التمتع بالعيش والحين المعنى
يوم القيمة او الموت وهو اسم لزمان مبهم يتعين بالقراين والكلام فى عصمة الانبياء وتاويل ما جرى منه متاخر الى قوله فتاب عليه
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم • تلقى من اللقية اى لقاهن الله تعالى اياه فتلقى او استقبلها بالقبول والاخذ
حين علمها وقيل اعترف بالذنب وما قرئ بنصب آدم ورفع الكلمات فمحمول على انه استقبلته وبلغته والكلمات جمع كلمة تطلق
على القليل والكثير وكلام خاص فى المقيد واصل الباب من التاثير ومنه الكلم وهو التاثير المدرك بالسمع والبصر كالكلام والجراحة
وهى ربنا ظلمنا انفسنا الى آخره وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه
لا يغفر الذنوب الا انت وقيل فى تمامه انك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب على
انك انت التواب الرحيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك
قال بلى قال يا رب الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم ومعنى تاب عاد عليه
بالرحمة وقبول التوبة ولما كان سببا عن تلقى الكلمات الكلمات المشتملة على الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود
رتب عليه بالفاء والتوبة عبارة عن هذه الثلث وهى وان شملت حوا لكنها لم يذكر لكونها تبعا كما فى اكثر احكام الكتاب والسنة
ويرتب التواب والرحيم على فتاب مصدرين بان لشعر بعليتهما له والتواب الرجاع على العباد بالمغفرة او المكثر اعانتهم
على التوبة ومنه من العبد الرجوع عن المعصية ومن الله الرجوع عن العقوبة الى المغفرة والمشترك الرجوع وقد اختلف الناس به
فى صدور الذنب من الانبياء والمذهب الحق انه لا يجوز صدوره عنهم على سبيل العمد مطلقا ويجوز صدور الصغائر سهوا
وهو على اربعة اقسام الاول الاعتقاد ولم يجوز الكفر عليهم الا الخوارج لاعتقاد ان كل ذنب كفر والامامية جوزوها تقية
والثانى ما يتعلق بالتبليغ واتفق الكل على عدم صدور الذنب منهم فيما يتعلق به كالكذب والتحويف عمدا والا لارتفع الوثوق
ومنهم من جوزه سهوا لان الاحتراز عنه غير ممكن وهو ممنوع والثالث ما يتعلق بالفتيا ولا يجوز خطاهم فيه عمدا بالاجماع والرابع
ما يتعلق بافعالهم وفيه خمسة اقوال احدها جواز الكبائر عمدا وبه قالت الحشوية وثانيها تجويز الصغائر عمدا الا ما يفيد كالتطفيف
لخسة والكذب لمنافاته مقصود البعثة وبه قالت المعتزلة وثالثها منع جوازهما عمدا بل متاولا ورابعها عدم صدور شئ
من القبيلين الا سهوا ويواخذون به للزوم التحفظ عليهم وقدرتهم عليه وخامسها جواز عدمهما مطلقا وبه قالت الرافضة

ووقت العصمة عندهم من وقت مولدهم واكثر المعتزلة على انه وقت بلوغهم ولم يجوز الكفر والكبيرة قبله ومذهب اكثر الاصحاب
وابي علي وابي الهذيل وعند الامام انه يجوز قبل النبوة وبعدها لا يجوز شيء منها مطلقا هذا نقل الامام وعند الآخرين ما سبق
اولا والدليل على وجوب العصمة انه لو جاز ذلك لم تقبل شهادتهم بناء على سقوطهم عن درجتها بمطلق الصغاير فكيف في الاخبار
عن الله سبحانه وكانوا اقل من العصاة وجاز ايذاؤهم وقد لعن الله من يؤذيهم وايضا امرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيجب اتباعه
في المعصية فيلزم الجمع بين الوجوب والحرمة وايضا قال تعالى لا ينال عهدي الظالمين وهو ان كان النبوة فظاهر وان كان الامامة
ولا ينالها الظالم فالنبوة اولى وقال تعالى اني جاعلك للناس اماما والاستدلال به ما سبق والمجوزون لصدور الذنب
من الانبياء تمسكوا في قصة كل نبي بما صدر منه ولما كان قصة كل نبي في سورة ومقام فليذكر الجواب عن تمسك الطاعنين
كلا في محله ولنتعرض لقصة آدم عليه السلام هنا تمسك المثبتون باسناد الظلم والعصيان والاعتراف بالذنب والتوبة والاخراج
من الجنة بطاعة الشيطان وانه لولا مغفرة الله لكان من الخاسرين والجواب عن الكل ان ذلك يتوقف على نبوته وقت النبوة وبالدليل عليه
ولم لا يجوز ان يكون ذلك قبل ان صار نبيا ثم الجواب عن كل واحد يذكر في موضعه والذي يحتاج اليه هنا تاويل الازلال
بسبب اكل الشجرة ويمكن ان يكون ذلك بالنسيان لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وذلك كالصايم يشتغل بامر فيسهو ويأكل
ولا يعاقب عليه لا يقال كان عامدا لقول ابليس ما نهاكما وقاسمهما وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ناسيا لما عوقب
لانه مرفوع القلم واللازم باطل وايضا من حيث العقل هو غير قادر على الفعل لانا نمنع تصديقهما ابليس وقبول نصيحته
مع العلم بعداوته وليس في القرآن ما يدل على ان صدور الفعل كان مسببا عن ذلك الكلام وخبر ابن عباس من الآحاد فلا يعارض
القرآن والمعاقبة قد تكون لترك المحافظة من اسباب النسيان ولا يبعد ان يكون عظم قدرهم يقتضي المؤاخذة بالنسيان
لقوله عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء وقوله تعالى من يأت منكن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين وايضا لعله
عليه السلام حمل النهي على التنزيه او فهم الاشارة الى عين شجرة فاكل من غيرها وكان المراد النوع كما ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى
ذهب وحرير في يده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وفي الآية دليل على كون الجنة في جانب العلو لذكر الهبوط وذكر صاحب المفاتيح
ان حوا سقته الخمر وقال وللقايل ان يقول ان خمر الجنة لا غول فيها اي لا تسكر وفي الآية تحذير عظيم عن الذنب حيث جرى على آدم
بسبب هذه الصغيرة ما جرى قال الشاعر • يا ناظرا يرنو بعيني راقد • ومشاهد الامر غير مشاهد • تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي •
نيل الجنان ونيل فوز العابد • انسيت ان الله اخرج آدما • منها الى الدنيا بذنب واحد • ومن فوايد الآية الايماء الى اشتغال
العبد بالتوبة سئل علي رضي الله عنه عن الرجل يذنب ثم يستغفر ثم يذنب ثم يستغفر فقال يستغفر ليكون الشيطان هو الخاسر
وقال عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال عليه السلام انه ليغان على قلبي واني استغفر في اليوم
مائة مرة وقد ذكر لتاويله وجوه بعد ان ذكر ان الغين هو السحاب الرقيق الذي يمنع كمال ضوء الشمس فقيل كان لعلمه
بحال امته من الاختلافات بعده وغير ذلك ولعل المراد انه لما كان ترك الاولى بالنسبة الى الانبياء كالذنوب فالاولى



بحاله عليه السلام الاستغراق في المعارف والفكر فيها وما عداه مما يستغفر عنه • قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • قد سبق ان الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني الى الارض
ولا ينافيه قوله تعالى ولكم في الارض مستقر لانه اذا كان الانتهاء الى ذلك صح تعقيبه به وقيل الاول يدل على ان هبوطهم الى دار
بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني يشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اطاع الله نجا ومن عصى هلك ولعل فايدة
الاول بيان ان الهبوط لا يفضي الى هلاك بل رحمة سبقت غضبه بحصول الاستقرار على الارض والتمتع بما فيها مدة الحيوة
الا ان نفس المستقر بالمقر كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما والثاني بيان ان الله يرسل الرسل وينزل الكتب فمن تبع هدى الله
لم يخف سوء العاقبة ولا يحزن بفوات مقصود واذا احتمل هذه الوجوه لم يحمل على التاكيد وجميعا تاكيد من حيث المعنى
وان كان ظاهره الحال من الفاعل ولهذا لا يلزم هبوطهم في وقت واحد بل يفيد مجيء الكل بالجمعية واذا حصل مجيء الكل
بالتفرقة صح اجتماع مجيء الكل واصل اما ان زيدت عليها ما للتاكيد ولهذا التناسب اكد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى
الطلب والشرط الثاني مع جوابه جواب الاول ودخول حرف الشك مع تحقق الاتيان للنظر الى ذاته من حيث هو فانه غير
واجب عقلا لا يشكل بانه واجب نظرا الى استحالة وقوع خلاف علم الله ولا تكرار في الهدى لان الثاني اعم من الاول لشموله
ما دل عليه العقل وغيره وهو وان كان من الله تعالى ايضا لكن الظاهر من الهدى الذي يأتي من الله ما حصل بالرسل والكتب
والخوف يستعمل في توقع المكروه والحزن في فوات المحبوب وفي الآية نفي العقاب واثبات الثواب على سبيل المبالغة باعتبار
التعميم وما يقرأ من هدي فعلى لغة هذيل كما قالوا • سبقوا هوي واعنقوا لهواهم • وهذيل تقلب الالف اذا لم تكن للتثنية ياء وتدغم
ويقرأ لا خوف بالفتح فان قيل هلا كانت القراءة المشهورة هذه وهي ابلغ في نفي الخوف قلنا لعل النظر الى ان الواقع وجود
خوف في الجملة كما قال تعالى وقلوبهم وجلة في شان من يتعاطى الطاعات ومن فوايدها الاشارة الى ان المعارف غير ضرورية و
ان المتبع للهدى باعتبار النظر في الادلة ودرك ما هو المراد منها واعتقاد الحق والعمل بمقتضاه مدرك لجميع المطالب
لان عدم الخوف يستدعي السلامة عن الآفات كلها وان لا خوف عليه في جميع المواطن كالقبر وعند الصراط والميزان والحشر
وغيرها وعدم الحزن يقتضي نيل جميع اللذات وادراك عامة المطالب وللمانع من التقليد الاستيناس بها وان كان للمجوز
ان يقدح في الاستدلال ويجعل ما ذهب اليه المقلد نظرا الى اتباعه للمحق هدى • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون • الآية العلامة الظاهرة ويطلق على كل ممكن بالنظر الى دلالته على وجود الصانع واكثر صفاته
ولهذا يقال على المعجزات وحملت على المنزلة وما يعمها والمعقولة ويقال على طايفة من القرآن المتميزة بفصل ماخوذ من اي
لانها تميز اي نوع من آخر او من اوى ويلزم القايل به بان اصلها اية او اوية كتمرة اعلال عينها على غير قياس وفي الصحاح
ان اصلها اوية كرمكة ذكرها سيبويه وقال موضع العين منها واو لان ما كان كذلك وموضع اللام وقيل اييه او آئية
كقايلة حذفت همزتها تخفيفا والذين عطف على من تبع عطف احد القسمين على الآخر والعدول عن سنن المقابلة

وهو من لم يتبع لعله التصريح بمقتضى الخلود في النار اذ التقدير ومن لم يتبع بل كفر بالله وكذب بآياته فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون فان قيل فاذا كان كل من التكفير والتكذيب كافيا في التخليد فما فائدة الجمع قلنا لعل ذلك الاشارة الى الواقع
او ان الاول بالقلب والثاني باللسان فيكون الثاني عنوان الاول فيتوقف الحكم في الظاهر عليه ووجه المناسبة الجمع بين
الترغيب والترهيب لاولاد آدم بعد هبوطه الى العالم السفلي للتحريض على دركه ما اعد لهم في العالم العلوي والآية يمكن حملها
على المعجزة نظرا الى انها اخبار عن الغيب على ما هو عليه اعني قصة آدم مع الملئكة ممن لم يمارس كتب الانبياء بالاتفاق الاعدا
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون • ووجه المناسبة انه سبحانه لما بين
مخاطبة آدم بحال متبع الهدى والمعرض عنه بعد بيان نعمه الجليلة عليه خاطب من اوتي الكتاب المشتمل على ذلك بان يتذكر نعم الله
ويفي بعهد الله السابق واللاحق كما سبق عند ذكر الميثاق والابن من البناء لانه مبنى الاب وابو الحرب وبنت فكر من قبيل
نسبة المصنوع الى الصانع واسرائيل عبري مركب معناه صفوة الله وقيل عبد الله وهو لقب يعقوب عليه السلام وما يقرأ
بقلب الهمزة ياء وحذفهما وحذف احدهما والمراد بذكر النعمة الفكر فيها والقيام بشكرها ولهذا خصها بهم لان الانسان
اذا رأى نعمة على الغير حمله الغيرة والحسد على الكفران ويشكر على ما انعم به عليه ومن جملة نعم الله عليهم ادراك زمن النبي عليه السلام
وعن ابن عباس هو ما استودعوه من التورية وفيه نعت محمد عليه السلام وقيل اراد ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون
والعفو عن اتخاذ العجل وجعلهم ملوكا وانا هم ما لم يؤت احدا من العالمين والنعمة على الآباء نعمة على الابناء وما يقرأ
من اذكروا فالاصل افتعلوا وما يقرأ من اسكان ياء نعمتي وطرحها في الدرج فللذهاب الى عدم تحريك الياء المكسورة ما قبلها
ووفاهم بالعهد الايمان بالله وطاعته ووفاء الله بعهده ان يجازيهم بالجنة وقيل المشار اليه بقوله سبحانه وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا الآية والوفاء تمام الشيء من اوفى ووفى اي اداه وافيا تاما ومعنى بعهدي بما عاهدته اليكم ولزمكم الوفاء به من قوله سبحانه
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقوله سبحانه يتبعون الرسول النبي الامي الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وقيل باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالكرامة
والنعيم المقيم واطلاق العهد على الثواب من باب التشبيه باعتبار انه لا يجوز الاخلال به واقل مراتب الوفاء منا التلفظ
بكلمتي الشهادة واعظمها الاعراض عما سوى الله تعالى ومن الله حقن الدماء والفوز باللقاء وقيل العهدان مضافان الى المفعول
اي اوفوا بما عاهدتموني من التزام الاوامر اوف بما عاهدتكم من الجزاء والاولى اضافة الاول الى الفاعل وهو عهد الله اليهم
بنصب دلائل الانفس والآفاق وبعثة الرسل وانزال الكتب والمفعول محذوف والثاني الاضافة الى المفعول ومضاف
الى المعاهد والمعاهد مثل ومن اوفى بعهده من الله والرهبة نوع من الخوف معه تحرز والمأمور به يتعلق بجميع ما يعن لهم
من الامور ليكون اشمل وان كان المناسب حمله على الرهبة في نقض العهد وتأكده اقوى من اياك نعبد لما فيه من تكرير المفعول
بضمير المتكلم والياء تدل على ان المعنى ان كنتم ترهبون شيئا فارهبوني ومن جملة ما ورد في الكتب المتقدمة ما جاء في الفصل الحادي



عشر من السفر الخامس ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا مثل نبيكم ومن اخوتكم وفيه ان الرب قال لموسى اني مقيم لهم نبيا مثلك
من اخوتهم ومن بين اخوانهم وايما رجل لم يسمع الرجل باسمي انا انتقم منه وهذا يدل على انه ليس من بني اسرائيل كما انه
اذا قيل لبني هاشم انه سيكون من اخوانكم يفهم منه انه لا يكون من بني هاشم ويعقوب لم يكن له اخ الا العيص ولا ولد له
سوى ايوب وهو قبل موسى فلا يكون المبشر به واما النصارى فقد ذكر ابو الحسين في كتاب الغرر انهم ذكروا القبة بفارقليط
وهو مشتق من الحمد واسمه محمد واحمد ومحمود وقيل الفارق بين الحق والباطل وقيل الرجل المبارك وفي الآية دلالة
على ان كثرة النعم يوجب عظم المعصية بالكفران وتمسكت المعتزلة بقوله اوف بعهدكم على وجوب ايصال الثواب الى المطيع
وصح وصف ذلك الوجوب بالعهد لانه يجب الوفاء به فكان اكد من العهد بالايجاب والنذر باليمين والجواب ان الآية تدل
على انه لا يجب على الله شيء لانه لما قدم ذكر النعم ثم رتب عليه الامر بالوفاء بالعهد دل على انها اوجبت عهد العبودية فيكون
العبادة في مقابلتها اداء الواجب واداؤه لا يكون سببا لواجب آخر نعم هو اكد من الثابت بالنذر واليمين باعتبار
انه لو فرض عدم وقوعه لزم الكذب في خبر الله سبحانه وهو محال وفي الآية دليل على ان العبد ينبغي ان لا يخاف غير الله وكذا لا يرجو غيره
وكيف يخاف غيره ومفاتيح الثواب والعقاب بيده • وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون • تعقيب الامر بالايمان الامر بالرهبة لتأكيد الامر به والمخاطبون بنو اسرائيل لعطفه
على خطابهم وقوله لما معكم والمنزل القرآن لقوله تعالى نزل عليك الكتاب ولوصفه بكونه مصدقا وهو كذلك لان في القرآن
موسى وعيسى والتورية والانجيل حق فالايمان به مؤكد للايمان بالتورية وايضا جعلت البشارة بمحمد والقرآن تصديقا
بالتورية والانجيل وتكذيب محمد والقرآن تكذيب التورية هذا وان الكتب الالهية متصدق بعضها بعضا في التوحيد والعدل
والنهي عن المعاصي ولا يشكل بما فيها من التفاوت في التفاريع بحسب المصالح المختلفة في الاعصار واحوال المخاطبين
لاشتمالها على ما فيه صلاح المكلفين اذ المقصود ما وافقت عليه من الاصول ومعنى ولا تكونوا اول كافر به ان لا تكونوا
اول من كفر او فريق كفر فيصح وقوعه خبرا عن ضمير الجمع او يؤول بان لا يكون كل واحد منهم اول كافر ولا يشكل بتقدم
المشركين عليهم في الكفر به اذ المراد التعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول المؤمنين لاختصاصهم بمعرفته ومعرفة
صفاته وكانوا مبشرين بزمانه مستفتحين على الكافرين فالعكس الامر ونظيره اما انا فلست بجاهل اولا تكونوا مثل
اول كافر به مع انكم تعرفون حقيقة دينه او اول كافر من اهل الكتاب او نقول يرجع الضمير المجرور الى الكتاب اي لا تكونوا اول
كافر بكتابكم لان تكذيب محمد عليه السلام تكذيب كتابكم واول من كفر مع العلم وقريش كفروا مع الجهل وايضا لا يشكل بايهام
جواز الكفر اذا لم يتقيد بالاولية لا سيما والتقييد لا يدل على جواز غيره خصوصا وقد دل الدليل على عموم المنع واول افعل
الذي لا فعل له كابل وما يدل عليه الاولى والاول والاوليان كالفضليين ويحتمل ان تكون من آل يؤول فاصله
أوأل من وأل قلبت الهمزة واوا فادغمت وهذا الابدال غير قياس لعدم المقتضي والاشتراء الاستبدال مثل فما ربحت

الحلم بعد كتب بالجهل • والتقدير عند بعضهم ذا ثمن ولا حاجة الى ذلك لان المشتري المبيع لان الباء تدخل في باب الشرى
الشيء المبذول اي لا تستبدلوا بالايمان حظوظ الدنيا وهي الرياسة التي خافوا عليها باتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الثمن القليل وقيل هو ما كان ياخذ احبارهم من الرشى على تحريف الكلم وتسهيل ما صعب عليهم من تكاليف التورية
وقيل الرسوم المعينة من الزروع والثمار • واياي فاتقون مثل اياي فارهبون غير ان الرهبة الخوف والاتقاء
لا يحتاج اليه الا عند الجزم بوجود ما يتقى منه والامر بالرهبة لجواز العقاب وبالتقوى للجزم بمقتضى العقاب فالرهبة
كالمقدمة للتقوى ولهذا ذكرت في الاية المتقدمة التي كالمقدمة للاية الثانية لا سيما والثانية للعلماء والاولى عمت غيرهم
ويجوز امالة تا ولكسرة الراء ويجوز عود الضمير المجرور الى ما معكم • ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون •
اللبس الخلط والتغطية وازالة البيان ومنه لبست الثوب لانه يغطي البدن والحق امر النبي عليه السلام وما اتى به من
كتاب الله تعالى والباطل المحرف وقيل الصدق بالكذب وهو عطف على تشتروا وتكتموا الحق داخل تحت النهي فهو مجزوم
به ويجوز نصبه باضمار ان كقول عبد الرحمن بن حسان • لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • فيكون المعنى
لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق مثل لا تاكل السمك وتشرب اللبن ويؤيده ما يقرا من تكتمون اي وانتم تكتمون
بمعنى كاتمين فيشعر بان الاستقباح باللبس بكتمان الحق وجعل الباء صلة اللبس مثل لبست الشيء بالشيء هو الوجه والمعنى
لا تلبسوا ما في التورية بما ليس منها فيختلط الحق بالباطل فلا يفرق بين ما نزل وبين ما لم ينزل بل افتريتم على الله كذبا وجعلها
مثل كتبت بالقلم انما يتصور ان لو جعل آلة الالتباس الحق بالباطل وجود الباطل وهو ليس اولى من العكس وطريقه بالآلة
مثل نجرت بالقدوم وليس كذلك لتعين القدوم آلة وفسر لبس الحق بالباطل ما سبق من خلط الافتراء والتحريف مع احكام
التورية وكتمان الحق بجحد معرفة النبي عليه السلام من التورية فانها كانت نصوصا خفية تحتاج الى الاستدلال وكانوا يشوشون
وجه الدلالة • وانتم تعلمون محلها النصب بالحالية وفائدة التقييد بيان ان ذلك في حال العلم اقبح فان الجاهل قد يعذر
فان قيل ظاهر الكلام يشعر بان الذي يتقيد به فيدل بطريق المفهوم على جوازه اذا لم يتقيد به قلنا لا نسلم كون المفهوم حجة
وان هذا المفهوم معتد به ولئن سلمنا فحيث لا يظهر بدليل خارجي يمنعه ولا يكون للتقييد فائدة سوى النفي عما عداه فان قيل
ما فائدة وضع المظهر وهو الحق ثانيا موضع ضميره قلنا قد سبق في التقرير المغايرة بين المفهومين لا سيما وحمل الثاني على العموم
متجه وايضا الاضلال لمن سمع الدلائل لا يكون الا بالاخفاء ولا تلبسوا اشارة اليه ولمن لم يسمعه فيمتنع الوصول اليه واليه
اشار بكتمان الحق ولو اتى بالضمير لزم ان يكون المراد بالثاني عين الاول • واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين •
وجه المناسبة انه سبحانه لما نهاهم عن الآثام المختصة بحال اليهودية امرهم بالاتيان بصلوة المسلمين والاجتماع معهم فيها
لانها تفضل صلوة الفرد بسبع وعشرين درجة للجبر واداء الزكوة ليصير عنوانا عن الاعراض عنها وتخصيص الركوع ان اريد
نفسه لانه لم يكن في صلوتهم وقيل المراد الانقياد لاوامر الشرع ونواهيه ومنه قول الشاعر • لا تذل الضعيف علك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه

والزكوة

والزكوة من زكاء الزرع اذا نما فانها تقتضي بركة في المال قال النبي عليه السلام ما نقص مال من صدقة ولا يبعد حمله على الظاهر
بالنظر الى ما ينتفع صاحبه بالباقي لا سيما وتفيده فضيلة الكرم وان كانت من الزكاء وهي الطهارة فلتطهيرها المال وصاحبه
عن رذيلة البخل وفي الاية دليل على كون الكفار مخاطبين بفروع الايمان لانهم امروا بها بعد ما امروا باصوله ولا عبرة
بقول المانع انه يلزم وقوع تكليف ما لا يطاق لانا وان لم يلتزمه نجيب بانه ليس بمحال لنفسه فهو كامر المحدث بالصلوة
اذ المراد ان يزيل الحدث ثم يصلي فكذا هنا يؤمن فياتي بالفروع • اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون
الكتاب افلا تعقلون • الظاهر ان الامر محمول على مجرد الرجحان والبر التوسع في الخير ومنه البر للفضاء الواسع وقيل
المراد به الايمان والدين لما روي ان اليهود كانوا يامرون لمن ينصحونه بالثبات على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان امره حق
وكانوا يمنعون عنه او باتباع التورية وعدم الالتفات الى ما فيها من نعت محمد عليه السلام وقيل بالصدق ويكذبون وقيل
بالخير ويبخلون والاولى الحمل على الاعم ويدل عليه قوله تعالى ولكن البر من اتقى اخبر سبحانه انه جامع للتقوى والهمزة للتوبيخ
ووجه المناسبة انه تعالى لما امرهم باعمال الخير شكرا لما خصهم به من النعم حرضهم عليها بماخذ آخر وهو ان المقصود من امر الناس
بالبر اما النصيحة او الشفقة وعلى التقديرين يبعد في العقل رعاية الغير بهما واغفال النفس راسا والنسيان التسهو
الحاصل بعد حصول العلم اي يتركونها من اعمال الخير كالمنسيات والحال انكم تقرؤون التورية على مخالفة القول العمل
فهو تبكيت على طريقة وانتم تعلمون فانه يكون اقبح وقوله افلا تعقلون تعجب حيث لم يعقلوا قبح صنيعهم او كانه لا عقل
لهم يردعهم عن هذه القبائح فان من ارشد الغير الى الخير وحذره سوء عاقبة الشر ولم ينتفع بقوله لم يكن على قضية
العقل ولهذا قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان متهتك وجاهل متنسك وقال النبي عليه السلام مررت ليلة اسري بي
على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء امتك كانوا يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم قال الشاعر • ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم • فهناك تقبل ان وعظت
وتقتدي • بالراي منك وينفع التعليم • وههنا نكتة وهي ان الهمزة في افلا تعقلون لتقرير عدم العقل وظهور ما هو
كالعبث عنهم فان المقصود من الامر امتثال المامور ونسيانهم انفسهم عن البر يقتضي اعراض المامور عن الامر
واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون •
استعينوا عطف على اقيموا الصلوة فتكون متصلة بخطاب بني اسرائيل والمعنى ان كان قد صعب عليكم ما امرتم به
ونهيتم عنه فاستعينوا بالصوم والصلوة لما في الاول من تصفية النفس بتقليل الغذاء والصبر عن المشتهيات
والثانية من الاعراض عما سوى الله تعالى بعد تقديم الطهارة والتوجه الى الجناب القدسي والمناجات وسؤال الاهتداء
الى الصراط المستقيم والسلامة عن الغضب والضلال وقد ورد في الخبر الصحيح ان الله سبحانه يقول كل عمل ابن آدم له
الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وكان النبي عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقال النبي صلى الله عليه وسلم

خير اعمالكم الصلوة وايضا ما خافوا عليه من فوات المطامع الحاصلة من الرسوم التي سبق ذكرها مجبور بقوله تعالى
وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وعود الضمير الى الاستعانة اولى
وان كانت ابعد غير مذكورة في اللفظ لانها اشمل وان اعيد الى الصلوة فلكونها عماد الدين وعنوان الاسلام وايضا
نفس الاستعانة ليست بكبيرة ووجه كونها كبيرة انها تخالف الدعة والاستراحة واليه اشار سبحانه بقوله كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه ولا يشكل بما يعلم من كون الصوم اشق لجواز ان تكون الصلوة لتكررها كل يوم مرارا اشد تأثيرا نعم
لو فسر الصبر بالصبر على المعاصي تأكد الرجع الى الاستعانة وما قيل اراد كليهما واكتفى باحدهما ضعيف لمخالفة قياس التغليب
والخشوع الاخبات والخوف الدايم بالقلب اي على المتواضعين يقال للرملة المتطامنة خشعة وقيل الخشوع بالبصر والصوت
مخب وقيل في الجوارح ويظنون معناه يتيقنون ولما كان مبدأ العلم لانه يقع المعنى في النفس ثم يصير يقينا بالدلائل
اطلق عليه ويعضده ما في مصحف ابن مسعود يعلمون وانما اقيم مقامه بمشاركته في الرجحان وان يميزه عن الظن بعدم احتمال
النقيض قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه ✽ مخالطا ما بين الشراسيف خايف ✽ فان قيل ما ذكرتم يدل
على استعمال الظن مقام اليقين لكن الاولى ذكر العلم لما في الظن من ايهام جواز عدم اليقين في لقاء الله وهو كفر لان ذلك
مما يجب العلم به فما فايدة العدول ولا يجاب بانه ورد على لغة العرب وهذا الاستعمال منقول عنهم لان الكلام في الاولوية
قلنا هذا الاشكال ذكر صاحب المفاتيح انه يجوز ان يكون الظن بمعناه ويراد باللقاء الموت وهو كاترى او لقاء الثواب
وهو غير متحقق او انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم وكل ذلك لا يشفي عليلا ولا يروي غليلا لانها مقتضيات تجويز الاستعمال
والكلام في الرجحان نعم يمكن ان يجاب عنه بانه لما لم يمكن تفسير اللقاء بالمعنى اللغوي الذي هو وصول احد الجسمين الى الآخر
تعين الحمل على المجاز والاصحاب فسروه بالرؤية وبهذا الاعتبار الزموا المعتزلة كما سيأتي ولا يخفى ان كل احد من اهل العبادة
لا يتيقن رؤية الله تعالى ما لم يختم اعماله بالخير وهذا لا ينافي علم الخاشعين برؤية الله تعالى المستفادة من قوله سبحانه وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقوله عليه السلام سترون ربكم عيانا لان ذلك حكم الجنس من حيث هو وهذا الاستعمال ارجح
لانه اذا كانت العبادة غير ثقيلة على الخاشع مع انه غير عالم بسعادته في الآخرة فكيف بمن يعلمها فهي اذا لم يثقل على الظان
فعلى العالم اولى من غير عكس ووجه عدم الثقل انه اذا توقع العامل بعمله زيادة اجر باشره بطيب النفس غير مظهر لحمل اثقاله
لا سيما اذا كان بحضرة الآمر به فكذلك المكلف واليه الاشارة بقوله عليه السلام تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وقال عليه السلام جعلت قرة عيني في الصلوة وقال يا بلال روحنا ✽ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
تكرير الخطاب ليس لمجرد التوكيد لاشتماله على تذكير تفضيلهم والامر بالاتقاء عن عقاب اليوم الموصوف كانه قال
اذكروا نعمتي بجميع الاعتبارات والتفضيل الذي هو اعظمها وللعناية بشان الامرين المذكورين صرح بذكرهم ثانيا

ردع الفاضي

وللمبالغة

وللمبالغة للاتقاء ذكر النعمة فان من حق المنعم عليه بجلايل النعم ان يحذر بأس المنعم بكفران النعمة وايضا كانه قال ان لم
يطيعوا السوابق النعم فاطيعوا اللواحق النقم ومحل اني فضلتكم النصب بالعطف على نعمتي والمراد بالعالمين عالمي زمان
موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا او يحرفوا وكانوا عالمين بعلمهم والاستدلال به على تفضيل البشر على الملك نظرا
الى ان العالمين جمع محلى فيستغرق ويلزم ان يكونوا افضل من الملئكة لاندراجهم تحت العالمين ضعيف لانه يلزم ان يكون
جميع بني اسرائيل المذكورين افضل من جميع الملئكة مع انهم لم يكونوا انبياء باسرهم وغير النبي لا يكون افضل من الملك وايضا
لو اجرى على ظاهره لزم ان يكونوا افضل من النبي عليه السلام الا ان يقال من كان بعد وما حينئذ لم يتناوله ووجه كونهم افضل
اختصاصهم بما آتاهم الله من الملك والرسالة والكتب الالهية وايضا هذا التفضيل يكفي في ثبوته الفضل باعتبار واحد
ولا يلزم منه الافضلية مطلقا والمعنى باتقاء اليوم اتقاء ما فيه من العذاب ومعنى لا تجزي لا تقضي يقال جزى عنه حقه اذا قضى
عنه غيره حقه فيقال لا تجزي اي لا ينوب فعلى هذا ينتصب شيئا على المصدر اي لا تجزي شيئا من الجزاء ويتعين ذلك فيما يقرأ
لا تجزئ من اجزأ اذا اغنى وعلى الاول مفعول به ومحل الجملة النصب صفة ليوم فتقديره لا تجزي فيه ومن منع في حذف الضمير
المجرور اجراه مجرى المفعول به بعد حذفه ثم حذف كما حذف او مال اصابوا وباعتبار وقوع المنكرات اعني النفسين وشيئا علم
عموم عدم انتفاع نفس شيئا بوجه ما ولهذا قال ابو هريرة رحمه الله عبد الله كان عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فاستحله قبل ان
يؤخذ منه فليس ثمه دينار ولا درهم ووجه التعميم ان الدفع اما ان يكون بقوة وهو النصرة وقد بطلت او بغيرها وهو اما من غير عوض
وهو باطل لعدم نفع الشفاعة او بعوض وقد نفاه بقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا تكرار في لا يجزي ولا ينصرون لان النصرة
ان يحاول التخليص عن حكم المعاقب وقد قيل انه يكون لقوة والمعنى بالشفاعة ان يستوهب احد لاحد شيئا مشتقة من الشفع
الذي هو ضد الوتر لان الشفيع ينضم الى الطالب والضمير يرجع الى النفس العاصية بمعنى عدم القبول انها وان جاءت
بشفاعة شفيع لم يقبل وان اعيد الى النفس الاولى فمعناه انها لم تقبل والعدل الفدية والاصل التسوية سميت الفدية بها
لانها سويت بالمفدى تقول لا اعدل بفلان احدا اي لا ارى له نظيرا وقيل البدل والضمير في لا ينصرون للنفس الثانية والكثرة
في كونها نكرة في سياق النفي والتذكير للنظر الى الاشخاص والاناسي والنصرة يقال في دفع الضر فهي اخص من المعونة واستدلت
المعتزلة بالآية على عدم الشفاعة لانه لو كان لهم شفيع لوصفوا بانهم منصورون وقد وردت ايات كثيرة يجعلونها ادلتهم
مثل فما تنفعهم شفاعة الشافعين والجواب على كل منها يليق بمحله والكلام الاجمالي هو انه قد وردت اخبار كثيرة صحيحة سوى
الآيات دالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكباير فلا بد من الجمع على فرض دلالة الآيات على تعميم النفي فيحمل على عدمها للكفار لا سيما
والخطاب معهم ورد لزعم اليهود ان اباهم تشفع لهم هذا وان دلايلنا تدل على اثبات شفاعة خاصة وادلتهم تفيد
نفي عموم الشفاعة والخاص والعام اذا تعارضا قدم الخاص ثم قوله تعالى ولا هم ينصرون يدل على عدم الدفع بالقهر و
ولا يلزم منه عدم الدفع مطلقا لان عدم المقيد لا يستلزم عدم المطلق ✽ واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء

العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • اي خلصناكم منه وبنواء انجيناكم والتخليص
كالتنجية كانه قال صيرناكم الى النجوة واصل آل اهل قلب الهاء همزة ثم قلب الفا ويدل عليه تصغيره على اهيل وفي هذا الاستعمال
رد على من قال من آل يؤل لانه يصغر على أويل ويختص بالاضافة الى ذوي الاعتبار كالانبياء والملوك لا يقال آل الاسكاف
ويقال لكل من ملك العمالقة فرعون وقيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولعتوهم اشتق منه تفرعن اذا عتا واسمه
مصعب ابن ريان من بقايا عاد وفرعون يوسف اسمه ريان وبينهما اكثر من اربعمائة سنة وما قيل انه تفصيل لما اجمل
في قوله تعالى اذكروا نعمتي ففيه نظر لان حرف العطف يأباه ويحتمل ان يكون التقدير اذكروا النعم في الاحوال ووقت الانجاء فيكون
عطفا على وقت مقدر من باب عطف الاخص على الاعم يسومونكم اي يولونكم من سامه خسفا اذا اولاه قال عمرو بن كلثوم
اذا ما الملك سام الناس خسفا ٭ ابينا ان نقر الخسف فينا ٭ او يريدونكم على ذلك ومنه مساومة البيع واصله الذهاب لطلب
شيء وسوء العذاب اشده وافظعه وهو جامع لجميع الآفات وهو مصدر وقع مفعولا ليسومون ويصلح الجملة لان يكون
حالا من آل فرعون او من بني اسرائيل او منهما لاشتمالها على ضمائرهم على الانفراد والاجتماع مثل قوله تعالى فاتت به قومها
تحمله ويذبحون ويستحيون بدل عن يسومون واستحيى استفعل من الحيوة اي يستبقون بهن للخدمة والنكاح على وجه
الاسترقاق ولما راوا ان الاكابر يموتون والاولاد يقتلون خافوا ان لا يبقى من يعمل الاعمال الشاقة فكانوا يقتلون سنة
عاما ويتركون عاما والنساء جمع لا واحد لها منها ومن حمل على البنات الصغار فلما يؤول اليه لان السبب ان فرعون رأى
في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب ملكه على يده وهذا عين الحماقة لانهم ان صدقوا فلا قدرة عليه والا فلا فائدة
فيه وذلكم يصلح ان يكون اشارة الى الانجاء والى صنيعهم فهو نعمة او محنة والاختبار لما وقع بها اصلح البلاء لهما فيصلح
ان يشار الى المشترك بينهما وهو الاختبار والمنام ان نارا خرجت من بيت المقدس حتى اشتملت بيوت مصر فاحرقت
القبط والتذكير للتأويل بالمذكور ولقائل ان يؤيد الاشارة الى النعمة لقوله سبحانه من ربكم فان المناسب لذكر هذا الوصف
ذلك والعظيم صفة بعد الصفة ولا يشكل بالفصل لانه من تتمته وفيه دليل على ان الخير والشر من الله تعالى قال ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات • واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون • اي فصلنا
بين بعض وبعض حتى صارت اثني عشر مسلكا بعدد الاسباط يقال فرقت بين المعنيين وفرّقت بالتشديد بين الجثتين
والفرق البعض من التفريق ومن جعل الباء للحال فالمعنى فرقنا بكم البحر وانتم فيه والبحر المتسع من الارض وما يقرأ من فرّقنا
فللتكثير فانجيناكم اي خلصناكم من فرعون وقومه ويدل عليه ذكر اغراقهم وقيل اراد بآل فرعون نفسه روي ان الحسن كان يقول
اللهم صل على آل محمد اي نفسه وارادة قومه بالتبعية والحال انكم تنظرون غرقهم بانطباق البحر عليهم او اجسادهم التي قذفها
البحر او ظهور طرق يابسة فيه او بعضكم بعضا ويدل على هذا ان بني اسرائيل لما دخلوا البحر بعد ان جاؤوا الى الساحل
بامر الله تعالى موسى وتبعهم فرعون قالوا نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم فظهرت منافذ فتسامعوا فتراءوا حتى عبروا



فلما وصل فرعون توقف فغلبه فرسه ودخل البحر فتبعه قومه فاغرقوا وادخلوا النار ولا يخفى ان هذه المعجزة تتضمن نعمة
عظيمة على بني اسرائيل وتستلزم الاعتراف بوجود اله عالم قادر متوحد بالالوهية ومع ذلك عبدوا العجل وقالوا اجعل لنا الها
كما لهم آلهة ومن هنا يعلم اختصاص امة محمد عليه السلام بالفطنة والذكاء حيث كانت المعجزة هذا الكتاب الالهي الذي لا يعلم شأنه
الا بالفكر الثاقب والنظر الصائب • واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم
من بعد ذلك لعلكم تشكرون • اي وعدنا موسى ان نكلمه عند انقضاء هذه المدة واصل موسى موشا ومو هو الماء بالعبرانية
وشا الشجر وسمي به لانه وجد عنده وكان الوعد باعطاء التورية بعد هلاك فرعون والميقات ذو القعدة وعشر الحجة وقيل هي عشر
المحرم والتعبير عن الايام بالليالي لان اول الشهر ليلة الهلال والليل زمان امتداد الظلمة العامة وقيل من غروب الشمس الى طلوعها
وقرئ واعدنا لان موسى وعد مع الله المجيء الى الميقات كما وعده الوحي ويجوز ان يكون من قبيل عافاك الله والاتخاذ اما ابتداء
عمل صنعة نحو اتخذت سيفا او اتخاذ وصف نحو اتخذت زيدا صديقا فعلى الاول معناه صنعتم عجلا فله مفعول واحد وذلك
بصناعة السامري بعد جمعه حلي القبط الذي كان معه ومع بني اسرائيل فقيل صار عجلا من دم ولحم بعد القائه قبضة من تراب
اثر حافر فرس جبرئيل وعلى الثاني يستدعي مفعولين اي اتخذتم العجل معبودا ويحتمل ان يكون التقييد بالحال لاثبات كون الاتخاذ
ظلما بزعمهم ايضا لو راجعوا عقولهم بادنى تأمل والذال يظهر وابو بكر يدغم والضمير في من بعده لموسى او مضيه وانتم ظالمون
بالشرك بعد ظهور موجب التوحيد وانما راج عليهم فعل السامري بعد مشاهدة تلك الوقائع وحصول العلم بوجود الاله
كالضروري اما لان السامري قد قال لهم ان موسى انما قدر على الخوارق بسبب الطلسمات وانما اتخذ طلسما تقدرون بسببه عليها
او انهم كانوا مجسمة وحلولية جوزوا حلول الاله في بعض الاجسام واستدلال المعتزلة بكون المعاصي ليست بخلق الله والا لما ذم
ينبني على فعل المدح والذم وهو معارض بالداعي والعلم كما سبق ومعنى ثم عفونا ثم محونا عنكم اثر الذنوب بعد التوبة من عفا الشيء
اذا اندرس اثره وجاء متعديا لكي تشكروا نعمة الله عليكم وتثنوا على المنعم الحقيقي وما في الاعراب وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها
بعشر نظير قوله سبحانه ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة على ما قال الحسن فالمواعدة فيها على الاربعين ابتداء
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون • قيل اراد بالفرقان التورية والعطف لتغاير الوصفين لفظا قال
الا حبذا هند وارض بها هند ٭ وهند اتى من دونها النأي والبعد ٭ وكونها فرقانا لانها تفرق بين الحق والباطل وقيل انفلاق
البحر وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل وقيل النصر على العدو ومنه يوم الفرقان
ليوم بدر وقيل ومحمد الفرقان واليه مال الفراء وثعلب ولعل للتعليل وعند سيبويه لرجاء الهداية وهذه نعمة رابعة عدها عليهم
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم
انه هو التواب الرحيم • اي اذكر وقت قول موسى لقومه وهو عند رجوعه عن الموعد وهذا ايضا من جملة النعم لما فيها من بيان
ما يتخلصون عن الذنوب فمعنى توبوا اعزموا على التوبة فانها لا تتم الا بالقتل ولهذا ذهب بعضهم الى انه ليس من النعم والبارئ الخالق

من برى يبراء فهو بارى اى من خلقكم بريا من التفاوت واصل التركيب للخلوص ومنه برى المريض والمديون وقيل المراد
العزم على التوبة بل نفسها اى فتوبوا فاقتلوا انفسكم اى ليقتل بعضكم بعضا بالبخع والفاء الاولى للتسبية لان الظلم سبب
التوبة والثانية للتعقيب لان القتل من تمام التوبة والقتل ازالة الحركة ومنه قتلت الخمر اذا مزجتها بالماء والقاتلون
من لم يعبدوا العجل لمن عبدوه وقيل الذين اختارهم موسى روى انهم لم يقدروا الامتثال لما راوا الاقارب فجارت
ضبابة وسحابة سوداء فلم يتباصروا وقتلوا من الغداة الى العشى فقتل سبعون الفا يقتل الاب الابن وبالعكس روى
انه قيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد ورجل فقالوا آمين حتى نزلت التوبة بدعاء موسى وهرون
وكون ذلك خيرا عند البارى باعتبار انه طهرة من الشرك وسبب للحيوة الابدية ولهذا قيل اقتلوها بقطع الشهوات واوحى
الى موسى من قتل فهو شهيد ومن لم يقتل فقد تبت عليه وغفرت له وفاء فتاب عليكم للعطف على محذوف مثل ففعلتم فتاب
عليكم على طريقة الالتفات وان جعل من كلام موسى عليه السلام فتقديره ان فعلتم فقد تاب عليكم وفائدة ترتب الامر على ذكر
البارى للاشارة الى نهاية الجهل حيث تركوا عبادة الخالق واختاروا عليها عبادة العجل وهى مثل فى الغباوة ولهذا اعذبوا
بخراب البدن ولعل ذلك ايماء بان عقوبة المرتد الذى لا يرجع ليست الا القتل لانهم عذبوا به مع الرجوع لا يقال كيف يكون القتل
توبة والعبادات الشرعية شرعت لمصالح العباد فى المستقبل وليس بعد القتل حال تكليف لانا نقول خلاصهم عن الذنب
يفيدهم فى المستقبل بعد الموت الحيوة الابدية والثواب الموقوف للتوبة المتجاوز عن الذنب الرحيم بها لافاضة اصناف
النعم • واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون • القائلون السبعون المختارون منهم
وقيل عشرة الف من قومه عطف على واذ قال اى قلتم لن نؤمن لاجل قولك اولن نقر بك والمؤمن به ان الله اعطاك
التورية وكلمك او بنبوتك حتى نرى الله عيانا صفة مصدر محذوف اى رؤية جهرة استعيرت الجهرة للمعاينة واصل الجهر
الظهور والاظهار ايضا ومنه جهرت البئر اذا اخرجت حمأتها وجهرت بالقراءة فالعلاقة التشبيه وروى انه ظهر غمام فدخل
فيه موسى عليه السلام والقوم فسمعوا كلام الله ووقع على جبهة موسى نور لم يستطع احد من بنى اسرائيل النظر اليه وتصبه فمن قبيل
رجع القهقرى ويجوز ان يكون حالا من فاعل نرى او من الله وما يقرا من الجهرة بالفتح فلانه كالغلبة او الكتبة مصدرا او جمعا
واخذ الصاعقة اياهم بان جاءت نار فاحرقتهم او صيحة او جنود سمعوا حسيسها ومدة خرورهم صعقين ميتين يوم وليلة
فالصاعقة سبب الموت لا نفسها كما قيل وقول من قال ان موسى دخل فيها غلط بدليل فلما افاق واخذ الصاعقة للافراط
فى المعاندة وتنزيل رؤية الله منزلة رؤية الاجسام المتحيزة بالاحياز المقابلة للحاسة بل الكلام ان ذلك هل يتفق للافراد
الانبياء فى الدنيا نعم يحصل للسعداء فى دار البقاء وانتم تنظرون لحوق هذه الامور بكم والبعث بعد الموت الحاصل بالصاعقة
غير البعث بغيره لانه يتفاوت المقتضى لكى تشكروا نعمة البعث والشكر يتناول جميع العبادات لقوله اعملوا آل داود شكرا
واستدلت المعتزلة بهذه الآية على استحالة الرؤية وذلك لاستعظام الله اياها نحو قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل



عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة ونحوها والجواب انه لم لا يجوز ان يكون ذلك
لاستحالته فى الدنيا دون الآخرة او انه اذا رؤى الله ارتفع التكليف او انه كان لتعنتهم • وظللنا عليكم الغمام وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون • قيل الظلل عدم الشمس من المكان
ولو زيد زمان طلوعها كان اولى الآن يقال على الليل فالمعنى سترناكم بان جعلنا فوقكم السحاب الرقيق وانكر ابن عباس كون
الغمام من جنس السحاب لقوله تعالى فى ظلل من الغمام كان الغمام يسترهم عن الشمس وكان ينزل بالليل عمود من النار يسير
معهم ولا تتسخ ثيابهم ولا تبلى والمن الترنجبين وعن ابن عباس انه طلل يقع على الشجر من طلوع الفجر الى الشمس وقيل ماء وقيل
الزنجبيل وقيل الخبز الرقاق وواحد السلوى سلواة وهى السمانى يبعث عليهم الجنوب قال انى لتفض السلواة من بلل القطر
ومن قال العسل فلقوله وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها وقلنا لهم كلوا من حلالات ما رزقناكم او لو بدا
وفى الكلام اختصار اذ التقدير فظلموا بان كفروا هذه النعم او اخذوا اكثر مما اذن لهم او بسؤال غير ذلك الجنس وما ظلمونا ولكن كانوا
ظالمين لانفسهم حيث يختص الوبال بهم • واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين • هذا ايضا من جملة النعم والقرية المجتمع من قريت اى جمعت وهى بيت المقدس وقيل
اريحا وقيل ايليا وقيل قرية بالارض المقدسة فيه المسجد ورغدا اى واسعا فهو منصوب بالمصدرية او حال من فاعل كلوا
والباب من ابواب القرية او باب القبة التى كان موسى عليه السلام يصلى فيها لما نقل انهم لم يدخلوا بيت المقدس فى زمان موسى
فلا يصح على الاول سجدا اى متطامنين مجتبين او شاكرين للاخراج من التيه وقولوا مسألتنا حطة او امرك حطة او امرنا حطة
اى نحط فيها للاقامة وما يقرا من النصب فالتقدير حط عنا اثامنا حطة اذا لم يجعله مفعول قولوا والا يكون محل المضمر منصوبا به
وقرئ يغفر على بناء المجهول والمعروف والمعنى يستر ذنوبكم ومنه المغفر اى بدعائكم وسجودكم تقول حطى اذا قطر الذنب ونفس القصد
اخطأ واسم الاول الخطأ والثانى الخطاء بالفتح واصل خطايا خطائى كخطائع ابدلت الياء الزائدة همزة ثم ابدلت من الثانية ياء ثم
قلبت الفاء فابدلت الهمزة ياء نظرا الى اصل الكلمة وسنزيد ثواب المحسنين من لم تكن له تلك الخطيئة ويغفر من قارفها والزيادة
تشمل منافع الدنيا والدين اى من كان محسنا بهذه الطاعة نزيده سعة فى الدنيا ونزيده على غفران الذنوب اعطاء الثواب
كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة واذ معطوف على نعمتى • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • اى لم يمتثلوا ما امروا به من قول حطة المتضمن للاستغفار والتوبة على وجه بل بدلوه بقول
غير ذلك فسقوا به وهو حطا سمقاثا اى حنطة حمراء وقيل قالوا حنطة بيضاء منقوبة فيها شعيرة استهزاء وقالوا ما اراد موسى
يلعب بنا حطة اى هى حطة ولم يكن المراد خصوصية اللفظ حتى لو قالوا بدل حطة نستغفر الله كفى وامروا بالدخول سجدا فدخلوا
زاحفين على استاههم فانزلنا على الظالمين بذلك عذابا والرجس مثل الرجز وهو ما يعاف منه فى الاصل ووضع الظاهر
موضع المضمر للاشعار بالتسبية كما صرح فى التعليل بالفسق والعذاب الطاعون وقد مات فى ساعة اربعة وعشرون الفا

وقيل من الغداة الى العشى ولم يبق واحد منهم وما يقرا بالضم فلغة فيه وذكر الدخول هنا وفى الاعراف السكون لان الدخول
مقدم على السكون والخطايا هنا والخطيئات ثمه لان اسناد المغفرة هنا الى نفسه فجمع الكثرة اليق • واذ استسقى موسى
لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا • الاستسقاء طلب السقى قيل لعطش فى التيه وقيل بعد
قطع البحر والاولى لجال المعجزان يكون لام الحجر للجنس وما قيل انه للعهد وكان حجرا طوريا حمله يشكل باعتبار خاصيته وقيل
حمل حجرا لانهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها ثم قالوا ان فقد عصاه متنا عطشا فامره الله ان يكلمه فينبع
منه فضرب بعصاه الحجر المكعب فنبع من كل جانب ثلث اعين لكل سبط جدول وهم ستمائة الف معسكرهم اثنا عشر
ميلا وقيل حجرا اعطاه شعيب مع العصا اهبطه آدم قيل ذراع فى ذراع من رخام وقيل مثل راس الانسان والعصا
عشرة اذرع من آس الجنة وقيل من شجر من الاشجار وقيل الحجر الذى ذهب بثوبه لبراءة بنى اسرائيل وتبراة مما رموه به من الادرة
وقوله فانفجرت متعلق بمقدر اى ان ضربت فانفجرت وما يقرا من كسر شين العشرة وفتحها فلغتان والانفجار انصباب الماء
بكثرة مطاوع فجر وهو سعة الشق وانكار ذلك مع ظهور المعجزات التى هى اعظم منه والاعتراف بالخواص لجذب بعض
الاحجار الحديد من عدم التوفيق للفكر فى عجايب الصنع ولا يشكل بالانبجاس الذى هو للقلة لجواز ان يكون فى المبدأ
قليلا ثم يكثر او بحسب الحاجة واذ منصوب عطف على اذكروا نعمتى • قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله
ولا تعثوا فى الارض مفسدين • قد علم صفة لاثنتا عشرة اى علم كل سبط مشربه فلا يتعداه وكلوا على تقدير قلنا كلوا من المن
والسلوى واشربوا من تلك العيون وكلاهما رزق الله والعثو والعثى اشد الفساد والمراد التمادى فى الفساد الذى كانوا فيه
فالتكرار وايضا قد يكون بعضه غير فساد كجزاء الظالم مثل فعله وقتل الخضر الغلام وحمل على التنازع فى الماء ولا تمسك
للمعتزلة بتخصيص الرزق بالحلال نظرا الى ان الامر للاباحة لانه لا يلزم من كون هذا الرزق حلالا ان يكون الكل كذلك
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها • عطف الظرف كما سبق وتسمية المن والسلوى واحدا لاكلهم احدهما مع الآخر او ان احدهما يأتى فى وقت والآخر
فى آخر او ان عادة المترفهين الجمع بين الحلو مع المعتاد او انها لا يختلف يقال مائدة الامير طعام واحد وكانوا فلاحة
فاشتهوا اما العفوه وايضا للملال وان الطعام الواحد يضعف او قصد الخروج لانه لا يوجد فى التيه ولا دلالة على كون
السؤال معصية باعتبار الاستفهام المتضمن للانكار لان الاجابة الى المعصية معصية ولعل المنع عن السؤال لتفويتهم
الانفع فى الدنيا ومعنى يخرج يظهر جزم بجواب ادع لانه سبب للحصول واسناد الانبات الى الارض لاعتبار السبب القابل
والبقل من الخضر اطايبه التى يعتاد اكلها كالنعناع والقثاء والخيار ويقرا بضم القاف والفوم الحنطة على ما قاله ابن عباس
وعند القراء الثوم لقلب الثاء كجدف ووافقه الكسائى وجماعة لانه انسب الى البقل ولقراءة ابن مسعود وعلقمة ثومها ولقوله
اتستبدلون والحنطة خير ماكول وقيل الخبز تقول فوموا اى اخبزوا • قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير

اهبطوا

فى ماهية عصا موسى

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله • اى اتبدلون وادنى من الدنو وهو
حقيقة فى القرب المكانى مستعار لدنو المنزلة وهى الخسة يقال فى العكس بعيد المنزلة للشريف وما يقرا بالهمز فمن الدناءة
وخيرية المن والسلوى فى النفع واللذة وعدم الحاجة الى السعى وقيل لانه اختيار الله لهم والهبوط الانحدار يقال هبط
الوادى اذا نزل وهبط منه اذا خرج ويقرا بضم الباء وهبوط المصر لوجدان ما طلبوه كما قال فان لكم ما سألتم والمراد
اى مصر كان وقيل مصر فرعون وسكون وسطه يقتضى ترجيح صرفه ويتعين ان اريد به الموضع وفى مصحف عبد الله بغير تنوين
كقوله اليس لى ملك مصر ونظير الاستعمالين لم يلفع بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد فى العلب • وقيل اصله مصرائيم
فعرب واصل الحد بين الشيئين قال وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وضرب الذلة الزامها اياهم
بحيث لا ينفك عنهم والذلة الهوان واصله من اللين ضد العزة والمسكنة من السكون لان الفقير مسلوب الحركة والضعف
والصغار وهو مناسب لان فيهم اغنياء والاكثر على ان المراد الذين كانوا فى عهد النبى عليه السلام فالذلة الجزية ومعنى ضربت
احيطة القبة بمن ضربت عليه وهم فى الغالب اذلاء اما حقيقة او تكلفا من خوف الجزية والبواء الرجوع يقال فى الخير والشر
اى رجعوا وصاروا احقاء به يقال باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصله التسوية وقيل احتملوا واعترفوا
بما استحقوا • ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • اى هذه
انواع العقوبات من ضرب الذلة والمسكنة والرجوع بغضب الله اى كل ذلك بسبب كفرهم بالمعجزات التى ذكرها من فلق
البحر وغيره وكذا ايات الانجيل والتورية والقرآن لا سيما نعت محمد عليه السلام وآية الرجم وكذا السبب قتلهم زكريا ويحيى
وشعيبا وغيرهم وهم يعترفون انه غير حق لعدم اقترافهم ما يقتضى القتل بزعمهم بل السبب تماديهم فى العصيان وانهماكهم
فى الطغيان واعتدائهم فى حقوق الله وتجاوزهم حدوده فالعلة المجموع نعم قد يكون بعضه سببا للبعض كما ان اعتياد
الصغاير يؤدى الى ارتكاب الكباير فان قيل ما الحكمة فى تعريف الحق ههنا وتنكيره فى آل عمران هذا وان المنكر ابلغ فى التعميم
لانه منفى ويمكن ان يجاب عنه بان لكل عموما باعتبار الاول لما سبق والثانى لكونه جنسا محلا فجاز التعبير بالعبارتين جميعا
والنبى المخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل وقيل مفعل وتوحيد الاشارة مع تعدد المشار اليه كتوحيد الضمير فى قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق • كانه فى الجلد توليع البهق • اذ النظر الى المذكور او الامر المتقدم والمجوز لذلك ان توحيد المبهمات
والمضمرات ليس على وجه الحقيقة لانها لم توضع الا ليتوصل بها الى غيرها فيراد بالاشارة المشار اليه وبالموصول ما هو عبارة
عنه فالتأنيث والجمع لا يلحقان الا ذلك المعنى • ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • قيل المراد جميع من آمن الموافق قلبه
لسانه والمخالف وقيل المخلصون وقيل المنافقون لذكرهم مع الكفرة وقيل فى سلمان قال لما ذكر اصحاب الدير للنبى
عليه السلام فقال هم فى النار اظلمت على الارض فنزلت فكشف عنى جبل وقيل من آمن بنبيه ولم يؤمن بمحمد عليه السلام بعد

وقيل لعيسى من غير تبديل وانتظروا بعثته عليه السلام وقيل طلاب الذين قيس بن ساعده وورقه بن نوفل وزيد بن
حارثه وبحيرا الراهب آمنوا بالنبي عليه السلام قبل بعثته والاولى الحمل على من اقسم بالايمان لئلا يشكل بقوله تعالى
من آمن بالله يقال هاد اذا تاب وتهود اذا دخل في اليهودية سموا بهم لتوبتهم عن عبادة العجل وقيل باسم اكبر اولاد
يعقوب وهو يهوذا فهو معرب والذال ابدلت بالدال لعادة التغيير والنصارى جمع نصران كندامى قوم عيسى عليه السلام
نسبوا الى ناصره قرية او الى قولهم نحن انصار الله يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال • فكلتا هما خرت واسجد راسها
كما سجدت نصرانة لم تحنف • يصف الابل وقيل الى نصرة قرية منزل عيسى عليه السلام فهو جمع نصري وعلى الاول اليا
للمبالغة كما في احمري ويقال الصابي لكل من احدث دينا من صبا اذا مال وحمل عليه ما قرئ بالياء او على تخفيف الهمزة فقيل
قوم بين النصارى والمجوس وقيل انتسبوا الى دين نوح عليه السلام وقيل عبدة الملئكة ويصلون للشمس خمس صلوات
وقيل الكواكب واحد قوليهم ان الله خلق عالم وامر بتعظيم الكواكب والثاني ان الله خلقها لكنها مدبرة الخير والشر
وقوله تعالى من آمن الخ محمول على تجدد الايمان والاخلاص فيه نظرا الى ذكر الكفرة قبل حيث اريد بالذين آمنوا المنافقين
وعلى هذا الجنس جعل الجملة بدلا من اسم ان او من كان مصدقا بالمبدا والمعاد في دينه قبل الفسخ وبالنظر الى المؤمن
يراد من دام على ايمانه او من مات عليه ولما تضمن المبتدا وهو من معنى الشرط دخل الفا في خبره نظرا الى انه لا يغير
الاخبار بخلاف ليت ولعل ورجح لقوله تعالى فلهم عذاب اليم وعدم الخوف والحزن قيل في الدنيا والاولى في الآخرة يعني
يخاف الكفار ويحزن المقصرون على تفويت الحظوظ • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين • يعني الميثاق
المؤكد باتباع موسى والعمل بالتورية وقد رفعنا فوقكم الجبل المنبت للزرع الذي كلم الله موسى عليه اقبلوا الاحكام التي فيها
واعملوا بها بجد وترك شك وقيل بقدرة الله واستطاعة فادرسوه وتفكروا فيه فانه ذكر القلب او اذكروا او اعملوا به لكي
يندفع عنكم العذاب الذي هو جزاء المعاصي او راجين الاتقاء منه روي انهم امتنعوا عن قبول احكام التورية لما فيها
من الثقل فنتق الله جبلا على قدر معسكرهم فرسخا في فرسخ فاوحى الله الى موسى قيل لهم ان فعلتم ما امرتم به والا رضختكم به
واغرقتكم بالبحر واحرقتكم بالنار لانه جاء بهم البحر من خلفهم وبعث نار من قبل وجوههم ويفر اراتبتكم واذكروا وتذكروا
ثم اعرضتم عن الوفاء بذلك الميثاق بعد هذا التاكيد فلولا فضل الله بتوفيقكم للتوبة عن الاعراض وتاخير العذاب
او بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه يهديكم الى الصراط المستقيم فيكون الخطاب للحاضرين لكنتم من الهالكين حيث
بقيتم في الضلال والانهماك في المعاصي في فترة من الرسل ولولا امتناع الشيء لوجود غيره لان لو للامتناع ولا للنفي
ولهذه الدلالة وجب حذف خبر مبتدا دخل عليه اذا كان مطلق الوجود لسد الجواب مسده وعند الكوفيين مرتفع
بنحو وجد نحو لولا وجد علي لهلك عمر لا يقال وقوف الجبل فوقهم ينافي التكليف لانهم لما شاهدوا السموات مرفوعة

بلا عماد

بلا عماد جاز ان يزول عنهم الخوف فلا يلزم الالجاء هكذا قاله القاضي وفيه رد قول المعتزلة حيث جعل انتفاء الخسران
سببا عن فضل الله بحيث لا يوجد يكون منفيا فلم يوجد اللطف • ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم
كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين • اي عرفتم الذين جاوزوا ما حد لهم
واللام موطئة القسم واعتداؤهم مخالفتهم لما امروا به من الانقطاع للعبادة يوم السبت واصله القطع وان كان
المعنى سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء كان من طايفة منهم في زمن داود عليه السلام حفروا حياضا
وشرعوا اليه الجداول في قرية يقال لها ايلة على الساحل بين المدينة والشام فيدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد وذلك لانه اذا كان يوم السبت اجتمعت الحيتان هناك واخرجت خراطيمها واذا مضى تفرقت فقلنا لهؤلاء كونوا
جامعين بين صورة القرد والصغار والطرد من الله تعالى مثل كن فيكون اي لم يعجز الله عن انزال العقوبة ولم يمتنع ان يتكلم
الله عند هذا غير ان المؤثر الارادة وقيل هو تمثيل لسرعة تصيير الله اياهم قردة وجميع المفسرين على انه في الصورة غير
مجاهد فانه حمل على مسخ القلوب من قبيل ضرب المثل كمثل الحمار يحمل اسفارا واستدل بان الانسان هو الهيكل المحسوس
فاذا ابطلها وخلق شكل القرد يكون اعداما لا مسخا وايضا اذا جوز ذلك لا نامن ان كل ما نراه انسانا كان قردا او كلبا
فيقع الشك في المشاهدات واجيب بان الهيكل يتغير بالسمن والهزال بل امر آخر وقد يتطرق اليه التغير وهو المسخ وعن الثاني
ان الامان يحصل باجماع الامة والكلام في انهم ان تغيروا بالكلية لم يدركوا شيئا والجواب بجواز الادراك مع تغير الصورة
وذلك داخل تحت حيز الامكان لكن رواية ابن عباس انهم ما بقوا اكثر من ثلثة ايام يغني عن هذا البحث وقد يقرا بكسر
الراء وفتح القاف وخاسين بغير همز والخسوء زجر الكلب فجعلنا تلك العقوبة سبب تنكيل المعتبر بها وامتناعه
عن موجباتها من نكل اذا امتنع وجبن ومنه النكل للقيد وذلك التنكيل لما قبل هذه الامة وما بعدها من الامم لشهرتها
بين الفرق وهو ابعد من الحمل على ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وان كانت استعمالا على الاصل وصارت موعظة
للمتقين منهم او كل متق فهو كهدى للمتقين والمراد الخايفون من العذاب • واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين • الوفاق على ان اول القصة وهو واذ قتلتم نفسا مؤخر
في التلاوة والسبب استقلاله بنوع آخر من مقابحهم اعني الاستهزاء بالامر وترك المسارعة وكثرة السؤال روي انه كان
فيهم شيخ غني فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة وجاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله بذلك والاشتقاق
بقرة من البقر وهو الشق لانها تشق الارض للزراعة ومعنى اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او مهزوا بنا او نفس الهزؤ
للمبالغة وقرئ هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وسكون الزاء والهمز والاستعاذة من الجهل لان الهزؤ في امثاله
جهل لا يليق بالانبياء كانه برهن على عدمه بانه لو صدر منه الهزؤ لكان من الجاهلين واللازم باطل فالملزوم مثله
والجهل الاعتقاد الغير المطابق وهو نقيض العلم باي شيء فسر واختلف في انهم كفروا بذلك حيث نسبوا في احياء الله

الموتى اذ ان موسى هل يقول من عند نفسه وينسبه الى الله تعالى او لم يكن كفرا للحمل على المداعبة وهي جائزة من الانبياء
وقول موسى يدل على ان الاستهزاء من الكبائر العظام • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون • حق السؤال بان يكون بكيف التي يطلب بها بيان الوصف والحال دون
ما التي يطلب بها الجنس والحقيقة لكنهم لما استغربوا ذلك جعلوها لمجهول الحقيقة ويحتمل ان يكون اختيارا بقصد السؤال
عن ماهية الوصف ثم اختلف في ان المراد كانت غير معينة او معينة ويدل على الاول ما روى الحسن عن النبي عليه السلام
والذي نفس محمد بيده لو اعترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم ثم قيل كان القصد دفع
الذبح وقيل لا ومن قال بالثاني فلاجراء تلك الصفات عليها ولانه اراد الله ذبح بقرة تخص كان بارا بامه وقال ابن عباس
كان رجلا صالحا وله ابن طفل وكان له عجلة فاتى بها غيضة فاستودعها الله لابنه حتى كبر فصارت عوانا فيها فلما كبر قالت له
امه وكان بارا بها ان اباك استودع الله لك عجلة فاذهب الى غيضة كذا فادع اله ابراهيم واسحق واسمعيل ان يردها
عليك ففعل فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه ثم باعها منهم بملأ مسكها ذهبا وقيل بوزنها عشر مرات وكانت البقرة
اذ ذاك بثلثة دنانير ويلزم القايل بمفهوم الخبر انها لم تكن معينة فصارت معينة النسخ قبل الفعل لان المكلف به كان على
التخيير فصار مخصوصا بواحد بعينه وان يتأخر البيان عن وقت الخطاب وللقايل ان يقول هو كما ترى مصادرة بل
الاولى ان يقال انه مطلق لا عموم فيه لانه لو قال اي بقرة شئتم لم يكن تكرارا ولا ركة وبقرة معينة نقصا وله التزامهما ومنع
جواز هذا الاستعمال اما الاول فلقصة ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم واما الثاني فلقوله تعالى ثم ان علينا
بيانه ثم من الناس من قال بانه للعموم لان معناه اذبحوا اي بقرة شئتم ومفعول يؤمرون محذوف اي يؤمرون به لقوله
امرتك الخير او ما مصدرية والمصدر مؤول بالمفعول والفارض المسنة يقال فرضت البقرة فروضا من القطع كانها فرضت
سنها قال لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا • تساق اليه ما تقوم على رجل • فالبكر الفتية والتركيب للاولية ومنه البكرة
والباكورة والعوان النصف في السن قال نواعم بين ابكار وعون • وبين ذلك اي المسنين وهو الكمال للخروج عن نقصان
الصغر وعدم لحوق ضعف الكبر ولابهام الاشارة ناب مناب المتعدد لاسماء وتأنيثها وتذكيرها وجمعها ليست على الحقيقة
اذ النظر الى المشار اليه قال ان للخير والشر مدى • وكلا ذلك قول وعمل • واعتذر الزجاج عن التذكير بارادة المذكور ومنع
ابو علي ذلك وقد سبق نظيره • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين
السؤال بما عن حقيقة اللون والفقوع نصوع الصفرة ويدل عليه انها اكدت به يقال اصفر فاقع واحمر قاني واسود
حالك وابيض يقق ولم يؤنث لان الفعل للون وقد ارتفع به وقال الحسن شديدة السواد وبه فسر قوله سبحانه جمالات
صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • فقيل انها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه
صفرة وليس بقوي لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع ويمكن ان يرد ذلك بالسواد ايضا بقوله سبحانه تسر الناظرين

فانه

فانه لا سرور في رؤية السواد وفي المفاتيح ان السرور حالة نفسانية تحصل من اعتقاد او علم او ظن بحصول لذة وقال
صاحب الانوار انه حصول لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه فان قيل فما وجه سببية كون البقرة للسرور على التفسير بما
قلنا لعل السبب خاصية في هذا اللون واطلاق السرور على نوع لذة يحصل من رؤيته بلون مجازا والا فلا يظهر له وجه
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون • السؤال بما هنا على طريقة السؤال
الاول وقولهم ان البقر يجري مجرى التمهيد لعذرهم في السؤال لانه اذا كان البقر الموصوف بهذه الاوصاف كثيرا لم يعلم
تعين المراد الا بمميز آخر ويقرأ ان الباقر والتشابه الدخول في الشبه ويقرأ على اربعة عشر وجها تشابه بالياء وتشابه
ومتشابهة ومشتبه ومتشبه والتاء وتشابه بالادغام والطرح وتشابهت بالتخفيف والتشديد وتشبه وتشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة والتذكير للفظ البقر والتأنيث للبقرة والمراد بالاهتداء الاهتداء الى المأمور
ذبحها او القاتل ويعلم بدبية قول ان شاء الله في كل ما يعن ولهذا قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وقال عليه السلام لو لم يستثنوا لما بين لهم آخر الابد واحتجت المعتزلة والكرامية على حدوث الارادة لان دخول ان يقتضي
انه ان حدثت المشية اهتدانا والجواب لم لا يجوز ان يكون المتجدد المتعلق كما في قوله تعالى ليعلم الله وفيه دليل على ان الحوادث
بارادة الله تعالى للتعليق وانه قد يأمر ولا يريد لانه حدث لو اراد ذلك منهم لوقع في الحال فان قيل ما معنى اضافتهم الرب الى موسى
عليه السلام في هذه الصور مع انه اذا كان المطلوب لو عاش الالطاف كان اللايق تعميم الاضافة قلنا لعل السبب انه اذا
كان موسى هو متصدي لهذا الامر فكانهم قالوا قد عودك الله بالاحسان والتربية فلا يبعد ان يجيبك الى هذا المسؤل
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها
وما كادوا يفعلون • الذلول بناء المبالغة يقال دابة ذلول اي بينة الذل بالكسر اي غير مذللة بالعمل واثارة الارض
وتسقي من سقي اي ليست بناضحة تسقي الحرث ولا الثانية لتأكيد الاولى وتثير وتسقي صفتان لذلول او الكل صفات
للبقرة وما يقرأ بالفتح فالمعنى من حيث هي نحو مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو ومن وقف على ذلول ابتداء
بتثير اي هي تثير الارض وقد سلمها الله من العيوب واهلها ولا شية به من اثار العمل او خلص لونها ولا تخالط لون
الصفرة لون آخر حتى قرنها وظلفها اذ الشية مصدر وشاه اذا خلط بلونه آخر فقالوا الآن حققت البقرة لنا وما يقرأ
بالمد فللاستفهام ويقرأ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوا البقرة الموصوفة بعد ان حصلوها بالشرى وعدم
مقاربتهم للذبح من قبل لكثرة تطويلهم ومسايلتهم او لغلاء ثمنها او خوف الافتضاح وكاد وضع لدنو الخبر من الحصول
وهو كساير الافعال في دخول النفي عليه اذ هو القياس وقيل يفيد الاثبات حينئذ ماضيا كان او مضارعا غير انه ينفي
المقاربة ومنه قوله تعالى لم يكد يراها اي لم يقرب من الرؤية وانكار نفي نفس الرؤية ومنهم من مذهبه الاثبات فيهما اما
في الماضي فقوله تعالى وما كادوا وقد ذبحوا واما في المضارع فلتخطئة الشعراء قول ذي الرمة • اذا غير الهجر المحبين لم يكد

رسيس الهوى من حب مية يفرج • والجواب عن الاول انه لا دلالة له لجواز انهم ما قربوا من الفعل او لانم فعلوه وعن الثاني
ان فهم الاثبات لا يدل على ارادته لجواز ان يكون مذهبهم مذهب من يقول به ولا يخفى توجيه مذهب من قال في الماضي
وجوابه • واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته
لعلكم تعقلون • والقتل وان كان قد صدر عن بعضهم لكنه انما خاطب الجميع بالقتل لوقوعه فيهم والتدارأ التخاصم لان كلا من
المتخاصمين يدفع الآخر او التدافع لان كلا يدفع القتل عن نفسه الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال ثم اتى
بهمزة الوصل ووفاق المفسرين على انه مقدم على قوله تعالى واذ قال موسى كما سبق وفائدته ان يصير قضيتين فيكون ابلغ به
في التقريع ومخرج ما كنتم اي مظهره وانما اعمل لانه لارادة الاستقبال وهو حكاية حال كما حكى الحاضرين في باسط ذراعيه
والكاتمون هم الذين علموه وكتموه لا القاتل فانه جاحد وتذكير ضمير اضربوه مع ان المذكور النفس على ارادة القتيل والضمير المجرور
للبقرة والبعض المضروب به قيل اللسان وقيل فخذها اليمنى وقيل العجز وهو عظم يجلس عليه وقيل باصغرها وقيل غيرها ويحتمل
ان يقال والاولى للتعميم لما تقرر ان الامتثال في هذا الامر يحصل باي جزء كان لان الغرابة فيه اكثر لانتفاء توهم الاختصاص
لعدم الدليل ولا يبعد ان يكون تخصيص البقرة لكونها مثلا في الغباوة فلا يظن فيها وفي ابعاضها خاصية افادة الاحياء
وخطاب كذلك مع ان حضر الاحياء والتقدير فضربوه فحيي ولعل وجه التشبيه ما مر غير مرة من وجود القاتل والفاعل والآيات
والدلايل الدالة على جميع مقدوراته وذلك ليكمل عقولكم لا سيما فيما يتعلق بالاحياء فان من قدر على احياء بعضها قدر على
احياء كلها ويجوز ان يراد العمل بمقتضى العقل وذكر صاحب الانوار انه يجوز ان يكون سبب الاحياء على هذا الوجه ما فيه
من فائدة التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم وبركة التوكل والشفقة على الاولاد وليعلم ان حق الطالب تقديم القربة الحسنى
والمغالاة بثمن ما يتقرب به روي ان عمر ضحى بنجيبة قيمتها ثلثمائة دينار وان الاعتبار في التأثير بالله سبحانه دون الاسباب
وان الحيوة الحقيقية انما تنشأ عن اماتة النفس باعتبار القوة الشهوية وذلك في وقت يزول عنها شرة الصبي
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها عرية عن سمة مقابحها فحينئذ
تحيي حيوة طيبة وتخبر عما ينكشف لها من المعارف على ما هي عليها فيرتفع التدارأ بين العقل والوهم وفي الآية دليل على انه سبحانه
عالم بجميع المعلومات والا لما قدر على ذلك وروي انه قام عاميل واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان ابنا عمه
ثم سقط ميتا وقتلا ولم يورث قاتل بعده وكذلك عندنا وان لم يأثم ولم يضمن وجمع الآيات مع ان الاحياء امر واحد فلانه
يدل على صدق غير القاتل وبراءته وغير ذلك • ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون القساوة
الصلابة اي صلبت بالجرأة على الله باقتراف المعاصي وهو مثل لنبوها عن قبول الحق وذلك اشارة الى احياء الميت لما روي
ان القاتل انكر القتل مع ذلك ونسبه الى الكذب وقيل الى جميع ما تقدم من الآيات وثم للاستبعاد لسبق ما يوجب اللين

ثم هي

ثم هي في القساوة كالحجارة او اشد منها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة نحو الحديد واشد معطوف على الكاف
ويؤيده قراءة الفتح للعطف على الحجارة واختيار اشد على اقسى مع صحة بنائه لما فيه من المبالغة للتصريح باشتداد
القسوتين والزيادة فيها ويحتمل ان يكون لذكر الشيء مبهما ثم مفسرا واو للتخيير وان لم يكن في الامر لانه في قوة اباحة التشبيه
بكل منهما وقيل للشك عند السامع التفجر انصباب الماء كالانفجار ويكون بسعة ثم استدل على افضلية الحجارة على قلوبهم
بتفجر الانهار من بعضها ويقرأ ينفجر وكذا التشقق اي بعضها عن الماء والفرق ان الثاني لا يبلغ نهرا ولذا نزل بعضها
من خوف الله بعد ان يحدث الله فيها تمييزا نحو قوله سبحانه لو انزلنا هذا القرآن الآية والانقياد لامر الله ولقايل ان يقول
حصول هذه الاوصاف في الحجارة انما هي باحداث الله تعالى فيها ولا اختيار ولا ارادة لها بل هي مسخرة لارادة الله تعالى
وقلوب هؤلاء مساوية لها بهذا الاعتبار فما وجه الترجيح ويحتمل ان يجاب عنه بان ذلك لعله الاشارة الى انه سبحانه
منعها الاستعداد الممكن حصوله للحجارة فيكون ترجيحها في القسوة كذلك ويقرأ يهبط بالمجهول وان على انها المخففة
من الثقيلة نحو ان كل لما جميع وقيل المخاطبون اهل الكتاب في عهد النبي عليه السلام وحمل او على الواو مثل وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون والضمير في منها لما يهبط يرجع الى القلوب وليس بسديد تركيبا ومعنى وفي المفاتيح ان اكثر المفسرين
على انه يرجع الى الحجارة على معنى ان ذلك الهبوط لو وجد من العاقل المختار كان به خاشعا وهو كقوله جدارا يريد والتحقيق
ما سبق وعدم غفلة الله تعالى عبارة عن المحافظة على اعمالهم واحصائها وقرئ يعملون بالياء وهو وعيد ولعله على لازم
القسوة او سببها وذهب بعضهم الى انه لا يوصف الحق تعالى بانه ليس بغافل لانه يوهم جواز الغفلة ولعله تأول الآية
والحق جواز الوصف لعدم الغفلة لان نفي الصفة لا يستلزم صحة ثبوتها نحو لا تأخذه سنة • افتطمعون ان يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون • الطمع رجاء الشيء والرغبة فيه خاطب به
النبي عليه السلام والمؤمنين اي اترجون احداثهم الايمان لدعوتكم او الاستجابة لكم بالتصديق او اظهار وجدان نعت
محمد صلى الله عليه وسلم في التورية او تصديقكم للسؤال عن حقية نبوته ويقرأ كلم الله والحال ان بعض اسلافهم كانوا يسمعون
التورية ثم يحرفونها كما حرفوا صفة النبي عليه السلام وآية الرجم او ما قال بعض السبعين المختارين سمعنا الله يقول في آخر
كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا وهذا كله بعد ما ادركوه بعقولهم وتحققهم اياه
وتيقنهم كذبهم وافتراءهم وكان المعنى اي بعد في كفر هؤلاء وتحريفهم وهذا حال متقدميهم وعظمائهم من قبل وان يؤمنوا
منصوب بنزع الخافض اي في ان يؤمنوا ومعنى وهم يعلمون انهم يحرفونه عالمين بانه وبال ذلك راجع اليهم وصاحب
الحال فاعل يحرفون واختلف في انه لليأس عن ايمان طائفة باعيانهم او انه لمجرد استبعاد والظاهر من الاستفهام
المتضمن للانكار الجزم بعدم ايمانهم • واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • فاعل لقوا ضمير المنافقين

والقتل وان كان قد صدر بابه (margin note)

يعنى انهم اذا اجتمعوا مع المؤمنين اظهروا الايمان وما وجدوا فى التورية من نعت محمد عليه السلام واذا رجعوا الى من لم ينافق
منهم لاموهم وعاتبوهم على اخبار اصحاب محمد عليه السلام بنعته الذى علمهم الله اياه وهذا الا لاظهار التصلب فى اليهودية
فينافقون الفريقين ويحذرونهم ان يحتج المؤمنون عليهم بما انزل الله فى كتابه بان يقول لهم المؤمنون على سبيل الالزام
قد انزل الله فى كتابكم كذا وجعل ذلك محاجة عند الله لانه لا يخفى عليه خافية فيعلم اظهارهم الايمان وابطانهم الكفر وهذا
اذا لم يحمل على يوم القيمة وقيل عند كتاب ربكم وفى حكم ربكم كما يقال عند الشافعى وابى حنيفة رحمهما الله اى فى اعتقادهما افلا
تعقلون هو انهم يحاجوكم فيغلبونكم بالحجة لان الاقرار بالشئ التزام له وهذا اذا جعل من كلام اللائمين وان كان من
خطاب الله متصلا بقوله تعالى افتطمعون فتقديره افلا تعقلون حالهم حتى يطمعوا فى ايمانهم بعد وتخصيص العلم بالثانى
لانها مسئلة علمية والاولى عادية وفاعل لا يعلمون يحتمل ان يكون القائلين او المقول لهم او المجموع مع المحرفين لان علم
الله باسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء امر محمد عليه السلام واظهار خلافه والتحريف مما يتعلق بهم فالتعميم
اولى لفظا ومعنى قيل كانوا عالمين فخوفهم اليهود وقيل ما علموا فرغبهم فى النظر والتامل ليعلموا ان لهم الها يعرف سرهم
وعلانيتهم فيحذروا بأسه قال القاضى فيه دليل على ان المحاجة كانت طريق الصحابة والمؤمنين حتى قالوا ذلك وان الحجة
قد يكون الزامية وان الذنب مع العلم اقبح • ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم
مما يكسبون • الامى منسوب الى الام لانه اذا تربى معها لم يتعلم ما يتعلم من الرجال فهم قوم لا يقرؤن ولا يكتبون وكذا
ان نسب الى الامة لان معظمهم كذلك قيل الى ام الكتاب اى من نزل عليه وهو يقرأه ولا يعرفه وفى غير هذه الصورة
ينسب الى ام القرى وهى مكة وبهذا القسم استوعب الاقسام فالاولى الضالة المضلة وهم المحرفون والثانية المنافقون
والثالثة المجادلون معهم والرابعة العامة الجهلاء المقلدون للضلال فسبب امتناعهم عن الايمان متعدد والامانى
جمع امنية وهى ما يقدر الانسان فى نفسه او من منى اذا قدر ولهذا يطلق على الكذب قال اعرابى لابن داب اهذا شئ رويته
او تمنيته اى اختلقته وعلى ما يتمنى وما يقرأ فالاستثناء منقطع اذ المعنى يعتقدون اكاذيب قلدوا فيها المحرفين او اباطيل
قلدوهم فيها نحو ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وما قيل الا قراءة خالية عن درك معانيها من قوله • تمنى كتاب الله اول ليله
تمنى داود الزبور على رسل • لا يلايم وصف الامى الا على تاويل المنسوب الى ام الكتاب ونسبة الظن اليهم باعتبار
انه لا مستند لرأيهم يعطيهم اليقين وان جزموا به كاعتقاد المقلد والمبطل فى مذهبه ويقرأ امانى بالتخفيف والويل
الهلاك والتحسر وهو مصدر لا فعل له ومصحح الابتداء به انه دعاء على طريقة سلام عليكم وما نقل انه واد او جبل فى جهنم
او الشديد من العذاب فلعله تجوز به لما بين من جعل له الويل وبين ذلك المكان من التعلق والكتاب المنسوب اليهم يشمل
المحرف والتاويل الباطل والاولى ان يحمل على التحريف والثانى على التاويل الباطل وفائدة التقييد بالايدى التنصيص

التنصيص على مباشرة الكتبة لا امر الغير بها وهو اولى من التاكيد والثمن القليل اعراض الدنيا فانها حقيرة وان كثرت
بالنسبة الى العذاب المخلد والكتبة الثانية لو حملت على التاويل الرابع لم يلزم التكرار كما سبق وما يكسبونه الرشى التى كانوا
ياخذونها عليها وفى الاية اشعار بذم التقليد ويحمل على التقليد فى الاصول ومن جوز فيها ايضا يحمله على غير المطابق ووصف
الثمن بالقليل للايماء الى نهاية شقوتهم لان عذاب الاخرة لا يقابل بجميع ما فى الدنيا فكيف بالثمن القليل وذكر القاضى ان تلك
الكتابة ليست بخلق الله والا لكانت اضافتهم الى الله تعالى حقيقة ويمكن ان يجاب عنه بانه لو اريد بالحقيقة ظهور تلك
الصورة من الله تعالى فجميع اعمال العباد كذلك لكن قد تقدم غير مرة ان النظر اما الى انه قد جرت عادته سبحانه بالخلق بعد العزم
او باعتبار ظن الداعية وان اريد اسنادها الى الله سبحانه باعتبار الصدور لا على طريقة ساير افعال العباد فهو باطل
باجماع لا قايل به • وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • المس الجمع
بين الشيئين بحيث لا يفصل بينهما وهنا الايصال بالبشرة بحيث يتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له يقال المسه
فلا اجده والايام المعدودة قدر زمان عبادة العجل وهو اربعون يوما وقيل سبعة ايام كل يوم بازاء الف سنة التى هى مدة
الدنيا قالوا ثم تشفع الاباء لنا والمعدودة القليلة المحصورة ومنه وشروه بثمن بخس دراهم معدودة واذا امكثوا هذا
القدر فى النار قال لهم الخزنة يا اعداء الله زعمتم انكم لم تعذبوا فى النار الا اياما معدودة فقد انقضى العدد وبقى الابد وقرئ
اتخذتم باظهار الذال وبالادغام والعهد الوعد او العقد او الخبر وفلن جواب لشرط دل عليه السياق اى ان اتخذتم
عهدا عند الله فلن يخلف الله وعده وهو دليل على استحالة الخلف فى خبره وام متصلة لمعادلتها همزة الاستفهام
فى اتخذتم والسؤال لطلب العلم بتعين احد الامرين وان جعلت منقطعة فمعناها بل تقولون وفيها تقريع وبلى رد
لما تضمن كلامهم من عدم مس النار زمانا طويلا وتختص بجواب النفى وقد ذكر على وجه يكون كالبرهان لانه فى قوة
انكم كسبتم هذه الاثام العظام ومن كسب سيئة احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والسيئة
القبيحة وتطلق على ما يقصد بالذات والخطيئة يغلب فيما يقصد بالعرض وهو على التهكم لان الكسب اجتلاب النفع
وقرئ خطيأته وبقراءة خطيته وخطياته قلبا وادغاما فيهما واحاطتها استيلاؤها عليه بحيث يشمل جملة احواله فيصير
كالمحاط بها وتعين الحمل على الكافر لان المسلم لا يحيط به للتصديق القلبى والاقرار اللسانى والاولون فسروه بالكفر
وفسرها المعتزلة بالكبيرة بناء على انها محبطة للطاعات ليصح حملها على الاحاطة فان المحيط يستر المحاط كسور المدينة
يسترها لاحاطته بها فالمحيطة كالساترة وايضا يكون كالمستولى على الشئ كاحاطة العدو بالعسكر ولا يختص باليهود
وان ورد فيهم اذ النظر الى عموم اللفظ والجواب انه لم لا يجوز ان يفسر بان يكون ظاهره وباطنه موصوفا
بالمعصية بقلبه ولسانه وجوارحه وهو الكافر فالمسلم الذى يطيع الله بقلبه ولسانه وجوارحه ويعصى ببعض

الاعتبارات لم تكن السيئة محيطة به ولا يخفى ان هذا اولى لان الجسم اذا اتصل بجسم آخر من بعض الجوانب دون
البعض لا يكون محيطا ومن هنا ظهر انه لا يصح حمله على خلود صاحب الكبيرة وهذا كله اذا حمل على الخلود على ما لا آخر له
اما اذا حمل على المكث الطويل رعاية للادلة القاطعة يكون الاستدلال ساقطا من وجه آخر واذا تاملت علمت انه
لو منعت مقدماتهم في الاستدلال لم يثبت شيء منها وذكر صاحب الانوار في الحقيقة ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه
استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتأخذه بمجامع قلبه فيصير مايلا
الى المعاصي بالطبع مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله هذا تمام كلامه لا يخفى انه يلزم الكفر باعتبارات كثيرة للمذنب
على هذا الوجه وهنا نكتة وهي اذا كان حال من كسب سيئة واحدة فما حال من كسب سيئات كثيرة واعتاد اقترافها ومن فوايد
انقولون على الله ان كل ما لم يعلم لم يحكم عليه بنفي ولا اثبات وليس لمنكري القياس وخبر الواحد التمسك به بناء على انه قول
بما لا يعلم لان وجوب العمل بعد حصول الظن باليقين اجماعي فيكون معلوما وايضا هذا الكلام في المباحث العلمية والقياس
بحث في المسايل العملية ويكتفى فيها بالظن كما في خبر الواحد • والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون • في هذا الكلام دليل على ان العمل غير داخل في مفهوم الايمان لان الظاهر في العطف المغايرة مطلقا
وحمله على طريقة ملايكته وجبريل ذهاب الى المرجوح وفيه تعقيب الوعيد بالوعد والخوف بالرجاء ويحتمل ان يقال فيه ترجيح
لجانب الرجاء لانه جعل مجرد الكسب للخيرات عنوان السعادة وفي جانب الوعيد قيد بالاكتساب والاحاطة بصاحبه
واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون • وجه المناسبة انه يجري مجرى بيان
بطلان دعواهم ان النار لم تمسهم الا اياما معدودة لانه اذا اخذ عنهم العهد المؤكد فنقضوه بالتولي عنه كيف يصح
دعوى عدم مس النار اياهم الا اياما معدودة لا سيما ويتضمن ذكر نعمة التوفيق بالقيام عليه وهو عطف على
واذ قلتم نفسا والعدول في ان لا تعبدوا عن النهي الذي هو المراد المؤيد بقراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه
الى النفي لانه ابلغ لانه كانه نهي عنه فانتهى فاخبر عنه وهو مثل لا يضار كاتب وهو مثل قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا
اذ الاصل ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع فالتقدير ان احضر وهو منصوب بدلا عن الميثاق او على مقولا لهم
والتقدير بان لا تعبدوا واو ما قرئ بالتاء فلحكاية الخطاب وبالياء لكونهم غايبين وقيل لا تعبدون في موضع الحال
وقيل يجري مجرى جواب القسم كقوله • ولقد علمت لتاتين منيتي • ان المنايا لا تطيش سهامها • وبالوالدين تقديره احسنوا
بالوالدين او تحسنون وقيل وان تحسنوا وقيل واحسانا وما بعده الى قولوا عطف على الوالدين اي احسنوا اليهم
ويتامى كندامى جمع يتيم وهو من لا والد له قبل البلوغ لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ وقيل ابدا ومسكين مفعيل



من السكون كان القلة اسكنه وهو احسن حالا من الفقير عند الشافعي رحمه وتسمى القول حسنا مبالغة ويقرأ بضمتين
وهو لغة الحجاز وحسنا وحسنى كبشرى وهو ما فيه تخلق وارشاد والناس عام وقيل للمومنين وقيل لمحمد عليه السلام واصحابه
وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلوة والزكوة المذكورتان المشروعتان في دينهم والالتفات في توليتم
للمبالغة في التوبيخ ان لم يجعل الخطاب للموجودين في عهده عليه السلام مع ارادة آبائهم على طريقة التغليب لمشاركتهم
في الاعراض عن رعاية الميثاق والاقلون الذين استثناهم الباقون على اليهودية قبل النسخ على وجهها والمسلمون
منهم وعدم التطبيق في وانتم معرضون مع توليتم للاشعار بان شانهم الاعراض عن الوفاء بالميثاق وفي الآية دليل
على وجوب تعظيم الوالدين وان كانا كافرين لعموم اللفظ وبه قال اكثر العلماء وقد قال تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا
لا سيما وترتب الحكم على الوصف يدل على العلية والوصف كونهما والدين وكذا الاستدلال في قوله تعالى وقضى ربك الآية
وقوله تعالى وقل رب ارحمهما مع بيان المقتضي وان كانا كافرين فلا يؤذيهما البتة ويوصل اليهما المنافع بقدر الحاجة
ويدعوهما الى الايمان وان كانا فاسقين فيامرهما بالمعروف بالرفق اقتداء بالخليل عليه السلام ومن الناس من زعم
ان الامر في قولوا مخصوص او منسوخ باية القتال وذكر الباقر رضي الله عنه انه باق على عمومه وذكر في المفاتيح انه الحق
لان موسى وهرون عليهما السلام امرا بدعوة فرعون باللين ولقايل ان يقول سلمنا انه حق ولكن لا بهذا الاعتبار
لان من كان في دين نبي قبل نبينا لم يلزم ثبوته في ديننا وايضا هذا كان في بدو الامر ثم امر بقتاله بل النصرة ان يقال
لا منافاة بينها وبين آية القتال لان من يقاتل معه يدعى الى الاسلام وهو قول حسن • واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون • وهذه نعمة اخرى اقروا بها ثم خالفوا العهد والكلام
في لا تسفكون نهيا او خبرا مثل ما تقدم في لا تعبدون ويمكن حمل سفك الدماء للمخاطبين انفسهم فان من الناس من يفعله
كما ينقل عن الهند او ان المسلمين كالنفس الواحدة او انه اذا صار سببا لسفك دمه فكانه سفك دمه او لا تباشروا
ما يقتضي سفك الدم فيكون شاملا للمنع من القتل وغيره وكذا التاويل في الاخراج او لا يخرج بعضكم بعضا وحمل على المنع
مما يفضي الى فوات الحيوة الحقيقية والاخراج عن الجنة بمعنى الصرف عنها بعد امكان الدخول والاقرار بالميثاق هو الاعتراف
بثبوته وحقيته وحمل وانتم تشهدون على التاكيد كما يقال اقر فلان بكذا شاهدا عليها وقيل وانتم تشهدون على اقرار
اسلافكم وقيل بعضكم لبعض وقيل اقررتم في وقت الميثاق والان تشهدون وهذا اقوى لا سيما وفيه منع التكرار
وقيل قبلتم من الاقرار الذي هو الرضا قال • اليس كلبينا اذا شيتم خطة • اقر كما اقرار الحليلة للبعل •
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم
اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم • ثم للاستبعاد صنيعهم بعد اخذ الميثاق وانضمام الشهادة اليه وانما صح
الخبر عن انتم بهؤلاء لانه كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا اي انتم النابذون للعهد فصار بغيره بالصفة

كتغير الذات ليصح الحمل ولما كانوا كالغيب باعتبار ما سيحكى عنهم وكالحضور باعتبار اسناد صح انتم هؤلآء
وقيل تاكيده والخبر تقتلون وقيل صلة وهؤلآء بمعنى الذين وقيل يا هؤلآء والديار المقام والفريق المخرجون الموحدون
اى تخرجونهم غير مبالين بميثاق الله والمظاهرة المعاونة ماخوذة من الظهر واصل تظاهرون تتظاهرون قيل ادغم
التاء وقيل حذف ويقرا باظهارهما وتظهرون وهو حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما وفيه نظر ويجوز ان يكونه
بدلا او استينافا واسارى جمع اسرى وهو جمع اسير وقيل اجرى مجرى السكران من حيث انه عيب فجمع جمعه ولم يقل
بالفرق غير ابى عمرو واصله الشد بالاسر وهو العدو وفدى وفادى بمعنى وهو البذل عن الشىء لصيانته وقرئ تفدوهم
والمفعول الثانى محذوف اى تفدوهم باموالكم قيل فيه تقديم وتاخير اى تخرجون فريقا وهو محرم اخراجهم وان ياتوكم
اسارى تفادوهم وقيل ضمير الشان وقيل الفصل وقيل مبهم يفسره ما بعده روى ان قريظة والنضير كانا اخوين
والاوس والخزرج ايضا وكان الاولان حلفا والاخيران كذلك فاذا انقضت الحرب بينهما والاجلاء والتخريب فدوا
الاسراء وقيل ان اسرتهم الشياطين تسعون فى انقاذهم بالارشاد ولكن تامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ٭ البعض المؤمن به فداء الاسير والآخر ما عداه مثل المقاتلة
والاجلاء والمظاهرة والجزاء المقابلة للعمل بالثواب او العقاب والخزى الهوان والذل والمقت يقال خزاه الله
اى مقته وابعده قيل من الخزاية وهو الاستحياء لانه يقف حتى يستحيى منه ولذلك يستعمل كل موضع الآخر وهما اجلاء
النظير وضرب الجزية على غيرهم وقيل قتل قريظة وسبى ذراريهم والعذاب الاشد من عذاب الدنيا الرد الى العذاب الاشد
وقيل ما لا روح فيه ولا فرح لهم والاعذاب منكرى الصانع اشد من عذابهم وذلك لان عصيانهم اشد ونفى الغفلة
عن عملهم معناه ان الله يترصد افعالهم ولا يغفل عنها فيتحقق وقرى بالياء نظرا الى مدلول من وتنكير الخزى للتعظيم
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ٭ اى اختاروها على الآخرة
والفاء للعطف على اشتروا او دخلت الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط فنفى تخفيف العذاب فى الدنيا بعدم نقص
الجزية وفى الآخرة بعدم الانقطاع وعدم التقليل وعدم النصرة قد حمل على عدمها فى الدنيا والاولى بالسياق الحمل
على عدمها فى الآخرة بدفع العذاب لان الكافر قد ينصر فى الدنيا ولو برفع الجزية عن بعضهم فى بعض الاوقات
ولا هم ينصرون داخلة فى الصلة ان كان الخبر الذين وان كان الموصول وصفا فهو مرفوع بالعطف على لا يخفف
ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ٭ الكتاب التورية وقفينا
من القفاء نحو ذنبه من الذنب والتقفية الاتباع اى ارسلنا على اثره الرسل وهو يوشع واشمويل وشمعون



وداود وسليمان وذكريا وشعيبا وارميا وعزير وحزقيل واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وهم كانوا على
شريعة موسى وقيل لكل شريعة والا فلا فايدة فى بعثتهم واجوا انه لا يجوز ان يكون لتنفيذ شرايعه والبينات والمعجزات
الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات او الانجيل واصل عيسى بالعبرية ايشوع
ومريم مفعل لانه لم يرد فعيل وهى من كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ويزورهن فيحدث معهن وهنا
الخادم قال رؤبة ٭ قلت لزير لم تصله مريمه ٭ والتاييد التقوية وروح القدس الروح المقدسة مثل رجل صدق وحاتم
الجود ووصف روح عيسى بالقدس لكرامته او التنزه عن مس الشيطان قال عليه السلام ما من مولود الا ومسه الشيطان
غير مريم وابنها وذلك لدعاء امها ولذلك قال تعالى روحنا او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام او الانجيل او الاسم
الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرئ بسكون الدال فى كل القرآن وهو لغة كرعب ورعب وقيل جبريل وصف به
لعلو مرتبته ولانه يجيء به الدين لتبليغ الوحى ولان الغالب فيه الروحانية وكذلك ساير الملائكة تهوى بالكسر تهوى
اى تحب وتوسط الهمزة المتضمنة للانكار وما تعلقت به لتوبيخهم على تعقيبهم ذاك بهذا وفيه تعجيب من امرهم والفاء
للتعقيب او للعطف على مقدر مثل انعمتم اللذات لانهم كانوا يحبون اللذات والرفعة فى الدنيا والترؤس على العامة
والرسل كانوا يبطلون ذلك وهو معنى استكبرتم عن الايمان ففريقا نصب على مفعول كذبتم والفاء للتعقيب والمكذب
كموسى وعيسى ويجوز ان يكون الفاء للتسبية او التفصيل والمقتولون كزكريا ويحيى عليهما السلام ولفظاعة هذا الامر
ذكر بلفظ المضارع لاستحضاره وتصويره للقلوب وفيه مراعاة الفواصل لا سيما وبالنسبة الى الحاضرين وهم
القاصدون لقتل محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر والسم يستدعى المضارع قال النبى عليه السلام لا زالت اكلة خيبر تعادنى
والآن اوان انقطاع ابهرى ٭ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله
مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٭ جمع
اغلف اى عليها حجاب فلا يفهم كلامك ويقرب منه كونها فى اكنة وقيل اوعية العلم لانه جمع غلاف وهو الوعاء والقصوان
سكن اللام كرسل ويقراء بالاصل واللعن من الله الطرد على سبيل السخط يقال ذيب لعين اى طريد كما قال الشاعر
ذعرت به القطا ونفيت عنه ٭ مقام الذيب كالرجل اللعين ٭ اى مقام الذيب الطريد كالرجل فهو رد لما قالوه ان المعنى
انها خلقت على الفطرة السليمة فخذلهم الله بكفرهم وعلى الثانى معناه انهم كفرة مطرودون فكيف تكون قلوبهم اوعية
العلم وقليلا صفة مصدر محذوف اى ايمانا قليلا زيدت ما للتاكيد فى القلة ومعناه لا يؤمنون بما كلفوا به الا بالقليل
منه كالايمان بالله دون الرسل ولهذا قيل المراد العدم وقيل هو صفة المؤمن اى لا يؤمن منهم الا القليل وقيل
لا يؤمنون الا ببعض الكتاب فان قيل ما معنى القلة والايمان الشرعى لا يحصل البتة الا اذا حصل بحذافيره وجميع
ما يجب الايمان به قلنا اذا فسر بالعدم او قلة المؤمنين فلا اشكال واذا فسر بغيره فلعله يراد به المعنى اللغوى

وهو مجرد التصديق او بزعمهم والكتاب المصدق القرآن وهو لا يصدق مامعهم من الشرايع بل في اصول الدين
وامر النبوة وبقرار مصدقا حال من الكتاب وجواب لما محذوف دل عليه الثانية مثل كذبوا او كفروا والاستفتاح
الاستنصار اى كانوا يستنصرون بمحمد عليه السلام قبل مجئ القرآن ويقولون اللهم انا نسالك بحق النبى الامى الذى
وعدتنا ان تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا فكانوا اذا التقوا عطفان دعوا به فهزموهم او يفتحون عليهم انه النبى الموعود
وفى السين مبالغة لانه كان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا محمد وانبوته وانكروه حسدا من انفسهم
وخوفا على فوات الرياسة ووضع الكافرين موضع ضميرهم للاشعار بعلة اللعن وهو الكفر فاللام للعهد اذ اللام
ما يراد بمرجع الضمير وان كان للجنس فهو المقصود بالايراد واللفظ ابتداء لانه اطلق العام واراد الخاص
بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب
على غضب وللكافرين عذاب مهين • بئس وضع للذم العام خلاف نعم وما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعله المستكن اى بئس
شيئا باعوا به انفسهم الكفر واشتروا صفته ويستعمل الشرى بمعنى البيع اذا كان التعامل بغير النقدين وهذا بحسب
ظنهم تخليصا من العقاب بما فعلوا ويجوز ان يكون ما موصولة فانه يجوز وقوع الذى بعد بئس وعلى الاول المخصوص
بالذم ان يكفروا بما انزل الله وبغيا مفعول له لان يكفروا والحمل على اشتروا غير سديد لان وقوع الفصل يقتضى
اظهار اللام والبغى هو طلب ما ليس لهم والحسد لان ينزل الله الوحى على مستحق الرسالة من العباد فانصرفوا
ورجعوا بالغضب بسبب كفرهم بمحمد عليه السلام او الحسد على من هو افضل الخلق او بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير
ابن الله ويد الله مغلولة والتحريف وقيل المراد التتابع وذلك لمقتضيات مترادفة ولا يخفى ان المراد ارادة الاضرار
لاستحالة الاجراء على ظاهره فانه تغير فى المزاج بغليان دم القلب لمشاهدة ما يكره والمهين المذل وهو الموصوف
بالخلود بخلاف ما ينقطع كطهرة العاصى واستدل الخوارج بكون الفاسق كافرا حيث ثبت عذابه وثبت انه لا يعذب
الا الكافر وقالت المرجئة ثبت انه لا يعذب الا الكافر وان الفاسق ليس بكافر فالفاسق لا يعذب والجواب عنهما
مع حصر العذاب للكافر • واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل
من بعده وانتم ظالمون • المراد جميع الكتب والله يعلم ان ما للعموم حيث ذموا بترك الايمان ببعضها ووراء من الاضداد
لانه مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيحمل على ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيحمل على ما يواريه وهو قدامه
ويكفرون حال عن ضمير قالوا اى كافرين بما وراء التورية وهو الحق اى ما وراءه يعنى القرآن ومصدقا حال مؤكدة
وفيه رد دعوتهم لان كفرهم بمصدق التورية كفر بها وكذا بقتلهم الانبياء فانه ينافى ادعاء الايمان بالتورية لانها
لا تسوغه وقتل النبى كفر روى انهم قتلوا ثلثمائة نبى فى يوم واحد فى البيت المقدس والاسناد الى المخاطبين هو فعل

آبائهم

ابائهم لرضاهم به وقصدهم ذلك ومجئ موسى بالبينات هى الايات التسع فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع ايات وقد اختلف
فى انها اليد والعصا ونحوهما او غيرها ومع ذلك اتخذتم العجل آلها من بعد ذهاب موسى الى الطور او مجيئه بهذه الآيات
وانتم ظالمون يصح جعله حالا بمعنى واضعين العبادة فى غير محلها وان يكون اعتراضا اى وعادتكم الظلم فان قيل فاى الوجهين
ارجح قلنا الثانى وان كان ميل المفسرين الى الاول لانه يكون تكرارا محضا فان عبادة العجل لا تكون الا ظلما بخلاف الثانى
فانه يكون بيانا لرذيلة لهم يقتضى ذلك وغيره نعم يمكن ان يحمل على بيان شمول الظلم اول حالهم وآخرها فلا يكون محض التكرار
والمقصود بيان ابطال دعواهم الايمان بالتورية وان معاملة من فى عهد النبى عليه السلام كمعاملة اسلافهم فكانه قال عليه السلام
اذا كان موسى عليه السلام صابرا معكم وحالكم معه ذلك فانا بالصبر مع طريقتكم اولى • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين
قد سبق هذا الكلام وليس بتكرار لان الاول لتعداد النعم وهذا للاحتجاج او الاول انما ذكر لتعيير المخاطبين بحال الماضين
وايضا اشتمل على زيادة قوله قالوا سمعنا وعصينا الى آخره وخذوا على ارادة القول اى خذوا ما فى التورية بجد ومعنى
اسمعوا اقبلوا القول سمع الله لمن حمده او اطيعوا او سماع تدبر وعمل به فاجابوا بان سمعنا ما امرت به وعصيناه او فى السر
وعصينا فى الظاهر ويحتمل انه يكون حالهم دالة على ذلك وقيل هذا قول اليهود الذين كانوا فى عصر النبى عليه السلام ثم عاد الى القصة
ومعنى اشربوا تداخل حب العجل فيها ورسخ فيها من قولهم هذا مشرب حمرة او صفرة اى مخالط قال زهير • فصحوت عنها بعد حب داخل
والحب يشربه فؤادك داء • وكفرهم اعتقادهم التشبيه والحلول لما رأوا جسما عظيما تمكن فى قلوبهم تسويل السامرى
وقيل فى طايفة لم يرجعوا عن عبادة العجل والمخصوص بالذم فى بئس محذوف وهو المشترك بين ما نسب اليهم من القبايح
فى الايات الثلث وحمله على المستفاد من يامركم انسب ارتباطا والمؤمن به التورية والمعنى ان كنتم مومنين بها لم تامركم
المثالث ولم يجوز لكم ذلك او انه اراد عدم الايمان بمعنى انه لو كنتم كما زعمتم لما امركم بها لان المؤمن بالشئ لا يفعل الا ما تقتضيه
المؤمن به والمراد التشكيك فى ايمانهم والقدح فى صحة دعواهم وفيه دليل على ان الله تعالى فعل بهم ذلك نظرا الى بناء اشربوا
واجاب المعتزلة لفرط محبتهم لعبادته هم اشربوا قلوبهم نحو فلان يتعجب بنفسه او ابليس او السامرى والجواب ان كل ذلك
صرف الكلام عن ظاهره فلا يساعدهم عليه واضافة الايمان اليهم واسناد الامر اليه للتهكم • قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • المراد بالدار الآخرة الجنة اى اختصت بكم كما زعمتم
انه لا يدخلها الا اليهود عند الله اى فى القيمة وخلوص الشئ صفوة من كل شايب وهى حال عن الدار واللام فى الناس
للعهد ان اريد محمد عليه السلام والمسلمون ومعنى دون الاختصاص وانما امروا بالتمنى لان من تحقق انه بالموت يصل
الى نعيم الجنة ويتخلص عن متاعب الدنيا اشتاق اليه ولهذا قال على رضى الله عنه لا ابالى سقطت على الموت او سقط
على وقال عمار الآن القى الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه عند قرب موته بصفين وقال حذيفة جاء حبيب على فاقة

لا افلح من ندم هذا وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه لا سيما وهم لا يعتقدون النسخ وان غيرهم على الباطل وان
انتسابهم الى الانبياء يخلصهم من العذاب ويوصلهم الى النعيم ولا يرد علينا ان عدم التمني لا يدل على عدم اختصاص الجنة
بهم لجواز كون الترك لخوف الم الموت وانه لو صحت الملازمة للزم ان يتمناها محمد عليه السلام واصحابه وانهم يخافون ذنوبهم
لان الانسان لا يبالي بالالم اليسير للنفع العظيم كالحجامة والفصد وعدم تمني محمد عليه السلام وامته لتاسيس الدين واظهار
الشرع المبين ولا عبرة بالخوف من الذنوب للاختصاص المذكور • ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين
اي لا يتمنون الموت الدهر بسبب ما اسلفوا من قبايح الاعمال كالكفر بمحمد عليه السلام والتحريف والتبديل وغيرها
والتعبير عن الانفس بالايدي لانها محل ظهور القدرة وهي آلة عامة الصنايع والآية من المعجزات لانها اخبار عن الغيب
بما هو عليه فانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فعدم ذلك يدل على عدمه قال النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ولا يشكل بان التمني من الاعمال القلب ولا يلزم من وقوعه اشتهاره لانه لو كان
كذلك لما صاروا ملزمين لان لهم ان يقولوا تمنينا ولم نمت وفي قوله سبحانه عليم بالظالمين تهديد شديد وايماء الى
ابطال ما زعموه من الاختصاص والعدول عن ذكر الكفر الى الظلم لانه اعم وذكر لن هنا ولا في سورة الجمعة لان هذه الدعوى
اعظم • ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر
والله بصير بما يعملون • المراد بالوجدان الادراك العقلي فهو كعلم ومفعولاه هم واحرص والحرص شدة الطلب وانما كانت
اليهود احرص من العرب على الحيوة لعلمهم بقبايح امر الآخرة وتنكير الحيوة لارادة فرد منها متطاولة وما يقرأ من المحلى
فللاشارة الى الماهية او العهد الذهني وفي ادعاء المنكر ابلغ نظرا لان حرصهم على الحيوة العظيمة لا يستلزم الحرص على اي
حيوة كانت والمبالغة في الثاني اشد فجعل التنكير للتقليل اولى ومن الذين عطف من حيث المعنى اذ التقدير احرص
من الناس ومن الذين اشركوا او احرص من الذين وحذف لدلالة الاول عليه ويجوز ان يستانف به اي ومنهم ناس يود
احدهم فهو خبر مبتدا محذوف صفته يود ووجه كونهم مشركين ان المراد اليهود وقد قالوا عزير ابن الله وعلى التقديرين
السابقين يود استيناف يبين به كونهم احرص وتقدير من لتحصيل المناسبة لا سيما وقد افرد افعل وهو من
لازم وتخصيص المشركين اذ لم يرد بهم اليهود لان حرصهم اشد لقصور نظرهم على حيوة الدنيا وهو اشنع
باعتبار انهم معترفون بالدار الآخرة وهم احرص من المنكرين فيكون لعلمهم بالشقاوة الابدية ويحتمل ان يكون من تتمة
التكذيب في قولهم ان الجنة مختصة بنا لكنها لما كانت الدنيا جنتهم كانوا احرص وقياس قوله سبحانه يعمر ان يكون اعمر
لكنه جرى على لفظة الغيب لقوله يود وهو ولو بمعنى حكاية ودادتهم ولو بمعنى ليت وتخصيص الالف لعادة المجوس
وهم المراد بالمشركين ان يقولوا لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان ويقول عجم برني هزار سال واصل سنة
سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة لقولهم تسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة الابعاد ومنه فمن زحزح

عن النار اي وما احدهم بمزحزح من النار تعميره فقوله وان يعمر فاعل مزحزحه والضمير لاحدهم او لما دل عليه يعمر
او مبهم يفسره ان يعمر والله بصير بما يعملون تهديد لتحقيق المجازاة والبصر قد يراد به العلم يقال لفلان بصر بهذا
اي معرفة وانه على صفة لو وجدت المبصرات لعلمها ويصح حمله عليها الا اذا كان في الاعمال ما لا يصح ان يرى او يلتزم
التخصيص • قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
العداوة البغض مشتقة من عدوتي الوادي والمعاداة كالمحادة والمشاقة بان كلا من المتقابلين في عدوة وحد وشق
وقرئ جبريل كسلسبيل وبكسر الراء وحذف الهمزة وجبرئيل كجحمرش وجبريل كقنديل ويقرأ جبرال وجبرئل وجبرين ومعنى
جبر العبد وايل الله ويمنع من الصرف للعجمة والعلمية ومنعه ابو علي نظرا الى انه لا يعرف ايل باسم الله ولو كان كذلك لكان
مجرورا ويحتمل ان يزيف بان ذلك غير لازم في المركب المزجي وسبب نزوله ان ابن صوريا سأل رسول الله عليه السلام
عن الملك النازل عليه فقال جبريل عليه السلام فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخرب على يدي بخت نصر واخبرنا بالحين فلما كان وقته بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقتله ببابل
غلاما مسكينا ليس له قوة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفعه جبريل وقال ان كان ربكم هو الذي اذن لهذا في هلاككم فلن تسلط عليه
وان لم يكن هذا فعلى اي ذنب تقتله فصدقه صاحبنا ورجع الينا وكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس
وامران يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقيل سألهم عمر رضي الله عنه عن جبريل عليه السلام فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا
على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلامة فقال وما منزلتهما من الله قالوا
جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن
كان عدوا لواحد منهما فهو عدو لله فرجع وقد سبقه الوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني بعد
ذلك في دين الله اصلب من الحجر والمنزل جبريل والمنزل القرآن وبناء المجهول للعلم وهو المجوز للاضمار قبل الذكر وتقييد
القلب لان الادراك به اذ هو محل الحفظ والفهم والعدول عن قلبي لحكاية كلام الله وباذن الله حال من فاعل
نزل والمراد امره وتيسيره ومصدقا الى مؤمنين احوال عن مفعوله الا انها باعتبار ما يؤول اليه وجواب شرط تضمنه
الموصول نحو فقد خان الانصاف راسا او كفر للمعاداة او فهو عدو لي او فليمت غيظا محذوف دل عليه فانه نزله
اذ المعنى فان السبب نزوله بالكتاب المنعوت او من عاداه جبريل فالسبب انه نزل • من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين • لما ذكر الحق سبحانه ان علة عداوتهم لجبريل انه نزل القرآن على قلب محمد كانت
عداوة الله تعالى والمراد اما معاداة اوليائه او المعاندة او كراهتهم المقام على طاعته لان من حق العداوة الاضرار بالعدو
وهو على الله محال او على طريقة والله ورسوله احق ان ترضوه تفخيما لشان الملائكة وتنزيلهما منزلة جنس آخر للافراد
بالذكر لتعظيم شانهما وللاشعار بان معاداة بعضهم كمعاداة الكل في استحلال عداوة الله تعالى فان قيل القضية المذكورة

تشعر باختصاص عداوتهم لجبريل دون ميكائيل حيث قالوا هو صاحب الخصب والسلامة فما المقتضى لذكر ميكائيل معه
دون غيره من الملئكة قلت لعل ذلك للاشارة ان دعوى محبتهم لميكائيل مع عداوة جبرائيل باطلة لاعتبار عدم ترتب
الاثر عليه لاستلزام احدى العداوتين الاخرى وقرئ ميكاعل كميعاد وميكائيل وميكئيل وميكال ووضع الكافرين
موضع ضميرهم للايماء الى ان العداوة كفر وان الله انما عاداهم لكفرهم وجبريل افضل من ميكائيل لانه نزل بما هو مادة
الحيوة الحقيقية من العلوم وميكائيل ملك الخصب ولهذا قدم الذكر ايضا ووصف بالمطاع الامين على الاطلاق ونقل
الثعلبي انه افضل من جميع الملائكة • ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون • اوكلما عاهدوا عهدا
نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون • هي المعجزات وقيل القرآن وقيل الشرايع والاول اولى حيث نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جيتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها والفسق اذا استعمل
في نوع من المعاصي كالظلم والكفر اريد به اعظمه كانه خرج عن حده اذ الفسق الخروج والهمزة في اوكلما للانكار والواو
للعطف على مقدر اي اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا عهدا انقضه فريق منهم والنبذ وان كان في الاصل الطرح لكنه غلب
فيما ينسى وما يتقرار باو التشكيك فمعناه الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا وتعميم الفاسقين بارادة
الخارجين عن الاديان اولى من الحمل على اليهود كما قيل والاضرار لدفع وهم ان الفريق النابذين هم الاقلون وان من
لم يظهر النبذ فهو مؤمن في الباطن وفيه تسلية للرسول عليه السلام بان ذلك ليس ببدع منهم بل هو سجيتهم
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون • المراد بالرسول محمد وعيسى وقيل الرسالة ومنه ما ارسلتهم برسول ويراد به الكتاب لقوله تعالى
مصدقا لما معهم فانه صفة الكتاب والكتاب الاول التورية والثاني القرآن وقيل التورية لانهم لما لم يعملوا به فقد
نبذوه لتركهم ما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات ورجح باعتبار ان النبذ لا يكون الا فيما تعلقوا به
وايضا لو كان القرآن لم يخصص النبذ ببعضهم وراء ظهورهم وهو عبارة عن التضييع والاعراض بالكلية متشبهين بما
لا يعلم انه كتاب الله مع كمال علمهم بذلك المعتاد وقيل بين ايديهم ويقرأونه نابذين العمل به وان ادرجوه في الديباج
وحلوه بالذهب لم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه • واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت • اي نبذوا كتاب الله واتبعوا
ما تتلوه شياطين الجن والانس من كتب السحر التي كانت تقرأ على عهد سليمن وزمانه كانوا يسترقون السمع من السماء ويضمون
اليه اكاذيب ويلقونها على الكهنة واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان الشيطان يسمع كلمة حق فيلقيها على الكاهن
فيخلط بها مائة كذبة وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن يعلم الغيب وقالوا هذا علم سليمان الذي تم به
ملكه وتسخر له الجن والانس والريح وهو افتراء عليه والمتبعون قيل اليهود الذين هم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم

وقيل

وقيل من تقدمهم من كان في عهد سليمان وغيره والاولى التعميم ومعنى يتلوا يخبر وقيل من التلاوة والمراد بالملك النبوة اوبدل
فيه النبوة وتحتها الكتاب الذي انزل عليه الشريعة وقيل عهده وقيل يتلوا يكذب وهو حكاية حال وقيل مستقبل وقع موقع الماضي
كقول الشاعر يرثي • فانضح جوانب قبره بدمائها • فلقد يكون اخادم وذبايح • اي كان والمنقول انهم وجدوا صحيفة فيها
ضروب السحر وقد دفنوها تحت سريره ثم اخرجوها بعد موته موهمين انها من جهته فصار ذلك الادعاء افتراء على ملكه وقيل
سببه تعظيمه وقيل لاعتقادهم ذلك وقيل لما خالطهم اخذ منهم اسرارا عجيبة فتوهموا انه استفاد من السحر وهو في عرف
الشرع كل امر مخفي سببه وتخييل منه غير حقيقته ويجري مجرى التمويه ومطلقه يفيد الذم قال تعالى سحروا اعين الناس
واسترهبوهم اي موهوا عليهم وهو على اقسام سحر الكذابين اعني عبدة الكواكب السبعة المضيفة عامة تدبير العالم اليها
وهم الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام وهم فرق الاولى الصابية الدهرية القايلون بكونها واجبة الوجود لذاتها
المدبرة لعالم الكون والفساد والثانية القايلون بكونها ممكنة الوجود على طريقة البرهان الكلامي والساحر هو القادر لاظهار
الخوارق لمعرفة القوى العالية الفعالة بسايطها ومركباتها وما يليق بكل منها من العوالم السفلية والمعدات ورفع
العوايق بحسب الطاقة البشرية فيقرب المنفعل من الفاعل ومنه قولهم علم النجوم منه والثالث القايلون بكون الافلاك
والنجوم لها موجدا مختارا اعطاها قوة نافذة في هذا العالم واستدلوا على كونها احيا الحيوة اشرف فكيف يحس كونها اخس
من الاجسام الخسيسة كالديدان وفي استيفاء الكلام في مذاهبهم طول والغرض بيان بعض احوال بعض السحرة ومن جملة
انواع السحر سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية قد ثبت ان للقوى النفسانية تأثيرات قوية كالاصابة بالعين على ما اخبر
عنه النبي عليه السلام انها تدخل الجمل القدر والرجل القبر ومن اثبت للكواكب تأثيرا قال اذا انضم هذا القسم الى الاول ظهر له
تأثير عظيم ومن جملة انواعه الاستعانة بالارواح الارضية وهم الجن ولم ينكره الا بعض الفلاسفة والمعتزلة والجن
جواهر قايمة قادرة عالمة مدركة للجزئيات واتصال النفوس بهم اسهل وتسمى هذا القسم بسحر الجن ومن انواعه التخيلات
والاخذ بالعيون ومن ذلك القبيل سحر سحرة موسى واليه اشار بقوله سبحانه يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وهو مبني على غلط
البصر كما يرى الشخص الصغير في الضباب عظيما والمشعبذ الحاذق يظهر عمل شئ يشغل به ذهن الناظر ويأخذ بعينه فاذا
اشتغل الخاطر به جدا اتى بآخر سريعا ويبقى ذلك الامر خفيا للاشتغال بالاول وسرعة الاتيان بالثاني ومن جملة الاعمال
العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات الهندسية كفارسين يقتل احدهما الآخر وهذا في الحقيقة تشبيه بالسحر لان لها
اسبابا معلومة من اطلع عليها قدر عليه لكن لما عسر الاطلاع عليها عد منه ومن جملة الاستعانة بخواص الادوية وعد
منه امور اخر ليست منه على الحقيقة ثم اعلم انه لم ينكر السحر الا المعتزلة واهل الحق على امكان وقوعه بمعنى انه اذا اقرأ
الساحر رقى مثلا احدث الله ذلك كجعل الانسان حمارا او بالعكس لا بتأثير الافلاك والكواكب كما زعموه ويدل عليه
قوله سبحانه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وانه عليه السلام قد سحر حتى يخيل اليه انه فعل الشئ او قاله ولم يكن كه

مطلب في بيان انواع السحر

تعريف الجن

حقيقة فلما استخرج ذلك زال عنه عليه السلام ولا دلالة للمنكر بقوله سبحانه ولا يفلح الساحر حيث اتى وتميزه عن المعجزة
يكفى فيه اقتران التحدى بالمعجزة دونه ثم اعلم ان فى تكفير الساحر اختلافا وتفصيلا اختلف الفقهاء فيه روى عن النبى عليه السلام
ان من اتى كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ولا كلام فى انه يكفر معتقد كون الكواكب هى المدبرة لهذا
العالم الخالقة لما فيه من الحوادث واستدل القايل بالاطلاق بنحو قوله سبحانه وما كفر سليمان وقوله فلا تكفر واجيب بانه
حكاية حال فيكفى فى صدقها صورة واحد ولا يخفى انه يقتل منهم من اعتقد تاثير الكواكب او ان الشخص يصير موصوفا بخلق
الاجسام بعد ان يستتاب كالمرتد وقال مالك وابو حنيفة لا تقبل توبته سند المذهب الاطلاق اى اطلاق اية التوبة
والاخبار وعمومها واذا ثبت ذلك فلا بد من تاويل ما ورد من مطلق التكفير والقتل بحمل ما اذا تحقق مقتضيهما اعنى
اعتقاد الهية الكواكب وتاثيراتها وان خوارق المعجزات من هذا القبيل الا ما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات
والادوية او يريه صاحب خفة اليد وقيل قلب الاعيان وتغيير صور الناس وفعل المعجزات كالطيران قال القفال من ادعى
بها كفر وكذا من صدقه وقيل معنى يعلمون انهم القوا السحر فى قلوبهم فتعلموه وما انزل على الملكين عطف على السحر وقيل على ملك
سليمان والمصحح له على فرض كونه من جنس الاول تغاير الاعتبار او هو نوع آخر ويدل عليه انه قد ذكر صاحب المفاتيح عقيب
ابطال القول بعصيان الملكين وارتكابهما انواع الفسوق وانقلاب الفاجرة كوكبا على ما يذكره القصاص ان سبب
انزالهما ان السحرة فى ذلك الزمان ادعوا النبوة بغرايب السحر فانزلهما الله ليعلمون الناس السحر فيعارضونهم به كما قال
عرفت الشر لا للشر بل لتوقيه وان السحر المفرق بين اعداء الله وموقع الالفة بين اولياء الله مباح وان الجن كان
عندهم نوع منه لا يقدر البشر على الاتيان بمثل فبعث الله الملكين ليعلموا البشر فينتهوا عنه لان ما لا يعلم لا يمكن
الانتهاء عنه فتبين الاختلاف بالذات بين النوعين وايضا العلم بكونه مخالفا للمعجزة متوقف على تعقله فلا بد من تعلمه
ثم قال وقد ثبت عصمة الملايكة بالكتاب وليس فى الاية دليل على ما قالوه ومن العجب انهما يعذبان على السحر فيعلمانه الناس
فى ذلك الحال وقال صاحب الانوار هذه القصة اعنى حال الملكين مع المراة وانها تعلمت منهما ما به صعدت الى
السماء محكية عن اليهود ولعلها من رموز الاوايل وحلها لا يخفى على ذوى البصاير ولعل المراد بجملة الاشارة الى
تعلق النفس بالبدن واكتسابها المعاصى بسببه وما بينهما من شدة التعلق وهذا اذا لم يحمل على ما سبق من التوجيه
الموافق للظاهر فانه اللايق بطريقة التفاسير وقيل كانا رجلين سميا ملكين لصلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر ومن جعل ما نافية عطفه على قوله تع وما كفر سليمان تكذيبا لليهود وحمل هاروت وماروت على بدل البعض
من الشياطين وما بينهما اعتراض وعند هذا القايل هما قبيلتان من الشياطين وقيل ما انزل منصوب المحل بالعطف
على السحر وقيل عطف على ما يتلوا اى واتبعوا ما انزل وبابل بلد من سواد الكوفة بقى له اثر وقيل نصيبين وقيل دماوند
وهو ظرف انزل او حال عن المستكن فيه وهاروت وماروت عطف بيان للملكين وما قيل انهما من الهرت والمرت

بمعنى

مطلب اختلاف الفقهاء فى تكفير الساحر

مطلب فى سبب انزال الملكين

بمعنى الكسر رد منع صرفهما للعجمة وقيل هما جبريل وميكائيل وما نفى ومنهما اى مكان علميا قال قلت لنا من ماء زمزم شربة
مبردة باتت على طمان وما يقرأ بالضم فعلى اضمار المبتداء والوقف على الملكين وقد سبق الاشارة فى قوله تع انى جاعل
الاية الى ان الله انزلهما ملكين وركب فيهما الشهوة ونهاهما عن المعاصى فارتكباه وهى رواية ضعيفة مردودة عند المحققين
لانه لا دلالة على ذلك فى الكتاب بل فيه ما يرده من عموم عصمة الملايكة • وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون • يصح عطف وما يعلمان
على يعلمون اى جعلا نوعين منهم والا فعلى ما كفروا والمعنى انهما لا يعلمان احدا حتى يبذلا له النصيحة ويقولا ان السحر فتنة
وان كنت تتعلم للتوقى لكن لا تستعمل فيما نهيت عنه والفتنة المحنة التى يميز بها المطيع والعاصى يقال فتنت الذهب
بالنار اذا عرضت عليها للتمييز يعنى من تعلم واعتقد نسبة التاثير اليه لا الى الله كفر والظاهر انه المراد من قولهم من تعلم
وعمل به كفر ومن توقى عنه ثبت على الايمان فلا نكفر باعتقاد جوازه والعمل به ففى الاية اشعار بانه لا منع من علم ما يجوز اتباعه
والعمل به ويتعلمون عطف على مضمر اى يأتون فيتعلمون وهذا اذا لم يجعلهما مفتونين والا فالمعنى انا مفتونان فلا تكن مثلنا
وجمع ضمير يتعلمون للعموم المستفاد من احد والتفريق بين المرء وزوجه بالتمويه والتخييل والتضريب وساير الانواع المذكورة
وقيل لانه يكفر به فتبين عنه امراته والا فهم لم يضروا احدا الا باذن الله لان المراد اما تخلية الساحر بينه وبين فعله كما قال الحسن رض
او علم الله ومنه الاذان لان فيه الاعلام او خلقه وايجاده لانه وان كان حقيقة فى الامر لكن الله تع لا يامر بالسحر ويذم عليه
ويقرأ ضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف وفيه نظر لان ذلك انما جوز فى الشعر وانما يضر تعلمه
ولا ينفع اما للاعتقاد الباطل او العمل به حيث منع منه فى الغالب من حال التعلم ذلك ولا ينفعه لان مجرد العلم به غير مقصود
ولا نافع ولقد علمت اليهود ان من استبدل السحر بكتاب الله وهو المراد بالاشتراء ما له فى الاخرة من نصيب واللام للابتداء
ابطلت عمل علموا نحو علمت لزيد منطلق وما قيل انه مثل ولئن شيئا ضعيف لانه يلزم دخول قسم على قسم اذ التقدير والله لقد
علموا او شروا اى ولبئس ما شروا يحتمل باع واشترى وظاهر لو كانوا يعلمون يخيل منافاة بينه وبين ولقد علموا لكن حمل الاول
اعنى العلم الثابت بالتوكيد القسمى على العقل الغريزى والثانى على الفكر فيه او الاول على العلم الاجمالى والثانى على العلم بقبحه
على التعيين او الاول على حقيقة ترتب العقاب عليه من غير تحقيق والثانى على حقيقة ما يتبعه وهذا اولى من تاويل الثانى
بالعمل وقيل علم بعضهم وعاند وجهل الاخر وقيل المعلمون والمتعلمون • ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون • يعنى ان اليهود لو آمنوا بما يجب الايمان به من الكتب والرسل واتقوا الشرك والكفر بسبب السحر وغيره من المعاصى
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم وترك الفعل وتركيب الكلام من الجملة الاسمية للدلالة على ثبات المثوبة فالجواب
محذوف ويقرأ مثوبة كمشورة وترك ذكر ما هو خير منه وهو المفضل عليه لتعظيم المفضل على طريقة الله اكبر وتنكير المثوبة للتقليل

اذ المعنى اى شئ فرض من الثواب مما يقصدونه وتسمية الجزاء ثوابا لان المحسن يرجع الى الله وعلق الخير به بعلمهم والمراد
نفى علمهم لان ثواب الله خير فى نفس الامر وهم وان كانوا يعلمون لكنه جهلهم لعدم ترتب اثر العلم عليه وهو العمل ولهذا
سمى الكافرا بكم واصم وقيل لو للتمنى ومثوبة كلام مبتدا ويجرى مجرى الدليل على انهم يتمنون ذلك يا ايها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم • وجه المناسبة انه من جملة شرح قبايح افعالهم ما سبق
من الافعال والاقوال قبل البعثة وهذا بعدها اذ المراد تميز كلام المؤمنين على كلام اليهود وكان المسلمون يقولون
راعنا اى راقبنا وتان بنا لنفهم ما يلقى علينا من الكلام لانه من الرعى وهو حفظ مصلحة الغير فاتخذ اليهود ذلك فرصة
وجعلوا المخاطبة به نسبة الى الرعن او تشبيها براعينا وهى كلمة مشابه بالعبرانية فنهى المؤمنون عنها وامروا بما لا يقبل
التلبيس ويفيد فايدته ومعناه انتظرنا او انظر الينا وما يقرأ من انظرنا فمعناه امهلنا لنضبط ومنه انظرونا نقتبس
او بين لنا وقيل حتى نسألك ما يشكل علينا وراعونا بالجمع للتعظيم وراعنا اى قولا ذا رعن من الرعونة وهو الهوج لمشاركته
ما هو سبب وقيل فاعولا من الرعونة كعاثورا ووضع الكافرين موضع الضمير للاشعار بان سب الرسول عليه السلام
كفر ويدل عليه قوله عليه السلام من سب نبيا فاقتلوه ولهذا ينتقض به عهد الجزية وروى ان سعد بن معاذ سمعها فقال
يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لو سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله عليه السلام لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فنزلت وقيل ارادوا به راعى غنمنا وقيل اهل الحجاز يقولون للسخرية ولا يلزم منه استعجال النبى عليه السلام
فى الكلام لانه يقال ذلك فى المحاورة من غير استعجال والامر بالسماع مع انه ضرورى لارادة سماع تدبر وقبول او امتثال امر او
وروى ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد ما هذا الذى يدعونا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فنزل
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم • الود محبة الشئ مع تمنيه وذلك يستعمل كل موضع الآخر ومن الاولى للبيان لان الكافر جنس تحته اليهود
والثانية لاستغراق النفى والثالثة للابتداء والمناسبة انه لما بين حالهم فى العناد والعداوة حذر المؤمنين عنهم بذلك ولما كان
سبب النزول تكذيبهم فى دعوى اليهود محبتهم لم يرد عليه ان ودهم للشر ابلغ وان بغضهم لذلك اولى وان ينزل مفعول يود
وحمل الخير على ما يعم العلم والنصرة وغيرهما اولى لا سيما وقعت النكرة فى سياق النفى مع زيادة من وفى ذكر تخصيص الله برحمته
من تعلقت به مشيته بالنبوة والعلم والنصرة وغيرها من الخيرات تجهيل لهم وبيان لتضاعف كفرهم حيث لم يرضوا بفعله سبحانه
وفيه رد للمعتزلة حيث اشعر بانه لا يجب لاحد على الله حق والتوصيف بالفضل العظيم بعده لافادة ان حرمان البعض ليس لضيق
فعله بل لعدم تعلق المشية به لحكمة فيه فان قيل ما فايدة العدول عن المصدر الى الفعل فى ان ينزل وذكر التنزيل دون النزول قلنا لعل ذلك
لرعاية المناسبة بما هو الواقع من تنزل الخيرات على التعاقب وتجدد لا سيما وقد فسر بالوحى • ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير
منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شئ قدير • وجه المناسبة انه من جملة مقابح اليهود حيث قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه

بامر



بامر ثم ينهاهم عنه اولان فيه بيان نزول نعمة من تبديل حكم باخف منه فى الدنيا او باثقل ثوابا فى الاخرة والثانى هو المناسب
ان كان القائلون المشركين وما جزائية عملت الجزم فى الشرط والجزاء نحو ما تفعل افعل حيث كانا مضارعين والنسخ فى اللغة
ازالة صورة الشئ واثباتها فى آخر كنسخ الشمس الظل ومنه التناسخ وعلى المعنيين ورد نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب مجاز
ويقرأ بضم النون من انسخ وننسيها بالتشديد وتنسها مجهولا او معروفا على ان الخطاب للنبى عليه السلام كما ننسخ وننسكها
وقرئ ننسخها وانساخها امر جبريل عليه السلام به او النبى وقيل جعله ذا نسخ كما يقال اقبر فلان اى جعل ذا قبر وتعريفه بازالة
آية وابدال اخرى مكانها ليس بصحيح لجواز النسخ بلا بدل كما فى وجوب تقديم النجوى فالتعريف الحق بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى
متراخ عنه بحيث لولاه لكان ثابتا او التعبد بقراءته او بهما والانساء الاذهاب عن الخاطر وقرئ ننساها اى نؤخر انزالها
من النسأ ويقلب الهمزة الفا والاول من النسيان والمراد بالخير به والمماثلة فى النفع والثواب للمنزل عليه والمعنى ان كل آية نرفعها
اما مع بدل كما فى بعض صور النسخ او بغير بدل كما فى الانسانات بخير منها ويدل عليه ان الله على كل شئ قدير من النسخ والانسا
على هذا الوجه تمام القدرة والخطاب فى الم تعلم للنبى عليه السلام والاستفهام للتقرير وهو ابلغ من الاخبار بحصول العلم
وفى الآية دليل جواز وقوع النسخ لان ان الشرطية المستفادة من ما لا تدخل الا على المعانى المحتملة المشكوك فى ثبوتها والمذهب
جوازه عقلا ايضا ولم ينكره الا اليهود وشرذمة من المسلمين ونقل عن بعضهم الجواز عقلا دون الوقوع وهم ملزمون
بان آدم زوج بناته من بنيه وهو يحرم فى دينهم وكذلك نسخ حل بعض الحيوانات وقد كان الكل حلالا بدليل قوله تعالى لنوح
انى جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك وان ثبوت نبوة محمد عليه السلام متوقف على نسخ شرع من قبله لكون شرعه عاما
ولم ينكر وقوعه فى القرآن غير ابى مسلم الاصفهانى مستدلا بان الله وصفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويجاب
بانه لم لا يجوز ان يريد ان هذا الكتاب لم يتقدمه ولم يتأخر عنه من كتب الله ما يبطله سند المذهب هذه الآية مع ما ينضم
اليها من الآيات والاخبار وحمل ابو مسلم الآيات على الشرايع ويمكن ان يجاب عنه بانه تخصيص لا يساعده عليه وللقايل
ان يقول هو اولى من النسخ وكذا البحث فى الحمل على نسخ القرآن من اللوح ويمكن ان يجاب عنه ايضا بان نقله من اللوح لا يستدعى
ازالته كما اذا نسخ كتاب من آخر ثم لا حاجة فى البحث معه الى الاطناب ويمكن الزامه بكلمة وهو ان اجماع المسلمين قبل وجوده
ومخالفته على وقوع النسخ فى القرآن وهو فى الجملة اعم من ان يكون اللفظ وحده مثل الشيخ والشيخة او المعنى مثل وجوب تقديم
النجوى او الامرين مثل عشر رضعات محرمات ثابت فيكون كلامه مخالفا للاجماع وكل مخالف للاجماع مردود والقول بجواز نسخ
الاخبار او ان النسخ الى الامام اعظم من انكار النسخ لان المنكر ساع فى طلب الحق فى الجملة ثم ان النسخ لا يعود بنقص فى القرآن
لانه لما شرعت الاحكام لمصالح العباد جاز ان يختلف باختلاف الازمان والاحوال فان ترك القتال المتضمن لغلبة الكفار
المستلزم لعدم تقرر الدين نصر عند ضعف المسلمين وينفع عند قوتهم والالزام باخراج الزكوة المتضمن لبقاء نفس
المصروف اليه لا يناسب قبل استحكام الدين لحب المال بخلاف ما اذا تمرنت النفوس عليه وفايدة بقاء التلاوة دون الحكم

تعريف النسخ

نسخ

وبالعكس العلم بان الله سبحانه راعى الحكم فى ذلك باعتبارات شتى ثم لا دليل فى الآية لمن يدعى منع النسخ بلا بدل او بالاثقل منه
او الكتاب بالسنة لجواز ان يقال لم لا يجوز ان يكون عدم الحكم او الاثقل من الاول خيرا او يراد بالخير به من حيث المعنى
دون اللفظ فيصح نسخ الكتاب بالسنة ولا دليل للمعتزلة على حدوث القرآن نظرا الى ان التغير من لوازمه لجواز ان يكون ذلك
التعلق دون نفس الكتاب ولو قالوا الناسخ متأخر ويستحيل تأخر القديم او ان ما دخل تحت القدرة لا يكون قديما لان اتصاف
الكتاب بهذه الصفات من عوارض الالفاظ غير انهم لما لم يعترفوا بالمعنى القايم بالنفس اشكل عليهم ونحن لما اثبتنا ذلك معهم
لم نحتج الى اعادة البحث فيه • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ام تريدون
ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • وجه الارتباط بما قبله
انه لما حكم بجواز النسخ فى الاحكام فلعلهم كانوا يطالبونه بتفاصيل تلك الحكم فمنعهم عنها وبين انه ليست لهم الاشتغال
بتلك الاسولة وتخصيص النبى عليه السلام بالسؤال عنه مع ان الخطاب يعم الامة لانه اعلم ومنه يقتبس العلوم ويجرى مجرى
الدليل على كونه سبحانه مدبرا انه اذا كان الملك له فعل ما شاء كما شاء وحكم بما اراد كما اراد لان المراد بكونه له ان الامكان المصحح
للمقدورية شامل للكل والاختيار المصحح للقادرية ثابت للحق سبحانه وترك العاطف لذلك اعنى كونه دليلا على الاول فان قيل
ما وجه مناسبة كون ملك السموات والارض لله مع القدرة على النسخ وهو من الامور المعنوية قلنا لما كان النسخ مختصا
بالاحكام المتعلقة بافعال العباد وبين ان الله تعالى مالك السموات والارض والمتصرف فيهما بمقتضى حكمته كان امر العباد
وما يتعلق بافعالهم بطريق الاولى واليه الاشارة بقوله تعالى ما لكم من دون الله من ولى ولا نصير اى هو الذى يملك
اموركم فيجريها على وجه يصلحها والولى والنصير كل منهما فعيل بمعنى فاعل للمبالغة والاول غير اجنبى بخلاف النصير فانه قد يكون
اجنبيا وام متصلة لمعادلتها همزة الاستفهام والمناسبة انه اذا كان قادرا على الاشياء مالكا لها بالاطلاق لم يناسب
اقتراح الاسولة كما اقترحت اليهود ولهذا قيل نزلت فيهم حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء او فى المشركين
لما قالوا لن نؤمن لرقيك الآية وان كانت منقطعة فالمعنى بل اتريدون فالقصد التوصية بان يثقوا بالله ويتركوا الاقتراح
على نبيه عليه السلام قيل نزلت فيمن قال لو كانت لنا كفارات كما لبنى اسرائيل وقيل فيمن قال يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا
ووسع لنا ارض مكة وفجر الانهار خلالها تفجيرا نؤمن بك ومن يتبدل على طريقه ومن كفر فان الله غنى عن العالمين للاشعار
بان عدم الثقة بالآيات والشك فيها والاقتراح بعد وضوح الحق زيغ عن الطريق المستقيم وكفر بالله سبحانه وسواء
السبيل وسطه ومنه فاطلع فرآه فى سواء الجحيم والغرض التشبيه دون الحقيقة يعنى ان المالك طريق الايمان على نهج
الاستقامة المؤدية الى المطلوب والمبدل بالكفر عادل عنه • ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند انفسكم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره ان الله على كل شىء قدير • وجه الارتباط انه
ذكر نوع آخر من كيد اليهود وذلك لان نفرا من اليهود قالوا لعمار وحذيفة الم تروا ما اصابكم يوم احد ولو كنتم على الحق

لما اصابكم

لما اصابكم فارجعوا الى ديننا فهو خير ونحن اهدى سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال انى عاهدت لا اكفر
بمحمد ما عشت فقالوا اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا
وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله عليه السلام فاخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت
وود وتمنى يتعديان الى المعانى دون الاعيان ولو بمعنى ان فى المعنى دون اللفظ ومن بعد ايمانكم حال عن ضمير المخاطبين
حسدا اى تمنيا زوال تلك النعمة عنهم وهو علة لود ومن عند متعلق بود اى تمنوا اشتهيا من عند انفسهم لا للميل الى الحق
وتحدا اى حسدا ناشيا من عند انفسهم والحسد كله مذموم قال عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم الحسد والبغضاء واذا اريد مثل النعمة التى لغيره له من غير زوالها عنه فهو جايز فى
امرين كما قال عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين واراد انواع الحسد الذى يكون صاحبه فى غاية الخبث ان يريد
زوال النعمة عن اخيه وان لم يحصل له وقال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله والحسد هو الذى حمل اخوة
يوسف عليه السلام على ما فعلوا وما احسن قول الشاعر • الا قل لمن بات لى حاسدا • اتدرى على من اسات الادب • اسات على الله فى فعله
اذا انت لم ترض لى ما وهب • فجازاك عنه بان زادنى • وسد عليك وجوه الطلب • وكيف لا وهو على من له خير بسبب خيره وحسد
اليهود العرب لكونه عليه السلام فيهم فتبين الحق ظهور المعجزات والنعوت المذكورة فى التورية فان قيل ما يجده الحاسد
فى نفسه غير داخل فى وسعه فكيف يعاقب عليه قلنا المعاقب عليه اثارة من القدح وقصد الازالة عنه والا فلا عقاب
كما قال عليه السلام ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به صدورها والعفو ترك عقوبة المجرم والصفح الاعراض عن تعييره
والمراد ترك المقابلة والاعراض عن الجواب لانه اقرب الى تسكين الثايرة لا الرضا به لان ذلك كفر منهم واتيانه
الله بامره الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او اجلا بعضهم وسبى الآخرين ونقل عن ابن عباس انه منسوخ
بآية السيف وذكر صاحب الانوار فيه نظر نظرا الى ان الامر غير مطلق بل هو مقيد بالزمان ويحتمل ان يؤول النسخ
بالتخصيص فانه تخصيص فى الاعيان كما ان النسخ تخصيص فى الازمان وله محامل غير الظاهر كارادة حسن الاستدعاء
واستعمال ما يلزم من النصح فلا يتجه النسخ اذا حمل عليهما والله قادر على الانتقام منهم لانه من جملة مقدوراته وفيه تحذير لهم
• واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير • وجه الارتباط
انه لما امرهم بنوع من الاخلاق الفاضلة عقبها بما هو اعظم منها من العبادات المالية والبدنية وفيه دليل على افضليتهما
من الاعمال الواجبة والخير وان شمل بظاهره عامة المبرات ولكن المناسب ارادة نوافل الصلوات والصدقات
ويقرأ تقدموا والمراد بالوجدان وجدان الثواب او نفس العمل فى كتاب الحفظة وقرئ يعملون بالتاء والياء فهو وعد
او وعيد اذ المعنى لا يضيع عمل عامل منكم او منهم فيجازى كلا بما يستحقه • وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون •

يحتمل ان يكون بيانا لحسدهم لان هذا الحكم يستدعي ارادة زوال النعمة عن الغير والضمير يرجع الى اليهود والنصارى كما في قوله تم
كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعود جمع عائذ وهو حديث الباح وتوحيد اسم كان اعني الضمير مع جمع الخبر للنظر
الى لفظ من ومدلوله وتانيث تلك للاشارة الى الاماني جمع امنية افعولة من التمني كالاضحوكة والمراد بها عدم نزول الخير عليهم
وان يرتدوا عن الدين وان لا يدخل الجنة غيرهم او على تقدير مضاف نحو امثال تلك الامنية امانيهم ولا محل للجملة لانها اعتراض
وهاتوا صوت معناه احضر اي احضروا حجتكم على الاختصاص بدخول جنته والبرهان في الاصطلاح للدليل القطعي وفيه ايماء
بالمنع عن التقليد سواء كان المدعى نفيا او اثباتا قال الشاعر من ادعى دعوى بلا شاهد لا بد ان يبطل دعواه وبلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة او اثبات للبرهان لمن اسلم وجهه لله او اثبات الفوز لهم ان غيروا طريقتهم واصل الوجه العضو
ويراد به الذات نحو كل شيء هالك الا وجهه وتخصيصه بالذكر لانه اشرف الاعضاء ومعدن الحواس فاذا تواضع
الاشرف كان غيره اولى وحمل على اخلاص القصد لله لان غير المخلص كالعابد غير الله مع الله وهو محسن حال من فاعل اسلم
او من من ان جعل فاعل فعل مقدر مثل يدخلها من اسلم اي لا بد وان يتواضع لله بفعل حسن فان بعض الكفار يتواضعون
بافعال قبيحة اي من جمع بينهما فله الثواب العظيم الذي وعد على عمله ولا يلحقه خوف مما في المستقبل ولا حزن في الحال وبذلك
تم البهجة والكرامة اعني حصول النعمة الدائمة مع الخلاص عن الخوف والحزن والمعنى بكونه عند الله ان يكون ثابتا
لا يضيع ولا ينقص والجملة جزاء او خبر على حسب حال من والفاء لتضمنه الشرط والرد بقوله بلى وحده ويناسب الوقف
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • نفي كل فريق ان يكون الآخر على امر له اعتبار في الجملة
لان النكرة في سياق النفي تعم لا سيما وهو اعلم الالفاظ يطلق على كل معلوم سوى المحال والممتنع ولا يشكل بانهم يثبتون الصانع
والنبوة لانه اذا انضم اليه ما يحبطه لم يعتد به ووجه الارتباط انه من جملة مثالب اليهود والكلام فيهما ولما كان البحث مع النصارى
استلزم ذكرهم روي ان وفد نجران من النصارى لما قدموا على رسول الله عليه السلام اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين فكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لستم على شيء فكفروا بموسى
والتورية قالوا ذلك والحال انهم من اهل جنس الكتاب وتلاوته وحق كل ان لا يكفر بالآخر لان بعضه يصدق بعضا ومثل ذلك القول
قال عبدة الاصنام والمعطلة ووجه التوبيخ في المكابرة التوجيه بالجهال ولا يشكل التوبيخ مع كونهما صادقين لبطلان الدينين
بعد المبعث لانهم قصدوا ابطاله من اصله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بان يبين بطلان مذهبهم ويدخلهم النار
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في
الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم • ووجه الارتباط انه لما خرب بخت نصر بيت المقدس اعانه على ذلك طائفة
من النصارى بغضا لليهود وقيل المشركين لما منعوا رسول الله عليه السلام عن دخول المسجد الحرام عام الحديبية وهو اولى



من الاول لان ابا بكر الرازي منع ذلك لان تخريب بخت نصر كان قبل مولد عيسى غير ان رواية قتل بخت نصر على يحيى يرد قوله
فان يحيى وعيسى كانا معاصرين ابني خالة وايضا النصارى كانوا يعظمون بيت المقدس وقيل نزل في طيطوش واصحابه
من النصارى غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف
واو لو حمل على العموم نظرا الى عموم اللفظ لا ينافي ذلك وانه لما ذكر مثالب اليهود عقبه بقبائح المشركين لاشتراكهم في الشرك
او انه اجرى ذكرهم في لا يعلمون وان يذكر مفعول ثان لمنع والسعي في الخراب بالهدم والتعطيل او بحذف من وان اريد المسجد الحرام
فالتخريب بالتعطيل فان قيل الشرك هو اعظم منه قلنا هو نتيجة الشرك مع امر آخر فيستلزمه وهو اولى من التخصيص اولئك
المانعون ليس لهم ان يدخلوها الا خائفين خاشعين فكيف يمكنهم تخريبها وان حمل على انه ما كان الحق ان يدخلوها الا
خائفين من بطش المؤمنين فضلا ان يمنعوهم منها لزم حمل المنع على قصده او امتناع المنع بعده وكذا اذا حمل على علم الله
وقضائه فيكون وعدا بالنصرة وقد انجز حتى نادى النبي عليه السلام لا يحج بعد العام مشرك وفي النصارى فتح بلادهم عمورية
والرومية وقسطنطينية وقيل المراد النهي عن تمكينهم من الدخول مثل قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ومذهب الشافعي
ان الكافر لا يدخل المسجد مطلقا بخلاف سائر المساجد ومنعه مالك وجوزه ابو حنيفة مطلقا ولولا ظلم الكفرة كان اللائق ما فاياكم
والخوف محمول على ما يلحقهم من الصغار والذل بالجزية وقيل خوف المتحاكمين فلا يدخل المسجد الا لها والخزي الجزية في حق اهل الذمة
والقتل والسبي لاهل الحرب وسبب العذاب العظيم كفرهم وظلمهم وفيه مبالغة في النهاية لانه قد وصفهم باعظم الظلم اعني المنع
عن المساجد مع فضلها الدال عليها الكتاب نحو قوله تعالى وان المساجد لله وفي بيوت اذن الله والسنة قال عليه السلام
احب البلاد الى الله مساجدها وابغضها اسواقها وايضا المكان لا يتشرف الا بذكر الله وما بني المسجد الا لذلك فقال
عليه السلام بشروا المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه
الله ان الله واسع عليم • يقرأ المشارق والمغارب واينما تولوا بفتح التاء ذكر في المناسبة انه لما ذكر المنع من المسجد
الحرام قال الارض كلها لله فاي مكان فعلتم التولية متوجهين شطر القبلة فثم جهة الله التي امر بها وقد قال عليه السلام جعلت لي
الارض مسجدا فلا يختص بمسجد ومكان وان حمل الوجه على الذات اي ثم ذاته بمعنى انه عالم مطلع بما يفعل فيه والسعة اما
باحاطته بالاشياء او برحمته العامة على عباده والله عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها واكثر الائمة على انها نزلت
في امر القبلة لقول عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين ولان التوجه الى الجهة في الصلوة فقيل لما اراد الله
تحويل القبلة ذكر ذلك للتمهيد وقيل لانه لما حولت انكر اليهود ذلك فنزلت وقيل لمشاهد الكعبة لان يستقبل اي جهة
شاء والاولى الحمل على حالة الاجتهاد والاشتباه لظلمة وغيرها او نوافل السفر كما ذكر ابن عمر وذكر الثعلبي انسب الى هذين المعنيين
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة وعلى هذا فلا تعاد الصلوة اذا تبين الخطاء وقيل لتنزيه الحق سبحانه
عن الاختصاص بجهة ووجه الدلالة ان الجهة امر ممتد في الوهم طولا وعرضا وعمقا فيكون مركبا وكل مركب محتاج الى مؤثر

فيكون حادثة وهذه الدلالة عامة في الجهات كلها والخالق متقدم على المخلوق فالحق سبحانه قبل خلقها كان منزها عن الاختصاص
بشئ فيها فوجب ان يبقى كذلك بعده لاستحالة انقلاب الحقايق وقيل في صلوة النبي على النجاشي قالوا كيف تصلي على من كان يصلي
الى غير قبلتنا ◦ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون ◦ مطيعون ووجه المناسبة انه من جملة
القبايح المشتركة بين الفرق الثلث والكلام معهم لنسبتهم عزيرا والمسيح والملائكة الى انهم اولاد الله وقرئ بغير واو
وبالواو وعلى هذا يكون عطفا على قالت اليهود اي قالوا ذلك وقالوا اتخذ الله لانه لما اخذ في قصتهم ذكر ما فيها ولا ينافيه
ارادة قول الآخرين ذلك ويصح على منع نظرا الى مدلول من فانه جمع وهو اولى من جهة المعنى والاول من جهة اللفظ او مفهوم
ومن اظلم اي له التنزيه الذاتي عن اتخاذ الولد للاشعار باتصافه تعالى بصفات الاجسام المستلزمة للامكان المنافي للالوهية
والحاجة الى من ينوب منابه ووجه الاستدلال على ابطال ذلك بكون ما في السموات والارض له انه ممكن لذاته فيكون محدثا
والمحدث مخلوق لله سبحانه والمخلوق لا يكون والدا لان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد فلو ثبت فرضا له ولد تثبت المشاركة
بينهما من بعض الوجوه والامتياز من بعضها ويلزم التركيب فيهما وذكرها والتغليب يقتضي من اما التحقير شانهم باعتبار
اتخاذهم آلهة ويحتمل ان يكون للنظر الى الوصف بكونه ولدا فان قيل لا يلزم من كون ما في السموات والارض لله تعالى
ان يكون له وما فايدة ترك التعميم بان يقول له ما سواه ليلزم نفي الاتخاذ مطلقا قلنا لعل ذلك لاجل ان كل من اثبت لله سبحانه
الولد لم يثبته الا لمن فيهما من الملائكة وعزير والمسيح لا لنفس السماء والارض وغيرها فيناسب الرد بهذا الوجه وقانتون
يجري مجرى الدليل على نفي كونهم اولادا اذ المعنى انهم منقادون غير ممتنعين عن تكوينه ومشيته وكل ما كان كذلك فلا مجانسة
بينه وبين الله تعالى ليكون ولدا له ولهذا تمسك الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه واذا كان معنى القنوت في الاصل
الدوام دل على ان الممكنات حال بقائها تفتقر الى المؤثر وهو كذلك لان العلة الامكان وهو باق والمراد استمرار وجودها
وقنوت كل شئ بحسب ما يوجد منه وما يشمل الجميع وظهور اثار الصنع وفيه ما يخص العقلاء كالملائكة والجن والانس وهو الانقياد
الاختياري وهذا بعد ذكر دليلين آخرين الاول قوله سبحانه فانه اشارة الى التنزيه الثابت بالبراهين والثاني قوله له ما في السموات
والارض وتنوين كل عوض من المضاف اليه يعني ان كل من تتخذونه آلها فهو منقاد مقر بالعبودية فيكون الزاما لهم بعد ذكر
الادلة ◦ بديع السموات والارض فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ◦ الابداع الانشاء واختراع الشئ لا عن شئ دفعة
ونقيض الابداع الاحتذاء على مثال سبق ولهذا يقال لمن ياتي بما لم يسمع قبله مبتدع يقال بدع فهو بديع اي بديع سمواته
فهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وقيل المبدع كالسميع في قول عمرو ◦ امن ريحانة الداعي السميع ◦ مرفوع بخبرية
مبتدا محذوف او بانه صفة الله ولم يضر ان يكون من قول النصارى لانه يكون امتنع وقرئ بديع بالجر بدلا عن الضمير
ومنصوبا على المدح وهو برهان رابع على بطلان ما زعموه من اتخاذ الولد لانه اذا ثبت انه سبحانه مبدع السموات والارض
ثبت انه موجد غيرها للامكان المشترك ويستحيل انفعال المبدع عن المبدع وما سوى الله مبدعاته ولو كان والدا لانفعل

ولهذا به

بانفصال

بانفصال الولد عنه ويستحيل انفعاله سبحانه عن امر حادث لا يقوم بذاته والابداع ابلغ من الصنع والتكوين لان الاول
بالتركيب والثاني بالتغيير واذا كان ابداع السموات والارض غير مسبوق بمادة متعلق بها الصورة كان ابلغ في الدلالة
على الخالقية والقضاء يطلق بمعنى الامر وقضى ربك والخلق فقضاهن والاخبار وقضينا الى بني اسرائيل واصله اتمام
الشئ اي حتم بانه يفعل فعلا وعن بعضهم انه مصدر سمي به ولهذا الجمع على اقضية وكان تامة اي احدث فيحدث وحمل على تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادة الله سبحانه من غير توقف بطاعة من تمثيل من غير مهلة لا حقيقة امر وامتثال لان اذا لا تدخل الا على
الاستقبال فالقضاء محدث مترتب بفاء التعقيب فلا يكون كن قديما ولا محدثا لتوقفه على مثله يلزم التسلسل وايضا كان
الخطاب مع الحي قبل حيوته فيكون عبثا وبعده تحصيل الحاصل ومع الجماد تكليفه وهو باطل وقرئ فيكون بالنصب والرفع
واسناد الولد الى الله تعالى على ما قيل اطلاق الاب على الله في شرع من قبلنا كما نقل عن عيسى عليه السلام انه قال اني اذهب الى ابي وابيكم
ومنه يعلم بطلان قولهم فانه ليس ابا لهم بالاتفاق نظرا الى انه السبب الاول حتى للاب وهو الرب الاصغر وانما منع منه
لئلا يتوهم العامة الولادة كما اتفق لهؤلاء الكفرة ◦ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ◦ انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال
عن اصحاب الجحيم ◦ وجه الارتباط بيان عناد وجهل آخر في النبوة بعد ذكر اتخاذ الولد للفرق المذكورة او المراد جهلة المشركين
عند الاكثر بدليل لن نؤمن لك حتى تفجر الآية وقالوا لولا تاتينا باية وكذا قول متجاهل اهل الكتاب لان قولهم هلا يكلمنا الله
او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا حجة تدل على نبوتك وصدقك استكبار وجحود للآيات مع علمهم بحقيقتها ودخولهم
تحت الذين لا يعلمون التوحيد والنبوة لانهم لم يعلموا كما ينبغي ان يعلم ذلك او لم يعملوا به ومفعول يعلمون محذوف اي
الحق وكذلك صفة مصدر اي قولا مثل ذلك وقول الذين من قبلهم يشابه قولهم حيث قالت اليهود ارنا الله جهرة اجعل لنا الها
اتتخذنا هزوا وقالت النصارى هل تستطيع ربك ويقرا تشابهت بالتشديد والتشابه في الجهل والعمى والذين يوقنون
ينصفون من انفسهم فيعلمون انه يجب الايمان بهذه الشواهد لانها آيات ظاهرة ومعجزات باهرة ومعنى قوله انا ارسلناك
الاشارة الى انهم اصروا على الفساد والاقتراح بعد ظهور الآيات ونهاية الابلاغ اراد ان يسليه ويسري عنه ما يصيبه من الغم
بكفرهم وبالحق يجوز تعلقه بالارسال وبالبشارة والنذارة وان يراد بالحق الدين والقرآن ولا تسال بالمجهول معناه
لا تسال عن سبب عدم ايمان اصحاب الجحيم بعد ان بلغت كما قال سبحانه ان عليك الا البلاغ والآية دليل على ان احدا
لا يؤاخذ بذنب غيره وانك هاد ليس لك من الامر شئ ولا تغتم بكفرهم والجحيم التاجج من النار وما يقرأ يعقوب بالنهي
فللنهي عن السؤال عن حال الكفار ومصيرهم او لفظاعة الامر كما يقال في الجواب عن حال من وقع في بلية عظيمة لا تسال عنه
كان المسؤول عنه لا يقدر على تحريك لسانه به لفظاعته او السايل لا يقدر على سماعه ومن جزم فمعناه لا تسال عنهم فلا تنفعهم
شفاعة الشافعين ◦ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت

اهوا رهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من ولي ولا نصير • معناه انه بلغ امرهم الى ان صاروا متوقعين اتباعك اياهم
كل من اليهود والنصارى بان تصلي الى قبلتهم فلما صرفت الى الكعبة شق عليهم فهو نهاية المبالغة في الاقناط لان من هذا
حاله فكيف اتباعه ومن المحتمل ظهور ذلك منهم والملة الدين من املت الكتاب اذا املته وهدى الله هو الاسلام هو الذي
يصح ان يسمى هدى ليس وراءه هدى وما يدعون اليه ليس بهدى وقيل تعليم للجواب ويعلم جواز وعيد من يعلم منه انه لا يفعل
ما به يتخلص عما يتوعد عليه واللام موطئة القسم والذي جاء من العلم الوحي والدين ويحتمل حمله على الاعم ومالك جواب القسم
نفي ان يجد من يدفع عنه عقاب الاتباع ويحتمل تصوير التاكد فيه من ثمانية اوجه وفيه ايماء الى نفي تكليف ما لا يطاق لانه
اذا لم يعاقب قبل مجيء العلم فقبل حصول القدرة اولى • الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به
فاولئك هم الخاسرون • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين • واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون • لما ذكر الحق سبحانه حال الكفرة وما هم عليه من العناد
اراد ان يعقبه بذكر اضدادهم من المؤمنين من اهل الكتاب قيل هم اصحاب السفينة الذين اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب
اربعين من الحبشة واربعين من الشام وقيل فيمن آمن من اليهود وقيل في المسلمين وحق التلاوة بمراعاة اللفظ عن التحريف
وسيما نعت محمد عليه السلام والتدبر في المعنى والعمل بما فيه والذين مبتدا واولئك مبتدا ثان ويؤمنون خبره ويتلون
حال مقدرة على طريقة فتبسم ضاحكا ويجوز ان يكون الخبر حيث اريد بالموصول مؤمني اهل الكتاب والاولى ان يحمل
على المؤمنين الذين آتاهم الله القرآن لان يؤمنون للحال او الاستقبال ووقت نزول الآية لم يكن كتبهم جائزة وايضا اشعار
بان الايمان مقصور عليهم وكذلك قوله فاولئك هم الخاسرون وهذا اذا لم ينظر الى تقدم ذكرهم وتأخره وفي الجملة لا بد وان يكونوا
مؤمنين بالرسول عليه السلام وتقييد الايمان باولئك للاشعار باختصاصهم دون المحرفين ومن يكفر بان حرف كتابه
وكفر بالقرآن المصدق له فكانه لا خاسر غيره وباعتبار تبديله الايمان بالكفر وتذكيرهم بالنعمة هنا ليس بتكرار وان ناسب
ان يكون الختم به كما كان التصدير به لان ذلك باعتبار الدعوة وان لا يكونوا اول كافر به وهذا باعتبار ان يتركوا العناد
والاصرار على الكفر وكذلك الامر بالاتقاء عن اليوم الموصوف بهذه الصفات وذكر عدم الشفاعة والنصرة لتكذيبهم حيث
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة لانهم اولاد الانبياء وهم يشفعون لهم فلا تكرار وكذلك في كل ما جاء هكذا
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين • العامل
في اذ اما اذكر او قال اني جاعلك وهو استيناف على الاول على تقدير ماذا قال عند اتمام الكلمات قال اني جاعلك وان حمل الكلمات
على الامامة وتطهير البيت ورفع القواعد والاسلام فهو بيان ابتلى والابتلاء مأخوذ من البلاء لانه التكليف بالامر الشاق
ولاستلزامه الاختبار بالنسبة الى من لا يعرف العواقب حمل على انه يرادفه والاصل عدمه لا سيما بعد ظهور التفاوت والضمير
لابراهيم وقرئ ابراهام وليس باضمار قبل الذكر لان المرجوع اليه متقدم وكذلك اذا رفع ابراهيم ونصب الرب كما يقرأ به

تقدمه

لتقدمه في المعنى اذ المعنى دعا ربه هل يجيبه الى الكلمات فعل المخبر ووجه المناسبة انه لما ذكر نعم بني اسرائيل ثم قبايح افعالهم
بين قصته وانه لما امتثل اوامر الله نال ما نال من الكرامة وايضا اعترف بفضيلة الفرق الثلث ومع ذلك لما طلب الامامة
لذريته لم يجب اليه للظالم منهم وايضا ليكون لزوم الحج لما كان من خصايص ديننا حكى ذلك عن افعاله ليعرفوا الحقية
هذا وان تحويل القبلة مما نازعوا فيها فبين ان هذه القبلة قبلته وهم معترفون بذلك والكلمات المذكورة قيل العشر المذكورة
في الحديث خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في ساير البدن الختان
والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاؤه بالكواكب والختان وذبح ابنه والنار والهجرة
وقيل اوامر الله ونواهيه فيندرج الكل فيها وقيل من قوله تعالى التائبون الى الآخر ومن قوله ان المسلمين والمسلمات الى الآخر
فهذه عشرون وعشر في سورة المؤمنين وسال سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل اعمال الحج واداء كل
على دعاء فالمسؤل ارائة كيفية احياء الموتى وجعل البلد آمنا والعلاقة المجازية في جميعها لعلها اطلاق الملزوم وارادة
اللازم والمستكن في اتمهن يرجع الى ابراهيم عليه السلام اي فاداهن بالكمال او قام بهن على اختلاف الايات قال تعالى
وابراهيم الذي وفى وعلى قراءة نصب الرب الضمير لله تعالى اي اجابه الى مسؤله والجعل مستعمل بالمعنى الذي له مفعولان به
والامام اسم من يقتدى به كالازار لما يؤتزر به وهو استيناف ان لم ينصب به اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب
ووجه كونه بيانا قد سبق في اول الآية وان نصب اذ به كانت المجموع جملة معطوفة على ما قبلها ومن ذريتي عطف على الكاف نحو قولك
زيدا في جواب من قال ساكرمك اي وبعض ذريتي وهي من الذر بمعنى التفريق فعيلة او فعولة بالتشديد قلبت الراء الثالثة
يا كما في تقضيت وان كان من الذرء بمعنى الخلق فقد قلبت الهمزة وكسر الذال لغة فيه كما يقرأ به ولا ينال عهدي اجابة الى ما
سال وفيه اشعار بانه يكون في الذرية ظلمة وانه لم ينل الظالم الامامة لانها امانة الله وعهده لا ينالها الا الاتقياء اذ لا تقة
بغيرهم وفيه دليل على عصمة الانبياء قبل البعثة لانهم لو كانوا غير معصومين لكانوا ظالمين وما نالوا عهد النبوة التي هو اعظم
وهذا اذا تخصص الامامة بالنبوة وما يقرأ من رفع الظالمين فلان ما نالك فقد نلته فان قيل ما الحكمة في عدم ذكر الجهل وهو اعظم
الموانع لان حاجة الامام الى العلم اكثر للحاجة اليه في التصرف في احوال الخلق قلنا لعل ذلك لان الجاهل ظالم النفس كما فسر به
ومنهم ظالم لنفسه ويكون العدول عن ذكر العلم والتقوى مع ان شرط المتولي الكفاية والامانة للاشعار بان فاقد تلك
الشروط ظالم فان قيل قول ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي دليل على انه لم يطلب الامامة لعامة الذرية بل لمن يليق
ذلك بدليل وارزق اهله من الثمرات من آمن فما السر في هذا الجواب قلنا لما لم يدل على ذلك بظهوره وكان هذا المعنى
مقصودا بالبيان صرح بانه لا ينالها الظالم منهم ولا يستدل بالآية على ان من كان كافرا اي ظالما ثم اسلم وتاب لم ينلها نظرا
الى انه يصدق عليه اسم الظلم في الجملة لانه اذا زال ذلك لم يصدق الاسم لصدق نقيضه ولان السبب في عدم النيل انه
لا يقوم بحقها للظلم فاذا زال زال المانع من نيلها ولهذا لا يشكل بقول آدم ويونس في نسبتهما الظلم الى انفسهما

والفقهاء والمتكلمون استدلوا بهذه الاية على ان الفاسق ظالم لنفسه وكل ظالم لا ينال الامامة ومن اعتبر انتفاءه في البطن
ايضا فالظاهر معه لكن ترك لما فيه من تعطيل امور الناس وكان الشافعي رحمه الله في زمن الرشيد مع بني الحسين حتى قصدوا
قتله وابو حنيفة رضي الله عنه كان يفتي سرا بنصرة زيد بن علي وحمل المال اليه والخروج معه الى اللص المتغلب يعني الدوانيقي
وكيف يفوض الى الظالم وهو لدفع الظلم فهو كما قيل في المثل من استرعى الذئب ظلم • واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود •
وجه المناسبة انه تكليف ثان لابراهيم عليه السلام بتطهير البيت واذ معطوفة على واذ ابتلى والبيت بيت الحرام واللام
للعهد ولهذا لم يقيد البيت وغلب على الكعبة كالنجم للثريا والمراد جميع الحرم لان الوصف بالامن شامل له ويدل على جواز اطلاق
البيت وارادة الحرم قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد كل الحرم والمثابة المرجع من ثاب يثوب يرجع اليه الزوار او موضع
ثواب لحجة او عمرة وقيل التاء للمبالغة وقرئ مثابات لمناسبة الزايرين وقيل من صدر عنه تمنى ما كان قبله وابو حنيفة
يستدل به فلا يواخذ الجاني حتى يخرج لكنه يضيق عليه والشافعي رضي الله عنه يخرجه لئلا يتلوث ولا يخفى ان التعميم يبطل حق الغير
فلا بد من التخصيص لاسيما وليس فيه دليل على مدعاه لجواز ان يريد الامن مما ذكرنا واتخذوا اما يعطف على واذ كر الذي هو
عامل اذ او على تقدير وقلنا او وقع معترضا معطوفا على مقدر دل عليه مثابة اي ثوبوا واتخذوا وقرئ بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس المقام قبلة يصلون اليها والامر استحباب وان اريد الامر بركعتي الطواف
اعني التي تصلى بعد الطواف المفروض لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من الطواف عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرئ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن فسر المقام بمواقف الحج حمل اتخاذها مصلى على ان يدعى فيها
ويتقرب الى الله تعالى والاظهر ان الامر للندب ايضا لحديث الاعرابي والله لا اريد على هذا ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه
اثر قدمه والموضع الذي دعا الناس الى الحج فيه قايما او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم في مقابلة الباب وقيل الحرم
كله روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت والعهد الى ابراهيم واسمعيل امرهما بان يطهرا البيت عن الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه ولما تضمن
العهد معنى القول صح حمل ان على المفسر والمراد بالطايف الذي يدور حول البيت داخل المسجد فلو طاف على الحجر والشاذروان
لم يعتد بطوافه وعكف اي لزم الشيء واقام عليه ويقال للمعتكف ايضا وقيل المقيم والركع والسجود جمع راكع وساجد والامر
بالتطهير لهؤلاء لان العمارة الحقيقية تحصل لهم روي في شرف البيت انه اول مسجد وضع على الارض رواه ابو ذر وذكر
الخبر في الصحيحين وروي ان الله تعالى انزله من السماء وقيل امر آدم ببنائه والطواف به وعن علي رضي الله عنه ان البيت المعمور
بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء حرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون فيه ابدا وروي عن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد ابرهيم فانهدم وبنته العمالقة ومر عليه الدهر

فانهدم

فانهدم وبنته جرهم ومر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا
الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم
فقضى بينهم ان يطرحوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبايل فرفعوه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في موضعه واما الركن
والمقام فقال عليه السلام هما ياقوتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما
ذو عاهة وسقيم الا شفي وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال يا آدم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول البيت المعمور فتوجه آدم اليه من ارض الهند وتلقته الملايكة وقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج اربعين حجة من ارض الهند وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى
السماء الرابعة فهو البيت المعمور وامر الله ابراهيم ببنائه وعرفه مكانه • واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق
اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير •
اذ عطف على الاول وهذا اشارة الى المكان او البلد وانما جاء هنا منكرا وفي موضع اخر معرفا لان هذه الدعوة وقعت
والمكان لم يكن بلدا والثانية حين جعل بلدا والمراد بالامن ذو الامن كقوله تعالى عيشة راضية وامنا اهله على الاتساع
مثل نهاره صايم والامن قيل من القحط لانه واد غير ذي زرع ولا ضرع ومن الخسف والمسخ والقتل وسال عليه السلام ان يرزق
الله على اهل مكة اقواتهم فاستجاب الله ذلك فصار يجبى اليه ثمرات كل شيء ومن امن بدل من اهله بدل البعض للتخصيص كقوله
ولله على الناس حج البيت من استطاع وهذا التخصيص للنص في قوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين وقاس الرزق
على الامامة فنبه سبحانه على الفرق بان الرزق يتعلق بالدنيا فيعم المومن والكافر بخلاف الامامة لانه يودي عن الله تعالى
ومن كفر عطف على من امن اي وارزق من كفر ويجوز ان يكون مبتدا وادخل الفاء في خبره لتضمنه الشرط وقرئ امتعه
بسكون الميم من امتعت وقراءة الباقين يدل على التكثير وعلى فرض تضمينه الشرط لا اشكل بكون الكفر سببا للتمتيع بل هو
سبب للتقليل فان متاع الدنيا قليل بالاضافة الى نعيم الاخرة لا سيما ويستعقب للكافر من العذاب ما يستحقر دونه
الدنيا وما فيها والتمتيع النفع والتنعيم من متع النهار اذا طال وقليلا منصوب على المصدر اي امتاعا او تمتيعا قليلا
او الظرف اي زمانا قليلا ومعنى اضطره الزه لز المضطر والجئه لتضييعه ما متعه به من نعم الدنيا وما يقرا بالامر فيهما يستدعي
اضمار ضمير ابراهيم في قال فيكون دعاء منه على الكافرين ويقرا بالجمع فيهما واضطره على لغة من يكسر حرف المضارعة وادغام
الضاد في الطاء ورد بان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما جاورها والمراد بالاضطرار الى عذاب النار
ان يفعل به ما يتعذر عليه الخلاص يقال اضطره الى الامر اي الجاه اليه وحمله عليه من حيث كان كارها له قيل من الضر وهو ادنا
الشيء من الشيء والمصيرة المراة لدنوها منها ومخصوص الذم في بئس محذوف نحو العذاب • واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • رفع البناء اعلاه والقواعد جمع قاعدة وهي اساس يبنى فوقه وهي صفة

غلبت على هذا المعنى ومنه قعدك الله اى اسال الله تثبتك واصل الثبوت والاستقرار ولما كان البنا عليها يستدعى الانتقال
عن الانخفاض الى الارتفاع عبر عنه برفع الاساس وبرفع حكاية حال مضت واذ عطف على السابق وبين به حالا اخر
لابراهيم ويجوز ان يراد بالقواعد سافات البناء لان كل ساف قاعدة بالنسبة الى ما يبنى عليه عبر عن رفعها بالبناء وبرفع
القواعد لاستلزام وضع بعضه فوق بعض الرفع والساف يقال لكل عرق من الحائط وما روينا انه كان مؤسسا
قبل ابراهيم عليه السلام يجوز ان يراد رفع ما قعد من البيت وقيل المراد رفع مكانته وتعظيمه باظهار شرفه ودعاء الناس
الى قصده بالحج والعمرة وذكر القواعد مبهما ثم تبيينها بقوله من البيت تعظيم لشانه ولهذا لم يقل قواعد البيت روى انها بنيت
من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى واساسه من حراء وعطف اسمعيل يشعر باستقلاله بالبناء كما قيل كل في
طرف او على التناوب لكن يرجح ان يكون ذلك لانه كان يناول ابراهيم الحجارة والتقبل الاثابة على العمل ويقرأ يقولان
ربنا بان يكون الجملة حالا منهما والمعنى على هذه القراءة وانه السميع لما يقولان من الدعاء العليم بما يقصدان فى البناء
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم • دعاء
بطلب الاخلاص ومنه اسلم وجهه لله او منقادين بمعنى استسلم وعلى الوجهين معناه طلب الزيادة واجعل بعض ذريتنا
امة مسلمة لك ولعل اولى من التبيين لعلمهما بان منهم ظلمة والامة الجماعة وتخصيص الذرية لان الشفقة بهم اولى اولانه
يصلح بهم غيرهم وارادة هذه الامة تعسف وما يقرأ بصيغة الجمع فلارادة ناجر ايضا والفصل بقوله ومن ذريتنا بين العاطف
والمعطوف كما قدم على المبين فى قوله تع ومن الارض مثلهن وعدم طلب ارينا مفعولين دليل على انه من راى بمعنى البصر
او عرف والنسك فى الاصل غاية العبادة غلب فى الحج اى متعبدا اتنا او مذابحنا ويقراء ارنا بفتح الراء وارهم مناسكهم
وتب علينا وهو دليل على ان طلب التوبة للامة وان صح ارادة ما شرطنا من ترك الاولى او الصغاير سهوا او قبل
النبوة وقرى ارنا بسكون الراء كفخذ وفيها زوال الكسرة الدالة على الهمزة المحذوفة والتواب الرجاع بالتوبة والرحيم
لمن تاب والمعتزلة لما جوزوا الصغاير على الانبياء لم يعتدوا بالسهو واستدلوا بهذه الاية والجواب لما كانت الصغاير
مكفرة بثواب فاعلها استحال طلب التوبة عنها لعدم تاثيرها فيها وفيها دليل على فعل العبد مخلوق لله تع لانه لو استقل بالتوبة
لم يكن للطلب معنى • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم
ضمير الجمع للامة المسلمة فاستجيب ببعث محمد عليه السلام روى انه قيل له قد استجيبت لك ولهذا قال عليه السلام انا دعوة
ابراهيم وتلاوة ايات الله عليهم لتبليغ الوحى اليهم وارشادهم الى التوحيد وتصديق الانبياء والكتب لاشتمالها عليها
والكتاب القرآن والحكمة الشريعة وما فيها من المعانى المعقولة وقيل الفقه وقيل السنة وقيل القضاء وهذا مما ينفع فى
الدارين والتزكية وهى تطهيرهم عن الشرك وساير الارجاس مناسب اختصاصها بالاخرة فان قيل ما وجه مناسبة
العزيز بما تقدم عليه ومعناه الغالب الذى لا يغلب قلنا لعل ذلك لان احداث هذه الامور فى الانفس مع ان ميلها

الى الدعة

الى الدعة والاستراحة والاعراض عن التكاليف محتاج الى غلبة وقهر وهو الحكيم العالم بما يصلحهم فى الدارين • ومن يرغب
عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين • اذ قال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين • استفهام انكار وتعجيب فيه ان يرغب احد عن مثل هذه الملة واليهود ومشركوا العرب لا زالوا
مفتخرين بصاحبها كل باعتبار ورغب عنه كرهه ورغب فيه اراده ومن سفه فى محل الرفع بدلا عن الضمير فى يرغب المنفى
المستفاد من الاستفهام وسفه نفسه استمهنها واصل الخفة وبازائه رزين العقل وقيل جهلها وسفه بالضم سفاهة
وبالكسر سفه سفها متعد ونصب على التمييز على الاول نحو غبن رايه عدل عن الرفع للتاكيد وفيه شذوذ وكونه معرفة • قال
ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام • او بنزع الخافض اذ التقدير سفه فى نفسه والاصطفاء الاختيار
وهنا الرسالة واصل الصفا الخلوص من الشوايب وهو فى الاخرة من المستحقين الصلاح لنفسه وقيل من الانبياء واذ
ظرف الاصطفاء او اسلمت او لاذكر اذ المعنى اذكر ذلك الوقت ومعنى اسلم اخلص دينك لله بالتامل والدلايل الموصلة الى
المعرفة والاسلام وقيل اذعن فقال اخلصته لله لانه المدبر لكل شىء وذلك بعد النظر وهذا تقرير لسفه الراغب عن دينه
لانه لا احد اجدر بالرغبة فى طريقه ممن شهد الحق سبحانه باصطفائه وكرامته فلا يرغب عن دينه قيل نزل لما دعا عبد الله بن سلام
ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمنا ان الله قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به
فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن فهو ملعون فاسلم سلمة دون مهاجر ولا يشكل قول اسلم بانه يلزم ان يكون غير مسلم فى زمان
لان الاكثر على ان هذا القول قبل النبوة وقبل البلوغ بل عند استدلاله بالكواكب والاطلاع على امارات الحدوث فيها وافتقارها
الى مدبر يخالفها فى الجسمية لانه لا يجوز ان يقال له ذلك قبل ان يعرف ربه ولعل مطابقة الجواب السؤال باعتبار ارادة حصول
الاسباب المقتضية للاسلام المطلوب فلا ينافيه اختلاف الزمان • ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى
لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون • الايصاء والتوصية بمعنى غير ان الثانى ابلغ وقرى بالاول وهو التقدم الى الغير بما فيه
صلاح وقربة واصل الوصل كان الموصى وصل فعل امره بالوصى ويقابلها النقضية والضمير يرجع الى الملة والكلمة او الجملة
التى دل عليها اسلمت ويعقوب عطف على ابراهيم اى وصى ابراهيم بنيه ويعقوب بنيه وجاز الاستيناف روى ان اليهود
قالوا لرسول الله عليه السلام الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات ويقرأ من نصب يعقوب فلانه الموصى اليه
من ابراهيم وبنو ابراهيم اسمعيل واسحق ومدين ومدان وبنو يعقوب روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشوخور
وزبولون ودون ويفتولى ولوذا واوشير وبنيامين ويوسف ويا بنى مقدر بالقول عليه كسر ان وعند الكوفيين يوصى
لتضمنه القول واستدلوا بكسر انا فى قولهم • رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا • والدين المصطفى الملة
الحنفية التى هى دين الاسلام اصطفى استخلصه بان اقام عليه الدلايل الظاهرة ودعاكم اليه ومنعكم عن غيره وصورة
النهى عن الموت على غير دين الاسلام قد اولت بالنهى عن تلك الحال وقت الموت ويستلزم الامر بالثبات على الاسلام

كالنهى عن الصلوة الا فى حال الخشوع كقوله عليه السلام لا تصل الا وانت خاشع ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وفائدة
العدول عن الاصل الدلالة على ان الموت فى الاول لعدم خيريته كانه منهى عنه وفى الثانى مامور به • ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا
ونحن له مسلمون • ام هذه عطفت الجملة على التى قبلها لانها منقطعة وهى تعطف كلاما تاما يصح السكوت عليه على مثله كما
تقول انها لابل ام شاء اى بل اهى شاء فالمعنى انكار شهودهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما حضرتم وقت حضر
يعقوب الموت ايها اليهود فلم تدعون عليه اليهودية ويقرا حضر بالكسر وان جعل الخطاب للمؤمنين فالمعنى ما حضرتم موته
بل علمتم ما قاله بالوحى ويجوز جعل ام متصلة وهى المعادلة لهمزة الاستفهام على تقدير اكنتم غائبين ام حضرتم واذ ظرف حضر
ومقوله اى شئ تعبدونه والمراد تقريرهم على ملة الاسلام واخذ العهد منهم على الثبات عليها وما يعم ذوى العلم وغيرهم دون
من فانه لا يسال به الا عن اولى العلم وههنا سال عن صفة المعبود كما يقال ما زيد افقيه ام طبيب فذكر ما فان قيل فاذا كان
المقصود تقريرهم على ملة الاسلام فكان الاية لنفى السؤال بمن كما قال نعم من اله غير الله سيما وما يطلب به تعرف الماهية قلنا
لعله قصد بذلك التعميم الاشارة الى انه هل يصلح لان يتخذ الها ومعبودا من جملة ما يعبد غير الله اذا تاملتم وراجعتم عقولكم
ليكون كالدليل بالنسبة الى الغير لانه لا يعلم قصدهم فى العبادة فقالوا نعبد الها عبده هؤلاء الانبياء الذين هم اكمل
النفوس البشرية المختصين بالعقول السليمة والطرق المستقيمة وهو اله دل البرهان على وجوده والوهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من الاباء لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام فى العباس بقية اباى وفى تقديم ذكره
على ذكر اسحق دليل على اشرفيته واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وكذا ابراهيم فيما يقرا ابيك ولم يحمل على الجمع كما فى قول
الشاعر وفديننا بالابينا ويقرا واله ابيك ابرهيم واسحق وعلى هذا يكون التقدير واله اسمعيل والها واحدا بدل من اله ابائك
على طريقة ناصية كاذبة ويحتمل ان ينتصب على المدح وفائدة التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الذى حصل من تعدد الاله لتعدد
المضاف الذى اقتضاه تعذر العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار والتاكيد ونحن له مسلمون مخلصون التوحيد او
مذعنون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما وهو اولى من جعله اعتراضا او يكون عطفا على نعبد لفوات الربط والتناسب
وهو كالحال المؤكدة نظرا الى ان عبادة الانبياء لا تكون الا مع الاخلاص والاذعان • تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون • وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين •
الاشارة الى ابراهيم واسمعيل واسحق وبنيهم عليهم السلام وسميت الامة بالجماعة لان الفرق تامها والمعنى ان لهم اجور
اعمالهم لا ينتفع بها من بعدهم كما زعمت اليهود لانتسابهم الى الاباء قال النبى عليه السلام لا تاتينى الناس باعمالهم وتاتونى
بانسابكم وقيل لها ما دانت به فى عصرها ولكم ما تدينون به ولا تسالون اى لا تؤاخذون بسيئات اعمالهم لو كانت لهم سيئات
كما لا ينتفعون بحسناتهم احتجت المعتزلة به على ان العبد قادر مستقل بالفعل والترك واجيب بانه لو كان كذلك لعلم تفاصيل



افعاله لاستحالة التوجه الى المجهول ويحصل للكافر العلم لقصده تحصيله ومذهب الحق فى معنى الكسب ان القدرة صفة
متعلقة بالمقدور من غير تاثيرها فيه بل القدرة والمقدور حصلا بفعل الله تعالى كالعلم والمعلوم لكن الشئ الذى حصل بفعل الله تعالى
وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب وذهب امام الحرمين الى ان معناه ان الله وضع الاسباب المقتضية لدخول الافعال
فى الوجود والقدرة والداعية القائمتان بالذات تؤثران فى دخولها فى الوجود وضمير قالوا لاهل الكتاب اى قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى يحوزوا افضل الهداية فذكر او للتنويع ولا مستند لهم سوى التقليد
فاجاب بانه قد سبق الدليل على لزوم اتباع ملة ابراهيم وان كان بالتقليد فكذلك لان الكل قد اتفقوا على صحة دينه
فاتباع المتفق اولى ونصب ملة بفعل مضمر على تقدير مضاف اى بل نكون اهل ملة ابراهيم او نتبع ملة ابرهيم ويقرا
بالرفع فالتقدير ملة ملتنا او نحن اهل ملة وحنيفا حال من المضاف او المضاف اليه والاول اولى لكون العامل الفعل
الصريح اى نتبع ملة ابرهيم حال كونها مائلة من الحق الى الباطل او حال كونه مائلا نحو ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا
ولما ادعى اهل الكتاب ان دينهم دينه وهم مشركون عرض بذلك فقال سبحانه وما كان من المشركين وقيل الحنيف المستقيم
وقيل اسم لمن دان بدين الاسلام كساير القاب الديانات • قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
الخطاب للمؤمنين او مع اهل الكتاب بان يقولوا لهم اعترفنا بوجود الصانع ووحدته والقرآن المنزل الينا وتقديمه
على ما انزل اليهم لانه اول بالنسبة الى المؤمنين وهو سبب للتصديق بغيره والمنزل على ابراهيم والانبياء المذكورين
بعده الصحف ولا ينافى نزولها عليه كونها منزلة عليهم حيث كانوا متعبدين بها مامورين بما فيها من الاحكام كالكتب
الاخر بالنسبة الى كل رسول والاسباط ذرية يعقوب واولاده فانهم حفدة ابرهيم واسحق وهى جمع سبط وهو الحافد
وهو كقوم يرجعون الى اب واحد وهو يناسب ما قال الخليل ان السبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب وذكر الى دون
على لان الكتب منتهية اليهم وتكرار ما عند ذكر موسى وعيسى وافرادهما بالذكر لان المنزل عليهما التورية والانجيل وهما
مغايران لما سبق وايضا النزاع فيهما حيث كان البحث مع اليهود والنصارى وذكر ما اوتى النبيون من ربهم بعد ذلك
للتعميم والتخصيص اتماما للمقصود وهو اولى من العكس لافادته ما لم يفده الاول من اصل المعنى فان من لم يؤمن ببعض منهم
فكانه لم يؤمن اصلا وانما صح اضافة بين الى احد لانه للعموم لكونه فى سياق النفى وقيل لا نفرق بين آخر منهم والآخر
وقيل لا نفرق بينهم فى اصول الديانات وفيه تعريض باهل الكتاب حيث آمنوا بالبعض بزعمهم وكفروا بالآخرين هذا
ونحن مخلصون لله فى الايمان به وبانبيائه • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم • اى فان آمن اهل الكتاب ايمانا بطريقتكم وهو الايمان بالله سبحانه وجميع انبيائه وكتبه المنزلة
عليهم فقد حصل لهم الهداية الكاملة وهو كلام الزامى لاعترافهم بانه يجب الايمان بكل من ثبت نبوته وقد ظهرت نبوة

محمد عليه السلام بظهور المعجزات وتخصيص الايمان بالبعض دون البعض مناقضة وايضا لا مثل لما آمن به المسلمون
فهو كقوله فأتوا بسورة من مثله وجعل الباء للآلة اولى من التعدية والزيادة اى ان طلبوا الايمان بطريق مثل طريقكم
فقد اهتدوا وان وحدة المقصد لا تستلزم وحدة السبيل اليه وان جعلت زايدة فالمعنى ايمانا مثل ايمانكم ومن جعل المثل
زيادة فلانه يقرء بالذى آمنتم وبما آمنتم وقال ليس لله مثل ولا يخفى ضعفه لفظا ومعنى ولا يشكل بالايمان بالانبياء الماضين
مع كون اديانهم منسوخة اذ المراد حقيتها فى تلك الاعصار او الاصول فان اعرضوا عن الايمان بهذا الوجه فليسوا الا فى
شقاق الحق وهو مخالفة فان كلا من المتخالفين فى شق يغاير شق الآخر لانهم ان تركوا الدين بعد هذا الوضوح لم يكن
غرضهم الا المخالفة ويكفى الله المومنين بالحفظ والنصرة وقد نصر بقتل بعضهم واسر آخرين وضرب الجزية على من بقى
من اهل الكتاب ففيه تسلية لهم لا سيما وقد حقق ذلك بان سميع لاقوال الفريقين عليم بما هم عليه فيجازى كلا ما يستحقه
من الثواب والعقاب • صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون • الصبغة فعلة من صبغ وهى الحالة
التى يقع عليها الصبغ كالجلسة ونصبها على ذكر سيبويه بانها مصدر مؤكد لمفهوم آمنا فالتأكيد لنفسه كقوله وعد حيث
وعد الله حيث تضمن الكلام السابق الوعد ولما كان الصبغ عند النصارى تطهير قال تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس
والنصارى كانوا يغمسون اولادهم بدل الختان فى ماء اصفر يسمى المعمودية وقيل المعمورية وقيل المعبودى وذلك بعد سبعة
ايام من ميلاده واصل ذلك ان عيسى قصد يحيى عليهما السلام فقال جئتك لاصطبغ منك واغتسل فى نهر الاردن فلما خرج
نزل عليه روح القدس ويقولون الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة
وطهرنا عن دنس الكفر لا مثل صبغنا وتطهيرنا او صبغنا الله بالايمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم وذكر الصبغة بدل الدين
لخروج الكلام مخرج الحاجة فى الصبغ والمقابلة وسمى صبغة لظهور اثره على المكلف من الصلوة والصوم ولكزومه كلزوم
الصبغ الثوب دع الشر وانزل بالنجاة تحرزا • اذا انت لم يصبغك فى الشر صانع • ومن هنا تبين انه لا صبغ احسن
من صبغ الله المطهر من ارجاس الشرك والكفر ونحن له عابدون عطف على آمنا وهو مردود ان جعل صبغة الله بدلا
من مثل او نصبا على الاغراء لما فيه من فك النظم لوقوع البدل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو اجنبى عنهما لانه المقصود
من الكلام السابق الا ان يضمر واقولوا عطفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا كما قاله صاحب الانوار
وقيل الصبغة الفطرة وهو قريب من انها الدين لان الفطرة التى امروا بها هو الذى يقتضيه ادلة العقل والشرع
قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون • اى اتجادلوننا او تخاصموننا فى دين الله
حيث تدعون الزلفى لديه وان دينكم افضل او تخصيص الله نبيا من العرب وتزعمون انه لو كان نبيا لكان منكم والحال
ان تربيته سبحانه لا تختص بقوم دون آخرين بل النبوة موهبة الهية يخص بها من يشاء من عباده لما يعلم فيه وهو اعلم
بتدبير خلقه وبمن يصلح للرسالة ولكل شخص ثمرات عمله كانه قال ان كان مذهبكم هذا فله سبحانه ان يفعل ما يشاء وان كان

قولكم

قولكم انه بحسب الاستعداد الفطرى وما يترتب عليه من الطاعات المقربة الى الله تع فلا اختصاص بكم فانا مخلصون له بالايمان
والطاعة ولا نسبة لكم الى الله الا بالعبودية ونحن فيها شرع بل لنا الترجيح بالاخلاص دونكم • ام تقولون ان ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أأنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون • ام يحتمل ان يكون متصلة معادلة لهمزة الاستفهام فى اتحاجوننا على ما قرئ
بالتاء فيكون المعنى اى الامرين يصدر عنكم المحاجة الباطلة او ادعاء التهود والتنصر على هؤلاء الانبياء وهو اظهر
وان تكون منقطعة والهمزة للانكار والتوبيخ ومعنى الانقطاع من احتاج الى آخر ومن للابتداء مثل براءة من الله
ولا تكرار بالنسبة الى قوله سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا الآية لان ذلك نفى عن ابرهيم وحده وهذا نفى عن متبعيه
فى الدين على سبيل الاستلزام وذكر ما هو البرهان على ذلك لان الله تع شهد على ابراهيم واتباعه بالحنيفية ولو كان
كما ذكرتم لكان الله تع قد كتم الشهادة وبطلانه بدليل انه لو كتم لكان اظلم من يتصور منه الظلم يدل على بطلان دعاويهم
وفيه تعريض بانه ظلمة حيث كتموا الشهادة على نبوة محمد عليه السلام وعلى هذا يكون التقدير كتم شهادة جارية من عند الله
فحرفها وبدلها وانا ظالمون لو علمنا فكتمنا يسوع والله مطلع غير غافل عما يصدر منا ويجازينا عليه ان خيرا فخيرا وان شرا
فشرا فهو وعيد شديد • تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون • قد ذكر فى منع الحمل
على التكرير بعد تجويزه وصحة المعنى على فرض التأكيد ان الخطاب فيما سبق الخطاب لهم وفى هذه الخطاب لنا وفيه تحذير
عن التأسى بهم او ان المراد بالاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى ويحتمل ان يقال الاول نص فى الانبياء
من يعقوب الى الاسباط حيث لم يذكر غيرهم معهم وههنا من ابرهيم ومن بعده فلا تكرار بالنظر الى المقابلة بين المجموع بالمجموع
ويحتمل ان يمنع التكرار بالنظر الى خصوص المكتسب من صبغة الله الى الآخر • سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم
التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • القائلون اليهود والمشركون ومنافقوهم
ويرتب وصف السفه الذى هو خفة العقل الناشية عن التقليد وترك النظر فى الآيات او العناد لخوف زوال الرياسة
يدل على ان الحامل على هذا القول السفه وفايدة تقديمه استعداد الجواب ووجه المناسبة ان الاول قدح منهم فى
الاصول وهذا فى امر يتعلق بالفروع وان استلزم الاول والسؤال عن مقتضى الاعراض عن بيت المقدس والقبلة
الجهة التى يتوجه اليها المصلى فى صلوته مأخوذة من المقابلة لان المتوجه اليها يقابلها وقيل فى الاصل الحالة التى عليها
الانسان من الاستقبال وقيل قالت كفار قريش ما ولاهم عن الكعبة الى قبلة اليهود وقيل صرفت القبلة فى صلوة الظهر
بعد ذهابه عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين النصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا وقيل تسعة وقيل ثلثة عشر
وستة عشر وثمانية عشر وفايدة ذكر المشرق والمغرب الاشارة الى انه لا يختص مكان بالتوجه اليه من حيث هو سوى
الامتثال للامر المتعلق به والصراط المستقيم ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى

الجزو الثانى

وذكر صاحب المفاتيح فى حكمة وضع القبلة والتحويل فوايد يذكرها بعد البحث مع المعتزلة فى اصل تعليل الاحكام بالمصالح
والاغراض وهو واجب عندهم نظرا الى انه سبحانه حليم ولا تجوز خلو فعله عن الغرض فقالوا ذلك الغرض قد يكون جليا
وقد يكون خفيا وما نحن بصدده من الثانى ويندفع شبهة اهل الكتاب والجواب انه لو كان لغرض لم يخل اما ان يكون وجوده
اولى من عدمه او لا فان كان الثانى استحال ان يجعل غرضا وان كان لزم الاستكمال المستدعى للاتصاف بما يليق وايضا لو كان
لغرض فاما ان يكون قديما او حادثا والاول يستلزم قدم الحادث والثانى تسلسل وايضا لما قام البرهان على ان الكاينات
من الخير والشر يقع بارادة الله وقدرته استحال ان يكون له غرض فى كفر العبد ثم تعذيبه ومن فوايد تعيين القبلة انه لما كان
الادراك العقلى قل ما يخلو عن منازعة الخيال كان استحضار العقلى مستدعيا لوضع صورة خيالية معينة على ادراك العقل
وفى العادة العبد الضعيف اذا وصل الى مجلس الملك لا بد وان يستقبله بوجهه ويعرض عما سواه ويثنى عليه كان التوجه
فى الصلوة بمنزلة استقبال الملك والاذكار كالثناء عليه والركوع والسجود كالخدمة وايضا المقصود حضور القلب ولا يحصل
الا مع السكون وترك الالتفات ولا يحصل الا بلزوم التوجه الى جهة واحدة وايضا جواز الالتفات الى الجهات يقتضى الالتفات
وعدم الموافقة والتنازع فقد حرض على الموافقة واتفاق الكلمة فى مواضع شتى واما فايدة التحويل فلان هذه الجهة اشرف
لان هذا البيت بناه الخليل عليه السلام فيكون الانسان اشد تعظيما وايضا فيه ابطال دعوى اليهود فى انهم ارشد واهدى
المسلمين الى القبلة ولا يشكل بالتوجه اولا لان المقصود به التميز عن المشركين حينئذ واستمالة قلوب اهل الكتاب ولما هاجروا
الى المدينة امروا بالتحويل ليتميزوا عن اليهود وايضا قد صرح النص بالمقصود منه فى قوله تعالى وما جعلنا الآية وفى تخصيص جهة
المشرق والمغرب والاكتفاء بالتوحيد دون الجمع ودون جميع الجهات مع انها ابلغ ظاهرا نكات تظهر بالتامل
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ۰ الوسط يقال للخيل رمى واسطة العقد
ومنه قال اوسطهم والعدل والاعتدال التوسط وهو فى الاصل للمكان الذى يستوى فيه المساح من الجوانب واستعمالها
للخصال الحميدة باعتبار الوقوع بين طرفى الافراط والتفريط كالشجاعة بين التهور والجبن ويطلق على المتصف بذلك
ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى كما جعلنا قبلتكم خير القبل جعلناكم خير الامم او كما جعلنا قبلتكم وسطا
بين المشرق والمغرب جعلناكم وسطا ولتكونوا علة لجعلهم امة وسطا لان اعتبار الشاهد بالعدالة وفايدة ذلك
ان تعلموا ان الله تعالى قد ارسل الرسل وانزل عليهم الآيات فادوا الرسالة ولكن الذين ظلموا انفسهم كفروا بالحجج والبينات
فيشهدوا عليهم وان لم يكونوا فى عصرهم وذلك حين تجحدوا الامم تبليغ الانبياء رسالة الله اليهم فيقولون لامة محمد عليه السلام
من اين عرفتم فيقولون قد عرفنا ذلك بدلالة كتب الله المنزلة على رسله فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد
بعدالتهم قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقياس التركيب لهم شهيدا لان الشهادة
تنفعهم لكن عدل الى على لانه كالرقيب عليهم وتقديم عليكم للاشعار باختصاصهم بذلك بخلاف الاول فان المقصود اثبات



شهادتهم على الامم واستدل به على حجية الاجماع لان حكم الله سبحانه بعدالتهم يقتضى عصمتهم عن الخطاء فى القول ايضا ولا يقدح
فيه انها متروكة الظاهر لاستحالة عصمة كل فرد لما سبق ومن قال هذه الشهادة فى الدنيا لان الله سبحانه اخبر عن جعلهم عدولا
فى الماضى فلا اقل من الحال ورتب عليه الشهادة فينبغى ان يجعل فى الدنيا حمل ذلك على الاجماع لان ما اتفقوا عليه فقد شهدوا بحقيته
فثبت حجية الاجماع ولا يخفى ان الحكم بالوسط على الامة باعتبار الجنس دون الآحاد ۰ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرؤف رحيم يحتمل جعل الكعبة قبلة بعد التوجه الى بيت المقدس لما هاجر النبى عليه السلام تالفا لليهود والصخرة
لانه عليه السلام كان اليها بمكة ويحتمل الكعبة بينه وبينها فالجعل هو الناسخ على الاول والمنسوخ على الثانى حيث اريد
بالقبلة الكعبة اى المقرر فى علمنا ان يستقبل الكعبة وما جعلنا القبلة بيت المقدس الا ليكون على صورة امتحان
يتميز به من يدوم على اتباعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عنها تقليدا لابائه او ليتعلق العلم بحال من يتبع حاليا ومن لا
يتبع لان ما كان بسبب الف وغيره يزول بزواله وعلى الاول يكون معناه ما حولناك الى الكعبة الا ليعلم الثابت على
الايمان من المتزلزل ولا يشكل بايهام حدوث العلم لما سبق من ارادة تعلق يصير مناط الجزاء وهذا اذا لم يرد مطلق التميز
كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب من باب اطلاق السبب وارادة المسبب او علم رسوله والمؤمنين كما تقول
اجوع فى غير بطنى واعرى فى ظهرى ويكون فى الاسناد الى الله تعظيما لهم وقرارة ليعلم يؤيد المعنيين واذا لم يجعل ممن ينقلب
المفعول الثانى لزم حمل العلم على المعرفة او انه معلق للاستفهام المستفاد من من والانقلاب على العقبين استعارة عن الكفر
بالله ورسوله لان المنقلب على العقبين قد ترك ما بين يديه وادبر عنه وهم قد تركوا الايمان والدلايل فصاروا كالمدبرين عما
بين ايديهم وان هى المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة بينها وبين النافية وان يكون جحدا واللام بمعنى الا اى وما كنت للصلوة
الا كبيرة الا على الذين هداهم الله الى حكم الاحكام الشرعية الثابتين على الايمان لاطلاعهم على حقيقتها روى ان الحجاج قال
للحسن ما رايك فى ابى تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى منهم وابن عم رسول الله وختنه واقرب الناس اليه
واحبهم ومعنى ليضيع ايمانكم اى الثبات عليه او الايمان بحال القبلتين والنسخ والصلوة اليهما وتمسكت المعتزلة بها على ان الاعمال
داخلة فى مفهوم الايمان لان المراد بالايمان الصلوة لما روى انه لما نسخت القبلة الى الكعبة فقالوا يا رسول الله فكيف بمن مات
قبل التحويل من اخواننا كابى امامة واسعد بن زرارة والبراء بن معرور والجواب انا لا نسلم ان المراد الصلوة والآية كما ترى
لا دليل فيها ولئن سلمنا فلم لا يجوز ان يطلق اسم الايمان على الصلوة لانها اعظم اثاره على سبيل التجوز والرافة قيل مبالغة فى رحمة
خاصة وهو دفع المكروه وازالة الضرر وذكر الرحيم بعده كالتعميم بعد التخصيص لانه اسم جامع يطلق على الافضال والانعام ايضا
ووجه المناسبة انه لا يضيع ايمانكم برافته وينعم ويتفضل بعده ۰ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما

تعملون

التقلب التحول والتردد في السماء اى اليها اوفى جوانبها قيل هو سابق النزول على سيقول روى انه قال لجبريل عليه السلام
وددت ان الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها وكان يريد الكعبة فقال جبريل انا عبد سل ربك ان يحولك الى قبلة ابرهيم
فارتفع جبريل فجعل رسول الله عليه السلام يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل فانزل الله الآية وذلك لانه اقدم القبلتين
وادعى الى ايمان العرب ومعنى قد نرى ربما نرى والمراد كثرة الرؤية ومنه قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد
والغرض كثرة تاثير النكاية بالجراحة فيمن يقابله ومعنى التولية تصيره واليا او تجعل بحيث تلى جهتها اى تمكنك من استقبالها
ترضيها اى تحبها وتشتاق اليها لامور دينية وقد وافقت ارادة الله سبحانه فاصرف وجهك الى جانب المسجد الحرام والشطر
فى الاصل لما انفصل من الشئ من شطر اذا انفصل والمراد بكون المسجد حراما حرمة القتال فيه او ممنوعا عن تعرض الظلمة وذكر
المسجد دون الكعبة لان المتعبد يكفيه استقبال الجهة وكان ذلك فى مسجد بنى سلمة فى المدينة فى صلوة الظهر واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم وذكر التاريخ قد سبق وقيل المراد وسط المسجد ومنتصفه لان الشطر هو النصف
والكعبة واقعة فى المسجد الحرام فى النصف من كل جانب ويدل على ان المراد نحوه قول الشاعر واطعن بالقوم شطر الملوك
وما يقرأ من تلقاء المسجد الحرام وحيث ما كنتم تعميم للخطاب بعد تخصيص الرسول عليه السلام لتاكيد امر القبلة والتخصيص على المتابعة
والمراد بالذين اوتوا الكتاب جنسهم لا كل فرد وسبب علمهم بحقية التحويل او التوجه علمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة
بقبلة او حقية محمد لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين وتعملون بالتاء خطاب للمؤمنين يتضمن الوعد اى لا يخفى عليه
جدكم واجتهادكم وبالياء وعيد للكافرين اى لا يهمل مجازاتهم وان امهلهم والكلام فى بقية بحث القبلة وقد اختلف فى المراد
من المسجد الحرام وذكر فى شرح السنة عن ابن عباس ان البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد لاهل الحرم والحرم لاهل المشرق
والمغرب وسند الاخرين فى انها الكعبة ما روى فى الصحيحين انه قال اسامة لما دخل النبى عليه السلام دعى فى نواحيه كلها
ولم يصل فيه حتى خرج منه فلما خرج صلى ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وما ثبت فى الروايات انه عليه السلام حول الى
الكعبة وقيل المراد الحرم كله لقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام والاسرا كان من الحرم ثم الواجب على القادر
على اليقين استقبالها يقينا وعلى غيره بالظن فيتوجه محراب المسلمين جهة من غير اجتهاد فيها بل يجوز يمنه ويسره بخلاف
محراب الرسول عليه السلام فانه نص صريح والعاجز عن التوجه بهذا الوجه لا بد له من الاستدلال ان كان من اهله لان الاصح
ان معرفتها فرض عين لكن لا على وجه اليقين لاصحاب البلاد البعيدة والا لزم على كل احد معرفة الدلايل الهندسية وفيها
حرج والادلة اما سماوية او ارضية والاولى كالعلم بمغرب الشمس فانه اذا ضبط قبل الخروج من بلده ان الشمس عند الزوال
فى مقابلة الحاجبين او على العين اليمنى او اليسرى ام تميل الى العين مثلا اكثر من ذلك مثلا علم الجهة فان الشمس فى البلاد الشمالية
فى هذه المواقع وكذلك فى وقت العصر والغروب وموضع غيبوبة الشمس ومحل طلوع الشمس يختلف بالصيف والشتاء
ومنها الاستدلال بالرياح والنجوم فالجدى لا يظهر له حركة كالثابت وذلك اما ان يكون على القفا والمستقبل او على منكبه

الايمن

الايمن من ظهره او منكبه الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها كالشمس وما وراها فيقع فى
مقابلته وما عرف فى موضع عول عليه فى طريقه الا اذا طال السفر فيختلف مواقع الكواكب وفى الجملة تحتاج فى معرفة سمت
القبلة الى معرفة طول البلد المفروض وعرضه ومعرفة طول مكة وعرضها فان كان طوله مساويا لطول مكة وعرضه مخالفا
لعرضها كان سمت قبلته على خط نصف النهار فان كان البلد جنوبيا فالى الشمال وان كان شماليا فالى الجنوب وان كان
الاختلاف بالعكس فلا بد من استخراج قدر الانحراف وذلك بان يعرف الجزء الذى يسامت رؤس اهل مكة من فلك
البروج ومعرفة ذلك بالاصطرلاب والله اعلم • ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت
بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين •
اللام موطئة للقسم اى والله لئن اتبعت والمراد بالآية البرهان والحجة وكل ما يدل على ان القبلة هى الكعبة والمراد
اهل الفساد منهم اى ما تبعوا باجمعهم فهو جواب القسم وسد مسد جواب الشرط وجعل للقسم اولى لان الاهتمام به
اكثر وانما لم يتبعوها وان ظهرت الحجة للعناد ولا يشكل باتباع بعضهم فى المستقبل اذ المراد العلماء الذين كانوا فى ذلك
العصر ويحتمل ارادة الجنس فلا يلزم ثبوت الحكم لكل افراده وعدم اتباعه عليه السلام قبلتهم لحسم اطماعهم عن ذلك
حيث قالوا على وجه التقرير لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذى ننتظره وتوحيد قبلتهم لانها وان تعددت
اتحدت فى البطلان وايضا هى جنس مضاف وكذا كل فريق منهم لا يتبع الآخر لا بمعنى اليهود والنصارى لان كل حزب
بما لديهم فرحون وهو داخل تحت جواب القسم ومعنى ولئن اتبعت انه لو اتبعت اهواءهم فاتبعت قبلتهم بعد ما ظهر الحق
بالوحى على وجه الفرض والتقدير لكنت مرتكبا للظلم على ابلغ ما يتصور لان صدور الذنب من الانبياء ولا سيما فى مثل ذلك
اقبح واشنع اذ فيه التاكيد من احد عشر وجها اللام الموطئة وتسمية ما ذهبوا اليه اهواء ووقوع ذلك بعد مجئ العلم
وما مصدرية والاكتفاء من العلم ببعضه والاتيان بحرف التحقيق وذكر اذا فانه شرط وجزاء واللام وكونه معدودا
من جملة الظالمين وذكر ذلك بعد بيان ان بعضهم لا يتبع بعضا مع كونه باطلا والتركيب من الجملة الاسمية واطلاق الظلم
والهوى ما يميل اليه الطبع والمراد بمجئ العلم دلايله فهو من اطلاق اسم المؤثر على الاثر • الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين • وجه المناسبة
انه لما بين انهم لا يتبعون محمدا فى دينه اشعر بانه ليس ذلك لعدم علمهم به علماء وهو كابن سلام يعرفون النبى عليه السلام
ورجع الضمير اليه اولى من العلم والقرآن والتحويل وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وتطبيقه بما روى ان عمر
سأل ابن سلام فقال انا اعلم به من ابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى واما ولدى فلعل والدته خانت فقال
وفقك الله يا ابن سلام ولعل وجه كونه اعلم ان ذلك مستفاد من البرهان والعلم بكون الولد له من امارات لا تعطيه اليقين
ولا يشكل ذلك بظاهر الآية لانه يكفى فى صحة التشبيه المشاركة بوجه ما فلا يلزم تشبيه المعلوم بالمظنون بل عدم الاشتباه

فى شخصه كالابناء فهو من قبيل تشبيه النظرى بالضرورى ويفيد المبالغة وحسن الاستعارة والحق خبر مبتداء محذوف
او مبتداء خبره من ربك وعلى الاول حال او خبر بعد خبر وما يقرا بالنصب فلكونه مفعول يعلمون او بدلا من الاول والفرقة
الكاتمة منهم طايفة عابد واو جعل اللام للعهد اشارة الى ما يكتمونه وان كان مناسبا لكنه اذا جعل لما عليه الرسول عليه السلام
اولى لانه اعم ويقرب منه جعلها للجنس اى ما ثبت انه من الله كثير بعتك لا كالذى اهل الكتاب بعد النسخ وليس المراد من نهيه
عليه السلام عن الشك فى انه من الله او انهم يكتمون الاام الامة باسباب زوال الشك على ابلغ وجه حيث جعل المخاطب به
من لا يقربه ذلك او الاشارة الى انه بحيث لا يشك فيه لان من ما يتوقع منه ذلك لم يومر بالانتهاء عنه والعذر بانه ليس باختياره
ليس بقوى • ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا ياتِ بكم الله جميعا ان الله على كل شئ قدير • عطف على الحق
والوجهة القبلة وهو مبتداء والجار والمجرور خبره او مرتفع بالظرف يعنى لكل امة والتنوين بدل عن المضاف اليه او لكل
طايفة من المسلمين جهة من الكعبة اى كل مولى وجهة تلك الجهة فحذف احد المفعولين او الفاعل الله تعالى ويتعين فيما يقراء
باضافة كل الى الوجهة اى يوليها اهلها وقيل الوجهة للمنهاج والشرع ومنه لكل جعلنا منسكا وزيادة اللام لضعف العامل
بتقدم المعمول كقولك لزيد ضربت ولزيد ضارب ابوه وقرى موليها بالمجهول ففيه ضمير الكل اى امر الكل بالتوجه اليها فالزموا
الخيرات من التوجه الى تلك الجهة او الجهات المسامتة للكعبة وغيرها من موجبات السعادات لانكم فى اى موضع تكونون
من الجهات المتقابلة يات بكم الله بجعل الصلوات كانها الى جهة واحدة او اينما تكونوا من الموافق والمخالف سواء كانت اجزاء
ابدانكم مجتمعة او متفرقة يحشركم الله للجزاء او اينما تكونوا من المحال الحصينة كاعماق الارض والحصون يقبض ارواحكم لانه
سبحانه اذا كان قادرا على كل شئ قدر على ذلك ويعلم من ظاهر الامر ان الصلوة فى اول الوقت افضل لانه اذا لم يحمل الامر
على وجوب استباق الخيرات الشامل لها فلا اقل من الندب وهو حجة على ابى حنيفة رحمه الله ونظيره وسابقوا الى مغفرة اى موجب لها
ومنه الصلوة • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون • ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا
تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون • اى من اى مكان خرجت الى السفر وقيل من بمعنى الى فول وجهك جانب
المسجد وان هذا الامر للحق نازلا من ربك والله لا يغفل عن اعمالكم الخير فى الامتثال والشر بتركه وقوله ثانيا ومن حيث خرجت
الى قوله شطره ليس بتكرار من حيث المعنى فان علة الاولى ابتغاء لمرضاة الرسول عليه السلام كما اشار اليه بقوله قد نرى تقلب
وجهك الآية والثانية للتخصيص كل اهل ملة بقبلة كما جرت به عادة الحق سبحانه والثالثة لرفع شبهة المخالفين وقرن كل علة
بمعلولها وقيل الاولى لنسخ القبلة والثانية لاستواء الحكم فى جميع الازمان والامكنة والثالثة للدوام وقيل الاولى فى مسجد
المدينة والثالثة خارج البلد او للاحوال والامكنة والازمنة وقيل احد الخروجين الى مكان يرى فيه الكعبة والثانى الى حيث
لا يرى والناس اليهود وحجتهم ان محمدا عليه السلام ما عرف قبلة حتى هديناه او انه يخالف ديننا ويتبع قبلتنا او قريش حين انكروا



انه يتبع ملة ابرهيم ولا يصلى الى قبلته وقالت اليهود المنعوت فى التورية قبلته الكعبة واستثناء المعاندين منهم باعتبار
قولهم ما ترك بيت المقدس الا ميلا الى دين قومه او بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقيل الا بمعنى الواو
اى ولا الذين ظلموا قال ما بالمدينة دار غير واحده دار الخليفة الا دار مروانا اى داره وحمل عليه كل اخ مفارقه اخوه لعمر
ابيك الا الفرقدان وتسميته حجة على التهكم لقوله تعالى حجتهم داحضة او يراد بها الاحتجاج فيكون اعم وقيل للمبالغة فى نفيها
رأسا كقوله لا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب • فان كلال السيف من قتال الجيش ليس بعيب
ولا حاجة الى التأويل فيما يقرأ بالا المنبهة لانه استيناف فلا تخافوا من مطاعنهم بل خافونى فلا تخالفوا اوامرى ولاتم عطف
على علة مقدرة مثل اخشونى لامنع عنكم غلبتهم ولاتم نعمتى وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه الموت على
الاسلام او علة محذوف اى امرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اهتدائكم او لئلا يكون • كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو
عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون • فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون • يعنى
ارسلنا النعمة فى بيان القبلة كارسالها فى امر رسول متصف بهذه الصفات اليكم فهو متصل بقوله ولاتم نعمتى وان اتصل
باذكرونى فالمعنى اذكرونى ذكرا يوازى نعمتى كما ذكرتكم بارسال رسول منكم يتلو عليكم ايات القرآن المشتملة على جميع ما ينال به سعادة
الدارين ويزكيكم بالحمل على اسباب الزكاء او يشهد بتزكيتكم كما سبق فى قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وتقديم التزكية هنا
وتأخيرها فى دعوة ابرهيم بالنظر الى القصد والفعل ويعلمكم معانى القرآن ومواعظه وفقهه وسننه وساير الشرايع التى اشتمل
القران على تفاصيلها وما لم يعلم بالفكر والنظر لانه لا يدرك الا بالوحى وانه بعث على فترة من الرسل والخلق كانوا متحيرين فى امر
دينهم وتكرير يعلم للاشعار بان العلم الثانى نوع فاذكرونى بما تعبدتكم به من الواجب والمندوب وباللسان من التحميد والتسبيح
والقلب بالفكر فى الدلايل واسرار المخلوقات فان كل ذرة منها كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس اذكركم بالجزاء فالذكر
الثانى للمقابلة ان لم يحمل على اثنى عليكم كما قيل وحمل عليه انا عند ظن عبدى بى للخبر فان ذكر الله للعبد يجرى مجرى الثناء ونقل
ان الله تعالى قال لموسى قل للظلمة لا تذكرونى فانى اوجبت على نفسى ان اذكر من ذكرنى وذكرى اياهم ان العنهم ولا يخفى ان المراد
بالظالم الكافر لان لعنة الله لا تلحق الا من مات على الكفر هذا هو المذهب فان كان غير ذلك فلعله فى دين موسى وفى الجملة فى هذا
الاطلاق تهويل عظيم لا سيما على مذهب من يجوز اللعن على الكافر والمقصود ليس المنع عن الذكر بل عن الحال المقتضى لذلك
ومثله ولا تموتن الا وانتم مسلمون واشكروا هذه النعم وغيرها ولا تكفروا بالاعراض عن شكرها • يا ايها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين • وجه الارتباط انه لما خاطب المؤمنين بذكر النعمة والقيام بشكرها بتبعية بحث القبلة
الناشى عن منازعة اهل الكتاب امرهم بالاستعانة بالصبر عن المعاصى والشهوات لان بالصبر يدرك الفضايل ويحترز عن
الرزايل اذ هو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق وتجنب الجزع ومن ذلل نفسه وقلبه هذا التذلل
سهل عليه فعل الطاعات وتجنب المحظورات وكذا بالصلوة التى هى عماد الدين وعنوان الاسلام ومعراج المؤمنين ومناجاة

رب العالمين وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر فهو السبب فى التخصيص وانه مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة
ويحتمل ان يكون ذكرهما بعد الامر بالذكر للاشعار بانهما من قبيل الشكر وقد ذكر فى تفسير الشكر ان المراد الصلوة
ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون • سبيل الله هنا غزوة بدر وقد قتل فيه اربعة
عشر رجلا ثمانية من المهاجرين وستة من الانصار والسبب ان المشركين كانوا يقولون لمن يقتل فى سبيل الله مات و
ذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها وخرج من الدنيا بلا فائدة وضيع عمره فى غير شئ او يقتلون انفسهم ظلما فى مرضاة محمد عليه السلام
فنهوا ان يقولوا هم اموات بل احياء فى عالم البرزخ ومعنى لا تشعرون اى لا تعلمون حالهم وكيفية حياتهم والاكثر على
ان المراد انهم احياء فى الوقت وهو دليل على ان فى القبور حيوة فلا يشكل بمشاهدة اجسامهم ميتة فيها لان البنية اعنى
اجتماع الاجزاء التى تركب منها البدن ليست بشرط فى تعلق الحيوة فلم لا يجوز ان يعيد الله الحيوة الى كل واحد من الذرات
والاجزاء من غير حاجة الى التركيب والتاليف فحيوتهم بالجسد وان لم يكن من جنس ما يحس به من الحيوانات وحقيقتها
يدرك بالوحى وعن الحسن انهم احياء تعرض لهم ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على آل
فرعون غدوا وعشيا اليهم الوجع وتخصيص الشهداء بكونهم احياء مع ان الكتاب والسنة والمعقول دلت على
شمولها لجميع النفوس المفارقة لبيان اختصاصهم بمزيد الكرامة والبهجة وسيأتى ذكر تعلقها بالطير الخضر فى آل عمران ان شاء الله تعالى
ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون • وجه الارتباط انه
لما امر بالصبر فى الآية عقبه بما هو محال الصبر والاثابة عليه والمراد من الابتلاء فعل ما يشبه الابتلاء ليظهر حال الصابر على
البلاء والمستسلم للقضاء ومن لا يكون كذلك وفائدة الاخبار بما يأتى من بعد توطين النفس عليها وتقليل الخوف المستفاد
من شئ بالنظر الى ما يتصور وقوعه من المكاره الممكنة ليعلم ان رحمته سبحانه قد سبقت غضبه والتقليل بالنسبة الى ما يلحق
الكفرة فى الآخرة وعن الشافعى رضى الله عنه ان الخوف والخشية من الله تعالى والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال
الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد ويحتمل ان يحمل على نقص الاموال كل مال لازم
الاخراج كالكفارات وعن النبى عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله للملئكة اقبضتم ولد عبدى وفى رواية ثمرة فؤاده
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه
بيت الحمد وقيل موت المواشى والنسل والضرع وقيل بالمرض والشيب والمخاطب ببشارة الصابرين النبى صلى الله عليه وسلم
وكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة يطلق على كل ما يصيب الانسان من المكاره لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو
له مصيبة وهو اسم فاعل من اصابته شدة اذا لحقته وحقيقة الصبر ليست بمجرد قول انا لله بل موافقة القلب له بان يعلم
ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويكون له الصبر والشكر الناظر اليهما بقوله عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر



والصبر من خواص الانسان ليس للملئكة والبهايم لان الاول لا داعية له والثانى لا وازع له واما الانسان فهو
بين مصادمة داعى الشهوة ووازعها الداعى له الى اللذات الحقيقية بترك الشهوات النفسانية وكونه نصف الايمان
باعتبار انه لا يتم الا بامرين وجود ما ينبغى وعدم ما لا ينبغى والثانى لا يحصل الا به ويستحضر نعم الله فيعلم ان ما ابقى عليه لا نسبة له
الى ما اخذ لانه لو لم يكن له الا بقاء معرفة الله تعالى والايمان لكان غير محصور الفوايد لعدم تناهيها فحينئذ يهون عليه المصاب
والصلوة من الله المغفرة والتزكية قال النبى عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه وجمع الصلوات لكثرتها وتنوعها فان قيل ما فائدة تنكيرها والمحل للعموم فهو دال على الكثرة قلنا لعل ذلك
لان التنكير يدل على التعظيم هذا وان هذا النوع من العمل لا يستدعى حصول جميع انواع الرحمة ولعل تقديم المعمول وهو عليهم
لايهام الحصر وان قيل اذا كان الصلوة بمعنى المغفرة فما معنى عطف الرحمة عليه قلنا هو عطف ما هو كالنتيجة للشئ لان ستر
الذنوب على المذنب من غير اعطاء النعم غير محصل لتمام المقصود وفى توسط ضمير الفصل بين اسم الاشارة والخبر المعرفة
وهم المهتدون الى الايمان بالبعث وقيل السالكون طريق الجنة • ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم • هما جبلان بمكة عند المسجد الحرام هما من اعلام مناسك
الله يعنى العبادات الحجية جمع شعيرة وهى العلامة وحج البيت الاحرام وطواف الزيارة والوقوف والسعى والحلق والعمرة
جميعها سوى الوقوف ولهما واجبات وسنن غير ان اركانهما هذه الاعمال والحج فى اللغة القصد والاعتمار الزيارة فغلب
استعمالهما فى ما ذكرنا فيكون من باب التخصيص او الحمل على بعض جزئيات القدر المشترك وعدم الجناح فى قوله فلا جناح
لاجل ان المسلمين تحرجوا بعد الاسلام عن الطواف بهما ونزوله لانه قد كان اساف على الصفا ونايلة على المروة واهل الجاهلية
كانوا اذا سعوا مسحوا بهما فلما جاء الاسلام كسر الاصنام وبهذا التقرير يعلم ضعف مذهب احمد حيث ذهب الى ان السعى سنة
وان قال به انس وابن عباس نظرا الى انه يفهم من نفى الجناح التخيير لا سيما ونفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب
كيف وقد قال النبى عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وابو حنيفة قال بوجوبه غير انه يجبر بالدم عنده ووافق
مالك الشافعى فى كونه ركنا والتطوع التبرر بالنافلة والطاعة موافقة الارادة والاصل الانقياد والخير فعل الطاعة
فرضا كان او نفلا من العبادات الحجية وغيرها ومن قال السعى غير واجب فسر الخير به والاول اولى لرعاية اطلاق اللفظ فهو
صفة المصدر او انتصب بحذف الجار اى من خير او تضمن تطوع اتى فيكون مفعولا به وقرى يطوع وفيه ادغام اذ اصله
يتطوع وكونه سبحانه شاكرا اى مثيبا على الطاعة بالقليل كثيرا ولما كان الشكر اظهار الانعام سمى المجازاة به على الطاعة
مجازا لان اللفظ خرج مخرج التلطف بالعباد مبالغة فى الاحسان اليهم كما قال تعالى من ذا الذى يقرض الله وهو عليم لا يخفى
عليه الاعمال والمقاصد ويعرف قدر الخير فلا ينقص المستحق عن حقه • ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد
ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب

وجه الارتباط انه لما خاطب المؤمنين بالشرايع والاحكام المردفة بحث القبلة اراد بيان حقيتها بشهادة كتب الله
المتقدمة على حقية امر النبي عليه السلام ووعيد الكاتمين بها وهم علماء اليهود كتموا البينات التي هي في شان محمد عليه السلام
وغيرها كآية الرجم وما يهدي الى اتباعه والايمان به وكل ما يرشد الى طريق الحق من الدلايل العقلية والنقلية قال النبي عليه السلام
من سئل عن علم علمه فكتمه الجم بلجام من نار قال ابو هريرة لولا آيتان من كتاب الله لما حدثت حديثا وكذا روي عن ابن مسعود
والآية تدل على ان كل ما يحتاج اليه في الدين لا يجوز كتمانه ونظيره ولقد أخذ الله ميثاق النبيين الآية ويدخل فيما بين الاجماع
والقياس وخبر الواحد لانها مستفادة من كتاب الله تع وهذا الاظهار فرض كفاية وذلك من بعد ما لخصناه لاهل الكتاب
في الكتب المتقدمة او للمؤمنين في القرآن ان ذلك في كتبهم اولئك يطردهم الله من رحمته ويلعنهم ايضا كل من يتأتى منه
اللعن كالملائكة والجن والانس بل دواب الارض يقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم وعن ابن عباس الثقلين من اللاعنين
الا من تاب عن الكتمان وجميع ما يجاب ان يتاب عنه مما يستجلب اللعن واصلح بتدارك ما افسد وبين لهم من الكتاب
في شان محمد عليه السلام وغيره او بين توبته فاولئك يقبل الله توبته اذ هو كثير قبول التوبة وافاضة الرحمة على المستحقين لها
واستدلت المعتزلة بها على ان التوبة عن البعض مع الاحتراز عن البعض لا يقبل والجواب ان المطلق يكفي في صدقه صدق
فرد من افراده • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون • اي من لم يتب من الكاتمين ولم يبين ولم يصلح ومات والحال انهم كافرون فاولئك عليهم لعنة
الله ولعنة كل من يعتد بلعنته ولا تكرار لان ذلك في الدنيا وهذا في الاخرة ويحتمل منع التكرار باعتبار دلالة الاول تجدد
اللعنة للجملة الفعلية والثاني استقرارها للاسمية ويكون ابلغ من هذا الوجه ويقرا برفع الملائكة وما بعده للعطف على
محل اسم الله لانه فاعل في المعنى نحو اعجبني ضرب زيد عمرو او على تقدير ويلعنهم والضمير المجرور للعنة او النار لدلالة اللعنة
عليها وفيه تهويل شانها مثل انا انزلناه في ليلة القدر ولا يخفف فينقطع ساعة او ينقص من العذاب شيء ولا ينظرون اي
لا يمهلون للاعتذار او لا ينظرون لما يأتون من التأخير الى اجل قريب بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون والعامل في
خالدين الظرف من قوله عليهم لان فيه معنى الاستقرار للعنة فذو الحال الضمير في عليهم وذلك على طريقة فتبسم ضاحكا
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • وجه الارتباط بيان استحقاق المعاندين اللعنة بالكفر والاشراك اي المعبود
الذي يستحق ان يعبد الاله الموصوف بهذه الصفات وهو المقتضي لهذه الاضافة فان ذلك بالنسبة الى المكلفين
والخطاب يعم الفرق كلها والواحد الذي لا مثل له ولا نظير فان لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان انت لا شك
واحد او منفرد بالازلية او لا جزء له ولا تركيب لان المركب مفتقر الى موجد وهو خالق جميع الموجودات او متحقق باستحقاق
المعبودية ولا اله الا هو بيان للتوحيد ونفي لتوهم انه يمكن ان يوجد اله لا يستحق العبودية وما بعد الهكم الى الرحيم
اخبار عنه ولا حاجة الى تقدير المبتدأ وان امكن وترتب هذه الاوصاف بجري مجرى الدليل على التفرد باستحقاق انه

ان يعبد وكيف لا ومن كان محدث اصول النعم من الظاهرة والباطنة ومفيضها على النفوس والابدان بل مخرجها من العدم
لم يستحق لها غيره فهو واحد في صفاته لا شبيه له كما هو واحد لا شريك له واحد في ذاته لا قسيم له فسبحان من حجب العقول
والافهام عن الاحاطة به وبهرا انوار عزة عقول الانام قال في مفاتيح الغيب لفظة هو اشرف من ساير الاسماء لانها مشتقة
يشترك فيها المتصف بذلك المعنى وهي غير موضوعة للذات من غير اعتبار بخلاف هو فانه يدل على ذاته المفردة بهويتها

مطلب لطيف

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات
لقوم يعقلون • نزلت لما قال كفار قريش يسع الناس اله واحد وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها
صدقك والمراد بالخلق اما المخلوق لان الدلالة على وجوده واتصافه بصفات الجلال والاكرام فيه ولهذا قيل الخلق
زيادة فان الدلالة ليست في ارادة الايجاد وهو ليس بصحيح يظهر بالتأمل او نفس الخلق لانه وصفه وهو لا يوصف
بالمخلوقات وتوحيد الارض وجمع السموات لانها مختلفة الطبقات مختلفة بالحقيقة متفاصلة بالذات وقد سبق
البحث عن طرف من احوالها في قوله سبحانه والسماء بناء ولا يخفى ان ايجاد السموات مشتملة على هذه الثوابت والسيارات
على وجه تصير متضمنة لمنافع الكاينات السفلية واختصاص بعضها بالحركة دون بعضها مع صحتها على الكل لا بد لها من مخصص
خارج هو الحق سبحانه او منته اليه فهذا وجه الدلالة على الصانع وهكذا الاستدلال الكواكب سواء قلنا ان بعضها ثوابت
او حركتها ابطأ فتتحرك بنفسها او بتبعية الافلاك على اختلاف فيها وليس للخصم ان يدعي ان اتصاف السموات بهذه المقادير
والاحياز امر واجب لذاته يمتنع عليها الزوال فتستغني عن المؤثر وتسقط الدلالة لقيام الدليل على تماثل الاجسام في الجسمية
واحتياج تخصيص كل بهيئة ووضع الى الواجب ابتداء او بواسطة فعل هذا دلالة الصانع اظهر لان مشاهدة تغيرها
في جميع صفاتها من الحصول والالوان المختلفة والطبايع المتفاوتة تقتضي احتياجها الى صانع عليم قدير مريد واما اختلاف
الليل والنهار فهو تعاقبهما لانه افتعال من خلفه اذا ذهب الاول وجاء الثاني ومنه قولهم فلان يختلف الى فلان ويحتمل الاختلاف
على تفاوتهما في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان ايضا وذكر صاحب المفاتيح ان من يقول ان الارض كرة
فكل ساعة عينتها فهي في موضع صبح وفي الآخر ظهر وفي آخر مغرب وفي البلاد الشمالية اعني التي يكون عرضها في الشمال اكثر
كانت ايامه الصيفية اطول ولياليها اقصر والشتوية بالضد ومن جملة الآيات حصول الربيع والصيف والخريف والشتاء
فانها بسبب طول الايام والليالي واما الفلك فاصله من الدوران وكل مستدير فلك وفلك السماء لاطباق سبعة تجري
فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها سميت بها السفينة لانها يدور بالماء اسهل دور والفلك يقال للواحد والجمع
ولا يعتبر الا وان ضمة الجمع غير ضمة الواحد فضمة الواحد كضمة الباء من برد وضمة الجمع كضمة الصاد في صفر ويقرا بضمتين
وتأنيثها لانها بمعنى السفينة ولا يفرق الا بالتذكير والتأنيث تقول تجري وجرين وسمي البحر بحرا الاستبحاره وهو سعته

وانبساطه واستبحر فلان في العلم اذا اتسع فيه وقيل لانه يشق في الارض والبحر الشق وذكران البحار المعروفة خمسة وهو بحر
الصين وبحر الغرب وبحر الشام والروم ومصر وبحر نيطس وبحر جرجان وهذه الابحر كالخليجات التي تخرج من البحر المحيط وهو
بحر المغرب ووجه دلالته على وجود الصانع خلقه الالات التي تركب منها على وجه لا ترسب في الماء ولولا رقة الماء لما تم جريها
وكذا رياح المعينة غير العاصفة المغرقة وخلق ما يحتاج اليه في كل طرف يقتضي ركوب البحر وتحمل اهواله كما قال سبحانه بما ينفع
الناس وفيه دليل على اباحة ركوبه للاكتساب والتجارة ولما كان الفلك سببا للخوض فيه والاطلاع على عجايبه قدمه على ذكر المطر
والسحاب او لان منشاهما البحر في الغالب ومن في من السماء للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل السحاب والمظلة وجهه فوق
ووجه الدلالة ان تلك الاجسام الرقيقة الرطبة اللطيفة العذبة لا تقدر على ايجادها غير الله سبحانه هذا وانه سبب لحيوة الانسان
ومنافع لا تعد ولا تحصى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وايضا السحاب مع ما فيه من المياه
العظيمة ومقتضى طبعه النزول للثقل تبقى معلقة في الجو وما قيل ان المطر بخار من البحر بواسطة تاثير الشمس في البحر واصعاد الابخرة
التي اذا اتصلت الى الجو بردت فثقلت فنزلت لا ينافي ما ذكرنا وان كان ممكنا ان يكون المطر نازلا من السحاب كما هو النص
لانه اذا كان الحق سبحانه قادرا على امساك الماء في السحاب فاتى بعد ان يمسكه في السماء والقطع بما قيل لا يمكن الا بعد نفي
الفاعل المختار وهو كفر واما احياء الارض به فاعتبار ظهور النبات والعشب والاقوات التي يعيش بها ذووا الارواح
ولا يخفى ان ما يظهر فيها من الوان الطعوم والروايح وما يحصل من الماكل والملابس والمفارش والرونق والنضرة لا يقدر
عليها غير الله سبحانه وبث فيها عطف على انزل او على احيى لان الدواب ينموها بالخصب وتعيش بالمياه والبث النشر والتفريق
وسواء ظهر الحيوان بالتوليد او التولد فلا بد له من صانع حكيم كما سبق وكيف لا ومن تدبر تشريح ابدان الحيوانات وعجايبها
اعترف بذلك لا محالة واما تصريف الرياح فباعتبار كونها مخلوقة على وجه يقبل التصريف وهو الرقة واللطافة ولما كان نفع الهواء
اعظم كان وجدانه اظهر وذلك لانه مادة النفس الذي لو ارتفع ساعة من الحيوانات لماتوا والرياح اربع الشمال والجنوب
والصبا والدبور والصبا مشرقية والدبور مغربية وما بين المهاب المعينة تسمى نكبا فتصريفها هبوبها جنوبا وشمالا وصبا
ودبورا وقيل مجيئها بالرحمة والعذاب واما السحاب فهو من السحب لان بعضه يجري بعضا سمي به لانسحابه في الهواء وقيل
بخار يرتفع من البحر والارض فيتمسك في الهواء كما سبق ووجه الدلالة فيه ان طبع الماء النزول فلا بد من قاسر هو ارادة المختار
وايضا دليل كونه مسخرا انه لا يقف في موضع دايما بل بحركة الرياح ولو دام لعظم ضرره واعلم كانت هذه الدلايل الثمانية ايات
تدل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وارادته وقدرته لانها امور ممكنة وكان من الممكن وقوعها على غير هذا الوجه مع انها واقعة
على وجه الحكمة والاتقان العجيب الشان الذي يتحير العقل في ادراكه اذ لا يفي مجلدات عظام بشرح تمام تقرير مباحثها مثلا
لو كانت الاوضاع بحيث لا تتحرك الشمس وتبقى في مركزها دايما بان يختص بعض الاماكن بالفيء وبعضها بالشمس لفقدت
هذه الاثار والمنافع وكذلك الكلام في الافلاك وساير الفلكيات فيختص وقوعها على هذا الوجه لا بد له من مخصص يستحيل



ان يكون نفسها او مؤثرا لا ينتهي الى الصانع القديم ولما لم يصح اسناد الممكنات الى مؤثرين مستقلين للزوم الاحتياج
الى كل منهما وافتقارها اليهما لزم القول بوحدته ووقوعها على وجه الحكمة يقتضي اتصاف الفاعل بالعلم والوقوع دون عدمه
يشعر بتعلق الارادة به وبعد هذا كله لزم الاعتراف بالقدرة التامة فهذه ايات لقوم يدركون الاشياء بعقولهم ويتدبرونه
تلك الدلايل والله اعلم • ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله • وجه الارتباط
انه لما عدد الدلايل الدالة على لزوم اختصاص العبادة بالحق سبحانه وان يكون احب كل محبوب لافاضة هذه النعم الجسام
عقبه باستقباح حال الكفرة واستحسان حال المؤمنين في ذلك وقد سبق ان الند الضد المنازع والمراد الاصنام
اي يحبون عبادتهم والتقرب اليهم او جميع ذلك لان العاقل لا يحب الحجر الذي لا ينفع ولا يضر او كل رئيس مطاع او كل ما
يشغل عن الله تعالى ومعنى كحب الله ان حبهم لها كحبهم لله اذ اكثرهم كانوا قايلين بالله سبحانه وهو الظاهر والا فالمعنى كحبهم
اللازم لله او حب المؤمنين لله والمحبة ميل القلب مشتقة من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها وقيل
ارادة ما تراه او تظنه خيرا ومحبة العباد لله ارادة طاعته والتقرب اليه ومحبة الله للعباد ارادة اكرامه لتوفيقه لتحصيل مرضيه
والاجتناب عن معاصيه وانما كان محبة المؤمنين لله اشد لانها باقية دايمة لا تنقطع باغراض فاسدة بخلاف محبتهم
ويدل عليه انهم كانوا يعبدون الصنم زمانا ثم يتركونه الى غيره وربما اكلوه كما اكل باهلة عام المجاعة الها المتخذ من الحيس
ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب • اي لو علم الظالمون الذين
وضعوا المحبة في غير موضعها وهو الاصنام اذا عاينوا العذاب يوم القيمة وتحقق لهم ان القدرة كلها لله تعالى على العقاب والثواب
دون ما اتخذوه آلهة والجواب محذوف اي لرأوا امرا فظيعا او ندموا اشد الندم ووضع المستقبل موضع الماضي
بدخول اذ على طريقة نادى لتحقق وقوعه وقرئ اذ يرون ويعقوب ان بالكسر وكذا ان الله فيكون استينافا او اضمار
القول وان القوة سد مسد مفعولي يرى وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان اي لو راوا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة لله لا ضار ولا نافع في وجود غيره وقرئ بالتاء على خطاب النبي عليه السلام اي لرايت امرا عظيما
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار • وجه المناسبة انه تاكيد
لوعيد من يشرك بالله مع دلايل التوحيد واذ يصلح ان يكون معمولا لقوله ان القوة لله وشديد العذاب والثاني اولى لا على
الثاني وعلى التقديرين يلزم تقييد المظروف بالظرف ولا اشكال فيه وان كان القوة لله دايما وكذا شدة عذابه لكن اثرهما
يظهر حينئذ وهو بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبعون من الاتباع وعلى ما يقرأ بالعكس معناه اذ تبرأ الاتباع من الرؤساء
او شياطين الجن او هم وشياطين الانس او الاوثان والاول اولى لقوله انا اطعنا الاية وراوا حال من الاتباع على تقدير قد
اي رايين ويجوز ان يكون محلها الجر بالعطف على الجملة والاسباب الوصل التي كانت بين العبدة والمعبودين من الاغراض

الحاملة على الاتباع والمحبة لاعتقادهم انها تنفعهم واصل السبب الحبل الذي يرتقى به على الشجر فيكون استعارة وكذا هو
لو حمل على المعهود كما قيل او الارحام او الاعمال او المنازل والاولى ان يعطف تقطعت على تبرأ وان جاز العطف على راوا والمعنى
على الاول فان المقصود بيان علة التبري كما قال تعالى الاخلاء يومئذ كلما دخلت امة والتبرأ قيل بالقول وقيل بالندم والباء
في بهم بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسئل به خبيرا ولو للتمني ولذلك اجيب بالفاء يعني يا ليت لنا رجوعا الى الدنيا فنتبرأ منهم
واعمالهم طاعاتهم المضيعة وانوابها او التي تقربوا الى آلهتهم لم ضيعوها او اعمالهم الخبيثة لم عملوها ومعنى كذلك ان مثل
ذلك الاراء الفظيع يريهم اعمالهم ندامات وهي المفعول الثالث لارى والحسرة شدة الندم اي يبقى النادم كالحسير من الدواب
وهو الذي لا منفعة فيه وفي الآية دليل على خروج اصحاب الكباير لتخصيص عدم الخروج على وجه الحصر بهم • يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون • وجه المناسبة ان عموم الخطاب يشعر بان عصيان من عصاه لا يؤثر في قطع الانعام عنهم لعموم الفيض
كما قال تعالى ومن كفر فامتعه قليلا والامر للاباحة ومن للتبعيض لانه لا يوكل كل ما في الارض ونصب حلالا يحتمل المصدر والحال
مما في الارض والحلال المباح لانحلال عقد الخطر عنه والطيب المستلذ وفي الاصل الطاهر والمراد ما لا يتعلق به حق الغير
فان الحرام وان استطابه الآكل لم يكن مستطابا لما يتبعه من العذاب ولا يحمل على الحلال للتكرار والاتباع هنا تحليل الحرام
وعكسه لانها نزلت في قوم حرموا على انفسهم الاطعمة والملابس الرفيعة ولا ينافي المناسبة المذكورة اذ النظر الى عموم
اللفظ والخطوة ما بين قدمي الماشي وقرئ بسكون الطاء وهي لغة فيها ويقرا بفتحتين جمع خطوة وبضمتين وهمزة
جعلت ضمة الطاء كانها عليها وعلل بان الشيطان ظاهر العداوة وان كان يظهر لاوليائه الموالاة وبين وجه العداوة
بانه يأمر بما يكره العقل ويستقبحه الشرع واستعير الامر لتزيينه لهم تسفيها وتحقيرا لهم او الخواطر قيل انها حروف واصوات
خفية وفاعلها ابليس العبد لانه قد يكرهها بل الشيطان يتكلم في اقصى الدماغ او القلب فيفهمها وان كان في غاية الصمم ومنه
قوله عليه السلام ان للشيطان لمة والخاطر بهذا الوجه قال عليه السلام وللملك لمة وان حمل السوء على ما يعم القبايح والفحشاء
ما يجاوز الحد في القبح من الكباير او ما لا حد فيه وما فيه حد فالعطف على اصله والا فلاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به
وفحشاء لاستقباحه اياه والقول على الله نحو اثبات الشريك وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات ولا يشكل باتباع المجتهد
فيما ادى اليه ظنه بقياس او خبر واحد لما تقرر من كونه قطعيا والظن في طريقه وقد حققناه في شرح المنهاج لان المنع
من اتباع الظن في المسايل الاصولية فان قيل كيف يسوغ اذا حمل الامر على الاباحة وترك الاكل بالكلية يفضي الى الهلاك
فليحمل على المشترك بين الوجوب والندب وهو الرجحان قلنا والاباحة ايضا مشتركة والتخصيص للخارج عن المفهوم
لاسيما والمأمور به المستلذ اما اذا حمل على الحلال فالحكم ظاهر • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • يجري مجرى البيان لمأمور الشيطان على الالتفات عن

من المشركين الى العقلاء كانه قال اسمعوا كلمتهم الحمقاء في جواب الدعوة الى الهدى والرشاد باتباع القرآن المرشد
بافصح التبيان والنظر في الحجج والآيات من دلايل العقل ولوامع البيان ويقرب منه ما قيل انه في اليهود قالوا بعد الدعوة
آباؤنا خير منا واعلم غيرانه حينئذ يمكن حمل المنزل على التورية حيث يدعوا الى الاسلام والاستفهام للتعجيب والتوبيخ دخلت على واو
الحال او العطف يعني لو كان اباهم مسلوبي العقول جهلة لا يتاتى لهم فكر ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو جواب
قيل وفيه دليل على المنع من التقليد للقادر على النظر والاجتهاد ولقايل ان يمنع ذلك لانه لا يلزم من منع تقليد من يتحقق
بطلان ما عليه منع التقليد مطلقا قال صاحب الانوار واتباع الغير فيما علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام
فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ولعل التقليل المشار اليه بقوله بدليل ما اشارة الى ما ذكر الحليمي وهو ان الانسان
اذا علم ان النبي قد قامت معجزة على نبوته في الجملة ثم اتبعه فيما يقوله كان اتباعا للدليل في جميع ما يقوله • ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون • بيان آخر لاستيلاء الشيطان عليهم بتزيين
التقليد لهم اي مثل من يدعو الكافرين فهو بحذف المضاف كمثل من ينعق او مثل الكافرين كمثل البهايم الذي ينعق اي
مثل داعيهم الى الحق كمثل الناعق بالبهايم التي لا تسمع الا صوت الداعي من غير فهم وادراك لما يقوله وذلك لانهم اذا
لم يلقوا اذهانهم الى الفكر فيما يدعون اليه كانوا كبهايم في الفهم او انهم كالاصم الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته الا مجرد
الصوت من غير فهم الحرف او انهم في تقليد الآباء كالبهايم التي لا يفهم ما يقال لها بمعنى انهم لا يعلمون ما كانوا عليه والنعيق
التصويت يقال نعق الراعي بالضأن ونعق المؤذن ولا يمكن حمله على تشبيههم في دعاء الاصنام بالناعق في نعقه على البهايم
لمنافاة الا دعاء ونداء له الا ان يجعل من باب التمثيل المركب وهو ان يراد كيفية منتزعة من جملة افراد التمثيل من غير ملاحظة
تلك الافراد ورفع صم وبكم وعمي على الذم اي هم فعدم تعقلهم كالنتيجة لذلك لاسيما ومن فقد حسا فقد فقد عقلا والمراد بالعقل
الاكتسابي لان العقل المطبوع كان حاصلا لهم ولا تكرار بالنسبة الى اول السورة لان الاول في شان المنافقين
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم • تخصيص للمؤمنين بعد التعميم
في اباحة الاكل او وجوبه ان خاف الهلاك والطيب المستلذ او الحلال وفيه دليل على ان الرزق يتناول الحرام وانه لا يمتنع
التوسط في المطاعم والاستكثار من الطيبات كما سبق في مثله واشكروا نعم الله حيث رزقكم الطيبات لان ادعاء عبادته
وحده لا يتم الا بتخصيصه بالشكر لقوله عليه السلام يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري او ان كنتم تريدون ان تعبدوا الله فان الشكر راس العبادات وانما كلمة تذكر للحصر عملا بجزئيها لان ان للاثبات
وما للنفي والاصل بقاء مفهوميهما فيفيد اثبات المذكور ونفي ما سواه وهي مفسرة لقوله تعالى قل لا اجد الآية ووجه الارتباط انه
لما ابيح الاكل في الآية الاولى بين هنا ما لا يحل اكله ولا يشكل بوجود محرمات آخر لان المراد بيان ان الحرمة مقصورة على ما ذكر

مما استحلوه لا مطلقا او قصر الحرمة على حال الاختيار والتحريم المنع فى اللغة اى حرم اكل الميتة والانتفاع بها بصوفها وشعرها
وعظمها بخلاف جلد الماكول وغيره سوى الكلب والخنزير لانه يطهر بالدباغ لا غير على المذهب الصحيح وهى ما فارقه الروح من غير
ذكاة والسمك والجراد استثناهما الشرع او اخرجها العرف وفى معناهما جميع حيوان البحر الذى لا يعيش الا فى الماء
كما لا يقال للحم السمك انه لحم ولا يحنث باكله وكانت العرب تجعل الدم فى المباعر فيشوى ويوكل والمحرم من الخنزير جميع اجزائه
وذكر اللحم لانه اعظم ما يقصد منه وما عداه تبع له والاهلال رفع الصوت اى رفع به الصوت للصنم عند ذبحه وانما سمى
ذلك اهلالا لجريان العادة برفع الصوت عند روية الهلال ثم قيل لرفع الصوت بغيره فيقال للمحرم مهل لرفعه الصوت
بالتلبية اضطر افتعل من الضرورة اى الجى واحوج غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة او با لاستيثار على مضطر آخر او غير
باغ بالافراط ولا عاد فى التقصير او على الامام وعاد بالمعصية او بقطع الطريق فلا يباح للعاصى بالسفر وهو مذهب الشافعى
واحمد والمبيح خوف الهلاك او الانقطاع فى السفر فيتناول سد الرمق وما يقوى به على السير ولا يشكل بذكر نفى الاثم مع انه
قد يجب لانه قدر مشترك بين الواجب والمندوب ولا بذكر المغفرة والرحمة مع نفى الاثم لان الحرمة قايمة والرحمة اقتضت عدم المواخذة
ان الذين يكتمون ما انزل الله ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم • يعنى علماء اليهود ورؤساهم ككعب بن الاشرف الذين غيروا نعت النبى عليه السلام باخذ الرشى
عليه وكتموه عن عوامهم والمشركين او احكام التورية بالتاويل لان شهرتها تمنع كتمانها والى هذا ذهب المتكلمون والضمير فى به
يرجع الى الكتمان او المكتوم والقلة اما فى نفسها او بالاضافة الى ما يترتب عليه من العقاب فى بطونهم اى ملا بطونهم يقال
اكل فى بطنه وبعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا والتقييد به لانه جاء لغير التناول او الاشارة الى دخولها
بطونهم لما ال اكل ما يتلبس بالنار اليها لكونها عقابا له فالعلاقة السببية وقيل يصير عين ذلك نارا وعلى الاول قوله اكلت دما
اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر • اى اكلت الدية لانها مسببة عن الدم ان لم اخونك بتزوج
ضرة طويلة العنق وعدم الكلام كناية عن الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا او لا يسمعهم كلام الرضا لثبوت اخوانه الخلاف
المومنين والتزكية اما من قبيل تزكية المعدل او التطهير والتخليص من النار فلهم عذاب مولم غاية الايلام وحيث قلنا العبرة
بعموم اللفظ علم حرمة كل كتمان علم دينى يجب اظهاره وقال النبى عليه السلام من سئل عن علم الخبر يحتمل جعله موديا له • اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار • المذكورون هم الذين يبذلون لما وصفهم
بكتمان الحق وعظم الوعيد عليه وصف الجرم ليعلم ان سبب عظم الوعيد عظم الجرم وهو انهم اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا
والعذاب بالمغفرة فى الاخرة فحقيق ان يتعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ومعنى التعجب استعظام الشئ مع خفاء
سبب عظم حصول خفاء ذلك الشئ وهو بالنسبة الى الله سبحانه مجرد الاستعظام لاستحالة الخفاء وقيل هو للتوبيخ وجعل
التباسهم بموجبات النار كالتباسهم بها وصيغة التعجب ما افعله وافعل به والاكثر على ان ما حرف استفهام اى فاى شئ

صبرهم

صبرهم يقال اصبره على كذا او صبره بمعنى وفى اصبر ضمير يعود اليه والجملة بعدها مرفوعة المحل خبر ما اى اى شئ صبرهم وعلى ما سبق
تكون ما للتعجب لاستحالة بقاء الاستفهام على حقيقته • ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى
شقاق بعيد • الاشارة الى العذاب وهو مبتدا وخبره بان او مفعول مقدر مثل فعلنا ذلك لان الله نزل الكتاب اعنى التورية
والانجيل بالحق فرفضوهما بالتكذيب وكتمان نعت محمد عليه السلام وبالحق اى بالصدق او ببيان الحق ولام الكتاب الاول للعهد
فتكون التورية والانجيل اللذان هما الاصل عندهم دون القرآن الذى اذاعوه على وجه التبع بصحة كتابهم وان اريد القرآن
فاختلافهم فيه قول انه سحر وتقول وكهانة واساطير الاولين وعلمه بشر وان حملت على الجنس فلاختلاف الايمان ببعض الكتب
دون البعض والشقاق والخلاف والبعد هو البعد عن الحق او لانهم لا اتفاق فيما بينهم وان اتفقوا على عداوتك • ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين • والمراد بالبر
ما يعم الطاعات الواجبة واعمال الخير المقربة الى الله تعالى وهو فى الاصل الخير وكل فعل مرضى والمخاطبون اهل الكتاب لانهم
بالغوا فى البحث عن امر القبلة وزعم كل فريق ان الحق التوجه الى قبلته فبين الله تعالى انه لا بر فى التوجه الى القبلة المنسوخة بل البر
فى التوجه الى ما عليه المومنون وقيل للمومنين حيث اغتبطوا بالتوجه الى الكعبة وقيل للفريق والمعنى ليس البر مقصورا على التوجه
شرقا وغربا او ليس البر الكامل ذلك وعلى الاول يناسب ارادة السفهاء الذين قالوا ما وليهم الآية ولعل وجه الارتباط
انه من قبيل الاختلاف فى الكتاب اما صريحا او ضمنا ولما بين ان البر ليس ذلك اعلم ان البر يحصل بهذه الخصال المذكورة
من العقايد والاعمال فينبغى ان يصرف الهمة اليها وتقدير من آمن بر من آمن وقيل ذا البر من آمن ويعضده قراءة البار
ومنه قولهم ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار وهو من باب ان اصبح ماؤكم غورا وذكر صاحب الانوار
ان الاول احسن واوفق ولعل الاحسنية بالنظر الى انه استدراك عن ليس البر فناسب ان يكون من جنسه ولا يتاتى
فى اطلاق المصدر وارادة الفاعل والاولحقية ان حذف المضاف اكثر من اطلاق المصدر وارادة الفاعل ويؤيده ما روى
ان رجلا سأل رسول الله عليه السلام عن البر فنزل والايمان بالله اعتقاد وجوده وجميع صفاته وباليوم بوجوده على ما وصف
الشرع وساير ما وصف فيه وكذا الملائكة والكتاب اما جنسه او القرآن فان تصديقه تصديق جميع الكتب وكذا
الايمان بالانبياء واذا تاملت وجدت المومن بالمذكورات مومنا بجميع ما يجب الايمان به • واتى المال على حبه ذوى
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة • الضمير للمال
او لله او الايتاء والجار والمجرور فى موضع الحال اى يعطيه محبا للايتاء وعلى الاول يدل قوله عليه السلام افضل
الصدقة ما تصدق به وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحناجر قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وذو والارحام القربة اولى بالتصدق عليهم قال عليه السلام صدقتك على القرابة صدقة وصلة واليتيم الطفل الذى
لا والد له والمراد محاويج القسمين والمسكين كالمسكير لدوامى السكون والسكر وسمى المسافر المنقطع ابن السبيل

لملازمته اياها كقاطع الطريق يسمى ابن الطريق ويقال للضيف لان السبيل ياتى به وللمتجوز به وحده والسائل من احوجه
الحاجة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل وان جاء على فرسه في الرقاب يشمل كل انفاق يحصل به العتق والتقدير
في فك الرقاب فيدخل فيه المكاتب والاولى ارادة الصلوة المفروضة لقرينة الزكوة ولاد لالة على وجه القطع على ان في المال
حقا سوى الزكوة لجواز ان يكون بيانا لمصارف ايتاء المال لاسيما وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة ويجوز الحمل عليه
لان فيه النفقة الواجبة والكفارات ويجوز حمله على الترغيب في نوافل الانفاق والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم صلة من فعطف عليه الموفون وقيل
على الضمير في آمن وقيل رفع على المدح كما نصب به الصابرين وقيل بحذف الخبر اى هم ايضا ابرار وما يقرأ بنصب الاول ورفع
الثاني فمنه ويشمل العهد مع الله وفيما بينهم والصابرين في الشدائد لاسيما القتال وعدم العطف لفضل الصبر على غيره
وان دخل الصوم والحج فيه فقد عمت الآيات جميع الواجبات والبأساء الفقر والشدة يقال لا بأس عليك والضراء
والزمانة اسمان على فعلاء ولا فعل لهما وحين البأس وقت مجاهدة الكفار والموصوفون هم الصادقون في الدين وصالحات
اعمالهم وهم المتجنبون عن الكفر والمعاصي وقد شملت الاية تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية والاخلاق الفاضلة و
تخليتها عن رذائل البخل وسوء المعاشرة ولهذا قال عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان فكانه قال سبحانه
من لم يجمع هذه الاوصاف لم يستحق الاتصاف بالبر والصدق والتقوى قيل لا يجتمع الا في الانبياء فان قيل ما فائدة
ذكر تلك الاوصاف الى قوله الموفون بالجمل الفعلية وهو والمتقون بالاسمية قلنا لعل السبب ان الاهتمام بشان الوفاء
بالعهود والاتصاف بالتقوى لاشتمالهما على عامة الكمالات والاجتناب عن نقايصهما اقتضى ذكرهما بهذه العبارة
لما فيها من الثبوت والاستقرار دون التجدد والحدوث يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن
اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم معنى كتب فرض ومنه المكتوبة وفي ذكر على معه زيادة تاكيد وقيل في اللوح وما يقرأ بالمعروف
فالفاعل هو الله والقصاص بالنصب وكذا كل فعل في القرآن والقصاص مؤاخذة الجاني بمثل فعله نفسا وطرفا من قص الاثر
اذا تلاه وتعقيبه بما سبق للاشعار بان من شان المتصف بالصدق والتقوى ان لا يتجاوز حدود الله تعالى لاسيما فيما يتعلق
بالنفوس فحقيق ان يذعن له وقع في الجاهلية حرب فزعم الحي الذي له طول على الآخر قتل الحر بالعبد والرجل بالمرأة فلما تحاكموا في
الاسلام الى النبي عليه السلام نزلت وامرهم برعاية المساواة حسبما عينه الشرع وذكر صاحب الانوار انه لا يدل على ان لا يقتل
الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه اذ المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد ظهر الغرض
ههنا وفيه نظر لان عد هذا الباب من قبيل المفهوم بل على اعتبار مفهوم اللقب وهو ضعيف جدا لم يقل به سوى القاضي
ابي بكر ثم قال بعده نعم لو اعتبر تكلف الاشتقاق لاتجه وانما منع الشافعي ومالك رحمهما الله قتل الحر بالعبد سواء كان عبده



اوعبد غيره لما روى علي رضي الله عنه ان النبي عليه السلام جلد رجلا قتل عبده ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال
من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وان الشيخين كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير
وقال وللقياس على الاطراف وهذا يصلح احتجاجا على ابي حنيفة رحمه الله وليس له التمسك بعموم النفس لان ادلتنا خاصة وهي
عامة لاسيما وهي اقوى لان تلك في التورية وقال ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله هو النفس بالنفس لانه حكاية ما في
التورية فلا ينسخ ما في القرآن وهذا ايضا فيه نظر لانه قد تقرر في المباحث الاصولية ان الثابت في شرع من قبلنا حجة في ديننا
ما لم نعلم اختصاصه بهم ولا يحتج به على ان مقتضى العمد القود وحده لجواز ان يكون واجبا على التخيير فلقوله عليه السلام من قتل
قتيلا فاهله بين خيرتين واجيب بان ذلك لا يقتضي اصالتها واتيان العفو تخفيف لهذه الامة حيث تحتم القصاص على اليهود
والعفو على النصارى ولعل السبب كون هذه الامة متوسطة بين افراط غضب اليهود ولين النصارى وعفا لما تعدى
تعدى الى الذنب عدي باللام ولو تعدى الى الجاني لعدي بعن قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فالتقدير عفي له عن جنايته وقيل
من عفى اذا سهل وانما لم يفسر بترك ليكون شيء مفعولا به لانه لم يثبت ذلك بل يقال اعفى دمه واعفى اللحى وعدم تفسيره بالمحو لعدم
شهرته بخلاف العفو في الجناية ويعلم من ذكر شيء انه اذا عفي عنه اي قدر كان كالثمن سقط من القصاص وتعين دية الباقي ان عفى
بغير مال وذكر الاخوة لملابسته اياه لمطالبته بالدم بالولاية وفائدته ان يعطف ويرق له للتذكير بالجنسية واخوة الاسلام
والاخ يجوز ان يكون العافي او المعفو عنه ثم بعد ذلك ليكن اتباع بالمعروف او الامر اتباع وهو القضاء برفق والاداء
باحسان ان لا يذهب بشيء منه فهما على المعفو عنه وقيل كلاهما على العافي وقيل الاول عليه والثاني على المعفو عنه وذلك اشارة الى
الحكم المذكور تخفيف على هذه الامة لما سبق من امر اهل الكتاب والاعتداء هذا التجاوز عما شرع له من قتل غير القاتل او القتل
بعد اخذ الدية كما كان من عادة الجاهلية والعذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل
بعد اخذ الدية ولعله من قبيل التغليظ اذ العمل بعموم الاول وقيل بقتله الامام عقوبة وقيل نوع شديد الالم في الآخرة
ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون اي في شرع القصاص حيوة لان القاتل يرتدع مخافة وغير المقتول
يسلم بسببه او حيوة غير المقتول والثاني وان كان اولى لانه تخصيص والاول اضمار غير ان الاول اكثر فائدة ولولا ذلك لدام
الهرج والمرج كما قتل مهلهل باخيه كليب خلقا عظيما ويقتل غير القاتل وهذه الآية ظاهرة في اعجاز القرآن لفصاحته فان معنى
قول القائل القتل انفى للقتل وقتل البعض احياء الجميع عين معناها باعتبار نفس القتل لا قصاص الطرف وشتان بينهما
الا ترى ان في الاول تكرارا في اللفظ وايهاما للمحال وهو كون الشيء نافيا لنفسه وايضا نفي القتل غير مقصود بالذات وايضا
يتضمن الردع عن ساير الجراحات ايضا وفي تنكير الحيوة وتعريف القصاص دلالة على ان مطلق القصاص يفضي الى حيوة
عظيمة لما سبق وجعل الشيء محل ضده يحوج الى اطناب ليعلم به الحكم ففيه ايجاز بليغ وما يقرأ من قوله القصص فمعناه ان فيما قص
عليكم من حكم القصاص لكم حيوة وحمله على القرآن كقوله روحا من امرنا لا يلايم ما قبله وما بعده الا بتكلف ولعله علة لان يتدرعوا

بلباس التقوى لاسيما في المحافظة على القصاص حيث بين لسرعة استبقاء نفوس اهل العلم وتخصيص اولى الالباب
لان من لاعقل له يهديه الى هذا الحكم لايحصل له هذا الخوف الزاجر • كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية
للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم •
اى فرض عليكم وقت حضور الموت وظهور اماراته على احدكم الوصية فهى مرتفعة به ان ترك مالا كثيرا لما روى ان عليا منع
مولى له ملك سبعمائة درهم وقال قال تعالى ان ترك خيرا وتذكير الضمير الراجع اليها لانها فى تقدير ان يوصى وهو احد الوجهين
فى تذكير فعلها هو ارادة الايصاء ويدل عليه ذكر عليكم ومن جعلها مبتدأ وما بعدها خبرا فالجملة جواب الشرط بتقدير الفاء
كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه من جهة الضرورة والظرف لاينتصب لان معمول المصدر لايتقدم
او مبتدأ خبره للوالدين بالوصية مال اى كثير بل لم يعد عائشة ثلثة الالف منه لمن ملكها وله اربعة من العيال وقيل الكثير
ثمانمائة درهم وقيل من خمسمائة الى الف وقيل يختلف باختلاف الاشخاص وقيل سبب نزولها انهم كانوا يوصون للابعدين
دون الاقربين فخرا وشرفا وكانت الوصية واجبة فى بدو الاسلام للوالدين والاقربين وهم الاولاد فى قول وقيل
من عدا الوالدين ممن يرث لقوله تعالى مما ترك الوالدان والاقربون وقوله بعده اذا حضر القسمة اولوا القربى اى من لايرث
وقيل من لايرث منهم وقيل الاعم وحقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا وفيه زيادة توكيد الوجوب ولا اختصاص له بالمتقين
اذ معناه انه لازم لمن آثر التقوى وتحراه فيدخل الكل فيه والمعروف العدل بان لايفضل الغنى ولا يزاد على الثلث اذا
كانت لغير الوارث اذ الاجماع عليه وقيل كانت مندوبة وعلى هذا تكون ثابتة وقيل ثابتة فى حق غير الوارث منسوخة فى حقه
والحق انها نسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث قال صاحب الانوار
فيه نظر فان آية المواريث لاتعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامة
بالقبول لايلحقه بالمتواتر ولعل نظر من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله
وايضا المختص لهم بتوفير ما اوصى الله به عليهم وللقايل ان يقول منع النسخ بدعوى كونها ثابتة لعدم المنافاة فيه نظر لان
اية المواريث وان اكدها من جهة تاكيد منع النسخ اصل الوصية لكنها تنافيه باعتبار لزوم الوصية للوارث لان الوصية له
اما بقدر حصته او انقص او اكثر والاولان باطلان والثانى يمنعه آية المواريث نعم القدح فى عدم صلاحية نسخ الخبر الاية سديد
لان علة عدم صلاحية نسخ الآحاد المتواتر ان الظن لايعارض القطع وتلقى الامة للخبر لايجعله قطعيا كتلقى الامة الاحاد
فى الجملة بالقبول وهو وان ذكر نظرا فى التفسير استشهد النسخ فى الاصول والتبديل التغيير امام من الاوصياء او الشهود والتهديد
يختص بما اذا وصل اليه وسمعه وحينئذ يختص اثم الايصاء المغير او التبديل بالمغير لمخالفة الشرع واكد ذلك بان الله
يسمع ما يقوله ويعلم ما يفعله • فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهما فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم • اى توقع
ومنه اخاف ان يرسل السماء او علم قال • فلا تدفننى فى الفلاة فاننى • اخاف اذا مامت ان لا اذوقها • وقرئ بالتشديد

من التوصية

من التوصية والتخفيف من الايصاء والجنف هنا الميل بالخطاء فى الوصية والاثم التعمد وفسر هنا بان يوصى للاجانب
ويترك اولى القربى وفيه نظر نعم يستقيم تفسيره بالزيادة على الثلث والاصلاح بين الموصى لهم باجرائهم على وجه الشرع
ولا تبعة الاثم لانه تبديل باطل بحق وذكر الوصفين لوعد المصلح ومطابقة ذكر الاثم لان الفعل ما يؤثم واثرهما حصول هذه
الرخصة • يا ايها الذين كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات • اى فرض والصيام
مصدر صام واصله الامساك عن الشئ ومنه قيل للصمت صوم قال تعالى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
وصام النهار اعتدل وفى الشرع امساك عن المفطر بالنية من طلوع الفجر الى الغروب والظرف منصوب بالمصدر او الحال
ووجه الشبه ان لم يكن صومهم رمضان كما قيل هو كونه فرضا ومن قبلنا آدم ومن بعده فانه عبادة قديمة كذا ذكره على رضه
وفيه توكيد وترغيب وللنفس تطييب لان الشئ الشاق اذا عم سهل وقيل النصارى زادوا على رمضان لموتان
اصابهم او لتحويله من الشتاء الى الربيع وسبب الفرض ارادة اتقائكم عن المعاصى فانه اقمع للنفس اذ به تضعف القوة الغضبية
والشهوية لانه يكسر شهوة البطن والفرج قال عليه السلام فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال عليه السلام اذا دخل رمضان
صفدت الشياطين ومردة الجن وقيل تتقون ما حرم عليكم من الماكل والمشرب او المفطر بعد العشاء وبعد ان تناموا
كذا كتب عليهم وعلينا ثم نسخ باحل لكم والمعدودات الموقتات بمقدار معلوم وقيل قلايل كدراهم معدودة اذ الكثير
لايعد بل يهال هيلا وان لم يجعلها رمضان كما قاله الاكثر فهى عاشوراء وثلثة من كل شهر كانت واجبة فنسخت برمضان
قال عليه السلام صوم رمضان نسخ كل صوم وانتصاب اياما بكتب او بالصيام او بتتقون والاول اولى من الثانى
لانه كنهر الله والثانى كنهر معقل ومن الثالث باعتبار المعنى وقيل اياما تتعلق بقوله كما كتب فالمشابهة بين الفرضين
من هذا الوجه ووجه المناسبة بما قبلها انه لما بين ان المتصفين بالصفات المستفادة من ليس البر الى اخره هم الصادقون
المتقون وانهم الصابرون على مضض القصاص وانهم مراعون امر الوصايا اعقبها بما هو اشق من الرياضات وهو
الصوم ليكون كالتتمة للاول وهو كالمقدمة لقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون • اذا قدر معنى الشرط فالمراد بكان
معنى الاستقبال كما تقول من آتانى اتيته اى من يكن مريضا او مسافرا او راكب سفر فافطر فليقض واذا جعل التقدير
فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان فطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه لدلالة الكلام عليها
والمراد به مرض يضره معه الصوم او يعسر معه الصوم وقيل كل مرض لاطلاق اللفظ كالسفر ويحمل ان يجاب عنه من غير
دليل ورخص مالك بالصداع المفرط والرمد الشديد واعتذر ابن سيرين بوجع الاصبع ودليل الاول قوله سبحانه يريد بكم
الله اليسر ولا يريد بكم العسر وقضاء غير المتعدى ليس على الضرر واما السفر فقيل يبيح ولو فرسخا وقيل يوم
وعند ابى حنيفة ثلثة مراحل اربعة وعشرين فرسخا سند الشافعى بالتقييد بستة عشر فرسخا القياس على الصلوة

ولان المشقة لا يكثر في مسيرة يوم بل يومين وتمسك ابو حنيفة بالاحتياط معارض بان التخفيف في الرخص مطلوب
وقوله فعدة اي فعليه عدة وما يقرأ بالنصب فالتقدير فليصم عدة وتنكير العدة واختيارها على فعدتها ليعلم عدم تعين عدد منها
وذهب الظاهرية الى وجوب الافطار دون ترخصه ونقل ذلك عن ابن عباس وابن عمر وعلى من اطاق الصوم ان افطر
فدية هي طعام مسكين لان الصوم لما وجب على سبيل التخيير لشدة المشقة فنسخ وقيل الحامل والرضيع والشيخ الكبير وبقي محكما
بالنسبة اليه وهو مد عند فقهاء الحجاز من بر او صاع من غيره ونصفه عند اهل العراق وقرئ باضافة الفدية الى الطعام
كقوله غرامة الدرهم وجمع المساكين لجمع الذين وقرأ يطوقونه من الطوق بمعنى الطاقة اي يكلفونه ويتقلدونه ويتطوقونه
اي يتكلفونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه معروفا ومجهولا اصلهما يطيوقونه ويطيقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه
وفي هذه القرآت دلالة على اعتبار ما سبق من بقاء الحكم بالنسبة الى الشيوخ ومعنى تطوع الخير الزيادة في الفدية والصوم
خير لكم ايها المطيقون والمرخصون في الافطار من الفدية وتطوع الخير والتأخير للقضاء فيندرج تحته المسافر والمريض
فان قيل كيف يجري الكلام على ظاهره والفتوى على ان من تضرر بالصوم كان الافطار خيرا له واليه اشار عليه السلام ذهب
المفطرون اليوم بالاجر قلنا لا بد من التخصيص محافظة على الخير وجواب ان كنتم محذوف مثل اخترتموه دل عليه ما قبله
اذ التقدير ان علمتم ما في الصوم من المثوبة العظمى المشار اليها بقوله تعالى كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به الخير
وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم علمتم ذلك وهو ابلغ من جهة المعنى والاول من جهة الربط فان قيل ظاهر اللفظ توقف
الخيرية على علمهم وليس كذلك قلنا التقدير ثبوت الخيرية عندهم ان كانوا عالمين بما يدل عليه او ان كنتم فاعلوا صدقنا
او التقدير كتب عليكم الصيام وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون وقيل العلم بمعنى الخشية • شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان • الشهر ماخوذ من الشهرة يقال شهره اذا اظهره الحاجة الى معرفته
وقيل سمي باسم الهلال وسمي برمضان لموافقة وجوبه ايام رمض الحر وهم قد سموا الشهور بازمنة وافقتها وهذا انما يتجه
ان لو كانت الاسماء اصطلاحية او لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه وهو مصدر رمض اي
احترق ومنع صرفه كعمران للعلمية والالف والنون ارتفع بالابتداء وخبره ما بعده او خبر مبتداء تقديره تلك الايام شهر
رمضان او بدل من الصيام على تقدير كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وما يقرأ بالنصب فعلى تقدير صوموا
او ان تصوموا او بدل من ايام او خبره فمن شهد والفاء لانه لما وصف بالموصول فكانه الموصول وقيل التقدير فيما تلي
عليكم شهر رمضان عن انس انه قال قال النبي عليه السلام لا تقولوا رمضان انسبوه كما نسبه الله فقولوا شهر رمضان وقوله
من صام رمضان لأمن الالباس والمراد بالانزال فيه ابتداؤه وعن ابن عباس وغيره انه انزل كله ليلة القدر الى السماء الدنيا
ثم انزل نجوما وما روي انه كان ينزل كل ليلة القدر ما يحتاج اليه الى القابل ضعيف لانه قد ثبت نزوله في اثناء السنة بحسب
الحاجة والتمسك بانا انزلناه في ليلة القدر ليس بقوي والمعنى انزل في شانه القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم



ان صحف ابراهيم نزلت اول ليلة والتورية لست منه والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والمنزل
في شانه هو كتب عليكم الصيام بانزال القران ولما خص به الذي هو اعظم آيات الربوبية اختص بنوع عظيم من انواع العبودية وهدى
حال من القرآن اي يهديهم الى الحق وهو ايات واضحات وبينات من باب عطف الاخص على الاعم اذ المعنى انه بينات من جملة
ما يهدى به من كتبه • فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون • اي حضر الشهر صحيحا مقيما وجب عليه صومه وارتفع
التخيير بينه وبين الفدية والشهر انتصب على الظرف وكذا الضمير ومنع كونه مفعولا به نحو شهدت الجمعة نظرا الى ان المسافر
والمريض قد شهداه وليس بقوي لانه كالاستثناء حيث عقب بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر واللام للعهد والمعهود
رمضان والمراد بالشهر جزؤه وعن علي رضه اوله ويحصل بالرؤية او السماع واعادة ذكرهما ليعلم ان خيارهما باق لكن بين
الصوم والافطار واقضاؤه وارادة اليسر دون العسر لهذه الرخصة حتى ان من الناس من زعم انه لو صاما ما وجب
عليهما القضاء ويقرآن بضمتين ولتكملوا عطف على مضمر اي ليسهل لكم وكلاهما علل المحذوف اي شرع لكم هذا الوجه المذكور
لتكملوا او هو علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر والمراد به تعظيم الله و
الثناء عليه وقيل تكبير يوم الفطر وقيل عند الاهلال ويجوز ان يعطف على اليسر وما يحتمل المصدرية والخبرية والشكر علة
الترخيص فهو كما ترى نوع لطيف من الكف واستعمال على لارادة الحمد اي تكبروا الله حامدين وقرئ بالتشديد ومعنى لعلكم
تشكرون ارادة ان تشكروا ولا دلالة فيه على ان الله لا يريد العسر كما قال المعتزلة لان المحلى ليس بنص في العموم وان سلم
فلم لا يجوز ان يراد المعهود ولا يدل على انه قد يقع من العبد ما لا يريده بان يصوم المريض لان معنى عدم ارادة العسر يجوز
ان يكون عدم الامر به • واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي
لعلهم يرشدون • لعل وجه المناسبة الترغيب في الدعاء عقيب الصوم الذي هو مظنة ان يسمع الدعاء على ما ورد في الخبر لا سيما
وفيه تعليم بان الدعاء ينبغي ان يسبق بالثناء حيث ذكر عقيب التكبير على ما ثبت في الخبر الصحيح ولتعلموا ان الله يعلم شكرهم
وتكبيرهم وسبب نزولها ان اعرابيا سأل رسول الله اقريب ربنا فنناجيه او بعيد فنناديه والاولى ان يحمل العباد على العموم
غير ان التخصيص بالمؤمنين كما قيل نظرا الى اضافة التشريف مناسب والدعاء استدعاء العبد العناية والمعنى استجيب لكم
اذا دعوتموني وقيل اجيب ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقيل اسمع من سمع الله لمن حمده وقيل
اتقبل عبادة العابد وفيه تقرير للقرب واجابة الدعاء فليستجيبوا اذا دعوتهم لاوامري كما اجبتهم لمهامهم والمراد بامر الايمان
الثبات والمداومة عليه ولكن ذلك كله حالة كونهم راجين اصابة الرشد اي الحق ويقرأ بكسر الشين وفتحها ثم القرب
لا يخفى انه ليس بمكان بل بالعلم والحفظ ووجه القرب ان الماهيات الممكنة لا تصير موجودة الا بالله تعالى وكان الصانع اقرب
اليها من وجودها وانما لم يقل العبد مني قريب لان الممكن من حيث هو معدوم فلا يمكنه القرب من الله تعالى والله قادر عليه

بان يقربه بفضله ولا عبرة بقدح من لا خلاف له في عدم اعتبار الدعا نظرا الى الرضاء بالقضاء ورد انه اراد وقوعه لو قع به
لان الله سبحانه حرض عليه في عدة من كتابه والنبي عليه السلام بالغ فيه حتى قال الدعاء مخ العبادة وافضل العبادة الدعاء والدعا
هو العبادة كقوله الحج عرفة • احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم • وجه المناسبة بيان ان الله رحيم بعباده حيث لطف
بهم بان خفف عنهم واحل لهم الرفث بل الاكل جميع الليل وكانوا من قبل اذا ناموا لم يفعلوا بعده شيئا من ذلك فيرجى منه
اجابة الدعاء وليلة الصيام ليلة يصبح صايما في غدها روى ان قيس بن صرمة الانصاري كان صايما فاتى اهله
عند الافطار وان عمر رضي الله عنه اتى امرأته بعد ما نامت فذكر ذلك للنبي عليه السلام فنزل ففرح المسلمون به فيكون نسخا
لقوله تعالى كما كتب والرفث الافضاء الى بهن بالجماع وغيره ولهذا عدى بالى ويقرأ الرفوث واحل وقيل هو الجماع وقيل ذكره
وقيل الاصل فحش القول ولا بعد ان يكون اختياره هنا للاشارة الى قبح فعلهم ويدل عليه تسميته خيانة والاستيناف
بذكر كونهن لباسا بيان فائدة الاحلال وشدة لزوم الاجتناب عنهن مع ان كثرة الملابسة والمخالطة واعتناق احدهما
الاخر اقتضى اطلاق اللباس على كل منهما ومنه قول الجعدي • اذا ما الضجيع ثنى عطفها • تثنت وكانت عليه لباسا •
وايضا يستر كل الآخر عن الفجور وخيانة الانفس ظلمها بالتعريض للعقاب والاختيان ابلغ من الخيانة كما في كسبت و
واكتسبت فان الثاني لا يقال الا حيث يكون فيه تكلف وترتيب قبول التوبة بعد ما تابوا والعفو وهو محو الاثر على علمه للاشارة
الى اعداد الرحمة للمذنبين لكونه سبحانه فياض الرحمة لمقترفي الآثام واصل المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع
والاذن فيها بعد التحريم دليل جواز النسخ السنة بالكتاب ولا ينافيه تبيانا لكل شئ لما سبق ان النسخ بيان انتهاء حكم شرعي
بطريق شرعي متراخ عنه وابتغاء ما كتب الله طلب ما اثبته في اللوح من الولد وفيه اشارة الى انه ينبغي ان يكون ذلك المقصود
بالنكاح وقيل نهي عن العزل وهذا الاتجه اذا فسر بمحل الحل فان المحرم لم يكتب لنا وكذا اذا فسر بالحظر بعد الاباحة او من
الازواج وملك اليمين • وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • تتمة لما احل الله لهم والمراد
بالخيط الابيض ما يظهر في الافق من بياض الصبح الممتد اول ظهوره والاسود ما يمتد معه من سواد الليل قال ابو دؤاد
فلما اضاءت لنا سدفة • ولاح من الصبح خيط انارا • وذكر ان من الفجر بياض للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الاسود
لان بيان احدهما بيان للثاني ولقايل ان يقول فاذا كان كذلك فهلا قدم الفجر على الخيط الاسود بل الاولى ان يقال انه بيان
ليبين احدهما من الآخر لا لنفس الخيط لان الابيض نفس الفجر كان الاسود نفس الليل وهو من باب التشبيه دون الاستعارة
لما سبق ان شرطها طي ذكر المشبه به فمن الفجر يمنع ان يكون استعارة وضرورة توقف العلم بالخيطين على قوله من الفجر منعت
من حمله على الاستعارة نظرا الى الوضع اللغوي وان كانت ابلغ وما روى عن عدي بن حاتم انه عمد الى عقالين ابيض و
واسود فجعلهما تحت وسادته وينظر اليهما ليتبين الابيض من الاسود وانه ذكر لرسول الله غير بعيد ويحتمل ان يوجه بحيث

لايلزم غفلته مع كونه من اهل اللسان لانه قد روى ان رجالا فعلوا ذلك حتى نزل قوله تعالى من الفجر وان لم يقل بتأخر
نزوله فيحتمل ان يكون قد فهم ان التقدير حتى يتبين الخيطان من جهة الفجر اعني من ضوءه فان اصل الفجر الشق والفجر
انشقاق ظلمة الليل بنور الصبح ولا يقال انه لو كان كذلك لما نسبه النبي عليه السلام الى البلادة بقوله ان كان وسادك
لعريضا لان له محملا آخر لا يلزم منه البلادة لما روى انه جاء الى النبي عليه السلام وذكر ما فعل فضحك النبي عليه السلام وقال
ان وسادك اذا لعريض الليل والنهار تحت وسادك انما ذاك الليل والنهار وعلى هذا فرواية عريض القفا يحمل على هذا ايضا
ومن قيل للتبعيض لان المعتبر بعض الليل وقيل للتبيين كانه قيل الخيط الذي هو الفجر ثم اذا قلنا ان قوله من الفجر قد تأخر
نزوله لزم تأخر البيان عن الخطاب والاكثر على جواز ذلك لقوله تعالى ثم ان علينا بيانه فان قلت يلزم تأخيره عن وقت الحاجة
للقصة قلت لا نسلم ذلك اذ المراد عموم الحاجة وعدم فهم بعض الناس مسئلة لغفلة عنها لا يستلزم حاجة الكل اليها
وقلما يخلو تقرير عن حاجة الى الاستفسار هذا وان منهم من جوز ذلك ومنع ما قيل فيه من لزوم العبث نظرا الى فهم معنى
في الجملة وفي الآية دليل على صحة صوم الجنب لانه اذا جاز امتداد الوقاع الى الصبح يكون الغسل بعده ومن الغرب ما روى
صاحب المفاتح عن الاعمش جواز الاكل والشرب الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على آخره وان الخيطين الليل والنهار
ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون • الاتمام صالح لابتداء الامر ولما بعده وفيه بيان آخر وقته فلا يصلح الليل له وفيه نفي الوصال واما دلالته
على جواز النية بالنهار فضعيفة وعدم لزوم اتمام صوم النفل وقد علم بقوله عليه السلام الصايم المتطوع امير نفسه والمراد
بالنهي عن المباشرة في الاعتكاف النهي عن الجماع وهو يفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد والاعتكاف
لبث مسلم عاقل ليس بجنب ولا حايض في المسجد لقصد هذه القربة وفيه دليل على انه يكون في المسجد من غير اختصاص
بالجامع كما ذهب اليه ابن المنذر وكانوا يواقعون حال الاعتكاف اذا خرجوا في اثنائه فلا يكون ذكر المساجد دليلا
على الجواز في غيره وحدود الله احكامه السابقة من الاوامر والنواهي والحد هنا الحاجز بين الحق والباطل ونهي القرب
منها ابلغ من اعتدائها لاستلزامه النهي عن تخطيها بخلاف العكس وقيل لا تخالفوها ولا تغيروها قال عليه السلام ان لكل
ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ومثل ذلك التبيين الذي سبق يبين الله ما يتعبد به
الخلق لهم كي يتقون مخالفته في اوامره ونواهيه فان قيل هل يصح رجع الضمير الى جميع الاحكام السابقة مع حمل
النهي على التحريم قلنا لا الا على ضعف لاشتمالها على الاباحة فلا بد من التخصيص او استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون •
اي لا يأكل بعضكم مال بعض على الوجه الذي حرمه الله وتدلوا نصب على الظرف او الحال من الاموال وسقوط النون
من تدلوا اما بالعطف على المنهي او تقدير ان وذكر الاكل لانه المقصود الاعظم لا لقصد الاختصاص قيل نزلت

فى متحاكمين تحاكما الى رسول الله عليه السلام فقال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فلا ياخذ منه شيئا فانما اقضى له قطعة من نار فحكم بعد
ذلك المدعى المدعى له فيها والادلاء الالقاء من ادلاء الدلو فى البير وقيل هو ان ينكر الامانة ويحلف عند الحاكم او يرشيه
او ياخذ مال اخيه بشهادة الزور فيحكم القاضى بالظاهر وهو لا يحل الحرام وعند ابى حنيفة ينفذ باطنا ايضا واكل الاموال
بالاثم يشمل هذه الصور والواو للحال اى تاكلونها عالمين بانكم مبطلين عارفين بقبح صنيعكم • يسالونك عن الاهلة
قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
واتقوا الله لعلكم تفلحون • وجه المناسبة انهم لما امروا بالتقوى ولا يتصور الا بالاخلاص الدين لله عقبه بالامر بالجهاد
لاعلاء كلمة الله للتمكن من اقامة اوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه روى انه نزلت فى صلح الحديبية حيث صد المشركون
رسول الله عليه السلام عن البيت وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوله مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون
عدم وفايهم وهذا يناسب ما قيل ان ذلك قبل الامر بقتال المشركين كافة المقاتلين والتاركين القتال وقيل من يتوقع
منهم دون غيرهم كالنساء والصبيان والمشايخ والرهبانية وان حمل على من هو بصدده فعام وكل ذلك يدل على انها
محكمة كما قاله ابن عباس والمنع عن الاعتداء شامل لان يقاتل على غير دين الله وقتال المعاهد والابتداء بالقتال من غير دعوة
والمثلة وقيل من نهى عن قتله كالمذكورين واكد ذلك بعدم محبة الله المعتدين فان قيل ما فايدة العدول عن بيان بغضه تعالى
للمعتدين مع ان عدم المحبة لا يستلزم البغض وهو ابلغ ظاهرا لاسيما وفسر بقوله لا يريد بهم الخير فان ارادة الشر اعظم
قلنا لو صح ان يكون القسمة ثلاثية لاتجه الاعتراض ولعل العدول الى هذه العبارة للتعريض بمقابليهم فى اثبات المحبة لهم
واحتج المعتزلة على ان الاعتداء ليس بارادة الله تعالى والمنع ظاهر لاسيما ومسئلة العلم والداعى تكفى فى الجواب
واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين • اى اقتلوهم حيث ظفرتم به ولو فى الحرم واصل الحذاقة فى درك الشئ علما
وعملا وقيل وجود على وجه الاخذ والغلبة يقال فلان ثقف اى سريع الاخذ لامراته فاما تثقفونى فاقتلونى فمن اثقف
فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد وقع يوم فتحها والفتنة المحنة التى يبتلى الانسان بها ولو بالجلاء
من المسكن اشد نكاية من القتل لدوام تالم النفس بتعبها ومنه قوله لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق
وقيل شركهم فى الحرم اعظم من قتلهم الذى عيبوا به المسلمين وسميت فتنة لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وهو
الهرج ومنه الفتنة وانما كان اعظم من القتل لافضائه الى العقاب الدايم ولا تبتدؤهم بالقتال عند المسجد الحرام
حتى يبتدؤكم وقرئ تقتلوكم اى تقتلوا بعضكم لقولهم قتلنا بنو مرة ومثل ذلك جزاء الكافرين وقد كان ابتداؤهم بالقتل
شرطا لجواز القتال فى الشهر الحرام وبقى الآن شرطا فى هذه البقعة فقد شبه قتلنا اياهم على طريق الجزاء بقتلهم

اياناً وان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا
على الظالمين • اوجب تعالى قتالهم وبين انهم متى تركوا القتال وقيل الكفر سقط وجوب القتل والاول انما يصح ان لو قيد
بالقتال عند المسجد الحرام ويدل على قبول التوبة من كل ذنب تقبل توبة الكافر عن الكفر وقاتلوهم ثانية ليست بمنسوخة
لما سبق ان البداية بالمقاتلة نفت حرمته والفتنة الشرك بقرينة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا تعتدوا على المنتهين
فانه لا ينبغى ان يظلم من لم يظلم فوضع العلة موضع الحكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء وتسمية جزاء الظلم
ظلما للمشاكلة كجزاء سيئة وفيه انهم ان تعرضوا لهم بعد ذلك كانوا ظالمين فلعله يسلط عليهم من يفعل بهم ذلك • الشهر
الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
مع المتقين • نزلت فى صد المشركين رسول الله فى ذى القعدة عام الحديبية ولما كان العام القابل اتفق خروجهم
لعمرة القضاء كرهوا القتال لحرمة الشهر فقال تعالى حرمة هذا الشهر وهتكه منكم بهتكهم حرمته فلا حرج عليكم الشهر مبتداء
وبالشهر الحرام خبره والحرمات يجرى فيها القصاص فحيث هتكوا حرمة الشهر بقتالكم فقاتلوهم ولا تبالوا به وقوله تعالى
فمن اعتدى جعل فذلكة التقدير وتاكيدا له ويحتمل ان يكون من باب التعميم بعد التخصيص وهو اولى ولهذا تمسك به الفقهاء
فى بحث الضماين وكيف لا والنظر الى عموم اللفظ لا خصوص الواقعة واتقوا الله فى الانتصار ولا تتجاوزوا ما حل لكم
واذا كان الله مع المتقين يحرسهم ويصلح شانهم وتسمية الثانى اعتداء للمشاكلة كما سبق وفيه دليل على انه سبحانه
ليس بمتحيز • وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين • لما ذكر امر القتال
وما يترتب عليه من الفايدة حرض بما هو العماد فيه وهو انفاق المال فى العدد والالقاء تصيير الشئ الى جهة السفل
والتعدية بالى لتضمن معنى الانتهاء والايدى الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرية وهى بمعنى الهلاك وهو تصيير
الشئ بحيث لا يدرى اين هو وتقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة ولعل اولى من جعل الباء زايدة مثلها فى اعلى
بيده للمنقاد اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل اى لا تقبضوا التهلكة بايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة
لكم وحمل على المنع من الامساك الكلى والاسراف وتضييع وجه المعاش وعلى الكف عن القتال لاستلزامه تقوية العدو
ويدل على الثانى قول ابى ايوب لما حمل بعض المهاجرين على صف العدو فقيل القى بيده الى التهلكة نحن اعلم بها فينا
نزلت صحبنا رسول الله عليه السلام فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اموالنا فلما فشا الاسلام وكثر
اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واموالنا نصلحها وتركنا الجهاد فكانت التهلكة وكذا ما روى
عن عمر انه قد قاتل رجلا حصنا حتى قتل فقيل ذلك فكذبهم والاحسان يعم الاعمال والاخلاق والانفاق فى محله لانه مشتق من
فعل الحسن وانما كثر استعماله فيمن نفع غيره بنفع حسن من حيث ان الاحسان حسن فى نفسه فالفعل اذا كان حسنا كان فاعله محسنا
والاولى ان يكون من الاحسان او محبة الله قد سبق انها تقريب العبد اليه لكن لا تكرار للمغايرة لخصوص المحل وغيره

وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله • اتمامهما الاتيان
بجميع اعمالهما على الوجه المشروع على وجه الاخلاص واستدل به على وجوبهما لاستماع ويقرأ اقيموا وعورض بما روي عن النبي
عليه السلام من عدم الوجوب بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فقال هديت لسنة نبيك
ولم ينكر عليه ولم يقدح فيه احتمال كون الوجوب من قوله اهللت لترتب الاهلال على وجدانه مكتوبا عليه فهو سبب الاهلال
لا سببا عنه وهذا اذا لم يفسر الاتمام بالاحرام من دار او افراد لكل بسفر او عدم الشوب بغرض دنياوي او بانفاق
الحلال فيه والاحصار هنا الحبس من العدو عن الاتمام لقرينة فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية وبه قال الشافعي ومالك
وقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو ويدل عليه والحق به ابو حنيفة المرض وغيره لقوله عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج
من قابل وليس بقوي لانه مؤول بشرط التحلل لقوله عليه السلام لضباعة الاسلمية بنت الزبير حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني واركان الحج الاحرام والوقوف وطواف الزيارة والسعي والحلق واركان العمرة ماسوى الوقوف
منها فما استيسر تقديره فعليكم ما استيسر من الهدى او فاهدوا او فالواجب ذلك والهدى جمع هدية كجدي وجدية
وعلى ما يقرأ من هدي كمطي ومطية اي اذا احصر المحرم فاراد التحلل منه لزمه ذبح هدي من بدنة او بقرة او شاة ومحله حيث
احصر عندنا وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء الوقت وظن ذبحه تحلل وذبح النبي عليه السلام
عام الحديبية هديه بها حجة عليه وتمسكه ببلوغ الهدى محله ضعيف لان المحل لا يتعين ان يكون مكة بل حيث يكون ذبحه فلعله
والخبر قد خصه بذلك • فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة •
المراد مرض ينفعه الحلق معه كالاذى بجراحة او قمل يؤذيه لقوله عليه السلام لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك حين وقع القمل
في رأسه ولحيته وشاربه وحاجبه ادعوا الحالق فحلق رأسه فسأله هل تجد نسيكة فقال لا فقال صم ثلثة ايام او اطعم
ثلثة اصوع ستة مساكين فالتقدير ان حلق فعليه فدية ومن صيام الى آخره بيان للفدية وقدرها ثم اذا حصل الامن
من الاحصار او يكون الحال حال امن فمن استمتع بالعمرة وتقرب بها الى الله قبل التمتع بالحج في اشهر الحج والتمتع اطالة الانتفاع
من قولهم متع النهار اذا طال وانما سمي متمتعا لاستمتاعه بما يحرم بالاحرام ولتمكنه منه بحصول تلك فعليه ما تيسر من الدم
وهو دم جبران فلا يأكل منه وعند ابي حنيفة كالاضحية لانه دم نسك ووقته بعد الاحرام بالحج من مكة وهو السبب فلا يتقدم
عليه لانه لو عاد الى الميقات للحج سقط عنه وقيل من استمتع بعد التحلل من العمرة باستباحة ما حرم عليه من محظورات الاحرام
الى ان يحرم بالحج فعليه الهدى وعلى التقديرين من لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام في ايام الاشتغال بالحج قبل التحلل
ووقته عند ابي حنيفة اشهر الحج بين الاحرامين والاظهر ان ايام التشريق غير قابلة له والآخر سابع ذي الحجة
وكذا عليه صيام سبعة وقت الرجوع بعد الفراغ من اعمال الحج وهو احد قولي الشافعي ومذهب ابي حنيفة واحمد لانه

لانه قد سبق عليه قوله تع ثلثة ايام في الحج فينصرف اليه فكانه رجع بفراغه عن الاعمال الى الاقبال عليه لانه لو كان المراد الرجوع
الى الاهل لوجب ان لا يجزيه لو نوى الاقامة بمكة والاجماع على خلافه وهذا اصح في بعض كتبه نص عليه في الام والثاني وهو الاصح
عند معظم اصحابه وهو نصه في الاملاء ان المراد الرجوع الى الاهل لقوله عليه السلام اذا رجعتم الى امصاركم وما يقرأ بالنصب
فللعطف على محل ثلثة ايام وفيه ضعف لان الحمل على محل المعرب قليل والتقييد بالعشرة لدفع وهم كون الواو بمعنى او
مثل جالس الحسن او ابن سيرين لانه يكون في الحضر اسهل فتكون الزيادة لذلك حيث خير بينهما او ان المراد بالسبعة الكثرة
ومنه سبع الله لك الاجر اي اكثره هذا وان العرب لم يكونوا اهل الحساب فيفيد ايضاحا ولهذا اكدها بالكاملة او بكونه
صفة مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل انتهى به الاحاد وهو من جملة الاصول وان حمل الكمال على الكمال في البدلية
فالصفة مقيدة قال ثلث واثنان فهن خمس • وسادسة تميل الى الشمامى • او التقدير فصيام عشرة ايام ثلثة ايام في الحج
وسبعة اذا رجعتم او انه اذا كان للكثرة فلعله ان يتوهم انه يذكر بعدها ليعلم انها كملت وايضا لئلا يتوهم انها مثل
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين في خلق الارض في يومين كما سبق والتمتع احد وجوه النسك والثاني
الافراد ان يحج او لا ثم يعتمر والثالث ان يحرم بهما او يحرم بالعمرة ويدخل الحج عليها وهو القران والافراد افضل منها
لكونه عليه السلام مفردا في حجة الوداع • ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد
العقاب • اي ثبوت حكم التمتع ولزوم الجبر بالدم او الصوم لمن لم يكن من اهل مكة وذلك لان ميقاته نفس مكة
فلا يكون رابحا للميقات وهو من يكون مسكنه دون مسافة القصر من مكة لان المسجد الحرام عبارة عنه بقوله تعالى
فلا يقربوا المسجد الحرام وقيل نفس مكة واليه ذهب احمد وعند ابي حنيفة اهل المواقيت والحرم وما بينهما وعند مالك
اهل مكة وذي طوى واهل الحل عند طاوس دليل الشافعي ان الحاضر هو القريب ومن على مسافة القصر لا يقصر
ولا يفطر ثم امر سبحانه بالتقوى في الاخلال بالاعمال الحجة ومحظوراتها بل غيرها من الاحكام وكيف لا والعلم بشدة عقابه
يكفي زاجرا عن العصيان • الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب • اي اشهر الحج او وقته
او الحج حج اشهر معلومات وعلى الآخرين تبين بطلان النسيء وهو تأخيره الى شهر آخر وان جعل نفس الاشهر
على الاتساع فهو كقولها انما هي اقبال وادبار ولعل التعبير بهذه العبارة للعناية ببيان الوقت حيث كان التوقيت
من جهة ان الاحرام في غيرها لا يصح عندنا وعند مالك وابي حنيفة لا يصح افعاله الا فيها وان جوز الاحرام به
في غيرها بكره وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وتسميتها اشهر من باب اطلاق اسم الكل على البعض و
وذهب مالك الى ظاهر الآية فجعل تمام ذي الحجة منها دليل الشافعي ما روى العبادلة الاربعة انها هذا القدر هذا وقد قال
عليه السلام من ادرك عرفة ليلة النحر فقد ادرك الحج وبناء الخلاف على ان التوقيت من جهة الاحرام او وقوع الاعمال فيها

اوانه لاجنس فيها غيره حتى كره مالك العمرة فيها والمراد بفرض الحج الايجاب على النفس بالاحرام وعند ابى حنيفة لا يلزم
الا بالتلبية او سوق الهدى والاية حجة للشافعى واستدل ابو حنيفة بقوله عليه السلام امرنى جبرئيل ان امر اصحابى بالتلبية
ورفع الصوت واجيب بالندب لئلا يلزم وجوب رفع الصوت والرفث الفحش فى الكلام او الجماع كما سبق والفسوق
الخروج عن الحدود الشرعية بالسيئات وغيره من المحظورات والجدال المراء مع الخدمة والرفقة ولعل العدول
عن صريح النهى للتاكيد لانه كانه نهى عنه فانتهى السامع فاخبر عنه والتقييد بالحج لان القبيح فى وقت العبادة اقبح
كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب بالقراءة ولهذا كان القراءة على ضرب الدف كفرا وما قرئ بتقييد الفتح بالثالث

فى المهمات

دون الاولين يدل على تخصيص الابلغية به فى رفع الخلاف عن الحج بالكلية ومنه المنع عن الاختصاص بموقف من عرفة
دون آخر كما كانت تفعل قريش فتقف بالمشعر الحرام ولعل تقييد ما يفعله الانسان من الخير بكونه معلوما لله سبحانه دون
الشر لان المقصود الحث عليه وترك الشر خير وتقديره تزودوا التقوى فانه خير زاد وما قيل انه فى اهل اليمن كانوا لا يتزودون
فيكونون كلا على الناس بالسؤال انما ينتظم ان لو كان التقدير تزودوا فانه من جملة التقوى ومعنى واتقون التحريض
على ان يكون القصد من التقوى وتحصيل مرضاة الله سبحانه والخطاب باولى الالباب لان مقتضى العقل الخالص
عن شوايب الهوى قطع النظر عما سوى الله فى جميع ما ياتى ويذر حيث يعلم ذو اللب انه لا مؤثر فى الوجود غيره وان من
تمسك بتقوى الله فقد استمسك بالعروة الوثقى • ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين • الفضل العطاء وسبب نزولها اتقاء
الناس من التجارة فى موسم الحج بعد مجئ الاسلام وتاثمهم بها وفى العشر ينقطع بالكلية ويقرأ مواسم الحج وكانت
اسواقهم عكاظ ومجنة وذا المجاز فبين الله ان لا جناح عليهم ما لم يشغلهم عن العبادة ويدل عليه ما روى ابن عمر حين
قال له رجل انا قوم نكرى وان ناسا زعموا ان لا حج قال سال رجل رسول الله عليه السلام عما سالت فلم يرد عليه حتى
نزلت الاية فقال انتم حجاج فلما قيل له هل كنتم تكرهون التجارة فى الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة فيه

الحرج

ويحتمل ان يفهم من ذكر الرب ان عدم الحرج من التجارة اثناء العبادة من جملة التربية والانعام وانه ينبغى ان لا يتوقع
الفضل من التجارة ونحوها من الاسباب بل من الرب الحقيقى والافاضة الدفع بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
حذف مفعوله اذ التقدير افضتم انفسكم كدفعت من البصرة والاستدلال منه بوجوب الوقوف نظرا الى ان الافاضة
لا تكون الا بعده وانه مقدمة للذكر المامور به ضعيف لان ما لا يتم الواجب الا به انما يكون واجبا ان لو كان مطلقا
واما الذكر فغير واجب وعرفات علم تلك البقعة سميت بالجمع كاذرعات ووجه الاشتقاق انها نعتت لابراهيم
عليه السلام فعرفها او ان جبرئيل كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال عرفت او لتعارف آدم وحوا او الناس فيها
وسميت بها للمبالغة فيها ولا يشكل منع صرفها بالتنوين لانه للمقابلة ويخالف غيره حيث كان ذهاب الكسرة



بتبعية ذهاب التنوين من غير عوض وايضا تاؤها ليست للتانيث بل علامة الجمع ولا يتصور تقديرها كما فى سعاد
لوجود هذه التاء التى كتاء التانيث فى الاختصاص بالمؤنث وفى الصحاح انه اسم فى لفظ الجمع فلا يجمع قال الفراء
لا واحد له بصحة قول الناس نزلنا عرفة شبيه بمولد وليس بعربى محض وهى معرفة وان كان جمعا لان الاماكن لا تزول
فصار كالشئ الواحد وخالف الزيدين تقول هؤلاء عرفات حسنة بنصب النعت لانه نكرة قال وهى مصروفة لان التاء صارت
بمنزلة الياء والواو فى مسلمين ومسلمون لانه تذكيره وصار التنوين بمنزلة النون فلما سمى به ترك على حاله كما ترك مسلمون
اذا سمى به وكذا اذرعات وعانات وعرميات والوقوف بعرفات يسمى التعريف وذكر الله عند المشعر هو بالتلبية
والتهليل والدعاء او بصلوة العشائين لاشتمالها عليه ويسمى المشعر الحرام قزح وهو جبل من يمين الطريق يقف الامام
عليه وسمى به لانه معلم العبادة والحرام لحرمته والمراد بعند ما يليه لانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر وقيل
هو المزدلفة ويدل على الاول انه عليه السلام لما صلى الفجر بمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر ومعنى واذكروه واشكروه شكرا يوازى هدايتكم او ذكرا حسنا كما علمكم او هداكم هداية
حسنة الى هذه العبادات وغيرها وما مصدرية او كافة والضمير المجرور يرجع الى الهدى والضالون الجاهلون
بالايمان والطاعة واللام تدل على ان ان المخففة ان لم تكن بمعنى الا والا فافيه لقوله وان نظنك لمن الكاذبين وقيل
من الضالين عن الرشاد • ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم • فاذا قضيتم
مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا • ثم ليس للتراخى فى الزمان بل لتفاوت ما بين الاضافتين
كثم لتفاوت ما بين الاحسانين فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم والمعنى ليكن افاضتكم من حيث
افاض الناس اى من عرفة لا من مزدلفة وسبب النزول ان قريشا استنكفوا عن مساواة ساير الناس فى الموقف
حيث كانوا قطان حرم الله سبحانه وكانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة وقيل المراد به ابراهيم وقيل آدم حيث
يقرأ بكسر السين اى الاضافة هكذا شرع قديم والاستغفار اما للخلل فى المناسك او اعم وقيل عما فرط فى الجاهلية
ويمكن ان يمنع لان الاسلام يجب ما قبله وكذا الحج فان الله يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه بالنعم فاذا قضيتم
العبادات الحجية فليكن ذكركم لله كذكركم اباءكم وكانوا يذكرون محاسن افعالهم ويفتخرون بما جرى فى ايامهم
واشد ان عطف على الضمير المجرور فى ذكركم فهو فى محل الجر وان عطف على مفعول الذكر وهو اباءكم كان منصوبا اى ذكرا
اشد ذكرا من ذكر آبائكم ويكون ذكرا من فعل المذكور وقيل ارفع صوتا وقيل وحدوه بالذكر اى كذكركم اباءكم وحده
حيث تستنكفون من النسبة الى غير اب واحد وكما تغضبون للاباء فان قيل كيف ساغ ان يكون ذكر الله الواجب
او المستحب مساويا لذكر الكفرة المحرم او المباح وكيف تقرر ذكر محاسن الكفار الناشى عن المحبة الممنوع عنها شرعا
وان كان المراد به ان لم يكن اشد فليكن مساويا فالعبارة اللايقة به مثل فحيوا باحسن منها او ردوها قلنا

محل التأمل فيجال الى فكر الفطن وهو النظر الى بعض الاعتبارات التى سبقت • فمن الناس من يقول ربنا آتنا
فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق • ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب • لما امر الله الناس بالذكر بين مراتبهم فمن يقصر نظره على الدنيا
ولا يطلب بذكر الله غيرها فمثله لا نصيب له فى الآخرة لإعراضه عنها والخلاق قيل النصيب وقيل النصيب التام والاول
اولى نقلا ومعنى وقيل الدين وقيل من كان غرضه بالحج الدنيا واما من طلب الحسنيين الصحة والكفاف فى الدنيا والثواب
والرحمة فى الآخرة والوقاية عن العذاب بالعفو والمغفرة فله النصيب فيهما وما نقل عن على رضى الله عنه من ان المراد
المرأة الصالحة فى الدنيا والحور فى الآخرة والمرأة السوء من عذاب النار وعن الحسن العلم والعبادة وفى الآخرة
الجنة او الوقاية من عذاب النار الحفظ مما يؤدى اليها لا يدل على الحصر لجواز ان يكون من جملة الامثلة واولئك اشارة
الى الفريق الثانى وقيل اليهما والمراد بما كسبوا اى من جنس كسبهم وهو جزاؤه اى من اجله • واذكروا الله فى ايام معدودات
فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون • تعجل واستعجل
يجيئان مطاوع عجل ومتعديين والاول اولى للقرينة ومن تاخر كما ورد مثله فى قوله • قد يدرك المتأنى بعض حاجته •
وقد يكون من المستعجل الزلل • وتسمية الدعاء به لانه من الاعمال او لكل نصيب من عمله وسرعة الحساب اما لوقوعه
فى زمان يسير مع كثرة المحاسبين او انه يوشك ان يحاسبهم بقيام الساعة وفيه تحريض على المبالغة فى تحصيل
الحسنات والاجتناب عن السيئات والمعدودات ايام التشريق والذكر التكبير ادبار الصلوات بان يقول
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد من ظهر النحر الى صبح آخر ايام التشريق وقيل العصر
واليه ذهب داود والعمل به وعند الرمى والذبح وغيرهما وتخصيصه عقيب ذلك يدل على انه من اعظم الحسنات فمن
تعجل بان نفر اليوم الثانى من ايام التشريق من منى فلا اثم عليه لتعجله وكذا من تاخر ولم ينفر الا الثالث بعد الزوال
لتأخره لتركه الرخصة ونفى الحرج لا ينافى افضلية التاخر المستلزمة للفضيلة فهو كنفى الجناح فى السعى واليومان يوم القر
والذى بعده وهذا بعد رمى الجمار عند الشافعى رضى الله عنه وبعد طلوع الفجر عند ابى حنيفة وجوز تقديم رمى الثالث
على الزوال ونفى الحرج للرد على من اعتقد ذلك فى الجاهلية واللام لمن اتقى قيل متصل بلا اثم عليه اذ المعنى هذا التخيير
او الاحكام لمن اتقى فانه الحاج الحقيقى وذلك لئلا يتضرر بترك ما يهمه والامر بالتقوى للتعميم بدليل ترتب الحشر عليه
واصل الجمع اى للحساب والجزاء ويحتمل ان يقال فى الآية دليل على انه لا يكفى الظن فى اعتقاد الامور الاخروية وتقديم
الظرف للتعظيم والحصر باعتبار التصرف فى المحشور • ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله
على ما فى قلبه وهو الد الخصام • واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد •
هو اخنس بن شريق الثقفى اظهر الاسلام قائلا انما جئت اريد الاسلام والله يعلم انى صادق وهو المراد باشهاد الله



على موافقة قلبه لسانه فاعجب النبى عليه السلام ذلك منه والاعجاب السرور لشدة التعجب وقيل الاعجاب بانه قال
يوم بدر للمشركين ان محمدا ابن اختكم وابن عمكم فكفوا عنه فان يك صادقا كنتم اسعد الناس والا كفاكم اياه ذوبان
العرب ويروى اوباش العرب فقالوا نعم الرأى وما زال لك العقل الاصيل فانصرفوا وسمى اخنس واسمه ابى لقوله انى
اخنس بكم فاتبعونى ثم بعد ذلك افسد والتعجب حيرة تعرض للانسان للجهل بالمتعجب منه وافساده فى الارض انه لما خرج
من عند النبى مر بزرع المسلمين وحمر لهم فاحرق الزرع وعقر الحمر وفى الحيوة متعلق بقوله فى الدنيا اى فى الامور المتعلقة
باسباب الدنيا او بالاعجاب اى يعجبك قوله فى الدنيا بفصاحته وحلاوته بخلاف الآخرة لما يعتريه من الدهشة ومعنى
الحيوة سبق فى يحييكم او التقدير فى معنى الدنيا حيث كانت المرادة من اظهار الايمان والمحبة مع انه شديد العداوة
للمسلمين والخصام المخاصمة او جمع خصم كصعب اى اشد الخصوم خصومة والاضافة مقدرة بفى كضرب اليوم وقيل
نزلت فى المنافقين كلهم وعلى هذا القول المعجب كلمتى الشهادة والتولى الادبار او صيرورته واليا وعدم محبة الله الفساد
انه لا يرتضيه بل يغضب عليه والجواب عن العدول منه الى عدم المحبة ما سبق وقيل المراد ان الله يشوم فعل ولاة السوء
بمنع القطر فيهلك الحرث والنسل وقد روى ان النمل تدعو عليهم لذلك • واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه
جهنم ولبئس المهاد • ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد • مرجع الضمير ومن الناس
واخذ العزة بالاثم حمل الانفة والحمية على ارتكابه لجاجا يقال اخذته بكذا اذا حملته عليه وقيل دعته اليه والاثم الردة والكفر
على الاول وجهنم اسم النار او الدرك الاسفل منها وقيل من الجهم وجعل من لقربه اولى لولا الربط باول الكلام وهو الغلظة
والكراهة للتأكيد وقيل معرب كهنام وهو محجب من دخله سقط اسمه من الدنيا وقيل من جهنام يعنى بئر بعيدة القعر
ومعنى حسبه اى جزاء او لحقه بالمهاد [illegible]
ثانيا نزل فى صهيب بن سنان الرومى عربى النسب من ربيعة سبى صغيرا الى الروم طلبوا منه الشرك وقتلوا طائفة
كانوا معه فقال انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه واتى
المدينة وقيل نزل عن راحلته وقال قد علمتم انى من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى ارمى ما فى كنانتى ثم اضرب بسيفى
ما بقى فى يدى منه شئ ثم افعلوا ما شئتم فقالوا دلنا على بيتك ومالك بمكة فدلهم على ان يدعوه فقال عليه السلام ابا يحيى
ربح البيع ربح البيع ابا يحيى فالمعنى يشرى نفسه بجميع ماله وقيل يبيع نفسه لابتغاء مرضاة الله وقيل كان رجلا
آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر فقتل ورأفة الله بالعباد ارشادهم اياهم الى مثل هذا الشرى او الاثابة بالجهاد
والشهادة • يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين • فان زللتم
من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم • قرئ بكسر السين وفتحها وهو الاستسلام والطاعة ويراد به
الصلح ايضا وكافة اى جميعا كانه يكف اجزاءه عن التفرق وهو حال عن المخاطبين واصل الكف المنع وقيل الجمع

وهو مصدر كالطاغية نظرا الى الاصل اى فى جميع شرايعه قيل نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه كرهوا اكل الابل
وعظموا السبت وقالوا نقوى على هذا وهذا وان كان فى المسلمين فالمعنى دوموا على الاسلام وان كان فى اليهود
فالمعنى الذين آمنوا بموسى ادخلوا فى الاسلام او حال عن السلم لانه تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع • وحمل الخطوات على التفرق والتفريق وان كان مناسبا للسياق لكن التعميم اولى
ليكون تعميما بعد تخصيص وعلل بانه ظاهر العداوة فان حصل ذلك اى تنحى عن القصد بالامتناع عن الدخول فى السلم
بعد مجئ الآيات والحجج الدالة على حقية الدين فليعلم الممتنع ان الله عزيز لا يعجزه معاقبة المسئ وبحكمته لا يفعل الا ما هو الصواب
وقرئ بكسر اللام كفصلت • هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور اى ما ينتظر
التاركون الدخول فى السلم وليس المراد هنا تقليب العين نحو المرئ لانه يعدى بالى ومجئ الا قرينة ارادة النفى من الاستفهام
وقد سبق ان السلف فى مثله على الايمان به من غير تعرض للتاويل بل للاكتفاء بنفى اتيان فيه زوال ونقل وعدم التاويل
للحذر عن تعيين معنى لا يكون مراد الله تعالى وان المحققين من المتاخرين على التاويل والمراد مجئ امره وبأسه بدليل او يأتى امر
ربك فجاءهم بأسنا او حذف المفعول اى يأتيهم الله ببأسه بقرينة عزيز حكيم لان كل شئ يتصف بالمجئ والذهاب
لا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان فيلزم حدوث ما صح عليه المجئ والانتقال فيستحيل وصف الآله به وفى الاستدلال
من الخليل عليه السلام بعدم الهية الكواكب بالافول كفاية وحمل على مجئ آيات الله بدليل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات
فاعلموا ان الله عزيز حكيم وتخصيص الغمام لانه مظنة الرحمة فالعذاب منه اشد او لتكثير العذاب كقطرات المطر الظلل جمع
ظلة وهى ما اظل كقلل والغمام السحاب الابيض وحمل من على او الباء بمعنى ان مجئ ما قيل من الامر او البأس او نداء بالسعادة
والشقاوة يكون مع الغمام فى زمان واحد او يأتى بظلل منه وايضا المقصود تصوير عظمة يوم القيمة وشدة هولها نحو
وما قدروا الله حق قدره الآية قال صاحب المفاتيح الاوضح عندى ان يكون حكاية عباد اليهود اهل التشبيه القائلين
بان الله تجلى لموسى على الطور فى ظلل من الغمام وفيه نظر فانه لما لم ينكر عليهم يكون تقريرا لكلامهم اللهم الا ان يقرره على وجه
يستلزم الانكار والملائكة فيما يقرأ بالجر عطف على الغمام ومجيئهم اما لانهم الوسايط فى اتيان امره على الحقيقة او انهم يأتون
ببأس الله وقضاء الامر فراغ الله عما كانوا يوعدون وبعد ذلك لا يصرف عنهم عقوبة ووضع على طريقة ونادى وما يقرأ
بقضاء الامر فللعطف على الملائكة وفيه اشعار بان احوال القيمة توجد دفعة اذ لا مانع منها وقرئ ببناء الفاعل من الرجوع
والمفعول من الرجع ويقرأ بالتذكير والتانيث • سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فان الله شديد العقاب • امر للرسول عليه السلام او لكل احد بان يسأل علماء او رؤساء او عامة بنى اسرائيل
وهو سؤال تقريع نحو الم يأتكم رسل وفيه نظر واصلا اسأل تركت الهمزة لكثرة الدور على اللسان الآن يقول من سال
كهاب وعلى الاول نقلت حركة الهمزة الى السين وسقطت الهمزة وكم يجوز ان يكون خبرية او استفهامية مقررة مرفوعة المحل

بالابتداء

بحث لطيف

بالابتداء على حذف الضمير من الخبر او منصوبة مفعول اتيناهم ومن آية مميزها على ان من للفصل وهى مثل فلق البحر فبدلوا
بالخلاف على موسى او آية فى الكتب يهدى الى الحق والصواب فبدلوا بكتمان امر النبى عليه السلام ونعمة الله آياته لكونها اسباب
الهداية وهى اعظم النعم وتبديلها جعلها اسباب الضلالة او تحريفها وتاويلها بما لا يليق ومجيئها اما الوصول التام او التمكن
من معرفتها ان فسرت النعمة بالدلايل وان فسرت بنحو الصحة والكفاية فالشكر واجب والكفران اقبح والاول افصح والوصف
بشدة العقاب وهو عذاب يعقب الجرم للاشارة الى انه يعذب باشد العذاب لكونه آية بما هو اشد والتقدير شديد العقاب له
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب •
وجه الارتباط انه يتضمن تقرير سبب تبديل النعمة ترجيح الفانى على الباقى اى حسن الشيطان بوسوسته او الشركاء بتحسينها
فى اعينهم وتحبيبها اليهم او الله بخلق الشهوة فيهم وهو الفاعل لكل شئ فى الحقيقة وما عداه وسايط ويؤيده انه يقرأ
ببناء الفاعل والمراد بالمؤمنين ضعفتهم كبلال وعمار وصهيب وفى الاتيان بمن الابتدائية مبالغة حيث جعلوهم مبدأ التسخر
والساخرون ابو جهل واضرابه وقيل رؤساء اليهود وقيل المنافقون ويجوز ان يكون سبب السخرية تسفيههم بترك الدنيا
والاقبال على العقبى حيث لم يعلموا غير ظاهر من الحيوة الدنيا وفوقية المؤمنين ما لهم من الدرجات العالية او الكفار فى نهاية
المذلة او انهم فى العليين والكفار فى اسفل السافلين وايضا يسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما لم يقل والذين
آمنوا فوقهم للاشعار بانهم موصوفون بالتقوى ايضا وانه السبب لا مجرد الايمان والمراد بالرزق بغير حساب ما يعطى الله
المؤمنين فى الآخرة لقوله تعالى يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب لان كل متناه يدخل تحت الحساب بخلاف غير المتناهى
او ما يعطى الفريقين فى الدنيا او الانعام او بغير استحقاق على الله وانكار الجبائى اسناد التزيين الى الله تعالى لان المزين للشئ
مخبر عن حسنه فلا بد وان يكون صادقا فيه ويكون ما زينه حسنا فيكون الكافر الذى هو فاعل مصيبا ويكفى فى الابطال
منع كون المزين مخبرا وان ذكر غيره • كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه • وجه المناسبة بيان ان ما اخبر به عن هؤلاء الكفار غير مخصوص بهم بل هو شامل
لغيرهم والامة الطايفة المجتمعة على الشئ تتاسى بعضهم ببعض مأخوذة من الائتمام قال خلعت فلم اترك لنفسك ريبة
وهل يأثمن ذو امة وهو طايع • وميل الاكثر الى انهم كانوا على الحق اذ المراد آدم واولاده وكانوا كذلك قبل قتل هابيل
وايضا البعثة لدفع الاختلاف وقد قرأ ابن مسعود امة واحدة فاختلفوا وايضا قال عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة
وقوله تعالى الست بربكم وعن ابن عباس والحسن رضى الله عنهم انه الدين الباطل لان بعث المبشر والمنذر لا يليق الا بهم قالوا
كان ذلك بعد آدم وقيل بعد نوح او ادريس عليهم السلام ومن اثبت الحسن والقبح العقليين قال كانوا على الشرايع
العقلية وقد سبق بطلان ذلك وقيل بالتوقف لعدم بيان المراد ولقايل ان يقول الاولى مذهب ابن عباس والحسن
لانهم لو كانوا على دين الحق لكان فايدة البعثة الدوام عليه ولو كانوا على الكفر لكان المقصود تحصيله ولا يخفى ان الثانى اولى

وايضا الاختلاف على الانبياء بعد مجئ البينات والكتب كفر وقد قيل بانه لم يكن الا بعد مجئ الكتاب والاولون قالوا التقدير اختلفوا فبعث الله لدلالة فيما اختلفوا فيه ولا يخفى ان الاصل عدم التقدير وذكر كعب ان عددهم مائة واربعة وعشرون الف والمرسل ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكورون بالعلم في القرآن ثمانية وعشرون والكتاب الجنس ولا يشكل بانه لم يكن لكل واحد كتاب اذ المراد بضمير الجمع الجنس وتقدير بالحق ملتبسا به شاهدا على صحة فهو شبيه بالحال المؤكدة وضمير ليحكم لله او النبي او الكتاب فان قلت فاي الوجوه اقوى قلت الاول لعدم الحاجة الى التجوز ثم الثاني لذلك لانه المبلغ وان كان الثالث ارجح للقرب فانه لفظي فالضمير المجرور يرجع الى الحق اي الحق الذي اختلفوا فيه او الى التبس عليهم او الكتاب والاول اولى لان فائدة الكتاب ازالة الاختلاف • وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • اي ما صدر الاختلاف في الكتاب او الحق او محمد اذا اريد اليهود الا الذين اوتوا الكتاب الذي قصد به ازالة الاختلاف فجعلوه سببا للاختلاف لتعكس عقولهم والمراد بالاختلاف بينهم كفر بعضهم ببعض نحو طلب اليهود الآية من بعد مجئ الايات المرشدة الى الحق من المعجزات وغيرها اعني الدلايل السمعية والعقلية ويعلم منه ان ايتاء الكتاب بعد مجئ البينات فيكون البينات مغايرة للكتب فالمقتضي ليس الا التحاسد بينهم وظلم بعضهم بعضا للحرص على الدنيا وانما لم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا للعناية بذكر الاختلاف لهم وقال الفراء انه من المقلوب اي هداهم للحق فيما اختلفوا فيه والتقدير هداهم للحق الذي اختلف فيه من اختلف ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه والاذن الامر او الارادة او اللطف والصراط المستقيم هو الذي لا يضل سالكه وهو حجة على المعتزلة حيث تعلق بالاختلاف ولهذا خصصوه بالطريق الى الجنة او البيان او اللطف • أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب • وجه الارتباط ان الآية السابقة دلت على مقاساة النبيين من الامم بسبب كفرهم واختلافهم عليهم فيكون فيها تسلية للنبي عليه السلام واشارة الى الصبر على مشاق الكفار على طريقة الالتفات للمبالغة ويدل عليه نزولها في غزوة الخندق حين ما قاسوا الجهد والشدة والخوف والبرد وغيرها كما قال وبلغت القلوب الحناجر وقيل خلوا المدينة بلا مال فاشتد الضر عليهم بعد ان تركوا اموالهم وديارهم في ايدي المشركين وقيل في حرب احد وحسبته حسبانا اذا ظننته والمعنى بل احسبتم لان ام منقطعة وقيل احسبتم ان تدخلوا الجنة واصل لما لم زيدت عليها ما لزيادة التوقع في الانتظار وهي مثل قد في الاثبات كذلك ومثل اولئك حالهم التي صارت في الشدة كالامثال ويدل عليه البيان بمس البوس والضر على طريقة الاستيناف لانه كالجواب واكده بزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا افضى في الشدة الى ان قال الرسول والمؤمنون لاستطالة المدة من غاية الشدة حيث تفانى الصبر وقالوا متى نصر الله استبطاء له قال الزجاج اذا قلت زلزلة كانه قلت كررت الازالة لزيادة لفظها اي حركوا بانواع البلايا والرزايا وقيل تم الكلام عند قوله متى نصر الله ثم قال تعالى لنبيه الا ان نصر الله قريب



وقيل لم يكن استبطاء بل استعلاما لوقته وهو ابلغ مما قرئ برفع يقول وهو حكاية حال ماضية كما يقال مرض حتى لا يرجونه للتنبيه والآن ان نصر الله مقدر بالقول اي يقال لهم تطييبا لقلوبهم من حصول النصر ويعلم منه ان اهل الله مخصوصون بمقاسات الشدايد بل اختار والرياضات الشاقة لنيل اللذات المعنوية روي عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله عليه السلام ما نلقى من المشركين فقال ان من كان قبلكم من الامم كانوا يعذبون بانواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم حتى ان رجلا ليوضع على رأسه المنشار فيشق فلقتين ويمشط بامشاط الحديد بما دون العظم من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وايم الله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون والحديث كما ترى من المعجزات • يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • وجه الارتباط انه لما تقدم انه لا ينال دخول الجنة الا بتحمل الشدايد ومن جملتها تحمل الانفاق فان المال شقيق الروح والخير المال بدليل وانه لحب الخير لشديد والسائل عمرو ابن الجموح كان هما ذا مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضع ووجه العدول عن بيان المنفق مع اشتمال السؤال عليهما الى محل الانفاق لانه اهم واعتبار الاول باعتبار الثاني او لان المراد هو السؤال عن المصروف اليه لان العلم بالمنفق كان حاصلا لهم فالسؤال بما مع ان المراد استعلام حال المنفق باعتبار المحل لقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي مع جواب انها بقرة لا ذلول لان ماهية البهيمة كانت معلومة لهم وايضا قد تضمن قوله تعالى ما انفقتم بيان المنفق وهو كل ما يسمى خيرا ويؤيده ما قيل انها نزلت فيمن سال عن محل الانفاق ثم قول الحسن حيث حملها على التطوع ولم يلزم منه نسخها بآيات المواريث وقد راعى الله فيه حسن الترتيب لان الوالدين سبب وجوده من العدم والآيات والاخبار الدالة على لزوم رعايتهما ظاهرة ثم الاقربين لقوله عليه السلام الصدقة على القرابة صدقة وصلة وايضا هم اكثر اطلاعا على الحال من الفقير والغني ثم اليتامى لعدم قدرتهم على تحصيل مصالحهم ثم المساكين لانهم اقدر على التحصيل ثم ابن السبيل لانقطاعه عن محله او محل ماله فهو اقوى على احد الغرضين • كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون • اي فرض عليكم المقاتلة مع الكفار فرض كفاية وهو من شدة الكراهة كانه نفس الكره لانه من قبيل الوصف بالمصدر مثل ضرب هرب او بمعنى المكروه كالجبر والمجبور او بمعنى الاكراه بعلاقة التشبيه كانهم اكرهوا عليه لشدة المشقة عليهم نحو حملته امه كرها وتقرأ بالفتح كالضعف والضعف والشئ المكروه يصدق على جميع التكاليف لانه يصعب على النفس جميعها لكونها على خلاف الطبع لا سيما القتال فان احب الاشياء الى النفس الحيوة وفيه المخاطرة وعسى فعل غير متصرف اعني انه لم يبين فيه المضارع وغيره ولهذا سلب عنه الدلالة على الزمان والشر السوء اصله من شررت الشئ اذا بسطته فاكثر انبساط الاشياء الضارة وخيريتها لتضمنها صلاح الدين والدنيا وما تحبه النفس من المناهي لميلها الى اللذات شر لها لو خامة عاقبتها في الدارين والله يعلم حال القسمين وانتم لا تعلمون

في عدد الانبياء

محل لطيف

ثم ابن السبيل ...

حقيقة الحال وفيه ترغيب عظيم فى الجهاد لانه اذا علم كمال علم الله تعالى وقصور علمه ثم علم انه لا يأمره الا بما فيه خيره امتثل لا محالة وان
كرهه وهو مرتبط بقوله تعالى ام حسبتم • يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل • اختلف فى ان السائل من الكفار او المسلمين والاكثر
على الثانى فقيل السؤال من الجمع هل يحل القتال وذلك لاستعظامهم الشهر والاكثرون على ان سبب النزول انه عليه السلام
بعث ابن عمته عبد الله بن جحش فى جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين وذلك اول يوم من رجب وهم يحسبون انه من جمادى الاخرة
لترصد عير قريش على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة فيهم عمرو ابن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين الحكم وعثمان واستاقوا العير ومع العير تجارة الطائف فقال قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه
الخائف ويبذعر الناس الى معايشهم اى لا يتفرقون لاجلها فوقف رسول الله عليه السلام العير وعظم ذلك على اصحاب السرية
وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا فرد النبى عليه السلام العير والاسارى وفى رواية قالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى
ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله عليه السلام
العير فافرد منها الخمس وكان اول خمس وقسم الباقى بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة وفادى الاسيرين واسلم الحكم
منهما قتال فيه بدل اشتمال من الشهر ويدل عليه انه يقرأ بتكرير العامل وهو عن والكبير صفة محذوف نحو اثم والجمهور سوى عطاء
على انه نسخ باية السيف قال صاحب المفاتح هذا نكرة فى سياق الاثبات يتناول فردا واحدا فلا حاجة الى تقدير النسخ
ولقائل ان يقول هذه دعوى حرمة القتال فى الشهر الحرام مرة لا غير وهو منتف باجماع لا قائل بهذا وانه يصلح للتعدد
على سبيل البدل فيحتاج النسخ والصد الصرف والمنع وهو صدهم المسلمين من البيت عام الحديبية وسبيل الله الاسلام
او جميع ما يتوصل به الى الله من الخيرات والضمير فى كفر به يرجع الى الله وقيل بالشهر الحرام وهو ابطال حرمته وقيل تقديره
والمسجد الحرام وكفر به فيرجع اليه وهو عطف على الشهر واما العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فضعيف لا يجئ الا
فى الشعر نحو فما بك والايام من عجب • ويستقيم اذا قدر مضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى داود اكل امرء تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا • والاكثر على انه على سبيل الله ولم يستحسنه صاحب الانوار قائلا ان عطف قوله وكفر به على وصد
مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة واراد انه يكون عطفا على بعض الكلمة من حيث ان
الصلة من تتمة هكذا قاله وهو ظاهر غير انه يمكن التصحيح بفرض تقديم وتأخير والمراد باهله اهل المسجد وهم النبى
والمؤمنون ومنه يعود الى المسجد وقيل اخراجهم من الدين بالتعذيب وغيره والفتنة الاخراج او الشرك واكبر هنا
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان استعماله بمن وانما كانت اكبر لافضائها الى القتل الكبير فى الدنيا
والعذاب الدائم فى الآخرة واذا كانت اعظم من مطلق القتل فكيف يقتل الحضرمى وحده اى هذا اعظم من فعل
السرية لانه كان لظن بقاء الشهر استصحابا فلم يكن من تعمد فهذا اكبر عند الله من فعلهم الامور الاربعة

اى

اى اسهل من كل واحد منها ووجه الارتباط انه من مباحث القتال • ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون • وجه الارتباط التحريض على القتال ببيان شدة عداوة الكفار ودوامها معهم وحتى للتعليل
كقوله اسلمت حتى ادخل الجنة وجواب ان استطاعوا محذوف دل عليه ما قبله وحمل على الاستبعاد بالنظر الى حال المؤمنين
كما تقول للعدو ان ظفرت بى فلا تبق على واثقا بعدم الظفر وفك الادغام فى يرتدد اكثر فى مثل هذه الحالة الحبط ان
يأكل الابل شيئا يهلك به وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم وقرئ حبطت بالفتح سمى به بطلان الاعمال
لانه كفساد الشئ لورود المفسد عليه وليس المراد نفس العمل لانه قد عدم بل ثوابه وتمسك به من قال لا يكون الايمان ايمانا
ولا الكفر كفرا حتى يموت عليه وهو الموافاة وهو حجة الشافعى على ان هبوط الاعمال يتوقف الى الموت على الكفر واحبطها ابو حنيفة
بمجرد الردة والعجب ممن يقول لا احباط بل معناه عدم استفادة الثواب بالردة وهو قائل بخلوده فى النار ويمكن
الاستدلال به على ارتفاع النكاح قبل الدخول ومضى العداوة بعده وهو من اعظم انواع الوعيد لانه يحتمل تقرير التأكيد
من عشرة اوجه فصاعدا تركيب الكلام من جملتين اسميتين فى كل ثبوت واستقرار وتصدير الكل باسم الاشارة وترتيب
الاولى بالفاء الدالة على السببية وذكر الحبوط المشعر بالابطال الكل والجمع المضاف للاستغراق والتصريح بالدنيا
والآخرة وكونهم ملازمى النار من ذكر الاصحاب وتوسيط الضمير المشعر للحصر وتقديم الظرف وذكر الخلود
ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم • وجه الارتباط انه نزلت
فى السرية حين قال ابن جحش هب ان لا عقاب فهل لنا ثواب والهجر ضد الوصل اى هاجروا اوطانهم والجهد المشقة
اى بذلوا الجهد فى القتال وتكرير الموصول لتعظيم امر الهجرة واستقلاله بالحكم ورحمة الله ثوابه ويدل على ان العمل غير مقتضى
للثواب لانه تعالى جعلهم راجين مع هذه الاعمال وكيف لا والعبرة بالخواتيم جعلها الله الى السعادة والمغفرة يمكن حملها
على الاثم وان ناسب تعلقها بفعلهم الخطاء اذ العبرة بعموم اللفظ كذلك الرحمة والمعنى انه سبحانه حقق لهم الرجاء برحمته
ومغفرته • يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما • وجه التناسب تعقيب
صالحات الاعمال بذكر الانتهاء عن اعظم مساويها باعتبار اذهاب العقل الذى هو مناط السعادات ورأس الكمالات
والخمر مصدر خمره اذا ستره والتسمية به للمبالغة كالسكر حيث يسكر العقل اى يحجره وهو عصير العنب والرطب اذا اشتد
وغلا وقذف بالزبد والاجماع على حرمته وفى معناه كل شراب وخصها ابو حنيفة بالاول لنا ما روى ابن عمر عن ابيه قال نزل
تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل ودل على تسميتهم الكل خمرا
وروى ابو داود عن النبى عليه السلام ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير
خمرا الاشياء واهل اللغة على ان تسميتها خمرا للتغطية وكل ما يغطى العقل واستدل ابو حنيفة بقوله تعالى تتخذون منه سكرا

ذكره فى معرض الامتنان والجواب ان ايات التحريم نزلت بعدها فتنسخها او تخصصها هذا وان النكرة فى سياق
الاثبات لا تدل على ان السكر هو هذا النبيذ ويحتمل ان يقال لو اجرى على عمومه لزم حل عصير العنب المسكر ايضا وما نقله عليه السلام
لو اول نبيذ تمر فقطب وجهه ورده الى العباس ثم سكب الماء وشرب والاستدلال بان التقطيب لا يكون الا لاشتداده
ضعيف لانا نقول لا نسلم ذلك ولم لا يجوز ان يكون لرايحة وغيرها وما روى عن اثار الصحابة لا يعارض ما روينا
من الاحاديث وان سلم الاستدلال بها ومذهبه انه اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان
فيحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب وما ابعد من التوجيه ما نقل عن بعض اصحابه انه قال لان اقول
مرارا هو حلال احب الى من ان اقول مرة حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الى من ان اتناول منه قطرة
وما انسب به قوله عليه السلام يسمونها بغير اسمها فيشربونها ومما يحتج به على ابى حنيفة رحمة الله عليه انه لما نزلت ومن
ثمرات النخيل الاية اخذ المسلمون تشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة
للعقل والمال فنزلت فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وقرأ بعضهم اعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من شربها ودعا عتبان بن مالك قوما فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
ومن جملة هجا الانصار فضربه الانصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر الى فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وروى عن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر ثم اذن على منارة
بنيت فى مكانها والميسر مفعل كالموعد من يسر وهو القمار يقال يسرته اذا قامره ووجه الاشتقاق انه اخذ المال من الغير
بيسر او سلب يساره وكان عقد الازنا فى الجاهلية حتى على الاهل والمال والميسر الجزور ايضا كانت العرب تنحر جزورا
وتجعلها اقساما يتقامرون عليها وهو ضرب القداح على اجزائه قمارا والاقداح عشرة سبعة عليها الخطوط وثلثة
لا نصيب عليها فمن خرج له شئ من الاول فاز والاحرم ومعنى فيهما اى فى تعاطيهما لان السؤال عن تعاطيهما ووجه الاثم
باعتبار ارتكاب المحظور ظاهر ومنافعها ما فيه من التجارة وتقوية الضعيف وهضم الطعام وتسلية المحزون بزوال
العقل وتشجيع الجبان كذلك وكذا تسخية البخيل ومنفعة الميسر التوسعة على ذى الحاجة لان من قمر لم يكن يأكل من الجزور
بل كان يفرقه فى المحتاجين واثمهما ما يحصل فى القلب من البغضاء والشحناء والحمل على ارتكاب الفواحش لبقاء الطبع
الداعى اليها وزوال العقل المانع منها نقل انه مر ابن ابى الدنيا على سكران يبول فى يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضى ويقول
الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا هذا وانه اذا اكثر منها اورثت عللا كثيرة ذكرها الاطباء كالخناق والفالج
والرعشة وغيرها مما يطول ذكرها فيكون اثمها باعتبار الاضرار بالبدن لا سيما فيما يقرأ كثير بالثاء واثمهما اكبر
والاية تدل على حرمة القمار مطلق كالنرد والشطرنج وكل ما خطر من الميسر ولم يستثن فيه سوى المسابقة والمناضلة
وشرط فيهما المحلل وهو من يغنم ولا يغرم ليخرج عن صورة القمار وفى ذكر الاثم دلالة على حرمتهما ويسألونك

منافع الخمر والميسر

ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة • ظاهر الحال باعتبار
ان السائل ايضا عمرو بن الجموح ان يذكر عند السؤال الاول فانه سؤال عن المنفق عليه وهذا فى المنفق لكن لما عقب
التحريض على الاتيان بالمأمور والانتهاء عن المنهيات عكس الامر ليكون الاختتام بالخير المتعدى الى الغير الذى هو افضل
عبادات الابرار بهذا الاعتبار والعفو الوسط من غير اسراف وتقتير قال خذى العفو منى تستديمى مودتى • ولا تنطقى
فى سورتى حين اغضب ويدل عليه قوله عليه السلام لاعرابى اتى ببيضة اصابها فى بعض المغانم وقال خذها منى صدقة حتى
كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها ولو اصابه لشجه وقال يأتى احدكم بماله كله ويتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة على ظهر غنى واصله نقيض الجهد ويقال للارض السهلة ومن قال بمعنى الزيادة حمله على الصدقة المفروضة
وقول من قال بانها محكمة اولى من النسخ باية الزكوة ومعنى كذلك ان مثل ما بين من ان العفو خير من الجهد يبين لكم الاحكام
فمحل الكاف النصب تقديره تبيينا مثل هذا التبيين وتوحيد كاف كذلك لارادة القبيل والجمع وهذا رجاء لكم الفكر فى الدلائل
والاحكام المتعلقة بامور العالمين واختيار الاصلح لهما والاجتناب عما لا يليق بحال اولى الالباب • ويسألونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم • وجه المناسبة
ان ايصال البر الى الغير لما كان مقصودا لهم واليتيم اولى بذلك لعجزه عن القيام بمصالحه واليتيم مأخوذ من يتم ككرم ويتم
كعلم وقد سبق وسبب النزول انه لما نزل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ولا تقربوا مال اليتيم اشتد على الاولياء وتركوا
مخالطتهم بعزل طعامهم وشرابهم عن طعام اليتيم وشرابه فيحبسون لليتيم حتى يأكل او يفسد فذكر ذلك للنبى عليه السلام
وقيل سئل عن عادة الجاهلية من التشأم بمخالطته فانزل الله قل اصلاح اى اصلاح اموالهم من غير اجرة خير لمن اصلح
فى دينه ودنياه او هو خير من الاعتزال عنهم وفى جعلهم اخوانهم فى الدين تحريض على المخالطة لان من حق الاخ ان يخالط الاخ
يحمل على المصاهرة كما قيل والمخالطة جمع يتعذر معه التمييز ومنه يقال للجماع الخلاط والخلاط للجنون لاختلاط الامور على صاحبه
وبيان تعلق علمه بحال المفسد لما له من المصالح وغيره وعد وفيه الايماء الى المجازاة والعنت المشقة اى لو تعلقت المشية
باعناتكم لكلفكم ما يشق عليكم من عدم جواز مداخلتكم وغيرها من انواع المشقة وتعقيبه ببيان العزة والحكمة يفيد بيان
القدرة على الاعنات وانه سواء فعل او لم يفعل لم يكن الا الحكمة وان خفى عليكم وجهها واستدل بعدم وقوع التكليف بما لا يطاق
لان كلمة لو لانتفاء غيره ولو كلف به لكان الاعنات حاصلا واستدل على انه تعالى قادر على غير العدل واجيب بانه معلق
بالمشية ولا نسلم كونها ممكنة والحق ان القدرة لا تتعلق الا بالممكن فلا يستثنى هذا القسم عن القدرة • ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون • نكح اى تزوج وانكح
زوج غيره اى لا تتزوجوهن وهو حقيقة فى العقد عندنا لقوله عليه السلام لا نكاح الا بولى وشهود وقوله عم ولدت من نكاح

وقوله تعالى وانكحوا الايامى وعند الحنفية حقيقة فى الوطى لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره ويحتمل ان يجاب عنه بان ارادة الوطى
المنفصل وهو الجبر فى قوله عليه السلام لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك والمشركات يشمل اهل الكتاب لقوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقوله عليه السلام لبعض امرائه اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم
الى الجزية وعقد الذمة ومنع من تمسك بعطف المشرك عليهم والجواب ظاهر غير انها خصت بقوله تعالى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب فهى محكمة غير منسوخة نزلت فى مرثد الغنوى وعناق وهى مشركة فاراد ان ينكحها واستامر رسول الله عليه السلام
فى نكاحها فانه كان يحبها وطلبت هى التزوج منه بعد ان جاء مرثد الى مكة وقيل فى ابن رواحة حيث نكح امة سوداء اعتقها
وطعن فيه لترك الحسب وعلى الاول تسمية الحرائر بالاماء نظرا الى الاطلاق لان الناس عبيد الله واماؤه وان كان فى العرف
انها المملوكة تقول اقرت بالامة اى العبودية والاعجاب يكون بحسنها وشمائلها والواو للحال اى ولو اعجبتكم المشركة واحببتموها
فان المؤمنة خير ولو كانت للمشركة مال وجمال ونسب لان الايمان يتعلق بالدين وتلك بالدنيا وايضا عند اختلاف الدين لا تحصل
مصالح الدنيا لعدم التوافق فان قيل افعل التفضيل هل هو على الاستعمال الاكثر ويلزم منه اثبات الخيرية فى المشركة او المراد مطلق
الزيادة على طريقة اعدل ابى مروان قلنا ان خص الخيرية بالدين تعين الثانى والا فالاول ولا تنكحوا المسلمات من المشركين
حتى يؤمنوا والعمل على عمومه وخيرية المؤمن من المشرك للزجر عن الميل الى مواصلتهم والترغيب فى مناكحة المسلمين وكذا بيان
ان المشركين والمشركات يدعون الى الكفر المؤدى الى النار ومن كان هذا شانه لزم الاجتناب عنه فضلا عن المواصلة هذا
والله اى اولياؤه على حذف المضاف تدعون الى الجنة بالدعاء الى ما يقرب منها من الدين والعمل الصالح ولعل السبب
فى ارتكاب خلاف الظاهر من تقدير المضاف ذلك ومثله قوله سبحانه ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار والمراد باذن الله
تيسيره وتوفيقه للعمل المقرب الى الجنة ومنه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وتبيين الايات معلل بالتذكير او ليرجى به
التذكر لان الرغبة فى تحصيل اللذات كالمنسى لما يوجب الاجتناب عنها ووجه الارتباط انه لما ذكر حكم اليتامى فى المخالطة عقبه
بما يشعر بالرغبة فى المخالطة على وجه المناكحة • ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين • ووجه الارتباط انه بحث
من احوال النساء من منع المباشرة وجوازها والسائل ابو الدحداح وكانت العرب تترك مواكلة النساء فى الحيض ومساكنتهن
كفعل المجوس وكذا نقل الافراط عن اليهود والتفريط عن النصارى بمواقعتهن وما امر به المسلمون اقتصار بينهما
قال عليه السلام انما امرتم بالاعتزال عنهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم والمحيض مصدر حاضت
تحيض فالمعنى السؤال عن حال الحائض وقت الحيض وهو دم يرى بعد تسع سنين قمرية يبلغ يوما وليلة ولم يتجاوز خمسة عشر
وعند مالك ساعة وعند ابى حنيفة ثلثة ايام واكثره عندنا خمسة عشر وعنده عشرة ايام واقل الطهر خمسة عشر اتفاقا ولونه
لا يختص بالسواد الا بالنسبة الى المميزة التى ترى السواد وغيره من الحمرة والشقرة وكل لون قوى من غيره يوما وليلة والضعيف



خمسة عشر نصا عرا فانه يكون قوى الحيض قال عليه السلام دم الحيض اسود بحرانى واصله الانفجار يقال حاضت السمرة
وهى شجرة فى البادية اذا سال منها شئ كدم الحيض والاذى القذر والنجس لان المجامع يتأذى به من رايحته وشكله والترتيب
عليه بالفاء يدل على انه العلة والاعتزال عنهن قبل الاجتناب عنهن موضع الدم فيكون المحيض الثانى بمعنى المكان او الزمان
والصحيح هو لزوم الاجتناب عما بين السرة والركبة لقول ام سلمة ما لى منى ما ينال الرجل من امرأته الا ما تحت الازار ولا دليل
قوله عليه السلام افعلوا كل شئ سوى الجماع والجواب ان المحرم راجح قيل يجتنب جميع بدنها والنهى عن القربان لتأكيد منع التمتع
المحرم وحتى لبيان غاية الامتناع وحمل يطهرن على يغتسلن بعد الانقطاع وهو مؤيد بما تطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن
بهذا صريح الدلالة وقوله تعالى فاذا تطهرن يدل عليه التزاما حيث قيد جواز الاتيان بوقت الغسل وجوز ابو حنيفة قبل الغسل
اذا انقطع الدم لاكثر زمان الحيض لتحقق الانقطاع وهو محجوج بالآية والمراد بالمحل الذى امر الله به المأتى الذى احله وحببه اليه
قد سبق بيانها والتواب كثير الرجوع عن الذنب والمتطهر الذى يتركه تنزها والوصف بالتطهير لان الذنب كانه نجاسة
روحانية ومنه قوله تعالى انما المشركون نجس ويدخل تحته الامتناع عن مواقعة الحيض والاتيان فى غير المأتى ولعل ذكر التواب
دون التائب لاستلزام محبة التواب التائب فانه اذا احب من اكثر الذنب وتاب فمن لم يكثر كان اوكد وجئ ثلثة اسولة
بغير واو وثلثة بالواو لوقوع الاول فى احوال متفرقة فيكون كل منها مبتدا والاخر فى وقت واحد فذكر بحرف الجمع على تكرير
المحبة للاشعار بالاستجلاب كل منها المحبة • نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا
انكم ملاقوه وبشر المؤمنين • اى هن محل الحرث لان الرحم كالارض والنطفة كالبذر والوقاع كالزرع والولد كالنبات
وسبب النزول منع قول اليهود حيث قالوا اذا اتى الرجل اهله باركة كان الولد احول وايضا ظهر هذا الانكار فى الانصار
بقصد المهاجرين ذلك والامر باتيان الحرث يتضمن بيان قوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله من اى جهة شئتم وقيل متى
شئتم ولكن بشرط ان يكون المأتى مؤديا الى الولد واتيان دبر النساء حرام لان الاعتزال فى المحيض معلل بالاذى وهذا
اكثر وايضا قوله عليه السلام ملعون من اتى امرأة فى دبرها ولا تمسك بجعل المرأة حرثا مع ان كلمة انى تدل على جواز اتيانها
مطلق للتقييد بالحرث وما نقل نافع عن ابن عمر فالناس قد كذبوا نافعا فيه ونسب الى مالك وانكره اصحابه واختيار المرتضى
الجواز على ما نقل عنه والله اعلم ومفعول قدموا محذوف اى الخيرات لقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله
وقيل يتعلق بجميع ما سبق اى اطيعوه فى جميع ما امر به وقيل طلب الولد وقيل ذكر بسم الله عند الوطى والاتقاء هو الاعراض
عن المعاصى لان من علم انه يلقى الله لا محالة يستعد لما بعده ويسعى فى تحصيل ما ينجيه من عذابه والمؤمن المبشر يحتمل
ان يراد به مطلق المؤمن وان لم يكن كاملا لانه من اهل السعادة فى الجملة وحمل على الكامل حيث اريد كمال البشارة
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم • تعقيب هذا الحكم بالآيات السابقة باعتبار ان منها ما يقع فيه الحلف

كالزرع بدل

مطلب حرمة اتيان دبر النساء
فى القول بالجواز

كالمتعلق بالنكاح وامر اليتامى وغيرهما وان كان سبب النزول حلف ابى بكر على عدم الانفاق على مسطح لافترايه او
فى ابن رواحة لما حلف على الامتناع من التكلم مع ختنه بشير ابن النعمان وعدم الاصلاح بينه وبين ابن اخته وتقول
حلفت بالله لا افعل ولا يحل لى الآن ابر فى يمينى لانه لا منافاة والعرضة كالقبضة فعلة بمعنى المفعول ويقال على ما
يعرض دون الشى عرض العود على الاناء قال فلا تجعلونى عرضة للوايم وقيل العرضة العذر والعلة والمانع وهى لا تنافى
الاول ومن يتعرض لامر والايمان هى الامور التى حلف عليها اذ المعنى لا تجعلوا الله حاجزا للامتناع عن الخير ويدل عليه قوله
عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات بالذى هو خير واللام يجوز تعلقها بتجعلوا
اى لا تجعلوا الايمانكم حاجزا او بعرضه لمعنى الاعراض اى لا تجلوا شيئا يعترض البر واذا جعلت للتعليل تعلق بتبروا او بتجعلوا
اى لا تجعلوا الله لاجل الايمان عرضة للبر او بالعرضة والمعنى لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبذلوه بكثرة الحلف وفيه ذم
الحلاف لاجترايه على الله وهو ينافى التعظيم ويكون ان تبروا علة للنهى او لقصدان تبروا او تتقوا او تصلحوا او حينئذ ينعكس
على المقصود فان الناس لا يعتقدون فيه هذه الصفات اذا اكثر الحلف ولهذا قالت عايشة لا تحلفوا وان بررتم وتسمية
المحلوف عليه يمينا التلبسه بها وقيل ان تبروا وما بعده مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اى البر وما عطف عليه اولى
او منصوب بنزع الخافض اى فى ان تبروا وقيل كراهة ان تبروا وجعلها عطف بيان للايمان انما يصح ان لو اريد
بالايمان الامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح كما سبق واللغو ما لا فائدة فيه وفى الاية هو ما يجرى على اللسان
عادة كما تقول العرب لا والله وبلى والله من غير عقد قلبى يقصد به ظلم او قطع مال وقيل يمين من يظن انه كما حلف
ويجب الكفارة عندنا خلافا لابى حنيفة وقيل حنث النسيان وقيل يمين العصيان وقيل دعاء الانسان على نفسه
ان فعل كذا فقر قطع الله رزقه او هو نصرانى ومعنى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ان المؤاخذة بالعقوبة والكفارة
او باحدهما يتعلق بما قصدتم من الايمان ووافق القلب اللسان ووصف كونه سبحانه غفورا لاجل عدم المؤاخذة باللغو
او بما يكون خطا فانه لا يؤاخذ الا بما يتعمد فيه الكذب وحكمه باعتبار عدم المؤاخذة باليمين الغموس وان كانت على امر سابق
وهو من باب ذكر الاخص بعد الاعم • للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم
وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم • اصل الايلاء الحلف على ترك الجماع وفى عرف الفقهاء حلف الزوج عن وطى المنكوحة
مطلقا او اكثر من اربعة اشهر وفى معناه التعليق بكل محذور كالتزام صوم عند الشافعى فى قوله الجديد وكانوا يحلفون
فى الجاهلية سنة او سنتين لعدم الميل اليها وكراهة تزوجها وحكى عن النخعى اقل من اربعة اشهر وعن ابن عباس انه لا يصح
الا ان يقول ابدا وذكر من لان المعنى يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين وقيل هى مثل لك منى الدعاء ولى منك النصر
وللذين خبر تربص او هو مرتفع به لانه ظرف والتربص الانتظار اى يتربص مضى اربعة اشهر واضيف الى الظرف
مجازا كقولك مسيرة يوم والمعنى ان للمولى الاعراض من غير ان يطالب بشئ فى هذه المدة فان رجع فى اليمين بالحنث

عفر

غفر الله برحمته اثم حنثه بعد التكفير فالفئة كالتوبة من قصد اضرار المراة فان قصد والطلاق فالله سبحانه يسمعه ويعلم
الغرض منه والعزم عقد القلب على الشى وفى الاصطلاح الجزم بعد التردد وصحح ابو حنيفة فى اقل من اربعة وقال ان فاء
بالوطى ان قدر او فاء باللسان وان عجز صح الفئ ولزمه التكفير والابانة بعد ذلك بطلقة وعند الشافعى انه لا مطالبة
الا بعد اربعة اشهر لهذه الآية فان امتنع طلق القاضى بطلب المراة طلقة رجعية والجديد لزوم الكفارة بالوطى فى المدة
وقال مالك لا يصح الايلاء الا فى الغضب والحالف كل زوج يصح طلاقه والمحلوف عليها من يلحقها حتى الرجعية
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر • لما اشتمل الايلاء على الطلاق ذكر حكم المطلقات والطلاق رفع قيد النكاح فى عرف الشرع واصله الفتح وازالة
العقد تقول طلقت بالفتح والضم وطالق يقوى الاول وعدم التاء لانه بمعنى النسب كالابن لا لعدم المشاركة والآية
لما قيل طلقت والمراد بالمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقراء غير الحوامل ويحتمل ان يقال ان ارادة هذا الصنف
لا ينافى افادة الجمع الاستغراق لتناوله جميع افراد هذا الصنف ولا حاجة الى القول بالعموم ثم التخصيص غاية ما فى الباب
انه يحتاج الى قرينة هذا القسم لان الصيغة من حيث هى صالحة للكل وهى حاصلة بالحلم ويتربص خبر فى معنى الامر
وفايدته التاكيد لانهن كالممتثلات للامر المخبر عن حالهن فهو كقولك رحمك الله وايضا لئلا يتوهم انه لا بد من الامتثال فيتصور
انه اذا لم يعلم بوقوع الفراق لم تنقض العدة وذكره بعد المبتدا بزيده تاكيدا او ذكر الانفس للتحريض على تربص فان فيه
حملها عليه وقطع الالتفات عن الرجال والقرء مشترك بين الطهر والحيض قال عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وقال
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا اى عدة نسائك والحمل على ان المراد طول غيبته عن الاهل للاقتحام فى الحروب
وتشبيها بعدة النساء خلاف الظاهر والطهر هو المراد فى الاية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى لوقتها والطلاق فى الحيض
بدعى ولانه الدال على براءة الرحم ولا تستدل بقوله عليه السلام عدة الامة حيضتان لان قوله عليه السلام لعمر مره اى عبد الله
فليراجعها قد رواه مسلم والبخارى ولا يخفى انه من جملة تراجيح الاخبار والجواب عن قوله تعالى لعدتهن مستقبلات ليس بسديد
لان الاصل عدم الاضمار وايضا يحصل المقصود لان قول القائل لست تعين من الشهر لزمان يقع الشروع فيها فيكون المعنى
طلقوهن بحيث يحصل الشروع فى العدة وذكر القرء بدل الاقراء لانه موضع جمع القلة لانه قد يستعار احدهما موضع
الاخر وايضا للنظر الى افراد المطلقات واصل القرء الاجتماع ففى الحيض اجتماع الدم فى الرحم والطهر فى البدن وقيل
الانتقال وقيل الوقت ونصبه على الظرف ويجوز على المفعول به اتساعا وفى تعليق الانتهاء بالايمان بالله واليوم الآخر
تهديد شديد لانه يوهم ان كتمانهن ما فى ارحامهن من الولد والحيض ينافى الايمان والمراد الكمال لان كمال الايمان يمنع عنه
ويعلم منه انها مؤتمنة فى رحمها حتى لو ادعت الانقضاء لزمان يمكن كما اذا ادعت الانقضاء بالقرء بيومين وثلثين
والخطيئتين حيث طلقت فى آخر الطهر صدقت وكذا فى ساير الصور • وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان

ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذی علیهن بالمعروف وللرجال علیهن درجة والله عزیز حکیم • البعولة جمع بعل کالعمومة
فالتاء لتانیث الجمع ان لم یجعل مصدرا لقولهم فلان حسن البعولة فیکون مصدرا نعت به او یقدر اهل بعولتهن والبعال
الوقاع والتبعل طاعة الزوج واداء حقه واصل السید یعنی ازواج المطلقات وبقرابرجعتهن وذلک اشارة الی زمان
التربص وافعل لمطلق الزیادة اذ لاحق لغیر الازواج واما تخصیص الاستثناء عن النساء فلیس بسدید نعم لو حمل علی انهن لو کتمن
حال العدة فی الانقضاء ثبت لزوج آخر حق فی التزوج فبین انهن ان فعلن کان الزوج الاول احق والرد لا یشکل بان الرجعیة
زوجة لانه یتضمن ابطال التربص ولجری فی العدة وایضا رد من حرمة الاستمتاع الی حله والاحقیة متقیدة بقصد
الاصلاح بالرجعة والاحسان الیهن دون الاضرار والمراد التحریض علی الاصلاح والالزم ان لا یصح الرجعة الاتیة ولا یستدعی
کون الضمیر اخص لزوم تخصیص العام به فانه لو قال وبعولة الرجعیات لم یلزم ذلک وتقیید الرد الی النکاح بعد الطلاق بالرجعی
للایة التی بعدها ومماثلة حقوقهن بحقوق الرجال باعتبار اصل الوجوب لان حقوقهن النفقة والکسوة والمسکن والقسم
وحقوق الرجال التمکین من الاستمتاع وملازمة تعینه وغیرهما والمراد بالدرجة زیادة الحق باعتبار التعلق وحقوقهن بالمال
غالبا فان القسم یختص بالنعماء وفضیلة کونهم قواما علیهن محافظین علی صیانة الدیانة حتی ذکر وجه ان الزوج یحجر علیها
فی ماله واصل الدرجة المنزلة من درجت الشیء درجا وادراجا والترکیب للطی ومنه الدرجة لقارعة الطریق وللتی یرتقی
علیها لانها نطوی شیئا بعد شیء وکون الرجل اقوی بالاعتبارات المشهورة لا یخفی کالعقل والدیة والمیراث والقضاء
والشهادة وله ان یتزوج علیها ویتسری من غیر عکس وفایدة الوصف بالعزة هنا الاشارة الی انه یعاقب
من خالف هذا الاحکام ولا یمتنع علیه ففیه تهدید واکد ذلک بان من خالف الاحکام الثابتة علی وفق الحکمة البالغة استحق المؤاخذة
الطلاق مرتان فامساک بمعروف او تسریح باحسان ولا یحل لکم ان تاخذوا مما آتیتموهن شیئا الا ان یخافا الا یقیما
حدود الله فان خفتم الا یقیما حدود الله فلا جناح علیهما فیما افتدت به تلک حدود الله فلا تعتدوها ومن یتعد حدود
الله فاولئک هم الظالمون • المعنی ان التطلیق المستعقب الرجعة اثنان للحر فهو کالسلام بمعنی التسلیم ولم یکن له
حصر فی الجاهلیة فبین انه لا رجعة بعدهما وعلی هذا لم یکن کلاما مبتداء لما سبق بحث الرجعة ولم یتبین انها ثبتت دائما
او الی غایة معینة رفع ذلک الاجمال فیکون اللام للعهد ای الطلاق المحکوم علیه بثبوت الرجعة اثنان ویدل علیه انه سئل
علیه السلام عن الثالثة فقال امساک بمعروف وقیل معناه ان التطلیق الشرعی یجب ان یکون تطلیقة بعد تطلیقة
فالجمع بین اثنین او ثلث یکون رجعیا واتفاقا عند ابی حنیفة ونقل ذلک عن علی وقیل عن عمر وعثمان وابن عباس وابن
مسعود رضی الله تعالی عنهم ایضا وذهب کثیر من الشیعة الی انه لا یقع لان فایدة النهی ان لا یدخل المنهی فی الوجود
للمفسدة الراجحة والجواب عن الکل انه لو کان کذلک لکان جواب السایل باحد الامرین دون ما اجاب وایضا هو
ینبنی علی ان النهی یدل علی الفساد وهو علی اطلاقه ممنوع ومعنی فامساک بمعروف انه ان راجعها فلیمسکها

بمعاشرة

بمعاشرة الفقهاء العقول وعرفتها النفوس والتسریح ان لا یراجعها حتی تنقضی العدة او یطلقها الثالثة کما دل
علیها الخبر والاحسان فعل الحسن کالاجمال وهو تعمیم اما بعد بیان عدم الطلاق او تعلیم التطلیق ومن الاحسان ان
لا یطول علیها الرجعة ولا یحل اخذ شیء مما جعل صداقها وهو نظیر قوله سبحانه وآتیتم احدیهن قنطارا واستثنی عنه
ما اذا خاف الزوجان بان یظنا ان لا یقیما حقوق الزوجیة ویؤیده قراءة یظنا وقرئ ببناء المفعول وان مع ما دخل
علیه بدل عن الضمیر بدل الاشتمال ویقرا ببناء الخطاب فیهما وضمیر الجمع للحکام ای فلا جناح علی الرجل فیما یاخذ ولا علی
المراة فیما تفتدی به روی ان جمیلة بنت اخت عبد الله بن ابی بن سلول کانت مبغضة لزوجها ثابت بن قیس بن شماس
فاتت رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا یجمع راسی وراسه شیء والله ما اعیبه فی دین ولا خلق
ولکنی اکره الکفر فی الاسلام ما اطیقه بغضا انی رفعت جانب الخباء فرأیته اقبل فی عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فاختلعت منه بحدیقة اصدقها واسناد الاخذ الی الحکام للتجوز بعلاقة السببیة فانهم الآمرون به
وما قیل ان الاول للازواج والثانی للحکام مخل بتناسب الکلام والمراد من الحدود ما شرع من الاحکام والاعتداء فیها
مخالفتها واکد النهی بالوعید للمبالغة فی التهدید وظاهر الایة یشعر بعدم جواز الخلع من غیر شقاق وان لا یکون العوض جمیع
الصداق فکیف بالزاید ویدل علی الاول قوله علیه السلام ایما امراة سالت زوجها طلاقا من غیر ما باس فحرام علیها
رایحة الجنة وعلی الثانی منعه علیه السلام زوجة ثابت ان تزید علی الحدیقة التی هی صداقها شیئا والحکم بصحة العقد بدونهما
لا ینافی کراهة الجمهور ذلک لان النهی عن العقد ههنا لا یدل علی الفساد لکون النهی غیر متعلق بماهیة العقد ولا بلازمه
ولا بداخل فیه وفی الایة دلیل علی صحة العقد بالمفاداة ثم اختلف فی انه طلاق او فسخ وفایدة الخلاف تظهر فیما اذا خالع ثلاثا
فانه لو کان طلاقا احتاج الی التجدید والا فلا وتوجیه المذهب الاصح انه فرقة صادرة عن اختیار الزوج مشطر قبل المسیس
فیکون طلاقا وللآخرین انها فرقة تحصل ببذل المال من جانب الزوج فهو کما لو اشترت زوجها فانه یکون فسخا وللاولین
انه لو صلح هذا الوصف علة للزم الحکم بکونه طلاقا لو جری بصیغة الطلاق واللازم باطل اتفاقا وایضا لو کان فسخا
لما صح بالزاید کالاقالة فی البیع استدل القایل بکونه فسخا بقوله تعالی فان طلقها لان ذکر الخلع عقیب ذکر الطلقتین یقتضی
ان یکون الطلاق اربعا لو کان الخلع طلاقا واجیب عنه بانه متعلق بقوله تعالی الطلاق مرتان بتفسیر التسریح بالاحسان
تخلل بینهما ذکر الخلع لیدل علی ان الاطلاق کما یقع بغیر عوض یقع بعوض والاول مذهب علی وابن مسعود والحسن
والشعبی ونقل عن عثمان ایضا والثانی مذهب ابن عباس وطاوس وعکرمة والاشارة بقوله اولئک هم
الظالمون اتباع النهی بالوعید للتاکید حیث ذکر فی غیره الا لعنة الله علی الظالمین • فان طلقها فلا تحل له من
بعد حتی تنکح زوجا غیره فان طلقها فلا جناح علیهما ان یتراجعا ان ظنا ان یقیما حدود الله وتلک حدود الله
یبینها لقوم یعلمون • ای ان طلقها الثالثة فهو بیان التسریح فلا یحل المطلقة للمطلق حتی تتزوج غیره ویسند

النكاح الى الرجل والمرأة كالتزويج ولا يصح التمسك بظاهره حتى يكتفى بالعقد كما فعل ابن المسيب لان المراد به نكاح يجرى فيه
وقاع بانتشار الآلة او يفسر النكاح بالاصابة ويستفاد العقد من لفظ الزوج لما روى ان امرأة رفاعة قالت
يا رسول الله ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام
اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك اى لذة الجماع وقرر ذلك ابو بكر ثم عمر بل قال
ان اتينى بعد مركب هذه لارجمنك وايضا المقصود ان يمنعه الغيرة عن الطلاق ثم العود ولذلك لعن النبى عليه السلام
المحلل والمحلل له وشبه الاول بالتيس المستعار وقال عمر لا اوتى بهما الا رجمتهما للمبالغة ولم ينقل تصحيح النكاح بشرط
التحليل الا عن ابى حنيفة مع كراهة ودونها ان اضمراه ثم ان طلقها الزوج فلا جناح عليهما ان يرجع احدهما الى الآخر
بالنكاح ان ظنا اقامة حقوق الزوجية واختياره دون العلم لانه غيب فلا يصح العلم عليه كما ذكره بعضهم لا سيما
وينافيه ان لانها للتوقع وان لم يحصل ظن الاقامة بل قصد الاضرار حرم ذلك وليس المراد انه شرط لصحة المراجعة
بل المراد التزام رعاية حقوق الله تعالى وقصد الاقامة بحدوده على ابلغ وجه والحدود الثانية الاحكام المذكورة من قبل
يبينها الله للذين يفهمونها ويعملون بمقتضى ارادة الله منها فان قيل تلك حدود الله تشعر بتقدم العلم بها وتبيينها
يدل على خلافه ظاهرا قلنا لا منافاة لتبيين الشئ مرارا بحسب الحاجة لا سيما وقد يكون فيه اجمال بينه قول النبى او فعله كما فى
فى صورة النكاح وكالصلوة والزكوة • واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه • يعنى اذا طلقتم النساء فوصلن الى قرب آخر عدتهن
وهو مجاز من باب تسمية المشارف للشئ واصلا اليه ليتمكن ان يترتب عليه الامساك فامسكوهن او سرحوهن والاجل
حقيقة مطلق المدة كالعمر يطلق لمنتهى المدة كالموت باعتبار انه ينتهى به المدة قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا
انتهى اجله والامساك هنا الرجعة اى راجعوهن من غير ضرار او ارسلوهن حتى تنقضى عدتهن وفائدة اعادة هذا الحكم
بيان منع الاضرار فانهم كانوا يتركون المعتدات حتى اذا اشارفن انقضاء العدة راجعوا لتطويل العدة بالغ فيه بالنهى
بعد الامر بضده ولعل السبب انه كالامر والنهى مرتين لاستلزام كل الآخر او لان الامر لا يتناول الا مرة والنهى يعم
الاوقات ونصب ضرارا يجوز ان يكون للمفعول له او الحال والاول اولى لانه قد يمسكه فى الحال بالمعروف ويقصد ضرارها
بعد ذلك والاعتداء ظلمهن بذلك او الالجاء الى ان تفتدى نفسها بالمهر واللام يصلح ان يكون للعاقبة نحو فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وفاعل ذلك ظالم لنفسه حيث جعلها معرضة للعذاب وايضا تفوت عليها ثواب حسن المعاشرة
ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شئ عليم • المراد بالنهى عن اتخاذها هزوا الجد فى الاخذ بها وعدم التهاون فيها كما يقال لتارك الجد هازئ
وقيل السبب ان الرجل كان يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت العب ولهذا قال عليه السلام ثلث جدهن جد



وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروى العتاق فان قيل كيف يصح الاستدلال بالخبر وهو غير معمول به فى النكاح
وايضا ما وجه عدم العمل به فى شق دون الباقى قلنا قد اختلف فى ذلك وعلى تقدير عدم صحة النكاح بالهزل كما هو
الاصح لكونه عقدا مشروطا بانواع الاحتياطات ففيه زجر ومنع عن تعاطيه بالهزل فان قيل اتخاذ آيات الله بالهزء
كفر لقوله تعالى قل أبالله وآياته الآية فما وجه الارتباط بما قبلها قلنا للاشعار بتعظيم عقاب المتهاون فى تلك الاحكام فانها
وان اولت بما ليس بكفر مثل لا تمشوا محوا فى تكاليف الله ولا تهاونوا بها كالمستهزئ بالشئ لكن ظاهره يشعر به فهو
كقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله ولهذا اعقبه بتذكير نعم الله التى من جملتها الاهتداء الى الاسلام واحكامه والقيام
بشكره وعطف ما انزل من عطف الاخص على الاعم وفسرت الحكمة بالقرآن والسنة لقرينة الانزال وتخصيص
الوعظ لان التحذير عن العقاب اهم وفى الامر بالاتقاء مع التنبيه على احاطة علمه سبحانه بالاشياء تهديد عظيم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون • عن الشافعى ان السياق قد دل
على افتراق البلوغين ولعل السبب ان ترتب المنع على العضل بالفاء لا يكون الا بعد انقضاء العدة وخطاب
المنع عن العضل وهو الحبس والتضييق من قولهم عضلت الدجاجة اذا لم يخرج بيضها مع الاولياء ويدل عليه ما روى
انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جملا عن الزوج الى الزوج الاول بالاستيناف وفيه دليل على ان المرأة لا تزوج
نفسها والا لم يكن للعضل تاثير ويشهد له قوله عليه السلام ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل
ولا يشكل باسناد النكاح اليهن نظرا الى توقفه على اذنها وقيل المراد الازواج ويحتمل ان تقدح فيه بان قدرتهم على
المنع منه عدوانا منه غير مطردة لا يكون الا عند ضعف الاسلام والحمل على الفريقين او الناس كلهم بالنظر الى انه لا ينبغى
ان يوجد بينهم ذلك راضين به فيكون العضل كالصادر منهم ضعيف ويمكن ان يقال الاخير ابعد لعدم دلالة السياق
باعتبار الخطاب او مناسبة وارتكاب المجاز من وجهين واذا جعل ظرفا لينكحن او تعضلوهن والمعروف ما يعرفه الشرع
ويستحسنه المروة فهم منه ان العضل من غير كفو غير منهى عنه وقيل بمهر المثل ولهذا جوز ابو حنيفة الاعتراض ان كان اقل
وهو حال عن ضمير تراضوا او صفة مصدر مثل تراضيا بالمعروف والاشارة الى ما به يتعظ من الامور السابقة على تاويل
المذكور والخطاب للكل على تاويل الفريق او مثل كل احد مثل ذلك خير لكم وفائدة الاشعار بانه مما لا يتصوره غير النبى عليه السلام
والتخصيص بمن يؤمن بالله واليوم الآخر لان غيره لا يتعظ به مثل ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولا يستدل به
على عدم كون الكفار مخاطبين بالفروع لان الكلام فى الاتعاظ وزكى الزرع اذا نمى اى استحقاق الثواب الدائم واطهر
لازالة الذنوب والمعاصى اى ترك العضل والضرار ازكى من الفرقة واطهر من الريبة ونفى العلم عن المكلفين ليس من جهة
عدم العلم بحكمة التكاليف فى الجملة بل باعتبار التفصيل والكمية والكيفية بحسب الواقع والتقدير • والوالدات يرضعن

اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس
الا وسعها • مناسبته بما تقدم ان الولد من نتايج النكاح ويرضعن خبر في معنى الامر للتاكيد والتقييد لدفع وهم التجوز
لانه قد يقال اقام فلان حولين ولم يستكملهما ويقرا يتم بالرفع لمقاربة ان مع ما في المعنى ويكمل بدل يتم ولا يحمل على الوجوب
الا اذا لم يرتضع من غيرها او لم توجد لانه لا يجب عليها غير ارضاع اللبا في غيرها من الصورتين والوالدات يشمل المطلقات
وغيرها وقيل يختص بهن ولمن اراد بيان من توجه اليه الحكم مثل هيت لك ويجوز ان يتعلق بيرضعن لانه يجب على الاب
كالنفقة وفيه جواز النقص عن حولين وقد نقل انه نزل تخفيفا ويعلم ان اقصاه هذه المدة ولقوله عليه السلام لا رضاع
بعد الحولين وهو لما كان حكما شرعيا لانه يحرم به ما يحرم من النسب بين ان هذا التاثير الى اي مدة يبقى وايضا يعلم منه ومن قوله
سبحانه حمله وفصاله ثلثون شهرا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر والحول الانتقال من قولك تحول عن المكان او من الانقلاب والمولود له
الوالد لان الولد ولد له وينسب اليه وانشد الرشيد المامون • فانما امهات الناس اوعية • مستودعات وللآبار ابناء ما
وفي الاختيار بهذه العبارة دليل ارادة الاشارة الى المقتضي لوجوب نفقتهن وكسوتهن وهي الاجرة وهو دليل الشافعي
في جواز استيجار الام ومنعه ابو حنيفة وان كانت معتدة نكاح والمعروف ما يليق بوسعه براي الحاكم ولهذا علل بانه لا يكلف
شي من النفوس فوق طاقتها ولهذا وجب المؤن وفيه ان العبد لا يكلف الا ما يطيقه والتكليف الالزام وهو اظهار ما يلزم
من الكلف وهو ظهور الاثر والوسع ما يسع الانسان فيطيقه اخذ من سعة المسلك وفيه دليل عدم وقوع التكليف بما لا يطاق
وبهذا تمسكت المعتزلة بالاية ولا نزاع الا في انه يجوز عندنا ذلك بمعنى انه لم يكن في العقل ما يحيله ومثار الخلاف ان فعله سبحانه
هل يعلل بالغرض او لا والصحيح الثاني لئلا يلزم الاستكمال • لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل
ذلك فان ارادا فصالا عن تراض بينهما وتشاور فلا جناح عليهما • يجري مجرى البيان لعدم التكليف الا بما في وسعها
ويدل عليه ما قرئ بالرفع فانه بدل عن يكلف وقرئ بالنصب واصلها تضارر معروفا او مجهولا وهو محتمل البنائين فمعناه
على الاول يجوز ان يكون بمعنى لا يضر كل منهما بالولد بعد القيام بما هو من حقه او تقصد الام النعل الى ظير بعد ما الفها
ونحوه او ياخذ الزوج الولد منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها عليه فالبا من صلته وما يقرا من السكون والتشديد فالقصد
الوقف به مع التخفيف وهو اختلاس الضمير ويتصور سكونا من ضاره يضيره وفايدة اضافة الولد الى كل منهما
للاستعطاف ولتعليل المنع من الاضرار اعني ان يتضرر كل بسبب الاخر وهذا الكلام من تتمة وعلى المولود على طريق التعليل
والتفسير ليصح عطف وعلى الوارث عليه وهو وارث الاب فالمعنى وعلى الصبي مؤن المرضع اذا مات الاب وقيل ما يخلفه
الابوان من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا اي الباقي وهذا يناسب مذهب الشافعي في انحصار وجوب النفقة
في الابعاض وحمله ابو حنيفة على وارث المحرم كما هو مذهبه وهو قول سفيان وغيره ويدل عليه قراءة ابن مسعود على الوارث
ذي رحم مثل ذلك وقيل عصابته وقيل وارث الطفل والمراد بالاشارة ما وجب على الاب من النفقة والكسوة وقيل


وللابنار ابارا

وقيل من ترك الاضرار وقيل منهما وعليه الاكثر التشاور والمشورة استخراج الراي الراي من شرت العسل اذا استخرجته
اي لا يجوز الفصال قبل الحولين الا بتراضيهما ولا يرتفع الجناح الا به ولا يجوز الاستقلال بذلك لان الاب اعقل والام
اعرف بحال الولد وما يقرا بالتوحيد فللارادة كل واحد وقيل وعند التشاور مع ارباب التجارب لان كلا منهما قد يترك
الامر بما اذا انضم اليهما الغير بعد قصد الاضرار • وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم
بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير • يقال استرضعت المراة للصبي اذا طلب منها ارضاعه مثل
استنجحت الله حاجتي والمراد الظير فالمعنى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم ونظيره في حذف اللام كالوهم او وزنوهم
فلا جناح عليكم حذف المفعول الاول وفي اطلاقه على ان للزوج الاستيجار لارضاع الولد ومنه الزوجة عنه وهو كذلك
فان له منعها للاستمتاع ونفي الجناح مقيد بان يسلم الى المراضع اجرتهن على الوجه الجميل وهو الاتفاق والاعطاء باعتبار
انه الاولى لانه شرطه بالمعروف متعلق بسلمتم على انه حال اي مستبشري الوجوه طيبي الكلام والايتاء الاعطاء والاعطاء
باعتبار انه الاولى لانه شرط له بالمعروف اي ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ اتيتم من اتى اليه احسانا
اذا فعله ويقرا اوتيتم اي اعطاكم الله من الاجرة والامر باتقاء الله في اوامره ونواهيه وان يتيقن كونه سبحانه بصيرا
بالاعمال للتحريض على مباشرة هذا الامر بالوجه المشروع والتهديد على المخالفة لا سيما وتطييب نفس المرضعة يتضمن اصلاح
حال الصبي • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون بصير • يعني يجب على نساء الذين يموتون منكم
التربص اي الانتظار والمكث ولا بد من اضمار مضاف مثل وازواج الذين لان يتربصن لا يصح خبرا عن الذين الا ان يسند
الى الازواج ويقدر ضمير يرجع الى الموصوف اي يتربصن بعده واصل التوفية اخذ الشي وافيا فان من مات فقد اخذ عمره
كاملا او ان الله ياخذه الى تدبيره بعد ان وكله الى اختياره والتقدير يتربصن بعدهم حذف للعلم نحو السمن منوان بدرهم
اي منه ومعنى ما يقرا بفتح الياء انهم يستوفون اجالهم ويذر لا يستعمل منه الا المضارع والامر والنهي ويتربصن خبر
في معنى الامر وانما لم يستعمل التذكير في العشر وكذا حكم امثاله اعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام نحو ان لبثتم
الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فانه يعلم ان المراد عشرة ايام لا سيما وهذه ايام الحزن فلا يبعد التعبير عنه بالليالي
قال صاحب الانوار لعل المقتضي لهذا العدد ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان
انثى فاعتبر الاقصى وزيادة العشر للاحتياط فان الحركة تضعف في المبادي فلا يحس بها والمراد الحرة غير الحامل
لقوله تعالى واولات الاحمال وان الامة عدتها النصف للقياس خلافا للاصم وعن علي وابن عباس ان الحامل تعتد
بالاقصى احتياطا ثم ان كان قد بقي من شهر الوفاة اكثر من عشرة فالاشهر الباقية بالاهلة وان خرجت ناقصة وان كانت
اقل كمل العشر من الشهر السادس وسبب العدة عند الاكثر الموت لا العلم به حتى لو انقضت المدة بعد الوفاة ولم يعلم

لم يستانف وبلوغ الاجل انقضاء العدة والمخاطبون بنفي الجناح عنهم الائمة او المسلمون كما سبق وما يفعلن هو
اجابة الخاطب والتزين في التزوج وكل ما حرم بالعدة اذا كان بالمعروف وهو ما لا ينكره الشرع فالجناح ثابت عليهم
اذا فعلن خلافه وفي كونه سبحانه خبيرا بالاعمال تهديد للجميع • ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في
انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا • التعريض لفظ لبيان المقصود
لم يدل عليه حقيقة ولا مجازا بل يذكر ما يدل به على شيء لم يذكر كما يقول لك المحتاج جئت لاسلم عليك وانظر الى وجهك الكريم كما قيل
وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وتسمى التلويح ايضا اذا اراد الخطبة فقال انك جميلة ولا زوجة لي ومن غرضي النكاح
لتحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والصريح اريد ان انكحك روي ان ابا جعفر محمد بن علي دخل على بعض المعتدات فقال قد علمت
قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ
عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله عليه السلام دخل النبي عليه السلام على ام سلمة وكانت في العدة
فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فيها فما كانت تلك خطبة ويفارقه الكناية حيث يذكر
بغير ما وضع له لعلاقة بينه وبين ما وضع له نحو طويل النجاد والاكنان ان يضمر نفسه من غير ذكر باللسان يقال كننت الشيء
واكننته اي سترته وصنته اي لا جناح في ذلك وذكرهن عدم الصبر على السكوت عنهن والرغبة فيهن والتوبيخ فيه كما في
علم الله انكم كنتم تختانون والاستدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي اذكروهن ولا تواعدوهن الوقاع عبر عنه بالسر
لانه مما يسر ثم عبر به عن العقد لكونه سببه او لا تواعدوهن في السر وانما يصح ان لو اريد بها ما يقبح ذكره والاستثناء
عن محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او بقول معروف والحمل عليه مع كونه مجازا غير مستقيم اذ المعنى
لا تواعدوا الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل على جواز التعريض لمعتدة الوفاة وكذا حكم باينة الفراق على ما رجح لانها
تشبه معتدة الوفاة ووجه المنع انه لا يؤمن عليها الخيانة حيث كانت عدتها بالاقراء بان تخبر بالانقضاء قبله واما التصريح فحرام
زاء • ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله
غفور حليم • اي لا تعزموا على عقدة اي على عقد عقدة النكاح او لا تباشروه والعزم وان كان اكنانا وهو مرخص فيه
لكن الممنوع منه مباشرة العقد قبل انقضاء العدة وفي ذكره مبالغة لانه اذا نهي عن مقدمة الفعل كان اولى بالمنع وحقيقته
العزم القطع ومنه قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ومعنى بلوغ الكتاب اجله ما فرض من العدة والمراد
بما في الانفس قبل العزم للمناسبة ويمكن ان يرجح التعميم وهو تنبيه على انه لا بد من الحذر في السر والعلانية لكونه سبحانه عالما
بهما وتعقيب الوعيد بالوعد اشارة الى سعة الرحمة • لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن
فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين • لما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر المنع عن الطلاق واوهم عموم المنع بين الله سبحانه انه لا وزر ولا تبعة في التطليق قبل الوقاع لانه ليس بدعي

داو

داو بمعنى الا ان او الى ان وقيل وتفرضوا وهو ذكر المهر في العقد فهو فعيل بمعنى مفعول ان لم يجعل مصدرا وعلى الاول
التاء للنقل الى الاسمية والمعنى ان الجناح منفي عن المطلق باعتبار مطالبة المهر اذا طلقها قبل المسيس ولم يفرض لها
فلها النصف والاول بالمنطوق والثاني بالمفهوم وهو حجة على من اوجب للمفوضة النصف بالطلاق ويعلم منه صحة النكاح
بغير المهر لكون الطلاق مشروعا ويعلم انه لو كانت ممسوسة فعليه المهر وان لم يفرض لانه يجب مهر المثل بالوطي وان كانت
غير ممسوسة وقد فرض لها فلها والمتعة واجبة وقيل يدل على الجواز والتمتيع اعطاء المتعة وهو ما يراه الحاكم لايقا بالزوجين
والسبب جبر الايحاش بالطلاق فلا يستحقها التي فرض لها المهر لان لها نصف الصداق فهي التي لم يفرض لها وكذا المدخول بها
على اصح قولي الشافعي وهو قول علي والحسن بن علي وابن عمر رضي الله عنهم لان الصداق في مقابلة البضع ومنع ابو حنيفة وهي
واجبة خلافا لمالك لان ظاهر الامر للوجوب ولقوله عليه السلام لانصاري طلق زوجة المفوضة متعها ولو بقلنسوتك
والموسع الذي له سعة في غناه يقال اوسع اذا كثر ماله والمقتر الفقير من اقتر اذا افتقر ومتعوهن قيل عطف على مقدر اي طلقوهن
ومتعوهن ولعل الغرض من ذلك طلب التناسب والقدر قرئ بسكون الدال وفتحها ومعناه قدر امكانه وطاقته فحذف
المضاف والاحب عند الشافعي خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما والفقير مقنعة وفسر المعروف بان يكون على قدر حال الزوج
والزوجة وقيل الزوج وحقا اما صفة لمتاعا او مصدر مؤكد والتخصيص بالمحسنين لانهم المنتفعون بذلك او ان فمن اراد ان يكون
محسنا فعل ذلك • وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي

لهن

بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير • اي ان طلقتم النساء
قبل الوقاع والحال انكم قد عينتم لهن مهرا فالواجب عليكم نصف المهر فهذا التتميم القسمة فانها قسيم الاول ويعلم منه
عدم لزوم المتعة مع وجوب شطر المهر والسر انجبار الايحاش به ويستوي التذكير والتانيث في لفظ يعفون غير ان الواو
على الاول ضمير الفاعلين وفي الثاني لام الفعل والنون في الاول للاعراب وفي الثاني ضمير الفاعلات والفعل مبني لم يؤثر فيه
ان يكون منصوب المحل ولذلك نصب او يعفو بالعطف عليه ومن بيده العقدة الزوج على الجديد من قول الشافعي وعفوه
اعطاؤها تمام المهر بمعنى انه لا يسترد ما ساق اليها او سمي عفوا للمشاكلة ويؤيده ان جبير بن مطعم فعل كذلك وقال انا احق
بالعفو وكذا فعل سعد بن ابي وقاص فقيل له في ذلك فقال ابن الفضل ويقرأ يعفو بسكون الواو واسكانها والياء في موضع
النصب لشبههما بالالف لانهما اختاها ويقرأ بالياء للغيبة وكسر واو ينسوا وروي حمله على الزوج عن علي رضي الله عنه
وهو مذهب ابي حنيفة وذلك لان الولي لا يمكنه اسقاط حق المولى عليه ولا يشكل بان العقد ليس في يده قبل النكاح لانه لما تم
العقد الا به كان مساويا للولي من ذلك الوجه وبعده اليه رفع العقد والقديم ومذهب مالك انه الولي اذا لم تكن المراة
من اهل العفو وفي معناه العتق والمراة ان كانت من اهله ويروى عن ابن عباس ان يرد الكل الى الزوج كانها تقول
حيث لم تستمتع بي كيف اخذ منه شيئا وفيه دليل على ان النكاح لا يصح الا بالولي حيث كان العقدة في يده ووجه انه

لما صدر بخطاب الازواج فلو اراد خطابهم لما عدل عن الخطاب الى الغيبة بل قال الا ان يعفون او تعفوا انتم والمنع
ظاهر وكونه اقرب للتقوى باعتبار الاتقاء عن المعاصي او ظلم بعضهم بعضا وذلك ان من ترك حقه وهو قادر عليه فاولى
ان يعرض عن حق غيره والفضل التفضل اى لا ينسى بعضكم ان يتفضل على الاخر باعطاء ما ليس بواجب والمراد الترك
والله لا يضيع ذلك والآية اشار بكونه سبحانه بصير العلم وهو كالتهديد لمن خالف ما بين له • حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • وجه المناسبة
انه لما اشبه بحث النكاح امر العادات عقبها باعظم العبادات لا سيما وهي ناهية عن الفحشاء فيرجى من معاطيها الانتهاء
عما لا ينبغي في امر الزواج وكيف وهي تشتمل على الخضوع والاستكانة وايضا لئلا يقع فيها فتور للاشتغال بامر النكاح
الحفظ ضد النسيان اى داوموا عليها والعدول الى المفاعلة للمبالغة والمحافظة عليها يستلزم المحافظة على جميع
الشرايط المصححة والاجتناب عن الموانع المبطلة والوسطى اما باعتبار العدد او الفضيلة والآية تدل على وجوب
الصلوات الخمس لان اقل الجمع ثلثة والوسطى غيرها فتكون اربعة ولا بد من خامسة ليحصل وسطى ومذهب الشافعي
انها الصبح وروي عن علي رضي الله عنه انه قال كنا نرى انها الفجر وروي ذلك عن عمر وابن عباس وطاوس وعطا
وعكرمة ومجاهد ويدل عليه انه يقع اولها في الظلام واخرها في الضوء وهي بين طلوع الفجر والشمس وايضا حصل في النهار
التام صلوتان وفي الليل صلوتان فهي متوسطة ويدل عليه قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اى يشهدها ملائكة
الليل والنهار وايضا عقب بقوموا لله قانتين والقنوت في الصبح ولانها اشق على النفس فاحوج الى التاكيد
وكانت العرب تسمى نوم الفجر العيلة وفيها هجرانه وايضا هي افضل لشرعية التاذين لها مرتين وايضا هي وقت
القيام من عالم الموت الى الحيوة وقيل الظهر وهو قول عمر وزيد واسامة وذلك لانها كانت تشق عليها لوقوعها
في وقت القيلولة فصرفت المبالغة اليها وفيها قال عليه السلام لقد هممت ان احرق عليهم بيوتهم وايضا هي بين النهار
وبين صلوتي النهار وروى ابو العالية انه صلى مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عنها فقالوا التي صليتها
وكذا قاله اسامة وقيل صلوة العصر وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود وابي هريرة والنخعي وقتادة
والضحاك وابي حنيفة لقوله عليه السلام شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر واجيب عنه بانها وسطى وليست
هي المذكورة وذكرت ادلة اخرى وهذا الجواب يصلح جوابا عن الظهر وقيل صلوة المغرب وبه قال عبيدة السلماني
وقبيصة لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط في الطول والقصر وقيل العشاء لانها بين صلوتين
لا يقصر وايضا جاء انها كقيام ليلة ويمكن ان يستدل على شرفها بقوله عليه السلام لم يصلها امة قبلكم وفائدة
اخفائها المحافظة على جميعها كساعة الجمعة وليلة القدر والامر بالقيام في الصلوة والقنوت فسر بالدعاء والخشوع
والسكون والعبادة واصل الدوام فان كان بكم خوف من كافر او عدو آخر وما في معناه فصلوا راجلين جمع راجل

كقايم

كقايم وقيام او رجل ويقرأ بضم الراى وتشديد الجيم وسكونه وفتح الراء وما في معناه من حرق او غرق او لص والحكم ان يصلي
كيف اتفق بالايماء الى الركوع والسجود وان لم يكونوا متوجهين الى القبلة ولا اقتصار وهو حجة على ابي حنيفة حيث منع عنها
في حال المشي والمسايفة ما لم يكن الوقوف فاذا زال الخوف فصلوا كما علمكم الله ما لم تكونوا تعلمون وهو المراد بالذكر ولا يخفى ان المراد
قتال مباح ثم صلوة الخوف اما ان يكون في حال يمكن لبعضهم ترك القتال اولا فان كان الاول فللامام ان يرتبهم صفين ويصلي
بالاول ركعة فاذا سجد وافقه الثاني وحرس الاول او بالعكس او يصلي بكل مرة وهذا اذا كان العدو في جهة القبلة والا تعينت
الطريقة الثانية وان كان الثاني فطريقها ما سبق غير انه يحترز النجاسة وتوالي الضربات بحسب الامكان والصياح وندب حمل
السلاح ويجب عند الخطر فان قيل ليس في القرآن تعليم الصلوات وكيفية اركانها قلنا يحتمل ان يراد كما علمكم رسول الله لانه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا لا ينافي ان يكون التعليم من الله لما سبق من اسناد الكائنات الى الباري سبحانه
انما الكلام في التعليم بالكتاب فانه الظاهر عند الاطلاق وما مصدرية او خبرية وفسرت المعتزلة التعليم بوضع الدلائل وفعل الالطاف
وعندنا بخلق العلم فينا • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم • وجه الارتباط انه من تتمة بحث الازواج وتخلل ذكر الامر بالصلوة
لا ينافيه لما سبق من الفايدة توفاه الله اى قبض روحه والوفاة الموت وقرئت الوصية بالنصب والرفع على تقدير يوصون
او ليوصوا او كتب الله عليهم او عليهم وصية او هم اهل وصية ويقرأ متاع على انه بدل ووجه النصب على المصدر اى يمتعوهن
متاعا كما تقدر فليوصوا لهن وصية او جعل لهن متاعا ويجوز ان يكون حالا ومعنى غير اخراج انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا
لازواجهم قبل ان يحتضروا بتمتيعهن بعدهم بالسكنى حولا ونسخ بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا لانه متاخر في النزول هذا عند
الجمهور وقال بعضهم ثابتة ان اختارت السكنى في بيت الزوج والاخذ من ماله فعليها الحول وان لم تأخذ فاربعة اشهر
وعشرا وعلم ان القرآن ينسخ بعضه بعضا وهذا القايل قال قد تعتد الحامل الحول والجواب انه بالوضع واستحقاقها السكنى ثابت
خلافا لابي حنيفة وكانت مخيرة في ان تعتد في بيتها او بيت الزوج لكنها لو خرجت سقطت نفقتها ويدل عليه الاية والخبر ايضا
لكن النفقة سقطت بوراثتها لقوله عليه السلام لا وصية لوارث وقوله سبحانه فان خرجن اى عن منزل الازواج فلا جناح عليكم
يعني الحكام في تركهن الحداد يدل على انها كانت مخيرة كما ذكرنا والمعروف ما لا ينكره الشرع والله لا يعجز عن الانتقام ممن لا يمتثل
هذه الاحكام كيف لا وقد راعى المصالح بحكمته البالغة • وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تعقلون • فيها ايجاب المتعة لجميع المطلقات وفي الاول لمن لم يفرض لها المهر وبينا البيوت للمدخول بها فخرجت المفروض لها
المطلقة قبل الدخول وهذا التخصيص اعني افراد فرد من العام بالحكم يتوقف جواز كونه تخصيصا على تجويز تخصيص المنطوق بالمفهوم
وابن جبير لما لم يقل به وان كان مفهوم الصفة عمم الحكم وقال التمتيع الواجب والمندوب وقيل نفقة العدة وجعل اللام للعهد
والتكرير للتاكيد او تكرر القصة ضعيف لفظا ومعنى والآيات الموعود بيانها يشمل ما يحتاج اليه من الاحكام في المعاش والمعاد

وكذلك اشارة الى احكام المتعلقة بالطلاق والعدة وغيرها والعلة فى ذلك انكم تفهموا مقاصدها باستعمال عقولكم
فى تدبرها فان قيل ما معنى تخصيص المتقين قلنا قد روى انه لما نزل متعوهن الى قوله حقا على المتقين قال رجل من المسلمين
الا قال ان اردت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزل حقا على المتقين اى عن الكفر هكذا ذكره صاحب المفاتيح
والاولى الحمل على غير ذلك لان هذه الرواية تستدعى تصريح جميع اصحاب النبى عليه السلام بالمعصية بل المراد بيان
لزوم المتعة على كل من اتسم بالتقوى ولو عن الشرك لانه لو حمل على الاتقاء عن المعاصى اوهم معنى فاسدا • الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون • ذكر صاحب المفاتيح لوجه المناسبة ان عادته تعقيب الاحكام بالقصص للاعتبار بها المانع
من التمرد ويحتمل ان يقال فائدة تعقيبها اعم من ذلك لانها قد اشتملت على الالهيات والنبوات والخوارق وغيرها
ومنها تحقيق جميع ذلك وتستلزم اعتبار ان تمثيل اوامر الله وينتهى عن نواهيه ومعناه الم ينته علمك الى حال هولاء
وهو استفهام تقرير لمن سمع بقصتهم وتعجيب من شانهم ولما كان كالمثل فى الغرابة جاز ان يخاطب به من لم ير ولم
يسمع وهم خرجوا من قرية تسمى داوردان من قبل واسط خرجوا هاربين من الطاعون وهم الوف قيل اربعة الف
وقيل ثمانية وقيل عشرة وقيل ثلثون الفا وقيل اربعون وقيل سبعون والحمل على الاكثر نظرا الى الجمع اولى فلما توسطوا
بلاد العراق اماتهم الله وهو المراد بموتوا وفائدة هذه العبارة الاشعار بانهم ماتوا ميتة واحدة بامر الله ومشيته كانهم امروا
فامتثلوا من غير توقف فيكون على خلاف العادة ثم احياهم ليعتبروا انه لا مفر من قضائه ومدة الموت ثمانية ايام
وقيل بعد مدة وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم وقيل نادى ملك من السماء موتوا والنبى الذى خرج خلفهم قيل
يوشع وقيل شمعون وقيل حزقيل وهو ابن العجوز وقيل اسمه اشموئيل فتضرع الى الله فسال احياهم فاوحى الله ناد فيهم
ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت ونقل ان من قال ثمانية ايام
قال قد هربوا من الجهاد وفيه تشجيع على الجهاد وان الموت لاحق لا محالة فلاعلاء كلمة الله اولى وتصب حذر الموت بالعلة
مع ان كل احد يحذره يشعر بان السبب احد الامرين المذكورين وفضله سبحانه فى ذلك على الناس ان حمل على المذكورين به
فللاستبصار فان كان على السامعين فللاعتبار ويحتمل ان يحمل على الفريقين للامرين وغيرهما واكثر الناس مقصرون
فى الشكر لهذه النعم والاية تدل على وقوع الاحياء ويجب القول به لانه ممكن فى نفسه اعنى تركيب الاجزاء على الشكل الخاص
وتعلق الحيوة به لانه لو امتنع لما وجد والصادق اخبر عن وقوعه ولا يشكل بقول المعتزلة ان الخوارق لا يظهر الا عند كونه
معجزة لنبى لانه لو جاز ظهورها لغيرها لبطلت دلالتها عليها لانا نمنع الحصر لثبوت الكرامات بالبراهين هذا وان القصة
تدل على انها كانت معجزة • وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم • السبيل الطريق ويطلق على العبادة لانها
توصل الى الله وتعقيب الامر الكلام السابق لانه بيان ان الفرار عن الموت غير ممكن واذا كان لا بد فمن سبيل الله

وذكر

وذكر السمع هنا للتحذير عن تنفير الغير عن القتال والتحريض على الترغيب فيه لا سيما وهو عليم بما فى البواطن من الاعتقادات
والبواعث • من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ••
قيل المراد القرض فى الجهاد للعاجز عنه وقيل كلام مبتداء والاولى ان يقال لما ذكر حال من اماته ثم احياه وعقبه بالترغيب
فى القتال حيث علم انه لا مفر منه عقبه بالانفاق فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه وان جعل انفاقا فى سبيل الله فهو من تتمة
الامر بالقتال لان اليه ترجعون كالزجر عن ترك الواجب ومن مبتداء وذا خبره والذى صفته والقرض وان كان اعطاء
مال ليسترد مثله متى شاء لكنه سمى ما ينفقونه قرضا حيث يطلب به ثواب وقيل هى الصدقة المندوبة لان القرض تبرع
وقيل يتناول القسمين قيل فى سبب النزول ان ابا الدحداح قال يا رسول الله ان لى حديقتين فان تصدقت باحديهما
فهل لى مثليهما فى الجنة قال نعم قال وام الدحداح معى قال نعم قال والصبية قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فرجع الى اهله
وامرأته فى تلك الحديقة فذكر ذلك لها فقالت بارك الله لك فيما اشتريت فخرجوا منها فسلموها وكان عليه السلام يقول كم من نخلة
عروقها فى الجنة لابى الدحداح والاضعاف الكثيرة قيل سبعمائة وقيل غير محدود لان ما لا ينقطع لا يدخل تحت الحد والله يضيق
ويوسع او الصدقات والخلف فى الدنيا والثواب فى العقبى او يقبل ويجازى واذا كان الرجوع الى الله فيجازى على الاعمال
حسنها وسيئها ففيه وعد ووعيد • الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا
نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين • لما حرض على القتال
والانفاق فيه عقبه بحال المقاتلين من اليهود تعظيما للمتوجهين وتعريضا للمعرضين الملاء الجماعة الاشراف من ملأت
كانهم يملؤن القلوب مهابة ومن للتبعيض والثانية لابتداء الغاية اى بعد موت موسى والنبى قد اختلف فيه كما فى النبى
الذى احيا بدعائه ابعث انهض امر انصدر عن رأيه ويعلم تدبير الحروب كما كان يفعل النبى عليه السلام ويامر به وما يقرأ من
رفع نقاتل فللحال على معنى مقدرين القتال وبالياء وصفا وادخال هل على فعل التوقع على طريق الاستفهام عما هو المتوقع
عنده من الجبن للفصل بالشرط لتقرير ما يتوقعه من جبنهم وتثبيته نحو هل اتى على الانسان وقرئ بكسر سين عسيتم
ومعنى وقد اخرجنا وما لنا انه اى قصد لنا فى الاعراض عن القتال والحال انه قد وجد المقتضى له من الاخراج عن الديار
والافراد عن الاولاد وذلك من جالوت وجنوده وكانوا على ساحل بحر الروم بين فلسطين ومصر وقد اسروا سوى
اولادهم من ابناء الملوك اربعمائة واربعين والقليل الذين لم يتولوا عن القتال عدد اهل بدر وبيان العلم بالظالمين
وهم المعرضون عن القتال هنا للوعيد ولما علم الله انهم يكفرون ان امروا به فلم يأمرهم حتى سألوا ذلك • وقال لهم نبيهم
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم • طالوت رجل

معروف عندهم كجالوت وداود في العجمة والعلمية ومنع صرفه يمنع من اشتقاقه من الطول نظرا الى البسطة في الجسم
فان صح ففعلوت قلبت واوها الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويحتمل ان يكون مما وافق العربي العبراني كرحمايا ورحيما
للرحمن والرحيم وانى لاستبعاد ان يختص الملك بهم والواوان للحال وان كانت الثانية للعطف لانها على الجملة الحالية
وعدم السعة في المال جعل دليلا على عدم استحقاق الملك لان المالك لا بد له منه للاعتضاد به وانما ادعوا الاحقية لان النبوة
كانت في سبط لاوي والملك في سبط يهوذا وطالوت لم يكن منهما بل كان سقاء او دباغا فقيرا وعلم اصطفاء الله
اياه انه اتى النبي الذي دعا الله ليبعث الملك بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساو غير طالوت واصطفاء الله
لا يكون الا لحكمة وبينهما بدليلين احدهما العلم سواء كان بامر الحرب او بالديانات او بغيرها او علم النبوة على اختلاف الذي
فيه والثاني السعة والامتداد في الجسم حتى قيل ان الرجل القايم يمد يده فينال رأسه والجسم لغير العالم يزدري به اذ
لا فايدة في طول بلا طول والاصطفاء جعل الشيء او وجدانه خالصا صافيا من الشوايب والملك لله يؤتيه من يشاء
من يقتضيه حكمة ويتعلق به مشيته لا منازع له فيه وهو واسع العطاء فيغني من يشاء او على النسبة كتامر عليم بحال من
يصطفيه فيحتاج العالم بالحروب الشديد على العدو اذ الانتفاع به اعظم من النسيب الغني وفيه دليل على خلق الاعمال حيث
اسند البسطة والتأويل باعطاء العقل ونصب الدلايل خلاف الظاهر كما ذهب اليه المعتزلة وفي تقديم العلم على الجسم
الايماء الى ان الكمالات النفسية اعظم من الجسمية فان قيل ما فايدة التعقيب بايتاء الملك لمن يشاء وقد علم ذلك
من اصطفاء طالوت وفي الاول بيان العلة المقتضية وفي الثاني تجرد تعلق المشية ولا شك ان الاول ابلغ للتمكن
لان احكام الله تعالى اما واجبة التعليل كما هو مذهب المعتزلة او الغالب فيها ذلك كما هو مذهبنا قلنا لما اوهم الكلام
الاول انه لا يقع الايتاء الا لذلك ولا ينبغي ان يكون الا على هذا الوجه ازاح ذلك الوهم بالاشارة الى عدم لزوم تعليل
الاحكام لا سيما وليس الواقع ايتاء الملك لمن هو اهل على وجه الاطراد • وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين • قيل
سألوا الاية وقيل بل آتاه الله الاية من غير سؤال والتابوت فعلوت من التوب لان ما كان فاؤه ولامه من جنس
واحد قليل في كلامهم نحو سلس وقلق فليس بفاعول ووجه الاشتقاق انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه ولا ينافيه
قراءة التاه هاء لجواز الابدال كتاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس وهو صندوق من خشب الشمشاد ثلثة اذرع
في ذراعين قد موه بالذهب وفيه التورية يسكن اليه قلوب بني اسرائيل واليه الاشارة بالسكينة اي في اتيانه سكونكم
وهي مصدر كالطريقة والعزيمة وان جعل الضمير للتابوت فالمسكوت اليه التورية وموسى عليه السلام كان يقدمه اذا
قاتل وبنو اسرائيل لا يهربون وقيل ليس المراد بالسكينة الطمانينة بل صورة من زبرجد او ياقوت ورأسها
وذنبها كالهرة ولها جناحان فيأتي فيزف اليه التابوت نحو العدو فاذا استقر ثبتوا ونزل النصر وقيل هو القلب

والسكينة

والسكينة العلم والاخلاص واتيانه مصير القلب مقر العلم والوقار ونقل عن علي رضي الله عنه ان لها وجها كوجه الانسان
وفيها ريح هفافة وقيل طشت من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند
الاختلاف وقيل فيه صور جميع الانبياء هبط به آدم من الجنة مع الركن والبقية المتروكة رضاض الالواح وعصا من ذلك المن
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وهي عطف على التابوت والآل الابناء وقيل انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمه ووجه
القول بالاقحام ما فيه من التفخيم ونظيره قوله عليه السلام لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وكان الله قد رفعه بعد موسى
فحملته الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان في ارض جالوت لانهم لما افسدوا بعد انبيائهم الذين كانوا يستفتحون به غلبهم
الكفار عليهم فاصابهم بلاء وقحط حتى ملك طالوت مات منه خمس مداين فتشاموا به فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى بني اسرائيل وقوله ان في ذلك يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون من الله تعالى • فلما فصل طالوت بالجنود
قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا
منهم • اي انفصل بجنوده عن موضعه واصله فصل نفسه فحذف المفعول وجعل كاللازم لكثرته فصار كانفصل والجنود جمع
جند من الجند وهو الغليظ من الارض اي يعتصم بعضهم ببعض روي انه قال لا يخرج الا الشاب النشيط الفارغ لا من لم
يفرغ عن بنائه او لم يبن على امرأته او المشتغل بالتجارة فخرج معه ثمانون الفا فسلكوا مفازة في وقت القيظ فسألوا
ان يجري الله لهم نهرا فابتلاهم بنهر اخرجوه وقيل كان بين اردن وفلسطين وقيل ومعنى شرب منه اي ابتدأ شربه من النهر
بان كرع فيه فليس مني اي بمتصل بي يقال فلان مني كانه لم ينفصل للاختلاط او من اشياعي مثل قوله عليه السلام من رغب عن
سنتي فليس مني ومعنى طعم اذا ذاقه ويقال طعم الشيء لمذاقه قال ان شئت حرمت النساء سواكم وان لم اطعم نقاخا ولا بردا
والنقاخ الماء البارد والبرد النوم تقول ما ذقت غماضا ومعرفة طالوت ذلك لتعريف النبي ان لم يكن نبيا والاستثناء
ممن شرب فليس مني ويكون متصلا لتعميم الشرب والجملة الثانية كالمتأخرة وتقديمها للعناية كالصابئين في ان الذين
آمنوا والذين هادوا الآية وكان الممنوع ان يكرعوا دون الشرب باليد وما يقرأ بالرفع فلان المعنى لم يطيعوه ونظيره
لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي يبق منه والغرفة بالضم ما يسعه الكف واصل الاخراج من القدر بالمغرفة وقيل بالضم مفعول
وبالفتح مصدر وقرئ بهما والاكثر روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن كرع اسودت شفته ولم يقدر ان
يسير وهكذا المحقون والمتثقلون في الدنيا وعدد القليل ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل سبب الابتلاء تمييز المخلص من المنافق
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين • سبق تحقيق يظنون في يظنون انهم ملاقوا ربهم وحمل هنا
على الذين وطنوا انفسهم على الموت وهم القليل والقايلون لمقول لا طاقة هم الاكثرون فانهم تقاولوا بذلك والنهر
بينهما اعتذروا بذلك فاجابهم المخلصون بما قالوه لتشجيع انفسهم والمتخلفين وكم اما استفهامية ومن مبينة

او ضربة ومن مزيدة وعلى هذا يجوز الوجوه الثلثة من الاعراب والفئة القطعة من الناس من فاوت راسه وفاته
وفائت قطعته بالسيف او من فاء اذا رجع فوزنه فعة او فلة واذن الله حكمه وتيسيره وكيف لا والله مع الصابرين
بالنصر والاثابة ويجوز ان يكون قول الله تعالى والاظهر انه قول القليل ولا خلاف ان المتخلفين راجعوا الى بلادهم
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين • المبارزة والبروز الظهور والافراغ صب الماء الكثير
اي افرغ في قلوبنا الجراة وفي قلوبهم الفزع وارزقنا ما به تثبت اقدامنا في مداحض الحرب بتشجيع قلوبنا روي انه
اوحى الى اشمويل ان داود ايشا هو قاتل جالوت وكان اصغر بنيه السبعة فطلبه من ابيه وقد مر في طريقه بثلثة احجار
كلمته انه يقتل بها جالوت فحملها معه وقتل بها جالوت وهو جبار من العمالقة روي انه كانت بيضته ثلثمائة رطل فقتله
بالمقلاع وكان قد بارز ويقول ان كنتم على الحق بارزني بعضكم فلم يبارزه غيره وزوج طالوت داود بنته
فحسده واراد قتله ثم مات واتى الله داود الملك في مشارق الارض ومغاربها المقدسة وما ملك بني اسرائيل
كافة قبله غيره والحكمة النبوة ووضع الامور مواضعها فيحمل على النبوة جمع بينها وبين الملك واختلف في انه يجوز
ان يكون النبوة جزاء العمل ام لا وعلمه صنعة الدرع وكلام الطير والدواب وغيرها ومعنى دفع الناس بعضهم ببعض
نصر المؤمنين على الكافرين وكف باسهم لان اللازم باطل وهو فساد الارض ولا يكون ذلك الا بشوم افعالهم
وقتلهم المسلمين او انه اذا غلب المفسدون فسدت الارض وبطلت منافعها ومصالحها من الحرث والنسل وغيرها
وعلى هذا فيحتمل بقاء العالمين على العموم لانه اذا كثر الكفر نزل السخط واستوصل اهل الارض عن الحسن ان الله يزع
اهل الفساد بالسلطان وان كان فاسقا لان الاسلام اس والسلطان حارس وما لا اس له فمنهدم وما لا حارس له
فهو ضايع وتعقيب هذا الكلام زوال فساد جالوت بداود للمناسبة • تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين •
الآيات قد حملت على آي القرآن وما سبق من المدرا الى هنا والحق اليقين الذي لا يشك فيه حتى اهل الكتاب اذ هي
كذلك عندهم ومنها يعلم انك لمن المرسلين حيث تخبر عن المغيبات على ما هي عليها مع التحدي بها او انه لما علمت
ما جرى على الانبياء السالفة من اممهم وانت من المرسلين فتاس بهم في تحمل المشاق • تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس • الاشارة
الى المذكورين في السورة او المعلومين للنبي صلى الله عليه وسلم وجعل اللام للاستغراق يناسب شمول التفصيل
للكل ومنهم من كلم الله بيان لتفاوت المراتب وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام فان الله كلم محمدا ليلة
المعراج ورفع درجات البعض بتفضيله على غيره من وجوه والخاد متباعدة كما ثبت لمحمد صلى الله عليه وسلم

من كونه

من كونه مرسلا رحمة للعالمين كافة للناس مؤيدا بالحجج الظاهرة والايات الباهرة والمعجزات الباقية على كر
الدهور ومر الاعصار المنتشرة آثارها في جميع الاقطار اعني الكتاب الالهي المشتمل على الحكم البالغة
والبراهين الدامغة وتخصيصه لانه عليه السلام هو المفضل على الاطلاق في نفس الامر واتخذ ابراهيم خليلا
وادريس رفع الى السماء واولو العزم من الرسل خصوا بما به فضلوا على من عداهم وتخصيص عيسى عليه السلام بالذكر
لافراط اليهود وتفريط النصارى فيه وجعل التقييد بابن مريم لتكذيب الفريقين فيما زعموا فيه والبينات هي المعجزات
الظاهرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص الى غير ذلك والتقوية بجبريل وان كانت لغيره الا انه ايده في اول
امره بالنفخ وفي الوسط بالحفظ من الاعداء وفي الاخر بان رفعه الى السماء وتخصيص موسى ايضا لانه قد اوتي
من الايات العظام ما لم يؤت من لم يشاركه فيها ولما دل ذلك على افضليتهما باعتبار ما اوتي من اسباب علم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء ولم يؤت احد من العالمين ما اوتي من المزايا كما سبق وايضا دينه افضل الاديان
لانه ناسخ لجميعها فيكون افضل وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وقال آدم ومن دونه تحت لوائي
يوم القيمة وللسائل ان يسال عن الترتيب والحكمة فيه فانه ليس من قبيل تقديم الاهم ولا الترقي من الادنى الى الاعلى
ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد • وجه الارتباط انه لما بعث الرسل بالمعجزات وقع في اممهم المقاتلة بسبب
الاختلاف يعني ان اختلافهم في الدين هو سبب المقاتلة وقيل لو شاء الله ان لا يامر بالقتال بعد وضوح الحق ما امر
اذ لو شاء ان يضطروا الى الايمان لفعل وفي الجملة يعلم ان الكل بتقدير الله تعالى دفعا للتسلسل وفائدة التكرير تكذيب
من زعم انه ليس بقضاء الله وقدره وفيه دليل على انه سبحانه هو الخالق للايمان لان الخصم قد وافق على انه يريد الايمان
من المؤمن وقد قال تعالى ان الله يفعل ما يريد فلو اراد الايمان من الكفار لآمنوا فدلت الآية على خلق الافعال وارادة الكائنات
وتقييد المعتزلة بانه يفعل ما يريد من افعال نفسه غير سديد لانه تقييد المطلق وتوضيح الواضح اذ المعنى يفعل ما يفعل وايضا كل احد كذلك
يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون •
لعل وجه الارتباط انه لما ذكر بعثة الانبياء ومن المعلوم انهم ما بعثوا الا للتكميل للنفوس البشرية امر من آمن منهم
بالانفاق الشامل للواجب والمندوب تعظيما لشانه حيث صار شقيق الايمان وخصه الحسن بالواجب لترتب
الوعيد عليه وقيل الانفاق في الجهاد بقرينة ذكره واستدلال المعتزلة على ان الرزق هو الحلال وقد سبق الجواب عنه
في اول السورة وذلك قبل ان ياتي يوم لا يمكن تدارك ما فات من الانفاق لعدم امكان تحصيل شيء ببيع وقيل البيع
الفدية لقوله تعالى لا يؤخذ منكم فدية ولا خلة حتى يسامحه الخليل بحط ما وجب عليه اذ لا مودة ومنه الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين والمراد بها ما عدا مودة المؤمنين ولا شفاعة بدفع حط الواجب وهي ايضا مخصوصة لما سبق

فی اول السورة من الدلایل الدالة علی ثبوت الشفاعة للمؤمنین فیحتمل التخصیص بالشفاعة بغیر الاذن لقوله تعالی
من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه وکیف ولکل امرئ منهم یومئذ شأن یغنیه وکیف لا ویوم یرونها تذهل کل مرضعة
عما ارضعت ویدل علیه ما قیل من ان ذکر الکافرین عقیبه للدلالة علی ان النفی مختص بهم کان عطا بن یسار یقول الحمد
لله الذی قال والکافرون هم الظالمون ولم یقل الظالمون هم الکافرون وقیل هم الکاملون فی الظلم او التارکون الزکوة کما قال ومن
کفر ویقرأ لا بیع بالرفع ولا خلة ولا شفاعة بالفتح وبالعکس • الله لا اله الا هو الحی القیوم لا تأخذه سنة ولا نوم له
ما فی السموات وما فی الارض • لعل وجه المناسبة انه لما عظم یوم القیمة ونفی الشفاعة فیها من عظمة الله بصفاته
العظام ولیکون کالمقدمة لنفی الشفاعة من غیر اذن من الله وسبق تفسیر لفظ الله والتوحید وهو مبتدأ وخبر والا کثر
علی تقدیر خبر لا مثل فی الوجود والحی هو الذی یصح ان یعلم ویقدر والدایم البقاء وقیل الذی یصح منه الادراک قال
صاحب المفاتح اذا کان هذا المعنی یشترک فیه اخس الحیوانات فکیف یصف الباری سبحانه نفسه بها بل المفهوم الاصلی
من لفظ الحی الواقع علی اکمل صفاته واحواله ولهذا وصفت الارض بالحیوة والشجر فی احسن احوالهما بها ولما لم یکن مقیدا
کان المعنی هو الکامل علی الاطلاق وللقایل ان یقول الاشتراک مع الحیوانات لا ینافی وصف الکمال والا لکان الاتصاف
بالوجود کذلک لا سیما والاشتراک فی اصل المعنی لا یقتضی المساواة بل هو اصناف الحیوانات تفاوت لا یعلمه الا الله
کالتفاوت بین حیوة اکمل الانسان والبعوض واصله حیی کحذر فادغمت الیاء فی الیاء وقیل الحیو فاجتمعتا وکان السابق
ساکنا جعلتا یاء مشددة کما فی قیوم وقیام وقیم بمعناه ویقرأ بهما ومعناه الدایم القیام بتدبیر الخلق وحفظه فی ایجادهم
وارزاقهم ونحوه افمن هو قایم علی کل نفس بما کسبت وقیل الدایم الوجود الذی یمتنع علیه التغیر قال صاحب المفاتح وهذان
اللفظان کالمحیطین بجمیع المباحث الالهیة لانه اذا کان حیا وهو العالم القادر ویکون قیوما لکل ما سواه سواء کان
الکل محدثا لان التأثیر فی حال الوجود تحصیل الحاصل وللقایل ان یقول لم لا یجوز ان یکون باعتبار استمرار الوجود نعم
قیومیته حال وجوده یقتضی ذلک باعتبار ان علة الحاجة الامکان فیستند کل الممکنات الیه اما بوسط کما قیل او بغیر
وسط کما هو الحق وعلی التقدیرین کان القول بالقضاء والقدر حقا والحاصل انه یقتضی ان یکون قایما بنفسه مقوما لغیره
ویستلزم ذلک الوحدة واستناد الکل الیه وقد دل الکلام علی انه موجود متحد فی الالهیة وانه مالک الملک والملکوت ومبدع
الاصول والفروع من بطشه وعظمته لا یشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشیاء کلها والسنة فتور یتقدم النوم یسمی
النعاس قال وسنان اقصده النعاس فرنقت فی عینه سنة ولیس بنایم رنق النوم عینیه ای خالطهما قیل هو
تأکید للقیوم ولیس بسدید بل ینبغی ان یحمل علی انه کالبرهان علیه لما فیه من انتفاء حال الاجسام ذکر والدی شیخی قدس الله
روحه فی کتاب جوامع الحقایق والاصول فی شرح احادیث الرسول عند قوله علیه السلام ان الله لا ینام ولا ینبغی له
ان ینام ان النوم لما کانت حالة تعرض للحیوان بواسطة استرخاء یحدث فی الاعصاب الدماغیة عند تصاعد الابخرة



مبحث فی معنی الحی

الیها استحال عروضه للمنزه عن الجسمیة ولهذا حمل ما نقل عن تردد موسی فی ان الله لا ینام وانه سبحانه امره بحمل قارورتین
والقی النوم علیه فکسرهما علی صدور ذلک عن جهال قومه لان التردد فی ذلک یکون کفرا هذا وانه نقص کما هو الشاهد فی
الشاهد واجیب عن ان قیاس الترکیب عکسه انه روعی ترتیب الوجود واجیب عن لزوم عدم السنة ان التقدیر لا تأخذه
سنة فضلا عن النوم وله ما فی السموات وما فی الارض کالدلیل علی هذا المطلوب لان استناد الجمیع الیه خلقا وملکا لا یکون
الا للمنزه عن خواص الاجسام کما برهن علیه فی علم الکلام ذکر صاحب الانوار انه ابلغ من قوله له ما فی السموات والارض
وما فیهن بعد ان ذکر ان ما فیهما یشمل ما هو داخل فی حقیقتهما او خارج عنهما متمکن فیهما ولعله اراد بما هو داخل فی حقیقتهما
اجزاؤهما وبالابلغیة ان فی الاول تصریحا بکون الکل لله سبحانه اعنی الداخل فیهما والخارج عنهما المتمکن فیهما
من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه یعلم ما بین ایدیهم وما خلفهم ولا یحیطون بشیء من علمه الا بما شاء • استفهام یتضمن انکار
صدور الشفاعة بل الکلام بغیر اذن الحق سبحانه کما قال لا یتکلمون الا من اذن له الرحمن وهو لبیان عظمة الله سبحانه وکبریائه
ویکون ذلک ایضا کالدلیل علی ذلک المدعی والحاصل انه لا یتأتی لاحد ان یدفع بأسه علی سبیل الاستکانة والاستشفاع
فکیف بالمناصرة والدفاع وذکر الامام عن القفال انه سبحانه لا یأذن فی الشفاعة لغیر المطیعین لئلا یلزم التسویة بین
اهل الطاعة والمعصیة قال وکان عظیم الرغبة فی الاعتزال جلیل الاحاطة باصولهم حسن الکلام فی التفسیر دقیق النظر مع انه
کان قلیل الحفظ ومذهب المعتزلة فی ایدیهم وخلفهم لما فی السموات والارض علی التغلیب او الملائکة والانبیاء لقرینة من ذا
وحمل علی ما مضی وما سیکون وقیل الاول لما یکون من السماء الی الارض والثانی ما فی السماء والاحاطة الاشتمال علی الشیء
من جمیع جهاته ومنه الحایط وعلمه معلوماته ومنه اللهم اغفر علمک فینا ای معلومک والمستثنی ما علمه الله کما قال لا علم لنا
الا ما علمتنا او لا یعلمون الغیب الا عند اطلاع الله بعض انبیائه علی بعض الغیب قال تعالی فلا یظهر علی غیبه احدا الآیة
وسع کرسیه السموات والارض ولا یؤده حفظهما وهو العلی العظیم • الکرسی السریر وهو ما یجلس علیه وهو اصغر
من العرش یسع السموات والارضین روی انه قال ما السموات والارض فی الکرسی الا کحلقة فی فلاة وفضل العرش علی الکرسی
کفضل تلک الفلاة علی تلک الحلقة وقیل جسم بین یدی العرش ولذلک سمی کرسیا محیط بالسموات السبع والحدیث المذکور
یدل علیه قال فی الانوار لعله الفلک المشهور بفلک البروج وهو فی الاصل اسم لما یقعد علیه ولا یفضل عن مقعد
القاعد منسوب الی الکرسی وهو الملبد وقیل علمه والعالم کرسی وجمعه کراسی قال تحف بهم بیض الوجوه وعصبة کراسی
بیوت وقیل عرشه وقیل ملکه یسمیه بمکانه الذی هو کرسی الملک وقیل تصویر لعظمته اذ لا قعود ولا قاعد نحو وما قدروا الله
حق قدره وقیل قدرته لا یؤده لا یثقله یقال ادی اذا ثقل حتی مال وقیل الضمیر یعود الی الکرسی والانسب ان یعود الی الله
اذ المعنی لا یثقله حفظ السموات والارض وهو من اضافة المصدر الی المفعول وهو متعال عن مناسبة الاشباه
والامثال عظیم یستحقر ما عداه بالاضافة الیه وترک العاطف بین الجمل لورودها علی طریق البیان لما ترتب علیه فتتحد

بالمبين فدخول العاطف كالدخول بين العصا ولحاءها وهو مثل يضرب لمن دخل بين اثنين لا يليق بهما وقد ورد في
فضلها انها اعظم آية في القرآن وانها اذا قرئت ليلة هجر الشيطان ذلك البيت ونحوها وكيف لا وشرف كل علم بشرف معلومه
وهذه الاية على ما يتبانى تضاعيف مباحثها جامعة للالهيات باسرها اما مطابقة واما التزاما لا سيما علم التوحيد والتنزيه
ونعي العادل عن العدل والتوحيد الموسوم بالاعتزال والاختزال وذكر في الانوار في وجه الدلالة ان القيوم هو القائم بنفسه
المقيم لغيره ويدل على انه منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التعب والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليتها
وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شان ولا يشغله شان عالي عما يدركه وهو عظيم
لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله • لا اكراه في الدين

فضائل آية الكرسي

ح

قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم •
وجه الارتباط ان بعد ظهور دلايل وجود الصانع ينبغي ان يرتفع الاكراه وهو الحمل على المكروه والقول بانه خاص في اهل
الكتاب لما روي ان المراة من الانصار تكون مقلاتا فتقصد ان عاش لها ولد ان تهوده فلما اجليت بنو النضير كان فيهم
من الانصار فقالوا لا ندع ابناءنا او ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث فقدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا فنزلت اولى من القول بنا العموم والنسخ باية القتال حيث يراد لا تكرهوا ومما هو
اولى منه انه لما شرع الجزية زال الاكراه عن اهل الكتاب او ان من دخل في الدين بالحرب لا يكون مكرها اذا رضي وصح اسلامه
وبان واستبان اذا ظهر ووضح والرشد الايمان والغي الكفر او طريق الصواب والهلاك بظهور الحجج والبراهين واصل
الرشد الاصابة الخير والطاغوت فعلوت من طغى كجبروت والتاء زايدة فمن كفر بالشيطان او الاصنام او الكاهن
او الساحر وآمن بالله فقد تمسك بالحبل الوثيق المحكم المامون انقطاعها وهو استعارة لتشبيه المعقول بالمحسوس كما شبه
الحجة بالشمس حيث جعل المتمسك بالدين القويم والطريق المستقيم للبرهان الواضح والبيان اللايح كالمتمسك بالحبل
الذي احكم فتله الذي يكاد يكون انقطاعه كالمحال واكد ذلك بكونه سبحانه سميعا للاقوال فرق الهدى والضلال عليما بالضمير
في تلك الاحوال وقيل لا انفصام مثل وما منا الا له مقام اي من وجاز ان يكون استينافا فالتعليل • الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون • بيان لقسمي الناظر في الادلة المعرض عنها اي محبهم او بنصرهم ويعينهم او متولي امورهم وهم الذين تعلق
العلم القديم بانهم يؤمنون فانه سبحانه يخرجهم بتوفيقه للخروج من ظلمات الجهل والضلال والشبه الى نور العرفان وكمال التقييد



بمن ثبت في علمه تعالى ايمانه لحمل الخروج من الظلمات الى النور على زوال الكفر وحصول الايمان والاول حمل على الاستدامة
او نوع آخر من الهدى لم يلزم ذلك ويكون على طريقة وكنتم على شفا حفرة من النار وقوله تعالى فلما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا وجمع الظلمات وتوحيد النور فذكر صاحب الانوار في الانعام انه لكون الهدى واحدا والضلال
متعددا لكن اجمع المفسرون على ان المراد الكفر والايمان ففيه دليل على ان الايمان بخلق الله تعالى وقيل هذا مختص بمن كان
كافرا فاخرجه الله الى الاسلام وعلى هذا قيل نزلت في قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث محمد كفر به من آمن
بعيسى وآمن بمحمد من كفر بعيسى وقيل في الثاني بل من آمن بعيسى على طريقة النصارى وقيل في الاول في كل كافر اسلم
بمحمد وتقرأ الطواغيت وعلى الوجهين معناه الشيطان او كل من يضل والا تمسك للمعتزلة بكون الكفر ليس من الله
للاضافة الى الطاغوت لان الاسناد مجازي اتفاقا • الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين • هو اول من تجبر وادعى الالوهية وهو نمرود بن كنعان والمحاجة
المغالبة بالحجة ووجه الارتباط انه تعجيب من حال القسم الآخر والضمير المجرور يرجع الى ابرهيم وقيل الى الطاغي وفي المنصوب
وجه ضعيف انه يرجع الى ابرهيم بدليل فقد آتينا آل ابراهيم لانه لو كان الملك لابرهيم لما قدر الكافر على القتل بين يديه
وان آتاه معناه لان آتاه فيكون الكفر بدل الشكر لحمله البطر والحماقة عليه او وقت ان آتاه الملك فيكون اذ بدلا منه
وعلى الثاني ظرف لحاج وهو حجة على المعتزلة في منع ايتاء الله الملك الكافر والعذر بان المراد ما به غلب من المال او الخدم
والاتباع مما لا يخفى على من شم رايحة العقل انه ساقط وقول ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت يشبه ان يكون جواب سؤال
غير مذكور كانه قال من ربك ودليل ابرهيم عليه السلام في غاية القوة لانه لا يمكن الاستدلال على وجود الصانع الا بافعاله
وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره والاحياء والاماتة من هذا القبيل فان العلم بهما بعد الاختيار ضروري ولا بد لهما من مؤثر
غير ممكن يتصور منه القدرة وهو اما موجب او مختار والاول باطل واللازم من دوامه دوامه فلم يتبدل الاحياء بالاماتة
وبالعكس وتقديم الاحياء هنا والتاخير في غيره لانه الانسب بالاحتجاج لان عجايب الخلقة حال الحيوة اكثر والاطلاع عليها اتم
ثم ان الكافر عارض بالمثل ودعا شخصين فقتل احدهما وابقى الآخر وقال انا احيي واميت ثم اعرض ابراهيم عن ذلك الى
احتجاج لا يقبل التمويه وهو اتيان الله بالشمس من المشرق قال صاحب المفاتيح والاظهر عندي ان هذا ليس احتجاجا آخر
بل اتماما للدليل الاول وهو انه لما قرر تقرير ابراهيم عليه السلام الاحياء والاماتة على ذلك امتنع ان يشتبه على العاقل ان الاحياء
والاماتة بالقتل وتركه مثله ويبعد في الجمع العظيم ان يكونوا بحيث لا يعرفون ذلك بل كان الكافر قال ادعي انهما من الله ابتداء
او بوسط ان كان الثاني لم يدل على المقصود لان الواحد منا يقدر عليه بل الجماع يفضي الى الوسط بواسطة الاسباب
السماوية والارضية وان كان الاول فلا سبيل اليه فقال ابرهيم عليه السلام هب انهما بواسطة الاتصالات والحركات

الفلكية من فاعل ومدبر فاذا كان المدبر لتلك الحركات هو الله تعالى كانا من الله تعالى وكلام صاحب الانوار يقرب منه حيث قال وهو
فى الحقيقة عدول عن مثال خفى من مقدوراته الى جلى لا يقدر فيه على التمويه دفعا للمشاغبة لا انتقال عن حجة الى اخرى والاكثر على انه
انتقال الى اوضح من الاول قال ولعل نمرود زعم انه يقدر على كل ما لا يقدر عليه الحق سبحانه فنقضه بذلك قال وانما حمله عليه بطر الملك
وحماقته او اعتقاد الحلول فبهت الكافر بالعجز عن الجواب ويقرأ بهت اى غلب عليه ابراهيم عليه السلام والله لا يهدى الذين ظلموا
انفسهم بالاعراض عن قبول موجبات الهداية او لا يهديهم الى الاحتجاج او سبيل النجاة او الجنة قال فى المفاتيح انما لم يقل الكافر
سل ربك ان يأتى بها من المغرب لان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه من النار فعلم ان من قدر على ذلك قدر عليه او ان الله تعالى
انساه ذلك نصرة لنبيه عليه السلام او لانه لم يسلم الربوبية لغيره والقائل ان يقول هذا مما يتعجب منه فانه كيف خفى على مثل ذلك
حيث اعتقد انه لو سأل نمرود ابراهيم عليه السلام فلم يأت بها الله من المغرب لدل على كذب ابرهيم لانه لم يدع ان كل ما هو مقدور الله
يحصل بسؤاله ذلك ليكون الزاما بل المدعى ان الله قادر عليه وعدم ظهور ذلك فى وقت معين لا يدل على عدم القدرة لجواز
توقف التأثير على شرط وهو تعلق الارادة وتحقيقه ان حركة الشمس على غير هذا الوجه سواء كانت بنفسها او بغيرها ليست
واجبة لذاتها بل من الممكن عقلا ان يكون على غير ذلك وثبت بالبرهان انه سبحانه فاعل مختار فيكون الممكنات بالنسبة اليه
على سواء لا بمعنى ان كل ما هو ممكن لزم ان يقع فى جميع الاحيان ويدل عليه انه لما قال ابراهيم ان الله يحيى ويميت لم يسأله
الاحياء فى الحال هذا وانه ما الدليل على انه لو سأل ابراهيم ذلك لم يظهر ولم يفعل الله ذلك ليكون معجزة له كيف والكتاب
الالهى يدل على امكان وقوعه حيث قال سبحانه يوم يأتى بعض آيات ربك ثم ان من جوز ان يزول بارادة المختار الاحراق
عن النار مع ان طبعها يقتضى ذلك يجوز الاتيان بالشمس من المغرب اذ لا فرق بينهما بالاستحالة عند من يحيله

أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت
قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شىء قدير

او عطف على الم تر اى ارأيت مثل الذى مر ان لم يجعل الكاف زيادة والا فالمعنى الم تر الى الذى حاج والى الذى مر وتخصيص
الثانى بالكاف الدال على عدم اختصاص الحكم بالمار بخلاف الاول لان منكر الاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر وهذا
اذا لم يجعل عطفا على المعنى لانه يكون التقدير الم تر كالذى حاج وقيل اجاب به ابراهيم معارضة الكافر والمعنى ان كنت
تحيى فاحيى كاحياء الله الذى مر والمار اما كافر بالبعث لنظمه مع نمرود او عزير ابن شرحيا او الخضر والقرية مشتقة من القرى
وهو الجمع وهى بيت المقدس حين خربها بخت نصر او الخارج منها الالوف او غيرها والخاوية الخالية الساقطة حيطانها
على عروشها وهى سقوفها وانى استبعاد للاحياء ان كان القائل كافرا او استعظام القدرة المحيى واستكشاف الوجه
الاحياء او استبعادا على حسب العادة ان كان مؤمنا وهو منصوب على الظرف بمعنى متى وان كان بمعنى كيف فعلى الحال



والاماتة اما حقيقة او فى معناها فيكون المعنى لبث ميتا مائة عام او البثه كذلك والسائل عن اللبث اما الله سبحانه ولا يبعد
ان يكلم الكافر لانه آمن من بعد اذ كان الكلام بعد البعث ونقل صاحب المفاتيح انهم اجمعوا على ان السائل هو الله تعالى
واما ملك من السماء او نبى والترديد لانه مات ضحى وبعث قبل الغروب فقال يوما قبل ان ينظر الى الشمس فلما نظر قال
او بعض وقيل وبعض يوم والطعام التين والعنب كانا جنيا والشراب العصير واللبن والماء وهاء يتسنه ان كانت
اصلية فمن سنة الطعام اذا تغير او لم يأت عليها السنة على ان اصلها السنهة ومنها المسانهة وان حذف الهاء
فمن السنة على ان اصلها سنوة وقيل اصله يتسنن من الحمار المسنون قلبت نونه حرف علة كتقضى البازى حيث استثقلوا
ثلاث ضادات فابدلوا احديهن ياء ويقرأ بادغام التاء فى السين وهذا شرابك وانظر الى الحمار قد تفرقت عظامه
وتقطعت اوصاله وهو انسب الى ما بعده من القول بانه كان حيا لم يتغير وان كانت آية عجيبة وذكروا ان تقديره ولنجعلك
فعلنا ذلك ولنجعلك ويحتمل ان يكون عطفا على مقدر اى فعلنا ذلك ليزداد بصيرتك او لتؤمن ولنجعلك والآية احياؤه
بعد الموت وحفظه ما معه وانه بعث شابا وبنو بنيه شيب فاذا حدث بحديث قالوا حديث مائة سنة روى انه اتى قومه
راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقالوا هاتوا التورية فاخذ يقرأها سريعا وهم ينظرون فى الكتاب فما اسقط حرفا فقالوا
هو ابن الله ولم يقرأ التورية عن ظهر قلبه قبله والعظام عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم والاكثر على انها عظام حماره
بقيت نخرة رميمة وسمع صوتا ايتها العظام البالية انى جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى البعض
ثم التصق كل عضو بما يليق به ثم جاء الرأس الى موضعه ثم العصب والعروق ثم انبسط اللحم ثم الجلد ثم خرجت الشعور من الجلد
ثم نفخ فيه الروح ثم خر عزير ساجدا وقال اعلم ان الله على كل شىء قدير وقيل العظام عظام هذا الرجل واحيى رأسه
ينظر الى بقية بدنه فالتقدير الى عظامك وننشزها اى نحييها ويقرأ ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم او بالراء
بمعنى التحريك ورفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين كون الله قادرا على كل شىء وما اشكل عليه من امر الاحياء ويقرأ
بالمجهول وقرئ اعلم بالامر والآمر مخاطبه او هو نفسه ويقرأ قيل اعلم وفائدة الاماتة مائة سنة مع حصول المقصود بيوم لانه ابعد فى العقل
من الاحياء مع قرب المدة

واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى
قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم

العامل فى اذ اذكر او العامل ما بعده والاراءة المعاينة وسبب هذا الطلب مع حصول العلم ان جبريل اخبره ان علامة اتخاذ الله
اياك خليلا ان يريك ذلك او انه لما قال له نمرود هل شاهدت ذلك لم يقدر ان يقول نعم وقيل لانه ابصر ميتة تتوزعها
دواب البر والبحر والطير فقال يا رب لقد علمت لتجمعها فارنى كيف تحييها لأعاين ذلك وكأنه اراد ان يصير علمه عيانا
ومعنى اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء وهو استفهام تقرير نحو الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
وفائدته ان يجيب بما اجاب فيعلم السامع للقصة غرضه ويدل عليه قوله بلى اى بلى آمنت ولكن اطلب طمانينة تحصل

مطلب فى احوال العزير

بقوة الدليل من انضمام العيان الى الوحي والاستدلال فان العلم الاستدلالي يتطرق اليه الشكوك والشبهات من حيث هو
وان كان علم الانبياء على خلاف ذلك ولعل ذلك سبب مخالفة علمهم علم غيرهم وايضا لعله طلب ليشاهده قومه فيزول الانكار
عن قلوبهم قال صاحب المفاتح والذي خطر بالي انه كما يحتاج الامر الى المعجزة للعلم لكون المدعي رسولا فكذلك النبي يحتاج
الى ان يعلم ان الواصل اليه ملك وهو رسول وكذلك اذا سمع كلام الله احتاج الى معجز يعلم ان ذلك كلام الله لا كلام غيره فكانه قال
ليطمئن قلبي ان الاتي ملك ولقائل ان يقدح فيه للزوم عدم تقرر امر الرسالة قبل ذلك ويكون دعوته لنمرود وقومه على رد
منه وحينئذ لا يستقر له ذلك لاحتمال في الثاني كما في الاول ونقل عن المتصوفة ان المراد بالموتى القلوب المحجوبة واحياء الموتى
التجلي والانوار الالهية وهذا ايضا ضعيف وذكر صاحب الانوار مناسبة ذبح الطيور على وجه يمكن تنزيله عليه حيث قيل
ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة النفس وهو صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم
بهما الحمام لان الاصل في احوال الانبياء ولاسيما المتعلقة باعتبار الامة ان تكون امورا ظاهرة الدلالة على المقاصد والطير
مصدر سمي به للمبالغة او جمع كصحب ونقل صاحب المفاتح في تخصيص الطير وجهين الاول ان الطير همته الارتفاع الى السماء
وهمة الخليل عليه السلام الوصول الى الملكوت فجعلت معجزته مشاكلة لحاله والثاني انه اذا رأى طيران كل جزء الى مشاكله
يعلم انه كذلك تطير الاجزاء يوم القيمة كل جزء الى مشاكله وفي الانوار ان الطير اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان وصرهن
قرئ بضم الصاد وكسرها من صرت الشئ اصوره اذا املته واصور اي مائل العنق وصار الي كذا اي مال اليه قال
وفرع يصير الجيد وحف كانه ٭ على الليت قنوان الكروم الدوالح ٭ اي الثقيلة بالحمل قال ٭ ولكن اطراف الرماح تصورها
ويقرأ بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره بضم الراء وفتحها اي قطعهن من صار الشئ يصوره صورا
اذا قطعه والاتفاق على انه قطع اعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها ببعض والفائدة في الامر بضمها الى نفسه
ان يعرف هيأتها فلا يلتبس عليه بعد الاحياء او يتوهم انها غير تلك فان قيل ما فائدة الاربعة مع ان العلم بالاحياء كان يحصل
بالواحد قلنا ليعلم ان الاجزاء المختلطة لا تمنع من الاحياء ولان الله يعلم بكل جزء ويرد كل شئ منها الى البدن الخاص به واما التقييد
بالاربعة فمشكل والجواب عنه بمناسبة الاركان ضعيف فان قيل ما السر في تجويز تعذيب الطيور بالقتل وهذا امر
يجمع الطيور الميتة لئلا يقع التعذيب قلنا ليعلم انه كما جاز الذبح لمصلحة الاكل جاز لغير تلك الفائدة وايضا ليشاهد الحيوة
وزوالها ورجوعها الى الابدان ولفظ كل جبل وان كان عاما لكنه حمل على جبل يمكنه ان يفرق عليها وقيل سبعة وقيل اربعة
لتخصيص نواحي الدنيا وهباب الرياح الاربعة ومعنى الدعاء قل لهن تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها فمعنى سعيا ساعيات مسرعات بالطيران او المشي
ويقرأ جزءا بضمتين وبالتشديد فان خفف بطرح همزة ثم شدد كما يشدد في الوقف لاجراء الوصل مجرى الوقف

وفيه

وفيه دليل على فضل ابراهيم عليه السلام وان للضراعة في الدعاء مع رعاية الادب في السؤال تأثيرا ظاهرا ومناسبة الوصف
بالعزة انه اذا اراد شيئا قدر عليه ولم يعجز عنه وان افعاله واقعة على وجه الحكمة ٭ مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ٭ وجه
الارتباط انه لما تحقق امر المعاد ناسب ان يؤمر بما ينفع في عالم الاخرة واعظمه انفاق المال ولا تكرار بما سبق
لاشتماله على بيان المضاعفة على هذا الوجه دون ما سبق اي مثل نفقة الذين او مثلهم كمثل زارع واسناد الانبات
المجازي الى الحبة مع ان المنبت هو الله تعالى من قبيل الاسناد الى السبب القريب واثبات سبع سنابل بطلوع سبع
ساقات على كل سنبلة وذلك يوجد في نحو الدخن والبر في الارض المغلة فلا حاجة الى الفرض والتقدير واورد ولم يقل سبع
سنبلات ليطابق جمع القلة واجيب بتجويز ذلك لتعاور احد الجمعين على الاخر وليس بشئ لان الكلام في الترجيح نعم يمكن
ان يقال انه لما كان المقصود هنا التكثير ناسب جمع الكثرة لفظا وان اريد به القلة وقرئ بادغام التاء في السين والمراد
بالمضاعفة الزيادة على هذا القدر لمن تعلقت مشيته به حيث يختلف باختلاف المنفق من الاخلاص وغيره ويناسبه وصف
الواسع حيث لا يضيق عليه اعطاء الزيادة والعليم باحوال المنفقين او انه واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال
عليم بمقادير الانفاقات فلا يضيع الاعمال ٭ الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٭ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم ٭
لما رغب في الانفاق بين حال المنفق قيل نزلت في عثمان حين انفق في غزوة تبوك وقال علي جهاز من لا جهاز له
فجهز المسلمين بالف بعير باقتابها واحلاسها وتصدق ببير رومة وعبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة الف درهم
ولم يملك غير ثمانية الف والمن الاعتداد بالاحسان واظهار صنيعه نحو احسنت الى فلان قيل اذا احسنتم فانسوها
قال ٭ وان امرأ اسدى الي صنيعة ٭ وذكرنيها مرة للبخيل ٭ والاذى اظهار التطاول وان يقول على وجه التبرم
انت امرء فقير اخلصني الله منك وثم لبيان التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما اولى من الانفاق
ونحوه ثم استقاموا فانه لجعل الاستقامة عليه خيرا من الدخول فيه وترك الفاء هنا لعدم ارادة التسبيب لانها
اذا دخلت كان المعنى انهم ان لم يفعلوا لم يستحقوا واذا لم يدخل فالمعنى انهم يستحقون الاجر من غير التعليل بالانفاق
فلا يكون سبب تخيل المعتزلة من كون العمل موجبا للاجر على الله فيحتاج الى ان يقال حصول الاجر بسبب الوعد لا للعمل
لانه واجب على العبد فلا يوجب الاجر كما سبق فان قيل اي فرق بين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعكسه وما فائدة التفاوت
بين العبارتين قلنا الفرق ان الاول لبيان عدم استيلاء الخوف عليهم لذكر على والثاني اخراجهم من عداد من يعتريه الحزن وفائدة
التفاوت انه لما كان الخوف يستعمل لتوقع لحوق المحذور والحزن لوقوعه ولهذا قيل هو اشد الغم مشتقة من الحزن وهي
الارض الغليظة كانت المبالغة في الثاني اهم فلذلك دخل حرف النفي على ضميرهم للاشعار بانهم ليسوا ممن يتصف به اصلا

ثم بين ان الرد الجميل والعفو عن السائل الحاجة او تيك مغفرة من الله بالرد الجميل والعفو عنه بتمهيد عذره خير
من الصدقة مع المن والاذى ووصفه سبحانه بالغنى هنا يشعر باعراضه عن المتصدق بالمن والاذى وانه فى معرض
المؤاخذة حيث وصف نفسه بالحكم المقتضى لترك المعاجلة بالعقوبة واستدلت المعتزلة بها على ان الكبيرة تحبط ثواب فاعلها
واجيب بان المن والاذى يخرجان العمل عن ان يكون ثواب من حيث انه يدل على انه لم يطلب به رضى الله عنه ويمكن ان يجاب
عنه ايضا بانه لا دلالة فيها باعتبار انهما ليسا من الكباير • يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق
ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء
مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين • اى لا تحبطوها بالمن بالمتصدق عليه واذاه احباط المنافق الذى لا يبغى بصدقته
رضاء الله تعالى بل رياء الناس والكاف منصوب المحل على الحال اى لا تكونوا مماثلين للمنافقين او المصدر اى ابطالا كابطاله
ورياء مفعول له او حال مثل كلمة شفاها او صفة المصدر اى انفاقا رياء والصفوان الحجر الاملس جمع صفوانة كمرجان
ومرجانة وعند الاصمعى ان الصفوان والصفو والصفا واحد والوابل المطر العظيم القطر اى يترك الوابل الحجر الاملس حجرا
براقا بازالة التراب عنه وعدم القدرة بان لا ينتفعوا بما انفقوه رياء وجمع الضمير للمعنى اذ المراد بالذى ينفق جنس المنفق
فهو كقوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا والتمثيل يحتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرد والمركب وفى ذكر عدم هداية الله الكافرين
تغليظ عظيم لامر المن والاذى اذا نظرنا الى عموم اللفظ من غير تقييد بالسياق وتنبيه على منعهم ان يكون مثلهم فى عدم الهداية
وقيل يعود الضمير الى غير المذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى فى التراب الذى على الصفوان وقيل يرجع الى فاعل لا تبطلوا
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين
فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير • اى ينفقون اموالهم لطلب رضاء الله ولان يثبتوا بعض انفسهم
على الايمان لانه اذا بذل حر ماله كان كحرمة دمه فقد ثبت نفسه او يكون من للابتداء اى ينفقون لتصديق الاسلام وتحقيق الجزاء
مبتدا من اصل انفسهم او بقوة اليقين والبصيرة فى الدين او لتوطين انفسهم على الثبات على الطاعة وكمثل جنة معناه
ان نفقتهم فى الانتفاع بها كمثل بستان ينشر من الارض فان شجرة المرتفع من الارض يكون احسن شكلا واكثر ثمرا وقرى
الربوة بضم الراء ويقرا بكسرها والرباوة بالضم والفتح والوابل العظيم القطر والاكل الثمر اى ما يؤكل منها وقرى بسكون الكاف
للتخفيف فؤتى مثلى ما كان تثمر وقيل اربعة امثاله بسبب الوابل بنسبة غيره او ما كان يعهد منه وحمل صاحب المفتاح على
ان يكون الارض طيبة تربو وتنمو لان المرتفع لا ينصب اليه المياه ويؤديه الرياح والجواب بمعارضة برد الهواء كما ذكر
صاحب الانوار وضعفين منصوب على الحال اى مضاعفا فان الاصل فيها الاشتقاق فان لم يصبها الوابل فيصيبها طل
وهو صغير القطر ويكفيه ذلك لبرد الهواء بارتفاع المكان والمعنى ان انفاقهم لا يضيع عند الله بحال وان كان يتفاوت
بحسب حاله ويجوز ان يكون التمثيل لتشبيه نفقاتهم القليلة والكثيرة الزايدتين فى قربهم من الله بالوابل والطل وكون

الحق سبحانه بصيرا بما يعملون ترغيب فى الانفاق بالاخلاص وترهيب عن الرياء او انه عليم بكمية النفقات
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون • استفهام انكار يربط
بحال مبطل الصدقة بدليل التعقيب بالامر بالانفاق من طيب الكسب اى ايتمنى احدكم ذلك وقيل الود للماضى والمستقبل
كالتمنى والحب يكون للمستقبل وتخصيص النوعين لشرفهما لا للحصر بدليل ان له فيها من كل الثمرات ان لم يرد بهما نفعهما
وتخصيص اصابة الكبر لان الفقر فيه اشق والواو يحتمل الحال والعطف على تقدير ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
والاختلاف بالماضى والمستقبل لا يضر لانه يتلقى مرة بان ومرة بلو فيقدر احدهما مقام الاخر وقيل دل ان على الاستقبال
وتضمن الكلام معنى لو على التمنى وله ذرية صغار لا كسب لهم ولا قدرة والواو هنا يحتملهما ايضا على تقدير قد واصابها عطف
على اصابه والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كالعمود قال عليه السلام ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا
والمذكور فى الحكمة انها يكون صاعدة وهابطة والاولى سببها ان الريح اذا وصلت الى الارض وقرعتها قرعا عنيفا ثم رجعت
فلقيتها ريح اخرى من جهتها وكونها حدثت هذه الحالة وقد تحدث من تلاقى ريحين شديدتين من جهتين مختلفتين وربما
قلعت الاشجار والسبب هو الله سبحانه والثانية سببها انه اذا انفعلت ريح من سحابه وقصد النزول وعارضها فى طريقها
قطعة من السحاب مع انه يدفعها من فوق مع ساير اجزاء الريح وقع بين دفع ما فوق الى تحت وبالعكس عوض الاستدارة
من الدفعين المتمانعين والاحتراق افتراق الاجزاء بالنار والمعنى ان من المعلوم ان احدكم لا يحب فقدان مثل هذا البستان
فى مثل هذه الحالة لا سيما والاولاد صغار ضعاف محتاجون فلذلك ينبغى ان لا تبطل الصدقة بالمن والاذى وهو مثله
فى ظهور هلاك ما يتصور الانتفاع به فى الاخرة فى احوج الاحوال بهلاك هذا البستان فى هذه الحالة وجعله صاحب الانوار
تمثيلا لحال من ترقى الى عالم الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور فيصير عمله هباء منثورا فان قيل ما فايدة الجمع بين
الريح والنار ثم تخصيص الاعصار بالذكر قلنا لعله للمبالغة فى الاهلاك فان الريح وحدها تنقل من محل الى آخر من غير
افناء والنار تحرق وتبقى الاثار فاذا جمع والاعصار اشد لا سيما القسم الاول فانه يرفعها الى جانب العلو فيكون
ابعد من القدرة عليه ومعنى كذلك ان مثل هذا البيان يبين الله هذه الايات ونظايرها كى تتفكروا فيها فتتعظوا بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد • حمل الطيب على الحلال او الجيد وان حمل على الجامع بينهما كان اولى
للتطبيق بما بعده سئل النبى عليه السلام عن اطيب ما ياكل الانسان فقال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ومما اخرجنا
اى من طيبات ما اخرجنا يستوى فيه المعشرات والمعادن وغيرها ولا تيمموا اى لا تقصدوا الردى من المال ومما اخرجنا
فتنفقوا منه والتخصيص بما اخرجنا لان التفاوت فيه اكثر ويقرا ولا تأمموا ولا تيمموا وتنفقون حال مقدرة من فاعل

يتمموا الان القصد قبل الانفاق ويجوز ان يستانف به وتم الكلام عند لا تيمموا ويكون قوة استفهام انكار ويجوز ان يتعلق به
فيه فيرجع الضمير الى الخبيث والجملة حال منه والحال انكم لا تاخذونه في حقوقكم الابتسامح منكم والاغماض مجاز من اغمض بصره
اذا غضه وهو اطباق جفن على آخر من الغموض وهو الاخفاء اي لا تاخذونه الا بتساهل وتسامح وقيل على استحياء من رده
وقرئ تغمضوا اي تحملوا عليه وتوجدوا مغمضين وعن ابن عباس الا ان تحطوا من الثمن وعنه انهم كانوا يتصدقون به
بحشف التمر فنهوا عنه والله مستغنى عن الصدقات مستحق للحمد على ما تعبدتم او محمود بالاثابة او على ما انعم من البيان والغنى كالوعيد
على اعطاء الردى والحميد كالوعد على اعطاء الجيد وقيل نزلت فيمن يدخل قنو الحشف من الانصار فيما يؤتى به لفقراء المهاجرين
الى مسجد النبي عليه السلام من اقناء التمر والبسر • الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا والله واسع عليم • فيه بيان الامتناع عن الانفاق فان الشيطان يعد الانسان في الانفاق الفقر وهو الحاجة
والوعد يستعمل في الخير والشر في الاصل وان غلب في الاول وقرئ الفقر بضمتين وفتحتين والضم والسكون والفحشاء
البخل ومنه الفاحش للبخيل ويشمل ساير المعاصي وفي الاول يقول • ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد
وتقديم تخويف الفقر للتوسل الى الامر بالبخل لان البخل رذيلة قبيحة عند كل احد فيتوسل بوعد الفقر الى الامر به والله يعد المغفرة
بالانفاق وخلفا عما ينفق خيرا منه في الدارين والله واسع الفضل على المنفق العليم بحال الكل فيوصل الى كل ما يستحقه
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب • سبق تفسيرها في قوله ويعلمهم
الكتاب والحكمة والحمل على تحقيق العلم واتقان العمل هنا يناسب بحث الانفاق وايضا كانه قال شان الشيطان ذلك
وهذا شان الرحمن وقيل هي مواعظ القرآن وقيل التخلق باخلاق الله قدر الطاقة البشرية ومداره على قوله عليه السلام
تخلقوا باخلاق الله وتنقسم الى نظيره واليه اشار بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وهي المعنية بقوله سبحانه واستغفر
لذنبك وهي مشتقة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم والحكيم ذو الحجى واللب واصابة الراي وكثرة الخير باعتبار
حصول سعادة العالمين وسيادة المنزلين وما يتعظ به بما ذكر من الايات او لا يتفكر فيها الا من تفكر فقد تذكر ما هو مستعد له
درك العلوم والالاي الاذو والعقول الخالصة عن شوايب الوهم وذكر صاحب المفاتيح ان الانسان اذا راى الحكمة
والمعارف حاصلة في قلبه ثم علم انها لم تحصل الا بايتاء الله كان من اولي الالباب ومن اضافها الى غيره لم يتصف باللب
وقرئ يؤت • وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار • لما حض على الانفاق
من الطيب عقبه بان اقسام المنفقات قليلها وكثيرها حقها وباطلها سرها وعلنها معلومة لله تعالى كما قال سبحانه
وان يك مثقال حبة الآية والاشارة الى الحصلة والنذر التزام المسلم المكلف طاعة غير واجبة وانواعه المطلق
والمعلق من العبادات المالية والبدنية والمركبة وفائدة علمه تعالى بها ان يجازي عليها والظالم وان شمل ظالم لنفسه
وغيره بجميع الاعتبارات لكن المناسب الحمل على من ظلم من يستحق النفقة الى غيره او منع حقه عنه كمستحق الزكوة



وقد حمل النفقة عليها وكذا من ينفق رياء وسمعة او لم يف بنذره او على وجه والانصار جمع نصير كشريف ولا استدلال
للمعتزلة على نفي الشفاعة باعتبار انه لو وجد الشفيع لوجد الناصر لان النصرة دفع بقوة كما سبق وايضا لا يلزم من نفي
ناصر مجموع الظالمين نفي ناصر البعض وايضا دليل الشفاعة خاص فيقدم عليه وايضا عموم الدليل ليس بقطعي والمسئلة علمية
ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير •
بيان نوعين من الانفاق قيل سبب نزولها سؤال الصحابة عن افضلية القسمين عقيب نزول ما انفقتم اي ان اظهرتم
الصدقات فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والتقدير نعم الشئ ابداؤها ثم اضمر الفاعل ووضع ما
موضع تفسيره ثم حذف المخصوص بالمدح وهو الابداء صار الكلام نعم ما هما ولم يحصل الملايمة بين الضمير المتصل وبين ما
لان ما غير عاملة فحذف ووضع موضعه الضمير المنفصل واجتمع حرفان متماثلان فادغم احدهما في الآخر فالتقى ساكنان
العين والميم ثم حذف احد الساكنين فصار نعما هي وقرئ بكسر النون وفتحها وان اصبتم المصارف مع الاخفاء
فالاخفاء خير والمراد المتطوع بها لان الاظهار في الفرض اولى لنفي التهمة وقيل الا ان يكون المزكي ممن لا يعرف باليسار
او اراد المتطوع ان يقتدى به والافضل الاظهار هتك عرض الفقير واخراجه عن هيئة التعفف وذكر في المفاتيح خبرا في صورة
الاقتداء ونقل انه قال عليه السلام اذا اهدى احدكم هدية وعنده قوم فهم فيها شركاء فلعل المهدى اليه لا تسمع نفسه به
فيقع الحلف والصدقة كالهدية وقال ابن عباس صدقات السر في التطوع تفضل من علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا والفاعل ليكفر في قراءة الياء والرفع الله او الاخفاء والفاعل
الصدقات في قراءة التاء والجزم ويتعين الاول في قراءة النون وهي معطوفة على ما بعد الفاء او على انه خبر محذوف اي
ونحن نكفر او جملة فعلية مستانفة وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده جواب الشرط ويقرأ بالتاء والنصب باضمار
ان والتكفير التغطية ورجل مكفر في السلاح مغطى فيه وكفارة اليمين تستر ذنب الحنث وحمل وصف الحق سبحانه بالخبير على الترغيب
في الاسرار ويحتمل ان يحمل على رعاية القصد القلبي في الانفاقات • ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا
من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون • وجه الارتباط قال عليه السلام
لا تصدقوا الا على اهل دينكم فنزلت فقال تصدقوا اهل الاديان وقيل في امتناع تصدق اسماء بنت ابي بكر على امها
وجدتها حين جاءتا سائلتين مشركتين فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله عليه السلام فانكما لستما على ديني
فاستامرته في ذلك فامرها بالتصديق وهذا في غير الواجب خلافا لابي حنيفة حيث جوز صرف الفطر الى الذمي فعلى هذا
يكون التقدير ليس عليك ان تجعل الناس مهديين ليستحقوا الانفاق عليهم وانما عليك الارشاد الى المحاسن كالانفاق
الحسن والنهي عن المقابح كالمن والاذى او ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة ليسلموا كما قال تعالى افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقيل كانت بين الانصار وبين قريظة والنضير قرابة وكانوا لا يتصدقون عليهم حتى

يسلوا فنزلت والظاهر دخول الامة في الخطاب وقوله ولكن الله يهدي ظاهر في ان الهداية من الله وبمشيئته تخصها بقوم
دون آخرين وذكر المعتزلة مثل يهدي بالاصابة والمجازاة او انه قادر ان يهدي بالاكراه وبالالطاف وزيادة الهدى ويجوز
الاكتفاء في الجواب بان كل ذلك خلاف الظاهر وانفاق الخير انفاق النفقة المعروفة او المال وهو مختص نفعه بكم فلا ينفق
خبيث المال ولا يمن به على المنفق عليه فيكون وما ينفقون الا ابتغاء وجه الله عطفا على ما قبل اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله
وذكر الوجه لانك اذا قلت فعلت لوجه زيد كان ابلغ من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه وكثر حتى صار يعبر عن الشرف
بهذا اللفظ وايضا يندفع به ابهام التجوز بان الفعل لغيره والتوفية هو ايفاء الثواب وتوفيره اضعافا مضاعفة وفيه
بيان ان انفاق الشخص ليس الا لنفسه وعدم الظلم بان لا ينقص شيء من ثواب الانفاق ولو كان الانفاق على الكافر اذا كان
لوجه الله تعالى آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص • للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم •
قد سبق ان الفقير من لا يملك ولا يكسب ما يكفيه واللام متعلقة بالانفاق المحرض عليه او بمقدر مثل اعمدوا للفقراء واجعلوا
المنفق لهم او خبر محذوف اي الصدقات للفقراء او انه جواب من سأل عن اصحاب الصدقات وقد وصفهم بخمس صفات
كل منها يقتضي الاختصاص بالاحسان لا سيما ترتب الوصف على الحكم يشعر بالعلية فالاولى الاحصار وهو منع النفس
عن التصرف في التجارة للمعاش وفسر بما يعرض للانسان فيحول بينه وبين سفره من مرض او كسر او عدو او ذهاب نفقة
او ما يجري مجراه والمراد بهم المهاجرون وكانوا نحوا من اربعمائة وهم اصحاب الصفة حبسوا انفسهم على الجهاد روي انه عليه السلام
لما راى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم قال ابشروا يا اصحاب الصفة من بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه
فانه من رفقائي فالانفاق عليهم فيه تقوية للاسلام باعتبارات شتى وقيل حبسهم العذر عن الجهاد ويمكن ان يتأيد بقوله لا يستطيعون
ضربا اي سيرا في الارض من غير ان للاولين ان يقولوا اشتغالهم بالجهاد وامر الدين منعهم وهي الصفة الثانية والثالثة يحسبهم الجاهل
اي يظنهم من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وفي الاصل الترك الرابعة تعرفهم بسيماهم والسيماء
العلامة التي تعرف بها الشيء من السمة التي هي العلامة قلبت الواو الى موضع العين وقيل الارتفاع لانه علامة رفعت للظهور
وقيل صفرة اللون وقيل الجهد واثر الجوع والفقر وقيل التخشع والتواضع قال صاحب المفاتح وهذا كله عندي ضعيف لمنافاته
يحسبهم الجاهل بل المراد ان لعباد الله المخلصين هيبة بانذارات روحانية يهابهم الناس ويتواضع لهم الطبع كالاسد
والبازي للبهائم والطير وفيه نظر يظهر بادنى تأمل الخامسة عدم السؤال بالالحاف اي الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق
الا بشيء من لحفني اي اعطاني من فضل لحافه اي فضله وهو منصوب على المصدر لانه نوع من السؤال او حال عن الفاعل والحمل
على السؤال باللطف قدح فيه صاحب المفاتح لمنافاته وصف التعفف بل المراد التعريض بان غيرهم يسأل بالالحاف او ان من
كانت له الحاجة الشديدة لا يمكنه الترك الا بالحاح شديد على نفسه او لا يظهرون الحاجة من انفسهم على وجه يرق له من يراه

فيكون

فيكون كالالحاح وهذه الاوجه تناسب ما قبل انه ليس لهم سؤال فيكون لهم الحاح من قولهم على لاحب لا يهتدى بمناره اي طريق واضح
واراد نفي المنار والاهتداء والاولى ما ذكره صاحب الانوار انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا ويمكن
ان يقال في ترجيحه انه لو اراد بيان عدم السؤال لم يقيد بالالحاف لانه مدح والنفي رأسا ابلغ ولا منافاة بينه وبين التعفف
نظرا الى اعم الاحوال وما تنفقوا الى الآخر للترغيب في الانفاق لا سيما على هؤلاء المذكورين • الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • روي انها نزلت في علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ملك اربعة دراهم فانفق كلا منها في حال منها وقيل في الانفاق على الخيل في الجهاد قال عليه السلام الشيطان لا يخبل في بيت
فيه فرس عتيق من الخيل وهما لا ينافيان ارادة كل من انفق ماله في طاعة الله على هذا الوجه وكذا ما نقل ان نزولها في ابي بكر انفق
اربعين الف دينار هكذا وكذا ما قيل من نفقة الزوجات والاقارب فلهم الاجر خبر ان الذين والفاء لتضمن الموصول معنى
الشرط وهو اولى من جعله للعطف وتقدير الجزاء ومنهم الذين لما روي من الوقف على علانية لبيان السببية فان قيل
ما فائدة تقييد الانفاق اذا نظر الى عموم اللفظ مع ان مطلق الانفاق كذلك قلنا لعل فائدته بيان ان من انفق هكذا يختص
بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اصلا او للتحريض على الانفاق على هذا الوجه على الموصوفين المذكورين وفي تقديم الليل على النهار
والسر على العلانية اشارة الى افضلية صدقة السر • الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله
ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • لعل وجه المناسبة الاشارة الى ان الانفاق انما ينفع اذا كان من الحلال
لان الحرام ممنوع عنه فلا يتصرف فيه او ان من بذل الحلال على ما امر به كان له الاجر الموصوف ومن كسب جهة منع عنها كان بالعكس
ويدل على الاول ان من تصدق من مال اكتسبه من الربوا فالله يمحقه ويبطله والمراد بالاكل الاخذ وذكره لانه اعظم ما يراد منه
وكتبته بالواو للتفخيم كالزكوة والالف للتشبيه بواو الجمع واصله الزيادة ومنه اهتزت وربت يقال اربى الرجل اذا عامل
بالربوا ومنه الخبر من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع قبل صلاحه فقد دخل في الربوا وفي الشرع بيع احد النقدين بالآخر
من غير حلول وتقابض او تساو ومنه بيع بعض ما يؤكل بوجه ما بمثله من غير تحقق هذه الامور او بيع المخالف من غير تحقق الاولين
والخبر وان لم يرد في جميع المطعومات لكنه لما كان معقول المعنى عدي الحكم عن محل النص الى غيره للاشتراك في العلة لا يقومون
من قبورهم الا قياما يشبه قيام المتخبط وهو المصروع واصل الخبط ضرب من غير انتظام كخبط العشواء وهو وارد على زعمهم
ان الشيطان يخبطه فيصرع فهو تقبيح لعادة العرب في اضافة القبائح اليه ومنه طلعها كانه رؤس الشياطين والمس
الجنون يقال مس كما يقال جن وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله هذا قول بعضهم يعني انهم خوطبوا بما يتعارفونه
وقال الاخرون يبعث آكل الربوا مجنونا اي يقومون مجانين كمن اصابه الشيطان بالجنون ويحتمل ان يقال هذا اولى
لان الكلام على زعماتهم مع عدم المطابقة ايهام حقية الباطل ولا يلزم ان يراد به انه يكون كالمصروع وان اريد ذلك ايضا

فالكلام فيمن يشبهه لا فيه هذا او انه قيل انه يحدث الصرع عند وسوسته لضعف طبعه وغلبة السوداء فيفزع كما يفزع الجبان
في الموضع الخالي ويتعلق من المس بيتخبط او بيقومون اي لا يقومون مما بهم من المس او بسبب اكل الربوا ونهوضهم وسقوطهم
يكون كالمصروعين لا لاختلال العقل بل بسبب ان اكل الربوا اربا ما في بطونهم فاثقلهم ويكون ذلك علامتهم في القيمة وقد روى
ان اهل الموقف كلهم يوفضون الى اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون وذلك اشارة الى القيام الموصوف بسبب انهم
قالوا انما البيع مثل الربوا معتقدين حله مبالغين فيه حتى غيروا صيغة انما الربوا مثل البيع حيث جعلوا الربوا كالاصل وشبهتهم
ان من اشترى شيئا يساوي درهما بدرهمين فقد ضيع درهما فكذا من اخذ درهما بدرهمين والفرق ظاهر فان في شرى الاعواض
يتوقع الاسترباح فان قيل فعلى هذا لا يلحق هذا الوعيد الا بالكافر من اكلة الربوا بل لم يبق لاكل الربوا مدخل حيث قال ذلك بانهم
قالوا الآية والكلام في المنع عنه والجمهور على انه وعيد من يتصرف فيه لا من يستحله قلنا لما كان هذا القول الصادر عن الاعتقاد
حاملا على الاكل صح اسناد السببية اليه هذا وان الكافر كما يعذب بالاصول يعذب بالفروع واحل الله انكار لقولهم ودعواهم
المساواة وابطال القياس للناس والفرق الهادم ومذهب الشافعي انه من المحتملات التي لا يتمسك بها فمن جاءه وعظ وزجر
عن المحارم كالنهي عن الربوا فاتعظ وتبع النهي فله ما اخذ قبل التحريم لم يسترد منه وما فاعل متعلق الظرف ومبتدا ان جعلت
شرطية لفقدان شرط عمل الظرف اعني الاعتماد وهذا عند سيبويه ويخالف الظرف فيما تقدم حيث وقع خبر المبتداء ومعنى الامر
الى الله انه يحكم فيه او يجازيه بالاحسان ان كان انتهاؤه للاتعاظ وبعده ان شاء عذبه بساير الذنوب وان شاء عفى عنه
والمراد بالعود العود الى تحليل الربوا ويدل على ذلك الحكم بالخلود فانه جزاء الكافر • يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار اثيم المحق اذهاب البركة والابطال واصله نقصان الشيء حالا بعد اخرى قال ابن مسعود الربوا وان كثر فالى قل
واربى الصدقات مضاعفة ثوابها والاجر عليها وفي الخبر كما يربي احدكم فلوه والمراد بها ما حصل من كسب طيب قال عليه السلام
ما تصدق احد من الحرام الا كان زاده الى النار ونفي المحبة عن المبالغ في الكفر المتمادي في الاثم وفيه ايماء بان الربوا من فعل
الكفار روى انه بقيت من الربا بقايا فامروا بتركها وقيل نزلت في ثقيف كانت لهم على قريش فطالبوهم بالاصل والربوا
ويقرأ بسكون الباء ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم • ماضي العزيمة ما في حكمه حيف • بسكون ياء ماضي والالف
على لغة طي فان قيل لو نفي المحبة عن الكافر الآثم لكان ابلغ ولو ذكر بدل عدم المحبة البغض لكان كذلك قلنا لا فرق في الحقيقة
بين بناء المبالغة والاصل لان مقتضى كثرة نعم الله سبحانه لا يصدر الكفر اصلا فاي قدر يكون من الكفر يقتضي ان متعاطيه
كفار هذا او انه لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان واما سؤال الايجاب فانما يتجه ان لو وجد واسطة بينه وبين البغض وليس كذلك
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون •
عقب حال الكفار والظلمة حال اضدادهم كما هو عادة الكتاب وقيل آمنوا بتحريم الربوا وتخصيص عطف الصلوة وايتاء
الزكوة لذكر البدني والمالي من العبادات والاشعار برجحانهما على غيرهما ولعل ترك الفاء هنا لظهور السببية والكلام

في نفي الخوف والحزن قد سبق غير ان الاطلاق يشعر بان المراد من آمن وعمل صالحا واجتنب المعاصي • يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم
فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون • روى انها نزلت في ثقيف طلبوا الربوا من قريش فتركوا وقالوا لا يدى لنا
بحرب الله ورسوله وقيل يا من آمن بلسانه ذروا ما بقي من الربوا ان آمنتم بقلوبكم ومعنى ذروا اتركوا ومعنى الشرط انه ان
كنتم صادقين في دعوى الايمان فدليله امتثال الاوامر والعدول عن حرب الله الى حرب من الله قيل لارادة نوع عظيم منه
وهذا يشعر بانه ابلغ ولقايل ان يقول الجنس المضاف للاستغراق فيكون ابلغ ولعل سبب العدول الاحتراز عن ايهام انواع
الحرب لان حرب الله اي قدر كان عظيما لان هذا الكلام كان مع المسلمين والمراد التهديد ويحتمل ان يعلق بالتقوى
فيدل على لزوم الانتهاء عن النواهي ويحتمل الامرين معا ومعنى فاذنوا اعلموا بانه قد اذن بحاربتكم ومفعول اعلموا المحذوف
اي من لم يتب وقرئ آذنوا كآمنوا اي اعلموا من الاذن وهو الاستماع ويقرأ ايقنوا وهو يؤيد الاول فان تبتم بان رجعتم
عن المراباة والمطالبة بما بقي فلكم رأس المال دون الربح لا تظلمون الناس بطلبه ولا يظلمونكم بمنع الاصل • وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون • كان تامة اي ان وقع ذو عسرة اي اعسار فالحكم الانظار
الى يسار او فليكن ويقرأ بالناقصة اي ان كان الغريم ذا عسرة ويقرأ فناظرة بالخبر والامر ومعنى الاول المستحق ناظرة
اي منتظرة اي صاحب نظرة على النسب نحو عيشة راضية والثاني فسامحه بالانظار وقرئ الميسرة بضم السين وهما مشرقة
ومشرقة ويقرأ بهما والاضافة وحذف التاء • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • قيل السبب مطالبة بني عمرو بن المغيرة
برأس المال واعتذارهم بالاعسار فقيل هذا في الربا والاكثر على التعميم والتصدق بالابراء خير من الانظار او من الاخذ
لدوامه وكثرة فوايده لانه اكثر ثوابا وقيل المراد الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة ويدل عليهما ما ورد في الخبر الصحيح ان رجلا ممن قبلنا مات ولم يجد خيرا قط غير انه كان يامر غلامه بانظار الموسر
وابرار المعسر فغفر الله له وقال نحن احق بذلك فان قيل ما معنى الشرط فان ظاهره ان الخيرية لا تثبت الا اذا علم ان ذلك
خير للذكر الجميل والاجر الجزيل وليس كذلك وحمله على فتعلموا به وجعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه لا ينهض جوابا قلنا
لعل الجواب ان اثبات الخيرية معكم لا يتم الا باعتقادكم ذلك وحكم الآية انه اذا ثبت الاعسار وهو ان لا يجد ما يفي بالدين
ولا يباع له سوى قوت يومه ودست ثوب لايق به وبمؤنه حرم حبسه الا اذا لم يتحقق له ذلك لعدم قيام البينة والتحليف
بعدها ان شك ولو كان اباه على الاظهر ولا يستكسب المعسر للدين • واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • نزلت في عظماء يطالبون الضعفاء بالربوا فاحتاجوا الى زيادة تهديد ولما نزل
قال جبريل يا محمد ضعها على رأس ثمانين آية ومائتي آية من البقرة وعاش رسول الله عليه السلام بعده احدى وثمانين يوما
وقيل احدى وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات وقرئ بضم التاء وفتحها ويوما مفعول به اي تاهبوا للقائه

فهو متضمن للامر بجميع التكاليف والمراد بالرجوع الرجوع الى ثوابه وعقابه آوانه لا متصرف فيه بعد الموت الا الله سبحانه كما كان
قبل الولادة والمراد بالتوفية توفية كل نفس ما كسبت من الاعمال وتمسكت بها الوعيدية على القطع بوعيد الفاسق
وهى دليل على الخلود لانه لا يرى ثواب الايمان الا بعد الخروج من النار ان دخلها وتحققه قوله سبحانه وهم لا يظلمون كما قال
وان تك مثقال حبة • يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا • يقال داين فلان فلانا اذا عامله
بالدين اخذا او اعطاء كبايع قال • داينت اروى والديون تقضى • فمطلت بعضا وادت بعضا • وفى البيت دليل
على عدم لزوم ذكر الدين لكن فائدته ما هو مذكور بالتضمن مطابقة فيذكر نوعيه الحال والموجل والمراد بالاجل الوقت المضروب
لانقضاء الامد وبالمسمى التسمية باجل معلوم واجب فى حال الفراغ ولهذا قيل بنسخه بلا يضار كاتب ودليل البدعة ان جمهور
المسلمين يتبعون بالاثمان الموجلة من غير كتابة وعن ابن عباس المراد السلم ونزل بعد ما حرم الربوا واستدل به ابو حنيفة
على وجوب التأجيل واجاب عنه الشافعى بانه ورد على الغالب رعاية للقياس المصحح وهو انه لما جاز البيع حالا وموجلا جاز
السلم بهما ولانه ابعد عن الغرر وبالعدل صفة كاتب امر المتداينين ان يختارا كاتبا يعدل فى كتبته ويراعى التسوية
ويكتب بحيث لا يجد قاص طريقا الى ابطاله او التوقف فيه وعن الالفاظ المحتملة وندب ان يكون فقيها ليعرف كيفية
الكتبة غير طماع ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب مثل ما علمه الله من رعاية الشروط من غير تغيير وتبديل اى فلينفع
الناس بكتبته كما نفعه الله بتعليمه قيل هو نهى ارشاد ويجوز ان يتعلق كما ان يكتب وبقوله فليكتب والفرق انه فى الاول
قد نهى عن الامتناع عن الكتابة المتصفة بكونها شرعية ثم امر بالكتابة ولا يخفى ان النهى عن الشى امر بضده فيكون الامر
بالكتابة تأكيدا وفى الثانى لا تأكيد لان النهى عن امتناع مطلق الكتابة لا يدل على الامر بالكتابة المخصوصة وان دل
على المطلقة فلا بد وان تخصص بالشرعية حيث لم يدل عليها النهى ثم ينبغى ان يكون الملى من وجب عليه الحق لانه الذى
يشهد على نفسه بثبوت الحق فى ذمته ولا مدخل للتوكيل فيه لانه اخبار عما عليه والاملال مثله وقد ورد اى الكتاب والاول لغة تميم
وقيس والثانى لغة حجاز وبنى اسد والقرآن نزل بهما والبخس النقص اى ولا ينقص المديون من الحق الذى عليه وقيل الكاتب لانه المديون
يمنعه الداين • فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل اى ان كان خفيف
العقل بان يكون محجورا عليه بان يكون غير صالح لدينه او مصلح لدنياه لجهله بالتصرف او يكون صبيا او هرما وهما المرادان
بالضعيف ومنهم من عد النساء من هذا القبيل ولهذا قيل الزوج يحجر عليها او لا يستطيع الاملاء لخرس او عى فالملى عنه
وليه وهو الوصى للصبى والسفيه والقاضى ان لم يكن لهما وصى وهذا اذا لم يوجد الاب والجد وغير المستطيع ينوب
وكيله منابه ولا بد ممن يترجم كلامه والحاصل ان من لم يعتبر اقراره فالمعتبر اقرار وليه لا على وجه النيابة • واستشهدوا شهيدين
من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى •

امر

امر ارشاد ومعناه اطلبوا شاهدين على الدين من رجالكم المؤمنين الاحرار ومن قيد الرجل يعلم البلوغ عند الجمهور وقبل ابو ح
رحمه الله شهادة الكافر على مثله وبعضهم قبل شهادة العبد فان لم يكن الشاهدان رجلين فليشهد رجل وامراتان او فالشاهد
رجل وامراتان وقرأ فرجل وامراتين وهذه الشهادة معتبرة عندنا فى المال لان الاصل الرجال الا ما استثناه الشرع وابو حنيفة
قبلها فيما عدا الحدود والقصاص وشهادة النساء المحض مقبولة فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والشرط فيه كالشرط فى قوله
ان ختم ان يفتنكم والمرضى المعروف بالعدالة والفصل او من وصف لقوله فرجل وامراتان دون شهيدون لاختلاف اعرابهما
ان تضل منصوب على العلة اعنى علة اعتبار العدد اى لان لا يهتدى للشهادة بان نسيها ومنه ضل الطريق اذا لم يهتد اليها
ولا يلزم ان يكون الضلال المراد بل الاذكار فهو من قبيل اطلاق السبب وارادة السبب فالمعنى ان يذكر احديهما الاخرى ان
لم يهتد اليه ومنه اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه اى ادفعه وقرأ فتذكر وتذاكروها وتذكر بالتخفيف وبكسران
ورفع يذكر وقرئ بها والتشديد مثل ان يقول ان تضرب فاضرب اى فانا اضرب وعليه قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه
وان تضل بالمجهول والتفسير بان يجعلها ذكرا باطل باتفاق المفسرين لان النساء وان بلغن ما بلغن لا يقبل شهادتهن
بدون الرجل والصالح فسر الضلال بالنسيان يفسر مقابله بمقابله • ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان
تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم • اى لا يمتنع المشارف للشهادة اذا استشهد ان يشهد
قيل كان الرجل يطوف فى جماعة من الناس للاستشهاد فلا يتبعه احد فنزلت والحمل على اقامتها يقتضى التكرار ولا تملوا انه
من كثرة المداينات وان كثرت فالضمير للكتاب الدين او الحق وقيل كنى به عن الكسل لقوله عليه السلام لا تقول كسلت وهو صفة
المنافق سواء كان الكتاب صغيرا او كبيرا او مختصرا او مشبعا ولا تخل بالكتابة واجله الوقت الذى عين له والكتب اعدل عند الله
من القسط وهو العدل واثبت للشهادة واعون على اقامتها وبناؤهما من اقسط واقام مع انهما من المزيد ليس بقياس
وهو مذهب سيبويه وان كان من قاسط فبمعنى ذى قسط وقويم ووجود الواو وهو اقرب لنفى الشك للشاهد فى قدر الدين وجنسه واجله
الا استثناء من الامر بالاشهاد اى الا ان تكون المعاملة تجارة فى شى يحمل بعوض بحيث يفترقان عن تقابض فانه لا باس بترك الاشهاد
والحمل على لا اثم يستلزم ان يكون الكتب واجبا واطلاق التجارة وارادة البدل من باب اطلاق السبب على المسبب وادارتها
المعاطاة يدا بيد لانه لا يتوهم فيه الانكار وهو الاستثناء متصل لان البيع قد يكون موجلا باجل بعيد وقريب والحاضرة القريب
ويحتمل ان يقال هو اعم من الموجل والحال فهذا حال وقرئ بالرفع على كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ووجه النصب الا ان تكون
التجارة تجارة كبيت الكتاب • بنى اسد هل تعلمون بلاءنا • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • اى اليوم يوما والبلاء الغبار اى
النقع والاشنع الذى علا شره ورؤية الكوكب بالنهار عبارة عن الشدة لانها لا تكون الا عند الظلام والامر بالاشهاد
مطلق يتناول هذه الحاضرة وهو ندب وقيل وجوب ولو على باقة بقل • ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم

واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم • نهى الكاتب عن الاضرار بالامتناع عن الكتابة والزيادة والنقصان
والشهيد بعدم الاجابة اذا اريد بناء الفاعل ويدل عليه انه يقرأ ايضار ر بالكسر ونهى عن الاضرار بهما ان اريد بناء المفعول
ويدل عليه ما يقرأ بالاظهار والفتح وهو يضارر وذلك بان يعجلا عن مهمهما او لا يعطى الكاتب اجرة او الشهيد اجرة المركوب
اذا كان على مسافة العدوى سيرة يوم ذهابا وايابا والفعل هو الاضرار والفسوق الخروج عن امر الله ويلزم بهذا اللقب
وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتكم او تركتم شيئا مما امرتكم والانقار مما حذر منه يكون على الوجهين والله كما يعلمكم
مصالح دينكم يعلمكم مصالح دنياكم وهو عالم بمصالح العالمين ولما كان التصريح بلفظة الله الذي هو اعظم الاسماء الدال
على المعبود بحق كررها ولم يات بالضمير لا سيما وفى الاول تحريض على التقوى وفى الثاني وعد بالانعام وفى الثالث تعظيم
لشانه • وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن امانته
وليتق الله ربه • اى ان كنتم مسافرين وامتنع الكتابة لعدم الكاتب ويقرأ كاتبا قال ابن عباس ارايت ان وجدت
الكاتب ولم تجد الصحيفة والدوات فالمستوثق به رهن او فعليكم او فليوجد وقرئ رهان ويقرأ بسكون الهاء
للتخفيف وكلاهما جمع رهن بمعنى رهون واصله الدوام يقال نعمة راهنة اى دايمة وقيل الرهان جمع الجمع وقيل بالعكس
وهذا الاستيناف غير مشروط بالسفر كما ظن بعضهم لرهنه عليه السلام درعه في المدينة بل لانه لما كان مظنة اعوان التوثق
بالكتاب والمقبوضة حجة على مالك حيث لم يشترط القبض فان امن الداين المديون لامانته لعلمه بها او وصف الناس له
كما يقرأ او من فاستغنى عن الارتهان فعلى المديون ان لا يخيب ظنه وتسمية الدين امانة مع ان الامانة لا يضمن الا
بالخيانة استعارة لمشابهته اياها حيث اعتمد على امانته فترك الارتهان وقيل الخطاب مع المرتهن يؤدى المرهون اذا اخذ
المال فانه امانة عنده ويقرأ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والامر بالانقار في الخيانة والانكار يتضمن مبالغات صيغة الامر
الظاهرة للوجوب والجمع بين ذكر الله والرب واضافة الرب اليه ولما لم نسلم وجوب الكتابة لم يتجه ما قيل من كون هذه ناسخة لها
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم • لعل وجه تأخير المنع عن الشهادة ارادة شمولها لقضية الرهن
والخطاب للشهود او من عليه الدين لان الاقرار شهادة على نفس المقر وكتمانها ان لا يتكلم بها واسناد الاثم الى القلب
مبالغة في الزجر عنه فانه رئيس الاعضاء قال عليه السلام ان في الجسد لمضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله وهو اول ما يخلق
وآخر ما يبطل وافعاله اعظم فكانه قال تمكن الاثم منه واخذ بمجامعه حيث اخذ اشرف اجزائه فلا يظن انه يتعلق باللسان
ولهذا اعبر عن الكفر بموت القلب كما قال عليه السلام من احيى ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتمام التحقيق في حال القلب
قد سبق في قوله تعالى نزله على قلبك وباذن ان شاء الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ويقرأ بالنصب لحسن وجه ولعل
التهديد بكلمة بما تعملون دون بما يضمرون ليتناول عمل القلب والجوارح لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير • ذكر في المناسبة وجوه



منها انه لما جمع في السورة احكاما كثيرة مما يتعلق بالالهيات والاحكام الشرعية والمصالح وامر المبداء والمعاد ختمها
بما يجرى مجرى التهديد ومنها انه لما ذكر في الآية المتقدمة انه عليم عقبه بما يجرى مجرى البرهان العقلي على ذلك لان خلق السموات
والارض على هذا الترتيب والنسق العجيب ونهاية الاتقان لا تصدر عن غير العالم بها ومنها انه لما ذكر امر الوثايق والكتبة
والاشهاد وصيانة الاموال بين ان نفع ذلك يرجع الى الخلق والله سبحانه غنى عن ذلك اذ له ملك السموات والارض قال
صاحب المفاتح ان الصفات التي هي كمالات حقيقية قد ذكرت الا القدرة والعلم وذكر بما في الآية بقوله تعالى لله ما في السموات
وما في الارض وبقوله وان تبدوا ما في انفسكم ليكون غاية الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين ويحتمل ان يقال لا مانع به
من ارادة جميع ما ذكر مع تمهيد اصل لقوله سبحانه آمن الرسول الى آخر السورة لانه لما دل هذا الكلام على وجود الصانع واتصافه
بصفات الكمال اقتضى ايمان الرسول والمؤمنين ولما كان قادرا على المغفرة والتعذيب بل على كل شيء اوجب سؤال
ان لا يكلف فوق الطاقة ان يغفر المعاصي وينصر على الاعداء وكون ما فيهما لله باعتبار كونه خلقا وملكا فان اللام ليس للغرض
فانه ليس غرض الفاسق من فسقه الطاعة بل لام الملك والتخليق ويدل على ان افعال العبد مخلوق لله تعالى وهو عالم بما في
النفوس من قصد الحسنات والسيئات والعزم عليها فيجازى كلا بحسب حاله بعد المحاسبة عليه يوم القيمة فهو رد لمن انكر
الحساب كالمعتزلة ومن تابعهم فيغفر المستحق للمغفرة ويعذب المقترف لمقتضاه ان تعلق بها مشيته فهو حجة على المعتزلة حيث
اوجبوا التعذيب وقرئ الفعلان بالجزم والرفع بغير الفاء لكونهما بدل البعض ومعناه التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل
اوضح من الفصل او الاشتمال نحو اعجبني زيد علمه كما قال • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وفائدة
احاطة قدرته بكل شيء الايماء الى الدليل على قدرته على المغفرة والتعذيب والمحاسبة وغيرها والكلام في عموم متعلق
القدرة قد سبق في اول السورة روى انه لما نزلت قال ابن عمر لئن اخذنا الله بها لنهلكن حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس
فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها ما وجد فنزل ولا اشعار له بالنسخ لا سيما وقد قيل ان الله تعالى يؤاخذ بما يهم
به العبد من الخطيئة بما يلحقه من الهم والحزن او انه في الشك واليقين او انه يحاسب الكل فيغفر للمؤمن دون الكافر ويدل على عدم
المؤاخذة قوله عليه السلام ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به صدورها • آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير •
وجه الارتباط انه لما نزلت الاية الاولى قال المسلمون هلكنا وكلفنا ما لا نطيق قال النبي عليه السلام فلعلكم تقولون كما
قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فالقى الله الايمان في قلوبهم فنزل ويجوز
ان يبتداء وحينئذ يكون الضمير في كل آمن الذي ناب عنه التنوين راجعا الى كل واحد منهم وايضا قد يكون المنزل عليه وحيا
لا يعلمه غيره فيكون النبي عليه السلام مختصا بالايمان به بخلاف المتلو فانه يشترك فيه كل احد بخلاف ما لو عطف فانه يتناول النبي
وفى الاول تعظيم الرسول عليه السلام بالافراد لا سيما وايمانه عن مشاهدة وعيان كما قرأ حمزة وقراءة ابن عباس وكتابه تدل

على ارادة القرآن قوله وهو اكثر من الكتب قد حمل على ان الجنسية قايمة في وجدان الجنس لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل
تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع هذا لفظ الكشاف وقال صاحب الانوار الجنس سايغ في وجدان الجنس والجمع في جموعه
وللقايل ان يقول العبارتان وان اختلفتا لكن المقصدين متقاربان غير ان في الاول اشعارا بظاهره على ان مطلق
الجمع قد اشتمل على الجموع حيث قال فلا يدخل تحته لكنه ينبغي ان يحمل على ان ذلك باعتبار الصلاحية والبدلية لان الجمع من حيث هو
لا يتناول الجموع على سبيل الاستغراق والكلام اظهر في هذا المعنى وتمام التحقيق فيه ان هذا المعنى انما هو بحسب قصد
الواضع والمنشي للكلام والا فافراد الجمع هي جميع اسماء الاجناس وكل فرد منه دال على تلك الحقيقة غير انه لا يقدر فيها الا
باعتبار الاصناف التي تصدق عليها كما تقرر انه لا يجمع الجنس في التمييز الا اذا اريد الانواع لان الحقيقة الجنسية من حيث هي
متوحدة لكنها صالحة للاطلاق وارادة الافراد ومعنى ايمان الرسول عليه السلام بما انزل اليه انه علم بالآيات الظاهرة والمعجزات
القاهرة ان ما انزل اليه وحي من الله حق لا يحوم حوله ريب وتقديم الايمان بالله لانه ما لم يثبت ان للعالم صانعا قادرا عالما
غنيا لم يكن معرفة صدق الانبياء وتقديم الملئكة على الكتب لانهم يتلقون من الله ويوصلونها الى البشر ومثله صاحب
المفاتح بان ذات الملك كالقمر والوحي كاستنارة ولا يخفى ان ذات القمر مقدم على استنارة والرسل الذين يقتبسون
انوار الوحي من الملئكة يتأخرون في الدرجة عن الكتب وحقيقة الايمان بالله الايمان بوجوده وصفاته واحواله واحكامه
واسمائه فيعلم ان وراء الممكنات موجودا خالقا لها اما الايمان بالصفات الثبوتية فبان يعلم ان نسبة بعض الممكن
اليه كنسبته الى الباقي فوقوع بعضه على خلاف البعض يستدعي مؤثرا قادرا مختارا لا موجبا بالذات واما احكامه فبان يعلم
انها غير معللة بامر يكون كالغرض له لئلا يلزم الاستكمال وان القصد من شرعها منفعة العبد وان له ان يحكم كما يشاء وانه
لا يوجب لاحد عليه حق فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يقبح منه شيء واما الايمان بالملئكة فبان يعلم وجودها على ما هي عليها
من انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل كما ظهر جبريل في صورة دحية الكلبي وانهم معصومون مطهرون وحبوتهم بذكر الله
وطاعته وانهم وسايط بين الله والبشر وكل قسم منهم موكل على قسم من هذا العالم كما ذكر في الصافات والمرسلات
والنازعات وان كتب الله وصلت الى الانبياء بوساطتهم واما الايمان بالكتب فباعتبار كونها وحيا من الله وانها
مبراة عن مداخلة الشيطان بالقاء شيء فيها وان القرآن لم يغير ولم يبدل وانه مشتمل على المحكم والمتشابه ومعنى
لا نفرق بين احد من رسله الفرق بتصديق البعض وتكذيب البعض وحمل الاخذ على الجمع كما قال تعالى فما منكم من احد عنه
حاجزين وهو المصحح لدخول بين ورده صاحب المفاتح بانه يلزم ان لا يفرق بين الجميع ولا يلزم ان لا يفرق بين الجميع
ولا يلزم ان يفرق بين البعض كما ان اليهود لم يفرقوا بين انبيائهم وفرقوا بين محمد وغيره وينبغي ان يحمل على معنى
لا نفرق بين واحد منهم وغيره ومعنى سمعنا اجبنا قولك واطعنا اي امرك وغفرانك منصوب بفعله اي اغفر لنا
غفرانك او نطلب غفرانك وهو يناسب اليك المصير لانه يتضمن الاعتراف بالبعث وطلب الغفران لما يصدر من التقصير



لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين ◦ اي لا يكلف الله احدا الا ما يسعه قدرته ويتيسر عليه ولا يجهده والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه
وقيل هو اسم كالوجد وقيل معناه الدعاء وهو ظاهر في عدم وقوع التكليف بما لا يطاق وقد سبق انه جايز غير واقع
بالممتنع لذاته وفي الصحاح ان الكسب طلب الرزق واصل الجمع يقال كسبت واكتسبت بمعنى وكذا نقل الواحدي عن اهل
اللغة ويدل عليه ان في القرآن قد اقيم كل مقام الآخر في مواضع شتى وفي الكشاف ان الكسب يختص بالخير والاكتساب
بالشر وهو افتعال ولما كان النفس تشتهي الشر اختص به وللقايل ان يقول على ما قرره كان الاصل ان يقال الكسب
في الخير لانه يصعب على النفس فيحتاج الى تعمل وتكلف والدعاء لعدم المؤاخذة بالنسيان والخطاء مع انهما مرفوعان
بالعقل لانه تكليف ما لا يطاق والنقل للآية وقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان لسؤال عدم المؤاخذة بمقتضياتهما
من التفريط وقلة المبالاة ولهذا نصير الوسوسة سبب النسيان ويدل عليه قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
هذا وانه لا يمنع المؤاخذة بهما عقلا لا سيما والذنوب من حيث انها عصيان رب الارباب لا يبعد ان تكون مستجلبة
للغضب كالسم يقتضي الهلاك وان دفع غايلته بالترياق فكذلك سبق رحمته سبحانه غضبه يقتضي التجاوز عنهما اولا اعتدادا
بالنعمة واستدامتها مثل اهدنا ولا عبرة بقول من قال ان هؤلاء المؤمنين كانوا متقين الله حق تقاته فيكون اشعارا ببراءة
ساحتهم عما يؤاخذون به كانهم قالوا ان كان النسيان مما يؤاخذ به فلا تؤاخذنا لان الكلام في عصمة الانبياء كيف وقد قال
عليه السلام كل بني آدم خطاء وما الدليل على عصمتهم من الذنوب حتى الصغاير وكلامهم يشعر بخلافه وهو واعف عنا واغفر لنا
والاصر الثقل والشدة قال النابغة يا مانع الضيم ان تغشى سراتهم والحامل الاصر عنهم بعدما غرقوا وسمي العهد به لثقله والمعنى
لا تشدد علينا بالتكاليف كما شددت من قبلنا كاليهود كلفوا خمسين صلوة والزكوة بربع اموالهم وان يقطع الثوب من النجاسة
وانه لا يجوز العفو واذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة قال القفال من نظر في السفر الخامس من التورية رأى الاعاجيب وتكرار التشديد
للمبالغة وفي تحمل للنقل الى مفعولين والمراد بما لا طاقة لنا به العقوبات التي تصل للتفريطات او التكاليف التي لا يستطاع
والاول الشاق وفيه دليل على جواز ذلك والا لما دعوا بذلك فان قيل ما وجه السؤال بعدم العلم باستحالته وقوعه لاخبار الله سبحانه
عنها على تقدير الثاني قلنا لعلهم فهموا من قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاخبار عن عدم التكليف بما يشق فسألوا
ان لا يكلفهم بما يستحيل قيامهم ومع ذلك يعذبهم بتركه او لاظهار العبودية في الحاجة الى الله تعالى او ادامة ذلك والعفو محو الذنوب
والغفران ستره والرحمة التعطف والتفضل كانهم قالوا اللهم امح ذنوبنا باسقاط العقاب واستر علينا حتى لا نخجل فان العذاب
الروحاني اشد واذا خلصنا منهما فاعطنا الثواب من القسمين لا سيما الروحاني الذي هو التخليط بالتجليات الالهية
المسببة عن الاعراض عما سوى الحق سبحانه وهذا المسؤول يناسب التعقيب بقوله انت مولانا فانه نهاية الخضوع والتذلل

والقايل الزمخشري

والاعتراف بان كل نعمة بتحظى بها ومكرمة يفوز بدركها من الله سبحانه وبناسب جعله مقدمة سؤال النصرة فان
من حق السيد ان ينصر عبده خصوصا فى النصرة على عامة الكافرين فى المحاربة معهم والمناظرة بالحجة كيف وهى
متضمنة لان لا يعبد غير الله بازاحة غاية الكفرة الذين هم اعداء الدين واهله وانصار الشرك وحزبه ولا يبعد
ان يندرج تحت هذا العموم طلب النصرة على شياطين الجن والانس الذين يتسببون للاغواء اذ هى مجاهدة الاعداء
كما قال عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والثانى مستلزم للاول من غير عكس وفضل هذه السورة
وخواتيمها قد ورد بها الاحاديث الصحيحة قال النبى عليه السلام اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما ياتيان يوم
القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف يتحاجان عن اصحابهما اقرأوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها
حسرة فلا يستطيعها البطلة ولما اسرى برسول الله عليه السلام انتهى الى سدرة المنتهى فاعطى ثلثا اعطى الصلوات
الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمات وقال صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر
سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه اللهم اجعلنا من الفائزين بدرك ما فيهما من حقايق الآيات العاملين بما تضمنتهما من العبادات



## سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى
للناس وانزل الفرقان • الكلام فى المراد منه ما سبق فى البقرة واتفق الكل على فتح الميم سوى عاصم فانه وقف عليها كما هو
حقها فى غيرها كالف ولام والفتحة للهمزة القيت عليها وحذفت الهمزة تخفيفا والحركة قبل الهمزة يدل عليها فهو مثل واحد اثنان
باعتبار القاء حركة الهمزة على دال واحد وليست الحركة لالتقاء الساكنين لانه مغتفر فى الوقف لا يقال انهم انما لم يحركوا لالتقاء
الساكنين فى ميم لامكان النطق فى ميم عند الوقف لانه امكن ذلك فى واحد اثنان مع سقوط الهمزة كما تقول اوصيم
فتحريك الدال يدل على انها حركة الهمزة لا لالتقاء الساكنين كما ظنه سيبويه وقراءة كسر الميم لتصور ان التحريك له وقد ضعفوها
ولا يشكل بان الهمزة الوصل لا تثبت لدلالة ثباتها على ثبات محلها لما سبق انه وقف على الميم والهمزة فى حكم الثابت وبيان
الله لا اله الا هو الى قوله تعالى نزل سبق فى آية الكرسى وان الحى القيوم من اسم الله الاعظم للخبر الوارد فيه وجملة لا اله الا هو
خبر المبتداء او نصب على الحال والخبر الحى القيوم وذو الحال الضمير فى القيوم ويجوز ان يكون الجملة مثل زيد فافهم ما اقول
رجل صدق واختيار نزل فى القرآن وانزل فى الكتابين لانه نزل مدرجا وهم نزلا دفعة وسبق الفائدة فى اول البقرة،
وبالحق اى بالصدق والباء للسببية او المصاحبة وهو حال ومصدقا حال عن الضمير الذى فيه لانه مصدر فى موضع
الفاعل والمصدق خبر الانبياء او الكتب السابقة حيث اخبرت بمجيئه وجعل التورية والانجيل ماخوذين من الورى وهو قدح النار
والنجل وهو الاصل انما يتجه لو كانا عربيين لكن ما يقرأ من فتح الهمزة دليل العجمة لعدم مجئ افعيل فى كلامهم وقيد جواز اجراء الناس
على العموم بما اذا كنا متعبدين بشرع من قبلنا وللقايل ان يقول اذا لم يقيد كون كل الكتابين هدى كان فى قوة بعضهما هدى



لكل الناس وهو كذلك للاتفاق فى الاصول وحمل الفرقان على جنس الكتب الالهية ليكون تعميما بعد تخصيص الكتب الثلثة
وقيل الزبور وان حمل على القرآن فلانه صفة يراد بها مجرد الثناء والتعظيم والهدى قيل وصف الثلثة وقيل الحق وصف القرآن
والهدى لهما قال صاحب المفاتح والسبب انه هدى للمتقين والخطاب مع النصارى لكنه حق فى نفسه وحمل الفرقان على المعجزات
الدالة على صحة دعوى تلك الكتب من عند الله روى ان صدر السورة الى بضع وثمانين آية نزل بسبب ان وفد نجران قدموا
على رسول الله عليه السلام فى ستين راكبا فيهم جماعة من اشرافهم فيهم العاقب اميرهم والسيد ثمالهم وابو حارثة اسقفهم
وصاحب مدارسهم وكان من كبار علمائهم وكان قد اشير الى اخيه كرز بانه النبى المبشر به وانه لا يمنعه من اتباعه الا فوات ماله
من ملوكهم وكان فى نفس اخيه الى ان اسلم وكان بعد صلوة العصر ودخل وقت صلوتهم فصلوا فى المسجد الى المشرق فقال عليه السلام
دعوهم وقال للسيد والعاقب اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب
واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون
ولد الا وهو يشبه والده قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى ياتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا
لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون انه حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى
الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فنزل وفى ذكر الحى والقيوم دلالة على
ابطال قولهم اذ فيه بيان انه واجب الوجود وان ما عداه ممكن لذاته محدث حصل بتكوينه وتخليقه • ان الذين كفروا بآيات الله
لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام • الآيات المنزلة تشمل الكتب وغيرها من الدلالات والكافرون يعم وفد نجران
وغيرهم لان النظر الى عموم اللفظ وتعليل وصف العذاب بالشدة لان الكفر بعد قيام الدليل على نقيضه اقبح ووصف الحق ذاته
بالعزة لتحقق التعذيب لانه لا يمنع عنه والانتقام من نقم بالفتح والكسر والنقمة عقوبة المجرم وقيل نقم انكر وانتقم عاقب
والتنكير للتعظيم اى لا يقدر على مثله غيره والاول صفة الذات والثانى صفة الفعل • ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى
السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم • وجه الارتباط ان اثبات الحيية والقيومية يتوقف
على كمال العلم والقدرة والى الاول اشار بقوله ان الله لا يخفى والى الثانى بقوله هو الذى يصوركم او انه وعيد جئ به لتقرير التوحيد
وبيان ما هو الاصل فى اثبات النبوة ويحتمل بالنظر الى مخاطبة النصارى ان يكون لابطال دعوى الالوهية لعيسى عليه السلام
وما انتفى الخفاء جميع المعلومات كليها وجزئيها على الوجه الجزئى غير ان تقييد الارض والسماء بالذكر لان الحس لا يدرك غيرهما
وما فيهما وصورة التركيب للترقى من الادنى الى الاعلى ولان الاهم العلم بما فعلوه فى الارض واثبات علمه سبحانه لا يكون بالسمع
للزوم الدور فهو بالعقل كما سبق من كون افعاله متقنة فيكون ذكر التصوير كذكر البرهان عليه والتصوير جعل الشئ على هيئة
حاصل عند ايقاع التاليف بين اجزائه من صاره اذا اماله فهيئة الولد مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع رحم واصلها من الرحمة

لان الاشتراك فی الرحم یوجب الرحمة والعطف وکیف یشاء ای من الصور المختلفة وقرئ تصوّرکم ای صورکم لنفسه وعبادته
نحو اثلث مالا اذا جعلته اثلة ای اصلا وتأثلة اذا اثلثه لنفسک فاذا لم یعلم جملة ما یعلمه الحق سبحانه ولا یقدر علی مثل فعله صح انه
لا اله الا هو ویکون العزیز الغالب علی کل شیء المتناهی حکمة غایتها. هو الذی انزل علیک الکتاب منه آیات محکمات هن ام الکتاب
واخر متشابهات. لما وصف الحق سبحانه نفسه بالصفات المتقدمة وکان فی الکتاب علی ذلک ادلة شتی ارشده الیه ثانیا
وایضا القیوم شدید القیام بمصالح العباد جسمانیة کانت او روحانیة فالاولی التصویر والتعدیل والثانیة انزال الکتب
واصل المحکم القوی ومنه بناء محکم والمتشابه المتوافق ومنه واتوا به متشابها وفی الاصطلاح المحفوظ عن الاجمال والمتشابه
مقابله بان لا یتضح لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالنظر وقیل المحکم ما لا یکرر والمتشابه بازائه وقیل ما یعلم معناه مثل مثقال ذرة
وما لا یعلم کدابة الارض وقیل ما لا یعلم معناه الا بالله وفی عرف الاصول المشترک بین النص وهو الذی لا یحتمل غیر معنی والظاهر
الذی هو الراجح والمتشابه المشترک بین المجمل والمؤول وقیل الناسخ والمنسوخ وقیل ما لا یحتمل الا وجها واحدا والمتشابه خلافه
وکل احد من اصحاب المذاهب یدعی ان الموافق لمذهبه محکم کما ذهب المعتزلة الی ان المحکمات التی هی ام الکتاب او اصله ولهذا
لم یجمع مثل لا تدرکه الابصار والمتشابه مثل الی ربها ناظرة ولا یخفی انه یمکن ان یعارض بالمثل فیجعل الاول متشابها والثانی
محکما لکنه سیاتی فاما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ما تشابه منه فان قیل قد ورد فی وصف القرآن ان کله محکم قال الله احکمت آیاته
وان کله متشابها کتابا متشابها وان بعضه محکم وبعضه متشابه فما وجه الجمع قلنا اذا اختلف معنی المحکم والمتشابه واخرجع
اخری منع من الصرف للوصف والعدل ولا یلزم من کونه معدولا عن الآخر ان یکون معرفة لان المراد بذلک ان حقه ان یعرف
ولم یعرف لا انه معرفة او معدول من آخر منه لانه من جملة الاستعمالات افعل التفضیل کالمحفوظ عن خلل فی المعنی او استعمال
رکیک والمشتبه بعضه بعضا فی توافق المعنی وبلاغة اللفظ لم یشکل وکذا ان اتحد ویمنع ارادة الکل اما لان اللفظ لیس بصریح
او دخله التخصیص بمخصصات من الکتاب وعدم ورود الکل محکمات لفواید التدبر والتفکر فیها واستنباط المراد منها باتعاب
القرایح والاثابة علیها وانکشاف غوامض لم یظهر الا بتدقیق النظر وظهور مراتب العلماء بذلک وازدیاد الحرص علی النظر فیه
لان الانسان شدید الاعتناء بدرک المشکلات دون الواضحات. فاما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأویله وما یعلم تأویله الا الله والراسخون فی العلم یقولون آمنا به کل من عند ربنا وما یذکر الا اولوا الالباب.
الزیغ المیل عن الحق ثم قیل المراد وفد نجران قالوا حسبنا کلمة الله وروح منه وقیل الیهود فی استخراج مدة بقاء
العالم وقیل منکروا البعث وقیل المبتدعة کالمعتزلة تمسکوا بما یقتضی تفویض الفعل الی العبد ویحتمل ان یقال
والمرجئة بالعکس والحق ان ینظر الی عموم اللفظ لا الی خصوص الواقعة والفتنة اصلها الاشتهار والعلو یقال
مفتون بحب الدنیا والمراد ایقاع الاختلاف فی الدین المقتضی الی الهرج والمرج وتقریر البدعة والباطل وذلک
لتعلقهم بظاهره او تأویل باطل علی ما یدعون والداعی الی اتباع المتشابه ابتغاء الامرین او علی التعاقب قال صاحب

والمؤول

قاله صاحب الانوار وقال الاول یناسب المعاند والثانی الجاهل ولا یعلم التأویل الحق الذی یتعین الحمل علیه الا الله
والثابتون فی العلم المتمکنون فیه عند من یقف علی المعلم ونقل عن ابن عباس وان نقل عنه خلافه وعن مجاهد والربیع
ابن انس واکثر المتکلمین والاصولیین علیه ونقل عن الجمهور وعن بعض المعتزلة لزوم الوقف علی الا الله وقد روی
عن ابن عباس والحسن ومالک بن انس واختاره صاحب المفاتیح واستدل بانه لا بد من الاعتراف بالعجز عن البعض فی الجملة
وهذا یتجه اذا فسر المتشابه بمدة بقاء الدنیا وخواص الاعداد والزبانیة او ما دل القاطع علی عدم جواز ارادة الظاهر من غیر
بیان المراد وان الحال ینبغی ان یکون من المعطوف والمعطوف علیه وللاولین ان یقولوا انما یلزم عند الالتباس وهذا جائز
ویعقوب نافلة وفی بعض المصاحف ویقول الراسخون ولهم ان یقولوا کیف یعارض الاحاد التواتر وانه لو کان
فی الکتاب ما لا یعلم کان منافیا لوصفه بالبیان لانه یکون کخطاب العربی بالزنجی وللقایل ان یقول یمکن ان یقال اذا حمل
التأویل علی معنی آخر سوی ما یدل علیه ظاهر اللفظ کما قال علیه السلام لکل آیة ظهر وبطن یرتفع النزاع فانه لا یلزم من عدم معرفة
عدم معرفة ظاهر اللفظ فان عدم العلم بخاصیة اعداد الزبانیة مثلا لا ینافی معرفة ما هو الظاهر غیر انه اذا لم یکن حمله علی ظاهره
لزم حمله علی معنی لایق من نحو مجاز وتخصیص فمن وقف علی العلم ابتدأ بالراسخین والا کان یقولون حالا عنهم او استینافا
یوضح حالهم ومعنی کل کل واحد من المحکم والمتشابه وزیادة عند لزیادة التوضیح فانه محل الابهام وما یذکر یتضمن مدح
الراسخین بجودة القریحة وحسن النظر وعرفهم صاحب المفاتیح بالعالمین بذات الله وصفاته وان القرآن کلام الله بالدلائل
الیقینیة واذا عرفوا ما علم ان المراد غیر ظاهره علم قطعا ان المراد غیر ظاهره. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هدیتنا وهب لنا من
لدنک رحمة انک انت الوهاب. ای یقول الراسخون ربنا لا تمل قلوبنا عن اتباع الحق الی اختیارنا المتشابه وحمله علی وجه
لا یطابق الحق قال علیه السلام قلوب بنی آدم بین اصبعین من اصابع الرحمن یقلبها کیف یشاء وهو تمثیل لکمال التمکن
من التصرف کما یقال الملک بین اصبعی فلان وقیل لا تتعبدنا بما یزیغ قلوبنا او لا تبتلنا ببلایا تکون سبب الزیغ وقیل
احرسنا من الشیطان وقیل لا تزغه بالجنون عن العقل او لا تمنعها الالطاف وکل ذلک لاضطراب المعتزلة فی اسناد الزیغ
الی الله تعالی وقد سبق الجواب فی ختم الله ونحوه والهدایة درک الحق او الایمان بالمحکم والمتشابه ومحل اذ جر باضافة بعد الیه
ان یکن بمعنی ان والرحمة المستولیة ما یقرب الی الله تعالی او یستر بها الذنوب او یثبت بها العبد علی الصراط المستقیم
وتعقیب ذلک بالوهاب مصدرا بان الاشعار بانه معطی کل سؤل فکانه قال وان کان عظیما عندی فحقیر عندک وکانهم لما طلبوا
تطهیر القلب عما لا ینبغی عقبوه بما یحلی به من انوار الهدایة وفی ذکر الهبة دلیل علی انه متفضل بجمیع ما یعطی العبد وان الهدی
والضلال من الله تعالی. ربنا انک جامع الناس لیوم لا ریب فیه ان الله لا یخلف المیعاد. ای انک حاشرهم لاجل حساب یوم
لا شک فی وقوعه وهو من کلام الراسخین بینوا بذلک ان غرضهم من السؤال امر الاخرة فکانهم قالوا من زاغ قلبه بقی هناک
فی العذاب ومن وفق للهدایة بقی فی النعیم المقیم ابد الآباد وان الله لا یخلف المیعاد من کلام الله لانه لو کان من کلامهم

لقالوا انك وآن حمل على العدول عن الغيبة الى الحضور فيكون ذكر الله هنا وفي آخر السورة بالخطاب لان هذا المقام
مقام الهيبة حيث جرى ذكر الحشر وثمه مقام طلب العبد النعمة من الله وجواب الجبائى حيث تعلق بالوعيد ان عذاب الفاسق
مشروط بعدم العفو كما هو مشروط بعدم التوبة عندك توفيقا بين الدلايل • ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار • بيان لحال يوم الجمع وحمل الكافرين على العموم اولى من ارادة وفد نجران نظرا
الى ما خاف ابو حارثة من زوال حظه من الملوك او اليهود او المشركين لعموم الحكم وكثرة الفائدة اى لن تغنى عنهم من رحمة الله
او طاعته او من للبدل اى بدل رحمته مثل ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه حظه بدل طاعتك ومن لابتداء الغاية وقيل بمعنى عند
وشيئا مفعول به او صفة المصدر وتخصيص الاموال والاولاد لان المضار بهما تدفع والوقود ما يوقد به النار اى يشعل النار
بهم اشتعالها فى الحطب اليابس وهو النهاية فى العذاب وقرأ بالضم اى اهل وقودها • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب • يقال دأبت الشئ اداب دأبا ودابا ودؤوبا اذا اجتهدت فى
العمل ونقل الى الشان ودأب فلان عادة من اطلاق الخاص على العام وهو متصل بما قبله اى لا تغنى الاموال والاولاد عنهم
وعن غيرهم او يوقد بهم كما يوقد بالآخرين وآن استونف به فمرفوع المحل اذ التقدير دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم فى تكذيب
الرسل ويجوز النصب بلن تغنى او بالوقود والعطف فى الذين اظهر من الاستيناف وكذبوا ان حمل على الحال فباضمار قد
وآن استونف به فجواب من سال عن حالهم ومعنى الاخذ ان من عوقب كان كالماسور الذى لا يتخلص وذكر شدة العقاب تهويل
لحال من هذا دأبه • قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد • كالتتمة لكونه شديد العقاب والمقول لهم
مشركوا مكة الذين علم منهم انهم يموتون على الكفر فانهم غلبوا يوم بدر او اليهود غلبوا بالقتل كما فى قتل قريظة واجلا بنى النضير
وقيل خيبر وضرب الجزية وقد قصدوا الاتباع بعد بدر فتوقفوا الى وقعة اخرى فحذرهم النبى عليه السلام ما نزل بالمشركين
فقالوا لا تغرنك انك لقيت قوما لم يجربوا الامور فاصبت منهم فرصة لو قاتلتنا لعلمت انا الناس الموصوفون بالشجاعة
فنزلت وقرى بالتاء والياء والفرق ان المنقوطة من فوق تدل ان الامر متوجه الى ايصال معنى هذا اللفظ اليهم وفى التحتانى
ايصال اللفظ دون المعنى اعنى قول سيغلبون ويحشرون فهو مثل قل للمؤمنين يغضوا والآية من المعجزات لوقوع المخبر عنه
كما اخبر وآن الحشر دخولهم النار كما يأن والمهاد الموضع الذى يتمهد وينام عليه كالفراش • قد كان لكم آية فى فئتين
التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة
لاولى الابصار • الآية غلبة الكفار وقيل تقليلهم فى اعينهم الفئة الجماعة والمراد اهل بدر والمشركون قيل الخطاب
للكفار قريش وقيل لليهود وقيل للمؤمنين ويحتمل ان يكون للكل غير ان الارتباط اذا اريد به اليهود هو انهم ادعوا
ان القتال معهم يقتضى غلبتهم فسبق انهم سيغلبون ودليله قضية بدر وآن اريد المشركون فمع قوله ان الذين كفروا
ومع المؤمنين تحقيق بالوعد فى ستغلبون ولا مانع من ارادة الكل والالتقاء يوم بدر والمقاتلة فى سبيل الله المؤمنون

والفئة

والفيئة الاخرى الكافرة يرون المؤمنين مثليهم والكفار قريب الف او مثلى عدد المسلمين وهو ثلثمائة وبضعة عشر
وذلك بعد ان قللهم الله فى اعينهم حتى اقدموا على قتالهم فلما لاقوا كثروا فى اعينهم وهو امداد للمسلمين حتى غلبوهم فلا منافاة
بينه وبين ما فى الانفال لاختلاف الحالين وهو ابلغ فى القدرة او ضمير الرائين للمؤمنين فالمعنى يرى المؤمنون المشركين
مثلى انفسهم وكانوا قريبا من ثلثة امثالهم لئلا ينهزموا لوعد النصر حيث لم يزد عددهم على الضعف وقرى بالتاء وما يقرأ
بهما مع بناء المفعول فمعناه يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالنصب على الحال من فاعل التقتا او الاختصاص والجر
على بدل البعض من فئتين ورأى العين من الرؤية اى رؤية ظاهرة معاينة وقيل من رؤية القلب ومثليهم المفعول الثانى
اى رؤية مثل رؤية العين فحذفا والتأييد التقوية من الايد والآد ونصره عونه وحجته كما ايد اهل بدر والاشارة الى التقليل
والتكثير او غلبة الضعيف فالمراد ان فى المذكور لعظة واصل العبرة ما يعبر به من الجهل الى العلم ومنه العبارة لعبورها الى المخاطب
لمن له ادراك عقلى او ابصار بالعين • زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب • لعل وجه المناسبة انه لما كان
الجهاد مظنة حصول الاموال ذكر ذلك ليكون النظر الى ما عند الله من حسن المآب وقيل للاشارة الى قضية الاخوين من النصارى
واصل التزيين جعل الشئ مقبولا عند الطبع اى حسنا وقيل حبب والاكثر على ان المزين هو الله تعالى لقوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها والاستدلال بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم بعيد وان المزين للشر مذهب المعتزلة والقاضى غير ان القاضى
قال المزين للواجب والمندوب هو الله تعالى ولم يذكر المباح ولم يتعرض صاحب المفاتيح بل قال كان ينبغى ان يذكره ويحتمل ان يقال
ذاك معلوم من الادلة السابقة انه من الله تعالى وآن لم يتعرض له ويقال لهم فمن الذى زين الكفر للشيطان ان كان شيطانا آخر
وهلم جرا التسلسل وان كان من نفسه ففى الانسان كذلك ولا دلالة فى الآية للفريقين غير ان البرهان على انه سبحانه خالق الافعال
قد سبق غير مرة فالتزيين اما ابتلاء او انه وسيلة الى ان يقال بها الاخرة وكيف ومنها يقال النوع وسميت المشتهيات شهوات
مبالغة وللاشارة الى انهم يحبون شهوتها والحب غير الشهوة للاضافة لقوله احببت حب الخير والبنين قيل يجوز دخول
البنات فيهم على التغليب والقناطير جمع قنطار فعلال او فنعال ماخوذ من عقد الشئ واحكامه قيل الف ومائتا دينار
وقيل مائة الف وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل مسك ثور والاولى ما قيل انه مال كثير لانه المشتركة بينها والمقنطرة المضاعفة
وهى كالف مؤلفة والذهب من الذهاب والفضة من الفض وهو التفرق وتقديم النساء لان الميل بهن اكثر والشهوة بهن اتم والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المطهمة وهى تمام الخلقة التى بلغت غاية الحسن او الراعية من اسام
الدابة والانعام الابل والبقر والغنم وقيل الاصل الابل وذلك اشارة الى المتقدم ذكره والمآب المرجع وفيه تحريض على ان العاقل
ينبغى ان يختار ما عنده لانها لذات ابدية وانما يحتاج الى هذا التحريض لان ميل الكل فى اعم الاحوال الى المذكورات حاصل ولهذا
اتى بالجمع المحلى بخلاف الميل الى اللذات الروحانية فانه لا يتفق الا نادرا والمآب وآن شمل النار لكن الوصف بالحسن لان الجنة

هى المقصودة بالذات وفيه اشارة الى سبق الرحمة الغضب • قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد • لعل وجه الارتباط بيان حسن المآب فانه استيناف
يبين الخيرية وهو ادل على المقصود وتعلق اللام بخير يقتضى اختصاص المتقين بهم لانهم المنتفعون به ورفع جنات على خبر محذوف
ويؤيده قراءة جنات بالجر بدلا من خير باعتبار انه المقصود فكانه قال انبئكم بجنات فيكون بين المبتدا والخبر اتحاد من وجه
وتغاير من آخر وهو شان المبتدا والخبر فان قيل ما وجه تخصيص الازواج دون غيرهن قلنا لما سبق ان الميل اليهن اعظم من سائر
الشهوات ولذلك قدمهن فى الآية الاولى وضم الراء فى رضوان لغة قيس وتميم كا قرئ وحمل الرضوان على اللذة الروحانية التى
هى التجليات الالوهانية وكونه سبحانه بصيرا بالعباد بيان كون ما اعد للمتقين من الجنات والنعيم على وفق الحكمة ويستلزم التهديد
لمخالفتهم • الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • صفة للمتقين اما مجرورة او مرفوعة او منصوبة مدحا لهم او بدل من الذين اتقوا وللعباد
وتعقيب ادعاء الايمان لطلب المغفرة مع تاخير تلك الاوصاف عنه دليل على ان الايمان بمعنى التصديق الخاص كاف فى حصول المغفرة
وتوسيط الواو للدلالة على كمالهم فى كل منها فان قيل فاذا كان القائلون هم الموصوفون بهذه الصفات لم يكن طلب المغفرة
ممن اتصف بمجرد الايمان قلنا الكلام فى دلالة الترتيب لا غير وتخصيص الاسحار لانهم كانوا يصلون اول الليل فاذا اسحروا
دعوا فيكون كان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وايضا العبادة اشق والنفس اصفى والقلب اجمع وذكر صاحب الانوار
انه حصر لمقامات السالك لان معاملته مع الله اما توسل او طلب والاول اما بمنع النفس عن الرذايل وحبسها على الفضايل والصبر
يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق او فعلى وهو القنوت الذى هو دوام الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير
واما الطلب فهو الاستغفار ومن جملة اسباب تخصيص السحر ما قال صاحب المفاتح انه وقت تزول فيه الظلمة الشاملة بنور الصبح
كان الاموات يحيون فهو وقت الجود العام فلا يبعد عند طلوع صبح العالم الكبير ان يطلع صبح العالم الصغير وهو الانسان وهو ظهور
نور جلال الله فى القلب ويحتمل ان يقال السبب تدارك ما طرا عليه من الغفلة التى لم مدخل فى حصولها ولو بالنوم الذى هو سبب عن البخارات
المتولدة من تناول الاغذية ولو فى بعض آناء الليل فيكون على طريقة وانه ليغان على قلبى فاستغفر الله الخبر • شهد الله انه
لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم • وجه الارتباط انه كالدليل على مدح المؤمنين حيث آمنوا
للادلة الدالة على وجود الصانع واطلاق الشهادة على بيان الوحدانية بآيات الانفس والآفاق على اوضح البيان والناطقة
بتقريرها فى آيات القرآن على سبيل التجوز بعلاقة التشبيه وكذا التعبير عن اقرار الملئكة بها وايمان اولى العلم بها والاحتجاج
عليها واولوا العلم قيل الانبياء وقيل العلماء وقيل المؤمنون وعطفهم على الملئكة لاختلافهم فان الملئكة موصوفون بالعلم باسرهم
والناس عالم وجاهل وقيل سبب النزول ان حبرين من الشام لما ابصرا المدينة قال احدهما للآخر ما اشبهها بمدينة نبى آخر الزمان فلما دخلا
على النبى صلى الله عليه وسلم قالا انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال نعم وسالاه عن اعظم شهادة فى كتاب الله وعلقا الايمان باخباره



فنزلت فاسلما القسط العدل اى بين الوحدانية حال كونه مقيما للعدل فى التدابير من الارزاق والاجال وغيرها وهى حال مؤكدة
من فاعل شهد فلم يشترط ان يكون عن جملة اسمية مثل هو الحق مصدقا غير انه رجح ان يكون عن هو فى لا اله الا هو لانه يكون قد ادخل
قيامه بالقسط تحت حكم شهادة الملائكة واولى العلم وكذا فى نصب المدح والصفة اذ المعنى شهد الله والمذكورون بالوحدانية
والقيام بالعدل ولقايل ان يقول الاول اولى لان الاصل فى الحال ان يكون عاملها الفعل او شبهه او معناه والاصل فى العمل
الفعل وحيث علم اختصاصه سبحانه بقيامه بالعدل جاز افراده بالحال دون المعطوفين كنافلة حيث يعلم انه ليعقوب دون اسحق
وان نصب على المدح جاز وان كان نكرة لورود ويأوى الى بنوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى فى العكس وجوز ان يكون
صفة للمنفى ولم يجعل الفصل قادحا ويقرأ قيما والقايم وهو بدل او خبر محذوف والوصف بالعزة يقرر امر الوحدانية لان المنفرد
بالوحدانية يستحيل عليه المغلوبية والحكيم مقرر للقيام بالعدل لان مقتضى الحكمة صدور التقرير والتدبير على وجه التسوية وهكذا
التدبيرات الالهية وهما مرفوعان على البدل من الضمير او صفة لله وتقديم العزة على الحكمة لانه يستدل بالقدرة على الحكمة والعزة
كالمستلزمة للقدرة والمراد باولى العلم العارفون بالوحدانية بالدلايل القاطعة لان قبول الشهادة يتوقف على علم الشاهد فان قيل
استعمال شهد بارادة هذه المعانى من اى قبيل هل هو من باب استعمال المشترك فى معانيه الغير المتضادة ام فى الحقيقة والمجاز
ام امر آخر قلنا الكل محتمل وقد ذهب الى كل واحد طائفة من المحققين والاولى ان يحمل على القدر المشترك وهو اما الاخبار المقرون بالعلم
وهو حاصل للكل او الاظهار والبيان • ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب • وجه الربط انه تحقيق للوحدانية وذلك لان اهل الكتاب افتخروا بأديانهم
وهم مشركون فبين ان دين الاسلام هو الدين المرتضى واصله الجزاء استعمل للطاعة لانها سببه وقرئ ان بالفتح ولا يحمل على
بدل الكل الا اذا جعل الاسلام الايمان ومن قال به قال لانه لو لم يكن الايمان الاسلام لما قبل من مبتغيه والمانع قال قال تعالى
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا نعم اذا كان الاسلام الانقياد فالمنافقون كانوا منقادين وايضا كانوا مؤمنين فى الظاهر فقال تع
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فالتقدير لن يؤمنوا بالقلب وفى الباطن وان حمل الدين على الشريعة فهو بدل الاشتمال وفتح ان
وكسرها حملا على تاويل شهد بعلم وقال قال الزمخشرى فايدة ارادفه الكلام الاول الايذان بان من ذهب الى التشبيه او ما يؤدى اليه
كاجازة الرؤية او الجبر لم يكن على دين الله الذى هو الاسلام وهذا بين جلى كما ترى فقال صاحب المفاتح قد كان ذلك المسكين بعيدا
عن معرفة هذه الاشياء الا انه فضولى كثير الخوض فيما لا يعرف فزعم دلالة الآية على هذين الامرين والعجب ان اكابر المعتزلة وعظماءهم
افنوا اعمارهم فى طلب الدليل على انه لو كان مرئيا لكان جسما وما وجدوا ما سوى الرجوع الى الشاهد من غير جامع عقلى قاطع فهذا المسكين
ما شم رائحة العلم من اين وجد ذلك واما حديث الجبر فالخوض فيه من ذلك المسكين خوض فيما لا يعنيه لانه لما اعترف بان الله
عالم بجميع الجزئيات واعترف بان العبد لا يمكنه ان يقلب علم الله جهلا فقد اعترف بهذا الجبر فاين هو والخوض فى امثال هذه المباحث
وانما بالغ فى تجهيله لانه كلما تكلم فى اصول الدين والمباحث المعقولة علم من كلامه انه قليل البضاعة فيها جدا وهى المراد بالعلم الذى

القول على الزمخشرى بانه فضولى

لم يشم رايحة والآمكلامه فى العربية متين لاسيما وهو اكثره على سبيل النقل وقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اشارة
الى اليهود والنصارى لانهم كانوا متنازعين او جميع ارباب الكتب المتقدمة وذلك بان انكر بعضهم وهم الاكثرون حقية الاسلام
وقال بعضهم بحقيته مطلقا هذا اذا كان المراد بالمختلف فيه الاسلام او امر النبى عليه السلام فان اريد التوحيد فالظاهر اليهود
والنصارى لنسبتهم الالوهية الى عزير والمسيح وهذا بعد ما جاءهم العلم بحقية الامرين ومن لم يأته وقد تمكن منه كان كالعالم
لان قيام الدليل الواضح كحصول المدلول وبغيا منصوب بالعلة لاختلف اى لم يكن الاختلاف لتردد فى حقيته بل للحسد
وطلب الرياسة وقيل بغيا مقدم على الامن بعد وقيل نصب على المصدر وقيل بتقدير اختلفوا وسرعة الحساب سرعة المجازاة
او المحاسبة فينتقم من الكافرين فهو تهديد • فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد • اى ان جادلوك وخاصموك والظاهر
ان المراد المختلفون لكن نقل ان الجمهور على انهم نصارى نجران والمعنى اخلصت نفسى وعلى وخص الوجه لانه اشرف اى لم اقصد
بعبادتى غير الله لا اشرك به شيئا وساغ ومن اتبعن عطفه على الضمير المرفوع للفصل وهم المؤمنون كانه قال دينى التوحيد وهو الدين المعلوم
حقيقته فى العهود الخالية فحاصل المعنى انا بالغنا فى ايضاح الدلايل فان وافقتمونا فقد اهتديتم والا فالله بالمرصاد ويجوز ان يكون
محاجة واظهار دليل لانهم كانوا مقرين بالصانع غير ان اليهود والنصارى والمشركين اثبتوا الالوهية لغير الله فقال من زعم
ذلك فعليه البيان اما انا فلا ادعى الا المتفق عليه والاميون العرب الذين لا كتاب لهم وهو دليل عموم البعثة ومعنى أأسلمتم
انه قد قام البرهان على وجوب الاسلام والاذعان للحق فهل اسلمتم وهذا كما يقال لمن بولغ معه فى التفهيم هل فهمت اى لا ينبغى
ان لا يفهم ولهذا قيل استفهام بمعنى الامر وحمل عليه فهل انتم منتهون وفيه تعيير بالعناد وقلة الانصاف فان اطاعوك ووافقوا
على الاسلام فقد اصابوا الرشد وانتفعوا بنظرهم وان اعرضوا عن الاسلام لن يضرك شىء اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت
واوضحت السبيل وفى كونه سبحانه بصيرا وعد ووعيد للفريقين بالمجازاة • ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين • هذا حال بعض من تولى وحمل على آيات القرآن نظرا الى المعهود السابق لكنه يستلزم الكفر بالجميع ويقرء
يقتلون بالمبالغة ويقاتلون روى انه سأل ابو عبيدة الجراح عن اشد الناس عذابا فقال النبى عليه السلام رجل قتل نبيا
او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر وقرء هذه الاية ثم قال يا عبيدة قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة
واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر
النهار فى ذلك اليوم وان اريد من فى عهد النبى عليه السلام فلانه طريقة اسلافهم وهم حول قتل محمد عليه السلام وقد سموه وهم على
دينهم ولفظ المستقبل لانهم داوموا عليه وبغير الحق اى زعمهم ايضا ودخول ان لما لم تغير معنى الابتداء صح دخول الفاء فى الخبر
لتضمن الموصول معنى الشرط بخلاف ليت ولعل لافادتهما الانشاء وانذار هؤلاء يقوم مقام بشارة المحسن بالنعيم وحبوط

وحبوط محاسن اعمالهم فى الدنيا ليبدل المدح بالذم وفى الاخرة بعدم الثواب وما لهم من يدفع عنهم العذاب
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون • هذا ايضا
حال اليهود فان النبى عليه السلام لما دعاهم الى الاسلام قال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت قال على ملة
ابراهيم قالا ان ابراهيم يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل فى كتمانهم آية الرجم وان اريد القرآن
فلانهم كانوا عالمين بانه كتاب الله وثم لاستبعاد توليهم بعد قيام الدليل على وجوب اتباعه او ايات نبوته فيها وما يقرار
بالمجهول فالمعنى به الاختلاف الواقع بينهم اعنى من اسلم منهم ومن لم يسلم وقد دعوا الى كتاب الله لرفع الاختلاف والمتولى منهم
اى من لم يسلم واضافة الحكم الى الكتاب علاقة السببية او التشبيه والجملة الاسمية تفيد بيان ان اليهود شانهم الاعراض
ووقوعها حالا عن الفريق يسوغه الوصف بالظرف والاشارة الى المتولى اى بسببه اعتقادهم الفاسد كما سبق فى البقرة انهم
لن تمسهم النار الا اربعين يوما او سبعة ايام وغرورهم بان آباءهم تشفع لهم او اقرارهم قلة العذاب من غير مستند كالافترى المعتزلة
على الله ورسوله خلود صاحب الكبيرة وعدم الشفاعة الثابتة بالكتاب الالهى والكلام النبوى • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • اى على اى وجه يكون حالهم وهو استعظام لعذابهم فهو رد لقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة وعدم التعيين ابلغ لتصور جميع انواع العذاب روى ان اول راية ترفع من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ولعله كناية عن تشهيرهم وتشبيه حالهم بحال من يتميز برفع علمه عن غيره
فان قيل ما فايدة نفى الريب دون بيان ما يحيق بهم فيه قلنا لعل ذلك لقصد المبالغة فان تحقيق اليوم تحقيق لمجى انواع العذاب على سبيل
الاستلزام المستفاد من الدلايل من غير عكس وانما قال اليوم دون فى يوم لان المراد لجزاء او حساب يوم فحذف المضاف لدلالة اللام
عليه ومعنى وفيت انه يوفى كل نفس جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان المؤمن يجد فايدة عمله وذلك بان لا يخلد فى النار لانه لا يجزى
قبل دخولها فيكون بعد الخروج منها فهو حجة على المعتزلة وجمع الضمير لدلالة كل نفس عليه • قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير • اصل اللهم يا الله ولهذا لم تجمع مع الميم
وهو من خواصه كالجمع بينه وبين لام التعريف حيث صار جزءا منه وباء القسم ومالك منصوب على النداء لا نعت اللهم
لان المجموع غير موصوف والملك الجنس فيندرج فيه ما قيل الدنيا والآخرة والعباد وما ملكوه والنبوة والجنة فان قيل
ما فايدة العدول عن الملك الى المالك مع ذكر الملك وهو ابلغ لما سبق قلنا لعل ذلك لكونه ابلغ لانه يكون جميع اصناف
الملك بالنسبة اليه كاعيان مملوكة يتصرف فيها كما يتصرف الملاك فى الاعيان المملوكة وفيه اشعار بان تصرفه فى الملك باعتبار
الحقية كالمالك فى ملكه لا سيما وفى ملك الملك نوع تكرير والمراد بايتاء الملك اعنى اعطاه ملك النبوة والرسالة لنفاذ
امر الرسول فى الظاهر والباطن فى المرسل اليه فهو اعظم ويكون بالنزع النزع عن نسله كما نزع من اولاد يعقوب الى ولد
اسماعيل وان حمل على ما يسمى ملكا من تكثير المال والجاه والامر والنهى والهيبة وان يكون مطاعا فلا اشكال روى انه

روى انه لما شرعوا فى حفر الخندق ظهرت صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيه المعاول فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول من يد
سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء اضاء ما بين لابتيها اى جانبى المدينة لكان مصباحا فى جوف بيت
مظلم فكبر وكبر المسلمين وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة يعنى ارض المداين كانها انياب الكلاب اى فى علوها وبياضها
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فجعلها كالتراب وقال اضاءت لى قصور
صنعاء واخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم انه
يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فرد الله عليهم الاستبعاد
بالآية وقيل كان الوعد بملك فارس والروم عند فتح مكة واستبعاد المنافقين ذلك واولى ما يفسر به الاعزاز هو بالايمان
والمعرفة والذل بالكفر والمعصية واللام فى الخير للعموم وافضل الخيرات الايمان بالله وهو بيد الله فهو من تخليقه لا من تخليق العبد
والاستدلال فى عدم ذكر الشر لان معنى الآية ان الخير بيده لا بيد غيره كقوله لكم دينكم ولا يلزم منه ان يكون غير
الخير بيد غيره الا انه خص الخير لانه المنتفع به وايضا الكلام فيه باعتبار القصة وكونه قادرا على كل شئ كالبرهان على ما سبق وكذا
قوله • تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب •
فانه بيان لتعظيم قدرته باحداث اسباب تعاقب احدهما الآخر وكذا اخراج الحى من الميت والميت من الحى فان سبب
حصول هذه الامور كونها ممكنة وشمول القدرة الالهية لها فلا فرق بينها وبين ايتاء الملك ونزعه والاعزاز والاذلال
وكذا التخصيص من اراد بانواع الرزق وقيل معنى ايلاج الليل فى النهار ان يجعل الليل قصيرا ويزيد ذلك القدر فى النهار
وبالعكس وقوام العالم ونظامه بذلك وقيل ان يأتى بالليل فيلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار وبالعكس
واصل الولوج الدخول فى الشئ والايلاج الادخال وقيل فى بمعنى على والميت والميت سواء على الارجح ولهذا قيل انما الميت
ميت الاحياء واخراج الحى من الميت باخراج المؤمن من الكافر او الطيب من الخبيث او الحيوان من النطفة او السنبلة من الحبة
وبالعكس وقيل باحتمال الكل اذ لكل نظير فى الكتاب كقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به
الارض فان قيل اى الوجوه اقوى قلنا لعل الاخير افيد لانه اشمل فان قيل فيلزم استعمال لفظة الحيوة والموت فى الحقيقة والمجاز
ان لم يكن اشتراك قلنا ولم لا يجوز ارادة القدر المشترك • لا يتخذ المؤمنين الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل
ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير • وجه الارتباط انه لما قرر ان ايتاء
الملك والاعزاز من الله لا ينبغى ان يستظهر باعداء الله فى النصرة كما قيل انه نزل فى عبادة بن صامت حيث استأذن رسول الله
ان يخرج معه خمسمائة من اليهود للاستظهار بالعدو يوم الاحزاب او من كان يباطن اليهود من الكافرين كابن ابى رجا
استظهارهم وقيل فى المسلمين كان اليهود يباطنونهم ليفتنوهم عن دينهم فنهاهم بقية المسلمين فلم ينتهوا واذا قلنا
نهوا عن موالاة الكفار لقرابة او صدقة بينهم فالارتباط انه لما وجب تعظيم الله سبحانه والحب فى الله والبغض فيه

ولهذا

ولهذا اكده سبحانه بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم لزم معاداة اعدائه لان مصادقة العدو تنافى الموالاة من هو عدو له
كما قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب وهذا ليس بكلى اذا اريد ظهور اثر المحبة فانه قد يحصل
الاشفاق على العدوين كما ان النبى يود خير جميع امته ويحب الصالحين منهم مع ما بينهم من العداوة ومعنى من دون المؤمنين
ان فى موالاة المؤمنين لمندوحة اى سعة عن موالاتهم لا سيما وهم الاحقاء بالموالاة واليه الاشارة بذلك اى من يفعله
فليس فى شئ من موالاة الله تعالى اى خارج عنها بالكلية ومعنى الاستثناء الا ان خفتم من جهتهم ما يقتضى اظهار الموالاة فانه يجوز
موالاتهم فى الظاهر بشرط ان يكون القلب مطمئنا بالعداوة قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش فى الناس جانبا اى ليكن
قلبك مع الله وجسدك مع الناس والتقاة مصدر كالتودة وهو اظهار اللسان خلاف ما فى القلب وقيل جمع تقى ككمى نصب على
الحال ويقرأ تقية والتعدية بمن لتضمين معنى الحذر او الخوف وذكر تحذير الله نفسه اشارة الى نهاية قبح الجريمة لان ذكر النفس يدل
على انه عقاب يصدر منه فينبغى ان يبالى بخوف غيره فلهذا ادعى الرجل الذى قال لمسيلمة اتشهد انى رسول الله القسم بعد ان سأله
عن نبوة محمد عليه السلام فشهد بها حتى قتل فقال عليه السلام مضى على نفسه وصدقه وان كان قد صوب من وافقه فقال اخذ برخصة
الله والى الاشارة بقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة وقيل التقية كانت جائزة عند ضعف الاسلام والحق الجواز الآن كما قاله الحسن
قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير • كالدليل على منع الموالاة
لانه اذا كان الحق تعالى يعلم ما فى الضماير فيطلع على موالاة الكفار وغيرها ثم عمم بعلمه بجميع ما فى السموات والارض واكد المنع
عن الموالاة بانه قادر على كل شئ فيقدر على عقوبتكم اذا لم تنتهوا وهو تقرير للحذر عن نفسه فانه العالم بجميع المعلومات القادر
على جميع المقدورات فكيف يجوز عصيانه هذا وانه اذا علم الانسان انه قد نصب من هو قادر على ايلائه عينا يتفحص عنه
اخذ حذره فكيف اذا علم ان الحق سبحانه مطلع على احواله لا يقال يعلمه الله وقع جزاء الشرط فيلزم تجدد علم الله تعالى لان التجدد
فى التعلق كما سبق • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رؤف بالعباد • اى تود يوم القيمة كل نفس تجد اعمالها من الخير والشر او جزاؤها حاضرة لو ان بين تلك
الاعمال وبين ذلك اليوم وما يشاهد من هوله زمانا طويلا ويجوز ان ينتصب بنحو اذكر واتقوا وما عملت وحده مفعول تجد
وتود خبر ما عملت اى الذى عملته تود البعد بينها وبينه ولا يصح جعل ما شرطية لان تود مرفوع بخلاف ما قرئ من ودت وان كان
فيها ضعف لانه يتوقف الود على حصول الشرط وهو حكاية حال وان عطف ما عملت الثانى على الاول ويكون تود حالا فالمعنى
تجد عملها محضرا او آذنة بعد ما بين النفس وبين اليوم او العمل كما قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين وفى ذكر حضور عمل الخير
دون الشر ترجيح لجانب الوعد وتحذير النفس ههنا غير مكرر من حيث المعنى اذ الاول المنع من الموالاة والثانى على التحريض على
عمل الخير والاجتناب عن الشر مطلق وكونه سبحانه رؤفا حيث حذرهم عن نفسه ليجتنبوا عن غضبه ويرغبوا فى رحمته وانه
يوفقهم للتوبة ويقبلها هذا وان لفظ العباد محمول على المؤمنين لان جميع ما جاء فى القرآن مثل وعباد الرحمن عبادا يشرب بها

عباد الله اريد بها المومنون • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • المحبة
ارادة ما تراه او تظنه خيرا وتجوز بها في حق العباد بارادة الاختصاص بعبادته سبحانه دون غيره وارادة الزلفى لربه لانه
اذا علم انه مصدر الخيرات وانه ما من كمال وخير الا والحق سبحانه متوليه احب التقرب اليه بالطاعة لينال ما عنده من الخير
ولهذا افسرت محبة بارادة طاعته وقيل اعظامه واجلاله ومحبة ثوابه ومحبة الله لهم الرضى عنهم ويقرأ تَحِبُّونَ ويَحِبُّكُم
ويَحِبُّكُم وعليه ورد احِبُّ ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار أرفقُ بكسر الحاء والمعنى ان صح دعوى محبتي
فاتبعوا رسولي الذي يدعوكم الى طاعتي والتقرب وخصوص الواقعة بان قريشا لما عظموا الاصنام ومنعهم النبي عليه السلام
عن عبادتها بان ابرهيم واسمعيل لم يكونا على ذلك فقالوا انما نعبدها محبة لله وكذا قول النصارى نعبد المسيح حبا لله
فنزلت لا ينافي العموم والحاصل ان من احب احدا الزمه الحذر عن سخطه فاذا ثبت بالبرهان نبوة محمد عليه السلام وجبت
محبته وعدمها يدل على ان تلك المحبة لم تحصل ومن جملة جرارة الكشاف على الله طعنه في ائمة السنة لا سيما في اولياء الله
حيث كتب في هذا المقام ما لا يليق بكتب الفحش ولم يتادب مع الله حتى خلطه بكلامه سبحانه ووصفه تعالى بالغفور لستر الذنب
على العبد في الدنيا ورحمته في الاخرة فهو كالدليل على الجاز وعد مغفرة ذنب المتبع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين • روي انه لما نزلت قال ابن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة
الله ويامر ان نحبه كما احبت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت فكانه قال انما وجبت متابعتي لكوني رسول الله مبلغ رسالة
الله الى العباد كما قالت النصارى فان اعرضوا فان الله لا يثني عليهم لان من كفر استوجب الذنب وهو ضد المحبة ووضع
الكافرين موضع المتولين كما سبق • ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من
بعض والله سميع عليم • وجه الارتباط انه كالدليل على اتباع الرسل حيث خصوا باصطفاء الله اياهم من بين خلقه اي
اختارهم وجعلهم صفوة خلقه تمثيلا لما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدورة وما اصطفاهم به الخصائص
الروحانية والجسمانية حتى ذكر ابو عبد الله الحليمي في المنهاج في بيان الاولى ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها
لساير النفوس ومن لوازم تلك النفس الكمال في الذكاء والفطنة والحرية والاستعلاء والترفع عن الجسمانية والشهوات
فاذا كانت الروح في غاية الصفاء والشرف والبدن في غاية النقاء والطهارة كانت القوى المدركة والمحركة في غاية الكمال
لانها كانوار تفيض من جوهر الروح واصلة الى البدن والقابل والفاعل في غاية الكمال كانت الاثار في غاية الشرف والصفا
وذكر في بيان الثانية اعني الخصائص الجسمية ان القوى الجسمانية وهي الحواس الظاهرة والباطنة في الانبياء مخالفة
لغيرهم فيها ويدل عليه قوله عليه السلام زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ومنه قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم
روي انه قوي بصره حتى رأى الملكوت من الاعلى والاسفل ولا يبعد ذلك في العقل كما روي ان زرقاء اليمامة كانت ترى من ثلثة
ايام فلا يبعد ان يكون بصر النبي اقوى وكان النبي عليه السلام يسمع اطيط السماء كما قال عليه السلام أطت السماء وحق لها



ان تئط ما منها موضع قدم الا وملك ساجد ومنه سماع سليمان عليه السلام كلام النملة ونقل ان بعض الحكماء سمع حفيف
الفلك وشم يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ايام ومن قوة الذوق قوله عليه السلام ان هذه الذراع يخبرني انه مسموم
وقوة القوة اللامسة كما في حق الخليل عليه السلام حين جعل الله النار بردا وسلاما وكيف يستبعد ويشاهد مثله في السمندل
والنعام ومن قوة قوة الباطنة قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى وقوة الذكاء حتى قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله عليه السلام
الف باب في العلم فاستنبطت من كل باب الف باب واما القوى المدركة فمثل عروج الانبياء الى السماء واستدل من قال
بافضلية البشر على الملك بعد ان اتفقوا على افضليتهم من الجن والشياطين وهؤلاء الاربعة اصناف المكلفين ان الاصطفاء
يدل على الكرامة والعالمين شمل الملائكة وقيل يحمل على عالمي ازمانهم كما حمل فضلتكم على العالمين واجيب بان الاصل بقاء العموم
ما لم يمنع مانع وقيل المراد دينهم وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما فدخل في اولاد اسمعيل النبي عليهما السلام وآل عمران موسى
وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهود
ابن يعقوب بن اسحق وبين العمرانين الف وثمانماية سنة ومعنى كون الذرية بعضها من بعض ان الآلين بعضها متشعب من
بعض لما سبق دخولهما في آل ابرهيم وقيل اله المؤمنون وقيل بعضهم من بعض في الدين نحو المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت الهمزة ياء ثم ادغمت بعد قلب الواو ياء وهي حال الاول
من الآلين ويجوز ان يكون منهما ومن نوح والله سميع لاقوال العباد عليم باحوالهم فيصطفي لرسالاته من يعلم استقامة امره
قولا وفعلا فيعمل قول امرأة عمران ونيتها فينصب بها • اذ قالت امرأة عمران اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت
السميع العليم • او باذكر وهي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا ولا يشكل ذلك بان عمران
بن يصهر كانت له بنت سماه بمريم ايضا لان زكريا كان كافل مريم وهو كان معاصر العمران بن ماثان دونه لما بينهما من الزمان الطويل
وانما كان عيسى ويحيى ابني خالة لان زكريا تزوج بنت عمران بن ماثان ايشاع فولدت يحيى وسبب نذرها انها رأت طايرا يطعم
فرخه في اوان الكبر وكانت عاقرا فتمنت الولد وقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان اتصدق بولد ترزقني فيكون من سدنة بيت المقدس
فمات عمران وهي حامل ومعنى محررا معتقا متفرغا لسدانة بيت المقدس والخدمة فيه وقيل مخلصا للعبادة وهو حال باعتبار
ما يؤول اليه ونحو هذا النذر كان مشروعا عندهم وقيل على تحرير المنذور به بعد البلوغ وكان مختصا بالذكور فقدرته ذكرا او على رجاء
حصوله ولعل استعمال ما دون من على الحقيقة ان كان الكلام قبل حلول الحيوة فيه وترتب وصف السمع والعلم على القبول
للاشعار بان السامع للكلام العالم بالاخلاص فيه جدير بان يقبله • فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله
اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • تانيث الضمير في
وضعتها اما لتانيث الانثى التي هي حال عنها لما بينها وبين ذي الحال من التعلق كقوله من كانت امك وان كان راجعا الى ما
والتقدير وضعت الحمل انثى ولا معنى لتقدير كونها في علم الله كذلك لان اطلاق اللفظ على المعنى فرع تصوره وهي لم يعلمه الا بعد الانفصال

اوعلى تأويل نحو النفس والحامل لها على هذا الكلام التحسر على فوات مقصودها من النذر ولهذا قابله الحق سبحانه بتعظيم ما وضعت
وتجهيلها كنه حاله او ما يؤول اليه من ان ترزق ولدا ويكونان من جملة آيات الله العظام كما قال تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين
وما يقرأ من كسر التاء يوافقه وما قرئ من المتكلم فتسلية منها لنفسها اذ المعنى وليس الذى طلبته كالانثى التى رزقت بل هى
اعظم لما فيها من عظيم قدرة الله سبحانه وعطف وانى سميتها مريم على انى وضعتها للتقرب الى الله سبحانه بذلك لان معناه
العابدة ومريم اعجمى وقيل عربى شاذ كمدين وفى اللغة هى التى تغازل الفتيان قال قلت لزير لم تصله مريمه • وقيل بالعبرية
الخادمة وما بينهما من الكلام كوقوع لو تعلمون بين قوله لقسم عظيم وتعقيبه بقوله وانى اعيذها بك يشعر بانها طلبت من الله
عصمتها ومطابقة اسمها مسماها فاجاب الحق سبحانه دعوتها لقوله عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو حديث صحيح من رواية البخارى ومسلم والحمل على طمع الشيطان
في الاغواء وصرف الكلام عن ظاهره وتكذيب لظاهر الخبر مع انه لا مانع فى العقل منه فهو هذا كلام الله برأ وكيف لا والاعراض
عن دلالة الكلام على وجه الحقيقة مع ورود الخبر المذكور فى الصحاح مبالغة فى هذا المعنى كل بنى آدم يطعن الشيطان
باصبعه فى الخبر استئناسا بقول ابن الرومى • لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد • خروج
كلى عن طريقة العلماء لا سيما ذكر الملازمة الباردة عقيبه اعنى قول القائل لو سلط ابليس على الناس لامتلأت الدنيا
صراخا ومن اين يلزم تسليط ابليس على الناس مطلقا من وقوع نخس منه والاصابة بما يؤذيه ويولمه كما قال سبحانه
عن يونس انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب والمحافظة على قول ابن الرومى عنده اولى من رعاية ظاهر الكتاب الله
وسنة رسوله مع انه هذيان ما انزل الله به من سلطان الا ترى الى ما ذكر من البرهان من قوله والا فما يبكيه وهى اوسع مما كان فيه وارغد

(margin: الحامل الزمخشري)
(margin: يعني الزمخشري)

فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قالوا يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب • قبول الله تعالى اياها عبارة عن اقامتها مقام
الذكر فى النذر اذ هى اول انثى صلحت لذلك وقيل لانها لم ترتضع قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة والقبول اما مصدر اى
تقبلها بذى قبول حسن اى امر موصوف به او اسم ما يقبل كاللدود لما يلد وحمل القبول الحسن على قبول صلاحيتها للسدانة
لان زكريا تكفلها حينئذ لما روى ان امها حنة لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم
حجبة بيت المقدس وقالت دونكم هذه النذيرة وكانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وبنو ماثان رؤس بنى اسرائيل
واحبارهم وملوكهم وقال زكريا خالتها عندى وانا احق بها فاقترعوا وهم سبعة وعشرون فالقوا اقلامهم التى يكتب بها
الوحى فلم يقع على النهر الا قلم زكريا ورسبت اقلامهم وقيل تفعل بمعنى استفعل كتعجل بمعنى استعجل فهو على قول القطامى
وخير الامر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا • اى اخذها الله اول ولادتها بقبول حسن ومنه المثل خذ الامر
بقوابله والانبات الحسن استعيرة عن تربيتها فى اطوار عمرها ما يبلغها الى درجة الكلام وقيل كانت تنبت فى اليوم ما ينبت

ما ينبت المولود فى العام وعن الانبارى تقديره انبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل معنى نباتا انباتا وكفل يكفل كفالة اذا اهتم
باصلاح مصالح انسان وانفق عليه ومنه انا وكافل اليتيم كهاتين وقرئ بالتشديد واذا نصب زكريا فالمعنى ضمها الله اليه
وجعله ضامنا لمصالحها وتقرأ من تقبل الى كفل بلفظ الامر ونصب الام حكاية من حنة ام مريم وقرئ برفع زكرياء والمد
اى ضمها الى نفسه وانما ذهب اليه الاكثر لمناسبة بانهم يكفل مريم وقرئ بكسر الفاء كفل وكانت الكفالة حال صغرها لا بعد
الفطام اذ لا دلالة لترتيب الكفالة على الانبات والمحراب اشرف اماكن المسجد ومحاريب دونه وتنفس فيه غيران مساجدهم
كانت مسماة بالمحارب والمراد هنا غرفة يصعد اليها بسلم قال عمر بن ربيعة • ربة محراب اذا جئتها • لم ادن او ارتقى سلما •
وقرئ بالامالة ايضا وكانت فى اشرف موضع من بيت المقدس وكان لا يدخل عليها غيره ويغلق عليها سبعة ابواب اذا خرج
وقيل هذا بعد ان صارت شابة والرزق بالاتفاق فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس وقيل كان العنب ومعنى انى
من اين يأتيك ما لا يشبه ارزاق الناس حيث هو فى غير وقته ولا سبيل للدخول عليك فتكلمت فى الصغر بانها من عند الله
وهو دليل صحة الكرامات وهو خارق لا تحدى معه وبه يندفع اعتراض انه يلتبس النبى بغيره ولا ينافيه كونه ارهاصا لعيسى
ويدل عليه دعاء زكريا عند ذلك بطلب الولد من الشيخة العاقر ليكون للدعاء تعلق بامر عرفته فى ذلك الوقت لا يقال
كانت معجزة زكريا لان سؤاله عنها مع العلم بانه لا يدخل اليها احد يدل على انه لم يعلم ذلك ولا يشكل بان زكريا ما كان يعلم ذلك
الخارق الا عند الرؤية لانه كان عالما بالجواز دون الوقوع فلما شاهده علم الوقوع روى ان فاطمة رضى الله عنها اثرت
النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن قحط برغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت فقال
عليه السلام انى لك هذا قالت هو من عند الله الآية فقال النبى عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل
فاوسعت على الجيران بعد ان شبع منه جميع اهل بيت النبى عليه السلام بغير حساب غير مقدر لكثرته او لا فى مقابلة عمل لا استحقاق

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء • هنالك وهناك وثمة للمكان وقيل الاول
للمكان والآخران للزمان وقيل يستعار ما للمكان للزمان ومنه فغلبوا هنالك اى دعا زكريا ربه فى موضع كان قاعدا
عند مريم او فى ذلك الوقت والذرية يطلق على الجمع والمذكر والمؤنث لكن اراد ولدا واحدا كقوله هب لى من لدنك وليا
وتأنيثها كتأنيث خليفة قال • ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • والطيبة المباركة او الزكية او البالغة رتبة
النبوة وسميع الدعاء اى مجيبها كسمع الله لمن حمده • فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين • جمع من الملائكة لانه قرئ بتاء التأنيث وقيل جبريل
نحو فلان يركب الخيل اى هذا الجنس ومنه قال لهم الناس اى نعيم بن مسعود ويقرأ ناداه جبريل وقيل غيره لما قرئ بالتذكير وقرئ
بفتح أن ومعناه بان والكسر لارادة القول ولان النداء قول ويبشرك قرئ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين
وضم الياء وتضعيف الشين ويحيى يمنع من الصرف ان كان اعجميا للعجمة والعلمية بخلاف ما لو كان عربيا لان ابنه احيى به

الايمان او حيي به رحم امه او استشهد فانه يمنع للعلمية ووزن الفعل وكلمة الله عيسى عند الجمهور لانه وجد بكلمة كن من غير اب
او للاهتداء به كالاهتداء بكلمة الله او لانه كان يحيى ويبرئ بكلمة او لانه تكلم في المهد وهو اول من آمن بعيسى وقال ابو عبيدة
الكتاب ككلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يفوق قومه واى شرف اعظم من انه لم يعص ولم يهم بها كما ورد في الخبر
وقيل الكريم على الله وقيل الحليم وقيل الفقيه العالم والرئيس في الدين والذي لا يغلبه الغضب الحصور كثير الحصر لنفسه
من قرب النساء مع القدرة وقيل الشهوات كالاكول وقيل العنين الذي لا ماله وهو بعيد لبناء المبالغة وقيل مستعار
من الذي لا يدخل في الميسر كمن لا يدخل في اللعب واللهو قال وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار
ولهذا امتنع من ملاعبة الصبيان لما دعوه اليه وقال ما للعب خلقت واستدل به على ان ترك النكاح افضل ويحتمل ان يكون المراد
للعبادة والوصف كانه نهاية الوصف بالسيادة المشتملة على محافظة مصالح الخلق دينا والحصور الدال على الزهد التام
ومن الصالحين اى من اولادهم او الخير فانه يقال له ذلك وهو اتم صلاحا من غيره لانه معصوم والوصف بعد النبوة المشتملة
عليه وكذا طلب سليمان عليه السلام حيث قال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين لان للانبياء قدرا من الصلاح لو انتقص انتفى
النبوة فهو كحفظ الواجبات بالسنة البناء قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء
ليس انى للاستبعاد لانه طلب الولد ولا يطلب المحال كيف وقد اجابه الله الى ذلك فقيل ذلك باعتبار العادة لانه لو لزم
ان يكون كل ولد من انسان من نطفة لزم حدوث الحوادث في الازل وقيل انى بمعنى كيف يعني يكون ذلك ابرد الشباب
اذ كان عمره تسعا وتسعين وقيل مائة وعشرون وعمرها ثمان وتسعون او يكون خلقا اجداعيا وما قيل من انه وسوسة
الشيطان ان النداء من غير الملك ضعيف لاستلزامه ارتفاع الوثوق عن الوحي كيف وقد قيل ان النداء بالرب كان
مع الملك لانه المربي يقال فلان يربيني ان يجاب بان المعجزة دلت على صدق الوحي فيما يتعلق بالدين وقيل كان قد نسي السؤال
لانه كان قبل البشارة بستين سنة وقيل للالتذاذ بالجواب وبلوغ الكبر تاثيره فيه وضعفه بسببه والعاقر التي لا تلد ويوصف به
الرجل ايضا وتقدير كذلك يفعل الله ما يشاء فعلا كذلك اى كالوعد بخلق الولد منكما فهو صفة مصدر قدر مقدما على موصوفه
وجعله مبتدا وخبرا على تقدير نحو هذه الصفة يفعل ما يشاء خارج عن الاصطلاح وان صح المعنى به قال رب اجعل لى
آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ومعنى آية اى علامة اعرف
بها العلوق فيتم بها السرور ويزداد الشكر والمراد الايام بالليالى لورودها في سورة مريم والتقييد بكلام الناس
للاشعار بانه حبس اللسان عن الكلام مع الخلق خاصة مع وجود القدرة على الذكر وفائدته الشكر لتلك النعمة كانه لما طلب
الآية للشكر قال احبس لسانك الا عن الشكر وذكر في المفاتيح ان ذلك من اعظم المعجزات فان من الخوارق العجز عن بعض الكلام
مع سلامة البنية وموافقة الاخبار للغيب مع المخبر عنه ثم نقل عن ابى مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مامورا بترك الكلام
وتشغل بانواع الذكر لهذه الموهبة وان كانت له حاجة لا تدل عليها الا بالرمز ثم قال وهذا القول عندي حسن ومعقول

ولقايل

ولقايل ان يقول الاول اولى للدلالة على عظم قدرة الله والمعجزة المثبتة للنبوة وافادة ما ذكر من المقاصد وقيل
بصوم ثلثة لامتناعهم عن الكلام في الصوم وما قيل ربالسانه مواخذة بالمراجعة غير سديد لقوله واذكر ربك
كثيرا والرمز الاشارة بنحو يد او راس واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك فيقال للبحر راموز قيل كان يحرك الشفتين من غير
نطق وهو اولى لسهولة دلالته على المعاني الذهنية وقيل الممنوع رفع الصوت وجعل الاستثناء متصلا لتشبيه
الرمز بالكلام لافادته مؤداه اولى من المنقطع اذا لم يجعله الكلام الخفي ويقرأ بضم الراء والميم وفتحها وهو حال من الرامز
والمرموز معهم اى مترامزين لقوله متى ما تلقني فردين ترجف آى انا منفرد وانت منفرد من غيرنا والذكر الكثيبة قيل كان باللسان
وقيل بالقلب كما هو طريقة العارف بالله وقيل المراد بالتسبيح الصلوة لاشتمالها عليه والعشي آخر النهار وقيل بعد العصر وقيل
بعد الزوال قال فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق والابكار بعد صلوة الصبح قيل من الفجر
الى الضحى ويقرأ بفتح الهمزة وهو مصدر ابكر اذا خرج بكرة وقيل الليل والنهار واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين عامل اذ قالت امراة عمران والمتكلم جبريل لدلالة ما في سورة مريم عليه وكلامه
معها ليس لانها من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فهو اما من كرامات الاولياء او ارهاص لعيسى
وهو جاير عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجز لزكريا عند الباقين منهم وقيل نفث في روعها نحو واوحينا الى ام موسى
واصطفاؤها اولا قبولها في النذر والانبات الحسن والتطهير مما يستقذر من الافعال وقيل من الحيض والنفاس
وقذف اليهود لعنهم الله وثانيا بوهب عيسى من غير اب وشهادته على براءتها والمراد عالمي زمانها وميل الامام الى التعميم
لان قوله عليه السلام حسبك من نساء العالمين اربع يدل على انهن افضل من ساير النساء وهذا يدل على انها افضل من الكل
والتخصيص ترك للظاهر ولقايل ان يقول هذا انما يلزم ان لو تناول لفظ العالمين عالمي زمانهم وغيرهم وذلك ممنوع
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين القنوت اطالة القيام في الصلوة امرت بالصلوة لقرينة القنوت
والسجود لانهما من افعالها ثم الامر بالركوع مع الراكعين للاشعار بان صلوتها ينبغي ان يكون بالجماعة او اجعلي نفسك
من جملة المصلين وان حمل على ان بعض صلوتهم لم يكن فيه الركوع فقد امرت بان تصلي صلوة فيها الركوع وقيل فيه الركوع
لان السجود من الركعة الاولى والركوع من الثانية ولا حاجة اليه مع عدم دلالة الترتيب وانما لم يقل مع الراكعات لان الاقتداء بالرجل
افضل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
الاشارة الى ما تقدم من الخبر والمعنى انه من جملة ما لم تعلمها الا بالوحي ونفى كونه عليه السلام عندهم ليكون العلم به بالرؤية مع تحقق
ذلك قد حمل على التهكم بهم وترك نفي الاستماع لكونه معلوما عندهم فهو كقوله وما كنت بجانب الطور والاقلام سهام القرعة التي
طرحوها في النهر او الاقلام التي كتب بها التورية للتبرك بها وغيرها من كتب الله وقيل عصاهم فتحركت عصا زكريا على
ضد جرية الماء وقيل الاختصام كان قبل الاقتراع وقيل آخر بعده وعددهم سبعة وعشرون وقيل تدافعوا كفالتها للقحط

فان قيل ما وجه تخصيص الرؤية بوقت القاء الاقلام وصدور الاختصام مع ان المخبر عنه بعمها وغيرهما قلنا لعل لاستلزام
العلم بها العلم بما سبق لانهما من تتمة تلك الاخبار المتقدمة ومتعلق ايهم مقدر نحو ليعلموا اى يلقون اقلامهم ليعلموا ايهم

اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس
فى المهد وكهلا ومن الصالحين • عاملها عامل اذ الاولى المقدر مثل ما ذكر من قصة زكريا كان اذ قالت لانه لو عطف على اذ الاولى
او يختصمون لانهما استعدت لان تبشر حينئذ الا على قول الحسن انها كانت عاقلة حينئذ والتقدير بوقوع البشارة
والاختصام فى زمان واسع تكلف والكلمة عيسى او البشارة ووجه كونه كلمة سوى ما سبق انه ذكر فى الكتب السابقة فى التورية
اتانا الله من سينا واشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران اى ظهر دين الله بموسى وعيسى ومحمد والمسيح لقب مدح ادمعنا
المبارك واصله مشيحا بالعبرية وقيل انه مسح بالبركة وقيل كان ممسوحا بالدهن وقيل ليس لرجله اخمص او ما مسح ذا عاهة الابرئ
او لكثرة سياحته فى الارض وعيسى معرب ايشوع فلا معنى لتكلف الاشتقاق من المسح والعيس وتذكير الضمير مع ذكر الكلمة للنظر
الى المسمى والخبر بالمجموع مع ان اسمه عيسى وصح لانه يعرف بالمجموع والاسم كما يعلم به المسمى وذكر الام للتولد من غير اب وهو مما
اصطفى الله به مريم ولا اشكال فيه عقلا على طريقة المسلمين وغيرهم اما الاولى فلان تاليف الاجسام على وجه يتعلق بها الحيوة
ممكن والاول وجد مثل والله قادر على كل الممكنات والواجب الصدق المعلوم بالمعجزة قد اخبر عنه فوجب القول به ويمكن ان يؤيد
بقوله سبحانه ان مثل عيسى عند الله الآية واما على راى غيرهم فلان تولد الانسان من غير تولد ممكن عندهم لان استعداد قبول
النفس لحصول المزاج المخصوص فى ذلك البدن وهو بامتزاج العناصر على مقدار وزمان معينين الوجيه ذو الجاه والشرف
يقال وجه اذا صار ذا منزلة عند الناس وقيل الكريم فى الدنيا بالنبوة وغيرها والاخرة بالمنزلة عند الله والشفاعة وهو من
المقربين ويكلم احوال من الكلمة لا لتحاقها بالمعرفة للوصف اى يبشرك بكلمة حال كونه متصفا بهذه الصفات وفى عطف يكلم على وجيها
بتقدير مكلما نظر لانها جملة فعلية وفى المهد حمل على حاله يحتاج اليه سوى الشئ المعروف الكهل مجتمع القوة كامل الشباب ومنه
اكتهل النبات قوى قال تضاحك الشمس منها كوكب شرق • موزر بعميم النبت مكتهل وقيل الحكيم وفائدة الجمع بين كلامى المهد
والكهولة اما بيان احوال الانسان للرد على النصارى او ان الاول لطهارة الام والثانى لتبليغ الرسالة او الثانى عند النزول
الى الارض وبه استدل على النزول لانه رفع قبل الكهولة ولا عبرة بانكار النصارى كلامه عليه السلام فى المهد استدلالا بانه لو وقع
لاشتهر لانه من الامور العظام لجواز ان يكون المشاهدين قليلين او استغنوا التكذيب الاخرين اياهم لا يقال ما وجه التتميم بقوله سبحانه
ومن الصالحين مع ان غيره مما سبق عليه اعظم لان اطلاق الصلاح يستدعى كون الصالح على الطريقة المستقيمة فى جميع ما ياتى ويذر

قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اى من اين
وعلى اى حال وهو تعجب لما هو على خلاف العادة فكانها قالت اهو على العادة ام يكون على خلافها واصل المس التقاء جسمين كنى به
عن الوقاع اى يكون لك الولد من غير مس الذكر فانه تعالى يخلق ما يشاء بلا مادة ولا مدة اذ يخلق ما يشاء خلقا كخلق الولد

من

مطلب فى عدم استحالة التولد من غير اب

من غير والد فانه اذا قدر امرا كفى فى حصوله قوله كن لايجاده • ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى
بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله • قرئ بالياء
والنون وهو عطف على يبشرك او على يخلق وعلى وجيها بعيد لعدم المناسبة او مستانف والكتاب الكتابة وقيل
كتب الله والحكمة تعليم العلم وتهذيب الاخلاق لان الكمال فى تعريف الحق لذاته والخير للعمل والمجموع الحكمة وتاخير العلم بالتورية
لانه كتاب الهى يشتمل على اسرار عظيمة لا بد من تقدم استعداد لتعلمها وحمل رسولا ومصدقا على تقدير وارسلت رسولا بانى
قد جئتكم ومصدقا لتضمين القول او ناطقا بهما لما فى الرسالة والتصديق من معنى النطق وقيل بجعله رسولا ويقرا بالجر
للعطف على الكلمة وانى اخلق اى اقدر لكم شيئا كهيئة الطير ومنه احسن الخالقين ومنه • ولانت تفرى ما خلقت • وبعض القوم يخلق
ومنه خلق النعل بالمقياس اذ الخالق حقيقة ليس الا الله واصله بانى ويصح جعله بدلا من انى قد جئتكم او من اية او خبر مبتدا اى هى
ويؤيده ما قرئ بكسر الهمزة وقرئ طائرا روى انهم طالبوه بخلق خفاش لما ادعى النبوة فاخذ طينا فصوره فاذا هو يطير بين السماء
والارض قيل لم يكن غير الخفاش وقيل انواع من الطيور واختلف ان حصول الحيوة لخاصية فيه او كان الله يخلق الحيوة عند
نفخه ومن قال بالثانى استدل بقوله ربى الذى يحيى ويميت ومعنى اذن الله تكوينه وتخليقه كقوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله وانما قال ذلك تنبيها على ان خلق الحيوة من الله تعالى ويقرا فانفخها قال مولى الريح قرنيه وجبهته • كالبهرقى تنحى ينفخ الفحما

وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
الاكثر ان الاكمه الذى يلد الاعمى بعد ان كان بصيرا وقيل الاعشى وقيل الاعمش وهذه اربع معجزات روى انه كان يجتمع عليه
خمسون الفا من المرضى ومن لم يقدر اتاه عيسى عليه السلام وكان يداوى بالدعاء ويحيى بيا حى ويا قيوم احيى عازرا وكان صديقا له
فارسل اليه اخته انه يموت وكان بينه وبين مسيرة ثلثة فجاء واصحابه وقد مات منذ ثلث فاتى قبره فقال اللهم رب السموات
والارضين انك ارسلتنى الى بنى اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيى الموتى باذنك فاحى عازرا فقام وولد له بقطر
وسام بن نوح وابن العجوز وولده وابنة العاشر وولدها وتكرار باذن الله لئلا يتوهم فيه الالهية وكان يخبر الصبى بما يدخر له
فلا يزال يبكى حتى ياخذ فجمعوا الصبيان فى بيت فطلبهم فقالوا ليسوا فى بيت بل هى خنازير فقال يكونون فاذا هم خنازير وقيل
الاخبار بالغيب بادخارهم وخيانتهم فى المائدة ومعنى ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ان هذه المعجزات انما تدل عند
من آمن بدلالة المعجزة على الصدق فى الجملة لا من انكرها بالكلية كالبراهمة وتوحيد الاية لتفرد المدلول عليه وهو النبوة

ومصدقا لما بين يدى من التورية ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • عطف على ورسولا اى ابعثه رسولا الى بنى اسرائيل قائلا انى جئتكم باية وانى بعثت
مصدقا وحسن حذفها لدلالة الكلام عليه ومن للتبيين ولاحل عطف على معنى مصدقا اى لاصدق وتحليل بعض ما حرم
فيها لا ينافى التصديق اذ لم يكن فيها ما يدل على الدوام وما حرم عليهم الشحوم والثروب والسمك ولحم الابل وكل ذى ظفر فاحل

من السمك والطير ما لا صيصية له وقاتل حرم عند قرابه الله او موسى لدلالة التورية عليه وقيل ما غير شيئا من احكام التورية بل غيرها وضعها الاحبار من الشرايع الباطلة ونسبوها الى موسى وقيل كان على شريعة موسى يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس والاصح ان دينه كان ناسخا وقيل البعض بمعنى الكل نحو ترك امكنة اذا لم يرضها او يرتبط بعض النفوس حمامها وتكرار الآية لانه الفطام عن المألوف شديد فيقدم عليه ذكر المعجزة او انما جعل آية لان الله تعالى جعل ذلك علامة لرسالته حيث هداه للنظر في الدلايل او جيتكم بآيات متعاقبة ككلام المهد واحياء الموتى الى آخر الآيات ثم خوف بالاتقاء عن الله وطاعة رسوله لانها من لوازم التقوى او فاتقوا الله في الآيات واطيعون في الدعوة الى الله وختم بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا للعبودية لئلا تتخذ الها كما فعلوا جهالهم وهي الآية الدالة على نبوته حيث كان قوله كقول عامة الانبياء وقراءة الفتح للابدال من آية اوالان الله ربي فاعبدوه او على ان الله واستقامة الصراط بالنظر الى هداية مسالكه الى مقاصده • فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون • ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين • حمل الاحساس على الرؤية والسماع ويكون مجازا لان الكفر لا يرى نفسه وحمل على العلم ويصح على مذهب الشيخ ابي الحسن حيث عد المدرك بالحس علما والى الله معمول انصاري لتقدير من المضيف نفسه الى الله فينصرني كما ينصرني او من ينصرني ذاهبا الى الله ووجه الاحساس قيل فيه انه دعا لولد ملك فحيي فقاتل قومه واشتهر امر عيسى فجحده اليهود واظهروا الكفر به او انهم كانوا يعرفون انه المبشر به وكانوا طاعنين فيه وعند الدعوة اشتد غضبهم فاخذوا في الايذاء وان عيسى ظن منهم الكفر فامتحنهم وانصار الله انصار دينه ورسوله او مع الله كقولهم الذود الى الذود ابل او لله ولم يكن يرى قتالهم لو لم يبدؤا به وهو جمع ناصر كاصحاب او نصير كاشراف والحواري من الحور وهو شدة البياض يقال لنقيات الالوان الحضريات حواريات قال • فقل للحواريات يبكين غيرنا • ولا يبكنا الا الكلاب النوابح • وللقصار لانه يبيض الثوب ومنه الخبز الحواري ويقال حواري الرجل صفوته وخالصته وقيل صفوة الانبياء قال عليه السلام • الزبير ابن عمتي وحواري قيل كانوا صيادين وقيل ملوكا كانوا اثني عشر رجلا وقيل من القبيلين وقيل ملك مع اقاربه راى منه معجزة اظهروا الايمان فاصبحوا ظاهرين واشهد واعيسى على ايمانهم تاكيد الاسلامهم لان الانبياء يشهدون على الامم يوم القيمة فعلى هذا مع الشاهدين اي مع الانبياء وقيل مع محمد وامته قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس فانهم يشهدون للانبياء او مع الشاهدين بالتوحيد وقيل شهود المكاشفة ارادوا الترقي من الاستدلال الى العيان واليه الاشارة بقوله عليه السلام تعبد الله كانك تراه • ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين • اي مكر الذين احس منهم الكفر بقصد قتله وصلبه ومكر الله بردهم وقيل ابطنوا الكفر فجازاهم ومعناه اظهار الجميل لغيره واصله التفاف الشجر لجوزته لعلاقة شبه الاخفاء قيل دخل رجل لقتله فرفع عيسى من الكوة فخرج يخبرهم فقتلوه وقيل قال ايكم يأخذ صورتي فله الجنة فاخذها واحد فقتل ثم قالت النصارى كان الله اغنى بعضهم وقال غيرهم كان عند الله وقد سبق ان امثال ذلك مؤول بالغايات ولا اشكل بانه

ارقى قوله تعالى
ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا الآية

بان القاء الشبه يفضي الى ارتفاع الوثوق عن المحسوس لان للفاعل المختار ان يفعل ذلك وثبوته يتوقف على خبر الصادق ولا بانه لو وقع لتواتر والنصارى على انه قتل لانهم كانوا قليلين ولا بانه لم يرفع من غير ذلك لانه لو وقع لبلغت تلك المعجزة الى حد الالجاء او للمزاوجة نحو من اعتدى الآية او للتجانس نحو تتقلب فيه القلوب او مطابقة السؤال نحو نصب خيرا جوابا لما ذا انزل ربكم وذكر الثعلبي ان رجلا سأل الجنيد فقال كيف يصف الحق نفسه بالمكر وقد قبح من غيره فقال لا اعلم ما تقول ولكن انشدني الطبراني • ويقبح من سواك الفعل عندي • فتفعله فيحسن منك ذاكا • فقال اسالك عن آية فتقول هذا قال قد اجبتك ان كنت تعقل • اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون • قيل تقديره رافعك اي الى محل كرامتي نحو ذاهب الى ربي ورفع الى القاضي والحجاج وذكر الله وقيل بعد الانزال الى الدنيا او آخذك وافيا من غير موت من توفيت مالي على فلان ولا عبرة بقول من قال مات سبع ساعات ثم احيي ورفع لمخالفة الجمهور والظاهر وهو ان المعنى مستوفي اجلك ومطهرك من سوء مجاورتهم وقيل عاصمك من قتلهم اياك ومؤخر اجلك ومميتك حتف انفك وقيل توفيت النوم من قوله تعالى والتي لم تمت في منامها او توفيه من حظوظ النفس لان من لم يصرفانيا عما سوى الله تعالى لا يكون له وصول فلما رفع الى السماء صار كالملائكة في زوال الشهوة والغضب والاخلاق الذميمة وفوقية الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ينبغي ان تثبت للذين اعترفوا بانه عبد الله ورسوله وآمنوا بعد ذلك بمحمد عليه السلام لان من المعلوم انه عليه السلام ما كان يرضى بالكفر ومع ذلك دولة النصارى اليوم اعظم بل لا دولة لليهود وهم اذلاء ولم يعلم ملك يهودي في شيء من الاقطار وهذا اذا لم يحمل على فوقية الحجة وتفسير الحكم بينهم مذكور في قوله فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وهو بشارة له بالحكم بين المؤمنين به والجاحدين له هكذا ذكر في الكشاف وغيره ولقايل ان يقول كيف يصح جعله تفسيرا والعذاب الشديد في الدنيا لا يكون عقيب الحكم في الآخرة وقوله سبحانه ثم الي مرجعكم من قبيل الالتفات من الغايب الى الحاضر للدلالة على شدة ارادة اتصال الثواب والعقاب الى كل بحسب حاله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين • واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين • العذاب في الدنيا نحو القتل والسبي وكذا الامراض والمصايب اذا قلنا انه عقاب كما قيل لا ابتلاء وامتحان كالحدود وذكر صاحب المفاتح على الشديد اشكالا وهو ان ذلك يقتضي ان يكون عذاب اشد وليس كذلك واجاب بانه في شان اليهود المكذبين بعيسى وقد ضربت عليهم الذلة ولقايل ان يقول ما ذكرت من لزوم كونه اشد ممنوع لانه لا يلزم من كونه عذابهم ان لا يكون للمسلم ذلك ولئن سلمنا فما يلحق المؤمن يكفر به عنه سيئاته ويفوز بالنعيم بسببه بخلاف ما للكافر فيكون اشد وقرئ فيوفيهم بالياء والنون وفيه مغايرة الايمان للعمل واستدل على علية العمل للثواب وان الله لا يريد الكفر وهما ممنوعان • ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم • اشار الى المذكور من نبأ عيسى وزكريا وغيرهما ونتلوه ومن الآيات خبران له او المحذوف فان جعل بمعنى الذي فمن الآيات الخبر وجوز نصبه بنتلوه مضمرا والآيات يحتمل

ان يكون للقرآن او علامات نبوتك لكونها معلومة لك بالوحى لا غير وكون الذكر حكيما لكونه محكما او حاكما او ذا الحكمة وقيل هو
اللوح المحفوظ الذى نقل عنه جميع كتب الله تعالى • ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك
فلا تكن من الممترين • انما اخر هذا الكلام عن ذكر مريم والمناسبة باعتبار انه كالمزيل لتوهم اليهود كما سبق لارتباط ما تقدم بعضه
ببعض اى ان شانه العجيب كشان آدم فى حصوله من غير اب ولا يشكل بكون آدم من غير ابوين لان المشبه به ينبغى ان يكون اقوى
ليكون اقطع الخصم فى معرض النقض فان خلقه من الدم المجتمع فى الرحم اقرب من التراب ولهذا استهجن قول القائل الشمس
كجبهة فلان بخلاف العكس لما قال وفد نجران للنبى عليه السلام لم تشتم صاحبنا قال ما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا بغير اب فنزل وخلقه ليس بصلة لآدم ولا صفة ولكن
خبر مستانف على جهة التفسير تقول مثلك كمثل فلان ثم تريد تشبيهه به فى امر ثم تخبر بقصته واول خلق بقدر لئلا يشكل بقوله كن فيكون
لانه عبارة عن الادخال فى الوجود وانه خلق من الطين ثم احيى وذكر فى الانوار انه يجوز ان يكون ثم لتاخير الاخبار لا المخبر
اى الاخبار بكن تاخر عن الاخبار بخلق لا حصول مدلول خلق عن مدلول كن ووجه رجع الضمير اليه قبل تعلق الحيوة هو انه لما كان
هيكله بحيث سيصير آدم سمى به الحق خبر المبتدا اى الذى انبئك من نبأ عيسى الحق وقيل جاءك الحق ونهيه عليه السلام عن الامترا
وهو منزه عنه اما لارادة نهى الغير مثل يا ايها النبى اذا طلقتم النساء اى من باب التهييج لزيادة الثبات ومعناه الشك واصله
من مريت الضرع اذا استخرجت اللبن منه فكان الشاك يحدث بشكه شيئا • فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين • المراد بالمحاج وفد نجران
والعلم هو الوحى والقرآن والبينات الدالة على حال عيسى ومعنى تعال هلم واصله المجئ الى الارتفاع من العلو لكنه اتسع فيه فاطلق
على المجئ والمراد المجئ بالرأى ثم ليدع كل منا ابناءه ونساءه ونفسه ثم نبتهل بان يقول بهله الله اى لعنه الله يصم البار
وضمها على الكاذب منا ومنكم يقال ابهله اذا اهمله ويستعمل فى كل دعاء واللعنة من الله الطرد والابعاد على سبيل السخط ثم لما دعاهم
شاوروا العاقب ذا رأيهم فقال لقد عرفتم ان محمدا مرسل جاء بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم
وثبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن والفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى وانى لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى نصرانى على وجه
الارض فقالوا يا ابا القسم رأينا ان لا نباهلك ويثبت كل على دينه فقال ان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم
ما عليهم قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة فالتزموا الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب وثلثين درعا عادية
من حديد كل سنة على ان لا يعرف فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم الوادى عليهم نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى

اسقف اسم سريانى رئيس النصارى وعالمهم



روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والمباهلة وان كانت تتم بدون الاهل لكنه يكون ادل حيث يعرض من هو اعز من النفس حتى
يفدى بسببه للهلاك ولعله لاجتماع دعوتهم ولهذا قال الاسقف انى رأيت وجوها لا ترد دعوتهم • ان هذا لهو القصص الحق
وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين • معناه ان الموحى اليك هو الخبر الصدق
ماخوذ من تتبع الاثر فهو الخبر الذى تتابع فيه المعانى وانما جاز دخول اللام على ضمير الفصل لانه لما جاز ان يدخل على الخبر فهو اولى
لانه اقرب الى المبتدا وحقها الدخول عليه وقرئ الهاء بالتحريك والسكون وتاكيد نفى اله غير الله لرد النصارى والتعقيب
بالوصفين للاشعار بانه لا يكفى فى الالوهية ما ترشيهم من الاحبار وغيره بل لا بد من العزة المانعة من غلبة الغير والعلم بجميع الاشياء
على ما هى عليها ولم يكونا له باتفاقهم والمفسدون قبل نصارى نجران وقيل يهود المدينة وقيل يعمهما ويحتمل الحمل على الاعم لانه افيد
وهو وعيد لهم بزيادة العذاب فى قوله تعالى زدناهم عذابا • قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • اهل الكتاب نصارى
نجران او يهود المدينة او الفريقان لعموم اللفظ او لان اليهود قالوا للنبى عليه السلام ما تريد الا ان نتخذك ربا وكذا قالت
النصارى وفسرت الكلمة بان لا نعبد واصلها كلام مشروح وان طال وسواء جعل مصدرا استوى لا سيما فيما يقرأ
بالنصب وقيل الاولى ان يكون فعله مرفوضا كالقسط والسواء العدل الانصاف وشركهم فى عزير والمسيح قال عدى بن
حاتم ما كنا نعبدهم يعنى احبارهم فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون ويحرمون فتاخذون بقولهم قال هو ذاك وما نقل
من الفضيل انه قال لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة ينبغى ان يحمل على الاستحلال او على التخصيص بمقتضى
الشرك فان قيل ما معنى كون الكلمة سواء ولو كانوا قائلين بالمساواة لما وقع الاختلاف قلنا لما كان مقتضى العقل السليم
والبرهان القويم ذلك وصفه به ولعل المخاطبة بلفظ اهل الكتاب لذلك فان الكتاب يشهد به ويظهر بادنى تامل كان كالحاصل لهم
المقر عندهم ولهذا قال فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بعد لزوم الحجة عليهم بانكم مسلمون دونهم او انهم كافرون لافادة
التعريض له قال صاحب الانوار انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال
عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيل شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى
المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم
الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغنى اعرض وقال
اشهدوا بانا مسلمون • يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين • تكذيب للفريقين فى دعوى كون ابرهيم عليه السلام منهم لانه اذا كان الديان قد اخذا

من الكتابين النازلين بعده فكيف يتصور كونه على دينهما فان قيل ما المانع بان يقع ذلك على سبيل الاتفاق وكيف
يلزم الخصم قلنا لما اعترف الخصم بانه لم يعلم ذلك الدين الا من هذا الكتاب كفى ذلك القدر فى الالزام وذكر فى المفاتح ان هذا الازم
على المسلمين لان القرآن ما نزل الا بعده ولا يمكن الحمل على الاصول والا لما وجد فرق ثم قال القرآن اخبر بذلك والا دلى فى الجواب
ماسبق والبعدية بالنسبة بين ابراهيم وموسى والفين بينه وبين عيسى والعلم علم التورية والانجيل والمنفى ما يتعلق بدين
ابرهيم عليه السلام وقد كان حنيفا يستقبل القبلة ويحج اليها ويختتن وها للتنبيه دخل على المبتدأ للايقاظ لما بنى عليهم وهولاء
الخبر او هو بمعنى الذى وما بعده صلة ثم استونف بحاججتم لبيان الجملة الاولى او هو عطف بيان وقيل الهاء بدل عن همزة
استفهام للتعجب من جهلهم وقرئ بهمز ومد وبغيرهما وبالهمز والقصر وبالمد دون الهمز ولعل فايدة قوله والله يعلم مع انه معلوم
لتنبيه على ان ما يعلمه الله ينبغى ان لا يقال فيه الا ما هو حق وصدق ونفى تعقلهم لان مثل هذه المحاجة لا تصدر عمن له عقل
وقوله وما كان من المشركين فيه اشعار بان الفريقين من اهل الشرك وهو كذلك لقولهم فى عزير والمسيح من الاشراك
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين • يعنى ان احق الناس بموالاة
ابراهيم او اقربهم من الولى وهو القرب الذين اطاعوه ووافقوا على ما هو من دينه وهذا النبى على الخصوص وهذا المعنى لا يستفاد
مطابقة من قراءة النصب لانه يكون عطفا على الضمير المنصوب فى اتبعوه وكذا فى قراءة الجر عطفا على ابرهيم والله ناصر
المؤمنين ومعينهم وفيه تعريض بعدم الولاية لاهل الكتاب • ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون • وجه المناسبة انه لما تحقق عندهم
هداية المؤمنين وضلال الذين حسدوهم عليه تمنى طائفة وهم اليهود او علماؤهم والطائفة الجماعة ماخوذة من طاف بكذا
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى التهود والمتمنى اضلالهم وذلك بقبولهم مقتضى التشكيك مثل ان النسخ بداء وان محمدا مقر
بنبوة عيسى ويدعى لنفسه النبوة فى دين موسى انه لا ينسخ وانما لم يضلوا الا انفسهم من جهة ان وباله من مضاعفة العذاب لا يعود
على غيرهم او ان اضلالهم لا يتعدى اضرابهم وآيات الله آيات التورية والانجيل وكفرهم بها عدم الاعتراف بنبوة محمد المعلومة منها
وهم يشهدون انها آيات الله وان حمل على آيات القرآن فقد كفروا وهم يشهدون ان صفة محمد فى الكتابين وحمل على الاعم فشهادتهم
اعترافهم بدلالة معجزات ساير الانبياء وكفرهم بالتورية من باب اطلاق المدلول على الدليل او بنفس التعدية نظرا الى
التحريف وحملت شهادتهم على شهادة بعضهم مع بعض فى الخلوة او ينكرون اعجاز القرآن عند العوام ويعلمون اعجازه
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون • اللبس الخلط والغش ومن سعى فى اخفاء الحق توسل اليه
بالقاء الشبهة واخفاء الدليل فالاول لبس الحق بالباطل والثانى كتمان الحق فتحريف التورية وخلط المنزل بغيره من قبيل الاول
والمواضعة على اظهار الاسلام اول النهار والرجوع آخره من الثانى وقراءة التشديد مبالغة وفتح الباء نظير لابس ثوبى
زور وقول الشاعر • اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا • وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا



وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • هم اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى
عرينة آمنوا باللسان اول النهار بمحمد واكفروا آخره وقولوا راجعنا كتبنا وعلماءنا ومحمد ليس بذلك الموصوف فيشك اصحاب
محمد عليه السلام ويقولوا انهم اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى دينكم فاخبر الله تعالى عنهم به وقيل كان فى الصلوة الى الكعبة اول
النهار والرجوع عنها والصلوة الى بيت المقدس آخره وسمى اول النهار وجها لانه ما يواجه قال من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار وان يؤتى معمول ولا تؤمنوا والمعنى لا تظهروا الايمان بان احدا يؤتيه الله مثل ما اوتيتم من الهداية
ولا تظهروا ان المسلمين قد آتاهم الله مثل ذلك الا لاجل من هو من اهل دينكم دون المسلمين فان مقصود كل احد حفظ اشياعه
على متابعته وهو بعيد لاعترافهم عند اصحابهم بحقيقة دين محمد دون غيره لئلا يزداد ثباتهم فى الدين ولا للمشركين مخافة ان يؤمنوا
بمحمد عليه السلام ويحاجوكم عطف على ان يؤتى اى لا تظهروا لغير اشياعكم ان المسلمين يغلبونكم بالحجة عند الله وما بينهما اعتراض
معناه ان الهدى من الله يختص برحمته من يشاء ويثبته عليه او اخراجه من الضلالة اليه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له فلا يضركم كيدهم شيئا واليه اشار بقوله قل ان الفضل بيد الله وفى ابدال هدى الله من الهدى تفخيم لشانه
وان جعل ان يؤتى علة فمعناه لا تؤمنوا هذا النوع من الايمان الا لمن تبع دينكم ثم اسلم والحامل على ذلك انهم اقرب الى الرجوع
من غيرهم لا سيما واسلامهم اشد عليهم فتوهموا ان ما فعلتم ليس الا لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لا لامر آخر من الحسد ونحوه
وما قرئ من زيادة همزة الاستفهام المتضمن للتقريع يؤيد هذا التقرير وعلى هذا فمعنى او يحاجوكم ان ما دبرتم لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او لما يترتب عليه كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم والمعنى من اجل ان يؤتى احد شرايع مثل ما اوتيتم ينكرون به
اتباعه ثم حذف الجواب مثل امن هو قانت آناء الليل وجمع الضمير لمعنى الكثرة فى احد ويجوز ان يكون خبرا باضمار لا اى قل يا محمد
لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام وان لا يحاجوكم اى اليهود فى الآخرة لانه لم يظهر
لهم فى الآخرة انكم على الحق وهم على الباطل وليس فيه الا اضمار لا مثل ان تضلوا او اذا جعل ان يؤتى خبر ان فمعناه ان هدى الله
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم لان الغلبة لا تكون الا بذلك ولما تضمن ان يؤتى احد انكارا لا اثباتا صح ان يقدر فعل
عاملا لان يؤتى والمعنى ان الهدى هدى الله فلا تنكروا احد ذلك والفضل الرسالة والهداية واصل الزيادة وكثر استعماله
فى زيادة الاحسان وكونه بيد الله معناه انه قادر عليه يؤتيه من يشاء بالفضل فيعلم ان النبوة تكون بالفضل لا بالكسب
وهو الله تعالى واسع الشريعة عليم بمن يستحقها ففيه بيان كمال القدرة والعلم فيصح منه لمكان كمال القدرة ان يتفضل على اى
عبد شاء باى فضل من القرآن والاسلام وغيرهما شاء ومن كونه عليما ان لا يكون فعله الا على وجه الحكمة والصواب
ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما
ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين

لعل وجه المناسبة انه لما تقدم مايدل على عدم الاهتداء بمن اتسم بكونه من اهل الكتاب بين ان منهم من هو من اهل الامانة ومنهم
من هو من اهل الخيانة عنى بالاول عبد الله بن سلام والمؤمنين فانه قد استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه
وعنى بالثانى فنحاص بن عازورا استودعه قرشى دينارا فجحده وقيل الاول النصارى اذ يغلب عليهم الامانة والثانى اليهود
لانه يغلب عليهم الخيانة ومعنى الا ما دمت انه لا يؤدّه الا مدة دوام من اودع عنده على راسه طالبا منه او مخاصما معه والقيام
فى اللغة الدوام او بان يرفعه الى الحاكم والاثبات عنده والمراد بالقنطار والدينار المال الكثير والقليل وقيل الف دينار
او الف الف درهم وقيل ملؤ جلد ثور وقرئ بسكون الهاء وكسره وصلا وغير وصل وذلك اشارة الى ما دل عليه لم يؤده اى
الترك بسبب ادعائهم انه ليس علينا مؤاخذة فى شان الاميين اى الذين ليسوا من اهل الكتاب وكانوا مستحلين ظلم مخالفيهم
وقالوا لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة روى ان جمعا من قريش تقاضوا مالهم على اليهود بعد الاسلام فقالوا ليس لكم علينا حق
حيث تركتم دينكم وقالوا هكذا فى كتابنا وقال عليه السلام وقت نزولها كذب اعداء الله ما من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت
قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وشبه ابن عباس التعرض لحرمات اهل الذمة بقولهم هذا بعد اداء الحرمة وقولهم
الكذب على الله ادعاؤهم ان ذلك فى كتاب الله سبحانه وهو كذب لان الامانة تؤدى فى جميع الاديان والحال انهم عالمون
بكذبهم ووباله وعظم الجناية فهو افحش وبلى رد لقولهم اى عليهم سبيل ويجوز ان يذكر ابتداء كلام آخر يذكر بعده لان قولهم ليس
علينا جناح فى قوة قولهم نحن ابناء الله فرد عليهم بان اهل الوفاء هم الذين يحبهم الله وضمير العهد يجوز ان يرجع الى من والى
الله لان المصدر يضاف الى الفاعل والمفعول وقوله تعالى بعهد الله يؤيد الثانى ولا اشكل بان اهل الكتاب لو وفوا بالعهد
لاحبهم الله مع كفرهم لان من العهد الماخوذ عليهم فى التورية الايمان بمحمد عليه السلام وجعل عموم المتقين قائما مقام الضمير الراجع
الى الجزاء ولعل المراد ان المقصود من الضمير الربط لئلا يتوهم الانقطاع والعموم المتناول للثبوت الحكم لكل من اتقى يفيد ذلك الربط
ويعلم ان التعميم اولى من التخصيص بعبد الله بن سلام وبحيرا الراهب وامثالهما كما قيل • ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم • وجه الارتباط
انه لما تقدم ان محبته تابعة للوفاء بالعهد عقب بحكم ضده لاسيما والكلام فى اليهود المخلين بالعهود الماخوذة عليهم فى التورية من
عدم كتمان امر النبى عليه السلام والمذكور فى التفاسير وجوه فى سبب النزول من التخصيص باهل الكتاب او طائفة مخصوصين والحمل
على العموم كما ذكر ذلك ايضا اولى لدخول تلك القصور فيه وتناوله ما نصب من الادلة على ذلك قيل فى اشعث بن قيس وخصم له
يهودى فى ارض توجه اليمين على الاشعث فهم بها فانزل الله هذه الآية فنكل ورد الارض الى الخصم وقيل توجه اليمين على خصمه
فقال اذا يحلف ويذهب بمال فقال عليه السلام من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو غضبان وقيل فى رجل
اقام سلعة فى السوق لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين وقيل فى رؤساء اليهود لما بينوا صفة محمد
فى التورية فقال كعب بن الاشرف فاتكم خيرات اردت ان اعطيكم فغيروا ورجعوا عن الاقرار فاعطاهم شيئا وقد سبق

فى

فى البقرة معنى الشراء والمشترى لما كان يعطى شيئا ويأخذ شيئا وكل منهما ثمن الآخر واليمين تحقيق ما يذكر ماضيا كان او مستقبلا
باسم الله او صفة من صفاته والموعود عليه حرمان الثواب ووقوع العقاب من خمسة اوجه وعدم الخلاق فى الاخرة وهو النصيب
فى الخير مشروط بعدم التوبة بالاجماع وعندنا بعدم العفو ايضا لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
وعدم الكلام عبارة عن شدة السخط نعوذ بالله منه فلا يشكل بقوله سبحانه ولنسألنهم اجمعين وقيل لا يكلمهم كلاما يسرهم ولعله اولى
لانه تخصيص وهو خير من المجاز ويحتمل ان يكون المثبت كلاما بوسط والمنفى بغير وسط وعدم النظر مجاز عن عدم المبالاة والاهانة
للغضب يقال فلان غير منظور لفلان اى غير ملتفت اليه وهو فى الاصل تجوز به فى شان من يصح منه نظر العين كالانسان من تقليب
الحدقة فان من احب احدا التفت اليه ثم استعمل لكل اعتداد واحسان قال فى المفاتح واحتج من قال النظر المقرون بالى ليس للرؤية
والالم يكن الله تعالى رائيا لهم وهو باطل اقول ينبغى ان يكون قوله وهو باطل قول الامام فى نسبة البطلان الى هذا القائل فانه ساقط
الدلالة لانه لا يلزم من ان لا ينظر الناظر ان لا يقدر عليه ومعنى عدم التزكية عدم التطهير من دنس المعاصى والآثام او عدم الثناء
عليهم والعذاب الاليم المؤلم ومن الجملة الاسمية يستفاد دوامه • وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • اى ان جماعة منهم يلوون السنتهم عن الصحيح الى المحرف
من اللى فيل لوى لسانه غيره ولواه عن رأيه اماله وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن اخطب واضرابهم وقيل
يزيدون فى كتاب الله ما ليس منه وقيل يبدلون صفة النبى عليه السلام وقرئ بالتشديد وبقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها
وحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها وذلك ليخيل الى السامع انه من الكتاب فالضمير يرجع الى الكتاب الاول وهو المقرى
ويحسبوه بالياء اى المسلمين وقول هو من عند الله لتاكيد الافتراء على الله وعدم المبالاة بعقابه كالايس من الآخرة وذكر فى
المفاتح ان الاصوب ان يقال ان الآيات الدالة على نبوة محمد عليه السلام كانت محتاجة الى تدقيق النظر فاوردوا عليها
الاسولة المشوشة والاعتراضات المظلمة وقيل لتحسبوه وهو من عند الله عبارتان عن معبر واحد وهو غير سديد لان
المغايرة باعتبار انه ليس كل ما لم يكن من الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد يكون بالسنة وهو من عند الله
وكذا المجمع عليه ولا احتجاج للجبائى والكعبى فيه على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى لانه لا بد من مطابقة الجواب السؤال
وهو ان ذلك حكم الله ونازل فى كتابه فالتكذيب يعود اليه لا انه مخلوق او غير مخلوق • ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون •
وجه الارتباط ان سبب نزولها هذيانات اهل الكتاب لما روى ان بعض اليهود والنصارى قالوا اتريد منا ان نعبدك
ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت
او انه قال رجل انسجد لك فقال عليه السلام لا ينبغى ان يسجد لاحد غير الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ومعنى
ما كان انه لا يصدر عن النفوس الكاملة القدسية اعنى الانبياء المقربين امثال هذه الدعاوى وما قيل انه لو قال

لمنعه الله فالنظر الى قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية او ان الله لا يؤتي النبوة الا لمن علم انه لا يقول ذلك ولكن يقول
لهم كونوا علماء فقهاء او ارباب العلم تعلمون الناس او منسوبين الى علم الرب زايد الالف والنون مبالغة كشعراني او ولاة
الناس فانه الجامع بين العلم والسياسة وتدبير الرعايا فيسمى ربانيا لانه يطاع كالرب او الجامع بين العلم والعمل وقيل
عبرية او سريانية والمعنى على هذا وقرئ تعلمون وتعلمون من العلم والتعليم لتطلب مرضاة الله تعالى والهرب عن عقابه والتأسي
الانسب الى تدرسون وقراءة تدرسون بالتشديد تقتضي مفعولين حذف احدهما ويقرأ تدرسون من ادرس ويفهم من هذا
الكلام ان من تعلم وعلم ودرس لا لله يكون سعيه ضايعا بل يكون كشجر يتعجب من حسنه ولا ينتفع من ثمره ولا يامركم ان
تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون المعنى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الى آخره
ثم يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا اي ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي او انه عليه السلام لما نهى قريشا
عن عبادة الملئكة واهل الكتاب عن عيسى وعزير قالوا اتريد ان نتخذك ربا قيل لهم ذلك واذا حمل على غيرهم وفيه دليل على ان
المخاطبين كانوا مسلمين لمن استاذن ان يسجد له ولا يستدل بان فيه دليلا على انه ليس الكفر الجهل بالله لانه سبحانه حكم بالكفر
مع انهم كانوا عارفين بالله لانه ليس المراد بالجهل الجهل بكونه موجودا بل الجهل بذاته وصفاته ايجابية كانت او سلبية
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ارتباطه بما قبله ان المقصود ذكر ما هو معلوم عند
اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقطع المعذرة لانه سبحانه صرح بانهم قد قبلوا هذا الميثاق وحاصله انه سبحانه
اوجب على جميع الانبياء الايمان بكل نبي ياتي مصدقا لما معهم فنقول محمد عليه السلام جاء مصدقا وقد التزموا الايمان بكل نبي
ياتي مصدقا والمراد من كونه رسولا ظهور المعجزة فلا يكون اثبات النبي بنفسه والتقدير واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله
اذكرنا محمد ولكن ثم المصدر يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول اخرى والاول اولى فالاضافة الى النبيين اضافة الى الموثق
كقولك ميثاق الله اي اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على الامم وان اريد ميثاق اولاد النبيين فهو كقولك فعل بكر بن وائل كذا
اي اولادهم وقومهم ويجوز ان يريد بالنبيين اهل الكتاب وقد تهكم بهم حيث قالوا نحن اولى بالنبوة من محمد عليه السلام لانا اهل الكتاب
لا يقال يجب ان يكون المراد الامم لان الانبياء لا يليق بهم وصف الفسق لان المراد الغرض بحوليئن اشركت الآية ولام لتؤمنن جواب
جواب القسم المستفاد من الموطئة للقسم لما في الميثاق من الاستحلاف فان ضمنت ما معنى الشرط صح وقوع لتؤمنن سادا
مسد جواب القسم والشرط ويصح ان تكون خبرية وقرئ لما بكسر اللام فيكون لتؤمنن بايتاء بعض الكتاب ومجي الرسول
المصدق وعلى هذا فما مصدرية والفعلان مقدران بالمصدر واللام لتعليل اخذ الميثاق والايمان بالرسول بايتاء الله اياهم
الحكمة وموافقة للرسول الذي امر بالايمان به موافقا لهم وان جعلت موصولة فصلتها الفعل بعدها ولا يمنع عطف ثم جاءكم
على اتيناكم باعتبار انه لو دخل تحت الصلة صار المعنى للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم لانه في معنى ما اتيكم فالمعنى الذي

اتيكم

اتيكم وجاءكم رسول مصدق له ويقرا لما بمعنى حين ويكون وجوب الايمان متقيدا بوقت مجي الرسول على طريق المطابقة
وقيل اصله لمن ما فصار بالادغام للاستثقال لما واصراري العهد وكذا في قراءة ضم الهمزة ان لم يجعل جمع اصار واصله الشد
فانه مما يشد ومعنى فليشهد وا بعضكم على بعض وقيل خطاب للملئكة فمن اعرض عن الايمان بالنبي الجائي بعد اخذ الميثاق فاولئك هم
المتمردون واكد فسقهم من خمسة اوجه فصاعدا افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون
استفهام انكار على المخالفة في امر النبي عليه السلام بالاعراض عن دين الاسلام ولذلك توسطت الهمزة بين المعطوف والمعطوف
ولكون ان انكار ذلك كان اهم قدم المفعول فان ابدال المعبود بحق بغير الحق اشنع الحالات وسبب النزول ان فريقي اهل الكتاب
ادعى كل اولويته بابرهيم عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا لن نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك ووجه ما قرئ يبغون بتاء الخطاب وترجعون بالتاء ان الراجعين جميع الناس وقرئ كل منهما والايمان بالطوع لمن
ظهر له الدليل ولم يعاند وبالكره من اضطر اليه كالمكره بالسيف او كايمان المغرق وفرعون وبني اسرائيل بنتق الجبل وعن علي رضي الله عنه
اي انقاد كلهم او الملئكة والمؤمنون والكره للكافرين عند اخذ الميثاق وقيل هذا في اهل الارض واما الملئكة فهم منقادون
طوعا للطبع وهما حالان من فاعل اسلم وذكر صاحب المفاتح كلاما هو الاصح عنده ان كل ما سواه ممكن يحتاج في وجوده وعدمه اليه فينقاد
لجلال الله طرفي وجوده وعدمه ولقايل ان يقول هذا التفسير لا يلايم قوله سبحانه لان ذلك من قبيل ما اجاب السموات والارض
حيث قالتا اتينا اذا لم يحمل على ان الله تعالى اوجد فيهما عقلا ونطقا نعم ان حمل على ما قال علي بن ابي طالب من ارادة العموم لم يبعد حمله عليه
قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
وجه الارتباط انه ايمان بالله وبكتبه فهو ما اتفق عليه الانبياء جميعا من غير ان يؤمن ببعض ويكفر ببعض وصيغة المفرد ثم الجمع
ثم الامر بالاخبار عن نفسه وعمن معه اما للتعظيم لانه اول ما خوطب خوطب بلفظ الواحد وعلمه سبحانه انه حين يخاطب القوم
يخاطبهم بلفظ الجمع كما يتكلم به العظماء او ليعلم انه لا يبلغ من الله اولا هو وحين يقول هذا الكلام يوافقه اصحابه او انه
عينه الله سبحانه في هذا التكليف بقل ليظهر انه مصدق لما معهم ثم قال بلفظ الجمع ليعلم انه ليس من خواصه بل يعم كل المؤمنين كما قال سبحانه
والمؤمنون كل آمن بالله ووجه تعدية الانزال بالى وبعلى اخرى لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فالنظر الى الاستعلاء والانتهاء
استعمل بالحرفين لا للتفرقة بين الرسول والمؤمنين لمجي انزل الينا واليك ومعنى مسلمون منقادون مقرون او مخلصون في الايمان
والعبادة لله فمن يبتغ غير التوحيد واسلام الوجه لله دينا لن يقبل منه ويتصف بمطلق الخيرات والصادق على جميع انواعه في الآخرة
ويمكن ان يستدل به على نسخ دين النبي عليه السلام لكل الاديان لان هذا الدين هو المشهور بالاسلام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملئكة
والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم

وجه الارتباط انه تاكيد لتعظيم الاسلام المستفاد من قوله سبحانه ومن يبتغ الآية وفي سبب النزول قولان انه في طايفة
ارتدوا ثم ندموا ورجعوا اوفي اليهود وقيل في اثنا عشر رجلا ارتدوا ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى اهلهم ان اسألوا محمدا عليه السلام
هل لهم من توبة ثم عادوا واسلموا وقيل في رجل من الانصار قرئت عليه الآية بعد الارتداد فرجع وقال والله ما كذبني قومي ولا كذب
رسول الله عليه السلام والله اصدق الثلثة وقيل في الحرث بن سويد ارتد ثم رجع واسلم اسلاما حسنا وقيل في يهود قريظة والنضير
واضرابهم كانوا يشهدون بنبوة محمد عليه السلام قبل البعث فلما بعث كفروا به وازدياد كفرهم بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى
والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عليه السلام هكذا قيل وللقايل ان يقول ما وجه الاعتداد بايمان من آمن بموسى بعد بعثة
عيسى ودينه ناسخ او كفروا بمحمد بعد ان آمنوا قبل بعثته ثم ازدادوا بالاصرار عليه وطعنهم وعداوتهم وان حمل على العموم انه كيف يهدي
الله قوما ليسوا من اهل الهداية لعلمه سبحانه على تصميمهم على الكفر بعد ايمانهم ووجه عطف شهدوا على آمنوا المدلول عليه بايمانهم
لئلا يلزم عطف الفعل على الاسم كقوله فاصدق واكن وهو يشبه قول الشاعر بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا
حيث جر سابق ولا جار فيه كما جزم ولا جازم وان جعل الواو للحال اضمر قد والمعتزلة حملوا على عدم الهداية على عدم اللطف والا يلزم
ان يكون الكفر من الله تعالى ولما استحقوا الذم لكن الذم واقع والجواب انه قد جرت سنة الله ان كل فعل يقصد العبد تحصيله يخلق الله عقيب
قصده فالمراد من عدم الهداية عدم خلق المعرفة وقد عطف في الآية الشهادة بان الرسول حق على الايمان ولا يضر المغايرة لان مذهب
الاصوليين ان الايمان هو التصديق وفي الآية دليل ظاهر على ان المرتد اذا عاد الى الاسلام لم يواخذ بردته واللعنة من الله
بالابعاد عن الرحمة ومن الملئكة والناس بالقول ولعنة الناس اياه بان الملعون يستحقها وان لم يلعنوا او يكون في القيامة قال تعالى
كلما دخلت امة لعنت اختها الآية والخلود اما في اللعنة فانها تستمر في جهنم او الخلود في النار وعدم الانظار اما عن وقته او انهم لا ينظر فيه
ليستريحوا • ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين • قيل في اليهود ازدادوا
كفرا بمحمد عليه السلام بعد الكفر بعيسى وقيل في الفريقين ازدادوا كفرا بالاصرار عليه الى الموت بعد الايمان ببعثة محمد عليه السلام
وعليه يحمل الازدياد لان المرتد لو اناب قبلت توبته وان كان قد ازدادوا وقيل انما تقبل ان تاب عن الزيادة لا عن اصلها
والوصف بالضلال على وجه يوهم انه لا ضال غيرهم لارادة الكمال والجواب عن عدم مجيء الفاء في احد الوصفين والمجيء في الآخر
بان في احدهما علم السبب عدم قبول التوبة بالكفر دون الآخر ليس بتام لان لقايل ان يقول ما المقتضي للتخصيص نعم يمكن ان يقال
حرف التسبيب في صورة صرح بالسبب وهو الموت على الكفر اولى مما يؤول بالسبب اعني الازدياد لانه كثيرا ما يرجع الى الاسلام
والكناية عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة تغليظ عظيم حيث جعل كالآيس عن الرحمة وان لم يصرح بالمقتضي له ومعنى ولو افتدى به
انه لا يقبل ما يفدي به ولو افتدى بملء الارض او لا حاجة الى التقدير ولو افتدى بمثله كما قيل والفدية بدل شيء لازالة اذية لعدم الضرورة
وان ورد مثل قضية ولا ابا حسن اي ولا مثل ابي حسن ونحوه وورد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال ارايت



لوكان مثل الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له قد سئلت اليسر من هذا يعني ان لا تشرك بالله والواو في ولو افتدى
قيل للعطف اي لا ينفعه الفدية ولو افتدى وقيل بيان لبيان التفصيل وفي الآية دليل على الشفاعة لانه لو لم يختص الانتفاء بهم
لم يكن للتخصيص وجه • لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم • لما سبق ان الانفاق في الآخرة
لا ينفع حرض على الانفاق النافع اي لن تدركوا كمال البر او ثواب الله او الجنة او لم تكونوا ابرارا حتى يكون الانفاق من محبوب
اموالكم نحو انفقوا من طيبات ما كسبتم قيل الزكوة وقيل كل عمل خير وقيل صدقة التطوع روي ان ابا طلحة قال يا رسول الله
ان احب اموالي بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراد الله فقال عليه السلام بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقسمها في اقاربه وان عمر اجار جارية اشتريت يوم فتح مداين فاعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر الآية فاعتقها وجعل
زيد بن حارثة فرسا له يحبها في سبيل الله وامر ابو ذر راعيه باتيه بخير ابل له لضيف نزل به ومن للتبعيض نحو ومما رزقناهم
ينفقون وفي من شيء للتبيين اعني بيان المنفق من طيب وخبيث وفي عليم وعد للمنفق لا يقال في الآية دليل على ان هذا المنفق
ينال كمال البر وان لم يات بشيء من الطاعات لان هذا الانفاق لا يصدر الا ممن اعترف بصانع عالم بحاله قادر على ما يريد مختار
في فعله وانه يجب عليه الانقياد للاوامر والنواهي ومثله يتوقع منه فانه ينال خير الدارين • كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • لعل وجه الارتباط انه لما تناول
البر الطعام وغيره لا سيما ورد انفاق الابل للضيف ذكر الكلام عليه روي انه لما قال عليه السلام انا على ملة ابراهيم قالت اليهود
كيف وانت تاكل لحوم الابل والبانها فقال عليه السلام كان حلالا لابرهيم فنحن نحله فكذبوه فكذبهم الله والطعام المطعومات
والحل الحلال وهو مصدر حل الرجل حلا ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث ومنه الخبر كنت اطيبه لحله وحرمه واسرائيل اعني يعقوب
حرم على نفسه لحوم الابل والبانها وثبت عن النبي عليه السلام بالخبر وقيل بل العروق لانه حدث به عرق النساء فنذر من الملك بدل من ذبح
آخر الاولاد ان رزقه الله اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس فحلف ان لو شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق يا باه السياق
والمعنى ان الاطعمة كلها كانت حلا لبني اسرائيل قبل نزول التورية لكن قبل ان يحرم عليهم طيبات احلت لهم بظلم منهم لم يحرم
غير لحوم الابل والبانها وفيه تكذيب لهم حيث قالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابرهيم
حيث كذبوا شهادة الله بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل اموال الناس بالباطل واحضار التورية للالزام لان
فيها ان تحريم ما حرم عليهم حادث بظلمهم فلم يحضروها فثبت صدق النبي عليه السلام فيه وفي جواز النسخ فمن ادعى انه كان محرما
من قبل بعد ظهور الحجة الواضحة فكانه لا ظالم غيره حيث ضل واضل وصدق الله ايضا تعريض بكذبهم فاتبعوا ما يدعوكم
اليه النبي عليه السلام من ملة ابرهيم في تحليل ما نسب اليه تحريمه كذبا وحنيفا حال من ابراهيم اي مايلا عن الاديان الباطلة
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا •

مطلب في بناء الكعبة

اى اول متعبد جعله الله للناس بدليل قراءة بناء المعروف هو الذى ببكة قال النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اول المساجد المسجد الحرام ثم بيت المقدس وبينهما اربعون سنة ويؤيده قول على رضى الله عنه لما سئل عنه كان قبله بيوت لكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وروى عن ابن عمران الله خلق البيت قبل الارض بالفى عام والملئكة يطوفون به وامروا آدم بالطواف حوله وكانت زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحتها وقيل ان آدم لما اهبط قال الله انى اهبط معك بيتا يطاف به كما يطاف بعرشى فى السماء فكان آدم وبنوه يطوفون به فرفع الى السماء الرابعة تطوف به الملئكة فى الطوفان ثم ان ابراهيم تتبع منه اثرا فبناه على اساس قديم ثم قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل اول بيت حج بعد الطوفان وقيل المرفوع فى الطوفان بيت فى موضعه يقال له الضراح عن ابن عباس انه وجد فى كتاب فى المقام انا الله ربك وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحرمتها يوم وضعت هذين الحجرين وحففتها بسبعة افلاك حنفا بكة موضع الكعبة وما حواليه مكة سميت بها من بك الناس اذا تدافعوا او تكسر اعناق الجبابرة ومكة لان الارض مكت من تحتها من امتك الفصيل اذا مص الضرع مصا قويا وقيل مكة وبكة مثل النبيط والنميط اسم موضع بالدهنا من الابدال وقيل من بكة اذا زحمه لما فيها من الازدحام ومباركا اى كثير الخير حال من متعلق الظرف اى استقر البيت او وضع ببكة حالة كونه مباركا لمن قصده بنسك او اعتكاف او طواف وهدى بيانا ودينا او ذا هدى والآيات العلامات الواضحة اللتى لا تلتبس ومقام ابرهيم عطف بيان لها جعل بمنزلة آيات لظهور دلالته على قدرة الحق ونبوة ابراهيم يعنى اثر قدمه فى الصخرة الصماء او التقدير منها مقام ابرهيم وهو موضع قدميه قد غاصت قدمه الى الكعب فى الحجر الصلد ومنها امن من لاذ به حتى لا يؤذى السباع بعضهم بعضا والطير لا يعلو عليه وتنحى حجارة الرمى عن محالها وان صاحب الفيل يرمى بطير ابابيل ومنها ايه بواد غير ذى زرع يجبى اليه ثمرات كل شئ ويكون الساكن متوكلا على الله تعالى وآمن الداخل فيه من عذاب الله من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وقيل من دخل عام عمرة القضاء لقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين او من الذنوب التى قبلها لقوله عليه السلام الحج يهدم ما كان قبله وقيل من عذاب الدنيا لقصص منه ولا يقام الحد لكن يفعل ذلك فى الحرم ومن ان عطف على مقام ابراهيم ولم يعد ما عداهما فاما لجعل الاثنين بمنزلة الجمع او انه طوى ذكر الباقى لقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة فانه اعرض عن الثالث لاحتمال الندا فان الصلوة ليست من الدنيا وقول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ولقايل ان يقول لا حاجة الى هذا التكليف لان الامن على اقسام وهى حاصل فيه فيجعل بمنزلة المتعدد ويدل عليه اعتبار افراد الجنس مع وحدة اللفظ وهذا كله اذا لم يكن مستأنفا ولم يذكر الايات والتقدير مع ذلك هو مقام ابراهيم ويحتمل ان يقال هو مقام ابراهيم وظهور قدميه عليه فيه اما لانه لما ارتفع البناء وضعف عن رفع الحجارة قام عليه فظهر الاثر او انه لما جاء زائرا من الشام قالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل حتى غسلت الشق الايمن ثم الايسر ووضع قدمه عليه فبقى الاثر ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون لما كان

لما كان محمولا على الوجوب علم انه فرض لكنه لما ابدل من من الناس ليعلم انه يختص بمن يجد الزاد والراحلة فانه عليه السلام فسر الاستطاعة بهما وبه قال اكثر اهل العلم واصل الاستطاعة السبيل وهو امكان الوصول اليه كقوله تعالى فهل الى خروج من سبيل واعتمد مالك فى الوجوب على ان يثق الرجل بقوته وقال ان كان لبعضكم ميراث بمكة اكان يتركه وفى الابدال تأكيد لاستلزام التكرار وذكر الشئ مبهما ثم مفسرا ومن الاستطاعة ان يثبت على الراحلة ويأمن فى الطريق مما يؤذيه نفسا ومالا ومن كفر قيل بوجوب الحج وقيل بآيات الله وقيل مطلقا وهو الظاهر فيكون وعيدا عاما لكل من كفر ولا تعلق له بما قبله وان جعل آية فى محل ومن لم يحج ففيه زجر شديد حيث جعل ترك الحج كالكفر من مات ولم يحج ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره من اتى كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد لاسيما والاستغناء يشعر بنهاية الاعراض والمقت وذكر العالمين لعله للدلالة على قلة الالتفات اليه كانه قال ان الله غنى عن العالمين فكيف عمن لم يحج وقيل فى اليهود حيث انكروا وجوبه بل آمن به المسلمون وكفر به خمس ملل قال عليه السلام حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع فى الثالثة والحج عبادة العمر لانه لما نزل قيل اكل عام يا رسول الله قال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قمتم بها وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع لعموم اللفظ وليس بتكليف بالمحال لامكان ازالة المانع كامر المحدث بالصلوة ولا استدلال للمعتزلة على ان الاستطاعة قبل الفعل لانه لو كانت لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا له فلا يكلف به لانا نقول المأمور به قبل حصول الداعى يستحيل منه فيكون التكليف قبله وبعده يصير الفعل واجبا فلا يكلف به

قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون وجه الارتباط انه لما بين بطلان ما انكروه من استحالة النسخ والقدح فى القبلة بقوله كل الطعام الآية وان اول بيت وضع للناس خاطبهم بلين الكلام وانه كيف يسوغ لهم الضلال والاضلال وهم شهداء على حقية هذا الدين والصد جاء لازما ومتعديا وتعين الثانى فيما يقرأ تصدون من اصد وسبيل الله دينه الحق الذى يسلكونها ومن جملة صدهم تذكير العرب بما كان بينهم فى الجاهلية ليشتعل نيران الحروب ويعودوا اليها حالة كونهم طالبين ايقاع الاعوجاج والميل عن الاستقامة وحصوله وان كان محالا لكنهم يوهمون ان فيها عوجا بتغيير صفة النبى عليه السلام عن وجهها ويقولون ان شريعة موسى لا تنسخ او انهم يقصدون ايقاع الاعوجاج وان لم يحصل وهم شهداء انها الصراط المستقيم الذى لا يصد عنها الا المستحكم فى الضلال والاضلال وتخصيص نفى الغفلة بهذه الآية والشهادة بالاولى لان الصد ليس الانوع مكر وامر خفى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم الفريق شاس اليهودى واضرابه وذلك انه مر على نفر من الانصار من قبيلتى الاوس والخزرج وكان شديد الكفر والطعن فى رسول الله فغاظه تألفهم فاغرى بينهم العداوة بتذكير ما كان بينهم من الحرب باشعار لهم فيها منذ مائة وعشرين سنة فقالوا تعالوا نرد الحرب جذعة فاخذوا السلاح واجتمعوا للحرب فجاء النبى عليه السلام وقام بين الصفين وقرأ هذه الآية رافعا صوته فلما سمعوا انصتوا مستمعين فلما فرغوا القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون فانصرفوا مع النبى

سامعين مطيعين لما عرفوا انه نزغة من الشيطان وكيد من العدو فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا ومعنى الاستفهام
في كيف التعجب والمعنى على اي حال يتصور منكم الكفر وانتم تتلى عليكم آيات الله على لسان رسوله وهكذا قال لهم اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام ومن يعتصم بالله بالتمسك بدينه وفيه تحريضهم على الالتجاء الى الله من العدو فقد
هدي الى صراط مستقيم اي سواء الصراط ونيل النجاح والفلاح كل الفلاح وفيه دليل على ان فعل العبد مخلوق الله تعالى لانه جعل اعتصامهم هداية من الله
وتفسير المعتزلة بزيادة الالطاف خلاف الظاهر • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون • لعل وجه المناسبة
انه تعميم بعد تخصيص لان اتقاء الكامل يشمل عدم طاعة الكفار وسائر موجبات السعادات وايضا فيه ارشاد الى ما به يحصل
الاعتصام والتقاة من اتقى وقيل اسم الفعل من اتقيت كالهدى من اهتديت وتقريبه ان ظاهر الامر الوجوب يعلم ان المراد
هو الواجب من التقوى والاتيان بالمأمورات والانتهاء عن المنهيات وحمل اتقوا الله ما استطعتم بيانا له اولى من ان يفسر
بغير المستطاع كأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فيقال هي منسوخة لا سيما وقوله عليه السلام حق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا يدل على عدم ارادة ذلك المعنى وقيل ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه
او بعضه والنهي في لا تموتن ليس عن الموت بل عن حال يقع فيه خلاف حال الاسلام والعياذ بالله كما تقول لا تصلي الا وانت سالم
فكأنه قال دوموا على الاسلام فان قيل ما فائدة العدول عن صريح هذا المقصود الى هذه العبارة قلنا لان فيه مبالغة ليست
في الصريح لانه اذا كان المنهي ما ليس بمقدور كان ابلغ لا سيما وعدم الموت على هذه الحال يستلزم عدم تلك الحال من غير عكس
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا • وجه الارتباط
انه كالمعين على القيام بالتقوى وهو من باب عطف الاخص على الاعم وحبل الله الاسلام والعصام حبل يمنع التمسك به
عن التردي ومن حمل على القرآن فلقوله عليه السلام كتاب الله الحبل الممدود من السماء الى الارض وقيل الاخلاص وقيل الجماعة
ولقائل ان يقول الحمل على المشترك اولى وهو ما به يتحفظ عن موجبات العقاب وذلك للتمسك بعهد الله الى عباده وعدم التفرقة
يتناول المنع من المحاربة والمنازعة والاختلاف في الدين ونحوها وقال عليه السلام ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة كلهم في النار
الا واحدة قيل من هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي والامر بذكر نعمة الله في تحقق الآخرة لانها من اعظم النعم حيث ازال
ما بينهم في الجاهلية من الحروب والعداوة والف بينهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فلا حاجة الى التخصيص بالاوس
والخزرج ما قيل لاندراجهم في العموم وشبه الصداقة بالاخوة لظهور اثرها ولا يخفى ان من كانت الدنيا اكبر همه كان معاديا لاكثر
الخلق ومن كانت الآخرة اكبر همه لم يكن كذلك لانه ينظر بنظر الحق الى الخلق فيرى الكل اسيرا في قبضة التقدير وفيه دليل على ان افعال العباد
مخلوقة لله تعالى وتأويل المعتزلة بحصول ذلك ببيان الحال والتحذير ونحوهما باطل لحصولها في زمان المحاربة • وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون • شفا الشيء طرفه مقصور مثل شفا البئر يقال اشفى اي
اشرف عليه ولامها واو قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث ويقال شفا الحفرة وشفيها وبلغ شفاه اي انتم مشرفين بسبب

بسبب كفركم على النار بمعنى انه لو مات على ذلك لوقع فيها ولا عبرة بقول المعتزلة انه تعالى لطف بهم بالرسول وبغيره حتى آمنوا لان المؤمن
والكافر يشترك في اللطف فلو كان موجدا لايمان العبد لكان هو المنقذ نفسه من النار والله سبحانه اخبر بانه انقذه من النار
وتأنيث الضمير ان لم يكن للنار او الحفرة فلاكتساب الشفا من الحفرة بالاضافة قال كما شرقت صدر القناة من الدم والكاف في موضع
النصب اي مثل ذلك البيان يبين الله الآيات لكي تهتدوا ولعل تشبيهه بفعل من يرجو الشيء او يحمل على الايجاب او رجائهم ذلك
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون • وجه الارتباط انه بعد الامر بالكمال امر
بالتكميل ولما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل فروض الكفايات اعني انه يحصل بفعل البعض الكفاية عن فعل الآخرين
ولا يلزم اعيان الاشخاص صح حمل من على التبعيض وكيف يأمر به من لا يعرف المباحث المتعلقة بالاحكام الشرعية وفي الزام الكل
بعلمها حرج وان حملت على التبيين بمعنى كونوا امة بالمعروف ناهية عن المنكر فلا ينافي ذلك ويحتمل ان يحمل على ذلك لان الحكم المتعلق
بالكل لا يلزم تعلقه بالافراد وان حمل على العموم كان المعنى صحيحا لان من جملة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لظهورهما باللسان ثم بالقلب
وهذا مما يجب على كل احد كما اذا راى من ترك الصلوة لان قبحه معلوم عند كل احد ويدل عليه قوله سبحانه كنتم خير امة الآية ومن توسط ضمير
الفصل علم انحصار كمال الفلاح فيهم سئل النبي عليه السلام عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وعن علي رضي الله عنه
افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن سفيان اذا كان محببا
في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن وعن حذيفة يأتي زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وطريق معرفة الوجوب السمع عندنا وشرط النهي عن المنكر ان يعرف الناهي قبح ما ينكر وان لا يكون واقعا لان
الواقع لا يحسن النهي عنه وان لا يغلب على الظن انه اذا نهى زاد في المنكر ولا يؤثر النهي وان لا يغلب على الظن وقوع المعصية
كما اذا راى من يتهيأ للشرب باحضار اسبابه وينهى غير المكلف كالصبي اذا قصد اضرار الغير والآية شملت ثلثة اشياء الدعوة
الى الخير وافضل اقسامه الدعوة الى اثبات ذات الله وصفاته قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واقلها الى تعاطي ايصال
الخير الى الغير ولو مفاتحة السلام وطيب الكلام والترغيب في فعل ما ينبغي والترهيب على فعل ما لا ينبغي لا يقال الفاسق ليس من اهل
الامر بالمعروف لانه ليس بمفلح لجواز ان يكون ذلك للغائب وايضا لزمه ترك المنكر وفعل الامر بالمعروف وبترك احدهما لا يسقط
الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم • لعل وجه الارتباط الامر بالمعروف يستدعي
سولة وقوة تستدعي اتفاق الكلمة والمتفرقون اليهود والنصارى كفر بعضهم بعضا بالاختلاف في كتب الله سبحانه وبعد مجيء الآيات
الدالة على وجوب الاتفاق والمنع عن تفرق الكلمة لكون التفرق اقبح ولا يبعد الحمل على اهل البدعة كالمعتزلة وغيرهم لما سبق
من قوله عليه السلام ستفترق امتي ومقتضى التفرق قد يكون العداوة ومقتضى الاختلاف اتباع التأويلات الفاسدة
ولعل وصف العذاب بالعظمة من جهة انه ضلال واضلال • يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون • العامل في اذ

متعلق الظرف اعنى لهم او اذكر او عظيم والبياض يتجوز به عن الفرح والسواد عن الغم يقال لفلان عندى بيضا اى جليلة
ساره وقال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولبعض الشعراء يا بياض القرون سودت وجهى عند بيض الوجوه سود القرون
فلعمرى لاخفينك جهدى عن عيانى وعن عيان العيون بسواد فيه بياض لوجهى وسواد لوجهك الملعون ويقول العرب لنائل
الامنية ابيض وجهه اى التهلل والاستبشار فاسوداد وجه الكافر شدة الحزن والغم من قبيح اعماله يقال لمن وصل اليه مكروه
اربد وجهه هذا والاولى الحمل على الحقيقة اذ لا مانع منه وفائدة ذلك ان يعرف اهل الموقف فسمى السعيد والشقى بتلك العلاقة
فيفرح بذلك قومه ويفرح بفرحهم قال تعالى ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى ويعلم من الآية بطلان مذهب المعتزلة من اثبات منزلة
بين منزلتى المؤمن والكافر ولا يشكل بانه لا دلالة على حصر اهل الموقف فيهما لان الآيات المتقدمة ما كانت الا فى الترغيب فى الايمان
بالتوحيد والنبوة والزجر عن الكفر بهما فتعقيبها بهذه الآية ظاهر ان المراد بيان القسمين وفيه نظر وكان اصل الكلام تقديم ذكر
السواد لكنه قصد بذلك ان يكون الافتتاح والاختتام بذكر اهل السعادة او ليكون مطلع الكلام ومقطعه مما يشرح الصدر
وهمزة اكفرتم للتوبيخ اى يقال لهم ذلك وهم اهل الكتاب كفروا بمحمد عليه السلام بعد مجيئه وقد اعترفوا بنبوته من قبل فبياض الوجه
للمؤمنين والسواد لهم وقيل الاول للمهاجرين والانصار والثانى لبنى قريظة والنضير وقيل المرتدون وقيل اهل البدع كما سبق
وعن ابى امامة انهم الخوارج ولما رآهم قال كلاب النار وقال سمعت ذلك من النبى عليه السلام مرارا وبكى رحمة لهم وقال كانوا من اهل
الاسلام فكفروا ثم قرأ الآية ورحمة الله ثوابه المخلد ومعنى الاستيناف بقوله هم فيها خالدون فانه جواب من قال ما حالهم فى تلك النعمة
وتخصيص الخلود بهذا القسم لتغليب جانب الرحمة • تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات
والارض والى الله ترجع الامور • تلك اشارة الى ما تقدم من القصص والوعد والوعيد او عجائبه نتلوها عليك مقرونة بالحق من وعد
المحسن ووعيد المسئ او بالصدق واليقين ولا يريد شيئا من الظلم لاحد من اهل العالم بنقص ثواب وزيادة عذاب وتمسكت
المعتزلة بهذه الآية على انه سبحانه غير فاعل للظلم ولا خالق لافعال العباد لانه غير مريد للظلم ولو كان فاعلا لكان مريدا ولو كان خالقا
لفعل العبد لكان مريدا له ومن جملة افعاله الظلم ولله ما فى السموات دليل على ذلك لان فاعل القبيح انما يفعل للعجز او الحاجة وكل
ذلك على الله محال واذا لم يكن بارادته كان ضعيفا وهو محال والله تعالى قد يمدح بانه لا يريد الظلم وانما يصح ان لو امكن منه والجواب
لم لا يجوز ان يكون المراد انه تعالى لا يريد ان يظلم احدا من عباده ثم ان التمدح بالشئ لو استلزم صحة الاتصاف للزم صحة الاتصاف
بالنوم بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وقوله وما ظلمهم الله وايضا كون ما فى السموات يدل على كونه خالقا لافعال العباد لانها ما فى السموات
لا يقال انه اضافة ملك لا اضافة فعل لان القادر على القبيح والحسن لا يرجح الحسن الا اذا حصل داعية ترجيحه وتلك الداعية
بتخليق الله تعالى دفعا للتسلسل واذا كان المؤثر مجموع القدرة والداعية وهما بتخليق الله تعالى ثبت ان فعل العبد
من الله فسبحانه من آله يحلم عمن يكذبه ويكذب رسوله فى قول كل من عند الله ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم قال عليه السلام
لخطيب قال ومن عصاهما بئس خطيب القوم انت وقال الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

ای نزل هذه الآية فی قوله تعالی ولا تكونوا كالذين تفرقوا



كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم
منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون • وجه الارتباط انه من جملة ما يحمل على الانقياد والطاعة فكان اما ناقصة اى كنتم
فى علم الله او فى الكتب المتقدمة او يقال لهم فى القيامة او تامة وخير حال او للدوام نحو كان غفورا رحيما اى انتم خير امة او صرتم
او زائدة وقيل هم المهاجرون وقيل جماعة قال لهم بعض اليهود ديننا خير وقيل اصحاب رسول الله عليه السلام وهو الظاهر
ولكنه عام مثل كتب عليكم الصيام واستونف بتأمرون للدلالة على الخيرية لما تقرر ان ترتب الوصف على الحكم مشعر بعلية ذلك الوصف
للحكم والناس عام وقيل اهل مكة واللام يتعلق بالخير نحو خير لك ومعنى اخرجت وجدت وقيل من مكة الى المدينة والايمان بالله حمل
على كل ما يجب الايمان به اذ لا عبرة ببعض ما يجب الايمان به ويحتمل ان يريد ذلك والعلم بغيره حصل مما تقدم او لان الايمان بالله لا يحصل
الا اذا كان صادقا وهو لا يحصل الا اذا كان الذى اظهر المعجز على وفق دعواه صادقا لان المعجز قام مقام التصديق وايمان اهل
الكتاب بالله لما يتصل به غيره كان كلا ايمان ولو آمنوا لكان خيرا لهم مما هم عليه من تحصيل حظوظ الدنيا والمؤمنون منهم عبد الله
بن سلام واصحابه والنجاشى وقومه فان قيل ولو آمن يدل على انهم ما آمنوا ايمانا يعتد به وهو شامل لجميعهم ومنهم المؤمنون يشعر
بثبوت الايمان المعتد به لهم فما وجه التوفيق قلنا المنفى ايمان اهل الكتاب كلهم لا ايمان كل فرد منهم والمثبت ايمان البعض
فلا منافاة والعدول عن الكافرين الى الفاسقين للاشعار بانهم مردودون مطلقا اما عندنا فللكفر وعندهم للفسق على فرض اعتبار
ايمانهم عندهم • لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون • الاذى الضرر اليسير والاستثناء متصل
قيل طعن فى الدين او اسماع كفر او تكذيب وقيل تهديد وقيل هو اذى رؤسا اليهود لمؤمنيهم لما كان المنهزم يولى دبره
عبر عن الانهزام به ولا ينصرون وعد من الله بان لا ينصرهم احد ويمنع المؤمنين عنهم فلا عبرة بتهديدهم وعدم الجزم لقصد
الاخبار به دون العطف ليكون وعدا غير مقيد بمقاتلتهم فكانه قال شانهم وحالهم عدم النصرة ويكون معطوفا على الجملة الشرطية
اى اخبركم بالتولية ثم بعدم النصرة ثم للتراخى فى المرتبة لان الثانى اعظم من الاول وهذه الجملة مع قوله منهم المؤمنون ذكر لبيان
حال اهل الكتاب على طريقة الاستطراد كما تقول على ذكر فلان شانه كيت كيت ولهذا ترك العاطف عند تعداد الاحوال
ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • اى احاطة الذلة باليهود بحيث
لا ينفك عنهم احاطة الخيمة بمن ضربت عليه وذلك فى الاحوال كلها الا فى حال كونهم معتصمين بحبل من الله يعنى ذمة الله وحبل
من الناس اى ذمة منهم وسمى العهد حبلا لانه يزول به الخوف كما يزول خوف من تمسك بالحبل لان ذلك عند نزول الاحكام
فلا قتل ولا غنيمة ولا سبى والذلة قيل ضرب الجزية لانه يوجبها والاولى ان يراد الحرب معهم والقتل لانه لو اريد ضرب الجزية
زوالها بعقد الجزية وليس كذلك اللهم الا ان يحمل على الاستثناء المنقطع ومعنى ثقفوا وجدوا وصودفوا يقال ثقفته
فى الحرب اى ادركته فلا عز لهم الا بذمة الله وذمة المؤمنين وان جعل الاستثناء منقطعا فالمعنى لكنهم يعتصمون بحبل

من الله وباؤا واستحقوا الغضب من الله وضربت المسكنة كضرب الذلة لا يفارقهم ولا يفارقونها وذلك الغرب والبوار
مسبب عن كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء غير محقين بزعمهم ايضا وذلك المذكور بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
اى الغضب والذلة والمسكنة بسبب الكفر وهو بسبب المعاصي لانهم لما توغلوا فيها انطفى نور الايمان بظلماتها واليه
الاشارة بقوله سبحانه كلا بل ران على قلوبهم لا يقال فائدة ذلك ان يعلم منه ان المستجلب لغضب الله ليس الكفر وحده
بل ارتكاب المعاصي من هذا القبيل لما سبق من التقرير الا ان يحمل العاصي على ما هو نوع آخر من الكفر فان قيل عطف احد الحبلين على الآخر
يقتضي المغايرة وايضا يقتضي ان لا يكفي عهد الله وحده قلنا قد قيل ان المجموع واحد لانه ما اخذ من امان المؤمنين باذن الله قال
صاحب المفاتح الذي عندي ان حبل الله اصل الجزية وحبل الناس ما يزيد الامام فيه تارة وينقص اخرى وهذا لا يدفع السؤال
ايضا نعم لو حمل حبل الله على عصمة النفس بالاسلام فان عهد الله ترك التعرض حينئذ وحبل الناس اما الجزية او المهادنة او الامان
وكل واحد منها كاف في عصمة النفس واسناد القتل اليهم من لم يحضر ان عمم الحكم فلرضاه به • ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات واولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين • وجه الارتباط انه لما ذكر اهل الكتاب
على العموم بانواع المثالب اردفه بما يشعر بان فيهم من له هذه المناقب بناء على ما قيل انه لما اسلم ابن سلام واضرابه طعن فيهم اليهود
ونسبوهم الى الكفر فنزلت والاكثر على انه في هذه الامة وحينئذ يكون الربط ظاهرا روي انه نزلت في صلوة العشاء قال ابن مسعود
اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله
في هذه الساعة واستؤنف من اهل الكتاب لبيان عدم المساواة وضمير ليسوا لاهل الكتاب لا للامة على لغة اكلوني البراغيث
والقائمة المستقيمة من اقمت العود فقام او الثابتة على الحق وبيان التهجد بقراءة القرآن آناء الليل لا يناهاظ فيها مع ذكر السجود
ابلغ في المدح اى هم امة تالون مؤمنون ولا شيء من هذه الصفات في اهل الكتاب لان ايمانهم كلا ايمان لشركهم بعزير وكانوا
مداهنين غير مسارعين في الخيرات فلا يكونوا من الصالحين لانهم الموصوفون بالخلو عن الفساد عقيدة وعملا فكيف بالكاملين فيه
وروي ان اليهود كانوا يقومون للتهجد فاردف قيام الليل بصفات ليس فيهم لاخراجهم عن ذلك والمسارعة في الخيرات
فلا يكونوا من الصالحين لانهم الموصوفون بالخلو عن الفساد عقيدة وعملا فكيف بالكاملين فيه وروي ان اليهود لخوف الفوت
بالموت او الاتيان بها غير متثاقلين قرئ تفعلوا بالتاء والياء وعلى الثاني يعم جميع المؤمنين ومعنى لن تكفروا لن تمنعوا
ثوابه وجزاءه وانما سمي كفرا لان ايصال الجزاء سمي شكرا ولانه بمنزلة الجحد والستر وتعديته الى مفعولين للنظر الى ما فيه من معنى
المنع والله عليم بالاحوال فلا يضيع عنده اجر العاملين وقيل تخصيص المتقين بشارة لهم بجزيل الثواب ولعل الاولى ان يحمل
على انه عليم بالعقائد فينبغي ان ينفي عن الرياء والعجب ما يحبط به العمل ليترتب عليه اثر • ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • لما ذكر حال السعداء عقبه بحال الاشقياء ترغيبا في الاول وترهيبا من الثاني



اى اولاد الكفرة واموالهم لا تدفع عنهم العذاب وان كثرت او لا ينفعهم انفاق الاموال لعدم الشرط الذي هو الاسلام
وشيئا يحتمل المصدر اى اغناء قليلا والمفعول به واصحاب النار ملازموها كما يقال اصحاب الاموال لملاكها واحتج الاصحاب
بعدم خلود اصحاب الكبيرة لانها تفيد الحصر يقال هم اصحاب الشافعي لا غيرهما لا سيما وقرن به الخلود قيل نزلت في اليهود
وقيل مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بالمال والتعميم اولى لان الافتخار بالقسمين كان فيهم وتخصيص القسمين لان
انفع الجماد المال وانفع الحيوان الولد • مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون • قد سبق ان اموالهم لا تنفعهم ولو صرفوها في الخيرات فاراد تشبيه المنفق في عدم
الانتفاع به بالحرث الهالك والاولى ان يكون من قبيل التشبيه المركب كما سبق انه تشبيه احدى الكيفيتين المنتزعة من احدى
في البقرة في قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا
الجملتين بالاخرى مع قطع النظر عن اجزائها بان شبه المنفق في المكارم والمفاخر وحسن الخلق في عدم الانتفاع به بالزرع
الهالك بالبرد والصر والصرصر الريح الباردة وقيل السموم الحارة ويشهد للاول قول ليلى الاخيلية • ولم تغلب الخصم الالد وتملأ
الجفان سديفا يوم نكباء صرصر • وفي هذه التوصيف مبالغة لانه في قوة برد بارد لان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة
فوصفت بها القرة بمعنى فيها قرة صر او هو مصدر في الاصل بمعنى البرد فلا يكون فيه تلك المبالغة ووصف القوم بظلم انفسهم
للاشارة الى الذهاب الكلي لان ما يتلف من مال المسلم يبقى له في الاخرة عوض او يحط به عنه وزر بخلاف ما ذهب من مال الكافر
والضمير في انفسهم يحتمل انه يكون للمنفقين فان ذهاب اموالهم ليس لظلم الله اياهم بل لاعمالهم شرط القبول وبجوز انه يكون
للقوم فان قيل فايهما اولى قلنا الاول باعتبار المعنى والثاني بالنظر الى اللفظ • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون •
بطانة الشخص خصيصته الذي يطلعه على اسراره مأخوذة من بطانة الثوب كما يقال فلان شعاري ومنه الانصار شعار
وقيل من البطن اى لا تتخذوه من المسلمين او لا تتخذوا بطانة كائنة من دونكم وصفتهم انهم لا يقصرون في طلب الفساد يقال
ألى في الامر اى قصر فيه وهو يستدعي مفعولين يقال لا الوك نصحا والخبال الفساد ومن صفتهم انهم يودون مشقتكم دينا
ودنيا وما مصدرية والعنت شدة الضرر يقال عقبة عنوت اى شاقة وظهور البغضاء من افواههم وهو شدة البغض
بان ينفلت من السنتهم علامة بغضهم للمسلمين مع تحرزهم لعدم تمالكهم والافواه جمع الفم لان اصله فوه بدليل هذا الجمع
وقيل للكفرة والمنافقين ويقرأ بدا البغضاء وقد اظهرنا لكم الآيات الدالة على وجوب موالاة اولياء الله ومعاداة
اعدائه وما تخفي صدورهم من النفرة اعظم مما يظهر على السنتهم ولعله باعتبار انه لما كان عمل القلب اقوى في جانب الخير فكذلك
في الشر وايضا ظهورها في اللسان مسبب عنه ان كنتم تعقلون اوامر الله ونواهيه وان كنتم تعقلون لا تخالصوهم
بل تعادوهم ورجح كون الجمل مستانفات للتعليل من ان يكون الاوليان صفتان للبطانة والثالثة مستانفة • ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا

يغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ها للتنبيه دخل على المبتدا واولا خبره او مبتدا ثان وهو مع تحبونهم خبر الاول
وعند البصريين تقديره هولاء انتم نحوها انا ذا وربما تكرر نحوها انتم هولاء وقيل يجوز ان يكون موصولا وتحبون صلته
او انكم اذا خالصتموهم فكانكم هم وقيل محل نصب نحو انا زيدا ضربته والمعنى انكم باعتبار ارادة الايمان منهم تحبونهم وهم باعتبار
ارادة كفركم لا يحبونكم وكيف وانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض ولعل العدول عن البغض للمقابلة
والانتصاب وتؤمنون على الحال من لا يحبونكم وفيه زجر عن محبتهم بالنظر الى انهم في باطلهم اصلب منكم في الحق والكتاب الجنس
ولم يجمع لان المصدر لا يجمع الا بالتاويل كما قال تعالى يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ بعض الانامل
قال فاقتل اقواما لياما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم وموتوا بغيظكم دعاء عليهم بزيادة الغيظ المفضي الى
الهلاك بسبب قوة الاسلام وعز اهله وضرب الذل على عدوهم وفي العلم بذات الصدور اي الخواطر القايمة بالقلوب
نسبت اليها لكونها قايمة بها من البغضاء تهديد ووعيد ويجوز ان يكون التقدير قل ان الله عليم بما يخفيه القلوب كلها فيعلم
ما يسترونه من الغيظ فيكون الطريق البرهاني ولعل هذا التقدير من قولهم بما هو اخفى لان ما يسرونه من الغيظ منا وبانه
في الخفاء ويجوز ان لا يكون داخلا في جملة المقول بل مبتدا من الله تعالى قل لهم ذلك واعلم اني اعلم ذلك وغيره مما يخفونه وهذا
ايضا اولى من قولهم لا تتعجب فانه لا يليق بالنبي ان يتعجب من علم الله للغيب مع ما عنده من البراهين الساطعة والبينات
اللامعة عليه ويجوز ان لا يكون ثم قول بل مجرد تطييب لنفسه بذلك عليه السلام ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما تعملون محيط يجري مجرى بيان عداوتهم ويمكن ان يستدل به
على العداوة الشرعية والحسنة شاملة لخير الدارين من قوة الاسلام والنصر والخصب وغيرها والسيئة بازائها فيدخل فيها
اتفاق الكلمة واختلافها وسال في الكشاف عن جهة تخصيص المس بالحسنة والاصابة بالسيئة واجاب بان المس هنا الاصابة
وحاصله يرجع الى انه لا فرق الا من جهة اللفظ اذا حمل على خلاف الظاهر ولحبيب ان يجيب عنه باحتمال بيان ما في ضمايرهم من تخصيص
المس الذي هو اقل رتبة وهو الاصابة باليد بالحسنة لما فيهما من العداوة وان هذا القدر تسوءهم والاصابة التي هي اقوى به
بالسيئة وان تصبروا على التكاليف والمشاق وتتقوا الله في محارمه لا يضركم مكايدهم والكيد الاحتيال في ايقاع الغير في
مكروه وكيف لا ومن في تعهد العبودية فالله اكرم من ان لا يفي بوعد الربوبية وقرئ لا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء
من ضاره يضره وبضم الياء والراء المشددة واصله يضرركم فادغمت الراء ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمة
الاخيرة اتباعا للاقرب الحركات وقرئ بفتح الراء واحاطة الله لما استحال حملها على الحقيقة لانها تقتضي الجسمية حملت على كونه عالما
بكل الاشياء قادرا على جميع الممكنات واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم العامل اذكر
او محيط او عطف على قد كان اي في كل اعتبار روي لما نزل المشركون باحد فقال الانصار اقم بالمدينة فوالله ما خرجنا الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا

قاتلهم

وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم والنساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال بعضهم يا رسول الله
اخرج بنا الى هولاء الكلاب لا يرون انا قد جبنا وقال عليه السلام اني رايت في منامي بقرا مذبحة فاولتها خيرا ورايت في
ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان يقيموا بالمدينة وتدعوهم
فرغبه من فاته بدر واكرم بالشهادة في احد ولم يزالوا به حتى لبس لامته فندموا وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال
لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
يمشي راجلا ويصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهر عسكره الى احد وامر عبد الله
بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا وهو معنى تبوئ المؤمنين اي تنزلهم وقراءة للمؤمنين معناه
تسوي مقاعد جمع مقعد والله سميع لاقوالكم واقوال المنافقين او المشاورين عليم بالنيات والضماير اذ همت طايفتان
منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون عامل الظرف اذكر وان جعل بدلا من اذ غدوت فيحتمل غيره كما سبق
او عليم لان العلم متعلق بوقت الخطران من غير عزم كما هو متعلق بغيره والهم جريان الشيء بالقلب والطايفتان بنو سلمة وبنو حارثة
من الخزرج والاوس وهما جناحان للعسكر وقيل من المهاجرين والانصار وخرج النبي عليه السلام في الف او تسعماية وخمسين
والكفار ثلثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخذل ابن ابي بثلث القوم وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فقال عمرو بن حزم
الانصاري انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي ان لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الطايفتان بالانخذال فعصمهم الله
ومضوا مع النبي عليه السلام وقيل عزموا على الرجوع فثبتهم الله وتمام القصة ياتي من بعد والفشل الجبن والضعف وقيل
ما كان مجرد حديث النفس كما لا يخلو الانسان عنه عند الشدايد لانها لو كانت عزيمة لما ثبت الولاية معها وقد قال تعالى والله وليهما
وللقايل ان يقول وهو مجرد دعوى يقابل بالمنع ويسند بقوله عليه السلام اذا هم العبد بسيئة لم تكتب عليه ما لم يعمل بها او يتكلم وفسرت
الولاية بالنصرة وتولي الامر وما روي عنهم والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا حمل على فرط الاستبشار
بانزال الله آية تدل على صحة ولاية لهم وعدم المواخذة بتلك الهمة وبقراءة وليهم وتقديم الظرف يشعر بحصر التوكل على الله والتوكل
تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه وفيه اشعار بانه ينبغي ان يدفع المكروه عن نفسه بالتوكل ويصرف الجزع
عن نفسه بذلك ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون هذا بيان مقتضى عدم التوكل على غير الله وبدر
ما بين مكة والمدينة سمي باسم صاحبه وقيل هو علم الماء وذلتهم حينئذ لقلة العدد وفي جمع القلة مبالغة فيها روي انهم خرجوا
على النواضح جماعة منهم على بعير واحد ما كان معهم الا فرس واحد وهم ثلثماية وبضعة عشر والكفار قريب من الف ومعهم
مائة فرس ولعلهم اذلة في زعم المشركين كما حكى الله عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل فاتقوا الله في الثبات مع النبي عليه السلام
على رجايكم الشكر بالتقوى ما انعم عليكم من النصرة او ينعم عليكم بمقتضى الشكر اقام المسبب مقام السبب اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملئكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بثلثة

غزوة احد

الشعب طريق في الجبل

القايل الزمخشري والبيضاوي

آلاف من الملئكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم عامل الظرف
نصركم اى نصركم وقت هذا القول لان الملئكة لم يقاتلوا الا يوم بدر دون غيره كما تواعدة ومددا او بدل من اذ غدوت وكأنه
بانه كيف يقوله يوم ولم ينزل فيهم الملئكة لانه كان مشروطا بالصبر عن الغنايم والتقوى فى مخالفة الرسول ويأتوكم الكفار من
فورهم من فارت القدر والفور استعارة فى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره اى ان اتوكم من ساعتكم هذه لا يتأخر
الامداد عنه ويمددكم بخمسة الف من الملئكة معلمين بعمايم صفر قد ارخوها بين اكتافهم وخيلهم البلق بصوف فى نواصيها
واذنابها وقيل المسومين الابل السايمة المرسلة قال عليه السلام تسوموا فان الملئكة قد تسومت وما جعل الامداد الا بشارتكم
بالنصر ولطمانينة قلوبكم كالسكينة لبنى اسرائيل وحصر النصر من عند الله لئلا ينسب الى كثرة المقاتلين بل ولا من الملئكة
والسكينة لاسيما والعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم فلا يخفى عليه الحاجات ولا يعجز عن اجابة الدعوات
فلا يتوقع النصر الا من رحمته واختلف فى ان امداد الملئكة اهو بالقتال ام بتقوية النفوس والقاء الرعب فى القلوب
والاكثرون على انهم قاتلوا يوم بدر دون غيره ونقل صاحب المفاتيح انكاره عن ابى بكر الاصم رأسا ثم قال وهذا لا يليق
الا بمن ينكر القرآن ونقل عنه ترديدات شهد زائغة وكلمات ظاهرة البطلان بحجج دافعة ليقطع طرفا من الذين كفروا
او يكبتهم فينقلبوا خائبين علة لنصركم والطرف الجماعة وقيل ركنا من اركان الشرك او ما يليهم من الكفرة والكبت الصرع
على الوجه والضمير يرجع الى الكفار باسرهم ليحصل احد الامرين اى ليهلك طايفة بالقتل والاسر كما وقع يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين منقطعى الآمال ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم معترض بين ليقطع
او يتوب اى الى الله امركم فاما ان يقطع طرفا بان يهلكهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وسبب النزول
انه لما كسرت رباعية عيينة بن ابى وقاص جعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل والنبى عليه السلام يقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبى بالدم وهو يدعوهم الى الاسلام وقيل لما دعا على احياء منهم او لما هم بدعاء الاستيصال
كأنه قال لهم انت عبد مبعوث لانذارهم وجهادهم وان يتوب مقدر بالتوبة معطوف على الامر وكذلك او يعذبهم وقيل او
بمعنى ان اى ليس لك من الامر الا ان يتوب الله عليهم ويحتمل ان يقدح فيه بلزوم كونه فى تقدير استثناء منقطع وفيه دليل
على ان التوبة لا تحصل الا بخلق الله تعالى لانها الندم المنبعث عن الارادة وهى لا تكون بفعل العبد لانه مسبوق بالارادة
ولو كانت فعلا له افتقرت الى اخرى وتسلسل ومنه علم بطلان قول المعتزلة هى بفعل الالطاف وقبول التوبة وذكر ما دون من لا ارادة
حقايق الاشياء والنعيم واستدل به على ان لله مغفرة جميع الكفار وتعذيب المؤمنين بحكم الالهية لانه اذا كانت ارادة العبد
من الله تعالى فلا الطاعة توجب الثواب ولا المعصية العقاب وما روى عن الحسن من انه يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء
ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين ان صح فمحمول على الزجر اعنى القسم الاول



لما سبق من الدليل نعم ان حمل التوبة عن الحق الغير بوصول بدله اليه اجرى على ظاهره ولا عبرة بهذيانات المعتزلة بعد ظهور
البراهين الساطعة عقلا ونقلا وفى ختم الكلام بالغفور الرحيم اظهار لغلبة الرحمة وسبقها وكيف لا وقوله سبحانه ان الله يغفر
الذنوب جميعا يغنى عن التمسك بغيره يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون لعل وجه الارتباط انه لما ذكر ان لله ما فى السموات
والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اردفه بانه لا يطلب رزق الله من جهة اضرار الناس فيدخل فيه ما قيل ان المشركين
انفقوا على المشركين ما جمعوه من الربوا فلعل ذلك يدعو المسلمين الى اخذه واضعافا وان وقعت فليست للتقييد
بل كان الواقع ذلك فان الغريم اذا لم يجد الدين زاد فى القدر الى ان يستهلك مال المديون وفيه ان التقوى واجب وان الفلاح
يتوقف عليه ولا يشكل بكون النار معدة للكافرين وانها ازيد من عذاب الفاسقين لانه اما ان يحمل على محذوف منه او انه لا يدل
على انها ما اعدت لغيرهم او لان النظر الى الغالب كما يقال اعددت الخيل للقتال او لتعظيم النار وتمسكت الوعيدية باخر الآية
لان ظاهره ان من عصى الله ورسوله فى شئ مما لم يكن اهلا للرحمة وهو باطل لانه يحتمل ان يقال وان صح الدلالة وان لم ينظر
الى الدلايل المخالفة لذلك فلم لا يجوز ان يريد رحمة لم يسبقها عذاب وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين اى بادروا او ليسارع بعضكم بعضا الى موجبات المغفرة وما قيل الى الاسلام او الهجرة او الصلوة
او الاخلاص او الطاعة يندرج تحتها وقرئ بغير الواو ويقرأ سابقوا وتخصيص العرض لانه اقل من الطول فى العادة
وما روى عن ابن عباس يقرن السموات السبع والارضون كما يقرن الثياب بعضها من بعض فذلك عرض الجنة يؤيد
حمله على انه ليس المراد مجرد الوصف بالسعة كما يقال بلاد عريضة للواسعة والتشبيه بما هو اوسع الاشياء لانه وان احتمل
فهو خلاف الظاهر ولا يشكل بكون الجنة فى السماء لان المراد انها فوق السموات وتحت العرش قال عليه السلام فى صفة الفردوس
سقفها عرش الرحمن ويروى ان رسول هرقل سأل النبى عليه السلام فقال انك تدعوا الى جنة عرضها السموات والارض
فاين النار فقال النبى عليه السلام سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قال صاحب المفاتيح والمعنى والله اعلم انه اذا دار الفلك
حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وما ذكره مؤيد بخبر
صحيح دال بتصريحه على ان النار فى جهة السفل ومن قال بالفاعل المختار لم يشكل عليه شئ من ذلك كما هو مذهب عامة المسلمين
وفى الآيتين دليل على خلق الجنة والنار والانفاق فى السراء والضراء اشارة الى انهم لا يتركون الانفاق وان قل
كبصلة او حبة عنب او المراد تعميم الانفاق لان الشخص لا يخلو عن هذين الحالين من العسر واليسر وكذا فى حال السرور
والاغتمام وتخصيص ذكر الانفاق لان نفعه يصل الى الغير لاسيما فى ذلك الوقت لحاجة الفقراء ومجاهدة الاشداء
ولانه اشق على النفس والكاظمين الممسكين عن امضائه مأخوذ من كظم القربة اى شد فمها وكظم البعير كذلك قال النبى عليه السلام

من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا وقالت عايشة رضى الله عنها لله در التقوى ما تركت لذى
غيظا شفاء والعافين هم الذين يتركون حقوقهم اذا جنى عليهم روى انه ينادى يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله
فلا يقوم الا من عفى وحمل المسلمين على العموم اولى من العهد لتكثير الفايدة وتناوله المعهود ۝ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ۝ عطف على المتقين كانه قال اعدت للمتقين
والتائبين ويحتمل ان يكون عطفا على المحسنين لان التائب محبوب ويدل عليه قوله عليه السلام لله اشد فرحا بتوبة العبد
ولا يخفى ان ما يفرح به محبوب والفاحشة هى الفعلة المتزايدة فى القبح فيندرج تحتها الكبيرة والزنا بالخصوص وظلم النفس
ما كان اقل منه كالقبلة واللمسة او مطلق الصغيرة او ما يعمهما فيكون من عطف الاعم على الاخص وما روى انها فى تيهان
التمار ضم امراة الى نفسه وقبلها ثم ندم فنزلت او الانصارى الذى قبل ظاهر كف امراة قصدا ان يلثمها يشعر بان الفاحشة
تشمل الصغاير لانه سال عمر رضى الله عنه فى الصورة الاخيرة اخاص هذا لهذا يا رسول الله فقال للناس عامة وذكر الله هنا
ذكر عقابه وخشيته والحياء فيه وقالوا اللهم اغفر لنا فانا تبنا نادمين مقلعين عازمين على عدم العود وهى التوبة
المعتبرة بها ومن يتضمن استفهام الانكار اى لا يغفر الذنوب الا الله وعدم الاصرار على الذنب عدم الاقامة قال
عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وقال عليه السلام لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
والمراد من الاصرار الاكثار عرفا عند الفقهاء ومعنى وهم يعلمون اى يعلمون ان الله يعاقب المذنب ان لم يتب او يعلمون
انه ذنب وحمل على الوعيد بناء على ان من لم يعلم قبحه قد يعذر وهو لا يلايم السياق وللقايل ان يقول يجوز ان يتعلق بقوله تعالى
ومن يغفر الذنوب لقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى اعلم عبدى ان له ربا يغفر الذنوب ويواخذ به قد غفرت له والمخصوص
بالمدح فى نعم محذوف اى المذكورات والحمل على ان ذلك يدل على وجوب الجزاء على العمل سفه وبطالة اما اولا فلانه لا دلالة
للفظ عليه بشى من الدلالات الثلث واما ثانيا فلانه لا معنى للواجب الا ما يذم تاركه واما ثالثا فلان النعم السابقة لا يكافيها
عبادة العمر فكيف يستحق شيئا آخر واعجب من هذا ان الاحاديث المروية فى الصحاح بشهادة العدول الثقات فى باب الشفاعة
ملغاة ويتمسك بآثار السلف فى ذلك ۝ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ۝ وجه الارتباط
انه لما سبق ما يرغب فى حال المحسنين عقبه بما يرهب عن حال اضدادهم من الامم الخالية خلت اى مضت والسنن ما بينه
الله فى الامم المكذبين من مشهورات الوقايع الى المذكور من الامر والنهى والوعد والوعيد وذكر انواع البينات وهو
ايضاح واصل السنة الطريقة المستقيمة واشتقاقه من سن الماء يسنه اذا والى صبه فليتامل فى عواقب المكذبين
وليعتبر بما يظهر من آثار المهلكين وهذا الى المذكور من الامر والنهى والوعد والوعيد وذكر انواع البينات وهو ايضاح

لاحوالهم

لاحوالهم وسوء عاقبتهم من سنن الهلاك والاستيصال بدليل فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين واصل الدلالة التى تفيد
افادة الشبهة بعد حصولها والهدى بيان الطريق الرشد ليسلك دون الغى والموعظة الكلام الذى يزجره عما لا ينبغى
فى طريق الدين ومعنى ولا تهنوا انكم اذا علمتم احوال القرون الخالية علمتم ان اهل الباطل وان اتفقت لهم صولة لكن مآلهم الى
الضعف فلا ينبغى ان يصير صولة احد سببا لضعف قلوبكم وعجزكم والوهن الضعف قال ء وهن العظم منى ووجه كونهم
اعلون ان ما اصاب المسلمون من الكفار يوم بدر اعظم مما نالوا منهم يوم احد قال ء اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
او بالنظر الى العاقبة ومعنى ان كنتم مؤمنين اى ان كنتم مؤمنين علمتم ان هذه الوقعة لا تبقى بحالها ويصير الاستعلاء للمؤمنين
روى انه اقبل خالد بن الوليد يوم احد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم فقال عليه السلام اللهم لا تعلن علينا اللهم لا قوة
الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله ۝ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها
بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ۝
هو من تتمة لا تهنوا القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقرئ بهما وقيل بالضم الم الجرح واصله الخلاص ومنه
ماء قراح لا كدر فيه وارض قراح خالص الطين روى انه لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد جرينا جعلت المرارة بجاير وجها
وابيها وابنها مقتولين وهى تضطرب فقال النبى عليه السلام هكذا تفعل رسولك فنزلت والقرح الذى مثل قرح احد
وهى قتل سبعين رجلا ما اصابهم يوم بدر وايضا قد مس القوم قرح مثله فى احد ايضا نداولها نصرفها ندليل تارة لهؤلاء
وتارة لهؤلاء والمداولة مثل المعاورة قال ء يرد المياه فلا يزال مداولا ۝ وهو خبر تلك الايام او الايام خبر تلك كما يقال هى الايام
تبلى كل جديد وفى معنى المداولة قولهم الحرب سجال قال ء فيوما علينا ويوما لنا ۝ ويوما نساء ويوما نسر ۝ لما قال ابو سفيان هذا المعنى
فقال عليه السلام اجيبوه فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا قال
فى المفاتيح ليس المعنى ان الله ينصر المؤمنين تارة والكفار اخرى فانه منصب شريف لا يليق بالكفار بل اراد انه يشدد على الكفار
تارة وعلى المؤمنين اخرى لانه لو دامت على الكفار لاضطروا الى الايمان وفايدة ابتلاء المؤمنين تكفير ما اقترفوه من المعاصى
وللقايل ان يقول هذا ضعيف لان المذهب ان الكل من عند الله وايضا نصر المؤمنين محنة الكفار وبالعكس فلا فرق او يؤيده التفسير
بقولهم يظفر قوما بقوم ثم يظفر الآخرين على الاولين وليعلم معناه ليتعلق العلم بهم موجودين للجزاء كما تعلق بهم قبل وجودهم والمعلل
محذوف اى ليتميز الثابتين على الايمان فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم الثابت من غيره وقيل ليميز وقيل ليعلم اولياؤه فاسند
الى نفسه تعظيما او يكون العلة محذوفة اى فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت ويحتمل ان يقال ليظهر من بعضهم طاعة الرسول وليعلم الله
وفايدته ان فعل الله له حكم غيره وان لم يعلمها العبد وساءه ما وقع ولا تمسك فيه بان الله تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها
لان الدلايل العقلية دلت على حصوله قبلها فكل اية يشعر بحدوث العلم يحمل على حدوث المعلوم ويحتمل ان يحمل على تجدد التعلق
واتخاذ الشهداء اما بان يقبل فينال ثواب الشهداء او بمعنى الشهادة على الامم والظالمين حملت على غير الثابتين

فى الناس بين شكل ... آخره

او المضمر من خلاف ما يطهرون ولعل الحمل على الاعم اولى وهو معترض بين التعليل الاول وقوله وليمحص اي ليبتلي او يخلص
الذين آمنوا من ذنوبهم اي يطهرهم واصله الخلوص ويمحق الكافرين والمعنى انه ان كانت الغلبة للكافرين ففي تطهير للمؤمنين
وان كان بالعكس فمحو آثارهم ان يستعقب لهم فائدة • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون • ام هي المنقطعة مثل انها لابل ام شاء ومعنى
الهمزة الانكار ونفي العلم يراد به المعلوم فالمعنى ولما تجاهدوا اي احسبتم ان تدخلوا الجنة من غير جهاد لانه اذا لم يوجد لم يتعلق به
العلم ولما مثل لم في النفي الا ان فيها توقعا وانتظارا فيكون نفي الجهاد فيما مضى ويتوقع فيما يستقبل تقول جلست ولما اي
الى توقع جلوسك ولهذا كان جواب قد فعل لما يفعل ويعلم قرئ بالنصب والرفع وعلى الاول ان مضمرة والواو يسمى واو الصرف
والجمع مثل لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا تجمع بينهما وعلى الثاني واو الحال اي وانتم صابرون ويقرأ بالجزم وعلى الاول معنا
ان ترك المصابرة على الجهاد ودخول الجنة مما لا يجتمعان لان حب الدنيا وسعادة الآخرة لا يجتمعان لان الثانية لا تحصل الا
بالاعراض عما سوى الله لان الحب الحقيقي هو الذي لا يزول بالجفاء ولا يزيد بالوفاء ولا يتبدل بانواع المكروهات وتمني الموت
كان ممن لم يشهد بدرا وقد سمع بكرامة الله مع شهداء بدر وقالوا ارنا جهاد العليا نستشهد فيه فنلحق باخواننا في الجنة
اي رأيتم الموت تنظرون الى السيوف فيها الموت وقيل هم الذين الحوا على الخروج من المدينة واذا لم يرد بالموت الحرب ثم اشكل
بان في هذا التمني غلبة الكفار لان المعنى لم يقصد به الا الشهادة من غير ان يخطر بباله ذلك ولهذا قال ابن رواحة لما قيل ردكم الله
لكنني اسأل الرحمن مغفرة • وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا • او طعنة بيدي حران مجهزة • بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي • ارشدك الله من غاز وقد رشدا • والآية تدل على ارادة الله تعالى فعل العبد من الخير والشر لانه تعالى رغب
في نور الشهادة ارادة لها وهو لا يحصل الا بقتل الكفار اياهم وهو كفر ومعصية وارادة الشر ارادة لازمه • وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكرين • روي انهم لما خالف الرماة الذين امرهم النبي عليه السلام ان لا يبرحوا ينضحون ملازمين اصل الجبل امره لما رأوا
قد انهزموا وقتل منهم جماعة ونساؤهم هاربات مصعدات اقبلوا يريدون النهب مع غيرهم وقال بعضهم لا نخالف امر النبي عليه السلام
وقال الآخرون ما بقي شيء ورأى خالد بن الوليد قلة الرماة صاح في جملة من المشركين وحمل على اصحاب النبي عليه السلام من خلفهم
وهزمهم وقتل مصعب بن عمير صاحب راية النبي بعد ان كشف عنه حين شج في وجهه وكسر انفه ورباعيته فقال ابن قمية
قاتل مصعب لقد قتلت محمدا وصرخ به صارخ وهو ابليس ولا شك انه الشيطان وقال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي
يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم وقال انس بن النضير
عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وروي ان انصاريا كان



يتشحط في الدم فاخبر بموت النبي عليه السلام او قيل سببا لترك الجهاد او لارتدادهم اذ الهمزة للانكار والفاء للسببية والذهاب
للانقلاب وذكر القتل مع استحالته بسبب الاخبار بقوله تعالى والله يعصمك من الناس على تجويز من لم يعلم الآية ان كان نزولها
قبله او على وجه التغليظ للفرار عن الحرب ومن ينقلب على عقبيه فلن يرجع وبال الانقلاب الا عليه فلن يضر الله بل ضر نفسه لتنزه جنابه
عن الانفعال وسيجزي الله الشاكرين نعمة الاسلام حيث لم ينقلبوا بل صبروا على القتال وبذلوا انفسهم ما ورد في صفة الشهداء وغيرها
ومنهم انس بن النضير واصحابه وروى صاحب المفاتيح عن محمد بن جرير عن علي رضي الله عنه انه ابو بكر واصحابه ويروى عنه ايضا
انه امام الشاكرين • وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين • فيه تحريض على الجهاد وتشجيع للمسلمين وذكر ما جرى على النبي عليه السلام عند غلبة العدو وهذا
وان كان عاما بمعنى انه يستحيل موت الانفس الا بمشية الله واخرج مخرج ما لا ينبغي لاحد ان يفعله لكنه حمل على انه ليس لنفس
ان تموت الا بعلم الله او بان يأذن لملك الموت في قبض روحه ولم يأذن له في قبض روح محمد عليه السلام لتتميم الرسالة
وكتابا مصدر موكد لنفسه اذ قلنا لا مفهوم منه الا ان الله كتب الاجل لا يتغير هو مثل صنع الله ويعلم ان المقتول ميت باجله
وفيه وفي ذكر الثواب الدنيا تعريض بالمشتغلين بالنهب اي لم يحرمه ما قسمنا له غير ان تعيين ذكر ثواب الآخرة بجزاء غير معين
للشاكرين فيه ترجيح لجانبهم من طلب الدنيا بعمل الآخرة نؤته منها ولا خلاق له في الآخرة وقيل الكتاب اللوح ويعلم ان الكل بعلم الله
وقضائه وقدره • وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين • وهذا من تتمة تأديب المنهزمين فان التأسي بالانبياء المتقدمين يقتضي الثبات على الجهاد وقرئ كاين
مشددا وكاين بوزن كاعن بالمد والهمز وقرئ قاتل وقتل والفاعل ربيون اي النبي وقوله معه ربيون حال اي قتل كائنا معه
ربيون وفيه ضعف لعدم الواو وعلى هذا بناء المجهول يمنعه ما نقل عن الحسن انه ما قتل نبي في الجهاد والربيون ما ضعفوا عن الجهاد
وما خضعوا للعدو لانه يظهر السكون وعلى قراءة المجهول اي عند قتل النبي وهو منسوب الى الرب والحركات الثلث التي
نقلت في القراءة من تغييراته وقيل الذين يعبدون الرب والواحد ربي وقيل الائمة وقيل الجماعات الكثيرة ومحبة الله للصابرين
ارادة اكرامهم • وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين • تقديم طلب المغفرة والاعتراف بالذنوب للاستكانة
يفيد استعداد الاجابة لتثبيت القدم بازالة الخواطر الفاسدة وقيل الابتداء بالتوبة عن الذنوب صغايرها وكبايرها
وتخصيص العظمة فيها لانها اشد تأثيرا والاسراف مجاوزة الحد وقيل من الحق الى الباطل يقال سرفت القوم اذا تقدمتهم
وثواب الدنيا النصر والغنيمة وحسن الذكر وتقييد ثواب الآخرة بالحسن لانه الدائم الباقي المفيد للحيوة الطيبة
واتيانهما مع انها في الآخرة الحكم به لتحققه وعدم ذكر من في هذه الآية دون الاولى للاشعار بان من طلب الآخرة آتاه
الله من الدنيا اعظم ما يؤتى من يطلبها وتسميتهم محسنين مع اعترافهم بالاساءة اشارة الى انه لا سبيل للوصول الى جناب

القدس الا بالمذلة والاستكانة • يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
بل الله مولیكم وهو خير الناصرين • حمل الكافرين على الاعم من المنافقين حيث قالوا ارجعوا الى دينكم كما قاله على رضي الله عنه
واليهود والنصارى كما قاله الحسن حيث قالوا لو كان نبيا لما غلب يوم له ويوم عليه ارجعوا الى دينكم ولابى سفيان واصحابه
بالاستيمان اشمل فائدة ويحصل الربط ضمنا وقد قيل به والرد على العقب الكفر والخسران شامل للدنيا فان اعظم
المشاق التذلل للعدو والاخرة بالحرمان المؤيد بالعذاب المخلد والله هو ناصركم لا تحتاجوا مع نصرته الى نصرة غيره وبه اشعر
توسيط الفصل • سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين
الرعب مل القلب خوفا من قولهم سيل راعب اذا ملا الاودية منهم من ذهب الى عموم وقوع الرعب في قلوب الكفار لانه
ما من احد يخالف الاسلام الا وفي قلبه الرعب اما في الخوف او المحاجة قيل لما رجعوا عن احد قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم
حتى لا يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فالقى الله في قلوبهم الرعب وقيل يوم احد انهزموا من غير سبب
عن اشراكهم بالله مع الله آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة من التسليط الذي يضاء به السراج ومنه السلطان لان الناس
به يتوسلون الى الحاجة وقيل الوعد عام كانه قال وان وقعت هذه الوقعة الان ان الله سيلقي في قلوب الكفار الرعب
حتى يظهر هذا الدين على الدين كله والضمير المجرور يرجع الى ما او الاشراك ولا يلزم ان يوجد حجة ولم ينزل لان الحكم بالانتفاء اعم
المثوى المنزل المخصوص بالذم النار • ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين
سبب النزول انهم لما رجعوا الى المدينة قال اناس من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر والوعد الذي صدقه قيل ما راى النبي الرؤيا
من انه ذبح كبشا وهو قتل صاحب لواء المشركين وقيل ان تصبروا وتتقوا ولينصرن من ينصره او سنلقي في قلوب الذين ومعنى تحسونهم
تقتلونهم يقال احسه اذا اصاب حسه بالقتل وباذنه اي بامره وبعلمه والفشل الجبن والاختلاف وضعف الرأي وتنازعهم ما سبق
من اختلاف الرماة حيث قال بعضهم لا نخالف امر الرسول عليه السلام وقال الآخرون ما بقي شيء واشتغلوا بالنهب وثبت اميرهم
عبد الله بن جبير في شرذمة دون العشرة واشتغل آخرون بالنهب وفي الاول نزل قوله سبحانه ومنكم من يريد الآخرة
فقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وصارت الريح دبورا وقتلوا ما قتلوا والذي اراهم الظفر والغنيمة وانهزام
الكفار اولا وانما عفى عنكم لما علم من ندمكم على مخالفة النبي عليه السلام وكون الجود افضل على المؤمنين اما بهذا العفو او انه
في جميع الاحوال لان الابتلاء ايضا رحمة ومعنى يبتليكم يمتحن صبركم عند ظهور الشدائد والثبات على الايمان حينئذ
وجواب اذا ان لم يجعل للغاية محذوف نحو امتحنكم وقيل تقديره اذا تنازعتم فشلتم واذا فشلتم منعكم النصر وحسن حذف الجواب
لدلالة نحو صدقكم الله وعده ونظيره امن هو قانت اذ التقدير كمن لا يكون كذلك وفائدة قوله من بعد ما اريكم ما تحبون
ان المعصية عند مشاهدة انجاز الوعد اقبح وصرف الله المؤمنين عن الكفار لا اشكل على مذهبنا حيث قلنا الخير والشر



من عند الله والمعتزلة قالوا انما اضاف الى نفسه لانهم ان لم يصرفوا لهلكوا من غير فائدة ويبطل تاويلهم قوله تعالى ولقد عفى عنكم
والتخصيص بالبعض خلاف الظاهر • اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون • قد رجح ان يكون عامل الظرف صرفكم او يبتليكم ولقايل ان يقول الاولى تقدير
اذكر لان الصرف والابتلاء لا يختصان بهذا الوقت والاصعاد الابعاد في الذهاب يقال اصعدنا الى بلد كذا ويؤيده
قراءة في الوادي وما يقرأ من تصعدون فمعناه في الجبل ولا تلوون اي لا يقف احد لاحد ويقرأ بواو واحدة ودعوة الرسول
حينئذ قول الي عباد الله من يكر فله الجنة والاخرى كالرجعى كالاول والاولى اي الجماعة الاخيرة كان عليه السلام في الفرقة الاخيرة
او في ساقة العسكر فاثابكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وهو عطف عليه وسببه ادخال الغم على رسول الله عليه السلام بالمخالفة
او غما مضاعفا غما بعد غم بسبب الارجاف بقتل النبي عليه السلام والجرح والقتل وظفر العدو وفوت المقاصد وذلك لئلا
تحزنوا بعد ذلك على لحوق المضار وفوت المنافع حيث تموت نفوسكم على مثلها وان جعل ضمير فاثابكم للنبي عليه السلام فمعناه انه
كاغمكم ما اصاب غمه ما اصابكم ولم يثربكم بعصيانكم وتاويل المعتزلة ذلك بانه بسببه للغم الذي هو فعل العبد بفعل الله حيث طلبه
على ذلك كما ترى خلاف الظاهر من غير دليل وضرورة • ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم
انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور • اي ثم اعقبكم بسبب ما اصابكم من الغم رحمة جاذبة للنوم
والامنة الامن او جمع كثرة ونعاسا بدل منها وان جعل النعاس المفعول فيصح كون الامنة حالا منه لتقدمها عليه كقوله
لعزة موحشا طلل قديم او عن المخاطبين بمعنى ذوي امنة عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا بحيث يسقط السيف
من يد احد فياخذه مرارا وهم تحت الحجف متاهبين للقتال وقيل ذلك حين اشتد الخوف وقرئ بالتاء للامنة والياء
للنعاس والاول احسن لان الامنة الاصل والنعاس بدل والطائفة المنافقة لم ياخذهم النوم بل اهمتهم انفسهم الجملة
صفة الطائفة ويظنون صفة اخرى او حال او استيناف كانهم قيل فما حالهم حينئذ فاجيب به وما هم هم الذين ولا هم النبي
بالخلاص انفسهم عن الظن يظنون الله مبطلا وهو بدل يقولون صح وان كان المبدل اخبارا بالظن وهو مسئلة عن الامر
لان مسئلتهم لثبات وهو غير الظن الحق فالحق صفة المصدر وظن الجاهلية يكون بدلا منه ان لم يجعل غير الحق تاكيدا والا
فهو من باب اضافة الموصوف الى صفته او ظنا مثل ظن اهل الجاهلية الكفر والشرك والتانيث للحال او الافعال
وهو ما ظن بطلان النبوات او اضمحلال امر النبي او الشك في وعده او الياس من النصر ويقولون للنبي عليه السلام على وجه
السؤال هل لنا يا معاشر المسلمين من الامر الذي هو النصر نصيب وقيل قال ذلك ابن ابي قال حين اخبر بقتل بني الخزرج
اي منعنا تدبير انفسنا حيث خرجنا من المدينة وعادة العرب انه اذا كان الدولة لاحد قالوا له قل يا محمد ان النصرة

والشهادة او القضاء والتقدير كلها لله ولاوليائه المؤمنين قال كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون
هذا السؤال هو ما يبدون لك فانه السؤال المسترشد ويخفون ان لو كان كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وان الغلبة
لهم لما قتل من قبل في هذا الحرب وهو تكذيب للتقدير حال من يقولون وقيل انه الامر اعتراض بينها وبين ذي الحال ويقولون
ثانيا استيناف او بدل من يخفون ثم وقرئ كله بالرفع على انه مبتدا خبره لله والجملة خبر ان قل لو كنتم في بيوتكم وقد علم الله
وقدر قتلكم لخرجتم الى مصارعكم ولم ينفعكم القعود والمراد الشهداء منهم والله سبحانه كما كتب في اللوح قتل من قتل كتب الغلبة
والنصر للمسلمين في العاقبة وابتلاء ما في الصدور وامتحان ما فيها من الاخلاص وتمحيص ما فيها قيل عطف على مضمر اي ليقضي
او فعل ذلك لمصالح وللابتلاء وتمحيص ما فيها اظهار وساوس الشيطان وكشفها وقيل الواقعة لمحصها عنها وقيل
تصير كفارة للذنوب فيمحصها عن تبعات المعاصي وفي الآية دليل على ان افعال العباد بتقدير الله تعالى قل ان الامر كله
لله في جواب المنافقين لو قيل رأينا ما خرج اليهم انما ينهض جوابا لمن كان فعل بقضاء الله تعالى بخلاف ما لو كان خارجا عنه
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم •
الجمعان المؤمن والكافر التقيا في قتال احد واستزل طلب الزلة منهم واوقعهم فيها اي بسبب ذنوبهم منعهم التاييد
وقيل بمخالفتهم الرسول بترك المركز وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء العدو واخروا القتال لاصلاح امرهم معها بسبب
ما زين لهم من الهزيمة والاول اولى لاشتماله على الجميع وذكر البعض لقوله ويعفوا عن كثير وعفو الله بسبب توبتهم في هذا الحال
والله حليم لا يعاجل بالعقوبة قيل نزل في الذين بلغوا المدينة في الهزيمة وقيل بعمومه في المؤمنين دون الكافرين
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير • اللام مثل وقال الذين كفروا للذين امنوا له
اي لاجلهم والاخوان قوم يجمعهم اب او اعتقاد والضرب في الارض السفر والابعاد لنحو التجارة والغزا جمع غاز كصايم
وصيم واذا ضربوا مع قالوا وعن قطرب ان معنى اذا ههنا اذ حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض وقال
في المفاتح فايدته الدلالة على انه ليس المقصود الاخبار عن جهدهم واجتهادهم وليجعل متعلق بلا تكونوا وقالوا اي اعتقدوه ليكون
حسرة فاللام ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك واعتقاده ليختص قلوبهم بكون ذلك حسرة فيها والله
يفعل ذلك عند اعتقادهم ذلك ووجه كون ذلك اشارة الى مدلول النهي ان يكون التقدير لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم مما يغيظهم وكونه سبحانه محييا ومميتا ابطال لقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا لانه قد يحيي
الغازي ويميت القاعد وقيل يحيي قلوب اوليائه بالعرفان ويميت قلوب المنافقين بالجهل وقرئ يعملون بالياء لان الكافرين
غيب لا يقال اذا كان الاجتهاد دفع القتل والموت فكذلك في دفع العقاب بالعمل لانا نقول التكليف على مذهبنا غير معلل بعلة
ورعاية مصلحة • ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون •

اللام

اللام موطئة للقسم والتقدير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيله وقرئ بكسر الميم من مات يمات نحو هاب يهاب قوله
لمغفرة جواب القسم ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون والمعنى بعد تقديم تكذيب المنافقين انهم ان سافروا او ماتوا
او على تقدير وقوعه ما يجدونه من مغفرة الله ورحمة خير مما يحصل من الدنيا على فرض استمرار الحيوة لانه باق وما تجمعونه ولو طلاع الارض
ذهبا احمر كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فان ما عندكم ينفد وما عند الله باق وحطام في معرض التلف ولعل صاحبه يموت ولا ينتفع
لا سيما ومن النعم الاخروية المعارف الالهية واشراق القلب بالانوار القدسية وقرئ تجمعون بالتاء والياء والحشر الى الله اعظم
ترغيبا للمجاهدين من المغفرة والرحمة وروي ان عيسى مر على ثلث طوايف من اهل عبادة راهبة وراغبة ومتعبد لا لرهبة ورغبة
فقال للاولى الله اكرم من ان يعذبكم وللثانية الله اكرم من ان يحرمكم وللثالثة انتم العبيد المخلصون فالمغفرة لمن يعبده خوفا
والرحمة لمن يعبده طلبا للثواب والثالثة مجردة عنها • فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين • وجه الارتباط
ان مقتضى صنيع القوم من المخالفة الموجبة للانهزام ان يخاطبهم بالغلظة فمن الله عليه بان جعل اخلاقه دمثة لينة فجاملهم ولين
معهم الكلام وفايدة ما تاكيد مفهوم الكلام بحسن النظام وفسر الرحمة بالربط على قلبه وتوفيقه للرفق الذي من اعطي فقد اعطي الخير كله
ولو كنت فظا سيئ الخلق جافي العقل غليظ القلب جري القول جاشي القلب لتفرقوا عنك حتى لا يبقى من حولك احد واصل الفظاظة
الجفوة ومنه الافتظاظ لشرب ماء الكرش فاعف عنهم ما يتعلق بك لمخالفتهم يوم احد فاني عفوت عنهم وسلني مغفرتهم فيما يتعلق بي
فاني اجيب دعوتك وفايدة المشاورة في امر الحرب او في بعض الامر كما في بعض القراءات تعظيم شانهم وتحقيق ان العفو لم يبق شيئا
مما بدا منهم او ليقتدى به او ليستخرج منهم ما عنده او لتطييب قلوبهم فانها لا تكون الا مع الخواص او ليعرف مقادير ارائهم وقد
قال النبي عليه السلام ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب النبي
عليه الصلوة والسلام ومنه شور العسل اذا استخرجه من موضعه وشرت الدابة عرضتها والمشوار موضع يعرض فيه الدواب
فاذا عزمت على الامر الذي وقع فيه المشورة اي قطعت رايك عليه ففوض امرك الى الله فانه لا يعلم الاصلح لك الا الله والله يحب
المتوكلين عليه لان النصر والرحمة من عنده لا غير والحاصل انه لا بد للانسان ان يراعي الاسباب ولكن لا يعول الا عصمة الحق الا انه
يهمل نفسه والالمام بالمشاورة وما يقرا بصيغة المتكلم يفسر بانه اذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور
بعده احدا وضعفه صاحب المفاتح من وجهين احدهما انه لا يوصف الباري بالعزم الا ان يريد الايجاب والثاني انه لا يلحق بالمصحف
ما لم يقرأ به احد من الصحابة وفي الثاني نظر • ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المؤمنون • ربطه بالمتقدم ان المعنى ان توكلتم على الله نصركم ولن تغلبوا كما نصركم يوم بدر وان يخذلكم فلا ناصر لكم كما في
يوم احد ففيه اشعار بلزوم التوكل عليه وانه لا يتوكل على غيره علم من تقديم الظرف وهو مثل قوله سبحانه ما يفتح الله للناس من رحمة
وقيل من نصره لم يغلب لانه وان ظفر به عدوه فهو غالب بالحجة وفيه تعريض على ما يستجلب به النصر من الطاعة ويخاف معه الخذلان

طلاع الشيء ملؤه

من المعصية وفيه دليل على ان الايمان لا يحصل الا باعانته والكفر لا يوجد الا بخذلانه ومعنى من بعده اى بعد خذلانه
وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • وجه الربط انه لما جرى
ذكر الجهاد اتبع بالزجر رذيلة يتوقع وقوعها وهى الغلول اخذ شيء من الغنيمة خفية وهى الخيانة فيها واصل الخفاء ومنه الغل
للحقد الكامن فى الصدر وقوله عليه السلام لا اعرفن احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته بعير له يقول يا رسول الله اغثنى فاقول
لا املك لك قد ابلغتك الحديث تفسير للآية حيث عد اصناف ما غل وقوله عليه السلام من اغتصبناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمل على
عنقه والنبوة تنافى ارتكاب الذنوب قصدا فلا يصح لنبي ان يغل وعلى ما قرئ بالمجهول معناه ما صح ان يوجد غالا قيل فقدت قطيفة
حمراء يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وهو اضعف قراءة المجهول وقيل لانه قسم غنيمة بين الناس ولم يقسم
لطلايع بعثهم فقالوا اقسم الفيء ولم يقسم لنا وقيل فى غنايم احد حين ترك الرماة المركز خوفا من ان لا يقسم لهم فقال النبي عليه السلام
لم تركتم المركز حتى ياتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا قال بل ظننتم انا نغل فيكون مبالغة فى نهى النبي عليه السلام عن ان لا يقسم
لبعضهم ويكون المعنى وما كان لنبي ان يحرم عنها وتسميته غلولا مبالغة فى التقبيح والتعميم بذكر كل نفس ابلغ لانه كالبرهان
لان الغال مكتسب وايضا اذا ثبت توفية كل نفس بكل ما اقترفت فالغلول الذى هو اقبح اولى وهم لا يظلمون بزيادة التعذيب
على جريمته ويستثنى عن الغلول اخذ الطعام بقدر الحاجة لما ان ابن عمر قال اصبنا بخيبر طعاما فاخذنا منه بقدر الحاجة ولانه لا ثمنه سواه ولد
للحاجة لما ان برا قتل رجلا من المشركين بسيفه ولا تمسك للمعتزلة به • افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه
جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون • هذا تفصيل لتوفية كل نفس ما كسبت ورضوان الله رضاه قيل
فى ترك الغلول وسخطه الغلول والحمل على الايمان والطاعة والكفر والمعصية باعتبار التعميم اولى والهمزة للانكار والفاء للعطف على
محذوف اى امن اتقى فاتبع وباء به اى احتمل ورجع به وقرئ بكسر الراء وضمها وماويه جهنم متعلق بقوله باء بسخط من الله ومعنى كونهم
درجات انهم يتفاوتون تفاوت الدرجات والتقدير لهم درجات والدرجة الرتبة وهو اصل الباب ووجه التجوز ان اختلاف
قد جعلهم بمنزلة اشياء مختلفة كما يقال لفوس طبقانية ومشرقة فهو ابلغ من الحقيقة وبيانه قوله عليه السلام الناس معادن وقيل ذوو
درجات والله بصير بعمل كل احد فيعطيه الدرجة بقدرها • لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • لعل وجه الارتباط لما سبق ان رضا الله والدرجات بسبب
العمل الصالح ان ذلك بالنسبة الى المؤمنين من قوم النبي عليه السلام اعظم حيث كانوا هم المنتفعون ببعثته اولا وانه يسهل عليهم فهم
كلامه الذى من جنس كلامهم ولهم الشرف العظيم بذلك كما قال سبحانه وانه لذكر لك ولقومك وما يقرا بافعل التفضيل فمعناه من اشرفهم
لانه عليه السلام من اشرف قبايل قريش الذين هم اشرف العرب كما قال عليه السلام ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل وفيما خطب به ابو طالب
فى تزويج خديجة رضى الله عنها الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا خزنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن اخى محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من

من انفَسهم

من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل والمنة فى ذلك تعم المؤمنين لانه يدعوا الى الله بما يخلص من عقابه
ويوصل الى ثوابه وهذا شامل للعالمين كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكيف لا والكتاب الذى جاء به ليس فيه الا جنس الآيات
والنبوات وشرح العبادات وساير ما ينتفع به من السعادة العظمى والسيادة الكبرى فى عالمى الغيب والشهادة ونور عقول
الخلق كنور البصر ونور النبوة كنور الشمس ولا ينتفع بالاول دون الثانى وكمال الانسان فى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ووجه
المنة بكونه من انفسهم انه اذا نشأ بينهم وتحققوا انه لم يتلمذ لاحد ولم يقتبس شيئا من العلوم من كتب الاولين وعرض عليه الاموال
لترك ادعاء النبوة فلم يلتفت الى الدنيا وما فيها كان اقرب الى العلم بحاله فى صدق ادعاء النبوة ومعنى اذ بعث انه منة الله على المؤمنين
وقت بعثه ويكون محله الرفع كاذا فى قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما ويتلوا الوحى الالهى عليهم بعد ما كانوا فى فترة من الرسل
ويطهر باطنهم من دنس الكفر وظاهرهم من النجاسة الحاصلة من ملابسة الخبايث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم القرآن والسنة مع انهم
كانوا قبل البعثة فى ضلال عن دراية العلوم وتهذيب الاخلاق واللام الفارقة يدل على ان هى المخففة من المثقلة والتقدير
انهم فى ضلال مبين • اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير • الهمزة للانكار
ما يقولون والواو عطف الجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على مقدر مثل افعلتم كذا وقلتم وما بعد لما فى تقدير مصدر
مجرور اى حين اصابتكم وما اصابهم قتل سبعين يوم احد ومثلا ما اصابهم قتل سبعين واسر سبعين يوم بدر ومعنى انى هذا من اين
اصابنا تعجبوا من تسليط الكافر على المؤمن فقال كان من عند انفسهم اما لاختيارهم الخروج من المدينة او مخالفة الرسول فى ترك المركز
وعن على رضى الله عنه انه لاخذ الفداء من اسارى بدر قبل الاذن فيه والله له كمال القدرة على النصر والاعانة تاره وان صبرتم الهزيمة
والخذلان اخرى ان عصيتم وفيه دليل على ان فعل العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل ما هو شيء فهو مقدور الله تعالى
وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين
قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين • هو يوم احد التقى جمع المسلمين
والمشركين وما اصابهم كائن باذن الله استعير بالاذن عن عدم المنع حيث خلى بين الماذون له وبين مراده وذلك ليتميز المؤمن
من المنافق اى ليتعلق بهم علم الله متميزين وقيل لهم عطف على نافقوا القايل عبد الله بن حرم والمقول له ابن ابى وقالوا جواب سؤال
هو مقتضى الدعاء الى القتال والتقدير فماذا اجابوا فقال قالوا وان استونف بقيل فكانه قسم الامر عليهم بين ان تقاتلوا لله او للدفع
عن انفسهم او اما ان تقاتلوا او يكثر السواد ولهذا تمنى سهل بن بنيعة حصول القتال وقد كف بصره وحمل ذلك امتثال او ادفعوا
وان لم تبدوا بالقتال فادفعوا عنكم وعنا ان قاتلونا واياكم ومعنى لو نعلم قتالا اى نحسن قتالا او نعلم وقوع القتال قالوه استهزاء
او هذا ليس بقتال بل اهلاك للانفس فهم اقرب الى الكفر من الايمان المظنون بهم بتقوية المشركين حيث انخزلوا او هم لاهل الكفر
اقرب من اهل الايمان بفعلهم ذلك وذكر الافواه دون القلب لتحقيق معنى النفاق واللام قيل بمعنى الباء وقيل بمعنى اللام وتحمل

ان تضمن في العرب النصر او الامداد فيناسب اللام وفيه تعريض بان المؤمنين توافق قلوبهم السنتهم والله اعلم بما يكتمون
من النفاق والشماتة بالمؤمنين وارادة السوء لهم وغيرها والناس لا يعلمونها الا على وجه الاكمال والذين يجوز في اعرابه الثلثة
الجر بالبدل عن ضمير بافواههم والنصب او الرفع على الذم او الابدال من واو يكتمون ولاخوانهم اي لاجل اخوانهم المنافقين
المقتولين اي في النسب لو قعدوا عن القتال او اطاعونا فيما امرناهم به من ترك القتال لما قتلوا فقال ان كنتم صادقين ان القعود
عن القتال يغني عنكم فادفعوا عن انفسكم الموت وكان المعنى الموت واقع لا محالة ان لم يكن بالقتل فبغيره يروى انه مات في ذلك
اليوم سبعون منافقا ولا يشكل بان القاعدين ما قتلوا فكانوا صادقين لان التعريض بكذبهم في ان قتال الرجل سبب لقتله
لا محالة وليس كذلك فانه قد ينجو المقاتل ويموت القاعد قال صاحب المفاتح فان قيل ما وجه الاستدلال بذلك مع ان الفرق ظاهر
فان التحرز عن القتال ممكن بخلاف التحرز عن الموت والجواب انه لا يتمشى هذا الدليل الا اذا اعترفنا بقضاء الله فعلمنا ان الكافر
لا يقتل المسلم الا بقضاء الله فلا يبقى فرق بين القتل والموت من الوجه الذي ذكر ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خوفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين قيل في شهداء احد وقيل في شهداء بدر ويدل على الاول قوله عليه السلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر تدور انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب
ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم
وهو رد لما قاله المنافقون المنكرون للبعث ان المقتولين ما اصابوا خيرا وقد سبق في البقرة ان الآية تدل على حيوة بعد الموت
للانسان من نوع حيوة الدنيا ويرزقون بيان له والحمل على انه يكون يوم القيمة في الجنة يمنعه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا لان الخلق
قد اجتمعوا من آخرهم هكذا قيل وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يراد باللحوق اللحوق بالدرجة والمنزلة كما ذكر في تفسيره نعم الحديث
المذكور وقوله احياء عند ربهم يرزقون في معرض المدح ما يابى ذلك لانه لا يبقى للتخصيص معنى وايضا تدل على انهم عند ربهم
نزول الآية وايضا بل هم احياء معلق للنبي والمؤمنين يوم القيمة والخطاب بين للنبي عليه السلام او لكل احد وبالبا للنبي عليه السلام
كذلك والمراد باخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا او المؤمنين والاستبشار لعلمهم بانهم يبعثون آمنين يوم القيمة ببشارة
الله تعالى اياهم وفيه تحريض على الجد في نيل ثواب الشهداء او احماد لحال احد حتى يتمنى لغيره ذلك ويستبشرون ثانيا ليس للتاكيد
بل بيان لعدم الحزن والخوف بذكر النعمة والفضل او انهم استبشروا بقوله سبحانه انا مبلغهم ما انتم فيه وروي انه عليه السلام
قال لجابر رضي الله عنه الا ابشرك بان اباك حيث اصيب باحد احياه الله ما تريد ان افعل بك يا عبد الله بن عمرو فقال اريد
ان ترني الى الدنيا فاقاتل فيك فاقتل مرة اخرى ومعنى عند ربهم اي بحيث لا يملك لهم احد نفعا ولا ضرا الا الله او في علمه وحكمه
كما يقال عند الشافعي او معناه للقرب والاكرام وعلى التقدير الاول وهو ان الشهداء احياء في الحال قال في المفاتح



ومنهم من اثبت الحيوة للروح ومنهم من اثبتها للبدن وهذا ينبني على ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية
لما فيها من التبدل والتغير مع ان الانسان باق من اول العمر الى آخره وللقائل ان يقول الباقي من اول العمر لا ينافي المتبدل
بل الواقع ذلك لان المعلوم الحاصلة والادراكات تختلف باختلاف اطوار العمر نعم لو استدل بغير هذا على المغايرة كان اولى
كما قال انه قد يكون عالما بنفسه مع الغفلة عن اجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم وفي الجملة سواء قلنا انه جسم مخصوص سار
في البدن او انه جوهر قائم بنفسه ليس بجسم ولا حال فيه قد ثبت ان هذه السعادة ثابتة للانسان المعبر عنه بالنفس كما قال
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الآية وانه يكون بعد الموت لان الرجوع بالموت والدخول الى الجنة بفاء التعقيب يكون
عقيبه وقرئ ان بالكسر ايضا وللقائل ان يقول قراءة الفتح يفيد ان الاستبشار حاصل بما سبق وبهذا ايضا فيكون
اكمل من ان يكون ببعضها وايضا يكون الارتباط اشد وهو كالبرهان على حصول النعمة والفضل قال في المفاتح الكبير
اولى لان كون العبد مستغرقا في فضل اتم من اشتغاله بطلب الاجر وللذاهب الى الاول ان يقول انه لا دلالة للفظ على الطلب بل المعنى
ان البشارة حاصلة بعدم ضياع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم سبب النزول انه لما هم ابو سفيان بالرجوع ندب النبي عليه السلام اصحابه في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد
الا من حضر يومنا بالامس فخرج مع النبي عليه السلام وكان بهم القرح فتحاملوا على انفسهم لئلا يفوتهم الاجر وكان يتوكا بعضهم على بعض
في الطريق فالقى الله فالقى الله الرعب في قلوب المؤمنين والذين اما مجرور صفة للمؤمنين او مبتدا وخبره للذين او منصوب على المدح
ومن للتبيين مثل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لانه لو حمل على التبعيض لزم ان لا يكون كلهم
محسنين وليس كذلك وقيل في رجوع الناس بعد الهزيمة وكانوا قد هموا بالمثلة فقذف في قلوبهم الرعب روي ان امراة قد جاءت
وقد قتل زوجها وابنها واخوها فلما رأت الرسول فهو حي فقالت ان كل مصيبة بعدك هدر واحسنوا على الاتيان بالمامورات
واتقوا على الاجتناب عن المنهيات الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مؤمنين الذين اما صفة المؤمنين او بدل من الذين استجابوا او مبتدا خبره فزادهم قد واعد رسول الله عليه السلام
ابا سفيان ان يتلاقيا ببدر فخرج ابو سفيان والقى الله الرعب في قلبه وقيل لنعيم بن مسعود عشرا بل يثبط النبي والناس
وقيل حمل زبيب لركب قصدوا المدينة فجاؤا يثبطونهم فقالوا اتوكم في دياركم وكان ما كان فلو ذهبتم اليهم لن ينقلب منكم
احد فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام لاخرجن وان لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
وهذا قول ابرهيم عليه السلام لما القي في النار فوافوا بدرا واقاموا بها ثمان ليال وربحوا من تجارات لهم ورجعوا سالمين الى المدينة
والناس القائلون الركب او نعيم واصحابه وان هو وحده فلانه من جملة الناس كما يقال فلان يركب الخيل او لان غيره من اهل المدينة
وافقه في كلامه فزادهم كلامه ايمانا ومعنى الزيادة انهم لما لم يلتفتوا الى سبر الخوف واخلصوا النية في الجهاد كان اثبت ليقينهم

كذا في الاصل

كما يزداد اليقين بتضاعف الادلة فان الخروج على اثرهم من ثمرة الايمان واستدل به من قال الاعمال داخلة في مفهوم الايمان
واجاب القائل بانه مجرد التصديق ان ذلك في ثمرات الايمان وشعاره على سبيل التجوز ولا يخفى ان نظرهم الى الدلايل الدالة
على انه مجرد التصديق وما روى من قوله عليه السلام الايمان يزيد وينقص محمول على ذلك ومعنى حسبنا كافينا قال امرؤ القيس
وحسبك من غنى شبع وري والوكيل الكفيل قال الشاعر ذكرت انا اروى فبت كانني برد الامور الماضيات وكيل
اي كفيل وقيل الكافي ونعمة الله هي السلامة وخذل العدو والربح وجميع ما ذكر نفسيره لم يمسسهم سوء اي من كيد العدو وخروجهم
على هذا الوجه اتباع لمرضاة الله تعالى والفضل العظيم من الله توفيقه اياهم بل اعطاهم الله ثواب غزو حين قالوا هل يكون هذا
غزوا وهو وان كان اعم الا ان التخصيص بحسب السياق وفيه تحسير لمن تخلف عنهم في الخروج واظهار لخطاء رايهم ومعنى
انما ذلكم ان المثبط عن الخروج وهو ابو سفيان ومن ارسله لذلك ليس كل منهم الا الشيطان اما لانه شيطان الانس او الحامل
عليه الشيطان ويوافقه تقدير مضاف مثل ذلكم قول الشيطان ويخوف بيان للشيطنة او هو الخبر والشيطان صفة اسم
الاشارة واولياءه ابو سفيان واصحابه بدليل ما يقرأ من يخوفكم اولياءه وقيل هم القاعدون عن الخروج ولعل توجيهه
ان اثر الخوف لم يظهر الا منهم وضمير لا تخافوهم على هذا يرجع الى الناس ومعنى خافون ان مقتضى الايمان ان يغلب خوفي على الخوف
من الناس فلا تقعدوا عن الجهاد بل تجاهدوا مع النبي عليه السلام وفيه تعظيم لامر الخوف حيث اوهم ان من لا يخاف لا يكون مؤمنا
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم • المسارعون في الكفر المنافقون من المتخلفين وقيل
المرتدون وقيل كفار قريش ودليل الثاني ان ذلك لا يليق الا بمن استوجب الخط ثم احبط وان الحزن يكون على ثواب آخر
ومعناه شدة الرغبة فيه وعدم الحزن ليس لعدم المبالاة بالنفاق والردة بل بقلة الالتفات الى مضرتهم لان وباله
لا يعود على غيرهم وبين ذلك بان الله لا يريد ان يجعل لهم نصيبا من الثواب في الآخرة وفعلهم في جمع العساكر وان ضر النبي
واصحابه لكن لما ارادوا ابطال الدين فلم يحصل فلم يضروا شيئا وهو منصوب على المصدر اي ضرا كثيرا ولعل العدول
عن قول لا يجعل الله لهم حظا الى قول الا يريد للاشعار بان الخير والشر من الله تعالى وفيه ابطال قول المعتزلة ان الارادة لا تتعلق
بالعدم وفيه ان النكرة في سياق النفي للعموم والالم يكن فيه تهديد للكفار واشتراء الكفر بالايمان اذا اريد بهم اليهود تبديلهم
الايمان بمحمد عليه السلام قبل مبعثه بالكفر بعده ويحتمل ان يكون تكريرا للذين ويجوز ان يكون عاما للكفار والاول خاصا وبالعكس
واذا حمل على العموم فالمعنى انهم تركوا الايمان واختاروا الكفر وان اريد المرتدون فذلك ايضا لضعف رايهم ومثل هذا لا يلحق
ضررا بغيره • ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين • قرئ بالتاء والياء
وفي قراءة الياء الذين فاعله وان مع ما بعده ينوب عن المفعولين الذين كفروا وبالتاء مفعوله وانما نملي بدل منه ولا يضر
عدم مجيء المفعول الثاني لان المبدل في حكم الطرح تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك

او التقرير

او التقرير ولا تحسبن حال وما مصدرية اي املاءنا وكتبها موصولة مع ان قياس الخط خلافها لاتباع خط الامام ومعنى نملي
نطول لهم المدة من الملوين الليل والنهار او مستعار من املى لفرسه اذا ارخى طوله للرعي ووجه الربط ان من تخلف من الجهاد
وطال مدته لا ينبغي ان ذلك البقاء خير له لانه به قد صار سببا للخزي في الدنيا والعقاب في الآخرة فالمعنى ان الاملاء خير لهم من قطع
آجالهم واستونف بانما التي للحصر للتعليل كانه قيل لم لا تحسبون الاملاء خيرا لهم فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا التعليل
يدل على ان الكفر والمعاصي بارادة الله تعالى كيف واطالة المدة من فعل الله تعالى والحمل على انه ليس بمقصود بل هو كقولك خرجت
مخافة الشر خلاف الظاهر واضعف من هذا قولهم قولهم لما كان في علم الله انهم يزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله على
طريق المجاز وقراءة فتح ان الثانية وكسر الاولى فسرت بانه لا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم وانما نملي اعتراض
بين الفاعل والمفعول اي املاءنا خير لهم ان عرفوا انعام الله بطول العمر والحكم بتعجيل العقوبة وعلى هذا الواو في عذاب مهين للحال
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وعلى الاول يدخل في التعليل • ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم •
وجه الارتباط ان في قضية احد قام المنافقون ورجعوا وسعوا فاخبر الله تعالى انه ما كان يجوز في حكمته ترك التمييز روي انه لما قال
النبي عليه السلام عرضت على امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن ومن يكفر فقال المنافقون ان محمدا يزعم ذلك
ونحن معه لا يعرفنا فنزل وقيل طلبوا الاخبار عن ذلك او علامة يفرق بها بين الفريقين واللام لتاكيد النفي ومعنى ما انتم عليه من اختلاط
المؤمن بالمنافق حتى يميز المنافق من المؤمن وقرئ من اماز بمعنى ميز ويميز بالتشديد من ميزه وضمير الجمع لكل من صدر عنه التصديق
والتمييز بالوحي واخباره عليه السلام عنه والامارات التي ظهرت كما سبق وما كان ليطلع العوام على غيبه بان يقول فلان مؤمن وفلان
كافر منافق بل ذلك من خواص الانبياء ولكن الله يختص من يشاء من عباده بالرسالة فيمتحن الخلق بالشرائع حتى يميز الفريقين اولا
او لا يغنيكم بعلم الغيب عن الرسل وقول المعتزلة ان الرسول عليه السلام لا يعلم الغيب الا بالوحي لعله لانكارهم الكرامات والا
فمن الجائز ان يعلم الرسول عليه السلام بغير الوحي وهذا منهم في غاية العجب لان المحذور التباس النبي بالمتنبي فلا مانع منه
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث
السموات والارض والله بما تعملون خبير • وجه الارتباط انه لما سبق بذل الانفس في الجهاد عقب ببذل المال في سبيل الله
من الجهاد وغيره وقرئ بالتاء والياء وعلى التقديرين المضاف المحذوف بخل الذين اذا كان الحسبان للنبي عليه السلام او لكل احد
تقديره بخل الذين يبخلون واذا كان الفاعل الذين فالتقدير بخلهم هو خيرا لهم ومسوغ حذف المصدر الفعل ويقرأ بغير ضمير الفصل
وسيطوقون بيان الشرية اي سيصير عذاب بخلهم لازما كالطوق في اعناقهم قيل حية تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول
انا مالك قال النبي عليه السلام في مانع الزكوة يطوق شجاع اقرع وقيل يطوق من نار ويعبر بالطوق عن الامر اللازم وفي المثل تقلدها
طوق الحمامة لمذمة يسب بها وقيل يكلفون ان ياتوا بما بخلوا يوم القيمة وقيل في احبار اليهود كتموا صفة محمد عليه السلام

قول المعتزلة ان الرسول لا يعلم الغيب لانكارهم الكرامة

فالبخل بكتمان العلم والطوق ان يجعل في رقابهم اطواق النار قال النبي عليه السلام من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار يوم القيمة
وقيل في منع الانفاق في سبيل الله بل يكون ما بخلوا به شرا لهم لاستحقاقهم العذاب بسببه وكون ميراث السموات لله باعتبار
انه لا يبقى مال ولا مالك وتصير الاموال اليه يقال ورث فلان فلانا اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له ومنه ورث سليمان داود
فما لهم يبخلون بملكه ولا ينفقونه في سبيله وقراءة التاء الالتفات وهو ابلغ والبخل عند الاكثر محمول على ترك الواجب وفي الآية
دليل على ذلك لان الوعيد لا يلحق بترك ما يتفضل به وقيل انه لا يضيف من نزل عليه ايضا والله عليم بالمنع والاعطاء فيجازي كلا بعمله
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد • وجه الربط انه لما تقدم التحريض على الانفاق عقب
بجواب من طلب منه ذلك وسماع الله علمه بذلك المسموع بحيث لا يخفى عليه شيء والاكثر انهم اليهود روي ان فنحاص بن عازورا
قال ذلك لما كتب الى يهود قينقاع مع ابي بكر رضي الله عنه يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا
الله قرضا حسنا فلطمه ابو بكر وقال لولا العهد لضربت عنقك فانكر ذلك فنزلت وقيل ما قالوه عن الاعتقاد بل على وجه السخرية
والاستهزاء او على سبيل الفرض ووجه التخصيص بهم غير ذلك قولهم يد الله مغلولة وفيه تكذيب النبي عليه السلام يعني لو صدق محمد
لكان ولما كان ذلك ثبت عدم الصدق قال صاحب المفاتيح لقائل ان يقول انهم اوردوا سؤالا وهو ان من طلب المال يكون
فقيرا او هو محال فوجب انه لم يطلب قال وهذا شبهة القوم فاين الجواب فنقول على قول اهل السنة الجواب ان الله يفعل
ما يشاء وعلى قول المعتزلة لا يبعد ان يكون في هذا التكليف مصالح ولقائل ان يقول العجب من الامام ان يذكر هذا الهذيان ويجعله
شبهة يستحق الجواب فقولهم من يطلب المال يكون فقيرا من اين يلزم ذلك السلطان اذا طلب يكون للفقر لاسيما وهم اليهود
انما يطلبه للغير لا يكون لحاجة نفسه وقيل الوقف على فقير ونحن اغنياء قول الله تعالى والعدول عن صيغة كتب لمناسبة سمع
قيل انه على جهة الوعيد اي لا يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه وليس بجواب لان الحفظة اول ما تلفظوا به كتبوه فالاخبار بالماضي ابلغ
نعم الاولى ما قاله صاحب المفاتيح عندي ان المراد انا نكتب هذا الجهل في العلم حتى يعلم الخلق جهلهم الى يوم القيمة ويمكن ان يقال
لا يبعد ان يريد ايصال العقاب الثابت بسبب الكتبة وقيل المراد من الكتبة ان يكون مثبتا لا ينسى كاثبات المكتوب وذكر
قتل الانبياء للاشعار بان لهم سابقة تناسب هذه الجريمة وان من كان كذلك فعله فهذا قوله والتقييد بغير حق انه كذلك على
زعمهم وقد سبق ونقول لهم يوم القيمة على وجه الانتقام ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين ويناسبه قوله عليه السلام ان الله يعذب
الذين يعذبون الناس في الدنيا وقرئ سنكتب على بناء المفعول ويقول بالياء ويقرأ ويقال والاشارة الى العقاب
والاسناد الى الايدي لانها مظهر معظم الافعال ونسبة القتل الى هؤلاء لرضاهم به وذكر في عطف وان الله ليس
بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم انه لبيان انه عادل ومن العدل ان يثيب المحسن ويعاقب المسيء ويحتمل ان يجعل الواو
للحال ويكون احسن من جهة المعنى وذكر الظلام قيل لكثرة العبيد وقال القاضي لو كان ظلما لكان عظيما فينطلق عليه الظلام

رد على الامام

الذين

الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين • هذا من جملة مثالب اليهود لما روي ان اكابرهم جاؤا الى النبي عليه السلام
ان اوصى الينا في التورية بان لا نؤمن لرسول يأتيكم وزعم انه نبي حتى يأتي بما يتقرب به الى الله من ذبيحة وغيرها تأكله النار
اي تحيله الى طبعها والقربان مصدر كالغفران وكانت بنو اسرائيل اذا قربت قربانا او غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء
لا دخان لها ولها حفيف فتحرقه ومن العلماء من قال كان ذلك صدقا غير انه استثنى محمدا وعيسى وقيل كان كذبا واستدل صاحب
المفاتيح عليه بانه لو كان كذلك لكان معجزات الانبياء كلها كذلك وكانت معجزة موسى الى فرعون اشيار اخر وهذا عجب جدا
بل ينبغي ان يلزموا بما يلزموا بما الزمهم الله تعالى وهو انكم لو كنتم صادقين ان الايمان بالنبي يتوقف على ذلك فلم لم تؤمنوا بانبياء اتوكم بذلك
وغيره بل قتلتموهم ومعنى بالذي بمعنى الذي ونظيره ثم يعودون لما قالوا اي بمعنى قالوا ومحل الذين اما الرفع بالابتداء او الجر
عطفا على الذين او لكونه صفة للعبيد • فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور • فيه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب والبينات الحجج والمعجزات الزبر الصحف من الزبر وهو الكتب فهو
بمعنى المزبور وقيل هو كل كتاب ذي حكمة وعطف الكتاب المنير على هذا لانه اشرف وفي مصاحف الشام بالزبر والكتاب المنير التورية
والانجيل والمنير من انرت الشيء اذا اوضحته وفي ذكر ذوق كل نفس الموت تسلية النبي عليه السلام باعتبار انه لا بد ان يصل
كل من المحسن والمسيء الى جزاء عمله وهذا العام مراد به الحاضرون في دار التكليف فلا اشكل بان اهل الجنة والنار ومن لا يصعق
يدخل فيه ويقرأ بتنوين الذائقة ونصب الموت على الاصل ويريدون تنوين الذائقة وتمام الجزاء يكون يوم القيمة فلا ينافي
وقوع عذاب القبر الزحزحة الانقاذ تضعيف الزح وهو الجذب بسرعة وكمال الفوز وهو الظفر بالخير بدلا عن الوقوع في الشر
يحصل بالبعد عن العذاب السرمد والنعيم المخلد ولا مقصد للانسان الا الخلاص عن العقاب ونيل الثواب صوريا كان او معنويا
قال النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي الى الناس
ما يحب ان يؤتى اليه ووجه كون الدنيا متاع الغرور انه يشبه ما يدلس به على المستام حين يشتريه والمدلس والغار
الشيطان وخص سعيد بن جبير بمن لوى ما على الاخرة لان يطلبها للآخرة وقيل الغرور جمع غار اي هو متاع الغافلين
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور • وجه الربط انه من جملة ما يتسلى به النبي والمؤمنون ويكون النفس قد توطنت على هذه الاشياء
فيكون اسهل من ان يتابعها والابتلاء في المال باخراج الواجب وغيره والافات وفي النفس بنحو الجرح والقتل وغيرهما
من المخاوف والمصائب والمسموع من اليهود لعنهم الله من الاذى ما سمع من كعب الاشرف من هجاء النبي وغيره من المطاعن
وصد من اراد الايمان وما كان من قتال بني قريظة والنضير واذى المشركين تحريض العساكر على القتال وتثبيط المسلمين

عن النصرة فان تصبروا على هذه البليات وترك المعارضة والمقاتلة ايضا ان قلنا كان قبل اية السيف وتتقوا
عن المداهنة مع الكفار والسكوت عن اظهار الانكار فان ذلك من معزومات الامور اى مما يجب ان يعزم عليه اى من عزمات الله

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
ما يشترون • المعنى ان الله اوجب على اليهود والنصارى ان يظهروا للناس ما بين فى التورية والانجيل مما يدل على صحة دين النبى
عليه السلام ونبوته فكانه قال كيف يليق منهم الطعن وهذا حالهم وايضا هذا من جملة ما يحتمل من الاذى وقرئ بالياء والتاء وعامل
الظرف اذكر وحمل البيان على اظهار دليل النبوة والكتمان على ذكر تاويلات فاسدة ينافى البيان والنبذ وراء الظهر كناية مثل
فى الطرح وترك الاعتداد وباه جعل نصب عينه والمراد انهم لم يراعوه ومعنى الاشتراء انهم اخفوا الحق للتوسل الى وجدان شىء
من الحطام فمعناهم كل من لم يبين للناس وكتم الحق ليتوسل به الى شىء من الدنيا لا سيما تسهيل الامر على الظلمة والمداهنة معهم
وكذا البخل بما علم قال عليه السلام من كتم علما من اهله الجم بلجام من النار وكيف لا والقرآن اشرف الكتب فيدخل فى عموم الكتاب

لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك
السموات والارض والله على كل شىء قدير • قرئ بالتاء والياء وعلى الاول خطاب للنبى عليه السلام وكذا الفعل للنبى عليه السلام
فى قراءة الياء وفتح الباء فيهما والمفعول الاول الذين والثانى بمفازة ولا تحسبن ثانيا تاكيدا اعيد لطول الكلام وبضم الباء
خطاب للمؤمنين وقرئ بالتاء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى والفاعل الذين يفرحون تقديره لا تحسبنهم فحذف
المفعول الاول وقراءة اتوا معناه اعطوا والذين يفرحون اليهود كانوا يحرفون التورية ويظهرون انهم اهل الدين به
والديانة او اخبر عن شىء سالهم النبى عليه السلام فى التورية على غير ما هو عليه ففرحوا بالتلبيس واحبوا ان يثنى عليهم فاخبره الله
بصنيعهم وقيل المنافقون قعدوا عن القتال واحبوا ان يثنى عليهم كما اثنى على المقاتلين وقيل فى الذين كتموا نعت النبى عم
وفرحوا به ثم قال نحن ابناء الله واحباؤه او بما يفعلوا من اتباع دين ابرهيم والمفازة المنجاة او البعد لان الفوز معناه التباعد
عن المكروه واذا كان لله ملك السموات والارض فكيف يتصور الخلاص من مثل هذا القادر • ان فى خلق السموات والارض

واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب • وجه الارتباط ان قريشا سالوا اليهود عن معجزة موسى وعيسى فاخبروا
بنحو اليد والعصا وابراء الاكمه والابرص فقالوا للنبى عليه السلام ادع لنا ربك يجعل الصفا ذهبا يكون لك آية فنزلت
وقد سبق فى سورة البقرة تحقيق الاية ووجه دلالة المذكورات وساير الممكنات على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته والكلام
فيما يخص بهذه الاية روى انه سئلت عائشة عن اعجب ما رات من النبى عليه السلام فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب
اتانى ليلتى فدخل لحافى حتى الصق جلده جلدى ثم قال لى يا عائشة هل لك ان تاذنى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله
انى لاحبك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضا ولم يكن من صب ثم قام يصلى فقرا من القرآن
وجعل يبكى ثم رفع يديه وجعل يبكى حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى

فقال

فقال له يا رسول الله اتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا ابكى وقد
انزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها ويروى ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتامل فيها وعن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات
والارض وروى ان الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه
لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك ذكر صاحب
المفاتيح ثلثة اسئلة ما الفائدة فى اعادة الاية الواحدة باللفظ الواحد لم اكتفى بذكر ثلث دلالات لم قال لقوم يعقلون هناك وهنا
لاولى الالباب فاجاب بكلام طويل حاصله ان السالك الى الله لا بد فى اول الامر من تكثير الدلايل وبعد كمال العرفان يميل الى تقليل
الدلايل لان اشتغاله بها كالحجاب له عن استغراق القلب فى معرفة الله ثم انه سبحانه حذف هنا الدلايل الارضية وابقى الدلايل
السماوية لانها اقهر وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال القلب منها الى عظمة الله وكبريائه اشد وختم هذه الاية باولى الالباب لان
العقل له ظاهر ولب وفى كمال الحال يكون لبا فيناسب هذا المقام وللقايل ان يقول الجواب من وجه آخر وهو انه لما كانت الادلة
الثلثة اشكل واكثر حاجة الى الفكر لكثرة شعبها وغموض دلالتها اعادها للتامل فيها بخلاف البقية فناسب ان يختم الاية بذكر اولى
الالباب ولعل كون اللب اكمل من مطلق العقل مع افادة العقل لا يختلف بحسب المعقولات ولهذا منهم من لم يفرق بينهما ان الوهم
كثيرا ما يلابس العقل فى تصرفه وادراكه والخالص من شوايب الوهم الذى يميل الى المحسوسات يكون اللب فان اللب من كل شىء خالصه

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار • اى يداومون على الذكر بالسنتهم وقلوبهم لانهم
لا يخلو عن هذه الاحوال وقيل ذكر الله فى الصلوة فى هذه الاحوال بحسب القدرة كما ورد به الخبر من قوله عليه السلام صل قائما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك الايمن وهو المذهب وقيل الاولان فى الصلوة والثالثة عند النوم وعن اقضى القضاة
انه القيام باوامره والقعود عن زواجره والاجتناب عن مخالفته قال عليه السلام الا ادلكم ومعنى على جنوبهم مضطجعين فمحله
النصب على الحال والسبب فى ان الذكر لله والفكر فى خلقه دون ذاته قوله عليه السلام تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق
وذلك ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن الا بالمخالفة دون المماثلة فانه يستدل بهذه المحدثات على قدم خالقها وذات الله
على ما هو عليه لا يعرفه غير الله سبحانه ولا يمكن معرفته الا باثاره وافعاله ودلايل التوحيد منحصرة فى الافاق والانفس ودلايل الافاق
اعظم قال الله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكلما كان فعاله اشرف واعلى كان وقوف العقل على كمال الفاعل اتم
فلهذا امر بالفكر فى خلق السموات والارض لان دلايلها اعظم فانه اذا فكر الانسان فى اصغر ورقة من الشجر راى عرقا واحدا ممتدا
فى وسطها يتشعب منه عروق كثيرة الى الجانبين ثم يتشعب من كل منها عروق دقيقة ولا يزال كذلك حتى لا يراه الحس فيعلم
ان الخالق خلق فيها قوى جاذبة لغذائها من قعر الارض يتوزع فى كل جزء من اجزائها بتقدير العزيز العليم واذا تامل علم عجزه

لاكها ... [margin note, partly illegible]

مطلب ما عتبر

ونقيضه جعله نصب عينه كذا فى الكشاف

عن الوقوف على كيفية خلقها وما فيها من العجايب فحينئذ نسبة تلك الورقة الى السموات وما فيها من الشمس والقمر
والى الارض وما فيها من البحار والجبال والاشجار والنبات والحيوان عرف انها كالعدم بالنسبة اليها وهو لا يعلم
حقيقتها فمن هنا يعلم ان الله سبحانه اجل من ان يحيط به وصف الواصفين فعند ذلك يشتغل بالتسبيح ولعل المقصود انه
يعترف حينئذ بانه منزه عن النقايص وما لا يليق بكبريائه والحاد الزايغين عن معرفة الاية وهو عجز عن احاطة العقل بكنه معرفته
وحينئذ يدعو الله بان يقه من عذاب النار وهذا اشارة الى المخلوق او الى السموات والارض لانها في معناه وفيه نوع
تعظيم فانه يذكر للتعظيم تارة وللتحقير اخرى ويعلم ذلك من السياق فمن الاول ان هذا القرآن ومن الثاني اهذا الذي يذكر
آلهتكم وهو في محل الحال تقديره يقولون متفكرين ربنا ما خلقت هذا خلقا لا حكمة فيه بل فيه عجايب صنعك ومنافع الخلايق
وباطلا اما صفة مصدر اي خلقا باطلا او بنزع الخافض اي بالباطل او حال من هذا وفي الاخير نظر من حيث المعنى لا يخفى
على صاحب الذهن واحتجت المعتزلة على لزوم تعليل فعل الله بالغرض ومصالح العباد لانه لو لم يكن كذلك لكان باطلا قال صاحب
المفاتح وفي كلام الواحدي حيث فسر الباطل بالزايل الذاهب الذي لا قوة له ولا صلابة ولا بقاء جواب عن هذه الشبهة

مطلب فيه بحث مع الوعيدية

وهذا منه عجب لان لقايل ان يقول قولكم لو لم يكن لغرض لكان باطلا ممنوع وسند المنع ما يلزم من الاستكمال او انه لا يسلم
ان القصد الاولى مصالح العباد ولم لا يجوز ان يكون لظهور صفات الحق واستلزم ذلك الاستدلال بكمال قدرته هذا
وانه قد ابطل قول الواحدي بعد هذا بانه لو كان المراد الرخو المتلاشي لكان قوله سبحانه تنزيها من ان يخلق مثله وهو باطل
وايضا ذكر فقنا عذاب النار لا يناسب ذلك بل انك خلقته لحكمة عظيمة وهي ان تجعلها مساكن المكلفين ليشتغلوا
بطاعتك ويحترزوا عن معصيتك فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع وفيه تعليم العبد الدعاء من تقديم الثناء
كما ورد به الخبر الصحيح وفي هذا الدعاء دليل على انه يحسن من الله تعذيبهم والا لكان الدعاء عبثا ومنه قول ابرهيم عليه السلام
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ففيه رد على المعتزلة في انه لا يقبح من الله شيء والخزي فسر بالابعاد والاهانة والفضيحة
قال صاحب الانوار وفي الآية دليل على ان العذاب الروحي اشد لانه جعل نهاية عذاب النار وفي الجملة فيه مبالغة يقال من ادرك

القصمان اسم جبل ٥

مرعى القصمان فقد ادرك وتمسكت المعتزلة بكون صاحب الكبيرة غير مؤمن انه اذا دخل النار فقد اخزاه والمؤمن لا يخزى
لقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا قال صاحب المفاتح الجواب الذي عندي انه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا بل
حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزاء في الجملة وذكر الواحدي اجوبة غير قوية مثل ارادة الخلود الذي
هو محل النزاع ولقايل ان يقول قد سبق ان الخزي فسر بوجوه من المعاني فلم لا يجوز ان يراد في كل صورة معنى مثلا في قوله سبحانه
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا يريد لا يهلكهم وفي الاول يريد الاهانة وحينئذ يسقط الاستدلال وقطع المجبرة بهذه
الآية ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه لو دخل لاخزي لكنه لا يخزى لانه مؤمن وقد قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي الآية
والدليل على انه مؤمن وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا واجيب بما تقدم من ان المراد نفي الاخزاء حال كونه مومنا

وكذا

وكذا جواب القايلين بعض جوابهم وتمسكت المعتزلة بنفي الشفاعة لانها نصرة واجاب صاحب الانوار بانها دفع بقوة
ولا يلزم من عدمها عدم الدفع مطلقا • ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار • الاكثر على ان المنادي محمد عليه السلام قال الله تعالى وداعيا الى الله وقيل القرآن لقوله تعالى
يهدي الى الرشد فكانه يدعو الى نفسه والشاعر يصف الدهر بانه يدعو قال • يا واضع الميت في قبره • خاطبك الدهر فلم تسمع
وايقاع الفعل على المنادي دون المسموع كما تقول سمعت رجلا يقول كذا لانه اذا وصف بما يسمع او جعل حالا عنه فاغنى عن ذكره
ولولا ذلك لقيل سمعت كلامه لان المسموع الصوت لا المصوت وذكر المنادي مع قوله ينادي تفخيم لشان المنادي لانه
اذا اطلق ذهب الوهم الى منادي الخوف او اغاثة المكروب وغيرهما واللام بمعنى الى ثم يعودون لما نهوا عنه وقيل بمعنى
الباء وقيل على التقديم والتاخير اي مناديا للايمان ينادي ومعنى ان آمنوا اي بان آمنوا فيل الذنوب الكباير والنسيان
الصغاير وقيل التي سبقت والتي تحدث وقيل للتاكيد لان الالحاح مندوب اليه وقيل ما يزول بالتوبة وما يكفره الطاعات
والغفر الستر والتكفير التغطية رجل مكفر بالسلاح مغطى وقال لبيد • في ليلة كفر النجوم ظلامها • وفيه دليل على حصول العفو بدون التوبة
لانهم لم يذكروا التوبة وقد قال تعالى فاستجاب لهم الابرار جمع بر او بار كرب وارباب قيل هم الانبياء وقيل المطيعون ومعنى المعية
ان يتوفوا على مثل اعمالهم ليشاركوهم في الدرجات او المراد كونهم في جملة اتباعهم واشياعهم نحو فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد • لما علم ان الله لا يخلف وعده تحقق ان هذا القول
تعبد وخضوع نحو رب احكم بالحق والتقدير على السنة رسلك او طلبوا تعجيل ما وعدوا من النصر وهو دعاء في معنى الخبر او وفقنا
للطاعة وترك المعصية فهو طلب التوفيق لما يحفظ عليهم اسباب انجاز الوعد وفيه دليل على ان المقتضي لحصول منافع الآخرة هو الوعد
لا الاستحقاق وانما لم يقدم طلب اندفاع الخزي اولا مع ان طلب الثواب بعد زوال العقاب هو المعتاد لان المراد التعظيم
او كانهم قالوا وفقنا للطاعة واحفظنا عن المعصية • فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم
من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب • لما حكى الله عنهم معرفة الصانع بالدليل في قوله ان في خلق
السموات ثم الفكر في عجايب صنعه ثم الثناء على الله ثم الاشتغال بالدعاء بين انه استجاب لهم واستجاب قال وداع دعا يا من يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب • ومن ذكر وانثى بيان العامل وكون بعضهم من بعض انه يجمع الذكور والاناث اصل واحد فكل واحد منكم
من الآخر اي من اصله وقيل وصلة الاسلام وسبب تبيين شركة النساء مع الرجال في ثواب عباده العاملين ان ام سلمة قالت
يا رسول الله اني لا اسمع الله ذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فالذين هاجروا ابيان لعمل العاملين بل هو من اعظم الاعمال
لان ترك الوطن المالوف اختيارا لخدمة الرسول عليه السلام والذين اخرجوا هم الذين الجاهم بسبب تعذيب الكفار اياهم
ولا شك ان الاولين افضل لانهم باختيارهم فعلوا ذلك وقيل هاجروا الشرك وقيل القوم والايذاء في سبيل الدين

بالضرب والشتم واتلاف المال وضرر المشركين واستشهدوا وقرئ قاتلوا بالالف او لا وقتلوا المخففة وقرئ بالعكس
وقتلوا مشددة للمبالغة وتكرر القتل فيهم وفي قراءة تقديم قتلوا على قاتلوا اما ان يكون باعتبار ظهور امارات القتل او يقال
الواو لا توجب الترتيب مثل واسجدي واركعي مع الراكعين ثم انه سبحانه من فعل ذلك باموره محو السيئات الذي طلبوه بقولهم وكفر
عنا سيئاتنا واعطاء الثواب العظيم بقوله لادخلنهم لاسيما وقد قرن بقوله سبحانه من عند الله فيستلزم الوقاية من الخزي
المطلوبة لهم ثم اكده بزيادة تاكيد بقوله تعالى والله عنده حسن الثواب كانه قال لا يثيبه غيري كما تقول الرجل عندي ما تزيد ويحتمل
ان يستشهد بقوله عليه السلام كل عمل ابن ادم الحسنة بعشر امثالها الا الصوم قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به روي عن جعفر
الصادق رضي الله عنه انه قال من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية وقال
لان الله حكى عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم • لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم
وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار •
سبب النزول ان بعض المؤمنين لما راوا مشركي مكة في الرخاء والتمتع بالاتجار وغيره قالوا ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد وعلى تناسب ما قيل ان الخطاب للنبي والمراد غيره فلا يكون تحديدا له كما قيل وقيل لكل احد اي لا ينظر اليها
هم عليه من اصابة الحظوظ وقيل هم اليهود وان تمنى النبي عليه السلام فالمراد تنبيه على عدم الاغترار مثل اهدنا الصراط والغرور
ان يستحسن الرجل في الظاهر شيئا ثم يجده عند التفتيش على خلافه وهذا من اقامة السبب مقام المسبب لان التقلب لو غر
المخاطب لاغتر به لكنه لم يغتر فمنع السبب ليمتنع المسبب ومتاع قليل خبر ضمير محذوف يرجع الى التقلب وقلته بالنظر الى ما فاتهم
من نعيم الآخرة او بالنسبة الى ثواب المؤمنين او لان ماله الى الفناء او لانه مشوب بالآفات ثم مع قلته ماويهم جهنم
لعل ذكر الخلود للاشارة الى ذلك والنزل ما يهيا للنازل قال وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
ووصف الجنات بالجملة يصحح وقوعه حالا عنها والعامل الظرف وان انتصب على المصدر المؤكد فالتقدير رزقا او اعطاء
وقيل على التفسير مثل هو لك هبة وما عند الله من الكثير الباقي خير للابرار من القليل الفاني وقيل الذي عند الله للابرار خير ويحتمل
ان يكون الحامل على هذا التقدير اندفاع سؤال من يقول هو خير مطلقا فما وجه كونه خيرا للابرار • وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب •
اختلف في انها نزلت في النجاشي واصحابه حين صلى عليه رسول الله فقال المنافقون يصلي على علج نصراني وكان جبرئيل نعاه
الى النبي عليه السلام وخرج الى البقيع فنظر الى سريره في الحبشة وصلى عليه او في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اثنين وثلثين
من الحبشة وثمانية من الروم وان تعين من نجران [اهله] ووجه الربط انه لما ذكر حال الكفار من مصيرهم الى النار بين
ان من آمن منهم كان داخلا في صفة الذين اتقوا ولما كان في من معنى الكثرة صح وقوع خاشعين حالا منه وعدم شراهم به
ثمنا قليلا عدم كتمان امر الرسول عليه السلام واجرهم ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين وسرعة الحساب

لنفوذ

لنفوذ علمه سبحانه في كل شيء واحاطته بما يستوجب كل عامل على عمله او ان ما يوعدون لآت قريب • يا ايها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون • وجه الربط انه لما اشتملت هذه السورة على علمي الاصول والفروع
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر استلزم حصول ضجر يختص بالمكلف كربط النفس على تحصيل العلو في الطاعات وصبر
بينه وبين غيره من كل الاخلاق الردية ويدخل فيه ترك الانتقام ممن اساء اليك كما قال تعالى واعرض عن الجاهلين والجهاد
والمصابرة مع من يحل شبهته او يجيب عن شبههم والمراد بالمرابطة الاقامة بالثغور بربط الخيل فيها لترصد الغزو قال
تعالى ومن رباط الخيل الآية وقول من قال هو انتظار الصلوة باعتبار ورود الخبر بانه الرباط سديد غير ان تعليله بانه
لم يكن في زمان النبي عليه السلام غزو ايرابط فيه ليس بمستقيم لان هذا الخطاب لم يختص باولئك القوم ولا بذلك الزمان
ويدل على ارجحية الاول قوله عليه السلام رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولعل ذكر التقوى بعد ذلك يجري
مجرى التعميم بعد التخصيص تكميلا للمقصود ومع ذلك كله يكون العامل راجيا للفلاح غير جازم بحصوله لان العمل لا يوجب على الله
شيئا بل جميع ما ينعم على العبد بفضله وسعة رحمته قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما ياتيان
يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجون عن اصحابهما وقد سبق في سورة البقرة والله اعلم

## سورة النساء مدنية وآيها مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا • الاصح ان الخطاب يعم كل المكلفين لان الجمع
المحلى للعموم ولاشتراك الكل في الحكم وجواب ابن عباس رضي الله عنه ان المراد اهل مكة لان من عادة العرب المناشدة بالرحم
ان خصوص آخر الآية لا يستدعي عموم اولها وتفسير التقوى بالاتقاء عن الشرك او المعاصي وغيره قد سبق في البقرة والمعنى
ان الله تعالى اوجدكم من نفس واحدة هي نفس ادم لان حوا خلقت من آدم لقوله عليه السلام خلقت من ضلع الجبر ويروى انها خلقت
في منامه من قصراه ولا يشكل على هذا بقوله تعالى بعده منهما وما قيل انها لم تخلق منه مردود بظاهر الآية وتقرير ذلك القائل
من جنسها نحو وجعل لكم من انفسكم ازواجا خلاف الظاهر وعطف خلق على مقدر نحو انشاها المدلول عليه بالمعنى اولى من العطف
على خلقكم لانه اليق بترتيب الوجود ومعنى بث منهما نشر منهما نوعي الذكور والاناث ولم يذكر كثيرا في الثاني اكتفاء بالاول
ومناسبة الامر بالتقوى عقيب ذكر خلق الانسان وكيفيته انه اذا تحقق للمامور بالشيء عظمة الآمر وقدرته على كل شيء
كان حقيقا بان يطاع ولا يعصى لاسيما وقد انعم عليه بنعمة الايجاد على اكمل وجه واتمه وعلم منه قدرته على الاعادة نظرا الى
ان المصحح للمقدورية الامكان الذي علم بالايجاد اولا ونسبة القدرة الى الحالين على السواء والقدرة ثانيا يناسب ان يتعلق
بحفظ الحقوق لاسيما ما يتعلق بصلة الرحم لان ترتب الامر به على ان الله خلقهم من نفس واحدة يشعر بان المقتضي كونهم فروعا
نشات من اصل واحد واصل تساءلون تتساءلون ادغمت التاء في السين لانهما من حروف طرف اللسان والثنايا

وقع في بعض المصاحف ... ستة وسبعون

وقرئ بالتخفيف للاعلال بالحذف طلبا للتخفيف اى تسال بعضكم بعضا فتقول بالله وبالرحم افعل كذا للاستعطاف
لانهم قالوا مقرين بان لهم خالق وكانوا يتناشدون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا ما تسائلون به وحمل التفاعل على التفعل
للجمع كقولهم رايت الهلال وترائيناه ويؤيده قراءة تسالون بالهمزة والارحام بالاعرابات الثلث النصب عطفا على محل الجار
والمجرور نحو مررت بزيد وعمرا وقال فلسنا بالجبال ولا الحديدا وما يقرا من تسالون به وبالارحام يؤيده او اتقوا الله والارحام
وهو اولى اذ المعنى عليه والرفع على حذف الخبر اى الارحام كذلك والجر للعطف على المضمر لانه على تقدير تكرير الجار ونظيره قول الشاعر
فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب ولا عبرة بقدح من قدح فى هذه القراءة على ظن ان القراآت
بالتشهى لا النقل من النبى عليه السلام غاية ما فى الباب انه كالعطف على جزء الكلمة لان الضمير المتصل كجزء الكلمة فان الجار والمجرور كالشئ
الواحد ويدل عليه انه يقع مثل الكاف والهاء منفصلا قط فهو كالتنوين فهو كالعطف فهو كالضمير المرفوع لا يجوز ان تقول ذهبت
وزيد بل ذهبت انت وزيد وما ذكروه كيف يعارض ما يرويه حمزة وهو احد القراء السبعة وما يقوله الا رواية عن النبى عليه السلام
ومع هذا السماع لا يؤبه بالقياس ومما وجه به ان الواو للقسم واعترض عليه بان النهى قد ورد عن الحلف بغير الله واجيب بان هذا
حكاية ما كان فى الجاهلية هذا وانه مسبوق بالحلف بالله فلم لا يجوز ان يكون عن الحلف بغير الله وحده عن الحسن اذا سألك بالله
بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه ويدل الاية على جواز المسئلة بالله وفيها تعظيم الرحم قال عليه السلام صلة الرحم تزيد
فى العمر وقال عليه السلام شجنة من الرحمن اى مشتقة منه فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته ولا يخفى انه تعالى
لما قرن الارحام باسمه ان صلة الرحم من الله بمكان كما علم تعظيم الوالدين بان قرن بالتوحيد حيث قال تعالى ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا واول صلة الرحم بوضع الولد فى الحلال ويؤكد ذلك ان الله كان عليكم رقيبا لانه وان ذكر بعد الامر
بالتقوى مطلقا والتقوى فى ذلك الا انه يعلم منه العناية بشانها ٭ وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا ٭ وجه الربط انه اذا كان الانسان كلهم باعتبار الاصل كالشئ الواحد
فليراع بعضهم جانب بعض لاسيما فى حال اليتم واليتيم الذى انفرد عن ابيه بموته ومنه الدرة اليتيمة للمنفردة فى الحسن وقيل
فى البهايم من جهة الام وقيل به فى الآدمى ايضا ويجوز ان يجمع على يتمى كسكرى لانه من قبيل الآفات ثم يجمع على فعالى كاسرى واسارى
وان يجمع على فعايل كفارس وفوارس تقول يتايم ثم يتامى على القلب لانه يجرى مجرى الاسماء ولا يطلق الا قبل البلوغ قال النبى
عليه السلام لا يتم بعد البلوغ وعدم الاطلاق لعرف الشرع لا للغة والمراد من ايتاء اليتامى اموالهم قطع طمع الاولياء والاوصياء
عنها ليصل اليهم بعد البلوغ فيكون مستعارا اذ المحفوظ للشخص كالمسلم اليه او يسمى قريب العهد باليتم يتيما او نظرا الى الوضع
اللغوى دون العرفى او مبالغة فى ان لا يؤخر الدفع عن حد البلوغ بعد ايناس الرشد من قبل قيل نزل فى عم منع ابن اخيه ماله بعد البلوغ
فترافعا الى النبى عليه السلام فقال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال عليه السلام ومن يوق شح
نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره اى جنته فلما قبض ابن العم ماله انفقه فى سبيل الله ثبت الاجر يعنى للمنفق وبقى الوزر
هذا قول النبى عليه السلام

اى

اى على والده المشرك واستبدال الخبيث ابدال الحرام الذى هو اموال اليتامى بالحلال الذى هو مال المتصرف فى ماله او اختيار
التصرف فيها بغير الحق بدل حفظها لهم فيكون من قبيل استعمال التفعل بمعنى الاستفعال كالتعجل بمعنى الاستعجال قال ذو الرمة
يا لوم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اى ما استخلفته الدار واستبدلته او اعطاه الردى واخذ الجيد من ماله
ولا تاكلوا اموالهم مع اموالكم ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بينهما لقلة المبالاة بالحرام وذكر الضم الى اموالهم مع انه
حرام مطلقا لانه الواقع فى زمان المخاطبين او لانه اذا كان له الحلال واكل الحرام كان اقبح واصل الحوب الحوب وهو التوجع بالحوب
سمى به الاثم لانه مزجور عنه وذكر الاكل لانه معظم ما يقع لاجله التصرف والا فالمراد به التصرف والا ففى المال ما لا يؤكل ٭
وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعولوا ٭ سئلت عائشة رضى الله عنها عن معناها فقالت هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب الرجل فى مالها
وجمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها شره فربما اجتمعت
عنده عشر منهن قالت ثم استفتى الناس رسول الله عليه السلام فهى المرادة بقوله تعالى ويستفتونك فى النساء الآية وقيل تحرجوا
من ولاية اليتامى وما كانوا يحفظون حقوق النساء وربما كانت عشرة تحت واحد فقيل ان خفتم ترك العدل بين النساء فقللوا
عددهن وقيل ما كانوا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى وقيل ذلك عند الحاجة الى انفاق مال اليتيم مع كثرة النساء
وعلى الاول التقدير ان خفتم ان لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويتامى يقع جمع يتيم ويتيمة على القلب
كما قيل ايامى والاصل ايايم وايام وقيل تقسطوا من اقسط اذا ازال القسط وهو الجور ومعنى طاب حل وذكر فى المفاتيح انه حمل
على الحلال محل النظر لانه فى قوة ابيح المباح وايضا يلزم الاجمال حيث لا يعلم المباح من الاية فيحمل المستطاب ويلزم التخصيص
وهو اولى من الاجمال وذكر ان اهل التحقيق قالوا لا يتناول العبيد لان هذا خطاب مع من اذا طاب له قدر على نكاحها وهو
محتاج الى الاذن لقوله عليه السلام ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وقال تعالى عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وذكر ما
نظرا الى الصفة الطيب وقيل للنظر الى الجنس ومنع صرف مثنى واخواتها لما فيها من الصفة والعدل لا للعدلين من الصيغة
اذ الاصل التكرار اثنان اثنان وثلثة ثلثة وهى منصوبة على الحال من النساء والتكرير للنظر الى كل ناكح يريد الجمع فبعضهم اثنين
وبعضهم ثلثا وبعضهم اربعا فلا يقتضى الزيادة على الاربع والعطف بالواو دون او لانه مثل قولك اعط القوم الفا
درهمين درهمين وثلثة ثلثة فيوهم انه لا يجوز القسمة الا على احد هذه الانواع ولا يجوز الجمع بينها بان يجعلوا بعض القسم بعضه
على تثنية وبعضه على تثليث والواقع خلافه لانه يجوز للناكحين على وجه الجمع ان يتفقوا فى تلك الاعداد ويختلفوا فيها والتحقيق فيه
ان هذا الحكم بالنسبة الى المجموع لا بالنظر الى كل فرد منه فان خفتم عدم رعاية العدل بين عدد منهن فانكحوا واحدة وقراءة الرفع للخبر
اى فالمقنع واحدة وهو اولى من كفت واحدة او ما ملكت تخيير بين نكاح حرة ووطى اماء من غير حصر بملك اليمين وقال فى المفاتيح
ذهب قوم شداد الى جواز التزوج باى عدد اريد لان ما طاب شامل لجمع الاعداد وايضا الواو لمطلق الجمع كقوله مثنى وثلث

يفيد حل المجموع وايضا جاز للنبي عليه السلام وقد امرنا باتباعه والجواب قوله عليه السلام امسك اربعا لا يقال كيف ينسخ
القرآن بخبر الواحد او الاجماع ولا ينسخ به وايضا كيف ينعقد مع مخالفة البعض لانا نقول المخالفون ليسوا من اهل السنة
وان اعتبر قولهم فالاجماع يكشف عن وقوع النسخ في عهده عليه السلام وذلك للاشارة الى نكاح الواحدة او التسري فانه اقرب
ان يكثر عيالكم من عال الرجل هكذا فسره الشافعي رضي الله عنه او لا تجوروا يقال عال الحاكم اذا جار واصل الميل من قولهم عال الميزان
ومنه عال يعول مان يمون ويقوي هذا التفسير ان كثرة العيال مظنة عدم المحافظة على الورع فان ظن غبي جاهل انه تحريف تعولوا
فذلك مما لا ينبغي لمن عرف طرفا من الكمالات فكيف انه من آيات الله في ارضه وحجة القايمة على خلقه ان ينسب اليه ذلك وان صاحب
الكشاف مع انه حنفي المذهب في الفروع له مبالغات في ذلك بل كتاب سماه شافي العي في مناقب الشافعي يذكر علمه العزير بكلام
العرب وان كان الامر كما قال الشمس لا تبتغي بما صنعت منزلة ولا جاها لكن رحم الله امرءا عرف قدر نفسه وترجح يومه على امسه
وقراءة لا تعيلوا توافقه في المعنى وقلة العيال في التسري مع مساواته نكاح الحراير لان المقصود من النكاح التناسل
ومن الاول قضاء الوطر ولهذا امنع من العزل عن الحرة وان كان الاصح الجواز مطلق وجوزه في الامة ولو بغير الاذن وقد سبق
في اول الكتاب ان ذكر وجه من المتقدمين في تفسيره لا يمنع من استنباط المتاخرين وجها آخر فلا عبرة بقول من قال لم ينقل هذا
الوجه من الصحابة. وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا. خطاب للازواج
بتسليم المهور الى الزوجات وقيل لانهم كانوا يأخذون المهر لانفسهم كانوا يقولون للولي هنيئا لك النافجة اذا ولدت له
بنت اي تأخذ المهر ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وعلى الاول نفي الايتاء خلاف انه على سبيل اللزوم لئلا يستباح
الفرج بغير عوض او انه غير واجب بل يعطى تكرمة لقوله تعالى نحلة وفسرت بالهبة والاصح الاول ونقل في قراءته وجوه فتح الصاد
وسكون الدال على تخفيف الاصل وضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وضمها والتوحيد نحله اعطاه ووهب له من طيب
نفسه ومنه قول ابي بكر نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية ولما كان الايتاء بمعنى الاعطاء صح انتصابها على المصدر او على الحال
اي آتوهن ناحلين والتفسير بالنحلة حيث يقال نحلة الاسلام خير النحل على انه مفعول اي آتوهن ديانة او حال اي دينا من الله
ولا يتقرر بمجرد الخلوة لعدم تحقق المسيس المقتضي له ومن في منه ليست للتبعيض لانه لو طابت نفسها فللزوج اخذها بل للتبيين
اي من هذا الجنس الذي هو مهر وتوحيد الضمير مع تقدم المتعدد نظير قول روبة: فيها خطوط من سواد وبلق، كانه في الجلد توليع البهق
لم يقل كانها قال اذن كان ذلك او يرجع الى الصداق لانه كالصدقات لما فيه من العموم ولهذا يصح ان يقال صداقهن لانه
جنس مضاف وشبه به فاصدق ولكن نظر الى اصل اصدق فانه مجزوم وان عدل الى النصب للفاء لانه عارض وانما لم يجمع
النفس لان الجنس اذا وقع تمييزا لم يجمع الا لارادة الانواع اي ان وهبن شيئا طيبات به نفوسهن من غير اضطرار الى الهبة
وعلامة ذلك انه لا يرجع اليه ولهذا امر شريح بان يرد الزوج عليها ما طلبت ويحتمل ان يكون ذلك قبل ابراء او هبة شرحيين
بان يكون عن اكراه كما قال عمر رضي الله ان النساء يعطين رغبة ورهبة والاول رجوع ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم



لما سئل عن هذه الآية قال اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وهنيئا
مريئا وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا يقال هنؤ الطعام ومرئ اذا كان سايغا لا تنغيص فيه او حال من الضمير المنصوب وقيل
الهني ما يستلذ والمري ما يحمد عاقبته وهو ما يساغ في مجراه وقد يوقف على كلوه ويبتدأ بهما على الدعاء وهو مبالغة في التحليل وتخصيص
الاكل لانه معظم المقصود من المال ذلك وفايدة عن شيء منه دون فان طبن لكم عنها للتعريض على تقليل الموهوب وقيل لا يجوز تبرعها
الا باليسير وقيل الا بعد ان تلد او تقيم عنده سنة. ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا
لهم قولا معروفا. السفيه في الشرع الذي يحجر عليه الذي لم يكن صالحا في دينه او لا مصلحا لدنياه وقيل السفهاء النساء الامهات
والبنات والزوجات لقوله عليه السلام الا ان السفهاء النساء وقيل ليس صفة ذم بل لخفة عقله وقصوره عن حفظ الاموال
واضافة المال الى الاولاد وهو السفهاء لانه من جنس ما تقيم به الناس معايشهم نحو ولا تقتلوا انفسكم وقوله تعالى وارزقوهم
يدل على ان الخطاب للاولياء والمراد بالقيام القوام للابدان والمعاش للاهل ويدل عليه قوله قياما ما يقوم قواما وقرئ قيما بغير
الف ولما كان سبب الانتعاش وان ضيعوه ضاعوا فكانه في نفسه قياما لهم وهو ما يقام به والسفيه يحجر عليه لظاهر الآية كالمال
وعن السلف المال سلاح المؤمن ولان يترك ما يحاسبه الله عليه خير من ان يحتاج الى الناس كان سفيان يقلب بضاعة له ويقول
لتمندل بي بنو العباس وكانوا يأمرون بالكسب والتجارة مخافة ان توكل الدنيا بالدين ومعنى يرزقهم فيها ان يستربح به
حتى يكون النفقة منه فلا يتلف بالانفاق وقيل امر عام بان لا يعطي احد سفيها يضيعه في الحرام وفسر القول المعروف بالعدة
الجميل مثل ان صلحتم سلمنا اليكم اموالكم وقيل يعظه ويأمره بالصلوة وترك التبذير او ان ربحت اعطيتك وان غنمت جعلت لك حظا
وقيل العذر الجميل والقول المعروف ما استحسنه العقل او الشرع وسكنت اليه النفس وكذا العمل والمنكر بازائه وقيل علموهم امر دينهم من العلم والعمل
وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا.
اي امتحنوا تدبيرهم بمقتضى عقولهم في المعاملات ومعرفة العادات قبل البلوغ ومعرفة كل بما هو شغله كولد التاجر بالتجارة والزراع
بالزراعة واستعير الايناس لليقين واصله الاستيضاح وقيل الابصار كقوله تعالى آنس من جانب الطور نارا فان ظهر ذلك
لزم تسليم ماله اليه من غير تأخير عن البلوغ وبلوغ النكاح الاحتلام المراد من قوله تعالى اذا بلغ الاطفال منكم الحلم لانه يصلح للنكاح بانزال
الماء الذي يكون في الجماع عنده وطلب التناسل الذي هو المقصود منه والابتلاء عند الشافعي رضي الله عنه بمقدمات العقد
لا نفس العقد خلافا لابي حنيفة رحمه الله حيث قال الاختبار انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى ومنع والسند انه تعالى
امر ان لا يدفع المال اليه الا بعد البلوغ فكذا في جواز التصرف اذ لا قايل بالفرق والرشد ما سبق من كونه صالحا في دينه مصلحا لدنياه
ولا يعتبر الاول عند ابي حنيفة رحمه الله دليل المذهب ان اهل اللغة قالوا هو اصابة الخير والفاسق لا يصيب الخير وقيل الهدى الى وجوه
التصرف وبلوغ صبي المسلم بالاحتلام والسن وصبي الكافر بنبات العانة وفي معناها الوجه والابط والصبية بالحيض والحبل

وفائدة الشرط انه ان لم يونس منه الرشد بعد البلوغ استمر حجر الصبي رضي الله عنه وابو يوسف ومحمد رحمهما الله وهي حجة
على ابي حنيفة رضي الله عنه قال يسلم بعد خمس وعشرين لان البلوغ عنده ثمانية عشر سنة وسبع سنين لانه مدة يتغير فيها الاحوال
لانها سن التميز وهو كما ترى مجرد دعوى وهو محجوج بالقياس على السفه الطارى بجامع حفظ المال عليه والتنوين ان حمل على ارادة
اي رشد كان يوافق مذهبه حيث لم يشترط الرشد في الدين وان حمل على التعظيم كان موافقا للمذهب وهو اولى لاحتمال
اللفظ له ولانه احوط وحتى هذه هي الواقعة بعدها الجمل نحو فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وهنا قوله
بلغوا مع قوله فان آنستم اذ هي اخرى شرطية وقعت جزاء للاول والفاء في فادفعوا لتضمن اذا الشرط وهو اخر المغيا
وما يغرا من احسنتم بدل عليه قول الشاعر خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس وجعل الاسراف والبدار
حالين من فاعل لا تاكلوا اولى من العلة ولعل ذلك لان الاكل ممنوع وان لم يقصد به ذلك وان يكبروا في موضع المصدر منصوب
بالبدار اي ينفقون مفرطين قبل ان يكبروا فينزعوها منكم وفي الاية دليل على ان الوصي لا ياكل من مال اليتيم الا اذا كان محتاجا اليه
لان العفة الامتناع عن مقاربة المحرم والماخوذ ينبغي ان يكون قدر الاجر او اجرة المثل وقيل ياخذ بالقرض لما روي عن ابن عباس
وغيره نظيره وقيل ياخذ في السفر وعن ابن عباس انه ياكل من ماله بالمعروف حتى لا يحتاج الى مال اليتيم وقيل لا ياكل وان كان فقيرا
لقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى والجواب انه عام والخاص مقدم عليه لا سيما وفي قيد الظلم اشعار به ويدل على ان للوصي
حقا في ماله لقوله عليه السلام لرجل سال عن اكل مال يتيم في حجره كل بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وقيل سد الجوعة وستر العورة
وقيل كتنا ول الميتة والاشهاد على دفع الوصي مال اليتيم اليه بعد البلوغ مستحب لئلا يقدم على الدعوى الكاذبة وحاجته الى الحلف
وليكون ابعد من التهمة ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه لا يصدق لظاهر الاية وصدقه ابو حنيفة رحمه الله هذا ما يسلم بعد
البلوغ اما ما انفق عليه في مصالحه كالنفقة والكسوة فيصدق فيه على المذهب للضرورة وكفى بالله حسيبا بمعنى كافيا في الشهادة
عليكم في الدفع والقبض ومنه الشريب بمعنى الشارب ومن الاول حسبك الله اي كافيك وهو تهديد لولي اليتيم حيث اعلمه
بانه يعلم باطنه والباء زيدت لافادة التاكيد او لا تكون زايدة والتقدير وكفى الاكتفاء بالله او هو خبر في معنى الامر اي اكتف بالله
وهو منصوب على الحال اي كفى الله حال كونه حسيبا ويجوز ان ينتصب على التمييز او المعنى من جهة كونه حسيبا واذا قلنا زايدة فالفاعل الله
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
وجه الارتباط انه لما جرى ذكر رد الاموال الى مستحقيها وهو اول حال الحصول تحت التصرف بين ما يكون حالها عند زوال التصرف
الذي هو مبدا التصرف الغير وسبب النزول ان ام كحة زوجة اوس بن ثابت الانصاري جاءت الى النبي عليه السلام وقالت
يا رسول الله ان اوسا مات عني وثلث بنات وليس عندي شيء وقد اخذ ماله ابنا عمه سويد وعرفجة وكان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء والاطفال زاعمين انه لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فبعث النبي عليه السلام اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم فقسم بمقتضى الاية والمراد بالاقربين



الوارث ذووا القرابة لا غير ومما قل او كثر من ما ترك بتكرير العامل مثل لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ونصيبا يحتمل المصدر اي قسمة مفروضة
والحال والاختصاص اي اعني نصيبا قطع عن المال ووجب الصرف اليهم وحمل المفروض على المقدر اولى ليكون جوابا عن قول
من تمسك بتوريث ذوي الارحام لعموم الاقربين واجيب ايضا بمنع كونهم من الاقربين فانه قد فسر ذووا القربى بذوي
الارحام وللقايل ان يجيب بوجه آخر وهو ان توريث ذوي الارحام ثابت عند الشافعي ايضا اذا لم ينتظم امر بيت المال غاية ما في الباب
انه تخصيص ويجوز المصير اليه بالقرينة واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا
اي اذا حضر قسمة التركات من لا يرث فالمستحب ان ترزقوهم من متروك الوالدين والاقربين وقيل يعود الضمير الى الميراث
روي انهم كانوا يعطونهم شيئا قليلا اذا حضروها فحضهم الله عليه استحبابا لانه لو كان واجبا لكان مقدرا وهو اولى من القول
بالوجوب ثم النسخ بآية المواريث بثلث مراتب ولهذا احلف سعيد بن جبير انها ما نسخت ولكن تهاون بها الناس والقول المعروف
من مثل الاعتذار اليهم واستقلال ما سلم اليهم وقول بارك الله عليكم وكانوا يعطونهم الذهب والفضة وعند قسمة الرقيق
والعقار يقولون لهم ذلك وقيل القول المعروف اذا كان الوارث صغيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الخطاب مع الوصي
اذا حضر ايصاؤه اقرباءه الذين لا يرثون فالمقسوم الثلث وتقديم اليتامى لان حاجتهم اهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قيل خطاب للاوصياء بان لا يتصرفوا في اموال اليتامى الا بما يحبون
ان يتصرف في اموال اولادهم بعدهم وقيل لمن يحضرهم بان لا يحملهم على الاضرار بالورثة بالصرف الى غيرهم والمقصود ان يتصوروا
في انفسهم تلك الحالة فلا يجروا على خلاف الشفقة والقول بانه في شان الذين يحضرون القسمة بعيد لان هذه المبالغة الشديدة
لا يناسب الندب ووقوع الجملة الشرطية صلة الذين معنى بعيدا من الذين صفتهم ما ذكرنا الخشية على ذريتهم الضعاف عند الاحتضار
كما قال لقد زاد الحيوة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البوس بعدي وان يشربن رنقا بعد صاف
والقول السديد من الاوصياء لليتامى ان يكون كالاولاد من التاديب والترحيب ومن الحاضرين للموصي ان لا يسرف في الوصية
فيضيع ورثته قال النبي عليه السلام لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون وجوه الناس وكان الخمس
للوصية افضل من الربع وهو من الثلث عند الصحابة وقيل اذا ارادوا بعث العزم على قول او فعل الصواب وهو كالتقرير لما تقدم
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا تخصيص الاكل لما سبق وان اراد
الاعم واكل النار اما باعتبار انه السبب او انهم ياكلونها يوم القيمة لما روي انه يبعث آكل مال اليتيم والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وعينيه وانفه واذنيه وبذلك يعرف وظلما حال او تمييز اي ظالمين او من جهة الظلم والمراد من بطونهم يقال اكل في بطنه
وبعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وذكر البطن لقطع مجاز يمكن ارادته فهو كقوله يقولون بافواههم ويصلون يدخلون
النار يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير نار من النيران مبهم وصفها
وفيه دليل على انه قد يوكل بغير الظلم ولا دليل للمعتزلة في القطع بالوعيد لما سبق من الادلة والتقييد

بعدم العفو اهون من التقييد بعدم التوبة وعدم كونه صغيرة بل منهم من قيد بكون المال خمسة دراهم ٥
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة
فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه
الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس • معناه يامركم ويفرض لكم في شان ميراث اولادكم ويقول لكم قولا يوصيكم
الى اتقاء حقوق اولادكم بما هو العدل قال النبي عليه السلام ان الله لم يكل قسم مواريثكم الى ملك مقرب ولا الى نبي مرسل
ولكن تولى بيانها وقسمها ابين قسم فقوله للذكر الى آخره بيان ليوصيكم وسبب النزول قيل سؤال جابر في مرضه حيث قال كيف
اصنع في مالي يا رسول الله وقيل في ابنتي ثابت بن قيس وقيل في ابنتي سعد بن الربيع وقيل في ام كحة كما سبق وقيل لانهم
ما كانوا يورثون الا بالنسب والعهد لا الصغار والاناث والعدول عن صيغة للانثيين مثل الذكر وللانثى مثل حظ الذكر قصد
لبيان فضل الذكر وعكسه قصد بيان نقص الانثى لفضلها كما في المقدار او ردا لمنعهم ميراث الانثى بانه كفى للفضل المضاعفة
ولا يخفى ان هذا في حال الاجتماع والا فالابن الواحد يحوز الكل لا سيما وقد عقبه بحال الاجتماع وحذف الراجع اذ التقدير للذكر
منهم للعلم كما في قولهم البر الكر بستين وضمير كن اما البنات او المولودات ونساء اي خلصا ولعل جعل فوق اثنتين صفة لنساء
اولى من جعله خبرا ثانيا من حيث المعنى لا سيما ومنهم من جعله صلة مثل فاضربوا فوق الاعناق اذ المراد التنبيه والجواب انه لو كان
كذلك لما ذكر بعده فان كانتا اثنتين وتقدير الزيادة في الوصف اولى من الخبر الذي هو جزء الكلام وان كانت البنت واحدة
فلها نصف والباقي من الثلثين او النصف لساير الورثة فان لم يكن رد عليهن على قدر سهامهن ان لم ينتظم بيت المال
على وجهه والا صرف اليه وقرئ بالرفع لكون كان تامة وترك فاعل ترك وهو الميت لدلالة الكلام عليه وعطف وان كن نساء
مع ان قول للذكر بيان حظه لانه لبيان حظ الاناث ايضا ولم يبعد في الكشاف ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين مفسرا
بنساء وواحدة وللقائل ان يقول الضمير المبهم عنده نكرة نص عليه في المفصل واسم كان لا بد وان يكون معرفة نعم قد خصص
بالتفسير لكن الاصل في الضمير ان يكون معرفة وهو قليل بالنسبة الى غيره وعدم قوله فان كانت واحدة دون ذكر امراة وقوله نساء
لان المراد ثمه بيان خلوصهن اناثا وهنا الفرق بين كون البنت وحدها او مع غيرها وحكم البنتين بانفرادها لم يذكر فذهب
ابن عباس الى انهما كبنت لظاهر التقييد بقوله فان كن نساء والباقون جعلوهما كالجماعة واستدل بان اخذ الثلثين مشروط
بكونهن ثلثا ويرد عليه انه جعل النصف لواحدة وهو جعل النصف للبنتين ودليل الجماعة انه اذا كان نصيب الذكر مثل نصيب
الانثيين ونصيب الذكر فيما اذا خلف ابنا وبنتا الثلثان كان نصيب البنتين الثلثين وايضا من المعلوم ان حظ الذكر
ازيد فينبغي ان يكون الثلثين باجماع لا قايل بالفرق والاية لما دلت على ان الثلثين للبنتين كان قيل فان كن اكثر من ذلك
فما حكمهن فقال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وايضا البنت اقرب من الاخت وللاختين منهما الثلثان
فكذا البنتين ولكل واحد بدل من قوله لابويه كرر عامله وفائدة البدل المتوسط بين المبتدا الذي هو السدس وخبره الذي هو لابويه



التوكيد لذكر التفصيل بعد الاجمال والضمير للميت ولو قيل لابويه السدسان اوهم جواز تفاوتهما فيهما والولد يتناول
الانثى والاب معها ياخذ ما بقي بالتعصيب ومعنى قوله سبحانه وورثه ابواه اي من غير احد الزوجين لان الام معهما ترث
ثلث ما بقي من نصيب الزوج وعند ابن عباس تمام الثلث والمعنى ان الابوين اذا خلصا كان للذكر مثل حظ الانثيين
وسبب اخذها ثلث ما بقي ان الارث بالزوجية لمجرد العقد فهو كالوصية فالارث يتاخر عنها وايضا لو اعطيت تمام
الثلث لكانت اقوى حالا من الاب حيث خلفت امراة زوجا وابوين فان للزوج النصف فاذا اخذت الثلث كان للاب
السدس فينعكس الحكم مع ان الاب اقوى لانه صاحب الفرض والتعصيب والمراد بالاخوة الاخوان فصاعدا لان معنى الجمعية
حاصلة فيها وهذا اولى من قول من زعم انها من غير بيان كمية لان الثلاثة متحققة فانها اقل الجمع واختلاف الضماير والوصف
واسم الاشارة وغيرها يدل عليه والتمسك بنحو فقد صغت قلوبكما وكنا لحكمهم شاهدين ضعيف لتاوله توفيقا وان قال به
ابن عباس رضي الله عنهما بل التمسك القياس فانهما يوجبان الحجة فكذلك الاخوان فان الله ٥ نزل البنتين من النساء
منزلة الثلث في الميراث والاستقراء يوجب ان الحجب بالاختين كما يحصل بالاخوات فحيث ثبت بالاختين لزم ان يثبت
في الاخوين اذ لا قايل بالفرق قال صاحب المفاتيح وهذا احسن ما يقال فيه لكن يرد عليه ان القياس في التقديرات مشكل لانه غير
معقول المعنى ثم قال لكنه تاكد باجماع التابعين والاجماع بعد الخلاف حجة وللقايل ان يقول اي حاجة الى هذا الاطناب لاطلاق
الجمع وارادة التثنية مجاز مشهور علم ارادته بالاجماع وقرئ فلامه بكسر الهمزة وبكسر الميم ايضا ويعلم من اطلاق الاخوة انه ليس بشرط
حجبهم الام عن الثلث الارث فاولاد الام تحجبونها مع الجد وعموم الاولاد مخصوص بما سوى الرقيق والقاتل ومخالف الاسلام
لا يرث الكافر من المسلم ولا المسلم ايضا على الاصح وايضا مخصوص بالانبياء لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث
من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما •
يعني ان استحقاق الورثة في جميع ما سبق من بعد وصية يوصي بها وقرئ بفتح الصاد في الاول وفيهما وبكسر الصاد للاسناد
الى الموصي ويقرا بالتشديد ومعنى انه سواء وجد هذا او ذاك قدم على الارث فهي للاباحة مثل تعلم الفقه او النحو يعني انهما
متساويان في الوجوب وتقديم الوصية اما لانها مندوبة للكل والدين يقع قليلا او لانها مما يشق على النفس فقدمت للتحريض
على المسارعة في اخراجها بخلاف الدين لتوطين النفس على ادائه ولا يقدح ذلك في لزوم تقديم الدين غير انه لم يعلم من الاية
وهذا الكلام معترض بين ذكر الورثة وانصبائهم ليتاكد بحث المقادير لان هذه المقادير كانت مخالفة لما كانوا عليها
فقوله اباؤكم او ابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا معناه ان عقولكم لا تهتدي الى المصالح والى المقادير او انه ترغيب
في تنفيذ الوصايا بمعنى انكم لا تدرون ان الذي وصى فصار سببا لاكتسابكم الثواب بتنفيذها اقرب نفعا او من لم يوص
ولا شك ان الاول انفع لان متاع الدنيا قليل الوجود سريع الزوال بخلاف نعيم الاخرة وعن ابن عباس انه في الشفاعة فان
كلا من الاب والابن اذا كان ارفع درجة سال ان يرفع اليه الاخر فيستجاب له ويمكن ان يستدل بقوله سبحانه الحقنا بهم

ذرياتهم وما التناهم من عملهم وقيل في الدنيا والدين ولما تضمن يوصيكم معنى الفرض انتصب فريضة بانها مصدر موكد
وكونه سبحانه عليما حكيما يشعر بان جميع ما تقدم لا يكون الا على وجه الحكمة والمصلحة • ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين • نزل المقتضى السببى منزلة المقتضى النسبى فى ان يكون
حظ الذكر مثل حظ الانثيين والواحدة من الزوجات والجماعة سواء فى استحقاق الربع او الثمن وفى الولد لا فرق بين الذكر
والانثى ولا بين الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن وفى الاية حجة للشافعى على ابى حنيفة رحمهما الله فى جواز غسل
الزوج الزوجة لان الله سماها زوجة حال موتها لان ثبوت النصف له بعد موتها وان كان رجل يورث كلالة او امراة
وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين
غير مضار وصية من الله والله عليم حليم • الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس وتكلل السحاب احاط بالجوانب
ومنه الكل والمراد من عدا الولد والوالد على ما ذكره الصديق رضى الله عنه ويطلق على قرابة من غير جهتهما فينتصب على العلة
اى يكون الارث لاجل الكلالة ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عى فانهم كالدائرة المحيطة بالانسان
وقرابة الولاد يتفرع البعض عن البعض وعن عمر رضى الله عنه انه من سوى الولد ورجع الى الاول وقال اقول برايى ذلك
فان كان صوابا فمن الله والا فمنى ومن الشيطان والله برئ منه فعلى الاول معناه من يخلف ولدا ولا والدا وخبر كان
اما كلالة او رجل موروث منه كلالة فيكون اسم كان موصوفا بيورث واما يورث وكلالة حال من الضمير ويقرا ببناء
الفاعل مشددا ومخففا ويطلق الكلالة على القرابة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وما قيل انه من الكلال ومنه قول الاعشى
فاليت لا ارثى لها من كلالة تناسب الاطلاق الثانى باعتبار ان القرابة من غير جهة الولد والوالد ضعيفة ويصح وصف المورث
والوارث بها بتقدير ذى كلالة ومنه فلان من قرابتى وقراءة المجهول تستدعى ان يكون الرجل الوارث لا الموروث والضمير يرجع
الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما لانه يكون الوارث وهما متساويان فى استحقاق السدس وعلى قراءة المعروف يكون
الوارث واتفقوا على ان المراد هنا اولاد الام ويدل على ذلك ما يقرا من قوله وله اخ او اخت من الام واستدل عليه بانه
لم يزد على الثلث والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد والمراد بالاضرار فى الوصية الزيادة على الثلث وعن الحسن ان المضارة
فى الدين الاقرار بما ليس عليه وغير مضار حال من يوصى بها او دين والفاعل فى المعروف ضمير الرجل اذا جعلناه المورث
واذا جعل الوارث فضمير الميت لدلالة الحال وذو الحال فى قراءة المجهول ضمير يوصى الذى دل عليه يوصى كما فى يسبح على
يسبح رجال وجعل وصية مصدرا موكدا الفريضة لافادة الكلام معنى الوصية وان نصبت بغير مضار اى الوصية يشعر
بان المراد الوصية من الله بالاولاد بان لا يسرف فى الوصية فيفتقروا بعده وفى ذكر العليم تهديد لمن جار فى وصيته ووعد
لمن عدل ووصف الحكم لتركه سبحانه معاجلة عقوبة الجائر وظاهر الآية وان دل على جواز الوصية باكثر من الثلث لكنه مخصوص

ولده



بقوله عليه السلام الثلث والثلث كثير وباية المواريث والافضل لمن قل ماله ان لا يوصى بشى من ماله لقوله عليه السلام لان تدع
ورثتك اغنياء الخبر والموصى له مخصوص بغير الوارث لقوله عليه السلام لا وصية لوارث والدين يشمل الزكوة والحج لقوله
عليه السلام دين الله احق بالقضاء وعن ابن عباس ان الاضرار فى الوصية من الكباير وهو مبالغة اذ الكبيرة موجبة للحد
عند معظم الاصحاب وعند كثيرين ما اوعد عليه بالنار وعلى هذا يكون من الكباير لقوله تعالى تلك حدود الله الى آخر الآية
تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين • اى الاحكام المذكورة فريضة الله او طاعة وسميت حدودا
لعدم جواز مجاوزتها الى ما ليس بحق وقرئ ندخله بالنون فيهما وخالدا حال مقدرة كقولك معه صقر صايدا به غدا وكذلك خالدين
لا صفة الجنات لانه لا بد من الضمير مثل هو فيها وهم فيها لانها جرت على غير من هى له وحد تارة وجمع اخرى نظرا الى لفظ من ومعناه
والعصيان والطاعة قيل فى هذه التكاليف والاولى الحمل على العموم كما قيل لعموم اللفظ وذكره عقيب الخاص لا يقتضى
تخصيصه لا سيما والمعتزلة تقر اعينهم بالتقدير الاول لا قرت لهم عين بالنظر الى افادته خلود المتعدى فى تلك الحدود والجواب
ان هذا الوعيد مخصوص بعدم التوبة وفاقا فلم لا يجوز ان يكون مشروطا بعدم العفو وقد دل الدلايل الكثيرة على حصول العفو
وايضا يلزم الحمل على الكفر لئلا يلزم التكرار فى ويتعد حدوده لان جميع المعاصى دخلت فى الاول وقد يكون بان لا يعتقد حقيقة
المواريث وهو الغاية فى تعدى الحدود وهذا وان قوله ومن يعص الله دخل فيه جميع المعاصى لصحة الاستثناء وذلك لا يتحقق
الا فى حق الكافر والعذاب المهين هو الخزى بدخول النار • واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما • لعل وجه الارتباط انه سبحانه لما امر بما فيه رعاية المصالح الدنيوية
من حفظ الاموال وايصالها الى مستحقيها حسبما عينه اردف ذلك بما يتعلق بالمقاصد الدينية تكميلا لحكمة بعثة الرسل
واللاتى جمع التى وله جموع اخر اللاء واللات واللائى واللواتى والفاحشة مصدر كالعافية وهى الفعلة المتجاوزة فى القبح
والمراد الزنا واتيانها فعلها كما قال لقد جئت شيئا فريا وفيه لطيفة كانه لما منع المكلف عنها لا يعينه على فعلها بل المكلف
كانه ذهب اليها لا انه فى الحقيقة ليكون مذهب المعتزلة ومعنى الاستشهاد ان يطلب من قذفها باحضار اربعة او الخطاب للازواج
وقيل خطاب للقضاة والاولياء باسماعها وتخليد حبسهن اما منسوخ بلزوم الحد او انه لم يذكر الحد لوضوحه بل الحبس لصيانتهن
عن الوقوع فى مثله وعلى الاول السبيل الحد وهكذا نقل عن النبى عليه السلام وعلى الثانى النكاح الحافظ عن السفاح ومعنى توفيه
الموت اياهن اما توفية ملائكته لقوله ان الذين توفاهم الملائكة او حتى يستوفى الموت ارواحهن ولا حاجة ان يقال انه من باب
جد جده واللذان الزانى والزانية وايذاؤهما توبيخهما بقول اما استحييتما اما خفتما عقاب الله وسخطه اسقطتما الفهم عن العدالة
والشهادة وعن ابن عباس انه يدخل فيه الضرب بالنعال وقرئ بتشديد النون المفرق بين الاسماء المتمكنة وغيرها

دنون التثنية وغيرها فان عفوا الحال بالتوبة والاصلاح فاتركوا الايذاء ويحتمل ان يكون الخطاب للشهود بمعنى انهما باقبل
الرفع الى الامام فلا تؤذوهما بالرفع والتهديد وقيل نزلت في السحاقات وهذه في اللواطين قال في اللباب خالف قايل جمهور
المفسرين وبناه على انه ليس في القرآن ناسخ ومنسوخ فانه قول ابي مسلم الاصفهاني وفيه دليل على جواز نسخ القران بالسنة
ويجوز العكس ايضا وللشافعي رضي الله عنه قول في منع القسمين وابو بكر الداري رجح الاول لحرصه على الطعن في الشافعي وفي جملة
مايدل على بطلان كلامه قول الخطابي انه لم يحصل النسخ في هذه الاية قوله تعالى فامسكوهن يدل على امساك ممدود الى غاية ان يجعل
الله لهن سبيلا وهو مجهول بينه قوله عليه السلام خذوا عني الثيب الرجم والبكر تجلد فالحديث بيان لا نسخ ومخصص لقوله تعالى
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا شك ان جعله بيانا وتخصيصا اولى من النسخ بمراتب لانهما واية الحبس مجملة واية الجلد
مخصصة فلا بد من المبين والمخصص بين • انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك
يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما • قد سبق ان اركان التوبة الندم على ما تقدم من الذنب
والترك في الحال والعزم على عدم المعاودة والجهالة قبل المعصية وقيل عدم معرفة كنه ما فيه من العقاب او يعملون سفها لان السفه
يدعو اليه لا الحكمة من قريب اي زمان قريب قبل حضور الموت قبل مشاهدة ملك الموت وقيل قبله ولو بفواق ناقة وقيل
في الصحة ويؤيد الاول قوله عليه السلام يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وكذا قوله سبحانه وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر
في جواب قول ابليس وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده ومن للتبعيض اي في اي جزء من اجزاء زمان المعصية
وحضور سلطان الموت كما قال ابن عباس رضي الله عنه قبل وتمسكت المعتزلة على وجوب القبول على الله وهو باطل لان لازم
الوجوب توجه الذم عند الترك لا ان لازم الوجوب استحقاق الذم هذا وان الندم والعزم من باب الكراهة والارادة ولا يحصلان
باختيار العبد لافتقارهما في الحصول الى ارادة اخرى فيتسلسل فذلك ليس الا محض تخليق الله تعالى وفعله تعالى لا يوجب عليه اجرا
فالقول بالوجوب باطل لا يقال الجاهل يكون فعله ذنبا لا يعاقب عليه لان اليهودي يعاقب على تهوده لتمكنه من العلم بكونه
ذنبا وفايدة قوله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان هذا اعلام بانه تعالى اوجب على نفسه القبول ايجاب
الفضل والاحسان لا ايجاب الاستحقاق والاول اخبار بان الله سيتوب عليهم او الاول الهداية اليها والاعانة عليها والثاني
لبيان قبولها والله عليم بان صدور الذنب كان عن جهالة وسهو وحكيم بان من كان هذا صفته فاذا تاب عن قريب فانه يقبل توبته
وقوله تعالى وليست التوبة ليس اشارة الى قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المقتضي مشاهدة الاحوال وعندها يحصل العلم
الاضطراري لانه لو منع نفس الموت لما كلف من اماته ثم احياه والجواب عن تعلق الوعيدية بهذه وامثالها قد سبق في قوله تعالى
بلى من كسب سيئة ولا الذين عطف على الذين يعملون السيئات والمعنى ان القسمين متساويان في عدم قبول التوبة لفوات
زمان التكليف والاختيار قيل يحتمل ان يكون المراد بهم الكفار لورود قوله تعالى بعده وهم كفار ويحتمل ان يكون المراد الفساق



واطلاق الكفر على سبيل التغليظ كقوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحوه ويحتمل ان يكون وهم كفار حالا عن المعطوف
ولا حاجة الى هذا التأويل وقيل الآية الاولى في المؤمنين وابتداء الثانية في المنافقين وختمت بالكافرين واعتدنا من العتيد
وهو الحاضر والعتيدة طبلة معدة للطيب • يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا • وجه الارتباط ان ذكر ذلك عقيب تعظيم امر الذنوب وحال التوبة يشعر بان ذلك من الذنوب العظام التي يجب
التحرز عنها اي لا يحل لكم اخذ النساء كارهات او مكروهات على سبيل الارث لحيازة المال وقرئ كرها بضم الكاف كانوا
اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او بعض عصبته فيلقي عليها ثوبه فيصير احق بها من نفسها ومن غيرها ان شاء زوجها واخذ صداقها
لنفسه او تزوجها بالصداق الاول او عضلها لتفتدي بميراثها وان ماتت ورثها ثم اتفق ذلك لكبشة الانصارية فذكرت
للنبي عليه السلام فنزل والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اختنقت رحمها به فلم يخرج بتمامه اي لا تعضلوهن
لتفتدي ببعض مالها وقيل لا تعضلوهن ابتداء كلام خاطب به الازواج والمعاشرة بالمعروف ابقاء حقها وهو الامساك بالمعروف
وعلى الاول محله اما نصب بالعطف على ما دخله ان وكذا يقرأ او جزم بالنهي عطفا على ما تقدم والفاحشة المبينة النشوز وسوء
الخلق وايذاء الزوج واهله بالسلاطة فانه اذا كان سوء العشرة من جهتها فلا بأس بالخلع وقيل بالحبس والذي تقدم وقيل
الفاحشة الزنا وقيل لا يحل الخلع الا بتحققه وكانوا يأخذون حينئذ جميع ما اعطوها فقيل نسخ بالحد وقرئ مبينة بكسر الياء
والا ان يأتين استثناء من اعم عام الظرف اي الا وقت الاتيان او المفعول له اي الا لعلة الاتيان ولا تفارقوهن وان كرهتموهن
نفوسكم فربما تكره النفوس ما هو اصلح لها واحبت ما هو على خلافها وصح تفسيره بالشرط اذ المعنى ان كرهتموهن فاصبروا عليهن
فلعل فيه خيرا والضمير في فيه يرجع الى الامساك المدلول عليه بالسياق والخير الكثير قيل الولد ويحتمل ان يرجع الى المكروه المدلول عليه بالفعل
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف
تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا • منع ما كانوا يفعلونه اذا ارادوا استبدال زوجة باخرى
من نسبتها الى الفاحشة ليفتدي بما اعطاها الزوج والقنطار المال العظيم وقد سبق من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة
لتشييدها قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وقال عمر رضي الله عنه لا تغالوا بصدقات النساء فانه لو كانت
مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية
فقالت امرأة يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال
لاصحابه تسمعوني اقول مثل هذا فلا تنكرونه حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء والبهتان كذب يواجه به صاحبه على جهة
المكابرة لانه يبهت به اي يتحير ومعناه تأخذونه باهتين او بهتانا وان جعل علة فهو كقعدت عن الحرب جبنا ووجه التسمية
ان من استرد ما فرض الله فكانه قال لبس بفرض وافضاء بعضهم الى بعض الوصول بالملامسة وقيل كناية عن الجماع وبه قال ابن عباس

وجماعة وهو مذهب الشافعي ووجه ان هذا التعجب القوي لايكون الا عند الالفة الشديدة وهو الجماع لا ود كما قال ابو حنيفة
رحمه الله واصله من الفضا وفضا يفضو اتسع والميثاق الغليظ العهد الوثيق وقيل حق الصحبة وهذا الوصف لعظمه كيف
وقد قيل صحبة عشرين يوما قرابة وقيل قول العاقد قد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان قال عليه السلام
استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عوان جمع عانية وهي
الاسيرة وتلك الكلمة كلمة النكاح المعقود على الصداق • ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا • قيل سبب النزول انه تزوج طائفة بحلائل آبائهم منهن كبشة وفاختة ومليكة تزوج بالاولى قيس بن
ابي قيس وبالثانية صفوان بن امية وبالثالثة منظور بن ريان وذو المروات منهم مقتوا ذلك فسمي نكاح المقت ويقال
للمولود عليه المقتي والمقت بغض مقرون باحتقار حصل بامر قبيح ارتكبه صاحبه وهو عن الله يدل على غاية الخزي والخسار وهو
فاحشة لانه بالغ في القبح لان زوجة الاب كالام ومقت لانه ممقوت في المروة وقيل لا تنكحوا كنكاح آبائكم لان ما مع ما بعده
في تقدير المصدر فيتناول كل نكاح فاسد قبل ما وطئهن فيدخل فيه السرية لان هذا اللفظ حقيقة في الوطي مجاز في العقد
لانه في اللغة عبارة عن الضم وتسمية العقد به اطلاق اسم المسبب على السبب وقوله عليه السلام النكاح سنتي يدل
على ان المراد العقد وقيل للقدر المشترك دفعا للمجاز والاشتراك وهو الضم الحاصل فيهما جميعا وقيل لا مشترك بينهما بل هو
مشترك بين العقد والوطي او حقيقة في احدهما مجاز في الآخر ويجوز ان لا تحل بالنساء على تاويل ان يرثوا بالوراثة والاستثناء
منقطع وقيل بمعنى بعد نحو الا الموتة الاولى ونقل صاحب المفاتح عن صاحب حل العقد انه استثناء على طريق المعنى لانه يدل
على المؤاخذة بارتكاب النهي فكانه قيل انتم تؤاخذون على نكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول الآية وقيل هو مثل قولهم
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوا فانه لا يحل لكم غيره
وهو غير ممكن • والمقصود المبالغة في تحريمه نحو حتى يلج الجمل في سم الخياط ساء فعل لازم فاعله ضمير يفسره سبيلا نحو وحسن
اولئك رفيقا والفاحشة القبح العقلي ومقتا الى الشرعي وساء سبيلا الى العرفي • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا
بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما • في معنى الامهات الجدات في اي جهة كن وهي جمع الام اصله امهة اسقطت
الهاء قال امهتي خندف والدوس ابي • وفي معنى البنات بنات الاولاد وكذا العمات من جهة الابوين ومن واحد وكذا
بنات الاخ والاخت فان قيل قلت الاصول والفروع وفروع اول الاصول واول اصول الفروع والمراد بالتحريم تحريم النكاح
كما ان المراد من تحريم الميتة اكلها وكما يثبت حكم الرضاع للمرضعة والرجل الذي در عليه اللبن يثبت الحكم لاصولهما وفروعهما
واطرافهما من النسب والرضاع لقوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمذهب ان المحرم خمس رضعات

لرواية

لرواية عائشة وعند ابي حنيفة مرة فاولا دالمرضعة سواء ولد اقبل الرضاع او بعده اخوة الرضيع ولا يستثنى من صور النسب
الا اربع ام الولد بان يرضع اجنبية ولدك وام الاخت او الاخ بان يرضع اجنبية احدهما واخت الولد بان يرضع اجنبية
اخت ولدك فانها لا تحرم لانها ليست بنتك ولا ربيبة واخت الاخ وام النافلة وان حرمت من النسب لانها اما بنتك
او زوجة ابنك بخلاف الرضاع اذا ارضعته اجنبية واما اخت الاخ فلا تحرم من النسب ايضا والربيبة فعيل بمعنى المفعول
يسمى بذلك لانه يربها كما يرب ولدها ثم اتسع فاطلق على من لم يربها والتاء لنقل اللفظة من الوصفية الى الاسمية والمراد بكونهن
في الحجور في التربية وانها كالولد فالعقد عليها كالعقد على بنته وجعل علي رضي الله عنه شرطا والمراد بالدخول الوقاع اي الربيبة المحرمة
هي التي تكون من المرأة المدخول بها وهكذا اقره النبي عليه السلام حيث قال الرجل طلق زوجته قبل الدخول لا بأس ان يتزوج بنتها
وعند ابي حنيفة يحرم على الولد لانها بمنزلة الدخول وروي ذلك عن بعض العلماء والحق ما سبق فمن نسائكم متعلق بربائبكم ولا تجوز
تعلقها بالربائب لانه تصير حرمة الربائب متممة ولو علق بامهات نسائكم صار الابهام فيهن لان معنى من في من نسائكم لبيان النساء
وتمييز المدخول بهن من غيرهن وفي ربائبكم من نسائكم تكون لابتداء الغاية كقول بنات رسول الله من خديجة واذا اختلف معنى من
في التركيبين لم يعلق بهما لانه يلزم ان يراد بالكلمة الواحدة معنيان في تركيب واحد فيتعين التعليق بما يقرب منه الا ان يمنع
مانع والتعليق بالنساء والربائب انما يصح ان لو كانت للاتصال مثل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والاتفاق
على ان الابهام في تحريم امهات النساء دون الربائب يؤيد الاول والام تحرم بنفس العقد وبفراق امهات نسائكم اللاتي دخلتم
بهن وتقييد الاولاد بكونهم من الاصلاب للاحتراز عن المتبنى بدليل انه عليه السلام تزوج بزينب بنت جحش بنت عمته
وكان زيد قد تبناه النبي عليه السلام قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج وان تجمعوا عطف على المحرمات اي حرم الجمع بين الاختين
والمذهب انه يحل الجمع في ملك اليمين لانه لا اشعار في الآية بذلك لان الظاهر تحريم النكاح لقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم وعلي رضي الله عنه
رجح التحريم لهذه الآية ويدخل في حلائل الابناء جارية وطئها الابن سواء قلنا الفعيل بمعنى المفعولة او الفاعلة لتارك الزوجة
في الحل وابو حنيفة لم يحرمها فلا عبرة بما نقل عن اهل اللغة انها الزوجة وحليلة ابن الرضاع وان لم يدخل في الابناء لتقييدهم بكونهم من
الاصلاب لكن قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب يدل على حرمتها وحرمة حليلة الاب والابن لا يتوقف الا على
نفس العقد قال ابن عباس ابهموا ما ابهمه الله والجد وولد الولد في معناهما • والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله
عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما • عطف على المحرمات وسبب النزول ان الصحابة اصابوا مواقعة
سبايا لهن ازواج فاستحلوهن بعد نزولها اي حرمت ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم بالسبي وقيل بالشرى وعلى الاول
قول الفرزدق • وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق • لا يقال لو وقعت الفرقة بالملك وقعت بالشرى
لانا نقول العام بعد التخصيص حجة في الباقي وايضا في السبي طريان الملك وفي البيع انتقال الملك ويتوقف الحل على الاستبراء بحيضة

وقيل المحصنات العفايف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح او ملك اليمين وقرئ بكسر الصاد وفتحها لانهن احصن فروجهن بالتزويج
او هن محصنات وكتاب الله منصوب على المصدر المؤكد اى كتب الله كتابا اى تحريم ما حرمه وعطف عليه احل وقرئ بالمجهول عطفا على
حرمت وما وراء ذلكم معناه ما سوى ما يتلى عليكم وقيل ما سوى المحرمات المذكورة ودون الخمس والجمع بين المراة وقرابة لو فرضت ذكر
حرمت عليه انما جرى لقوله عليه السلام لا تجمع بين المراة وعمتها ولا ابنها وبين خالتها ويقرأ كتب الله جمع مبتداء محذوف وان تبتغوا
اما مرفوع المحل بدلا من وراء ذلكم واما النصب بنزع الخافض واما انه منصوب على العلة اى بين الله الحلال والحرام ارادة ان تبتغوا
باموالكم التى تجعلوها مهورا ما يحل لكم حال كونكم محصنين فروجكم غير زناة فلا يضيع اموالكم فى الحرام ومن يفعل ذلك خسر الدنيا والآخرة
والسفح صب المنى يقول الفاجر للفاجرة سافحينى ومفعول تبتغوا اما مقدر وهو النساء او متروك اذ المقصود ان لا يخرج المال
او تبتغوا ابدل من وراء ذلكم والاستمتاع الانتفاع بالمنكوحات من الجماع او الخلوة عند من يوجب المهر بها وهو محجوج بالآية لدلالتها
على ان المقتضى الاستمتاع بهن والاجور المهور وهى التى فرضتم لهن عليهن وهو الراجع الى ما وحذف للعلم به مثل البر الكر بستين اى منه
ثم لا جرح عليكم فى زيادة المهر ونقصانه وابراء الذمة منه بعد الفريضة وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل يراد فى المتعة
التى كانت ثلثة حين فتح مكة ثم نسخت قيل اباحها النبى عليه السلام ثم حرم قيل رجع عنه ابن عباس وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى
بالمتعة هى مسئلة مذهب الشافعى ان كل ما يصح ان يجعل ثمنا صح ان يجعل مهرا وقال ابو ح رحمه الله لا يصح باقل من نصاب السرقة
وهو عشرة دراهم عنده قال لان الدرهم والدرهمين لا تسمى موالا قال وعشرة دراهم علم صحتها بالاجماع والجواب ان قوله باموالكم
مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى توزيع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد بابتغاء النكاح ما يسمى مالا • ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن
بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم • هذا حكم آخر مما يتعلق بحث النكاح والمعنى ان من عجز
عن مال ينكح به حرة اذ المراد بالمحصنات الحراير لانه تعالى اثبت نكاح الاماء عند تعذر نكاحهن فلينكح امة والطول الفضل
يقال لفلان على فلان طول اى فضل قال لقد زادنى حبا لنفسى اننى • بغيض الى كل امرئ غير طايل • ومنه الطول فى الجسم
لانه زيادة فيه وما روى عن ابن عباس ان من ملك ثلثمائة درهم لزمه الحج وحرم عليه نكاح الاماء يختلف باختلاف الاحوال
فلعل فى ذلك المكان والزمان وجوز ابو حنيفة للغنى لتفسيره النكاح بالوطئ فالمعنى من لم يملك فراش الحرة دليل المذهب
ظاهر الآية لانه لو جاز نكاح الامة مع القدرة على الحرة لم يكن لعدم هذه القدرة اثر وقد تقرر ان تعقيب الحكم بالوصف المناسب
مشعر بعليته له والفتيات الاماء وقال عليه السلام لا يقولن احدكم عبدى وامتى ولكن ليقل فتاى وفتاتى ثم الايمان شرط
لصحة نكاحها وجوز ابو حنيفة نكاح الامة الكتابية دليل المذهب ان التقييد بالايمان ينفى جواز نكاح غير المؤمنة وللدليل
السابق ومنهم من لم يجوز نكاح الكتابية لانه تعالى بين ان عند العجز عن نكاح الحرة المسلمة يجوز نكاح الامة المسلمة

فلوجاز

فلو جاز نكاح الكتابية لم يتعين الامة المسلمة واكثر العلماء على ان ذكر الايمان فى الحراير ندب ثم انحطاط نكاح الامة عن الحرة لرق
الولد وذل الناكح فى نكاح الممتهنة لكن قوله تعالى والله اعلم بايمانكم كالمرخص والمانع من الاستنكاف فى ذلك اذ المعنى الله اعلم بتفاضل
ما بين الحراير والاماء فى الايمان فلعل ايمان الامة اقوى من ايمان الحرة والمعتبر ليس الافضل الا الايمان دون النسب يؤيده بعضكم
من بعض اى كلكم بنو ادم او متواصلون متناسبون فى الايمان لا فضل الا بالايمان وقيل مرتفع الا بمضمر اى فلينكح بعضكم
من بعض لدلالة ما قبل عليه وباذن اهلهن اذن المولى فى النكاح واحتج به ابو حنيفة فى جواز مباشرة المراة للعقد والجواب
ان الاشارة الى ذات موصوفة زايلة لا يتناول الى تلك الصفة ولهذا يحنث الحالف ان لا يتكلم فى حال الشباب فكلمه شيخا ويحتمل
ان يؤيد بان قوله عليه السلام العاهر هى التى تنكح نفسها هذا او ان الاذن الرضى ولا كلام فيه ولا دلالة له على انها تباشر العقد
ومعنى ايتاء اجورهن بالمعروف اداء مهورهن من غير مدافعة واحواج الى التقاضى والمهر وان كان للمولى فالاداء اليه
لكن التسليم اليهن تسليم اليهم لانهن وما معهن للموالى او على حذف المضاف اى مواليهن ومحصنات اى عفايف وليس ذلك
فى صحة النكاح كما قاله بعضهم بل يكون اولى كما سياتى ان شاء الله فى قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية والمسافحات الزوانى فقيل
المجاهرات والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب وهو الخليل فى السر وقيل من معك فى كل امر ظاهر وباطن وذكر لبيان عدم
الفرق حيث ما كانوا يجعلون ذلك زنا فاذا احصن الاحصان بالتزويج وقرئ بالمجهول فعليهن من الحد نصف ما على الحراير ولما لم يكن
تنصيف الرجم علم انه خمسون جلدة وفيه اشكال وهو ان هذا الحد لا يتوقف على الاحصان وفى الجواب بانه اذا كان هذا القدر
كافيا بعد التزويج فقبله بطريق الاولى ان يقال لما كان الاحصان فى الحراير سببا للرجم ويوهم ذلك ان الاماء كذلك بين بانه
لا يختلف الحال فيهن وانكر الجواز والرجم لانه تعالى اوجب على الامة نصف حد الحرة ولو كان حدها لما انتصف والجواب ان المراد
هو الحد المذكور فى القرآن والرجم ثبت بالسنة علم ذلك بعدم تنصيف الرجم وذلك الاشارة الى التزوج بالامة اى انما يجوز
لمن خاف الاثم الذى هو يصدره من غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وقيل الحد الذى
هو يصدره عند الشهوة والصبر عن نكاح الاماء خير لما فيه منع صيرورة الاولاد ارقاء او عن الزنا والله غفور رحيم حيث رخص
فى النكاح لاسيما نكاح الاماء وفيه اشعار بمرجوحيته والآية اشار النبى عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم • والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا • اى يريد الله ان يوضح لكم ما كلفكم
اعتقاده والعمل به من الحلال والحرام او ما ابهم عليكم مما يعنيكم ومحله نصب يريد واللام لتاكيد معنى الاستقبال لقوله اردت
لكيما يعلم الناس انه سراويل الرقود شهود وقيل لتاكيد ارادة التبيين كما فى لا ابالك والاولى ان يقال ان الفعل بمعنى المصدر
اى الارادة للبيان ان يبين لكم طرق من قبلكم من اهل الرشد كى تسلكوا مناهجهم من الحلال والحرام اللذين تقدما وغيرها
ويريد ان يحرضكم على التوبة او يرشدكم الى ما يمنعكم عن مقتضيها او الى ما يكفر ذنوبكم او يغفرها لكم والله يعلم الاحكام ويضعها على وجه الحكمة

وآرادة التوبة ثانيا حملت على التاكيد والاولى ان يقال انه لما اراد ان يبين حال الفجرة فى اتباع الشهوات او حال اليهود والمجوس فى تحليل الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت قدم عليه ما هو كالمنافى لحال هولاء وانه لا ينبغى ان يوافقهم فى الميل عن الحق فى اتباع الشهوات وعظمة الميل باستحلال ما حرم الله وآرادة الله التخفيف بوضع الاحكام على السهولة والتصدق عليكم بالرخص كنكاح الامة وغيره والحال ان ضعف الانسان بحيث لا يصبر عن الشهوات ويثقل عليه مشاق الطاعات وعن ابن المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم من قبل النساء وعن ابن عباس ثمان آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ان يتوب ويريد الله ان يخفف وان تجتنبوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم ومن يعمل سوءا او يظلم ما يفعل الله بعذابكم وحمل القاضى الضعف على ضعف الداعية الى الطاعة لا ضعف البدن قال فى المفاتيح لو تامل علم ان قوة الداعية وضعفها لا بد لهما من سبب فان كان من العبد تسلسل وان كان الكل من الله فذاك هو الحق الذى لا محيد عنه وبطل القول بالاعتزال بالكلية • يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما • وجه الارتباط انه لما تقدم ذكر النكاح والمهر بين كيفية اكتساب الاموال ليكون المصروف اليه وساير مؤنة من النفقة والكسوة وغيرهما من جهة يرتضيها الشرع وذكر القتل معه لان المال شقيق وفيه دليل على كمال رافته سبحانه بعباده وتخصيص الاكل لما سبق من كونه اعظم فوايده والباطل كل ما حرمه الشرع كالربوا والغصب والسرقة وقيل ما لا عوض له ثم قيل هو منسوخ بقوله تعالى لا جناح عليكم ان تاكلوا الآية وليس بصحيح بل هو تخصيص وقيل النهى عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وقرئ التجارة بالرفع ايضا وهو اولى لان من نصب ارتكب الاضمار وقال الا ان تكون التجارة تجارة والاستثناء منقطع لما سبق من تفسير الباطل وقيل متصل باضمار شئ اى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وان تراضيتم كالربوا الا ان تكون تجارة وعلى هذا يلزم التخصيص وذكرها لان اكثر المعاملات لانه يجوز اكل ما حصل بغيرها كالهبة وعن تراض صفة تجارة وقتل النفس حقيقة بازهاق الشخص نفسه وحمل على موجبه او القاها الى التهلكة لانه لما علل عمرو ابن العاص تيممه لخوف البرد قرره النبى عليه السلام وقيل لا تقتل من هو من دينه فان المؤمنين اخوة وقيل باكتساب موجب القتل فانه القتل فى الحقيقة ورحمة بالعباد اقتضت هذه الاحكام وما قيل لانه امر بنى اسرائيل بالقتل ونهاكم عنه ضعيف لانه كان سببا للحيوة الابدية • ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا • اى من يقتل او ارتكب المحرمات ظلما بان لا يكون قصاصا او خطا وقيل العدوان بالنسبة الى الغير والظلم لنفسه بتعريضها للعقاب فسوف ندخله النار وهو يسير على الله لانه على وجه الحكمة ولا مانع فيه ولا استدلال للمعتزلة فى القطع بوعيد الفساق لانه لا دلالة فيه على الخلود وقولهم كل من قال بالخلود لا ينهض جوابا ولئن سلمنا فلم لا يجوز ان يكون المراد الكفار لا سيما وذكر العدوان والظلم يشعر به لئلا يلزم التكرار • ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما • معظم اصحاب الشافعى رضى الله عنه ان الكبيرة موجبة الحد وقيل اتصاف الذنوب بالصغر والكبر بالنسبة الى ما فوقها وتحتها او بالاضافة الى طاعة او ثواب او الاشخاص لانه تعالى عاتب نبيه بالخطوات وقيل سبع لقول النبى عليه السلام اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربوا

واكل

مطلب

واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وروى عن ابن عباس انها الى سبعمائة اقرب من سبع لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروى عنه الى سبعين ولا منافاة لما مع الخبر لان التخصيص بالعدد لا يدل على الزايد والناقص ونقل صاحب المفاتيح عنه مخالفة لانه قال الذنوب كلها كباير لان عظم النعم بالنسبة الى نعمة من يعصى او الى جلاله واجاب بانه ارحم الراحمين فيصغر بالنظر الى ذلك ولعل قول ابن عباس مبالغة والا فنصوص الكتاب والسنة تدل على الانقسام وذكر صاحب الانوار انه كل ما اوعد عليه بالنار فى الكتاب او السنة وهو يقرب عما نقل عن الصديق انه الذى اوعد صاحبه بنار او لعنة او غضب او عذاب وتكفير السيئات اماطة العقاب المستحق بها بركة ثواب الكف عن الكباير ولعل قوله عليه السلام فى تكفير الصلوات الخمس للسيئات اذا اجتنب الكباير اشارة اليه وقرئ بضم الميم احتج الكعبى بها على القطع بوعيد صاحب الكبيرة اذ المعنى ان لم تجتنبوا لم يكفر والجواب انه يلزم ان لا يكفر السيئات لغير مجتنب الصغاير وهذا الاصل باطل عنده وان استدل من جهة ان الدالة على الشرط فضعيف لنحو لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ان خفتم المدخل حمل على المصدر والمكان والمراد الجنة او ما وعد من الثواب ومذهب المعتزلة انه يجب غفران الصغيرة لمرتكب الكبيرة وقد سبق جوابه • ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما • لما نهوا فى الآية السابقة عن اكل الاموال بالباطل وغيره نهوا هنا عما يسهل عليهم ذلك قال فى المفاتيح التمنى عندنا ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا يستحيل ان يريد الله من الكافر الذى علم انه لا يؤمن الايمان لانه يكون متمنيا وعند المعتزلة قول ليت وجد او ليت لم يوجد والمقصود ان ذلك من قبيل التحاسد وعدم الرضاء بما قسمه الله وقد يكون الخيرة فى ذلك قال تعالى ولو بسط الله الرزق الآية وايضا التمنى من غير طلب مذموم لان تمنى ما قدر له بكسب بطالة وتمنى ما قدر بغير كسب محال ولعل الآية مخصوصة لقوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنين الخبر والمراد الغبطة حكى النبى عليه السلام عن رب العزة انه قال من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن كان على خلاف ذلك فليطلب ربا سوائى وعبر ما قسم سبحانه لكل من الرجال والنساء بمقتضى قدره من التوسيع والتضييق كسبا له او فاطلبوا فضل الله بالعمل لا بالتمنى وقيل ما لكل من الميراث وعلى الاول يمكن ان يراد ما يتعلق باحوال الدنيا وان يكون ما يتعلق باحوال الآخرة بهما روى ان ام سلمة قالت تغزو الرجال ولا نغزو وليتنا كنا رجالا فنزلت او الرجال تمنوا ان يكون لهم فى الآخرة حظا كما فى الدنيا وقرئ واسلوا بغير همز وفايدة ذكر كونه سبحانه عليما بكل شئ انه اذا كان يعلم استحقاق كل احد فلا يختصه بما يعطيه الا عن حكمة • ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا • اى لكل شئ تركه الوالدان والاقربون عينا ورثا يأخذونه ومما ترك بيان لكل وفيه انه فصل بينهما بعامل الموصوف وان قلنا جعلنا موالى صفة كل فالتقدير لكل طائفة جعلناهم موالى نصيب مما ترك هولاء او لكل ميت جعلنا ورثة من هذا المتروك وفيه ايضا ضعف لخروج الاولاد عنه وان جعل التقدير لكل احد جعلنا موالى فيكون من صلة موالى لانهم فى معنى الوراث وفاعل ترك ضمير يعود الى الكل والوالدان والاقربون بيان الموالى كانه جواب من سأل عنهم ومعاقدة الايمان قيل مواخاة النبى بين اصحابه

وقيل موالى المولاة كانوا يتعاقدون على ان يكون دم احدهما وثاره وحربه وسلمه للآخر وبالعكس فقال النبى عليه السلام وبالعكس
فقال النبى عليه السلام ما كان من حلف فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وعن ابى حنيفة رحمه الله
انه اذا اسلم الرجل على يد آخر وشرط التوارث ورث منه وقرئ عقدت مخففة وبقرأ مشددة ومعاقدة الايمان مماسحتهم بايديهم
وكان فى الحليف السدس فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل بالتبنى وما ذكر من كون المعاقد الزوج او الزوجة وان كان
قول الاكثر على خلافه لكن باعتبار انه تخصيص فهو خير من النسخ بدرجات وليس هذا من جهة الميل الى مذهب ابى مسلم وذكر كونه سبحانه
شهيدا تهديد لمن لم يعمل بمقتضى الآية • الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع
واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا • روى ان سعد بن الربيع نقيب الانصار لطم امرأته
فامر عليه السلام بالاقتصاص فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير وقيام الرجال على النساء
كقيام الولاة بالامر والنهى فيما لهم ذلك وضمير الجمع للفريقين اى ذلك بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
فالولاية بالفضل لا بالاستيلاء وفضل الرجال بكمال العقل والقوة ولذلك اختص الامامة بهم والشهادات باسرها والتعصيب
والولاية فى النكاح وغيرها وقيل لا قصاص بين الرجل وزوجته فيما دون النفس ولكن الدية وقيل لا قصاص الا فى الجرح وهذا كله
غير لايق بالقواعد الفقهية بل اللايق ان يقال الجنايات جرح وابانة وازالة منفعة ولا قصاص فى الاولى الا فى الموضحة وما له ضبط
اعنى قطع بعض المارن والاذن واما الثانية فما كان من مفصل ويمكن القصاص من غير اجافة ففيه القصاص او تيسر ضبطه
كبعض اللسان واما الثالثة وهى كازالة العقل وشئ من الحواس فيجب فيها القصاص وبما انفقوا عطف على بما فضل الله اى الرجال
بسبب انفاقهم المهر ولوازم النكاح والقانتات المطيعات لله القايمات بحقوق الازواج وحفظهن حقوق الازواج لا سيما
فى غيبتهم مما يتعلق بالنفس والمال اقتضى الخيرية التى نطق بها النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال خير النساء ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالها وتلا الآية وقيل حفظ السر وما فى حفظ الله مصدرية وما لو قرأ
بنصب الله لكونها موصولة اى بالامر الذى يحفظ حق الله وهو التعفف والتحصن والنصيحة للرجال وعلى الاول حفظ الله اياهن
بان امرهن على حفظ الغيب بالوعد والوعيد او توفيقه سبحانه اياهن حفظ الغيب وحفظ الله اياهن توصية الازواج برعايتهن
وقوله عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا الخبر وبقرأ فالصوالح حوافظ قوانت واصل النشوز الانزعاج اى تخافوا عصيانهن
للازواج والوعظ التذكير بالله وبكتابه وتعظيم امره والمضاجع المراقد اى لا تدخلوهن الفراش او لا تجامعوهن وقيل لا تبايتوهن
فغير موافق للفتوى لانه لا يهجر الا فى البيت والضرب بعد ان لا ينفع الوعظ والهجران فان علم انهما لا ينفعان لم يبدأ بهما والضرب
ينبغى ان لا يكون مبرحا اى غير جارح ولا كاسر للعظم ولا شاين وقيل ثلث ضربات بمثل المسواك فان رجعن الى المحبوب فاتركوا
توبيخهن وايذائهن لانه ان علت ايديكم فيد الله اعلى • وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا



يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا • اى ان خفتم ايها الحكام خلافا بين الزوجين وان لم يسبق ذكرهما للقرينة واضافة الشقاق
الى البين على التجوز بجعله مفعولا به كمكر الليل مع انه واقع فيه او على طريقة نهارك صايم فالبين هو المشاق فهو الفاعل وهما
متقاربان غير ان الثانى ابلغ واذا اشتبه امرهما على الحاكم بعث حكمين من اهلهما لكونهما اعرف بحالهما اطوع لهما وبكونان
صالحين لحكومة العدل والاصلاح بينهما وان كان الخطاب للازواج فيدل على جواز التحكيم كما هو المرجح فى المذهب والاصح انه
انما يجوز لهما الاختلاع باذنهما وقال مالك باستقلاله به ونقل عن على رضى الله عنه مثل مذهبه وان اراد الحكمان اصلاح ذات البين
اوقع الله ببركته الالفة والموافقة بينهما وان جعل الضميران لهما فالمعنى ان قصدا الاصلاح وفقا للاتفاق على الكلمة الواحدة
وان جعلا للزوجين فالمعنى ان طلبا اصلاح ما بينهما ابدل الله الشقاق بالوفاق والله عليم بوجه التوفيق بينهما خبير بما يؤول اليه امرهما
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا • لما وصف ذاته بكمال العلم عقبه بلزوم
التوحيد اى لا تشركوا به صنما وغيره وذكر وجوب الاحسان عقبه للاشعار بانهما من اعظم موجبات التقرب الى الحضرة الالهية
اى احسنوا بهما احسانا واحسنوا الى كل من بينكم وبينه قرابة وبالجار القريب اليكم والبعيد وقيل القريب النسيب والجنب الاجنبى
ومنه قوله • لا يجتوينا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب • وقيل هو البعد وهم اليهود والنصارى ومنه اجنبى وعن النبى عليه السلام
ان الجيران ثلثة من له حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ومن له الاولان ومن له الاول وهو المشرك من اهل الكتاب وقال النبى
عليه السلام حق الجوار اربعون دارا هكذا وهكذا وهكذا والصاحب بالجنب الرفيق الذى حصل بجنبك اما فى سفر او تعلم او حرفة
او جلس اليك فى نحو مسجد اى لا ينبغى ان ينسى تلك الصحبة بل تجعل وسيلة الى الاحسان وقيل هى الزوجة وابن السبيل الضيف
او المنقطع به السفر والاماء والعبيد والمختال المتكبر المعرض عن اكرام المذكورين المتفاخر بهم المعدد عليهم مناقبه تكبرا • الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • لما علم ان معظم الاحسان الى المذكورين
انما يكون بالمال ذم المعرضين عنه وابدل عنهم البخلاء ويجوز ان ينتصب او يرتفع بالذم او بالابتداء وخبره محذوف اى احقاء بالملامة
فعلم ان المراد هو البخل بمنع الاحسان عنهم وقرئ البخل بفتح الحرفين وقيل شامل للعلم وغيره لعموم اللفظ وقيل هم اليهود بخلوا بذكر
صفة النبى عليه السلام ويامرون اضرابهم بالبخل به وقيل فيمن منع الانصار عن الانفاق منهم حيث قالوا نخشى عليكم الفقر او يكتمون علمهم
بصحة رسالته وقيل يكتمون غناهم وقد ذمهم الله بكتمانه قال عليه السلام اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته عليه وذكر الكافرين بدل
بهم للاشارة الى ان الموصوف بما ذكر كافر لنعمة الله او حقيقة ان اريد اليهود والكفر يقتضى ان يكون لهم عذاب مهين • والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما • لما كان الانفاق المفخر ان يقال فلان سخى لا لوجه الله فى الذم كالبخل عطفه عليه ليعلم انه
لا عبرة بالانفاق الا اذا كان لوجه الله وقيل نزل فى اليهود وقيل فى المشركين بذلوا المال فى عداوة النبى عليه السلام او عطف على يكتمون

وقيل في المنافقين وهو نوع منه وبئس القرين الشيطان حيث يحملهم على الرذايل ويمنعهم عن الفضايل واي ضرر عليهم في الايمان
والانفاق في سبيل الله فان حمل انها نزلت في الكافر فلا كلام والا فيحمل على عدم حصول كمال الايمان لهم وكانه ذم لهم على ذلك كما يقال للعاق
ما ضرك لو اطعت لانه من المعلوم انه نافع غير ضار ثم اوعدهم بكونه سبحانه عليما بما يصدر منهم وماذا اما اسم واحد او ذا بمعنى الذي وما
استفهام ولا استدلال فيه على صحة التقليد في الايمان نظرا الى السهولة المستفادة منه لجواز ان يراد باعتبار الدليل على سبيل الاجمال
لا التفصيل والمعتزلة فتحوا ابواب الهذيان فيها من انه لو كانوا قادرين لما جاز ان يقول ذلك او انه يمنعه القدرة ويقول ماذا عليه او يقال
للقبيح ماذا عليه لو كان جميلا ونحوها وقد سبق الجواب بمسئلة عدم امكان تبدل علم الله وانه اذا وجد الداعي امتنع ان لا يصدر الفعل
وذكر في الانوار ان تقديم الايمان هنا وتأخيره في الاية الاخرى لان القصد بذكره التخصيص هنا والتعليل ثمة ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي لا ينقص ومنه الظلام لنقصان النور والظلم اضرار غير مستحق او وضع الشيء
في غير موضعه والذرة في الاصل اصغر النمل التي لا وزن لها وقيل ما يرفعه الريح من التراب وقيل اجزاء الهواء في الكوة ومثقالها مقدار
ثقلها او زنتها وقرئ برفع الحسنة اي كان التامة وحذف نون تك على غير قياس لتشبهها بحرف العلة وتانيث ضمير المثقال لاضافته
الى المؤنث او لتانيث الجزء وقرئ يضعفها بالتشديد اي يضعف ثوابها ويعطيه صاحبه على سبيل التفضيل زايدا على ما وعد والاجر العظيم
الثواب الجزيل من غير تقدير وتسميته بالاجر لكونه تابعا له وليس المراد بالمضاعفة التحديد لما روى ابو هريرة رفعه انه سبحانه يعطي الانسان
الفي الف حسنة وتمسكت المعتزلة على كونه غير خالق لافعال العباد لانه يكون خالقا للظلم وعاقب الظالم كان ظلما والجواب بمسئلة العلم
والداعي ايضا قالوا ولا يمدح بتركه الا اذا قدر عليه ونوقض بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم وقالوا استحق العبد الثواب لانه تعالى بين
انه لو لم يثبهم لكان ظلما والجواب انه لما وعدهم بالثواب لكان في صورة الظلم فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا استفهام توبيخ اي كيف يصنع الكفار
اذا جئنا من كل امة بنبيهم يشهد على كفرهم كقوله وكنت عليهم شهيدا او جئنا بك يا محمد على الشهداء تشهد على صدقهم لحصول علمك بعقايدهم
لدلالة كتابك وشرعك على قواعدهم وقيل تشهد على الكفرة والحمل على المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا ويدل عليه انه عليه السلام قرأ سورة النساء حتى بلغ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قيل فقال حسبنا ويومئذ الى الآخر صفة بالحق
الجامعين بين الكفر وعصيان الله او الكفار والعصاة اي يودون ان يكونوا كالموتى يدفنون وتسوى بهم الارض او كانوا كالارض
في ان لم يبعثوا او يخلقوا كقوله يا ليتني كنت ترابا ولا يقدرون على كتمان شيء لانطاق جوارحهم والواو للحال اي حالهم انهم لا يكتمون الله
حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ما كنا مشركين لما روي انه يختم على افواههم فيشهد ايديهم وارجلهم وقرئ تسوى والاصل تتسوى بادغام
التاء في السين وتسوى على حذف التاء الثانية من سوى نحو سويته فتسوى ولويته فتلوى والاية تدل على كون الكفار مخاطبين
بالفروع لان المراد بالعصيان غير الكفر لظاهر العطف يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا اي لا تصلوا وانتم سكارى من الخمر وقيل من النوم كقولهم ورانوا بكرسنانهم كل التربة



وقال الفرزدق من السير والادلاج تحسب انما سقاه الكرى في كل منزلة خمرا وايضا اشتقاقه من السكر وهو السد وعند النوم
يمتلي مجاري الروح من الابخرة الغليظة فلا ينفذ الروح الباصرة والسامعة الى ظاهر البدن وقيل منع الحائض وكل ذلك مجاز
سوى الاول ويؤيد الاول ما روي ان عبد الرحمن بن عوف دعا نفرا من اصحاب النبي عليه السلام حين كانت الخمر مباحة فثملوا عنده
فقدموا احدهم ليصلي بهم المغرب فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون الا بعد العشاء فلا يصحون
الا وقد صحوا واذا نزل آية في واقعة امتنع ان لا يكون مراده بها وقرئ بضم السين بالالف وبغيرها والسكران يخلط الكلام
المنظوم ويظهر السر المكتوم ويقرأ سكارى وسكرى بالفتح نحو هلكى لانه افة تلحق العقل وغاية المنع ان يعلموا ما يقولون او
يقرؤن والجنب يجري مجرى المصدر الذي هو الاجناب فيستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع وهو عطف على وانتم سكارى
لان محلها النصب على الحال والمعنى لا تقربوا الصلوة في حال من الاحوال جنبا اي غير مغتسلين بل متيممين الا مسافرين ويعلم ان
التيمم مبيح لا رافع وقيل الاجتياز في المساجد لتفسير الصلوة بمواضعها ولم يجوز ابو حنيفة المرور فيه الا اذا كان فيه الماء
او الطريق وما قيل ان السبب ان جماعة من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فرخص لهم لا يقتضي التخصيص اذ النظر الى عموم اللفظ
لا خصوص السبب قال في المفاتح قال بعضهم الاية منسوخة والذي خطر ببالي انه لما اقتضى جواز قربان الصلوة مع السكر اذا صار
بحيث يعلم ما يقول ومعلوم ان الله تعالى لما حرم الخمر باية المائدة فقد رفع هذا الجواز قال والجواب ان النهي عن الشرب الموجب للسكر
عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ولقائل ان يقول تقرير النسخ على هذا الوجه ليس بسديد
لان قربان الصلوة في تلك الحالة غير محرمة وقال صاحب الانوار في الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه
ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ان الله كان عفوا قديرا تقرير التقسيم ان من جاز له التيمم اما جنب او محدث والآخر
المرخص له غالبا اما مرض او سفر والجنب لما تقدم ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكر اسبابه بالذات او بالعرض واستغنى
بتفصيل حال الجنب عن ذكر حاله وبيان عذره اجمالا والتقدير ان كنتم جنبا مرضى او مسافرين او محدثين جئتم من الغائط او لامستم
النساء فجزاء الشرط متعلق بالطوايف الاربع وفائدة عطف او جاء الى آخره على المرضى والمسافرين تخصيص القسمين بالتقديم للاشارة
الى كثرة وقوعهما ثم تعميم حكم كل من وجب عليه الطهر ولم يجد الماء بسبب من الاسباب والمرض انحراف مزاج يصدر معه الافعال
غير مستقيمة والمراد هنا كل ما يخاف محذورا ولو شينا فاحشا او يمنعه من الوصول اليه او بطوء برء والسفر هو الخروج عن المستوطن
وينبغي ان يكون مباحا وان قصر والغائط المطمئن من الارض وحيث يطلق لقضاء الحاجة سمي الحدث به تسمية للشيء باسم مكانه
واللمس التقاء البشرتين بجماع او غيره ومنهم من خص الملامسة بالجماع وبه قال ابو حنيفة ويدفعه ما قرئ لمستم والملامسة ايضا ليس
حقيقة في الجماع والحمل عليه عدول عن الظاهر وارادة الجماع بقوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن لا يدل عليه لجواز ارادة
المجاز ثم اذا طلب ولم يجد لزم تجديد الطلب ان احتمل حصوله لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب وشرط الماء الذي لا يجوز معه

التيمم ان يكون فاصلا عن حاجاته والتيمم القصد لغة يقال تيممته اى قصدته وفى الشرع استعمال تراب طاهر غير مستعمل فى الوجه
واليدين الى المرفقين بنقل اليهما بقصد اباحة الصلوة والصعيد وجه الارض ووجه المذهب فى التخصيص بالتراب ان من للتبعيض
دون ابتداء الغاية والمسح ببعض الخشب والحجر غير متصور هذا وانه وصف بالطيب والارض الطيبة هى المنبتة قال تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه فغير التراب لا ينبت والذى لا ينبت لا يكون طيبة فهو امر بالتراب فقط وذكر العفو والغفران للاشارة الى
التيسير روى ان عقد العائشة فقد فى بعض اسفاره فتوقف النبى عليه السلام على غير ماء فنزل فقال اسيد بن حضير ما هى باول بركتكم يا آل ابى بكر

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا • لعل وجه المناسبة انه لما بين نعمة التيسير عليهم بهذه الرخصة والتوفيق لاعمال الخير بين حال اضدادهم للاشعار بانه
لولا توفيق الله للخير بتيسير اسبابه لما تميز الحق من المبطل وان جعل من رؤية البصر فلا كلام وان جعل من رؤية القلب فتعديته بالى لان المعنى
الم ينته علمك اليهم وهم احبار اليهود والكتاب التورية وفى ذكر النصيب تحقير لعلمهم يستبدلون الضلالة بالهدى لاختيارها عليه حيث
بقوا على اليهودية لقيام البرهان على انك انت النبى المبشر به فى الكتابين ولا يكتفون بضلالهم بل يريدون ان تنخرطوا فى سلك
ضلالهم وحيث كان الله اعلم بالمباعد اكم منكم وقد اخبركم بهم وهم هؤلاء فخذوا حذركم ولا تلتفتوا الى نصيحتهم ومشورتهم بل ثقوا بالله
وولايته ونصرته فانه تعالى ينصركم عليهم بزيادة الباء يصير اتصال الفاعل اتصال المضاف واتصال الفاعل لان كفاية الله سبحانه
واصلة الى العبد فضوعف اللفظ لمضاعفة المعنى وقيل التقدير كفى اكتفاؤك بالله وتكرير لفظ الله اشد تأثيرا فى القلب والولى المتصرف
فى الشىء ولا يجب ان يكون نصيرا فلا تكرار • من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع
وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا • من للبيان حيث فسر الذين اوتوا الكتاب باليهود دون النصارى وما بين قوله والله اعلم الى من الذين
جمل معترضة والعامل اوتوا او نصيرا اى ونصرناه من القوم الذين كذبوا وان استونف به فهو صفة مبتدأ نكرة اى قوم يحرفون نحو
وما منا الا له مقام معلوم اى احد وقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنهما تارة هكذا قيل
ولقائل ان يقول لا مانع من جعل يحرفون خبر المبتدأ وهو وان كان نكرة لكنها متخصصة بقوله تعالى من الذين هادوا اى التقدير
قوم من الذين هادوا يحرفون ويقرأ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام والتحريف الامالة ويلزمها الازالة لانه اذا وضع مكانه آخر فقد ازيل
عن موضعه كما حرفوا اسم ربعه فى التورية بوضع آدم طوال مكانه وتبديل الرجم بالجلد وهذا هو التحريف عن مواضعه ومن بعد مواضعه هو انه
لما تقرر للكلم مواضع وحرفت جعلت كالمبعدة عن محالها او القاء الشبهة الباطلة ومفعول سمعنا قولك وعصينا امرك وغير مسمع
حال يحتمل الدعاء على المخاطب بلا سمعت لانه ان اجيبت الدعوة حصل مانع من السماع وان لو هم به غيره مسمع مكروها من قولهم اسمعه
اذا سبه نفاقا او غير مجاب الى دعوتك او غير مسمع ما ترضاه او كلاما ينبو عنه اذنك وعلى الاولين مفعول به وراعنا انظرنا نكلمك
او نفهم قولك والليّ الفتل وهو صرف الكلام الى ما يشبه السب لما سبق فى البقرة انه سب فى لسانهم وكذلك غير مسمع والطعن فى الدين

فى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا

بالاستهزاء

بالاستهزاء والسخرية ولو قالوا هذا الكلام بدل ما قالوه لكان خيرا لهم فان قيل ظاهر الكلام يقتضى ثبوت الخيرية فيما قالوه قلنا لعل ذلك باعتبار
امر الدنيا لترويج النفاق ولا يشكل بصريح عصينا لجواز ان يكون ذلك فيما بينهم او انهم كانوا يصرحون بذلك دون السب او على طريقة
اعدلا بنى مروان ولو انهم مثل ولو انهم صبروا فى جواز حذف الفعل لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن ابعدهم الله وسخط عليهم بكفرهم وقلة
الايمان بالنظر الى انهم آمنوا بالخالق دون الرسول وحمل القلة على العدم مناسب كما قيل • قليل التشكى للمهم يصيبه • او صفة للمؤمنين
اى الا قليلا منهم آمنوا الا انهم مشركون ولا يشكل بذكر القليل مع ارادة الناس لان فعيلا جاء بمعنى الجمع قال تعالى وحسن اولئك رفيقا

يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت وكان امر الله مفعولا • اى آمنوا بالقرآن المصدق للتورية ولا يشكل بانه حيث لم يتعرضوا للنظر فى الدلائل يكون الامر بالايمان
على وجه التقليد لان الخطاب مختص بمن كان عالما بما فى التورية والقرآن مصدق لما فيهما من الآيات الدالة المشتملة على نبوة محمد عليه السلام
والطمس المحو يقول العرب مفازة طامسة الاعلام وطمست الريح الاثر ازالته فحقيقته محو تخطيط صورها من عين وحاجب وتمييز الوجه
عن غيره بها فاذا ازيلت كان طمسا فيصير كخف البعير والطمس والطسم جاء لازمين ومتعديين ومعنى ردها على ادبارها جعلها على
هيئتها وهى الاقفاء فانها مثلها فى الطمس فظاهر الفاء للتسبب وان جعلت للتعقيب فالمعنى ان عقاب ذنبهم بتنكيس الوجوه الى الخلف
والقفاء الى قدام يكون عقيب الطمس وقد حمل على المجاز باعتبارات شتى منها القلب والتغيير مثل سلب الوجاهة والاقبال عنها وكسوتها الصغار
والادبار او ردهم الى حيث جاؤا منها وهى اذرعات الشام اجلى بنو النضير اليها وقيل هو عمى الابصار وصمم الاسماع عن رؤية ما يعتبر به
وسماع الحق وردهم عن الهداية الى الضلالة او ان الانسان لما الف العالم المحسوس وعند الفكر والذكر كانه يسافر من عالم المحسوسات
الى عالم المعقولات والمخذول هو المردود من قدامه الى خلفه والمعنى باللعن الخزى والمسخ كمسخ اصحاب السبت وضمير نلعنهم اما للوجوه
على تأويل اصحابها او الوجهاء او للذين اوتوا الكتاب على طريق الالتفات والوعيد من الطمس والمسخ اما انه لم يقع لكونه مشروطا بعدم الايمان
وقد آمن بعضهم او انه يقع قبل يوم القيمة والصادقة او عدهم الله اما الطمس الوجوه وهو ان كان يعتبر احوالهم بالاجلاء فقد وقع وان كان بغيره
فقد وقع اللعن بكل لسان وكون امر الله مفعولا يقتضى وقوع ما او عدوا به من احد الامرين او ان ما حكم به وقضى يقع لا محالة لا راد لحكمه ومن
هذيانات الجبائى التمسك به على كون القرآن مخلوقا نظرا الى ان الامر مفعول وكانه لم يعلم مجيئه للشأن والطريقة والفعل وغير ذلك

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما • لما هدد اليهود بما فعلوه بين ان ذلك من خواص
الكفر دون ساير الذنوب روى انه فى الوحشى واصحابه لما كتبوا الى النبى عليه السلام ندمهم وانه لا يمنعهم من الاسلام وسمعوا قوله سبحانه ولا يدعون
مع الله الها آخر قالوا قد ارتكبنا كل ذلك فنزل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله
لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل قل يا عبادى الذين اسرفوا الآية ومنه يعلم شرك اليهود لان اليهودية لو كانت لهم
لوجب ان يكون مغفورة وهو باطل بالاجماع وانما لم يغفر الشرك لانه يثبت على خلود عذابه وانه لا يستعد للعفو لان ذنبه لا يمحى عنه اثره وما دونه
الشرك من الصغاير والكباير يغفره لمن يشاء تفضلا واحسانا والمعتزلة قالوا الفعل المثبت والمنفى موجهان الى المشية والتقدير

مطلب

لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يسلم ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من يتوب وهو خلاف الظاهر من غير دليل لان ما عدا الشرك
يدخل فيه الكباير قبل التوبة فالتقدير ان الله يغفر كل ما سوى الشرك لكن في حق من يشاء فيدخل فيه الكبيرة قبل التوبة ولا كلام لهم بها لديه
سوى المعارضة بعمومات الوعيد وهي معارضة بعمومات الوعد والآية حجة عليهم وعلى الخوارج لما زعموا ان كل ذنب شرك وان مرتكبه
مخلد في النار والافتراء والاختلاق يطلقان على القول والفعل والمعنى انه ارتكب ما يستحقر دونه الذنوب عن ابن عباس رضي الله عنهما
اني لا ارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل لا يضر مع التوحيد ذنب وروي مرفوعا ما يقرب منه • الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من
يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا • نزول الآية في اليهود حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وانا كاطفالنا في الطهارة ما نقترفه بالنهار يكفر عنا بالليل وما نكفر بالليل يكفر عنا بالنهار لا ينافي دخول كل من زكى نفسه والاعتذار
عن قول النبي عليه السلام اني لامين في السماء امين في الارض بان ذلك حين قال المنافقون اعدل في القسمة شبيه بكلام الجهلة بالله
وبرسوله لان النبي عليه السلام مامور بدعوة الخلق ببيان كونه نبيا واي كمال اعظم من ذلك وكل من كان نبيا كان واجب العصمة لا يصدر
عنه ذنب الا الصغيرة سهوا فاي حاجة الى ذلك وتزكية الله هي التي يعتد بها لانه عالم بمن هو اهلها فلا يزكي الا من ارتضاه من عباده
وقيل تطهره من الذنوب واصل التزكية نفي ما يستقبح قولا وفعلا والمراد مدح الانسان نفسه ولا يظلمون بعقاب تزكيتهم انفسهم
او لا ينقص ثواب اهل التزكية ادنى زيادة ونقصان قري بالياء والتاء والفتيل الخيط الذي في شق النواة صار مثلا في الحقارة
وقيل ما فتلته باصبعيك من الوسخ وانظر تعجيب للنبي عليه السلام من افترائهم على الله بتزكيتهم انفسهم والكذب الاخبار الغير المطابق
وان لم يعلم قايله كونه كذلك وكفى بزعمهم انما طاهر او هو الغاية في ارتكاب المعاصي • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا • نزلت في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف سجدا للاصنام حين ارادوا المحالفة قريش فقالوا الا نامن مكركم
وهي المرادة بالجبت والطاغوت الشيطان وقيل كعب بن الاشرف والجبت الجبس وهو ما لا خير فيه قلب السين تاء سجدوا
للاول بطاعة الثاني وقالوا الكفار قريش اي لاجلهم وفيهم انتم اهدى من محمد طريقا واقوم دينا اولئك الذين ابعدهم الله
عن رحمته ومن يخذله ثم يبعده على وجه التسخط لن تجد له من يعينه او يشفع له واستحقاق هذا اللعن الشديد الذي ذكره من تفضيل
عبادة الاوثان على المؤمنين كالمكابرة • ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما
آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا
هو انكار لما زعموا ان الملك يصير اليهم في آخر الزمان لان ام المنقطعة معناها بل وهمزة الاستفهام للانكار واذا جواب
وجزاء اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير وهي النقرة في ظهر النواة لشدة بخلهم وقيل لا يؤتوا محمدا واصحابه
وقيل العرب والملك اما ملك الله او ملك الدنيا لقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي الآية ويجوز ان يراد انكار انهم اوتوا نصيبا
من الملك وكان ارباب الاموال والاملاك والقصور كحال الملوك وانهم لا يؤتون احدا شيئا واذن اذا توسط لم يعمل

ومع

الزمخشري المعتذر

ومع تقدم الواو والفاء يجوز الاعمال والالغاء ويقرأ على الاول لا يؤتوا ومعنى ام يحسدون بل يحسدون رسول الله عليه السلام
واصحابه وحسدهم على ما لهم من الظفر وازدياد العز او يحسدون الناس فان حسدهم على النبوة التي هي سبب هداية العالم حسد
اهل العالم وفيها ذمهم على الحسد والبخل فانهما شر الرذايل وفضل الله النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وفي ذكر ما آتاهم الله آل
ابراهيم الذين هم اباء محمد عليه السلام الزام لهم بانهم عرفوا ايتاء الله هذه الامور وقيل الكتاب اشارة الى ظواهر الشريعة
والحكمة الى اسرار الحقيقة فكيف يبعد ان يؤتى محمد عليه السلام والملك قيل هو ما حصل ليوسف وداود وسليمان عليهم السلام
ويقال لهم كيف تستكثر والتسع نسوة وكانت لداود مائة ولسليمان الف وثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وقيل ثلثمائة مهرة وسبعمائة
حرة فمن اليهود من آمن بمحمد عليه الصلوة والسلام ومنهم من اعرض عنه او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم او من اليهود من آمن بما ذكر
من حديث داود وسليمان ومنهم من صد عنه فلا تتعجب يا محمد ما عليه هؤلاء فان احوال جميع الامم مع انبيائهم هكذا والسعير النار
المسعورة والسعر الوقود وقدت النار واسعرتها بمعنى • ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا • هذا اثبات ما يعم الكافرين والآيات تشمل
كل ما يدل على وجود الصانع وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والكفر بها لا ينحصر في الجحد بها بل كونها آيات والغفلة عنها والنظر فيها
والقاء المشبهات فيها لا يقال الجلود المجددة غير العاصية فكيف تعذب مكان العاصية لان المعذب هو الانسان وهو الذي
عصى والجلد كالشيء الزايد فاذا جدد الله الجلد صار الجلد الجديد سببا لوصول العذاب اليه لا للجلد وقيل التغاير في الصفة
بان يصير النضج غير النضيج والمراد بالذوق دوامه وعدم انقطاعه كقول القايل اعزك الله والوصف بالعزة والقدرة في نهاية
الحسن لانه لو قيل كيف يمكن بقاء الانسان ابد الآباد في النار قيل اذا كان هو القادر الغالب على كل شيء اقدر على ازالة طبيعة النار
وان قيل كيف يليق بالرحيم ذلك قيل الحكمة تقتضيه فانه تهديد عظيم بكلام محقق الصدق وتاخر حال المؤمنين وادخالهم الجنات
الموصوفة تجري الانهار من تحت الاشجار والازواج المطهرة من الارجاس لا سيما نحو الحيض والنفاس لان الكلام في حالهم
ولعله ليكون ختم الكلام باحوال السعداء والظل الظليل للتاكيد كليل الليل لانه مشتق من لفظ الظل اي دايم لا تنسخه
الشمس وفي الآية دليل على ان الايمان غير العمل لظاهر العطف وفيها الرد على جهم بن صفوان حيث قال بانقطاع النعيم والعذاب
• ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا • لعل ذكر ذلك بعد ذكر وعيد المسيء ووعد المحسن للاشارة الى ان حفظهما من اجل الاعمال والاخلال بهما من اعظم الرذايل
وقد عظم الله امرها في مواضع منها انا عرضنا الامانة الآية نزلت في عثمان بن طلحة سادن الكعبة اغلق بابها يوم الفتح
وقال لو علمت انه رسول لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه ودخلها النبي فسأله العباس ليجمع بين السقاية والسدانة
فدعا عثمان ودفع اليه المفتاح وقال خذها بامانة الله خالدة تالدة وقيل امر عليا ان يدفع اليه ويعتذر فقال اكرهت واذيت

ثم جيت برفق فقال لقد انزل الله فى شانك قرآنا وقراء عليه فقال عثمان اشهد ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله فاخبر
جبريل النبى عليه السلام بان السدانة فى اولاد عثمان ابدا فدفعه الى اخيه شيبة وهو اليوم مع اولاده والنظر الى عموم اللفظ فيكون
الخطاب عاما لكل احد فى كل امانة وهى اما مع الله او مع الخلق او مع نفسه فيندرج فى الاول فعل المامورات وترك المنهيات
من اعمال القلب والجوارح واما مع الخلق فيندرج تحته رد الودايع وعدل الحكم مع الرعية وعدل العلماء مع العوام فى بيان الاعتقادات
واما مع نفسه فبان لا يختار لها الا ما ينفعها فى الدارين وينال به سعادة المنزلين واستدل الشافعى رضى الله عنه بها على كون العارية
مضمونة لان ظاهر الامر للوجوب ولم يوجبه ابو حنيفة رحمه الله وقرئ الامانة ولقوله تعالى وان تحكموا بالعدل بالانصاف والتسوية
قيل الخطاب مع الحكام والمخصوص بالمدح فى نعما محذوف اى نعم ما يعظكم به ذاك وهو ما امر الله به من اداء الامانات وقرئ بكسر النون
والعين واسكان العين وفتح النون وكسرها ومحل ما اما النصب وهى موصوفة بيعظكم واما الرفع بان يكون موصولة به
فالتقدير نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به والله يسمع اقوالكم ويبصر افعالكم لا سيما فى اداء الامانة • يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ذلك خير واحسن تاويلا • تعقيبه بما سبق انه لما امر الحكام بالعدل امر الرعية بالطاعة والمراد باولى الامر الخلفاء الراشدون
ومن سلك طريقهم فى رعاية العدل وكان الخلفاء يقولون اطيعونى ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لى عليكم ويناسب ان يكون
التمسك بقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ويدخل القضاة وامراء السرية لما روى ان عمار بن ياسر امن رجلا
فى امارة خالد فقال انت تجير على وانا الامير فقال نعم فاجاز النبى عليه السلام امان عمار ونهاه ان يجير بعد حذافة بعثه النبى عليه السلام
فى سرية وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر لعلمه الذين يستنبطونه وقيل الربانيون الذين يعلمون
الناس الدين فان اختلفتم مع اولى الامر فيما يتعلق بامر الدين فراجعوا فيه كتاب الله وسنة رسوله بعد وفاته والاجماع والحمل
على تنازع المقلد مع المجتهد ضعيف لانه ليس له الاخذ بقوله فيما يقلده لا يقال فيه منع القياس حيث اوجب الرد الى الكتاب
والسنة لانا نقول هو من جملة الرد لانه رد المختلف الى المتفق بجامع مشترك بل فيه دليل على ثبوته بل الاية تدل على تقرير الادلة
الاربعة اما الكتاب والسنة فبقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وفايدة العطف بيان الدليلين بالاستقلال وطاعة اولى
الامر تدل على ان الاجماع حجة قال فى المفاتيح الامر بطاعتهم على سبيل الجزم يدل على عصمتهم والا فقد يراقدامهم على الخطاء يكون قد امر الله بطاعته
والخطاء لكونه خطاء منهى عنه ولقايل ان يقول ولئن سلم ذلك فينبغى ان يقيد العصمة على الخطاء فيما اجمعوا عليه لا مطلقا واما اعتبار
القياس فلان المتنازع فيه لا يجوز ان يكون من الادلة الثلثة لان المنصوص عليه فى واحد منها لا يجوز التنازع فيه فيكون المراد
ان يرد ما ليس بمنصوص على المنصوص وفيه دليل على ان الكتاب والسنة يقدمان على القياس وينبغى ان يقال الاجماع ايضا مقدم
للترتيب المذكور ومعنى ان كنتم تؤمنون ان قضية الايمان المقيد ان يطاع المؤمن به فى جميع ما يامره وذلك اشارة الى الرد المذكور
فى انه خير عاجلا وآجلا لارتفاع الخلاف بامتثال الاوامر ويحتمل ان يقال راجع الى الجميع على تاويل المذكور كما سبق غير مرة



والتاويل من آل يؤول فهو احسن عاقبة او جزاء او من تاويل من لم يعلمه • الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا • وجه الارتباط انه بيان حال من لم يطع الرسول وذم خاتمة
عاقبته ومعنى يزعمون يكذبون لان الزعم اكثر استعماله فيه وفى الباطل روى ان بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى النبى عليه السلام
وهو دعى اليهودى الى كعب بن الاشرف وهو الطاغوت لافراطه فى الطغيان لعداوة النبى عليه السلام او لكونه تشبيه بالشيطان او التحاكم
اليه تحاكما الى الشيطان فقضى النبى عليه السلام لليهودى ولم يرض ثم قضى ابو بكر فلم يرض فاتيا عمر فضرب عنق المنافق وقال هكذا
اقضى لمن لم يرض بقضاء رسوله فنزلت وسماه عليه السلام فاروقا فالقول جبريل انه فرق بين الحق والباطل وقيل الطاغوت ابو برزة
الاسلمى ثم انه جاء واسلم فامر عليه السلام بان ينادى بان كل اهل اسلم وهذا بعد ان تحاكم اليه طايفة من المسلمين والمنافقين فدعاه النبى
الى الاسلام ويقرا يكفروا بها نظرا الى ان الطاغوت لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ولا تمسك للمعتزلة به على ان كفر الكافر ليس
من الله والا لما ذم الشيطان بارادة ضلالهم لمسئلة العلم والداعى ولقايل ان يقول لا حاجة الى ذلك بل يقال ارادة المريد لا يستلزم وقوع
مراده وتعالوا يقرا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا نحو ما باليت بال واصلها باليه ثم لما حذفت اللام وقعت واو الجمع
بعد لام الكلمة فضمت الواو والصدود اما مصدر او اسم للصد والفرق بينه وبين الصد انه غير محسوس والصد محسوس ومعنى صدودا مبالغة
اذ المعنى صدودا اى صدود • فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا • اى كيف يكون حالهم عند وقوع المصيبة والعجز
عن التدارك بسبب تحاكمهم الى غيرك وهو وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون ياتونك حالفين معتذرين ما اردنا الا توفيقا بين الخصمين
لا لعدم الرضاء بحكمك فيفرج عنا بدعائك وقيل يطالبون بدمه وقالوا اما اردنا بمطالبة الدم الا التحسن الينا وتوافق الحق فى
امرنا وان حملت المصيبة على نعمة الله فما قدمت ايديهم نفاقهم واذا كان الله يعلم ما فى قلوبهم من الغيظ والنفاق والعداوة لانه لا يخفى
عليه خافية لم يخلصهم اليمين الكاذبة من العقاب فاعرض يا محمد عن معاقبتهم لمصلحة فى استبقايهم ولا تهتك سترهم ولا تظهر بانك
عالم بكنه ما فى باطنهم وقيل عن قبول عذرهم وان من لا يقبل عذره يعرض عنه والوعظ هو الزجر عن النفاق والمكر والكيد والكذب
بعقاب الاخرة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ومعنى فى انفسهم ان يكون مؤثرا فى قلوبهم المطوية على النفاق
فقوله فى انفسهم يتعلق ببليغا وقيل خاليا بهم فان النصيحة فى السر انفع وقيل فيه تقديم وتاخير اى قل لهم قولا بليغا فى انفسهم وقيل
الوعظ التخويف بعقاب الاخرة والقول البليغ فى الدنيا وقيل البليغ هو الكلام الطويل حسن الالفاظ حسن المعانى مشتملا على الترغيب
والترهيب والاعذار والانذار • وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما • يجرى مجرى الدليل على حقية ما جرى على المنافق فان من لم يرض بحكم الرسول يكون كافرا لانه لما لم يرض

الا ليطاع فمن لم يطعه ولم يقبل حكمه لم يقبل رسالته وفيه دليل على ان الانبياء يعصمون من الخطاء في الفتوى والا لما وجب الاتباع
في الظاهر فيجب تأويل نحو قوله سبحانه عفى الله عنك ونحوه كما سياتي ان شاء الله تعالى بحث تقديم النص على القياس والمراد بالاذن الاذن
في طاعة الله وقال في المفاتيح تمسك اصحابنا على ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان من الله تعالى لانه لو حمل على ظاهره لكان المعنى
ما اذنا في طاعة من ارسلناه الا باذننا لانه لا معنى لكونه رسولا الا ان الله امر بطاعته فتعين ان يكون المراد بتوفيقنا واعانتنا
فدل على انه لم يرد الطاعة الا من اعانه ولو ان اولياء المقتول او الذين ولوا الكفار اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت
جاؤك مستغفرين عن ذنوبهم بالاخلاص فاستغفر لهم الرسول والالتفات لتفخيم شان النبي عليه السلام لعلموا ان الله تعالى قابل للتوب
وفيه ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم ذنبه وانه يقبل شفاعته في الصغاير والكباير وقوله فلا وربك وجه الربط
انه في قصة المنافق واليهودي عند بعضهم قال في المفاتيح هو المختار عندي وقيل في الزبير وحاطب بن بلتعة اختصمان في شراج ج
من الحرة فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال ان كان ابن عمتك فتغير وجه النبي ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر وكان قد اشار على الزبير براي فيه السعة فلما احفظه استوعب الزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال
لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا سبعين الفا
في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلت وروي انه عليه السلام لما قيل له
ذلك قال والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر رضي الله عنه لو امرنا ربنا
لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت في شان حاطب ونزل في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ولا قيل زايدة مثلها
في لئلا يعلم والمعنى فوربك وقيل لتاكيد النفي في لا يؤمنون ويرد عليه انها تزاد في الاثبات فيما وي النفي والاثبات فيه وفيما شجر بينهم
اي في خصوماتهم واصل الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا ضيقا في صدورهم من حكمك او شكا وينقادوا لقضائك من غير
معارضة والراضي بحكم الرسول قد لا يكون راضيا بقلبه لان ميل القلب غير اختياري لكن المقصود ان يحصل الجزم واليقين وتسليما
تاكيد له ولعل ذكره للتشكر المفيد للتعظيم • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما • اي لو اوجبنا عليهم
قتل انفسهم او الخروج من اوطانهم كما اوجبنا على بني اسرائيل توبة من عبادة العجل ما فعله الا القليل منهم وهم المخلصون وقرئ بكسر النون
لان الساكن اذا حرك حرك بالكسر وبالضم للاتباع وبكسرهما وضمهما وقليلا بالنصب على الاستثناء اي فعلا قليلا ولما ذكر ان الايمان
لا يتم الا بالتسليم وحصول اليقين بين ان اكثرهم قاصرون عما يدل عليه لو همن الاسلام فان قيل ظاهر الكلام يشعر بان بني اسرائيل
كانوا اثبت يقينا وارسخ عرفانا في الانقياد لاوامر الله من المسلمين قلنا قد قيل وعلى هذا الاشكال وان قلنا (الضمير يرجع الى المنافقين) يرجع الى الناس كلهم فالقليل
المؤمنون وان فرض ان القليل بعض المؤمنين فلا بعد ان يكون ذلك قبل رسوخ الاعتقاد بحسب تكاثر الادلة والآيات التي

ظهرت

ظهرت لبني اسرائيل لو ظهرت للدواب لاذعنت لاعظم منه وتسميته ما كلفوا به وعظا لكونه مقرونا بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب
ولا يخفى انه خير في العاجل والآجل واشد تثبيتا لتحصيل ثواب اعمالهم بسبب حصول العلم ونفي الشك واذن جواب سؤال مقدر كانه قيل
وما لهم بعد ذلك فقال لاتيناهم اجرا عظيما وهداية الصراط المستقيم الارشاد اليه والتثبت لمن هو عليه وقيل طريق الجنة
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
لما ذكر ان المتعظ بمواعظ الله هو الفايز بمعالي الدرجات حرضهم على ذلك بنيل هذه الكرامات والصديق كثير الصدق وسمي ابو بكر رض
صديقا لذلك ولانه اول من صدق النبي عليه السلام من الرجال والصديقون افاضل الصحابة الذين صدقوا في افعالهم واقوالهم
روي ان ثوبان كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له
يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك لاني اعرف انك ترفع مع النبيين واني وان كنت ادخل الجنة كنت في منزل
دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزل ومن كان مع النبيين استمتع برؤيتهم والشهداء جمع شهيد ومن النبيين
حال من الذين او من الضمير فيه قال صاحب الانوار قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا
عنهم وهم الانبياء الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها
على ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان
او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم
الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون
عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما بامارات واقناعيات تطمئن اليها نفوسهم
وهم الصالحون وفي حسن اولئك رفيقا معنى التعجب اي وما احسن ويؤيده ما يقرأ بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك
والرفيق يستوي فيه الواحد والجمع كالصديق او مفردا بين به الجنس في التمييز او الحال وذلك اشارة الى جميع ما للمطيعين من الكرامة
المذكورة وهو مبتدأ خبره من الله والفضل صفته او المجموع خبر اي هذه الكرامات من الله لهم تفضلا وهو رد على المعتزلة في ايجاب الثواب
على الله لانه اذا كان القدرة والداعية يوجبان الفعل وهما من الله فلا يكون فعل العبد موجبا لشيء وكونه سبحانه عليما يقتضي ان يجزي
كلا ما يعلم استحقاقه له • يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا • لما ذكر حال المطيعين وان نهاية اجرهم
رفاقة الشهداء حرض على الجهاد الذي هو مظنة الشهادة والحذر التيقظ والاحتراز عن المخوف وقيل السلاح لانه يتقى به ويحذر
اي احذروا العدو فانفروا اليهم جماعات متفرقة والثبات جمع ثبة من ثبيت الرجل اذا جمعت محاسنه في الثناء مرة بعد مرة

او مجتمعين ولا تتخاذلوا فتهلكوا يقال نفر القوم اذا نهضوا القتال عدو ويقرا بضم الفاء ونزول الآية في الحرب لا ينافي التحريض على
المبادرة الى ساير الخيرات • وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما • بطا وتاخر لازم ومتعد وهو بمعنى ابطا
كعتم واعتم نزلت في ابن ابي واصحابه وهو اعادة قصة المنافق ثبط الناس عن الحرب يوم احد ولام لمن للابتداء مثل ان الله لغفور
والاخرى للقسم اي وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن وهو بجوابه صلة من وضمير الربط المستكن في ليبطئن والمصيبة القتل
او الهزيمة والفضل الفتح والغنيمة ويقرا بضم لام ليقولن لمعنى من وياليتني مفعوله وثانيهما اعتراض وهي المودة مع تحقق شدة
العداوة للتهكم وما يقرا برفع افوز للعطف على ليت فيكونان متمنيين جميعا او على القطع اي فانا افوز وكان المعنى هذا قول من لا يصحبكم
الا للمال وكانه لم يعاهدكم واذا جعل كان لم يكن حالا فالتقدير يقولها في حال كان لم يكن وقيل من قول المبطئ • فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وما لكم
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • امر للمبطئ اي ان تاخر هولاء عن القتال فليقاتل من يختار الآخرة على الدنيا
وقيل تحريض للمبطئ ويشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال • وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه • برد اسم غلام اي
يا ليتني مت بعده وكيف لا تقاتلون ولكم الاجر العظيم وهو المنفعة الدائمة الخالصة المقرونة بالتعظيم وفيه ان المجاهد ينبغي ان يوطن
نفسه على احدى الحالتين وحينئذ لا يولي ظهره لا محالة وينبغي ان لا يكون قصده بالذل الى القتل بل الى اعلاء كلمة الله بقصد اعلاء كلمة الله
غالبين ومغلوبين والمستضعفين ان قلنا انه مجرور فالتقدير في سبيل الله وتخليص المستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة ومنعهم
المشركون من الهجرة فبقوا مستذلين يقاسون الشدايد داعين للخلاص الى ان يسر الله لبعضهم الهجرة ونصر الباقين بالفتح وصار
عتاب بن اسيد على امرها فلا يزال ينصرهم حتى صاروا اعزها من الظلمة فالنبي عليه السلام هو الولي والنصير وله الخلافة في ذلك وان قلنا
منصوب فعلى الاختصاص بان تخليصهم من جملة سبيل الله بل هو اعظم الخيرات والمراد بالولدان غير المكلفين ومن افراط ظلمهم ايذائهم
لترغيم آبائهم وكان المستضعفون يشركونهم في الدعاء كما هو المسنون في الاستسقاء ويجوز ان يريد العبيد والاماء فعلى الولدان
على الولايد وتذكير الظالم مع تانيث موصوفه وهو القرية ولهذا جر لاسناده الى الاهل حتى لو انث كان لتانيث الاهل لتعدد مدلوله
كالبخل ولهذا لو قلت الظالمين على لغة اكلوني البراغيث واسم الفاعل والمفعول اذا جريا على غير من هو له كان كالفعل في انه يذكر
ويونث والضابط انه لو كان فاعلها محليا لروعي التانيث والتذكير باعتبار الموصوف ولو كان معربا لروعي المسند اليه تقول
مررت بامراة كريمة الاب وكريم ابوها • الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا
اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا • هذا من باب الترغيب والتشجيع فان المنصور من نصره الله والمخذول من كان
وليه الشيطان بالنسبة الى كيد الله كالعدم الصرف فينبغي ان لا يخاف المقاتل معهم ويدل عليه ان اهل الخير يبقى ذكرهم على وجه الارض

والجبابرة

والجبابرة اذا ماتوا انقرض ذكرهم واصل الكيد السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال وفايدة كان الاشعار بضعفه كانه قال مذ كان
كان موصوفا بالضعف • الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا • نزل في جماعة من اصحاب النبي عليه السلام كانوا في اذى المشركين واستاذنوا في حربهم وكان يامرهم بالكف عنهم
ما داموا بمكة والقيام بالصلوة المفروضة والزكوة فلما كتب عليهم القتال بالمدينة تقاعد واعنه خوفا عن المخاطرة بالارواح لا رغبة عنه
ومحل خشية الله النصب على الحال من ضمير يخشون وهي مضافة الى المفعول اي يخشون متشبهين لاجل خشية الله او اشد خشية من اهل
خشية الله فاشد معطوف على الحال من ضمير الفريق في يخشون ولا ينتصب على المصدر لانه لا يستقيم المعنى الا بجر خشية وان تجوز
بجعل الخشية خاشية او ذات خشية كقولهم جد جده حيث جعل للجد جدا فيكون منصوبا على المصدر اذ التقدير يخشون الناس خشية
مثل خشية او خشية اشد خشية من خشية الله فيجوز جر اشد للعطف عليها فيكون المعنى كخشية اشد خشية منها ولولا بمعنى هلا وهو
طلب زيادة في زمان الكف عن القتال خوف الموت وقيل يجوز ان يكون حكاية الله ما في قلوبهم وقلة المتاع لسرعة انقضائه وكون الآخرة
خيرا لكون نعمها غير مشوبة بالغموم والهموم موبدة وقرئ لا يظلمون بالغيبة لتقدمها اي ولا ينقصون ثواب القتال ادنى شيء فلا يتقاعدوا عنه
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك قل كل من عند الله فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا • نزل في قول المنافقين لما استشهد واجماعة باحد لو كانوا
عندنا ما ماتوا والاولى ان يكون متعلقا بقوله لم كتبت علينا القتال او بلا يظلمون لانه اقرب ويقرا يدرككم بالرفع ويكون قد ابتدا بعد
يدرككم او هو كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها بحذف الفاء فيهما وقيل محمول على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم وهو مثل
ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير • اذا اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غايب مالي ولا حرم
والبروج المشيدة الحصون المرفعة وهي في الاصل بيوت على اطراف القصر من برجت المراة اذا ظهرت ويقرا مشيدة من شاد اذا رفع
او طلاه بالجص وهو الشيد ويقرا بكسر الياء كقصيدة شاعرة وابيات وصف فاعلها مجازا قيل كانت المدينة مملوة من النعم فلما ظهر عناد
اليهود والمنافقين مسك الله عنهم القطر فنسبوا الاول وهو الخصب والسعة الى الله والقحط والبلية الى النبي عليه السلام حتى نسبوا
شومهم اليه ووقوعهما على الطاعة والمعصية اكثر وذكر في المفاتيح انهما يعمان كل الحسنات والسيئات ولعل مراده انهما باعتبار الاطلاق
يقعان على فرد منها على سبيل البدل والا فالنكرة في سياق الاثبات لا يفيد العموم من لفظها وفي الآية دليل على ان جميع الحسنات
والسيئات والطاعات والمعاصي من الله تعالى ولا يخصص اللفظان بالخصب والقحط نظرا الى خصوص السبب لان الاعتبار بعموم
اللفظ وهما يعمان بالاشتراك المعنوي المخلص عن الاشتراك اللفظي والمجاز على كل ما ينفع الانسان هذا وان البرهان يدل على ذلك لان
كل موجود اما واجب لذاته او ممكن والواجب واحد لا غير فما سوى الله ممكن وهو ان استغنى عن المؤثر انسد باب معرفة الصانع وان احتاج
لزم استناد الكل الى الله تعالى ولوضوح هذا البرهان قال تعالى على وجه التعجب فما لهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وهذه الآية في

ما قيل ان الحديث القرآن يوعظون به لانهم لو تدبروا العلموا ان الكل من عند الله وقيل لا يفهمون حديثا ما كالبهايم او حديثا من صروف
الزمان فانهم ان فكروا فيها علموا انه القابض الباسط وليس للمعتزلة التمسك به على ان الفهم من العبد لانه لو كان بخلق الله لما توجه الاية مبنى
على القبح العقلي وقد بطل بمسئلة العلم • ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا
وكفى بالله شهيدا • اى كل ما يصيبك يا محمد ويراد به الامة او يا انسان من فضل واحسان او فتح وغنيمة كيوم بدر فمن الله لان جميع ما يصدر
عنك من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يستدعى عوضا ولذلك قال النبي عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما تصيب من بلية ومصيبة او مكروه كيوم احد فمن نفسك لانها المستجلبة لها بالمعاصي وهذا لا ينافي قل كل من عند الله
فانه الموجد للجميع غير ان الحسنة فضل واحسان او امتحان والسيئة فى مقابلة العصيان قال تعالى ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم وروت عائشة رضى الله عنها انه ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر وتمسكت المعتزلة به على ان السيئة ليست بارادة الله تعالى والجواب انه ان دل على ذلك بزعمكم فقد دل على ان الايمان
ليس بخلق الله تعالى لانه حسنة وكل حسنة من الله بناء على ارادة عمومها عندهم ايضا فصار حجة عليهم لان كل من قال الايمان من الله
فالقول بان احدهما من الله دون الآخر مخالفة للاجماع ومعنى وارسلناك انه ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت وكفى بالله
شهيدا على جدك وعدم تقصيرك وايضا كفى الله بالارسال تأييده اياك بالمعجزات الدالة على الرسالة والرسول وان فهم من ارسلناك
فليس لمجرد التأكيد لان الارسال قد يكون بغيره كارسال الملك وهو حال ويكون للتأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها
والمعنى رسولا للناس جميعا لا رسول العرب كما زعمت اليهود والنصب بالمصدر مثل ولا خارجا من فى زور كلام يرجع الى ذلك
من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا • طاعة الرسول طاعة الله لانه مامور بتبليغ الاوامر من الله
وحصول الهداية ليس اليه ومن اعماه الله عن الرشد فلا يقدر احد على ارشاده ويدل على ذلك ان الدليل الوارد على شخصين يزداد احدهما
ايمانا والآخر كفرا وفيه دليل على انه معصوم لانه لو اخطأ لم يكن طاعته طاعة الرسول وسبب النزول انه لما قال النبي عليه السلام من احبني
فقد احب الله فقال المنافقون قارب الشرك الذى ينهى عنه وفيه تسلية للنبي عليه السلام حيث يغتم بتوليهم حيث لم يرسل ليحفظ عليهم
اعمالهم ويحاسبهم عليها ويكون مهيمنا عليهم وقيل التولى بالقلب يعنى حكمك على الظاهر ولا تتعرض للباطن او بالظواهر والمعنى
لا تغتم بالتولى مما ارسلناك لحفظهم عن المعاصي فقيل نسخ باية الجهاد • ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة
منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا • قيل الضمير للمنافقين وقيل للذين يخشون
اى اذا امرتهم بشىء قالوا امرنا طاعة ونزله سيبويه منزلة قول المسئول عن حاله حمد الله وثناء عليه اى امرى حمد الله وهو اولى
من النصب على تقدير اطعناك لزيادة الاضمار وفوات الثبوت والاستقرار والتبييت الذى كثر الفكر فيه وفى مصالحه
ومفاسده وذلك لان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس الانسان فى بيته لذلك والغالب ان يكون بالليل فسمى الفكر
المستقصى فيه تبييتا وقيل من بيت الشعر لان الشاعر يبالغ فى القلب وقيل زورت سوت وقرئ بادغام التاء فى الطاء

لانها

لانهما من حيز واحد وكونه غير ما تقول اى مخالفا لما امرت به او خلاف ما قالت تلك الطائفة والتزمت فعله وذلك لانهم اظهروا الطاعة
والايمان وابطنوا الكفر والعصيان ويقرب منه التبديل قال شاعرهم وبيت قولى عبد المليك فانك عبد الكفور والله يكتب ما يبيتون
فى ديوان اعمالهم وهو وعيد ويقرأ بيت لان التأنيث غير حقيقى او ينزله عليك من جملة الوحى والمعنى بالاعراض ان لا يهتك سترهم
او لا يحدث نفسه بالانتقام منهم وتوكل على الله فى شانهم فان الله ينتقم لك ويكفيك شرهم والوكيل القايم بما فوض اليه من الامر قيل نسخ
باية الجهاد وقيل نسخ باية السيف • افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا • لما كان النفاق لعدم
اعتقادهم حقية ما جاء به وانه مفترى امرهم بان يتأملوا امره وينظروا فى ادباره وما يؤول اليه اذ هو اصل التدبر قال الكتم لا تدبروا اعجاز امور
قد ولت صدورها وتدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه وفيه دليل على اثبات النبوة بالقرآن لانه لو لم يحمل عليه لم يكن له ارتباط بما قبله
والاختلاف حمل على وجوه مثل ما كان النبي يخبر المنافقين عن احوالهم شيئا فشيئا فلو لم يكن من عند الله لما اطرد الصدق فيه او انه يقع فيه
كلمات متناقضة لانه كتاب كبير والكلام الطويل لا ينفك عن تفاوت فلما لم يوجد فيه ذلك علم انه من عند الله ونحو لا تدركه الابصار
مع وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولنسئلنهم اجمعين مع لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لا يناقض للاختلاف باعتبار الحكم تارة
والمحكوم عليه اخرى والزمان مرة والمكان اخرى وغير ذلك وايضا لكان بعضه معجزا وبعضه غير معجز وبعضه دالا على معنى غير مستقيم وبعضه
مستقيما وفيه ان القرآن كله معلوم والا لما امكن للمنافقين التدبر المامور به وفيه دليل على وجوب النظر لامره سبحانه المنافقين بالاستدلال
بهذا الدليل على صحة النبوة ومن ابرد ما تمسك به الجبائى على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى انه لا يخلو عن اختلاف والاختلاف والتفاوت
واحد وقد قال تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولا يخفى الجواب بعد تسليم مقدماته ان المنفى التفاوت فى ان يقع على خلاف مشيته وفعل غيره
لا يقع على وفق مشيته • واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا • اى اذا جاء ضعفة المسلمين او المنافقين امر يوجب الامن او الخوف
كخبر سرايا رسول الله او ما اوحى الى النبي عليه السلام من الظفر او خلافه افشوه ولو كان فى جانب الخير زادوا شيئا ولم يوجد اورث شبهة
الضعفاء فى صدق النبي عليه السلام ولو كان فى جانب الشر يشوش الامر على الضعفاء وذلك لعدم حزمهم والاذاعة الافشاء يقال اذاعه
واذاع به قال اذاع به فى الناس كانه بعلياء نارا وقدت بثقوب • ما يثقب به النار اى يوقد موضع مرتفع وكان ذلك مفسدة
ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى كبار الصحابة العارفين بمصالح الامور ومفاسدها وامراء السرايا لان الامر على الناس كان
لهم وكذا الاولى العلم حيث يجب على غيرهم قبول قولهم الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البير اول الحفر اى لو ردوا ذلك الامر
الى الرسول واولى الامر لعلموا تدبيره بسبب استنباطهم تدبيره بذكائهم ومعرفة امور الحرب وقيل المستنبطون هم المنافقون المذيعون
الامر من الامن او الخوف فطلبوا معرفة الحال من جهة الرسول واولى الامر لعلموا الحال من جهتهم ويقرأ لعلمه بسكون اللام كقوله
فان اشجر بضجر كاضجر بازل • من الادم دبرت صفحاته وغاربه خص لبيض لانها ارق جلدا قال فى المفاتح وفيه دليل على صحة القياس
لانهم اذا رجعوا اولى الامر فاجروهم عن نص لا يبقى للاستنباط معنى فثبت ان الله امر التكلف برد الواقعة الى الاستنباط والقياس

وقع فى نسخ الكشاف الشجر بدل الضجر

اما استنباط او داخل فيه فوجب ان يكون حجة ولقايل ان يقول الامر من الامن والخوف ليس من التفاريع الفقهية ليلزم ذلك نعم اراد
ان يثبت ذلك بالقياس على تلك كان اثبات الشي بنفسه ولولا فضل الله بارسال الرسول وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان بالبقاء
على الكفر والضلال الا افراد منكم كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وامثالهما اهتدوا بكمال عقلهم الى اتباع الحق والصواب ولولا معونة
الله بالنصر لاتبعتم الشيطان بترك الدين الا اولوا العزايم القوية وقيل الاستثناء يرجع الى المستنبطين اى لا يعلم ذلك الا القليل منهم
وقيل الى اذاعوا وقيل الى العلم • فقاتلوا في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا
واشد تنكيلا • الفاء جواب لقوله ومن يقاتل من جهة المعنى اذ التقدير ان اردت الفوز فقاتل او تتعلق بما لكم لا تقاتلون او تتعلق بقصر
المنافقين اى ان تثبطوا عن القتال فقاتل وحدك او ما تقدم من لقاء ابى سفيان حيث كرهه بعض الناس فخرج لا يلوى على احد ولو لم يخرج
لخرج وحده لا تكلف غير نفسك بالتقديم الى الجهاد فانه لو شاء الله لنصرك كما ينصرك مع الجيوش الكثيفة وبقراءة بالجزم على النهى وبنون المتكلم
جمعا اى نكلف نحن الا نفسك لا غيرك واما المؤمنون فما عليك الا التحريض وما قيل ليس عليك التعنيف زيادة يخالف مقتضى الفقه
لان فرض الكفاية اذا تركه الكل فللامام ان يقاتل عليه والذين كفروا قريش وقد كف كما سبق ان ابا سفيان ندم على الحرب تلك السنة لقحط
ظهر والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا اى عقوبة واصله الامتناع خوفا وقيل الشهرة بالامور الواضحة ويعلم من الاية وجوب
الجهاد على النبي عليه السلام وان لم يوافقه احد وانما صار فرض عين عليه لكفالة الله له العصمة بقوله والله يعصمك من الناس
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا • وجه الربط
ان الشفاعة باعتبار اللغة حيث فسرت بتصيير الانسان لنفسه شفعا لصاحب الحاجة تحريض النبي عليه السلام اصحابه بالجهاد
كما قيل لانه يجعل نفسه شفعا لهم في تحصيل غرض الجهاد والشفاعة الحسنة هي التي تدفع بها شر عن مسلم او يجلب له خير لله عن غير امر
جائر لا في حدود الله لورود النهي عنها ولا في ابطال حق لذلك روي ان سروقا ردّ هدية من شفع وقال لو علمت ذلك لما تكلمت فيها
ولا اتكلم فيما بقي وفسرت بالدعاء للمسلم لكونها في معنى الشفاعة الى الله قال النبي عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له
وقال الملك ولك مثل ذلك وبازائها الدعاء عليه والكفل قيل الحظ قال تعالى يؤتكم كفلين من رحمته فهو كالنصيب فلا اشكال وقيل
النصيب الوافر وعلى هذا فان قيل ما الحكمة في زيادة جزاء الشرط على الخير مع ان من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قلنا لان الردع عن المعاصي لا سيما في ابطال حق الغير حيث فسر بمنع الحدود والحقوق قال عليه السلام من حالت شفاعته
دون حد من حدود الله فعليه لعنة الله اهم من التحريض في الخير والمقيت الشهيد وقيل المقتدر قال • وذي ضغن كففت السوء عنه
وكنت على اساءته مقيتا • ومعنى الحفيظ قال • الى الفضل ام على اذا حوسبت انى على الحساب مقيت • واشتقاقه من القوت
قال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت لانه يحفظ النفس عن التلف • واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
ان الله كان على كل شيء حسيبا • وجه الربط انه كما امروا بالقتال امروا بالكف عمن سالمهم وكانوا لا يلتفتون الى من يسلم عليهم
في دار الحرب والتحية تفعلة من حييت واصله تحيية كتسمية وكانوا يقولون حياك الله اخبار من الحيوة فابدل بالسلام

فجعلت

مطلب

فجعلت اسماله قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام واستعمل بالحلم والدعاء بذلك ثم لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية
وقد سلم الله على عباده في مواضع منها قوله سبحانه قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
وهم امة محمد وهو اسم من اسماء الله سبحانه والاحسن هو ان يقول ورحمة الله وان قال المسلم ورحمة الله زاد وبركاته قيل هو النهاية
لانه عليه السلام لم يزد عليها فلما قال المسلم نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت مثله قال في الانوار
وذلك لاستجماعه جميع المطالب اندفاع المضار وحصول المنافع ودوامها وورد ايضا زيادة مغفرته وقوله عليه السلام بعده
اربعون وقيل ردوها ان كان ذميا والتخيير وقع بين المثل والزيادة لان اصل الجواب واجب والابتداء به سنة قال النبي
عليه السلام افشوا السلام وقيل يجب لظاهر الامر قال في المفاتيح اذا قال المسلم السلام عليكم وقال المجيب وعليكم السلام
كان الابتداء والانتهاء واقعين بذكر اسم الله وهو يطابق قوله هو الاول والآخر والسنة ان يسلم الراكب على الماشي
وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر وعلى الواحد يقول عليكم للملكين معه ويسلم في البيت الخالي
اما على نفسه او مؤمني الجن وليس ان يكون على الطهارة ولا ليس السلام عندما يخطب الامام يوم الجمعة فان سلم
فلا باس برد بعضهم ولا ليس على من في الحمام وذكر الامام انه يسلم ان كانوا متزرين والا فلا يسلم والاولى ان لا يسلم
على القاري والمشتغل برواية الحديث ومذاكرة العلم ولا ليس على قاضي الحاجة والآكل واما اهل الذمة اذا اسلموا فيقال
في الجواب وعليكم اى ما قلتم هكذا قال النبي عليه السلام وكانوا يقولون السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك
السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار وقيل يجوز الابتداء لظهور حاجة اليهم واذا دخل عليهم قال السلام على من اتبع
الهدى ويجوز الدعاء بما يصلحه في دنياه والحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالاكيل والجليس وفيه وعيد فانه قد سبق انهم كانوا
يقتلون في الغزو من يسلم عليهم فقال هو حسيب في التحية وغيرها فكونوا على حذر من مخالفته • الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا • هذا تاكيد في الوعيد وفيه اشارة الى ان التوحيد والقدرة متلازمان دل على الاول
الله لا اله الا هو وعلى الثاني ليجمعنكم لا اله الا هو خبر الله او ليجمعنكم خبره اى والله ليجمعنكم بالحشر اليه والقيمة كالطلابة وهي قيامهم
من القبور او للحساب ومن اصدق استفهام انكار ودليلنا انه لو كان كاذبا لكان كذبه قديما فيمتنع زواله فيمتنع صدقه لان
وجود احد الضدين يمنع وجود الآخر وهو غير ممتنع لانا نعلم بالضرورة ان من علم شيئا امكنه الاخبار عنه على ما هو به والمعتزلة
بنوه على اصل لهم وهو انه سبحانه يعلم قبحه وغناه عنه ومن كان كذلك استحال ان يكذب هذا وانه نقص وكل نقص على الله
محال والمراد بالحديث وعده ووعيده واخباره ان لا يكذب لان من كذب لم يكذب الا لاحتياجه اليه لدفع مضرة او جلب
منفعة وهما محالان ولا استدلال للمعتزلة بحدوث القرآن لما سبق من تفسير الكلام وقرئ اصدق باشمام الزاي • فما لكم
في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا •
قيل نزلت في قوم اظهروا الاسلام وكانوا يعينون المشركين وقيل في المتخلفين يوم احد وقيل في قوم رجعوا الى مكة

مطلب فيه بيان تتمة السلام

وارتدوا وقيل في اهل الافك وقيل في قوم ارادوا الخروج من المدينة نفاقا وقيل هم الذين اغاروا على السرح وفئتين
مثل ما لك قياما فهو حال عاملها لكم وفي المنافقين حال من الفئتين او من الضمير والمعنى ما لكم لا تتفقوا في شانهم بل افترقوا في شانهم
بالخلاف في نفاقهم مع ظهوره والحال ان الله ردهم الى حكم الكفار او نكسهم بان صيرهم كالكفار بسبب الكفر وقيل اهلكهم كسبهم
ما سبق من النفاق او الارتداد والاحتيال واصله رد الشيء من آخره الى اوله وقيل ترادف النكس والمعتزلة قالوا الآية تدل
على ان الاضلال لم يكن الا بسبب كسبهم لا بخلق الله اياه والمعنى حكم بضلالهم والجواب بمنع الدلالة لا سيما وانه لما اخبر الله عن
ضلالهم استحال زواله وكان المؤمنون يريدون زواله عن المنافقين اي من اراد الله ضلاله امتنع ان يجد المخلوق سبيلا الى زواله
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ● هذا تقرير لكونهم ضلالا لا يهتدون فانهم قد بلغوا الى حيث يتمنون ان يصيروا
كفارا ويكونون امثالهم على النسق على يكفرون والفاء للعطف لا لجواب التمني ولو اراد ذلك لمعنى اذا كفروا استووا لكان نصبا
وهو مثل ودوا لو تدهن فيدهنون فاذا تبين ذلكم فلا تتخذوهم اولياء فان آمنوا حتى يهاجروا هجرة صحيحة لله ورسوله والهجرة
تتناول الهجرة عن المعاصي قال عليه السلام المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان ولم يهاجروا فاقتلوهم كسائر المشركين
اي موضع وجدتموهم من الحل والحرم وجانبوهم وان اظهروا الولاية والنصرة لكم وفيه دليل على انه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين
والزنادقة وكيف لا وهو محل اعظم العداوات لان اعز الاشياء الذين يتقرب به الى الله تعالى فالعداوة بسببها اعظم ● الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ● اي يتصلون بقوم وينتهون اليهم وما قيل
ينتسبون فيه ضعف لانه لا يؤثر في منع القتال لو وقع مع من له الانتساب فلا يصح مع كون الاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
والقوم قيل الخزاعة وقيل الاسلميون لانه عليه السلام وادع هلال بن عويمر الاسلمي وقت خروجه الى مكة ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن لجأ اليه فله مثل جواره وقيل بنو بكر فانهم صالحوا ومعنى حصرت ضاقت اي امسكوا عن قتالكم وهو بنو مدلج اتصلوا بقريش
والمعنى اقتلوهم الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن مقاتلتكم ومقاتلتهم فيكون عطفا على صفة قوم باعتبار
التقدير او يكون عطفا على الصلة والمعنى الا الذين يصلون بقوم معاهدين او الذين لا يقاتلونكم ويؤيده قوله فان اعتزلوكم
الى قوله فما جعل الله لانه بين ان تركهم للقتال احد سببي وقرأ يعقوب حصرة صدورهم وهو يوافق كون حصرت حالا بتقدير قد
اي جاؤكم حال ما قد حصرت وتقديره عند المبرد قوما حصرت فيكون صفة لمحذوف ويقرأ جاؤكم من غير او فيكون بيانا ليصلون او صفة
او بدلا او استئنافا وان يقاتلوكم تقديره كراهة قتالكم او عن ان يقاتلوكم فان اعتزلوكم وتركوا التعرض لكم والقوا اليكم الانقياد
والاستسلام اليكم فلا يأذن الله لكم في اخذهم وقتلهم وفي الآية دليل على انه لا يقبح من الله تسليط الكافر على المؤمن قال في المفاتيح اجاب
المعتزلة عنه بانه اخبر انه لو شاء لفعل ولا يفيد الا انه قادر على الظلم وهذا مذهبنا الا انه لا يفعل وللقائل ان يقول هذا ينافي مذهبهم

قاله ابو عبيدة

لان

لان من مذهبهم انه لا يجوز صدوره ذلك من الله وحيث قال لو شاء لفعل دل على جواز ذلك لان تعلق المشية غير مستحيل
ذاته فيجوز فرضه وحمل الآية على المعاهدة ينافي ما ذهب اليه بعضهم من النسخ ● ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم
كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ● نزلت في اسد وغطفان كانوا يعاهدون المسلمين اذا اتوا المدينة ليأمنوهم فاذا رجعوا الى قومهم
اظهروا الكفر ليأمنوهم والفتنة الكفر اي كلما دعوا الى الكفر عادوا اليه واستعير لشدة اصرارهم على الكفر بقوله اركسوا لان من وقع في
شيء منكوسا تعذر عليه خروجه منه اي كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين ردوا منكوسين فان لم يعتزلوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح
منكم ولم يكفوا ايديهم عن ايذائكم فخذوهم واقتلوهم حيث ظفرتم بهم ولكم سبيهم ونهبهم والسلطان المبين هو الحجة الظاهرة الواضحة
لظهور عداوتهم وتبين حالهم في الكفر والعذر واذن الله للمسلمين في قتالهم ● وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله
وكان الله عليما حكيما ● وجه الربط انه متعلق بهذه المحاربة لما روي انه نزل في حارث بن زيد قتله عياش وهو اخو ابي جهل من الام جاهلا
باسلامه وذلك ان عياشا اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه
الحارث بن زيد فقال ابو جهل اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك فنزل من اطم كان فيه وذهب معهما فلما فسحا
عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال هذا اخي فمن انت لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه
حتى يرتد ففعل ثم هاجر واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء فقتله جاهلا باسلامه وجاء الى النبي عليه السلام فنزل وفي ابي حذيفة
وابي الدرداء قتلهما المسلمون عند اختلاطهم بالكفار لظنهم انهما من الكفار او في ابي الدرداء حين قتل الراعي والمعنى ما صح ولا استقام له
وهو نهي في صورة النفي فيكون الاستثناء منقطعا ويعلم من كان انه لم يزل حكم الله لذلك ومعنى خطأ ان من شان المؤمن ان لا يوجد
منه قتل مؤمن ابتداء الا اذا وجد خطاء من غير قصده بل بقصد شخصا على ظن انه كافر فاذا هو مؤمن او يرمي اليه فيصيب المؤمن فانتصابه
اما على صفة المصدر اي قتلا خطأ او حال اي ليس له قتل في شيء من الاحوال الا حال الخطأ فيكون الاستثناء متصلا وحمل على العلة وفيه نظر
لان المفعول له هو علة الاقدام على الفعل فيلزم ان يكون علة الاقدام على الفعل والحامل نفس الخطأ فيكون الباعث على القتل الخطأ وهو
ظاهر البطلان والخطأ هو ان لا ينضم القصد الى الفعل او التشخص او لا يقصد به الزهوق غالبا او لا يقصد به الحرام كالقتل لظن
انه كافر او فعله غير مكلف او قتل الجنين وله نظائر اخر ويقرأ ممدودا وقيل معناه ليس قتل المؤمن متروكا لا يقتص الا في قتل الخطأ
والتحرير الاعتاق اي فعليه تحرير رقبة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار وحر الوجه اكرم موضع منه ويعبر عن النسمة الرقبة كما عبر
عنها بالرأس والمذهب في الظهار انه لا يجزئ الا رقبة مؤمنة لانها وان وردت مطلقة لكنها مقيدة بالايمان قياسا على الرقبة في القتل
لانه اذا ورد مطلق ومقيد ولم يتحد سببهما حمل المطلق على المقيد ان اقتضى القياس تقييده وابو حنيفة رضي الله عنه اخذ بالاطلاق

وان شرط الحسن ان يكون قد صلت وصامت وينبغي ان يكون كامل الرق سليمة عما يخل بالعمل والمسلمة الى اهله المؤداة الى ورثته
وحكمها حكم ساير المواريث فرضا وتعصيبا لان النبي عليه السلام ورث امراة اشيم الضبابي وكذا فعل عمر وابن مسعود لم يستثن غير القاتل
ويقضي الدين بها وتنفذ الوصية منها خلافا لشريك ولبيت المال اذا لم يكن له ورثة لقوله عليه السلام انا وارث من لا وارث له
والرقبة في الكفارة على القاتل والدية على العاقلة الاخ وابنه والعم وابنه وان سفل لا الاصل والفرع لانه عليه السلام لم يفرض الا هكذا
فان لم يكن له عاقلة يحمل بيت المال ثم يؤخذ منه ومعنى التصدق العفو عن الدية كقوله تعالى الا ان يعفون وان تصدقوا متعلق بعليه
او بمسلمة اي يجب عليه الدية او يسلمها الا الاجنبي يتصدقون عليه فينتصب على الظرف نحو اجلس ما دمت جالسا او على الحال من اهله اي به
الا متصدقين وان كان المقتول من قوم عدو اي كفار حربيين وهو مسلم فعلى قاتله الكفارة لا الدية لاهله اذ لا قرابة ولا عهد وان كانوا
معاهدين وهو المراد بالميثاق وكذا اهل الذمة وجبت الكفارة والدية بقتله كالمسلم وهذا اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث
مسلم ولم يوجب ابو حنيفة الكفارة في القتل العمد لظاهر الآية والجواب بالخبر والقياس ولو لزم من انتفاء الشرط انتفاء المشروط
مطلقا لكان صحة نكاح الامة مشروطا بفقدان الطول عنده لقوله تعالى ومن لم يستطع وهو لا يقول به ومن لم يجد الرقبة لعدم القدرة
عليه حصولا او تحصيلا فعليه صيام شهرين متتابعين او فالواجب ذلك وتوبة منصوب على العلة وقوله من الله صفة التوبة معناه
انه تعالى يقبل توبته يقال تاب الله عليه اذا قبلها ويجوز على المصدر والحال اي فصيام شهرين ذا توبة بخلاف المصاف وكونه سبحانه عليما بحاله
فيه وعد لمن اتقى ووعيد لمن عصى وهو حكيم في وضع الشرع على هذا النهج • ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب
الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما • لما كانت الآية مشتملة على انواع من التهديد لم يجتمع في غير هذه الجريمة قال ابن عباس
لا توبة للقاتل عمدا وكذا نقل سفيان عن اهل العلم وهو محمول على الزجر للدلايل الدالة على خلافه كيف والكفر اعظم منه والتوبة عنه مقبولة
قال تعالى في آخر الفرقان بعد ذكر الشرك وغيره ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن نعم هكذا اغلظ النبي عليه السلام في دم مسلم لكبهم الله
في النار والانسان بنيان الله ملعون من هدمه والرضي بقتله وهو في المشرق والراضي بالمغرب يشركه في دمه ومن اعان
على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمته وكل ذلك لا يعارض نصوص الكتاب الدالة على عموم العفو
مثل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك فلا بد من التخصيص بمن لم يتب او فعله مستحلا او الخلود المكث الطويل او لانه نزل
في مقيس بن ضبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار ولم يتعين قاتله فقتل مسلما منهم بعد اخذ الدية بحكم رسول الله ورجع الى مكة مرتدا
او ان ذلك جزاؤه لو جازاه ولا دلالة فيه على وقوع الجزاء فان قيل ما ذكرتم اما تخصيص او مجاز او عمل بخصوص السبب دون عموم اللفظ
وكل ذلك خلاف الظاهر قلنا التوفيق بين الدلايل والمحافظة على المنع من التنافي يستلزم ذلك لا سيما والعمومات من طرفنا
تستدعي احباط حق الغير والحق سبحانه قيد الاحباط بالموت على الكفر بطريق المفهوم الدال على انتفاء الحكم عما عداه لكن الخصم يعاف
استماعه من كثرة الالف بجهالاته ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وقول القايل الخلف في وعيد المؤمن جايز كلام ساقط لاستلزام
ارتفاع الوقوف على الاخبار • يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا

مطلب لا يلزم من انتفاء الشرط انتفاء المشروط

تبتغون

تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا • اي اذا سافرتم
في الغزو وهو كناية عن الاسراع في السير ماخوذة من ضرب البدل لانه يسرع حركة يده فتبينوا ولا تعجلوا في قتل من لم يتحقق لكم كفره روي انه
نزل في قتل اسامة مرداسا حيث لم يفر من السرية ثقة بايمانه فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه فقال استغفر لي فقال كيف
بلا اله الا الله فلا زال يعيدها حتى وددت اني لم اسلم بعد ثم استغفر له لانه ظن انه قال ذلك لدفع القتل وقيل هو مقداد وقيل ابو الدرداء
وقيل محلم بن جثامة وفيه دليل على قبول اسلام المكره والزنديق لانه لم يفرق بينه وبين غيره بخلاف اسلام الصبي لانه لو صح لوجب وهو
باطل لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلثة وعرض الدنيا حطامها اي هو الذي يدعوكم الى ترك التبين وهو حال عن الضمير في يقولوا وقرئ
السلم بالالف وبغير الالف فعند الله ما يغنيكم عنها من الغنايم وكذلك كنتم اول ما دخلتم في الاسلام فحقنت دماؤكم واموالكم بكلمتي الشهادة
من غير ان يعلم موافقة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم باعتبار ايمانكم حتى صرتم اعلام الدين تعاملوا من دخل في الدين مثل ما عاملوكم ولا تحملوا
اسلامه على التقية ليذهبوا بماله وفي المفاتيح اكم في اول الدخول في الاسلام قد حدث فيكم الاسلام بميل ضعيف ثم من الله عليكم بتقويته
فكذا حال غيركم واذا كان عليما بكل ما يصدر عنكم فلا تستعجلوا في القتل وتحرزوا عن الخطا فيه • لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا
وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما • لما حذر
عما يقع في الجهاد من قبل الخطا وكان مظنة التقاعد عنه حرض عليه من المؤمنين حال من القاعدين او من ضميره وقرئ غير بالنصب والرفع
فالنصب على الاستثناء او الحال والرفع صفة القاعدين وصح الوصف بالمعرفة لانه مثل ولقد امر على اللئيم يسبني او بدل منه وقرئ
بالجر صفة للمؤمنين او بدل منهم قال زيد بن ثابت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت نزوله ولم يذكر غير اولي الضرر فقال ابن ام
مكتوم وكيف وانا اعمى قال فغشي النبي عليه السلام الوحي واتكا على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد خشيت ان يرضها ثم سري عنه
فقال اكتب غير اولي الضرر اي لا مساواة بين القاعدين من غير علة وبين المجاهدين وعن ابن عباس انه في بدر وقيل في تبوك قيل هذا
وان كان معلوما لكن فايدته التذكير بالتفاوت والتحريك للحمية ولقايل ان يقول هذا من قبيل ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا لان عدم المساواة
اعم من ان يكون التفاوت بدرجة غير محدودة لا يعرف كنهها غير الله او لغيرها فان الجملة الثانية بيان للاولى هذا وانه قد يتوهم المساواة
حيث قال عليه السلام لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر والصيانة المؤمن ابلغ من عمله
ودرجة منصوب بنزع الخافض اي بدرجة وتنكيرها للتفخيم ويجوز ان ينتصب على التمييز وفي قوله وكلا وعد الله الحسنى دليل على انه فرض
عين لم يكن القاعد اهلا للوعد بالحسنى والحسنى تانيث الاحسن وهي صفة المثوبة او الجنة والمفضلون بدرجة قيل هم المفضلون
على القاعدين الاضرا والمفضلون لهم درجات على الذين اذن لهم في التخلف ولقايل ان يقول فعلى هذا لم يبق للاستثناء معنى
لان التقدير وفضل المجاهدين على القاعدين الا اولي الضرر فانهم ليسوا بمفضلين بل قيل المفضلون عليهم قوم واحد والدرجة
الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وقال في الانوار الاولون المجاهدون مع الكفرة والاخرون المجاهدون

مع انفسهم لقول النبي عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر او الاول ما لهم من الدنيا من جزيل الغنيمة وجميل الذكر
والثاني ما لهم في الآخرة من الثواب وفي المفاتيح ان المراد بالدرجة الواحدة الواحدة الجنسية فيدخل تحتها الدرجات والقائل
ان يقول فيلزم التكرار الا ان يقال تفصيل بعد اجمال ومغفرة ورحمة ابدال من اجرا او ان نصبت درجات بالمصدر فهي مثل ضربته
اسواطا او ان نصب اجرا على الحال فالمصحح مع كون ذي الحال نكرة التقدم ومغفرة ورحمة نصبا على المصدر باضمار فعلهما وتمسك
للمعتزلة على ان العمل موجب لنعيم الجنة لتفاوته بتفاوت العمل لجواز ان يكون لا للذات بل بجعل الشارع • ان الذين توفيهم الملئكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم
جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •
اي تتوفاهم الملئكة بقبض ارواحهم تاركين الهجرة ان اريد بهم قوم من المسلمين بمكة خرجوا في قوم من المشركين فقتلوا معهم
او مبطنين للكفر او الشرك ان اريد المنافقون او المشركون ويصلح توفاهم للماضي والمضارع لانه يقرأ توفتهم وتوفاهم
بالمجهول وقرئ مشددة التاء اي ان الله توفي الملئكة انفسهم اي يمكنهم من قبضها فيقبضونها فتقول الملئكة لهم فيما كنتم
من الدين وانما اجيب بكنا مستضعفين دون كنا من الدين وكذا او كذا لانهم فهموا التقريع على كونهم في غير شيء من الدين لعدم
الهجرة فاعتذروا بذلك فالزموهم بامكان الخروج الى حيث يقدرون على اظهار الدين كالهجرة الى المدينة والحبشة والفقه انه
اذا لم يتمكن من اظهار الدين في بلاد الكفر وجب عليه الهجرة وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان
شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابرهيم ونبيه محمد عليهما السلام واستثنى من اهل الوعيد الذين لا يستطيعون
حيلة في الخروج لعجزهم مالا وجهلهم بالطرق وهو استثناء منقطع قيل لما سمعها ضمرة بن جندب قال لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فمات بالتنعيم واستثنا المستضعفين من الرجال والنساء لانهم قد يكونون
مستطيعين مهتدين وكذا الولدان ان اريد بهم العبيد والا فالبالغون وهو اولى من ارادة المراهقين لعدم توجه التوبيخ
نحوهم والعفو انما يحسن حينئذ وكذا هو اولى من الحمل على المبالغة باعتبار انهم على صدد الوجوب وان عسى للدلالة على ان الهجرة
امر مضيق لانه اذا كان لا بد من ارتكاب خلاف الظاهر فالتخصيص اولى من غيره والجملة صفة المستضعفين لانه اريد بالموصوف
ناس غير معينين نحو ولقد امر على اللئيم يسبني او حال عنه او عن المستكن • ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما •
اي من فارق وطنه للالوف في طلب الدين يجد مراغما يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم واصل الرغم وصول الانف بالرغام
وهو التراب اي يفارقهم على رغم انوفهم يقال راغمته اي فارقته كارها معارقتك لالحاق مذلة به قال النابغة
كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب • ويقرأ يدركه بالنصب على ارادة ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا •
وبالرفع على خبر محذوف وقيل نقل اليه من الهاء كقوله عجبت والدهر كثير عجبه • من عنزي سبني ولم اضربه • بضم الباء وتمسكت

فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

وتمسكت المعتزلة على وجوب الاجر على الله لان الاجر هو المنفعة المستحقة والوقوع الوجوب لا سيما وقد ذكر على وهي قرينة
الوجوب والجواب ما سبق من ارادة تحقيق الوعد اذ لا حاكم عليه ولا يستدل على استحقاقه الغنيمة اذا مات قبل الحيازة لان المذكور
الاجر روي ان ضمرة لما ادركه الوفاة بالتنعيم حين هاجر اخذ يصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات حميدا • واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا • الضرب في الارض السفر فيها واخص بمسيرة ستة عشر فرسخا بالهاشمي ذهابا لقوله
عليه السلام يا اهل مكة لا تقصروا الصلوة في ادنى من اربعة برد من مكة وظاهر نفي الجناح انه يتخير المسافر بين القصر والاتمام وذهب
ابو حنيفة رضي الله عنه الى وجوب القصر لخبر اعتقد دلالته عليه وهو قوله عليه السلام فرضت الصلوة في السفر والحضر ركعتين فاقرت
صلوة السفر وزيدت في الحضر وسند المذهب انه عليه السلام قصر واتم في السفر واستحسن فعل من فعل كذلك ومع هذا ومع هذا التصريح
كيف يؤول نفي الجناح على انه لما كان مظنة ان يخطر ببالهم نقصان في القصر ويقرأ من اقصر بمعنى قصر وبالتشديد والقصر في حال
الامن ثابت بالخبر وقيل هو شرط باعتبار الغالب وقيل تم الكلام بقوله ان تقصروا من الصلوة ثم قال ان خفتم اي الخوف واقع
وقيل بقوله واذا كنت فيهم وقيل لا اعتبار بالشرط مثل فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وهو ضعيف ويقرأ بغير ان خفتم دون الآية
والفتنة هنا القتال وفي معناه التعريض بما يكره مثل جرح او سلب وتوحيد العدو لانه صالح للواحد والجمع • واذا كنت فيهم
فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم • هذا تعليم للنبي عليه السلام كيفية صلوة الخوف ليقتدي به بحضور الائمة كحضوره
عليه السلام فلا يختص بحضوره كما قال ابو يوسف رحمه الله ولتجعل الناس طائفتين فلتقم احديهما معك وتقف الاخرى في وجه العدو
وليأخذ المصلون وغيرهم تيقظهم وتحرزهم جعل كالآلة فجمع بينه وبين الاسلحة والمراد بها ما لا يشغل عن الصلوة كالسيف والخنجر
فاذا سجد المصلون فليكن غير المصلين من ورائكم للحراسة ولتأت الذين لم يصلوا معك لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك
ومقتضى الظاهر ان يصلي الامام بكل طائفة مرة وهي صلوة النبي عليه السلام ببطن النخل ويجوز ان يريد ان يصلي بكل ركعة من صلوة
ذات ركعتين بان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويشتغلوا بالحراسة ثم تأتي الطائفة الاخرى فيتم
بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم وهذه صلوة النبي عليه السلام بذات الرقاع ومذهب ابي حنيفة رح
انه يصلي بالاولى ركعة فتذهب هذه الطائفة الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة ويتم صلوتها
واخذ الحذر والاسلحة كما سبق ولا يحمل السلاح الملطخ بالدم الا للضرورة ويحترز النجاسة ما امكن • ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا • اي تمنى الكفرة اي ينتهزوا الفرصة في صلوتكم فيبالوا منكم غرة فيشدوا عليكم
شدة واحدة وهذا اشارة الى حكمة اخذ الحذر والاسلحة في الصلوة ولا جناح الى الآخر بيان الرخصة في وضع السلاح بسبب مطر

او مرض اذا ثقل احدهما وتعليق الامر للوجوب واخذ الحذر للامن من هجوم الكفرة عليهم وبعد ان وعد النصر على الكفار علم ان الامر بالحذر
ليس لضعفهم وغلبة العدو بل لقوة القلب والاخذ بالاحتياط بعد التوكل على الله سبحانه والعذاب المهين بالغلبة عليهم في الدنيا
والمصير الى النار في العقبى ولا يتم التمسك بالاية على كون العبد فاعلا حيث امر بالحذر للمعارضة بمسئلة العلم والداعي ودلت
الاية على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة ومن هنا علم ان العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت

مطلب

الجدار المايل واجب • فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا • اى اذا اديتم الصلوة وفرغتم عنها فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال او فصلوا قياما حال اشتغالكم به
بالمسايفة وحال قعودكم مرامين وعلى جنوبكم وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطماننتم وامنتم غايلة الحرب فاقيموا الصلوة اى عدلوا اركانها
وشرايطها مثل قوله تعالى ويقيمون الصلوة والحمل على القضاء كما قيل يحتمل ان يحمل على اذا وقع فيها خلل يمنع الصحة ومعنى الموقوت
المحدود واى لا يجوز اهمال اوقاتها في شيء من الاحوال ومنه واذا الرسل وقتت على تلك القراءة وهو يؤيد ما ذكرنا من ان المراد بالذكر الصلوة
ويدل على وجوب ادائها في حال المسايفة وهي حجة على ابي حنيفة حيث قال لا يصلي المحارب حتى يطمئن والعلم بكون الصلوات محدودة
باوقات معينة علم بآيات منها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فانه لو حمل على ثلث لزم التكرار ولابد من خمس ليحصل الوسطى
ومنها اقم الصلوة طرفي النهار وفسرها ايضا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون قال في المفاتيح
وتقريرها بهذه الاوقات الخمسة في نهاية الحسن وذلك ان لكل شيء من احوال هذا العالم مراتب خمسة والدخول في الوجود لحدوث الانسان
والبقاء في النشو الى مدة معينة ومرتبة الوقوف من غير زيادة ونقصان ومرتبة الكهولة ان تظهر النقصان بيسير ومرتبة الشيخوخة وهو
وقت ظهور نقصانات ظاهرة والمرتبة الخامسة ان تبقى آثاره بعد موته ثم يبطل ولا يبقى منه اثر ولا خبر وهذه المراتب حاصلة لجميع
حوادث هذا العالم وكذلك الشمس شبه وقت طلوعها حال المولود ولا يزال يزداد نورها الى ان تصل الى اوسط السماء ثم تقف
هناك ساعة وتنحدر ويظهر فيها نقصانات خفية الى وقت العصر وبعده تظهر نقصانات ظاهرة واذا غربت بقي بعض آثارها في افق
المغرب وهو الشفق ثم تمحى فكانها لم تكن ولما كانت هذه الاحوال امورا عجيبة لا يقدر عليها غير الله اوجب في حالة صلوة اما عند طلوع الفجر
فلنعمة زوال الظلمة وحصول اليقظة عقيب الذي هو كالحيوة بعد الموت وعند الانحطاط لتعظيم القادر على قلب احوال الاجرام العلوية والسفلية
وكذلك عند زمان الشيخوخة الذي وقت ظهور النقصانات الظاهرة عند صيرورة ظل الشيء مثله ووقت الغروب مثل وقت موت الانسان
وعند غروب الشفق كانه انمحى آثاره هكذا ذكر ولم يبين السر في الاوقات الثلثة الاخيرة غير ان قال لهذا اوجب هذه الصلوات ولعله
اكتفى بما ذكر في صلوة الظهر من ظهور قدرة القادر ولقايل ان يقول لو ذكر السر فيهما بان يقال كان مناسبا اما في صلوة العصر انه مختتم
النهار ووقت الاشتغال بالمعاملات وتحصيل مصالح الليل والاعراض عنها والاشتغال بالذكر توجه الى المعبود وصلوة المغرب
لشكر دخول وقت الاستراحة من تعب النهار ولهذا كانت اثقل الصلوات على المنافقين • ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما • اى لا تضعفوا في طلب القوم الكافرين

لتقاتلوهم

لتقاتلوهم ولا تتعللوا في التقاعد بالالم والجرح فانه يصيبهم الالم والجراحة كما يصيبكم ومع ذلك لا يتركون قتالكم فلا تتركوه فانكم
اولى بالصبر منهم لانكم تتوقعون اعلاء كلمة الله في الدنيا بوعده سبحانه بقوله ليظهره على الدين كله والثواب في الآخرة وهم مع انكارهم الحشر
يجدون في القتال فانتم اولى او انتم تعبدون الها قادرا سميعا بصيرا فيصح منكم الرجاء بخلاف عبدة الاوثان وما يقرا من فتح همزة ان
فمعناه لا تهنوا لان تكونوا تالمون وانهم يالمون علة للنهي عن الوهن قيل نزلت في بدر الصغرى وكل بعضهم الامر الى البعض والله يعلم اعمالكم
وبالحكمة شرع الاوامر والنواهي • انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله
ان الله كان غفورا رحيما • وجه الربط انه لما امر بقتال الكفار بين ان ذلك لا يجوز الخيانة معهم كما روي انه نزل في طعمة بن ابيرق سرق
درعا من جاره فكانت في جراب دقيق ينتثر منه وخباها عند يهودي فانكر وحلف انه لم ياخذها ولم يعلم حالها فعرفوا مكانها
باثر الدقيق فسال بنو ظفر ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم ان يفعل ويعاقب اليهودي
بظن انه برئ وقيل ان طعمة سقط عليه حايط بمكة فمات مرتدا وبالحق في موضع الحال اى لتضع الشيء في موضعه محقا ومعنى تحكم
تفصل وتمنع الظالم من المظلوم وبما اريك اى عرفك من الوحي ولهذا قال عمر رضي الله عنه لا يقول غير النبي عليه السلام وقيل هو الرأي
والرأي منه ايضا صواب بخلاف الامة والرؤية بمعنى الاعتقاد واذا كان بمعنى العلم فالتعبير عنه بالرؤية لان العلم اليقين المبرا عن الريب
كالرؤية في القوة والظهور للخائنين اى لاجلهم اى لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر مما هممت به من عقاب اليهودي بظن برائته
والاستغفار لا يدل على الذنب لجواز ان يشبه بالذنب لمجرد ميل الطبع بالنسبة الى النبي عليه السلام او يراد ان يستغفر لاولئك
الراضين عن طعمة ولا يستدل به على صدور الذنب من النبي لان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي فاعلا للمنهي عنه
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا • خان واختان بمعنى اى يخونون انفسهم بالمعصية وهو يجعل
الظلم على الغير ظلما على نفس الظالم باعتبار عود الوبال اليها وجمع الضمير مع ان الكلام في طعمة لارادته وامثاله او من شهد له
بالبراءة ولفظ المبالغة حمل على انه علم من حال طعمة انه كان مفرطا في الخيانة وقيل اذا عثرت من شخص على سيئة فاعلم ان لها اخوات
ولقايل ان يقول هذا لا ينهض جوابا عن قول من قال لو نفي المحبة عمن يصدر عنه ادنى خيانة لزم النفي عن المبالغ بخلاف العكس
فلا بد له من فائدة بل الجواب ان الآية تدل على ان الخيانة الواحدة والاثم الواحد لا يقتضي نفي المحبة ولو لم يذكر بهذه الصيغة لفات
هذا المعنى واستخفائهم من الناس حال الخيانة لخوف ضررهم وعدم استخفائهم من الله عدم الحياء منه مع علمه سبحانه واطلاعه على حقيقة
الحال وفيه توبيخ لكل من لا يستحيي من الله مع اعترافه بانه مطلع على السراير ومعنى يبيتون يدبرون واصله ان يكون بالليل لانه الفكر
في الامور وتدابيرها يكون فيه غالبا وما لا يرضى من القول هو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع الى دار زيد لينسب الى السرقة وتسمية التدبير قولا
مع انه كلام نفسي على التجوز بعلاقة السبب القول منه وان حمل القول على الحلف الكاذب الذي حلف بعد التثبت وهو ظاهر واحاطة الله بعلمهم يقتضي
ان لا يفوته شيء • ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم

نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ● جادلتم جملة بيّن ان اولا خبر انتم كما اذا قلت انك انت العالم يقرر المباحث
على احسن وجه وان جعل اولا موصولا فالجملة صلته والمعنى وان فرضنا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن يخاصم الله
عنهم يوم القيمة بالتخليص عن عذابه او من يتوكل عنهم بالمحافظة من بأس الله وعمل السوء القبيح الذى يتعدى الى الغير كفعل
طعمة والظلم لنفسه الحلف الكاذب وحمل السوء على ما دون الشرك وظلم النفس على الشرك او الصغيرة والكبيرة واصل
السوء ما يسوء به غيره كما قيل مجرد احتمال وفى الآية تعريض لطعمة بالاستغفار وقومه بالتوبة عن نصره لوعد الرحمة والمغفرة
على وجه المبالغة وفيها دليل على ان التوبة تقبل وان كانت عن الشرك او القتل العمد او الغصب لتناول السوء والظلم ذلك
وكونه تعالى عليما اى بما فى قلب التائب وحكيما يقتضى حكمته النجاة وزعن التائب ومن يكسب من باب عطف الاخص على الاعم
لان عمل اعم من يرمى به البرئ ام لا وحمل الخطيئة على الصغيرة والاثم على الكبيرة ورمى البرئ كرمى طعمة ولما لم يبعد ضرره عن نفسه
جى بصيغة انما وينبغى ان يحمل على الضرر الكامل والا فالمبهوت به يتضرر لا محالة وكون الاثم مبينا لجمعه بين كسب الاثم ورمى البرئ
وتبرئة النفس الخاطئة وصاحب البهتان مذموم فى الدنيا اشد الذم معاقب فى الآخرة اشد العقاب ● ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ● اى ولولا ان الله قد خصك بالفضل الذى هو النبوة والوحى
المطلع على سرهم وبالرحمة التى هى العصمة لهمت طائفة طعمة ان يضلوك بان تنسب سرقته الى اليهودى البرئ منها
فيكون المراد بالضلال الحكم الخطاء وما يضلون بذلك الا انفسهم حيث تعاونوا على الاثم والعدوان وشهادة الزور
والبهتان ولا يضرونك على فرض ان تحكم لذلك نظرا الى ظاهر الحال لا تحكم بالباطل مع علمك على خلافه وقيل وعد بالعصمة
فى المستقبل ويؤيده انزال الكتب لانه اذا امر الله سبحانه بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الضلال
وعلمك من امور الدين والشرايع او اخبار الاولين وكذلك يعلم حيل المنافقين وكيدهم اذ من الضماير والخفيات
وعظمة فضل الله على النبى عليه السلام بالنبوة التى هى اعظم انواع الفضل فان قيل ظاهر الآية تدل على عدم وقوع همّ
الطائفة لان مقتضى لولا امتناع الشئ لوجود غيره لكن الهم واقع محقق فما المعنى به قلنا نزل انتفاء اللازم المحذور منزلة
الملزوم المقتضى له وهذا اذا سلمنا ان هم الاضلال قد وقع ولم لا يجوز ان يقال انهم ما هموا الاضلال بل تحصيل مقصودهم لا غير
وما الدليل عليه ● لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ● النجوى سر بين اثنين يقال ناجيت الرجل والنجوى مصدر بمنزلة المناجاة ومعناه
الاسرار لانك رفعت الستر عنه باظهاره لغيرك وحمل على ما كانوا يبيتون من القول والاستثناء متصل اذ التقدير الا نجوى
من امر فيكون مجرورا بدلا من كثير ويحتمل الانقطاع على معنى لكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والاولى بالمعروف ان يحمل على عمل البر

وان

مطلب

وان حمل على القرض واغاثة الملهوف لانه اعم وحمل على صدقة التطوع لحمل الصدقة على الواجب وعن النبى عليه السلام
كل كلام ابن آدم عليه لا له الا من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله وايتاء الاجر العظيم مشروط بقصد التقرب الى الله تعالى
اذ الاعمال بالنيات قال عليه السلام من عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه وقرئ يؤتيه بالياء والتعبير عن الامر بقوله ومن يفعل ذلك
لان ذكر الامر بالخير يدل على فاعله فانه اذا عد آمره من الخيرين فالفاعل اولى وهذا اذا لم يحمل الفاعل على الامر فانه قد يعبر عن الامر
بالفعل ويجوز فى اعراب من الثلثة الرفع بالابتداء والنصب بفعل يفسره نؤتيه وفسر الاجر العظيم بالجنة والخلود فيها
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ●
المشاقة المخالفة فان كلا من كلام المخالفين فى شق غير شق الآخر وتبين الهدى ظهور الحق بقيام البرهان عليه ومن تولى
بعد ذلك عن الحق نخله واليا لما تولاه ونخل بينه وبين ذلك الضلال وندخله جهنم وساءت جهنم مصيرا له وفى الآية دليل على
حجية الاجماع وحرمة مخالفته لان الله تعالى جمع بين مخالفة التى هى اتباع غير سبيل المؤمنين ومشاقة الرسول عليه السلام ورتب
الوعيد عليهما وذلك اما الحرمة كلها او احدهما او الجمع بينهما والثانى والثالث باطل فتعين الاول اما الثانى فلانه يصح ان يقال
من شرب الخمر واكل الخبز وجب عليه الحد وكذا الثالث لاستقلال المشاقة بالحرمة من غير ضم شئ آخر اليه واذا حرم اتباع غير سبيلهم
وجب اتباع سبيلهم لان ترك اتباع سبيلهم اتباع غير سبيلهم ويدل على عصمة النبى عليه السلام مطلقا والايجاز منعه ممنه
وهو لكن مشاقته محرمة ويدل على وجوب متابعته تعين هذا الدليل ويعلم منه ان تصحيح الدين لا يكون الا بالدليل لانه شرط حصول
الوعيد تبيين الهدى وقرئ نصله بسكون الصاد وبالاختلاس ● ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ● ذكر الآية مرة اخرى ليس لمجرد التأكيد لان الاولى مطلقة وهذه فى قصة
طعمة كما سبق انه مات مرتدا فكانه قال ان ذلك لو لم يرتد لما حرم الرحمة وايضا تكرارها لتخصيص جانب الوعد بالقوة
دون الوعيد ولا عبرة بقول المعتزلة ان نزولها فى شيخ منهمك فى الذنوب ذكر للنبى عليه السلام انه منهمك فى المعاصى
لكنه لا يفعل جرأة ومكابرة وانه لنادم تائب يدل على تقييد الآية بالتوبة لما سبق ان العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب
الاناث جمع الانثى كرباب وربى وجمع انيث اللات وهى الحجارة والعزى سمرة ومناة صنم وعن الحسن انه لكل قبيلة صنما يدعى
انثى بنى فلان وذلك لقولهم انهن بنات الله او قولهم الملئكة بنات الله وقيل لفظ التأنيث لانفعالها او لخستها
فان الانثى من كل شئ خسيس وقيل الموات وقيل الجمادات ولما كان الشيطان هو الذى دلهم على ذلك قال ما تدعون
بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا شديد الكفر ومنه شجرة مرداء اذا تناثر ورقها جامعا بين كونه ملعونا بلعنة الله وهذا القول الشنيع
القول الشنيع بنهاية شرارته وعداوته والمفروض المقطوع الواجب من قولهم فرض له فى العطاء وفرض الجند رزقه وقيده الحسن
بكون تسع وتسعماية من كل الف للنار وذكر النصيب مع انه يشعر بالاقلية لا يشكل بذلك اذا ضم الملئكة والجن المؤمنون الى

مطلب فى وجوب اتباع الاجماع وحرمة مخالفته

الى اجل اداتهم وان قلواعدد اكثر والنصيبا قال فى الانوار قد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل

التعليل بان مايشركون به ينفعل ولا يفعل اختيارا وهو ينافى الالوهية ثم استدل بانه عبادة الشيطان وهى افظع الضلال

لانه منهمك فى الشر لايتعلق بشى من الخير فيكون طاعته ضلالا بعيدا وايضا هو ملعون بضلاله فلا يستجلب بطاعته سوى

الضلال واللعن وايضا هو فى غاية العداوة وموالاة من هذا شانه غاية الضلال • ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم

فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا

يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم جهنم ولايجدون عنها محيصا • اى لاضلنهم عن الحق ولامنينهم

من طول العمر وبلوغ الامل لاتوقع الرحمة للمذنب بغير توبة او الخروج من النار بالشفاعة كما اوله بها الذين فى قلوبهم زيغ لعمومات

الكتاب والسنة كما سبق ومن هذيانا تهم التمسك بقول ابليس حيث قال لاضلنهم ان المضل هو الشيطان لا الحق تعالى وان

الضلال ليس خلق الضلال الا ان الشيطان وصف نفسه به مع انه لايقدر على خلقه ولم يعلم التفرقة بين المضاف الى الله والى الشيطان

وتبتيك اذان الانعام شقهم اذان البحاير اذا ولدت خمسة ابطن خامسها وكذا الترك الانتفاع بها وتغيير خلق الله فقو عين

الحامى كانت العرب اذا بلغت ابله الفا عوروا اعين فحلها واعفاوه عن الركوب وقتل الخطاء وينبغى ان يحمل الاية والخبر وهو

قوله عليه السلام ليس منا من خصا ولا اختصا على الانسان لجواز ذلك فى البهايم وفاقا ومنه الوسم والوشر واللواط والسحق

ونحوها قال عليه السلام لعن الله الواشرات والمسمصات والمستوشمات والمغيرات خلق الله وقيل التخنث وعبادة الشمس والقمر

وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام قال النبى عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة قال فى الانوار واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود

على النفس كمالا ولايوجب لها من الله زلفى واتخاذ الشيطان وليا باختيار ما يدعو اليه وترك طاعة الله الى طاعته والخسران

تضييع راس المال من الفطرة السليمة المستلزمة لتبديل مكانه من الجنة بالنار ووعد الشيطان بما لاينالون اما بالخواطر

الفاسدة او بوسوسة اوليائه وعد غرور حيث يظهر النفع فيما فيه الضرر قال فى المفاتيح الذى يخطر ببالى من جهة المعنى ان الضرر والمرض

فى شى يكون بالتشويش المشار اليه بقوله ولامنينهم لان صاحبها يستعمل عقله فى استخراج الحيل فى تحصيل المطالب الشهوانية وهو

مرض روحانى وبالنقصان المراد بالتبتيك لانه نوع نقصان والانسان اذا صار مستغرق العقل فى طلب الدنيا صار ضعيف

الراى فى طلب الآخرة ويكون بالبطلان ايضا واليه اشار بقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله لان التغيير يوجب بطلان الصفة

الحاصلة فان من واظب على طلب اللذات الروحانية لايزال يشتد رغبته فيها ويقل رغبته فى الآخرة وهو تغيير الخلقة

لان الارواح البشرية انما دخلت هذا العالم على سبيل السفر وهى متوجهة الى عالم القيمة فاذا نسيت معادها والفت المحسوسات

الفانية كان تغيير الخلقة قال والانسان لايتخذ الشيطان وليا من دون الله لكن لما كان يفعل ما يامره ويترك ما يامره الله فكانه

اتخذ الشيطان وليا والمحيص المفر وهو على وجهين احدهما الورود الشامل للكل والثانى التخليد الذى هو نصيب الكفار لقرينة ذكر

من يتخذ الشيطان وليا وهم الكفار • والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا



وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا

وجه الربط بيان حكم المقابل لمن استولى عليه الشيطان على ابلغ وجه لتاكيد الوعد بالمصدر المؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية

الوعد ويجوز نصب الموصول بفعل يفسره ما بعده وعد الله منصوب بقوله سندخلهم اى نعدهم ادخالهم وحقا حال من المصدر ولغيره

وهو حقا وبيان انه وعد من لا اصدق فى مقابلة مواعيد الشيطان لاوليائه وفائدة الترغيب فى مقتضيات هذا الوعيد والاجتناب

عن تلك لكن لا بمجرد الامانى واليه اشار سبحانه بقوله ليس وعد الله ما ينال بالامانى وقيل اسم ليس وضع الدين وقيل الثواب

والعقاب فليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وهى جمع امنية افعولة من المنية والخطاب للمسلمين وذكر اهل

الكتاب لمشاركتهم اياهم فى التصديق بالوعد روى ان الفريقين افتخروا بما شرفه بنى كل منهم اليهود بالتقدم والمسلمون بختم النبوة

وكون الكتاب قاضيا على الكتب وقيل الخطاب للمشركين لتقدم ذكرهم قالوا ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقال

اهل الكتاب لن يدخل الجنة ولن تمسنا النار وجزاء السوء يعم العاجل والاجل لما روى انه لما نزل قال ابو بكر من ينجو من هذا يا رسول الله

فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك واستدل به على كون الكافر مخاطبا بالفروع

لانه يدخل فى السوء ما صدر من الكفار من المحرمات فى الاسلام وعدم وجدان الولاية والنصرة مقيدة بمجاورة مولاة الله ونصرته فى دفع العذاب

ولايجد عطف على يجز به • ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا • هذا الكلام ايضا

بيان ان الاعتماد ليس الا على عمل الصالح باعتبار انه عنوان السعادات ومن للتبعيض لان كل احد لايقدر على كل الصالحات بل على

حسب ما كلف به فلا حج على غير المستطيع ولا زكوة الا بالمال ومن الثانية لبيان المراد ممن يعمل وهو فى موضع الحال من ضميره وضمير

يظلمون لمن يعمل سوءا ومن يعمل من الصالحات او ذكره عند احدى الطائفتين يدل على ذكره عند الاخرى والمعنى انه لاينقص

من ثواب المطيع ولايزاد فى عقاب العاصى وقرئ تدخلون بالمعروف ايضا • ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع

ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شى محيطا • وجه الربط انه لايتصور

الاعمال الصالحة بدون اتباع ملة ابرهيم التى هى التوحيد المحض اى لا احسن دينا ممن اخلص نفسه لله لايعرف معبودا غيره ويعلم منه

ان كمال الايمان لايحصل الا بالتبرى من غير الله وتفويض الامور اليه وحسبه من استعان بغيره كعبدة الاصنام بها والدهرية

بالكواكب والافلاك واليهود بانهم اولاد الانبياء ومع هذه العقيدة يتعاطى الحسنات ويترك السيئات والحنيف المائل عن الاديان

كلها الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او من ابرهيم ونظيره بل ملة ابراهيم ولقايل ان يقول قد تقرر ان العامل فى الحال هو الفعل

او معناه او شبهه وهو العامل فى ذى الحال والمضاف اليه لاعامل له سوى الحرف المقدر على ما رجح ويمكن ان يجاب عنه بانه اذا قدر اللام

مثلا فى هذه الاضافة فقد صار متعلق الظرف الفعل والخليل المخالل وهو الموافق فى الخلال اى الصفات او المساير فى الخل وهو الطريق

فى الرمل او الداخل فى خلال المنازل ويقرب منه انه رد تخلل النفس وتخالطها او الذى يسد خللك كانه خلة واتخاذ الله ابرهيم خليلا

قال لا طعامه الطعام يا محمد وانه قد اصاب الناس جدب وكانوا يطلبون الطعام منه وكانت له الميرة من صديق له بمصر فبعث اليه فى طلبها

فقال لو كان ابرهيم يطلب لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابرهيم عليه السلام ساءه الخبر وغلبه النوم وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم واشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله لا من عند خليلى المصرى وقيل لانه سمع ذكر الله
من ملك بصوت نحى وبذل جميع الاموال والاولاد لذلك الملك حتى يسمعه كرة اخرى فقال البشر فاى ملك لا احتاج الى ذلك واتخذه الله خليلا
قال فى المفاتح ان جوهر الروح اذا كان مضيا مشرقا قليل التعلق باللذات الجسمانية وانضم الى ذلك التخلص عن الكدورات والاستنارة
بالمعارف الالهية وصار متوغلا فى عالم القدس والطهارة عن العلايق بحيث لا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك ولا يسكن
ولا يمشى الا الله وكان نور الله يسرى فى جميع قواه الجسمانية وتخلل فى جواهرها ومثله حقيق بان يكون خليل الله واليه اشار النبى عليه السلام
اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى عظمى نورا وفى مخى نورا وفى عصبى نورا ووجه ربط ولله ما فى السموات انه اذا كان
الكل لله خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء لا لانه اتخذ ابرهيم خليلا لحاجة اليه او انه متصل بذكر الكمال ففيه بيان وجوب طاعته
على اهل السموات والارض فكيف والله سبحانه محيط بعلمه وقدرته فيجازيهم على اعمالهم من الخير والشر ● ويستفتونك فى النساء
قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين
من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ● وجه الربط الاجتناب عن سيئات الاعمال
وعمل الصالح فى شان النساء اى يسئلونك الفتوى فى ميراث النساء لما روى ان عيينة بن حصين قال للنبى عليه السلام اخبرنا انك
تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام هكذا امرت والافتاء
تبيين المبهم وما يتلى يجوز الرفع والنصب والجر ان يعطف على اسم الله او ضميره المستتر فى يفتيكم وان لم يولد بالمنفصل للفصل
فالافتاء مسند الى الله او الى القرآن من قوله يوصيكم الله باعتبارين مختلفين نحو اغنانى زيد وعطاؤه او مبتداء وفى الكتاب خبره
والمراد به اللوح وتكون الجملة مستانفة لتعظيم المتلو عليهم فان رعاية العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظايم الامور والمخل بها
ظالم متهاون بما عظمه الله والنصب على تقدير ويبين لكم ما يتلى والجر بالقسم اى اقسم بما يتلى عليكم ولا يصح العطف على الضمير المجرور فى فيهن
اما من جهة اللفظ فلعدم اعادة الجار واما من جهة المعنى فلانه يلزم ان يكون الافتاء فى شان المتلو مع انه ليس السؤال عنه وفى يتامى
متعلق بيتلى اذا عطف الموصول على ما قبله والمعنى يتلى عليكم فى شان النساء وان لم يعطف فهو بدل من فيهن ويجوز ان يكون صلة
يفتيكم والمعنى ان الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء وقيل الاضافة مقدرة بمن لانه من اضافة النوع الى الجنس وفيه نظر
ولعل الوجه تنزيل بعض النوع بحسب صفة زائدة لنوع من الجنس وما كتب لهن هو المفروض فى الميراث وان تنكحوهن يصح تقديره بفى
وعن لانهم كانوا ينكحوهن ان كن جميلات ويعضلوهن ان كن موسرات طمعا فى ميراثهن ويصح عطفه على لا تؤتونهن وان يكون الواو
للحال والمستضعفين عطف على يتامى النساء لانهم كانوا يحرمون القبيلين عن الميراث وقيل هم العبيد والاماء اى احسنوا اليهم
ولا تكلفوهم فوق طاقتهم وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف على يفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا اذا جعلنا فى يتامى صلة احدهما



والا فيتعين نصبهما عطفا على محل فيهن اذا جعلنا فى يتامى بدلا عن فيهن ويصح ان ينصب بمثل يامركم ان تقوموا ويحتمل ان يرفع
بالابتداء وخبره محذوف اى خير لكم ثم ان كان الخطاب للائمة فالمراد ان ينظروا فى امرهم ويستوفوا حقوقهم وان كان للمنصوب الحاكم
فلرعاية النصفة فيهم وتمام الاية وعد للممتثل امر الله ووعيد لمن يخل به والاستدلال للحنفية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة
لانه لا يلزم من الرغبة فى النكاح جريانه فى حال الصغر بل اذا بلغن ويدل عليه ان النبى عليه السلام فرق بين ابن عمر وبين عثمان بن مظعون
وقال انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها ● وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ● ارتفاع المرأة بخافت مضمرا
مثل وان احد من المشركين استجارك والخوف على ظاهره وفيه معنى التوجع بظهور اماراته مثل ان تقول انك دميمة او اريد ان
اتزوج شابة وما قيل انه بمعنى علمت او ملئت خلاف الظاهر من غير ضرورة والبعل الزوج واصله السيد سمى به لانه كالسيد بالنسبة
الى المرأة والنشوز ان يتجافى عنها ويمنعها نفقتها ونفسه او يوذيها بشتم او ضرب والاعراض تقليل المحادثة والموانسة وحينئذ
لا جناح عليهما فى ان يتصالحا بترك بعض المهر او القسم او الاشتمال بهبة شئ وقرئ تصلحا من اصلح بمعنى اصطلح وتصالحا ويصلحا
بمعنى يتصالحا وتصطلحا وعلى القراءات صلحا مصدر كل من الافعال والصلح خير من الافتراق او النشوز والاعراض والصلح من جملة
انواع الخير كما ان الخصومة من انواع الشر روى ان سودة وهبت نوبتها من عائشة حين احست بان النبى صلى الله عليه وسلم
هم بطلاقها وقالت امرأة هم زوجها بطلاقها لا تطلقنى ودعنى اقوم بالولد واقسم لى فى كل شهرين فاقرها وهذه الجملة
واحضرت الانفس وقعتا معترضتين للترغيب فى المصالحة والعذر فى المماكسة فان الشح غاية البخل وقد جعل حاضرا للنفس
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنه وترك قسمها ولا الرجل يكاد يسمح نفسه بان يمسكها اذا كرهها وان تحسنوا بالاقامة معها
كارها لها صابرا عليها لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض والايذاء فان الله خبير باعمالكم فيجازيكم عليها روى ان امرأة عمران
ابن حطان الخارجى اجالت فى وجهه نظرها يوما وكان من اقبح الناس وهى افصحهم فقالت الحمد لله على انى واياك من اهل الجنة اما انت
رزقت مثلى واما انا فللصبر والشكر والصلح جنس محلى وفى استغراقه خلاف وقد حمل على المعهود وهو الصلح بين الزوجين
وعلى العموم قال فى المفاتح والاول اولى لئلا يبقى مجملا ولقائل ان يقول اذا حمل على العموم فلا اجمال لان الاجمال فى الاصطلاح هو
استعمال المشترك بغير قرينة وايضا اذا حمل على العموم تناول كل الافراد فلا تردد للذهن وقصد بذلك ابطال قول بذلك
ابطال قول الحنفية فى صحة الصلح على الانكار والجواب من وجه آخر وهو ان الصلح اما عقد ولا يتصور مع الانكار واما حط وهو مشروط
بسلامة باقى الدين فلا يتصور مع الانكار ● ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ●
نفى الاستطاعة من رعاية العدل على وجه التاكيد لان التسوية على وجه لا يقع زيادة ولا نقصان فى المثل فذلك غير مقدور
وقيل ان تعدلوا فى المحبة ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم بين النساء ويقول هذا قسمى فيما املك فلا تاخذنى فيما تملك

ولا املک فلهذا رفع عنا بشرط بذل المجهود فی رعایة التسویة وهی مشکل جدا فیما اذا کن متقاربات فی الحسن فکیف اذا کان
ببعضهن دمامة فیکون المیل الی بعضهن اکثر وحینئذ لا یجوز ان یمیل کل المیل بان یجور علی المرغوب عنها کل الجور فان
ترکه مقدور وتمسکت المعتزلة بعدم جواز تکلیف ما لا یطاق والجواب بمسئلة العلم والداعی والمعلقة هنا ان تصیر کالتی لیست
بزوجة ولا مطلقة وینبغی ان یحمل المیل فی قوله علیه السلام من کانت له امرأتان یمیل مع احدیهما جاء یوم القیمة وشقه ساقط
علی اثر المیل وهو الجور روی ان عمر رضی الله عنه بعث بمال الی ازواج النبی علیه السلام فتحیرت عایشة هل ارسل الی کل الازواج
فاخبرت بتخصیص القرشیات فقالت ارفع راسک فان النبی علیه السلام یعدل بیننا فی القسمة بماله ونفسه فاتم لهن جمیعا
وان تصلحوا ما سبق من المیل الی البعض وتتقوا فیما یستقبل ادرکتهم مغفرة الله ورحمته وان فارق کل صاحبه برزق کلا منهما
زوجا خیرا من الزوج الاول وعیشا خیرا منه من غناه وقدرته والواسع الغنی المقتدر وهو الحکیم المتقن فی احکامه وافعاله وقیل
فیما حکم ووعظ وعدم تقیید الواسع ببعض الامور انه واسع فی عامة صفات الکمال وذلک لانه اذا کان ما عدا الحق تعالی ممکن لذاته
مفتقر الیه فی الوجود والبقاء فهو واسع العلم والقدرة والحکمة والرحمة والفضل والجود والکرم والیه الاشارة بقوله سبحانه
ولله ما فی السموات وما فی الارض ولقد وصینا الذین اوتوا الکتاب من قبلکم وایاکم ان اتقوا الله وان تکفروا فان لله ما فی
السموات وما فی الارض وکان الله غنیا حمیدا ۰ قسم الکتاب بجنس الکتب المنزلة والذین اوتوه بالیهود والنصاری
وفیه نظر لانهم ما اوتوا جمیع الکتب اللهم الا ان یشمل التوریة والانجیل علیهما وهو غیر معلوم او انهم عرفوا غیرهما فیمکن ان یشملهما وغیرهما
ویصح تعلق الظرف بوصینا وباوتوا وایاکم عطف علی الذین والتقدیر وصینا بان تتقوا الله ام بک الخیر ویصح جعلها مفسرة
لان الایصاء فی معنی القول ومعنی وان تکفروا انا قلنا لمن وصیناه بان الله کما لا ینتفع بایمان من آمن فانه مالک الملک کله
ولیست التوصیة الا رحمة بالموصی فانه غنی عن الخلق وعبادتهم حمد فی ذاته حمدوا او لم یحمد قال النبی علیه السلام قال الله تعالی لو ان آخرکم
واولکم وانسکم وجنکم وحیکم ومیتکم ورطبکم ویابسکم کانوا علی اتقی قلب رجل لما زاد ذلک فی ملکی شیئا الخبر ولا تکرار فی ذکر
لله ما فی السموات لان الاول فی بیان انهما ان یتفرقا اغنی الله کلا من سعته والمقصود بیان سعة جوده وثانیها انه غنی عن الطاعة
والمعصیة وبالثالث اراد بیان انه قادر علی الافناء والایجاد لاعدام العصاة وایجاد المطیعین فقال ۰ ولله ما فی السموات
وما فی الارض وکفی بالله وکیلا ان یشأ یذهبکم ایها الناس ویأت بآخرین وکان علی ذلک قدیرا من کان یرید ثواب الدنیا
فعند الله ثواب الدنیا والآخرة وکان الله سمیعا بصیرا ۰ وفائدته الدلالة علی ان جمیع الموجودات باعتبار حاجتها الیه فی دوام
الوجود یدل علی غناه وکذا یدل بالنظر الی ما فاض علیها من الوجود فی الابتداء وانواع الخصایص والکمالات علی الاتصاف بکونه
حمیدا وکفی بالله وکیلا یتعلق بقوله یغن الله کلا من سعته فان المتوکل بکفایتهما وما یوسطهما یقرر ذلک ومفعول یشاء محذوف
ای یشاء افناءکم یفنکم دل علیه یذهبکم وان یشأ یأت بقوم آخرین مکانکم او خلقا آخرین غیر الانس وکان الاعدام والایجاد
مقدورین لله تعالی لانه متصف بکمال القدرة وفیه تهدید للعصاة وما روی انه لما نزل ضرب رسول الله علیه السلام علی فخذ سلمان

وقال

وقال انهم قوم هذا یدل علی انه خطاب لمن عادی النبی علیه السلام ومرید ثواب الدنیا هو الذی یجاهد للغنیمة وعند الله ثواب
العالمین فکیف یطلب من غیره الاخس وعنده الاشرف وهو سبحانه سمیع لاقوالهم بصیر بافعالهم فیجازی کلا بمقتضی قصده
لکن من یقول ربنا آتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة نال ثوابهما ومن قال آتنا فی الدنیا فما له فی الآخرة من خلاق بل لو اکتفی
بطلب ثواب الآخرة حصل له ثواب الدنیا بالتبع وفیه وعید للمنافقین وحض علی الجهاد ودخول الفاء فی جواب الشرط لا یشکل
بان الثواب حاصل عند الله سواء حصلت الارادة ام لا لان التقدیر فعند الله ثواب الدنیا والآخرة له ان اراده فیتعلق الجزاء بالشرط
یا ایها الذین آمنوا کونوا قوامین بالقسط شهداء لله ولو علی انفسکم او الوالدین والاقربین ان یکن غنیا او فقیرا فالله
اولی بهما فلا تتبعوا الهوی ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله کان بما تعملون خبیرا ۰ وجه الربط انه لما ذکر احوال النساء وما یکون
بینهم وبین الازواج عقبه باداء حقوق الله فی الشهادة ولو علی نفسه فی تلک الامور وغیرها ای دوموا واثبتوا مجتهدین فی اقامة
العدل شهداء لله بالحق ای یقیمون شهاداتکم لوجه الله ولو کانت الشهادة علی انفسکم او آبائکم او امهاتکم او اقاربکم وفسرت بالاقرار
وبان یکون الشهادة وبالا علیه او علی من یعز علیه وشهداء اما خبر ثان او حال من قوامین او صفة لهم وفائدة تقدیم الامر بالقسط
الاشارة الی ان مضایقة الانسان مع نفسه فوق المضایقة مع غیره لان العادة انه یأمر الغیر بالمعروف فاذا آل الی نفسه ترکه
وایضا القیام بالقسط دفع الضرر عن النفس واقامة الشهادة دفع الضرر عن الغیر والاول اهم وسواء کان المشهود علیه غنیا او فقیرا
لا تمتنعوا عن اقامة الشهادة میلا وترحما فانه یکون جورا وتثنیة الضمیر لارادة جنسی الغنی والفقیر المدلول علیهما بالمذکور لا لاحد هذین به
وان تعدلوا اما من العدول ای لان تعدلوا او من العدل ای کراهة ان تعدلوا فان ذلک اتباع للهوی لا للحق وان تلووا السنتکم عن
شهادة الحق وتقلبوها من لویت یده وتعرضوا عن ادائها ای ان ولیتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فالله سبحانه خبیر یعلمکم فیجازیکم
علیه ۰ یا ایها الذین آمنوا آمنوا بالله ورسوله والکتاب الذی نزل علی رسوله والکتاب الذی انزل من قبل ومن یکفر بالله
وملئکته وکتبه ورسله والیوم الآخر فقد ضل ضلالا بعیدا ۰ لعل وجه الارتباط انه لما توقف الامتثال بما امر من قبل علی کمال الایمان
امر به وخوطب به المسلمون فالمراد الدوام والثبات او الازدیاد عند من یقول انه یزید وینقص ویحتمل انه یراد ترتیب آثاره علیه
او آمنوا بان کنه عظمة الله لا ینتهی الیه عقولکم وکذلک اسرار الملئکة والکتب والرسل وان خوطب به المنافقون فالمراد بالاول الایمان
باللسان وان خوطب به اهل الکتاب فالسبب ما روی ان ابن سلام وجماعة معه قالوا یا رسول الله انا نؤمن بک وموسی والتوریة
وعزیر ونکفر بما سواه من الکتب والرسل فقال علیه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وبکتابه القرآن وکل کتاب انزل فامتنعوا فنزل
فآمنوا ولما کان ایمانهم ببعض الکتب کالتوریة والانجیل مع الکفر بالباقی کلا ایمان امروا بالایمان بما انزل من قبل باسره وما قیل ان
طریق الایمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الکتب دون بعض فیه نظر لان المشهور اختصاصها بالقرآن وتخصیص نزل
بالقرآن وانزل بغیره لانه الذی نزل منجما فی اربع وعشرین سنة ومعنی ومن یکفر الی آخره ان الکفر بکل واحد کالکفر بکل ویدل علیه تقدیم الامر
بالایمان بجمیع ذلک وقری نزل وانزل بناء المجهول وهو اخص من قبل بالارض ولعل اختصاص الثلثة بالایمان بها والخمسة بالکفر بها

لان الايمان متى حصل بالملئكة واليوم الآخر لامحالة لكنه ربما يدعى الايمان بها وينكر الملئكة واليوم الاخر والضلال البعيد هو الانحراف
عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه فان قيل الضلال البعيد اما ان يكون لازم الكفر فالمجموع من حيث هو مجموع او باعتبار الافراد
او بكل فرد فرد وعلى هذا التقدير فما فائدة العدول عما هو صريح فى ذلك الى موهم استلزامه للجميع ان كان الاول لزم ان لايكون الكفر بكل ضلالا
بعيدا وليس كذلك فان الكفر بالله هو الضلال البعيد بالتفسير الذى سبق لازما للمجموع فان من آمن بشئ من ذلك فالظاهر انه قد يعود
الى طريق الحق لوجود استعداد فى الجملة بخلاف الكافر بالجميع ولا يلزم منه ان لايكون الكفر بالله ضلالا بعيدا بل غاية ما فى الباب انه لم يصرح به هنا
ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا • قيل آمنوا بموسى ثم عبدوا
العجل ثم آمنوا بموسى بعد عوده ثم كفروا وازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام وقيل المنافقون امنوا ظاهرا وتكرر منهم الكفر سرا ثم ازدادوا
بان ماتوا عليه وقيل اليهود كانوا يشككون المسلمين وظاهره ان لايقبل توبة من تكرر منه الازدياد كما نقل عن على رضى الله عنه
انه لايستتاب المرتد اكثر من ثلث مرات وينبغى ان يحمل على الزجر كما هو مذهب غيره ولم يكن الله ليغفر لهم نفى للمغفرة والهداية والمراد نفى
مقتضيهما وهو الايمان الخالص اى الذين تكرر منهم الردة يبعد منهم احداث اسباب المغفرة والهداية ليمرنهم والفاسق الذى يتوب
ويعود ليس كذلك لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وخبر كان محذوف اى لم يكن مريدا وفى الاية دليل
على حصول الكفر بعد الايمان وهو يبطل مذهب الموافاة لانه قد جعل شرط صحة الاسلام ان يموت عليه وهو دليل على ان الله لايهدى الكافر
وهو يبطل قول المعتزلة والحمل على منع اللطف خلاف الظاهر • بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد انزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها
ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا •
فيه اشعار بان الآية وردت فيه وذكر بشر للتهكم ومحل الذين نصب او رفع على الذم وكانوا يتعززون بموالاة الكفار لاظهار الكفر
عندهم والعزة لله ولاوليائه كما قال سبحانه فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا عبرة بعزة غيرهم وتقدير ان انه لانها مخففة من المثقلة
اى نزل عليكم ان البيان كذا او الشان مفهوم جملة الشرطية وان اذا منصوب بنزل ويقرأ بالمجهول فيرتفع به والمنزل فى ذلك
واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا الآية وكان المشركون يخوضون فى القرآن بالاستهزاء فنهوا عن مجالستهم حينئذ واحبار اليهود
كانوا يفعلون بالمدينة كذلك فنهوا عن مجالستهم وكان الموافقون معهم المنافقين فقال ان جالستموهم فانكم مثلهم فى الكفر
لان الرضاء بالكفر كفر ولا يشكل بمجالسة المؤمنين مع المشركين فى مكة لعجزهم عن المنع ولهذا يجمعون فى جهنم جميعا وضمير الجمع
يرجع الى ما دل للكافرين عليه يكفر ويستهزأ او توحيد مثل وهو موضع الجمع لارادة ان عصيانهم كعصيانهم • الذين يتربصون بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم
بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا • اى الذين ينتوقعون وقوع امركم من ظفر او اخفاق هم المنافقون
سواء جعل بدلا او صفة او نصبا على الذم ومعنى الم نستحوذ الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم ونمنعكم من المسلمين بالتثبيط وما به تقاعدوا

عن

عن قتالكم من التخييلات وقصرنا فى مظاهرتهم عليكم فاشركونا فى الغنيمة ويقرأ بالنصب باضمار ان والاستحواذ الاستيلاء والاصل
استحوذ استحاذ فجاء على الاصل ومنعهم من المؤمنين تخييل ما يضعف به قلوبهم والتعبير عن غلبة المؤمنين بالفتح والظفر وغلبة الكافرين
بالنصيب لقصور حظهم على امر دنيوى خسيس بخلاف حظ المؤمنين فانه امر عظيم حقيق بان يفتح له ابواب السماء واول الآية تدل
على انه لا سبيل للكافرين على المؤمنين فى القيمة كما ذهب اليه على رضى الله عنه وقيل بالحجة وقيل بالغلبة لان العاقبة للمؤمنين واستدل بها
الشافعى على انه ليس للكافر ان يشترى عبدا مسلما وان المسلم لا يقتل بالذمى وان الكافر ان احرز مال المسلم بدار الحرب لم يملكه •
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • يحاكى صنيعهم صنيع المخادع من ابطان الكفر
واظهار الايمان والله غالب عليهم فى ذلك يقال خادعته فخدعته اذا غلبته وهو من الله الحكم بعصمة دمائهم واموالهم واعد لهم الدرك
الاسفل من النار ولم يخجلهم فى الدنيا من فضيحة وعار او يجازيهم بالعقاب على خداعهم او انه تراءى لهم نورا فى الصراط فاذا قصدوا
المشى فيه انطفى وبقى نور المؤمنين وقالوا انظرونا نقتبس من نوركم وقد سبق تحقيقه فى البقرة وكسالى جمع كسلان بضم الكاف
وفتحها اى يقومون اليها متثاقلين كالمكره على الشئ لانهم لم يقصدوا بها الا الرياء والسمعة فلا يصلون الا قليلا حين يهاجرونه
بها ولا يذكرون الله فيها الا قليلا او لا يسبحون ولا يهللون ولا يحمدون بل يشتغلون بحديث الدنيا ويجوز ان يراد به العدم
ووجه المفاعلة ان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه استحسانه ويجوز ان يكون بمعنى التفعيل نحو نعمه وناعمه يقال رات المرأة الرجل
اذا امسكتها الترى وجهه ويؤيده انه يقرأ يرؤنهم اى تبصرونهم اعمالهم حالة كونهم مترددين متحيرين من ذبذبهم الشيطان والهوى
بين الايمان والكفر وذو الحال فاعل لا يذكرون او يراؤن ويجوز ان ينتصب على الذم واصل التذبذب الذب عن كلا الجانبين
والدفع عنهما فلا تقر فى جانب واحد ونحوه يرمى به الرجوان اى الداهية ومتذبذبين ويقرأ مدبدبين بغير المعجمة اى اخذهم تارة
فى دبة اى طريقة وتارة فى اخرى وذلك اشارة الى الكفر والايمان والكافرين والمؤمنين لا منسوبين الى هؤلاء المؤمنين
ليكونوا منهم ولا الى هؤلاء المشركين ليكونوا منهم ومن يضلل الله عقيبه انما يرتبط به ان لو كان الفاعل هو الله وتفسير
الاضلال بمنع اللطف كما ذهب اليه المعتزلة خلاف الظاهر • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا • اى لا تستعينوا بهم ولا تتشبهوا بالمنافقين فى ذلك حيث يوالون اهل الاسلام
فى الظاهر والكفرة فى الباطن وقيل نهى عن موالاة المنافقين وكان للانصار حلف ومودة من قبل فنهوا عن موالاتهم
وامروا بموالاة المهاجرين والسلطان الحجة على النفاق وعن بعضهم خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فانه يرضى منك
بالخلق الحسن او لا تجعلوا لله سلطانا فى عقابكم بسبب موالاة المنافقين • ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار
ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما • للنار سبع دركات والمنافق فى اسفلها وفى الدرك بسكون الراء والفتح اكثر استعمالا وقيل هم

مطلب

فی توابیت من حدید ولعل ذلک لاجل انه فی اسفل السافلین من درجات الانسانیة وکیف لا وقد ضم بالکفر السخریة بالاسلام
واهله والمنافق هو المظهر للاسلام المبطن للکفر وتسمیة غیره بالمنافق کما فی الخبر الصحیح ثلث من کن فیه کان منافقا خالصا
فللتغلیظ کقوله علیه السلام من اتی کاهنا فقد کفر بما انزل علی محمد وسمی بذلک لانها متدارکة متتابعة بعضها فوق بعض فان تابوا
عن النفاق واخلصوا فی اسرارهم واحوالهم ووثقوا بالله کالمؤمنین واخلصوا دینهم لله ابتغاء رضوان الله فهم معدودون مع
المؤمنین فی الدارین مدرکون خیر المنزلین وسوف یؤتی کل من اتسم بالایمان علی هذا الوجه اجرا عظیما وتخصیص المؤمنین بغیر من اخلص
من المنافق واشراکه معهم لامعنی له مع امکان ارادة العموم من العام واستدل بالآیة علی ان المنافق اشر من الکافر المجاهر لانه لم یشرط له
ماشرط للمنافق من التوبة والاصلاح والاعتصام والاخلاص ثم لم یقل هم مؤمنون • ما یفعل الله بعذابکم ان شکرتم وآمنتم
وکان الله شاکرا علیما • الشکر الاعتراف بالنعمة استفهام یقرر انه سبحانه غنی عن التعذیب لانه لایتشفی به غیظا ولایدرک به نارا
ولایجلب به نفعا ولایدفع ضرا بل عقاب المذنب مقتضی حکمته التی هی الزجر عن المعاصی فمن شکر نعمة الله وآمن به لم یعذبه لان الله مثیب
علی الشکر علیم بحقه یقبل القلیل ویعطی الجزیل قیل التقدیر تقدیم الایمان علی الشکر لانه شرط الطاعات او ان الایمان شکر مفصل والاول شکر
مجمل • لایحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وکان الله سمیعا علیما ان تبدوا خیرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله کان عفوا قدیرا •
ای لایرضی الله ان یجهر احد بالقول السیئ الا المظلوم یذکره بالسوء ویدعو علیه والمستثنی من الجهر الغیر المحبوب جهر المظلوم وما قیل
یشتم بعد ان یشتم لیس بصحیح لان عقوبته التعزیر من الحاکم وما قیل ان سبب النزول شکایة رجل ضاف قوما فلم یطعموه ینبغی ان یحمل
علی وجوبه علیهم ومن ظلم یجوز ان یکون مرفوعا اذ التقدیر لایحب الجهر بالسوء الا الظالم عند من یجوز ماجاءنی زید الا عمرو بتقدیر
ماجاءنی الا عمرو وتنزیله منزلة قل لایعلم من فی السموات والارض الغیب الا الله دلیل علی عدم الاحاطة بمعناه وان لم یقدر الا جهر من
ظلم یکون منصوبا بالاستثناء المنقطع وکذا اذا قرئ علی ما یقرأ من بناء الفاعل اذ المعنی لکن الظالم یفعل ما لایحبه الله والجهر بالسوء
فی الثانی علی طریقة جزاء سیئة سیئة والله سمیع لکلام المظلوم علیم بالظالم وابداء الخیر اظهار الطاعة واخفاؤها الاسرار بها
ثم حث سبحانه علی ان العفو هو المقصود بذکر ابداء واخفاء التعقیب بکونه سبحانه عفوا قدیرا فانه یعفو عن العصاة مع قدرته علی
الانتقام فالعباد اولی بذلک • ان الذین یکفرون بالله ورسله ویریدون ان یفرقوا بین الله ورسله ویقولون نؤمن ببعض
ونکفر ببعض ویریدون ان یتخذوا بین ذلک سبیلا اولئک هم الکافرون حقا واعتدنا للکافرین عذابا مهینا والذین آمنوا
بالله ورسله ولم یفرقوا بین احد منهم اولئک سوف یؤتیهم اجورهم وکان الله غفورا رحیما • لما سبق الکلام علی طریقة المنافقین
اتبعه بمذاهب الیهود والنصاری وذلک ان الیهود آمنوا بموسی والتوریة وکفروا بعیسی والانجیل والنصاری آمنوا بهما وکفروا
بالقرآن ومحمد علیه السلام وهم یریدون ان یفرقوا بین الایمان ورسله ویتخذوا بین الایمان بالکل وبین الکفر بالکل واسطة وهی
الایمان بالبعض دون البعض ولما لم یکن بینهما واسطة سماهم الکاملین فی الکفر وحقا تاکید مضمون الجملة ای حق حقا ای کفرا کاملا
ثابتا حقا یقینا او صفة مصدر محذوف ای کفرا ثابتا لاشک فیه ولما کان احد فیه معنی الکثرة باعتبار الوقوع فی سیاق النفی

مثل

مثل لستن کاحد من النساء صح دخول بین علیه ای لم یفرقوا بین اثنین منهم فی الایمان والکفر وقیل فی التفضیل والمقصود من قوله
سوف نؤتیهم ان الایتاء محقق لامحالة وهو سبحانه غفور رحیم وفی الآیة دلیل علی اثبات العفو وعدم الاحباط للوعد المؤکد وقرئ یؤتیهم
یسئلک اهل الکتاب ان تنزل علیهم کتابا من السماء فقد سألوا موسی اکبر من ذلک فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البینات فعفونا عن ذلک وآتینا موسی سلطانا مبینا • نزل لما قالت الیهود للنبی
علیه السلام ان کنت نبیا صادقا فاتنا بکتاب من السماء جملة کما اتی به موسی وقیل الی کل احد کتاب انک نبی او تعاینه وقت النزول
وذلک تعنت منهم ولو سألوه لتبیین الحق لاجیبوا وفقد جواب شرط مقدر ای استکبرت ذلک فقد سألوا موسی اکبر منه وهو ارنا الله رؤیة
جهرة وهی صفة مصدر محذوف واسند السؤال الیهم وهو لآبائهم لانهم کانوا راضین به ولاتمسک للمعتزلة علی استحالة الرؤیة
نظرا الی انهم لو لم یکونوا ظالمین لاجیب سؤالهم کما اجیب لابراهیم علیه السلام ولما اخذتهم الصاعقة لان استحالته باعتبار ما کانوا
علیه فی تلک الاحوال التی تاتی ذکره من المقابح التی بلغت النهایة وجاوزت الغایة ولم یلزم منه امتناع الرؤیة مطلقا وقد سبق الجواب
عنه من وجوه اخر فی البقرة واتخاذهم العجل بیان کمال جهالتهم واصرارهم علی الکفر والبینات وحمل صاحب المفاتح البینات علی ما اراهم
من الصاعقة لدلالتها علی قدرة الله وعلمه وقدمه وکونه مخالفا للاجسام والاعراض وصدق موسی فی دعوی النبوة او احیائهم
بعد الاماتة او جمیع معجزات موسی وسلطان موسی تسلیطه واستیلاؤه الظاهر فانه لما امرهم بقتلهم انفسهم لاتمام التوبة تساقطت بعذرهم
علی الامتناع واطاعوه وقیل حجة ظاهرة • ورفعنا فوقهم بمیثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فی السبت واخذنا
منهم میثاقا غلیظا • وسبب الرفع انهم اعطوا المیثاق علی ان لن لایرجعوا من الدین فهموا بالرجوع فرفع الطور فوقهم لیخافوا فلا
ینقضوا المیثاق او لاجل ان یعطوا المیثاق وقلنا لهم بلسان موسی والطور فوقهم ادخلوا الباب سجدا وسبق فی البقرة تفسیره
والاعتداء فی السبت وهو الظلم فیه قیل بصید السمک وقیل من العدو والمراد النهی عن العمل والکسب فیه ای اقعدوا فی مساکنکم
فانا الرزاق وقیل ذلک علی لسان داود فان الاعتداء فیه والمسخ به فی زمن داود وقرئ علی ادغام التاء فی الدال وقرئ لا تعدوا
مبدوة العین والدال والمیثاق قولهم سمعنا واطعنا وقیل مبالغا فی شان محمد علیه السلام وقیل العهد المؤکد غایة التاکید
فبما نقضهم میثاقهم وکفرهم بآیات الله وقتلهم الانبیاء بغیر حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله علیها بکفرهم فلا یؤمنون الا
قلیلا وبکفرهم وقولهم علی مریم بهتانا عظیما • ای نقضوا العهد فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والسخط بنقضهم وفی الحذف فخامة
ذهاب الوهم کل مذهب وقیل متعلقه حرمنا علیهم طیبات فیکون التحریم مسببا عن النقض وقیل متعلقه فبظلم وهو بعید لبعده
والباء یفید التاکید کما فی فبرحمة ولایصح تعلیقه بما دل علیه بل طبع الله علیها علی تقدیر فبما نقضهم میثاقهم طبع الله علی قلوبهم بل طبع الله
علیها بکفرهم لان طبع الله متعلق بقولنا غلف لانه رد له اذ القصد انها فی اکنة لایصل الیها شیء من الذکر والوعظ او هی غلف العلم
ونحن مستقلون بتحصیله کما ذهب الیه المعتزلة اذ اذاقهم الله لباس الخزی فکذبهم وموافقتهم بان الله جعلها محجوبة عن العلم بسبب کفرهم
فصارت بالطبع غیر قابلة للتذکیر والمواعظ وقلیلا ای ایمانا قلیلا وذلک بزعمهم والا فالکفر بالبعض کالکفر بالکل او قلیلا منهم

كابن سلام واضرابه وبكفرهم عطف على فبنقضهم وبل طبع الله عليها بكفرهم جمل كالتتمة لقالوا قلوبنا او على بكفرهم وعطفا احد الكلامين
المشتملين على الكفر على الآخر لتكرر الكفر منهم بموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام او عطف مجموع مشتمل على الكفر والنهب على مجموع مشتمل
على الكفر ونقض الميثاق والبهتان العظيم النسبة الى ما لا يليق بها وهو ايضا كفر حيث انكروا قدرة الله على ايجاد الولد من غير الوالد
ويكون من عطف الاخص على الاعم وانما كان بهتانا عظيما لانه ظهر عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات مثل كلام عيسى والرطب
الجني من النخلة اليابسة مما يدل على براءتها من كل عيب • وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا
حكيما • سبق وجه العطف ورسول الله قيل من كلامهم على وجه التهكم لاعتقادهم السحر ونحوه مثل ان رسولكم او ان الله وضع ذكره
الحسن مكان القبيح لعيسى والاولى ما قيل ان التقدير اعني رسول الله لانه مقام المدح وايضا فيه الشفاعة العظيمة عليهم حيث قتلوا
من شهد الله برسالته روي ان اليهود اتفقوا على قتله واخبره الله بان يرفع الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل هو منافق دل عليه وقيل طيطابوس اليهودي
دخل اليه في طلبه فلم يجده والقى عليه شبهه وقيل على الجميع فصلب واحد وفقد واحد فاختلفوا في المفقود وقيل الشبه كان في الوجه
دون البدن قال صاحب الانوار امثال ذلك من الخوارق التي لا يستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم
على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة لا لقولهم هذا حسب ما نهم ولهم مسند اليه شبه اي وقع لهم بين عيسى والمقتول
او في الامر بزعم من قال قتل احد لكن ارجف بقتله او ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه اي ولكن شبه لهم من قتلوه وقيل قصد القتل
كان لما شتمه اليهود وامه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير وقيل كان رقيبا عليه والاختلاف ان منهم من قال انه اله لا يمكن
قتله وقيل قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقالت النسطورية صلب الناسوت اي الانسانية
وبقي اللاهوت اي الحيوانية ووافقهم طائفة اخرى من غير النصارى بناء على ان الانسان ليس الهيكل المحسوس بل انه جسم
شريف سار في البدن او جوهر روحاني مدبر له فالقتل ورد على الهيكل والنفس بقي في الحقيقة عيسى ولا يشكل بان كل انسان
كذلك فما وجه التخصيص به لان نفسه قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من انوار الملئكة
واذا كان كذلك لا تتألم بخراب البدن لانها تخلص من هذا العالم الى فسحة السموات وانوار الجلال وقالت الملكانية القتل
والصلب وصلا الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر
متولد من جوهرين وقيل المختلفون هم اليهود وهذه حكاية اختلافاتهم واما ما عليه المفسرون واهل الحق ان القتل ما وقع على عيسى
مطلقا على ما دل عليه الظاهر لان ما ذكروه لازم في كل نفس قدسية من نبي وولي فلا وجه للاختصاص بعيسى عليه السلام
والا اتباع الظن استثناء منقطع لانه ليس من جنس العلم اي لكنهم يتبعون الظن قال في الانوار يجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن النفس اليه وللقائل ان يقول لو فسر العلم بحضور صورة الشيء في العقل كان متصلا ايضا

لانه

مطلب في اسناد القتل وكيفيته

مطلب

لانه يشمل الظن وغيره ويقينا حال صفة قتلا او بمعنى متيقنين وللقائل ان يرجح الثاني مع تجوزه لانه اذا جعل صفة العلم لم يلزم من نفي
القتل المقيد باليقين نفي القتل مطلقا وهذا انما يصح لو انقسم القتل الذي هو ازهاق الحيوة الى قتل متيقن وغير متيقن ولهذا
اول بانهم ما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل من قولك قتلت الشيء علما اذا بالغ فيه علمك وبعد نفي العلم بالكلية لا ايقاعه في سياق
النفي لم يكن القول بانهم ما علموه علم تيقن الا تهكما بهم • وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا • ان
للنفي اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موته بانه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه لانه وقت معاينة الموت وانقطاع
التكليف ونظيره وان منكم الا واردها واللام موطئة للقسم لتأكيد صدور الايمان عنه ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه
لا يخرج نفسه حتى تحرك بها شفتيه قال حين قال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها
في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن ويقرا ليؤمنن به قبل موتهم بالجمع روي عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج انه ما قراتها الا تخالج
في نفسي شيء منها وقال انني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه ولا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت
ضربت الملئكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت فيقول آمنت انه عبد ونبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا
فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه فقال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي فقال ممن
قلت حدثني محمد بن علي الحنفية قال اخذتها من عين صافية او من معدنها وفائدة الاخبار به التحريض على الايمان في وقت ينفع والزام
الحجة وقيل ضمير موته لعيسى ايضا اي يؤمن به اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه لا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
اذا نزل من السماء آخر الزمان وقيل يحييهم الله في قبورهم حينئذ فيؤمنوا به حين لا ينفعهم وقيل الضمير لله وقيل لمحمد وشهادة عيسى على اليهود
يوم القيمة انهم كذبوه وعلى النصارى انهم عبدوه او انه بلغ الرسالة قال في المفاتيح ولا يشكل بانه لا يكون نبيا وقت النزول لان النبي عليه السلام
خاتم الانبياء والا لزم عزل الانبياء لان نبوته انقطعت ببعثة محمد عليه السلام • فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما •
لما عدد قبائحهم عقبها بتشديد الدنيا والاخرة عليهم الباء متعلقة بحرمنا وتقديم المعمول لفيد الحصر اي ما حرمنا عليهم الا بظلم عظيم منهم التكبير
وهو الكفر وكبار الذنوب وتلك الطيبات هي المذكورة في قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا وكذا حرمت عليهم الالبان وكان يحرم عليهم
بكل ذنب شيء من الطيبات والكثير صفة المصدر والصد وكان الربوا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا ياخذونه بعد ان نهوا عنه والاكل
بالباطل بالرشى الماخوذة على التحريف وغيرها من وجوه التحريم وفيه دليل ان النهي للتحريم والاعتداد للكافرين يدل على القرف عمن تاب منهم
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما • الراسخ الثابت قيل هو الذي قيل النهي علما وهم عبد الله بن سلام واصحابه فانهم المؤمنون
يعني المؤمنون منهم ومن المهاجرين والانصار يؤمنون بالمذكور وهو خبر الراسخين والمقيمين نصب على المدح وطعن الكسائي فيه
لانه لا يكون الا بعد تمام الكلام والجواب ان الخبر يؤمنون وانه تام لا يجوز ان يعترض بالمدح بين الاسم والخبر ومن قال هو غلط من الكاتب فهو

العالط على هذا او بما انزل اليك والمراد الانبياء اى يؤمنون بهم وبالكتب وما يقرأ بالرفع فللعطف على الراسخين او ضمير يؤمنون
وصح الفصل ورفع المؤتون لبعض الاحتمالات ولما كان المقصود الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع قدمه على غيره
ووصف الراسخين بالامور المذكورة اشارة الى كونهم كاملين فى العلم للجمع بين العلم بالاحكام الشرعية والعمل بها والعلم بالله وصفاته والمبدا
والمعاد. انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا داود زبورا. لما سال اليهود النبى عليه السلام ان ينزل عليهم كتابا من السماء على وجه
العناد لا الاسترشاد احتج عليهم بان الوحى الى محمد عليه السلام كالوحى الى ساير الانبياء والطريق الى نبوتهم المعجز ولكل منهم نوع على التعيين
وليس لكل واحد منهم كتاب بتمامه مثل ما انزل على موسى فبطل ما قالوا لو كنت نبيا لنزل عليك كتابا بتمامه دفعة والحاصل انه اذا تم دليل على المطلوب
فطلب دليل آخر اظهار للتعنت والزبور نزل على داود بزعمهم ايضا ولم ينزل دفعة وتخصيصهم بالذكر للتعيين وتقديم نوح لانه اول اولى العزم
وتقديم عيسى على ساير الانبياء المذكورين لانه آخرهم والباقون اشراف الانبياء المشاهير وقرئ زبورا بالضم بمعنى المزبور كالركوب
والحلوف. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما. اى ذكر الله طايفة من الانبياء على سبيل التفصيل والاكثرين غير المذكورين ثم خص
موسى بالتكليم دون غيره وكما لا يلزم من هذا التشريف لموسى القدح فى نبوتهم فكذلك لا قدح فى عدم نزول كتاب بتمامه على محمد عليه السلام
وان انزل على موسى وهو منصوب بفسره قصصناهم او البدل من رسلا او للمدح او الحال من اوحينا وهو جواب عن شبهة اليهود فى انه لم ينزل
كتاب بتمامه بل انزله مدرجا اوفق للحكمة لانه اذا انزل دفعة كثرت التكاليف ولهذا تمرد قوم موسى عن القبول يعنى انما بعث الرسول لينبههم الامم
عن الغفلة فلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا ولا اشكل بان نصب الادلة الموصلة الى المعرفة يمنع من ان يكون لهم حجة قبل الرسل لان فى
الارسال ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لقصور الاكثر عن جزئيات المصالح فكيف بالكليات وفيه دليل على ان وجوب معرفة الله تعالى
لا تثبت الا بالسمع لان التقييد بقوله تعالى بعد الرسل يدل على ان قبل الرسل للانسان حجة فى ترك الطاعات ونحوه وما كنا معذبين الاية
ولا تمسك للمعتزلة على ان العبد قد يحتج على الله تعالى لان المراد ما يشبه الحجة ولان تكليف ما لا يطاق غير جايز لان عدم الارسال اذا اصلح للعذر
فعدم القدرة اولى والجواب مسئلة العلم ومتعلق اللام ارسلنا او مبشرين ومنذرين وللناس او على الله خبر كان يقدم على اسمها وهو حجة
والآخر حال ولا يصح تعليقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وعزة الله يمنعه من ان يمنع عما يريده وحكمته دبر امر النبوة وخص
بنوع من الوحى. لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا. الاستدراك بحسب ما فى اللفظ
ان قوله سبحانه انا اوحينا اليك فى جواب اهل الكتاب انكار نزول كتاب على النبى عليه السلام تعنتا دل على انهم يشهدون لكن الله يشهد
وقيل قالوا بعد قوله تعالى انا اوحينا لا نشهد بل قال اهل مكة سالوا عنك اليهود فقالوا ما نشهد لك وشهادته سبحانه اثبات نبوته بالقران
وساير المعجزات وشهادة الملئكة المعلومة بشهادة الله شهادتهم بحقيته وصدقه ومعنى بعلمه ملتبسا بعلمه الخاص وهو بالثقة
على وجه الاعجاز والجملة بيان للشهادة او انزله عالما بانك تستحق الانزال عليك وانك تبلغه او بما علم من مصالح العباد او عالما بانه محفوظ

من الشيطان ويكفى شهادة الله تعالى بانزال المعجز الذى هو القرآن وقيل هو كقولك كتبت بالقلم وقولهم فى التصنيف صنفه بكمال علمه
وقيل الباء زائدة والمعنى اذا شهد الله وملائكته فاتى مبالاة بانكار اخس الناس وهم اليهود. ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك
على الله يسيرا. هم اليهود صدوا الناس عن الدين بانكارهم نبوة محمد عليه السلام وضلالهم البعيد انهم ضلال ولا يعرفون
ضلالهم ليتوقع رجوعهم بل جعلوه وسيلة الى نيل الحطام وتعدى الضلال منهم الى غيرهم والذين كفروا بالله وكفروا بانكار نبوة
محمد عليه السلام وقولهم انه ساحر لم يكن الله ليغفر لهم وقيل هم اليهود وظلمهم الاصرار على الجحود فهم قد جمعوا بينهما حسد اللعرب وبغيا
ولا عبرة بقول المعتزلة على ان بعضهم اصحاب الكفر وبعضهم اصحاب الكباير للحمل على انه لا يغفر لهم الا بالتوبة لما سبق من امكان المغفرة
بدونها لانه قد صح الحمل على المعهود السابق وهم قوم قد علم الله موتهم على الكفر فيحتمل ان يقول لا حاجة الى الحمل على ذلك والتقييد باشتراط
التوبة وان حمل على العموم فعدم المغفرة بمعنى استحقاق الخلود متقيد بالتوبة ان حمل على الكفر لما بينا ان الكباير يجوز مغفرتها من غير التوبة
لعموم نحو ان الله يغفر الذنوب جميعا وخالدين نصب على الحال لان لا يهديهم فى قوة تعاقبهم والمعنى لا يهديهم يوم القيمة غير طريقها
وهو يسير عليه اذ لا مانع منه وابدا نصب على الظرف. يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله
ما فى السموات والارض وكان الله عليما حكيما. الحق هو الدين والشرع او جاء محقا لما اجاب عن شبه اليهود ذكر خطابا يعمهم
وغيرهم فى الدعوة الى الدين فان قيل ما فايدة قوله سبحانه من ربكم ومن المعلوم انه سواء كان المراد المعجزة او الدعوة الى الله والاعراض
عن غيره لا يكون الا من عند الله قلنا لعل المقصود الترغيب فى القبول بتذكير نعمة التربية لا سيما بافاضة العقل المطلع على درك الحق
بالالتفات اليه وخيرا منصوب بمضمر اى اقصدوا خيرا لكم وهو الايمان وعلم بالنهى عن الكفر والتبكيت وان تكفروا فان الله غنى عنكم
وعن عبادتكم بان له ما فى السموات والارض وهو مع ما تركنا منه واشتملنا عليه استدركه صاحب الانوار وفيه نوع مجاز فليتفطن منه
او انه قادر على تعذيبكم او له عبادة يعبدونه وهو عليم لا يخفى عليه اعمالكم حكيم لا يضيع حقكم. يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة
انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا. لما غلت النصارى برفع عيسى عليه السلام
عن مقام العبودية الى الالوهية واليهود بالحط عن رتبة النبوة خاطب الفريقين بالنهى عن الغلو افراطا وتفريطا وهو اولى من جعله
خطابا للنصارى بقرينة ما بعده لانه اشمل وسبق بيان المسيح والحق الذى امر بان يقال على الله التنزيه عن اتخاذ الصاحبة والولد
وفى ذكر عيسى بكونه ابن مريم رد على النصارى وفى رسول الله رد على اليهود وسبق ذكر كونه كلمة الله فى آل عمران وكونه روحا من الله
لان له روحا بغير اب بل بنفخ جبريل وهو روح القدس والروح النفخ عند العرب فان الروح والريح متقاربان او لطهارته لجرى العادة بوصف الطاهر
او لكونه سببا لحيوة الخلق كما سمى القرآن به او لانه رحمة ومنه وايدهم بروح منه قال عليه السلام انا رحمة مهداة وقوله وروح منه
بيان تفصيله وتشريفه والتنكير للتعظيم فآمنوا بالله وبان عيسى من رسل الله ولا تقولوا ان واحد بالجوهر ثلثة بالاقانيم اى الاصول

مطلب ان الروح النفخ عند العرب

مطلب فى اقانيم الثلثة

اقنوم الاب اى الذات واقنوم العلم الابن واقنوم روح القدس الحيوة ولا يخفى انهم وان قالوا انها صفات لكنهم مثبتون فى الذوات
القايمة بانفسها والا لما جوزوا عليها الانتقال والحلول ويدل عليه قوله سبحانه ثلثة انتهوا اذ التقدير الله ثلثة وقال لعا أانت قلت
للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لان اثبات العلم والحيوة لله كاثبات القدرة والعلم ولا خلل فى ذلك وانتهوا خيرا فى النصب
مثل فآمنوا خيرا وقيل حال عن المصدر اى انتهوا الانتهاء خيرا لكم او انتهوا انتهاء خيرا لكم واكد التوحيد بقوله تعا انما الله اله واحد ومعنى سبحانه
اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد ثم نزه نفسه عن الولد بقوله ما فى السموات والارض وقد سبق وجه المنافاة فى البقرة لا سيما وذلك من
خواص الاجسام بين الولد الملك والملك وانما كفى الله وكيلا لانه لما استقل بالعلم والقدرة فى الالوهية كان فرض اله آخر ضايعا
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا •
قيل نزلت لما قال وفد نجران للنبى عليه السلام لم تعيب صاحبنا بقول عبد الله قال انه ليس بعيب لعيسى ان يكون عبد الله اى لن يانف
واصله فى اللغة نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك اى لم يمتنع ولم يرتفع عن العبودية قال صاحب المفاتيح هذا جواب عن شبهة النصارى
فانهم عولوا على اثبات كونه ابن الله بانه يخبر عن المغيبات وكان ياتى بخوارق العادات من الاحياء وغيره فقال تعالى لن يستنكف المسيح
بهذا القدر فان الملئكة المقربين اى من رحمة الله ومحل كرامته اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح وثمانية منهم تحمل العرش مع عظمته
واحتج به من زعم ان الملك افضل لان مساقه لرد النصارى فى نفى العبودية عن المسيح وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى حالا
من المعطوف عليه ليدل عدم استنكاف الملك على عدم استنكاف المسيح ونظيره قول القايل وما مثله من يجاود حاتم • ولا البحر ذو الامواج يتحج زاخره
فانه قصد بالبحر الموصوف من هو اعلى من حاتم فى الجود ويقرأ عبيد بالتصغير والملئكة عطف على المسيح او اسم يكون او عبد نظرا
الى وصف العبودية نحو مررت برجل عبد ابوه والاول اولى لانه اقرب الى المقصود الذى هو ان المسيح لا يانف هو ولا من هو اعلى منه
موصوفين بالعبودية او ان يعبد هو ومن فوقه قال صاحب الانوار الجواب ان الرد على عبدة المسيح والملئكة فلا يتجه ذلك وان سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة فى التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد
التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملئكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملئكة على المسيح وذلك لا يستلزم
افضلية احد الجنسين على الآخر وهذا التقرير وان كان قد بلغ الغاية القصوى فى الحسن لكن فيه نظر فان لقايل ان يقول يلزم منه
اثبات مذهب بين المذاهب الثلثة تفضيل الملك مطلقا وتفضيل الكمل من البشر مطلقا وتفضيل الملئكة العلوية مطلقا لكن
مقتضى الكلام ما ذكره ولا يشكل بان التقدير ولا الملئكة بان يكون عبدا اذ التقدير ولا كل واحد او ولا الملئكة المقربون ان يكونوا
عباد الله وفى الآية دليل على اختلاف مراتب الملئكة فى الفضل والشرف والاستكبار اقبح من الاستنكاف اى من يترفع عن العبادة
ويستكبر عنها فيجازيهم الله بعد ان يحشرهم اليه والاستنكار لا يقال الا حيث لا استحقاق بخلاف التكبر • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
تفصيل للثواب والعقاب الحاصلين للفريقين حيث اشعر به الكلام السابق ولا يرد عليه ان التفصيل لا يناسب المفصل لانه المناسب



ان يذكر كل من المستنكف والمستكبر مقابلها والمفصل لم يشتمل عليهما لان ذكر كل منهما يشعر بالمقابل له كما احذف احدهما فى قوله
فاما الذين آمنوا واعتصموا به وايضا ذكر الاحسان الى غيرهم مما يسوءهم فيكون من جملة التنكيل بهم وتهوا قدم ثواب المطيعين
على عقابهم لان مشاهدة الثانى بعد الاول اشد • يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما • لما اشتمل الكلام السابق على ذكر فرق
الباطل والجواب عن شبههم والدعاء الى اتباع الحق اقتضى ذلك ان يذكر ما يرشد الى الحق فقال قد جاءكم برهان وهو النبى عليه السلام
لان شانه اقامة البرهان على تحقيق الحق ونورا مبينا وهو ما بينه من الكتاب المعجز وهو اولى من جعلها صفة القرآن لان الاصل فى
العطف التغاير بحسب الذات ايضا وقيل هو الدين والمراد بالذين آمنوا اى امنوا بالله ذاته وصفاته واسمائه وافعاله واحكامه
واعتصموا فى ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان والرحمة هو الثواب المتفضل عليه والصراط المستقيم هو طريق
الاسلام وقيل الرحمة الجنة والفضل ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وفى المفاتيح ان الرحمة والفضل ما فى الجنة من المنفعة والتعظيم
واما الهداية فالسعادات الحاصلة بتجلى انوار عالم القدس والكبرياء فى الارواح البشرية واخر ذكرها عن القسمين الاولين للاشعار
بافضليتها • يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها
ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله
لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم • لما اشتمل اول السورة على ذكر الميراث ختم آخرها به للتناسب والاستفتاء هنا ما روى جابر
ان النبى عليه السلام عاده فنفخ فى وجهه فافاق وعنده سبع اخوات فقلت يا رسول الله أأوصى لاخواتى فقال احسن فقلت الشطر
فقال احسن ثم خرج وتركه ثم دخل عليه فقال يا جابر لا اراك تموت فى مرضك هذا ان الله قد انزل فبين الذى لاخواتك الثلثين وقيل انها آخر ما نزل
احتاجكم آخذ من ميراثها وعامل امرؤ هلك المضمر المفسر بالمذكور وليس له ولد صفته والمراد بالولد الابن وان كان يطلق على البنت ايضا
لان البنت تسقط به بخلاف العكس الا عند ابن عباس وبالاخت من الابوين او الاب لا التى من الام لان الله فرض لها النصف واخوها
عصبة لها وولد الام له السدس ذكرا كان او انثى ان لم يكن لها ولد اى ابن لان الاخ يسقط به لا بالبنت وعدم ذكر اسقاط الوالد الاخ
كالابن للحوالة الى السنة هذا وان الكلالة تشمل انتفاء الولد وضمير المثنى والجمع يرجع الى من يرث بالاخوة وتانيث المثنى وجمعه على طريقة من كانت
امك نظرا الى الخبر والاخوة شاملة للاخوات على طريقة التغليب وان تضلوا منصوب على العلة اى كراهة الضلال وقيل حرف النفى محذوف
اى لئلا تضلوا مثل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والله بكل شئ عليم فيكون بيانه حقا قال فى المفاتيح اشار فى اول السورة بقوله سبحانه
خلقكم من نفس واحدة وفى آخرها الى العلم لانه بهما يثبت الالوهية والربوبية والجلال والعزة وبهما يجب على العبد ان يطيع والله اعلم

## سورة المائدة مدنية وآيها مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله
يحكم ما يريد • الوفاء اتمام وفاء العقد بفعل ما عقد عليه وقيل القيام بمقتضى العهد يقال وفى بالعقد واوفى به ومنه الموفون بعهدهم

وجه الربط انه لما عم اليهود والتكاليف من الاوامر والنواهي بين الاحكام التي يجب الوفاء بها والعقد وصل الشيء باخر على سبيل
الاستيثاق والعهد الزام العقد على سبيل الاحكام ولما كان من جملة معاني الايمان معرفة احكام الله ووجوب الانقياد لجميع
اوامره ونواهيه كان ذلك من الامور المعتبرة في الايمان كانه قال يا ايها الذين آمنوا التزمتم بايمانكم انواع الطاعات او فوا بتلك العقود
وهي ما عقدها الله من مواجب التكليف او ما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات او ما عقد عليهم في دينه من تحليل حلاله
وتحريم حرامه قال في الانوار ولعل المراد الاعم مما يجب الوفاء به او يحسن ان حمل الامر على الاعم واصله العهد الموثق شبه بعقد الحبل قال
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا العناج الحبل الذي يعقد على اسفل الدلو والكرب الحبل الذي
يعقد على عراقيه احلت استيناف وقيل تفصيل العقود والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر على فلان وقيل ذات الاربع
بحريا كان او بريا والاضافة للبيان نحو خاتم فضة اي البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية في آخر الانعام والحق بها الظباء
وبقر الوحش ولا يدخل فيها ذوات الحوافر لعطف الخيل والبغال والحمير عليها وقيل اجنة الانعام وقيل هما المرادان ونحوهما مما يشابهها
في الاجترار وعدم الناب فالاضافة للملابسة غير نصب على الحال من لكم اي احلت لكم غير محلين الصيد وقيل عن اوفوا بالعقود
وحرم اي محرمون او في الحرم حال من محلي الصيد اي احللنا لكم في حال امتناعكم عن الصيد والمستثنى هو المذكور في قوله حرمت عليكم
الميتة الى آخره وحرم مثل جنب وقيل جمع حرام وان كنتم جنبا ويعلم حرمة الصيد على المحرم والصيد يحتمل المصدر والمفعول والله
يحكم ما يريد من الاحلال والتحريم لانه مالك الاشياء ولا اعتراض عليه لا انه يجب عليه رعاية الاصلح • يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر
الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا • وجه الربط انه من جملة
التكاليف التي يجب الوفاء بها وهي جمع شعيرة وقيل شعارة والفعيلة بمعنى المفعلة وهي المعلمة وهي اسم ما جعل علما للنسك
من مواقف الحج ومحل الرمي والطواف والسعي واعمالها والحلق والنحر وقيل دين الله كقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله وقيل
فرايضه وقيل ما يحرم في الاحرام لما روي ان الحطم من اليمامة دخل على النبي عليه السلام وخرج واستاق سرحها فلم يدركوه فسمع النبي
عليه السلام عام العمرة تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطيم واصحابه وكان قد قلد ما نهب واهداه الى الكعبة فلما توجهوا
في طلبه نزل وقيل الاعلام التي يميز بها بين الحل والحرم اي لا يتجاوزوها والشهر الحرام شهر الحج والمنهي القتال فيه او النسيء
والهدي ما اهدي الى البيت تقربا الى الله جمع هدية والقلائد جمع قلادة ما يقلد به الهدي نحو نعل او لحاء شجر كذا كان في عهد
النبي عليه السلام والمراد ذوات القلائد وهي البدن والعطف على طريقة عطف جبريل والمراد النهي عن القلائد على سبيل المبالغة
للنهي عن تعرض ما قلد به مثل ولا يبدين زينتهن والمعنى لا يحلوا قاصدين والآمون المسجد القاصدون به للحج والعمرة ويقرأ
بالاضافة واحلالها التهاون بحرمة الشعاير والحيلولة بينها وبين المتنسكين بها واحداث ما يصد به الناس عن الحج
في اشهره والتعرض للهدي بالغصب ومنعه عن بلوغه محل الفضل من ربهم هو الثواب وقيل التجارة وابتغاء الرضوان
بان الله وصف المشركين لظنهم انهم على السداد وان الحج يقربهم الى الله تعالى والرضوان ان يرضى عنهم والمعنى النهي

عن

عن تعرض قوم هذه صفاتهم قال النبي عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها ولعل قول الحسن ليس فيها
منسوخ لذلك وقيل فيها ثماني عشرة فريضة قيل كان المسلمون والمشركون يحجون فنهي المسلمون عن ان يمنعوا احدا من الحج بقوله لا تحلوا
ثم نزل ما كان للمشركين وانما المشركون نجس وقيل لا تحلوا نسخ بقوله اقتلوهم • واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان
صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب
اي ذا زال محرمات الاحرام فاصطادوا وامر اباحة لا باعتبار وروده بعد الحظر لان القول مرتبط له فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا
ومعنى لا يجرمنكم يكسبنكم قال لقد طعنت ابا عبيدة طعنة • جرمت فزارة بعدها ان يطعنوا • ويجري مجراه في التعدي الى مفعول
واحد واثنين يقال جرم ذنبا كسبه وجرمته ذنبا كسبته اياه واجرمته اكسبته ويؤيده ما يقرأ بضم الياء والمفعول الاول ضمير منكم
والثاني ان تعتدوا اي تنتهوا منهم بالحاق مكروه والشنآن بالفتح مصدر اي ابغاض قوم وبالسكون بغيض قوم لان المصدر على فعلان
كليان قليل وقرئ بهما وان صدوا بالفتح متعلق به اي لان صدوكم وقرئ بكسر الهمزة اي يقع ذلك لا يحملنكم على الاعتداء ومحل ان صدوكم
النصب بالعلة وان تعتدوا مفعول به اي لا يكسبنكم بغضكم لاهل مكة لصدهم اياكم عن العمرة الاعتداء على قاصدي المسجد الحرام حذف
الجزاء لدلالة السياق ولا يجري على ظاهره لان الشرط لا يكون في الماضي ومثله اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا • جهارا ولم تغضب لقتل ابن حارم
اي ان يقع وصدهم منع اهل مكة رسول الله عليه السلام والمؤمنين عن العمرة عام الحديبية والتعاون على البر العفو والاغضاء
اي ليعن بعضكم بعضا والاثم والعدوان التشفي والانتقام وان حمل على الاعم لتناول القسمين ايضا • حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان
تستقسموا بالازلام • هذا تفصيل ما يتلى والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية شرعية كانوا يأكلونها وكانوا يقولون تأكلون ما ذبحتم
ولا تأكلون ما قتل الله ولم يعلموا الحكمة فيه وهو ان الله لطيف جدا فاذا احتبس وبعض اورث مضارا كثيرة وساير ما عطف عليها
والدم تشويه في المباعر ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له وهو على لغة طي اي لم يحرم من الضيافة من فصد له وذكر في المفاتيح
ان الحكمة في حرمة الخنزير ان اكله يورث اكتساب اخلاقه من الحرص والرعونة وتحريم ما رفع الصوت به لغير الله وهو المذبوح باسم
الصنم كاللات والعزى وما اختنق بشيء من الاسباب كحبالة الصايد او خنقوها وما وقذ اي ضرب بخشبة او غيرها حتى يموت ومنها
المضروبة بالبندقة والمجوس تفعله لانه اطيب بزعمهم والمتردية التي سقطت من علو او وقع في بئر فماتت بنطح اخرى فعيلة بمعنى
المفعول او الفاعل والهاء للتفرقة بين الصفة والاسم وقيل مثل كحيلة لانفرادها عن الموصوف وما اكل منه السبع فمات والاستثناء
قيل يعود الى الكل وقيل الى الآخر والذكاء تمام الشيء ومنه ذكاء الفهم يقال ذكيت النار تممت اشعالها وقيل من المنخنقة وقيل من التحريم
وقيل منقطع والمعنى ما ادركتم ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او رجلا تركض او ذنبا يتحرك ويسحب دما فانه لولا الحيوة لما وجد هذه
الاشياء والضابط هو بقاء حيوة مستقرة بشدة حركة والبعض ردم وعلامات اخر كالامتناع بقوته وما ذبح على الحجارة المنصوبة
حول البيت وشرح لحم عليها تعظيما لها وتقربا الى الاضياف والنصب هي ثلثمائة والنصب واحد الانصاب او الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه

وقيل جمع نصاب وتقرأ بسكون الصاد وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وهي ثلثة سهام مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر
نهاني وعلى الثالث غفل فان خرج الثالث اعيد ليعمل بخروج احد الاولين وسميت الازلام لانها زلم اي تسوي والاستقسام طلب
معرفة ماقسم له بالميسر ومنه قسمة الجزور على الانصباء المعلومة وقيل الاستقسام الزام كقسم اليمين كانهم الزموا انفسهم بما يامرهم
القداح وقيل لعاب فارس والروم للقمار ومن فسر بالشطرنج فلا بد وان يقيد بشرط المال لانه بدونه مباح ذلكم فسق اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم الاشارة الى جميع ماتقدم اولى من الآخر وان كان اقرب لانه اشمل فائدة وانما
كان الاستقسام فسقا لانه طلب لمعرفة علم الغيب بطريق التكهن وهو حرام لقوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
ومحبة النبي عليه السلام الفال ليست من هذا القبيل وان المراد اجالة الاصنام عند الازلام فهي اظهر والمراد باليوم الزمان الحاضر وما يقرب
منه من الماضي والمستقبل ومنه الآن في قوله الآن ابيض مسرتي وعضضت من نابي على جذم وقيل بعد العصر يوم الجمعة في حجة الوداع
والنبي عليه السلام على ناقته العضباء بعرفة والى هذا الوقت اشار اصيل عمر لما قال له يهودي لو نزل علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
وقيل عاش النبي عليه السلام بعده احدى وثمانين يوما ولم ينزل بعده حلال ولا حرام ويأسهم عن ابطاله او رجوعكم محللين لهذه الخبائث
او الغلبة عليه لظهور امارات ارادة الله تعالى اظهاره على الدين كله فلا ينبغي ان تخشوهم بعد ان صرتم غالبين وقد كنتم مغلوبين
واكمال الدين اما بهذا الاعتبار كما يقول الملوك بعد الغلبة التام اليوم كمل لنا الملك فلا يستدل بالآية على انه كان في الدين نقصا
وكذا ان فسر بما يحتاج اليه في التكاليف من الحلال والحرام والتوقيف على الشرايع وقوانين القياس واصول الاجتهاد لانه قد كانت
الشرايع كاملة في كل وقت بكافية فيه ثم انه لما نسخ بعضه وزيد على ما ثبت من قبل وكان الكمال الاول الى زمان مخصوص وهذا كمال الى يوم
القيمة فال اليوم اكملت لكم ولا استدل به على عدم صحة القياس لانه لم يبين في القياس التنصيص على جميع الفروع بل بيّن فيه التمكين
من الاستنباط على طريق القياس وفيه دليل على ان الدين لا يحصل الا بايجاد الله سبحانه واتمام النعمة فسرت بفتح مكة ودخولها آمنين
وابطال قواعد الكفر والاولى الحمل على حصولها باكمال الشرايع والدين لانه اعظم النعم ورضيت لكم الاسلام دينا آثرته من بين ساير
الاديان ولهذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ومن اضطر متصل بذكر التحريم وما بينهما اعتراض يؤيد لزوم الاجتناب عن
تلك المحرمات اي من اضطر الى تناول شيء منها في مجاعة تفضي الى الهلاك او ان لا يقوى على السير في السفر غير مائل الى اقتراف اثم والانحراف اليه
بان يتناولها متلذذا زايدا على قدر الرخصة وهو ما يسد الرمق ويقوى على السير فان الله لا يواخذه بذلك لمغفرته ورحمته اقتضت
هذه الرخصة يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب هذا متعلق بما تقدم في الاكل وانما صح وقوع الجملة المذكورة
من المبتدا والخبر وهو ماذا واحل او ما مبتدا وذا خبره واحل صلته بعد السؤال وهي تقع بعد القول لانه في معناه وانما قال
لهم لانه حكاية لما قالوه وقال في المفاتح الصحيح انه ليس حكاية لكلامهم لعبادتهم بل بيان لكيفية الواقعة ولو قال لنا كما يقال

مطلب فيه تصحيح باباحة لعب الشطرنج

مطلب

مطلب فيه بيان الاضطرار ورخصة تناول ما نص على حرمته

اتم

اتم او السنة او القياس وقيل المأذون في اكله وقيل المستلذ والتفسير بالحلال ضعيف اذ يصير التقدير احل لكم المحللات
ويعلم حرمة المستخبثات وهي ما لا يستطيبه اصحاب الطباع السليمة في وقت الخصب قيل سبب النزول السؤال عن اقتناء الكلاب
حين امر النبي عليه السلام بقتلها فاذن في امساك ما ينتفع بها وقيل في السؤال عما يصاد بها ومنه ما لا يدرك ذكاته وقد حرمت الميتة
وايضا كانوا يحرمون البحيرة وما عطف عليها واستدل الشافعي رحمه الله بهذه الآية سوى ما ورد في السنة وغيرها على حل لحم الخيل
ومتروك التسمية لان الاول مستطاب ومذكاة ايضا فيدخل في عموم الا ما ذكيتم وما علمتم تقديره وصيد ما علمتم عطف على الطيبات
ويجوز ان يكون ما شرطية جوابها فكلوا والجوارح جمع جارحة واصل الجرح الكسب وهي من السباع الكلب والفهد والنمر ومن الطير نحو الصقر
والباز ومكلبين مؤدبها بحيث تصير معلمة وهي التي تسترسل باسترسال صاحبه وتنزجر بزجره ليصيد على صاحبه ويعلم عدم التعلم
بان ياكل منه فان اكل مرة حرم ذلك وان اكل مرارا علم حرمة ما صاد قبله ايضا مشتق من الكلب لان اكثر ما يكون في الكلاب او لان ساير
السباع يسمى بالكلب بدليل قوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ومكلبين حال من علمتم ولا يستغنى عنها به
لانها تفيد ان المعلم ينبغي ان يكون مدربا في علمه وتعلمونهن اخرى فلعل فائدتها بيان معنى التكليب وان جعل مستانفا فكونه
بيانا اظهر وفيه اشعار بان اخذ العلم ينبغي ان يكون من المتقن المحقق فيه ومعنى ما علمكم الله من علم التكليب على الوجه الذي سبق
وهو من مقتضى العقل الذي هو موهبة الله سبحانه او ان الله عرفهم طريقه بالهام او غيره وانما يعلم انها امسكت على صاحبها اذا لم تاكل
منها كما سبق قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل ومنهم من لم يشترط ذلك ومنهم من شرط ذلك في سباع البهايم
لانها تورث بالضرب والحق التعميم كما سبق والضمير في عليه يرجع الى ما اي ان ادركتم حيوته فسموا عليه عند الذبح كما هو المندوب في غيره
او عند الارسال لقوله عليه السلام بسم الله اذا ارسلت كلبك وقيل يرجع الى الاكل اي اذكروا اسم الله عند الاكل فاتقوا الله
في محرماته او في اكل الميتة او في تحريم محرماته وتحليل حلالاته فان الله يجازي بكل قليل وكثير اليوم احل لكم الطيبات وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا
آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
المراد باليوم على ما سبق الزمان الحاضر والفايدة في ذكره ثانيا كالفايدة في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم بعد تعداد موجبات الكمال
والاكثر على ان المراد بطعام اهل الكتاب ذبايحهم لا جميع المطعومات كما قيل لان غيرها كانت حلالا قبل ان تصير لهم ومذهب الشافعي انه
لا يستثنى من اهل الكتاب الانصارى بني تغلب لقول علي رضي الله عنه ليس لهم من النصرانية الا شرب الخمر وعمم ابو حنيفة الاباحة
والصابئة والسامرة ان خالفوهم في الاصول لم تحل ذبايحهم كما لا تحل مناكحتهم وكذا المجوس لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نساهم ولا اكلي ذبايحهم والمذهب انه لا تحل الا ذبيحة من تحل مناكحته وهو من علم دخل آبائه في ذلك الدين قبل التحريف والنسخ والاسرائيلي
والمحصنات اذا حملت على الحراير فلعل ذلك للترغيب والا فالامة المسلمة يحل نكاحها والحمل على العفايف كذلك وفي الجملة يعلم حرمة نكاح
الاماء الكتابيات كيف واجتمع الكفر والرق وابن عمر كان لا يرى نكاح الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويصح نكاح

الحربيات منهن وابن عباس حرمها وابنا اجورهن الزام مهورهن ويعلم من الاطلاق ان اقل المهر لا يتقدر محصنين اعفاء
غير متخذين صدايق والخدن يقال للذكر والانثى اى غير زناة سرا وجهرا بالايمان اى شرايع الاسلام من الحلال والحرام او بالله
وانما اول لان حمله على ظاهره محال وقيل شهادة ان لا اله الا الله ومن قال بالاحباط قال معناه ان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثوابه

يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا
فاطهروا ۰ لما من الله سبحانه على عباده باحلال منافع المطعومات والمنكوحات عقبه بما هو الشكر لتلك النعمة وهو الصلوة التى
هى اعظم العبادات بعد الايمان والمراد ارادة القيام الى الصلوة لانه يجب تقديم الوضوء على القيام فهو كقوله سبحانه فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله والتعبير عن ارادة الفعل المسبب عن الارادة بالفعل للايجاز وللاشعار بانه ينبغى لمريد العبادة ان لا يخليها عن
الارادة او المراد قصدها فان القيام الى الشى متوقف على القصد ولا يخفى ان وجوب الوضوء بالنسبة الى المحدث لا غير وقيل
ذلك بالاجماع لان النبى عليه السلام صلى الخمس بوضوء بيانا للجواز ونقل عن داود الايجاب عليه الضمام ولعله نظرا الى عموم اداء
وهو غير سديد لانه اذا قال اذا دخلت الدار فانت طالق لا يفيد العموم وحمل على الندب لما روى ان النبى عليه السلام والخلفاء كانوا
يتوضؤن لكل صلوة وفى جواز حمل الامر على الايجاب للمحدث والندب لغيره خلاف عند الاصوليين ويحتمل ان يحمل على الرجحان
الشامل للقبيلين ولا يلزم استعمال اللفظ فى الحقيقة والمجاز وقيل كان واجبا لكل صلوة فنسخ وقد سبق ان المائدة من آخر
القبيلين نزولا الغسل امرار الماء وقيده مالك بالدلك والوجه ما بين منابت شعر الراس الى الذقن طولا وما بين الاذنين
عرضا والاصح انه لا يجب الاتصال الى داخل العين وان كان جزءا من الوجه كما قاله ابن عباس لما فيه من الضرر ويجب
الى منابت الشعور الخفيفة دون لحية المرأة وما بعد الى غير داخل فيما قبله وضعا بل هو للافادة العامة لا غير بل يفيد الخروج
مثل فنظرة الى ميسرة نعم قد يدخل بدليل الخارج مثل الى المسجد الاقصى ولهذا منهم من لم يوجب غسل المرفق والجمهور على الوجوب
للاحتياط حيث لم يتميز الغاية عن ذى الغاية مثل اتموا الصيام الى الليل او لان الى بمعنى مع نحو يزدكم قوة الى قوتكم وما قيل التقدير
مضافة الى المرافق ضعيف لانه لا يبقى لذكر التحديد مزيد فائدة لان اليد باطلاقها يشتمل عليها ومعنى امسحوا برؤسكم الصقوا
المسح برؤسكم وتضمين الالصاق لاقتضاء ذلك والمفسرون على انه لا يقتضى الاستيعاب وحمل مالك عليه للاحتياط وحمل
ابو حنيفة على الربع لانه عليه السلام مسح على ناصيته وقدرت بالربع والشافعى انما حمله على اقل ما يطلق لان الباء يفيد التبعيض
لما يعلم الفرق بين مسحت المنديل حيث يفهم الكل وبالمنديل حيث يفهم البعض فيكفى اقل ما يطلق عليه اسم المسح وهو غير مقدر
لان التقدير لا يكون الا بالخارج فتبقى الآية مجملة والاصل ان تكون مفيدة ولا يكفى المسح بالعمامة كما قاله احمد والاوزاعى والثورى لظاهر الآية
والخبر محمول على الاتمام بها وارجلكم قرئ بالنصب والجر فالاول عطف على ارجلكم وهو الموافق لعمل اكثر الامة لفعل الصحابة وايضا
هو محدود والتحديد جاء فى الغسل دون المسح والجر محمول على الجوار نحو وحور عين بالجر وعذاب يوم اليم وكل امر للاحتياط كمستقر وجحر
ضب خرب كثيرا ناس فى بجاد مزمل هذا او ان الغسل يشتمل على المسح فناسب مذهب من اوجب الجمع بينهما كالحسن وعند

الشعبى ان الغسل سنة والامامية على وجوب الغسل لظاهر قراءة الجر وقيدوا اعراب الجوار بضرورة الشعر وفيما يؤمن
اللبس وايضا العامل الاقرب اولى بالعمل والجواب انه كيف يمكن الذهاب الى المسح وقد قال النبى عليه السلام حين راى قوما توضؤا
واعقابهم تلوح لم يمسها الماء ويل للاعقاب من النار وهكذا روى عن على رضى الله عنه حين اشرف على فتية من قريش فراى
فى وضوئهم تجوزا وكذا نقل عن عمر وعايشة وعن عطاء انه قال لا اعلم ان احدا من اصحاب النبى عليه السلام مسح على القدمين وقرأ
بالرفع والتقدير وارجلكم مغسولة او ممسوحة والكعبان العظمان الناتيان من جانبى الساق ومن مذهبه المسح قال الشاعر
عظم مستدير مثل كعب البقر والغنم تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم واليه ذهب محمد وسند المذهب ان مناط
التكليف يجب ان يكون شيئا ظاهرا فيكون الكعب ما ذكرنا ولما فرغ من الطهارة الصغرى ذكر الكبرى والجنابة تحصل بالتقاء
الختانين وخروج الماء للجنب واطهروا معناه تطهروا وادغمت التاء فى الطاء ولا يجب الدلك خلافا لمالك ولا يجب الترتيب ايضا

ووجوب التطهير بالماء فى كل البدن مخصوص بما اذا لم يمنع مانع لجرح وكسر ۰ وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ۰ لعل ذكر الكلام فى التيمم ثانيا للتحقيق شموله للجنب والمحدث حيث ذكر عقيب وان
كنتم جنبا فاطهروا فانه نقل عن عمر وابن مسعود عند ذكر الاولى التخصيص بالمحدث وبيان ان ذلك من جملة التخفيفات التى
هى من اعظم نعم الله او ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارات والكلام فى المرخص قد سبق وكذا بيان حقيقة التيمم
وارادة الله سبحانه ترجيح احد المقدورين على الآخر وتدل الآية على ان الاصل فى المضار ان لا يكون مشروعة ومنه قوله سبحانه
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومنه لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ولا تمسك للحنفية على ان الحدث نجاسة لان قوله انما المشركون
نجس يشعر بالحصر وقال عليه السلام المؤمن لا ينجس واتمام النعمة قيل يتعلق باول السورة الى هنا الذكر نعم اخرى او نعمة الرخص بتم
نعمة العزايم ۰ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ۰ لما ذكر به
التكاليف المذكورة اردفه بما يوجب قبولها من النعمة المقتضية للشكر وهى نعمة الاسلام وغيرها والميثاق الموجب للوفاء ولم يجمع
النعمة نظرا الى الجنس فانه لا يقدر عليه غير الله وهو ابلغ من الجمع بهذا الاعتبار والميثاق هو الذى اخذه النبى عليه السلام على المسلمين
حين بايعهم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره واثقكم اى عاهدكم عهدا وثيقا وقيل هو العهد ليلة العقبة فى بيعة الرضوان
فاتقوا الله فى نسيان نعمته فانه يعلم بخفيات الامور يجازيكم عليها فكيف بجلياتها وتواتر النعمة وكثرتها لا ينافى نسيانها فان الكثرة تقتضى
ذلك ولهذا قيل انما كان ما باطنا لكونه ظاهرا ۰ يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ۰ اى داوموا على ما يلزمكم القيام به والقسط العدل والشهادة هى كحقوق
الناس او حقوق الله لما ذكر العبادة التى يختص منافعها بالشخص اردفها بما يتعدى الى الغير ومن جملته ان يحترز عن ان يحملهم شدة بغضهم
للمشركين على ترك العدل فيهم وان اساؤا اليهم تعدى بعلى لمعنى الحمل وقيل خطاب عام لجميع الخلق بان لا تعاملوا احدا الا على وجه العدل

واعدلوا البس للتأكيد بل لبيان انه اقرب للتقوى او الاتقاء من النار وايضا قيل الاول للمشركين وهذه في اليهود واذا قلنا
الخطاب باعتبار العدل مع الكفار فيكون ابلغ لانه يلزم ان يكون مع المؤمنين اولى بالوجوب وهو الخبير بجميع المعلومات فيجازي كلا على عمله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم • لعل وجه الربط انه لما امر بالتقوى ثم ذكر وعد المؤمنين العاملين للصالحات
اشعر بان التقوى هو مجموع الامرين وحذف المفعول الثاني لوعد لدلالة المغفرة عليه حيث استونف بها لبيان الوعد في معنى القول
ونقل ان هذا القول يلقون به عند الموت او يوم القيمة على وجه البشارة لتهوين شدايد الموت واهوال القيمة • والذين كفروا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم • هذا الوعد بالوعيد اذ به اتمام الدعوة وتسلية المؤمنين بذكر سوء حال اعدائهم ومعنى كونهم اصحابها
انهم يلازمونها كما يقال اصحاب الصحراء لملازميها وهو يفيد الحصر باعتبار تقديم اسم الاشارة • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون • قيل نزل لما طلب النبي عليه السلام
من اليهود الاعانة في دار دية رجلين امنا فقتلا فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك وقصد عامر بن كعب الى رحا عظيمة
ليطرحه عليه فامسك الله يده فجاء جبريل واخبره بذلك فخرج النبي عليه السلام وقيل لما صلى رسول الله عليه السلام بعسفان الظهر ندم
المشركون الا اكبوا عليهم فيها فقصدوا ذلك عند اداء العصر فنزل صلوة الخوف وقيل لما صدوه عن البيت وهموا بالتعرض له وللمؤمنين
فكف الله شرهم بقذف الرعب في قلوبهم وقيل ان دعثور بن الحارث قصد مع جمع ان ينال شيئا من الاطراف لينالوا شيئا من
الاطراف فخرج اليهم النبي عليه السلام فهربوا الى الجبال واصاب النبي عليه السلام والمؤمنون مطر فحلا في موضع والقى ثيابه على الشجر
فباغته دعثور ومعه سيفه وقال للنبي عليه السلام من يمنعك مني فقال الله والقى جبريل السيف من يده واخذه النبي عليه السلام
وقال لدعثور من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فدعا قومه الى الاسلام والنعمة المامور
بذكرها كف الله ايدي المشركين حين ارادوا ايقاع البلاء والقتل والنهب فلا تتكلوا على غير الله ولا تخافوه وواظبوا على طاعته
وبسط اليد مدها الى من اريد البطش به ويقال اليه لسانه اذا شتمه • ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم
سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل • وجه الربط بناء على قصد اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيئا من فضايحهم فلا يبعد ذلك القصد وانه لما خوطب المؤمنون بذكر الميثاق بين ان اليهود حيث
لم يفوا به تعرضوا لسخط الله فلا تكونوا امثالهم واخذ الله الميثاق هو اخذ موسى ميثاق بني اسرائيل ان لا يجدوا الجيوش بما شاهدوه
من حال الكنعانيين لانه لما استقر موسى وقومه بمصر بعد هلاك فرعون امره الله سبحانه بالمسير الى اريحا من الشام سكن الكنعانيين
وقال اني كتبتها دارا فجاهدوا من فيها وتكفل النقباء بالميثاق لهم فلما راى النقباء حين ساروا والتجسس تلك الاجرام العظيمة
والقوة والشوكة هابوا وحدثوا القوم غير كالب من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم والنقيب فعيل بمعنى الناقب
وهو المفتش عن احوال القوم العالم بما فيهم كالعريف والنقبة من الجرب لشدة دخول ذلك الداء في الجلد طعم القطران الذي



يطلى بالجرف وقيل الامين والكفيل ومعيته الله بالنصرة والاعانة ثم جعل تكفير السيئات الذي هو ازالة العذاب وادخال الجنة الذي
هو ايصال الثواب مؤكدا بالقسم مشروطا باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالرسل عزرتموهم اي نصرتموهم بدفع باس العدو
عنهم ومنه التعزير لانه ينكل من معاودة الفساد ويقرا بالتخفيف والتازير مثل التعزير ومنه النصر الموزر ولاكفرن جواب القسم
لان الاهتمام به اشد وقد سد مسد جواب الشرط وذكر الايمان والرسل بعد العبادات لانهم كانوا عاملين بالنجاة لا تحصل الا بها
ومع ذلك كانوا مكذبين لبعض الرسل وانما جعل الكفر بعد ذلك الشرط المؤكد سببا للضلال سواء السبيل وهو الطريق المستقيم لان
عظم قبح كفران النعمة بعظمها لا سيما وقبل ذلك قد يكون له شبهة بخلاف الكفر بعده اذ لا عذر له • فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا
قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين • اي بسبب نقضهم الميثاق اي قتلهم او تكذيبهم الانبياء او كتمان نعت محمد عليه السلام بعدناهم
من الرحمة او مسخناهم وقيل الذين هم في عهد النبي وهو ضرب الجزية وفائدة ما تفخيم النقض الغشية الردية قال فما زادوني غير سحق عمامة
وخمس ماي منها قسي وزايف قسي مغشوش وهو من القسوة ايضا لان المغشوش فيه يبس والخالص لين وقرئ قسية وهي ابلغ
كعليم وعالم اي جعلناها نابية عن قبول الحق والمعتزلة اولوا بالاخبار عن قسوتها والمراد منع الالطاف وهو صرف عن الظاهر
لاعتقاد فاسد كما سبق ويحرفون نتيجة القسوة فانه لولاها لما اجترؤا على تغيير الوحي والافتراء على الله سبحانه ويحتمل التاويل
الباطل والاول اولى لانه يبعد تغيير الكتاب المتواتر ومعنى نسوا اي تركوا النصيب الوافي مما امرهم الله به من الايمان بمحمد عليه السلام
اذ لم يجدوا النصيب بعد التحريف او نسوا بعضها عن ابن مسعود انه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية والخائنة اما مصدر
كالعافية والطاغية او صفة طايفة او نفس او التاء للمبالغة كالنسابة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع
اي هذه عادتهم وعادة اسلافهم كانوا يخونون انبياءهم كما ان هؤلاء يخونونك ويقصدون هلاكك بالقتل والسم والقليل عبد الله
بن سلام واصحابه او طايفة من كفرتهم بقوا على العهد وترك الخيانة والامر بالمعروف قيل منسوخ بآية السيف او بقوله واما تخافن
من قوم خيانة فانبذ اليهم وقال ابو مسلم محكم اي اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم والمحسنون اما العافون قال ابن عباس
اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله او القليل منهم وللقايل ان يقول لا مانع من الحمل على الاعم لا سيما والجمع
المحلى والاطلاق للاحسان يشعران به • ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون • متصل باخذنا اي واخذنا ميثاق الذين قالوا ذلك اي
من الذين قالوا قوم اخذنا وفائدة قالوا الاشعار بانهم ليسوا بانصار الله في الحقيقة والميثاق الذي في الانجيل الامر بالايمان
بتوحيد الصانع وحقية رسله لا سيما محمد عليه السلام وشرايعه وحمل صاحب المفتاح الحظ بالايمان بمحمد عليه السلام لانهم وان
نسوا اكثر ما امروا به لكن اكتفى بذكر الامر قال لان تنكير الحظ يدل عليه وللقايل ان يقول التنكير يدل على ان المنسي واحد بعينه ولعل
المقصود من الابهام ان يصدق على كل حظ على سبيل الخط والاغراء الالصاق والغراء الذي يلصق به او الزمنا من غري

بالشئ اذا لزمه والعداوة والبغضاء قيل بين فرق النصارى فانهم تحزبوا نسطورية ويعقوبية وملكانية وقيل بينهم وبين
اليهود وذلك بالاهواء المختلفة او بالمقابلة وسوف يجازيهم الله يوم القيمة بجزاء اعمالهم • يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم • توحيد الكتاب مع ان الخطاب مع اليهود والنصارى لان المراد الجنس
والمبين صفة محمد عليه السلام ونحو الرجم وبشارة عيسى بالنبى عليه السلام فى الانجيل والآية اشار بقوله ومبشرا برسول ياتى من بعدى
اسمه احمد والمعفو عنه ما اخفوه وعفوه ان لا يبينه الا المصلحة دينية لا لمجرد افتضاح وقيل عن كثير منكم والاول مثل الرجم ومافيه احياء
شريعة او اماتة بدعة او يعفو عن كثير منكم والنور هو القرآن لانه يكشف به ظلمات الجهل والشرك وما خفى على الناس من الحق
او لانه ظاهر الاعجاز او محمد عليه السلام لانه سبحانه كما يهدى بالقرآن يهدى بالنبى عليه السلام او الاسلام ومتبع الرضوان ه
المؤمنون منهم والمهدى طرق السلامة ومابه يحصل النجاة من الله او سبيل الله ويخرجهم من ظلمات الكفر من انواع الكفر الى
الاسلام بارادته وتوفيقه والباء متعلق بالاتباع لا بالهداية والاخراج لانه لا معنى له والصراط المستقيم الطرق الى الله تعالى
وهو الدين الحق فانه واحد والباطل فيه كثرة واعوجاج • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء
والله على كل شئ قدير • قيل هم القائلون بالاتحاد وهو ان ذات الله حلت فى بدن عيسى او اقنوم العلم ويلزم منه ان يكون
هو الاله لان الخالى عن العلم لا يكون الها او ان فيه لاهوتا واذا علم بالبرهان ان الاله واحد فقد لزمهم القول بذلك وان لم يصرحوا به
فنسب اليهم لافتضاح جهلهم واحتج سبحانه على فساد مقالهم بانه اذا لم يمنع احد من قدرته وارادته شيئا ومعنى ومن فى الارض
ان عيسى متشاكل لمن فى الارض فى الخلقة والصورة والجسمية والتركيب وتغيير الصفات والاحوال وقد سلمتم انه سبحانه
خالق الكل فيكون خالقا له وله السموات والارض ومابين النوعين لاستواء الكل فى كونه خلقا وملكا ويخلق مايشاء رفع لشبهة
النصارى فى امر عيسى من خلقه من غير اب واحياء الموتى وغيره يعنى ان الله سبحانه لا تتقيد قدرته بوجه دون آخر يخلق من غير اصل
كالسموات والارض ومن اصل كخلق مابينهما وهو اما من جنسه من ذكر وانثى كبنى آدم او من ذكر وحده كحوا او من انثى وحدها كعيسى وقد
يكون بوسط كخلقه سبحانه اللحمية والحيوة والقدرة فى الطير الذى خلقه عيسى وابراء الاكمه والابرص • وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء
الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض ومابينهما
واليه المصير • فى هذا الاطلاق خلاف قيل اعتقدوا ذلك لورود ذلك نحو قول عيسى اذهب الى ابى وابيكم وانه قال اذا توضأتم فقولوا
يا ابانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك وهذا وان لم يبعد عن جهلاتهم لكن الاولى ان المراد ابناء رسل الله نحو ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله او زيادة للشفقة والمحبة المستلزمتين مع من يتخذ ولدا او انه لما اطلقوا الابن على عزير والمسيح وزعموا انهم
منهم قالوا ذلك كما يقول اقارب الملوك نحن ملوك الدنيا على ارادة الاختصاص بالملك ومنه ماقيل لاشياع عبد الله ابن الزبير



المكنى بابى الخبيب الخبيبيون وقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله فالزمهم بانه لو صح ماادعيتم فكيف جاز ان يصدر عنكم
ما يقتضى تعذيبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل والسبى وضرب الجزية وفى الآخرة بالنار الا اياما معدودة والابن ينبغى ان يناسب
الاب فلا يرتكب القبايح المقتضية للتعذيب وانما حسنت هذه الاضافة والمعذبون متقدمون لانهم كانوا من جنس اولئك
ثم قال لا مزية لكم على غيركم بل انتم من جملة البشر المغفور لهم بفضل الله او المعذب بعدله وليس لاحد عليه يمنعه من التعذيب وهذا
كما هو ابطال قول اهل الكتاب فهو ابطال قول المعتزلة فانهم قالوا كل من احترز الكباير وجب على الله ايصال الرحمة اليه ابد الاباد
ولو زالت عنه لحظة خرجت عنه صفة الحكمة فهو اعظم من قول اليهود ولله ملك السموات والارض ومابينهما خلقا وملكا ويجازى كل بعمله
بعد المصير اليه • يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم
بشير ونذير والله على كل شئ قدير • اى جاءكم محمد مبينا لكم الشرايع والدين او ما كتمتم والحذف لظهور الاول وتقدم الثانى
والاولى ماقيل انه لا حذف بل المقصود انه يبذل البيان لانه اشمل وفتر الشئ انقطع حدته ومنه الماء الفاتر وقيل على درس
وهى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة وستون وقيل اربعمائة وبضع وثلثون واربعة انبياء
ثلثة من بنى اسرائيل وخالد بن سنان من العرب على خلاف فيه وبين موسى وعيسى الف وسبعمائة والف نبى ومتعلق على فترة
جاءكم والتقدير كراهة ان تقولوا وهو امتنان عليهم ببعثة النبى الذى هو وسيلة الى الرحمة فان قيل ظاهر الاية يشعر بان سكان
شواهق الجبال يعذرون فى عدم الايمان حيث لم يبلغهم الدعوة لانهم يقولون ربنا عرفنا وجوب عبادتك ولكن ماعرفنا كيف
نعبدك قلنا زمان الفترة زمان تطرق التغيير الى الشرايع لتقادم عهد النبوة بخلاف ما اذا كان امر النبوة مستقيما ولم يسع الى الاهتداء
بالنبى لبعد مكانه وقد قيل انهم يعذرون وحينئذ لا اشكال • واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين • هذا اشارة الى منة اخرى بالامور المذكورة جعل الانبياء منهم فانهم لم يبعث الانبياء
فى قوم بكثرة مابعث فيهم والله تعالى اعلم موسى بانه لا يبعث الانبياء الا من ولد يعقوب وولد اسمعيل وفى ذلك شرف الدنيا والعقبى
وكذا اكثر فيهم الملوك كثرة الانبياء بعد هلاك فرعون والجبابرة لاسيما اذا اريد بالملك الخلاص من القبط او ان الملك فيهم من كان له
مسكن واسع وماء جار او بيت وخدم او مال يستغنى به عن تحمل المشاق او الذى لا يدخل عليه احد الا باذنه او خادم وامراة
ودابة وهذا مما نقله ابو سعيد الخدرى عن النبى عليه السلام ووجه اختصاصهم بنعم لا ايثاركهم فيها احد من العالمين او عالمى زمانهم
اجتماع الملك والنبوة وفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وهلاك العدو وماقيل الاخير خطاب لامة محمد عليه السلام فيه تعسف
لعدم ملايمة الكلام • يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين • لما عدد عليهم هذه النعم
العظام المقتضية للقيام بشكرها امرهم بقتال الكفار واعلاء كلمة الله والمقدسة المباركة المطهرة وماقيل مطهر الانسان
من الذنب فلعل المراد اجتناب الشخص عنه ببركة الانبياء الذين كانوا فيها ودفنوا بها والاولى ان يحمل على اريحا ارض بيت المقدس لما تحقق
لكن نقل عن ابن عباس انها دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل ارض الشام روى ان ابرهيم عليه السلام

صعد جبل لبنان قيل له انظر فلك ما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك فيكون ما قيل انه كتب في اللوح اشارة اليه وقيل امركم به
بدخولها وقيل فرض عليكم وحمل على البعض لما روي انه دخلها بعضهم او ان امنتم او انه سبحانه وهبها لهم فلما عصوا حرمهم ولا تنكصوا على اعقابكم
مخافة الجبابرة الذين هم بها وقيل لما علموا الحال بكم وهموا بالرجوع او لا ترجعوا عن دينكم ولا تتركوا ما امركم به فتنخسروا سلامة الدارين
وسعادة المنزلين • قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان
من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين • الجبار العاتي
الذي يجمل الناس على ما يريده من خير على الامر اذا اجبره عليه او الممتنع من ان يقهر والجبار من النخل ما علا جبارين اي طوالا وقيل من جبر
العظم لانه مصلح امر نفسه وقرئ جبارين بالامالة لما خافهم القوم لخبر جبرئيل موسى عليه السلام بعث النقباء للتجسس فرجعوا وقالوا
لا يدي لنا بقتالهم ان الواحد منهم يأخذ مائة منا في كمه وقيل لما دخلوا وراوا امرا عظيما من عظمهم دخلوا حائطا فجاء صاحبه لجني الثمار
فاخذهم في كمه مع الفاكهة ونبذهم بين يدي الملك فقال اذهبوا واخبروا اصحابكم فرجعوا الى موسى فاخبروه والرجلان كالب ويوشع
وهما ممن يخشى الله اي من المتقين وقيل كانا من الجبارين واسلما وعلى هذا فضمير الجمع لبني اسرائيل والمفعول محذوف اي من الذين
يخافونهم بنو اسرائيل ويؤيده ما يقرأ من بناء المجهول اي من المخوفين وانعم الله عليهما بالايمان عند الجمهور وقيل بعدم الخوف فهو صفة لهما
او اعتراض اراد بذلك التشجيع وقالا هم اجسام لا قلوب فيها وعلى الاول يكون من الاخافة اي يخوفون من الله بالتذكير والباب باب
قريتهم اي باغتوهم وضايقوهم وامنعوهم من ان يدخلوا الصحراء فانكم تغلبونهم لانه يعسر عليهم الكر من عظم اجسامهم وانما علما الغلبة
اما لاخبار موسى عليه السلام او كتب الله لكم او غلب على ظنهما لجري عادة الحق سبحانه في نصرة انبيائه او من جهة ما علما من صنع الله مع
موسى او ان الجبابرة لا قلوب لهم والمراد بالتوكل الوثوق باخباره سبحانه بوعده ان ينصرهم اي ان كنتم مؤمنين بوعده او مقرين بنبوة
موسى وهو يدل على انتفاء الايمان عند عدم الوثوق بالوعد • قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين • يحتمل ارادة حقيقة الذهاب على الله لكونهم مجسمة
ويدل عليه مقابلة الذهاب بالقعود او مجازه كما يقال كلمة يجيبني بمعنى يريد الجواب اي اذهبا مريدين من باب اطلاق المسبب وارادة السبب
وظاهر الكلام ان ذلك لقلة مبالاتهم بالله وبرسوله روي ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما عراهما فهموا برجمهما وظهور ذلك
بعد الانجاء من فرعون ومشاهدة عظائم المعجزات دليل على انهم اخبث الكفرة ويشهد له عطف المشركين عليهم في قوله سبحانه ولتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا الآية فعند ذلك قال موسى لا املك الا نفسي واخي وهو على طريقة الشكوى الى الله سبحانه كما قال يعقوب
عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعند ذلك يتوقع زوال الرحمة والنصرة وفي اعراب اخي سوى ما ذكر من النصب للعطف على نفسي
والضمير في اني اي وان اخي لا يملك الا نفسه والرفع للعطف على محل ان واسمها اي وهرون كذلك او الضمير في لا املك لمكان الفصل
والجر للعطف على الضمير في نفسي مع الضعف لعدم تكرير الجار وجره آخر النصب على المفعول معه وان يعطف على اسم ان قيل مضى
الجار على مذهب الكوفيين والرفع على انه مبتدأ خبر محذوف اي واخي لا يملك الا نفسه حيث لم يعاونهما احد والجر على ان يكون الواو للقسم

وغيرها

وغيرها مما يطول ذكره وحمل قوله عليه السلام ذلك مع انه قد وافقهما الرجلان انه لم يثق بهما كل الوثوق لما كابد من قومه من التلون او الضجرة
حين سمع ما قالوه وان اراد من يواخيني فلا اشكال والقائل ان يقول لا حاجة الى الاعتذار لان املك عبارة عن كمال التمكن من التصرف فيهما
وهما وان كانا مسلمين فلا يبلغان مبلغ نفسه ونفس اخيه وعند ذلك قال افصل او قض او باعد بيننا وبين الخارجين عن طاعة الله
وطاعة رسوله بالحكم بما يستحق كل منا من الجزاء وقيل دعاء عليهم بالهلاك وقيل بالتفريق في الآخرة اي باعد بيننا وبينهم وذكر الفاء
المشعر بالسبب يدل على قصد الدعاء كانه سبحانه استجاب ذلك فقال وجزاء فعلهم ذلك • قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في
الارض فلا تأس على القوم الفاسقين • اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا اشكال بقوله تعالى كتب الله لكم لجواز ان يكون مشروطا
بالجهاد او التحريم ليس على التأبيد بل هي اربعون سنة وهذا انما يصح على رواية ان موسى دخلها مع بني اسرائيل بعد اربعين سنة وكان يوشع
على مقدمته او انه الذي فتح بعد موسى لما ارسل اليه وصدقه قومه في قتال الجبابرة واما على رواية انه لم يدخلها الا اولادهم فلا ينهض جوابا
نعم يمكن ان يقال لما تملكها اولادهم فكانها كانت لهم وورثوها منهم وتاه في الارض اي تردد فيها متحيرا اي يسيرون ولا يهتدون
الى طريق والتيه المفازة لانه يتاه فيها روي انهم كانوا ستمائة الف فارس والتيه ستة فراسخ وقيل تسع فراسخ في ثلثين وكانوا يجدونهم
كل يوم في السير فاذا امسوا فاذا هم حيث ارتحلوا عنه والغمام يظلهم من الشمس ويطلع عليهم عمود من نور يضيء لهم بالليل وطعامهم المن
والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذا من الخوارق ولم نقل
انهم امروا بالتردد فيه عقوبة على جرمهم كما قيل لانهم لو نظروا الى الشمس والكوكب لاهتدوا ولا ينافي حصول هذه النعم وجود العقوبة
فان الله لا يقطع معروفه مع معاقبته للعصاة بمقتضى سبق رحمته غضبه ويحتمل ان يقال كان فائدته ظهور المعجز وتخصيصه بهذا النوع
لبركة الانبياء كما قال سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولما دعا موسى عليه السلام بالتفريق بينه وبينهم ولم يقصد هذا الجنس
من العذاب فاخبره الله به حزن عليهم وندم على الدعاء عليهم وحراه وهون عليه وقال لا تأس على القوم الفاسقين اي لا تحزن عليهم
ولعل اقامة المظهر مقام المضمر للاشعار بالعلية واختلف في انه هل كان معهم موسى فمن منع فللنظر الى ان دعوة الانبياء مستجابة
وقد دعا بطلب الفرقة وايضا هو محل العقوبة وقيل كان موسى وهرون معهم وكان روحا لهما كما كان النار لابرهيم وقيل مات هرون
في التيه ومات موسى بعده بسنة وكذا النقباء سوى يوشع وكالب ودخل يوشع اريحا بعده بثلثة اشهر • واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين • اي اخبارهم ويحتمل ان يكون ذلك
بتلاوة القرآن عليهم وعلى هذا لا يكون الحمل على القرآن وجها آخر كما قيل وهما هابيل وقابيل وسبب القتل ان الله تعالى اوحى لآدم ان يزوج
كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل واسمها اقليميا احسن فسخط حسدا عليها فقال آدم قربا قربانا فمن ايهما قبل تزوجها فقبل قربان
هابيل لانه قصد الى احسن ما عنده للاخلاص بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وحسدا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني
اسرائيل وما نقل عن الصادق انكاران يزوج بناته من بنيه وان دينه دين محمد عليه السلام ولو فعل لما رغب عنه بل اظهر الله له
جنية يقال لها حمامة في صورة انسان فادرك هابيل فاهبط الله حورا لحد قابيل هابيل على ذلك فيه نظر ولعل في النقل عنه كلام

ومن الغرائب

مطلب ما صنع الله على بني اسرائيل في التيه

لان قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ونحوه يابى ذلك لاسيما والاجماع على انه عليه السلام كان يزوج بناته من بنيه وبهذا اثبتنا النسخ مع اليهود
حيث وافقونا على انه كان حلالا فنسخ وكان هابيل صاحب ضرع فقصد الى حمل او بقرة سمين وقابيل صاحب زرع وقصد الى اردا قمح
او سبيلا من سبي زرعه وقيل قربان هابيل هو الذبح الذى فدى الله به اسمعيل وكانت ترتع فى الجنة اربعين او ثمانين خريفا وسبب
عدم القبول المسبق وقيل لانه كان مصرا على كبيرة لا يتقبل معها طاعة وجواب هابيل انما يتقبل الله حين قال لاقتلنك يشعر بانه قال
سبب القتل ان الله تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المخلصين الذين يتقون الشرك والمعاصى ولا دلالة فيه
على ان الله لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق لانه لا يلزم من عدم قبول القربان من غير المتقى عدم قبول ساير الاعمال كيف وقد قال سبحانه وتعالى
خلطوا اعملا صالحا وآخر سيئا وقال والعمل الصالح يرفعه وهذا اذا لم يحمل على المتقى من الشرك فان قابيل روى انه كان كافرا فاتى دلالة يتقى
مع هذا التقرير • لين بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين • اى ان قصدت
قتلى وابتدات به لم ابدك به ولم يكن لذلك لضعفه بل كان اقوى نعم قد يكون ذلك لعدم كون الدفع مباحا حينئذ على ما قيل
او قصد الافضل كما قال النبى عليه السلام لمحمد بن سلمة القى كمك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل والعدول
عن لم ابسط الى باسط للبراءة عن القتل بالكلية حتى لا يطلق عليه هذا الوصف ولذلك اكده بالباء وان قلنا الدفع كان جايزا
فلعله اراد الدفع بالايسر كما هو طريق دفع الصايل • انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين •
اى ترجع الى الله باثم قتلك اياى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسط يدك الى وفايدة تقرير بسط اليد انه لا يشكل بانه اذا انه
لم يتعرض المقتول للقاتل فلا اثم له حتى يتحمله او اثمك الذى خرجت به عن المتقين وهو الذى لم يتقبل بسببه قربانك وعلى الاول
وهو نظير قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم اى له اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سبب فيه
وما قيل ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافى دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا اخرج عن حد المكافاة
واعتدى لم يسلم ليس بصحيح لانه اذا سب شخص آخر لم يستوف حقه الا بان يعزره الحاكم ما راه او المعنى بحمل اثمى اذا لم يجد ما يرضيه
فى القيمة فانه يؤخذ من سيئات المظلوم توضع على الظالم للخبر الصحيح والظرفان وقعا حالين اى يرجع بالاثمين حاملا لهما ولا اشكل
بانه قصد شقاوة اخيه بالمعصية اذ المعنى انه اذا كان واقعا لا محالة فيتعلق بك دونى والمقصود عدم وقوعه لا ان يكون لاخيه
او انه لما علم وقوع عصيانه اراد عقابه وهو جايز فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى
الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى فاصبح من النادمين •
اى فسهلت ومنه طاعت لك طيبه اصول الشجر اى سهل عليها تناولها اذ وسعت من طاع المرتع اذا اتسع ويقرا طاوعت وهو
بمعناه او لان ارادة قتل كانها داعية فطاوعها وذكر له للتاكيد الربط مثل حفظت لزيد ماله فقتل عند عقبة حراء او عند مسجد البصرة
وعمر قابيل عشرون سنة ثم عبد النار لقول ابليس انما قبل قربان هابيل لانه كذا عليه فشدخ راسه عيلة او غيره بتعليم اللعين
فاصبح وقد خسر دينه ودنياه فانه قد بقى مدة عمره مطرودا او معه سنة مخافة السباع وقد اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله



غرابين فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة وحثى عليه وقيل يوارى الطعام او غرابا ميتا وفاعل يريه الغراب
وهو اولى من رجعه الى الله ويوارى يستر وسوأة اخيه نفسه او مقابحه فانه قد اروح وقيل فرجه روى انه قد اسود جسد قابيل
فساله آدم عن هابيل فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك فمكث آدم بعده مائة سنة والشعر المنسوب اليه
لا صحة له وهو لحن او ارى بالنصب فى اللاستفهام وقدح فيه صاحب الانوار اذ ليس المعنى لو عجزت لو رايت بل عطف على اكون ويقرا
بالسكون على الاستيناف وندمه اما على حمله او انه لم يظفر بتزويج اخته • من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا • اجل مصدر اجل فى الاصل اى جنى شرا
استعمل فى تعليل الشر نحو من جراك فعلته ثم استعمل فى كل تعليل اى ومن اجل ما مر من قصتهما وقيل اصله الجر ومنه اجل العقد لجره ما يقع
عليه العقد والظرف متعلق بكتبنا ومن ابتدائية اى ابتداء الكتب من اجل ذلك ويقرا بفتح الهمزة والقاء الفتحة على النون وبكسر الهمزة
وقيل متصل بالآية المتقدمة وكتبنا اى فرضنا وتخصيص بنى اسرائيل اما لكثرتهم او لان التورية اول كتاب فيه ذكر الاحكام
لا سيما والاية لتسلية النبى عليه السلام كيف وقلوبهم اقسى بدليل صدور قتل الانبياء منهم ومعنى بغير نفس بغير قتل نفس
من غير قصاص وبغير فساد هو الشرك وقيل قطع الطريق وينبغى ان يفسر بالردة ايضا لانها تهدر الدم واحياها انقاذها
من اسباب الموت كالقتل والغرق والحرق وتنزيل النفس الواحدة منزلة الجميع باعتبار الكرامة على الله وثبوت الحرمة وخصصها
ابن عباس بان يكون نبيا او اماما عادلا والاول اوفق لغاية الزجر لما فيه من تعظيم القتل والاحياء فى القلب وقيل فى القود
اى يقتل به كما لو قتل الناس جميعا وقيل بلغ نهاية الذنب وقيل لانه يجب على الكل طلب ثاره وقيل فى اصل الجزاء وعن الحسن
يا ابن ادم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شىء سولته لك نفسك
والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا واستدل بها مثبتوا القياس للتصريح بان الكتبة معللة بتلك العلل لقوله تعالى
من اجل ذلك وتمسكت المعتزلة بها على ان الاحكام معللة واجيب باستحالة ذلك لان العلة لو كانت معللة لزم قدم المعلول او الا
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم فى الارض لمسرفون • اى بعد ان ارسلنا اليهم الرسل بالايات وكتبنا عليهم
هذه التشديدات فى امثال هذه الجنايات ارادة الانزجار عنها اسرفوا بالشرك والظلم والقتل ولم يبالوا بعظمة تلك الجرايم
واصل الاسراف التباعد عن حد الاعتدال • انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا
او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم • لما ذكر فى الاية الاولى ان من جملة ما يبيح القتل الفساد
فى الارض وهو قطع ذكر احكامه والمحاربة مع الله لما كانت ممتنعة ومع الرسول عليه السلام ممكنة لزم الحمل اما على الحقيقة
والمجاز جميعا او على مشترك وهو المخالفة تعين ذلك اى يحاربون اولياء الله واعظمهم الرسول عليه السلام ومحاربة المسلمين
محاربته ففيه تعظيم لهم ومنه قوله سبحانه من عادى وليا لى فقد بارزنى بالخروج واصل الحرب السلب والمحارب يسلب الروح

والمال والمراد قطع الطريق وهو اخذ المال مكابرة اعتمادا على الشوكة والبعد عن الغوث ولو في البلد او القطاع طائفة من التار
وقيل في قوم من عكل اجتووا المدينة فامرهم النبي عليه السلام بان يشربوا من البان الابل وابوالها فشربوا وصحوا وقتلوا راعي رسول الله
واستاقوا الذود فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركوا في الحرة حتى ماتوا وهم كفار وادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الامان من الجهميين فمر بهم ناس من كنانة يريدون الاسلام فقتلوهم واخذوا اموالهم واو قيل للتخيير اي للامام ان يفعل بهم
اي خصلة شاء والصحيح انه للتنويع اي يقتلوا ان قتلوا ولم ياخذوا المال وان اخذوا وقتلوا وصلبوا بعد القتل ثلثة ايام للتنكيل
وقيل الى ان يتهرى ويسيل ودكه لا من الصليب وهو الودك وقيل يصلبه حيا ويطعن حتى يموت وان اخذوا المال ولم يقتلوا ا
تقطع ايديهم ويكتفى باليد اليمنى والرجل اليسرى في الاول والاخريان ثانيا او ان فعدتا وان اقتصروا على الاخافة ينفوا من ارض
الى اخرى حتى لا يتمكنوا من القرار في موضع وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس وقيل يهدر دمه والخزي الذل والفضيحة والاستثناء من المعاقبين
لقطع الطريق خاصة بما يتعلق بحق الله تعالى فانه يسقط بهذه التوبة وهو يحتم القصاص فانه اذا كان بعد الظفر عليهم لم يكن لولي
الدم العفو فان التحتم حق الله تعالى ومن التقييد بالقتلة علم ذلك روي ان الحارث ابن بدر جاء الى علي رضي الله عنه تائبا وكان قاطعا
فدرا عنه العقوبة والتائب من الكفار توبة الاسلام وليس عليه ولا عذاب في الاخرة • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون • الوسيلة تطلق على كل ما يتقرب الى احد من قرابة وصنعة وغيرها فاطلقت على ما يتقرب به
الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وقيل الحاجة وقيل افضل الدرجات في الجنة وهي المسؤلة للنبي عليه السلام في الدعاء وانشد لبيد
فمن يك امسى في المدينة رحله • فاني وقيار بها لغريب • ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم • الا كل ذي لب الى الله واسل • والمجاهدة
تشمل مجاهدة الاعداء الظاهرة والباطنة ومعنى لعلكم تفلحون اي على رجائكم الفلاح والفوز عند الله سبحانه ذكر صاحب المفاتح
ان مجامع التكليف منحصرة في امرين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله وفعل الطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه
الوسيلة وقدم الاول لتقدمه بالذات فان عدم جميع المحدثات سابق على وجودها قال وهي آية شريفة تشتمل على اسرار روحانية
وهو ان من يعبد الله فاما لا لغرض سوى الله وهو المقام العالي واليه الاشارة بقوله جاهدوا في سبيله اي سبيل عبوديته ومعرفته
والثاني دون الاول واليه الاشارة بقوله لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص عن المكروه والفوز بالمحبوب ولما ارشدهم الى
معاقد كل الخيرات ومفاتح جميع السعادات اتبعه بشرح حال الكفار فقال • ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب
مقيم • يعني لو اجتمع للكافرين يوم القيمة جميع ما على وجه الارض من النعم وفرض حصول مثلها معها وارادوا ان يجعلوه فدية
لانفسهم للخلاص من العذاب لم يقبل منهم والجملة الشرطية وقعت خبر ان وعن النبي عليه السلام يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان
لك مثل الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت ايسر من ذلك يعني ان لا تشرك بالله والكلام يجري مجرى التمثيل
لعدم الخلاص عن العذاب بوجه من الوجوه ولعل توحيد الضمير مع كون المرجوع اليه متعددا لارادة المذكور او اريد المتعدد

واكتفى

واكتفى بالواحد مثل واني وقيار بها لغريب اي اني غريب وقيار غريب وما قيل ان الواو بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فللقائل
ان يقول ذلك ليس بسديد لان جعل الواو بمعنى مع هو المشعر بالتعدد واي حاجة الى تكلف استدعاء لو الفعل ليكون التقدير لو ثبت
لنصب المفعول معه واصحابنا تمسكوا بها على خروج العاصي من النار لان الآية من تهديدات الكفار ولولا ذلك لم يكن لتخصيصهم معنى
لا سيما ولهم عذاب مقيم يفيد الحصر وروي ان نافع بن الازرق من الخوارج قال لابن عباس يا اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار
وقد قال تعالى وما هم بخارجين فقال ويحك هذا للكفار اقرا ما فوقها ولما كان ذلك من القضايا الدافعة للفرقة الزائغة انكروا وقوع ذلك
للتمسك بان هذا القائل لا يتجاسر على مثله واي استبعاد وقد قال بعضهم لسيد الكائنات عليه افضل الصلوات اعدل يا محمد وليس الكلام
في صحة الرواية فان الله اعلم بها بل للتمسك البارد من المتمسك البارد • والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا
من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم • وجه الربط مناسبته بحال قطاع
الطريق اي فيما فرض عليكم حكمهما فالخبر محذوف او الخبر فاقطعوا على تقدير مقول فيهما ولا احتياج الى هذا التاويل ذهب سيبويه الى ترجيح
ما يقرا بنصبهما ودخول الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ التقدير الذي سرق والتي سرقت اي ان سرقا وايديهما مثل صغت
قلوبكما استغنى عن تثنية المضاف بتثنية المضاف اليه وللقائل ان يقول لما كان المراد الجنس وهو محلى جاز الجمع للمدلول والتثنية للفظ
ويؤيده ما يقرا السارقون والسارقات والمراد بالايدي الايمان والسرقة اخذ المال خفية من حرز لايق به قدر ربع دينار
من غير شبهة وعند ابي حنيفة عشرة دراهم سند الشافعي قوله عليه السلام لا قطع الا في ربع دينار ونقل عن الحسن درهم والجزاء
والنكال نصبا على العلة ويحتمل المصدر والحال والتمييز وتوبته بعد ظلمه ندمه واعراضه بعد سرقته والعزم ان لا يعود واصلاحه اداء الحق
الى صاحبه ومعنى توبة الله عليه قبولها وسقوط عقاب الآخرة لا القطع بعد ثبوت السرقة ووصف العزة والحكمة للاشعار بانه لا يعوقه
عقابه وان ذلك لحكمة حفظ الاموال والمغفرة والرحمة لقبول التوبة من هذه الجريمة قال في المفاتح وقول من قال الآية عامة باعتبار
قدر المسروق والمقطوع حيث ذكر مطلق اليد والقدر المقطوع بها خصت بالخبر اولى من قول من قال انها مجملة لان العام بعد
التخصيص يبقى حجة فيما عداها والمجمل لا يفيد اصلا وللقائل ان يقول لا فرق بينهما باعتبار عدم ظهور فائدة ارادها الشارع بدون
امر يعلم به تلك وفي الآية دليل على ان التوبة مقبولة ولا يشترط انضمام العمل اليها لان المراد بقوله اصلح ان يتوب بنية خالصة عن ساير
الاغراض وانه لا يجب على الله قبول التوبة لانه تمدح به ولا يكون الا بالتفضل • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء
ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير • لما ذكر سبحانه عقاب السارق في الدنيا منطوقا والعقبى مفهوما اردفه ببيان ان الله
يفعل ما يشاء من التعذيب والمغفرة وتقديم الاول انه في مقابلة السرقة المتقدمة على التوبة او لان استحقاقه مقدم او لان المراد
القطع وهو في الدنيا ويحتمل ان يكون للاشارة الى ان الخاتمة بالرحمة للعصاة والآية حجة على المعتزلة حيث فوض الرحمة الى المشية
والوجوب ينافي ذلك ويدل على ذلك ترتيبه على ان له ملك السموات فان المذهب انه انما يحسن من الله لانه مالك والآية وعند المعتزلة
لوجوب رعاية الاصلح • يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم

رد على الزمخشري

وهو رد الزمخشري

ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم عن مواضعه لما بين التكاليف وعلم
ان من الناس من سارع في الكفر صبر النبي عليه السلام قال اشهدان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به
المرسلون فالمعنى لا يحزنك الذين يكثرون اعمال الكفر او لا تبال بمسارعة المنافقين فيه من اظهار هم ما يشعر بالكيد للاسلام
ومعاضدة المشركين فاني اكفيك شرهم بالنصرة عليهم ومعنى اسراعهم وقوعهم فيه كلما انتهزوا فرصة ومنه اسرع الشيب
في الانسان ومحل الجملة من آمنا النصب فقالوا بافواههم متعلق به لا بآمنا اذ المقصود بيان النفاق بكونه الايمان
باللسان دون القلب بينه قوله ولم تؤمن قلوبهم ومعنى هادوا انتسبوا الى اليهودية ومن للتبيين اى هم سماعون
فهو خبر مضمر وقيل للتبعيض والمعنى يسمعون كلامك وينقلونه مكذوبا فيه او يقبلون لما يفتريه احبارهم من الكذب على الله
والتحريف ومنه قوله سمع الله لمن حمده اى قبله وكذا يقبلون من قوم آخرين من اليهود لم يحضروا بين يديك من شدة البغضاء
والافراط في العداوة حتى لا يقدرون ان ينظروا اليك او سماعون اليك للافتراء عليك بالزيادة والنقصان والتبديل
والتغيير وقيل الاولون بني قريظة والاخرون اهل خيبر ويحتمل ان يستدل بالآية على ان الايمان هو التصديق الى القلب وتحريف
الكلم تغيير الفاظه او التفسير على غير المراد بها وذلك من بعد ان وضعها الله مواضعها التي اقتضتها حكمته من وصف محمد عليه السلام
وهو صفة لقوم آخرين يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم اى يقول البعض اليهود لآخرين
اذ هبوا الى محمد فان افتاكم بالمحرف وهو الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به فانه الحق وان لم تؤتوه وافتاكم بخلافه وهو الرجم فاحذروا
قبول قوله وسببه ان اهل خيبر ارسلوا الى بني قريظة في محصنين زنيا وكرهوا رجمهما ليسالوا رسول الله فان امر بالمحرف
فاقبلوا وان امر بالرجم فلا تقبلوا فامرهم به فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون
شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض فجعلوه حكما فقال له النبي عليه السلام
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله
عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون فامر النبي
عليه السلام بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله ضلالة فلا يقدر على دفعها اولئك الذين لا يريد الله ان يطهر قلوبهم
من الشرك والكفر او لا يريد تطهيرها فلهم في الدنيا الهوان بالجزية وفي الآخرة العذاب الدايم في النار وهي اصرح الآية في ابطال
قول المعتزلة من منع اسناد ارادة الاضلال ولما اضطروا فيها صرفوا عن ظاهرها مثل الحكم بالضلال والابتلاء بالتكاليف
ونحوهما وقد سبق في البقرة وغيرها الكلام عليها سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين اى هم سماعون وليس

وليس لمجرد التاكيد لجواز ان يراد بالكذب اولا ما سبق من الخصوص وثانيا العموم وقرئ السحت بضم الحاء وسكونه وقرئ
بفتح السين وكسرها وفتحتين وهو الرشوة في الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم منهم اذا راها في كم المترافع تكلم بحاجته
ولا ينظر الى الخصم وبه وبثمن الكلب والخمر والميتة وحلوان الكاهن ومهر البغي وكسب الحجام فسر علي رضي الله عنه وهو في الاصل
كل ما لا يحل كسبه من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة قال الله يمحق الله الربوا قال النبي عليه السلام لحم نبت من السحت النار
اولى به وعلى هذا فكسب الحجام ذكره لتاكيد التنزيه لانه مكروه غير حرام لجواز التصرف فيه حيث قال عليه السلام اطعمه عبدك وناضحك
والكلام في ان جاؤك انه عام او خاص قيل في الربوا وقيل في قتيل بني قريظة والنضير فيهم شرف وكانت الدية فيهم كاملة وفي الاخرين
النصف فخطب عليه السلام الدية سواء والصحيح ان هذا في المعاهدين لانا التزمنا الذب عن اهل الذمة فيجب الحكم بمقتضى
مذهبنا كما في الرجم وقيل كان ذلك قبل قبول الجزية والآن قد صولحوا على الشرك وهو اعظم مباحث الحدود ولهذا قيل الاية عامة
فنسخت بقوله وان احكم بينهم وان اعرض فلما لم يضره لانهم ما كانوا يتحاكمون اليه الا لطلب الاخف وكان اذا اعرض صاروا اعداء له
فبين انه لا يضره ذلك والقسط العدل او الاحتياط كالرجم دون الجلد ومحبته للمقسطين يقتضي حفظهم وتعظيمهم فان قيل ما فائدة
الامر بالعدل ومحال صدور غيره عن كل من هو نبي قلنا لعل المقصود امر الغير وفيه التاكيد العظيم او يراد بالعدل ما هو في دينه لا في دينهم
لانه وان كان عدلا في وقته لكنه منسوخ وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك
بالمؤمنين استفهام تعجيب فان من لا يؤمن بانه نبي وان كتابه حق كيف يحكمونه فيما بينهم مع ان الحكم منصوص عليه في كتابه
ثم اذا حكمت بما في كتابك وكتابهم اعرضوا عنه فليس اولئك بالمؤمنين وصورة التركيب وان اقتضت نفي كمال الايمان عنهم
لكنه على وجه التهكم وعندهم خبر التورية تقدم عليها وفيها حكم الله حال عنها او خبر عن التورية ويحتمل ان يكون مستانفة بين التورية
كانه قال عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيث التورية كتانيث لموماه معاده وودواه حرزه تعلق على المهد ليلعب بها الصبي
ويتولون عطف على يحكمونك وذلك اشارة الى حكم الله بالتورية او التحكيم ونفي الايمان عنهم اما ان يقيد بما في التورية واظهروا
الايمان بها او خبر عن المستقبل او لا يعتقدون صدقك انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وجه الربط انه من جملة التعجب اى انزلنا مشتملة على الهداية الى الحق
وبيان ما ابتهم من الاحكام والذين صفة مدح مثل الله الرحمن الرحيم للنبيين وهم الذين كانوا بعد موسى من بني اسرائيل والمراد
الانقياد لحكم التورية ليلا يشكل بان كل نبي لا بد وان يكون مسلما واستدل بها من قال يجب الحكم بما فيها ما لم يعلم نسخها عندنا
ولا يخفى ضعفه وقيل فيه رد لليهود حيث قالوا الانبياء كلهم كانوا هودا او نصارى حيث فيه اشارة الى انهم ما كانوا الا مسلمين وليس والتقوى
ومعنى للذين هادوا اى لاجلهم وقيل التقدير انزلنا للذين هادوا والحكم بها النبيون والرباني قد سبق تفسيره انه العالم العامل
وغير ذلك والاحبار وهو جمع حبر بفتح الحاء وقيل بالكسر اما من التحبير وهو التحسير والحبر المداد ولما كان العلم اكمل اقسام الفضايل سمي به

وقيل من الحبر لانه يكون صاحب كتب والترتيب يقتضي ان يكون الربانيين اعظم وهو كذلك فانهم كالمجتهدين والاحبار
كاحاد العلماء ومعنى بعض سبحانه بما استحفظوا ان ذلك بسبب ان الله امرهم بحفظ التورية عن التغيير والتبديل وفقهم
لعلمها واستنباط معانيها الباء للتسبب والسين للطلب وهي متعلقة بالحكم اي يحكم بها بما استحفظوا او بمتعلق معنوي
اي علي بما استحفظوا وكانوا عليه رقباء لئلا يغير واذا كان كذلك فلم يكن ان يخشوا الناس كسلطان ظالم او خوف اذية بعض
الاصدقاء فاحكموا بغير الحق بل يخشون الله فلا يخالفون امره ولا ياخذوا المال ليحكموا بغير الحق فان جميع الدنيا ثمن قليل فيكون
استبعاضا بايات الله ثمنا قليلا وهو الرشي وطلب رضاء الناس بسخط الله وانما يحكم على من لم يحكم به بالكافرين اذا كان
فاعله مستحلا له وقيل في اهل الكتاب والاولى التعميم او يكون محمولا على الزجر او كفر والنعمة الله عليهم ومع هذه الاحتمالات لا يبقى دليلا
للخوارج على ان كل من عصى فقد كفر بالله • وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن
بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون •
لما بين سبحانه ان اليهود غيروا احكم الزناء اتبعه ببيان القصاص وقد غيروه ايضا حيث خصوا القصاص ببني قريظة
دون النضير وقيل ما كانوا يقتلون الرجل بالمراة وقرئ المعطوفات بالنصب والرفع فالنصب ظاهر والرفع اما للعطف
على محل ان واسمها فانه لما تضمن كتبنا معنى قلنا صح وقوع الجملة بعده والتقدير النفس تستوفى بالنفس اذا قتلت بغير حق
والعين تفقاء بالعين والانف يقطع بها والاذن تصلم بالاذن والسن يقلع بها وقرئ الاذن بالتخفيف ويجوز ان يكون
من قبيل كتبت الحمد لله بالرفع لانه يقع الجملة بعده ولهذا قال الزجاج لو قرئ بكسر ان جاز والاستيناف وان ذكر فعبه بعد
ومعنى الجروح قصاص انها ذات قصاص اي مقاصة وقرئ الجروح بالرفع وهذا العام مخصوص بصور منها ان يكون مما يعلم
المساواة بينهما كالشفرين والاليتين والذكر واللسان والاذن وان لم يفصل والشفتين واللحيين ولا يجري ام اليدين
والرجلين ومنها ان يكون جراحة مضبوطة كالموضحة في الوجه والراس وكذا في ساير البدن فان مرد الاسم الموصول الى العظم
منها الأمومة والجايفة وكسر عظم قبل مفصل يمكن استيفاؤها من غير اجافة ومنها جراحة تفضي الى زوال شيء من اللطايف
كالجراحة على الراس يزول بها العقل او ضوء العين ونحوها فمن تصدق من المستحقين للقصاص بالعفو عنه فهو كفارة للمتصدق
العافي يكفر الله به جرايمه وعن ابن عمر انه تهدم به ذنوبه بقدر العفو وقيل كفارة للجاني اذا عفاعنه المستحق فانه يسقط عنه القصاص
ويقرء فهو كفارته له اي كفارة المتصدق التي يستحقها له من غير نقص وفي الاية تحريض على العفو قال النبي صلى الله عليه وسلم
من تصدق بشيء من جسده كفر الله عنه بقدره من ذنوبه ومن لم يحكم بمقتضى الانزال من القصاص وغيره فكانه لا اظلم منه
وانما ذكر الظلم بعد الكفر وان كان اعظم لان ذلك في حق الله وهذا في حق نفسه وايضا قيل الاول في المسلمين وهذا في اليهود والفاسقون
في النصارى • وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا
لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون •



اي اتبعناهم النبيين المشار اليهم في قوله يحكم بها النبيون او الذين فرض عليهم الحكم وحذف المفعول الاول لدلالة الظرف عليه
لانه اذا قفى به فقد قفى به اياه وبعيسى المفعول الثاني للانجيل خمس صفات هدى للدلالة على التوحيد والتنزيه والبراءة عن الصاحبة
والولد والضد والنبوة المعاد وهدى ونور لكونه بيانا للاحكام الشرعية والتكاليف الدينية وتصديقه لما بين يديه لكونه مبشرا
لمبعث النبي عليه السلام ولهذا الاشكل بانهم كيف يؤمرون بالحكم بالانجيل بعد نزول القرآن ولا اشكل بان دين عيسى كان ناسخا
لدين موسى فكيف يؤمر بتصديق التورية لان المراد تصديق كونه من عند الله وانها كانت حقا قبل النسخ او في الاصول وقد كان مامورا
بالعمل بما فيها لان الاحكام بالانجيل قليلة ويرده لكل جعلنا شرعة ومنهاجا والتقدير ليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل بالتورية يحتمل
ان يقدح فيه بانه خلاف الظاهر والهداية الثانية لانه سبب لاهتداء الناس الى نبوة محمد عليه السلام وهو موعظة لاشتماله على
النصايح والزواجر والتخصيص بالمتقين لانهم المنتفعون به وليس في ذكر التصديق مرتين تكرار لان الاول تصديق المسيح التورية
والثاني تصديق الانجيل وقرئ ليحكم بفتح الميم والفاسقون الخارجون عن الحكم بالحق وقيل هذه الثلثة صفة لموصوف واحد وقيل
النصارى ويقرء انجيل وليس في عدم افعيل لانه اعجمي كهابيل وهدى منصوب على الحال ومصدقا عطف عليه وكذا هدى وموعظة
او منتصبا على علة وليحكم وهو بهذا الاعتبار مندرج في سلك مصدقا ويقرء بلفظ الامر على تقدير وقلنا وبزيادة ان اي امرنا بان يحكم اهل الانجيل
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من التورية ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • اللام في الكتاب الاول حمل على انه لتعريف العهد ولا يخفى ان المراد الذهني وفي الثاني للجنس
لانه عنى به جنس الكتب المنزلة هكذا ذكر في الكشاف والعجب ان مذهبه ان الجنس المحلى ليس للاستغراق كما صرح به في الحمد وهنا يجر به
على العموم ويدل عليه قوله ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه الكتاب على الاطلاق بل اريد به نوع معلوم وهو ما انزل
من السماء سوى القران ولا يخفى انه لو لم يحمل على العموم بل على مطلق الكتب لصح ان يقال هو مصدق لما يقع عليه اسم الكتاب على سبيل
البدل لا على الجمعية وليس المراد ذلك فلا بد من الاعتراف بالعموم وهيمن الرجل يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا مصدقا قال حسان
ان الكتاب مهيمن لنبينا • والحق يعرفه ذووا الالباب • وقيل معناه امينا لان اصله مؤامن بهمزتين ثم قلبت الاولى
كما في مترقب والثانية بالصار مهيمنا ويقرء بفتح الميم لانه مشهود عليه عند الله بانه يصونه قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وحافظ القران هو الله والحفاظ في كل عصر فانه لو بدل منه حركة بسكون لانكروا عليه وتعدية لا تتبع بعن لتضمين
معنى التحويف فعن صلة لا تتبع ويجوز ان يكون عما جاءك حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك لكل طايفة منكم
ايها الناس جعلنا شريعة اي طريقة وهي الاشياء التي اوجب الله على المكلفين ان يشرعوا فيها واصلها الطريق شبهت بها
لانها وسيلة الى الحيوة الحقيقة ويقرء بفتح الشين والمنهاج الطريق الواضح اي في الدين يقال نهج الامر اذا وضح وقيل الشرعة
اول الطريق والطريق المنهاج وفيه دلالة على انا غير متعبدين بشرع من قبلنا وقد سبق ان المراد في الفروع ولو شاء الله

اتفاقكم على دين لجعلكم متفقين على ملة واحدة في جميع الازمان وهو دليل على ان الكل بمشية الله سبحانه وحمل المعتزلة على الاجبار
خلاف الظاهر والتقدير عندهم لو شاء اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون استدراك من قوله ولو شاء الله اي وان لم يشأ ذلك بل اراد ان يعاملكم معاملة المختبر
فيما بين لكم من الشرايع المختلفة هل تذعنون لها وتنقادون لتكاليفه او تعرضون السنة وتقصرون في العمل فبادروا الى
الطاعات لان المرجع الى الله فهو استيناف يجري مجرى التعليل فيخبركم بما اختلفتم فيه فيجازي كلا من المحق والمبطل على حسب عمله
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون •
لما كان ان وما بعده في تعدي المصدر صح عطفه على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم ويجوز عطفه على بالحق اي وبان احكم
او التقدير وامرنا ان احكم فيكون في التقدير عطف فعلية على مثلها قيل سبب نزول ولا تتبع ان جمعا من احبار اليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضي لهم في خصومة بينهم وبين قومهم فيتبعونه ويتبعهم ساير اليهود فلم يلتفت اليهم وان يفتنوك
بدل اشتمال من احذرهم اي احذر فتنتهم او التقدير مخافة ان يفتنوك اي يميلون عن الحق فيكون نصبا على العلة فان تولوا به
عن الحكم بالحق واراد والباطل فتحقق ان الله يريد ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وهو ذنب التولي او ذلك بالقتل والجلاء في الدنيا
وكفى البعض لذلك والابهام بلفظ البعض للتعظيم كما في التنكير ومنه قول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها
والمراد نفسه اي نفسا واي نفس وفي وصف كثير من الناس بالتمرد في الكفر والاعتداء المراد بالفسق دليل على ان التولي عن الحق
يقتضي ذلك فان قيل من المعلوم ان الحكم بغير الحق من النبي من اعظم الكباير ومن المحال صدوره عنه فما الحكمة في التحذير عنه قلنا
قد قيل فيه دليل على جواز ذلك على سبيل السهو والنسيان فلعل التحذير عن صدوره على ذلك الوجه والاولى ان يحمل على تعليم الغير ويكون
فيه تعظيما لهذه الجريمة حيث يخاطب به من هو على هذه الصفة ويكون من قبيل المعجزات حيث قرروا فيما بينهم ان يفتنونه فاخبره
الله سبحانه والجاهلية الملة التي شأنها متابعة الهوى من غير تمسك بدين وكتاب وحكمها الميل والمداهنة او ما كان بين بني قريظة
في القتلى فسوى النبي عليه السلام فلم يرض بنو النضير او انه لا تقتص من الشريف دون الضعيف وقرئ تبغون بالتاء والياء
ويقرأ برفع الحكم فيبغون خبره والراجع منصوب حذف حذفه في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا ويقرأ حكم بفتح الكاف اي حكاما
منهم واللام في لقوم للبيان مثل هيت لك والمعنى ان هذا الاستفهام المتضمن للتعجيب لا ينتفع به الا المتدبرون للامور
والمحققون للاشياء بافكارهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • اي لا تتخذوهم اولياء تؤاخونهم فتنصروهم وتستنصروهم وتعتمدوا عليهم فتطلعونهم
على اسراركم روي ان عبادة بن الصامت برئ من ولاية اليهود الى الله ورسوله مع توقع نصرهم فقال عبد الله بن ابي اني رجل
اخاف الدواير فلا ابرا عن موالاتهم وهم يهود بني قينقاع فقال عليه السلام يا ابا الحباب ما بخلت به من ولايتهم على عبادة بن الصامت

فهو لك

فهو لك دونه فقال قبلت فنزلت بعضهم اولياء بعض لاجتماعهم على الكفر ومخالفتهم اياكم لذلك فهو سبب النهي فمن والاهم فانه معدود
من جملتهم وهو محمول على التشديد لمن يتولاهم باق على اسلامه قال عليه السلام لا تتراءى نارهما اي ينبغي ان تتركوا بحيث لا ترى
بعضهم نار بعض ومنع عمر ابا موسى رضي الله عنهما عن اتخاذ كاتب نصراني فان قيل فهل يصح ان يكون من يتولاهم منهم في شيء من الامور
الشرعية قلنا نعم لان من راى مسلما على زي الكفار في دارهم فقتله لم يجب القصاص بل الدية ولولا انه عد منهم للزم القصاص
لانه معصوم مسلم هكذا قاله الفقهاء وفيه نظر لان التزيي بزيهم كلبس قلنسوة المجوس كفر ويحتمل ان يجاب بانه قد يكون زيا غير مخصوص
من هذا القبيل والله لا يهدي من ظلم نفسه بموالاة الكفار وفيه اشعار بان ذلك ظلم يقتضي منع الله هدايته له فترى الذين في قلوبهم
مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين
اراد ابن ابي واضرابه كما سبق من قصته مع عبادة بن الصامت يرغبون في موالاتهم قائلين على سبيل الاعتذار نخشى اصابة
صرف من صروف الزمان فتصير الدولة لهم فنحتاج الى معونتهم فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله عليه السلام واظهار المسلمين
او امر آخر هو قطع شأفة اليهود باجلاء عن بلادهم ويطهر تلك الارض من ارجاسهم فيصبح الذين يتوقعون الدواير وهم
المنافقون نادمين على شكهم في امر الرسول عليه السلام هل يتم ام لا وقيل الامر امره سبحانه النبي باظهار حالهم وقتلهم والندامة على
النفاق وقيل امر لا مدخل لاحد فيه كالقاء الرعب في قلوب بني النضير وتسليمهم امرهم من غير ايجاف خيل ولا ركاب والقايل ان يقول هذا اولى
ليكون التقسيم بين المنافقين لان غيره داخل في القسم الاول ويقول الذين امنوا أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين • قرئ بالواو وبغيره وبالرفع والنصب فالرفع على انه استونف به وعلى هذا اذا كان بغير واو
فكانه جواب من قال فما يقول المؤمنون حينئذ والنصب والنصب عطف على ان يأتي وسبب صدور هذا القول التعجب من حال
المنافقين عند اظهارهم الميل الى موالاة اهل الكتاب وكانوا من قبل يقسمون انهم من انصارنا فالآن كيف صاروا موالين
لاعدائنا او يقول اليهود لانهم قالوا وان قوتلتم لننصرنكم وحبطت قول المؤمنين اي سقطت اعمالهم المتكلفة او من قول الله سبحانه
وعلى الوجهين فيه نوع تعجب لو وقعه تتمة كلام فيه ذلك فاصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة • يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • اي من يرجع عن الاسلام وقرئ يرتد بالادغام والاظهار وارتد احد عشر فرقة
ثلثة في عهد النبي عليه السلام بنو مدلج رئيسهم الحمار العبسي تنبأ باليمن فقتله فيروز الديلمي ليلة قبض النبي في غدها واخبر النبي عليه السلام
في تلك الليلة فسر المسلمين ووصل الخبر اواخر ربيع الآخر وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى النبي عليه السلام ان الارض نصفها لي
ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وقتل الوحشي في الحرب قاتل حمزة رضي الله عنه وبنو اسد قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن
اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة

في اعداد من ارتد عن النبوة في عهد النبي عليه السلام

وبنوا بكر بن وائل بالبحرين وكفى الله امرهم على يد ابى بكر وفى عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام وسببه لطمه
واحد من المسلمين وهو من المعجزات حيث اخبر عنها النبى عليه السلام قبل وقوعه ومحبة القوم ايثارهم طاعة الله على معصيته ومحبته اياهم
اكرامهم بالجنة والقوم قيل اهل ابى موسى فانه عليه السلام اشار اليه وقال قوم هذا وقيل الانصار وقيل اهل فارس فانه سئل النبى عليه السلام
فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلق بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل الفان من النخع
وخمسة من كندة وثلثة من امناء الناس قاتلوا يوم القادسية وعن على رضى الله عنه والحسن وغيرهما انها نزلت فى ابى بكر واصحابه
ويدل على صحته ان الارتداد وقع فى زمانه قال فى المفاتيح وهذا ادل شئ على فساد مذهب من قال كل من اقر بخلافة ابى بكر فقد ارتد
حيث خالف النص الجلى والاية نزلت فى على رضى الله عنه واصحابه لان ما بعدها فيه الارتباط وذلك لانه لو كان كذلك ومن فى
معرض الشرط للعموم فالمعنى ان كل من ارتد فان الله ياتى بقوم يحاربونه ويقهرونه ويردونه الى الدين الحق ولما لم يقع ذلك دل
على بطلان مذهبه واذلة جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلك خبر مبتدا اى هم اذلة اى عاطفون عليهم ولتضمينه العطف لم يقل
اذلة للمؤمنين او للاشارة الى انهم مع علو طبقتهم يخفضون اجنحتهم لهم واعزة على الكافرين اى اشداء متغلبون عليهم من عزه
اذا غلبه وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال جعل يجاهدون للصفة اولى من الحال عن الضمير فى اعزة لان وصف العزة شامل لهم فى غير
حال الجهاد ولا يخافون عطف على يجاهدون فيرجع فيه الوجهان وان يكون الواو للحال وعلى الاول فالمعنى هم الجامعون بين وصف الجهاد
فى سبيل الله وعدم الخوف من ملامة لايم فى دين الله بخلاف المنافقين الخائفين لوم اليهود واللومة المرة من اللوم وفيها وفى اضافتها
الى اللايم مبالغة باعتبار التعميم اذ المعنى انهم اشداء فى الدين لا يردعهم عن شئ من اموره من امر بمعروف او نهى عن منكر وغيرهما لوم لايم
وذلك اشارة الى المذكورات من العزة ونقيضها والمجاهدة وعدم الخوف يمنحه ويوفقه من تعلقت به مشيته سبحانه والله كثير الفضل عليهم
بمن هو اهله • انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون • وجه الربط انه لما نهى عن موالاة الكفار حرض على موالاة من يجب موالاته قيل ذكر الولى
دون الاولياء مع ان المذكورون جماعة للاشارة الى ان اصل الولاية لله ولغيره بالتبع وللقايل ان يقول هذا الكلام ضعيف لان الولى
جنس مضاف فيكون فى معنى الجمع وعلى تقدير الافراد فالتقدير وليكم الله ووليكم رسوله ووليكم المؤمنون فهو مثل قولك عالم البلد زيد
او بدل او مدح منصوب او مرفوع وهم راكعون اى متخضعون منقادون فى صلوتهم وزكوتهم وعلى هذا قيل عامة فى كل المؤمنين
فان كل من كان مؤمنا فهو ولى لكل المؤمنين ونحوه المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وفايدة ذكر هذه الصفات تميزهم
عن المنافقين الذين يقولون امنا بافواههم وما كان يصدر عنهم هذه الا قليلا ويدل عليه انها نزلت بعد تبرا عبادة بن الصامت
عن اليهود وقيل بعد تبرا عبد الله بن سلام فقال لكل منهما ولغيرهما انما وليكم الله الاية وتخصيص العبادتين بالذكر لشرفهما وقيل
فى شخص معين وهو على رضى الله عنه وقيل ابو بكر والاول يرويه عبد الله بن سلام والثانى ابن عباس روى انه لما نزلت قال ابن سلام
يا رسول الله انا رايت عليا تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وروى ابو ذر ان عليا رضى الله عنه اشار بخاتمه الى سايل



تم المناظرة

سائل فى المسجد فاخذ الخاتم من يده واستدل من قال انها دليل امامته ان الولى قد جاء بمعنى الناصر والمتصرف ولا منافاة
بين المعنيين فوجب الحمل وقال صاحب المفاتيح لا يجوز الحمل على ذلك لان انما للحصر فيلزم ان لا يوجد للمؤمنين ناصر غيره وليس كذلك عليهما
وقال المستدل ومما يدل انها فى حقه انه لا قايل بدلالة الاية على امامة غيره فوجب الحمل عليه قال فى المفاتيح لو حمل على ذلك للزم استعمال
المشترك فى كلا معنييه وهو غير جايز وللقايل ان يقول اذا لم يكونا متنافيين فقد جوزه الشافعى والقاضيان مثل ان الله وملئكته
يصلون على النبى وقال فى الانوار صيغة الجمع تمتنع من الحمل على واحد نظرا الى الحقيقة وهذا ايضا مما يمكنهم الجواب عنه نعم للقايل
ان يقول للمستدل اذا كان كلمة انما تفيد الحصر لزم ان لا يكون للمؤمنين امام غير على رضى الله عنه وانتم لا تقولون به لانكم تثبتون
الامامة له ولاحد عشر من اولاده لا سيما ونصب الامام لطف وهو واجب على الله عندكم ولو لم يظهر الامام لا يقال هذا فى زمان
حيوة النبى صلى الله عليه وسلم وايضا كان على رضى الله عنه اعرف بتفسير القران من هذا المستدل ولم يتمسك بها وتمسك بخبر الغدير
وخبر المنزلة وجميع مناقبه فدل على عدم دلالتها وفيه نظر لانه شهادة نفى لا يقال لو وقع لاشتهر لان للخصم ان يقول عدم توفر دواعى
الخصم منع من ظهوره ومعنى من يتول الله ورسوله والذين آمنوا ان من يتخذهم اولياء ويتوكل على الله وقيل يتولى القيام
بطاعته ووضع حزب الله بدل الضمير لابراز الكلام فى صورة البرهان فانه اذا كان هولاء حزب الله ومن المعلوم ان كل من كان
حزب الله فهو الغالب كانوا غالبين لا محالة وفيه تعريض بان من لم يكن كذلك فلا غلبة له • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين • سبب النزول من كان
يخالل رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث المنافقين مع ذكر العلة عن النهى فان من كان هذا حاله فهو جدير بالمعاداة لا الموادة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار حيث قرئ بالجر ايضا مع انهم كفار تخصيصا لاطلاق على المشركين لتضاعف
كفرهم ويدل عليه انه يقرا ومن الذين اشركوا وامرهم بالاتقاء عن موالاتهم مقيدا بشرط الايمان للمبالغة فيها وان كان الايمان
يقتضى ذلك وقيل ان كنتم تؤمنون بوعده ووعيده فيكون عدم الاتقاء عنوان عدم الايمان • واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم لا يعقلون • كانوا اذا سمعوا النداء الى الصلوة وقام المسلمون اليها اتخذوا الصلوة او المناداة
هزوا ايضا حاك المنافقون سخرا وقالت اليهود صلوا لا صلوا وقيل فى نصرانى كلما سمع اشهد ان لا اله الا الله قال احرق الله الكاذب
فتطاير شرر من يد خادمه فاحرق البيت واهله والاستهزاء انهم كانوا يقولون عند اقامة الصلوة هذه الاعمال التى اتيناها
استهزاء بالمسلمين فانهم يظنون انا على دينهم مع انا لسنا كذلك ولو كان لهم عقل لعلموا ان تعظيم الخالق المنعم مقرونة بغاية التعظيم
لا يكون هزوا ولعبا • قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك
شر مكانا واضل عن سواء السبيل • اى ينكرون من نقم كذا اى انكره وانتم اذا كافاه اى من حالنا الا الايمان بجميع كتب الله
فالاستفهام يتضمن الانكار والعطف على ما انزل معناه ما تنكرون منا الا مخالفتكم من جهة اتصافنا بالايمان وخروجكم عنه

فالمستثنى لازم الامرين ومثل هذا يحسن فى الازدواج يقال هل تنقم منى الا انى عفيف وانك فاجر او اعتقاد ان اكثركم فاسقون
على حذف المضاف وان عطف على ما فالتقدير ما تنقمون الا الايمان بالله وبان اكثركم فاسقون او مبتدا خبره محذوف اى وفسقكم
معلوم عندكم لعلكم حقيقة ديننا وما يمنعكم الا حب الرياسة من الاتباع ولقايل ان يقول لو جعلت الواو للحال لم يحتج الى هذه
التعسفات اى ما تنكرون الا الايمان بالله وبما عطف عليه والحال ان اكثركم فاسقون فالمنكر حالكم لا حالنا ولا يشكل بانه اذا كان
الانكار صادرا عن كلهم وهو اعظم انواع الفسق فكيف صار الفسق لاكثرهم لا لكلهم لان المراد الفسق فى دينهم وبزعمهم ايضا
فان الكافر قد يكون عدل دينه وفاسق دينه والخطاب مع اليهود سالوا النبى عليه السلام عمن تؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا
فلما سمعوا ذكر عيسى قالوا لا نعلم دينا شرا من دينكم وذلك اشارة الى المنقوم اى شر من اهل ذلك او دين من لعنه الله وهو مرفوع
اذ التقدير هو من لعنه او بدل من شر وتقرا مثوبة بفتح الواو ومكسورة وهى وان اختصت بالاحسان كالعقوبة بالشر لكنها على طريقة
فبشرهم بعذاب اليم وذكر افعل التفضيل مع اختصاص العقاب باليهود نظرا الى زعمهم ان المسلمين يستوجبون العقاب
فان اليهود شر حيث ابعدهم الله عن رحمته وسخط عليهم للاصرار على الكفر والمعاصى بعد قيام الدليل عندهم ومسخ مشايخهم
بالخنازير وشبابهم بالقردة وعبد الطاغوت عطف على لعنه الله اى ومن عبد الطاغوت وما يقرا من بناء المفعول ورفع الطاغوت
فالمعنى عبد الطاغوت فيهم فحذف الراجع وقرئ عبد بضم البا وجر الطاغوت ويقرا عابد عطفا على القردة وعباد جمع عابد كقيام
وعبد بضم البا كحذر للمبالغة فى العبودية قال ابنى لبنى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بضمتين وعُبُد بوزن حُطَم وعبيد وعُبُد
بضمتين جمع عبد كرهن وعَبَدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التا للاضافة وعبد وعباد واعبد وعبد على تسكين
عُبُد وعَبَد بمعنى صار معبودا وعبد اصل عَبُد فاتبع وعُبَد فالمجموع اثنان وعشرون قراءة والاية تدل على ان الكفر بقضاء الله
لان التقدير وجعل الله منهم عبدة الطاغوت وتاويل المعتزلة بان الله وصفهم لقوله وجعلوا الملايكة الاية لا يخفى انه خلاف الظاهر
فلا تساعدهم عليه والطاغوت هنا العجل وقيل الاحبار وكل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده نزلت لما عيروا بانهم
اخوة القردة والخنازير منكسون رؤسهم اولئك الملعونون الموصوفون بتلك الرذايل شر مكانا من المسلمين بزعمهم او هذه القراءة
للازدواج وجعل الشر للمكان على سبيل التجوز مع انه للمتمكن للمبالغة وكذا اصل وان جعل من قبيل الكناية باعتبار التعبير عن الشئ
بذكر لوازمه فهو كقولهم فلان كثير الرماد طويل النجاد وقال ابن عباس لان مكانهم سقر ولا مكان شر منه وسواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود • واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون
وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون • والاولى ان يكون فى منافقى اليهود دل
اخر الكلام عليه اى قالوا امنا داخلين عليك بالكفر وخارجين به لم يؤثر فيهم كلام الله وكلامك فقوله بالكفر وبه جملتان وقعتا
حالين وذكر قد لتقريب الماضى من الحال وايضا معنى التوقع فيه بان علامات كانت تظهر منهم وكان النبى عليه السلام يتوقعه منهم
والله اعلم بما يظهرونه من مطلق الكفر او كتم صفة محمد عليه السلام فيجازيهم عليه وضمير منهم لليهود او المنافقين يبادرون الى الحرام

اوالكذب

او الكذب ومجاوزة الحد فى المعاصى واصل المسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة واكثر استعمالها فى الخير واختيارها هاهنا
للاشعار بتقديمهم المنكرات كانهم محقون فيها والاثم الذكر لفظ العجلة وقيل الاثم كلمة الشرك ويحتمل ان يفسر بقوله تعالى بعده عن قولهم
الاثم والاثم لما وقع فى مقابل العدوان قيل هو المختص بهم والعدوان المتجاوز الى غيرهم والسحت مصدر سحته سمى الحرام وقيل
الرشوة وقيل الربوا والعطف لافراد الاهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا عملوه فان تمسكت المعتزلة باضافة
الكفر اليهم فالجواب بسلب الداعى والعلم • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون •
قيل هم علماء اليهود وقد سبق الفرق وقيل الاول علماء الانجيل والثانى علماء التورية وهو تحضيض لهم على المنع من المعاصى ذكر صاحب
الانوار ان لولا اذا دخلت على الماضى افادت التوبيخ وفى المستقبل التحضيض وترك نهى المنكر اقبح من مواقعته لان مباشرة
يدعوه الشهوة وميل النفس اليه بخلاف الناهى ولهذا قال ابن عباس هى اشد اية فى القران وقيل اخوفها ويصنعون اقوى من يعملون
لان العمل انما سمى صناعة اذا كان مستقرا راسخا فيجوز ان يجعل جوابا للتشبيه ذلك اليهم اولا ونفيه عنهم ثانيا قال فى المفاتح
المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فالعالم اذا اقدم على المعصية دل على شدة المرض ورسوخه حيث لم ينفع
فيه الدواء • وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها
الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين • لما كذب اليهود النبى عليه السلام اذهب الله النعمة عنهم بشؤمه
فقال فنحاص ذلك فرضى به الباقون وهو كناية عن البخل وقيل الفقر وبازائه بسط اليد قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وقد اشتهر هذا المجاز حتى يستعمل للبخيل والجواد وان لم يكن لهما الجارحة او يكون منعه وعطاؤه بمجرد
قال جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت يداه نباته ووهاده • قال لبيد • وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها •
وهذا المجاز يحتمل ان يكون علاقته السببية الصورية كتسمية اليد قدرة او اطلاق الملزوم وارادة اللازم وقد اثبتت للكأس
كفان يقال بسط الناس كفيه فى صدرى والعدول عن المطابقة بان يقول ايديهم مغلولة الى الفعلية اما للدعاء عليهم بالبخل
ليعلم كيف يدعو عليهم وهم ابخل الناس ومنه بيت الاشتر • بقيت وفرى وانحرفت عن العلى • ولقيت اضيافى بوجه عبوس •
او بحقيقة فانهم يغلون فى الدنيا بالاسر وفى الاخرة بالاغلال فى النار والمطابقة اللفظية حاصلة كما تقول سبنى اى شتمنى
سب الله دابره اى قطعه لان الاصل القطع وعلى مذهبنا لا يشكل الدعاء عليهم لان اعمال العباد مخلوقة لله سبحانه والمعتزلة
يفسرونه بالخذلان ونحوه للاصل الفاسد وتثنية اليد فى البسط مع توحيدها عند الغل ليكون المراد ابلغ فان نهاية الجود
ان يعطى باليدين فيكون العلاقة المجازية اقوى ويقرا بسطان وفيها مبالغة وحمله فى الانوار على نعم الدنيا والاخرة والاستدراج
والالزام والانفاق على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا بحسب سعة وضيق فى اليد قال فى المفاتح عبد على اليد لعله كان فيهم
من يقول انه سبحانه موجب بالذات وما قاله يؤيده تقييد الانفاق بالمشية ولما ورد ذكر اليد موحدا او مثنى ضلت المجسمة

باثباتها جارحة واهل الحق على طريقين السلف قالوا آمنا بظاهره ونعلم تنزهه سبحانه عن الجسمية ولا نعلم حقيقة ذلك والمتكلمون
فسروها تارة بالنعمة يقال لفلان يد اى نعمة والملك وشدة العناية والاختصاص مثل خلقت بيدى وعند الشيخ ابى الحسن
الاشعرى انه صفة قايمة بذاته سبحانه سوى القدرة من شانها التكوين على وجه الاصطفاء لانه سبحانه جعل خلق آدم بيده
علة للاصطفاء ولو كان القدرة لاشترك فى ذلك كل احد فلا بد من اثبات امر آخر والجملة خبر محذوف لا حال من الضمير المجرور للفصل
بالخبر وايضا قد اضيف اليه ولا من اليدين لعدم الضمير ولا من ضمير بهما لذلك وازدياد هم طغيانا وكفرا على طغيانهم وكفرهم
بالقرآن للحسد والتمادى فى الجحود قال فى الانوار هو كتناول المريض الغذاء الذى يصلح للاصحاء وما قاله اشارة الى ان الخلل
فى القابل وفيه دليل على انه سبحانه لا يراعى مصالح الدين والدنيا لانه لما علم انهم يزدادون بنزول القرآن كفرا لما انزل وكذا فى
القاء العداوة والبغضاء وذلك اما لاختلافهم فى الدين فمنهم جبرية وقدرية ومشبهة وموحدة ولا يشكل وقوع ذلك
بين المسلمين لانه ما حدث الا بعد عهد الصحابة والنصارى ايضا صاروا فرقا وفى الجملة لا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم
كلما ارادوا ايقاد نار الحرب مع النبى عليه السلام باثارة الشر اطفاه الله باحداث منازعة بينهم يكف بها شرهم وكذا كلما ارادوا
حربا غلبوا حيث خالفوا التورية كما سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم قسطوس الرومى ثم المجوس ثم المسلمين
وسعيهم فى الارض بالفساد اجتهادهم فى اثارة الحروب وانواع المكر والفتن وهتك المحارم ومحو ذكر النبى عليه السلام من كتبهم
ثم ختم ذلك بان الله لا يحب المفسدين اى يمقت كل ساع بالفساد فى الارض والعدول عن البغض الى عدم المحبة قد ذكر ما فى
اوايل البقرة • ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون • اى
لو آمن اليهود والنصارى بمحمد عليه السلام لعفونا عنهم آثامهم وحكمنا عليهم بدخول الجنات او جعلناهم من الداخلين فيها
وذلك لان الاسلام يهدم ما كان قبله ويعلم منه انهم ما لم يؤمنوا بالنبى عليه السلام لم يدخلوا الجنة وفيه اشارة الى عظم ذنوبهم و
اقامة الكتابين بالعمل باحكامهما من غير تبديل وتحريف وانكار بعث النبى عليه السلام او اقامتهما نصب اعينهم للعمل وقيل الوفاء
بعهودهما وما انزل القرآن فانه منزل اليهم والى غيرهم او ساير كتب الله مثل كتاب شعيا ودانيال وحيقوق فانها تبشر
بالنبى عليه السلام فانه يجب الايمان بكلها ومعنى اكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم توسيع الرزق بانزال المطر وانبات النبات
او ثمرة الاشجار والزروع او ما تساقط من الاشجار او ما ياتيهم من اكابرهم واصاغرهم وقيل المراد كثرة الخير يقال فلان فى الخير
من قرنه الى قدمه ففيه اشعار بان ما كف عنهم بشوم معاصيهم لا لقصور الفيض والاقتصاد الاستواء من غير افراط وتفريط
وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل عيسى واعترفوا بانه عبد الله
ورسوله وفى ساء معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم • يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين • اى بلغ جميع ما انزل اليك



الى كافة الناس على وجه الدوام فان اهملت شيئا من ذلك فما بلغت رسالته لان ترك ابلاغ البعض محبط للباقى لانه ليس البعض
اولى من بعض فلهذا قال ابن عباس ان كتمت اية فما بلغت رسالتى وبهذا تظهر المغايرة بين الشرط والجزاء او المعنى ان لم تفعل
فلك ما يوجبه كتمان الموحى اليك من العقاب ووضع السبب موضع المسبب وقال صاحب الانوار لعل المراد بالتبليغ ما يتعلق
بمصالح العباد فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه وقال صاحب المفاتيح الجواب بان ترك تبليغ البعض ترك للكل ضعيف
لان من اتى بالبعض وترك البعض فلو قيل انه ترك الكل كان كذبا ولو قيل ان مقدار الجرم فى بعض ترك البعض مثل مقدار ترك الجرم
فى ترك الكل فهو ايضا محال والاصح عندى ان يقال انه على قانون انا ابو النجم وشعرى شعرى اى الشعر بلغ فى الكمال والفصاحة الغاية
فكذا ههنا قال فان لم تبلغ رسالته يعنى لا يمكن ان يوصف ترك التبليغ بتهديد اعظم من انه ترك التبليغ وللقايل ان يقول
هذا كله مشعر بانه حمل الكل على الكل باعتبار الافراد والا فمن ترك البعض وقيل انه ترك الكل لم يكن كذبا فان الكل عبارة عن المجموع
وتركه يحصل من ترك فرد منها وقيل بلغ رسالاتى ولا تراقب احدا ولا تخف مكروها كان النبى عليه السلام قد ضاق ذرعا لما بعثه الله
ليعلمه ان من الناس من يكذبه وكان يهاب قريشا واهل الكتاب وقال ليلة الا رجل صالح يحرسنى الليلة فحرسه سعد وحذيفة
فلما نزلت اخرج رأسه عليه السلام من قبة آدم وقالوا انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى الله من الجن والانس وبعد ذلك هم
اعرابى بقتله فسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه شجرة حتى انتثر دماغه ولا يشكل ما جرى يوم احد لانه قد قيل انه
نزل بعد ذلك وعلى فرض تقدم نزوله فالعصمة من القتل حاصل وحمل الناس على الكافرين بدليل ان الله لا يهدى القوم
الكافرين اى لا يمكنهم مما يريدون ويحتمل ان يستدل بالعصمة منهم فان من قصد رسول الله بالاهلاك لا يكون الا كافرا
قل يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين • اى لستم على دين يعتد به ويسمى شيئا واذا اريد التحقير قيل هذا ليس بشئ
ومن اقامتها الايمان بالنبى عليه السلام والامتثال للاوامر فان الكتب باسرها متفقة على الاعتراف بنبوة من صدقته المعجزة
وبعد الايمان بالقرآن انما يقام من غيره اصوله وما لم ينسخ من فروعه وقيل قالت اليهود للنبى عليه السلام يا محمد الست تقر ان
التورية حق من عند الله قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت بازدياد الطغيان والكفر بهذا المنزل بهذا الاعتبار فلا يظن
انه تكرار ولا تأس اى لا تحزن لازدياد الطغيان والكفر فان بال ذلك لا يتعداهم يقال اسى يأسى اذا حزن فهو اس اى متاسف
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون •
الاية وان سبقت فى سورة البقرة لكنه لا تكرار باعتبار تعقيب كل مرة كلاما يغاير الآخر فالاول عقب به بيان حال اليهود فى عهد
موسى عليه السلام وما جرى لهم وما صدر منهم بعده قبل عهد النبى عليه السلام والثانى عقب به حال المخاطبين المعاندين الكافرين
ببعض الكتب من اليهود والنصارى ففى كل واحد بيان لمغايرة حال قوم آخرين ترغيبا وترهيبا وتعريضا والصابئون •
على ان رفع الصابئين بالابتداء وخبره محذوف اى الصابئون كذلك فهو فى نية التأخير عن خبر ان فكانه ابتداء بعده

مطلب تنازع العاملين على معمول واحد

والصابئون كما قال • والا فاعلموا انا وانتم • بغاة ما بقينا في شقاق • اي انا بغاة وانتم بغاة ومثله • واني وقيار بها لغريب
اي اني غريب ويلزم الكوفيين حيث عطفوه على محل ان واسمها فيكون مثل ان زيدا وعمرو قائمان لانه يلزم توارد عاملين على معمول
واحد الابتداء وان ولا عبرة بقولهم جاز لان عمل ان ضعيف فان قيل هذا ما قالوه ولم تحققوا خللا معنويا فما الخلل في ذلك
قلنا الوجه فيه ان ما عمل فيه ان لسه معمده بالتاكيد وما عمل فيه الابتداء مجرد عنه حصول الاعتبارين في حال واحد وهو محال
وعند سيبويه ان خبره من امن وخبر ان مقدم عليه دل عليه ما بعده مثل • نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والراي مختلف • اي نحن
راضون ولا اشكل بذكر امن بعد امنوا لان الاول باللسان وقولهم انه عطف على المضمر في هادوا يلزمهم العطف على الضمير
المرفوع من غير تاكيد وفصل ولانه يلزم ان يكون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب
بالفتحة وكما جوز ذلك بالياء جوز بالواو والجملة من الصابئين وخبره المحذوف عطف على ان الذين الى آخره ولا محل لها
كالمستانفة بها وفائدة كونه في نية التقديم ان الصابئين مع انهم شر الفرق لانهم صبأوا عن الاديان كلها الى الشهوات
وترك العمل بالدلائل ان اتصفوا بما ذكر من الايمان المذكور والعمل انتفى عنهم الخوف والحزن فكيف بغيرهم ولو قيل والصابئين
واياكم لم يكن تقديما لانه لا يقع المستقر في محله انه مقدم او موخر واذا لم يجعل من امن خبر الصابئين فهو اما مبتدا تضمن معنى
الشرط فادخل الفاء في خبره او النصب بدلا عن اسم ان وحذف الراجع للعلم والتقدير من امن منهم وفائدة نفي الخوف
والحزن جميعا بيان انهم لا يلحقهم ضرر ما في القيمة ولا الم فوات طيبات الدنيا • لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا
ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون • اي اخذنا منهم عهد التوحيد وارسال الرسل ليذكروهم
وتبينوا لهم امر الدين وكلما الى آخره جملة محلها النصب صفة رسلا والرابط محذوف اي منهم وما لا يهوون هي التكاليف الشاقة
المضادة لشهواتهم وجواب الشرط فريقا كذبوا والتقدير كذبوا فريقا ويقتلون فريقا وما ذكر ان الرسول الواحد لا يكون
فريقين فلقائل ان يقول لا مانع فيه لان كلما قرينة ارادة كثرة الرسل هذا وان اطلاق الفريق يشعر بذلك وتقديم المفعول
للاهتمام والاتيان بالثاني بحكاية الحال الماضية لاستفظاع القتل ويحتمل ان يقال صيغة المضارع للاشعار بانهم
كانوا قاصدين قتل النبي عليه السلام وقيل الجواب محذوف دل عليه فريقا والتقدير ناصبوه وكانه جواب من قال كيف
فعلوا برسلهم ومع ذلك حسبوا اعني بني اسرائيل ان لا تصيبهم فتنة في الدنيا والآخرة من نوع العذاب وهذا اعظم
انواع الذم حيث لا يبالي بقتل الانبياء وقرئ لا يكون بالرفع على ان المخففة من الثقيلة اي انه لا يكون ولا بيانية فعل الحسبان
لتنزيل ظنهم القوي منزلة العلم ومفعولا حسب صلة ان وان باعتبار انها سدت مسدهما فعموا عن درك الدلائل
والهدى او عن الدين وصموا عن استماع الحق وعبدوا العجل ثم تابوا عنها فتاب الله عليهم ثم عموا بالتعنت بطلب
نزول الملائكة او رؤية الله في الدنيا جهرة او بالكفر بمحمد عليه السلام وكثير بدل البعض من فاعل عموا الا ان لغة اكلوني البراغيث

ركيكة

ركيكة وتقدير المبتدا خلاف الظاهر والله بصير بقتلهم الانبياء وتكذيبهم فيجازيهم ما يستحقون • لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماواه النار وما للظالمين من انصار • لما ذكر حال اليهود عقبه بحال النصارى وهذا قول اليعقوبية حيث قالوا ان
مريم ولدت الها قال في المفاتيح ولعل مذهبهم حلول ذات الله في ذات عيسى قال صاحب الملل والنحل هم الذين قالوا بالاقا نيم الثلثة
الوجود والحيوة والعلم غير انهم قالوا انقلبت الكلمة يعنون اقنوم العلم لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده
بل هو هو قال وهو الذي اخبر القرآن الكريم بقوله لقد كفر الآية ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار مظهر الجوهر
لا على طريق الحلول والاتحاد بل هو كما يقال ظهر الملك بصورة انسان واكثرهم على انه جوهر واحد مركب من قديم هو الاله ومحدث
هو الانسان تركيبا كتركب النفس والبدن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال المسيح اني عبد مربوب مثلكم في الحاجة فاعبدوا
من خلقني وخلقكم فان من اشرك في عبادة الله او في شيء من صفاته وافعاله الخاصة به فان الله يمنعه من دخول الجنة فانها دار
الموحدين وما للظالمين يجوز جعله من كلام عيسى اي لا ينصركم احد فيما يقولون وهو برهان قاطع على النصارى فان عيسى بين نفيه وغيره
في ظهور دلايل الحدوث عليه • لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم • لما بين الله سبحانه قول احدى الفرق الثلث وهم اليعقوبية بين قول الآخرين وسوى بينهم
في الكفر وهم الملكانية والنسطورية والمنقول عن المفسرين ان مذهبهم ان الله وعيسى ومريم الهة ثلثة ويدل عليه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين فالتقدير احد ثلثة آلهة او واحد من ثلثة الهة كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم وفي الملل والنحل ان الملكانية اصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم ملكانية ان الكلمة اتحدت بجسد
المسيح وتدرعت بناسوته والكلمة اقنوم العلم وروح القدس اقنوم الحيوة ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع به
وقال بعضهم مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة الماء اللبن والخمر اناه وصرحوا بان الجوهر غير الاقانيم كالموصوف والصفة وعن هذا
صرحوا باثبات التثليث والنسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المامون وتصرف في الاناجيل برايه وهم كمعتزلة النصارى
قالوا الله واحد ذو اقانيم ثلثة الوجود والحيوة والعلم وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد
عيسى كاشراق الشمس في كوة او على بلور او لظهور سر من الاقانيم وقوله سبحانه وما من اله تكذيب لمن اثبت ثلثة اي لا اله الا ذات
دايم الوجود خالق جميع الموجودات موصوف بالوحدانية متعال عن الشركة مستحق للعبادة ومن زيدت لتاكيد النفي لا يقال
جاء في من زيد فان لم ينته النصارى المثلثة عن التثليث ليمسن الكافرين منهم او الذين بقوا على الكفر اذا جعل من للتبعيض
عذاب اليم لان بعضهم رجعوا عن هذا الدين ووضع الذين موضع الضمير للشهادة على كفرهم وانه السبب الحادث للعذاب
أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم • الاستفهام يتضمن معنى التعجب اي افلا يتوبون عن هذه العقيدة
الفاسدة والقول بها الى الله والاستغفار عنها بالتوحيد والايمان بمحمد عليه الصلوة والسلام وتنزيه الحق تعالى عن الحلول والاتحاد

بعد الزجر والتهديد فان تابوا بالايمان الصحيح غفر الله ذنوبهم وتفضل عليهم بالرحمة مع عظم ذنوبهم • ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم • اى ليس الا رسولا بشرا موصوفا بانه رسول سبقه رسل
ثبت رسالتهم بالمعجزات كقلب العصا حية وصيرورة النار بردا كما ثبت رسالته باحياء الموتى فلا فرق بينه وبينهم وان كان
خلقه من غير اب عجبا فخلق آدم اعجب وامه كساير النساء المصدقات للرسل فهما بشران محتاجان الى ما يحتاج اليه ساير
الناس من الاغتذاء بالغذاء البدل لما يتحلل وما كان كذلك كان مركبا وكل مركب محتاج ممكن فهما من قبيل الكائنات الفاسدات
فكيف يشتبه على العاقل بحيث يدعى فيهما الالوهية ثم خاطب النبى عليه السلام بالنظر فى بيان الآيات وانهم كيف يصرفون عن استماع
الحق والافك الكذب فى الاصل وحمل على الصرف لان الكذب صرف عن الحق يقال افكه اذا صرفه وقلبه والمؤتفكات من هذا
وثم ليس للتراخى فى الزمان بل لتفاوت ما بين المقتضيين للتعجب ثم عقبه بموجب آخر للتعجب وهو انه كيف تتخذ الها ومعبودا
من لا يملك شيئا من الضر والنفع لا لنفسه ولا لغيره من حيث ذاته فلا يدفع عمن يعبده البلايا والمصائب ولا يحصل لهم
السعة فى الرزق والصحة فى النفس الا باقدار الله اياه ويدل عليه ان النصارى قائلون بان اليهود عذبوه وقتلوه ولم يقدر
على دفعهم ولم يقدر على ايصال نفع دنياوى الى من احبه ونصره وهذا ايضا مما فتر الى امر ينافى الالوهية فان الاله
هو القادر الضار النافع الذى لا تاثير فى شئ من الوجود ولا الشئ من الممكنات الا بارادته وقدرته ومع هذا كله سميع لما يقولونه
ويعلم ما يعتقدونه فيعبدون من دونه ولا يخشونه وهو يعلم جميع احوالكم وقيل المراد عبادة الاصنام وهو الاستيناف فلا حاجة
الى تاويل ما يمن • قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل •
نهى اليهود والنصارى عن طرفى الافراط والتفريط فى عيسى النصارى عن اتخاذه الها واليهود عن نسبته الى السحر وما لا يليق به
وغير الحق صفة مصدر محذوف اى غلوا باطلا فان الغلو فى تحقيق حقايقه وتفتيش مقاصده واقامة الحجة عليها غير منهى عنه فيصح
ما قيل المعنى الا الحق وقيل حال اى غير محققين والذين ضلوا من قبل اسلافهم وائمتهم فى النصرانية واضلوا اتباعهم بقول التثليث
وسواء السبيل هو الاسلام وطريق الجنة • لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون • اى لعن الله كفار بنى اسرائيل المعتدين فى السبت
فى الزبور على لسان داود داى مسخهم قردة قال داود اللهم تلبسوا اللعنة مثل الرداء ومثل منطقة الحقوين والمعتدين فى المائدة
على لسان عيسى فى الانجيل اى مسخهم خنازير وكانوا خمسة الف رجل وذلك اللعن العظيم لم يكن الا بسبب عصيانهم واعتدائهم
وبين ذلك بقوله كانوا لا يتناهون اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه كالصيد فى السبت واخذ الرشاء واكل
الربوا وقيل قولهم لم تعظون قوما ولا اشكال بانه لا يمكن الانتهاء عن الشئ بعد فعله اذ المراد المعاودة او الاصرار او القصد
وانما صار ترك التناهى عن المعصية معصية لانهم لما امروا بالتناهى كان الاخلال به معصية او لا ينتهون من تناهى اذا امتنع



ثم اكد سوء صنيعهم بالتعجب المؤكد بالقسم • ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون • الضمير للفريقين
وقيل لليهود ككعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على النبى عليه السلام وقيل المنافقون يضاهون المشركين بغضا
للنبى عليه السلام ومحل ان سخط رفع لانه المخصوص بالذم كزيد فى بئس رجلا زيد اى بئس شيئا قدموه الى الآخرة عن موجب السخط
وقيل سبب ذلك لان كسبهم السخط والخلود فى النار ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا لما والوا المشركين او لو كانوا يؤمنون بالله
وبموسى وما انزل الى نبيهم لما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك قوله فى التورية ولكن كثيرا منهم تمردون فى الكفر خارجون عن دينهم
وقيل المنافقين وما انزل اليه اى النبى عليه السلام • لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون • احمل على مطلق النصارى
كما ذهب اليه الاكثر هو المناسب لعموم اللفظ والتعليل بان منهم قسيسين لكن الملايم لقوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ان يراد به النجاشى واصحابه فهم المسلمون من النصارى فان قيل احد الامرين لازم اما تخصيص الذين قالوا ببعضهم او تخصيص
ضمير الجمع فى اذا سمعوا فايهما اولى قلنا بقاء الاول على العموم اولى لقلة التخصيص ومناسبة التعليل وان مذهب النصارى
حرمة الايذاء وقد جعله فيما لليهود الذين قصدهم الايذاء وبه يشهد قوله عليه السلام ما اجتمع يهوديان بمسلم الا هما بقتله وللنصارى
لين العريكة مطلق فان قيل الواقع عداوة النصارى مع المسلمين ومحاربتهم دائما قلنا ذاك حكم للجنس فلا يشمل الافراد ولقائل
ان يقول لو رجح النزول فى المخصوصين لقرينة لتجدنهم كان مناسبا ثم مقاتلة النصارى لا ينافى كونهم اقرب مودة لجواز انه لو فرض
قتال اليهود وقتالهم كان قتال اليهود اشد ورجاء مودتهم ابعد ولعل تخصيص المودة بالقرب والعداوة بالاشد لذلك ولهذا
قدمهم على المشركين وفيه دليل على ان ذلك التفاوت بسبب العلم والتواضع والاستكانة والاعراض عن الدنيا وقلة الحرص لان النصارى
مع مخالفتهم فى الالهيات والنبوات اقل عداوة ومتعلق اللام فى للذين العداوة والمودة على ان عداوة هؤلاء ومودة هؤلاء
مختصة بالمؤمنين اشد العداوات واقرب المودات والقس والقسيس الزاهد الكبير والعالم من النصارى والقس فى الاصل
تتبع الحديث والنميمة وفى الازهرى ان القياس فى جمع تكسيره القساسيس والسماع القساوسة والرهبان جمع راهب من رهب الله
اى خافه وعدم استكبارهم عدم الانفة من اتباع النبى عليه السلام والايمان به • واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم • روى انه بعث النبى عليه السلام بكتابه الى النجاشى فقراه ودعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين
معه وجمع الرهابنة والقسيسين فامر جعفر يقرا عليهم القرآن فقرا سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت اعينهم من الدمع
اى امتلأت حتى تفيض فان الفيض امتلاء الاناء بحيث يطلع من جوانبه وهو من باب اقامة المسبب الذى هو الفيض الحاصل من الامتلاء

مطلب القسيس والرهبان

مقام السبب الذي هو الامتلاء او جعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها من الدمع للمبالغة من قولهم دمعت عيناه وكذلك
قرا سورة طه الى قوله وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وقرا النبي عليه السلام سورة يس على اصحابه الذين ارسلهم
الى النبي عليه السلام وهم ثلثون رجلا وقيل سبعون فبكوا ومن في مما عرفوا لابتداء الغاية اي فيض ابتداء من معرفة الحق سبحانه
وان جعلت للتبعيض كان ابلغ لانه اذا كان معرفة بعض الحق هكذا فكيف معرفة كله ومن الحق للتبيين ويقرا ترى بالمجهول والحق
القران وصفة النبي عليه السلام والبشارة به في كتابهم ومعنى امنا انشاء الايمان بمحمد عليه السلام فاجعلنا مع الشاهدين
اي امة محمد الذين هم شهداء يوم القيمة على الامم وعلموا ذلك بشهادة الانجيل اي اجعلنا من الشاهدين ان لا اله الا الله
وقيل اكتبنا في اللوح معهم ثم ان قومهم عنفوهم على ايمانهم فاجابوهم بقولهم وما لنا لا نؤمن بالله وهو استبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام المقتضي الذي هو الطمع في رحمة الله بصحبة الصالحين وذلك لانهم كانوا مثلثين وهو ليس بايمان بالله وقيل لم يكن
للوم القوم ولا نؤمن في محل النصب على الحال مثل ما لك قائما اي غير مؤمنين والعامل متعلق الجار والمجرور اي اي شيء حصل لنا
غير مؤمنين وو او نطمع للحال والعامل معنى حصل مقيدا بالحال الاولى لانه لو قطع النظر عنها لم يكن كلاما لانه يصير هكذا و ما لنا و نطمع
او يكون حالا من لا نؤمن اي كيف نتصور ان نطمع في صحبة الصالحين ولا نوحد الله او ما لنا ان نجمع بين التثليث والطمع
في صحبة الصالحين الانبياء والمؤمنين فيكون معطوفا على نؤمن او ما لنا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام فانه ليس للكافر
ان يطمع في صحبة الصالحين والمراد بما قالوا قولهم مع الاعتقاد لان مجرد القول من غير الاعتقاد لا يعبا به يقال هذا قول فلان
اي معتقده ويقرا واتاهم الله والمكذبين بالايات هم الذين كفروا بقولهم ربنا امنا وهم اليهود والمشركون وكفرة النصارى
وفي الاية دليل على ان المؤمن لا يخلد في النار حيث جعل الاثابة بالجنات لمجرد القول المقرون بالاعتقاد • يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون •
وجه الربط انه لما ذكر النصارى ورهبانيتهم ومدحهم بترك الدنيا بين ان الافراط فيه مذموم لان سبب النزول ان النبي عليه السلام
ذكر الناس يوما ولم يزد على التخويف فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يصوموا ويقوموا
دائما ويتركوا الفرش واللحم والودك والنساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويجبوا مذاكيرهم ويسيحوا مترهبين فقال عليه السلام الم انبا
انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم خطب الناس فقال ما بال اقوام
حرموا النساء والطيب والطعام والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني
ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا
واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا شهر رمضان فانما اهلك من كان قبلكم بالتشدد شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم فتلك بقاياهم في الديرات والصوامع وروي انه عليه السلام كان ياكل الدجاج والفالوذج ويعجبه الحلوا والعسل وروي

وروي ان الحسن قال لفرقد بعض الاولياء لما اعتزل عن اكل الدجاج والفالوذج بافريقه اترى لعاب النحل بلباب البر مع سمن
بعيبه مسلم ونقل اليه ان فلانا لا ياكل الفالوذج ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قيل نعم قال انه جاهل ان نعمة الله
فيه اكثر من الفالوذج والطيبات ما لذ مما احل ومعنى لا تعتدوا لا تتجاوزوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فالاية تدعو بنهي عن تحريم ما احل
وتحليل ما حرم ومعنى كلوا مما رزقكم الله اي كلوا ما احل الله لكم وطاب مما رزقكم الله وحلالا مفعول كلوا وصح وقوع حلالا منه لانها
وان كانت نكرة لكن تقدمت عليها الحال واذا جعلت من ابتدائية فهي متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول
وحذف الضمير العايد ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وفيه رد على المعتزلة حيث خصوا الرزق بالحلال لانه لو لم يقع على الحرام
لم يكن لذكر الحلال فايدة واتقوا تاكيد للتوصية واكد بقوله انتم به مؤمنون للاشارة الى ان الايمان هو المقتضي لذلك ويحتمل ان يكون
تعريضا بان من لا يتقي لم يكن مؤمنا حق الايمان • لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم
واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون • روي انه لما نهاهم النبي عليه السلام عن ترك الدنيا قالوا يا رسول الله
كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها فانزل الله الاية وفيه نظر لانه قد سبق ان لغو اليمين ما لا يكون معه قصد قلبي كما قال الفرزدق
حبس سل الحس عليها ولست بماخوذ بلغو بقوله اذا لم تعمد عاقدات العزايم وهو مثل والله وبلى والله وعند ابي حنيفة هو الحلف
على ما يظن انه لذلك ولم يكن وصدور الايمان عنهم في هذا المعرض بعد ان لا يكون بقصد قلبي نعم لو حمل عليه يمين اللجاج وجعل
من ذلك الباب لم يبعد وحكمها لزوم كفارة اليمين على الاصح ورجح وجوب الملزم نعم لو كان ما يلزمهم باليمين من الكفارة وذكر
لغو اليمين بيان حكم اخر ما هو سبب النزول لم يرد عليه شيء وفي ايمانكم معمول يؤاخذكم او اللغو فانه مصدر او حال منه وعاقد بمعنى عقد
وقرئ به اي يؤاخذكم بنكث ما عقدتم او اذا حنثتم وما يحتمل المصدرية والموصولة والكفارة من الكفر اي الستر اي ما يستر اثمه واوسط
الطعام اقصده وقيل العدل وهو بين الاسراف والتقتير وقيل في القيمة وقيل في الشبع وهو الخبز والادام وقيل في الخبز واللحم
وهو مد لكل مسكين على المذهب ونصف صاع عند ابي حنيفة وقيل اذا كان من بر والا فصاع من تمر او شعير وغيرهما ومحل
من اوسط نصب لانه صفة مفعول محذوف اي تطعموا اطعاما من اوسط ما تطعمون او رفع بدلا من اطعام واهلون جمع اهل
كارض ويقرا اهاليكم كالليالي وهو على لغة من يسكن الياء في الاحوال الثلث وقيل جمع اهلاه والكسوة ثوب يستر العورة ولو ظفر
ازار او رداء يستوي فيهما القطن والحرير والصوف والكتان وان كان عتيقا الا ان يقرب للمحاقه فلا يكفي الدرع والقلنسوة والخف
والنعل وقيل ثوب جامع وقيل ثوبان وهي عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا ويحتمل ان يكون خبر مبتداء ويقرا بضم الكاف
وهو لغة كقدوة ويقرا او كاسوتهم اي مثل اطعامكم اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ومحل الكاف الرفع والتقدير
طعامهم كاسوتهم اي مثل طعامهم ان لم تطعموا الاوسط وتحرير الرقبة اعتاق انسان والمذهب اشتراط الايمان قياسا
على كفارة القتل ولم يشترط ابو حنيفة في غير كفارة القتل وعلم التخيير بين الثلث لذكر او فمن لم يجد شيئا منها فكفارته صيام

ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة التتابع لانه قرا متتابعات والآن دليس بحجة عند الشافعي والاشارة بذلك الى المذكور وهي كفارة
الحانث وعدم ذكره للعلم بان الكفارة لا تجب على السال وتجوز تقديمها على الحنث على المذهب بغير الصوم فان العبادة البدنية لا تقدم
على وقتها والمراد بحفظ الايمان البر فيها اذا كان الحنث معصية والا فلا لقوله عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر
عن يمينه وليفعل وقيل مطلقا اولا يبدلوها لكل امر ومعنى كذلك مثل ذلك البيان الذي سبق يبين لكم شريعته واحكامه لكن تشكروا
نعمة التعليم اوما يعمها وغيرها • يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم
منتهون • الخمر اسم لكل ما خامر العقل فيشمل سوى عصير العنب الذي اشتد وصار مسكرا وان كان في الاصل اسمه ويدل عليه
ان النبي عليه السلام قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وقال ان من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا الخبر والميسر قمارهم في الجزور
وقد سبق في اول السورة والانصاب الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سهام مكتوب عليها خير وشر والرجس المستقذر
من العمل يقال رجس الرجل اذا عمل قبيحا واصله من الرجس بالفتح وهو شدة الصوت يقال سحاب رجاس اي هو قوي الدرجة
في القبح وقد اكد تحريم الخمر والميسر بسبعة عشر وجها التصدير بحرف النداء المشعر بالاهتمام بشان المخاطب والموصوف بالايمان
المقتضي للانتهاء وذكر حرف الحصر وتركيبها من الجملة الاسمية والادراج مع عبادة الاصنام وجعلها رجسا وقد سبق وجه اشتقاقه
والتصريح بانه من عمل الشيطان الخاص الخبير الجامع للشر المشهور بالعداوة وانما كان من عمله لانه الذي يدعو اليه ويزينه لهم والامر
بالاجتناب وانه من انتهى فله مطلق الفلاح وتوحيد الضمير لرجعه الى مضاف محذوف مثل التعاطي والمذكور او الرجس ومنها تمكن
الشيطان من ايقاع العداوة فانه اذا زال العقل انعكس ما يراد منها من الاستيناس بالاحباب الى المنازعة والفحش والقتل
وايقاع الضرر من مستقذرات مساوي اخلاق شاربها ومنها الصد عن ذكر الله الذي هو اعظم العبادات بل عن الصلوة التي هي
عماد الدين ومنها الاستفهام عن الانتهاء ومنها انه جعل تلك الاوصاف علة للانتهاء ولهذا كان المراد بالاستفهام النهي وحسن المجاز
تقديم العلاقة ولهذا قيل سبب النزول انه كلما نزل في شانها شي مثل لا تقربوا الصلوة ونحوها كان يقول عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فلما نزل قال انتهينا ومنها انه ذكر امرين فانه وان كان الخطاب مع المؤمنين وكانوا يباشرون فاراد نهيهما والامر
بطاعة الله ثم الامر بطاعة الرسول ان كلا منهما كاف في الانتهاء ثم الامر بالحذر المشعر بلحوق العذاب ثم بيان ان من تولى عنه
كفى في الوعيد ان الرسول اذا بلغ ولم يمسك فالعقاب لاحق لا محالة واضافة الرسول الى نفسه • واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين • اي اطيعوا الله
فيما يامر به واطيعوا رسوله فيه واحذروا عما نهاكم الله ورسوله عنه فان توليتم عن ذلك وسلكتم سبيل المخالفة فاعلموا
ان وبال ذلك لا يتعداكم فان الرسول قد ادى ما عليه من التبليغ ووجه ربط ما يعقبه من الكلام ان الصحابة لما نزل

تحريم

تحريم الخمر قالوا يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ومال القمار فنزل والمعنى بيان انه لا جناح عليهم فيما طعموه
اذا ما اتقوا المحارم والحكم عام وان اختص السبب فالجناح مرتفع عن كل ما يطعم شيئا من المستلذات اذا ما اتقى الله فيما حرم عليه
منها وداوم على الايمان اوازداد ايمانا عند من يقول به والتفسير باتقاء الشرك لا يلايم صفة الكلام وباشر الاعمال الصالحة واتقى
الخمر والميسر بعد تحريمها او دام على التقوى والايمان ثم اتقوا ساير المحرمات او ثبتوا على التقوى واحسنوا اعمالهم او احسنوا
الى الناس بالمواساة معهم في الانفاق عليهم من الطيبات وقيل التقوى عن الكفر والكباير والصغاير واضعف ما قيل فيه انه للتكرار
والتاكيد قال صاحب الانوار يحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى
والايمان به وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الرسول ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الثالثة اشارة الى ما قال
عليه السلام في تفسيره او باعتبار المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقي فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحفظا للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وختم
الكلام يشعر بان من فعل ذلك فهو من المحسنين وانه يستجلب المحبة الالهية • يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم • وجه الربط انه كما استثنى من الطيبات الخمر
والميسر استثنى الصيد ايضا حمل على حمام مكة وحرامها وساير الحرم وهو اولى من القول بانه نزل عام الحديبية كانت
الوحوش تغشى رحالهم كثرة لمناسبة التقليل المستفاد من شي وفهم منه انه ليس من الفتن العظام كبذل الارواح في الجهاد
ومعنى ليعلم انه يتميز من يخاف عقاب الله فيمتنع عن الصيد عمن لا يخاف فيصطاد ويحتمل ان يراد ليعلق به العلم الجزائي فمن اعتدى
بعده بان صاد استحق العذاب الاليم في الآخرة وقيل في الدنيا بالضرب والتاديب لان من لا يمتنع عن مثل ذلك فعن غيره اولى
وهو شبيه بالابتلاء بصيد السمك وبالغيب حال اي يخاف غايبا او لا يصيده جهرا • يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك
صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام • الصيد يعم صيد الحرم وغيره
جمع حرام كردح جمع رداح وهو الثقيل والمراد بالتعمد ان يفعله غير ناس لاحرامه او غير عالم بان ما يقتله حرام عليه فان وجد احدهما
كان مخطيا وحكمه وان كان لا يختلف باعتبار الضمان لانه كاتلاف المال وعن الزهري انه وردت السنة به والجهل بالتحريم
كالنسيان ولم يوجب سعيد بن جبير فيه شيئا لظاهر الاية وروي الآمر عن الحسن وذكر التعمد لانه نزل الاية في ابي البشر
ظهر له حمار وحش فطعنه برمحه وقال في الانوار لعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم ويمكن ان يقال يحتمل ان يكون لان العاب
ان لا يقدر عليه ليذبح والصيد ما يؤكل ويدل عليه قوله عليه السلام خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب
والفارة والكلب العقور ويروى الحية بدل العقرب وفيه ذكر الفواسق اشارة الى قتل كل موذ والاصح ان مذبوح المحرم كمذبوح
المجوسي لا المغصوب ويستثنى عنه ما اذا عمت الجراد فيتخلطاها وجزاء ومثل قريئا بالرفع وباضافة الجزاء الى المثل

والتقدير على الاول فعليه او فواجب جزاء مماثل لمتعلقه ومن النعم لايتعلق بجزاء لانه يكون معمول ومعمول المصدر لصلة الموصول فلايجوز
وصفه مالم يتم بصلته لانه يكون للتوصيف بعض الكلمة فاذا جعل من النعم صلته لزم توصيف المصدر بمثل ماقتل قبل تمامه بقوله من النعم
باعتبار انه صلته فلزم ان يكون صفة بعد صفة وعلى الثاني يجوز ان يكون مثل مقحما كما يقال مثلي لايفعل كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل
ماقتل وماتقرا بنصبهما فالتقدير فليجز جزاء مثل ماقتل والمماثلة على المذهب وبه قال مالك بحسب الهيئة والخلقة وبالقيمة عند ابي حنيفة
حيث صيد وحيران يشتري بالقيمة هديا او طعاما او يصوم كما ورد التخيير فيكون من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة وهذا
اذا بلغت القيمة ثمن هدي واذا اشترى طعاما اعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره واذا صام فعن طعام
كل مسكين يصوم يوما واذا لم يبلغ القيمة الهدي تخير بين الاطعام والصوم ولايخفى مافيه من خلاف الظاهر فان من النعم بيان للمثل
ويؤيده هديا بالغ الكعبة والخبر الذي ياتي من بعد وايضا هو اقرب الى الاصل وحكم ذوا عدل الحاجة الى التامل في المماثلة والهيئة
كما في التقويم فلا ينهض حجة لابي حنيفة ان المراد القيمة ويحكم صفة جزاء او حالا من ضميره وجعل منه يحتاج الى تقدير وصفه على فرض
رفعه بخبر مقدر روي ان قبيصة اصاب ضبيا في احرامه فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف وحكم بشاة فقال لم تعلم حتى
سال غيره فضربه بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم وبنبه على العدد ومايقرا من التوحيد فلارادة الجنس
او الامام والحكم في جميع ذلك صدر من الصحابة سوى اثبات كبش في الضبع فانه بتنصيص النبي عليه السلام والواجب في النعامة
بدنة وبقرة في بقر الوحش وحماره وعنز في الغزال وعناق في الارنب وجفرة في اليربوع وهديا حال من الضمير المجرور
في به او ضمير الجزاء او نفسه حيث خصصت بالصفة ومعنى بالغ الكعبة انه يساق الى مكة فيفرق لحمها على فقرائها ومساكينها
على المذهب وعند ابي حنيفة حيث شاء وسمي كعبة لتربعها وقيل لتكعبها وصح وصف هديا وهو نكرة ببالغ الكعبة لان الاضافة
لفظية او كفارة عطف على جزاء الا اذا نصب فانها تكون خبر محذوف اي الواجب عليه كفارة او فعليه وقرى طعام بالاضافة
للتبيين نحو خاتم فضة ويقرا بتوحيد المسكين اكتفا به للدلالة على الجنس وطعام عطف بيان او بدل او التقدير هي طعام
والمعنى وان يكفر باطعام مساكين مايساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد لكل مسكين مد والعدل مصدر في الاصل
اريد به المفعول ومايقرا بالكسر فمعناه ماعدل به في المقدار كعدلي الحمل وبالفتح ماساوى شيئا من غير جنسه وذلك للاشارة
الى الطعام ونصب صياما على التمييز العدل اي يصوم عن طعام كل مسكين يوما والخيار الى القاتل وقيل الى العدلين وليذوق متعلق
بجزاء اي فعليه ان يجازي ويكفر ليذوق معاقبة هتكه حرمة الاحرام واصل الوبال ضرر ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله والطعام
الوبيل الثقيل على المعدة ومنه اخذناه اخذا وبيلا وسميت خصبة القصار وبيلا ومن عاد الى مثله والعفو عما سلف هو العفو
عن الصيد في الاحرام قبل ان يسال عن جزائه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في الجاهلية لكونهم متعبدين بشرع من قبلنا
وكان حراما ومن عاد الى قتل الصيد فالله ينتقم منه وماقيل انه يمنع الكفارة ثانيا فليس في اللفظ مايشعر به وعدم ذكرها لايدل
على عدم وجوبها لجواز الاكتفا بما سبق وعزة الله وكونه ذا انتقام يفيد انه يعاقب المصر على ذلك ولايفوته لعزته

احل

مطلب

احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون • يطلق على الصيد
والمصيد وان لم يوكل والمراد مايحل من صيد الماء باعتبار الانتفاع مطلقا وطعامه مايطعم من صيده والمذهب انه كل ما لايعيش
الا في الماء وخصه ابو حنيفة بالسمك وقوله عليه السلام هو الطهور ماؤه والحل ميتته بعمومه حجة عليه وقيل كل مايصاد وقيل الا ماله نظير محرم
ككلب الماء وخنزيره متاعا مفعول له فهو بمعنى التمتيع ولاختصاصه بالطعام كقوله نافلة للاختصاص بيعقوب وللسيارة
اي المسافرين بيان انه يوكل قديدا لانهم يتزودونه كما يوكل طريا وصيد البر ما يعيش فيه ويفرخ فيه وان كان يعيش في الماء
كالسلحفاة والمذهب انه يحرم على المحرم كل ما صيد لاجله او بدلالته لا ما لم يصد له واخذ ابو حنيفة بالمفهوم حيث فسره صيد ما صيد ثم
في البر وقوله عليه السلام صيد البر حلال لكم مالم تصيدوه او يصد لكم حجة عليه ومعنى حرما محرمين ويقرا مادمتم بكسر الدال من دام يدام
وقوله اتقوا الله اشارة الى المواظبة على الطاعة بتهديد وعد الحشر • جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام
والهدي والقلايد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم • اي خلقها الله سببا للقيام
اي الانتعاش في مصالح الدين والدنيا لانها لاتتم الا بجلب المنافع او دفع المضار وهما حاصلان لهم بسببها وقيل مصلحة
والبقاء للابدان والناس اهل مكة والبادية فان اهل مكة صاروا بسببها سادة الخلق واهل الله وهو كالمسبب مما قالوه
وقرئ قيما على انه مصدر كالشبع اعل عينه كما اعلال فعله وهو منصوب على الحال او المصدر والبيت الحرام عطف بيان للمدح
نحو الرحيم في الصفة وعن عطاء لو تركوا الحج عاما لم ينظروا والشهر ذو الحجة لا الجنس الاشهر الحرم لان الشان من بينها باختصاصه
باقامة الحج فيه والهدي ما يهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على مساكينه والقلايد هي الهدي المقلد بنحو لحا شجر وكون
هذه الثلثة سببا للقيام ان في الشهر الحرام كانوا لايتعرض بعضهم لبعض بقتل او نهب والهدي يصير قواما لابدان الفقراء
والقلايد لايتعرض لها ولو في غير الشهر الحرام وذلك جعل اشارة الى جعل الكعبة قياما او حفظ حرمة الاحرام ولقايل ان يقول
لو حمل على المذكور والشامل للقبيلين كان متجها لكثرة الفوايد وانما يعلم من ذلك ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
لانه لما شرع هذه الاحكام على وجه يدفع ما في الطباع لاسيما للعرب من المقاتلة والمغالبة المقتضيين لقيام النوع علم
انه عالم بجميع المعلومات فانه يعلم انه صفة قديمة ازلية واجبة الوجود توجب تعلقه بجميع المعلومات فيكون عالما بكل شيء وعقب
رحمته بالاتصاف بشدة العقاب لان الايمان يتم بالخوف ثم ترتيب المغفرة والرحمة عليه للدلالة على غلبة جانب الرحمة فانه لما كان الابتداء
لاجلها لايكون الختم الا بها • ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لايستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون • قد سبق ان المراد بذلك التهديد اذ المعنى ان وبال المخالفة لايعود الا على
المخالف فان الرسول عليه السلام قد ادى ما عليه ولم يبق لكم عذر والله يعلم السر والعلانية فيلقى شدة عقابه المسيء وينال المحسن مغفرته ورحمته
والخبيث والطيب قيل الحلال والحرام وقيل المومن والكافر وقيل المطيع والعاصي والاولى الحمل على الاعم فيتناول الاعيان
والمعاني كالاعتقادات الفاسدة وما هو العنوان عليها كما ان الطيبات الروحانية معرفة الله وطاعته فينبغي ان يختار الطيب

على الخبيث ولو اعجب كثرة الخبيث كتقريرات اهل البدع فى ترويج مذاهبهم الزايغة عن الحق وعدم التفاتهم الى البراهين الساطعة
التى يقول مقهرها بلسان الحال بل بافصح المقال على بحث القوافي من معادنها وما على اذا لم يفهم البقر ثم بعد هذا البيان امر بالتقوى
على رجاء الفلاح فان قيل ما وجه التخصيص باولى الالباب ومن المعلوم ان هذا الخطاب لكل عاقل وان لم يوصف بانه صاحب اللب
قلنا لما كان اتقاء الكل سببا لاتقاء غيره لاسيما ودرك مقتضيات الاتقاء على ما هى عليه لا ينالها غيرهم • يا ايها الذين امنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم
ثم اصبحوا بها كافرين • لعل وجه الربط انه لما بين سبحانه انه ليس على الرسول الا البلاغ بين انه لا ينبغى ان يبادر الى السؤال
عما هو بصدد بيانه لانه لما نزل ولله على الناس حج البيت سأل سراقة بن مالك أفى كل عام فسكت فسأله مرات حتى قال فى الرابعة لا
ولو قلت نعم لوجب فنزلت وان قلنا السؤال لهم استهزاء وامتحانا فالمعنى ما على الرسول فى البيان الا ابلاغ الرسالة لما روى انه سأل
من ينسب الى غير ابيه فبين ان اباه غير من نسب اليه وقال آخر اين انا قال فى النار وكذا عمن سأل عن ابيه فعلى الاول ان تبد لكم
وجوب ما لم يجب وعلى الاخبار عن سوء العاقبة تعكم واختلف فى لفظ اشياء فقيل وزنها افعاء لان اصله شيئاء قدمت الهمزة
الاولى استثقالا للهمزتين اجتمعتا وليس بينهما حاجز حصين والهمزة الاخيرة للتأنيث فصار اشياء ولم يصرف لانه على وزن
فعلاء وهو اسم وضع لجمع شىء وليس جاريا عليه هذا قول الخليل وسيبويه والبصريين وقيل اصلها اشيئاء على وزن اهوياء
فهو افعلاء حذف احد اليائين قاله الاخفش ويرده عدم تصغيره على شييات كصديقات بل صغرت على اشياء وقول الكسائى
انه افعال ومنع الصرف لشبهه بحمراء ينتقض بصرف اسماء والجملة الشرطية مع ما عطف عليها وهو وان تسألوا صفة لاشياء
ومعنى حين ينزل القرآن اى ما دام النبى عليه السلام فى الحيوة فانه قد يؤمر بسبب سؤالكم بتكاليف تسؤكم وتتعرضوا لشديد العقاب
بالتقصير فى ادائها عفا الله عما سألتم فلا تسألوا بعدها وقيل التقدير لا تسألوا عن اشياء عفى الله عنها فيعود ضمير الجمع الى اشياء
وهو ضعيف لانه اذا استقام الكلام من غير تقديم وتأخير لم يجز حمله على ذلك وقيل خفف عنكم تقدم تعبدكم بتلك التكاليف لكونه
سبحانه غفورا رحيما عفا عنكم قيل سألها وسأل عنها بمعنى فلا يشكل بترك ذكر عن وكذا اذا رجع الضمير الى المسئلة المدلول عليها
بلا تسألوا وقيل سأل مثلها والسؤال سؤال المائدة والناقة وقولهم ابعث لنا ملكا وارنا الله جهرة فاصبح السائلون كافرين بالتفريط
فيما سألوا وكان سواء سواه • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
واكثرهم لا يعقلون • كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن فان كان اخرها ذكرا بحروا اى شقوا اذنها وكانت
بحيرة والسائبة من سيبت الشىء اهملته فالمراد المسيرة وهى كالبحيرة فى حرمة الانتفاع كان الرجل يقول ان قدمت من سفرى
او برئت مرضى فهى سائبة وقيل التى تابعت عشرة اناث ليس فيهن ذكر وما نتجت بعد ذلك من الاناث فكذلك وهى التى
تسيب من الاموال والعبيد والاماء للاصنام وخدامها والوصيلة بهذا الاعتبار لكنها تختص بالشيات فانها اذا
ولدت فى البطن الخامس ذكرا وانثى قيل وصلت اخاها وقيل فى البطن السابع وقيل اذا ولدت اناثا خلصا عشرا



مطلب اختلاف النحاة فى لفظ اشياء

فى خمسة ابطن والحام هو ان ينتج من صلب الفحل عشرة ابطن فانه حينئذ يقال حمى ظهره فلا ينتفع به ولا يمنع من ماء ولا مرعى
ومعنى الاستدراك هو ان الله ما شرع ذلك وما امر بهذه الامور ولكنهم حرموها افتراء على الله فى نسبة ذلك اليه واول واضع ذلك
عمرو بن لحى وهو اول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان قال النبى صلى الله عليه وسلم رأيته يجر قصبه فى النار يؤذى بريحها اهل
النار واكثرهم لعدم علمهم بالحلال والحرام ينسبون الى الله اقتداء بمتقدميهم وهم المفترون تنبيه ذكر الفقهاء ان تحرير نحو الطيور
غير جائز لانه يشبه فعل الجاهلية ولا يخرج عن الملك ومنهم من قال بصحته قياسا والفرق ان الانسان مخلوق للعبادة فاذا ازيل
الرق عنه تجرد لطاعة الله بخلاف الحيوانات فانها للانتفاع فاذا ازيل عنها صارت كانه قطع عنها ما هو المقصود من خلقها
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون • وجه الربط ان اريد بما انزل ابطال هذه الامور فظاهر والا فباعتبار العموم دعاء الى ابطال ذلك وكانهم
قالوا ان اباءنا كانوا ذوى بصاير فنكتسب بتقليدهم والواو للحال دخلت عليها حرف الاستفهام فافادت الانكار والمعنى
أيكفيهم اتباعهم ولو كان سفهاء غيروا دين الله ولا يعلمون شيئا والاقتداء انما يصح بمن يعلم انه عالم مهتد وذلك لا يحصل
للمقلد الا بالبرهان والمفسرون على انه رد لاصحاب التقليد وهذا هو المرجح فى المباحث الاصولية نعم للفقهاء حيث جوزوا
التقليد فى الاصول ان يقولوا لم قلتم ان انكار التقليد على الكافر فى كفره يستلزم انكاره على من اتبع المحق العالم بالبرهان
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون • لما تحسر المؤمنون على ضلال
الكفرة قيل لهم الزموا اصلاح انفسكم وسلوك الطريق المستقيم واحفظوها عن مباشرة المعاصى والاصرار عليها وعليك يقام
مقام الفعل مثل دونك فتعدى الى المفعول تقول عليك زيدا اى خذه فقد علاك الى شرف عليك وهو اسم الزم ولذلك جزم جوابه
وقيل هو نهى لكنه ضمت الراء لاتباع ضمة الضاد المنقولة اليها من الراء التى ادغمت ويشهد له ما يقرأ بفتح الراء ويقرأ بكسر الضاد
والضم من ضاره يضره ويضوره ولا يضركم ضلال غيركم اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر بيده ثم بلسانه ان لم يقدر
ثم بقلبه قال ابو بكر سمعت النبى عليه السلام ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك ان يعمهم بالعقاب وقيل هذا اذا لم ينفع الامر
الامر بالمعروف وبيان الرجوع الى الله لوعد المطيع ووعيد العاصى ومفهوم الآية يناسب قوله سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم
ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان
ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان يأتوا
بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين
سبب النزول ان بديلا مولى عمرو بن العاص وكان مسلما خرج الى الشام مع تميم الدارى وعدى بن بدى وكانا نصرانيين

فاحتضر بديل واوصى بدفع متاعه الى اهله وكان قد كتب مامعه فى صحيفة والقاها فى متاعه ولم يشعرا بذلك فاخذا من ماله
اناء فضيا فيه ثلثماية مثقال فطالبهما اهله بعد ان وجدوا الصحيفة فجحدا فترافعا الى النبى عليه السلام وهذا بعد ان اعترفا بانه
ماباع شيئا من متاعه فصلى رسول الله العصر ودعاهما فاستحلفهما بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يختانا فحلفا ثم اظهر الاناء فبلغ
اهله فاتوهما وطالبوهما به فقالوا الستم زعمتم انه ماباع شيئا قالوا انا ابتعناه ولم يكن لنا بينة فخفنا ان تاخذوا منا ولم نقدر
على البينة فنزل بعد ذلك فان عثر فقام عمرو بن العاص ووداعة السهميان فحلفا ان المال كان اكثر من ذلك وان شهادتنا
اصدق من شهادتهما فدفع الاناء الى اولياء الميت وروى ابن عباس ان تميما اسلم وتاثم واعترف بخمسماية درهم واخبر ان
عند صاحبه كذلك وامرهم ان يستحلفوه بما يعظم فى دينه فنزلت فحلف عمرو وآخر فاخذ المال من عدى ومعنى الاية اذا اشرف احد
على الموت فليستشهد مسلمين عدلين فان كان فى سفر ولم يجد المسلم فليشهد كتابيين فان لم يثق الورثة بشهادتهما حلفا
بما يعظم فى دينهما بعد العصر على صدقهما فيما شهدا به والتقييد بالعصر لاشتهارها بالتحليف بعده وان كانت اللام للجنس
فلان الصلوة لما كانت ناهية عن الفحشاء فيتوقع الظن بالصدق ويحتمل ان يؤيد الاول بقوله عليه السلام من حلف على سلعة
بعد العصر الخبر وتحبسونهما استيناف والتقدير بعد اشتراط العدالة ماذا يعمل ان ارتبنا فقال تحبسونهما فان ادعى الورثة كذبهما
بما لاح لهم من الدليل عليه اختير منهم آخران معروفان بالصدق يحلفان على كذب الشاهدين وصدق الورثة ثم يمضى الحكم
على ذلك ومعنى احق اصدق واولى بالقبول وما تجاوزنا فيها الصدق وان اعتدينا فانا اذا لمن الواضعين الباطل موضع
الحق وقيل المراد بالاثنين وصيان فيحلفان وعلى هذا يكون الحكم محكما والا كان منسوخا لان الشاهد لا يحلف فانه لو فتح هذا الباب
لامتنع الشهود عن تحمل الشهادة غير انه نقل ان عليا رضى الله عنه كان يحلف الشاهد والراوى عند التهمة لقوله تعالى ان ارتبتم وهو
اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولا يعارض بمينه بيمين الوارث ومنكم ومن غيركم قيل من الاقارب لانه اعرف بحال الميت وهم
اولى من الاجانب به وعلى الاول فلا يخفى انه يكون منسوخا فان شهادة الكافر غير مسموعة ولو ذميا على مثله عندنا وقبل ابو حنيفة رحمه الله
شهادة الكافر على مثله لنا قوله تعالى ذوا عدل منكم وقوله عليه السلام لا تقبل شهادة خاين ولا خائنة وانما جاز ذلك فى بدو الاسلام
لقلة المسلمين والضمير فى لا نشترى به للقسم وفى كان ذا قربى للمقسم له اى لانستبدل بصدق اليمين شيئا من الدنيا فنكذب
فى اليمين لاجل المال ولو كان اليمين لاجل قريب منا والجواب محذوف اى لانشترى وان ارتبتم اعتراض بين المقسم عليه
والقسم لافادة اختصاص بحال الشك ولا نكتم الشهادة التى امرنا باقامتها ومن وقف على شهادة ثم ابتداء بالله على الدفعلى
حذف حرف القسم والتعويض بحرف الاستفهام ومعنى انا اذا لو كتمنا كنا اثمين ويحتمل انه تقييد الاثم باثم القلب لقوله تعالى
ومن يكتمها فانه آثم قلبه ويقراء لملاثمين على حذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيهما نحو عادلولى ومعنى فان عثر
انه ان اطلع على انهما فعلا مايوجب الاثم فشاهدان آخران يقومان مقام الذين استحق عليهم الاثم وهم اهل الميت
لان الخيانة وقعت عليهم وقد سبق ان رجلين من الورثة حلفا على ان الاناء لصاحبهما والاوليان الاحقان بالشهادة

لقرابتهما

لقرابتهما ومعرفتهما فى التقدم على الاجانب كانه قيل من هما فقيل الاوليان ويقراء الاولين على انه صفة الذين استحق
عليهم وهذه المباحث فوايد شذت عنه ومعنى ذلك الى الآخران ما تقدم من الحكم او تحليف الشاهد اقرب ان يؤدوا الشهادة
على نحوها من غير تبديل وخيانة فيها او يخافوا من رد اليمين على المدعين فيفضحوا على رؤس الاشهاد بالخيانة وكذب
اليمين وجمع الضمير مع تقدم المثنى لعموم الحكم جميع الشهود واتقوا الله فى مخالفة ما وصى به واسمعوه سماع اجابة فان لم تفعلوا
ذلك كنتم خارجين عن الطاعة والله لا يهديهم الى الحجة او سبيل الجنة واما اعراب الآية فالتقدير فيما امرتم به شهادة بينكم
على انه فاعل اى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان او يكون شهادة مبتداء خبرها اثنان اى شهادة بينكم شهادة اثنين ويقراء
بالنصب والتنوين اى ليقم وبينكم ظرف اضيف اليه كقوله تقطع بينكم فيرفع مثله واذا ظرف الشهادة لا لحضر وحين الوصية
يجوز ان ينصب بالموت والاولى الابدال من اذ وذوا عدل صفة الاثنين وكذا منكم وآخران عطف على اثنان ومن غيركم صفة
لهما وتحبسونهما صفة آخران وسبق بيان حذف جواب الشرط والاوليان رفعا بالابتداء اى الاوليان آخران يقومان
مقامهما وقيل هما الاوليان فيكون الاخران مبتداء او بدل من ضمير يقومان او مفعول استحق وتجويز كونه صفة الآخران
مع انه نكرة لقربه من المعرفة بالوصف وما قرئ استحق بالمعروف فالفاعل الاوليان وقرئ اولين ويكون صفة او بدلا من الذين

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك
وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى
واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • عامل الظرف اذكروا
اتقوا ان جعل بدلا من مفعوله او يهدى ان جعل ظرفه او مفعول على حذف المضاف او خبر يوم جمعه فيقول الله للرسل اى اجابة
اجبتم فماذا منتصب انتصاب مصدره او بنزع اى بماذا وهو سؤال توبيخ كسؤال الموودة لتوبيخ الوائدة وجوابهم بلا علم على تقدير
لا علم الا بما انت اعلم به وتقدير الا بما علمتنا او اضمروا او بما فعلوا بعدها ليس بسديد لعدم مطابقة السؤال وقيل ذهلوا
عن الجواب ثم لما رجع اليهم عقلهم قالوا انك انت علام الغيوب او لما علموا ان المقصود التوبيخ وكلوا العلم الى الله فانه محيط بما قاسوا
من اممهم فانه يتضمن التشكى منهم مثل ما يسأل المنتقم لشخص من آخر ما فعل بك فيقول المظلوم انت اعلم بما فعل بى او انه لا علم لنا
بالنسبة الى علمك وما يقراء بالنصب علام فكتمان الكلام نائب اى انك انت المنعوت بنعوت الجلال ونصبه بالاختصاص
او النداء وجعله صفة اسم ان غير سديد لان المضمر لا يوصف وابدال اذ قال من يوم يجمع على طريقة نادى لافادة ضم ذكر
المعجزات الى سؤال الرسل ليكون التكذيب اقبح والتاييد التقوية وروح القدس الكلام الذى هو سبب حيوة الدين
وقرئ القدس بالتخفيف واضافته الى القدس للمتطهر به عن دنس الاثام ويؤيده وتكلم الناس فى المهد وكهلا اى
فى الطفولة والكهولة اى حالك فيهما سواء وقيل تنزل الكلام فى الكهولة لانه رفع قبلها وقيل جبريل لتثبيته بالحجة وذكر التورية

والانجيل بعد الكتاب والحكمة الشاملين لهما على طريقة والصلوة وقال في المفاتيح الاقوى ان الاطلاع على اسرار الكتب
لا يحصل الا لمن اقتبس العلوم الشرعية والعقلية التي بحث عنها العلماء والضمير يرجع الى الكتاب لا الهيئة المضاف اليها
لانها صفة الهيئة التي يخلقها عيسى اي مثل هيئته وقرئ الطاير وينفخ فيه في آل عمران لان الكاف تذكر والكلام في الابراء
واخراج الموتى قد سبق ولا تكرار في شيء منها لان المقصود من الذكر ما سبق من الافادة مع السؤال وكف بني اسرائيل حين
قصدوا قتله قيل كان وقت ذكر النعمة يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا ولا بيت له يخرب ولا ولد يموت وقرئ ساحر ووجه
ضم قولهم ذلك في حقه من النعم ان صدوره لم يكن الا لكونه محسود النعم الله عليه • واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون • هذا من جملة نعم الله على عيسى عليه السلام اي امرتهم بالوحي الى الرسل وقيل الهمتهم وهذا
اذا لم يقل كانوا انبياء والا فالوحي اليهم وتقديم الايمان على الاسلام لانه شرطه وهو عمل القلب فيقدم على الانقياد الذي هو
عمل الجوارح ولا يشكل بان ذكر النعمة في الاول كانت له ولامه والمعدودات له خاصة لان النعمة على الولد نعمة على والدتها
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين • اذ منصوب باذكر
او اذ اوحيت ومحل عيسى نصب باتباع حركته حركة الابن ولم يعكس لان اتباع المبني للمعرب اولى هذا هو المشهور وقد قال
بضمه تمسك بقوله • احاد بن عمرو كاني خمر • وتعدو على المدامائم • لان الترخيم من خواص المضموم وظاهر صدور هذا السؤال
يدل على ان ادعاءهم الايمان غير مطابق لما في قلوبهم وما قرئ بالتاء ونصب ربك يندفع عنه ذلك ويدل عليه قوله عليه السلام
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين والمعنى هل تسأله وكذا اذا اول على ان المراد استطاعة تقتضيه الحكمة لا ما تقتضيه القدرة
وكذا اذا قلنا المعنى هل يطيع اي هل يجيب استطاع بمعنى اطاع وقرئ ينزل بالتخفيف والخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء
يميد اذا تحرك او اعطاه كانها يعطي من تقدم عليه والاتقاء يراد به الاتقاء عن هذا السؤال اي ان كنتم مؤمنين لكمال
قدرته وصحة نبوتي وادعاء الايمان والاسلام لانه لا يجوز اقتراح المعجزات من بعد تبين الآيات فاعتذروا بانه الباعث
على السؤال التمتع بالاكل منها للحاجة حيث لا يجد غيرها وحصول طمأنينة القلب بانضمام عين اليقين الى الاستدلال
ومنه يعلم انهم كانوا مؤمنين وانما طلبوا الكمال بالطمأنينة والعلم بصدق نبوتك واجابة الله دعوتنا وان نشهد عند
من لم يحضرها اذا سألنا • قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية
منك وارزقنا وانت خير الرازقين • اصل اللهم يا الله حذف ياء وعوض عنه الميم فان قيل ما فائدة الجمع بين نداء الله
ونداء الرب قلنا لعله للتوسل به الى نيل المقصود لان ذلك نوع تربيه يسأل ضمها الى ساير انواعها وان نتخذ يوم نزولها
يوم عيد وهو يوم الاحد وقد اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العايد اي يكون لنا سرورا وما يقرأ بالجزم تكن
فللجواب نحو ردءا والمراد بالاول من في زمانهم والآخر من يأتي بعدهم وهما بدلان من لنا باعادة العامل او يأكل آخرهم



كا يأكل اولهم او المقدمين والاتباع وما يقرأ بتأنيث الاول والآخر فلارادة الجماعة والآية هنا باعتبار الدلالة على التوحيد
وصحة النبوة وحمل ارزقنا على الدوام والشكر اولى من تقدير المائدة لما فيه من التكرار ثم انتقل من ذكر الرزق الى الرزاق وفيه
اشارة الى كيفية نزول ارواح النورانية الالهية وعروجها • قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين • اجابه الله الى سؤال الحواريين قيل نزلت مائدة منكوسة يطير بها الملئكة وقيل سفرة حمراء فوقها غمامة
وتحتها اخرى فلما سقطت بين ايديهم بكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة وكان عليها خبز ولحم وقيل
خبز رز قيل سبعة ارغفة وسبع احوات وقيل من كل ثمار وقيل سمكة فيها طعم كل طعام وقيل عليها كل طعام سوى اللحم
وقيل كانت سمكة مشوية يسيل منها الدسم وليس عليها فلوس ولا شوك حولها البقول سوى الكراث عند راسها خل وعند
ذنبها ملح عليها الزيتون وحب الرمان كانت تأتيهم اربعين يوما غبا ويبرأ المريض اذا اكل منها ولم يمرض الى موته والفقير يغني
مدة عيشه فاوحى الله سبحانه الى عيسى ان يجعلها في الفقراء واليتامى والزمنى لا غير فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة
وثلثون رجلا جبارين تأكل العذرة وقيل قردة وخنازير لما امروا ان لا يخونوا ولا يدخروا في الغد وعن الحسن انهم لما سمعوا
الشرط خافوا واستعفوا فلم تنزل وعن مجاهد انه مثل ضربه لمقترحي المعجزات وهو ضعيف ينافيه ظاهر قوله تعالى اني منزلها كيف
وقد روي انه لما نزلت قال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها فقال راس الحواريين شمعون انت
اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فقال شمعون أمن طعام الدنيا ام من
طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال
الحواريون لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت فقال عودي كما كنت فعادت مشوية
نعم ذكر صاحب العوارف عن بعض الصوفية انها عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح قال وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا
في حقايق يتعذر الوقوف عليها فقال عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تطلعوا عليها والحوا فسأل فبين
الله ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه فلعله لا يحتمله فيضل به وهذا اقرب
من الاول والعلاقة المجازية فيها اظهر ولكن الاخذ بالظاهر هو المتعين غير انه لقايل ان يقول لا يبعد ان يورث تناول ذلك الطعام
استعداد الدرك الحقايق بالنسبة الى القايل له فيكون جمعا بينهما وقرئ منزلها بالتخفيف • واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب • قرئ يوم بالنصب عطف على اذ قال ولا يتمسك به على انه حين رفعه نظرا الى ان اذ للماضي
لان تعقيبه بقوله هذا يوم ينفع يدل على انه في القيمة ولفظ اذ على طريقة نادى ونظيره ثم جزاه اذ جزاء جنات عدن في العلالي العلى
وهو سؤال توبيخ للكفرة فان قيل الكفرة ما انكروا الهية الله بل قالوا بالهية عيسى ومريم ايضا قلنا يلزم من قولهم ذلك القول بعدم
الوهية الله تعالى لان التعدد ينافيه لاستواءهم على انه مظهر المعجزات على يد عيسى هو عيسى دون الله فقال عيسى عليه السلام

سبحانك من ان يكون لك شريك ما ينبغي لي ان اقول ما لا يحق لي وانما لم يقل ما قلته لانه يجري مجرى الطهارة والمقام مقام

الخضوع حيث فوض الى علمه المحيط بالكل وكذا ان كنت قلته نهاية الادب واظهار الذل وذكر وجوه في المعنى بنفسي ونفسك تعلم ما اخفيه

في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وذكر النفس للمشاكلة وقيل ما عندي وما عندك وما في غيبي وما في غيبك ما كان

مني في الدنيا وما كان منك في الاخرة ما اقول وافعل وما تقول وتفعل وعلام الغيوب تقرير مفهوم الجملتين وهي انه كنت قلته

وقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لانه ما انطوت عليه النفوس من الغيب وما يعلمه علام الغيوب • ما قلت لهم الا ما امرتني به

ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد •

وان في ان اعبدوا الله لم تجعل مفسرة لتعذر ان يكون المفسر فعل القول لانه يحكى بعده الكلام من غير توسط حرف التفسير

ولا فعل الامر لانه مسند الى ضمير الله تعالى فيصير التقدير يقول الله اعبدوا ربي وربكم ولا يصح ان يكون موصولة بالفعل لانه

سواء جعل بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به ينبغي ان يكون القول بمعناه فيكون المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به ويجوز ان يكون

موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا ولقائل ان يقول قوله البدل لا يقوم مقام المبدل معناه انه الذي اذا طرح المبدل قام البدل

مقامه وههنا لا يصح طرحه وهذا انما يتم ان لو كان المبدل في حكم الطرح مطلقا وليس كذلك فان في بعض الصور لا يجوز

طرحه كما في قول القائل رأيت غلام فلان رجلا صالحا فانه لو طرح المبدل لم يستقم اليه فيكون هنا كذلك ويكون المعنى سديدا •

والتوفية قيل بمعنى النوم وقيل الموت ومعنى كونه شهيدا رقيبا كالشاهد لم امكنهم من هذا القول الشنيع فضلا ان يعتقدوه

وبعد وفاتي لم يكن لهم رقيبا غيرك يمنعهم من ذلك بادلة العقل التي منحتهم والايات التي انزلت اليهم وشهادة الله على كل شيء

حفظه والعلم بحاله واصله المراقبة وهي المراعاة والاستعلاء لانه في مثل موضع الرقيب • ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

فانك انت العزيز الحكيم • اي ان عذبتهم فلا تعذب الا عبادك ولا اعتراض على المالك فيما يتصرف فيه من ملكه وهم يستحقون

ذلك حيث عبدوا غيرك وقيل هو على وجه الاستعطاف وان تغفر لهم فليس ذلك لعدم القدرة على التعذيب ولا يقبح منك

ولا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة والمغفرة مستحسنة لكل مجرم هكذا قيل ولقائل ان يمنع الاطلاق لان المجرم باخذ حق الغير

لا يستحسن مغفرته لما فيه من ابطال حق الغير نعم في هذا المقام الحق لله تعالى متخصص به فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل

وعدم مغفرة الشرك للوعد من الله لا لامتناع في ذاته فان قيل ما وجه مناسبة العزيز والحكيم بعد التعذيب والمغفرة وبالنظر

الى القسم الاخر الغفور انسب ظاهرا قلنا لمجموع الوصفين لمجموع الحكمين كانه قال ان تعذبهم فانهم عبادك ولا يفوتك

تعذيبهم وان تغفر لهم فانك انت الحكيم الذي لا تفعل الا بمقتضى الحكمة لا بالنظر الى انهم يستحقون المغفرة بل باعتبار ان

فعلك لا يكون الا على وجه الصواب • قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير • قرئ يوم بالرفع

والنصب وعلى الاول معناه هذا المحكي من كلام عيسى عليه السلام لوجه يوم ينفع واضافته الى الفعل لا يقدح في كونه من خواص

الاسماء

الاسماء لانه على تقدير المصدر نحو يوم لا تملك وتسمى حركته فتحا للاضافة الى غير متمكن والمراد بالصدق النافع ما يكون عليه

الشخص في الدنيا ويستمر معه الى الاخرة واورد على ذكر ما دون من نظرا الى التغليب واجيب بان لم تتناول الاجناس كلها

تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو او غيره فهو اولى بارادة العموم ولقائل ان يقول

هذا ليس بجواب سديد لان الاستدلال على كون ما متناولا للقسمين انما يثبت بنقل من العرب او استعمال من يكون حجة

ولم يذكر شيئا من ذلك واستعمال ما ورد في غير ذوي العقول وهو دليل الحقيقة وعلى وجه التغليب كان المقصود حاصلا مع رعاية

جانب الاشرف والعظمة في ذلك اكثر فلا بد من فائدة غيرها ويمكن ان يقال لما كان المفهوم من كون الكل لله انها ملكه وخلقه ذكر ما

نظرا الى الوصف وذكر في الانوار انه اتبع اولي العقل غيرهم فانهم في غاية القصور عن الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية

واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية وهو وان كان في غاية الحسن لكن في ذكر الاهانة مع ان فيها النفوس

الكاملة والملئكة العظام نظر وقال في المفاتح ذكر ان لله ملك السموات والارض لانه كان جواب عن سؤال من قال من يعطيهم الفوز

العظيم فقال من له ملك السموات والارض فهو بيان المناسبة

## سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

الحمد هو الثناء الجميل الاختياري وقد سبق ان بينه وبين الشكر عموما وخصوصا من وجه لكنه اخص من المدح فانه قد يمدح غير

العاقل بحسنه والحمد لا يحصل الا للفاعل المختار على ما يحصل من الانعام فتثبت بذكره ان العالم فعل فاعل مختار خلقه بالقدرة

والمشية لا علة موجبة والمعنى ان ماهية الحمد ثابتة لله وباعتبار اللام المفيدة للاختصاص يعلم ان ماهية الحمد لله وذلك

يقتضي اختصاص جميع اقسامه بالله سبحانه ولما كان لفظ الله كالعلم لم يكن اثبات الوصف للتمييز كقولنا الرجل العالم بل مثل

زيد العالم المفيد تعريف كون المسمى موصوفا بتلك الصفة وهو جار مجرى الامر اي قولوا الحمد لله ليكون وقوع تعليم المعنى

واللفظ معا ومعنى الخلق التقدير اي كونها وفي حق الله سبحانه عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات وذكر في

الانوار ان جمع السموات دون الارض لانها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات ولعل المراد بالذات الماهية الشخصية

لا بالنظر الى جوهرها والتقديم لكونها اشرف لان النص دل على تقدم خلق الارض وجعل المتعدي الى مفعول واحد نحو جعل الظلمات والنور

بمعنى احدث والفرق بينه وبين الخلق ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا

ومنه وجعل منها زوجها ففيه تنبيه على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية القائلون بان النور موجد الخيرات والظلمة موجد

الشرور وانما جمع الظلمات لكثرة اسبابها فان لكل جرم ظلا بخلاف النور او لان الظلمة الضلال واسبابه كثيرة بخلاف النور فانه الهدى

وهو واحد وعرف النور بانه الذي يرى ويرى به الشيء وقيل هو حال التقدير وقد جعل لان خلقهما قبل خلق السموات والارض وثم

لاستبعاد ان يعدلوا ان يسوي الكفار بين الله وبين الهتهم سواء عطف على الحمد لله اذ المعنى ان الله جدير بان يحمد لانه ما خلق

شيئا الا لان يكون نعمة فكيف يليق ان يعدل به الى غيره او عطف على خلق فانه اذا خلق ما لا يقدر عليه غيره فكيف يعدل الى ما لا يقدر على شيء

في الفرق بين الجعل والخلق

وبين أنهم وتقديم الظلمات لتقدم المعمول على الوجود واختلف في ان الظلمة وجودية وهى كيفية تضاد الابصار او عدم النور
ولا تمسك للاول بالآية باعتبار تعلق الجعل بها المستدعى وجود المتعلق لانها ليست اعداما صرفه والمقصود من الآية
الاستدلال على وجود الصانع وبيانه ان تقدر اجرام السموات والارضين في امور مخصوصة ومقادير مخصوصة لا يمكن
الا بالفاعل المختار لان كل واحد اختص بمقدار معين مع جواز ازيد وانقص وايضا اختصاصه بالحركة دون السكون مع ان الطبيعة
الجسمية واحدة ولوازم الطبيعة الواحدة واحدة بامر ممكن وايضا كل حركة له يمكن ان يكون اسرع وابطأ فاختصاصها
لا بد وان يكون بامر ممكن وايضا يمكن توجيهها الى غير الجهة التي هى موجهة اليه ووقوعها كذلك لا يكون الا بامر ممكن وايضا يمكن
ان يوجد جسم آخر اعلى منه او اسفل فوقوعه على خلاف ذلك الترتيب امر ممكن لكون الاجسام متساوية في طبيعة الجسمية فيصح
على بعضها ما يصح على كلها فاختصاصه بذلك الحيز والترتيب بامر ممكن لا بد له من مرجح وايضا ابتداء حركته في وقت معين دون غيره
امر ممكن فلا بد له من مرجح وايضا اختصاص بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية دون العكس اختصاص بامر
ممكن فلا بد له من مرجح وايضا ثبت ان خارج العالم احيازا غير متناهية لانا نعلم بالضرورة انا لو فرضنا انفسنا واقفين على
طرف الفلك الاعلى فانا نميز بين الجهة التي تلي قدامنا والتي تلي خلفنا فحصول هذا العالم في هذا الحيز دون ساير الاحياز امر ممكن
فلا بد له من مرجح فثبت ان اجرام السموات والارضين مختصة بصفات واحوال جاز في العقل وقوعها على اضدادها فثبت
ان لا يحصل ذلك الاختصاص الا بمرجح لاستحالة ترجح احاطه في الممكن بلا مرجح ولا مرجح الا الواجب لاستحالة الدور والتسلسل
هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون • من للابتداء اى ابتداء خلقكم من الطين لان اصل ادم الذى
هو اصل البشر منه او خلق آباءكم واصل القضاء احكام الصنعة والفراغ منها ويأتى بمعان اخر نحو حكم وفعل وصنع واعلم
واوحى وهى متقاربة والاجل الوقت المعين والاول قبل النوم والثانى الموت وقيل القيمة وما بين الخلق والموت وما بينه وبين
البعث ولمن بقى ويأتى وقيل عمر الانسان والثانى قطع اجله وصح الابتداء باجل مسمى لتخصصه بالوصف فلم يحتج الى تقديمه وهو
على الاصل فلا حاجة الى الاعتذار عن وجوب التقديم بتعظيم الساعة مع انه لم يقدم للوجوب والاخبار بانه من عند الله انه امر استأثر
الله نفسه بعلمه وثم لاستبعاد الشك في الالوهية بعد او الاختلاف فيها قيام الدليل على انه الخالق المحيى المميت لما سبق غير مرة
ان من قدر على خلق المواد واحيائها قدر على جمعها واحيائها ثانيا لشمول القدرة ولامكان المستدعى للقبول وبهذا اندحضت جميع
الشبهات التى عليها مدار انكار الحشر فالآية دليل البعث بعد الدلالة على التوحيد • وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين • اى هو المعبود فى السموات والارض او المفزع
اليه او الذى يتحير العقل فى ادراكه او المتوحد بالالوهية او المعروف بها فى السموات والارض لان متعلق الجار اسم الله
المعطى احد هذه المعانى وان جعل فى السموات خبرا بعد خبر فالمعنى انه الله وانه فى السموات والارض بمعنى احاطة علمه بما فيهما
فيكون استعارة للعلاقة التشبيهية لانه كالكاين فيهما حيث لا يخفى عليه ما فيهما وهو نحو قوله سبحانه وهو الذى فى السماء اله



وفى الارض اله ومن قال لفظ الله لما حذف همزته وعوض عنها اللام وصار كالعلم لم يعمل قال انما يصح لانه يدل على اوصاف
كالقدرة والارادة فكانه قال القادر المريد ولا تمسك للمجسمة لانه لو حمل على ظاهره للزم بعد فساد الحدوث والامكان المنافيين
للالوهية باعتبار التركيب وقبول الزيادة والنقصان ان يكون مستقرا فى الارض وهو باطل باجماعهم فلو قيل لا يلزم من عدم
جواز العمل باحد الظاهرين عدم الجواز فى الآخر من غير دليل قلنا لو قطعنا النظر عن ساير الدلائل لزم محال آخر وهو انه يكون موجودا
فى السموات كلها لان كونه فى سماء واحد ترك للعمل بالظاهر ويعلم سركم وجهركم تقرير للتوحيد بالالوهية فانه الذى استوى اليه المعلومات
كلها من اعمال القلب المرادة بالسر والجوارح المرادة بالجهر ليس الا الله سبحانه فيعلم ما يكتسب من الخير والشر ويجازى عليه وفى التخصيص
بذلك للعناية به ومن الاولى لاستغراق النفى والثانية للتبعيض ولقايل ان يحملها على التبيين اى ما تأتيهم من آية التى هى من آيات الله
اى لا يظهر لهم شئ من الادلة التى يجب الاستدلال بها الا وهم معرضون عنها غير متدبرين لها ولعل العدول عن الفعلية الى الاسمية
لتأكيد اعراضهم وهو تقرير للنبوة بعد ذكر امر التوحيد والمعاد • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم
وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين • القرن يطلق
على الزمان واهله من قرنت وهو ثمانون وقيل سبعون سنة وقيل اهل كل زمان فيه نبى او فايق فى العلم وان قلت السنون
واصل مكن جعل له مكانا مثل ارض جعل له ارضا والمعنى اعطيناهم من النعمة والقوة والامر والنهى والبسط فى الجسم وقيل هو
اعطاء ما يصح به الفعل ومعنى مكنته ومكنت له الشئ ازلت الحايل بينهما والمعطى لهم نحو عاد وثمود ومن لم يعط اهل مكة
وارسال السماء المطر او السحاب او الفلك فان مبدأ الارسال منه وعلى الاول قالت العرب ما زلنا نطأ السماء حتى اتيناكم والمدرار
الدايم من در يدر يعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار والمطر المدرار فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن عنهم ذلك واحدثنا
بعدهم طايفة اخرى وكما اهلكناهم واحدثنا آخرين فكذلك نقدر ان نهلكم ونأت بقوم اخرين وان لم تصدقوا بذلك الآن تلك الوقايع
لشهرتها صارت كالمحققة عندهم ايضا ولا اشكل ان الانبياء ايضا هلكوا لان مآل الكفار الى الجحيم ومآل السعداء الى النعيم
ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • بيان لتعنتهم فانهم ان شاهدوا
كتابا مكتوبا فى رق نزل عليك فلمسوه بايديهم ولم يقدروا ان يقولوا سكرت ابصارنا لعدم الاقتصار بالرؤية والاسناد
الى اليد للتوكيد وتخصيص اللمس لانه بتقدمه الرؤية لقالوا ليس ذلك الا سحر مبين سبب النزول ان المشركين قالوا لن نؤمن لك
حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وقيل معلقا من السماء وبناء المبالغة لطول
المكث والمبين الظاهر • وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون • اى هلا انزل الينا ملك يخبر بانه نبى وهذا من شبه منكرى النبوة فالو لو بعث الى البشر رسولا لكان ملكا
لان علوم الملائكة اكبر وهم اقوى واشد نهاية وانما كان نزول الملائكة قضاء الامر الذى هو تعجيل العقوبة او قيام الساعة لان الملك
يرى فى هاتين الحالتين ولان ظهور الآية المقترحة توجب العقوبة الحالية وان لا يؤخرهم لحظة اذا لم يؤمنوا بها ولو جعلناه

جواب ثان سوى الجواب لقوله لقضى الامر ان جعل الضمير للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراحهم ثانيا فانهم قالوا لولا انزل
عليه ملك وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملئكة وتقريره لو انزلنا عليك ملكا شاهدوه او لو جعلنا الرسول ملكا لكان متمثلا بصورة
البشر كما كان يظهر جبريل كاضياف ابراهيم كذلك لان الانسان لا يستعد لرؤيته في صورته واختصاص بعض الانبياء في
بعض الاوقات بذلك لتخصيصهم بقوة قدسية وايضا لو كان الرسول ملكا لقالوا انما تفعل ما تفعل لكونك في غاية اللطافة
فلم يقدر على الاتيان بالمعجز لذلك وللبسنا جواب شرط مقدر اي لو جعلناه رجلا لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم نحو ما هذا
الا بشر مثلكم وما يقرأ بالتشديد فللمبالغة ويقرأ بحذف لام الجواب واصل اللبس من التستر بالثوب والمعنى انا اذا جعلنا الملك
في صورة البشر ظنوه بشرا فيعود سؤالهم انا لا نرضى بالبشر وكذبوه ولو اتى بالمعجز كالقرآن لما صدقوه كما فعلوا بمحمد عليه السلام
ولو وجد ذلك كان فعل الله نظير فعلهم في التلبيس فان الناس يظنون انه بشر مع انه ليس كذلك وكان فعلهم تلبيسا كقولهم لعوامهم انه بشر
مثلكم لا يكون رسولا • ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين • تسلية للنبي عليه السلام اي ما ترى من سؤالات قد وجد مع غيرك من الانبياء فنزل بالمستهزئين
وبال فعلهم وحاق معناه عاد او حل او احاط وقيل كانوا يستهزؤن بالعذاب فلا حاجة الى الاضمار ومعنى سيروا ابعدوا واصله
استمرار الانتقال لطلب الابعاد والنظر طلب الادراك للرؤية او الرؤية فيكون السير للنظر لا كسير الغافل والارض نحو اليمن والشام
فانه يرى ثمه آثار المهلكين وهو اقرب اليهم وذكر ثم هنا والفاء في موضع آخر للنظر الى التسبيب او انه يتعقب النظر وفي ثم الامر
بسير بعد سير وذلك يقع في زمان بعيد والحمل على اباحة السير لا يلايم الكلام • قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه
الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون • سؤال الزامي فانهم يعترفون بانه سبحانه خالق الكل
ولهذا لما كان جوابه متعينا متفقا عليه قال قل لله ومعنى كتب الرحمة الزامها على نفسه وهي تشمل نعمة الدارين كالرزق والهداية
بنصب ادلة العقل والامهال على الكفر فان قيل ما وجه المناسبة بعاقبة المكذبين والجمع الى يوم القيمة قلنا من اعظم الرحمة تيسير
اسباب تقتضيها ومن تدبر حال المكذبين جانبها واستعد للرحمة وكذا من علم انه يحشر للجزاء يسعى لتحصيل صالحات الاعمال
واحترز عن سيئاتها للوعيد عليها فنال الرحمة ومن جملة كتبها ما اخبر عنه عليه السلام ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه سبقت
رحمتي غضبي ومحل الذين نصب على الذم اي اعني او بدل من ضمير ليجمعنكم او رفع به اي هم الذين والخسران في الجملة وان كان مسببا
عن عدم الايمان لكن المراد هنا اهمال النظر والتدبر في الآيات وابطال الاستعدادات فعدم الايمان هو المسبب • وله ما سكن
في الليل والنهار وهو السميع العليم قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين • وجه الربط انه لما ذكر السموات والارض ولا امكان غيرهما ذكر الليل والنهار اذ لا زمان
غيرهما على ما هو المتعارف والمراد بيان حصر الموجودات لانه اما الواجب وهو الموجد او الممكن وهو المخلوق له ولهذا قيل ما سكن
وتحرك مثل سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد ان اريد بالسكون الحلول فالمعنى ما اشتمل عليه من الجواهر والاعراض وهو السميع

لما يسمع منها والعليم باحوالها فيشتمل على وعيد المشركين وفيه رد على من قال انه موجب بالذات قيل سبب النزول ان المشركين قالوا
يحملك على هذه الدعوة الحاجة فنحن نجعلك من اغنانا فلهذا قال اغير الله اتخذ وليا اي ناصرا او معبودا فانه دعي الى الشرك وتقديم
المعمول وايلاء همزة الاستفهام المتضمنة للانكار لشدة العناية بانكار ذلك كيف والله مبدع السموات والارض قال ابن عباس
ما عرفت معنى الفاطر الا من قول اعرابي نازع آخر في بئر انا فطرتها اي ابتدأت احداثها ووجه ما يقرأ بالرفع والنصب المدح وعلى
المشهور صفة الله ويؤيده ما يقرأ بالماضي ويقرأ ولا يطعم بفتح الياء وعلى بنائهما للفاعل فيكون اطعم في الثاني بمعنى استطعم
او يطعم تارة ويمنع اخرى وعلى المشهور معناه يرزق ولا يرزق ويقرأ بعكسها والضمير لغير الله اي كيف اتخذ من هو نازل عن رتبة
الحيوان شريكا لله ولا نافع غيره وامره عليه السلام بان يكون اول من اسلم لان اسلام الامة مستفاد منه فلا يتأخر فهو مثل
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وتقديره ولا تكونن قيل لي ذلك وان عطف على قل فالمخاطب الامة او التقدير كن اول
المسلمين ولا تكونن من المشركين • قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك
هو الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير • الشرط قد توسط بين
العامل وهو اخاف وبين معموله وهو عذاب يوم والجزاء محذوف مثل عذبني وهو جواب لدعائهم الرسول عليه السلام الى الشرك
نظرا الى سبب نزوله وله ما سكن اي ان عصيت فيما امرني به ان اكون اول المسلمين يصرف الله عنه العذاب يوم القيمة فقد نال
كال الرحمة نحو ان قضيت حاجة فلان فقد احسنت اليه اي انممت اليه الاحسان وقيل فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له
بد من الثواب وللقائل ان يمنع ذلك لان اهل الاعراف صرف عنهم ولم يدخلوها الجنة وقيل هم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم
وقرئ يصرف وحذف المفعول وهو العذاب للعلم به وان نصب يومئذ على المفعول به فالتقدير من يصرف عنه هوله والضر المرض
والفقر وغيرهما والمعنى لا كاشف اي دافع والخير نحو الغنى والصحة ولا موصل ولا مديم للنعمة غير الله سبحانه بوسط وبغيره بل لا فاعل
في الوجود غيره تعالى وتخصيص ذكر القدير بالخير دليل على ان ارادة الله ايصال الخيرات غالبة على ارادة المضار • وهو القاهر فوق عباده
وهو الحكيم الخبير • لما ذكر كونه سبحانه قادرا على كل شيء صور القهر والعلو بالعلية ومنه انا فوقهم قاهرون واشار بالحكيم الخبير الى كمال العلم
وتقديم الضمير يفيد الحصر ومعناه انه لا موصوف بكمال القدرة والعلم الا الحق سبحانه فيعلم انه لا كامل في الوجود غيره والدليل
على كونه قاهرا لانه قهر الممكنات تارة في طرف ترجيح الوجود على العدم ولا تمسك للمشبهة باثبات الجهة لورود الفوقية لان وجوده سبحانه
سابق على الجهات فيكون حصولها فيها وذاته لا ينفك عنه وما لا ينفك عن المحدث محدث وايضا يلزم التركيب المستلزم للامكان باعتبار
عمومها وفوقية القدرة تدل عليه • قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم
لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون • جواب لرؤساء مكة قالوا ما نرى
احدا يصدقك في الرسالة ولقد سألنا اهل الكتاب انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد لك والشيء يقع على كل موجود فعلى
الله شيء لا كالاشياء وانكر جهم هذا الاطلاق وهو حجة عليه لانه لو لم يصح لكان مثل قولهم افضل الناس جبريل اي الله اكبر شهادة

مطلب صح اطلاق الشي على الله تعالى

لانتفاء الخطاء والكذب عنها عن ابن عباس انه قال فان اجابوك والا فقل الله او لانهم كانوا مقرين به فلذلك لم ينتظر الجواب
والتقدير عند من وقف على الله هو شهيد وان الجواب الله شهيد فانما يصح لانه اذا كان الله الشهيد كان اكبر شئ شهادة
واذا اعترفوا بان الله اكبر شهادة فقل انه شهد لي بالنبوة لانه اوحى الي القرآن معجزا او عطف من بلغ على ضمير الجمع بفيد عموم
الانذار اي ولانذر به من بلغه من الجن والانس او الموجودين ومن بلغه الى قيام القيمة ويفهم منه انه لا يؤاخذ بخطاب
القرآن غير من بلغه ثم استفهم انكار الشهادة على اثبات الشركاء وامر النبي عليه السلام بان لا يشهد شهادتهم بل بان يشهد
على التوحيد وان يبرأ من شركائهم التي يزعمون انها آلهة والمستحب لمن اسلم ان يصرح بالتبري عن كل دين سوى الاسلام بعد
الشهادتين • الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون • لما نقل المشركون انه
عن اليهود والنصارى انهم لا يعرفون رسالة محمد عليه السلام كذبهم الله تعالى ويدل عليه قول ابن سلام انا اعرف به من ابني
ولا يشكل بانه لا يعلم من التورية والانجيل تفاصيل حاله لان المعجزات البينات قد انضم الى ما فيهما من النعوت وصار المجموع سببا
للمعرفة والذين يجوز ان يكون صفة للموصول الاول وان يكون مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والخسران اما الهلاك الدايم بالكفر
او ان منزلة الكافر في الجنة يصير للمؤمن فيكون قد خسر نفسه واهله بايراث منزلتهم غيرهم • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب به
باياته انه لا يفلح الظالمون • هو بيان الخسران المذكور فاما اختلاف المشركين قولهم الله تعالى امرنا بعبادة الاصنام والتقرب اليها
او الملائكة بنات الله واليهود والنصارى قالوا النسخ لا يتطرق الى ديننا واذا فعلوا فاحشة الآية ونحن ابناء الله ونحوها وتكذيب
آيات الله تسمية القران والمعجزات سحرا او كذب نبيه بتكذيب آيات الله وذكر او مع انهم جمعوا بين الامرين للاشارة الى ان كلا
منهما بلغ الى نهاية الظلم فتبين ان الشان ان الظالمين لا يظفرون بمطالبهم في الدارين • ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون • اي انذرهم واذكر يوم نحشرهم من قبورهم وان قدر ناصباله تكون القصة كيت كيت كان في الابهام
تهويلا وقيل لا يفلح الظالمون ابدا ويومئذ والسؤال عن الشركاء قد حمل على ان يكون عن شفاعتها والتقدير زعمونهم شركاء
وحذف المفعولين لدلالة السياق وهو سؤال توبيخ وقيل جعلوا كالغيب لعدم الانتفاع بهم وفتنتهم عاقبة كفرهم اي لم يكن الا
جحوده المؤكد بالحلف الكاذب والتبري عن الالهة التي زعموا انهم شفعاؤهم وصدور الكذب عند ظهور الامور على ما هي عليها في ان الله سبحانه
لم يزل مطلعا عليها لغاية الدهشة والحيرة لقولهم ارجعنا نعمل صالحا مع العلم بانه لا رجوع والحمل على انا ما كنا مشركين في اعتقادنا
او في الدنيا غير ملايم لظاهر الكلام لاسيما وقوله تعالى يوم يبعثهم جميعا فيحلفون له نص في صدور ذلك على الجرم فقوله سبحانه انظر كيف
كذبوا على انفسهم ينبغي ان يحمل على الكذب في الدنيا كما ذهب اليه الجبائي والقاضي نظرا الى انه لما حصل الاضطرار وعلموا انه لا ينفعهم
يومئذ الا على الكذب
الكذب كيف يكذبون والجواب انه قد تعزف عقولهم حينئذ بناء على ان القيمة لا كذب فيها نعم ما قيل ان في بعض المواطن لا يكذب
دون بعض محل وقرئ يحشرهم ويقول ولم يكن بالياء ويكون الفتنة الخبر وقرئ بنصب ربنا على المعنى والنداء والذي ضل

عنهم

عنهم شركاؤهم • ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا
جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين • اي يستمع حين يتلو القرآن وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن
الحارث واضرابهم قالوا للنضر ما يقول قال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا اني ارى تحريك شفتيه وما يقول الا اساطير الاولين مثل كنت
احدثكم فقال ابو سفيان اني لاراه حقا وقال ابو جهل كلا والاكنة الاغطية جمع كنان وهو الساتر ان يفقهوه اي كراهة ان يدركوه
وحمل على انه تمثيل لنبو قلوبهم واسماعهم عن ادراك الحق والوقر ثقل يمنع السمع وتاويل المعتزلة على انه حكاية قولهم او ارادة انه امر ثابت
لا صدور ذلك من الله تعالى ولا يخفى ان ذلك مبني على اصلهم الفاسد في عدم اسناد اسباب الكفر الى الله تعالى وهذه الاية من جملة الحجج القاطعة
لنا وبيانهم الزايغة مثل قيل كل من عند الله وانه ارتكاب خلاف الظاهر وصرف الكلام عن اصل الاستعمال كما قال سبحانه يحرفون الكلم عن مواضعه
وان يرى الكافر كل دليل على النبوة كانشقاق القمر ونحوه لم يؤمنوا بها لانه قد انتهى كفرهم الى ان ياتوك مجادلين قائلين والجملة التي هي
اذا وجوابه واقعة بعد حتى فانها التي بعدها الجمل وما قيل انها الجارة واذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم فيه نظر لانه يلزم ان ينتهي
عدم الايمان الى وقت المجيء وليس كذلك ويجادلونك حال عن فاعل جاؤك وبلغ عنادهم الى انهم سموا اصدق الحديث وهو الكتاب
المشتمل على مباحث الالهيات والنبوات والاخبار المغيبات وينابيع الحكم البالغة والحجج الدامغة والاحكام الشرعية والاخلاق
الفاضلة الى غير ذلك خرافات الاولين فان الاساطير هي الاباطيل هذا وهم ينهون الناس عن الايمان بمحمد عليه السلام او القران
مخافة ميل قلوبهم اليه ويتباعدون عنه بانفسهم وقيل نزلت في ابي طالب كان ينهى المشركين عن ايذاء النبي عليه السلام وينأى عنه
فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ابشر وقر بذاك عيونا لولا الملامة
او حذاري منه لوجدتني سمحا بذاك مبينا وما يهلكون بذاك الا انفسهم ولا شعور لهم بان وباله لا يحيق بغيرهم • ولو ترى اذ وقفوا
على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون • اي رايت يا محمد المجادلين حين عاينوها او صاروا فوق النار او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرايت امرا فظيعا وهو جواب لو حذف للتهويل ويقرأ ببناء الفاعل من وقف على كذا وقوفا فقالوا يا ليتنا تمنيا للرجوع
الى الدنيا ليؤمنوا ويخلصوا الايمان ولا يكذب مثل دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني ام لا فيكون استينافا منهم ويجوز
ان يكون عطفا على او حالا عن ضميره ولولا ان العطف اكثر لكان الحال اقعد من جهة المعنى ويدخل تحت حكم التمني ولا يشكل بان
التمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون لانه يتضمن معنى الوعد مثل ليت لي مالا فاحسن اليك فان رزق ولم يحسن كان
كاذبا وقرئ بالنصب على الجواب اجراء للواو مجرى الفاء ليصح اضمار ان وقرئ برفع الاول عطفا على نرد ونصب الثاني
جوابا للتمني بل اضراب عن قولهم ونكون من المؤمنين يعني انهم تمنوا ذلك ضجرا لا عزما على الايمان بل لما ظهر قبيح اعمالهم وشهدت
عليهم جوارحهم قالوا ذلك ولو ردوا الى الدنيا بعد ذلك لعادوا الى الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون في الوعد غير وافين به
وقيل كاذبون في الدنيا واستدل الواحدي بالآية على المعتزلة على انه ما يقع منهم بالقضاء السابق والا فبعد ان شاهدوا

العذاب كيف يرتاب ويعود الى الكفر • ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون •
قيل مجاز عن الحبس للتوبيخ يقال وقف العبد بين يدي سيده ليعاتبه على جنايته او على جزاء او فصار بهم او من الوقوف اي عرفوه كما يقال
وقفت على كلامه وتمسكت المشبهة به على انهم بالقرب من الله فهو بحيث يحضر في مكان تارة ويغيب اخرى وبطلانه بعد ادلة العقل انه لو جرى
على ظاهره لزم المحال بالاتفاق لانه يلزم استعلاؤهم على ذات الله تعالى وهمزة اليس للتوبيخ وكانه جواب من سال اذا قال لهم ربهم قال
اليس البعث وما يترتب عليه من الجزاء وانما اقروا اقرارا موكدا باليمين لظهور الامر اقصى ما يتصور واستعمال الذوق لوجدانهم شدة الاحساس
كالذائق وما يصدر به اي بكفركم وقيل الباء للبدل مثل اشتروا الضلالة بالهدى • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة
بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون • مرتبط بقوله وما نحن بمبعوثين وخسرانهم
ابطال الاستعداد الذي يحصل به الحيوة الطيبة والوقوع في العذاب السرمد ولقاء الله البعث وغاية التكذيب مجئ القيمة
لانه يصير الايمان حينئذ اضطراريا وليس غاية الخسران لانه يستمر بعدها وتسميتها بالساعة لسرعة الحساب فيها قال سيبويه اذا قلت
يا عجبا فكانك قلت احضر وحينئذ نادوا الحسرة وقالوا تعالي فهذا اوانك والبغتة الفجاة وهي ورود الشئ من غير علم من فرد عليه
نصب على الحال اي باغتة او على المصدر اي بغتتهم بغتة وذلك عند ظهور تقصيرهم والتفريط التقصير والتضييع وضمير فيها يرجع
الى الدنيا او الساعة او الصفقة المدلول عليها بالخسران او الحيوة والتحسر واقع في زمن الموت ايضا لكنه لما كان من مقدمات
احوال الاخرة فكانه من جنس الساعة واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من مات فقد قامت قيامته اولتنزيل سرعة مجيئها كالواقع حال
الموت والوزر الثقل واصله الحمل يقال وزرت الشئ اي حملته والمراد الاثام ووزير السلطان هو الذي يحمل منه اثقال تدبير الولاية
روي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن الاشياء صورة واطيبها ريحا ويقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا
فاركبني فذلك قوله سبحانه وفدا اي ركبانا والكافر يستقبله اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا ويقول انا عملك الفاسد طالما
ركبتني فانا اركبك اليوم فذلك قوله سبحانه وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فمعنى يزرون اي يحملونه وقيل هو مجاز اللزوم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون • انما نبه على خساسة الحيوة الدنيا ردا على منكري
البعث حيث قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا فقال ما اعمالها الا لعب ولهو وما اهلها الا اهل لعب ولهو لكونها سريعة الزوال او لا منفعة
في عاقبتها بل الغم والندم كاللهو واللعب وقيل هذا في حيوة الكافر لان حيوة المومن يحصل فيها الاعمال الصالحة ومن عمم نظر الى
ان لذاتها تستطاب عند حصولها واذا انقضت اعقبت الندم وقرئ ولدار بالاضافة وافلا يعقلون بالياء والتاء وما يدل
ان لذات الاخرة اشرف من لذات الدنيا ان الاستيلاء وقضاء الاوطار من لذة الوقاع وغيره يشترك فيها كل الحيوانات
ولا يعد صاحبها كاملا بل قيل كل لذة دفع الم ويدل عليه ان الالتذاذ بالطعام عند شدة الجوع اعظم وايضا هي فانية ولذات
الاخرة من المعارف الالهية وغيرها مما يترتب عليه الحيوة الطيبة باقية والدار هي الجنة ولا تخفى انها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي واما الكافر
والفاسق فالدنيا خير لهما قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون لعله مرتبط

بقوله سبحانه

مطلب

بقوله سبحانه ان هذا الا اساطير الاولين فان هذا انما يحزن وكذا قولهم ساحر كذاب وقد ياتي للتوقع والتقريب من الحال والتقليل
فقيل الاية يحتملها والاولى ان يقال انها للتحقيق وقرئ بالتخفيف وهو من اكذبه اذا وجده كاذبا وعلى الوجهين فالمعنى انهم لا ينسبونك
الى الكذب في الحقيقة بل الله حيث استهانوا بكتابه وجحدوا بانه من الله فلا يستعظم تكذيبك بالنظر الى تكذيب الله تعالى فهو كما اذا قال السيد
لعبده ما اهانوك بهذا بل اهانوني ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فكانه قال لا يخصونك بالتكذيب وايضا روي ان ابا جهل
قال للاخنس حين ساله عن صدقه والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والندوة والنبوة فماذا لسائر قريش فالمعنى انهم لا يكذبونك بقلوبهم بل بالسنتهم وايضا قال هو واصحابه يا محمد انا والله لا نكذبك
وانك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئتنا به وكان النبي عليه السلام يسمى الامين وقيل نزل في الحرث بن عامر بن نوفل كان
يكذب في العلانية ويقول مع اهل بيته ما محمد من اهل الكذب وقيل لا يكذبونك بحجة فلا اعتداد بها وذكر الظالمين مع انه محل المضمر
للاشعار بان الجحود ظلم • ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد
جاءك من نبا المرسلين • طريقة اخرى في ازالة الحزن عن قلب النبي عليه السلام بان اخبر الله تعالى ان سائر الامم كذبوا انبياءهم واذوهم
وهم صبروا عليه حتى اتاهم الله نصره والنبي عليه السلام اولى بتحمل المشاق لكونه مبعوثا الى كافة الناس وليصبر الى مجئ الظفر الموعود بقوله
سبحانه ولقد سبقت كلمتنا الاية وكتب الله لاغلبن واكد ذلك بقوله سبحانه لا مبدل لكلمات الله وهو وعد الله بالنصر لا يمكن
لطرق التبدل اليه ونبا المرسلين قصصهم وما حل بهم ومن للتبعيض وقول الاخفش ضعيف من جهة زيادتها في الاثبات والفاعل
مضمر اي جاء وانه لم يات محمدا قصص جميع الانبياء لقوله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك • وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين
يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون • يعني ان شق عليك يا محمد اعراضهم عن الايمان حتى نزل فيه لعلك باخع نفسك
فان امكنك تطلب منفذا ينفذ فيه الى ما تحت الارض والنفق سرب له مخلص الى مكان اخر او تطلب مصعدا الى السماء فتاتيهم بخير
ما معك فافعل فانهم لا يؤمنون وان اجتهدت غاية الاجتهاد وحذف جواب ان لاشعار الكلام به والمعنى بيان نهاية حرص النبي
عليه السلام على ايمان قومه بانه لو امكنه ان ياتيهم بجميع ما اقترحوا لفعل لعلهم يؤمنون وسبب ذلك ان الحرث بن نوفل في نفر من قريش
قالوا ائتنا باية نصدقك فابى الله ان ياتي بها فاعرضوا على النبي عليه السلام ذلك ولو شاء الله ان يجمعوا على الهدى لحصل
بان ياتيهم باية يضطروا معها الى الايمان لكن الحكمة لم تقتض ذلك ثم نهى الله سبحانه نبيه عن ان يكون من الجاهلين بحكم الله
في امثال هذه الامور المتعلقة بالنبوات اي او يشاكل الجهلة لشدة الجزع على عدم ايمانهم وكيف يؤمنوا ولا يجيب دعاك الا الذين
لهم سماع تدبر ومن يجزع له كالموتى في عدم السماع قال تعالى انك لا تسمع الموتى كما قال لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حيوة لمن تنادي
والمعنى يبعث الموتى التمثيل لكمال القدرة الالهية يعني لما قدر ان يبعثهم بعد الموت الحقيقي فاولى بان يقدر على الجائهم الى الايمان
وما قيل ان المعنى ان هولاء الكفرة يبعثهم فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه كلام لا طائل تحته ولا تدبر لناقله

لان لقائل ان يقول لما طرح موتى الكفار فى قليب بدر خاطبهم النبى عليه السلام وقال ما انتم باسمع منهم ولكن لا يقدرون على الجواب
وفى الآية دليل على ان الله يريد ابقاء الكافر على كفره لان قدرة الكافر على الكفر اما ان لا تصلح للايمان فخالقها قد اراد منه الكفر واما ان
يصلح وحينئذ لا بد من مرجح من الله لاحدهما لئلا يتسلسل فثبت ان خالق داعية الكفر هو الله سبحانه وتقييد المعتزلة المشية بالالجاء
خلاف الظاهر من غير دليل • وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون • وجه الربط انه تقرير
لكونهم غير سامعين سماع تدبر لو لا تخصيصه والآية بعض ما اقترحوا عليه كتفجير الانهار خلال مكة وجعل الصفا ذهبا وقرئ ينزل مخففة
وحسن تذكير الفعل لكون الفاعل مؤنثا غير حقيقى وقد وقع الفصل وهذا القول طعنا دهم حيث نزلوا جميع الايات كانها لم تنزل فاجاب
بان الله قادر على ان انزال ما اقترحتم فانه قد انزل آيات القرآن وهى اعظم لكن الله لم ينزلها لكون السؤال للتعنت والاستدراك من القدرة
اى ولكن لا يعلمون قدرته على ذلك لانها تحصل بفكر مستقيم واذهانهم مؤوفة او لا يعلمون ان فيما انزل مندوحة عن غيره او لا يعلمون
ان ذلك يستجلب العذاب اعنى نزول المقترح كما سبق من بيان جرى عادته سبحانه بذلك لكن اقتضت الرحمة صونهم عن ذلك
وان لم يعلموا • وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون • وجه الربط
انه كالبيان لكمال القدرة والدابة فى اللغة اسم لكل ما يدب على الارض وفى العرف العام ذوات الحوافر يستوى فيه المذكر والمؤنث
والحاق حيوان البحر بما على الارض اقرب من الحاقه بالطير وتقييد الدابة بالارض للاحتجاج بالاظهر لان ما فى السماء غير ظاهر ايضا
للتعميم فان المراد جميع الارض وتقييد الطيران بالجناحين لئلا يتوهم مجاز السرعة بقول الرجل لعبده طر فى حاجتى قال الحماسى
طاروا اليه زرافات ووحدانا • وقرئ طائر بالرفع على المحل وفرطنا بالتخفيف وكونها امثال الانس باعتبار وصول فضل الله
وآثار عنايته واحسانه بناء على ان الله يراعى مصالح المكلفين ويتفضل عليهم بذلك والمعنى انه اذا عمت عنايته جميع الحيوانات
فلو كان اظهار المقترح مصلحة لهم لفعلها ولا متنع ان يمنعها عنهم مع انه سبحانه لم يترك من الحيوانات مصالحها وكذلك هى امثالنا
فى الحاجة الى مؤثر فى الوجود وحال البقاء او للاشتراك فى الامكان او فى الاكل او معرفة الله بالوحدة او التسبيح واليه ذهب ابن عباس
وكثير من المفسرين قال تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده وقوله كل قد علم صلوته وتسبيحه وخاطب النمل والهدهد وذكر الامم مع افراد الدابة
لان النكرة فى سياق النفى تعم فيفيد الجمعية ومن اعتقد كونها مكلفة بدليل وان من امة الا خلا فيها نذير لم يعرف المراد منه لاختصاصه
بالانس والجن وقيل امثالنا فى انها تحشر وتوصل الى حقوقها لقوله عليه السلام يقتص للجماء من القرناء غير ان المعتزلة قالوا لا يجوز ايصال
الآلام البهائم من غير جناية ويجب على الله ايصال العوض اليها فيجب حشرها واصحابنا لما لم اطلقوا القول بوجوب شىء على الله كما سبق
ان معنى الواجب هو الذى يذم تاركه وهو محال قالوا الحشر هاهنا بمجرد الارادة والمشية وبطلان قول المعتزلة انه لو حسن ايصال الضرر
الى الغير لاجل ان يعوضه لحسن منا ذلك وبطلانه يدل على بطلانه ويقرب من قولهم قول القاضى ان كل حيوان يستحق العوض على الله
يجب حشره ليصل اليه وما لا يكون كذلك لا يجب حشره عقلا بل من حيث السمع وقال يجب العوض فى المأكول لحمه والذى يجوز قتله لضرره
والذى تألم بمرض وغيره وما يظلمه الناس فالعوض على ذلك الظالم قال وتلك الاعواض بحيث لو علمت تلك البهائم انها لا يصل اليها



مطلب لطيف

مطلب فى بيان تمسك التناسخية

الا بالذبح لرضيت ثم ان تلك المنافع تنقطع وتصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا وبهذه الآية تمسكت التناسخية حيث
قالوا ارواح الاشقياء تنتقل الى ابدان اخس الحيوانات وارواح السعداء الى ابدان الملوك بل تصل الى مخالطة عالم الملائكة لان الآية
تدل على المماثلة وهى لا تحصل الا بالمواساة فى الصفات الذاتية دون العرضية قالوا وارواح جميع الحيوانات عارفة بالله سبحانه وارسل
الى اى جنس رسول وكلامهم قد ظهر بطلانها فى المباحث الكامنة فلا نطول بذكره فان قيل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
على انه لا يعذب احد من الادمى الذى هو اعظم الحيوانات عقلا وعلما الا بعد مجى الرسول فكيف بالحيوانات فهلا يؤول او رد فيه مثل ان يكون
المراد باقتصاص الجماء من القرناء يأخذ حق المظلوم من الظالم من الانسان قلنا قوله سبحانه واذا الوحوش حشرت وقوله سبحانه ثم الى ربهم
يحشرون يدل بظاهره على وقوع الحشر ثم العلم بالمقصود من ذلك مما لا يعلم الا بالوحى الالهى وهى من الامور التعبدية والكتاب قيل
اللوح المحفوظ وفيه جميع احوال المخلوقات كما قال عليه السلام جف القلم بما كان وما هو كائن الى يوم القيمة والاظهر ان المراد القرآن لان اللام
اذا دخلت فى المفرد انصرف الى المعهود السابق ولا يشكل بعدم اشتمال القرآن على نحو الطب والنجوم لان المراد العلوم التى تكون الانبياء
بصدد بيانها من مباحث امر الدين ومعرفة الله سبحانه من الذات والصفات واحوال الاخرة من السعادة والشقاوة وذكر
المغيبات واحوال الامم مع الانبياء وغيرهما مما اشتمل عليه القرآن هذا وانه لما دل القرآن على اعتبار السنة والاجماع والقياس
فكل شىء ثبت بها ثبت بالكتاب قال الشافعى رضى الله عنه لا تسألونى عن شىء الا اجبتكم من كتاب الله تعالى قال ابن مسعود مالى لا العن
من لعنه الله فى كتابه يعنى الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقالت امرأة قرأت جميع القرآن فلم اجد فيه فقال لو تلوتيه
لوجدتيه قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه فالى المفاتح ويمكن وجدان ذلك باوضح منه فليغيرن خلق الله وقال قبله ان يدعون الا شيطانا
مريدا وفيه نظر • والذين كذبوا باياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم • وجه الربط ان
من كذب بآيات الله مع ظهورها لم يكن الا لابطالهم استعدادهم بل حواسهم فهم صم عن سماع تدبر الايات بكم عن ان ينطقوا بالحق
خبر آخر عنهم يقرر الاول فان ظلمة الكفر والجهل والحيرة او ظلمات القيمة وان جعل حالا فمن المستكن فى الخبر وكيف لا يكون حالهم ذلك
وقد شاء الله اضلالهم ومن يشاء ضلاله ضل لا محالة كما ان من شاء ان يهتدى الى صراط مستقيم هداه الله وهو من اوضح الدلائل
على المعتزلة فانه يدل على ان الهدى والضلالة من الله سبحانه وتقييدهم بانه فى القيمة عند الحشر واضلال عن الجنة وجوه متكلفة هى
خلاف الظاهر لا يساعدون عليها كيف وقد سبق بيان ان الفعل لا يحصل الا عند الداعى وحصوله بخلق الله تعالى وانه عند حصوله يجب الفعل
قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
وتنسون ما تشركون • وجه الربط انه بيان ضلالهم فى التكذيب من اذا اتى عذابه لا يدعى غيره اى اخبرونى ان اتيكم عذاب الله
او اتتكم الساعة وضمير الجمع لا محل له لانه يكون كقولك ارأيتك نفسك زيدا ثم الزمهم باستفهام الانكار اى لا تدعون غير الله
لكشف الضر وتتركون الهتكم او تعرضون عنها اعراض الناسى وقيل ما مصدرية ولا ينبغى ذلك ان كنتم صادقين فى انها الهتكم
والله سبحانه يكشف عنكم الضر ان تعلقت به مشيته وتتركون الهتكم لانكم لم تشاهدوا منها كشف ضر عنكم وقيل من النسيان

وان جعل التقدير ارايتكم اغير الله تدعون ولا يلزم كشف اهوال الساعة عن المشركين لانه مشروط بتعلق المشية بمعنى انه لو وقع
كان على وجه الحكمة وتركه لحكمة اخرى ابلغ منها • ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا
اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ
حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • التقدير ارسلنا
رسلا الى امم وجعل من زيادة فى الاثبات ليس يقوى كما سبق وفى الآية دليل على ان الكل بمشية الله تعالى حيث لم يتضرعوا مع مجئ
الباساء وهو القحط والجوع والضراء وهو المرض ونقص الاموال والانفس اى لما كذبوا الرسل اخذناهم بذلك لعلهم يتذللون
فيتوبون ومعنى فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا بيان انهم عدم تضرعهم اى لم يتضرعوا عند مجئ الباس والاثبات بحرف التحضيض
لبيان ان سبب عدم التضرع ليس الا العناد وقساوة القلب واعتقاد اعتبار اعمالهم التى سولت لهم انفسهم وزينها
الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكرهم الله به من الباساء والضراء ولم يتعظوا بذلك فتحنا عليهم ابواب كل شئ من صنوف النعم والصحة
فلم ينفع فيهم ذلك ايضا وقرئ فتحنا بالتشديد وروى مرفوعا انه قال عليه السلام مكر بالقوم فان اعطاء النعم على المعاصى استدراج
من الله وامتد ذلك الى ان اعجبوا بما اوتوا ولم يزدادوا الا بطرا وفرحا اخذناهم بالعذاب فجاة فاذا هم متحيرون ايسون قيل
المبلس شديد الحسرة البايس الحزين او الآيس من النجاة عند ورود الهلاك فقطع حينئذ آخرهم يقال دبره دبرا اذا تبعه اى استاصلهم
وذكر الحمد للاشعار بانه المحمود على ما فعل او الحمد لله على اهلاك اعدائه واعداء انبيائه وهو من جلايل النعم حيث ازال شرهم بل هو نعمة
على المهلك فان القوم لم يزدادوا الا شرا فيزدادوا استحقاق العذاب فهو مقام الحمد مطلقا وهو تعليم لان يحمد الله عند حصول النعم
قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون •
اى اخبرونى ان اصمكم الله واعماكم واذهب عقلكم او اماتكم فمن يأتيكم بما اخذه الله وقد علمتم ان لا احد يعطيكم العوض والضمير المجرور
يعود الى الماخوذ المدلول بالاخذ المستفاد من الفعل او من يأتيكم باحد المذكورات انظر كيف نكرر الآيات بالمقدمات العقلية
والمرغبات والمرهبات ثم هم يعرضون عنها بعد ظهورها والصدوف الاعراض وقرئ ارايتم بغير همز وكذا كلما وقعت مستفهمة
وقرئ بالاشارة الى الالف فى الكل من غير همز وحذف جواب ان محذوف دل عليه مفعولا ارايتم وهو الجملة • قل ارايتكم ان اتاكم
عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون • اى ان اتى العذاب من غير ان يشعر به او
ان يظهر لحلوله علامة وقيل ليلا او نهارا وقدح فيه بانه لو اتى ليلا وقد سبقه مقدمه لم يكن بغتة وفى النهار بالعكس وقيل بنتظرونه
او آمنون والفرق بين هذا والاول ان الاول مختص بالسمع والبصر وهذا عام فى جميع انواع العذاب وعلى التقادير لا يهلك
الا الظالمون ولا يشكل بان العذاب عقيب الاقتراح يعم الكل لان غير الظالم ان اصابه العذاب اثيب بالدرجات الرفيعة
والسعادات العظيمة والظالم يخسر الدنيا والاخرة وما ارسلنا الانبياء الا ليبشروا من امن بهم وصدقهم وينذروا من

وينذروا من كفر بهم وكذبهم لا لاظهار الايات بل ذلك الى مشية الله سبحانه فمن اصلح مما يجب اصلاحه ويكون من عمل الجد حيث
عطف على عمل القلب انتفى عنه الخوف والحزن ومن كذب بالايات يمسهم العذاب وهو التقاء الشيئين من غير فصل وجعل
العذاب لمس له اختيار يطلبهم لذلك وهو نظير قوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد ولعل العلاقة المشابهة ولا يتمسك بتعليل
عذاب الكافر بالفسق ان كل فاسق يلحقه العذاب لا محالة لجواز ان يكون من خصوصية كونه فسق الكافر دون المعترف بالله ورسله
والمعاد فان قيل التصريح بالتعذيب مثل لهم عذاب اليم لاسيما بالجملة الاسمية ابلغ من مس العذاب فكيف رتبه على تكذيب الايات
والفسق قلنا لعل ذلك للاشارة الى عظمة العذاب حيث جعل مسه كافيا فى جزاء فعله كما قال • والحرب يكفيك من انفاسها جرع
قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا
تتفكرون • وجه الربط انه من تتمة لولا انزل عليه اية وكانوا قد طلبوا الامور الثلثة ليكون على وجه الاقتراح ادلة على النبوة ولهذا حمل
الخزائن على خزائن الآيات والاولى خزائن رزقه اى لا ادعى ما يستبعد من البشر من يكون له قسمة خزائن الله وارزاقه بين الخلق وقيل
مقدوراته وقيل عذابه وكذا لا ادعى علم الغيب من غير ان يوحى الى او ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول فكيف يكون النصب عطفا على محل
عندى خزائن الله ولا ادعى حال الملكية ليستلزم القدرة على ما لا يقدر عليه الا الملك ومن ههنا يعلم انه لا دلالة على افضلية الملك بخلاف ما لو ذكر
سبيل التواضع وكفى هذا الاحتمال مانعا منها ولا اتبع الا الوحى الالهى فكانه قال ابرا عن دعوى الالهية والملكية وادعى النبوة والاعمى
والبصير الكافر والمؤمن او مدعى المحال كالالوهية والممكن كالنبوة ويشمل الكل الضال والمهتدى افلا تتفكرون فتعلمون حقية ما ادعيه
وانه ليس مما لا يسعه قدرة البشر وانه لا بد من اتباعه والعمل بغير الوحى يجرى مجرى عمل الاعمى وبه كعمل البصير • وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون • اى وانذر بما يوحى اليك طايفة من المسلمين المفرطين فى العمل
على رجائهم الا اتصاف بصفة التقوى او اهل الكتاب او المشركين الذين يتوقع منهم الخوف من الله اذا سمعوا البعث فانه لا فائدة
لانذار المتمردين ومعنى ليس لهم من دونه الى آخره غير منصورين ولا مشفوعا لهم فهو فى موضع الحال ولا بد منها لان الحشر شامل
للكل والمخوف ليس الا الحشر المقيد بهذه الحال ويجوز ان يكون فى موقع المفعول الثانى لانذر والمعنى الى ربهم مكان اجتماعهم للقضاء
فلا تمسك للمجسمة • ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم
من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين • نزلت فى سعد على ما رواه وابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال وخباب وسلمان
قالت قريش لو طردت هؤلاء الاعبد لجلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروى
ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى ليكتب فنزل دخل قلب النبى عليه السلام ما شاء ان يدخل خباب
فينا نزلت كنا ضعفاء عند النبى عليه السلام يعلمنا القرآن بالغداة والعشى وكان يخوفنا بالجنة والنار وقيل ذكر الغداة والعشى
للدوام وقيل صلوتى الصبح والعصر وقرئ بالغدوة وقيل قراءة القرآن وقيل الصلوات الخمس بالجماعة وقيل بالتحميد والتمجيد وغدوة وبكرة
لا يدخلهما اللام للعلمية وقيل ممتنع من الصرف ويريدون حال من يدعون ربهم مخلصين وتقييد الدعاء بالاخلاص للتنبيه على انه الاصل

فى الباب ولعل قوله عليه السلام لا يقبل الله الدعاء من قلب غافل اشارة اليه وترتيب النهى عليه للايذان بانه يقتضى الزامهم دون
ابعادهم اوليس عليك حساب ايمانهم ولعلهم اقرب الى الله ممن يطردهم طمعا فى ايمانه على فرض ان يؤمنوا وليس عليك اعتبار احوالهم
لما ظهر منهم التقوى وان كان باطنهم غير موافق لظاهرهم كما طعن المشركون فيهم لان حسابهم لا يتعداهم اليك كما فى حسابك وقيل
حساب رزقهم وان جعل الضمير للكفرة فالمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا يؤاخذون بحسابك ومنه ولا تزر وازرة وزر اخرى
وهذا المعنى ثابت من الجملتين فلم يكف ما عليك من حسابهم وهو حساب اعمالهم او ارزاقهم او كفايتهم بقول حسبى اى كفانى والطرد
الابعاد وقيل يؤخرهم الى الصف الاخير وهو جواب النهى لانه مسبب عن الطرد وقيل عطف فيكون على وجه التسبب قال
فى الانوار وفيه نظر ولعل وجه النظر انه اذا عطف على النفى لم يكن مسببا بل من جملة التسبب وتمسك به من لم يقل بعصمة الانبياء
باعتبار انه عليه السلام طردهم وقد نهى عنه وقال فيكون من الظالمين والجواب انه لم يطردهم للاستخفاف والاستنكاف بل عين
لهم وقتا تلطفا بالمشركين لعلهم يسلمون وقال فى المفاتح غايته فى الباب انه يكون اجتهادا خطاء وهو مغفور ولقايل ان يقول
هذا منه عجب جدا لانه قد قرر فى المباحث الاصولية انه لا يخطاء اجتهاد النبى عليه السلام والا لوجب اتباعه ويمكن ان يجاب بمنع الطرد
لما قيل انه قصد ولم يتفق • وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
اى فتنا فتنا مثل فتن الناس فى تفاوتهم فى امور الدنيا ابتليناهم فى امر الدين حيث جعلنا هؤلاء الضعفاء اسبق الى
الكلمات اليقينية من اشراف قريش وجعل اللام للعاقبة وان كان مجازا اولى من تضمين فتنا خذلنا نظرا الى رعاية المعنى
واجتنابا عن طريقة المعتزلة وهذا استبعاد منهم ان يفضل الله الضعفاء بالتوفيق الى موجبات السعادة دون الاكابر
والاشراف كقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه ويناسب ان يقرب قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا غلط فاحش حيث قاسوا
نيل السعادات الروحانية على اسباب اللذات الحسية التى يشترك فيها اخس البهايم فان الاستعداد بنيل خير الدارين واليه
اشار سبحانه بقوله اوليس الله باعلم بالشاكرين فان التخصيص بتلك النعم الجسام والمنن العظام انما يليق بمن يقوم بشكرها
حق القيام وهو دليل الاصحاب فى مسئلة خلق الاعمال لان القاء الفتنة من الله هى سبب اعتراضهم على الله وهو كفر • واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم
هم الذين نهى النبى عليه السلام عن طردهم ثم امر باكرامهم وهو اما تبليغ سلام الله او الابتداء بالسلام كما نقل انه عليه السلام كان
اذا رآهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذى جعل فى امتى من امرت ان ابداهم بالسلام وقيل نزلت لما اعتذر عمر عن مقالته التى ذكرناها
وقيل فى قوم جاؤا معتذرين عن ذنوبهم والاولى حملها على العموم بان يكون هذا التشريف لكل من آمن كما قيل قال صاحب المفاتح
لى اشكال وهو انه قد نقل ان هذه السورة نزلت دفعة فكيف يصح ان يقال سبب نزول هذه الاية كذا وسبب الاخرى كذا
ولقايل ان يجيب عنه اى استبعاد فى ان يجتمع مقولات هؤلاء ثم تنزل السورة دفعة مشتملة على ذكر هذه الامور والاشكال
انما يصعب الجواب عنه ان لو لزم ان الاية تاخر نزول كل عن سببه ومعنى كتب الايجاب وذلك بايجاب الله سبحانه على نفسه تفضلا



والزاما لا وجوبا بمعنى ان تركه يكون قبيحا من الله كما قاله المعتزلة لما سبق من انه لا معنى للواجب الا ما يذم تاركه شرعا ولا حاكم
على الله والسلام مصدر سلمت مثل السراج ومعنى سلمت دعوت ان يسلم عن الآفات فى دينه ودنياه قالت المعتزلة هذا ينافى ان يخلق
الكفر فى الكافر ثم يعذبه عليه او يمنعه عن الايمان ثم يعذبه على تركه وهو باطل لانه يقهره بالموت وغيره ولا منافاة وذكر فى الانوار انه سبحانه
لما وصفهم بالعلم والعمل امر بتبليغ السلام بعد المنع من الطرد ليعلم ان من كان بهذا شانه ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويبشر بالسلامة
فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقرئ انه بالفتح بدلا عن الرحمة والكسر على الاستيناف وبجهالة فى موضع الحال اى عمل السوء جاهلا بحقيقة
الحال من المضار او ملتبسا بفعل الجهال لان ارتكاب امثاله لا يصدر الا من الجاهل قال الشاعر • على انها قالت عشية زرتها
جهلت على عمد ولم تك جاهلا • وهو المناسب ان حمل على نزوله فى حق عمر حيث اشار باجابة الكفرة والضمير فى بعده للسوء والعمل والاصلاح
بعد التوبة ان حملت على مجرد الندم بالاقلاع فى الحال والعزم على ان لا يعود والا فالمراد الاتيان بالاعمال الصالحة • وكذلك نفصل الآيات
ولتستبين سبيل المجرمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين
اى مثل تبييننا الدلايل فى هذه السورة نبين آيات القرآن فى صفة السعداء والاشقياء وغيرها واستبان جاء لازما ومتعديا
يقال استبان وتبين والبيان فصل المعنى مما التبس به ولم يذكر مقابل المجرمين اكتفاء باحد الضدين اذ المراد بيان سبيل المجرمين
والمؤمنين وقرئ بالتاء والياء ونصب السبيل ورفعه وهو يذكر ويؤنث والتقدير ولتستبين سبيلهم فصلنا الايات
وقيل عطف على مقدر مثل ليظهر الحق نهيت عن عبادة ما تعبدونه من غير الله او تدعونها او تسمونها الهة لما عندى من ادلة
العقل والسمع وتقرر ذلك انه امر بان لا يتبع طريقتهم فانها مبنية على مجرد الهوى وهى اريحية النفس الى ما تحن اليه ففيه بيان
مبدا ضلالهم وقطع اطماعهم وكيف يسوغ ترك الهدى لاتباع الهوى ومعنى قد ضللت انه ان اتبعت اهواءكم فقد تحقق
ضلالى وما لى فى شئ من الهدى الذى يجب ان يتبع • قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم
الا لله يقضى الحق وهو خير الفاصلين • تقرير لكون ما هم عليه ضلالا حيث ما كان الرسول عليه السلام مقابلا لما هم عليه
والبينة الدلالة الواضحة الفارقة بين الحق والباطل فيصح الحمل على المعجزة والقرآن والدين الصحيح والنبوة كما قيل
ومرجع الضمير الاول مدلول البينة او القرآن او الرب وما تستعجلون به العذاب حيث قال النضر بن الحارث ورؤساء
قريش ايتنا بالعذاب الذى تعدنا استهزاء اى ليس ذلك فى قدرتى او ما اقترحتم به من الآيات بل القضاء الحق فى كل
الامور حتى التعجيل والتاخير الى الله تعالى وهو خير الفاصلين واصل القضاء الفصل بتمام الامر والحكم او خير الفاصلين
حيث قرئ يقص اى يبين او يقص القصص الحق وعلى الاول الحق منصوب بانه صفة مصدر محذوف اى القضاء
الحق او المفعول به من قضى الدرع اذا ضيقها والحكمة فيما يقدره ويحكم من قص الامر وبه تمسك الاصحاب على ان العبد
لا يقدر على شئ الا اذا قضى الله به فيمتنع فعل الكفر الا اذا قضى الله به لدلالة الحصر وقالت المعتزلة لا يريد الكفر لقوله تعالى
نقص الحق والكفر ليس بحق ويحتمل ان يجاب عنه بانه لا دلالة له على ذلك لما سبق من بيان معنى القصص • قل لو ان عندى

ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين اي لوكان عندي ما تستعجلون من العذاب في قولكم فامطر علينا
حجارة من السماء لانزلته عليكم غضبا لربي ولم اكن لاحكم عليكم فانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بما يقتضيه حكمته من عقاب الظالمين عاجلا
وبامهالهم اي لا اعلم وقت عقوبة الظالمين بل الله يعلمه فيؤخره الى وقته وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين جمع مفتح ويراد به المفتاح ويقرا مفاتيح
جمع مفتح بفتح الميم المخزن وفايدة عنده بيان اختصاصه سبحانه بالمغيبات الشاملة لخزاين الرزق والعذاب والامور التي يستدل بها
على الغايب كما قيل روي عن النبي عليه السلام مفاتح الغيب خمس ثم تلا ان الله عنده علم الساعة الاية ولما كان حقيقة المفاتح ما يتوصل
بها الى ما احرز في المخازن علم انه استعير بما يتوصل الى علم الغيب عنها والمراد علمه سبحانه بجميع المعلومات وعلى القراءة الثانية المراد
القدرة على كل الممكنات قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه ولما كان اختصاص الحق سبحانه بمفاتح الغيب امرا معقولا ولا سبيل الى ادراك
كل احد مجرد ذكر المحسوسات ليكشف عنها لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيهما من المدن والقرى والجبال والتلال والمفاوز
والحيوان والنبات والمعادن والعيون والنجم والشجر واحوال البحر في الطول والعرض وما فيه من الحيوانات واجناس المخلوقات
وتقديم البر لانه اقرب ثم بين انه لا يتغير حال ورقة الا والحق تعالى يعلمها ثم تجاوز عن ذلك الى مثال اعظم ان الحبة التي تكون في غاية الصغر
اذا القيت في ظلمات البر الذي هو اعظم الاجسام لا يخرج عن علم الله سبحانه وقيل هي تحت الارضين او تحت التراب والرطب
واليابس للتعميم لانه لا يخلو ما فيها عن الوصفين والكتاب المبين اللوح المحفوظ يطالعه الملئكة المقربون وقيل كناية عن الحفظ
ويقرا حبة ورطب ويابس بالرفع فيكون تابعا بعد الاستثناء خبرا وجاز عطفها على محل من ورقة والا في كتاب بعد الا يعلمها مثل ما بالمدينة
دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون هي توفية النوم واصلها الوفاة ماخوذة من قبض الشيء بالتمام كاستيفاء العدد واستعيرت للنوم لعلاقة
ارتفاع الادراك بالحواس الظاهرة والباطنة والاعمال لغور الروح الحساسة من الظاهر الى الباطن والى القسمين اشار سبحانه
بقوله الله يتوفى الانفس الاية ومعنى جرحتم كسبتم من قال الاية في الكفرة وخص الكسب بالاثام لكون الخطاب مع الكفرة ثم يبعثكم من قبوركم
في شان انكم قطعتم اعماركم في الليل بالنوم والنهار بكسب الاثام والاجل المسمى ما عينه الله للبعث وايصال الجزاء ووقت الحضور في
موقف الحساب وحينئذ ينبئهم الله بعلمهم في الدنيا واستدل به على صحة الحشر لكون المراد بالبعث الاحياء بعد الاماتة وهو القاهر
فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم
وهو اسرع الحاسبين هو الغالب على الشان يعني له الفوقية المفيدة لصفة القهر لا بالمكان لان المفوق بالمكان قد يكون
مقهورا وهو من الدلايل الدالة على كمال القدرة بقهر العدم بالايجاد والوجود بالعدم والضد بالضد كالظلمة بالنور والنور بالظلمة
والليل بالنهار وبالعكس وكذا في جميع الاضداد والبدن المؤلف من الطبايع الاربعة المتنافرة بالطبيعة لم تتالف الا بقاسر
يقسره والحفظة الكرام الكاتبون يحفظون اعمال العباد والله سبحانه وان كان مطلعا مستغنيا عن ذلك غير ان المكلف

اذا

اذا علم ان الملئكة يحفظون عليه اعماله ليعرضوا على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي واكثر احتشاما عن التجاسر بخلاف ما اذا اعتمد على
ستره وغاية الحفظ مجيء الموت اي ملكه واعوانه او وقته وفاعل توفته رسلنا اي توفت روحه وقرئ بالتذكير ويحتمل الماضي والمضارع وهم
لا يضيعون او لا يؤخرون او لا يتوانون او لا يعجزون او لا يفوتهم احد ويقرا بالتخفيف ثم ردوا الى حكم الله وجزائه وهو متولي امرهم
ولا يحكم الا بالحق لان الحق العدل ويقرا بالنصب او هو الثابت من كل جهة وقيل المراد ان الملئكة ايضا يموتون وقيل بل البشر ويعلم
ان الانسان ليس هذه البنية على ما قال في المفاتح له الحكم والقضاء يوم القيمة ويحاسب الخلايق في مقدار حلب شاة لا يمنعه شيء وقيل تفويض
الى الملئكة ويعلم من كون الحكم لله بهذا التركيب انه لا حكم الا لله ويؤكده ان الحكم الا لله فالمعنى لا حكم لاحد على شيء الا الله فيكون الخير والشر بقضاء
فلو لا حكم الله بالسعادة والشقاوة لما حصل ذلك قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون البر الفلاة وظلمة البحر شدايدهما يقال يوم مظلم يرى فيه الكوكب
للخوف وقيل ظلمة البر ظلمة الليل والسحاب والغبار وقيل هجوم الاعداء وعدم الاهتداء الى الطريق وفي البحر الليل والسحاب والموج وقيل
الخسف في البر والغرق في البحر وعند هجوم هذه الشدايد لا يرجع الانسان الا الى الله بظاهره لاظهار الاخلاص في حضرة الله وباطنه لقطع
الرجاء عن غيره فبين الحق تعالى انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة ان لا ملجا الا الى الله فليدم هذا في كل حال ولئن انجيتنا على
ارادة قايلين ذلك وهذه اشارة الى الظلمة والشدة وقرئ لئن انجانا وينجيكم بالتخفيف والتشديد ولا تشكرونه ولا توفون العهود
ووضع تشركون موضع لا تشكرون للاشعار بان ذلك كالاعراض عن العبادة بالكلية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون دليل آخر على التوحيد مسبوق بالتخويف اي هو الكامل
في القدرة الذي علمتموه وقد اوعدكم باخذ انواع العذاب وبعث العذاب من فوق كامطار الحجارة على قوم لوط والصاعقة والصيحة
ومن تحت الارجل كاغراق فرعون وقومه والرجفة وخسف قارون او من قبل الاكابر والاصاغر او احتباس المطر والنبات ومعنى يلبسكم شيعا
يخلطكم احزابا متفرقة باعتبار الاهواء المختلفة فينشب القتال بينكم فيختلطوا في الملاحم ومنه قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
قال النبي صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي على ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قيل ومن هم قال ما انا عليه واصحابي قيل نزلت
في المسلمين وقيل في المشركين ويؤيد الاول قول النبي صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني
ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعليه حمل اذاقة بعضهم باس بعض وفيه دليل على ان الله
خالق الخير والشر لا يقال الاية دليل على انه سبحانه قادر عليه لا انه فعل لانا نقول وجه الدلالة افادة الحصر ذلك ولا يقال في الاية المنع عن النظر
والاستدلال للافضاء الى التنازع والتحارب لاحتمال ان يكون عن التنازع لا على وجه يظهر منه الحق لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وتصريف
الايات بالوعد والوعيد للتامل والاعتبار وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون اي وكذبوا
بالعذاب او القرآن او تصريف الايات فعلى الاول الحق لزوم النزول بهم والثاني كونه كتابا منزلا من عند الله وعلى الثالث كون هذه الاشياء
دلالات على الصانع وصفاته ونفي كونه عليه السلام وكيلا عليهم باعتبار ان يجازيهم على تكذيبهم واعراضهم عن قبول الدلايل بل هو منذر

والله المجازي على هذا المعنى يضعف القول بالنسخ باية السيف كما قيل والمستقر يحتمل المكان والمصدر لان ما زاد على الثلاث فالمصدر على زنة
المفعول نحو المدخل والمخرج بمعنى الادخال والاخراج ومعناه ان كل ما اخبر الله عنه له وقت ومكان يحصل فيهما من غير خلف وان كان بمعنى الاستقرار
فالمعنى لكل وعد ووعيد من الله استقرار ولا بد وان يعلموا ان الامر كما اخبر الله عند ظهوره ويجوز ان يحمل على استيلاء المسلمين على الكفار
بالغلبة في الدين • واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين • كانت قريش يكذبون بآيات القرآن ويستهزؤن بها والخوض الدخول في الشيء على تلوث
واصله المشي في الماء فاعرض عنهم بالقيام عنهم وترك مجالستهم بوسوسته فاترك مجالستهم اذا تذكرت النهي ويجوز ان يريد
ان انساك الشيطان قبح مجالستهم قبل النهي فلا تقعد معهم بعده وقرئ ينسينك بالتشديد واستدل به من تمسك بعدم
التكليف بما لا يطاق لانه اذا ارتفع عن الناسي ففيه اولى ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بان التكذيب ظلم
وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون • اي لا يلحق المؤمنين الذين يتقون الشرك والكباير
والفواحش شيء من جزاء اعمال المستهزئين الذين يجالسونهم لكن عليهم ان لا يخالطوهم حينئذ فلا يلحقهم يوم القيمة مكروه
وما روي عن ابن عباس ان سبب النزول انهم قالوا لئن كنا كلما استهزا المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم لا نطيق ان نجلس
في المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت يقتضي انه يجوز الجلوس مع ذلك وهو رخصة فان بها ان يمنعوهم عن الخوض وغيره وتقدير
ذكرى ذكر وهم ذكرى اي تذكيرا ويجوز ان يكون محله الرفع اي عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان قوله من حسابهم
يمنع منه لانه يصير التقدير ولكن عليهم من حساب الذكرى وكذا لا يجوز العطف على شيء لانه بدل من حسابهم ومعنى يتقون يجتنبون
تلك القبايح لحيا او غيره • وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون • اي اتركوا الا طائفة هؤلاء المذكورين بقوله الذين يخوضون في آياتنا فاعرضوا عنهم لا تتركوا الانذار لقوله وذكر به
بدل على طريقة قوله واعرض عنهم وعظهم فلا تكون منسوخة باية القتال لانه على وجه التهديد مثل ذرني ومن خلقت وحيدا ومعنى اتخاذهم دينهم
لهوا ان دين الاسلام حيث سخروا منه او الدين الذي يجب ان ياخذوا به لان عبادة غير الله وتحريم نحو البحاير وامثالهما كاللعب باعتبار
متابعة الهوى والشهوة او اتخذوا هذا المذكور دينا لهم او عيدهم فان كل قوم اتخذوا عيدهم لهوا الا امة محمد فانهم اتخذوا عيدهم صلوة
وصدقة او عادتهم وذكر بالقرآن مخافة ان تسلم نفس الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال والبسل المنع يقال
عليك بسل اي حرام ولامتناع الشجاع عن قرنه سمي باسلا ويقال للاسد لعدم انفلات فريسته منه والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى
بمثله وكل عدل نصب على المصدر اي وان تعدل كل فداء لا يؤخذ منها والفعل مسند الى منها لا ضمير العدل بخلاف لا يؤخذ منها عدل والفرق
ان العدل في الثاني المفدى فيصح اسناد الاخذ اليه بخلاف الاول حيث يراد به المصدر قال في المفاتح الاخذ بمعنى القبول ومنه ياخذ
الصدقات فيزول السؤال يعني انه يصح الاسناد حينئذ اولئك المستهزئين اذ هم وغيرهم سلموا الى العذاب بسبب خبائث اعمالهم

وعقايدهم

وعقائدهم واكد بكونهم بين نار تحرقهم وتجرع شراب مغلي تقلقهم وعطف العذاب على الشراب تعميم بعد تخصيص • قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى
ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون • استفهام انكار
وتعجب اي نعبد من دون الله الذي لا نفع ولا ضر الاصنام ما لا قدرة له على نفع ولا ضر او نرجع على الكفر بعد ان هدانا الله الى الاسلام
يقال لكل من اعرض عن الحق الى الباطل رجع الى الخلف ورجع القهقرى ورجع على عقبيه واستهوى استفعل من الهوى وهو النزول من الموضع
العالي الى الوهدة العميقة شبه به حال هذا الضال وهو مثل قوله فكانما خر من السماء او من اتباع الهوى والمثل فان من كان كذلك فقد بلغ غاية
الحيرة والمعنى كالذي ذهب به مردة الجن في المهامه حيران لا يهتدي الى جادة وذكر الغيلان ليس يريد هنا لقوله عليه السلام لا غول
الا ان يكون على اعتقادهم ان الغيلان تستولي عليهم فيكون التشبيه بهذا الاعتبار ومحل الكاف النصب اما على المصدر او الحال اي نرد ردا
مثل الذي استهوته او متشبهين بالذي استهوته والضمير المجرور يرجع الى المستهوى اي له رفقة يدعونه الى الهدى اي مثل الكافر
لمن اضله الشيطان في مفاوزه ليلا وله اعوان يدعونه ويقولون ويقولون ائتنا فانا على الطريق وهذا العموم لا ينافيه ما قيل انه نزل
في عبد الرحمن بن ابي بكر كان يدعو ابويه الى الشرك وهما يدعوانه الى الايمان ولا ينافيه قول انه نزل لان الاتحاد الذي بين رسول الله
وبين المؤمنين يقتضي ان يقول ذلك عن مشابهته وقوله قل ان هدى الله هو الهدى بيان لانحصار الهدى في الاسلام قال
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وامرنا عطف على انه هدى الله اي قل هذا القول وقد امرنا واللام لنسلم للتعليل اي امرنا بالاسلام
ليظهر الاسلام وتقدير وان اقيموا امرنا بالاسلام واقامة الصلوة اي امرنا ان نسلم وان نقيم والحاصل انه تعالى لما بين انه لا هدى
الا الاسلام الذي رئيس الطاعات الروحانية عقبه بالصلوة التي هي عماد الدين واشرف العبادات الجسمانية وختمها بالتقوى الذي الاحتراز
عن كل ما لا ينبغي فانه كالتخلية عن جميع الرذايل بعد التحلية بجميع الفضايل ثم بين ان فايدة جميع ذلك الحشر الى الله المجازي لعباده
الحسنة باضعافها من عشرة الى سبعمائة بل الى مضاعفة غير محدودة • وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير • وجه المناسبة انه سبحانه لما انكر ان يعبد غير الله بين
البرهان على ذلك بهذه الامور فانه اذا كان خالق السموات والارضين يكون مالك جميع الممكنات يتصرف فيها تصرف المالك في ملكه
ونحوه ما خلقناهما الا بالحق والتقييد بالحق للاشارة الى ان الخلق على وجه الحكمة وقيل للحق او محقا او لكلامه وهو ايتيا طوعا او كرها
ومعنى ويوم انه خلق يوم يقول اي هو الخالق للدنيا وما فيها او خلق يوم يقول اي يوم القيمة وليوم القيمة والبعث وهو جملة اسمية قدم
فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة وله الملك يوم ينفخ يفيد الحصر اي الا ملك في ذلك اليوم الا لله فالمراد بالاول
تقرير الحق وبهذا بيان القدرة التامة وقوله سبحانه وان كان حقا في كل وقت غير ان تخصيصه بهذا اليوم لانه لا يظهر لاحد فيه نفع
ولا ضر فهو كقوله تعالى والامر يومئذ لله وذكر عالم الغيب والحكمة والخبرة بمواطن الاشياء لما سبق غير مرة ان القدرة على البعث يتوقف
على القدرة والعلم ليتصور رد كل روح الى جسده فاذا ثبت حصول هذين الوصفين بالدليل ثبت المقصود والصور قرن

ينفخ فيه فيصعق الخلق ثم ينفخ فيه فيحيون وعن ابن عباس ان السموات تنفخ فيه مثل القرن ويبدل السماء باخرى وقيل الصور جمع
صورة اي ينفخ الارواح فيها وعالم مرتفع بالمدح • واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين •
وجه الربط انه لما كان المراد بيان التوحيد وابراهيم عليه السلام بفضله الملل كلهم حتى المشركون والمجوس واكثر اهل العالم وسببه انه ناظر المشركين
واحتج عليهم باثبات التوحيد وابطال دماغ الشرك والاصنام ووفى بعهد العبودية ثم بعد ذلك طلب من الله سبحانه ان يجعل له لسان
صدق في الاخرين اي صيتا حسنا فاستجاب دعوته فكثيرا ما يحتج بحاله على الكفار وآزر اسم ابيه وفي السريانية تارخ وهو عطف بيان
لابيه وفيه نظر باعتبار تعريفهم اياه وكونه اسم صنم لا ينافي ذلك لجواز انه جعل لقبه للزوم عبادته ومنه ابن قيس الرقيات قال
ادعى باسماء نبزا في قبايلها • كان اسماء اضحت بعض اسماي • وقيل تارخ اسم ابيه وآزر اسم عمه وتسمي العم بالاب او عابد آزر على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وهو كيعقوب واسرائيل باعتبار العلمية والعجمة ولهذا منع من الصرف وهو اعجمي حمل على بوزنه وقيل مشتق
من الازر او القدر وقيل وصف ذم اي المعوج وقيل الشيخ وقرأ يعقوب بالضم على النداء ويقرأ بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وازرا بسكون الزاي وقيل هو اسم الصنم ونصبه بما يفسره ما بعده اي اتعبد آزر وقرأ يعقوب ازر بالرفع ويدل عليه ما يقرأ ازرا اتتخذ
اصناما آلهة وكونه ضلالا مبينا ان البرهان دل على انه ضل عن الحق بعبادة الاصنام • وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين • اي مثل تلك الاراءة وهي التعريف نري ابراهيم عليه السلام اعني اختياره الدين الحنفي والاعراض عن دين قومه
نريه ملكوت السموات والارض او كما اريناك نريه والملكوت فعلوت من الملك وهو اعظم لان التاء للمبالغة ولهذا يقال لنحو العراق وهو
ما يشاهد فيهما من العجايب الدالة على كمال علم الصانع وقدرته والمعنى انه سبحانه هداه طريق اقامة البرهان على وجوده بان نور قلبه
وشرح صدره فبين لابيه وقومه ضلالهم في عبادة الاصنام مشيرا الى ان ما لا يخلو من الحوادث يكون حادثا فيفتقر الى مؤثر ولا يصلح
للالوهية كما سياتي وليكون عطف على مقدر اي فعلنا ذلك لهدايته الى الاحتجاج وليكون من الموقنين او لذلك اريناه وقيل اراه الله السموات
والعرش والارضين السبع وقيل المراد اراءة القلب ولا اشكل بانها تحصل لغير النبي فما وجه الرجحان لان الاطلاع على اسرار حكم الله في كل
واحدة من مخلوقات هذا العالم بسبب اجناسها وانواعها واحوالها لا تحصل الا لاكابر الانبياء قال النبي عليه السلام ارنا الاشياء كما هي ونقرأ
يري وعلى الوجهين حكاية حال ماضية قال صاحب المفاتيح ان سبب العدول عن قوله اريناه الى نري ان المقصود من الاراءة معرفة جلال الله
وقدسه وعظمته ومخلوقات الله تعالى وان كانت متناهية في الذات والصفات الا ان دلالتها على ذاته وصفاته غير متناهية قال سمعت
من والدي الشيخ الامام عمر قال سمعت ابا القاسم الانصاري قال سمعت امام الحرمين انه يقول معلومات الله غير متناهية ومعلوماته
في كل واحد منها كذلك لان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز غير متناهية على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل
وكل تلك الاحوال التعذرية معلوم الله تعالى فكلها تدل على قدرته وحكمته واذا كان هذا حال الجوهر فكيف القول في كل ملكوت الله سبحانه وتعالى
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي

مطلب في بيان ان علمه سبحانه غير متناهية



للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين • جن الليل اي ستر ما فيه بظلامه والكوكب قيل زهرة او المشتري وصدور
هذا الكلام قيل اول زمان بلوغه او زمان مراهقته فان امه ولدته في مغار خوفا من نمرود والقول بانه قال ذلك على طريق الاستدلال
اولى منه انه على وجه الانكار او حكاية قولهم وذلك ان طريقة المستدل التنزل مع الخصم في دعواه فكانه قال ان صح ان الآله ينبغي
ان يكون علوا مكانيا واضوأ واحسن فليكن هذا الكوكب لكن الافول والاحتجاب والانتقال من لوازم الجسمية المقتضية للحدوث
المنافي للالوهية ومثل هذا لا يستحق ان يحب فكيف ان يعبد والبزوغ ابتداء الطلوع والكلام فيه كالاول فلما افل استعجز نفسه
واستعان بالله في درك الحق فانه لا يهدي الا من هداه الله وذلك لارشاد قومه الى ان القمر ايضا لا يصلح للالوهية لتغير حاله
وان من عبده فهو من الضالين لا يقال لم لم يستدل على كونه في جهة ومكان وذلك يستلزم قبول الاشارة الحسية المقتضية
للجسمية المنافية للالوهية لانا نقول طريق المستدل على الخصم الزامه بما هو اظهر في الدلالة واقرب الى المقصود وتذكير اسم الاشارة
بعد وصف الشمس بصفة المؤنث لتذكير الخبر او للضوئية وما قيل لرعاية الرب عن صفة التانيث ومعنى وجهت وجهي اخلصت طاعتي
لله او قصدته بها لانه الغرض انه على سبيل التنزل وايضا التانيث غير حقيقي ليعود بنقض والوصف بالكبر اما للاستدلال او لتعظيم
شبهة الخصم ليكون الجواب اقوى فلما شاهد افولها قال اني بريء من جميع ما تشركونه بالله من الممكنات المفتقرة لامكانها وحدوثها
الذي شهدتها التغيرات الى مؤثر يوجدها والتوجه الى الصانع الذي خلقها ودبرها احسن تدبير وخص كل نوع منها بخواص اقتضتها حكمته
فان قيل ما فائدة تخصيص فطر دون ابدع وخلق قلنا لان معناه الايجاد المتقيد بالابتداء وعدم سبق خلق عليه ففيه معنى الخلق مع
زيادة اعترف الخصم به واليه الاشارة بقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وفي ذكر الابداع المستدعي
لعدم تقدم مادة يحتاج الى اضمار وغموض في المعنى ويعلم من الآية لا تحصل الا من الله تعالى لان التمكين وازاحة الاعذار كانا حاصلين
لابراهيم عليه السلام ومع ذلك طلب اهدائه واستدل في المفاتيح على ان علوم الانبياء بدلالة والا لما احتاج ابراهيم عليه السلام
الى الاستدلال ولا يخفى ما فيه من الضعف باعتبار منع الملازمة مستندا الى انه يجوز ان يكون لالزام الخصم وكذا قوله لو امكن حصول
معرفة الله بغير النظر لما عدل اليه فانه مجرد دعوى لم يذكر عليه دليلا • وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به
الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون • لما ذكر ابراهيم عليه السلام الحجة المذكورة اوردوا عليه ما اعتقدوه
حجة لهم كتقليد الآباء فاجاب بانكم كيف تخاصموني في دين الله وقد هداني الى ما ثبت بالدليل المقتضي للهداية فكيف تلتفت الى حجتكم
الباطلة فقالوا انا نخاف ان تمسك آلهتنا بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به من غير الله من لحوق مكروه كمرض وخبل نفيت
الالهة كما زعمتم في وقت ما الا وقت مشية الله امرا محذورا مما ذكرتم بانه لا قدرة لغيره سبحانه نعم لو اقدر الله ما خوفتموني منه بان مكنه
من ضري ونفعي خفت منه وفائدة ذكر ذلك انه لو اصاب مكروه في المستقبل لم يحمله الحمقى على انه من قدح الهة الاصنام وقرئ
اتحاجوني على حذف احد النونين وفائدة ذكر سعة علمه سبحانه لو حدث شيء من ذلك فذلك لانه سبحانه عرف وجه الصلاح فيه
والخير لا القدح في الالهة ثم قال افلا تتذكرون ان القدح فيما يدعى شريك الله لا يوجب عقابا • وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون

أانكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون • استفهام انكار وتعجب فان الخوف مما لا قدرة له على الضر وعدم الخوف ممن يقدر على كل خوف وضرر ما يقتضيه
وهو الشرك فى غاية العجب فانه قد جاوز التسوية بين القادر والعاجز والصانع والمصنوع بل ترجيح للمرجوح بما وانكم اشركتم بالله ما لم ينزل
الله به حجة كيف ولا حجة على الباطل فاى الفريقين احق ان يامن المكروه المشرك او الموحد ولم تقل اينا احق للبعد عن تزكية نفسه واولئك
استيناف بالجواب عن سؤال الاحقية بالامن اى الاولى به المؤمن الذى لم يخلط ايمانه بالظلم وفيه دليل على ان عدم الظلم غير داخل فى
مسمى الايمان ان لم يحمل الظلم على الشرك لما روى ان الصحابة قالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يعترف بالصانع ويخلط الشرك به ولقايل ان يقول الايمان المصطلح
يستحيل اجتماعه مع الشرك الا ان يحمل على مجرد التصديق بالصانع وحده فيكون لغويا • وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع
درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • الاشارة ما تقدم من الحجج الى قوله لا احب الافلين او قولهم نخاف ان يخبلك الالهة كما قيل والاية
تدل على ان رفع درجات ابراهيم كان بالحجة والعلم والحكمة ووجه كون تلك الحجج درجات انها توجب الثواب العظيم وقيل نرفع درجات
من نشاء فى الدنيا بالنبوة والحكمة وفى الاخرة بالجنة والثواب وقرئ بالتنوين وتعقيبه بذكر العلم والحكمة للاشارة الى ان الله يعلم حال
من يرفعه ولا يخصه به الا بما اقتضته حكمته • ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس
ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم • هذا من جملة ما انعم الله به
على ابراهيم عليه السلام فان كون الانبياء المذكورين من نسله وبقى امر النبوة فى ذريته يرجع الى نوح والواو وان لم يقتض الترتيب
لكن يشكل بانه ليس التقديم على وجه الاشرفية الا ان يذكر كل طائفة منهم اختصوا ببعض الكرامات جملة فداود وسليمان للاختصاص بالملك
بعد النبوة وايوب ويوسف للابتلاء العظيم ثم السعة بعده وموسى وهرون لاختصاصهما بعظم الشان والانفراد بامر بنى اسرائيل
والصولة والمهابة وزكريا ويحيى وعيسى للاعراض للزهد الشديد فى الدنيا ولعل ذكر الاربعة الباقين للانفراد كل بشان عظيم لا شاركهم
فيه غيرهم اما اسمعيل فلانه اصل سيد المرسلين وهو الذى بقى ذريته الى يوم القيمة وكذا حكم الباقين اذ ما علم فيه ومعنى كذلك
انه مثل ما جزينا ابراهيم برفع الدرجات على احسانه باثبات الحجة نجزى كل من احسن فى امر الدين بمعالى الدرجات وفى ذكر عيسى من الذرية
دليل على ان الذرية تتناول ولد البنت والياس قيل ادريس جد نوح وقيل من اسباط هرون والمراد بالصالحين الكاملين فى الصلاح
وهو تعاطى ما ينبغى وترك ما لا ينبغى وقرئ وقيل الليسع واللبسع ودخول اللام مع انه علم اعجمى ودخول اللام مع انه علم اعجمى كدخولها فى الوليد
كما قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويحتمل انه لما كان سبب دخول اللام اما الاشتراك الاتفاقى فى التسمية
فى العربى كان كذلك فى العجمى او عموم الاشتقاق وتفضيل كل من هؤلاء الانبياء على العالمين باعتبار النبوة والرسالة ومن فى
ومن آبائهم للتبعيض لانه لم يكن كلهم انبياء وهو عطف على كلا اى وفضلنا كلا منهم وبعض ابائهم او على نوحا اى وهدينا



واجتبيناهم اى اخترناهم عطف على هدينا والصراط المستقيم ما اتفق بين الانبياء من دين التوحيد وفى الاية دليل على افضلية
الانبياء على الملئكة لان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فدخل الملئكة فى عموم الجمع المحلى • ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون • يعنى ما دان به هؤلاء الانبياء هو الذى ارتضاه لهم وهو التوحيد وتنزيه الله عن الشرك
يرشد اليه من تعلقت مشيته به وهؤلاء الانبياء مع علو شانهم لو صدر منهم الشرك لحبطت اعمالهم وصاروا مستحقين للنار وهو مثل
لئن اشركت فلعل المراد بيان حال الغير لاستحالة صدور الشرك من الانبياء • اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو
الا ذكرى للعالمين • الاشارة الى الانبياء المذكورين فالكتاب للجنس فان قيل وظاهر اللفظ يشعر بايتاء الكتاب لجميع المذكورين
فان ثبت ان بعضهم لم يؤت كتاب فما وجه هذا الاطلاق قلنا ان تحقق ذلك وهو الظاهر فانه لم يشتهر من الكتب سوى التورية
والانجيل والصحف والزبور وهى لطائفة مشهورة من الانبياء عليهم السلام فلا بد من التخصيص ويكون الاطلاق باعتبار
ان من لم يؤت الكتاب كان مامورا باتباع كتاب غيره كانبياء بنى اسرائيل فانهم كانوا متعبدين بالتورية والحكم قيل الحكمة وقيل العلم
الذى تمكنوا معه من التصرف فى ظواهر الخلق وبواطنهم ثم قال فان يكفر بها اى بالكتاب والحكم والنبوة بانكار التوحيد والكفار اهل
مكة فقد وفقنا للايمان بها الانبياء المذكورين واممهم ووجه التخصيص التعقيب بقوله فبهداهم اقتده فان قيل فان حمل على اصحاب
النبى عليه السلام او الانصار او الفرس او كل من آمن فما وجه النظر قلنا على هذا التقدير يكون الاشارة بعد ذكر القوم الموكلين الى
الانبياء ومعنى توكيل الشخص بالشئ ان يراد منه قيامه وتعهده والمحافظة عليه والباء الاولى مع الضمير معمول كافرين والثانى
لتاكيد النفى وتقديم قوله فبهداهم يفيد حصر الامر فى هذا الاقتداء لانه لا هدى غيره والمراد اصول الدين وهى التى تستحق ان تسمى
الهدى المطلق فانها لا تقبل النسخ وكذا فى مكارم الاخلاق والصفات الحميدة المشهورة عن كل واحد من هؤلاء الانبياء
هذا وانه لو امر بالاقتداء فى فروع تلك الاديان لم يكن دينا ناسخا وكان يجب تحفظ كتبهم ومراجعتها عند الحاجة وبطلان اللازم
بالاتفاق يدل على بطلان الملزوم واستدل به على افضلية النبى عليه السلام من جميع الانبياء لانه امر بالاتيان بمثل ما اتوا به
متصفا باخلاقهم الفاضلة ثم قال ولا اطلب منكم اجرا من جعل وقال وليس القرآن الا كتابا يشتمل على جميع ما يحتاج الخلق اليه
فى المعاش والمعاد فيكون ذكرى للعالمين وقيل ما محمد الا عظة للعالمين • وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون • اى لم يعرفوا الله معرفة تليق به باعتبار اتصافه بالرحمة المقتضية لاختصاص بعضهم
بالنبوة والوحى او بالنظر الى غضبه وشدة اخذ الكافرين والا لما اقدموا على جريمة انكار النبوة واصل القدر الكمية وقدر الشئ
عدل كميته ثم يستعمل فى علو الرتبة وهذه المقالة الشنيعة كما روى ان مالك الصيف بعض الاحبار قال له رسول الله انشدك بالذى
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم

فغضب قال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه
وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل قاله فنحاص بن عازورا وقيل في المشركين المنكرين للنبوة وهم محجوجون بانهم لما سمعوا انزول
التورية على موسى من يهود المدينة قالوا انا انزلنا عليك الكتاب ونعلم من الآية ان النكرة في سياق النفي تعم لانها لو لم تفد العموم
لم يكن هذا نقضا وابطالا لقولهم ووصف التورية بكونها نورا وهدى كوصف القرآن في كونه طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وسببا
للهداية ومعنى جعلها قراطيس ذات قراطيس يبعونه اياها على ما قاله ابو علي او يكتبونه في القراطيس وهي الصحيفة وقرئ يبدونها
وتخفون بالتاء والياء يعني تظهرون منها ما آمنتم به وتخفون ما كفرتم به كصفة محمد وآية الرجم فجعلتموها عضين ومعنى علمتم انكم علمتم
على لسان محمد مما انزل عليه ما لم تعلموه مع العلم بالتورية ولا آباؤكم الذين كانوا اعلم منكم كما قال سبحانه ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
وقيل الخطاب للمسلمين علموا على لسان محمد عليه السلام ومعنى قل الله الامر بان يجيب عنهم لانهم لا يقدرون على الانكار ولا جواب غيره ثم لا
عليك بعد ان الزمتهم الحجة لانك بلغت الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم بل اتركهم في خوضهم لاعبين ويجوز ان يكون في خوضهم حالا
من يلعبون او صلة له وجعله صلة انذرهم ضعيف للزوم تخصيص من غير قايل لان فيما لا ينتفع بفعله فهو لاعب ولا استدلال لمدعي النسخ
كما قيل حيث ذكر لاجل التهديد • وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون • قيل انه عطف على من انزل الكتاب ولعله غير جاري على ظاهره لعدم التناسب بل لما
لزم من الاستفهام ثبوت كون التورية منزلا من عند الله فيكون التقدير بل انزل التورية وهذا كتاب انزل على محمد عليه السلام وكونه مباركا
كثرة خيريته ودوام بركته ومنفعته مبشرا للمطيع بالنعيم والعاصي بالجحيم مشتمل على الاصول والفروع شامل على الجوارح والقلوب
وهو يصدق سائر الكتب المتقدمة عليه في الاصول والفروع الا في مسائل قليلة ولتنذر عطف على مفهوم وصف الكتاب اي البركة به
والتصديق والانذار ويحتمل ان يكون التقدير انشر بركته وليظهر تصديقه وانذاره بالتبليغ وقرئ بالتاء والياء وتسمية مكة ام
القرى لانها محل اول بيت وضع للناس وقبلة سكان العالم واعظم القرى شانا اذ الارض دحيت من تحتها واول بلد سكنت والتقدير
اهل ام القرى والمؤمنون بالآخرة والمعاد يؤمنون بالقرآن فيعلم انه من عند الله ويحمله خوف العاقبة على الايمان به وقيل بمحمد عليه السلام
وتخصيص الصلوة برعاية اوقاتها او اتمام اركانها لانها اعظم العبادات واكثرها وجودا وهي الناهية عن الفحشاء والمنكر والمحافظ
عليها يحافظ على اخواتها ووقع اسم الايمان عليها ولم يقع اسم الكفر على المعاصي • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله • الحمل على العموم كما قيل لان النظر الى عموم اللفظ وان يروى انها نزلت في مسيلمة الكذاب
والعنسي حين ادعيا النبوة وقال النبي عليه السلام بينما انا نائم رايت في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما
فطارا فاولت ذلك كذاب اليمامة وكذاب صنعاء وقيل سانزل عبد الله بن سرح يكتب الوحي فاملي عليه ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين فلما بلغ خلقا آخر اتفق ان جرى على لسانه تعجبا فتبارك الله احسن الخالقين وكان قد انزل كذلك فقال النبي عليه السلام
هكذا انزل فشك وارتد وقال ان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال ولحق بمكة ثم رجع قبل الفتح مسلما

مطلب في بيان ارتداد عبد الله بن سرح

وقيل

وقيل هو حكاية قول نضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا • ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا
انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون • هذا بيان لحال من افترى على الله كذبا
واليهود ويجوز ان يكون اللام للجنس فيعم غيرهم وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا وفيه تهويل والغمرات جمع غمرة وهي
شدة الموت وغمرة كل شيء معظمه ومنه غمرة الماء والحرب ويقول لهم الملئكة حينئذ هاتوا البينات او احكم وهم باسطوا ايديهم بالضرب
والعذاب وهو بيان عنفهم وتشديد الارهاق من غير امهال كما يقول الغريم اخرج الي مالي عليك فاني لا افارقك حتى انزعه من احداقك
ومعنى اخرجوا خلصوها منا او من الغمرة والشدة وهو توبيخ واليوم يجوز ان يراد به وقت النزع او منه الى البعث والهون الهوان
الشديد اي يجمع عليهم الالم والهوان واضافة العذاب اليه لبيان ان له عرقا فيه والقول على الله هو ما سبق من الافتراء والاستكبار
عن الآيات عدم الايمان بها وقيل ترك الصلوة لقوله عليه السلام من سجد لله سجدة بنية صادقة فقد بري من الكبر • ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم
ما كنتم تزعمون • اي جئتم للمحاسبة والمجازاة منفردين من دنياكم والاموال والاولاد او عن الاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وفرادى جمع
فريد كاسارى واسير وقيل جمع فردان كسكران وسكارى وقيل منفرد وفي معنى الفريد الفرد والفارد ومعنى كما خلقناكم اي على الصورة
التي ولدتم عليها من الانفراد او حفاة عراة وهذا يختص بهم فان اهل الايمان حصلوا من المعارف ما هو كالزاد للمعاد وتركتم ما تفضلنا به
عليكم فيشغلكم عن الآخرة ولم ينفعكم ولم يصحبكم منه شيء وما نرى معكم معبوداتكم التي زعمتم انها تشفع لكم وهذا اوان الحاجة اليها بزعمكم
ومحل كما خلقناكم النصب على المصدر اي مجيئا مثله والبين الوصل اي تفرق جمعكم اي وقع التقطع بينكم وهو مثل جمع بين الشيئين
اي وقع الجمع بينهما وقرئ بالرفع على انه فاعل مثل قوله خلقكم ويقال البين الفراق ومعنى ضل ضاع وبطل دعوى انكار البعث والجزاء
وشفاعة الالهة والآية تدل على ان الانسان انما خلق لتحصيل سعادة الآخرة وانه اذا فاتته بقي في الحسرة والندم حيث يجد آلة تحصيل
النعيم المقيم معطلة لم ينتفع بها وقد جاء فردا عن الخيرات متحملا للحسرات ولو صرفها مصارف الخيرات ما تركها وراء ظهره بل قدمها
تلقاء وجهه وما تقدموا من خير تجدوه عند الله • ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون
وجه الربط انه لما ذكر امر القيمة والبعث واحوال الخلق وهي امور تفتقر الى الاتصاف بالقدرة والعلم والارادة ذكر ما هو كالدليل على
ذلك من اوجه اولها هذا المعنى الفلق الفطر والشق اي فالق الحب من السنبل والنوى من النخل والخوخ وغيرهما وقيل هو الشق الذي
في النواة والحب ووجه الصنع فيه انه يخلق الله الشجر من الشق الذي يكون فوق والعرق يخلقه من شق آخر يظهر في اسفله والحبة سبب
لاتصال ما في الهواء الى ما في الارض ولما كانت الطبيعة واحدة فقد ظهر منها متضادتان اعني ما في الهواء وما في عمق الارض علم ان ذلك
بمقتضى الطبع بل التخصيص ارادة الفاعل المختار بل يحصل في الشجرة طبايع مختلفة للثمر والقشر والجلد واغرب من هذا كله انه الارض
الصلبة التي لا يغوص فيها السكين يدخل فيه اطراف العرق الذي هو في غاية الضعف بل الورقة الواحدة اذا تاملتها وجدت
فيها خطا هو كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان ولا يزال يتشعب من كل شعبة الى ان يغيب من الحس للصغر وهي مع لطافتها

تجذب من الاجزاء الارضية ما هو كالغذاء لها فاذا تحقق عناية الخالق في خلقها وعلمت انه خلق النبات لمصلحة الحيوان علمت ان عنايته
بخلق الحيوان اكمل واذا كان الحيوان للانسان فعنايته بخلق الانسان اعظم والمقصود من خلقه معرفة الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون واخراج الحي من الميت خلق البشر من النطفة والفرخ من البيضة او يخرج النبات وهو لنموه كالحي من الحب وهو كالميت
او انه يخرج المؤمن وهو الحي الحقيقي من الكافر وهو الميت وبالعكس وكذا هو مخرج هذه الجمادات من الحيوانات وذكر مخرج بالاسم بعد يخرج
قيل لارادة العطف على فالق الحب ووجه كونه بيانا لما سبق ان ارادة اخراج النبات الذي هو كالحي من الحب الذي هو كالميت
فيناسب المطابقة مع الميتين وذلكم هو الاله الذي يستحق ان يعبد فعلى اي حال تصرفون عنه الى غيره او هو المدبر الخالق النافع
الضار المحيي المميت فانى تؤفكون في اثبات القول بعبادة الاصنام او المقصود الانكار على تكذيبهم الحشر فانه كما قدر ان يخرج الحي من الميت
فاي استبعاد ان يخرج البدن الحي من التراب • فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم • هذا
هو الدليل الثاني والاصباح في الاصل مصدر اصبح اي دخل في الصبح سمي به الصبح اي شاق عمود الصبح من بين الظلمة ويقراء
بالفتح جمع صبح اي خالق اسباب الاصباح وقيل هو ضوء الشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى فتح الهمزة قال افنى رباح وبني رباح
تناسخ الامساء والاصباح • ورباح اسم رجل وجاء بالفتح والكسر مصدرين وجمعين لمسي ومصبح ولما كان المنفلق الظلمة كان التقدير
فالق ظلمة الاصباح وهي غبش آخر الليل او شاق عمود الفجر عن بياض النهار وتسمية الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقيل معنى الفالق الخالق
ويقراء بالنصب ومعنى جعل الليل سكنا ان يسكن اليه الانسان للاستراحة من تعب النهار والاستيناس به ومنه سمي الدار سكنا
سمو ما الموية وقرئ وجعل نظرا الى ان الفالق بمعنى فلق والشمس والقمر حسبانا اي بحسبان وهو مصدر حسب اي جعل سيرهما
بحساب حيث يعلم حساب الاوقات بسيرهما فان الشمس تقطع البروج في ثلثمائة وخمس وستين وربع يوم وتعود الى مكانها والقمر
في ثمانية وعشرين فبدورهما حساب الايام والشهور والاعوام مصدر حسب والحسبان بالكسر ويقراآن بالرفع والجر فالنصب
لدلالة الجاعل على جعل او العطف على محل الليل اذ الاضافة لفظية ولا ينافيها اعتبار الزمان الماضي لان المراد الاستمرار في الازمنة
فليس كزيد ضارب امس عمرا بل هو مثل وكان الله غفورا والرفع على الابتداء والرفع على الابتداء اي هما محسوبان والجر على تقدير
وجاعل وذلك قيل اشارة الى جعلهما حسبانا وهو ضعيف بالآية لا فائدة فيه سوى رعاية الافراد والتذكير ولو جعل للمذكور
او لكل واحد كان افيد من حيث المعنى وذكر العزة هنا لانه سبحانه بغلبته وقهره سخرهما وبعلمه علم تدبير الامور ومقاديرها ما
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون • هذا هو الدليل الثالث اي خلق الله
النجوم ليهتدي الانسان بوساطتها في ظلمات البر والبحر وهي الطرق والمسالك فيهما عند غيبوبة الشمس والقمر وتعلم
القبلة بها وبحركة الشمس وكذا مواقيت الصلوة وهو ذكر بعض منافعها بالتفصيل بعد الاجمال بقوله لكم وحمل في المفاتح على
الاهتداء الى وجود الفاعل المختار لاختلاف اشكالها واحوالها وهيأتها وكونها متغيرة ومتناهية ومحدودة قال وذلك
في ظلمات بر التعليل وبحر التشبيه فان العاقل لما لم يقل بالوهيتها لهذه العيوب وجب تنزيه الاله عنها باسرها وتخصيص ذلك

لقوم

لقوم يعلمون لانهم المنتفعون به • وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ما
هذا هو الرابع والنفس الواحدة آدم عليه السلام ولكم مكان استقرار في الرحم واستيداع في الصلب او فوق الارض وتحتها
وقرئ بكسر القاف فهو اسم فاعل اي ذو استقرار فمستودع اسم المفعول لانه من المستوداع بخلاف الاستقرار فانه متعد
قيل المستقر الذكر لان النطفة انما تحدث منه وتستقر في صلبه والمستودع الانثى لان رحمها شبيه بالمستودع وابن عباس
جعل الارحام محل الاستقرار لان فيه معنى الثبات والاصلاب المستودع وقيل من في الدنيا ومن في القبر ولما كان الفقه ادراكا
مع استعمال الذكاء وتدقيق الفكر استعمل مع ذكر الانشاء على هذا الوجه وهو ايجاد هذا النوع من نفس واحدة ونقلهم الى اطوار
مختلفة ويعلمون مع ذكر النجوم لان احوالها اظهر ومعنى فصلنا جعلنا بابها فصلا فصلا • وهو الذي انزل من السماء ماء
فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون
والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون • هذا هو الخامس المشتمل على ادلة شتى
انزال الماء من السماء من السحاب او من جانب السماء وظاهر اللفظ المؤيد بنصوص اخر نزول المطر من السماء ولا حاجة الى العدول
عن الظاهر من غير قاطع يمنعه وما ذكر من ان البخار يصعد فينعقد الغيم منها ويتقاطر وذلك هو المطر فهو فاسد من وجوه نذكر
بعضها وهو ان البرد قد يوجد وقت الحر بل في صميم الصيف ويوجد المطر في ابرد وقت ينزل غير جامد ولا يجاب بان البرد في الصيف يهرب
الى باطن السحاب ويقوى فيحدث البرد وفي وقت البرد يستولي على ظاهره ولا يقوى على باطنه فينزل ماء لانا نقول المقر عندكم ان الطبقة
العالية من الهواء باردة جدا والهواء المحيط بالارض في الشتاء بارد جدا فوجب ان لا يحدث المطر في الشتاء لشدة البرد وايضا
لدوام نزول المطر عند دوام صعود البخار وبطلانه ظاهر واخرجنا التفات من الغيبة الى التكلم ولعل السبب الاهتمام بشانه اذ هو المقصود
والضمير يرجع الى الماء ونبات كل شيء هو كل صنف من اصناف النبات المختلفة من ماء واحد وفيه عظيم القدرة كما قال تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض واخراج الخضر وهو الشيء الاخضر من النبات او الماء قال ابن عباس هو القمح والشعير والسلت والذرة
والارز والخضر هو العود الذي يكون السنبلة في اعلاه وهي الحب المتراكب اي بعضه على بعض يعني السنبلة متركبة في اعلا السنبلة
واخرجنا من النخل من طلعها وهو اول ما يرى من عرق النخلة الواحدة والقنوان الاعذاق جمع قنو كالصنوان ويقرأ بضم القاف
وفتحها وهو مبتدأ ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه والدانية القريبة التناول او قريب بعضها من بعض للالتفاف وجنات
عطف على نبات ويقراء بالرفع على حذف خبره اي ولكم او ثم جنات ويمتنع عطفه على قنوان لزوم خروج العنب من النخل ونصب الزيتون
والرمان يحتمل ان يكون للعطف على نبات او الاختصاص لشرفهما اما الزيتون لكثرة منافعها وشدة الحاجة اليها اكلا واصطباغا به
وغيرهما والرمان للغذائية والدوائية واللطافة العظيمة والفوائد الجليلة ومشتبها اي يشبه بعضها بعضا من وجه ويختلف
من وجه كالهيئة والقدر واللون والطعم وجعله حالا من الرمان اوفق لفظا من الجميع احسن معنى وضمير ثمره متعين للوجه الاخير
وقرئ بضم الثاء جمع ثمرة كخشبة او ثمار ككتاب اي انظروا الى ثمر كل ما تقدم اذا اخرج ثمره والى حال نضجه او الى نضجه كيف يصير ذا منفعة

مطلب في بيان فساد قول من قال ان المطر يتقاطر من البخار المتصاعدة

ولذة وهو مصدر بدع اى ادرك ذا بدعه وهو النضيج منه وقيل جمع بالغ كتاجر جمع تجر ويقرا اليا وبانعه اى فى جميع ما تقدم لدلالات
وجود القادر الحكيم ووحده فان ظهور الانواع المختلفة من اصل واحد وتقلبها فى اطوار مختلفة لا يكون الا بارادة عالم باحوالها قادر
على تخصيص بعضها بحال دون اخرى وتخصيص المؤمنين بالذكر لان من اعتقد هذا الاعتقاد فهو الذى ينتفع فى ذلك دون غيره
وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ● لما بين الحق سبحانه الدلايل الدالة
على الاختصاص لكمال القدرة من العالم الاعلى والاسفل عقبه بان من الناس من اثبت له شريكا توبيخا له وردا عليه فى ذلك وجعل شركا
بدلا من الجن فيكون الله المفعول الاول اولى بحسب المعنى من جعله لغوا اى غير خبر ويكون قد قدم المفعول الثانى لفائدة استعظام ان يتخذ
لله شريك ويقرا برفع الجن على تقدير هم وبالاضافة المنفية وقيل هم الثنوية الذين اثبتوا للعالم الهين يعبر عن احدهما بيزدان
وعن الآخر باهرمن وانما قالوا النور والظلمة فنسبوا الخيرات الى الاول والشرور الى الثانى وكون الثانى قديما قول القليل منهم
والاكثرون على حدوثه من الاول ولهم فى هذا الباب ولهم فى ذلك ترهات وخرافات ذكرها صاحب الملل والنحل ما احسن ما قال بعدها
وما اظن ان هذا مذهب يرتضيه عاقل فلعله من رموز الاوايل وما نقل عن ابن عباس ان هذا من قول الزنادقة يريد بهم المجوس
المنسوبين الى زردشت الذى زعم انه نزل عليه كتاب مسمى بزنديق وقالوا ابليس خالق الحيات والعقارب والشرور ويقرب منه مذهبهم
من قال مدبر هذا العالم الكواكب فمنهم من جعلها واجبة الوجود ومنهم من قال الله تعالى فوض اليها تدبير هذا العالم ومعنى خلقهم خلق من جعل
لله شركاء وهم معترفون انه خالقهم دون الجن ومع ذلك اتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق فهو فى غاية البعد من العقل وان جعل الضمير
للجن فهو ابلغ وما يقرا بالمصدر فالمعنى جعلوا الله خلقهم اى كذبهم يعنى نسبة عبادة غير الله الى الله فى قولهم والله امرنا بها وخرقوا افتعل
من الخلق وقرئ بالتخفيف اى زوروا ومجموع ذلك قول اليهود والنصارى فى عزير والمسيح والكفار فى الملئكة ومنهم من قال
صاهر الجن فولدت له الجنة اولادا اناثا هم الملئكة ومعنى بغير علم اى من غير تثبت مما قالوه خطاء او صوابا بلا رمية من غير رام وهو حال
اى غير عالمين او صفة مصدر محذوف ● بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم
هو كالدليل على نهاية جهالة المشركين فانهم مع اعترافهم بانه خالقهما اشركوا معه غيره اذ المعنى بديع سمواته كقولك بديع شعره فانه
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وكذا اذا قلنا بمعنى المبدع فانه ايجاد الشئ بلا واسطة واذا قلنا هو مثل قولهم ثبت العذر
بمعنى ثابت فيه فبطريق المفهوم اذ المعنى هو عديم النظير فيهما ورفعه بتقدير هو بديع او مبتدا خبره انى يكون او فاعل تعالى ويقرا بالجر
فيكون بدلا من الله او ضميره فى سبحانه وبالنصب على المدح وقد سبق فى البقرة انه يدل على بطلان دعوى اتخاذ الولد من وجوه شتى
لكون الولادة مستلزمة للجسمية المحوجة الى المؤثر والغنى عنه يستحيل عليه ذلك وكذا الحاجة الى اتخاذ الصاحبة وهو غنى عنها وكذلك هنا
وان الولد لا يطلب الا للحاجة وانه لا بد من المناسبة بين المتوالدين وهى منتفية وما يقرا بالتذكير فليحمل على ولد الاحيطل وهو ضعيف
لقلة استعماله وقال فى الانوار من جملة الاستدلال ان من مبدعاته السموات والارض وهى مع انهما من جنس ما يوصف بالولادة
ولعل نظره الى مطلق الجسمية مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو سبحانه اولى بان يتعالى عنها وفى جعله طول المدة علة للتبرى نظر

قال

مطلب فى اقوال الثنوية

قال وايضا المعقول من الولد المتولد من ذكر وانثى متجانسين وهو سبحانه منزه عن المجانسة وايضا الولد كفو الوالد وهو محال لان
ما عداه مخلوقه وايضا هو عالم بالكل ولا كذلك غيره ولعل الثانى من مقوله راجع الى الاول اذا تاملت فيه ● ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل ● تقرير للكلام السابق ودليل على انه المستحق للعبادة لان الاشارة الى ما سبق وربكم الى آخر
اخبار عنه وكذا فاعبدوه ويحتمل الخبرية ان اول مقول فيه ولا ينافيه كونه مستثنى عن مقول الجملة اذ التقدير ان المستحق للعبودية الموصوف
بهذه الصفات لا غير هذا وانه على كل شئ مما ذكر ولم يذكر رقيب فيعلم انه لا حافظ الا الله ويمكن ان يستدل على احتياج الممكن اليه حال البقا
كاحتياجه فى الوجود ويحتمل ان يقال فى تقديم الاشارة اشارة الى التوحيد على طريقة المعانى ويدل عليه انه لو فرض آخر فاما ان لا يتميز
احدهما عن الاخر بامر ما او يتميز والاول يقتضى نفى التعدد المفروض والثانى اما ان يكون ما به الامتياز صفة كمال ام لا والثانى
باطل وفاقا والاول يقتضى ان يكون الخالى عن ذلك ناقصا فانتفى التعدد وعموم الشئ يقتضى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ● وجه الربط انه فى بيان عظمة الله ومغايرته للجسمانيات واستدلت
المعتزلة بها على ان الله تعالى غير متبصر فى ذاته لان الابصار انما يتعلق بما كان فى جهة اما بذاته او بتبع غيره كالاجسام والهيئات
وتحقيق هذا البحث يتوقف على تحقيق البصر وعرفها المعتزلة بانه جوهر لطيف ركبه الله فى حاسة النظر به يدرك المبصرات
وهذا التعريف كما ترى فى غاية الفساد لجعله جوهرا واحد المبصرات فى التعريف ثم قالوا يقتضى ان لا يراه شئ من الابصار فى شئ
من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وان عائشة تمسكت بها على مذهبها حيث انكرت قول ابن عباس انه عليه السلام راى الرب تعالى
ليلة المعراج والجواب انا لا نسلم ان المراد بالادراك الابصار بل هو ادراك مع الاحاطة وعدمها لا يستلزم عدم الرؤية مطلقا
هذا وان نفى رؤية جميع الابصار يفيد سلب العموم لا عموم السلب بل قد استدل على انه يدركه بعض الابصار كما يقال
ما آمن بمحمد جميع الناس فانه يفهم ايمان البعض كيف ولو لم يحمل على ذلك كان تخصيص النفى بالمجموع من حيث هو مجموع عبثا
يصان كلام الله عنه واما قولهم انما يتعلق بما كان فى جهة فهذا يدل على الجهل بحقيقة الرؤية لان مقصود المسلمين من اثبات
الرؤية انكشاف الله سبحانه انكشاف البدر المرئى كما ورد به الاحاديث الصحيحة سوى الايات مثل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة من غير ارتسام المرئى فى حدقة الرائى او اتصال خارج من العين ومواجهة كما قالت الكرامية والمشبهة وذكر فى المفاتيح
انه اذا كان الكلام فى معرض المدح يلزم ان يكون بحيث يرى والا فاذا كان فى نفسه ممتنع الرؤية لم يستلزم من عدم رؤيته
مدح وفى الاستدلال نظر لان لقايل ان يمنع عدم المدح فى ممتنع الرؤية لجواز ان يكون برية الذات عما يوهم التشبيه
مقصودا غير ان البراهين العقلية والنقلية المذكورة فى الكتب الكلامية يقتضى جواز الرؤية على وجه لا يلزم منه محال
وحاصل البحث عدم دلالة الاية على مدعى المعتزلة وصرف الاية عن ظاهرها يستلزم ابطال تلك الادلة ايضا يدرك وقيل
لا تدركه فى الدنيا وقيل الله تعالى محدث حاسة غير هذه فى الآخرة يدرك بها ومعنى ادراكه سبحانه الابصار احاطة علمه بها ووصفه
باللطيف والخبير للدلالة على انه يدرك ما لا تدركه الابصار وقال فى الانوار يجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف

مطلب فى اثبات الرؤية له تعالى

وهو يدرك الابصار لانه الخبير مستعارا من مقابل الكثيف لما يدرك بالحاسة وفيه نظر من جهة المعنى وتقديم الضمير للاشعار بحصر الابصار
لانه العالم بحقايق الاشيا على ما هي عليها لا غير • قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك
نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون • هذا من جملة ما هو مقول على لسان النبي عليه السلام بدليل وما انا عليكم
بحفيظ والمراد بالبصائر القران المشتمل على نحو هذه الايات التي سبقت ودلايل العقل ايضا وهي الاصل جمع بصيرة اعنى الحال
الذي يعرف بها الحق وهي للقلب كنور البصر للعين فمن وفق لذلك فقد نفع بها نفسه فان قيل ظاهر الكلام انحصار الفايدة لنفس المبصر
قلنا وهو كذلك لان ما ينتفع به الغير من جهته راجع اليه فكذلك من عمى عن ذلك ثم قال وما انا عليكم بحفيظ اى احفظ ما يصدر عنكم
من الخير والشر فاثيبكم او اعاقبكم بل انا منذر وهو الحفيظ ولام ليقولوا للعاقبة ومعنى درست قرات وقرئ دارست اى العلماء
من اهل الكتاب ودرست بالماضي اى عفت وقدمت كما قالوا اساطير الاولين والمعنى صرفنا الايات والعاقبة هذا القول
وقرئ على بناء المفعول ودارست بمعنى درست او اليهود محمدا واضمارهم من غير ذكرهم لشهرتهم بالدراسة ودارسات اى
قديمات ولام لنبينه على حقيقة التعليل اى صرفنا الايات للتبيين فيرجع الضمير اليه او الى الايات على تاويل القرآن او الكتاب المدلول
عليه بدرست ونحوه فان قيل على ما ذا عطف على ليقولوا او مضمر غيره قلنا العطف على مضمر مثل ليهدى به ولنبينه اولى من المذكور
لعدم المناسب وقيل تقديره تكررت الايات ليقولوا اذا سمعوا اية بعد اخرى درست هذه علينا فيتذكروا والمتقدمة بالمتاخرة
والتخصيص بالعلماء لانهم المنتفعون به • اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا
وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل • لما ذكر قدحهم في الوحي امر النبي عليه السلام بان يتبعه ولا يكون كالآيس عنه باعتراضهم
وقدحهم فيه اتباع الوحي العمل بمقتضاه وجعل لا اله الا هو من قبيل الحال المؤكدة يشعر بقصد الاعتقاد بالوحي ايضا بخلاف
ما لو جعل اعتراضا لتاكيد الاتباع والامر بالاعراض عن المشركين قيل منسوخة والقول بان الشرك في وقت لا يستدعى الترك دايما
ليحمل على النسخ وفي الاية دليل على ان الله يشاء عدم شركهم والمعتزلة لما اضطروا حملوا على عدم ارادة الايمان فما الفايدة التكليف
والجواب ان الله لما خلق فيهم القدرة على الكفر فان لم يصلح للايمان فقد اراد الكفر وان صلحت لحصول الايمان دون الكفر لا بد له من مرجح
وعند القدرة والمرجح الداعي اليه يجب حصوله فقد اراد الكفر منه والحفيظ هو الرقيب والوكيل القيم بالامر • ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون • السب الذكر
بالقبيح والذين يدعونهم من دون الله روى انهم قالوا لتنتهين عن سبك آلهتنا او لنهجون ربك عند نزول انكم وما تعبدون من دون
الله وعند سب للمسلمين اياها وهذا وصف بنهاية الحماقة حيث نسب المشفوع اليه بسب الشفيع ومن كان هكذا لا ينفع بالسب ولا
يعزى بسببه على الكفر ولا يليق السب بالعاقل وسب الالهة وان كان طاعة لكن النهي باعتبار ما يفضي اليه من الفساد والعدو
مصدر عدا اذا تجاوز الحد ظلمه وجاء عدوا وعداء وعدوانا ومعنى بغير علم جهلا بالله وبما يجب له من تعظيم الذكر ومعنى كذلك ان مثل
ذلك التزيين وهو سبهم الله عدوا زينا اعمال الامم لهم من الخير والشر وذلك باحداث ما يمكنهم منها وتخليهم وان الامر بالكفار والاعمال



لان الكلام فيهم لم يبعد ثم بعد الرجوع الى الله سبحانه ينبئهم باعمالهم يحاسبهم ويجازيهم عليها والاية بظاهرها تدل على ان اعمال العباد
من الخير والشر مخلوقة لله تعالى والتاويل باهمال الشيطان ليزين او انه حكاية زعمهم ونحوهما خروج عن الظاهر مع قيام الدليل من خلق
القدرة والداعية على ذلك فلا عبرة به • واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون • اى حلفوا باعظم الايمان عندهم وقيل هو الحلف بالله وجهد مصدر وقع حالا اى مجتهدين لئن جاءتهم آية
من مقترحاتهم حلفوا انه ان جعل الصفا ذهبا ليتبعوه كلهم فقام النبي عليه السلام يدعو فنزل جبريل وقال ان شئت كان ولكن
ان لم يؤمنوا عذبوا او ان تركوا امن بعضهم لا عترفوا بحقيتها فقل ان الله قادر عليها وعدم الانزال لعدم اقتضاء الحكمة ذلك
والتقييد بعند الله نفي انها عند النبي عليه السلام لان شرط المعجزات ان لا يقدر عليها غير الله ليكون من الخوارق وكان المؤمنون
يتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم اذا شاهدوا فقال سبحانه وما يدريكم ان تلك الاية التي طلبوها لو جاءت لم يؤمنوا بها انا اعلم
ذلك وانتم لا تعلمون انه قد سبق العلم بانهم لا يؤمنون واليه الاشارة بقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة هذا على ما قرئ بالفتح
واما ما قرئ بالكسر فاستيناف وعند سيبويه ان المفتوحة بمعنى لعل نحو ائت السوق انك تشترى لحما ويؤيده ما يقرأ بلعل
وسال سيبويه الخليل عن جعل لا مزيدة حينئذ فقال لا يحسن لانه يصير عذرا لهم • ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون • اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم عند نزول الايات المقترحة فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا
بالله او بمحمد او بالقرآن اول مرة عند انشقاق القمر وغيره من الايات فهو عطف على لا يؤمنون وكذا ونذرهم اى وما يشعركم انا
نذرهم في طغيانهم والاية حجة دافعة للفرقة الزايغة فان المعنى الظاهر انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في الطغيان
والعمه والتفسير بالتقليب في النار او المراد تقليب لا كتقليب قلب المؤمن ونحوهما مما لا يحتاج الى الاشتغال بالجواب لظهور فساده
ومما يناسب هذه الاية قوله عليه السلام يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك اى يا من يقلبه تارة من دواعي الشر الى
دواعي الخير وبالعكس وذكر في المفاتيح ان المراد بالاصبعين الداعيتان لانهما لما لم يحصلا الا بارادة الله سبحانه عبر عنهما بالاصبعين
اى في قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء
وحسن الاستعارة باعتبار ان الشيء الحاصل بين اصبعي الانسان يكون كامل القدرة عليه • ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون • اى ولو اتينا بما اقترحوا به بقولهم لولا
لولا انزل علينا الملئكة وكلمهم الموتى حيث قالوا ابعث لنا بعض موتانا نسألهم عن حقية ما تقول وحشرنا عليهم كل شيء مما ينطق
كما قالوا والملئكة قبيلا وما لا ينطق فينطقه الله كان من اعظم المعجزات ما آمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم والقبيل الكفيل اى كفلا
بصحة تبشيرك وانذارك او جماعات والاية تدل على انهم لما لم يؤمنوا دل على ان الله لم يشأ ايمانهم وتاويل المعتزلة على انه سبحانه ما شاء
الايمان الاضطراري صرف للكلام عن ظاهره بناء على لزوم تنافي بين الادلة مثل قولهم لو لم يرد لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم
كما لو لم يامرهم لا يخفى بطلانه والجهل المنسوب الى اكثرهم اما للكفرة حيث اقسموا ان يؤمنوا مع عدم شعورهم بحال قلوبهم او اقترحوا
الايات او المسلمين حيث طمعوا في ايمانهم ولم يعلموا انهم لا يؤمنون • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم

الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون • فيه تسلية للنبي عليه السلام اذ التقدير وكما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي عدوا او لما كانت عداوة النبي كفرا دل على انه خالقه والتأويل بالحكم به والبيان خلاف الظاهر والشيطان هو المارد
من القبيلين ومعنى يوحي يوسوس والموحى بعض الجن الى الانس او الى الجن او الانس الى الانس والموحى الاباطيل المموهة مما يزينه
من الوسوسة من زخرفه اذا زينه والغرور اعتقاد الشيء مطابقا للمنفعة والمصلحة مع كونه ليس كذلك في نفس الامر وتطلق
على حالة متولدة من هذا الجهل وشياطين بدل من عدوا او على انهما مفعولان وغرورا نصب على العلة او مصدر وقع حالا ولو شاء الله
ايمانهم لما صدر منهم معاداة الانبياء وايحاء الزخارف فالضمير للايحاء والزخرف والغرور وهذا ايضا مما يدل على فساد مذهب
المعتزلة حيث ما شاء الله عدم وقوع هذه الامور التي هي الكفر او اسبابه ومعنى ما يفترون هو ما زين لهم ابليس وغرهم به او ذرهم
وكفرهم حتى يأتي الله بامر القتال وفيه تحذير عن الكفر وترغيب في الايمان • ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون • اي ليميل قلوبهم الى الزخرف عطف على لازم غرورا اي ليغروهم ولتصغى او جوابه محذوف اي لتصغى جعلنا
لكل نبي عدوا فاللام للتعليل وهو كما ترى حجة على المعتزلة وجعل الضمير المجرور راجعا الى ما رجع اليه فعلوه اي المذكور من عداوة
الانبياء ووسوسة الشياطين اولى وقيل التقدير ان بعضهم اوحى الى بعض ليغروا ولتصغى اليه هذا ما ذكره ابو مسلم ورجحه
في المفاتيح ومعنى ليرضوه ليحبوه لانفسهم فليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام واللام للتعليل ايضا والمعتزلة حملوها على العاقبة
مجازا وهم غير مساعدين على ذلك قال في المفاتيح واستدل على ان البنية غير شرط في تعلق الحيوة حيث اثبت سبحانه الصغو للقلب
وهو ليس حيا اي وفيه نظر فانه قد فسر البنية بجميع الاركان الاربعة لا الهيئة المخصوصة ومن قال الانسان غير البدن استدل به
حيث ثبت الصغو للقلب قالوا وبواسطته تتعلق النفس بساير الاعضاء كالدماغ والكبد وقيل هو متعلق الروح الحيواني
والدماغ هو متعلق النفس ولقايل ان يقول هذا الاستدلال ضعيف لجواز ان يكون اسناد الصغو اليه باعتبار انه آلة الادراك
لا انه المدرك • افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين • وجه الربط انهم لما اقترحوا بطلب آية دل على انكارهم معجزاته فبين ان الحاكم على ثبوت النبوة هو الله لا غير
فقال قل لهم اطلب حاكما غير الله يفصل بيني وبينكم وقيل الحكم هو من عرف بالحكم مرارا والحال ان الله منزل الكتاب المعجز المبين فيه
الفصل بين المحق والمبطل وقد شهد اي بحقية قولي وافترائكم على الله ويدل على حقيته ان مؤمني اهل الكتاب يعلمون انه كتاب
منزل من عند الله ولا عبرة بقول المنكرين منهم وقيل هم اصحاب النبي والمراد بالنهي عن الامتراء اما نهي غيره على سبيل التهييج
وقيل فيه ان اهل الكتاب يعلمون فلعل نظره الى الاجراء على ظاهره وليس بسديد فانه بعد ان اخبر الله به كيف يصح امتراء النبي
عليه السلام فيه او خطاب لكل احد لظهور ادلته وبالحق يصح ان يكون حالا من الفاعل او المفعول قال في الانوار وفيه تنبيه
على ان القرآن باعجازه مغن عن ساير المعجزات ولعل نظره الى ان الحكم هو يفصل الامر ولا يبقى بعده نزاع • وتمت كلمات ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم • قرئ كلمة وهي تطلق على القرآن المشتمل على الوعد والوعيد والامر والنهي يقال كلمة زهير

اي قصيدة

اي قصيدته وقراءة الجمع اصرح في الدلالة وصدقا وعدلا حالان منها اي صادقة وعادلة ويحتمل النصب على التمييز ان لم يشترط كون
المميز نكرة ولا مغير لشيء منها الى اصدق منها واعدل منها لان الخلف في خبر الله محال والتكاليف التي سوغها الله هي محض العدل
وعلى وجه الحكمة ويندرج فيه جميع ما في القرآن لانه اما خبر او حكم فيدخل في الاول الاخبار عن الالهيات وساير ما يتعلق باصول الدين
والمغيبات واحوال الامم الماضية وفي الثاني جميع الشرايع وقيل تم القرآن في كونه معجزا دليلا على صدق النبي عليه السلام
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين • وجه الربط انه لما تبين الحق لا ينبغي ان يلتفت الى كلام الجهلة فان اريد بالاضلال الكفر فالاكثر الكفار وان اريد
غيره فالجهال او متبعوا الهوى والاكثرية باعتبار ان اهل الحق واحد واهل الباطل فيهم كثرة وهذا يدل على ان اكثر اهل الارض كانوا
ضلالا وقيل ارض مكة وسبيل الله الطريق الموصل اليه وظنهم الذي اتبعوه اعتقاد ان اسلافهم كانوا على الحق او ان آراءهم الفاسدة
حق وما هم الا كاذبين على الله فيما يضيفونه اليه لعبادة غير الله وانه وصلة اليه وتحليل ما حرم كالميتة وهو الذي ذكر اسم غير الله عليه
او مات حتف انفه وعكسه كالبحاير والسوايب والله اعلم بحال الفريقين من الضال والمهتدي ومن سواء جعلت موصولة او موصوفة
فنصبها بفعل دل عليه اعلم لانه لا ينصب الظاهر مثل وضربنا بالسيوف القوانسا وان كانت استفهامية فخبرها يضل
ويكون قد علق المقدر عنها للاستفهام المنافي للجزم وقرئ يضل من الاضلال والفاعل هو الله فينتصب بالفعل او ينجر باضافة اعلم اليه
اي اعلم المضلين ويجوز ان يكون بمعنى الوجدان وكونه سبحانه اعلم لان علمه من ذاته وانه محيط بما هو عليه ولا تمسك لنفاة القياس
باعتبار انه اتباع للظن وكل ما كان كذلك فهو مذموم لما تقرر انه عمل بمقتضى قوله فاعتبروا وانه عمل كما تقرر في المباحث الاصولية
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه
وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين • وجه الربط انه لما بين كذبهم الذي من جملته تحريم بعض ما ذكر اسم الله
كالبحاير والسوايب امر باكل الحلال فانكار اتباعهم سبب لان يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وايضا كانوا يقولون للمسلمين انتم تعبدون الله
فما قتله اولى ان تأكلوه مما قتلتموه وما ذكر اسم الله عليه هو ما ذكي باسم الله فقيل للمسلمين ان كنتم مؤمنين فكلوه دون الميتة وهو ما ذكر
اسم غير الله عليه وان قصد لكم في ان لا تأكلوا المذكى باسم الله وقد بين الله لكم المحرم من غيره وقرئ على بناء المفعول فاجتنبوا المحرم
الا ما كنتم مضطرين الى اكله للمخمصة المفضية الى الهلاك او قدر ما تقوون به على السير فانه يجوز اكله ايضا وقرئ ليضلون بضم الياء
وفتحها والمعنى وضلال كثير منهم او اضلالهم بتحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه وذلك بمجرد شهواتهم من غير تمسك لشريعة وفيه دليل على ان
القول في الدين بمجرد التقليد غير جائز والله اعلم بما في قلوب المعتدين وضمايرهم وهو قادر على مجازاتهم فيجازيهم عليه • وذروا ظاهر الاثم
وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون • اي معاصي الله سرا وجهرا فيدخل فيه اكل الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه والربا
في الحوانيت والصديقة في السر واعمال الجوارح والقلب كما قيل وهو اولى لان تخصيص العام من غير دليل غير جائز فان الذين كالتعليل

للنهي لانه اذا كان هذا القسم كسب الاثم والله سبحانه يجزي كل مكتسب للاثم لزم ثبوت جزائه ان لم يغفر له بالتوبة وغيرها وما لم يذكر اسم
الله عليه المذبوح باسم الصنم وقيل الميتة وذهب ابو حنيفة الى حرمة متروك التسمية عمدا وقيل مطلقا والمذهب حله مطلقا لان الضمير
في قوله سبحانه وانه لفسق يرجع الى الكل الذي هو المدلول عليه بلا تأكلوا والاجماع على ان متروك تسمية المسلم ليس بفسق وايضا قوله
او فسقا اهل لغير الله به يدل على ان المراد ما ذبح باسم الصنم لانه ذكر بعد قوله قل لا اجد فيما اوحي الى الاية وايضا قال عليه السلام ذبيحة المسلم
حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وايضا قوله سبحانه وان الشياطين ليوحون اي يوسوسون الى اوليائهم من المشركين بقولهم ان المسلمين
يزعمون انهم يعبدون الله ويأكلون ما يذبحونه دون ما يقتله وبهذا كاتب مجوس فارس كفار قريش يدل على ان المراد الميتة ثم قال وان اطعتموهم
في استحلال الميتة انكم لمشركون حيث اثبتم مع الله حاكما في التحليل والتحريم غيره قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من حرم شيئا مما احله
او عكس كان مشركا ولقائل ان يقول انما قاله صحيح ان كان مجمعا عليه والا فيكون من باب التغليظ • او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون • وجه الربط بيان عدم
استبعاد ذلك منهم لكونهم امواتا والمراد بالميت والحي الكافر والمؤمن لقوله تعالى وما يستوي الاحياء ولا الاموات وقوله في وصف الكفار
اموات غير احياء فيدخل فيه ما قيل انه نزل في حمزة وابي جهل او فيه وعمار بن ياسر او عمر او النبي عليه السلام والحاصل ان الضال اذا هداه
الله الى الايمان وجعل له نورا يمشي به في الناس مميزا بين المحق والمبطل مستضيئا بنور الله لم يكن كمن بقي متخبطا في ضلالة و
جهل وكفر لا يفارقها فان الميت والجاهل كل منهما لا يهتدي الى شيء من الايمان او القرآن او الحجج والبيان ومعنى كذلك انه كما زين الله
للمؤمن ايمانه زين للكافر كفره وللارواح البشرية مراتب في المعرفة اعظمها ان تكون المعارف القدسية والجلايا الروحانية حاضرة
بالفعل ويكون جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ولا يخفى ان الجاهل على عكس هذه الحالة فتكون الاشارة الى القسمين
في الاية دليل المذهب لان الفعل يتوقف على حصول الداعي ولا معنى له الا هذا التزيين والتأويل بالشيطان او انه لا يحتاج الى فاعل
تعسف ظاهر • وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون • اي مثل ما زين او مثل جعلنا
بمكة اكابر مجرميها جعلنا في ساير البلاد اكابر المجرمين وانما صح الجمع لان افعل من لا يجمع الا مع اللام او الاضافة ومع الاضافة يجوز
الافراد والمطابقة وعلى الاول يقرأ اكبر واذا قلنا جعلنا بمعنى صيرنا فقد قدم المفعول الثاني اي في كل قرية اكابر ومجرميها بدل
وجعل اللام للعاقبة ميل الى مذهب المعتزلة وتخصيص المكر بانفسهم لتخصيص لحوق الوبال بهم وهم لا يعلمون ذلك
واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون • لعل وجه الربط انه لا يبعد منهم الكلام في التحريم والتحليل حيث تمنوا النبوة لانفسهم
روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكثر مالا وقال ابو جهل زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه ومنه قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة وهذا نهاية الجهالة حيث اعتقدوا ان شرف النبوة ينال بما ينال به رياسة الدنيا ولم يعلموا انها فضايل

وكمالات

وكمالات نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده والمتصفين بالنفوس القدسية وهذا هو المراد بقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقرئ رسالته والصغار الذل والحقارة ولعل تخصيص هذا النوع من العذاب للمجازاة بنقيض مدعاهم من كونهم اكابر ورؤساء
والمراد بالعندية يوم القيمة او من عند الله والعذاب الشديد الذي هو الاسر في الدنيا والنار في القيمة بسبب مكرهم • فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على
الذين لا يؤمنون • وجه الربط بيان حال المؤمن والكافر اللذين سبق ذكرهما وشرح الصدر اتساعه وانفساحه قال في الانوار
هو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه يعني انه اذا اراد هداية شخص لم يكن الايمان يخلق في قلبه علمه
فهو دليل على ان الهداية والضلال من الله تعالى وتقدير اللطف خلاف الظاهر وكذا الخذلان لارادة الاضلال ويدل على ما ذكرنا انه سئل النبي
عليه السلام عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بالكسر والمراد بالضيق
النبو عن قبول الحق وعدم دخول الايمان به والوصف بالحرج بيان شدة الضيق وكانما يصعد تشبيه بحال من يقصد امرا لا يقدر عليه
لان صعود السماء يذكر للاستبعاد والاستطاعة اي كانما كلف الصعود فهو مبالغة في الضيق وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه امتناع
الصعود وقرئ يصعد بالتخفيف ويصاعد بمعنى يتصاعد وقيل معناه ينبو عن الحق ويتباعد عنه هربا منه والرجس العذاب والخذلان
من الارتجاس وهو الاضطراب وذكر المظهر في موضع المضمر للاشعار بان المقتضي للعذاب عدم الايمان • وهذا صراط ربك مستقيما
قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون • اشارة الى ما سبق من ذكر الايمان
او القرآن او ما جاء به او التوفيق والخذلان والمستقيم الذي لا عوج فيه وهو حال مؤكدة مثل هو الحق مصدقا فالعامل مضمر
وقيل معنى الاشارة او عن صراط ربك وهو الطريق المرضي عنده او التي هي مقتضى حكمته والتخصيص بقوم يذكرون لانهم الذين علموا
ان الله هو القادر الفاعل للخير والشر العالم باحوال العباد فهم المنتفعون به ودار السلام الجنة والاضافة للتعظيم واذا كان السلام
اسم الله تعالى فهو كما قيل للكعبة بيت الله والتفسير بدار السلامة عن المكاره او التي تحيتهم فيها سلام لا يناسبها ومعنى عند ربهم
انه المدخر الموصوف بالقرب من الله تعالى بحسب الشرف لا المكان وان من له ذلك تكون على ثقة من حصوله وكونه سبحانه وليا لهم يدل على قرب الله
منهم لا سيما وهو على صورة الحصر فلا درجة في العقل اعظم منها كيف ويعلم منه انه سبحانه هو المتكفل لمصالحهم في الدنيا والدين بجميع
الاعتبارات • ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم • وجه الربط انه بيان
حال من هو صد سالك الصراط المستقيم للترهيب عنه والترغيب في الاول وعاملا اذكر او يقول وضمير الجمع للثقلين وقرئ بالياء
وحمل الجن على الشياطين والمخاطب هو الله سبحانه والمراد بالاستكثار الدعاء الى الضلال ليكونوا اتباعهم يقال استكثر الامير من
الجيوش وقال اولياء الجن الذين اطاعوهم وقبلوا وسوستهم ومعنى استمتع انتفع بالتوصل الى الشهوات بدلالة الجن اليهما

مطلب سؤال شرح الصدر عن النبي

وانتفع الجن منهم بقبولهم طاعتهم وتحصيلهم مرادهم وقيل استمتاع الانس بان العرب اذا نزلت واديا او سلكت مفازة قالوا نعوذ
بسيد هذه المفاوزة من شر سفهاء قومه لاعتقادهم ان الارض مملوة منهم وانه يحبل من لا يدخل في الاستعاذة وكانوا يعتمدون
عليها عند الصيد لزعمهم ان البهايم مراكبهم او اخذ السحر والكهانة واستمتاع الجن سيادتهم لذلك وبلوغ الاجل انتهاء الاستمتاع
الى وقت محدود وهو البعث ثم الندامة والحسرة عند الاعتراف بطاعة الشيطان وتكذيب البعث والمثوى المقام والمفر وقد يخلص
الانسان عن مثواه لكن الله سبحانه بين ان ذلك المثوى مخلد لهم وقيل المثوى مصدر لثوى ليصح عمله في الحال اعني خالدين وعلى الاول
العامل معنى الاضافة مثل ملة ابيكم ابرهيم حنيفا والاستثناء قيل لزمان المحاسبة وقيل ينقلون من النار الى الزمهرير فينقطع فيه
او صالهم فيطلبون الانتقال الى النار وقيل المراد العدم لان المتسلط على خصمه قد يستثني ولا يريد وقوعه وقيل يرجع الى الاجل اي بلغنا
اجلنا الذي سميت لنا او من شئت ان تهلكه قبل الاجل الذي لو آمنوا لبقوا اليه وهو كما ترى والوصف بالحكمة للاشعار بان جميع ما يفعله
على وجه الحكمة وان خفيت وهو عليم بان جزاء الكافر على هذا الوجه • وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون • اي كما يتولى
الجن بعضهم بعضا بتقديري وقضائي كذلك نولي بعض الظالمين بعضا لان القدرة صالحة للطرفين فلولا حصول الداعي الذي
يجب ان يكون من الله لما حصلت الصداقة او يتبع بعضهم بعضا في النار وايضا ما كانت المناسبة مقتضية للايتلاف
فالارواح الخبيثة تنضم الى امثالها في الخبث وفيها دليل على ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم الظلمة فطريق التخلص عنهم
الاعراض عن الظلم ويعلم انه اذا كان الله تعالى لا يخلي الظلمة من امير ظالم فاهل العدل قال علي رضي الله عنه لا يصلح للناس الا امير عادل
او جائر فانكروا قوله او جائر فقال نعم يؤمن السبيل ويمكن من اقامة الصلوات وحج البيت • يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين • هذا سؤال توبيخ وفيه دليل على بعثة الرسل الى الجن ولا يلزم ان يكون رسلهم منهم لان الخطاب مع الكل وان كان
من احدهما مثل قوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ لا يخرج الا من المالح او رسل الجن من قبل رسل الانس وقيل النبي
صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين لا غير قال في المفاتيح دعوى الاجماع كما قيل بعيد مع الاختلاف قال ويمكن ان يستدل عليه بقوله تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية لان المراد بالاصطفاء النبوة فيكون مختصة بهؤلاء ولقايل ان يقول لو صح التمسك به للزم اختصاص
النبوة بهم وبطلانه ظاهر وشهادتهم على انفسهم اما باللسان او بانطاق الجوارح على اتيان الرسل اليهم ولزوم الحجة عليهم
وعلى الوجه الثاني لا منافاة بينه وبين قولهم والله ما كنا مشركين او لتعدد المواطن والشهادة الاولى لحكاية قولهم واعترافهم
والثانية لذمهم وتخطية رايهم وان الحيوة الدنيا قد غرتهم لاشتغالهم بلذاتها حتى ان امرهم الى ان شهدوا في محفل القيمة على رؤس
الاشهاد على انفسهم بالكفر والضلال وان حاصل امرهم لقصور النظر في حال الآيات والرسل ذلك فيكون تحذيرا لغيرهم
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون • اي ما تقدم من ارسال الرسل وانزال الكتب بظلم منهم او بظلم من الله
مثل قوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون والوجه الاول اولى لان الثاني يؤيد مذهب المعتزلة

لايهام

لايهام انه لو فعل لكان ظلما وهو باطل لان الله يفعل ما يشاء تصرفا في ملكه لا اعتراض عليه والمعتزلة قالوا لو فعل لكان في صورة
الظلم لا الظلم نفسه والحال انهم غافلون لم ينذروا اي الامر ذلك ويجوز ان يكون ما بعد الاشارة بدلا منه وقرئ يعلمون ومعنى
الغفلة ان لا يبين لهم كيفية الحال ولا يزيل عذرهم وفيه دليل على ان الوجوب من الشرع • ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل
عما يعملون • لما ذكر مراتب العمال ذكر كلاما كليا وهو ان الكل من المطيع والعاصي في عمله درجات فتارة في درجة ناقصة وتارة يترقى
منها الى كاملة والله سبحانه عالم بها على التفصيل التام وكل من اعمالهم او من جزائها او من اجلها ولا يشبه فعل الحق فعل الساهي الذي
لا يعلم مقادير الجزاء بل يعطي كل الحب ما يليق بعمله تفضلا ان خيرا فخير وان شرا فشر • وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف
من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين • اي الحق سبحانه غني عن عبادة العباد
وعنهم بل انما شرع الاعمال لهم لتكميل نفوسهم وامهاله اياهم على المعاصي على مقتضى الرحمة وان تعلقت مشيته باذهابه اياكم لعصيانكم
لاذهبكم واتى بقوم آخرين مطيعين كما انشأكم من ذرية قوم لم يكونوا على طريقتكم وهم كل اهل سفينة نوح ان قلنا تولدوا والا
فمن اولاده ان صح انهم ماتوا ولم يتولدوا سوى اولاد نوح وقيل خلق من امثال الجن يكونون اطوع وقيل خلق على خلافهما ليكون
ادل على القدرة والتركيب على الحصر وهو كذلك لان ما سوى الله تعالى ممكن لذاته مفتقر اليه وله الغني على الاطلاق وما من رحمة الا
من الله كيف وجميع الخيرات والسعادات الجسمانية والروحانية العالية على السرور بالاستواء بخلق الله سبحانه واذا كان الواجب
لذاته واحد فالرحمة داخلة في الممكن كاينة من الله سبحانه لا غير وما توعدون هو البعث واحواله قال في المفاتيح الوعد مخصوص بالثواب
والوعيد بالعقاب وفيه دليل على ترجيح جانب الرحمة حيث ذكر على وجه الجزم وفي الوعيد النفي بقوله وما انتم بمعجزين يعني لا تخرجون عن قدرتنا
وحكمنا لا تعجزون طالبكم • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون • اي اعملوا
على نهاية تمكنكم واستطاعتكم وهي مصدر مكن اذا تمكن ابلغ التمكن او قدر منزلتكم او طريقتكم او ناحيتكم وجهتكم من قولهم مكان ومكانة
وقرئ بالجمع في جميع القرآن وهو امر تهديد اذ المعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام والمصابرة معكم يقال لمن يراد
ان يثبت على حاله على مكانتك او اعملوا في امري اني عامل في امركم فسوف تعلمون ان العاقبة المحمودة لي او لكم ونظر ايّنا احسن عملا
ان ضمن معنى الاستفهام فمرفوع لتعليق الفعل عنه والا فمنصوب بالفعل وقرئ بالياء لكون التانيث غير حقيقي وعاقبة الدار العاقبة
الحسنى التي خلقت هذه الدار لها وقد روعي مع الانذار انصاف في البحث معهم واظهار بالوثوق على محره ووضع المظهر
موضع المضمر للاشعار بانه عدم الفوز بالمقصود للظلم والمراد الكفر والعدول الى الاعم لايهام تعظيم امر الظلم • وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون
هذا بيان بعض اقوال الكفار بعد التهديد المذكور والمعنى ان مشركي العرب جعلوا لله حظا من بعض ما خلق واظهر من الزرع وانواع النعم و
الاصنام نصيبا ودل على الثاني قوله تعالى وهذا لشركائنا وما جعلوه للضيف والمساكين منها نسبوه الى الله سبحانه وما جعلوه للاصنام
عينوا مصارفها بحسب اهوائهم فجعلوا الاحسن لله والاخس للصنم وكانوا يستدركون الخلل الواقع في نصيبه من نصيب الله دون العكس

وقالوا الله غني عنها وهم على حب الصنم وفي ذكر الذرء اشارة الى انه كان ينبغي ان يكون الاحسن لله فما كان لشركائهم مما يصرف الى
الضيف والمسلة لا يصل الى الله لانه سبحانه لم يأمره به ولا شرع لهم هكذا اقبل وتقابل انه يقول الاولى انه بعدم الايمان لانه لو كان
السبب عدم امر الله لصح اما الذكوة عنهم في الكفر لان الكفار مخاطبون بالفروع وليس كذلك فبئس الحكم ايثار آلهتهم وترجيح ابائها
على الله تعالى والسبب في ذكر هذه المذاهب بيان قلة عقول اربابها وتحقيرهم في اعين العقلاء • وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون • اى كما زين الشيطان الحكم المذكور لهم زين لهم
شركاؤهم من الشياطين او خدم الاصنام قتل اولادهم بوأد البنات او نحر الاولاد للاصنام كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء
[illegible] ورفع قتل على بناء المجهول ورفع الشركاء بفعل دل عليه زين كما في يسبح له وقرئ برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه والفصل بغير الظرف وضعفها اهل العربية لانه على خلاف الاصل ولا يجوز الا بالظرف في الشعر وبغير الظرف كما وقع في بعض
نسخ كتاب سيبويه فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وان طعن منه لكنه ثابتة بالرواية المعتبرة والقائل انه يقول من قدح فيها فلا اعتقاده
ان القراآت بحسب وجوه العربية وهو خطأ بل هي منقولة وعلى هذا ينبغي انه يكون وجوه النحاة مأخوذة منها والقصد بذلك ليهلكوهم
بالاغواء او العذاب وجعل اللام للعاقبة تعسف ليلبسوا ليخلطوا او يغطوا عليهم دين اسمعيل الذي كانوا عليه او الدين المرضي عند الله
واختاروا عليه الشرك وفي الاية دليل على انه ما فعله المشركون او السر به التزيين او الارجاء او اللبس او الاعم ان جعل الضمير باسم
الاشارة بمشية الله تعالى والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر وافتراؤهم ان الله امرهم بقتل اولادهم • وقالوا هذه انعام وحرث حجر
لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون •
الاشارة الى ما عينوا من الحرث والانعام للاصنام او البحيرة وبحرها والحجر بمعنى المحجور كالذبح ويطلق على المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه كعين الصفة ويقرأ بضم الحاء وحرج بكسرها وسكون الراء واصله حجر كفخذ خفف وقيل كعمق ومعق بالقلب ومن نشاء
ان يطعمها خدم الاوثان والرجال دون النساء والمحرمة ظهورها البحيرة واخواتها او ما لا يذكر عليها اسم الله عند الذبح بل اسم الصنم
او ما لا يحج عليه وقيل لا حالة البيع والحلب وافتراء مصدر وقع حالا او منصوب على العلة او مصدر مؤكد فان مقولهم عين الافتراء
لانهم ادعوا ان الله امرهم بجميع ذلك ومتعلق الظرف قالوا • وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم • اى الاجنة او اللبن او المجموع حي لذكورنا دون الاناث وقيل ما ولد حيا
لهم والميت يشترك فيه الذكور والاناث فتأنيث الخالصة التي هي ضمير لارادة الاجنة وما قرئ بالتاء كذلك وبصفتها ان لم يقل انها
مصدر كالعافية او للمتابعة لانها مصدر مؤكد او حال والعامل ما في بطونها من معنى الاستقرار لا ان يكون متقدمة فانها لا يتقدم الا على المجرور
الا على وجه ضعيف ويقرأ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالاضافة ويقرأ تكن بالتانيث ورفع ميتة على كان التامة وتذكير الضمير
في فيه لان الميتة بمعنى الميت وجزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم لاحق بهم لا محالة حسبما تقتضيه الحكمة وافتتا العلم بقدره
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين • هم العرب الذين كانوا

يبدون

يبدون البنات خوف الفقر او السبي وسفها حال اى حالة كونهم خفيفين الاحلام واى سفه اعظم من ترك اللذات والتعرض لسخط الله
بسببه او على المصدر وفي العلة بعد من جهة انه ليس فاعل الفعل المعلل ويحتمل التمييز وتحريم رزقهم تحريمهم البحاير ونحوها مفترين على الله في نسبة
التحريم اليه تعالى ويحتمل المصدر فوصفهم بالضلال وانه لا مطمح لهدايتهم • وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين •
وجه الربط انه بيان ضلالهم فان ظهور هذه البدايع يقتضي انه لا يجلو على الافتراء والكذب على مبدعها انشأ الجنات خلقها ابتداء والمعروش
ما جعل له عمد وسقف يعطف عليه القضبان اى مرفوعات ان يعرش وغيرها ما ترك على وجه الارض وقيل الاول ما في العمران مما غرس وعرش
والثاني ما في الجبال والبراري مما لم يغرس ولم يعرش وقيل المحوط وغيره وقيل غير المعروشات النخل والزرع قيل كل ما نبت والاكل الثمر الذي
يؤكل والضمير للزرع او للنخل والزرع لعطفه عليها داخل في حكمه او للجميع على تقدير اكل ذلك اى المذكور او كل واحد من الزرع والنخل واختلافه في
الطعم واللون والحجم وهو حال مقدرة نحو معه صقر صائدا به غدا وقوله سبحانه فتبسم ضاحكا والتشابه وعدمه اما في اللون او الطعم
وقيل بعض الانواع متشابه الطعم وبعضها مختلف والمراد متحد الجنس ومختلفه ولعل الاشارة الى بيان اثبات علم الصانع
وقدرته لان اختلاف المشاركات في شيء وتعينها لا بد له من مخصص ليس الا الله ابتداء او بوسط وفائدة قوله اذا اثمر بيان اباحة
التناول اول وقت الاطلاع اما اذا قلنا لم يجب الزكوة الا بعدها لانها مكية والزكوة فرضت بالمدينة فلا اشكال وكذا اذا قلنا
كان التصدق على المساكين واجبا نسخت بالزكوة او ندبا او الزكوة لا تتعلق بعين المال بل بالذمة كما هو احد قولي الشافعي رضي الله عنه
اما اذا قلنا بالاصح وهو التعلق بعين المال فلا بد من التخصيص بان يكون بعد ضمان حصة المستحق لا لمجرد الغرم كما قيل وعلى المذهب
ايتاء الزكوة يتعلق بالنخل والزرع وقرئ حصاده بكسر الحاء ولا تسرفوا في الانفاق نحو ولا تبسطها كل البسط يؤيده نزوله في معاذ بن
جبل حين تصدق بالجميع لا لمجرد المجاوزة عن المفروض كما قيل فانه مستحب او بالاشراك بالالهة او الاكل قبل اخراج الزكوة وذلك لانه تعالى
لا يرتضي فعل المسرفين • ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين •
ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني
بعلم ان كنتم صادقين • اى وانشأ من الانعام كبار الابل التي تحمل الاثقال وصغارها وقيل ما تحمل ثم البقر ايضا وقيل
والخيل والحمير والفرس والغنم لانه يفرش للذبح او ينسج من صوفه ووبره وشعره كلوا مما احل الله لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في تحريم ما احل كفعل الجاهلية وثمانية بدل من حمولة وفرشا والزوج يقال للمجموع ما معه آخر من جنسه وهو كتسمية الزجاجة كاسا
بشرط ان يكون فيها خمر ويقال للمنفرد لان كلا منهما زوج الآخر اى الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة
والتيس والعنز والضان جمع ضائن وقيل ضائنة وقيل لا واحد من لفظها وتجمع على ضئين كعبيد والمعز جمع ماعز كتاجر وتجر
والهمزة لانكار التحريم اى أحرم الله من جنسي الغنم الضان والمعز او المحرم ما حملته اناث النوعين وهو جواب لمن قال ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وايضا كانوا يحرمون الذكور تارة والاناث اخرى واولادها من غير ضبط

ويسبون ذلك الى الله سبحانه فقال اخبروني بما يدل على ان ذلك التحريم من عند الله ان كنتم صادقين في نسبة التحريم اليه وهما يدل
على بطلان ما قالوه انه لو قال بتحريم ذلك الحيوان لكونه ذكرا او انثى لزم تحريم كل ما كان كذلك بل اشتمال ارحام الانثيين يقتضي
تحريم الاولاد كلها لانها تشتمل على الذكور والاناث وانتصاب اثنتين للعطف على معمول انشا اي انشا ثمانية ازواج وانشا
من الضأن اثنين ونصب الذكرين بحرم لان الاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله • ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • هذا بيان لجنسي الابل والبقر من الذكور والاناث وما تحمل
الاناث والكلام في انكار التحريم ام منقطعة والهمزة للانكار اي ام شاهدتموه فسمعتم يوصي بذلك اذ لم تؤمنوا وهو تهكم اي
اذ كنتم لا تعترفون بنبوة الانبياء فمن اين عرفتم ذلك ولما كان ذلك اللفظ عاما والعلة عام تناول كل من فعل ذلك فيدخل
عمرو بن لحي واذا كان هذا حال فروع الدين فما الظن بالافتراء في الالهيات والنبوات والمعاد وكيف باضلال الغير زايدا
على اضلاله ووقوع الفاصل بين المعدودات اعتراضا مؤكدا للتحليل باعتبار الانكار على من منع اباحتها وسعى في تحريمها
غير قادح لفظا ولا معنى ثم قال والله لا يهدي المشركين بان ينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فان فيه دليل على ان الاضلال
من الدين مذموم فلا يليق بالله والجواب انه ليس كلما كان مذموما عندنا فهو مذموم عند الله كالتمكين من اسباب الفجور
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان تكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم • لما بين الحق سبحانه بطلان دعوى الجاهلية في التحريم وانه لا مستند لها امر النبي
بان يبين الحلال والحرام للاشعار بانه لا يعلم حكم الله الا الانبياء وميتة حيوان الا ان يكون المحرم ميتة او دما مصبوبا سائلا
لا كالكبد والطحال من الدماء وميتات حيوان البحر وهو ما لا يعيش الا فيه ولهذا قال النبي عليه السلام احلت لنا ميتتان ودمان
السمك والجراد والكبد والطحال وقال في المفاتيح هذا الكلام على وجه المبالغة لقوله تعالى بعد هذا الا ما يتلى عليكم وهو ما اهل لغير الله به
والمنخنقة الى اخره وللقائل ان يقول لو كان الحرمة ثابتة حينئذ لم يجز ان يجر على خلافها مبالغة والا فلا مبالغة نعم دعوى نسخ
المتواتر بالاحاد عن اكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير بالاية والا بالمحرمات الاخر باطلة لان لا اجد للحال وفسقا منصوب
بالعطف على لحم خنزير وما بينهما وقع معترضا للتعليل وكونه لحمه رجسا انه لا يعود تناول القاذورات مستقذرا عند الطبع السليم
وعلم حرمة الخمر وساير النجاسات بذكر الرجس واهل صفة موضحة لقوله فسقا وتسميته به لان اشد الفسق الكفر او منصوب
على العلة من اهل عطف على يكون ومرجع ضمير يكون واستثني من حرمة الميتة صورة الضرورة مقيدة بانه لا يظلم المضطر على مضطر
مثله وان لا يتجاوز قدر الضرورة ونعلم انه لا يحل قدر الشبع بل يحل قدر ما يقوى على السير ولو بالشبع ووصف المغفرة والرحمة اقتضى هذه
الرخصة • وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم
ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين • اي

اي حرمنا على اليهود بشؤم ظلمهم لقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم والمحرم كل ما له ظفر اي لم يكن منفرج الاصابع مشقوقها
من الدواب والطيور والسباع كالابل والبط والسنور والكلب وما يصطاد بظفره من الطير وتسمية الحافر ظفرا مجاز وكان بعض
ذات الظفر حلالا عليهم والمحرم من البقر والغنم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط كما عدل عن اخذت مال زيد الى قولهم
زيدا اخذت ماله واستثني من الشحم ما علقت بظهورهما او ما اشتمل على الامعاء والحوايا جمع حاوية او حاويا كقاصعا وقواصع
او حوية كشديدة وشدايد ومن عطف على شحومهما جعل او بمعنى الواو وقيل مثل تعلم الفقه او النحو والشحم المختلط بالعظم الالية
لاتصالها بالعصعص عظم الورك وهذا التحريم او المجازاة بسبب ظلمهم والحال انا صادقون في الاخبار عنه والامهال مع التكذيب
في ادعاء النبوة او تبليغ هذه الاحكام لسعة الرحمة او لمن اطاعه وبأسه الشديد لا يرد عن المجرمين فلا يغتر برحمته بل يخاف
نقمته والاصل ذو بأس للتنبيه على انزال البأس بهم وان السبب جرمهم • سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم
الا تخرصون • تمسكت المعتزلة بها على مذهبهم بالنظر الى ان الله تعالى حكى عنهم هذا القول في معرض الذم وقوله كذلك كذب مخففا
ومشددا يدل على بطلان ما قالوه وقوله ذاقوا باسنا اي استوجبوا الوعيد وهل عندكم من علم في معرض الانكار واتباع الظن
والخرص يدلان ايضا عليه والجواب بعد فرض تسليم الدعاوي الباطلة ان جميع ما سبق من اول السورة الى اخرها دلت على صحة مذهبنا
فلو كان مراد الاية ما ذكرتم للزم وقوع التناقض في كتاب الله تعالى وهو محال فلزم الحمل على معنى لا يلزم ما ذكرتم هذا وان القوم قالوا
لما كان الكل بمشية الله تعالى كان التكليف عبثا ودعوة الانبياء باطلة فانكر سبحانه عليهم الاستدلال بهذا الطريق واذا احتمل هذا
المعنى احتمالا ظاهرا سقط قول المعتزلة راسا او انهم ارادوا بذلك انهم على الحق المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب القبايح
حيث كانت بارادة الله تعالى ومما يدل على صحة المدعى قوله عليه السلام اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى ما يكون الى يوم القيمة
وقال عليه السلام المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة فقال مثل ما كذبوك من ان الله منع الشرك ولم يحرم كذب الامم السابقة رسلهم
وجاز عطف ولا اباؤنا على المستتر المرفوع في اشركنا للفصل واستمر التكذيب الى نزول الباس عليهم فان قيل فمن كذب منهم ولم يعذب
في الدنيا بل مات حتف انفه لم يكن العذاب غاية التكذيب قلنا بلى لما لم يرجع عن التكذيب يكون مكذبا الى الموت وبه يذوق باس الله تعالى
ثم بين بطلان دعواهم عدم افادة بعثة الرسل والتكليف بان قال هل معكم دليل على ذلك يصح التمسك به فتظهروه لنا بل ما يتبعون
في ذلك الا الظن وما انتم الا كاذبين على الله قال صاحب الانوار وفيه دليل على المنع من اتباع الظن لا سيما في الاصول قال ولعل ذلك
حيث يعارضه قاطع واراد بذلك انه لما كان الكلام مع من ادعى دعوى باطلة مستندة الى الظن لم يلزم من عدم اعتبار ظنه
عدم الاعتبار مطلقا • قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين قل هلم شهداركم الذين يشهدون ان الله حرم هذا
فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون • لما بين انه
لا حجة لهم بوجه ما في دعوة الرسل قال لهم فلله الحجة الواضحة البينة التي بلغت نهاية الوضوح والاتقان او بلغ بصاحبها مقصده

من الدعوى لانها من القصد ولو في اللغة لامتناع فعلم بذلك انه لما شاء هدايتهم ولو شاء لوفقهم لها ولكن شاء هداية بعض
وضلال بعض وتحسب العقل ان ارادة الكافر الايمان لما امتنعت لعدم المرجح على فرض استواء الدواعي والقدرة عليه او عدم امكانه
امتنع ارادة الله لان ارادة المحال محال ومعنى هلم شهداءكم اي هاتوهم واحضروهم وهو اسم فعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث عند اهل الحجاز وبنو تميم يأتون المطابقة من ها اي حد ولم بصد حذفت الالف لتقدير اللام ساكنة نظرا الى الاصل
وقال الكوفيون اصلها هل ام القيت حركة الهمزة على اللام وفيه بعد لان هل لا تدخل على الامر وقد تكون لازمة نحو هلم الينا والشهداء
يدونهم وباستحضارهم والزامهم الحجة يتحقق ضلالهم وانه لا تمسك لهم بطريق الاولى فان شهدوا بالحجة فلا تصدقهم فيه وهو شهادتهم
لانفسهم حيث اتفقوا على الدين الباطل واظهر بطلان قولهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم للاشعار بان من كذب بالايات
لا استنداله عن اتباع الهوى ومنع الدليل لا يوجد منه الا التصديق والمراد بالمكذبين اهل الكتاب والذين لا يؤمنون عبدة
الاصنام فانهم يجعلون لله عديلا وهو المثل فان قيل قد سبق ان اياتهم بالاخرة كلا ايمان فكيف صح العطف قلنا لعل النظر الى
صورة الايمان او ان المعطوفين الجامعون بين الامرين فيصح العطف • قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون • اصل تعال طلب من كان في موضع عال لمن هو اسفل ثم استعمل
في غيره اتساعا وما منصوبة باتل اي اتل الذي حرم عليكم ربكم او بحرم ومعنى اتل قل اي اي شيء حرم لان في التلاوة معنى القول فيصح
جعل ان مفسرة ولا للنهي ولا يصح جعلها ناصبة بدلا مما حرم وان كان المعنى عليه لان عطف وبالوالدين هو بتقدير احسنوا واوفوا
واعدلوا يدل على هذه الافعال تدل انها نواهي ولو ابدل لم يكن المعنى على انشاء النهي ولا يمنع هذا التقدير وهو جعل ان مفسرة
هذا التعليق الفعل المفسر بما حرم المقتضي ان يكون ما بعده منهيا محرما كالشرك وما بعده فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى
اضدادها المتقدم حرم على هذه الافعال واشتراكها تحت حكمه وهو الاساءة والبخس وترك العدل ونكث العهد وعليكم من صلة حرم او اتل
وان جعل للاغراء فهو استيناف وان لا تشركوا بدل من ما لمحله النصب وان جعلت لا زائدة او من ضميرها المحذوف والرفع بتقدير اتلوا
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا وعطف وان هذا صراطي بالفتح يقتضي ان يكون ان هي الناصبة ليكون التقدير واتل عليكم نفي الاشراك
واتل عليكم ان هذا وانما يصح ان لو جعل علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله اي ولان هذا صراطي وقراءة الكسر يعضده
وشيئا يحتمل ان يكون صفة مصدر محذوف او مفعولا ووضع الاحسان موضع النهي عن الاساءة اكد ويشعر بان ترك الاساءة غير كاف
بل يجب الاحسان كما في لزوم النفقة وغيرها والاملاق الفقر اي لا تقتلوهم خوف الاملاق كقوله خشية املاق والمفهوم ههنا غير معتد
لان شرط الاعتداد ان لا يظهر للتخصيص فائدة وههنا المقصود الزجر عن عادة الجاهلية ووعد الرزق بيان المقتضي للنهي والاحتجاج
عليه والفواحش الكبائر او الزنا والذي ظهر وبطن الزنا سرا وجهرا او عمل الجوارح والنية او عموم الاثام وما استثني من قتل النفس
المنصف بالحق مثل القصاص وقتل الصائل والباغي والمرتد ورجم الزاني والاشارة الى الاحكام المفصلة والوصية بحفظها



لئلا يهمل ومعنى العقل الرشد فانه كمال العقل لانه الصلاح دينا ودنيا ولعل ذلك باعتبار انه نتيجة او العرفان عليه ولعلكم تعقلون
فوائد هذه الاحكام دينا ودنيا • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون • هذا يجري مجرى بيان اجتناب
الفواحش اذا فسرت بمطلق المعاصي والتي هي احسن الخصلة التي تتضمن حفظه واستنماءه وبلوغ الاشد البلوغ خمس عشرة او الحيض
او الحبل او الاحلام قيل بشرط الرشد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه ثماني عشرة والاشد جمع شدة كنعمة وانعم وايفاء الكيل والميزان
رعاية العدل والتسوية فيهما وهو من جملة ما هلك فيه الامم الماضية على ما اخبر به النبي عليه السلام وتقييد التكليف بحسب الوسع والطاقة
عقيب الامر بايفاء الكيل للاشعار بان مراعاة الحق بحيث لا يقع فيه زيادة ولا نقصان اليسير فبعد السعي في رعاية بعض عن القدر
المعجوز عنه ثم امر بالقول العدل في الحكومات وقيل في اداء الشهادة فقط وقيل الامر والنهي لا غير ويدخل فيه الدعوة الى الدين الملخصة
عن الحشو والزيادة بالفاظ مفهومة ولو كان المقول له او عليه من افادته فانه لا تجوز الزيادة والنقصان على الواجب وعهد الله الامور
بالوفاء به هو العهد في ملازمة العدل ورعاية احكام الشرع من النذر والحلف وغيرهما وذلكم اشارة الى جميع ما سبق والتوصية بها للارادة
الاتعاظ وقرئ تذكرون بالتخفيف وخاتمة الاولى يعقلون وهذه يذكرون لان الامور الخمسة فيها امور ظاهرة فيكفي فيها الفهم وهذه
غامضة تحتاج الى الاجتهاد والفكر فيها • وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به
لعلكم تتقون • الاشارة الى جميع ما تقدم في السورة من دلائل التوحيد والنبوة او والدين هذه الايات لانها محكمة قال ابن عباس
من عمل بهن دخل الجنة او القرآن وقرئ وان بالتخفيف اي انه والضمير للشان وان بالكسر على الاستيناف وقراءة الفتح
مقدرة باللام على انها علة لقوله فاتبعوه وقرئ صراطي بفتح الياء ويقرأ ربكم ومستقيما يجوز ان يكون حالا عاملها الاشارة او معنى
الاضافة وتحسب اتباعه وترك اتباع الاديان المختلفة والضلالات التابعة للهوى واتباعها يقتضي ان يفرقكم ويزيلكم عن سبيله
الذي اتباع النبي واقتفاء البرهان عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط عن يمينه وشماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه • ثم اتينا موسى الكتاب
تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون • ثم للعطف على وصيكم ولا اشكل بان ايتاء التورية
متقدم عليه لان هذه التكاليف ثابتة من اول عهد الانبياء الى يوم القيمة فالتقدير ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك
اتينا موسى الكتاب او لتأخير الخبر عن الخبر لا للتأخير الواقعة مثل ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وتماما اي للكرامة
والنعمة على من احسن القيام بذلك الكتاب ويعضده ما يقرأ على الذين احسنوا او الضمير لموسى على الذي احسن تبليغه من العلم والشرائع
من احسن كذا اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه وهو يحتمل الحال والمصدر والمفعول له ويقرأ بالرفع على هو احسن اي على الوجه الذي
هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا عطف على تماما وفيه الوجوه الثلثة اي بيانا مفصلا في جميع ما يحتاج اليه من الشرائع ولعلهم اي
بني اسرائيل بلقاء الله للثواب والعقاب عند البعث • وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا

انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
بما كانوا يصدفون • اي القرآن كتاب كثير الخير او لا يتطرق اليه النسخ فاعملوا به واتقوا المخالفة لعلكم ترحمون لعلكم ترحمون اذا الغرض
من التقوى الرحمة ومعنى ان تقولوا انزلناه لان تقولوا ثم حذف الجار وحرف النفي نحو يبين الله لكم ان تضلوا او كراهة ان تقولوا والطائفتان
اليهود والنصارى وتخصيصهما لحصول العلم بهما للشهرة وفيه اشعار بان المجوس لهم شبهة الكتاب والمعنى قطع معذرتهم يوم القيمة
بان يقولوا كنا غافلين عما في الكتابين بانزال القرآن ومعنى الغفلة عدم العلم بما مضى من الكتب وان هي المخففة اي وانه كنا واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية او تقولوا عطف على الاول اي لو انزل الينا لكنا اصوب دينا واعظم اهتداء لصفاء اذهاننا وكنا نقتبس منه
فنونا من العلم كالقصص والاخبار على انا اميون فقطع معذرتهم بانه قد جاءتهم حجة واضحة يعرفونها وهدى ورحمة لمن تدبره وفهم معانيه
وعمل بما فيه وحينئذ لا اظلم ممن كذب بها بعد ان عرف صحتها وتمكن من درك معانيها ولا محالة يجزي الله المعرض الصاد عنها الذي
لم يتفكر فيها شدة العذاب باعراضه عنها وانه قد ليصدفون مفعولا اي الناس فهو متعد والا فهو لازم • هل ينظرون الا ان تأتيهم
الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا
انا منتظرون • استفهام انكار والضمير لاهل مكة اي ما ينتظرون الا اتيان ملائكة الموت او العذاب او ربك اي امره او يأتي بعض
آيات الله الدالة على القيمة او الهلاك الكلي وقرئ بالياء وهم وان لم ينتظروا ذلك ولكن شبهوا بالمنتظرين للزوم اللحوق بهم ومن جملة
ما وعد النبي عليه السلام من آيات الساعة الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال ويأجوج
ومأجوج ونارا تخرج من قعر عدن ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وهذا هو البعض الذي لا ينفع نفسا ايمانها عند ظهوره روي انه
ان النبي عليه السلام قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع
نفسا ايمانها الآية وانما لم ينفع لانه صار الشخص كالمغرغر حيث صار الامر عيانا والخير المذكور قيل الاخلاص وقيل الطاعة وقيل التوبة
وهو عطف على آمنت اي لا ينفع الايمان ذلك الوقت نفسا لم تكن قدمت ايمانها او لم تكسب في ايمانها خيرا وفيه دليل على ان العمل غير داخل
في مسمى الايمان وتمسك من لم يعتبر الايمان بدون العمل ويمكن تخصيصه بذلك اليوم توفيقا ويحمل الترديد على اشتراط النفع باحدهما على معنى
لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها لان المعطوف عليه صريح في اشتراط حصول النفع بالايمان والمعطوف مستلزم له لان كسب الخير في الايمان
لا يتصور بدونه فالمعتد به في الصورتين الايمان لا المقرون بالعمل والعطف على لم يكن معناه انه لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته
حينئذ وان كسبت فيه خيرا ثم اوعدهم بانتظارهم احد الامور الثلثة فانا منتظرون والفوز للمؤمن حينئذ دون الكافر
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون • قرئ فرقوا وعلى الاول اي تركوه
وباينوه وعلى الثاني اي آمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه روي عن النبي عليه السلام انه قال ان بني اسرائيل افترقت على
ثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلهم في النار الا واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله
قال

مطلب في بيان امارات الساعة التي من رآها وآمن لم ينفع ايمانها لانه صار برؤيتها كالمغرغر

قال ما انا عليه واصحابي وفي رواية ذكر النصارى ايضا محمل الشيع على اهل البدع يناسب الخبر وحمل على الاديان المختلفة كاليهودية
والنصرانية حيث كان دين الله دين ابراهيم وقيل سائر المشركين واصله من شاع اذا ظهر وقيل شيعة تبعة لان الشيع كل طائفة اماما
وانت يا محمد بريء منهم قال اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني اي عن السؤال عنهم او عن تفرقهم او عن عقابهم وقيل
لم يؤمر بقتالهم بل امرهم الى الله فيتولى مجازاتهم فتكون منسوخة باية السيف على هذا وفي الآية حث على ان تكون الكلمة واحدة
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون • هذا اقل ثواب وعد على الحسنة ان لم يقل
انه للكثرة كما قيل ومنه قول القائل لئن اسديت الي معروفا لاكافينك بعشر امثاله وتأنيث العشر لاضافة الامثال الى المؤنث
والاقصى المحدود سبعمائة وغيره بغير حساب وقيل كل زيادة بدعاء من النبي عليه السلام والتقدير عشر حسنات امثالها لحذف الموصوف
فالنفي بالصفة عن الموصوف وعشر بيانا الا اكتسب التأنيث من المضاف اليه مثل سلطت بعض ما معه وقرأ يعقوب بتنوين العشر
ولولا فضل الله وعدله لما كانت الحسنة كذلك والسيئة بمثلها ومنه يعلم ان العمال لا يظلمون بنقص ثواب او تضعيف عذاب وعموم
لفظ الحسنة وعموم العلة لا يلايم حملها على كلمة التوحيد والسيئة على الشرك كما قيل • قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين •
اي ارشدني الله سبحانه الى دين ابراهيم عليه السلام وهي الملة الحنيفية التي لا يخاف منها الضلال ودينا بدل منه ودينا بدل من محل الى
صراط لانه كقوله ويهديكم صراطا مستقيما وقيل تقديره عرفني دينا وقيل الزموا وقيما مبالغة قائم كسيد وقرئ بكسر القاف وهو مصدر
كالشبع وصفت به ملة ابراهيم عليه السلام شريعته من الاملال لانها تبنى على مكتوب ومسموع عطف بيان او بدل من دينا والحنيف
المائل عن الاديان الباطلة وهو حال من ابراهيم اي هداني ملة ابراهيم حالة كونه موصوفا بالحنيفية ونفى الشرك عنه للرد على المشركين
فصلوة ابراهيم هي ذات الركوع والسجود والنسك العبادة او الدين او القربان ومحياي اي حياتي ومماتي وموتي لله لانه المدبر
في الحالين او هو خالقهما وقيل طاعتي في الحيوة وما اوصي بعدها وكذلك الصلوة والنسك ففيه دليل على ان العبادات مخلوقة لله تعالى
وانه ملكها الاخلاص وقرئ محياي ساكنة الياء ولا شريك له تأكيد الاخلاص وكونه اول المسلمين لان اسلام الانبياء متقدم على اسلام الامم
قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
استفهام انكار اجاب به دعاءهم اياه الى الشرك ولهذا ذكر حالا في موقع الدليل على ذلك الانكار وهو ان كل ما سوى الله مربوب له محتاج اليه
في الوجود فكيف يصلح للالهية فلما بين التوحيد ذكر ان عقاب احد وباله الا عليه ولا يؤاخذ نفس آثمة باثم اخرى وهو جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء المشركين الى حاكم لا يخفى عليه خافية فيبين الضلال من الهداية وان الحق في الدين مع اي
فريق وذلك يوم القيمة • وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب
وانه لغفور رحيم • اي جعلكم خلفاء من كان قبلكم من سكان الارض كالجن او جعل محمدا خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او يخلف
بعضكم بعضا ورفع الدرجات في الشرف والعقل والنسب والحسب والفقر والغنى ووقوع هذا التفاوت ليس الا للامتحان

ورفع
بل

واليه الاشارة بقوله ليبلوكم فيما آتاكم فيظهر شكر الغنى وصبر الفقير والمراد صورة الابتلاء فانه سبحانه لا يخفى عليه خافية وهو سريع العقاب
لان ما هو آت فهو قريب وفيه تهديد العصاة اذ المعنى يسرع عقاب المستحق اذا شاء وانه كثير الرحمة للمستغفر والتائب وغيرهما فيما دون
الشرك ان تعلقت به مشيته قال في الانوار وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى
ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها فان قيل

مطلب في بيان سعة رحمة الله

فما وجه ترتب سرعة العقاب على وصف الربوبية قلنا لان العصيان مع نعم الربوبية اقبح فيقتضى سرعة العقاب
فان قيل لما كانت المبالغة في جانب الرحمة اعظم فهلا قدمه لا سيما وهو انسب بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن
ربه سبحانه وتعالى سبقت رحمتي غضبي قلنا لما كانت مفتتح السورة ذكر الحمد ختمت بالمغفرة والرحمة للاشارة ان من كانت
فاتحة امره الشكر لنعمة المنعم استحق ان يكون خاتمته المغفرة والرحمة جعلنا الله ممن نال سعادة الدارين وخص بسيادة المنزلين

## سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزلناه فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين • الكلام فيه وفي ساير الفواتح
ما سبق من كونها اسماء السور او الاشارة الى انه المؤلف من جنس ما يركبون كلامهم وغيرهما قد سبق وقيل هنا معناه انا المصور
او اعلم او افصل او اعلم وافصل وسبق نظيره ايضا في الم البقرة وعلى الاول تقديره هو او هذا كتاب والمراد السورة وقيل القرآن
كتاب وقيل تقديره المص بعض حروف كتاب فحذف المضاف فصار المص حروف كتاب ثم حذف الحروف الاول اولى
والحرج الضيق يعني لا يكن في صدرك منه شك في كونه منزلا من عند الله وقد تقدم ان المراد نهى غيره على وجه المبالغة ووجه تعلق
النهي به مثل قولهم لا اريتك ههنا يعني انه نهى عن ادخال الحرج في صدره وتوجه النهي الى الحرج فان الشاك ضيق الصدر كما ان المتيقن
منشرح والفاء لعطف الجملة وتقدير الشرط على معنى اذا كان الانذار للانزال فلا يكن تكلف وقيل لا يكن فيه ضيق لخوف
التكذيب فانه كان ضيق الصدر من قومه لذلك او عدم القيام بحقه والضمير في منه للكتاب او التكذيب وهو اعتراض بين لينذر
ومتعلقه وهو الانزال او انه علق بالنهي صح لانه اذا لم يخف تمكن من الانذار وكذلك صاحب اليقين قوى القلب على الانذار وذكرى
اسم التذكرة وهو اما منصوب بتقديره وذكر او مرفوع عطفا على الكتاب او خبر مبتدا محذوف او مجرور لتقدير لذكرى اي لتنذر
ولذكرى وهو ابعدها ولعل تقييد الذكرى بالمؤمنين ان الانذار يليق بالمعرض عن التدبر في المباحث الالهية والاوامر النبوية
والتذكير بالمستعد لذلك الذي عرض له ادنى غفلة • اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون • اي
اتبعوا القرآن والسنة فانها وحي ايضا ولا تتبعوا من دون الله كالاصنام او شياطين الجن والانس الذين يامرونكم بالدين
والمذهب الباطلين او الضمير لما انزل اي ولا تتبعوا من دونه من دون دين الله دين اولياء ويقرا ولا تبتغوا القوله ومن يبتغ
غير الاسلام دينا وقليلا صفة مصدر محذوف اي يذكرون ذكرا قليلا فما مزيدة لتاكيد القلة حيث ذكر في المفاتيح انه نزلوا ذكر الله وقرئ
تتذكرون على خطاب النبي عليه السلام وبالياء ويذكرون بها لا حجة لنفاة القياس باعتبار انه اتباع غير ما انزل لانه ثبت اعتباره

باجماع

باجماع الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وهو قطعي لا يقال انه فرع العمومات والفرع لا يكون اقوى من الاصل لانه لما تعاضدت
الايات والاخبار وانضم اليها الاجماع قويت وحصل الترجيح ولقائل ان يقول اي حاجة الى هذا الاطناب مع انه يكفي في الجواب
منع كون القياس اتباع غير ما انزل بل هو اتباع وهو قوله سبحانه فاعتبروا وقوله ما آتاكم الرسول فخذوه وقد قرره في خبر معاذ
وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين • كم ههنا خبرية اي كثيرا من القرى اردنا اهلاكها مثل
اذا قمتم الى الصلوة او حكمنا باهلاكها او اهلكناها بعدم التوفيق والقول بان الاهلاك وجىء الناس معا كقولك اعطيتك فاحسنت
اليك ضعيف لان هذا ليس استعمال العرب فجاء اهلها عذابنا او اهلكناهم بارسال ملائكة العذاب وقيل محمول على الظاهر فان في
اهلاك القرية بنحو خسف اهلاك اهلها وبياتا حال اي جاءهم بائتين وعطف عليه قائلون اي بائتين او قائلين وقيل او وهم قائلون
فاستثقلوا جمع الواوين ومن منع فلان واو الحال قريبة من العطف فيكون جمعا بين المثلث وليس المراد الاكتفاء بالضمير فانه غير فصيح
بين والقيلولة نوم نصف النهار او الاستراحة فيه اي جاءهم مرة بالليل ومرة بالنهار والدعوى بمعنى الدعاء والادعاء والاستغاثة
ومعنى كنا ظالمين الاعتراف بالشرك والتحسر عليه او ما كانوا يدعونه من دينهم الا اعترافه بفساده او ما كان استغاثتهم او دعاءهم
الله الا هذا القول لعلمهم بان دعاء الكافرين ليس الا في ضلال واعراب دعوى نصب او رفع بالخبر والاسم لكان فان قالوا كذلك
والمسئولون المرسل اليهم الامم يسالون عما اجابوا به الانبياء ويسالون عن جواب الامم كما قال سبحانه ماذا اجبتم ومحل اليهم الرفع باسناد
ارسل اليه وعليهم يرجع الى الكل اي يقرا على العبد ما هو مكتوب في كتاب عمله روى عن النبي عليه السلام ان الله يسال كل احد بكلامه ليس
بينه وبينه ترجمان ومعنى بعلم عالمين بجميع الافعال والاقوال وفائدة السؤال التوبيخ او بعلومنا مثل لا يحيطون بشيء من علمه وما كنا
غائبين عنهم وعن احوالهم • والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون • الحق العدل وهو الوزن ويومئذ خبره وتنوينه بدل المضاف اليه والتقدير اي يوم ارسلنا الرسل
والامم وقصصنا والجمهور على ان جبريل يزن الاعمال بميزان له كفتان ولسان وجمع الميزان قد حمل على تعدد من يوزن لهم واختلاف
الموزون كافعال القلوب والجوارح وقيل المراد بالجمع الواحد وقيل جمع موزون وكلاهما خلاف الظاهر ويدل عليه قوله تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة وذهب كثيرون الى ان المراد العدل والقضاء السوي وقيل وزن الاشخاص ورد انه يؤتى بالرجل
العظيم فلا يزن جناح بعوضة والآية تدل على ان اهل الموقف قسمان راجح الحسنات وراجح السيئات لان الظالم بالايات هو الكافر
بها او المنكر لها والمساوية لم تذكر وقد ورد ان اهل الاعراف من هذا القبيل واكثر المفسرين على ان من خفت موازينه الكافر ومن قال المراد
بالوزن العدل قال لانه يقال ليس لفلان وزن عند فلان وحمل عليه ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ويدل على الاول انه يوضع للرجل
تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة • ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون • جعلنا لها اماكنكم لتسكنوها وتزرعوها وقيل

هو اعطاء ما يصح به الفعل مع دفع المنع والمعايش جمع معيشة مفعلة بالكسر او الضم وهي من المطعم والشرب وغيرهما ما يعاش به

وقرئ بالهمز حملا على صحايف ثم ما قليل شكركم مع هذه النعم الجسام المنن العظام • ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا

لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين •

قيل على حذف المضاف اي خلقنا اباكم آدم او نزل خلقه باعتبار الاصل كخلق الكل والتصوير اعطاء كل شيء صورته وهو في الارحام كقوله تعالى

هو الذي يصوركم في الارحام او صورناكم في ظهر آدم او خلقناكم في اصلاب آبائكم ثم صورناكم في بطون امهاتكم ويناسبه قوله عليه السلام

يجمع خلق احدكم في بطن امه الحديث ثم قيل بمعنى الواو او لتأخير الاخبار بهذا القول للملئكة وان كانت الخطابات لازمة فهي على اصلها

والسؤال عن مانع السجود مع العلم به للتوبيخ ولا قيل زيدت لتأكيد معنى الفعل الذي دخلت عليه مثل لئلا يعلم ويدل عليه ما منعك ان تسجد

واعتقاد ابليس ان السجود غير واجب عليه لعدم مناسبة امر الفاضل بسجود المفضول كفر والعدول عن ظاهر الجواب وهو منعني كذا

بجملة اشياء معها لاشتمالها عليه فيكون ابلغ حيث ذكر المانع منه وهو كونه مخلوقا من النار التي هي اشرف من الطين فانها لطيفة علوية وهو

كثيف مظلم سفلي وهي فعالة وهو منفعل ويدل عليه ان سن الشباب اشرف من سن الشيخوخة لانه وقت النشو للحرارة وهي وقت النقص

للبرد كانه قال وشرف الاصول يوجب شرف الفروع قال صاحب الانوار اي الفضل كله باعتبار العنصر هذا ما توهمه وغفل عن ان الشرف

باعتبار الفاعل كما قال سبحانه خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية

حيث صار اعلم منه وبالآية تمسك من قال الامر للفور واجيب لجواز ان يكون لقرينة وقدح في القياس لظاهرها والجواب ان الخلاف في الجامع

قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

الضمير للسماء او الجنة او الارض على ما قيل اهبط الى البحر وتقييد منع التكبر فيها يناسب الاول لان السماء محل الملئكة وهم مطيعون

بخلاف الارض والفاء في فاخرج للاشعار بانه لما تكبر صار من اهل الصغار والهوان على الله واليه اشار عليه السلام من تواضع لله رفعه

ومن تكبر لله وضعه فسأل من الله الامهال الى يوم القيمة ومقصوده ان لا يذوق الموت فلم يمهله الى وقت غير معلوم عند الاكثر وقوله سبحانه

انك من المنظرين الى وقت معلوم اي في علم الله لا الى النفخة الاولى كما قيل لان المكلف لو علم وقت الاجل لاقدم على المعاصي بقلب فارغ ثم تاب

قبل الموت هكذا قيل وفيه نظر فان هذا انما يصح بالنسبة الى من لم يكن محكوما عليه انه قد ختم بالكفر واما بالنسبة اليه فلا يتصور التوبة حيث اتصلت

لعنته بالقيمة وفي استجابته الى ما طلب من الامهال الابتلاء وما في مخالفة الشيطان من الثواب لكف النفس عن الشهوات واللذات

قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين •

معنى اغويتني احببتني عن جنتك عقوبة على عملي او اهلكتني او سميتني غاويا ومنه غوى الفصيل اذا فسد جوفه من كثرة اللبن والباء

للسبب او البدل او بمعنى مع او اللام او القسم والمعنى على الاول بسبب اغوائك اياي حيث كلفتني السجود فوقعت بسبب

الامتناع عنه في الغي او امرتني به فحملني الانفة على المخالفة لا بالغش في اغوائهم فالباء متعلقة بفعل القسم اي اقسم بالله لاقعدن

ولام القسم يمنع من التعلق بقوله لاقعدن لانك لا تقول والله بزيد لامرن والقسم بالاغواء انما يحسن بالنظر الى انه من جملة تكاليف

تكاليف الله تعالى وقول ابليس بما اغويتني تارة واغواء العباد الى نفسه اخرى يدل على ان ابليس كان متحيرا بين الجبر المستفاد

من الاول والقدر المستفاد من الثاني او كان يعتقد انه لا يحصل الاغواء الا بالمغوي ثم زعم ان المغوي هو الله تعالى قطعا للتسلسل

ولا فائدة للاطناب في ان الاغواء الاضلال لان حاصله يرجع الى قول ابليس وهو ليس بحجة بل المقصود بيان ان المغوي لابليس

هو الله تعالى وظاهر اللفظ يشعر به والاصل عدم التأويل ولانه اما ان يغوي نفسه او يغويه غيره وهو اما الحق تعالى او غيره والاول باطل

لان العاقل لا يختار الشر لنفسه كما قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم والثاني ايضا باطل لبطلان الدور والتسلسل فتعين الثالث

ومعنى لاقعدن لهم انرصدهم فاصدهم عن الدين القيم او طريق الجنة وهو منصوب على الظرف او نزع الخافض اي على صراطك او في

صراطك وعلى الاول ضرب زيد الظهر والبطن اي عليهما ومعنى الاتيان على الوجه المذكور الاتيان من الجهات الاربع وهو تمثيل لتعميم

الاضلال باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر فوق وتحت او لان الرحمة تنزل من الاول والاتيان من الثاني موحش وحمل

ابن عباس رضي الله عنهما الاول على جانب الاخرة والثاني الدنيا والثالث الحسنات والرابع السيئات وذكر في الانوار انه يحتمل ان يراد

بالاول من حيث يعلمون وبالثاني من حيث لا يعلمون وبالاخيرين من حيث يتيسر لهم التحرز ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم وتعدية الاولين

بحرف الابتداء لان الشيطان يتوجه منهما اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة لان الذي يأتي منهما كالمار على عرضهم المنحرف عنهم ومن جلست

من عن يمينه وعلى يمينه والمعنى انه يمكن من تلك الجهة تمكن المستعلي وقول ابليس لا تجد اكثرهم شاكرين اي مطيعين ظن منه

لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وذلك لانه وجد اسباب صدقه الشر اكثر من اسباب الخير من القوى تدعو الى اللذات الحسية

وواحدة تدعو الى الخير وهو العقل او سمع من الملئكة او راى في اللوح وفي الاية دليل على انه لا يجب رعاية مصالح العباد دينا ودنيا

والا لما امهل ابليس متمكنا من الاغواء وايقاع انواع الشرور بل الانبياء الزاجرون عن اتباعه لم يبقوا وبقي اللعين وقول المعتزلة

انه لزيادة شهوة وان كان يقع ولو لم يوجد ليس بسديد في نفسه ولا ينهض جوابا ويظهر بادنى تأمل قال اخرج منها مذءوما

مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين الذام والذم والذم العيب ويقرأ مذوما بالتخفيف والمهموز اسدها

والمدحور المطرود المبعد عن الرحمة اوالسماء الضمير المجرور لابليس وذريته ومن تبعهم من ذرية آدم ولا تكرار لان الخروج الاول

غير مفيد وقيد الثاني بالصغار والثالث بالطرد وغلب الخطاب على الغيبة وكلام الله معه اما بلسان الملئكة او على سبيل الغضب

فلا يكون منقبة له ولاملأن جواب القسم المستفاد من الموطئة له في لمن تبعك وقد سد جواب الشرط ويقرأ بكسر اللام اي املأ جهنم

بمن تبعك اي هذا الوعيد • ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • اي قلنا

لآدم بعد اخراج ابليس من الجنة وهو امر اباحة والكلام في الشجرة هل كانت معينة ام لا وان النهي للتحريم او التنزيه غيره وقد سبق

من الغرايب ما قيل ان الشجرة الحنظل ليستدل به على مرارة الدنيا وسبب ذكر الواو في الم البقرة والفاء ههنا البيان زيادة معنى لم يفهم

من الاول وهو التعقيب ولا منافاة بين النوع والجنس ومعنى تكونا تصيرا ويجوز ان يكون جزما جوابا للنهي او نصبا • فوسوس لهما

الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين

اى القى اليهما الوسوسة وهو لا ينافى ما قيل ان معنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله وتعريفها بانه كلام خفى مكرر انما يصح عند من ثبت
الكلام النفسى ومنه وسوس الحلى وهو لازم كوعوع الذئب وقيل كان كلاما القوله بعده وما نهيكما وقيل هى حديث النفس وجعل اللام لمبدى
للعاقبة خلاف الظاهر من غير ضرورة الا ان يقال ان الشيطان لم يعلم ان يظهر عورتهما وانما قصد معصيتهما كما قيل لانه يصح ان يكون غرض الشيطان
ان يسوءهما اذا انكشف عنهما ما يريدان ستره ليتلاءى والشيطان راى فى اللوح او سمع من الملكة انه يظهر العورة حينئذ وفيه دليل
على ان كشف العورة مذموم مستقبح فى الطباع من سابق الزمان وورى من المواراة تقول واريته اذا سترته قال تع يوارى سوءة اخيه
وقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين مات ابوه اذهب فواره والثانية لم يقلب واوها كافى اوصل لان الثانية مدة كالف وارى
ويقرأ اورى بالقلب والسوءة فرج الرجل والمرءة وذلك لان ظهوره يسوء الانسان قال ابن عباس كانا البسا ثوبا يستر عورتهما
فلما عصيا زال عنهما وقول ابليس لهما قيل كان بالوسوسة والظاهر انه بالمخاطبة لذكر المقاسمة والمعنى ما نهيكما الا كراهة ان تكونا
ملكين او تخلدا ارغبهما فى الاكل بان اوهمهما ان من اكل صار كذلك واذا لم يقل ان من يجد لادم كان من ملكة الارض لا غير اشكل ذلك
فى انه كيف يطمع فى مرتبة من يسجد له وتواضع وان قلنا الكروبيون وحملة لم يسجد دالة كما ذهب اليه صاحب المفاتح وبالغ فى الانكار الجه
ان يطمع فى نيل رتبة اولئك ويقرأ ملكين بالكسر ويدل عليه وملك لا يبلى وجعل هذا جوابا عن استبعاد طمع ادم فى ان يصير من الملئكة
وضعفه صاحب المفاتح بانه لا يمكن انكار القراءة المتواترة قال صاحب الانوار لم يكن مراده ان يصيرا ملكين لاستحالة قلب الحقايق
بل طمعا فى ان يحصل لهما من الكمالات النظرية ما للملئكة والاستغناء من الاطعمة والاشربة وبه يندفع ما قيل ان الاية تدل على افضلية الملك
على فرض ان يكون الواقعة فى حال نبوة ادم عليه السلام لا سيما وغاية ما فى الباب انه اراد ان يصير جوهرا نورانيا او من سكان العرش ونقل عن الحسن
انه قال لو صدقاه لكان كفرا واول بانه يستلزم انكار البعث بطمع الخلود واجاب فى المفاتح بالمنع واسنده بان الخلود المكث الطويل
فلا يدل عليه وان سلم الدوام فلعله لم يعلم حال الموت والبعث بعده فانه لا يعلم الا من السمع ولقايل ان يقول لعل دعوى الكفر باعتبار ان الله تعالى
قد اخبرهما بانه عدوهما فتصديقه فى كونه ناصحا لهما ينافى ذلك فان قيل اذا علما ان الله يكره كونهما ملكين على ما سبق فكيف له اذا تحصيل ذلك
مع كراهة الله لها اما اولا فلان ما لا يريده لم يقع والكراهة ضد الارادة فلا يجتمعان واما ثانيا فكيف يليق بالنبى ارتكاب يستلزم كراهة الحق
قلنا هذا انما يتم ان لو كان فعلهما مستلزما تصديقه وليس كذلك لجواز ان يحدث باعث لا لاجل التصديق فينضم الى ميل النفس الى التناول
ولم يكن ذلك لتصديقه ويكون المؤاخذة بذلك الاعتبار وكذلك التدلية بغرور • فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين • اصل التدلية
والادلاء الانزال من اعلى الى اسفل يحاذى ذكره فالمعنى دلاهما فى المعصية وقيل اطمعهما لان العطشان يدلى رجليه الى البير فلا يجد فيهما
الماء وقيل دلهما فقلبت الاخيرة ياء والغرور الايقاع فى الشر باظهار ارادة الخير بالنصح وسببه انهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا بدليل انه لما عاتب ادم قال وعزتك ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا وفيه اشعار بهبوطهما من درجة عالية ولما ذاقا
طعم الشجرة اخذين فى الاكل نالهما شوم المعصية وسقطت عنهما ثيابهما وظهرت لهما عورتهما وقيل كانت من نور وقيل حلة وقيل ظفر

ا الشجرة

والشجرة قد سبقت انها الحنطة او الكرمة او غيرهما فاخذا يجعلان ورقة على ورقة لستر العورة حتى صارت الاوراق كالثوب
وخصف النعل رقعها وهو ورق التين وقيل الموز فعاتبهما الله ووبخهما وبين وجه الخطاء باعتبار عدم الحذر عن حذر رهما منه وبين
عداوته • قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر
ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون • اعترفا بالظلم وان كان من الصغاير ولزوم الخسران على فرض عدم المغفرة
دليل صحة العقاب عليها وصرف الكلام عن ظاهره الى انه على عادة الصالحين فى استعظام الذنوب كما قالت المعتزلة خلاف الظاهر لا ساعد له
عليه ولقايل ان يقول لهم كيف يصح ان يقال انها مغفرة فقد جرى عليهما ما جرى من الخروج عن الجنة وظهور السورة وسقوط الثياب عنهما
والمبالغة الشديدة فى لحوق الخسران على فرض عدم الغفران سبحانك هذا من اعظم البهتان على الخالق الديان وايضا روى انه لما قال
وعزتك ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال تع فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنائع العيش لها
من الحرث والسقى وغيرهما وخطاب الجمع لارادة ابليس ايضا وبعضكم لبعض حال اى اهبطوا متعادين يعاديكم ابليس وتعادونه
او يراد الاعم بالنسبة الى الذرية والمستقر محل الاستقرار والمتاع الانتفاع بالعيش والحين وقت الموت روى انه لما حضره الوفاة
احاطت به الملئكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملئكة ربى فانما اصابنى الذى اصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء
وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب وقالوا لبنيه هذه سنتكم • قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله
لعلهم يذكرون • قال الله لهم فى الارض تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للثواب والعقاب روى ان ادم هبط بالهند
وحوا بجده والحية باصفهان وابليس بالابلة او بمداين ونبى ادم يعم الموجودين وقت الخطاب ومن بعدهم وانزال اللباس من السماء
اما لان الماء الذى هو سببه انزل من السماء وانزل لكم من الانعام الاية او لانه قضى منها واذا قلنا معناه خلقناه فذكر الانزال لعلو شان
المنزل قيل انزل اصل كل شئ مع ادم من السماء ومعنى يوارى سوءاتكم يستر عوراتكم واللباس يشمل الثوب والزرع وغيرهما روى
ان العرب كانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا فيها ربنا فنزلت قال فى الانوار ولعل قصة آدم ذكرت مقدمة
لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان والجملة صفة اللباس ويحتمل الحال على طريقة فتبسم ضاحكا
والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير بعلاقة الزينة وقيل المال يقال تريش اى تمول قال • فريشى منكم وهواى معكم • وان كانت
زيارتكم لماما
والرياش الخصب فى المعائش ولباس التقوى هو الورع وخشية الله او الايمان بالنبى عليه السلام او القرآن او السمت الحسن او العمل
الصالح او لباس الحرب او ما يلبس للتواضع كالصوف وخشن القطن او ستر العورة وقيل مغم كلباس الجوع وذلك خير خبره او ذلك
صفته وخبره خير اى هو خير مما يتجمل به من الرياش وقرئ له بالنصب عطفا على لباس وذلك اشارة الى انزال اللباس وهو يدل على فضله
ورحمته ويستلزم قدرته وارادته بل سائر صفاته وفائدة التذكير لنعم الله والاتعاظ بالزواجر المقتضى للتدرج بلباس التقوى • يا بنى ادم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يؤمنون

لما بين سبحانه عداوة الشيطان حذر عن افتتانه وأصل تخليص الذهب عن الغش اى لا يفتننكم كما منعكم من دخول الجنة كما تسبب
الفتون
لخروج ابويكم بفتنته وتنزع اللباس عنهما اعنى الثوب او الثياب او غيرهما واسناد النزع الى الشيطان لكونه السبب وجعل حال الاخراج ابويكم او فاعل
اخرج وفيه نظر لان خصف ورق الجنة قد كان بعد النزع والخروج بعد ذلك فكيف يكون حالا وانه يراكم علة التحذير عن فتنته فانه اشد
نكاية وقبيله جنوده عطف على فاعل يراكم والضمير فانه للبيان ويقرأ قبيله بالنصب للعطف على اسم ان وقيل الاناث والذيار
والضمير فانه للشيطان اذ النصب لكونه الواو بمعنى مع وعند المعتزلة ان سبب عدم رؤيتنا اياهم للطافتهم ورؤيتهم ايانا لكثافتنا
ثم استدلوا بالاية على امتناع رؤيتهم ولا يخفى ان ما قالوه مجرد دعوى من غير دليل وان الخبر عن عدم الرؤية من حيث يراهم لا يدل على استحالته
ويمكن ان يستدل على فساد مذهبهم بقوله عليه السلام رايت البارحة عفريتا فاردت ان اربطه على سارية المسجد لينظروا اليه فذكرت
دعوة اخي سليمان فرددته خاسئا ووجه جعل الشياطين اولياء الكافرين ما بينهم من التناسب او ارسالهم عليهم متمكنين من خذلانهم
وحملهم على ما سألوا اليهم ويحتمل ان يريد بذلك التعريض بمن لا يوالي الشيطان انه هو المؤمن وفيه دليل على ان الله سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم
كما قال انا ارسلنا الشياطين على الكافرين واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون • الفاحشة البالغة نهاية القبح او الطواف بالبيت عراة والنسبة الى الاباء تمهيد للمعذرة بالاقتداء
بالكفرة الجاهلين والى امر الله افتراء على من لا يامر الا بمحاسن الاقوال والافعال والاقتصار على بيان بطلان الثاني لقلة المبالاة به
بالاول وذلك لان صدور القبيح من فاعله اما للحاجة اليه او الجهل بحاله والحق سبحانه منزه عنهما ثم ذكر استفهام انكار لاضافة القبيح الى الله سبحانه
واكده بان صدور ذلك لا يكون الا عن نهاية الجهل ويتجه ان يقول ليس في الاية دليل على ان صدور ذلك عنهم ليس بارادة الله تعالى

مطلب

لما بينا مرارا ان الامر قد ينفك عن الارادة فانه سبحانه امر الكافر بالايمان ولم يرد منه والا لاستحال عدم حصوله فلا يلزم من عدم الامر
عدم الارادة • قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون المؤمنين ويحسبون انهم مهتدون • هو رد لقولهم والله امرنا بها والقسط
العدل وهو الوسط بين طرفي الافراط والتفريط وقيل قول لا اله الا الله واقيموا اي توجهوا الى عبادته غير عادلين عنها الى غيرها
ولا يبعد التخصيص بالصلوة بقرينة ذكر المسجد اي استقبلوا القبلة عند مكان كل صلوة او وقتها وقيل لا تؤخروها الى العود الى مساجدكم
واعبدوا الله في حال تخلصوا العبادة له لا تريدون غير وجه الله ويحتمل ان يقدر ان اقيموا لتناسب العطف وكما بدأكم كالتعليل للاخلاص
لانه اذا كان لا بد من الاعادة فيترتب عليها الجزاء ولا ينفع الا الاخلاص وفيه الاشارة الى صحة البعث ووجه الشبه كون المعاد
ممكن الاعادة والمعيد قادرا عليها وقيل من التراب وقيل حفاة عراة غرلا اي غير مختونين والمؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه فريقا
هدى تفصيل حال الخلق اي هدى فريقا الى الطريق المستقيم وفريقا الثاني منصوب بفعل يفسره الظاهر اي ولم يهد فريقا
سبق في علمه ضلالهم وانهم تعليل له فانهم لما قبلوا ما دعاهم اليه الشياطين ولم يميزوا بين الحق والباطل ضلوا وهو دليل على ان الهداية
والضلال من الله ولا ينافيه هذا التعليل لان العلة مجموع القدرة والداعية وتخصيص الهداية بطريق الجنة خلاف الظاهر

وفيه

وفيه دليل على ان صحة الدين يتوقف على اليقين حيث ذمهم الله على حسبان الاهتداء وقد قال بعذر الكافر المخطئ من حمل المعاقب على المقصر
يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين • وجه المناسبة انه لما امر سبحانه بالقسط وهو
مرعي في اللباس والمأكول والمشروب ايضا اتبعه ذكرها او لانهم كانوا يتعرون عند مسجد الخيف وفي ايام الحج ويتركون اللحم والدسم
فبين انه لا يترتب عليه ثواب وحمل اخذ الزينة بستر العورة بالثياب حملا على ما تقدم من ذكر اللباس الذي يواري السوأة لاسيما وظاهر الامر
للوجوب ولا واجب غيره ولا ينافيه عطف المباح عليه اعني الامر بالاكل والشرب ما طاب لهم والاسراف هو تحريم الحلال او التجاوز الى الحرام
او الافراط فيه وعن ابن عباس كل والبس ما شئت من غير سرف ومخيلة والنهي في الاول على حقيقته وفي الثاني روي عن علي بن الحسين ان
واقد ان الله جمع الطب في نصف هذه الاية قال في المفاتيح عدم محبة الله نهاية التحذير لانه اذا لم يحب لم يثب فلا بد وان يعاقب
لان الاجماع على انه لا مكلف لا يثاب ولا يعاقب وللقائل ان يمنع الاجماع لما ذهب بعضهم ان اصحاب الاعراف قوم تساوت حسناتهم
وسيئاتهم • قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة
كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون • استفهام انكار والزينة قيل ستر العورة لما سبق من سبب النزول وقيل جميع انواعها من الثياب
الحسنة وتنظيف البدن من جميع الوجوه والمراكب واضافتها للملك والتمليك ودخل تحت الطيبات جميع المستلذات من المأكولات
كل
والمشروبات والنساء والطيب وظاهر الاية تدل على ما يسمى زينة او مستلذا يكون حلالا الا ما خصه الدليل وقيل الاشارة الى ان حرمه
عمرو بن لحي او الشاة والبانها حيث حرموها في حجهم وهي للذين امنوا في الدنيا ولكن غير خالصة لهم لان المشركين يشاركهم فيها قل هي
خالصة للمؤمنين يوم القيمة عن الكد والتعب والحزن والنصب والعدول عن كونها لهم ولغيرهم للاشعار بانها لهم بالاصالة كما قال
ومن كفر فامتعه قليلا وخالصة حال عن الظرف وقرئت مرفوعة على انها خبر هي ومعنى كذلك انه كما بينا هذا الحكم نبين غيره من الاحكام لقوله
يتمكنون من تحصيل العلوم النظرية • قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • فسر الفواحش بما تزايد قبحه وبما يتعلق بالفروج وبالكبائر او الطواف عراة وللقائل ان يقول
الحمل على الاعم من جميعها اولى محافظة على الحصر المستفاد من انما نعم ان فسر الاثم بكل الذنوب كما قيل لم يحتج اليه وقيل الخمر لما روي انه نهانا
رسول الله ان نقرب الخنا وان نشرب الاثم الذي يوجب الوزر او قدح فيه بان تحريمها بالمدينة وهذه مكية والبغي الظلم والكبر او الخروج
عن الامام وافراده بالذكر للاهتمام والتقييد بغير الحق مثل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كما في نهي عن الخنا والمنكر
والبغي وهي عدم انزال السلطان بزعمهم ان الله امرهم به او هو تهكم والقول على الله يشمل نسبة التحريم وسائر انواع الافتراء
ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • اي ثبت في علم الله لكل امة وقت معلوم لاستيصالهم
بالعذاب اذا لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة وحمل الامة على الواحد مثل ان ابراهيم بعيد لانه مثله لا يقال الا في معرض التعظيم
فاذا انقضت مدتهم وحان وقتهم لم يطلبوا التقدم والتاخر لشدة البأس او لا يتاخرون ولا يتقدمون وذكر الساعة لانها
هم
اقل اسماء الاوقات في العرف • يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا يحزنون • وجه الربط

مطلب في بيان ان كل ما يسمى زينة او مستلذا حلالا الا ما خصه الدليل

اذا بين حال الاجل حرض على ما ينفعهم من الموت وضم ما الى ان الشرطية تفيد تاكيد الشرط ولذلك يذكر مع فعلها نون التاكيد وجواب
الشرط فمن اتقى اى فمن اتقى واصلح منكم وذكر الرسل مع ارادة النبى عليه السلام لانه اجراء للكلام على ما يقتضيه سنته فى الامم وكونهم
الرسل منهم اقطع لعذرتهم لكونهم اعرف بطهارته وقدرته فيعلمون ان المعجزة من الخوارق حيث لا يسعها مقدرته والايات اما القرآن
او الدلايل او الاحكام والشرايع والحمل على الاعم اولى فمن اتقى الشرك واصلح اعماله فقد انتفى الخوف والحزن عنهم راسا او لا يحزنه
على فوت نعيم الدنيا اذا ظهر لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واختلف فى انه هل ينالهم اهوال القيمة ام لا
نظرا الى هذه الاية وقوله تعالى يوم يرونها الاية • والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون •
يعنى ان الذين تمردوا من قبول الايات وكذبوا الرسل وتعظموا عن الايمان بها فاولئك اصحاب النار ولا خالد فيها غيرهم
وهى دليل على ان الفاسق من اهل القبلة لا يخلد فى النار لان تقديم الضمير يشعر بالحصر فيعلم ان من لم يتصف بالتكذيب والاستكبار
لا يخلد فيها • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا
اينما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين • استفهام انكار اى لا اشد ظلما ممن كذب
على الله او كذب ما قاله والاول الحكم بوجود ما لم يوجد والثانى انكار ما وجد ودخل فى الاول قول من اثبت الشريك والاحكام
الباطلة وفى قول من انكر القرآن او النبوة اولئك ينالهم ما كتب لهم فى اللوح او القران من اللعم والرزق والسعادة والشقاوة
او رزقة العيون او العذاب الاكبر او حفظ عهودهم اذا بذلوا الجزية او جزاء اعمالهم من الحفظة وهم المراد بالكتاب ومجى الرسل
وهم ملك الموت واعوانه غاية نيلهم ما قدر لهم فى الكتاب وهو زمان الوفاة وهى حين التى يبتداء بعدها الكلام وهنا اذا جاءتهم
رسلهم ومعنى يتوفونهم يقبضون ارواحهم او يتوفون عددهم عند حشرهم الى النار حتى لا ينفلت منهم احد وهى حال من الرسل
وكتب اينما متصلة خط المصحف على غير القياس لانها موصولة ومعنى ضلوا غابوا فلا نراهم واعترفوا بانهم كانوا على الباطل غير محمودى
العاقبة وهذا عند معاينة الموت والمقصود زجر الكافر عن الكفر والتقليد • قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون •
القايل هو الله او الملك او خازن النار للمفترين على الله والمكذبين ادخلوا النار كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم قد تقدم
زمانهم زمانكم وهم كفار نوعى الجن والانس وفى النار صلة ادخلوا كلما دخلتها امة لعنت التى كانت سبب ضلالها والاخوة باعتبار
اتحاد الدين اى المشرك المشرك واليهودى اليهودى ظاهر الكلام ان غاية اللعن وقت تدارك الكل وتلاحقهم فى النار وحينئذ
يقول اخريهم دخولا او منزلة وهم تبع للقادة الاولى واللام للسبب اى لاجلهم والخطاب مع الله ومعنى اضلونا زينوا الضلال لنا
فاقتدينا بهم فعذبهم مثلى تعذيبنا اى حيات وافاعى لانهم ضلوا واضلوا قال الله تعالى لكل منهم ضعف المتبوعون للضلال والاضلال
والتباع ضعف للكفر والتقليد للتقصير فى النظر واقل الضعف محصول وهو المثل واكثره لا نهاية له ولكن لا يعلمون ما لكل منهم



وقرئ بالتاء فيكون التفاتا وجعل كلام اوليهم عطفا على كلام الله لهم فى انه لكل ضعف والقايل ان يقول الاولى العطف على كلام اخريهم
ليكون كالجواب عما قالوه والمعنى ان طلبكم الضعف لنا يستلزم اعتقادكم الافضلية وهو باطل لانا ساويناكم فى الكفر او لم تؤمنوا اذ كفرنا
فانتم ظالمون فى الدعاء علينا وقول فذوقوا يناسب انه يكون من قول القادة للتناسب بالنظر الى الفاء وقيل قول الله للكل لا يقال
زيادة الضعف غير مستحقة فكيف تثبت لهم لانا نقول توالى الآلام وعدم انقطاعها يكون كتضاعف اصل العذاب • ان الذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين • هذا بيان الخلود ودخل تحت العموم الدهرية منكروا دلايل الذات والصفات ومنكروا
دلايل التوحيد وهم المشركون والبراهمة منكروا صحة النبوات ومنكروا صحة المعاد الذين استكبروا عن الايمان بها لا تفتح
ابواب السماء لارواحهم ولا لادعيتهم لانه يصعد اليه الكلم الطيب وقال تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين وقرئ بفتح بتاء خفيفة
والتشديد لكثرة الابواب وقرئ بالياء لان التانيث غير حقيقى وهذا باسناد الفعل الى الايات والى الله ونصب الابواب وهو
غاية الوعيد لان سعادات الارواح اما بنزول خيرات السماء اليها او عروجها الى السماء وفيه دليل على ان بهجة الارواح فيهما
والولوج الدخول وسم الخياط بالضم والفتح ثقب الابرة فاذا علق على محال كان محالا لان الجمل اعظم الحيوانات عند العرب وثقب الابرة
اضيق النقب وهو كجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالفعل وكالجبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل السفينة والجمل كالسب ومثل
هذا الجزاء الفظيع نجزى الكافرين والخياط الابرة يقال خياط ومخيط كما يقال لحاف وملحف لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
وكذلك نجزى الظالمين • المهاد الفراش والغواشى اللحف جمع غاشية وهى كل ما يجلل وقيل ظلل وجهنم غير منصرف للعجمة والعلمية
قيل من الجهومة وهى الغلظ والغواش كالجواد والتنوين بدل عن الاعلال على راى سيبويه وعند غيره منصرف لان الياء كالمعدومة
للزوم حذفها فلم يكن جمعا بعد الفه حرفان والظالم يجوز ان يراد به المجرم لانه قد ظلم نفسه وقيل الكافر • والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • تعقيب للوعيد بالوعد على ما جرت العادة الالهية والذين مبتداء
واولئك الى اخره خبره ولا نكلف وقع معترضا للترغيب فى اكتساب معالى الدرجات العلية بحسب الطاقة البشرية قيل محل الجملة
الرفع بالخبر وحذف العايد للعلم به والتقدير لا نكلف نفسا منهم الا وسعها وقرئ لا تكلف نفس والوسع ما يقدر الانسان
حالة السعة والسهولة لا حال الضيق والشدة وقدرها معاذ باليسر دون العسر والجهد مقابلها • ونزعنا ما فى صدورهم من غل
تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا
ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون • نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد وهو الذى يغل بلطفه الى صميم القلب اى يدخل
وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب الدقيقة اى ازلنا الاحقاد كانت لبعضهم على بعض فى الدنيا والمراد تصفية الطباع
واسقاط الوساوس ومنعها من ان ترد على القلوب فان الشيطان اذا كان معذبا لم يتفرغ لالقاء الوساوس واليه اشار
على بن ابى طالب رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل

وقيل ازالة الحسد على تفاوت درجات الجنة وجرى الانهار من تحتهم مما يزيد سرورهم وهو اولى مما قيل ان المراد حصول المكاشفات
والسعادات الروحانية ومعنى هدانا لهذا اى لموجبات هذه السعادة وهي القدرة والداعية الجازمة اذ الفعل لا يحصل الا
الا بمجموعها فكانت الهداية حاصلة بتخليق الله تعالى والتقدير والحمد على اعطاء العقل وازالة الموانع وهنا يرجع مباحث الجبر والقدر
وعند المعتزلة ما انعم الله على النبي هو الذي انعم على الكافر والتمييز انما حصل لسعيه واختياره نفسه وكان ينبغي ان يحمد نفسه لا الحق تعالى
ومما يبطله صريحا قوله سبحانه وما كنا لنهتدي مؤكدا للنفي باللام اي ما استقام لنا الهداية لولا توفيقه وما يقرأ بغير الواو فجعل الجملة
مبينة للاولى وقولهم لقد جاءت قول لصدر منهم بيانا لهداية الله على وجه السرور والتلذذ كان من وجد نعمة ساعية قال ذلك
بغير اختياره لا على وجه القربة وان هي المخففة من الثقيلة اي بانه تلكم الجنة والضمير للشأن ويصح جعلها مفسرة لان النداء في معنى القول
والمنادي الاول ان يكون الله وقيل ملك ومعنى الارث الحصول من غير تعب كالميراث او ان منازل الكفار في الجنة ينتقل اليهم
ولا استدلال على ان ذلك ليس بفضل الله بل بالعمل لانه انما يكون سببا بجعل الشرع لا انه لذاته يوجب الجزاء والدليل عليه ان نعم الله
لا نهاية لها فاذا اتى بشيء من الطاعات وقعت في مقابلة تلك النعم فيمتنع ان تصير موجبة للثواب ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون سؤال يتضمن التقرير لزيادة التحسر والشماتة بالكفار فرحا للمسلمين وترغيبا
لمن بعدهم من المؤمنين وان يحتمل الوجهين في ان تلكم وانما قالوا وعدنا ولم يقل وعدكم لان ما امرهم لم يكن مخصوصا كالبعث والحساب
والجنة او حذف تخفيفا وقرئ نعم بكسر العين كما قاله عمر بن الخطاب معلما انما النعم الابل والظاهر ان السؤال صدر من كل اهل الجنة مع
كل اهل النار واذن اي نادى وهو اسرافيل نداء اسمع الفريقين او اعلم وفائدته ما سبق في نادى وان مشددة ومخففة صلة اذن
لا مفسرة ويقرأ بالكسر على ارادة القول او تنزيل اذن منزلة وقيل ويصدون صفة الظالمين اي صدوا وكانوا يصدون في الدنيا
لانهم كافرون وللصفات الثلث الاية وقال القاضي هو لكل ظالم نظرا الى عموم اللفظ والقائل ان يقول لا بد من التخصيص كما هو المذهب
في لعن الدنيا لان يستانف به فيكون منصوبا او مرفوعا على الذم ومعنى يبغونها عوجا يسعون في طلب اصحاب فيه باعوجاج وتنافي
وتدافع لفظا او معنى ليدل على القوام ويبغي يستدعي مفعولين فعوجا اما مفعول او مصدر من غير لفظ الفعل والآخرة صفة الدار
وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي بين الجنة والنار او بين الفريقين والاعراف جمع عرف
وهو كل عال ومنه عرف الفرس والديك وكل مرتفع لانه بارتفاعه صار اعرف والمراد السور المذكور في فضرب بينهم بسور والمراد اعالي
السور على ما قاله ابن عباس وعليه الاكثرون وعنه انه شرف الصراط وقيل على معرفة اهل الجنة والنار وفي تفسير اهل الاعراف اختلاف
كثير يرجع الى وجهين اما انهم الاشراف من اهل الطاعة او قوم في الرتبة السافلة من اهل الثواب قيل هم الانبياء وقيل هم ملائكة
ومعنى رجال ذكورا قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل الفقهاء والعلماء او الصالحون وافاضل المؤمنين او الشهداء وهم عدول

اي في صورة رجال

عدول الآخرة فهؤلاء علوا في الآخرة كما في الدنيا وقيل قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقيل المجاهدون العصاة لآبائهم او
قوم بطأت صغائرهم الى ان يحاسب الناس ثم يدخلون الجنة وقيل قوم رضي عنهم احد الابوين دون الآخر وقيل اولاد او الذين
كانوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم او اولاد المشركين او المراؤن وفي الجملة يعرفون كل طائفة من اصحاب الجنة والنار بعلامة ما اعطوا
من الثواب والعقاب فقيل سيما المؤمنين بياض الوجه والكافرين السواد وهي مأخوذة من السومة وهي العلامة والقصر
لغة فيه او يعرفون بتعريف الملئكة ونداؤهم اصحاب الجنة تسليمهم عليهم ولم يدخلوا على الوجوه السابقة حال للمنادين قبل
دخول الجنة وعلى الوجوه المتأخرة حال للمسلمين وهو اقرب الى السياق وهم يطمعون في دخولها والمراد بالطمع اليقين اذا قلنا
المراد الاشراف نحو قول ابرهيم عليه السلام اطمع ان يغفر لي وعلى اصله ان قلنا المراد غيرهم وحينئذ لم يتحقق دخولهم الظاهر لم يدخلوها
من هذه الاية وان دلت الاخرى على الدخول وتلقاء اصحاب النار مواجهتهم اي استعاذوا بالله اذا راوهم ان يكونوا من اهلها
وتضرعوا ان لا يجعلهم من زمرتهم والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولهذا كان ظرف المكان ولا محل لقوله لم يدخلوها وهم
يطمعون لانه استيناف وقع جوابا لسؤال سائل عن حالهم الان يجعل صفة لرجال ويحتمل ان يكون حالا من ضميرهم اي نادوا حال
كونهم غير داخلين طامعين فيه ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون صفة نادى مع عدم وقوعه للمحقق منزلة
الواقع اهل التفسير على ان المراد مثل ابي جهل والوليد بن المغيرة وعاص بن وائل وجمعهم كثرتهم وشوكتهم او جمعهم المال
واستكبارهم تعظيمهم عن قبول الحق والايمان او على الناس ويقرأ يستكثرون من الكثرة ومن جملة مقولهم لرؤساء الكفرة
مشيرين الى مثل عمار وسلمان وصهيب اهؤلاء الذين حلفتم في الدنيا لا ينالهم الله بجنة حيث قلتم يدخل هؤلاء الجنة ويدخلنا
النار كلا والله ان الله لا يفضل خدمتنا ورعايتنا علينا واقسموا على ذلك وهؤلاء مبتدا والذين خبره وقيل يقال لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة وذلك ان يحتسبوا حتى ينالهم الله بفضله لا بالنظر الى العمل لما سبق انه غير موجب وقيل من تتمة قول اصحاب الاعراف اي
اقسمتم لا ينالهم الله وقد قال تعالى لهم ادخلوا الجنة وقيل من قول الله لاهل النار لما اقسموا ان اهل الاعراف لا يدخلون الجنة وقيل
اهؤلاء من كلام الملئكة وقيل من كلام اهل الاعراف ثم يرجعون الى مخاطبة انفسهم ويقرأ على بناء المفعول ودخلوا الجنة وعلى القراتين
يكون التقدير ادخلوا او دخلوا مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قيل فما فائدة اختلاف المعطوف مع المعطوف عليه فما اغنى
عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قلنا لعل النسب الاشعار بزيادة الاستقباح في الاستكبار حيث ذكر على حكاية الجملة الفعلية المشعرة
بتكراره ليتصور تجدد كل مرة من الاستكبار لزيادة التوبيخ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا
لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون روي ان اصحاب النار يسألون الله ان يريهم من اهل الجنة قراباتهم في ذلك النعيم
وتزخرف الجنة فيعرفونهم وهم لا يعرفون اهل النار لاسوداد وجوههم فينادونهم باسمائهم ان افيضوا اي صبوا علينا من الماء ما يبرد ما

ويزيل عطشنا وفيه دليل على ان اهل الجنة فى جهة فوق وهذا طلب مع طمع وقيل مع يأس كما يقال الغريق يتعلق بالزبد وذلك من الحيرة
وما رزقكم الله اى من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة وقيل من الطعام والفاكهة نحو علفتها تبنا وماء باردا ومعنى المنع المشبه بالمنع
من المكلف وهو جزاء اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا بتحريمهم البحاير والسوايب والحام والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن الطلب له وهذا لانهم اغتروا بطول البقاء فجزاؤهم ان يتركهم فى العذاب او يفعل بهم
ما يفعل الناس لعبيده من ايصال الخير اليه وكما يقتضى ذلك انكارهم ايات الله انها من عند الله • ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم
هدى ورحمة لقوم يؤمنون • الكتاب هو القرآن ووصف بان تفصيل اياته من الحلال والحرام والمواعظ والاحكام وعلى علم حال
اى فصلناه عالمين بكيفية التفصيل ويقرأ فضلناه اى على ساير الكتب اى فضلناه عالمين باستحقاقه التفضيل وهدى ورحمة
حالان من الضمير المنصوب او نصب على العلة • هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون • اى ما ينظرون
الا ما يؤول اليه امرهم من ظهور صدق ما وعدوا به من عذاب الدنيا والاخرة وهم وان كانوا جاحدين لكن بعضهم كان يتشكك فيه فينتظر
والباقون حالهم كحال المنتظر ويوم القيمة يقول الذين نسوه حيث تركوا الاستعداد له قد جاءت الرسل بحقية الحشر والنشر
ومجئ الساعة وحينئذ يقولون هل لنا من شافع يشفع لنا او هل نرد ورافع نرد خلوه عن الناصب والجازم بوقوعه ويقرأ بالنصب
للعطف على فيشفعوا او على تأويل او بحتى اى ان يشفعوا لنا حتى نرد وما يقرأ برفع نعمل فعلى تقدير فنحن نعمل فلم يجابوا الى ما سألوا
من ضمان عمل يخالف عملهم او لا لخسروا انهم لم يجدوا ما طلبوا ولم ينفعهم عبادة الاصنام ولم ينتفعوا بنصرة الاديان الباطلة
ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • وجه الارتباط انه لما كان الكلام فى المعاد ولا يتم الا بقدرة الحق
سبحانه وعلمه اتبعه بما يدل عليهما لاسيما ومدار القرآن على اربع مسايل التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وكان اللايق ذكر بعضها
مع بعض واصل الست سدس بدليل تصغيره على سديس ادغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والخلق التقدير وهو باعتبارات
منها تقدير ذواتها بمقدار معين وحيث جاز عقلا ان يكون بالنقص والزيد علم افتقاره الى الفاعل المختار وكذلك الكلام فى كون بعضها
اعلى من بعض واختلاف اشكال الكواكب وتفاوتها فى الكمودة والحمرة والبياض واشراقها والمراد بستة ايام مقدارها كما فى قوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اى مقدارهما لانه لا ليل ولا نهار وذلك لان اليوم على ما عرفه الخليل مقدار زمان طلوع الفجر الى غروب الشمس
وقيل خلقها لم يوجد وفى خلقها قدرا مع امكان خلقها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار لاسيما وكان قد اشتهر ذلك عندهم بنقل
التورية فكانه قال ان ربكم الله الذى سمعتم وعرفتم انه خلق السموات والارض فى هذه المدة والمراد خلق ما بينهما ايضا لانه قد ورد فى
موضع آخر وهو سورة السجدة ان خلق المجموع فى هذه الستة اولها الاحد واخرها الجمعة وقيل كل يوم كالف سنة واصل جميع الحساب
من ستة ومنها يتفرع ساير العدد بالغا ما بلغ واما الاستواء على العرش فلا يمكن حمله على ظاهر الاستقرار وحمل ما نقل عن ابن عباس

اه

انه مثل قوله لكل نبإ مستقر لانه يلزم الجسمية والتناهى اما الاول فلان كل متحيز فجهته بمينه غير يساره فيلزم المركب المحوج الى الاجزاء المستلزم
للامكان واما الثانى فلانه يكون متناهيا من الجانب الذى يلى العرش فيكون محدثا والبراهين على بطلانه كثيرة وللعلماء فيه طريقان
القطع بكونه سبحانه متعاليا عن المكان والجهة وعدم الخوض فى التأويل وتفويض علمه الى الله سبحانه قال صاحب المفاتيح وهذا المذهب
هو الذى نختاره ولعل هذا هو المنقول عنهم انه صفة لله بلا كيف اى استوى على الوجه الذى اراده منزها عن الاستقرار والتمكن والثانى
الخوض فى التأويل قال القفال العرش فى كلامهم السرير يجلس عليه الملك ثم جعل كناية عن الملك يقال ثل عرشه اذا انتقض واذا استقام
يقال استوى عرش الملك ويدل عليه قوله سبحانه فى موضع آخر بعده يدبر الامر فانه كالتفسير لقوله استوى وانما سمى السرير الملك على وجه
التشبيه لانه جسم محيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه والامور والتدابير تنزل منه وفسر بالاستيلاء وتخصيصه لكونه اعظم
الكل وقدح فيه ان ذكر ثم يشعر بتراخى الاستيلاء فيكون محدثا واستيلاء الله سبحانه ليس بمحدث ولقايل ان يقول لم لا يجوز ان يتعلق
الاستيلاء حدث بعد حدوث محل الاستيلاء وهذا هو الجواب عن قولهم التفسير بالاستواء على الملك يشعر بانه لم يكن من قبل فانه سبحانه
قبل خلق العالم قادرا عليه لكونه لم يكن موجدا لها باعيانها فان احياء زيد مثلا واماتة عمرو ونحوهما لا تحصل الا بعد وجودها ويغشى قرئ
بالتخفيف والتشديد والاغشاء والتغشية الباس الشئ الشئ ويحتمل ان يريد الليل النهار وعكسه وما يقرأ بنصب الليل ورفع النهار
يؤيده اذ المعنى يدرك النهار الليل وقيل يغطى الليل بالنهار ولم يذكر عكسه للعلم به ومعنى يطلبه حثيثا تعقبه سريعا كالطالب له وهو فعيل
من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الضمير المرفوع او المنصوب اى حاثا او محثوثا وذكر فى المفاتيح ان وصف هذه
الحركة بالسرعة لانها حركة الفلك الاعظم وهى اسرع الحركات وقال ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا ان الانسان
الى ان يرفع رجله ويضع فى غاية سرعة العدو يتحرك الفلك الاعظم ثلثة آلاف ميل وللشمس حركتان احديهما بحسب ذاتها وتتم فى سنة
واخرى بحسب الفلك الاعظم وتتم فى يوم وليلة والليل والنهار يحصلان بحركة لا بالشمس ولذلك يغشى على استوى وقرئ الشمس
الى آخر المعطوفات مرفوعة بالابتداء وبالنصب اى جعل ويدل عليه واسجدوا لله الذى خلقهن ومسخرات حال منها ومعنى له الخلق
والامر ان كل ما سوى الله اما من عالم الخلق وهو التقدير فالاجسام والجسمانيات منه لاختصاصها بمقادير معينة وما كان بريئا
منها كالارواح فمن عالم الامر وعالم الخلق فى تسخيره سبحانه وعالم الامر فى تدبيره ومعنى تبارك تعالى بتوحده بالالوهية وتعظم بتفرده
بالربوبية قال فى الانوار تحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق لها الذى له الخلق والامر فانه
خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فانه ابدع السموات وزينها بالكواكب واليه اشار بقوله فقضاهن سبع سموات فى يومين
وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار و
الافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل ثم انشأ ما عداها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين
لما سبق من المذكور فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض
بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالى والايام ثم صرح فيه فذلكة التقرير ونتيجته فقال له الخلق تبارك الله رب العالمين

ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين • ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين • تضرعا اي متذللين واصل التذلل الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل اذا مال
باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخفية اي سرا واخلاصا ويحتمل نصبها على العلة وقرء خفية بالكسر والحسن رضي الله عنه قد بالغ في السر
في الاعمال الصالحة اولى لا سيما في الدعاء واستشهد بالاية قال للناس رفعوا اصواتهم بالتكبير والتهليل ايها الناس والله سبحانه قد اثنى
على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا وحمل المعتدين على المجاوزين اذ الكلام فيه
كالذين يسألون درجة الانبياء او على من لا يستحقه او الذي رفع صوته عند الدعاء لما روي انه عليه السلام قال للناس رفعوا اصواتهم
بالتكبير والتهليل ايها الناس اربعوا على انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم او التصنع فيه والحمل على الاعم
اولى اي المجاوزين المأمور له غير ان قوله عليه السلام سيكون في امتي قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اسألك الجنة
وما قرب اليها من قول ثم قرأ الاية انه لا يحب المعتدين قرينة تحسن العمل عليه والافساد بمنع الناس عن الايمان وبهو كفر او المعصية
والظلم واصلاح الارض ببعث الانبياء وتمهيد الاديان والمنع عن المعاصي وحمل على لا تعصوا فيها فيمسك الله القطر بشؤمها
وخوفا وطمعا منصوبان على الحال او العلة وقرب الرحمة من المحسن لا يدل على انها لا تلحق المسيء كما قيل بل بيان القرب من المحسن بحسب الوعد
وفيه تنبيه على ما يتوسل به الى اجابة الدعاء والقائل ان يقول لو حمل على ان المقصود الاشارة الى ان الاعادة من المخوف والانعام
بالمطموع فيه اللذين الرحمة عبارة عنهما يستعد لهما المحسن كان مناسبا وتذكير قريب مع انه صفة المؤنث لارادة الرحم
او تقدير امر قريب او للتشبيه بالذي بمعنى المفعول كما عكس في قتيل قتلا واسرا او ينبغي ان بفعيل بما اذا جرى على الاسم مثل ملحفة جديد
او للتفرقة بين القريب من النسب وغيره او لانه بزنة المصدر كالنقيض وفي الاية اشعار بان الدعاء من ابواب العبادات
وفيه اظهار ذل العبودية ولا عبرة بقول من انكره نظرا الى ان ما قدر وقوعه يقع وما لا فلا فان ما اقتضت الحكمة توجد وما لا فلا وانه لعدم
الرضاء بالقضاء وقوله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقول الخليل كفى علمه بحالي عن سؤالي
لان المذكورات اولا برد في كل العبادات والاخران يقولا باحوال المقربين في بعض الاحيان للايات والاخبار الكثيرة في هذا الباب
وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل
الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون • قرئ الريح وارسالها اثارتها سهلة الهبوب من عال وقرئ بفتح النون حيث وقع
على انه مصدر وقع حالا ونشرا بضم النون والتخفيف اي ناشرات جمع نشر ويقرأ به وبفتح الباء مصدر نشره بمعنى ناشرات
او بشرى للبشارة وهي قدام المطر قيل لا يقع قطرة من الغيث الا بعد عمل اربع رياح الصبا يهيج السحاب والشمال يجمعه
والجنوب يدره والدبور يفرقه وكان ينبغي ان يقال ثلث لان الدبور لا مدخل لها فيه ومعنى اقلت رفعت او حملت والاقلال رفع
الشيء بتمامه من القلة فان المقل يستقي او احياء بلد ميت والضمير في انزلنا به للبلد او السحاب او السوق وكذلك في اخرجنا به
وهنا يحتمل عوده الى الماء والباء للالصاق اذا كان للبلد في الاول وفي الثاني للظرفية وفي غيره للسببية والثمرات المخرجة هي

مطلب في بيان اولوية السر في الاعمال

مطلب لطيف جدا

مطلب

هي انواعها وظاهر اللفظ يقتضي ان يكون الخلق بواسطة الماء لكن المذهب ان الثمرات غير متولدة من الماء بل الله اجرى عادته بخلق النبات
عادة عقيب اختلاط الماء بالتراب وما قال اصحاب الطبايع بان الله تعالى اودع فيه قوة توجب ذلك بان طبيعة الماء والتراب واحدة
ونجد انه يتولد في النبات الواحد احوال مختلفة كالعنب فان طبع قشره وعجمه البرودة واليبوسة ولحمه حار رطب ولو لم يكن بارادة
الفاعل المختار بل بالطبع لما اختلف لمحال وقوله كذلك نخرج الموتى للتشبيه وجهان انه كخلق النبات بواسطة الامطار لما روي انه
لما مات الناس في النفخة الاولى مطر عليهم اربعين عاما وروي اربعين يوما حتى كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان
فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم وكما ينبت الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى
عليهم نوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم وعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والثاني
ان التشبيه لما وقع باصل الاحياء بعد ان كان ميتا والمعنى كما انه سبحانه احيى هذا البلد بعد خرابه فاوجد فيه الشجر والثمر فكذلك يحيي الموتى
بعد ان كانوا امواتا لان من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيقدر على احياء الميت والمقصود اقامة الدلالة على حقية البعث
والقيمة ولا ينبغي ان يعتقد اختصاص الحيوة بانزال ذلك المطر لان الله قادر على خلق الحيوة في الاجزاء المتفرقة بعد جمعها من غير واسطة ذلك المطر
نعم لو قيل انه سبحانه قد اجرى عادته بخلق الانسان من المني فكذلك يخلقهم منه فهو غير بعيد ومعنى التذكر الفكر في ان من قدر ان يحيي الارض الميتة
والاشجار اليابسة وغيرها قدر على احياء الميت لقبولها الحيوة واستوائية القدرة على الكل • والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون • يريد ان الارض الطيبة التراب الذي ليست بسبخة ولا حجرة
يخرج نباته بعلم الله ومشيته او تيسيره او حفظها من الافات والسبخة التي لا تنبت ما ينتفع به لا يخرج الا قليلا والنكد الذي لا خير فيه
واصله العسر والشوم اي البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا وهو ضد الاول لانه يخرج نباته حسنا وافيا وهو في موضع الحال
والمستكن في يخرج بدل عن المجرور الذي هو مضاف اليه بالنبات وهو الراجع الى البلد وهذا اذا لم يقدر نبات الذي خبث ويقرأ
يخرج من الاخراج ونكدا بفتح الكاف وسكونها على المصدر اي ذا نكد وهذا مثل من يسمع الايات وينتفع بها ومن لا يرفع اليها رأسه
ولم يتأثر بالمواعظ كالكافر او ادم وذريته من الطيب والخبيث وفيه اشارة الى ان بعض الارواح طيبة في جوهرها قابل للخير مستعد له
وبعضها بالعكس وان الخير والشر لا يكون الا من الله ومعنى كذلك ان نصرفنا للايات وتكريرها مثل ذلك التصريف وذكر يشكرون هنا
لان المذكورات نعم جليلة من الرياح والامطار واصناف النبات والاشجار وفيها الاشارة الى النعم المعنوية • لقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملاء من قومه انا لنريك في ضلال مبين
قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون • وجه الربط
قال ابن عباس معناه بعثنا وقال آخرون معناه حملناه رسالة يؤديها فعلى هذا النعت كالتابع وهذا البحث يبنى على خلاف
في الاصول هل من شرط الرسول ان يعرفهم على لسانه من الاحكام ما لا سبيل لهم اليها بعقولهم او الحكمة بمجرد تاكيد ما في العقول
وهذا البحث لا يليق الا بمذهب المعتزلة لانهم القائلون بالحسن والقبح العقليين ونوح سبط ادريس عليهما السلام

مطلب

لانه نوح بن لملک بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ارسل وهو ابن خمسين وقيل اربعين سنة واكثرية ذكر قد مع لام القسم
لان القسم لتاكيد مفهوم الجملة المقسم عليها فهي مظنة التوقع المستفاد من قد ونحو حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقرئ غيره بالرفع على محل انه صفة الاله باعتبار المحل اذ التقدير اله غيره والجر على اللفظ ويقرا بالنصب على الاستثناء وفيها ضعف
ومعنى الاله المعبود ليكون النفي والاثبات واردين على شئ واحد والجملة الاولى بعد اعبدوا والثانية جهة الاختصاص بالعبادة
والثانية لبيان سبب العبادة حيث لا يخاف عقاب غيره والخوف بمعنى اليقين لانه عليه السلام كان يتحقق نزول العذاب وقيل
للشك لان اسلامهم محتملا او لعله لم يوح اليه بعد او التردد في كيفية العذاب ويحتمل انه يؤيد هذا التقدير بالاختلاف في اليوم هل هو
يوم القيمة او يوم الطوفان وسمى اشراف قومه ملأ لانهم كانوا يملون صدور المجالس او القلوب هيبة وقيل رجالهم والرؤية
هنا للقلب والعدول في الجواب عن الضلال المطابق الى الضلالة لانه نفي ما هو اخص على ما ذكر في الكشاف وهو ليس بسديد لانه
لا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم بخلاف العكس هذا وانه لم يتحقق معنى الاخص لانه الذي قد يوجد الاعم بدونه وهنا ليس كذلك
لانه كلما وجد الضلال فقد وجد الضلالة وقال في المفاتيح انواع الضلال وهو ابلغ في عموم السلب وفيه نظر لان النكرة في سياق
النفي تعم ما دل عليه اللفظ فالمنفي افراد الضلال ودلالته على انتفاء الانواع بطريق المفهوم ولا كذلك في انواع الضلال المستفاد
من قوله ليس بي ضلالة فالحاصل منع كونه نفي الانواع ثم وصف كونه رسولا من عند الله يقتضي انه لا يكون على الضلال بل على
كمال الهداية فيصح الاستدراك به عن النسبة الى الضلال ويؤيده قوله ابلغكم سواء جعل استئنافا لتقرير امر الرسالة او صفة لرسول
والتقدير الثاني لا ينافيه كون الرسول كالغائب لانه في معنى المخاطب حيث وقع خبرا عن ضميره فهو كقوله انا الذي سمتني امي حيدره وجمع الرسالة
اما لتكررها او لانواع مقاصدها كالاحكام والامثال والمواعظ او لاشتمالها على رسالات من تقدمه من الانبياء كصحف ادريس
وشيث عليهما السلام والنصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكر قال الفراء العرب لا تكاد تستعملها الا باللام
وجاء النصحك قال النابغة · نصحت بني عوف فلم يتقبلوا · رسولي ولم ينجح لديهم رسائلي · والمعنى اني ابلغ اليكم تكاليف الله ثم ارشدكم
الى الاصلح الاصوب ومعنى اعلم من الله اي اعلم انكم ان عصيتم عاقبكم بالطوفان او في الاخرة عقابا شديدا لا يتصوره عقولكم
او من التوحيد وصفات الجلال والمقصود ان يرجعوا الى طلب تلك العلوم وقيل لم يسمعوا القوم حل بهم العذاب وكانوا اساس
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين · استفهام انكار عطف به على محذوف اي اكذبتم وعجبتم من ان ياتيكم موعظة من الله بواسطة رجل
منكم او وحي او رسالة وتعجبهم من نبوة نوح حيث قالوا ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين اي ارسال البشر ولينذركم علة مجئ الذكر
اي ليحذركم وخامة الكفر ولكي تتقوا عبادة الاصنام وتخشوا بسبب الانذار ولترحموا بسبب التقوى وفائدة لعل ان المتقي ينبغي
ان يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله فنسبوه الى الكذب فانجينا نوحا والذين معه اولاده سام وحام ويافث وثمانون رجلا
واربعون امراة وقيل اربعون رجلا وقيل ستة رجال ومتعلق في الفلك معه اي استقروا او صحبوه في السفينة او انجيناهم فيها



من الغرق وعمين من عمى القلب وهي صفة مشبهة فتدل على الثبوت بخلاف ما يقرأ عامين وقيل جاهلين وقيل ضالين · والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ·
عطف على نوح اي وارسلنا الى عاد وهي عاد الاولى عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح والاخوة قيل في النسب وهود بن عبد الله
وقيل ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهو عطف بيان وقيل واحد منهم نحو يا اخا العرب وانما جعل الرسول واحدا منهم لانهم افهم
عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وعدم العاطف كما في قصة نوح لان في اشرافهم من امن كمرثد بن سعد ولم يكن في اشراف قوم نوح
مؤمن ونسبتهم النبي الى خفة الحلم بهجرانه دين قومه الى دين اخر وجعل السفاهة ظرفا بعلاقة التمكن فيها · قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون · هذا الجواب ونحوه في مقابلة التصريح
بالنسبة الى السفه وقلة العقل مع استحقاق القليل اضعاف ذلك تعليم في كيفية مخاطبة السفهاء كما اشار اليه بقوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما ووصف نفسه بالنصح والامانة وهي من اعظم صفات المدح بعد ذكر كونه رسول رب العالمين وكان يجب عليه اعلام
القوم بها وبعلم ان مدح النفس للضرورة جائز فان قيل لم اكتفى ههنا بذكر مجرد الانذار وفي الاول ذكر التقوى ورجاء الرحمة قلنا
لعل العلم بعدم افادة النصح فيهم كان اشد واكد وانهم هالكون لا محالة ثم امرهم بان يذكروا انعم الله عليهم بان جعلهم خلفاء الارض
بعد هلاك قوم نوح اذ جعلهم ملوكا واعطاهم بسطة الخلق حتى كان اقصرهم ستين او سبعين او ثمانين ذراعا واطولهم مائة وقيل
طول كل اتباعه واذ مفعول لا ذكر ثم امرهم بان يذكروا اعطيات الله تعالى في الاستخلاف وبسط الخلق والآلاء جمع الى بالكسر كمعاد
هو الارجح وقيل بالفتح كعفا وقيل الى كمعى نحو آناء واني لبصير ذلك التذكر سبب الشكر بالتوحيد واتباع الرسل ويفضي الى الفلاح وهو
البقاء في الجنة · قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع
عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين ·
المجئ اما على حقيقته فانه كان له معتزل يتعبد فيه فلما اوحي اليه جاءهم للدعوة او استهزاوا به بسبب المجئ اليه فقالوا اجئتنا كما يجئ الملك
حيث ان لا يأتي بالرسالة الا الملك او التعريض به كما يقال ذهب يسهر واستبعاد عبادة الله وترك الاصنام ودين الاباء لانهم
بتقليد قدمائهم وتمادل افلا تتقون على الوعيد بالعذاب استعجلوا به بقولهم فاتنا بما تعدنا على اعتقادهم انه كاذب كما قالوا انا لنظنك
من الكاذبين ومعنى وقع حق ونزل عبر عن المتوقع بالواقع نحو ونادى ومن جعل الترقب كالحاصل قول حسان لا ارحس قال
يعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة قد قلت الشعر والرجس قيل العذاب وليس بسديد لان الغضب العذاب فيلزم التكرار
بل هو ضد التزكية فالمعنى ان الله خصهم بالعقايد الباطلة والافعال المذمومة وهو يدل على ان الخير والشر من الله تعالى ثم قال اتخاصمونني
في اثبات الالهية اشياء ليست الا مجرد الاسماء لا مسميات لها لان معنى الالهية الذي جعلتموه موضوعا لها معدوم فاستحقاقها
للعبادة لم يكن الا بجعله سبحانه بانزال اية ونصب حجة وهو باطل فلم يبق الا مجرد التسمية واسناد الاطلاق الى من لا يلتفت الى قوله

نهاية الجهل واستدل به على ان الاسم عين المسمى والمنع ظاهر وان اللغات توقيفية والا لما استحقوا الذم واجيب بان الذم للاعتقاد

ومعنى فانتظروا انه لا تحقق الحكم على الباطل والعناد فانتظروا العذاب فانى معكم من المنتظرين نزوله فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا

دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين. اى انجينا هودا ومن آمن به بسبب نعمتنا عليهم واهلكنا اخر من بقى من المكذبين

هلاك الاستيصال بسبب التكذيب وفيه تعريض بالمؤمنين منهم واشعار بان سبب النجاة هو الايمان روى انهم لما كذبوا

هودا واصروا على عبادة الاصنام حبس الله القطر عنهم ثلث سنين وكان الكفار حينئذ ايضا اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت

الحرام وطلبوا كشفه من الله فجهزوا قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان بمكة اولاد العمالقة اولاد عمليق بن لاود

بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة اكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا شهرا يشربون ويغنيهم

الجرادتان قينتان فلما راى ذهولهم عما جاؤا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

الا ايا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فقال مرثد والله لا يسقون بدعائكم

ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقاكم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا فقال

قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله ثلث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك

فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم

فاهلكتهم. والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل فى

ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب عظيم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها

قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين. عاد اسم قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم

الاكبر ثمود بن عاد بن سام وقيل لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل كانوا يسكنون الحجر بين الحجاز والشام والى وادى القرى

وقرئ مصروفا بتاويل الحى ومنعه للقبيلة روى انه لما اهلك عاد قام ثمود مقامهم وطال عمرهم وكثر تنعمهم ثم عصوا الله ورسوله

وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا وكان منهم فطالبوه بالمعجزة فقال ما تريدون قالوا اخرج معنا فى عيدنا ونخرج اصنامنا

وتسأل الهك ونسأل اصنامنا فان ظهر اثر دعائك اتبعناك وان ظهر اثر دعائنا اتبعتنا فسألوه ان يخرج لهم ناقة من صخرة

معينة فاخذ مواثيقهم ان فعل ذلك امنوا فصلى ركعتين ودعا الله فتمخضت تلك الصخرة كتمخض الحامل فخرجت من وسطها

ناقة عشراء وكان فى غاية الكبر فقال قد جاءتكم بينة وهى المعجزة الظاهرة الدالة على صحة نبوتى ثم استانف لبيان الاية بهذه

ناقة الله وآية نصب على الحال والعامل اسم الاشارة وتخصيص الاية بهم لانهم الطالبون لها او المشاهدون اليه وجعل ناقة بدلا منه

اولى من عطف البيان بحسب الاصطلاح واضافتها الى الله اما للتعظيم او لظهورها من غير اسباب معهودة وفى اكلها من ارض الله

يعنى عشبها وكلاهما اشارة الى تسهيل مؤنتها وقرئ تاكل وهو فى موضع الحال والمس مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع

الاذى اى لا تقربوها بنحر وعقر والامر بذكر جعل الله سبحانه اياهم خلفاء حيث ازالهم واسكنهم يقال باء اذا رجع والمباءة المنزل



وتتخذون اشارة الى ان الله وسع عليهم الامر حتى صاروا ارباب قصور وحصون تتخذ من سهل الارض حيث عملت من اللبن

والاجر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون وبيوتا اما مفعول به او حال مقدرة كقولك ابر هذا القلم قصبا فانه لا يكون حالة النحت

بيتا وكانوا ينقبون فى الجبال البيوت لان الابنية كانت لا تفى باعمارهم والامر بذكر نعم الله ليكون كالمحرض على القيام بشكرها بالايمان

واتباع الرسل. قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه

قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح

ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين. اى قال اشرافهم المستكبرون عن الايمان للذين

استضعفوهم واستذلوهم ولمن آمن بدل منهم ولهذا اعيد العامل والضمير يرجع الى القوم او المستضعفين وعلى الاول يكون

من آمن بيانا للمستضعفين فيعلم تخصيص الاستضعاف بالمؤمنين وعلى الثانى يعم الفريقين وقولهم انا بما ارسل به مؤمنون

جوابا عن قولهم اتعلمون وحمل سؤال المستكبرين على انه على وجه السخرية وفيه اشعار بان الفقر خير من الغنى فان الاستكبار يتولد

من كثرة المال والجاه والعقر على ما ذكره الازهرى كشف عرقوب البعير واطلق واريد به النحر لانه سببه واسناده الى جميعهم مع انه

قول بعضهم لانهم رضوا به والعتو الاستكبار يقال عتا يعتو عتوا وجبار عات ومعنى عن امر ربهم عن امتثال امره وذلك الامر

هو الذى اوصله الله اليهم على لسان صالح عليه السلام وهو ذروها اذ المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم وصار سبب اقدامهم

على ذلك العتو وطلبهم الموعود لانهم كانوا يكذبونه فى الوعد والوعيد والرجف الزلزلة يقال رجف الشئ رجفا نا رجفان البعير

تحت الرحل والجثومة للناس بمنزلة البروك للابل اى اصبحوا هامدين لا يتحركون موتى روى انه لما خرجت الناقة نتجت ولدا

مثلها فى العظم وعظاوهم يرونها فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة

ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى يملؤا اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت

تصيف بظهر الوادى فيهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها

لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها وكان يوم الاربعاء واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح

لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا

مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض

فلسطين ولما كان ضحوة الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم ولم يبق منهم الا رجل كان

فى الحرم يقال له ابو رغال فلما خرج اصابه ما اصابهم روى انه النبى عليه السلام مر بقبره فاخبر اصحابه بحاله وانه دفن معه غصن

من ذهب فبحثوا عنه باسيافهم واستخرجوه وقيل كان قد ارسله صالح عليه السلام الى قوم فخالف امره روى ان النبى عليه السلام

مر بالحجر فى غزوة تبوك فقال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا

باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم وقال يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى

الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال تلك فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
والتولية لما ذكرت بالفاء التعقيبية اشعرت ان صدوره لم يكن الا بعد هلاكهم تحسرا على فوات ايمانهم قائلا انه جهد في ابلاغ
الرسالة والنصيحة ولكن لا تحبون الناصحين على حكاية حال ماضية كما خاطب النبي عليه السلام قتلى بدر ومثله ما يقال لمن القى بيده
الى التهلكة يا فلان كم نصحتك فلم تقبل مني وان جعل التعقيب للدعوة فيكون صدوره عند رؤية العلامات منكرا على اصرارهم
ويؤيد الاول ما روي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم بهلاكهم وكانوا الفا وخمسمائة
دار فرجعوا وسكنوا ديارهم ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون عطف على نوحا اي ارسلنا او بتقدير اذكر لبعد المعطوف عليه واذ بدل اشتمال منه
وقومه اهل سدوم والاستفهام للانكار والفاحشة اللواط سمي بها لتناهيها في القبح وهم سبقوا بها على اهل العالم لم يعرف احد
قبلهم ذكرا على ذكر ولهذا اكد استغراق النفي بمن ومن الثانية للتبعيض ولا محل للجملة لانها استيناف اجيب به من قال لم لا تفعل
ويحتمل ان يكون جوابا من سال عن كونها فاحشة وائنكم لبيان الفاحشة وبغير همزة الاستفهام اخبار استونف به وقرئ انكم
ومعنى الاتيان هو الاتيان بالشهوة كما يقال اتى المراة وجعل شهوة مفعولا له اولى من الحال للاشعار بان لا باعث عليه سوى
الشهوة مع ان العقل يقتضي ان يكون المقصود من الوقاع التناسل وفي الجملة قبح هذا الفعل كالمقرر في الطباع السليمة لا يحتاج
الى اقامة الدليل عليه وايضا يشبه حال البهيمة حيث لم يقصد سوى اللذة وايضا يلحق ذلك عارا بالمفعول يبقى ابد الدهر وكيف
يسوغ العقل ذلك لقضاء لذة ساعة وحمل الاسراف على اسرافهم في كل شيء فلا يبعد هذا منهم ايضا والاضراب لرد جواب عسى ان يذكر
وقيل بل اضراب الى جميع المعايب ولعل ذكر الاسراف هنا والجهل في النمل لانه فعل الجاهل وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
ذكروا في معرض الجواب ما يشعر بانه ليس بجواب لان المذكور تعظيم وذم الاسراف فما القول باخراجه واسمه رعورا ورسا او هي رعشا
واخراج من معه من المؤمنين ضجرا من صحبتهم يدل على انه لا ينفع فيهم الوعظ والزجر ووصفهم لوطا ومن معه بالتطهر على وجه الاستهزاء
وتبجحهم بالفواحش على طريقة الفسقة المتمردين ابعد عنا ايها المتزهد وايضا لما كانت اللواطة مباشرة محل النجاسة يكون المتبعد
عنها هو المتطهر وقيل يترقبون الاطهار وقيل يتقززون من اتيان الادبار وانجاء اهله انجاء المختصين به من اقاربه او المؤمنين
واما امراته فقد كانت من الباقين في ديارهم الهالكين وجعل التذكير لتغليب الذكور على الاناث ولقائل ان يقول لعل ذلك على طريقة
قوله تعالى وكانت من القانتين فان عبادتها ادرجت مع عبادة الرجال لقوتها وهنا جعل سيء فعلها كفعل فسقة الرجال حيث كانت
موالية لاهل سدوم والتفتت لما سمعت صوت العذاب فاصابها حجر فماتت وقيل الباقين في العذاب او الفانين تحت الحجارة
وقيل المؤتفكات خمس مدائن بين المدينة والشام وقيل كانوا اربعة الف فامطر عليهم الكبريت وقيل خسف بالمقيمين وامطر الحجارة
على مسافريهم وقيل الخسف بعد المطر وقيل ان حجرا كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما وروي انها قلعت ورفعت حتى سمع الملائكة

صوت

صوت الديك ثم انقلبت وتنكير المطر للتعظيم اي مطرا عجيبا والفرق بينه وبين مطر ان الثاني لاصابة المطر والاول ارسال
كارساله ومنه وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقيل مترادفان غير ان الثاني افصح وفيه دليل على وجوب الحد في اللواط لانه ثبت
في ذلك الدين ولم يظهر له ناسخ فيجب العمل به وبه فبهداهم اقتده وان كان الجواب في الاصول والى مدين اخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين مدين سبق انه اسم ابن ابرهيم عليه السلام وقيل قبيلة او بقعة ومن قال الثاني انشد
رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم من شعف العقول الفادر وعلى هذا التقدير ارسلنا الى اهل مدين وعلى انه القبيلة
ارسلنا الى مدين وشعيب عليه السلام ابن ابنه لوية وقيل ميكائيل ومن حسن مراجعة قومه يدعى خطيب الانبياء وما قيل انه
لا معجزة له يبطله قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة شاهدة بصحة نبوتي فيلزمكم الاخذ بكلامي من التوحيد وترك البخس والتطفيف
والايفاء اتمام الشيء الى حد الواجب فيه وكانوا اهل بخس في المكاييل في موضع اخر واجيب بان المراد به المكيال او تسمية
لما يكال به كالعيش وهو لا ينهض جوابا عن طلب المرجح وكذا قولهم وزان الميزان لاتجاه السؤال بالعدول عن العكس وهو ايضا
وارد في ارادة المصدر بالميزان نعم لقائل ان يقول لما كان غالب معاملتهم في المطعومات بالمكيال والموزونات كالنقدين بالميزان
اختير الصيغة الاقوى في الدلالة على العناية في الاهم لانها المقصودة بالذات دون النقدين ومعنى البخس نقص الحق اي لا تنقصوا
حقوقكم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن ولا تمكسوا ولهذا ذكر الاشياء لانهم كانوا يمكسون كل شيء ادخل بلدهم وكذا ينقصون
الناس كل ما يتعامل به او كانوا يعطون الزيوف بدل ما ياخذون من الجياد او يقطعونها وياخذونها بنقص ومنع الافساد
بعد اصلاح الانبياء واتباعهم بالشرائع الحقة لانه اقبح واضافة الصلاح الى الارض كاضافة المكر الى الليل والنهار وذلكم اشارة
الى جميع ما تقدم من المامور والمنهي وكون ذلك خيرا بالنظر الى عادات الناس وايضا انما يرغب في معاملة من يكون كذلك والا
فلا خيرية في بقائها ويحتمل ان يراد مطلق الخيرية لا الزيادة والشرط غير متعلق بالخيرية فانها ثابتة وان لم يكونوا مصدقين له في قوله بل علمهم عليها
والعمل بمقتضاها يترتب عليه ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين الارجح ان المراد بالصراط سبيل الله لقرينة ويصدون عن سبيل الله اذ المعنى لا تقعدوا
بكل سبيل من سبل الله مهددين الناس بالمكان صادين عنها طالبين الزيغ والاعوجاج قائلين للناس انها سبيل معوجة
فيكون اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم اذ تهكم بهم فان تحصيل الاعوجاج لها محال وتعدد الصراط
باعتبار تشعبها الى المعارف والاحكام والحدود حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم او تهكم بهم فان تحصيل الاعوجاج
كانوا يصدون الناس عن جميعها اعني ان من اراد ان يؤمن بالله او بالصراط الحق ووضع الظاهر وهو سبيل الله بدل الضمير
لزيادة التقبيح ومن مفعول يصدون لانه اقرب من توعدون ويدل عليه انه لم يقل يصدونهم عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق

الجزء التاسع

ويقولون لمن قصد الايمان به انه كذاب لايفتننك عن دينك او كانوا عشارين او قطاع الطريق واذ مفعول اذكروا اي
المعنى اذكروا وقت قلة عددكم فشكروا الله حيث وفر عددكم او كنتم فقراء مقلين فجعلكم موسرين وتؤيد الاول ماروي ان مدين
بن ابرهيم تزوج بنت لوط فكثر نسلها او كنتم عجزة فجعلكم ذوي مقدرة والمفسدين تشمل اخر من افسد قبلهم من الامم كقوم نوح وهود
وصالح والتخصيص بقوم لوط لانهم اقرب عهدا اليهم فيكون الذكور احرا بمنع العصيان والخطاب بالصبر حمل على ارادة المؤمنين
تسلية والكافرين وعيدا او للفريقين وحكم الله نصر المحقين على المبطلين وكونه سبحانه خير الحاكمين لاستحالة الحيف والظلم في حقه فلا بد
وان يخص المؤمن بالدرجات والكافر بالعقوبات • قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين •
اي قال المتعظمون عن قبول الايمان واصل عاد وان كان يستعمل فيما عمل مرة لكن المراد قومه الذين آمنوا بعد كفرهم وغلبوا الجماعة
على الواحد فجعلوهم عائدين وهكذا اراد شعيب في الجواب حيث نظم نفسه مع قومه على وجه التغليب لانه لا يصح الكفر على الانبياء مع انه
لا يصح عليهم الصغاير الا سهوا اما لبس فيه تنفير وقد يستعمل العود للابتداء قال • تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا •
ولم يكن اللبن بولا وقيل بتخصيص الخطاب بالقوم وقيل خوطب به بزعمهم لانه في الاول كان يخفي الدين والمعنى احد الامرين لا بد منه
اما اخراجكم واما عودكم فاجاب بانه كيف نعود اليها ونحن كارهون والكاره للشيء لا يصير اليه باختياره او اجبرتنا عليه فقال قومه نعم
وهذا المعنى مستفاد من كون الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير انعيدنا في ملتكم حال كراهتنا فقال قد اختلقنا الكذب
على الله ان عدنا اليها بعد ان خلصنا الله منها وذكر الافتراء مقيدا بالشرط يحتمل وجهين ان يكون مستانفا للتعجب اي ما اكذبنا على الله
لان كفر المرتد اعظم حيث يوهم انه قد ظهر له ما يقتضي الارتداد او قسما حذف عنه اللام اي لقد افترينا على الله كذبا وما ينبغي لنا ان نصير اليها
الا ان يشاء الله كفرنا فانه مشية الله يصح وهو حجة على المعتزلة والتفسير بمنع الالطاف خلاف الظاهر وقد سبق غير مرة ان المكلف
ان لم يمكنه ترك الكفر كان مضطرا وان امكنه فلا بد من مرجح له ليس الا من الله دفعا للتسلسل وحينئذ يجب الفعل وقولهم انه على وجه
البعد كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط ونحوه معناه انه لا يقع ذلك كما لا يقع هذا وهذا الوجه مما ترتضيه المعتزلة حيث ينقطع تمسكنا
وذكر سعة علمه الدال على انه عالم بكل شيء مما كان وما يكون فيشمل احوال قلوب العباد من جهة الكفر والايمان في الحال والمآل للاشعار
بالعلة المانعة من العود لانه ماض يتناول كل ما مضى فيكون عالما في الازل بكل المعلومات وبغير ما محال نعت انه لزمت الاحكام وجفت
الاقلام والسعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه والكده بالتوكل على الله في التثبيت على الايمان والفتاحة الحكومة
اي احكم بيننا قال ابن عباس ما كنت اعرف معناه حتى سمعت قول ابنة ذي يزن يقول تعال افاتحك اي احاكمك وانزل عليهم عذابا
به يظهر امرنا في الحقية وامرهم في البطلان وكيف لا نسأل ذلك وانت خير الحاكمين وهو ثناء على الله واستدل به الاصحاب على ان الله
خلق الايمان لانه اشرف المحدثات وافضل الخيرات والايمان فتح لانه يفتح به ابواب الخيرات فلو كان العبد محدث الايمان لكان هو

خير

خير الفاتحين وفي الاستدلال نظر • وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على القوم الكافرين • هذا بيان ان ما جرى عليهم ليس مختصا بهم بل هكذا حكم الامم الماضية والباساء
ما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء ما نالهم في بدنهم وقيل بالعكس وفي الاية اضمار اي فكذبوه وبين ان ذلك انما فعله لكي يتضرعوا بالخضوع
والانقياد لله تعالى والسيئة ما يسوء صاحبه والحسنة ما يلايم العقل والطبع والمعنى ان تدبير الله معهم ليس على نسق واحد بل بما يكون
الى حصوله الايمان لان حصول النعمة في المال والبدن بعد زوالها ادعى الى الشكر ومعنى عفوا اي كثروا يقال عفى الشعر اذا كثر ومنه الخبر
ان تحفى الشوارب وتعفى اللحى ويقال في السحم والنبات ايضا قال الحطيئة • بمستاسد القريان عاف نباته • استاسد النبات اي كثر
والقريان جمع القرى وهو نهر الزرع ومعنى مس اباءنا انه نالهم الشدة وليس ما يصيبنا جزاء افعالنا بل عادة الزمان ان يحدث في اهله
الشدة تارة والرخاء اخرى فاخذهم الله فجاءة من غير شعورهم بنزول العذاب • ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون • اي ولو ان الذين اهلكناهم من اهل القرى المذكورة امنوا بما يجب
الايمان به بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر واتقوا ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم اي وسعنا عليهم وقيل بركات السماء بالقطر
وبركات الارض بالنبات والثمار والمواشي ولكن لما كذبوا الرسل اخذناهم بالقحط بسبب كسبهم الكفر والمعصية ويجوز بالفتح
على التفسير تشبيها بالباب المغلق وقرئ فتحنا عليهم بالتشديد وقيل بركات السماء قبول الدعاء وبركات الارض فان قيل هل يجوز
جعل اللام في القرى للجنس قلنا قد ذكر ذلك وفيه نظر لان قوله لو حقيقة في وقوع الاخذ فلو حمل بالنسبة الى المهلكين على الحقيقة وبالنسبة
الى من سيوجد بالمجاز باعتبار تحقق الوقوع لزم استعمال اللفظ فيهما وهو مردود عند المحققين تسهيل الحوائج • افأمن اهل القرى
ان يأتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون •
البيات يطلق بمعنى البيتوتة والتبييت كالسلام بمعنى التسليم فالمعنى بايتين ووقت بياته او مبيتا او مبيتين والضحى في
الاصل اسم لضوء الشمس عند اشراقها وارتفاعها اطلق على صدر النهار وقيل اصله الظهور يقال ضحى الشمس اذا برزت فهو منتصب على الظرفية
وتخصيص الوقتين لانهما زمان الغفلة اما بالنوم او بالتشاغل باللذات او امور الدنيا فانها لعب ولهو او كفرهم لانه كاللعب وقرئ او
بسكون الواو وعلى الاول مثل ثم في ان همزة الاستفهام للانكار دخلت على حرف العطف عطف على قوله فاخذناهم بغتة وما وقع بينهما
اعتراض وتخصيص عطف الاولى بالفاء لان المعنى فعلوا ذلك فاخذناهم بغتة ابعد وقوعه امن اهل القرى اتيان باسنا وقت البيتوتة وامنوا
اتيانه وقت الضحى وعطف افامنوا مكر الله بالفاء لانه تكرير افامن اهل القرى وللقائل ان يقول تحقيق الجواب هو انه لما كانت الفاء مفيدة
للتعقيب والواو لمطلق الجمع كان التخصيص باعتبار ارادة التعقيب في الصورتين للعناية ووقوع الواو بين الفائين لانه لتقسيم
لا ذكر بالواو فلا ينافي التعقيب بالنظر الى مجموع المعطوف والمعطوف عليه والمراد بالمكر العذاب الغير المشعور به مكرا لان من مكر

ت وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء
والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء
ع فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون صح

باحد فانه يوقعه في العذاب من حيث لا يعلم ولا ينزل الا بالخاسر وهو الذي بسبب العقل لا يعرف الرب ولا يخافه فيخسر الدنيا
والاخرة بالعذاب فيهما ثم اردف سبحانه هذه القضية بان المراد من بيانها حصول العبرة للمكلفين في اديانهم والمعنى اولم يتبين
للذين يرثون الارض بعد اهلاكنا من كان قبلهم منها فيهلكهم بعدهم ومعنى او نطبع انه ان لم نهلكهم نطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون
ولا يتعظون وكلام يجتمع الاهلاك والطبع يعني ان يكون المراد اما الاهلاك او الطبع وهو دليل على ان الله قد يمنع العبد
عن الايمان بالطبع وقول المعتزلة المراد سمة يعرف بها اوانهم انما صاروا الى الكفر عند امره لا يخفى بطلانه ونطبع ليس بمعطوف
على ما قبله لانه مستقبل واصبنا ماض فلا يحسن بل التقدير ونحن نطبع قال صاحب المفاتح وما ذكر في الكشاف من العطف على ما دل
عليه اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية او معطوف على يرثون الارض لا على اصبناهم لانهم كانوا كفارا وكل كافر مطبوع على قلبه
وهو تحصيل الحاصل وهو ضعيف لان كونه مطبوعا انما يحصل حال استمراره وثباته عليه فهو يكفر اولا ثم يصير مطبوعا عليه في الكفر فلم يكن
منافيا لصحة العطف • تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين • اشارة الى القرى المذكورة لقوم نوح
وهود وصالح وشعيب حذر بها قوم النبي عليه السلام بان هؤلاء مع طول الامهال وكثرة النعم لما اغتروا بها جرى عليهم ما جرى
وفيه تسلية النبي عليه السلام والقرى اما يجعل صفة فهي خبرها بشرط ان يكون نقص حالا على طريقة هذا بعلي شيخا وان جعل نقص خبرا
فالمعنى انا نبين حالها بالانباء عنها ومعنى فما كانوا ليؤمنوا انهم ما امنوا عند اثبات الرسل بسبب تكذيبهم ايات الله قبل مجيئهم او
استمروا على التكذيب من وقت مجيئهم الى الموت وقيل ما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا قبله لقوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه او قبل رؤية المعجزات وبعدها سواء في عدم الايمان ومعنى كذلك مثل هذا الطبع الشديد الذي
طبع على قلوب الكفار الماضية نطبع على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون والضمير للناس او الامم المذكورين بقوله
الست بربكم وعدمه انهم لما خالفوه فكان لا عهد لهم او لا ايمان وعليه حمل الامن اتخذ عند الرحمن عهدا او ما نصب لهم في الايمان والتقوى
بانزال الايات ونصب الحجج او حين كانوا في ضر فقالوا لئن انجيتنا ومعنى ان وجدنا اكثرهم علمنا انهم من جرت زيدا الحائط وان هي
المخففة واللام الفارقة وضمير الشان هو وذلك لا يجوز الا في المبتدا والفعل يدخل عليهما وقيل النفي واللام بمعنى الا وقوله
وما وجدنا اعتراض الذين وصفهم بالكفر • ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
اي من بعد هؤلاء المذكورين الى فرعون واسمه الوليد بن مصعب بن ريان وقيل قابوس ويقال لمن ملك مصر وكسرى لملك فارس
وقيصر لملك الروم والمراد بالظلم بايات الله الكفر بها ومنه قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم كيف ووضع الكفر موضع الايمان هو الظلم
فانه وضع الشيء في غير موضعه في صد الناس عنها وايذاء المؤمنين بها وعاقبة المفسدين مصيرهم الى الهلاك وحمل النظر على النظر بعين
العقل • وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي
بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين • قرئ بتشديد الياء والتخفيف وبقراءة ان لا اقول



وبانه لا اقول والاول على القلب كقوله • ويشقى الرماح بالضياطرة الحمر • اي ويشقى الضياطرة بالرماح والابلغ بالنظر الى شدة
المبالغة ان يكون المراد واجبا على قول الحق ان اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلي ان ينطق به فانه جواب قول فرعون حين ادعى الرسالة
كذبت وانه لما كان الحق حقيقا عليه فهو حقيق على الحق كان ما لوصل فقد لزمه او بتضمين الحرص كما ضمن هيج ذكر ومنه بيت الكتاب
اذا تغنى الحمام الورق هيجني • وان تغرب منها ام عمار • ومعنى ارسل بني اسرائيل اي اتركهم معي الى الارض المقدسة التي هي مولد ابائهم
اراد استخلاصهم من استبعادهم اياهم بعد ان توفي يوسف وانقرضت الاسباط وطلب الاتيان بالاية بعد فرض المجيء بها لتصحيح الدعوى
وهو يبطل قوله ما علمت لكم من اله غيري • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين • اي القاها فصارت
ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه ما بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب
فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فهزم منهم خمسة وعشرين
الفا يقتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا واما
بياض اليد مع كونه عليه السلام شديد الادمة فقد كان بحيث غلب شعاعها شعاع الشمس يضيء ما بين السماء والارض ولهذا يتعلق
بيضاء للناظرين فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كانت عجيبة خارقة للعادة فنسب الحالين الى السحر لذلك ونسبه في الشعراء
اليه والى قومه هنا لصدور الكلام عنهم جميعا او ان القوم تلقوه منه ثم حكوا للناس وحمل الثعبان على الحجة القاهرة حيث ابطلت حجج المبطلين
وكذلك اليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء في العلم الفلاني دفع للتواتر وتكذيب للكتاب الالهي فالقول به الحاد وهو قول اهله
قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم • المبالغة لكونه يسحر الناس بخداعه بالتخييل اليهم كون العصا حية وبياض اليد والارض
ارض مصر وتامرون من امرته فامرني اذا شاورته فاشار عليك برايه وهذا قولهم لفرعون بعد اتفاق ارجه بالهمزة كما قرئ
من ارجات وهما لغتان وكذلك ارجهو كما قرئ على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرئ كذلك ايضا وما قرئ بحذف الياء
اي ارجه فللاكتفاء بالكسرة عن الياء وما قرئ بسكون الهاء فلتشبيه المتصل بالمنفصل وجعل كابل في اسكان وسطه
وما قرئ بالهمز وكسر الهاء فقد ضعفها النحاة لان الهاء لا تكسر الا بشرط ان يكون قبلها كسرة او ياء ساكنة غير انها
اجريت مجراها حيث نقلت ياء وقرئ سحار وحقيقة السحر واحكامه قد سبق في البقرة وفي الاية ان في الطباع مثل المعارضة
وانه اذا لم يمكن صحت النبوة وفيها ان السحرة كانوا كثيرين ويدل على ما قال المتكلمون ان الله يجعل معجزة كل نبي من جنس ما يكثر في زمانه
وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم • ترك الفاء في قالوا وهو الاصل لانه
استيناف جعل جواب سؤال والاجر المال الذي يكون في مقابلة عملهم والتنكير للتعظيم وما قرئ ان بالاخبار فلا يجاب
الاجر وانكم عطف على مقدر لانه كالايجاب لقولهم ان لنا اجرا اي ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين وهو زيادة على ما طلبوه من الجزاء

مطلب العصا حين كيفية صارت ثعبانا

من بدخل وآخره

وهو التقريب لانه ان بهما ان لوكان مع الكرامة قيل اراد اول من يخرج قيل كانوا ثمانين وقيل سبعين وقيل بضعة وثلثين
الفا قالوا انه لا يغلب سحرنا سحرة اهل الارض الا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لنا به وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل
نينوى بان اخذ غلمانا من بني اسرائيل وعلموهم كما يعلم الصبيان فتعلموا سحرا كثيرا وتخييرهم لموسى مراعاة لحسن الادب كعادة
المتعارضين قبل الشروع في الصنعة وفي كلامهم اشعار بارادة التقدم من تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الجزاء
وتوسيط ضمير الفصل فاجابهم الى مرادهم لقلة المبالاة بهم والاتكال على الوعد الالهي والتأييد السماوي ولا يشكل بانه كيف
يجوز ان يامرهم بالسحر لانه حيث علم انه لا تأثير له فكان لا امر كما اذا قلت اسقني من هذه الجرة جرة لا ماء فيها او انه لا علم وقوع ذلك
لا محالة وانه لا فرق الا في التقديم والتأخير قال ازدراء لشانهم او انه كان القصد ابطال فعلهم ولا يتاتى الا بان ياتوا به وسحرهم
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا لانها كانت ملطخة بالزيبق وقيل
بل جعلوه في داخلها فضربها الشمس استدل على ان السحر لا حقيقة له بل هو محض التمويه والا لقالوا سحروا قلوب الناس لا اعينهم وقيل
المعنى قلبوا اعين الناس عن ادراكها بالتمويهات ومعنى استرهبوهم ارهبوا العوام بها والسين زائدة وقيل استدعوا رهبة الناس
بان نادوا ايها الناس احذروا • واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون • الايحاء هنا الالقاء
في الروع وقيل بمجي جبريل والتلقف الابتلاع بالتناول بالفم بسرعة وقرئ تلقف ساكنة اللام وما يأفكون اي الذي يقلبونه من الحق
الى الباطل وهو السحر او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها صارت حية سدت الافق ففتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت فلما اخذها موسى رجعت عصا من غير تفاوت في الحجم وسواء قلنا ان الله سبحانه افناها
دفعة او بتصييرها ذرات كالهباء تدل على وجود الفاعل المختار ومعجزة موسى ومعنى وقوع الحق ظهوره او تبيينه من الباطل
فان السحرة قالوا لو كان ما فعل موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فتميز عن السحر وبطلان علمهم زوال الاعيان التي افكوها فغلبوا انه
لانه لا غلبة اظهر من ذلك ولا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من ظهور بطلان قوله وحجته ثم استدل السحرة على نبوة موسى بان ذلك
خارج عن السحر حيث ابتلعت مثلما ته حمل وعادت كما كانت فقالوا هذا امر الهي وهذا دليل على فضل العلم لانهم لولا انهم كانوا واقفين
على حقيقة السحر لما خروا وامنوا بنبوة موسى عليه السلام واذا كان هذا حال علم السحر فكيف علم التوحيد واستدل به على ان الله القاهم
وقيل من سرعة ما سجدوا كانه القاهم احد الى السجود وفي الحجة الملقي هو الله سبحانه فانه خالق تلك الداعية وذكر هرون مع موسى لئلا يتوهم
ان المراد فرعون • قال آمنتم له قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا
صبرا وتوفنا مسلمين • قرئ بتحقيق الهمزتين والاستفهام للانكار والتوبيخ وبالاخبار وهو قريب منه وقيل بقلب همزة الاستفهام
واوا الضمة النون قبلها والضمير لله او لموسى والمراد بالمكر نسبتهم الى حيلة بحيث سمع فرعون علما قبل الخروج لاخراج القبطه

واسكان

واسكان بني اسرائيل وهو تمويه منه على الناس لما نقل ان موسى عليه السلام قال لكبيرهم اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه
سحر وان غلبتني لاومنن بك وقوله قبل ان آذن يناقض دعوى الالوهية لانه كيف ياذن في عبادة غيره ويحتمل ان يقال لو كان الها
لما وقع ذلك منهم على خلاف مراده ولاقطعن تفصيل ما اجمله بقوله فسوف تعلمون ويقرأ لاقطعن بالتخفيف ومعنى الخلاف قطع اليمين
من طرف واليسار من آخر وقيل هو اول من فعل ذلك وصلب فقالوا لا نبالي بهذا العذاب لان المآل الى لقاء الله ورحمته والخلاص
من لقائك او ثبتنا على شدائد القطع او ننقلب نحن وانت الى الله فيحكم بيننا او ان الموت لا بد منه فلم تفصل الكرمنه وما تنقم منا
اي وما تنكر وما نقمت منا الا الايمان بالرب المولى للنعم كلها فهو اصل المناقب والمفاخر ومعنى افرغ اكثره حتى تفيض وتغمرنا
او صب علينا ما يطهرنا به على الاثام اي الصبر على عذاب فرعون لعلمهم بان التوفية الاسلام بالثبات عليه وعدم الارتداد بالعذاب
هي السعادة العظمى وما قيل ان ذلك التعذيب والصبر عليه طهره ليس بسديد لان الاسلام يجب ما قبله والاكراه على الكفر لا ينافي
الاسلام فان قيل لا نعلم ان الاكراه على الكفر لا يخرج الشخص عن الايمان لقوله تعالى الا من اكره فهلا وافقوه ظاهرا واهلكوا انفسهم
قلنا لانه وان جاز ذلك لكن الافضل ما فعلوه لقوله عليه السلام في مثله فقد صدع بالحق صدعا وفيه دليل على ان الاسلام والايمان
لا يحصلان الا بخلق الله والحمل على الالطاف كما قالت المعتزلة خلاف الظاهر • وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون • قال له رؤساء قومه
والارض ارض مصر والفساد فيها الاستيلاء وتغيير الدين واللام للعاقبة ويذرك عطف على ليفسدوا والان تركه اياهم
يفضي الى الفساد بزعمهم وترك الالهة فكانه تركهم لذلك وان جعل جواب الاستفهام فهو كقول الحطيئة • الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء • والنصب بان مضمره اي ايكون منك تركك له ويكون تركه لك ولالهتك ويقرأ بالرفع عطفا على
اتذر او الاستيناف والحال وبالجزم على طريقة واكن وبالنون اي تصرفنا عن عبادتك فيذرها والهتك اي عبادتك وابن
عباس اكثرها لانه يعبد ولا يعبد فالاصنام لا تكون الا للتقرب اليه وقال الحسن كان يعبدها وعلى الاول قيل كان يعبد الاصنام
هو وقومه تقربا اليه وقيل الكواكب ويدعي ان الشمس ملكته وقيل العجل وقيل كان يعبد تيسا والى الشار بقوله انا ربكم الاعلى وتقتيل الابناء
اشارة الى العود لما كانوا عليه من قبل ليعلم عدم زوال القدرة والقهر بدعوة موسى ولئلا يتوهم انه المولود الذي يذهب ملكه بيده فان قيل
قوله ما علمت لكم من اله غيري يشير بانه لم يثبت شيئا من الالهة فما وجه التوفيق بالهتك قلنا على قول من قال انما عبدت الاصنام تقربا اليه
فالمراد الالهة التي نصبها للتقرب لا انه يعبدها ومن قال كان يعبد الكواكب فالمراد نفي الالهة الارضية قال صاحب المفاتيح الذي يخطر بالبال
انه لم يكن كامل العقل لم يرسل اليه الرسول وان كان عاقلا لم يعتقد انه خالق السموات والارضين ولا يعتقد فيه ذلك عاقل مع بطلانه
بالضرورة فالاقرب انه كان دهريا منكرا للصانع قائلا بان مدبر العالم السفلي الكواكب وجعل المخدوم في هذا العالم والمربي نفسه فالمراد بقوله
ما علمت لكم من اله غيري اي لا اعلم لكم احدا تجب عليكم عبادته غيري • قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • هذا تسكين للقوم وتسلية لهم من وعيد فرعون بقتل الابناء وغيره وذكر الواو هنا

وذكرها في وقال الملا لانه معطوف على ما قبله ويناسب ان يكون على اسناد بربت موسى بخلاف هذا فانه مستانف والكلام في
الارض وان حملت العهد فيكون ارض مصر لكن حملها على الجنس نحو الرجل خير من المراة اولى لانه افيد وبدخل المعهود فيه دخولا
اوليا والمتقين الذين لهم العاقبة المحموده من امر الاخرة والنصر والظفر في الدنيا قيل احدهما وقيل كليهما يتناول القبط لان
المتقية لا يصلح تعلقها بهم وما يقرا فللعطف على الارض والارث على اصله فان جعل ما للسلف للخلف وفيه اشارة الى ان
من خاف الله اغناه في الدارين • قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون • اى اصابنا اذى فرعون وقومه في الحالين من قتل الابناء واخدام البنات والاستعباد
بالاعمال الشاقة كالعمارة واداء الجزية قال عسى ربكم ان يهلك فرعون وهو محل البشارة من ايراث الارض بعد هلاكه ومعنى
ينظر يرى اى ما يوجد منكم من شكر النعم وكفرانها فيجازى كلا بعمله وعسى للتحقيق فان الله ملكهم مصر مع يوشع وغيره في زمان
داود وسليمان ولعل اختيار كلمة عسى لئلا يعتمدوا فيغفلوا عن التضرع الى الله فانها كلمة طمع واشفاق كما قاله سيبويه او لعدم
الجزم بانهم يملكون اولادهم كما ذكره في الانوار • ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون •
وجه الربط تتميم بيان سوء افعالهم وانهم لم يعتبروا بالايات والبينات والسنة غلبت على زمن القحط كالنجم يقال اسنت
القوم ومسنتون اى قحطوا وخص ابن عباس القحط ببواديهم والنقص بامصارهم قيل كان سبع سنين وجمع السلامة
جبر لسقوط التاء كقلون وقيل السنون الجوائح ثم الحكمة في ذلك يذكرهم ان ذلك لكفرهم بالله ورسوله واياته اذ شان
الشخص ان يتضرع في الشدة ويتجبر في الرخاء قيل لم ير فرعون في ثلثمائة وعشرين سنة من عمره مكروها وعاش اربعمائة
ولعل لو مرض مرضة لما ادعى الالوهية وكانوا اذا اصابهم خصب ونعمة ادعوا الاستحقاق على وجه الاختصاص النافع
فان اللام كلام الجل للفرس واذا اصابهم شدة من جدب وغيره تشاءموا بموسى وقومه واصله ان الواحد اذا خرج في حاجة
فان بالسانح من الطير وغيره والبارح ومن تشاءم بذلك قيل تطير وتعريف الحسنة وذكرها باذا وتنكير السيئة لكثرة وقوع الاولى
دون الثانية وطائرهم سبب خيرهم وشرهم اى الله الذى ياتى بطائر البركة وطائر الشوم اى ما قضى عليهم وقدر لهم وحظه
القسمة باعتبار معتقدهم لان النبي عليه السلام ابطل ذلك بقوله لا طيرة ولا هام وكان عليه السلام يتفال ولا يتطير او
انصبابهم من القبيلين او عذابهم في العقبى عند الله وانما كان اكثر الخلق لا يعلمون لانهم يضيفون الحوادث الى الاسباب
المحسوسة وهو باطل لان ما عدا الحق ممكن لذاته فلا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته • وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين • اصله ما ما قلبت الف الاولى ها استثقالا لان الاولى ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة لتاكيد الجزاء مثل
متى ما تخرج اخرج وقيل اصله مه للكف وما الجزاء اى كف ما تاتنا به ومحلها اما الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره اى

اى ما تاتنا شيء تحضرنا باتيانه ومن اية بيان لمهما لانها في معناه وتذكير الضمير بن للفظها والثانى لمعناها وعليه قول زهير
ومهما تكن عند امرئ من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم • وليس معناها مرادفا لمتى ما فيكون المعنى اى وقت باتيانه و
تعبيرهم وكما سموا المعجزة سحرا واكدوا اعدم الايمان بالتعبير عنه بالجملة الاسمية دعا عليهم موسى وقال ان عبدك هذا قد علا في
الارض فخذه فاستجاب الله تعالى فارسل عليهم الطوفان وهو ما طاف بهم وعمهم لانه امتلأت بيوتهم ماء حتى قاموا في الماء
الى تراقيهم وبيوت بنى اسرائيل مستقبلة بيوتهم ولم يدخلها قطرة وقيل الجدرى وهو اول عذاب وقع فيهم وبقى في الارض وقيل
الموتان واستشكل صاحب المفاتح هذا القول وقال لو صح الحمل على اسبابه لان بعد الموت فما فائدة الايات ويمكن ان يقال
ظهور كثرة الموت فيهم يكفى رادعا ولا يلزم منه موت الكل وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع ربك يكشف عنا ونؤمن بك ففعل
فلم يؤمنوا فظهر خصب في تلك السنة لم يعهد مثله فبعث الله الجراد فاكلت الزروع والثمار والابواب والسقوف والثياب ولم يدخل
بيوت بنى اسرائيل فرجعوا الى موسى مثل الاول فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى حيث جاءت فاصروا على الكفر
فسلط الله عليهم بعد شهر القمل كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل خروج جناحها وقيل السوس فاكلت ما ابقاه ويلتى ثيابهم فمصهم
وتدخل طعامهم فتاكلها قيل ضرب موسى عليه السلام بعصاه كثيبا اعفر فصار قملا فاستولت عليهم حتى اخذت اشفار عيونهم وحواجبهم
كانه الجدرى فتضرعوا الى موسى كالاول فرفع عنهم فقالوا تحققنا انك ساحر بعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد
شهر الضفادع وكان الرجل اذا اراد الكلام وثبت الضفدع الى فيه وامتلأت مضاجعهم وقدورهم فقالوا هذه المرة نتوب
التوبة النصوح واعطوه العهود فرفع عنهم فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان الاسرائيلى والقبطى يستقيان
من ماء واحد فيخرج للقبطى الدم وربما يجعل في فيه فيصير دما فعطش فرعون حتى كاد يهلك وكان يمص الاشجار فيصير ماؤها ملحا اجاجا
بل سال عليهم النيل وما قيل سلط عليهم الرعاف روى ان موسى عليه السلام اراهم هذه الايات بعد غلبة السحرة عشرين سنة والمفصلات
المبينات التى يعلم العاقل بادنى تامل انها من عند الله وهى منصوبة على الحال ثم استكبروا عن الايمان وكانوا مجرمين حيث لم يؤمنوا مع
تكاثر هذه الايات البينات • ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون • الرجز العذاب قيل هو الطاعون ومات به
من القبط سبعون الفا في يوم فتركوا غير مدفونين وحمله على المعهود السابق اولى لانه معلوم وغيره مشكوك فيه وما اما موصولة
والمعنى بالامر الذى تقدم اليك ان تجيب دعاءك به واما مصدرية اى بعهده عندك وهو النبوة والمعنى اقض حاجتنا بحق عهد الله الذى
عندك وكرامته بالنبوة متوسلا الى الله بعهده عندك فيكون الباء متعلقا بادع او يكون قسما جوابه لنؤمنن اى حلفنا بالعهد الذى
عندك لئن كشفت لنؤمنن لك ومعنى الاجل انهم عينوا زمانا لايمانهم فلما جاء الاجل نكثوا عهودهم او الى اجل بلغوه بالغرق او الموت
واذا للمفاجاة وهى ظرف تقول خرجت فاذا السبع اى الحضرة السبع وهو جواب لما • فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين • فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في البحر الذى لا يدرك قعره او لجته وهو معظم مائه وقيل هو البحر قيل عزنى

اخذت بدل

وقيل عبراني وعلى هذا فيكون من التوافق ليلا يشكل بلسان عربي وقد ورد • دوية ودجى ليل كانهما • يم تواطن في حافاته الروم
وهو قلزم واليم مشتق من التيمم لانه يقصد وذلك بسبب تكذيبهم آياتنا ونسبتها الى السحر والضمير في عنها يعود الى النعم
المدلول عليه بانتقمنا او الايات ولا يشكل بان الغفلة ليست بالاختيار فكيف يرد الوعيد عليه لان المراد الاعراض عنها فيكونون
كالغافلين والوعيد وان كان في الظاهر لهما لكن الاعراض عنها يدعو ساير المعاصي • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون • اي يجدونهم ضعفاء وهم بنوا اسرائيل اورثهم الله ديار اعدائهم فرعون وقومه وهي ارض مصر والشام
فتفرقوا في اطرافها الشرقية والغربية والدليل على انها ارض ان الاخبار بالبركة فيها وكثرة الخصب بسبب الماء والشجر وورد ذلك
في قوله سبحانه الذي باركنا حوله فاللام للعهد وقيل للجنس حيث اريد الاعم فانهم ملكوا الارض كلها زمن داود وسليمان وهذا اذا
لم يجعل المشارق والمغارب ظرف يستضعفون وكلمة ربك فسرت بمطلق النعمة وبقوله ونريد ان نمن الايات او قول موسى
عسى ربكم الاية او مطلق الوعد تقول لها جاء ما قلت والحسنى صفة الكلمة ومعنى التمام المضي والاستمرار وذلك بسبب صبرهم
ومعنى التدمير الاهلاك اي خربنا قصورهم وابنيتهم التي صنعوها وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يعرفون من الابنية العالية كصرح هامان وقرئ يعرشون بالضم والكسر هذا آخر قصة فرعون وهلاكه
فعقب بذكر كلامهم الفاسد بعد مشاهدة هذه الايات العظام ليعلم نهاية جهلهم ولعل التسلية للنبي عما كان يرى من اعقابهم الكفرة
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين • اي عبرنا بهم القلزم وهو في
يوم عاشورا وبعد هلاك فرعون فصاموه شكرا فمروا على قوم في قرية يواظبون على عبادة الاصنام او تماثيل البقر وهو اول
شان العجل قيل كانوا من العمالقة الذي امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقيل من الكنعانيين فقالوا اي بنو اسرائيل نعبدها تقربا الى الله
وقرئ يعكفون بالكسر وقرئ اجوزنا يقال اجاوز وجاوز المكان بمعنى طلبوا ان يجعل لهم صنما يعكفون عليه كما ان لهم اصناما
وما الاول عن العمل فصح وقوع الجملة بعدها ونسبة الجهل اليهم على وجه التعجب حيث طلبوا عبادة غير الله مع الله بعد رؤية
تلك الايات الباهرة والمعجزات القاهرة ولذلك اكد بالاطلاق فانه يصح للموصف بجميع انواعه فقال موسى ان عبدة الاصنام
ما هم فيه مدمر ومكسر مهلك من التبار واصله الكسر ومنه التبر لكسار الذهب وعنى بذلك ان الله يهدم دينهم ويحطم اصنامهم بوسائطي
وبيدي وما يفعلون مضمحل ولا ينتفع به كما قال سبحانه وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وبطلان الشيء اما بعدم
ذاته او بعدم فائدته وهو كذلك لان المقصود من العبادة رسوخ معرفة الله سبحانه وهذا التركيب وهو جعل هؤلاء اسما لان المشعر
باعادة صفاتهم وتقديم الخبر المفيد للحصر دليل على ان التبار لا يتجاوزهم وبغيت يستعمل باللام وبغيرها يقال بغيته وبغيت له
وهذا جواب آخر ومعناه ان المعبود ليس شيء يطلب ويلتمس ليتخذ الها بل هو القادر على الاطلاق المنعم الحقيقي وهو الآلة الموجود

الذي

الذي اعطاكم هذه النعم وفضلكم على عالمي زمانهم او خصكم بهذه الايات وان كان غيركم فضل بساير الخصال والها منصوب
على الحال او المفعول به او حال مقدمة على الها وهو مفعول به • واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • قرئ انجاكم والتقدير واذكروا احسن صنع الله معكم بذلك ومعنى يسومون يبغون
من سام السلعة اذا طلبها والاية وان سبق في البقرة لكن لما كان موضع تعداد النعم لاستقباح طلب اله غير مولها ذكرت لذلك
ويسومون ان لم يجعل استينافا فهو حال من المخاطبين او من آل فرعون والاشارة الى الانجاء او العذاب والبلاء على الاول النعمة
وعلى الثاني المحنة فان قيل الاشارة الى ايهما اولى قلنا الثاني باعتبار اللفظ والاول باعتبار المعنى نظرا الى السياق • وواعدنا
موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل
المفسدين • كان موسى عليه السلام قد وعد بني اسرائيل بان ياتيهم بكتاب فيه بيان ما ياتون ويذرون ان اهلك الله فرعون فسال
موسى الكتاب فامر بصوم ذي القعدة فلما اتمه ثلثين انكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملئكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته
بالسواك وقيل قال الله له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة
وقيل الصوم في ثلثين ثم انزلت التورية في العشر وميقات ربه ما عينه من الوقت والفرق بين الوقت والميقات ان الميقات ما عين
فيه عمل بخلاف الوقت واربعين ليلة من الميقات وقرئ هرون بالضم على النداء وعلى الاول عطف بيان ومعنى اخلفني كن خليفتي والاصلاح
اصلاح ما يجب ان يصلح من احوال بني اسرائيل وغيرهم ممن يدعوك الى الافساد والنهي عن اتباع سبيله ولعل الامر بالاصلاح مع ان النبي
لا يفعل غيره لتعليم الغير او المبالغة وانما ساغ جعله خليفة مع الاشتراك في النبوة لان موسى عليه السلام كان الاصل فيها
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين • اي لما حضر موسى للوقت الذي عيناه
واللام فيه كاللام في قولهم لست مضين من رجب باعتبار الاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا والاية تدل على ان الله كلم موسى ومذهب
السنة والجماعة ان كلام الله صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وهي قديمة وفي كيفية السماع وجهان مذهب الشيخ ابي الحسن انه سمع
تلك الصفة لانه كما ثبت رؤية ذاته مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذلك كلامه وان لم يكن صوتا ولا حرفا فصح ان يسمع وقال ابو منصور الماتريدي
من اصحاب ابي حنيفة رحمهما الله الذي سمعه اصوات وحروف مقطعة مؤلفة قائمة بالشجرة لا تلك الصفة القديمة والمعتزلة لم يثبتوا الله غير
تلك الحروف مخلوقة في الشجرة والحنابلة والحشوية على انها قديمة وهو مكابرة للعقل فان الحروف المتقدم بعضها على بعض كيف يقال بقدمها
والكرامية قالوا بذلك وان ذات الواجب محلها وفساد جميع ذلك وتمام البحث عنه في كتب الكلام ثم الاصح ان كلام الله له مع موسى وحده
لظاهر اللفظ وقيل مع السبعين لانه انما اخذهم معه لذلك عن ابن عباس انه الله كلمه اربعين يوما وليلة وكتب له الالواح وقيل في اول
الاربعين وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وفيه اشارة الى انه نوع امر من الكلام وبه فرق بينه وبين كلام غير الله والاية تدل
على جواز رؤية الله سبحانه لان موسى عليه السلام سالها وكان عارفا بالجائز والممتنع فلو كان محالا لما طلبها ومن منع ذلك نظرا الى جهله

تحقيق جواز رؤية الله تعالى

بعدم الجواز لا يقدح او انه سال عن لسان قوم او ان فائدة ان يذكر الدلالة السمعية الدالة على امتناعها والجواب عن الاول ان اجماع

العقلاء على ان موسى ما كان اقل علما من اراذل المعتزلة حتى يقصر علمه عن علمهم وايضا المعتزلة يدعون العلم الضرورى بان الرؤية تستلزم

التحيز باعتبار المقابلة وان القائل به كافر فكيف يقال ان موسى ما علم ما هو بديهى واذا علم ولزم منه الكفر فكيف ينسب اليه وعن الثانى ان القوم

ان كانوا مؤمنين كفاهم منع موسى والالم يفد ذلك لانكارهم انه قول الله تعالى وعن الثالث انه لو اراد ذلك لقال ارهم ان تقوى امتناع

رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في العقل ولنا انه سبحانه علق رؤيته على امر ممكن وهو استقرار الجبل والمعلق بالممكن ممكن لا يقال

علق على الاستقرار حال الحركة وهو محال لانه حين ما جعل استقراره شرطا ان كان ساكنا لزم رؤيته وهو باطل فتعين انه يكون متحركا وهو

المدعى لانا نقول اعتبار حال الجبل من حيث هو غير اعتبار حاله بالنظر الى الحركة والسكون وغير كونه ممتنع الخلو عنهما هكذا قرره صاحب

المفاتيح في البحث مع المعتزلة ولقائل ان يقول لو جوز البحث لتحقيق معنى الرؤية لارتفع النزاع فان الرؤية على الوجه الذى قرره المعتزلى

نحن لا نقول باثباتها وعلى ما نقرره لا مانع من ثبوتها عن ذاته ايضا قال ثانى ما قررناه ما روى ان الله سبحانه قال لموسى في مناجاته لست

في مكان واحد فانجلى لعين بنظر الى يا ابن عمران تكلمت بكلام عظيم وان الملئكة مرت به وهو مغشى عليه فجعلوا يركلونه بارجلهم ويقولون

يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة لاحتمال ما سبق من عدم الاستعداد للرؤية حينئذ لقوله سبحانه وجوه يومئذ ناضرة

الى ربها ناظرة نعم المنع يليق بمن اثبت الرؤية والجهة كما نقل عن بعضهم وارنى يستدعى مفعولين فالتقدير ارنى نفسك انظر اليك

وذلك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك والعدول عن لن ارى ولن اريك ولن تنظر الى لن ترانى للدلالة على

ان المانع من الرؤية عدم استعداد الرائى لا في المرئى ولن لتاكيد النفى المستفاد من لا التى لنفى المستقبل تقول لا افعل غدا

فاذا اكدت قلت لن افعل لا لتابيد النفى فانه خارج عن العربية قال صاحب الانوار في الرد على المعتزلة حيث قالوا هذا السؤال

لتبكيت قوم طالبين للرؤية ان هذا خطاء لانه لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يبين جهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل حين

طلبوا الها ولحمل ان يقال وما بال عنه وكذا استدلالهم بالجواب على كون الرؤية مستحيلة اشد خطاء لانه لا دلالة للاخبار

عن عدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا يعنى انه لم يتعرض لعموم الاحوال والازمان ولا ان لا يراه غيره فضلا من انه يدل على استحالته

ودعوى الضرورة كما سبق من قبيل مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية وانما لم يقل لن تنظر الى ليكون مطابقا لان النظر لما كان مقدمة

الرؤية كانت هى المقصودة وقوله سبحانه ولكن انظر اشارة الى عدم قدرته على الرؤية على وجه الاستدراك والجبل جبل زبير

ومعنى التجلى ظهور عظمة الله وقدرته وامره وقال في المفاتيح المراد الرؤية لانه يقال على العلم والابصار والثانى اكمل وحمل اللفظ

على المعهود والاكمل اولى وايضا المقصود بيان ان الانسان لا يطيق رؤية الله تعالى ولو لم يحمل عليه لم يحصل المقصود لا استحالة

للحمل عليه بالنظر الى انه جماد لانه لا يستحيل خلق الحيوة فيه كما سبق او تجلى مقدار ابهام العرش وقيل خلق فيه حيوة ورؤية ولقائل

ان يقول لعل المقصود بذلك الاشارة الى بيان تعظيم امر الرؤية فان الجبل اعظم الاجرام الصلبة القوية فحيث لم يستقر عند ظهور

ما هو اقل من ذلك فكيف حال الرؤية ويمكن ان يقال قد جعل الحق سبحانه المعلق على استقرار الجبل رؤية مقيدة بسوف ولا يلزم

مطلب في كونه الرؤية امرا ممكنا

ولا يلزم من عدمها عدم الرؤية مطلقا والدك والدق اخوان اى جعل الجبل مدكوكا مفتتا مصدر بمعنى مفعول وقيل ترابا

ورملا وقيل ساخ في الارض وقرئ دكاء اى مستوية مع الارض وقيل تغرق في الارض فاخذ ورضوى وورقان بالمدينة

وثور وثبير وحرا بمكة منه وقرئ دكا اى قطعا جمع دكاء ولعل تانيث الجبل لارادة افراد الجنس وخر وره صعقا من هول ما راى

يقال صعقه فصعق فهو من باب فعله ففعل واصله من الصاعقة اى خر مغشيا عليه كالميت لا انه مات كما قيل لانه لا يقال للميت

افاق قال سبحانك اى انزهك عن ان اطلب الرؤية في الدنيا او بغير اذنك وانا اول المؤمنين بانها لا تطلب في الدنيا او

بغير الاذن ومن تامل تمام هذه المباحث علم ان المعتزلة عن الحق المتسمة بالعدلية من باب العدول عن المنهج المستقيم احقاء

بان يكونوا موارد ضرب المثل بقوله سبحانه كمثل الحمار يحمل اسفارا حيث لم ينتبهوا لما فيها من مراد الله سبحانه ولا يكون ذلك من باب

التمثيل المفرد لان الحمار حاشاه ان يكون مثلهم لان المقصود من خلقه حاصل منه بخلاف من عدل عن سواء الصراط متبعا لما

تشابه من كتاب الله سبحانه لما في قلبه من الزيغ كما اشار اليه الحق بقوله واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الاية

قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين • وجه الارتباط انه لما منع

الرؤية ذكره النعم الاخرى جبر القلبه وامر بشكرها والاصطفاء استخلاص الصفوة اى اتخذتك صفوة على الناس او فضلتك

عليهم وبرسالاتى اى اسفار التورية وكلامى اى بغير واسطة بيان ما به الاصطفاء وقرئ برسالتى والمراد من الناس

اهل زمانه وهرون كان تابعا له ومعنى فخذ اخذى هذه النعم واشتغل بشكرها ولا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية

روى ان اليوم كان يوم عرفة والاعطاء يوم النحر • وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها

بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين • اى فرضنا او كتبنا بالقلم وقيل كنقش الخاتم وقيل سمع

اهل السموات صرير القلم لما كتب التورية بيده وقيل كتب جبرئيل بالقلم الذى كتب به الذكر مستمدا من نهر النور وفيها

من كل شئ من امور الدين قيل كانت سبعين وقر بعير يقرا الجزء منها في سنة لم يقرا تمامها الا موسى وعيسى وعزير وحما فيها

انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبا فان من حلف بى كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا

ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين وموعظة وما بعده ابدل من الجار والمجرور فهو كالبيان للجملة المتقدمة اى كتبنا كل شئ من المواعظ

وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وجوهرها فقيل كانت عشرة وقيل سبعة من زمرد او زبرجد او خشب والاولى

ان لا دلالة في الاية وقيل صخرة صماء امر الله موسى بقطعها وكتبها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وقوله فخذها اى قلنا عطفا

على كتبنا او يكون فخذها بدلا من فخذ والضمير المنصوب يرجع الى الالواح او الى كل شئ ومعنى القوة الجد والعزيمة والامر باحسن

ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والقصاص ولا يشكل بلزوم ترك الاحسن اذ المراد الندب اذ لم نقل ان المراد

البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة او بواجباتها فانها احسن من غيرها ودار الفاسقين دار فرعون وقومه خاوية

على عروشها او عاد او ثمود ونحوهم للاعتبار والاحتراز عن الفسق او جهنم قال الحسن ليكن ذكر جهنم حاضرا في القلب للحذر عنها

وقيل منازل الجبابرة والعمالقة بالشام ويقرأ سأوريكم وسأورثكم ويؤيده واورثنا الآية ٭ ساصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون ٭ هي آيات الانفس والآفاق وصرفهم عنها منعهم عن التفكر فيها والاعتبار بها جزاء على التكبر عن الايمان به
او عن ابطالها كما سعى فرعون ان يبطل آية موسى فلم يقدر عليه او عن الخوض في القرآن وبغير الحق في موضع الحال اي غير محقين
لان التكبر بالحق ليس الا لله هكذا قيل وفيه نظر لانه اذا لم يكن التكبر بالحق الا لله لم يكن للتقييد فائدة فينبغي ان يوجد تكبر من الناس
بالحق وهو التكبر على الكافر وعدم الازعال وللمحق ان يتكبر على المبطل ولهذا قيل التكبر مع المتكبر صدقة قال صاحب المفاتيح
واستدل اصحابنا بها على ان الله قد يمنع من الايمان ويصد عنه قال ومنع الجبائي ذلك لانه اخبار عن المستقبل وكفرهم قد حصل
في الماضي وايضا ذلك جزاء الكفر فكيف يكون الكفر جزاء الكفر ولم يذكر عنهما جوابا ويمكن ان يجاب عن الاول بان الابقاء على الكفر
والمنع عن الايمان هو المراد بالصرف فلا منافاة وعن الثاني بان المراد بالتكبر هو عدم الالتفات الى الآيات والصرف عنها عدم التوفيق
للنظر فيها وقرئ الرشد بفتح الراء والشين اي ان رأوا سبيل الهدى والدين الحق والصواب في العلم والعمل لم يتخذوه طريقا
ودينا وسبيل الغي ما يضاد ذلك واتخاذهم ذلك سبيلهم بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها وذلك اما في محل الرفع بالابتداء
اي ذلك الصرف او النصب على تقدير صرفهم الله ذلك الصرف ولقاء الآخرة من اضافة المصدر الى المفعول به او الى الظرف اي لقاء
ما وعد الله فيها من الثواب والعقاب والمعنى انهم جحدوا المعاد واجترؤا على المعاصي فاعمالهم محبطة وان صدرت عنهم اعمال لها
صورة الخير وهو لا يجزون الا جزاء اعمالهم فالتقدير بما كانوا يعملون ٭ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ٭ المتخذ هو السامري واسناده اليهم لانه وجد فيهم كما يقال
بنو تميم قتل فلانا والقاتل احدهم او لانهم كانوا راضين به كما يقال نقضوا العهد وقد نقض بعضهم ويرضى به الآخرون او بالاقوية
وقرئ حليهم بكسر الحاء للاتباع كربي ويعقوب بالافراد وهي وان كانت للقبط معارة منهم فالاضافة لكونها في ايديهم فيكفي
في الملابسة نحو خذ طرفك او انهم ملكوها لقوله تعالى واورثناها بني اسرائيل والمراد بالجسد اللحم والدم وقيل اسم لكل جسم كثيف
اذ الخوار صوت البقر وذلك بسبب القاء تراب اثر فرس جبرئيل المسمى بفرس الحيوة او بنوع من الحيل بدخل فيه الريح به
وقيل عمل بالماء والفوارة ويقرأ له جؤار اي صياح والاستفهام للتقريع على ضلالهم حيث عبدوا ما لا يقدر على كلام ولا على ارشاد
الى طريق فهو اقل من اقل البشر فكيف يكون الها قادرا على الخير والشر واتخذوه ثانيا ليس بتكرير لان الاول للاصاغة
وهذا للعبودية وكانوا واضعين الشيء في غير موضعه في عبادته ما هو مثل في الغباوة ٭ ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ٭ اي ندموا على فعلهم وهو وان تعلق بالقلب لكن اسناده
الى الايدي على التوسع كما يقال الملك في يد فلان وقيل وقع البلاء عليهم فوجدوه كالحاصل في الكف وقيل من الاسر

والكتف

والكتف كمن او وضع يده على رأسه او مسح باحدى كفيه على الاخرى ويقرأ سقط على الفاعل اي وقع العض فيها وقيل من السقيط وهو
شبه الثلج الذي يذوب بادنى حرارة اي وقع السقيط في يده وهو مثل للخاسر ومعنى رؤية الضلال تحققه كالمشاهد ويقرأ ترحمنا
بالتاء ونصب الرب على النداء ٭ ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح
واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين
قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ٭ الاسف الحزن والغضب ومنه آسفونا والاسف الحزين به
او الشديد الغضب ومعنى خلفتموني بيهم وقمتم مقامي في عبادة العجل او عدم منع العبدة والخطاب قيل لعبدة العجل والسامري وقيل
لرؤساء بني اسرائيل وعلى هذا فيحتمل العموم وما في بئسما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس وهو الفاعل والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس خلافة خلفتموني بها من بعدي خلافتكم اي من بعد ذهابي الى الطور او بعد ما علمتم التوحيد والامر به ومعنى اعجلتم
امر ربكم تركتموه غير تام وضمن عجل معنى سبق اذ التقدير وعد ربكم في قوله وواعدنا موسى اربعين ليلة فقدرتم موتي وان فالقياس
عجلتم عن امر ربكم في انتظار موسى وحفظ عهده روي ان السامري قال لهم هذا الهكم واله موسى وانه مات وذلك لانهم عدوا الليالي
مع الايام فجعلوا الاربعين عشرين فبعد ما احدثوا وطرح الالواح من غاية الدهشة ونهاية الضجرة غضبا لله ولدينه وكان في نفسه
شديد الغضب فانكسرت ورفعت ستة اسباعها وبقي واحد وكان في المرفوع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة واخذ بشعر
رأس هرون وهو ذوابته يجره اليه لشدة ما اصابه وتصور انه فرط في الامر هكذا قيل وفيه نظر لان التقصير في امر الدين بحيث يكفر
الامة لا يتصور من النبي وابن ام على تخصيص الام مع انه كان من ابيه وامه لاستعطافه ورقته وقيل كان من الام او لانها التي
نالها الخاوف من اجل موسى او لانها كانت مؤمنة وقرئ الام بالكسر لدلالته على الياء المحذوفة لان اصله امي وبالفتح لزيادة
التخفيف لطوله ولانه كخمسة عشر فاعتذر باني لم آل جهدا في الدعوة والانذار حتى قهروني واستضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تخل
ما يشمت به اعدائي فيكون قد حصل امانيهم من الاساءة الي ولا تجعلني في المعاملة معي كما يكون مع الظالمين وقيل لا تعتقدني ظالما
وهذا ايضا ليس بسديد لان النبي يعلم ان النبي لا يكون ظالما فلما علم براءته من التقصير طلب المغفرة والرحمة له ولنفسه فان قيل هل النفي
بذكر احدهما ما الفرق بين ارحمنا وادخلنا في رحمتك قلنا اما الاول المغفرة عبارة عن ستر الذنب ولا يلزم منه وهو فكانه سال
التجاوز عن موجبات النقم والافضال بعظائم النعم واما الثاني فالفرق انه ابلغ باعتبارات شتى منها انه من سال ان تصير الرحمة
كالمحيطة بها الشاملة لجميع احوالها ومنها ان الجنس المضاف للعموم فيكون سؤال جميع اقسامها ومنها الاضافة المشعرة بالاعتراف
بان لا رحمة الا منه وانه لا رحيم غيره بخلاف ارحمنا فانه يحصل بحصول رحمة ما ٭ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة
في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
اي الذين اتخذوا العجل الها من دون الله سيدركوا غضب ما امر وابه من قتل الانفس وذل خروجهم من ديارهم او ما نال اعقابهم
وهم قريظة وبنو النضير من القتل والاجلاء وضرب الجزية ومثل ذلك الجزاء نجزي من كذب على الله ولا فرية اعظم من قول هذا الهكم

والى موسى وتجوز جعل في الحيوة صلة الذلة وحدها فيكون الغضب في الاخرة وفيه نظر لانه لما صار القتل توبة لم يجز حصول الغضب
في الاخرة والسين لا ينافي الوقوع في الدنيا لانه بالنظر الى وقت الاخبار عنه متاخر والسيئات تتنا ول الكفر ايضا فيكون
التوبة عنه بالايمان وعن غيره بالرجوع الى الله فان الله يستر عليه تلك الذنوب ويرحمه بالانعام عليه وفيه اشعار بان رحمة الله
ومغفرته يعمان الذنوب وان جلت وعظمت فان قيل الاية تدل على كون الرحمة مشروطة بالتوبة وهو عين مذهب الاعتزال
قلنا اما الاية فانما تدل على ان المراد من التائبين الكفار لانه عقب الحكم بالتوبة والايمان ولا يلزم منه كون السيئة وحدها مشروطة
بها لا سيما والايات والاخبار المطلقة غير محصورة • ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون • اى سكن لعذر هرون او توبة القوم واسناده الى الغضب باعتبار انه كالناطق للدلالة على ما في نفسه
او لانه كالامر له على ذلك وهو من ابواب البلاغة حيث عبر عن هذا المقصود بتغيير لفظ السكون الى السكوت ولهذا يجد العارف
بالمعاني فرقه بين اللفظين ويقراء بالثاني ويفوت المقصود بجعله من المقلوب اى سكت موسى عن الغضب كما قيل وما يقراء ببناء
المجهول اعني اسكت وسكت فالفاعل الله او هرون بالاعتذار والنسخة فعلة من النسخ كالخطبة بمعنى المفعول عن ابن عباس انه لما القى
موسى الالواح وتكسرت صام اربعين يوما فاعاد اليه الالواح وفيها غير ما في الاول لعني في نسختها ما نسخ منها وعلى الاول اى فيما نسخ
من اللوح والهدى التمييز بين الطاعة والمعصية والرحمة والخلاص عن المعاصي ولام لربهم كاللام في لزيد ضربت لضعف العامل
بالتاخر ومنه للرؤيا يعبرون وقيل المفعول محذوف نحو المعاصي وقيل المراد المصدر اى رهبتهم لربهم والتخصيص بهم
لتخصيصهم بالانتفاع • واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الغافرين • حذف الجار اذ التقدير من قومه فامضى الفعل اليه نحو • ومنا الذى اختير الرجال سماحة • وجودا اذا هب الرياح الزعازع •
اى من الرجال والميقات الميعاد وهو الاول الذى طلب فيه الرؤية او للتوبة من عبادة العجل فعلى هذا سببه الاعتذار عنها
وقيل السبب انكار بنى اسرائيل ان الله يكلمه وهم اثنان وسبعون من كل سبط من اثنى عشر سبطا فقال ليتخلف منكم رجلان
على ان لهما اجر الخارج فقعد كالب ويوشع بعد المشاحة منهم وقيل استخلفهما عليهم ولم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه
ان يختار من الشبان عشرة فاصبحوا شيوخا وقيل لم يبلغوا الاربعين وكانوا فوق العشرين فاذهب عنهم الجهل والصبى
فامرهم بالصوم وتطهير البدن والثياب ثم خرج بهم الى الطور وكان قد امر بان ياتى في سبعين من بنى اسرائيل فلما دنا من الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا
فسمعوا الله يكلم موسى بالامر والنهى ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وطلبوا الرؤية فوعظهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن
لك بانك كلمته حتى نرى الله جهرة فاخذتهم عن السبعين الذين اخذتهم الرجفة وعن على رضى الله عنه ان سبب اخذ الرجفة
اياهم من اجل نسبتهم قتل هرون الى موسى وذلك ان موسى وهرون وولديه شبر وشبير انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون

على

على سرير وتوفاه الله سبحانه فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بنى اسرائيل قالوا اين هرون قال توفاه الله قالوا بل قتلته حسدا
على خلقه ولينه فاختار منهم سبعين وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قالوا يا هرون اقتلت ام مت قال هرون ما قتلنى احد ولكن توفانى
الله فقالوا يا موسى لن نعصى بعد اليوم فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقال موسى يا رب ما اقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم يقولون
انت قتلتهم فاحياهم الله وجعلهم انبياء والرجفة الموت وقيل الزلزلة وقيل الصاعقة وقيل لم يموتوا فلما اخذتهم الرجفة قام
موسى يبكى فقال ان شئت امتنى وامتهم بغير الرجفة او عند عبادة العجل او قبل المصير الى الميقات وقيل هو تمنى منه للاهلاك
وهمزة اتهلكنا للنفى او على اصلها ويتضمن معنى واتقوا فتنة الاية وقيل للانكار وقال في اللباب هذا لا يجوز ولقايل ان يقول
يمكن ان يقال المراد انكار وقوع استمرار الهلاك لا الانكار على الله في فعله والسفهاء عبدة العجل والفتنة هنا المحنة والابتلاء اى لما
اسمعتهم كلامك طلبوا الرؤية لتنزيلهم اياها منزلته ولا يضل بالفتنة الا الجاهلون بحقيقة الحال ويهتدى بها العلماء الراسخون والاية
كما ترى حجة على المعتزلة حيث اسند الاضلال والاهداء الى الله تعالى وقول المعتزلة لا مستند للمجبرة فيها لانه تعالى لم يقل تضل بها من تشاء
عن الدين تعسف لا يخفى على من شم رائحة العلم قالوا ولا يمكن اعادة الضمير الى الرجفة فوجب التاويل وهذا ابعد من الاول لان الضمير
يرجع الى الفتنة وهى ناشئة عن الرجفة فان قيل اما كون الفتنة سببا للضلال فظاهر فما وجه كونها سببا للهداية وغاية ما في الباب
ان يعصمهم الله الثابت في المعرفة قلنا لما تضمنت تجدد شئ من التدبيرات الالهية على اى وجه كان حصل للناظر فيه والمعتبر به نوع
من العلم لم يكن يعلمه كان ذلك اهتداء ومعنى انت ولينا مولينا المتولى لامورنا قال في المفاتح لما كان قوله ان هى الا فتنتك جراءة
عظيمة طلب المغفرة ولقايل ان يقول لا نسلم الجراءة لانه كلام واقع وقع الحق كما لو قال انت المريد القادر على ما هو المذهب ولم قد اضاف
الحق له الفتنة الى نفسه مثل ولقد فتنا قبلهم وانما كان سبحانه خير الغافرين لان غير الله انما يطلب بالتجاوز عن الذنب اما جميل ثناء
او جزيل ثواب او دفع ربه الخسة والله سبحانه لا يتوقع به طلب نفع او دفع ضر فان قيل ما السبب في ذكر خير الغافرين دون خير الراحمين
قلنا لعل ذلك باعتبار ان المغفرة بالنظر الى انها دفع الضر لما كانت اهم خصصها بالذكر • واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة
انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم
باياتنا يؤمنون • اى اثبت لنا حسن معيشة وتوفيق طاعة وحيوة طيبة وفي الاخرة الجنة وهاد يهود اذا رجع ويقراء هدنا بالكسر
من يهيده اذا اماله ويحتمل البنائين بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك والمضموم يحتمل المفعول ايضا على لغة عود المريض اصيب
صفة عذابى اى اعذب من اشاء وليس لاحد على اعتراض لان كل الاكوان ملكى وملكى ويقراء اساء واختارها الشافعى رضى الله عنه
ووسعت صفة رحمتى اى انها تنال كل احد حتى الكافر بنعمة الدنيا بل البهايم ويحتمل ان يقال ان رحمة ساير الحيوانات بعضها بعضا باعتبار ربه
الجنسية ايضا رحمة الله بل رحمة الوجود الشاملة لكل وجود باعتبار انه خير من العدم لكن سابينها في الاخرة او لبنيه خاصة منكم
يا بنى اسرائيل للمتقين الكفر والمعاصى ويخرجون الصدقة المفروضة وتخصيصها بالذكر لانها اعظم العبادات لانتفاع الغير بها ولانها
اشق على النفس والدين الى اخره قيل اشارة الى امة محمد عليه السلام لانهم لا يكفرون بشئ من الكتب ويحتمل ان يقال على هذا الواو

مثل الفارق فالصالح فالعائم فالايب. الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون. لما ذكر سبحانه ان مستحق ان يكتب له رحمة الدنيا
والاخرة هو المتقي المذكور ضم اليه ان يتبع الرسول الموصوف بتسع صفات الاولى كونه مرسلا من الله الى الخلق لتبليغ الرسالة
والثانية ان يكون نبيا اي رفيع القدر عند الله يعني الموحى اليه الكتاب ذو المعجزات وجمع الوصفين الاول بالاضافة الى الله
والثاني بالاضافة الى الخلق والثالثة ان يكون اميا قيل على صفة امة العرب قال النبي عليه السلام انا امة امية لانكتب ولانحسب
وهذا الوصف مع انه كان يقرا عليهم كتابا منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل الفاظه والخطيب منهم اذا قرا خطبة ثم اعادها
فلابد من زيادة ونقصان فيكون من جملة المعجزات لاسيما ويدل عليه انه ما طالع كتب الاولين مع انه اتى بكتاب مشتمل على علم
الاولين والاخرين واعطاه الله من الحقايق ما لم يصل اليه احد من البشر فيكون من اعظم الرابع كونه موجود الاسم والصفة
والصفة في كتابي اليهود والنصارى ولو لم يكن كذلك فقال لهم ان ذكري في كتابكم لكان من اعظم المنفرات لهم روي ان
عمر رضي الله عنه سال ابا مالك عنه وهو من علمائهم فقال صفته في كتاب هرون الذي لم يبدل احمد من ولد اسمعيل وهو آخر الانبياء
وهو النبي العربي الذي ياتي بدين ابرهيم الحنيف يأتزر على وسطه ويغسل اطرافه وفي عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة مثل
زر الحجلة ليس بالقصير ولا بالطويل يلبس الشملة ويجتزي بالبلغة ويركب الحمار ويمشي في الاسواق معه حرب وقيل وسيفه
على عاتقه لايبالي من لقي من الناس معه صلوة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ولو كانت في عاد ما اهلكوا بالريح ولو كانت في
ثمود ما اهلكوا بالصيحة مولده بمكة ومنشاه بها وبدو نبوته بها ودار هجرته يثرب هو امي لايكتب مدة هو الحماد يحمد الله على كل شدة ورخا
سلطانه بالشام صاحبه من الملئكة جبريل وفي الانجيل البشارة بالفارقليط في مواضع منها يعطيكم فارقليط اخر ايكون معكم الدهر كله
وقال المسيح للحواريين انا اذهب وسياتيكم الفارقليط روح الحق لايتكلم من قبل نفسه انه نذير لجميع الخلق ويخبركم بالامور المزمعة
ويمدحني ويشهد لي والخامس كونه امرا بالمعروف وقيل يجوز ان يكون استينافا والاولى ان يكون صفة قال في المفاتيح مجامع الامر بالمعروف
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والسادسة كونه ناهيا عن المنكر ويدخل تحته جميع ما لا يرتضيه الشرع من الكفر والفساد والظلم
لنفسه وغيره وغيرها والسابعة كونه محلا لكل الطيبات وحملها على ما حكم الله بحلها ضعيف لانه يلزم التكرار بل المستطابة بحسب الطبع
لان تناولها يفيد اللذة والاصل في المنافع الاباحة الا ما حرمه الدليل المنفصل والثامنة تحريمه الخبائث وهي الميتة والدم وما ذكر
في المايدة اي فسق قال في المفاتيح ما يستقذره الطبع يتألم النفس به والاصل في المضار الحرمة ولهذا حرم الشافعي بيع الكلب لان النبي
عليه السلام قال الكلب خبيث خبيث ثمنه والتاسعة وصفاته عليه السلام يضع عنهم اصرهم والاصر وهو الثقل من اصره اي حبسه من الحركة
لثقله وهو اشارة الى ما كلفوا به من الامور الشاقة كقتل الانفس للتوبة وكذا الاغلال مستعارة عن مثل لزوم القصاص في القتل
ولو كان خطا وقطع اثر البول وقطع الاعضاء الخاطئة وتتبع العروق من اللحم ووجه الاستعارة ان التحريم يمنع من الفعل

مطلب في بيان ان الاصل في المنافع الاباحة

كالغل

كالغل يمنع صاحبه من الحركة وقيل كانوا اذا اصلوا لبسوا المسوح وغلوا ايديهم تواضعا فهي على الحقيقة وظاهر النص يدل على مثل
ما دل عليه قوله عليه السلام لاضرر ولا اضرار في الاسلام لان كل ما كان ضررا كان اضرارا وغلا والنص يشعر بعدم شرعيتهما ومعنى عزروه
منعوه ان يقوى عليه الاعداء والتعزير لما شرع للمنع عن معاودة الذنب كانه منه والنور المتبع هو القرآن مع الاستثناء بل نزل
بعضه وهو سورة اقرا ان قلنا انه استنبي حينئذ وان كان قبله فنزل الاعقيبه ووجه ارتباط هذا الجواب على قول موسى عليه السلام
ودعائه انه لما دعى لنفسه ولقومه ذكر في الجواب ما هو سبب للاستجابة والمنع من وصف الفريقين اعني الكفرة منهم والعصاة والمؤمنون بالله
وبجميع الرسل كعبد الله بن سلام واصحابه. قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون. وجه الربط انه لما كان كل رسول
يبعث الى قوم بالخصوص وقد سبق انه لايفلح الا من اتبع النبي عليه السلام لزم ان يذكر ما يدل على كونه مبعوثا الى اهل الكتاب
ايضا لا الى العرب لاغير كما زعم اليهود وهم العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني وقيل مخصوصة بالعقلاء وبمن يبلغه خبر دعوته
جميعا نصب على الحال من ضمير الناس الشامل لهم ومناسبة ذكر ملك السموات والارض هنا الاشعار بان له تخصيص من شاء
بما شاء من تخصيص الرسالة وتعميمها وانما جعل النصب على المدح اولى من الجر صفة لله لافادة الصفة من حيث المعنى مع زيادة
وجعل لا اله الا هو بدلا من الصلة التي هي ملك السموات والارض وتقابل له يقول الاولى الاستيناف ويكون كالجواب لمن سال
لماذا اختص بذلك فاجيب بانه المتوحد بالالوهية ويحيي ويميت يجري مجرى الدليل على ذلك فان قيل امر الاحياء ظاهر فما وجه
دلالة الامانة قلنا لما سبق انه لا فاعل في الوجود بالحقيقة غير الله بمعنى ان الكائنات مستندة الى الله ابتداء لم يوجد فرق بينهما
الا بحسب العادة فعلى هذا يجب الاعتراف به وبصفاته لانه كالاساس للايمان وذكر كونه عليه السلام اميا للبيان المعجز فانه لما
قد فتح الله عليه ابواب العلوم العظيمة التي من جملتها القرآن مع انه لم يخدم استاذا ولم يطالع كتابا وجمع الكلمات للاشعار بلزوم
الايمان بجميع ما انزل على الرسل وحيث يقرا بالافراد فالمراد بها القرآن او الجنس وقيل عيسى ولعل ذلك لاتصافه بها او يراد قول كن
ولهذا اختص عيسى بها لانه لم يوجد بغيره وغيره وان كان كذلك لكنه ينسب الى نطفة الاب في الجملة والعدول عن المضمر الى المظهر
وهو رسوله لعله للاشارة الى علة الايمان وما قيل لجري الصفات عليه فهو لفظي. ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون.
لما ذكر السفهاء من قومه من الذين لم يستقيموا عليه بل عبدوا العجل ذكر المستقيمين وبين انهم يهدون الخلق الى الحق بسبب
كونهم عليه فيحتمل الحال اي محقين وبالحق يعدلون في حكمهم وهؤلاء هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام او الذين امنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واضرابه او قوم هم سبط من اثنى عشر وراء الصين سالوا الله التفرقة
بينهم وبين الكافرين منهم وهم مسلمون لورود النبي عليه السلام ليلة الاسرى واجتاز جبرئيل عليهم اياهم بانه النبي
الامي وذكر انه عليه السلام عشر سور نزلت بمكة وانهم بلغوا سلام موسى الى النبي عليه السلام ولم يكن نزلت غير الصلوة
والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم ويغيروا اقامة السبت باقامة الجمعة. وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا

الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتى عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون • اى صيرناهم متميزين بعضهم
من بعض وهو المعنى بجعلهم قطعا واسباطا بدل من اثنتا عشرة او نعت لموصوف محذوف وهو الفرقة لا تمييز واما بدل جعل بدلا
من اثنتا عشرة وعلى ما ذكرنا فيحتمل ان يكون بدلا من اسباطا لان كل سبط امة وجمع السبط دون التوحيد مع ان مميزه ما عدا
العشرة مفرد لكنه لما اريد بالاسباط القبيلة وكل قبيلة اسباط وضع الاسباط موضع القبيلة والسبط من السبط وهو شجر
يعتلفه الابل وكذلك القبيلة جعل الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان واعربت اثنا عشرة دون اخواتها لان عشرة بدل من النون
فاعرب كالمبنى وقياس العشرة البناء على الفتح كالنون والتانيث للامة والقطعة ومعنى انبجست انفجرت اى انفتحت بكثرة
يقال بجس الماء بجس وقيل خروج الماء بقلة والتوفيق ان يكون قليلا فى المبداء ثم كثر لان الانفجار قد ورد فيه الصماء والتقدير فضرب
فانبجست ولم يذكر لعدم الالتباس وللاشعار بان الانبجاس مسبب عن الوحى بضرب الحجر ليدل على ترتب الاثر وهو الانبجاس
على المعد الذى هو الامر والاناس اسم جمع كرجال ولد النعام وتوام وتظليل الغمام كان فى التيه لانه لم يكن لهم ظل ياوون اليه
وكلوا على تقدير قلنا ولما كرجع وبال ظلمهم بكفران النعمة الا عليهم قال وما ظلمونا ولا تكرار بالنسبة الى ما فى البقرة فى الحقيقة نظرا الى ما قبل الاية
وما بعدها حيث اريد بكل بيان كفران النعمة منهم وعدم الاعتبار بهذه الامور • واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون • هذه الاية يخالف الفاظها الفاظ ما فى البقرة من ثمانية اوجه كل لا يخلو عن فائدة
كذكر الانزال ثمه والارسال هنا المشعر بالكثرة وهو كالفرق فى انفجرت وانبجست وذكر الفسق ثمه والظلم هنا لبيان كونهم
موصوفين بالصفتين ولا ينافى بين العبارتين مثلا اذ قال فكلوا اعلم سببه السلبى للاكل وفى الواو الجمع وفى سنزيد كذلك وبدون
الاستيناف المشعر بجواب سائل قال فما حالهم وما سبق من النظر الى ما قبله وما بعده ما ذكر فى الاية السابقة والقرية بيت المقدس
والحاصل انهم امروا بدخولها على حال الاستغفار والتواضع ليغفر ذنوب المجرمين منهم ويزاد فى احسان المحسنين فيذكر
اما امروا فارسل عليهم العذاب من السماء وقرئ يغفر بالغائب المجهول وخطيئاتكم بكسر التاء وخطاياكم ويقرا خطياتكم وخطيئتكم
واسالهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون • اى اليهود على وجه التقرير والتقريع لكفرهم وتجاوزهم ما حد لهم من تعظيم السبت وغيره
لانه كان معلوما او تعريف الغير والمراد سؤال اهلها وفيه دليل على النبوة حيث اعلمهم بما لم يعلم الا منهم من لم ياخذ منهم فهو بالوحى
والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية وحضورها البحر قربها منه وانها شاطئة اذ هو نقيض الغيبة والسبت مصدره معناه
من سبتت اليهود اذا عظمت والاشتقاق اى يوم تعظيمهم امر السبت وقرئ لا يسبتون بضم الياء ويقرا اسباتهم ويسبتون
بضم الياء بنقطة وبنقطتين ويعدون عامل اذ وقرئ يعدون بمعنى يعتدون بادغام التاء فى الدال ونقل حركتها الى العين



وهى بدل الاشتمال من القرية او منصوب وكانت حاضرة واعتدائهم نهوا عن الصيد فيه والحيتان جمع الحوت واضافتها اليهم
لارادة التعظيم واضافة السبت للاختصاص وقيل يوم راحتهم بترك الاعمال واذ منصوب بيعدون وشرعا اى واردة
وقيل ظاهرة يقال شرع فلان علينا اذا دنا واشرف قيل كانت كالكباش البيض ومعنى كذلك اى مثل اتيان السبت نعاملهم
معاملة المختبر وذلك لخروجهم عن طاعة الله وهو انهم حفروا الحياض ونصبوا الشباك وكانوا يسوقون اليها الحيتان يوم السبت
وتبقى فيها فياخذونها يوم الاحد وذلك بوسواس الشيطان اليهم ان المحرم الصيد يوم السبت لا الاحد وفى الاية دليل على عدم
وجوب رعاية الصلاح فى الدين والدنيا لانه لو وجب لما اكثر الحيتان يوم السبت واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون لما صار اهل القرية ثلث فرق ثلث خاطئة وثلث ناهية
عن ذلك من صلحائهم بالغوا فى موعظتهم وثلث اخرى قالت لهم ما فائدة وعظكم لقوم الله مهلكهم لاصرارهم على الذنب على وجه
لا يكادون يغفلون عنه او يرحمكم ذلك ان الله مهلكهم فى الدنيا او معذبهم فى الاخرة عذابا شديدا وقيل قالوا ذلك لبعد وعظهم
اياهم وعدم تاثيره فيهم فقالوا موعظتنا لاقامة العذر عند الله والمعذرة بمعنى الاعتذار فان معنى عذر قبل العذر واعتذر اقام
العذر والظرف معطوف على الظرف السابق وقرئ بالنصب على العلة او المصدر فان قيل كيف ساغ للامة المعترضة منع الوعظ
ومن اين علموا انه لا ينجع معهم ذلك وهل يرتفع التكليف بان يعلم ان الله يعذب المكلف قلنا ليس فى كلامهم ما يدل على المنع منه
فلعلهم علموا من التورية بحسب الوصف وهو يشكل بقوله ولعلهم يتقون واما ارتفاع التكليف فغير واقع فى دينهم ايضا لان اقامة
المعذرة تدل على وجوب ذلك عليهم مطلقا وقرئ معذرة بالنصب والرفع ايضا • فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • اى فلما ترك
الصائدة وعظ الناهية من لحوق العذاب على الصيد ترك الناسى انجينا الناهية من العذاب الشديد فهو متصل بانجينا وان علق
بينهون فالمعنى انجيناهم عن المعصية واخذنا العاصية بعذاب شديد والبئس ماخوذ من بئس باسا اذا اشتد فهو بئس وقرا
على وزن حذر مخفف بنقل حركتها الى الفاء وقرئ على وزن بيعس وعلى وزن بعيس وقيل هو والمعرضة عليهم بناء على ان القائلين
منهم كانوا قالوا لم تعظون منا من علمتم انهم هالكون والصحيح انهم من الناجين وعليه حصل وفاق ابن عباس والحسن وعكرمة ومعنى
عتوا تجاوزوا الحد بالتكبر عن ترك ما نهوا عنه روى ان اهل القرية كانوا سبعين الفا والصيادون منهم اثنى عشر الفا وانما اقدموا
على ذلك اصطيادا وامرارا يوم الاحد ما الجؤه الى الحياض فى السبت فتاخر العذاب عنهم والصالحون قسموا القرية بجدار وكان
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ولم يخرج اليهم احد فوجدوهم قد صاروا قردة
وكانت تعرف انسابها وهم لا يعرفونها فجعلت تشم ثياب نسيبها وتبكى ويقول الم انهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب
قردة والمشايخ خنازير فبقوا ثلاثا ثم ماتوا وعن الحسن وايم الله ما حوت اخذه قوم واكلوه اعظم عند الله من قتل مسلم ولكن جعل
الله موعدا والساعة ادهى وامر والمعنى بالقول المقتضى لصيرورتهم قردة ما سبق فى قوله سبحانه كن فيكون من ترتب المراد

بعد تعلق الارادة كالممتثل للامر من غير توقف اى سخناهم قردة وقيل العذاب البئس المسخ وعلى الاول عدلوا به ثم لما عتوا صيرهم الله
قردة ومن زعم ان المراد من القول الفعل فلان المأمور ينبغي ان يقدر على المأخوذ به وهم ما قدروا على انه ينقلبوا قردة • واذ تاذن ربك
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم • تفعل من الايذان اى اعلم
واذن وتاذن كاعلم وتعلم واذن صاح ونادى للاعلام ومنه المؤذن لما شرح سبحانه بعض فضايحهم حكم عليهم بالذل الى يوم القيمة
واللام جواب القسم لان اذن اجرى مجرى علم وشهد فاجيب بجوابه او عزم لانه تقتضي اعلام نفسه بما عزم عليه والضمير في عليهم يرجع الى
اليهود الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام واتفقوا على اليهودية لا الذين مسخوا لانهم ما بقوا على التكليف وايضا المراد زجرهم وقيل
بل الذين بقوا في القرية والعذاب اخذ الجزية وكانوا يؤدونها الى المجوس حين بعث الله محمد النبي عليه السلام وقيل الاستخفاف والاهانة
كقوله ضربت عليهم الذلة كاخرب بخت نصر ديارهم ومن خصها بخيبر وبني قريظة والنضير فسره بالقتل والاسر والاجلاء وسرعة الحساب
تحذير عن عذاب الدنيا والاخرة وهو غفور رحيم لمن تاب عن اليهودية وآمن بمحمد عليه السلام • وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون
ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون • اى فرقنا بني اسرائيل في المسكونة من الارض بان فرقناهم فيها
حتى لا يكون لهم شوكة او جعلناهم على اديان مختلفة وامما مفعول ثان او حال ومنهم الصالحون صفتها او بدل منها وفسر الصالحون
بالذين اسلموا او الذين وراء الصين ويحتمل الحمل على العموم فان الصالحين منهم وجدوا في غير ذلك الزمان الا ان يبتني الانحصار
ودون صفة محذوف ومنهم ناس اى ناس منحطون عن وصف الصلاح كالكفرة والفسقة فحذفه مثل وما منا الا له مقام معلوم اى احد
وعاملناهم معاملة المختبر بالخصب والعافية والجدب والشديد ترغيبا وترهيبا • فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا
يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون • هم الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام
والخلف بالسكون للشر وقد يستعمل مضافا للخير وبالفتح للخير ماخوذ من خلف اللبن في اذا طال مكثه وتغير وقيل جمع خالف
وهو الذي ياتي خلف السابق والكتاب التورية قرأوها وادركوا ما فيها والادنى اما من الدنو اى الاقرب وهو الدنيا
اى الرشى واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها وهذا في مثله للتحقير فان قيل ما السبب في العدول عن اخذوا الى ياخذون قلنا
لان الوقاية لم يكن الامرة والاخذ كان يتجدد وفيما بعد وقيت وما اقيم في سيغفر مقام الفاعل الجار والمجرور اى لا يؤاخذنا
بالرشى او الاخذ المدلول عليه بياخذون والواو وان ياتهم للحال او العطف اى يرجون المغفرة مصرين على مثل فعلهم ولا يخفى
ان هذا كله في الكفر وتشبيه من يرجو المغفرة على الذنب مع انه جزم بغفران الكفر دليل على انه لم يفرق المشبه الكفر وغيره وهو
عين الكفر فلا فرق بينه وبين هؤلاء اليهود وحمل ميثاق الكتاب اى الميثاق الذي في الكتاب على انه لا يغفر الذنب الا
بالتوبة تقييد بغير دليل من اللفظ فان صح من التورية ذلك تعين والا فلا يصح فان القول على الله في الذات والصفات
وتغيير جميع ما في التورية يندرج تحته وحمل ما درسوا فيه على ذلك ابعد وهو عطف على الم يؤخذ عليهم لان نفي النفي افاد الاثبات

تحسن

تحسن العطف وان لا يقولوا على الله يجري مجرى عطف البيان وفيه ان الحكم على المغفرة من غير الرجوع من الكفر ليس من ميثاق الكتاب
ويجوز ان يكون مفعولا له ان خص الميثاق بما ذكر من عدم المغفرة بغير التوبة لا غير ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا نهيا اى الم نقل
لهم لا تقولوا والمراد بالمتقين عن مثل افعالهم وعدم عقلهم باعتبار تبديلهم الادنى بالعقاب الدايم وقرئ بالتاء للالتفات
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين • اى يؤمنون بالكتاب ويعملون بما فيه ويصح جعل
انا لا نضيع خبر الموصول لانه في قوة الضمير اى اجرهم لان المراد بالمصلحين المتمسكون تقول زيد جاري زيد فالثاني كالضمير
وان عطف على الذين يتقون فيكون مجرورا وانا لا نضيع اعتراض وقع بالنداء او دليلا على خبر محذوف اى يثيبهم على عملهم
وافراد الصلوة بالذكر مع دلالة التمسك بالكتاب عليها انافة لها حيث كانت عماد الدين وقرئ يمسكون بالتخفيف • واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • النتق قلع الشئ من موضعه والرمي
اى قلعنا الجبل من اصله وامرأة منتاق كثير الاولاد لانها ترمي باولادها رميا ومنه قوله عليه السلام انتق ارحاما وبقي كانه سقيفة
سقف لان الظلة كلما اظلك من سقف او سحابة او جناح حايط ومعنى ظنوا اقوى في نفوسهم ذلك وقيل ايقنوا وذلك انهم امتنعوا
عن قبول ما في التورية لثقلها فقلع الله الطور فوقهم فرسخا في فرسخ قدر معسكر موسى فخر كل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وينظر بعينه
اليمين خوفا من السقوط وكذلك يفعل اليهود لانها سجدة رفع بها العذاب ومعنى خذوا قلنا لهم خذوا ما فيها بعزم على احتمال مشاقه
واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او ارغبوا الى ما فيه من عظيم الثواب او الدلالة الظاهرة على القدرة الباهرة وقرئ تذكروا
واذكروا بمعنى تذكروا وذلك على رجايكم التقوى • واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا
بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات لعلهم يرجعون • المذهب الحق الذي عليه جمهور المفسرين ما روى عمر رضي الله عنه حين
سئل عن تفسير هذه الاية فقال سمعت رسول الله عليه السلام سئل عنها فقال ان الله خلق ادم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته
فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وخلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون الخبر وروى ان اهل الجنة كانوا
بيضاء واهل النار سوداء وسمى الاولين اصحاب اليمين والاخرين اصحاب الشمال وروى انه راى الانبياء لهم نور اورأى داود
انورهم فسال عن عمره فقيل ستون فوهب له من عمره اربعون فلما جاءه الملك جحد ذلك ولعل عليه السلام نسى ذلك لما تقرر
ان الانبياء لا يصدر عنهم الصغاير عمدا واختلف في ان اخراج الذرية قبل دخول الجنة بين مكة والطايف او ببطن نعمان وادي
الى جنب عرفة او في الجنة او بعد الخروج بارض الهند فقيل جعل الذرية على هيئة الرجال والنساء بعقولهم ثم قال الست بربكم قالوا
بلى والمعتزلة انكروا ذلك لدلايل واهية ذكرها صاحب المفاتيح ولم يذكر اجوبتها ونحن نذكر اقواها بالجواب عنها الاول انه لم يقل
لو كان كذلك لقال من ظهره لا من ظهورهم والجواب انه اذا كان المستخرج من ظهر ادم اولاده واولاد اولاده الى يوم القيمة فيكون
المراد من بني ادم واولاده لانه صار اسما للنوع كالانسان واقتصر بذكر آدم لانه الاصل ويعلم منه الجواب من قولهم انهم خلق عظيم

فكيف يسعهم ظهر آدم وهو الدليل الثاني الثالث ان قولهم انما اشرك اباؤنا يستدعي شرك ادم والجواب منه يعلم بالاول
مع الاسناد الى البعض مع ذكر الكل بدلايل جازمة سايغ الرابع انه لو كان عند اخذ الميثاق العقلاء ليذكروا والجواب عن مثله
بمنع الدعوى فانه تحكم محض الخامس ان البنية شرط لحصول الحيوة وكل واحد من تلك الذرات لا يمكن ان يكون حيا والجواب منع كون
البنية شرطا لما تحقق في الاصول انه يلزم منه الدور ودعوى استحالة تعلق الحيوة بالذرة هذيان لا عبرة به ومن قال بان الله
فاعل مختار والشيء غير مستحيل عقلا فكيف ينكر ان الله يجعل الذرة عاقلا فاهما للخطاب مجيبا عنه السادس انه يلزم ان يكون
تلك الذرة انسانا وهو باطل لانه لم يخلق من النطفة وقد قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من نطفة والجواب ان المراد الانسان
الحاصل بالتوالد والا يلزم ان لا يكون ادم انسانا وبهذه الترهات كيف يدفع الحديث الصحيح الصريح في الدلالة وقيل المراد
وجودهم في الدنيا قرنا بعد قرن الى يوم القيمة والمعنى بالاشهاد ما لهم من الاستعداد العقلي او ببعث الرسل وقيل هو اخذهم
من ظهور ابائهم وجعلهم في الارحام وتحويلهم في اطوار مختلفة والاشهاد عند البلوغ وقيل على السنة الرسل وهو يناسب ارادة افحام
اليهود ببيان اخذ الميثاق العام بعد ذكر الميثاق الخاص بهم ويكون المراد من بني ادم اسلاف اليهود وذرياتهم هم الذين كانوا
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافي قوله او يقولوا انما اشرك اباؤنا لانهم مشركون حيث قالوا عزير ابن الله ووجه التخصيص
سباق الاية وسياقها وان يقولوا مفعول له اي كراهة ذلك وجواب قولهم كنا ذرية ان نصب الدلايل السمعية والعقلية كافية في الزجر
عن تقليد الاباء من غير مستند وقوله شهدنا قيل من قول الملئكة لانهم لما قالوا بلى اشهد الله الملئكة عليهم وقيل الارواح البشرية موجودة
قبل الابدان والاقرار بالاله من لوازم ذاتها وجعله من باب التمثيل على طريقة قالتا اتينا طائعين على فرض جعل ذلك ايضا من قبيل التسخير
دون الخطاب وان لم يبعد عقلا لكن الاول هو اللايق بالتفسير فانه مذهب اهل السنة ومعنى كذلك ان مثل التفصيل نفصل الايات
ارادة رجوعهم عن الاشراك الى التوحيد. واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا
لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون. وجه الربط ان المنكر عليهم بنو اسرائيل وقد زاغ بعض علمائهم وقيل نزل في بلعم بن باعور
من الكنعانيين سلب الله عنه الايمان لدعائه على بني اسرائيل وكان يمتنع ويقول كيف على من معه الملئكة فالح وافدعا فوقعوا في التيه
بسببه او انه اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها بان كفر بها وقيل في امية بن ابي الصلت كان علم من الكتب بعثة رسول فرجا
ان يكونه هو فلما لم يكن حسد النبي عليه السلام وقيل في عامر الراهب ويأتي ذكره عند ذكر مسجد الضرار ان شاء الله تعالى وما قيل انه نبي من
بني اسرائيل اسمه بلعم ترك الدعوة للرشوة هذيان لا يجوز ذكره ولكن ذكرناه للابطال فانه لو جاز للنبي ان يكفر لارتفع الوثوق
عن حال الرسل وقيل معنى اتينا بينا باله فلم يقبل وغوى عنها وهو مثل انسلخ او بينا له حجج التوحيد فاعرض عنها بعد فهمها
ومعنى اتباع الشيطان استتباعه اياه او انه اتبعه بعد ان اتبع الشيطان خطواته فصار من الكافرين وقيل ادركه الشيطان
ومعنى الرفعة الرفعة الى منازل العلماء الابرار وفي الاية دليل على ان الله تعالى قد يشاء الايمان وقد يشاء الكفر وتأويل المعتزلة

ان المعنى

ان المعنى لو شئنا لرفعناه عنه التكليف يتصل الى تلك الدرجة معنى لا دلالة للفظ عليه ولو تكلف له وجه على بعد فكيف يسلم اليهم
ذلك اذ امنعه منه لم يكن موجبا للثواب والرفعة ولقايل ان يقول ويلزمهم دعوى ارادة الاصلح بل المصلحة ويؤيد المذهب انه علق
بالمشية لا بالفعل الذي يستحق به الرفع والتفسير بانه ذكر المشية واراد ما هو تابع لها ومسبب عنها بمعنى ان مشية الله رفعه
تابعة للزوم الايات خلاف الظاهر ومعنى اخلد الى الارض واتبع هواه مال الى لذات الدنيا واختار التسفل على الترفع واختار
الدنيا على الاخرة فصفته في الخسة كصفة الكلب في اذل احواله وهو دوام اخراج اللسان سواء زجر وطرد او لم يتعرض له
وغيره لا يلهث الا في الثاني وعن ابن عباس ذلك لان الكلب منقطع الفؤاد وقيل ذلك لانه لما دعا بلعم على موسى جعل يلهث وقد
وقع لسانه على صدره ومحل ان تتركه يلهث النصب كانه قيل كمثل الكلب لاهثا وذلك مثل اليهود في تكذيبهم الايات بعد ما قرأوا
نعته من التورية والقرآن المعجزة وقد بشروا الناس ببعثته بما يلزم التركيب وهو قوله سبحانه ولو شئنا لرفعناه ولازمه عدم
الرفع لان لو لامتناع الشيء لامتناع غيره وامر النبي عليه السلام بان يقصص القصص لعلهم يتفكرون في العواقب فينزجروا به
عن قبايح اعمالهم ويتبعوا الايات البينات. ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهدي الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون. ساء من افعال الذم والتقدير ساء مثلا مثل القوم فحذف المضاف
او ما تقدم من حال الكلب او ساء اصحاب مثل ونصب اصحاب لانه لما اضمر اسم ساء صار مثل مثلا في كونه تمييزا لان التقدير
ساء الاصحاب اصحاب مثل وانفسهم ان عطف على كذبوا فمن جملة الصلة اي جمعوا بين التكذيب والظلم وان قطع عنها فالمعنى
وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب والحصر علم بالتقديم ويحتمل ان يكون الواو للحال اي هذا الاسناد في حال ظلمهم انفسهم ورفع مثل
اما بالابتداء او ساء مثلا خبره او خبر محذوف فانه لما قال ساء مثلا كلب هو فقال مثلا القوم ومن يهدي الله معناه ان من هداه الله
للايمان فهو المهتدي الكامل ولعل توسيط الضمير لذلك ومن يضلل فلا خاسر اعظم منه والتوحيد في الاول للفظ وفي الثاني
للمعنى وهذا من جملة دوامغ المعتزلة الذي لا مناص لهم عنه ولا خلاص وكذا قوله. ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
اي خلقنا لها والمراد بالكثير كفار الفريقين ووجه الربط ان من جملتهم اليهود حيث كفروا بالنبي عليه السلام مع علمهم بنبوته ولا يخفى
انه اشارة الى من علم منهم انهم لا يعتبرون بالايات ولا ينفعهم البينات وقيل اللام للعاقبة ولا ينافي قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وكذا اذا اريد بهما الجنس وهؤلاء الكثير منهم وقيل التقدير ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وما روي
مرفوعا ان ولد الزنا منهم ولعل المراد ان الغالب منهم الفساد والا فلا فرق بينه وبين غيره اذا كان من اهل الايمان والصلاح
وعدم الفقه والابصار والسماع بهذه المدركات لعدم الانتفاع بها على وجه يتميزوا بها عن البهايم فهم كالانعام في عدم الانتفاع
بالدلايل العقلية والحجج السمعية وانما كانوا اضل لان الانعام تسعى في تحصيل منافعها ودفع مضارها وهم معاندون به
ولعل ذلك لان البهايم يتأتى فيها ما هي مستعدة له بخلاف هؤلاء وقيل لانها تعرف الصانع بخلاف الكافر واولئك هم الكاملون

في الغفلة علم بتقديم اسم الاشارة وتوسيط ضمير الفصل وفي الاية دليل على خلق الاعمال وارادة الكائنات لانا اذا اخبر الله عنهم بانهم
للنار امتنع ان لا يدخلوها فلا يجوز ان يريد منهم عدم دخولها. ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون. لما ذكر الحق سبحانه المخلوقين لجهنم اراد ان يذكر المخلص منها وهو ان يدعو الله باسمائه على ما ورد به التوقيف ويعرف معانيها
ويعتقد حقيتها ولا يشرك به باطلاق اسم الاله على غيره المراد بجميع الاسماء سوى لفظ الله الصفات كما سبق في البقرة انه كالعلم لذاته
المخصوصة والفرق بينهما ان الصفات للاعتبارات والاسم للذات ويجب معرفة القسمين ووجه كونها حسنى اعني الزيادة في الحسن
هو ان حسن اللفظ لحسن المعنى وهو صفات الكمال ونعوت الجلال وينحصر في عدم افتقاره الى الغير وافتقار الغير اليه وينقسم
الى حقيقية كالموجود والواجد والحي واضافية كالمذكور والمعلوم وسلبية كالقدوس والسلام وحقيقية مع اضافية كالعالم والقادر
لتعلق العلم والقدرة بالمعلوم والمقدور والسلبية مع الاضافية كالاول والحقيقية معها والسلب ايضا كالحكيم فانه خالق الاشياء
ولا يفعل ما لا يجوز وينقسم الى ما يطلق على غير الله كالرؤف والرحيم وما لا يطلق على غير الله كالله والرحمن وظاهر اللفظ من تقديم لله على الاسماء
الحسنى افادة الحصر ويدل عليه ان ما سوى الله سبحانه محتاج اليه في وجوده وصفاته ولولاه لبقي على العدم فهو كامل في ذاته وكال غيره منه
ومن هنا يعلم ان كل اسم لا يكون مدلوله حسن لا يطلق على الله حتى ان منهم من امتنع من اطلاق الشي على الله لذلك وقوله تعالى فادعوه بها
يدل على ان لله اسماء حسنة يجب ان يدعى بها وفيه دليل على كونها توقيفية فلا يقال يا فقيه يا طبيب يا سخي يا عاقل ومنه يعلم ان الاسم
غير المسمى لان الاسماء كثيرة والذات واحد لان الاسماء والاضافة تدل على المغايرة وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة فادعوه بها بعينها لا تخترعوا لله سبحانه اسما غير ما وصف به نفسه ومعنى ذروا الذين
اتركوا التسمية من اهل الهاعن الصواب وقرئ يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد فسماه بغير الاسماء الحسنى كما نقل عن البدو انهم
يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي من النخوة اي يانف عن القبيح وقيل الحادهم الامتناع عن التسمية بالرحمن وقولهم ما نعرف الا رحمن
اليمامة والتسمية بالله لا غير واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ويحتمل ان يراد بالملحدين في اسمائه الذين يصفونه بانه المسلوب
عنه المشبه ببعض مقدوراته او الخالقية له كالمعتزلة مع قوله سبحانه قل كل من عند الله. وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. هو كالمقابل لقوله سبحانه ولقد ذرانا روي عن النبي عليه السلام انها امتي
وفي رواية ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها اي قوله سبحانه ومن قوم موسى امة
وقيل العلماء وهداة الدين او مؤمنوا اهل الكتاب واما المكذبون بالقرآن او بمحمد والمعجزات فيأخذهم قليلا قليلا الى ان يدركهم
العقوبة لان الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره ويقال للطي ومس الشيخ والصبي ويعلم اني عنك غير منعم تهره تكرهه
وذلك انهم كلما جددوا خطية جددت لهم نعمة فظنوا ان ذلك تقريب من الله تعالى وانسا هم الاستغفار واستدراج الله والعياذ به
ابعاد وخذلان وقال عمر لما حمل اليه كنوز كسرى اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا. واملي لهم ان كيدي متين. الاملاء الامهال



واطالة المدة يقتضي الاعجال اي ابقيهم في الدنيا مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة وهو المعنى بكون كيده متينا لان كيده
عذابه وتسميته به لانه ينزل من حيث لم يعلم وهذه الثلثة الاستدراج والاملاء والكيد كل واحد منها يدل على ان الله اراد بالعبد
ما يسوقه الى الكفر فهي محل الاستشهاد في مسئلة القضاء والقدر وجواب المعتزلة من صرف الكلام لا يخفى كما سبق. او لم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة ان هو الا نذير مبين. هذا حال المكذبين فانهم لما قالوا للنبي عليه السلام انه لمجنون لما صعد الصفا وينذر قريشا فخذا فخذا ليلة
الى الصباح او ما كان يظهر عليه وقت الوحي مثل الغشي نزل والاستفهام بمعنى التقريع او التحريض اي او لم ينظروا بعقولهم لان الفكر طلب المعنى
بالقلب وذلك لانه كما يتقدم رؤية البصر تقليب الحدقة نحو المرئي يتقدم رؤية البصيرة تقليب الحدقة الى الجوانب والجنة حالة من الجنون
ودخول من لافادة نوع منه اي انه كيف يتصور منه الجنون وهو يدعوهم الى الله ويقيم عليها الدلائل القاطعة بالفاظ بلغت في الفصاحة
الى حقيقة يعجز عنه الاولون والاخرون فما هو الا منذر من الله موضح انذاره بتقريره. او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون. وجه الربط تعقيب بحث النبوة ببحث الدليل على وجود
الصانع لتوقفه عليه والمعنى او لم يتفكروا والملكوت فعلوت من الملك للمبالغة اي الملك العظيم والاستدلال به قد سبق في قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض باعتبار افتقارها الى مبدع عالم قادر مريد الى آخر الصفات والنظر في الملكوت لا يتم الا بعد معرفة
اقسامها وهي اما متحيز او حال فيه او لا ولا والاول اما بسيط او مركب والاول اما علوية او سفلية والاول السموات والكواكب
والعرش والكرسي والجنة والنار والبيت المعمور وغيرها والسفلية طبقات العناصر والجبال والبحار وغيرهما والمركبات
كالمعادن والحيوان والنبات والاثار العلوية والحال في المتحيز الاعراض وتقرب اجناسها من اربعة تحت كل انواع كثيرة وليس
بمتحيز ولا حال فيه فهي الملائكة العلوية والسفلية وهذه الملكوت كالقطرة من البحر بالنظر الى انه يمكن ان يكون لله الف الف عالم سوى هذا
العالم وله في كل منها عرش اعظم من هذا العرش وكرسي اعظم من الكرسي المعروف وسماوات اعظم من هذه وكيف يمكن الاحاطة بها وقد قال
سبحانه في حال جنوده وما يعلم جنود ربك الا هو وذكر الشيء بعده للاشعار بعدم انحصار الدلالة فيهما بل ما من ذرة في عالمي الاجسام والارواح
الا وهي تدل على ذلك مثلا ذرة من الذرات الحاصلة من كوة تشرق الشمس عنها تدل على الصانع من جهات غير متناهية لاختصاصها
بحيز من الاحياز التي لها في الخلاء الذي لا نهاية له مع امكان التحيز بغيره من تلك الاحياز لا بد له من مخصص هو الله سبحانه اما ابتداء
او بوسط دفعا للتسلسل والدور وكذلك نفرض عدم التناهي باعتبارات اخر وان في ان عسى مخففة حذف عنها ضمير الشان
اي او لم يتفكروا انه عسى ان يموتوا عن قريب ومن كان كذلك فينبغي ان لا يتوانى في النظر وطلب الحق وما ينجيه من العذاب بعد الموت
او مجيء الساعة وقيل التقدير في ان عسى وخبر كان يحتمل ان يكون مضمرا اي الشان ان يتوقع القضاء العمر واذا كان كذلك فباي
حديث احق من القران مع ما فيه من التنبيهات الطاهرة والبينات الباهرة يريد عدم ان يؤمنوا به فهو متعلق بعسى ان يكون ولا تمسك
للمعتزلة بحدوث القران نظرا الى ان الحديث ضد القديم لانه ليس صفة للمعنى القايم بذات الباري تعالى وايضا يحتمل انه يقال حديث لتعلقه
بعقايد المكلفين واعمالهم. من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون. من اراد الله خذلانه وسلوك الطريق الغير المستقيم

لم يهده احد سوى الله ويذرهم في كفره وعتوه ويقرأ بالغائب والمتكلم والرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم حملا على محل لا هادي له لان موضع
الفاء مع ما بعدها جزم بجواب الشرط • يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في
السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وجه الربط انه
لما ذكر قرب الاجل لحث على المبادرة الى الخير اتبعه بانها من الساعة المقتضي لذلك وايضا الايمان بها من الاصول فقرنها بالتوحيد
والنبوة والساعة قيل من الاسماء الغالبة على القيمة وهو دليل على انها مقدار من الزمان وتسمية القيمة بها عندهم قال لسرعة حسابها
تدل على انها مقدار يسير منه او لانها على طولها كساعة عند الله وقيل لوقوعها بغتة وايان معناه متى سؤال عن تعيين الوقت
بدليل انه فعلان من اي بمعنى اي وقت واي فعل لسكون العين من اويت لان البعض يأوي الى الكل ولا يكون من اين لانه للمكان
ويقرأ بكسر الهمزة والارساء الاثبات واقرار الشيء الثقيل وهو مصدر ومنه الجبل الراسي وارساء السفينة والمرسى الانجر الذي
ترسى به وثقل الساعة اشير اليه بقوله الا هو ثقلت في السموات والمعنى السؤال عن وقت ارسائها فقيل لا يعلم ذلك الا الله
استأثر به نفسه لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل لا يظهرها ولا يكشف عنها الا هو فلا يجليها بالاخبار عنها قبل مجيئها احد غير الله
ويستمر الخفاء الى قيامها روي ان قريشا سألوا رسول الله عليه السلام ان يشير اليهم بوقت مجيئها وقيل اليهود امتحنوه وقالوا
ان كنت نبيا علمت ذلك ونحن نعلمه فنزل وسبب الاخفاء انه اذا لم يعلم وقتها كان ازجر عن المعاصي وادعى الى الطاعات
ووصف ثقل الساعة في السموات كوصف اليوم بالثقل اي ثقل مجيئها على السموات والارضين لان عند مجيئها تنشق
السموات وتكور الشمس والقمر وتنتثر النجوم وتبدل الارض وثقلها على اهلها انهم يتوقعونها ويخافون اهوالها وكل شيء لا يطيقه
من كلف حمله فهو ثقيل عليه ومعنى بغتة فجاءة اي على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وفي رواية يرفع اللقمة فيحول بينه وبين ان يضعها في فيه
والحفي العالم بالشيء المعني به يقال حفي عن الشيء سأل وحفي به عرسه اي تحفى بهم ويخصهم لاجل مراتبهم بالتعليم وفرح به وحفا يحفو
حكم او فعيل بمعنى مفعول من احفيت في السؤال عنها اي بالغت فيه وقيل يحبه ويؤثره اي تكره السؤال عنها لاختصاصه بالله سبحانه
وذكر في وجه التكرار انه للتأكيد او لزيادة كأنك حفي عنها ولقائل ان يقول المعنى بالتأكيد يفوته الاول وهذا ليس كذلك بل هو بيان
للاول لان الاول سؤال عن تعيين وقتها من غير تعرض لحال المسؤول عنه والثاني سؤال مقيد ببيان حاله من احد الوجوه واكثر الناس
لا يعلمون اختصاص هذا العلم بالله تعالى قيل اصله يسألونك عنها كأنك حفي بها • قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون • وجه الربط انه جواب لقولهم الا تخبرنا
بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري ونربح وبوقوع القحط في موضع لنرتحل عنها فقال لا املك لنفسي جلب نفع ولا دفع ضر
او هدى وضلال الا ما شاء الله فهو اعتراف بالعبودية ونفي لعلم الغيب عن نفسه بذكر لو كنت اعلم الغيب لكانت حالي
على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير وجلب المنافع ودفع المضار او الربح في التجارات والغلبة في الحروب واصابة التدابير لكني عبد

ارسلت

ارسلت لانذار الكافرين وبشارة المؤمنين واكتفى بذكر القسمين عن ذكر الآخر وقيل تم الكلام على الخير وما مسني السوء جواب
نسبتهم اياه الى الجنون وفيه بعد لتفكك النظم وفي الآية دليل على مسألة القضاء والقدر فان الايمان نفع والكفر ضر ولا يحصلان الا بمشية الله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون • وجه الربط انه لما ذكر
اقرارهم عقبه بما يقتضي رفع الشرك وتقرير التوحيد لارتفاع امثال ذلك والنفس الواحدة آدم وزوجها حوا وقيل كل من يخلق من الانسان
من ذكر وانثى والسكون الانس والاطمينان والجنسية يقتضي ذلك وكونها منها بان خلقت من ضلع آدم او من جنسه والحكمة شدة
الميل اليها ميل الشخص الى ولده حيث هو بعضه والتغشي والغشيان كناية عن الجماع وخفة حملها انها ما لقيت منه ما يلقى الحبالى
من الكرب والاذى ولم تستثقله تقول المرأة ما كان اخفه علي كبدي حين حملته وقيل الخفيف هو النطفة ومعنى فمرت مضت به من غير
اخلاج اي القاء قبل اوانه وقيل قامت به وقعدت ويقرأ استمرت ومرت بالتخفيف ومعنى اثقلت دخلت وقت ثقلها ويقرأ على المجهول
اي اثقلها الحمل وحينئذ دعا آدم وحوا ربهما ولعل تخصيص الرب للاشارة الى طلب التربية للولد كما حصلت لهما والمسؤول انه لو وهبت لنا
ولدا سوي البدن صالحا لما يراد منه او ذكرا فلما اعطاهما ما سألاه جعل اولادهما له شركاء وقدر المضاف في آتيهما ايضا اي آتى
اولادهما وضمير الجمع في يشركون يدل على ارادة شرك الاولاد كيف وجناب الانبياء منزه عن الشرك كما كان يفعل قريش من تسمية اولادهم
بنحو عبد اللات والعزى ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي اي خلقكم من نفس قصي وجعل زوجها من جنسه فلما آتاهما الولد الذي طلباه سمياه
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار فالضمير لهما ولاعقابهما ومنهم من نسب الاولاد الى الطبائع ومنهم من نسب
الى الكواكب كما هو قول المنجمين وما يقرأ من شرك فالتقدير ذوي شرك وما روي ان ابليس قال لحوا متمثلا بصورة رجل لعل ما في
بطنك بهيمة وما يدريك من اين يخرج فخافت وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليهما فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله
خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه الحارث في الملئكة وسمياه بذلك لا يليق بالانبياء لانه شرك
ويدل عليه ايشركون ما لا يخلق وايضا لو كان المراد شركهما بالتسمية لقال من لا يخلق وقال عما اشركا وايضا كان اعرف
الناس به فلا يعرف اسمه وهذا الاستبعاد قد ذكره في الانوار وفي المفاتيح وفي الكواشي ان التأويل الاول وهو التسمية بنحو عبد العزى
اولى بعد ان نقل ان ابليس خدع آدم مرتين وقال في المفاتيح انه من جملة التأويل انما سمياه بعبد الحرث باعتبار انعامه بالدعاء له على
اعتقاد صلاحه قال الشاعر • واني لعبد الضيف ما دام ثاويا • ولكن لما كانت حسنات الابرار سيئات المقربين باعتبار اطلاق العبد
الموهم للباطل وعلى فرض صحة القصة فقد قيل انه شرك التسمية لا شرك العبودية والضمير في يشركون للكفار لما سبق من اضمار الاولاد
ويحتمل ان يكون استينافا وقال في اللباب التقدير صار له شركاء فيما آتاهما وادعى انه تفرد به وفيه نظر باعتبار سياق الآية وذكر
الشرك في معرض الذم • ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون • استفهام اي هل يجوز ان يشرك بالله خالق السموات والارض

ما لا قدرة له على خلق شيء بل هم يخلقون فان الله خالقهم بل عبدتهم اقدر منهم فانها من نحتهم ولا يستطيعون ان ينصروا
عبدتهم بل هم يدفعون عنهم المكاره وان تدعوا ايها العبدة هؤلاء الاصنام الى ان يهدوكم الى ما هو الهدى الحقيقي كما طلبتم
من الله لا يوافقوكم على مرادكم كما يتبع الله عليكم بل يستوي بالنسبة اليها دعوتكم اياهم وصمتكم عنها واختيار الجملة الاسمية دون المطابقة
بقوله صمتم للاشعار بان الحال المعتادة هي الدعاء الى الله ودعاء الاصنام نظرا احيانا فان قيل صيغة ما اولا نظرا الى ان الاصنام
جمادات وصيغة جمع ذوي العلم بزعمهم ثانيا على حسب الحالين مناسب لكن لم لم يعكس وما السبب في كثرة ذكرها بصيغة
ذي العلم قلنا لما كان نفي الخالقية يناسب حال الجمادية اخص بها والحالات المنفية عنها تقتضي الوصف بالعقل والعلم ذكرت
بصيغة ذوي العلم تهكما بهم • ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين •
اي ان الذين تعبدونهم او تدعونها للاجابة او تسمونها آلهة مملوكون امثالكم وتسميتهم عبادا تهكم بهم اي على فرض ان يكونوا
عقلاء ويقرا بنصب العباد وتخفيف ان على اعمال ان النافية عمل ما في لغة حجاز اي ما الذين يدعون عبادا ولفظ الذين على زعمهم
انها تعقل او لاجل تناولها الملئكة والمسيح كقولهم آلهة ارجل على الاستفهام اي ان الذين تدعون يعني انتم افضل منها
وادعوهم حمل على امر الانكار وفليستجيبوا على امر التعجيز ويحتمل ان يكون الاول ايضا للتعجيز اي ادعوهم ان كنتم صادقين في انها تعقل
وتنفع وتضر • الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا
شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون • هذا تقرير الانكار على الكفار في عبادة الاصنام وذلك لان هذه الاعضاء اذا حصل
لكل منها ما يليق من القوة المحركة والمدركة كان صاحبها افضل من الخالي عنها فالعابد افضل من المعبود وبهذا التقرير يندفع هذيان
بعض المشبهة في اثباتها لله تعالى باعتبار ان عدمها دليل على عدم الالهية لا سيما والمراد بيان عدم استطاعتها على النفع والضر
واليه الاشارة بقوله قل ادعوا شركاءكم فانهم كانوا يخوفون الرسول عليه السلام بالهتهم فقال فان كنتم صادقين في انها
تضر فبالغوا في مكروهي ولا تمهلوا ولا تؤخروا عني ما قدرتم عليه واستدل بعدم المبالاة بقوله • ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين والذين يدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • يعني ان الله ينصرني عليكم وهو الذي شرفني بوحي كتابه الي وجرت السنة
الالهية بنصرة الصالحين فصار برهانا على نصرته لانه عليه السلام وكل صالح فالله سبحانه ينصره ووصف الاصنام بهذه
الصفات لا تكرار فيه فان الاول قد ذكر على جهة التجهيل لهم في العبادة وهذا البيان عدم المبالاة بتخويفهم الرسول عليه السلام
والمراد من نظرهم المقابلة لا تقليب الحدقة يقال دار فلان تنظر الى دارنا او كانها تنظر او مفتوحة الاعين كالناظر وهذا اذا
لم نقل ان الضمير للكفار ونفي الابصار عنهم لعدم مقتضيه وهو الحيوة • خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم • قيل العفو الفضل وما اتى من غير كلفة وقيل نقيض الجهد اي خذ
ما اتى من الناس من اخلاقهم بسهولة ولا تشدد عليهم ويدخل فيه ترك التشدد بما يتعلق بالحقوق المالية قال الله سبحانه

ولو كنت

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الآية وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة وقال يسروا ولا تعسروا
قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • وقيل خذ ما يسهل من اموالهم لانه ترك وجوب الزكوة
والعرف المعروف والحسن من الافعال والمراد اظهار الدين الحق والاعراض عن الجاهلين عدم مقابلة السفهاء بمثل فعلهم ومن فسرهم
بالمشركين قال هي منسوخة ولا دلالة فيه لان ترك المقابلة بمثل افعالهم الركيكة لا ينافي المقابلة بالاسلام يروى انه لما نزلت سال النبي
عليه السلام جبرئيل عنها فقال ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وهو يطابق اللفظ لان وصل القاطع عفو عنه
واعطاء من حرم امر بالمعروف والعفو عن الظالم اعراض عن الجاهل وهي مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس
ولهذا قال الصادق رضي الله عنه ما في القرآن آية اشمل لمكارم الاخلاق منها ونزغ الشيطان نخسه بالحمل على الوسوسة ليحمل الانسان
على خلاف ما امر به وكانه ينخس الانسان باغرائه على القبيح وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده ووجه الربط ما روي انه لما نزل قال النبي
عليه السلام كيف يا رب والغضب فنزل وقيل النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب فامر بالاستعاذة بالله من الشيطان
معللا بان الله يسمع الدعاء ويحتمل ان يريد ما يقال عند نزغه عليم بضميره الذي يوسوس اليه • ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع
ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • وقرئ طائف وطيف وكلاهما يحتمل ان يكونا من طاف
يطوف ويطيف يقال طاف اذا اقبل وادبر وطيف يحتمل ان يكون منه ومن طاف الخيال ومنه اي الم بك الخيال يطيف
واصل طيف طيّف فخفف كميت وهو تقرير وجواب الاستعاذة من نزغ الشيطان فان اللائق بحال المتقين ان يتذكروا
اوامر الله ونواهيه عند وساوس الشياطين ليدفعوا به ما يلحقهم من سعاها ويميزوا به عن اخوان الشياطين الذين يمدونهم في الغي
وقيل يذكروا عقوبة او المخرج منه بالتوبة والمبصر صاحب البصيرة او الاهتداء او الانتهاء وان اريد بالاخوان الشياطين
فالضمير المجرور للكفار وان عكس العكس المرجع ومعنى يمدونهم يحسنون الكفر وساير الرذائل في اعينهم لانه من المدد وهو الزيادة
او من المد وهو الجر والغي نقيض الرشد ومعنى لا يقصرون لا يمسكون ولا يقلعون عن اغوائهم لانه من المد وهو الزيادة الى ان
قصروا على ذلك ومعنى واذا لم تأتهم بآية اذا اقترحوا بطلب آية ولم تأتهم بها قالوا هلا اجتبيتها هؤلاء من عند نفسك حيث قالوا
ان هذا الا افك او هلا اخذتها مقترحة منزلة عليك يقال اجتبى الشيء اي جمعه لنفسه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه وقيل اخترتها
او طلبتها وقيل هي آية القرآن اذا جاءت لدنوها واذا تأخرت طلبوها فاجيب يا محمد باني لا آتي بها من قبل نفسي لا اقدر على الاتيان
متى طلبتم ثم ان القرآن بصائر يبصر المؤمنون به يبصر فيبصر قلوبهم بها الحق لانها حجج بينة جاءت من الله فيها تبيان كل شيء فاي آية
اعظم منها وهو هدى فيه تبيان كل شيء ورحمة في الدنيا وسبب لها في الآخرة لمن آمن به وعمل بما فيه • واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون • وجه الربط انه لما سبق ذكر الوحي عقبه بما يشعر بتعظيمه وهو ابراز المندوب في صورة الوجوب واليه
ذهب الحسن واهل الظاهر فان الانصات للاستماع ومطلقا مندوب في الصلوة وخارجها والاكثر على انه في الصلوة لما روي

انها نزلت فی رفع الاصوات فی الصلوة خلف النبی صلی الله علیه وسلم وقیل کانوا یتکلمون فیها او فی معین کان بقراء النبی علیه السلام
تیل فی استماع خطبة الجمعة والیه ذهب کثیرون ونقل عن الشافعی رضی الله عنه وقیل الاستماع للعمل ویحتمل انه یرجح التعمیم اعتبارا
لعموم اللفظ دون خصوص السبب والایة تدل علی ترک الجهر بالقراءة خلف الامام علی الاول • واذکر ربک فی نفسک تضرعا وخیفة
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تکن من الغافلین • من خص الاول بالصلوة قیده بان یکون خلف الامام به
والحمل علی العموم اولی لما سبق وایضا الظاهر ان یکون الخطاب مع النبی صلی الله علیه وسلم وحینئذ بعد الحمل علیه وقیل اذکره
بالتسبیح والتحمید فی حال التضرع والخوف والجوع والتذلل ویکون الکلام بالذکر دون الجهر لان الاخفاء ادخل فی الاخلاص
ولهذا قال تعالی نداء خفیا والتقیید بالنفس قد حمل علی کونه عارفا بمعانی الاذکار التی یقولها بلسانه والا فایدة فیه کالوفاکه
بعت وشربت ولا یعرف معناهما هکذا قیل فی الفاتح وینبغی ان یقید بمن کان من اهل ذلک اللسان وفیه دلیل علی اثبات کلام
النفس ولعل ذکر الرب للاشارة الی تذکر نعمة الربوبیة علیه والقیام بشکرها وقیل بالقلب واللسان غیر رافع به صوتک
اول النهار وبین العصر والمغرب اذ هو معنی الاصیل وقیل جمع اصل وهو جمع اصیل وقیل اذکر الله فی صلوتی الظهر والعصر
ودون الجهر فی الجهریات ای ارفع الصوت متوسطا بین الجهر والاخفات وهو یناسب ولا تجهر بصلاتک ولا تکن من الذین
یغفلون عن ذکر الله قلبا ولسانا وقیل المراد بالخطاب المؤمنون وتقیید الوقتین لان بالغداة ینقلب من الموت الی الحیوة
ومن الظلمة التی تشاکل العدم الی النور المناسب للوجود وفی الاخر بالعکس فعند ظهور هذین التغیرین العظیمین یلیق
الاستغال بوصف الله بالعظمة والجلال والنعمة بالتسبیح والتحمید • ان الذین عند ربک لا یستکبرون عن عبادته ویسبحونه
وله یسجدون • وجه الربط انه من جملة الترغیب فی العبادة ومن عنده هم الملئکة علیهم السلام ومعنی العندیة
القربة وقیل الرحمة وایضا یقال عند الخلیفة من العساکر کذا وکذا ویراد انه تحت حکمه فلا تمسک للمشبهة
کما سبق غیر مرة بعد هذا الاحتمال لاسیما والبراهین القاطعة شهدت باستحالة ما قالوه وبطلان ما انتحلوه وعدم
الاستکبار عدم التعظیم المنافی للعبودیة بل ینزهون الله عن الصفات التی لا یلیق بجناب العظمة والکبریاء وقیل
یرفعون اصواتهم بذکر الله وقیل یصلون وتقدیم الظرف یشعر بانهم یخصون الله بالعبادة ولا یشرکون به غیره وان المراد التعریض بالکفرة

## سورة الانفال مدنیة الا سبع ایات وایها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحیم یسئلونک عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بینکم واطیعوا الله
ورسوله ان کنتم مؤمنین • السائلون قوم من الصحابة لهم تعلق بالغنایم وحسن الاضمار وان لم یجر ذکرهم لانهم کانوا
معینین حالة النزول وسبب السؤال الاختلاف وقع فی غنایم فی ان الحکمة للمهاجرین او الانصار وکیف یقسم والنفل والنافلة
ما کان زیادة عن الاصل وسمیت الغنایم انفالا لان المؤمنین فضلوا بها علی سایر الامم لم یحل علیهم الغنایم وسمی التطوع نافلة
لزیادته علی الفرض ویعقوب لکونه زیادة علی ما سأل وفی الاصطلاح ما شرطه الامیر لمن باشر خطرا کتقدم طلیعة وکشرط



السلب للقاتل وکما نقل انه شرط النفل لمن له بلاء فی ذلک الیوم فقتل الشبان سبعین واسروا منها فبعد الفتح قالوا نحن
المقاتلون وقال المشایخ کنا ردءا عند الرایات تحازون الینا ان انهزمتم فقالوا للنبی علیه السلام الغنیمة قلیلة والناس کثیر
فان اعطیتهم ما شرطت لهم حرمت اصحابک فنزلت حتی منع سعد بن ابی وقاص قتل اخوه عمیر عن سیف سعید بن العاص وکان
قد قتله ثم لما نزل اعطاه وما یقرأ بنصب الانفال فالسائلون الشبان وروی انها نزلت فی اصحاب بدر حین اختلفوا فی الغنایم
فنزع الله من ایدیهم وجعلها لرسوله علیه السلام فقسمها بین المسلمین علی السواء ومعنی کونها لله وللرسول ان حکمها مختص بالله
ورسوله فیقسمان بمقتضی الحکمة فیعطی الشیوخ الذین کانوا عند الرایات کالشبان المقاتلة ففیه اصلاح ذات البین وکذا جمع
بین الله ورسوله ومنه یعلم انه لا یلزم الامام ان یفی بما وعد وهو قول الشافعی وبه یندفع ما قیل انها منسوخة بقوله فان لله خمسه وللرسول
والامر بالتقوی وان کان مطلقا لکنه قید فی الاختلاف والتخاصم وتحصیل الاتحاد للسیاق والمعنی بذات بینهم احوالهم واصلاحها
تحصیل الالفة والاتفاق والمراد الامر بالمواساة والمساعدة فی الغنایم روی انه قال اقسموا غنایمکم بالعدل فقالوا قد انفقنا لبعضکم
علی بعض والتعلیق بالایمان للایماء الی ان کماله یقتضی التقوی واصلاح ذات البین وطاعة الله ورسوله هکذا قیل ولقایل
ان یقول ان حمل طاعة الله ورسوله علی الطاعة فی جمیع ما امر به لم یحتج الی التقیید بالکمال • انما المؤمنون الذین اذا ذکر الله وجلت
قلوبهم واذا تلیت علیهم آیاته زادتهم ایمانا وعلی ربهم یتوکلون الذین یقیمون الصلوة ومما رزقناهم ینفقون اولئک هم المؤمنون
حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق کریم • لما کانت انما للحصر حمل المؤمنون علی الکاملین ویدل علیه قوله آخرا اولئک هم المؤمنون
حقا لانه لو لم یحمل علیه لزم ان یکون الخالی عن احدی الصفات الخمسة غیر مؤمن الصفة الاولی وجل یوجل وجلا خاف قال الشاعر
لعمرک ما ادری وانی لاوجل • علی اینا تعدو المنیة اول • ومنه یقشعر جلود الذین وخوف العقاب للعصاة وخوف الجلال للکل وهذا
الذکر غیر الذکر فی قوله تعالی تلین جلودهم وقلوبهم الی ذکر الله لان ذکر رحمته الصفة الثانیة زیادة الایمان یعنی انهم کانوا یزیدون
عند کل حدوث تکلیف تصدیقا وعامة العلماء علی ان کل من کانت الدلایل عنده اکثر کان اقوی ایمانا وقال صاحب المفاتح یجب قوة
الدلایل وکثرتها محال لانه ان کان مقدمات الدلیل مجزوما بها حصل القطع والا فلا علم وحمل الزیادة علی الدوام والنقص علی عدمه
یعنی استحضار الدلیل علی سبیل الدوام وزواله عن الخاطر اکثر الاوقات وقد استدل علی کون العمل داخلا فی مفهوم الایمان لانه
لو کان لمجرد التصدیق لما قبل الزیادة والنقصان واجاب عنه بالروایة کما ذکر فان قیل اذا حمل علی مجرد التصدیق فهل یتصور الزیادة
مع ان المکلف ان لم یصدق بجمیع ما یجب التصدیق به لم یکن مؤمنا وان صدق بالجمیع لم یتصدق الزیادة قلنا یتصور ذلک
بالنسبة الی من کلف بالایمان ببعض القرآن قبل نزول بعض آخر وکلما نزلت ایة وآمن بها زادته ایمانا وکذا فی حق من کلف بالایمان وتلی
علیه الایات الدالة علی الاصول التی یجب الایمان بها بالتدریج والصفة الثالثة ان یکونوا واثقین بوعده ووعیده ولا یفوضوا
امرهم الی غیر الله ولا یرجون ولا یخافون غیر الله والصفة الرابعة اقامة الصلوة والخامسة ایتاء الزکوة والاول احوال الباطن
وهما من احوال الظاهر وهی الصلوة عماد الدین وعنوان الاسلام والزکوة التی هی قنطرة الاسلام والاول احوال الباطن وهما

من احوال الظاهر وهي الصلوة التي عماد الدين وعنوان الاسلام والزكوة التي هي قنطرة الاسلام والاول عبادة يختص نفعها
بمتعاطيها والثانية يتعلق بالغير ايضا وحقا مصدر مؤكد لغيره بالنظر الى الجملة من حيث هي نحو هذا عبد الله حقا او التقدير اخبركم بذلك
اخبارا حقا وعن سيبويه انه مؤكد بفعل محذوف اي ان الذي فعلوه حقا وبه استدل من استثنى سئل الحسن أمؤمن انت فقال
ان كنت تسأل عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله
انما المؤمنون الاية فوالله لا ادري أانا منهم ام لا قال في المفاتيح البحث في انه هل يقول الشخص انا مؤمن ان شاء الله مما ذهب اليه
اصحاب الشافعي او يقول انا مؤمن حقا كما نقل عن ابي حنيفة بحث لفظي لانه ان جعل العمل داخلا دخله الشك وان جعل لمجرد التصديق فلا
روي انه قال ابو حنيفة لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم عليه السلام في قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي فقال هلا
اقتديت في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال في المفاتيح كان لقتادة ان يجيب بطلب مزيد
الطمانينة بقوله ولكن ليطمئن قلبي ثم اذا كان المؤمن حقا من له هذه الصفات المذكورة فمن لم يقطع بثبوتها له ان يستثني هذا وان
الاستثناء لا يدل على الشك فان الله تعالى يقول لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ولا شك ثمة بل قاله تعليما للعباد واصحاب الموافاة
يقولون شرط كونه مؤمنا حصول الموافاة على الايمان ولا يحصل الا عند الموت وهو مجهول لا يقال هذا لمن يقول في حركته انا متحرك
ان شاء الله لما سبق من الفرق المذكور باعتبارات شتى ويحتمل ان يقال ان هذه الكلمة قد تذكر على سبيل التبرك ولهذا لا يمنع وقوع
الطلاق به اذا قصد التبرك ولما كانت هذه الاعمال لها درجات في الشرف درجات صاحبها كذلك ولهم استعداد ان يتجاوز
عن سيئاتهم والرزق الكريم نعيم الجنة وقيل الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفة الله تعالى • كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون • اي هذه الحال
وهي حال اخراجك الله اياك من بيتك من في المدينة او المدينة نفسها في الكراهة عندهم كحال تنفيل الغزاة حيث كرهوا خروجك
لحرب قريش فمحل الكاف الرفع خبر مبتداء محذوف او الانفال ثبتت لله والرسول ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
حال كراهتهم فمحلها النصب صفة ثباتا المدلول عليه بمتعلق الظرف وقيل حقية الاخراج بكونهم مؤمنين حقا وقيل في حقية قسمة
الغنايم وقيل بين الصلاحين في اصلاح ذات البين لصلاحهم في اخراج الله اياهم وبالحق حال اي ملتبسا بالحكمة وقيل
النسبة بين المجادلتين المجادلة في الاموال في ادعاء الغنايم والجدال في الخروج روي ان النبي عليه السلام اخبر جبرئيل بابي سفيان
مقبلا من الشام في تجارة ومعهم اربعون راكبا فاعجب المسلمين تلقي العير فبلغ خبر خروجهم مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة
النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت عباس في المنام ان ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من مكة الا اصابه حجر منها فذكرت للعباس فقال ابو جهل ما رضي
رجالهم ان يتنبأوا حتى يتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل باهل مكة واخبر ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع فقال لا
والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتعزف علينا القينات وتسمع العرب بنا فمضى بهم الى بدر ماء للعرب

كانت

كانت تجتمع لسوقهم يوما في السنة فنزل جبرئيل وقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي
عليه السلام اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب ام النفير قالوا العير احب الينا
من لقاء العدو فتغير وجه النبي عليه السلام ثم ردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا
يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام ابو بكر وعمر فاحسنا فقام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك احد من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول لك
كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس مريدا للانصار لانهم قالوا في بيعة العقبة انا
براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع به ابناءنا ونساءنا فكان النبي عليه السلام
يتخوف منهم ان لا ينصروه الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله فكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئتنا به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى
مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله عليه السلام حين فرغ من بدر عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له النبي عليه السلام لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وان فريقا حال اي اخرجك حال
كراهتهم وذلك لانه عليه السلام امرهم بغتة ولم يتأهبوا للقتال وقيل كرهوا كراهة الطبع لا ضد الارادة وقيل عن بعضهم
وقيل في الابتداء والمجادلة المخاصمة والمنازعة التي يعتلى بها عن مذهب الى آخر والحق الجهاد والبين اعلام النبي عليه السلام
اياهم بالنصرة وان الجهاد واجب وجدالهم تعللهم بعدم التأهب لانهم خرجوا للعير وفي جدال الكفار في الاسلام بعد ظهور
حقيته بالبرهان ومعنى التشبيه ان قتالهم للكراهة ككراهة من يساق الى الموت وهو يرى اسبابه ويتحققه وقيل لكونهم
رجالة وما كان معهم الا فارسان • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله
ان يحق الحق ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون • اي اذكروا وعد الله اياكم بان يعطيكم اما العير
واما النفير بان يعطيكم ما معهم فقوله انها لكم بدل من احدى الطائفتين والوعد خير يسر وبازائه الوعيد ولا يكونان الا من قبيل
بخلاف البشارة والشوكة السلاح او شدة الحرب فانه كان فيهم العدد والعدد مستعارة من واحدة الشوك وهو نبت له
حدة اي تتمنون ان يكون لكم العير لانه لا شدة لها ومعنى يحق الحق يثبته ويغلبه او ينصر اهل الاسلام او يامر بالجهاد بكلماته التي
هي اوامره ونواهيه ويستاصل آخر الكفرة كانه قال انتم تريدون الفائدة العاجلة وان لا يلحقكم ضرر في اموالكم وابدانكم والله سبحانه

يريد نصرة الحق وعلو الكلمة باعزاز الدين واذلال الكفرة ولهذا اختار لكم ذات الشوكة وكسر قوة الكفرة وكانه فعل ما فعل
لتحقيق الحق وابطال الباطل اي اظهار حقية الحق وبطلان ما هو باطل فمتعلق الجار والمجرور الفعل المقدر وليحق الحق ثانيا
ليس للتاكيد لان الاول لبيان نوعي الارادة وهذا لبيان الحكمة في جعل ذات الشوكة لهم دون الغير فيقدر المحذوف اعني
متعلق الجار والمجرور لا متاخرا لافادة معنى الاختصاص المستفاد من اللام ان لم يجعل متعلقا بيقطع • اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان
الله عزيز حكيم • الاستغاثة طلب الغوث وهو الخلاص عن المكروه وقيل طلب المعونة وهو سد الخلة وقت الحاجة او تستجير فلما
وقت الغوث واغوثاه لما تحقق لهم انه لابد من القتال دعوا الله بالنصرة قائلين يا غياث المستغيثين وهو بدل اشتمال
من اذ يعدكم الله او متعلق بقوله ليحق الحق روي النبي عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف واصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ونصب اني
لحذف الياء وايضا استجاب اليه والتقدير باني وقرئ بالكسر لارادة القول او لتضمن استجاب له واختلف في قتال الملئكة
فقيل لم تقاتلوا بل كانوا يثبتون المؤمنين بتكثير السواد وغيره ودليل من قال انهم قاتلوا ما روي انه سمع رجل من المسلمين صوت
سوط حين كان يشتد في اثر مشرك فاذا المشرك خر مستلقيا وقد شق وجهه فقال النبي عليه السلام صدقت ذاك من مدد السماء
وما روى ابو داود المازني انه تبع رجلا من المشركين فوقع رأسه بين يديه واعترف ابو جهل بانه سمع صوتهم وانهم الذين
غلبوه واستبعاد ذلك لقدرة الملك ولو واحد على اهلاك خلق عظيم مما لا وجه له لانه اذا اراد الله ان يثيب المسلمين بجهادهم
ويظهر النصر بايديهم فيفتح بايديهم مع امداد الملئكة لم يلزم خلل لا عقلا ولا شرعا كيف وقد نقل ان جبرئيل عليه السلام نزل
في خمسمائة وميكائيل في مثلها وابو بكر على الميمنة وعلي بن ابي طالب على الميسرة وعليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا
اذنابها بين اكتافهم وقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر دون الاحزاب وحنين ومردفين قرئ بفتح الدال وكسرها فبالكسر معناه
متبعين من اردفته او جئت بعده فالمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بالتشديد بعضهم لبعض او اياهم المؤمنين
اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم للتشييع ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم للحفظ او يتبعون انفسهم
ملئكة غيرهم او يتبعون غيرهم من الملئكة ويؤيد هذا الوجه بثلثة الف من الملئكة بخمسة الف من الملئكة مسومين وبالفتح معناه
متبعين او متبعين وما يقرأ بكسر الراء وضمها وتشديد الدال فلانه لما ادغمت التاء في الدال حركت الراء بالكسر للاصل
او الاتباع وبالضم لاتباع الميم والضمير في جعله للامداد المدلول عليه بممدكم اي ما جعل الله ذلك الا ليبشركم بالنصر لما نصرتم وسالتم
النصر لقلتكم او للارداف ثم نبه سبحانه بان النصر ليس الا من عند الله وان كان الملئكة قد نزلوا لذلك لانه لا ينبغي للمؤمن ان لا يعتمد الا على
ذلك لانه الغلاب الذي لا يغلب والقهار الذي لا يقهر اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب

عنكم

عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام • عامل الظرف اما اذكر او ما في اذ يعدكم ان جعل بدلا منه او النصر
او متعلق من عند الله او ما جعله وقرئ يغشاكم ويغشيكم بتخفيف الشين وتشديدها ونصب النعاس وهو النوم نعس ينعس
بالضم والامنة الامن وهو من عند الله فانهم لما وعدوا بالنصر سكنت قلوبهم فناموا كان الخائف يسهر وما كان بهم من الخوف
كان مانعا من النوم روي انهم ناموا حتى احتلم اكثرهم ويقرأ امنة بالسكون وهو مفعول له والاشكال بان شرطه ان يكون فعلا لفاعل الفعل
المعلل والامنة من الله لا من فاعل يغشاكم وهو النعاس لانه لما تضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه فيكون الامنة فعل فاعله وان
يراد بها الايمان فيكون المغشي فعله وان جعل فعل النعاس لانها لاصحابه فكانها نشات من النعاس او لان من حقه ان لا يغشاهم للخوف وكانه
حصلت الامنة للنعاس امنة من الله لولا ذلك لم يغشهم وذلك على وجه التمثيل وانزال الله المطر الجود بحيث اتخذ النبي عليه السلام
الحياض على عدوة الوادي للتطهير عن الاحداث ولانها من رجز الشيطان وهو وسوسته بالخوف من العطش او عذابه او الجنابة
ويكفي في ذلك ادنى مسه روي ان المشركين غلبوا على الماء فوسوس اليهم الشيطان بانكم كيف ترجون الظفر وتصلون
محدثين وقرئ ينزلون بالتخفيف وما موصولة صلتها ليطهركم والربط الشد اي ليشدها باليقين وكانوا على كثيب اعفر يغيب فيه
الاقدام فتلبد بالمطر وما قيل ان الرجز الكفر والربط بالايمان وثبات القدم بالدوام عليه وان كان محتملا لكن لا يلائم السياق
اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار •
ان جعل عامل الظرف يثبت كان اولى من جعله بدلا من اذ يعدكم لانه لم يكن الاشتمال وفيه تعسف ويصح باذكر وما يقرأ بكسر اني فلارادة
القول واجرائه مجراه والا يكون مفعوله والتثبت بالبشارة كان يمشي الملك امام الصف ويقول ابشروا الكم كثير وعدو كم قليل
والله ناصركم او باخبارهم للنبي عليه السلام ولما كان القاء الرعب في قلوب الكفرة سببا لتثبت المؤمنين صح ان يكون بيان
اني معكم فثبتوا والرعب امتلاء القلب من الخوف يقال رعب السيل الوادي ملأه وفوق الاعناق المذابح لانها المفاصل
وقيل الرؤس قال واحرب هامة البطل المشيح غشيته وهو في جادا باسلة عضبا اصاب الراس فانفلقا وقيل فوق صلة وقيل
حلها والامر بقطع البنان لانها مواضع استعمال السلاح او الاطراف اي اضربوا المقاتل وغيرها واذا جعل سالقي الى كل بنان
تلقينا للملئكة عقيب الامر بالتثبت بهذا الكلام فالضرب من المؤمنين لا من الملئكة وذلك اشارة الى العقاب العاجل وبانهم
خبر ذلك اي انما وقع عليهم العقاب بسبب مشاقهم لله ولرسوله والشقاق الخلاف واصله مفارقة الشيء وحقيقته بان يكون
في شق والمخالف في آخر وكذا المخاصمة لان كلا من الخصمين في خصم اي جانب وذلكم اما خبر محذوف اي العقاب او مبتدا خبره ذلك
وان للكافرين عطف عليه وجعله مفعولا معه مع صحة العطف ضعيف وتقديره ذوقوا هذا العذاب مع الاجل مستفاد من الكلف
واستعمال الذوق الذي هو يعرف الطعم اليسير ليعلم به حال الكثير للاشارة الى عذاب الدنيا بالنسبة الى الاخرة نزر يسير والذوق
بطريق روحاني مغاير للطرق الجسمانية ووضع الظاهر موضع المضمر لعله للاشعار بان المقتضي ليس الا الكفر يا ايها الذين امنوا

اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير • اى اذا لقيتم الكفار للقتال وفيكم قلة وفيهم كثرة لان الزحف الجنس تسمية بالمصدر الذى يخيل الى الناظر لكثرته
كانه يزحف اى يدب وهو السير الثقيل فهو حال من الكافرين او منهما او حال من المؤمنين للاشارة الى ما كان من يوم حنين لانهم كانوا
اثنا عشر الفا فقال زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قيل مخصوصة باهل بدر لان مع حضور النبى عليه السلام لا يعد غيره فئة
وايضا لتشدد الامر وقيل منسوخة بحرض المؤمنين والاصل عدمها سيما ولا مقتضى لامكان التوفيق والفرار من الزحف عد
فى الخبر من الكبائر وتخصيص الدبر بالذكر تقبيحا للفرار اى لا تنهزموا او التحرف للقتال الكر بعد الفر وهو من مكايدة الحرب كانه يخيل
الانهزام ثم يرجع والتحيز الى فئة الانضمام الى جماعة اخرى من المسلمين وروى ان جماعة انهزموا ودخلوا المدينة فاستحيوا منه وقالوا نحن
الفارون فقال عليه السلام بل انتم العكارون اى الرجاعون وانا فئتكم واستدل القاضى على وعيد الفساق وقال ليس للمرجئة
الحمل على الكفار ولعل الجواب الاستدلال انه يكون مشروطا بعدم التوبة وعدم مشية الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء • فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم •
الاكثر على ان سبب النزول ان النبى عليه السلام رمى المشركين يوم بدر بقبضة من حصباء الوادى فدخلت عيون المشركين فشغلوا
بانفسهم وقال حكيم بن حزام سمعنا من السماء صوت حصاة وقعت فى طست فرمى النبى عليه السلام بتلك الحصاة فانهزموا فتبعهم
المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم فقال تعالى لم تقتلوهم بل قتلهم الله بانزال الملائكة والقاء الرعب فى قلوبهم هكذا فسر وللقائل ان يقول
المناسب ان يقال قتلهم الله بايصال الحصا الى عيونهم اذ هو اللائق بذكر سبب النزول وان كان الاول صحيحا فى الجملة وان رميه
عليه السلام الى الحصن يوم حنين وقتل كنانة بن الحقيق به وطعن ابى بن خلف لا يناسب السياق والمعنى ما رميت يا محمد رميا ترتب
عليه انهزام الخلق العظيم فاثبات الرمية للنبى عليه السلام باعتبار مبداء السبب واثباتها لله بالنظر الى ما يرتب عليه من الاثر ويحتمل ان يقال
لما كانت الكائنات مستندة الى الله تعالى ابتداء كان النفى على الحقيقة وقرئ بالتخفيف والبلاء لما استعمل فى الخير والشر قيد بالحسن اى
لينعم عليهم قال زهير • فابلاهما خير البلاء الذى يبلو • اى فعل الله ما فعل لايصال الاحسان الى المؤمنين فان قيل هذا التقدير يقتضى
عدم الواو اذ التقدير ولكن الله رمى ليبلى المؤمنين قلنا يحتمل ان يكون عطفا على مقدر مثل لينتقم من الكفرة او ليتم الدين وليبلى كما سبق
غير مرة والله سميع لكلامكم عليم بنياتكم وفيه تحذير • ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير
لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم وان كثرت وان الله مع المؤمنين • خبر مبتداء اى الامر ذلكم يعنى البلاء الحسن او فعل الله
ذلك وان الله عطف عليه اى الحكمة ابلاء المؤمنين وتوهين كيد اعدائهم الكفرة وقيل موهن بالاضافة والعمل والتوهين بالقاء
الرعب وتفريق الكلمة ومعنى الاستفتاح الاستنصار روى انهم تعلقوا وقت الخروج باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا
للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وقال ابو جهل اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى اهلكه فقد جاءكم الفتح تهكم الا ان يراد ان تستفيضوا

فقد

فقد جاءكم القضاء وقيل هو خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين اى عن عداوة النبى عليه السلام ومحاربته وقيل
الخطاب به ايضا لهم اى تنتهوا عن امر الانفال وفداء الاسرا وان تعودوا الى المعصية نعد الى الانكار وعلى الاول المعنى ان تعودوا
الى القتال نعد الى وقرئ وان الله بالكسر ويؤيده ما قرئ والله مع المؤمنين حيث لا يكون عطفا • يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون • لما كان الجهاد شاقا على النفس بالغ فى امره
بالامر بطاعة الله ورسوله فى الاجابة اليه اذا دعى اليه والضمير فى عنه للرسول عليه السلام نحو والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة
الرسول طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله فرجع الضمير الى احدهما كالرجع اليهما او يرجع الى الامر بالطاعة اى لا تخالفوه
وانتم تسمعون اى تصدقون لان الايمان يحملكم عليه بخلاف الكفرة المكذبين والذين قالوا سمعنا هم المنافقون او المشركون او اهل
الكتاب حيث لم ينتفعوا بما سمعوا فكانه لا سمع لهم وان كان التولى فى بعض الامر كقسمة الغنائم والتعبير عنهم بشر الدواب لتنزيلهم
منزلة البهائم حيث لا يعقلون الحق وكيف لا وقد قالوا نحن صم بكم عمى عما يقول محمد ولو علم الله فيهم حصول الايمان وقبول الموعظة
لسعادة سابقة لجعلهم منتفعين بالسمع ولو اسمعهم كلام الموتى ثبوت نبوة محمد عليه السلام بان سألوا ان يحيى لهم قصيا بالنبوة
وقالوا كان شيخا مباركا او كل ما اقترحوا لاعرضوا عن الايمان او الجهاد او ولو هداهم الى الايمان وآمنوا لارتدوا عنه قيل نزل
فى النضر بن الحارث وقيل فى بنى عبد الدار لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة ويحتمل ان يكون تركيب وهم معرضون
من الجملة الاسمية لافادة انهم قوم عادتهم الاعراض • يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اليه
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون • روى ان النبى عليه السلام مر على ابى سعيد المعلى او على ابى بن كعب فدعا
وهو فى الصلوة فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال اما تقراء قوله استجيبوا لله فقال لم اعلم ولا اعود
والاظهر ان الوجوب لان الاجابة فى الصلوة لا تبطلها فان الصلوة ايضا اجابة وظاهر الخبر يدل عليه ولهذا رجح تفسير الاستجابة
بالطاعة والدعوة بالبعث والتحريض وقيل لان دعاءه كان لما لا يحتمل التأخر فجاز قطع الصلوة له وما يحييكم هى العلوم الدينية
فيشمل الايمان فانه حيوة القلب والجهل والكفر موته وقيل الجهاد ويؤيد الاول قول الشاعر • لا تعجبن الجهول حليته • فذاك ميت وثوبه كفن •
وترك الجهاد يفضى الى غلبتهم ومعنى ان الله يحول بين المرء وقلبه الحث على المبادرة الى اخلاص القلب وتصفيته قبل ان يحول الله
بينه وبينه بالموت وذكر انه تمثيل لغاية القرب منه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على اطلاعه على مكنوناته وقيل تصوير
لغاية التمكن من قبل العبد فتفسيخ عزائمه وتغيير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قدر
شقاوته وهكذا نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما حبر الامة وذكر الحشر الى الله تهديد لان القصد المجازاة بالاعمال • واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب • الفتنة اختبار يظهر به ما فى الباطن فيترتب عليه الجزاء وفسره
بعدم تغيير المنكر ومطلق الذنب اى اتقوا ترك تغيير المنكر فيعمكم العقاب والتفسير بالاموال والاولاد لقوله انما اموالكم واولادكم

فتنة وان صح للقرينة لكن الاول اوفق للسياق ومعنى نفي الاصابة على الخصوص ان يتعدى وبالها الى غير الظالم ويكون امتحانا
له ويثاب عليه وذلك انما يحكم الالكية او لمصلحة خفية ولا تصيبن ان جعل جوابا لاتقوا فالتقدير ان اصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم خاصة ومن للتبعيض وان جعل نهيا بعد امر فالتقدير احذروا فتنة ثم قال لا تتعرضوا للظلم فيعلم العقاب ومن للتبيين
ويصح صفة للفتنة على تقدير مقول فيها لا تصيبن تحول قول ابن عباس وجدت الناس اخبر ونون التاكيد في جواب الامر
ويحتمل انه يؤيد المعنى الاول انّ بني اسرائيل لما فسقوا نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم واكلوهم فعمهم العقاب وروي عن الحسن انه
في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل قال الزبير نزلت فينا وقرأنا زمانا وما ظننا انا اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي
انه في اهل بدر اقتتلوا يوم الجمل • واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم
بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون • ظاهر اللفظ ان الظرف مفعول به فانه المذكور وايضا لا مظروف له يكون المراد بالذكر
اي اذكروا وقت قلتكم بارض مكة يستضعفكم قريش لقلة عددكم وعددكم خائفين ان ياخذكم كفار قريش او فارس والروم
بسرعة وهم المهاجرون او اهل بدر او العرب كلهم فآواكم الله الى المدينة وقواكم بنصرة الانصار ونزول الملائكة يوم بدر
واعطاكم الغنايم دون الامم ارادة شكركم نعمه فكيف يليق بكم المنازعة • يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم • الخيانة مع الله حملت على اضمار خلاف ما يظهر او تعطيل الفرايض
والسنن او الخيانة في الغنيمة واصل الخون النقص خلاف الوفاء واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه ويؤيد الاول ما روي انها
نزلت في ابي لبابة لما ارسل النبي عليه السلام الى بني قريظة يطلبهم بعد محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم احدى وعشرين ليلة
وكان يطلب ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا يريدون اللحاق باذرعات فشاوروا ابا لبابة في ذلك لانه كان مناصحا لهم
حيث كان عياله وماله في ايديهم فاشار الى حلقه انه الذبح قال فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يجيء رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث وكذا ما قيل انها في اعلام بعض
المنافقين ابا سفيان ان يأخذوا حذرهم او افشاء ما كانوا يسمعون من النبي عليه السلام ومعنى وانتم تعلمون اي انكم تختانون
او انتم من اهل العلم والامانات قبل الغنايم ويقرأ بالتوحيد وخيانتها الغلول او مع الله ورسوله او فرايض الله او بعض الحق
في حصه وتخونوا يحتمل الجزم للعطف على المنهي والنصب باضمار ان نحو لا تاكلوا السمك وتشربوا اللبن وكون الاموال والاولاد فتنة باعتبار سببها
للوقوع في الذنب او انها ابتلاء من الله ليظهر فيها وانما رتب على ذلك لانها سبب الخيانة غالبا للمحافظة على حدود الله واذا كان الاجر
العظيم هو ما عند الله فينبغي ان يصرف الهم الى طلب ما عند الله ويزهد في الدنيا وافرها كذا اندرج فيه حال ابي لبابة فيكون من خصوص المنزول فيه
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم • لما حذر عن الخيانة وعن الاموال



والاولاد عقب بالتقوى المستلزم للاجتناب عنها او الفرقان الحجة والسلطان لوقوع الافتراق بين الحق والباطل واهلهما بذلك
او مخرجا ونجاة من المحذور او بيانا وظهورا شهر امركم وظهوره في مشارق الارض ومغاربها ومنه تسمية الفجر فرقانا او مخرجا من الشبهات
وشرحا للصدر او ما به يعلم التفرقة بينكم وبين اهل الملل ويستر سيئاتكم ويغفر لكم بفضله وحمل التبعات على الصغاير والغفران للذنوب
الكباير او ما مضى والتي تقع لئلا يلزم التكرار والستر في الدنيا والغفران في الاخرة اولى • واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • هذا التعقيب لذكر النعمة على النبي عليه السلام وذكر النعمة على المؤمنين اي اذكر وقت
نقمة الكافرين بك وهو ايصال المكروه في حقه روي ان قريشا تشاوروا في امر النبي عليه السلام في دار الندوة وقد اغلقوا عليهم مخافة
بني هاشم فدخل ابليس في صورة شيخ عليه اطمار قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا
لا باس عليكم منه فقال بعضهم الراي ان تجعلوه في بيت وتسدوا بابه وتلقوا اليه الطعام والشراب من كوة حتى يموت فقال الشيخ
بئس الراي تعمدون الى رجل له فيكم آصره واهل بيت وقد سمع به من حولكم فتحبسونه يوشك اهل بيته ان يقاتلوكم ويفسدوا
جماعتكم قالوا صدق والله الشيخ وقال بعضهم الراي ان تحملوه على بعير ثم تخرجوه من ارضكم حتى يموت او يذهب حيث شاء فقال
ابليس بئس الراي رأيتموه تعمدوا الى رجل قد افسد جماعتكم ومعه طائفة منكم فتخرجونه الى غيركم فياتيهم فيفسد منهم جماعة فيكون
فيه هلاككم قالوا صدق والله الشيخ فقال ابو جهل الراي ان يجتمع عليه فتيان قريش فيضربوه ضربة رجل واحد فلا يقدر بنو هاشم
ان يطلبوا ثاره من جميع قريش فيرضون بالعقل فقال الشيخ والله صدق الشاب لعنهما الله فتفرقوا على ذلك فاتى جبريل
النبي عليهما السلام فاخبره الخبر وامره بالهجرة على مضجعه وامر عليا ان يبيت متوشحا ببردته وقال له لا يخلص اليك امر تكرهه
فلما اصبحوا ابصروا عليا وخاب سعيهم فمعنى ليثبتوك ليوثقوك ويشدوك ويقرأ بالتشديد وهو الاول ويخرجوك هو الثاني
ويقتلوك هو الثالث ومنع القاضي حديث ابليس وتغيير صورته لانه لا يجوز من الله ان يفعل ذلك اعانة للكفار ولا يليق
بحكمته ان يجعل ابليس قادرا عليه قال صاحب المفاتيح وهذا النزاع عجب لانه لما لم يبعد ان يسلطه الله على انواع الوساوس فكيف
يبعد ذلك ولا اشكل خير الماكرين بانه لا خير في مكرهم لانه قد يكون لمطلق الزيادة او المراد اقوى واشد او على فرض الخيرية في مكرهم
واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن
اكثرهم لا يعلمون • وجه الربط انه لما ذكر سبحانه حكاية ما ارادوا به من المكر لاستيصاله بين ان امره يتم لا سيما وقد ايد بالكتاب
الذي بدت بفصاحته فصاحة الفصحاء واضمحلت لديه بلاغة البلغاء واشتمل على زبدة حكمة الحكماء وحوى خلاصة ما بعث به
الانبياء واحاط بحقايق الالهيات والنبوات والخلايق الفاضلات والاخبار عن المغيبات وما به يتم صلاح المعاش من شرايع
الاحكام ويستعد به في المعاد من خولة الملك العلام فقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا مستدلين بحكاية المجوس وما جرى بينهم

مطلب در بیان مشورت کردن قریش در دار الندوه در کشتن پیغامبر و در آمدن ابلیس در صورت پیر مرد

من المحادثات والاسمار والمكاذبات كما فعل النضر بن الحارث من اشتغالهم بسماع كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار لا يخفى
على ذوي الالباب انها خرافات واباطيل وخزعبلات وانه لو امكنهم الاتيان بما يداني اقصر سورة من سوره مع ما فيه من المغالبة
والزام الخصم الذي حارت في امره عقولهم لما امكن التواني في مثل هذا المقام وبذل المهج دون حصول هذا المرام وقوله سبحانه
واذ قالوا متصل بالاول قيل لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فقال هو وابو جهل
اللهم ان كان هذا القران هو الحق فعاقبنا على انكاره ويقرا الحق على انه هو ضمير الفصل وفيه تهكم بمن زعم تخصيص الحق به وهذا من جملة
هذيانهم لان النبي عليه السلام لم يزعم انه لا حق الا القران والتقييد بالسماء مع الامكان لا يكون الا لنه حمل على ارادة امطار
السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب وليس فيه اشعار به ولقائل ان يقول لعل المراد المبالغة في العذاب فانها محل الرحمة كانهم
قالوا بدل رحمتك النازلة من السماء بنزول العذاب منها او انها اشد تاثيرا اذا سقطت من اعلى الاماكن ومعنى او ائتنا بعذاب
اليم اي نوع اخر روي ان معاوية قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة فقال اجهل من قومي قومك حين قالوا
ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا فاهدنا له ومعنى وما كان الله ليعذبهم ان سنة الله جرت بان لا يستاصل
امة ونبيهم بين اظهرهم واكد ذلك بلام تاكيد النفي لعم يشعر الكلام بانهم على صدد العذاب بعد خروج النبي عنهم وليس المراد
نفي مطلق التعذيب ليشكل بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ومعنى نفي التعذيب للاستغفار استغفار المؤمنين منهم كما يقال
فعلت البلدة الفلانية كذا اي بعض اهلها او من اولادهم من يستغفر وفيه ذلك التخصيص مع المجاز او اريد بالاستغفار
اسلام بعضهم بالاستغفار وكان في علم الله ذلك وعن ابن عباس كان فيهم اثنان نبي الله والاستغفار اما النبي فقد مضى والاستغفار
باق الى يوم القيمة وفسر باستغفار الكفار وكانوا يقولون بعد التلبية غفرانك وقيل حكاية عن المشركين يقولون ان الله لا يعذبنا
ونحن نستغفر والله لا يعذب امة ونبيها فيها وفيه دليل على ان الاستغفار امان من العذاب ثم قال سبحانه واي مانع فيهم من العذاب
وسببه واقع وهو صدهم عن المسجد الحرام كما كان عام الحديبية واخرجوا الرسول والمؤمنين قائلين بانا ولاة البيت نصد من نشاء
وندخل من نشاء فالعذاب واقع لا محالة حتى حمل على عذاب يوم بدر او فتح مكة ولقائل ان يقول بعد ان نفي العذاب بهذين الشيئين
كان المناسب الحمل على عذاب الاخرة كما قاله ابن عباس ونفي ولايتهم للمسجد بالنظر الى انه لا يستاهل له الا المسلم البر التقي لا الكفار
الذين يسعون في خرابه فان عمارته بزيارته ولكن اكثرهم يجهلون اختصاص ولايته بالمتقين وقيل المراد بالاكثر الجميع وما كان
صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • والمكاء من مكا يمكو اذا صفر وهو فعال كوزن الدعاء
ويقرا بالقصر كالبكاء والبكا والمكاء اسم طير منه لكثرة مكائه والتصدية تفعيل من الصدى وهو سماع مثل صوتك من مكان
يمنع نفوذه وكانوا يعارضون به القرآن بمعنى التصفيق او من الصد بدليل اذا قومك منه يصدون وسبب نزوله انهم كانوا
يطوفون بالبيت مصفقين مصفرين واضعين خدودهم بالارض واطلاق الصلوة عليها للتسمية بهم قال سعيد بن جبير التصدية
صلوتهم عند البيت والعذاب حمل على عذاب يوم بدر او في الاخرة وفي الاول تخصيص وفي الثاني مجاز فيحمل الحمل على المشترك



ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم
يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون • من جملة قبائح
الكفرة انفاق الاموال ليصدوا عن اتباع محمد عليه السلام فانه سبيل الله او دينه وان لم يعتقدوه وذلك لانه نزل في ابي سفيان
حيث استاجر لاحد الفين من الاحزاب سوى من جمعه من العرب للحرب وانفق عليهم الفا وستمائة وثمانين مثقالا من الذهب او
من اطعم في بدر كل يوم عشرا من الجزور فانهم بعد وقعة بدر استغاثوا باشراف مكة وقالوا احتسبوا بهذا المال ندرك ثارنا فاجابه
افادهم حيث صار الانفاق حسرة اي غما وفي الوصف به مبالغة باعتبار تسمية السبب مسببا وكيف لا ويغلبون آخر الامر
وان كان الحرب سجالا كما قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي وحمل صاحب الانوار تكرار الانفاق على ان يراد بالثاني تمام الانفاق
او الاول الانفاق في تلك الحال وهو يوم بدر والثاني فيما يستقبل وهو يوم احد او ان الاول لبيان الغرض والثاني لبيان
العاقبة وانه لم يقع بعد ولقائل ان يحمل الاول على قصد الانفاق والثاني على وقوعه غير ان ما قاله اولا اولى لانه خصص وهذا احال
ووضع الذين كفروا موضع الضمير للاشعار بان الحشر الى جهنم لكفرهم وعلم حصر الحشر من تقديم جهنم وذلك لتمييز الخبيث وهو الكافر
من الطيب وهو المؤمن واللام يتعلق بقوله ثم يحشرون او يميز انفاق كل منهما من الانفاق الاخر كانفاق المشركين وانفاق
الشيخين في سبيل الله واللام يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ يميز من التمييز والخبيث من كل شيء رديه والطيب المستلذ
منه او الكفر من الايمان او الصلاح من الفساد والركم الجمع اي يجعل الكافر مع ما انفق للصد عن سبيل الله الى جهنم ليكون المال
عذابا عليهم لقوله تعالى فتكوى بها جباههم والموصوفون بانحصار الخسران فيهم هم الكفرة المذكورون • قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله
بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير • لما عد سبحانه قبائح افعالهم من ابي سفيان واصحابه المقتضية
لهلاكهم بين انهم ان انتهوا عنها اعني عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ومقاتلته بالايمان يغفر لهم ما قد سلف منها وان عادوا لقتاله
فقد مضت سنة الاولين المحاربين للانبياء بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى او سنة الاولين منهم بالاهلاك يوم بدر
وسنة الله يفعلها دائما فليتوقعوا مثله ان لم ينتهوا وان حمل على العموم كما قيل فالمعنى ان الكفار ان امنوا غفر لهم ما سلف منهم
من الكفر والمعاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله حتى لو اسلم الذمي لم يخاطب بغير حقوق الادميين قال يحيى ابن معاذ
اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر سبعين سنة كيف لا يهدم ذنب ساعة وما يقرا بالمعروف فالضمير لله ثم امر النبي عليه السلام
بقتالهم الى ان لا يبقى شرك ويتمحض الدين لله ويبطل الاديان الباطلة فانه لا يحصل المقصود الذي هو علة القتال الا بذلك
ولا تكرار في فان انتهوا اذ المعنى بالاول ستر الذنوب وبالثاني الاثابة سوءهم ولسلامتهم والمجازاة بصالح الاعمال من الجهاد
في سبيل الله وغيره وان اعرضوا عن الانتهاء او الايمان فان الله مولى المؤمنين وناصرهم فليتوكلوا على الله فانه نعم المولى
لا يهمل من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره ويكون آمنا من جميع الافات والمخافات • واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه

مطلب

وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

والله على كل شيء قدير • كان الخمس ببدر وقيل في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام بعد سنة وثمانية اشهر من الهجرة وما

يكتب مفصولا لا غير لانها موصولة صلتها غنمتم اي غنمتموه فان الرابط المفعول يحذف كثيرا وان الله مع خبره خبرها والتقدير

فالامر ان لله خمسه ونظيره الم يعلموا انه من يحاد د الله الاية وجعل فان لله مبتدا خبره فحق ان لله خمسه فيه خروج عن الاصلاح بالنظر

الى ظاهر اللفظ وقول الفراء ان ما للشرط يبطله بطلان صدريتها بان ويقرأ فان بكسر الهمزة والمفسرون على ان ذكر الله للتعظيم

نحو والله ورسوله احق ان يرضوه القوله به وقال المبرد هو سهو فعلى الاول التقدير فان لله خمسه يصرف الى المذكورين واليوم

كذلك عندنا الا ان سهم النبي عليه السلام الى جند الاسلام على الاصح لانهم بمثابة النبي عليه السلام في قهر اعداء الدين قال النبي عليه السلام

ما لي مما افاء الله الا الخمس وهو مردود عليكم وقيل الى الامام لانه النائب وقيل الى المصالح يصرف كافعل الشيخان وعند ابي حنيفة

يصرف الكل الى الثلثة الاخيرة وسقط سهم النبي عليه السلام وذوي القربى بوفاته عليه السلام وعند مالك مفوض الى راي الامام

وعند الربيع وابي العالية يجعل ستة وسهم الله يصرف الى بيت المال او الكعبة لان النبي عليه السلام كان ياخذ قبضة ويجعلها

للكعبة ويمكن ان يجاب عنه بان ذلك لعله من نصيبه وذو القربى بنو هاشم وبني المطلب فانهم قرابة النبي عليه السلام فلا يشترط الفقر

فيهم دون بني نوفل وامية وعبد شمس فانهم استحقوه بالنصرة روي ان عثمان وجبير بن مطعم قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا متى اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة

فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام ومعنى ان كنتم اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس مقسوم هكذا فسلموه

الى اربابه واقتنعوا بالاخماس الاربعة والمراد بالعلم ما يراد منه العمل لا مجرد الاعتقاد واجاب عن سؤال من قال المذكور العلم وهو ان كنتم

امنتم بان ورود القضية المشروطة عقيب تعيين الاخماس للاصناف يشعر بانهم ان لم يوصلوها اليهم لم يكونوا مؤمنين وما انزلنا

عطف على الله اي ان امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وهو الايات والملئكة والفتح ويوم الفرقان يوم بدر والجمعان المسلمون

والكفار وكونه سبحانه قادرا على كل شيء كالبرهان على انزال الملك والنصر وتغليب القليل على الكثير فانها من جملة الاشيار الممكنة

اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا

كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم • اذ اما بدل من يوم الفرقان او مصدر باذكروا

قرئ العدوة بالضم والكسر ويقرأ بالفتح وقلب الواو ياء لان حاجز الدال الساكنة غير حصين والمعنى شفتي الوادي والدنيا

الاقرب الى المدينة والقصوى الابعد منها وهي جارية على الاصل لانها من بنات الواو كالقود وقد يجي بالياء كاستصاب

بالنسبة الى استصوب والركب الفرسان الاربعون الذين كانوا مع الغزو وهو اسم الجمع لتصغيره ركيب دون رويكبون

والاسفل منهم ساحل البحر وكانوا على نشز او اقرب الى البحر وهو صفة محذوف اي مكانا اسفل وعامله نحو ثبت او استقر

ومحله الرفع بالخبرية وفي هذا البيان تقرير شوكة الاعداء وضعف المسلمين للاشعار بان غلبتهم لم تكن الا نصرا من الله لرسوله



لاسيما وارض العدو كان بها الماء وهي اقوى من ارضهم لوقوف العساكر وحمايتهم للعير بحركة جبينهم ولهذا النقص كثرتهم او نقصو كم

لعيركم ولم يتفق الحرب ولكن سبب الله ذلك ليقضي امرا كان متحققا كاينا وهو نصركم فمتعلق ليقضي نحو سبب فان قيل ما معنى الواو

اهي للعطف او الحال قلنا يحتمل الامرين اما الاول فللعطف على اذ انتم اما للتقدير بالفعل او لعطفه على معموله واما الثاني فلان المعنى

استبعاد وقوع الحرب للضعف وان النصر ليس الا بتوفيق الله سبحانه وليهلك بدل من ليقضي ولا عبرة بانه معطوف والواو محذوف

اذ لم يثبت مثله والمعنى فعل ذلك ليموت من يموت عن بينة شاهدها ويحيى من يحيى عن حجة شاهدها فان وقعة بدر من الايات البينات

التي لا يجحدها الا المكابر المعاند وذلك لئلا يكون لهم حجة بعدها وقيل الموت والحيوة استعارتان عن الكفر والاسلام وقد سبق

تقريره في اخراج الحي من الميت والميت من الحي وقيل من هلك ببدر ومن حي فيه ولا يخفى ان المراد بالهالك المشارف له وكذا الحيوة او في

علم الله وقضائه اي ليهلك من حكم الله بهلاكه وكذا الحيوة او ليحكم بهلاك من هلك ومن هذا التقدير يندفع الاستدلال بتعليل افعال الله

بالاغراض لاسيما والادلة المعقولة والمنقولة تمنع عنه وقرئ من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل اي يقال فيه يحيى يعني

ان حي الثاني غير لازمة والادغام اكثر ويقرأ يهلك بفتح اللام والله سميع لكلامهم عليم باحوالهم او بتدبيرهم او ايمانهم وكفرهم وجزائهما

اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور • المعنى

ان الله ارى محمد الكفار في نومه قليلا فاولها بالغلبة عليهم وبشر المؤمنين فسكنت نفوسهم وعن الحسن في عينك وذلك حمل

مفعل على مكان الرؤية ومنه منامة للقطيفة التي ينام عليها وفيه بعد فلعل في النقل كلاما ومعنى فشلتم جبنتم وخفتم القتال

وتخالفت اراؤكم ولكن الله عصمكم عنها وهو عليم بما في الضماير من الجبن والجراءة وذات الصدور خفياتها • واذ يريكموهم

اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور • عطف على واذ يريكهم الله روي

ان ابن مسعود قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة وكانوا الفا واما قلتهم في اعين الكفرة

فهي بحيث قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة رأس ومن فائدة ذلك ليثبتوا ويجترؤوا اذا راوهم قليلا ثم راوهم في كثرة وهذا هو الحكمة

في تقليل المؤمنين في اعينهم والقلة مع القاء الرعب اظهر في الحجة والتقدير اذ يبصركم اياهم وقليلا حال عن المفعول الثاني وهذا

من اظهر المعجزات لان البصر وان كان يغلط احيانا لكن لا الى هذا الوجه لاسيما وشروط الرؤية من مقابلة المرئي للحاسة وعدم

الحائل وغيرهما كانت حاصلة ثم بين سبحانه ان الحكمة في ذلك ظهور قضاء امر سبق في علم الله واقع لا محالة وهو اعزاز الاسلام

واهله واذلال الشرك وحزبه ولا تكرار لاختلاف الفعل المعلل به ولان المعنى هنا ما ذكر والمراد بالامر ثمة الاكفار على الوجه الممكن

يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • اللقاء في الاصل يعم العيان وغيره لكن غلب فيه

وعدم وصف الفئة بالكافرة لان المؤمنين ما كانوا يلقون غيرهم اي اذا رايتموهم فلا تنهزموا واكثروا ذكر الله بالقلب

واللسان وهو قول الله اكبر الله اكبر عند المسايفة قيل يكره الكلام في الحرب الا ذكر الله او الدعاء بالنصرة على العدو ومثل اللهم

اخذلهم وهذا على رجائكم الظفر في الدنيا والاجر في العقبى وفيه اشعار بان العبد ينبغي ان لا يفتر عن ذكر الله وان كان في

آل عمران ٤ وفي يخرج الحي من الميت

اشغل الاحوال فكيف اذا كان القلب مجتمعا ويحتمل ان يقال من جملة فوايده الاعتماد في حصول المقاصد على الله تعالى واظهار ان
لاحول ولاقوة الا بالله وانه لاظفر ولا فوز بمطلوب الا بيمن ذكر الله وبركته • واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون
عن سبيل الله والله بما يعملون محيط • طاعة الله والرسول وان وجبت بعمومها حملت على الجهاد للتناسب وتفشلوا يصح جزمها
بالعطف ونصبها باضمار ان بدل على الاول جزمه تذهب والثاني يذهب باليا حيث يقرا بهما وشبهت الدولة بالريح
في هبوبها يقال هبت رياح فلان اذا ظهرت له دولة وقيل القوة والحدة او النصرة والحمل على ظاهره يؤيده قوله عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والتحذير بالنهي عن التنازع لئلا يقع مثل ما وقع باحد لمخالفتهم والخارجون من ديارهم
كفار مكة خرجوا لحماية العير فاخبرهم ابو سفيان انه قد سلمت عيركم فارجعوا فقال ابو جهل لا حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور
وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فهذا بطرهم واطعامهم لرئاء الناس فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا
وناحت عليهم النوايح فحذر المؤمنون ان يبطروا فيكونوا امثالهم والبطر العلو في النعمة واحتقار الغير من سبيل الله دينه
ويصدون عطفا على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال اي بطرين او مفعولا له على تاويل المصدر وكذلك اي مرائين ورئاء وفايدة
احاطة الله اي يجازي كلا بحسب عمله لاسيما الرئاء وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح الباطن فهو كالتمهيد والزجر
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما ترائت الفئتان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب • يعني اذكر زمان تحسين الشيطان خبائث
اعمالهم في محاربة النبي عليه السلام حيث اوهمهم انهم لا يغلبون فلما تلاقوا وشاهد امداد الله سبحانه بالملائكة وغيرهم تبرا
منهم وقيل كان على سبيل الوسوسة وقيل بل تمثل بصورة سراقة بن جعشم الشاعر الكناني وهو من رؤسائهم لتحرجهم
من كنانة فانه كان بينهم احنة فخافوا ان يتعرضوا لهم فقال لا غالب لكم واني مجير لكم منهم فلما راى الملائكة نكص وكانت يده في يد
حرث بن هشام فقال له الحارث اتخذلنا في هذه الساعة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدره وانطلق فانهزموا
وقالوا هو الذي هزم الناس فبلغ سراقة فقال والله ما شعرت بسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه ذلك من الشيطان
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما روي الشيطان يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا ما راى من يوم بدر وتقدير لا غالب حاصل لكم فهو خبر لا مفعول الغالب والا لقيل لا غالبا وقيل كذب ابليس في الخوف
لان الملائكة كانوا يعرفونه الا ان يكون الخوف من مجي الوقت المعلوم هكذا قيل وهو ضعيف لانه يعلم ان ذلك الوقت لم يقرب بعد
وقيل انما خاف لما راى جبرئيل عليه السلام وهو المراد بقوله ما لا ترون ووجه اختصاصه بالرؤية المشاركة معهم في الروحانية
وقيل راى اثر النصر وقوله شديد العقاب يجوز ان لا يكون متصلا بكلامه • اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم • علل الظرف اما شديد العقاب او اذكر وعطف الذين على المنافقين

ان

ان كانوا منافقين لتغاير الوصفين وان اريد ان كانوا قوما بمكة خرجوا ليتبعوا اكثر الفئتين فعلى اصله ومعنى اغترار
المسلمين بدينهم وثوقهم به وتوقع النصر بسببه حتى خرجوا في ثلثمائة وبضعة عشر مقابلة الف فاجيب القائلين بان الله لعزته
وغلبته ينصر القليل المسلمين امرهم اليه الواثقين بنصرته على الكثير والاذن في القتال والحالة هذه ليس الا للحكمة البالغة
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس
بظلام للعبيد • يريد لو عاينت ضرب الملائكة وجوه الكافرين وادبارهم لعاينت امرا فظيعا حذف تخفيفا وهذا اذا لم يستانف
بذكر الملائكة ويكون الله المتوفي وتقدير الفعل الماضي لان لو يجعل المضارع ماضيا وعلى التاني وعلى الاول يضربون حال
من الملائكة وعلى الثاني خبر عنهم وتخصيص المحلين بالضرب لان الخزي فيهما اشد وان لم يصرح بذكر الاست كرما والاولى حمله
على العموم دون اهل بدر وانهم اذا اقبلوا فضربوا بوجوههم واذا ادبروا واضربوا ادبارهم مما قيل وعطف ذوقوا على يضربون
انما يصح ان لو قدر يقولون على وجه العيادة وعذاب الحريق عذاب الاخرة او لانه لهب النار والجملة الابتدائية من اسم
الاشارة وما بعدها يحتمل ان يكون من كلام الله وان للملائكة عطف عليها والمعنى ان لحوق العذاب بسبب الكفر وانه سبحانه غير ظلام
للعبيد والمبالغة اما للكيفية فان اي ظلم فرض صدوره كان سببا لوصفه سبحانه بالظلامية او ان العذاب يجب لولا العدل
لكان ظلما عظيما او للكمية لكثرة العبيد ويجوز ان ينتصب بنزع الخافض اي بان الله وتقديم اليد مجاز عن القدرة لانها آلة لظهور العمل
والانسان من حيث هو المقدم لايده • كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات ربهم فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي
شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ان الله سميع عليم • الداب العادة من داب
فيه اذا داوم عليه اي عادتهم كعادتهم في المواظبة على الكفر فكفروا ابيان لدابهم والذين عطف على آل فرعون والضمير لهم
او لكفار قريش واخذ الله اياهم معاقبته بذنوبهم وهو قوي لا يغلبه شي وذلك اشارة الى الانتقام والعقاب وسببه ان
عادة الله سبحانه لا يغير نعمة خصها بقوم حتى يغيروا احوالهم اما الى اسوا كما كان كاهل مكة وآل فرعون حيث ضموا الى كفرهم
قصد قتل الانبياء واما من الحسن الى السيء كغيرهم حيث انعم الله عليهم بالعقل ورفع الموانع وسهل الامر ليشتغلوا بالايمان
والشكر فاستعملوا ذلك في الكفر فبدل النعم بالنقم وقيل غير الله نعمة بعثة محمد عليه السلام في اهل مكة بعد ان اطعمهم من جوع
وآمنهم من خوف وجعلها في الانصار والله سميع باقوالهم عليم بافعالهم ويك سكن نونه للجزم بلم وحذف الواو للساكنين ثم
النون تشبيها بحروف العلة ولكثرة الاستعمال • كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاخذناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين • حمله على التاكيد مع ان الاول لبيان ان اخذ الله للكفر والثاني لبيان ان تعيين النعم
لتغيير الحال وكل واحد تشبيه حال باخرى باعتبار امر يغاير الاخر ضعيف ويحتمل ان يدفع التكرار بان في الاول بيان كفر
آل فرعون والثاني لبيان التكذيب ولا يخفى ان الثاني اخص او ان الاول لانكار دلايل الالهية والثاني لبيان انهم
انكروا دلايل الربوبية بعد ما انعم عليهم باصناف النعم او ان الثاني كالتفصيل للاول وكل من آل فرعون وكفار قريش

قد ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب • ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين • قد سبق ان الدابة لا تطلق على الانسان الا فى معرض الذم وهذا تخصيص لبعض
الكفرة بوصفين قبيحين الاصرار على الكفر ونقض العهد ومعنى عند الله فى علمه وحكمه والذين عاهدت بدل من الكافرين ومن
للتبعيض فان المعاهدة تكون مع الاشراف وعطف المستقبل على الماضى لبيان تجدد النقض منهم وهم قريظة نقضوا العهد
باعانة المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا اخطأنا ثم نقضوه يوم الخندق ومن عادتهم ان لا يتقوا عاقبة النقض ولما كان
هذا عادة من يرجع الى عقل وحزم لا جرم كان هؤلاء شر الدواب فان تظفر بهم واصل الثقف الاخذ بسرعة فنكل من
وراءهم بالقتل حتى لا يتجاسر احد بعدهم اعتبارا بهم واصله من شرد البعير اى يفرق وقيل التخويف الذى لا يبقى معه القرار
ويقرأ شذر وكانه مقلوب لعل المشردين من ورائهم يعتبرون وان خفت من قوم ممن عاهدتم اى علمت نقض عهدهم
بامارات تظهر لك فاطرح اليهم عهدهم بالاعلام لهم على طريق مستو وذلك بان توضح امر النقض بالكلية حتى لا تناجزهم
الحرب وهم يظنون بقاء العهد فيكون انت وهم على سواء فى الخوف او فى العداوة وهى حال اى مستوين فى العلم او العداوة
او جهرا لا سرا ووضع الخائنين موضع ضميرهم لعله للاشعار بان علة هذه العقوبة هى الخيانة • ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون • قرئ بالياء والتاء وعلى الاول
الذين كفروا الفاعل وسبقوا يقوم مقام المفعولين وقيل اصله ان سبقوا بدليل ما يقرأ انهم سبقوا وقيل هو حال اى سابقين
والمفعول انهم لا يعجزون وعلى الاول معناه لا تحسبن يا محمد الذين كفروا خرجوا عن القبضة وان طالت المدة او سبقوا
الى الحيوة وان افلتوا من هذه الحروب او سبقوا الى الافضل ومعنى لا يعجزون لا يجدون طالبهم عاجزا عن اخذهم
وقرئ انهم بالفتح وهو ايضا تعليل غير ان المكسورة على وجه الاستيناف وقيل المعنى لا تحسبن قبيل المؤمنين
الكافرين سابقين فاعدوا ايها المؤمنون للكافرين او لناقضى العهد ما سهل عليكم اعداده فيما يتقوى به فى الحرب
من العدد والعدد فيدخل تحته ما نقل عن النبى عليه السلام ان القوة الرمى ثلثا ورباط الخيل اسم للخيل تربط الاعداد
الجهاد او جمع ربيط كفصيل وان سميت الخيل نفس المرابطة كانت مبالغة ويحتمل ان يكون تخصيصا بعد تعميم ويقرأ
ربط الخيل بضم الباء والسكون جمع رباط وقيل انها الحصون حتى قال ابن سيرين تحمل الوصية فى الحصون عليه لقول الشاعر
ولقد علمت على تجنبى الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى ولعله مبالغة وحمل الخيل على الاناث للتوالد يعارضه انه الخيل
اقوى وبه يرجع الى الاعداد او باستطعتم اى تخوفون به غاية التخويف وقرئ بالتشديد وعدو الله اهل مكة وآخرون
اليهود او المنافقون وقيل اهل فارس وقيل كفرة الجن لما روى ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس



عتيق وعطفه على عدو الله هو الظاهر وقيل على لهم ونفى علمهم واثباته لله سبحانه بالنظر الى اعيانهم وتفاصيلهم • وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم • اى ان مال الكفرة الى الصلح
او انقادوا او قيل ذلك فى جنح الله وهى تؤنث كالقتال والسلم باخذمنها ما رضيت به وقرئ بفتح السين والقول بالنسخ مع صحة
حمله على المهادنة ليس بقوى وتوكل فى الصلح على الله فلا تبال بمكرهم وابطائهم الخديعة فان الله يكفيك وانما امر بالصلح مع قصد
الخداع لان الامر مبنى على الظاهر كما فى دعوى الايمان وتقييد النصر بيوم بدر ليس بقوى لان التاييد الالهى كان مستمرا مع النبى
صلى الله عليه وسلم الى آخر الحيوة والمؤمنون هم الانصار ولما كان نصر الله بوسط وغيره ذكر المؤمنين اشارة الى الحيلة فى
والتاليف بين قلوب المبعوث اليهم من المنن العظام فان حميتهم كانت بحيث لو لطم انسان قاتل عنه قبيلته ولا يكاد يأتلف
فيهم قلبان فصاروا انصارا واعوانا وقيل فى الاوس والخزرج لشدة المحاربة بينهم وفى الاية دليل على احوال الناس
من الارادة والكراهة من خلق الله فحصول الحب فى الله والبغض فى الله لا يكون الا بارادة مالك القلوب واحوالها حتى لو انفق
منفق جميع ما فى الارض من الاموال لم يمكنه تاليف قلوبهم من شدة شكيمتهم ولكن الله الف بينها برحمته وبعزته التى يقدر على قهر القلوب
وملكيته التصرف فى القلوب ونقلها من العداوة الى الصداقة وبحكمته يفعل ما يفعل بالاحكام والاتقان • يا ايها النبى حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين • روى انه لما اسلم عمر وتم به اربعون
رجلا اى كفيك وكفى اتباعك من المؤمنين ناصرا وهو مثل حسبك وزيدا درهم ولا يجوز عطف من على الضمير المجرور من غير
اعادة الجار قال فحسبك والضحاك سيف مهند ويجوز ان يكون مرفوع المحل اى كفاك الله وكفاك المؤمنون واستدل
على ان الاربعين عدد التواتر لانه لو لم يفد خبرهم اليقين لم يكف النبى صلى الله عليه وسلم مقدارهم والمنع ظاهر لا سيما
وكان النبى عليه السلام ينفذ الاحاد لتبليغ الاحكام ووجه الربط انه لما وعد الله سبحانه النبى بالنصر على فرض مخادعتهم
وعده به مطلق فلا تكرار والتحريض الحث على المبادرة الى الفعل والصبر عليه من الحرض وهو ان ينهكه المرض وقيل
من الحارض وهو المقارب اى ان تخلف هلك ويقرأ حرص بالصاد الغير المعجمة من الحرص وهذه بشارة من الله بان العشرة
من المؤمنين ان صبروا غلبوا مائة لا بتأييد الله وان اعداءهم الكفرة يقاتلون من غير طلب ثواب واعتقاد اجر فى الآخرة
لتكذيبهم بها فان من لا يعتقد حيوة غيره يبخل بها لا محالة بخلاف من يعلم ان من قتل فى سبيل الله فله فى عالم آخر من البهجة
والكرامة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فيقل ثباتهم ويعدمون نصر الله بخلاف من يقاتل على غير بصيرة وهو شرط
فى معنى الامر اى ليصبر عشرون فى مقابلة مائتين ويقرأ يكن بالياء والتاء قيل كان فرضا حتى بعث رسول الله حمزة

في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة فثقل عليهم فنسخ بمقاومة الواحد للاثنين وقيل خفف وبدل عليه الآن خفف الله
عنكم وذلك لقلتهم في الابتداء فيكون كافطار الصايم وهو اولى من النسخ وان قلنا ان لم يكن واجبا كان ايضا جوابا
وهو اولى من الاول غير ان التخفيف ظاهر في زوال الثقل وهو لايق بالوجوب ثم هذا التكليف انما حسن لان الله تعالى
وعدلهم النصر والتأييد وقيل النهي عن المنكر كذلك في انه لا يحل للواحد ان يفر من اثنين ومعنى علم ان فيكم ضعفا اي
قوتكم لا تفي به اي من البدن او في البصيرة وقرئ بضم الضاد وفتحها كالفقر والفقر ويقرأ ضعفاء وذكر مقاومة القليل
للكثير مرتين للاشعار بانه لا يختلف في القلة والذي استقر الحكم عليه ان كل مسلم وقف بازاء مشركين فالهزيمة عليه محرمة
ما دام متسلحا وروى الواحدي في البسيط انه وقف جيش موتة وهم ثلثة الف وامراؤهم على التعاقب زيد بن حارثة
ثم جعفر بن ابي طالب ثم عبد الله بن رواحة في مقابلة مائتي الف من المشركين مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة
من لخم وجذام ولا يبعد فيه لان الله مع الصابرين فمن يغلبهم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • اي ليس لنبي ان يأخذ الاسرى او يطلب قبل ان يثخن في الارض لان ذلك ينافي المهابة
والاثخان اكثار القتل يقال اثخنه الجراحة اذا اثبته حتى يثقل عليه الحركة واثخنه المرض بمعناه من الثخانة وهي الغلظة وهذا
يوم بدر وقوله سبحانه فاما منا بعد ان كثر المسلمون روي ان النبي صلى الله عليه وسلم استشار ابا بكر وعمر وعليا في اسارى
بدر وهم سبعون فقال ابو بكر هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان اني ارى ان تأخذ منهم الفدية فيكون قوة على الكفار
وعسى ان يهديهم الله فقال عليه السلام ما ترى يا ابن الخطاب فقال ارى ان تمكنني من فلان قريب له فاضرب عنقه وتمكن
عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من اخيه حتى يعلم الله ان ليس في قلوبنا هوادة اي ميلا للمشركين هؤلاء
صناديدهم وائمتهم وقادتهم فاخذ منهم الفداء قال عمر فلما كان من الغد غدوت الى النبي عليه السلام فاذا هو قاعد وابو بكر
واذا هما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ابكي للذي
عرض على اصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى
وقال النبي عليه السلام في هذا الخبر ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال
حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا وعرض الدنيا حطامها سمي به لانه قليل البقاء والله يريد ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام
وما يقرأ يجر الآخرة فعلى حذف المضاف كما قال اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا • اي كل نار والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه وهو محض الحكمة في ازاحة الكفر واعلاء كلمة الاسلام والكتاب السابق من الله فيه وجوه احسنها
انه لولا ان الله قدر في الازل ان لا يؤاخذ بهذه الجريمة لمسهم فهو المراد بكتب على نفسه الرحمة ورحمتي سبقت غضبي

ومنه

ومنه ان يراد بالكتاب اللوح واما انه سيحل لهم الغنايم او ان لا يؤاخذ على جهالة اعني قبل تقديم النهي او ان لا يعذب اهل بدر
او ان لا يعذب من تاب فلا يخلو كل عن اشكال ومعنى مسكم اصابكم فيما اخذتم من الفداء والعذاب العظيم عذاب النار والامر
باكل الغنايم يشمل الفداء وقيل نزل فيه والاولى انه نزل لما امسكوا عن اكل الغنايم ومعنى الفاء التسبيب والتقدير قد احللتها
لكم فكلوا وحلالا حال عن المغنوم ولعل المراد ان يكون على وجه الشرع من غير زيادة على الحق وهو اولى من جعله صفة المصدر
والامر بالاتقاء وان ناسب ان يكون المراد ان لا يقدموا على شيء لم يعهد اليهم لكن التعميم افيد وترتيب الاتصاف بالمغفرة
والرحمة على الامر بالتقوى بانه السبب لنيلهما • يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم • لما اخذ الفداء من الاسارى وشق عليهم نزل استمالة لقلوبهم ومن جملتهم العباس
خرج بعشرين اوقية من الذهب ليطعم اهل بدر فلم يبلغه النوبة حتى اخذ فقال العباس كنت مسلما الا انهم اكرهوني فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تقوله حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فكلم النبي عليه السلام ان يترك ذلك الذهب
عليه اما شيء خرجت به لنستعين علينا فلا قال وكلفني فداء ابن اخي عقيل عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال النبي عليه السلام فاين المال الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة قلت لها
لا ادري ما يصيبني فان حدث بي فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس
فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله وقد دفعته اليها في سواد
الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا
وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي به جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وهذا المعنى
وان نزل في العباس لكنه عام في جميع الاسارى الذين كانوا في ايديهم لان الجمع وضمايرها تكررت من ستة اوجه والنظر
الى عموم اللفظ لا الى خصوص الواقعة والخير الذي في قلوبهم الايمان والعزم على الطاعة والعزم على نصرة الرسول عليه السلام
والخير مما اخذ اما في الدنيا او ثواب الآخرة فمن الاول ما روي انه اتى رسول الله عليه السلام مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ
للظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وقال هذا خير مما اخذ مني وانا انتظر المغفرة وقرئ اسرى
واسارى ولا يستدل به على حدوث العلم نظرا الى الشرطية لانه لما قام البرهان على امتناع محلية الله للحوادث لزم التأويل
بالمعلوم ويحتمل ان يراد تعلق العلم • وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم • اي وان ارادوا
خيانتك في الدين بالكفر فقد خانوا الله من قبل او الخيانة بالعود الى المحاربة فانه عليه السلام لما اطلقهم عهد معهم ان لا يعودوا
وقد خانوا الله بذلك ايضا من قبل وحمله في المفاتيح على لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين والقايل ان يقول الاولى
حمله على نقض الميثاق العام بقوله الست بربكم او اعراضهم عن الهداية بعد التمكن بدلائل الانفس والآفاق ومعنى
امكن منهم انه مكن المؤمنين من قتلهم واسرهم اي لما خانوا الله بنقض العهد يوم بدر كان ما كان وفيه بشارة للنبي عليه السلام

بان كل من يخونه يمكنه الله منه والله عليم ببواطن احوالهم حكيم فيما يدبر من مجازاتهم • ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ
حتى يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون
بصير • المعنى ان الموصوفين بالايمان بالله والهجرة من اوطانهم لم يقدروا على اظهار الدين فان الهجرة تجب حينئذ او امكنهم
ولكن فارقوها حبا لله وجاهدوا اعداء الله ببذل الاموال فى الخيل والسلاح وبذلوا الانفس فى الجهاد وهم المهاجرون والانصار
الذين آووهم الى منازلهم وجعلوا للكل منهم ماوى ونصروهم على الكفار بعضهم من بعض فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون القرابة حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى من بعض ولو حمل الكلام على النصرة والموازرة بقى محكما واما من لم يهاجر
من المؤمنين فلا ولاية لبعضهم على بعض فى الارث او فى المناصرة وقرئ الولاية بالفتح والكسر غيران على الثانى شبه من الاتهم
بعمل وصناعة كان صاحبها باشر عملا وغاية انقطاع الولاية الهجرة فاذا هاجروا عادت الولاية كالغيرهم والحكمة التحريض على الهجرة
وان استنصركم المؤمنون فى دفع الكفار عنهم تجب عليكم نصرهم عليهم الا ان يكون الكفار قوما بينكم وبينهم عهد فان الميثاق
مانع من ابتداء القتال معهم والله مطلع على جميع ما سبق من الاعمال خيرها وشرها • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه
تكن فى الارض فتنة وفساد كبير • اى الكافرون يتوارث بعضهم من بعض او ينصر بعضهم بعضا ويحتمل ارادة التخصيص من هذا
العموم لان المعاهد من الكفار لا يرث من الحربى وبالعكس وقد حمل على ان المراد بيان ان الجنسية علة الضم والضمير فى ان لا تفعلوه
يرجع الى ما امر وا به من التوارث والهجرة او التعاون والتوازر ولعل الحمل على المذكور الشامل لجميع ما تقدم اولى معنى ورعاية
للضمير والحاصل ان الناس قد صاروا اربع فرق اعظمهم المهاجرون والانصار رضى الله عنهم اما الاولون فلاعراضهم عن جميع
المحاب لمحبة الله ورسوله ونصرة الدين واما الاخرون فالاثار الحميدة للانصار فى الدين مع النبى عليه السلام وامته
لا سيما المهاجرون قد صارت كالطراز على مفارق الليالى والايام ورسخت فى نفوس الانام والمتوسط منهم من آمن ولم
يهاجر فامر الله بنصرهم عند الحاجة وفريق اهل السعير وهم الكفار الذين لم يؤمنوا ولم يهاجروا ووجه كون ترك الامور فتنة
وفسادا كبيرا ان المؤمنين لم يصيروا ايدا واحدة على المشركين ولم تتفق كلمة الاسلام بل بينكم امر الدين بحيث لا يقبل
الصلاح ابد الدهر • والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
لهم مغفرة ورزق كريم • ذكر المهاجرين والانصار ثانيا ليس بتكرار وان كان لا يبعد ان يكرر للعناية بهم لان الذكر الاول
لبيان ولاية بعضهم بعضا وهنا لبيان تعظيم شانهم والثناء عليهم باعتبار الصيغة المشعرة بانحصار الايمان منهم
للمبالغة وان لهم نوعا من المغفرة لا يقادر قدرها للتنكير وان لهم رزقا كريما يعنى ثوابا رفيعا وقيل لا منة فيه وقيل لا يصير
حدثا بل رشحا كالمسك فيكون ذكر حالهم فى الدنيا اولا وفى العقبى ثانيا من اندفاع المكروه بذكر المغفرة وحصول المطلوب بالرزق الكريم
والذين امنوا من بعد وهاجروا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم •



هذه هى الهجرة الثانية ولذلك التقى بذكر الاموال والانفس فى الاول ومعنى قوله سبحانه من بعد الحديبية او بعد نزول الآية ههنا
او بعد الذين امنوا كما قال تعالى والتابعين لهم باحسان والهجرة بعد الفتح من مكة الى المدينة قد انقطعت واليه الاشارة بقوله
عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وكون اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله اى فى القران وهو المذكور فى سورة
النساء وان فسرنا الولاية بالنصرة يكون المقصود ازالة الوهم لئلا يكثر النسخ وقيل المراد اللوح وقيل فى حكمه واستدل
ابو جعفر بهذه الاية على ان الامام بعد النبى عليه السلام على بن ابى طالب رضى الله عنه اذ لا تخصيص للولاية ويدل عليه انه بلغ
سورة براءة الى المشركين وقال عليه السلام لا يبلغها الا رجل منى ثم اجاب بان العباس كان اولى وللقائل ان يقول
لم لا يجوز ان يكون تقدم على بالهجرة مرجحا كما صرح به النبى هذا وانه ليس فى الاية ما يدل على ان الاقرب ارجح لا سيما وخلافته محل الوفاق
فى الجملة ولا تمسك للحنفية فى توريث ذوى الارحام لان الاية مجملة فسرتها اية المواريث والختم بكونه عليما للاشعار بان جميع ما تقدم على وجه الحكمة وكمال العلم

## سورة التوبة مدنية وآيها مائة وتسعة وعشرون اية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله
مخزى الكافرين • لها اسماء كثيرة بحسب ما تضمنته من المعانى بالنسبة الى المنافقين فانها تدعو الى التوبة وتخزى وتفضح المنافقين
وتشقشقهم اى تبراء منه وتبحث عن حالهم وتحفر عنها وتنكل بهم وتشردهم وتدمدم عليهم وتثير عن احوالهم التوبة
والمخزية والفاضحة والمشقشقة والمبعثرة والحافرة والمنكلة والمشردة والمدمدمة والمثيرة والبحوث واما عدم
ذكر بسم الله الرحمن الرحيم فالمنقول عن على وابن عباس ان بسم الله امان وهى لرفع الامان ولا يشكل بكتبها الى هرقل
لان ذلك كان فى الابتداء ولم ينبذ العهد اليهم واولى ما قيل ان الانفال والبراءة واحدة نزلتا فى القتال ويحتمل ان يقال
انه لما تقرر ان البسملة فى اوائل السور من القرآن للفصل بين السور ولم تنزل الا كذا تعين ان لا يكتب او انه لما اختلف فى
كونهما واحدة فصل بينهما على قول المانع ولم يكتب على قول المثبت ولعل منار الرد ما نقل عن عثمان ان النبى عليه السلام
اذا نزل عليه السورة او الاية يقول افعلوها فى موضع كذا فتوفى عليه السلام ولم يبين اين وضعها وكانتا متشابهين
فى القصة فقرنت بينهما واما قيل انه انها نسى الكاتب فليس بشئ لان القران متواتر كله وهى خبر محذوف اى هذه براءة مبتداء
صدورها من الله سبحانه وغاية انتهائها الى الذين عاهدتم وان خصصت بالظرف كان الى الذين الخبر اى براءة واصلة من الله
اليهم والمعنى ان الله ورسوله بريئان من المشركين واصلها انقطاع العصمة يقال برئت من فلان اى انقطعت العصمة بيننا
ونسبة البراءة عن المشركين الى الله ورسوله والعهد الى المسلمين لان صدوره عنهم باذن الله فيه فلما نقضوا اعلمهم الله
بان الله ورسوله بريئان من عهدكم معهم والمعاهدون مشركو اهل مكة وغيرهم ولم يف به الا بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد
الى من نقضه وامروا ان يسيحوا الاشهر الحرم صيانة لها من القتال وقيل لما رجع المنافقون من غزوة تبوك والقوا الاراجيف
نقض المشركون العهد والسياحة الضرب فى الارض والاتساع فى السير والبعد عن العمارات والاقلال عن الطعام والشراب

قبل التقدير قيل لهم فسيحوا او هو يشكل بما روى من يوم عرفة الى عشرين من ربيع الاخر او من شوال الى آخر المحرم لانه لم يكن كلها
الاشهر الحرم فلعله من قبيل التغليب او لانهم أُومنوا فيها وحكم حرمة القتال قد نسخ بعموم فاقتلوا المشركين وكان نزولها سنة
تسع وفتح مكة سنة ثمان وكان امير موسم الحج عتاب بن اسيد وابو بكر امير موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكبا ناقة العضبا
ليقراه على اهل الموسم فقال لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل مني وقيل نزل جبرئيل وقال ذلك وفي اثناء الطريق
فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور
فرجع ابو بكر الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله انزل في شيء من السماء قال لا نعم فسر وانت على الموسم وعلى ينادي بالآي
فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس انى رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين او اربع عشرة آية ثم قال وامرت باربع ان لا يقرب البيت بعد
هذا العام مشرك ولا تطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك
يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وما قيل
ان ابلاغ على لان من عادة العرب ان لا يقبل الامن رجل من القبيلة ضعيف لانه لو كان كذلك لم يكن لنزول جبرئيل في هذا الباب
زيادة معنى ثم اعلمهم الله سبحانه بانهم لا يفوتونه ولا يسبقونه وان الله مذلهم بالقتل والاخزاء اذلال فيه عار به
واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برئ من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم
فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم• الاذان الاعلام يقال اذنه ايذانا واذانا وهو اسم قام
مقام المصدر وهي جملة معطوفة على براءة من الله واعرابها اعرابها وهو اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت والاول اخبار
عن البراءة وذلك كقوله عليه السلام الحج عرفة والاكثر على ان يوم الحج الاكبر يوم عرفة وروى مرفوعا وقيل يوم النحر وبه قال كثيرون
لان الاعمال فيه تتم وكلاهما روى عن على وابن عباس وقيل ايام منى نظرا الى الحين والزمان وقيل الحج هو الحج الاكبر والاصغر
العمرة وقيل حجة الوداع وذلك لما جرى فيه من اعزاز الاسلام واذلال الكفر وقيل الاجتماع الفرق واتفاق اعيادهم
ولم يتفق قبله والاصل ان الله بان الله حذفت الباء تخفيفا ووجه ما يقرأ من كسر ان لتضمن الاذان معنى القول وصح عطف
رسوله على الضمير في برئ للفصل وعلى محل المكسورة واسمها وما يقرأ بالنصب فللعطف على اسمها او يكون مفعولا معه وقرئ
بالجر للجوار او القسم روى ان اعرابيا سمعها فقال ان كان الله تعالى برئ من رسوله فانا برئ منه فعلم عمر ذلك فامر بتعلم
العربية والمعنى ان الله برئ من عهودهم فان تبتم عن الشرك فالتوب او المتاب عن المعصية خير عن البقاء عليها فان قيل
ما معنى افعل التفضيل قلنا اما المطلق الخيرية او بزعمهم اذا تأملوا وان اعرضتم عن الاسلام فاعلموا انكم لا تسبقون الله ولا
تفوتون عقابه والبشارة تهكم• الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين• الاستثناء من قوله الا الذين عاهدتم والتقدير براءة من الله الى المشركين

الا

الا من الذين لم ينقضوا وان جعل من قوله فسيحوا فانما يصح على تقدير قولهم فكانه قال الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم وهو بنو
مدلج وكنانة بقيت لهم تسعة اشهر فاتمت لهم ومعنى لم ينقصوكم شيئا اى شيئا من شروط العهد اى وفوا بالعهد ولم ينقضوه
ويقرأ بالمعجمة ولم يظاهروا اى لم يعاونوا اعداءكم عليكم فاتموا عهدهم الى تمام مدتهم ان الله يحب المتقين من نقض العهد• فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم• الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه ومنه سلخ الحيوان والتحقيق فيه ان الزمان
محيط بالشيء وظرف له وكذا المكان فاذا انسلخ الشيء من جلده فقد انفصل من السطح الباطن لذلك الجلد والاشهر هي التي سبق
ذكرها وحرم فيها حرمة القتال فيها ثم بعد انقضائها اذن الله في اربعة اشياء الاول قتلهم مطلقا في اى زمان ومكان كانوا والثاني
اسرهم يقال للاسير اخيذ والثالث منعهم من الخروج فان الحصر المنع والرابع الامر بالقعود على كل طريق يأخذون فيه الى البيت
او الى الصحراء او التجارة واقعدوا لهم على كل مرصد وهو الموضع الذي يرقب فيه العدو من قولهم رصدت فلانا اذا ترقبته
فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة فاطلقوهم بعد الاسر والحصر ولا تتعرضوا لهم كقوله
خل السبيل لمن يبنى المناربه وقيل دعوهم واتيان المسجد الحرام وتمسك الشافعي بهذه الاية على قتل تارك الصلوة لان الله تعالى
اباح دماء الكفار ولم يحرمها الا بحصول هذا المجموع وفيه نظر نظرا الى الزكوة الا ان يلاحظ انضمام دليل آخر ثم الله يغفر ذنوبهم ويرحمهم



بعد ان فعلوا هذه الخصال• وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون•
اى ان طلب ممن انقضى عهده فيكون مأمور القتل ان يكون في جوارك بان يستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من الدين وما نزل عليك
من القرآن فامنه حتى يسمع كلام الله ويدرك حقيقة معناه ويتدبر ما فيه وهو مرتفع بفعل دل عليه استجارك اى ان استجارك
احد والقرينة حرف الشرط وهو يمنع ان يكون مبتدا لان الشرط تعليق فيطلب الفعل ثم بعد ذلك ان لم يسلم اوصله الى دار التي
يأمن فيها ثم قاتله فلا يكون غدر ولا خيانة والاكثر على انها محكمة لان مشركا سأل عليا رضي الله عنه انه ان اراد واحد منا بعد انقضاء
العهد ان يأتي محمدا ليسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد الآية ولعله لم يذكر تمام جوابه او حمل الحاجة على تجارة
او سفارة ومع ذلك لا تدل الاية الا على الاول وعلل سبحانه الامر بالامان بانهم قوم جهلة لا يعلمون حقيقة الايمان والاسلام فلا بد
من الامان ليسمعوا القرآن ويدركوا منه البيان• كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين• استفهام انكار ان يستعبدونا المشركين بالعهد ويدل عليه ذكر الا
بعده اى كيف يكون لهم عهد مع اضمار الغدر الا للذين استثناهم الله تعالى وهم كنانة وبنو ضمرة فلا تقاتلوهم ما بقوا على العهد والله يحب
الذين يوفون بالعهد ويعلم ان التربص من اعمال المتقين وكيف خبر كان لتقدم المصدر به ويجوز ان يكون خبر للمشركين او عند الله
وهو صفة العهد او ظرف له او ليكون ان لم يجعله خبرا وكيف على الوجهين الاخيرين حال من العهد وللمشركين تبيين العهد ان لم يكن
خبرا ومحل الذين اما النصب او الجر وحمل الاستثناء على الانقطاع كما قيل ضعيف• كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة

يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ٭
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
ذكر الاستفهام المتضمن للاستبعاد و وفائهم بالعهد ليس بتكرار لانه لم يذكر دليله وهذا قد ذكر معه لعدم ثباتهم على العهد وحذف
الفعل الذي هو نحو يوفون او يثبتون لاشعار الكلام به ونظيره ٭ وخبرتماني انما الموت بالقرى ٭ فكيف وهاتا هضبة وقليب ٭
اي كيف مات او كيف يوثق بهم وبوفائهم وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم بعد تأكد الايمان لم يبقوا عليكم ولا يراعوا
حلفا او عهدا فان الال يفسر بهما وبالقرابة والعشيرة لان ذلك انشدار بناطام الميثاق ومنه قول حسان ان الك من قريش كال
السقب من لال النعام ٭ واصل الال الال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع او من الال الذي هو الجوار لانهم اذا حلفوا رفعوا
اصواتهم تشهيرا له وقيل عبري بمعنى الاله والذمة العهد والميثاق من الذم اي ما يخاف من الذم والعيب فيه والارضاء بالافواه
هو الوعد بان يؤمنوا او يثبتوا على العهد ولا يرضى قلوبهم الا بالكفر ونقض العهد فاباها ان تخالف السنتهم ما فيها من الحقد ولا يصح
جعل يرضون حالا من فاعل لا يرقبون لانهم حينئذ لا يرضونهم واكثرهم خارجون عن العهد او متمردون في الكفر وقيل المراد
الكل وفاعل اشتروا قيل هم المشركون اذ الكلام فيهم وقد استبدلوا بالقران او الاسلام اتباع الشهوات وقيل اليهود
لانهم لما تكرر ذكرهم بهذه الصفة صارت بالغلبة مختصة بهم وآيات الله التورية ويحتمل ان يقال ظاهر اللفظ يشعر بانه
بيان فسق الناقضين وهو لا ينافي التقديرين ولهذا قيل هم قوم منهم دخلوا في العهد ثم رجعوا منه فصدوا عن سبيل
الله بان انصرفوا عنه وصرفوا غيرهم لاستلزام الثاني الاول وقيل هم الاعراب الذين اطعمهم ابو سفيان وفي ذكر اولئك
وتوسيط الضمير اشعار بانهم الذين بلغوا النهاية في المجاوزة في الظلم لانه اذا كان صنيعهم بئس الصنيع فانهم لا يراقبون
عهد احد من المؤمنين ولا يثبتون على الميثاق للاصرار على الكفر فلا اظلم منهم لانفسهم ولغيرهم فهو بيان للصنيع لا تكرير
فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ٭ اي ان تابوا عن الكفر ونقض العهد واقاموا الصلوة
المفروضة واتوا الزكوة فهم اخوانكم وذكر تفصيل الايات على وجه الاعتراض للتحريض والحث على التأمل في احكام المشركين
وانه هو العالم وذكر الاخوة هنا مع قوله تعالى انما المؤمنون اخوة لعله للحث على المراقبة والتسوية بين الكل عند الله وان نقضوا
العهود بان رجعوا الى الكفر بعد ان امنوا واظهروا الذم وطعنوا في الدين بتصريح التكذيب وتقبيح احكام الله ومنه علم
الائمة موضع الضمير
انه ينتقض عهد الذمي بالطعن في الدين وقيل نقض عهد الرسول عليه السلام ووضع اذ التقدير فقاتلوهم للاشارة الى
انهم بذلك صاروا رؤساء الكفرة وقادتهم او المراد بالمقاتلة رؤساؤهم وخصوا بها لان قتلهم اهم ولئلا يراقبوا وهم ابو سفيان
وابو جهل والذين هموا باخراجه ونفي الايمان عنهم مع اضافتها اليهم لان ما اظهروها ليست بايمان يعتد بها حيث لم يفوا بها
وايضا يحتمل ان يستدل باعتبارها من حيث هي لانها لم تكن معتدا بها في ذاتها لما ذموا بنكثها ولهذا جعل الشافعي رضي الله عنه
يمين الكفار يمينا وفيه جواب ابي حنيفة رحمه الله حيث لم يعتبرها وقرئ لا ايمان لهم والمعنى لا تصديق لهم او لا امان لهم اي لا ه

اي لا تؤمنوهم فيكون مصدرا من الايمان الذي هو ضد الاخافة وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين وبين بين واظهار الياء وقيل الحق
وقيل هو الاصل وذكر الاول ان الاصل ائمة جمع امام كمثال وامثلة ادغمت احديهما في الاخرى والقيت حركتها على الهمزة فصارت
ائمة فابدلت من المكسورة ياء كراهة اجتماع الهمزتين في كلمة ولعل تعليل الامر بالمقاتلة بهذا الوجه للاشعار بانه ينبغي ان لا يكون
القصد بالمقاتلة الا انتهاؤهم عن الكفر مع ما صدر منهم من عظائم الجرائم لا الانتقام ففيه اشعار بشمول الرحمة الالهية وسبقها
الغضب ٭ الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم
مؤمنين ٭ قيل دخول الهمزة على حرف النفي يفيد الحث على المقاتلة ولعل السبب تضمين الاستفهام الانكار وايمانهم هي التي
ذكروها في المعاهدة وقصد الاخراج هو من مكة كما سبق من المشاورة في دار الندوة ودخول الشيخ النجدي عليهم وقيل من المدينة
وهم ابتدؤا بالمقاتلة والبادي اظلم وهو قتال بدر فانه لما سلمت عيرهم قصدوا استيصال النبي صلى الله عليه وسلم والا فالنبي
عليه السلام ما بدأ الا بالدعوة والتحذير بالكتاب الالهي وفيه مبالغة شديدة في التحريض على قتالهم ويحتمل ان يقال انه اذا كان
الكافر مع الظن الخطاء يبتدي بالقتال فالمؤمن المحقق في وجوب القتال اولى بان لا يتهاون فيه لانه ذكر ثلث موجبات كل
منها يقتضي المقاتلة ثم اكد بان الترك لا يكون الا للخشية وفيه تحريك الشجاعة وانه ينبغي ان يخشوا الله فلا يتركوا اعداءه بل يحذروا
عقابه والعظم تأكيد فيه تعليقه بالايمان فان ظاهره يشعر بان التارك لا يكون مؤمنا فان المؤمن الكامل لا يخاف غير الله فانه يعلم
ان لا مؤثر في الوجود غير الله ٭ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويتوب الله
على من يشاء والله عليم حكيم ٭ تقديم المقتضي على الامر الجزم بالقتال لشدة العناية به والوعد بتعذيبهم بايدي المؤمنين وكذا الوعد
بخزيهم باسر من لم يقتل وذلك بظهور الذل وفيه دليل ظاهر على ان فعل العبد فعل الله تعالى والقوم المؤمنون خزاعة فانهم
لما اسلموا اعانت قريش بني بكر عليهم فشفى الله صدورهم من بني بكر ولا تكرار في ذكر اذهاب الغيظ بعده لان الاول الخلاص
من زحمة الانتظار حيث وعد والنصر وهذه الامور الاخر فقيد اذهاب الغيظ وفي ظهور هذه الامور معجزة ظاهرة وفي الاية
دليل على ان الصحابة كانوا مؤمنين في علم الله لان قلوبهم كانت مملوة غيظا ويتوب الله قيل استيناف لانه يبعد جعله جزاء
للمقاتلة وقيل جزاء له فان ناسا منهم تابوا عن الكفر ولا يخفى ان حمل الواو على العطف اولى والله عليم بافعال المقاتلين ونياتهم
حكيم في شرع القتال ٭ ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة والله خبير بما تعملون ٭ وبخهم الله على حسبان ان يتركوا على ما هم عليه من غير ان يتميز من اخلص نيته وجاهد في سبيل الله
من غيره فالهمزة منقطعة فان معناها الانكار والاضراب وعطف ولم يتخذوا على جاهدوا واشعر بان عنوان الاخلاص في الجهاد
عدم اتخاذ الكافر وليجة وهي فعيلة من الولوج كالدخيلة وهي نظير البطانة والدخلة اي لا ينبغي ان تتولوهم وتفشوا اليهم اسرارهم
وقيل هي المدخل يدخل منه على وجه الاستتار شبه به النفاق والحاصل انه لا خلاص من العقاب الا بان يعلم الله الذين جاهدوا
وان لا يتخذوهم وليجة واطلاق نفي العلم وارادة نفي المعلوم باعتبار ان وجود الشيء يلزم كونه معلوم الوجود عند الله

فعلم الله بوجوده كناية عن وجوده فلا استدلال لهشام به على ان الله لا يعلم الشيء الا حال وجوده ولقايل ان يقول انه لو قيل
ابتدا معناه و لما يتعلق علم الله بهم كان اولى وان علم الله بالشيء حال وجوده غير علمه به قبل ان يوجد وكونه سبحانه خبيرا بالاعمال او على
وعيد ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين • وجه الربط انه تعالى سبحانه خصالا للكفار هي مثالب ومعايب تقتضي التبرء عنهم وقتالهم عقبها بما تصوروا
كمالات دينية وسعادات وهي عمارة المساجد وغيرها فبين انها محبطة لعدم شرطها الذي هو الايمان بانه ما صح لهم ان
يعمروا المسجد الحرام حال كونهم شاهدين على انفسهم بالكفر الذي هو الشرك بقولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك
تملكه وما ملك او الاعتراف بعبادة الصنم او سجودهم له حال الطواف وتكذيب الرسول عليه السلام والمعجز كالقرآن روي انه
اذا سئل هل هو يهودي او نصراني قال نعم وحبوط اعمالهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واكرام الضيف لان وبال الكفر
زايد عليها وشرطها الاخلاص المشروط بالايمان وقرئ مسجد بالتوحيد وتقدم الضمير يشير بانه لا يخلد الفاسق بالنظر الى
الحصر لا سيما وقد جعله جزاء عن الكفر • ووجه حصر العمارة فيمن يؤمن بالله واليوم الاخر ان من يبني بيت الله فنظره الى الانتفاع به
في الاخرة فمن كفر بها كيف يتقرب ببنائه ولعل عدم ذكر الايمان بالرسول لاشتمال الصلوة عليه وكذا ايتاء الزكوة وجعل وصف
الصلوة كالشرط للعمارة لان المقصود الاعظم من بناء المسجد اقامة الصلوات فيها فالم يكن مقرا بوجوبها يبعد ان يقدم على
بنائها واما ايتاء الزكوة حيث حملنا العمارة على المتعارف فلان من لم يبذل المال فيما يجب عليه اخراجه فاخراجه في النفل اولى
ان لا يفعل وان حملت العمارة على ملازمته للعبادة فيها فقد قيل لان الفقراء يردون المساجد لطلب الزكوة فيحصل العمارة به
وليس بشيء لان طلب الصدقة في المسجد بدعة منهي عنها لكن لقايل ان يقول لعل السبب انه لما ذكر الايمان الذي هو من اعمال
القلب واردفه بالصلوة التي هي من الاعمال البدنية تممها بالزكوة التي هي العبادة المالية واما نفي خشية الله والمراد منها ما يتعلق
بالدين فمناسبة ببناء المساجد فقد قيل ان ابا بكر بنى مسجدا وكان المشركون يؤذونه بسببه فيكون الاشارة الى انه لا ينبغي
ان يخاف منهم وليس بقوي لان النظر ليس الى الخصوص الواقعة بل الى مقتضى اللفظ نعم لقايل ان يقول لما كانت هذه الامور
مخالفة للطبع ينفر النفس عنها لما فيها من الكلفة فلا بد من حامل طمع او خوف فاشار الى ان الحامل الثاني ينبغي ان لا يكون
الا خشية القتل واخذ المال على فرض عدم الايمان فيجعل ذلك عنوانا على ايمانه نفاقا كما فعله المنافقون وفي ذكر عسى
بهذه الصيغة قطع لاطماع المشركين من الانتفاع باعمالهم فان اعادة ذكر اوصافهم باولئك ثم رجاء كونهم مهتدين
يدل عليه كيف وهؤلاء مع صدور هذه الفضايل العلمية والعملية لم يجزم باهتدائهم بل على سبيل الطمع والرجاء
اذا قلنا ان عسى يرجع الى العباد فان رجع الى الله فهو للوجوب ومما روي في شرف المسجد ما تلقى النبي عليه السلام
من الله سبحانه ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني



في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وروي من الف المسجد الفه الله • اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين • قال ابن عباس لما اغلظ الكلام
للعباس قال ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فقد كنا نعمر المساجد ونسقي الحاج فنزلت وقيل قال للعباس
بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام
فنزلت فقال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها اجرا وقيل المشركون قالوا لليهود
نحن سقاة الحجيج وعمرة المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه قالوا انتم افضل وهما مصدران من سقى وعمر كالصيانة والتقية
يقتضي ان يكون التقدير اهل سقاية الحاج او يضمر المضاف في الثاني اعني اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيده قراءة من سقاة
المسجد يؤيد الاول وذكر الظلم بعده يشعر بان التسوية بين المسلمين والمشركين واعمالهم الصالحة واعمالهم المحبطة من اعظم الظلم
فانه يكون كفرا من قايله • الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك
هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم •
اي الموصوفين بهذه الصفات اعظم درجة عند الله من السقاة والعمار عندكم وتخصيص الفوز وهو الظفر بالمطالب دونكم
وقرئ يبشرهم بالتخفيف ايضا وتنكير الرحمة للتعظيم كانها بحيث لا يحيط بها كنه الوصف وقيل تخص بالمهاجرين والنعيم لين العيش
والمقيم الدايم وفي تعقيب الخلود بالتابيد دليل على انه للمكث الطويل لئلا يلزم التكرار فان الابد هو الدهر المستقبل الذي لا اخر له
ويجمع على اباد والاجر العظيم الدايم الذي لا ينفى كرمان حصوله والتاكيد بالموعود هنا من وجوه شتى منها ان البشارة على قدر المبشر
وهو اكرم الاكرمين فيكون البشارة بخيرات يعجز العقل عن وصفها ومنها ذكر الرب المشتق من التربية اي رباكم في الدنيا فيربيكم
في الاخرة ومنها اضافة نفسه اليهم وتقديمهم وان البشارة لا يكون الا بما لا يعلم كما اذا قال من بشرني فهو حر فينبغي ان يبشر
بما لا يعلمه وكان البشارة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت وعند المحققين الفرح بالنعمة ليس لذات النعمة بل لتخصيص المنعم النعم
عليه بها فانه اذا خص السلطان بعض الناس بادنى شيء لم يكن كمال فرحه الا بالتفاته اليه دون غيره • يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون • نزلت الاية معاتبة لمن ترك الهجرة لما هاجر
رسول الله عليه السلام وامر المسلمون بها فان منهم من هاجر ومنهم من تعلق به زوجته وعياله فرق لهم وجلس معهم وهذا كان
قبل فتح مكة ثم رخص لهم بعد ذلك فيدل عليه قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وقيل نزلت في السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
اي لا تتخذوهم اولياء يمنعوكم عن الايمان والطاعة ومعنى استحبوا اختاروا الكفر على الايمان يقال استحب كذا اي احبه كانه
طلب محبته ومن يتولهم منكم فكانه لا ظالم غيره حيث وضع هذه الموالاة في غيرها وكيف لا والرضا بالشرك شرك ولما احتمل ان يكون النهي
للتنزيه ازيل ذلك الوهم وقيل لا يمنع بر والده الكافر كما لا يمنع من قضاء دينه قل ان كان اباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله

بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين • هذا جواب عن قولهم كيف يمكن البراءة بالكلية وهي توجب انقطاعنا عن ابنائنا
واخواننا وعشائرنا وذهاب تجاراتنا وخراب ديارنا وهلاك اموالنا وان نبقى ضايعين فبين انه يجب تحمل هذه المضار
الدنيوية ليبقى الدين سالما وان كان رعاية هذه المصالح احب اليكم من مرضاة الله ورسوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره الذي
هو فتح مكة او عقوبة الدنيا او الاخرة وفي الاية اشعار بان العاقل العارف بامر دينه ان يرجح مصالح الاخرة على مصالح الدنيا
وانه ان لم يفعل ذلك كان على صدد لحوق العذاب وكيف يترك الباقي بالفاني وايثار النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون
هواه تبعا لما جئت به ولا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين فان قيل المحبة امر طبيعي لا يدخل تحت
الاختيار فكيف يتوجه التكليف الى الانسان بسببها لا سيما لزوم كون هذه المحبة اقل رتبة من محبة الجهاد الذي هو مظنة
هلاك النفس وبذل المهج قلنا ليس المراد الحب الاختياري بل ترتب اثر المحبة من اختيار مراد الله ورسوله على مراده والمفرقة
فهموا الوعيد منه ويحتمل ان يقال اعظم انواع الوعيد في انه سبحانه سمى المخالف ظالما مسلوب الهداية باخباره سبحانه الذي لا
يتطرق اليه خلاف التصديق • لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم • هو مواطن الحرب ومعنى ويوم حنين وموطن يوم حنين
ووجه الربط بيان ان الجهاد في سبيل الله ينبغي ان يكون احب اليهم لظهور العناية الالهية فيها فان قدر الموطن بالوقت او
بايام الموطن فقد ذكر في الكشاف انه لا يكون منصوبا بهذا الظاهر بل يقدر فعل مضمر لانه لو نصب بالظاهر لزم ان يكون قد اعجبتهم
كثرتهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها ورد عليه صاحب الانوار قايلا ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم منه ان يعطف
على موضع مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن
وتقرير كلامه ان ما ذكره المانع من اعمال الظاهر فرع على وجوب مشاركة المعطوف مع المعطوف عليه بجميع الاعتبارات وهو
غير لازم فلا يلزم من ثبوت الكثرة في بعضها ثبوتها في الباقي فلا بد من اقامة الدليل على لزوم المساواة وحنين واد بين مكة والطائف
وقع الحرب به والمسلمون اثنا عشر الفا انضم الفان من ثقيف وهوازن الى العشرة الذين حضروا فتح مكة قال بعض الناس
او النبي صلى الله عليه وسلم على بعد لمنافاته توكله لن نغلب اليوم من قلة وفيه اعجاب بالكثرة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المسلمون
باعجابهم بعد ان كسروا المشركين ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فرجعوا ووصل بعضهم الى مكة وبقي النبي عليه السلام
في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابو سفيان بن الحرث ابن عمه وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وهو يركض نحو الكفار لا يبالي وكفى ذلك دليلا على شجاعته فقال للعباس صح بالناس وكان صيتا يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
ويا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وعطفوا كما تعطف البقرة على اولادها يقولون لبيك لبيك فنظر رسول الله
عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به فقال انهزموا ورب الكعبة

قال

من المهمات

قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته قال البراء والله الذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم دبره قط فان قيل فاذا كان الانهزام برمي النبي عليه السلام فما فائدة نزول الملائكة قلنا ذلك لاكرام الله سبحانه المؤمنين
والقاء الرعب في قلوب الكفار واطمينان المؤمنين بانجاز وعد النصر الى غير ذلك مما لا يحيط به درك عقولنا ومعنى فلم تغن ان الكثرة
لم تغن شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليهم برحبها اي سعتها لا يجدون فيها ملجا تطمئن فيه نفوسهم من غلبة الخوف
فهو كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم ظهوركم منهزمين والادبار الذهاب الى الخلف وبازائه الاقبال وسكينة الله هنا رحمته ونصره وامداده
التي سكنت بها نفوس المنهزمين وغيرها والجنود المنزلون الملائكة قيل عليهم الثياب البيض وهم على الخيل البلق ومعنى لم تروها
اي باعينكم وقيل راى بعضهم الكفار والاول اوفق للفظ الا ان يراد النفي عن الجنس قيل كانوا خمسة الف وقيل ثمانية الف وقيل
ستة عشر وعذاب الكافرين بالقتل والاسر والسبي وهو جزاء كفرهم ومع ذلك كله يتوب الله عليهم ان تابوا بالاسلام والله غفور
لمن تاب رحيم لمن آمن وعمل الصالحات روي ان ناسا منهم بايعوا رسول الله عليه السلام قالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابر الناس وسبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي ستة الف ومن المال ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبيكم واما
اموالكم فقالوا ما نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤا تائبين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
ولم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب
شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت اليه العرفاء ان
قد رضوا • يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم • وجه الربط انه لما نزل سورة براءة قال ناس من اهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدة لفقد الحمولات
فنزل وان خفتم عيلة والنجس مصدر نجس ينجس اي ذو نجس وقيل هو الشيء القذر من الآدمي وغيره والاكثر على ان المراد عبدة الاوثان وقيل
جميع الكفار وعن ابن عباس انهم كالكلاب وعن الحسن انه يغسل اليد من مصافحته والفقهاء الفرق على طهارتهم فالمراد خبث باطنهم او انه يجتنب
عنهم كالشيء النجس او انهم لا يتطهرون عن الاحداث او النجاسات والعجب ممن يحكم بنجاسة الماء الذي يتوضا به اكثر الانبياء وطهارة
ما يستعمله المشرك الذي دل النص على نجاسته وقال عليه السلام المؤمن لا ينجس والاستدلال بان الطهارة لا تكون الا عن نجاسة
ليس بصحيح لقوله تعالى ويطهركم تطهيرا وظاهر الاية ان الكفار يمنعون من المسجد الحرام خاصة وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه وعمم مالك
المنع وجوز ابو حنيفة مطلقا وليس المراد نفس المسجد في الاية بل جميع الحرم لان موضع التجارة ليس نفس المسجد وانما يخافون
اذا حصروا عن الاسواق والمواسم ويدل عليه قوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع الاتفاق على انه
عليه السلام رفع من بيت ام هاني فعلى هذا لو جاء مشرك للرسالة خرج سامع الى الحل ولو مرض اخرج وان خيف عليه وكذا اذا
دفن الا اذا امر او تعذر وقيل المراد منعهم من تولي مصالح المسجد والعيلة الفقر يقال عال الرجل اذا افتقر ثم عام قيل كان
يحمل الطعام اليه بطريق جدة وصنعاء وغيرهما او بالجزية او الفيء وهذه الاخبار الجزم المطابق من المغيبات لا يقال ان شاء

فى ازالة خوف العيلة لان الحكمة ان يتضرع الانسان الى الله دايما فى طلب الخيرات ودفع الافات وان الله عليم باحوال العباد حكيم
فيما يدبر من امورهم • قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • لما بين الله حكم المشركين من غير اهل الكتاب بين حكمهم فى لزوم المقاتلة
الى قبول الجزية وقد سبق فى سورة البقرة ان اعتقاد اهل الكتاب فى الله على خلاف الحق حيث قالت اليهود عزير ابن الله واكثرهم مشبهة
يزعمون ان لا موجود الا الجسم وما يحل فيه فهم منكرون وجود الاله الذى ليس بجسم ولا حال فيه وقالت النصارى المسيح ابن الله
وان اعتقادهم فى اليوم الاخر على خلاف ما هو فى كتب الله وكانه لا ايمان فانهم انكروا البعث الجسمانى وكل من انكره فقد انكر صريح الكتاب
ولا يحرمون ما حرمه الله فى الكتاب والسنة او لا يعملون بما فى التورية من تحليل ما هو حلال فيها وتحريم ما هو حرام فيها وقيل احلوا الخمور
ولا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو دين الحق او طاعة الله من دان اذا اطاع ولا تعقد الجزية الا الامام او نايبه ومن
للبيان اى الموصوفين بهذه الصفات من اهل الكتاب والجزية ما يعطى المعاهد على عهده من جزى يجزى اذا قضى ما عليه والمجوس ملحق
باهل الكتاب فى الجزية لما روى ان عمر لم ياخذ منهم حتى شهد عبد الرحمن ان النبى عليه السلام اخذها من مجوس هجر وقيل كذا حكم فارس
والروم والترك بخلاف العرب فانه ليس الا السيف او الاسلام ومعنى عن يد قيل عن سلطان وقيل نقدا او يعطى كل ما عليه بيده
وقيل عن غنى ولا تؤخذ الا من الرجل البالغ العاقل وتؤخذ حصة زمان افاقة المجنون واقل ما يؤخذ كل سنة دينارا واثنا عشر درهما
وهذا الشرط ان لم يعلم ان جد الكتابى اختار دينهم بعد النسخ ويقر معه القرار مطلقا او ما شاوا وحسن ان يماكس معه حتى يؤخذ
من المتوسط ديناران ومن الغنى اربعة وهم صاغرون اى اذلاء خاضعون لا يركبون ولا يجلسون حتى يعطوا فياخذ الآخذ
الآل لحيته ويضرب لهازمه وهو مطاطا الرأس وهذا سنة ويشترط عليهم سوى الجزية ضيافة المسلم المار وعلف مركوبه
ثلثة ايام والمقصود من اخذ الجزية حقن دم الكتابى لعله ينظر بالتدرج فى دلايل صحة الدين فيسلم وفيه تقوية الاسلام وهذا جواب
عن طعن بعض الملاحدة حيث قال كيف يقر الكافر على دينه للجزية • وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون • وهذا مذهب مشهور عندهم وقيل قاله فنحاص
وقيل جماعة اخرى وفى الجملة هو مذهبهم ولا عبرة بانكارهم قالوا ذلك لما احياه الله بعد مائة عام فاملى عليهم التورية حفظا وقرى
منونا وغير منون فمن لم يحذف فانه مبتداء وابن خبره والتنوين يحذف فى النسب ولالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله
وقيل لمنع الصرف للعجمة والعلمية والتقييد بكونه بافواههم مع ان القول لا يكون الا بالفم للاشعار بانه لا دليل عليه فهو كالمهملات
لم يقصد بها الدلالة على المعانى ووجه التحقيق فيه انه اذا كان من المعلوم لكل احد ان ما يتلفظ به سواء وضع لمعنى ام لا مقول
بالفم فاذا ذكر ذلك فى معرض الذم فلو لم يرد به انه مجرد تلفظ لم ينبئ عن دليل بل يراد انه وغيره فى افادة المعنى المبرهن عليه سواء
كان التقييد به ضايعا واما الحمل على انه مذهبهم الذى هو بافواههم من غير ان يحضر فى قلوبهم لانه لا حجة معه حتى يؤثر فى القلب فليس
بقوى لان ما يعتقده الانسان وان كان جهلا مركبا فهو فى قلبه باعتبار تصوره وتعلقه فالحمل على انه يشبه ما ينعق به

من

من افادة بالنظر الى انه جهل محض هو الوجه ومعنى يضاهئون انه يضاهى قولهم قول الذين كفروا من قبلهم فهو على حذف المضاف والمشبه
اما قدماء اليهود او المشركون الذين قالوا الملئكة بنات الله او اليهود والمشبهة النصارى لانهم قبلهم وقرى بالهمز ومنه
امرأة ضهياء على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لا تحيض يقال ضاهيته وضاهاته لغتان كارجيت وارجات وقاتلهم الله
دعاء عليهم فان من قاتله الله هلك لا محالة او تعجب من قولهم ذلك يؤفكون يصرفون من الحق الى الباطل يقال افك الرجل عن الحق صرف
والمعنى كيف يصدون عن الحق بعد وضوح الدليل وهذا التعجب راجع الى الخلق • اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون • وجه الربط انه بيان المقتضى
لقتالهم ولما كانت العبادة لا يستحقها غير الله سبحانه نزل المطيع فيما امر كالعابد له وكانوا يامرونهم بتحليل ما حرمه الله وتحريم ما احله
ولا يشكل بان عبادة الشيطان تكون كفرا فيكون المذنب كافرا لان العاصى وان اطاعه لكنه يستخف به ولا يعظمه واحبارهم
علماؤهم ورهبانهم زهادهم ومما يدل على ان من عبد فقد جعل الها قوله سبحانه قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وكذا
اتخذوا المسيح وعطفه على الاحبار لا يستلزم ان يكون الاية فى النصارى خاصة والآمر لهم بعبادة الله وحده هو الله والانبياء
والمأمورون اما المتخذون او المتخذون قال المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ولذلك ادلة العقل لا نام بان لا تعبد
غير الله فان غير الله مفتقر الى الموجد وجد بعد العدم وسيعدم فكيف يصلح للالهية وسبحانه تنزيه لله واستبعاد ان يشرك به ويبريه عن ذلك
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون • صفة اخرى لاهل الكتاب اى يقصدون ابطال امر النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الدين
فمثلهم كمثل من يريد ان يطفى بنفخة نورا قد انتشر فى الافاق والله سبحانه يريد ان يضئ العالم واهله باعلاء كلمة واعزاز دينه به
فانى لهم اطفاه ومعنى يابى الله لا يريد ليصح الاستثناء عنه فانه لا يقال ابيت الا كذا كما لا يقال كرهت الا زيدا ويدل عليه انه
قابل به يريدون او التقدير يابى الله كل شئ الا اتمام نوره وحينئذ لا بد من نوع تخصيص وقوله هو الذى الى آخره كالبيان لاتمام
النور والهدى القرآن ويحتمل مطلق المعجز الشامل له ودين الحق الاسلام فقيل هو من باب صلوة الاولى واظهاره اعلاؤه على الاديان
كلها ولا يشكل بان الدين ما غلب فى بلاد الهند والصين لانه ما من دين مخالف الا وقد ظهر عليه الاسلام فى بعض البلاد او قد يكون
عند ظهور عيسى او المهدى او المراد الظهور فى جزيرة العرب • يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون •
هذا ايضا ذم لاهل الكتاب حيث كان هذا حال علمائهم وزهادهم واكلها اما اخذها على وجه الاستعارة بعلاقة مشابهتها
فى الاهلاك او لان الاكل يحصل بها فهو من اطلاق السبب وارادة المسبب كما قال يأكلن كل ليلة اكافا اى علفا يشترى بثمنه وسبب
حصولها لهم الارتشاء فى الاحكام والتسامح بها والذين اما ان يراد بهم هؤلاء اى جمعوا بين اخذ الرشى وكنز الاموال

والبخل بها او يراد بهم المسلمون والمقرون بينهم وبين الكفار الاخذين الرشى للتسوية بين القسمين في استحقاق البشارة بالعذاب
الاليم واصل الكنز الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض مكنوز واكثر علماء الصحابة على ان الكنز المذموم هو المال الذي لا يؤدي زكوته وروي
عن عمر وابنه رضي الله عنهما ان ما ادي زكوته فليس بكنز وروي مرفوعا والحق بالزكوة الكفارة والدين ونفقة الحج وعوض المتلفات
وكل ما يجب اخراجه وقيل المال الكثير اذا جمع فهو الكنز المذموم وان اديت زكوته واستدل بعموم اللفظ وقوله عليه السلام تبا للذهب تبا
للفضة قالها ثلثا قالوا فاي مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله عليه السلام من ترك صفرا
او بيضاء كوي بها وانه توفي رجل فوجد في ميزره دينار فقال عليه السلام كية وتوفي آخر فوجد له ديناران فقال كيتان ويمكن
ان يجاب ان ذلك ينبغي ان يحمل على ترك الاولى لا لانه يعذب الانسان بمال جمعه من حل واخرج عنه حق الله تعالى وقد قال عليه السلام
نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد كان لعبد الرحمن بن عوف وغيره اموال كثيرة وقول علي رضي الله عنه اربعة الف فما دونها نفقة
فما زاد فهو كنز او انه كان قبل وجوب الزكوة لقوله عليه السلام لعمر لما ذكر ذلك ان الله لم يفرض الزكوة الا لتطيب بها ما بقي من اموالكم
وجمع الضمير في ينفقونها مع ذكر المثنى للنظر الى افراد القسمين مثل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا او لما اشتمل عليه الكنز
وان اعيد الى الفضة وقدر للذهب فهو مثل واني وقيار بها لغريب اي اني غريب وتخصيصهما بالذكر مع ان غيرهما ان
لم يؤد الزكوة عنه كاموال التجارة عذب صاحبها لكونهما من الاشياء في الغالب ومعنى يحمى عليها يوقد النار ذات حمي وحر
شديد عليها ولهذا عدل ان يحمى بالنار بل يجعل الا كادها للمبالغة ثم حذف النار واسند الفعل الى الظرف تنبيها على المقصود
فانتقل من التأنيث الى التذكير كما اذا قلت رفع الى الامر والاصل رفعت القصة اليه والكي الوسم وقيل الصاق الحار
ببعض البدن وتخصيص هذه الاعضاء لان المال يطلب الوجاهة فعذب بنقيض المطلوب والظهر لان البخيل يولي ظهره
عن السائل او لانها اشرف الاعضاء لاشتمالها على الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع القدام والوراء
او الجانبان او لان الجبهة والجنب الطفها والظهر اصلبها فيكون الكي شاملا للكل او لزوال الجمال والقوة بالكلية ويقال
هذا ما كنزتم لمنفعة انفسكم فصار مضرتها فذوقوا بال كنزكم • ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم
خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
واعلموا ان الله مع المتقين • لما كان هذا ايضاح جملة مساوي اعمالهم عده معها اعني النسيء وهو تاخير شهر وتقديم اخر لتغير احكام الله
والكلام في النسيء وان كان الاولى ان يؤخر لكن تحقيق هذا الكلام يتوقف عليه فاقتضى تقديمه وانما كان عدة الشهور اثنا عشر
لان السنة عند العرب هذا القدر بالشهور القمرية على ما توارثوه من ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وهذه الاية ويسألونك
عن الاهلة وغيرهما يدل عليهما وعند ساير الطوايف عبارة عن زمان تدور الشمس فيه دورة تامة فالقمرية اقل منها بمقدار
معلوم وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى آخر فيقع الحج في الشتاء تارة وفي الصيف اخرى وربما
لم يوافق ذلك تجاراتهم اعتبروا الشمسية فصار الحج مختصا بوقت معين وهذا بعد ان اقدموا على عمل الكبيسة على ما ذكره

المنجمون

مطلب في بيان الكنز المذموم وغير المذموم

المنجمون وقصدوا المصالح الدنيوية وغيروا حكم الله من تخصيص الحج باشهر معلومة وبسبب النسيء يقع في ساير الاشهر
والسنة الشمسية لما كانت زايدة على القمرية جمعوا تلك الزيادات فاذا بلغ مقدارها الى شهر جعلوا تلك السنة ثلثة عشر شهرا
فبين الله سبحانه ان حكمة الله ان يكون السنة اثنا عشر شهرا وكتاب الله اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب وقيل القرآن
وقيل مما اوجبه وحكم به اي هذا الحكم محكوم به في اول خلق العالم وفي كتاب الله ظرف عدة الشهور ويوم خلق بدل منه والاشهر
الحرم هي على ما قاله عليه السلام ان الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ثلث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان او رجب نسب الى هذه القبيلة لتعظيمهم اياه اي
اعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء كما سبق ولهذا كان حجة ابي بكر في ذي القعدة والدين القيم اي المستقيم الذي هو دين
ابراهيم عليه السلام هو تحريم الاشهر المذكورة وتعظيمها لا ما يفعله اهل الجاهلية من التقديم والتاخير وقيل الدين الحساب وتخصيص
بعض الزمان بالحرمة دون بعض كليلة القدر والجمعة والعيد بالفضل دون بعض ان النفوس مجبولة على الشر يشق عليها
الامتناع عن الشر بالكلية فمنعت عنه في بعض الاوقات لحرمته ليقل شرها وكانوا يعظمون الاشهر حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه
لم يقتله فاكد الله سبحانه ذلك بان منع الظلم فيها اي لا تحلوا حرامها ولهذا قيل لا يحل القتال فيها ولا في الحرم الا ان يقاتلوا والصحيح انه
ارتفع ذلك الحكم بسورة براءة وكافة حال من الفاعل اي قاتلوهم باجمعكم كما يقاتلونكم باجمعهم او المفعول اي قاتلوهم اجمعين ولا تحابوا
بعضهم وقيل في جميع الاشهر وهي مصدر كالعافية وهي نكرة دايما كاجمعين في التعريف وهذا معنى قولهم لا ينصرف ولا يكون
مذكرة ولا مجموعة لا يقال كافين ولا كافات وكونه سبحانه مع المتقين تحريض على التقوى وضمان للنصرة الحاصلة بالمعية الالهية
انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم
سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين • النسيء مصدر نساه اذا اخره يقال نساه الله في اجله وانساه اجله اي تاخير حرمة
الشهر الى شهر اخر لانهم كانوا اصحاب حروب فان دخل الشهر الحرام وهم في القتال شق عليهم تركه اخروه الى اخر وكنانة كانوا
احوج الى الغارة وكانوا يحرمون من شق شهور العام اربعة اشهر كما اشار اليه سبحانه بقوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي به
ليوافقوا عدد الاربعة ويقرأ ليواطوا فاذا احلوا شهرا في عام حرموه في القابل فضمير يحلونه ويحرمونه للنسيء وكانت بنو فقيم
من كنانة تقوم على جمل في الموسم ويقول ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه وفي القابل يقول حرمته ومعنى فيحلوا ما حرم الله
اي بمواطاة العدة مع قطع النظر عن تخصيص ما حرم من القتال او ترك الاختصاص لتعيين الاشهر اي انما فعلوا ذلك ليكون
عدد الاشهر المحرمة اربعة مطابقة لما ذكر الله فيحصل المواطاة ومعنى الزيادة في الكفر ان المعصية يزيد بها الكفر كما ان الطاعة
يزيد بها الايمان زين الشيطان اعمالهم فحسنها في اعينهم ويحتمل ان يكون الله بدليل ما يقرأ بالبناء للفاعل وذلك لمنع الله
هدايته للكفار وينبغي ان يقيد بما عدا الهداية الفطرية • يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل • يقرأ تثاقلتم ومعناهما تباطأتم

وتفاعستم وهو مثل اداركٍ وتدارك وعُدّي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كما قال اخلد الى الارض اى ملتم الى راحة الاقامة
وكرهتم متاعب السفر او الى اقامة دياركم وعامل الظرف متعلق مالكم مثل ما تصنعون نحو قولك مالك قايما وسبب تثاقلهم انه هذا
فى غزوة تبوك وكان فى وقت الحر والقحط وكثرة العدو ولهذا ما خرج النبى عليه السلام فى غزوة الا اظهر قصد غيرها غير هذه فانه
بيّن للاستعداد وهذا الخطاب لمن تثاقل واستاذن فى التخلف لان المهاجرين والانصار اسرعوا الى الطاعة وطايفة
اخرى وان ثقلت عليهم اختاروا الطاعة على هواهم ومعنى انفروا اخرجوا الى الجهاد واصل النفر مفارقة الوطن لامر يهيج عليه
ومعنى ارضيتم انا قد ذكرنا موجبات القتال ومنافعها وطاعة المعبود والمصالح العظيمة التى تحمل العاقل عليه لا سيما ومنافع
الاخرة شريفة خالصة عن الافات ابدية فكيف يرضون بالحيوة الدنيا بدلها مع ان لذات الدنيا والتمتع بها بالنسبة الى
الاخرة قليلة فانية • الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير • اى ان لا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اما فى الدنيا بالقحط وظفر العدو او فى الاخرة لقرينة الاليم او فيهما والقوم المستبدل بهم قيل
اهل اليمن وقيل اهل فارس ولا تضروا الرسول بالتثاقل شيئا لان الله وعده بالعصمة فيقع النصرة بغيركم • الا تنصروه فقد
نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده
بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم • اى ان لا تنصروا محمدا فقد نصره الله حين
حمل قريش على الخروج باجتماعهم فى دار الندوة كما سبق والمراد اما النصر فى المستقبل اى سينصره فى الملئكة على طريقة ونادى
كالنصرة فى ذلك الوقت او نصره فى ذلك الحين بان دفع عنه العدو وهذا وانه لم يكن معه الا رجل واحد وسببه انه سبحانه اخبره بقصدهم
فخرج ومعه ابو بكر رضى الله عنه فدخلا غارا فى ثور جبل باسفل مكة فامر الله شجرة فخرجت فى وجه النبى فسترت وجهه وامر عنكبوت
فنسجت ما بينهما وارسل حمامين وحشيين فوقعا على باب الغار وثانى اثنين مثل خامس خمسة اى احد اثنين وهو منصوب
على الحال ومعنى اذ هما اى حصلا فيه وهو بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان اى يقول النبى لابى بكر فانه بكى وقال اخاف ان تقتل
حين طلع المشركون فوق الغار وقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال النبى عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفيه دليل
على انه من انكر كون ابى بكر من الصحابة كفر لتكذيبه القرآن فان قيل لا دلالة فى اللفظ على خصوصه قلنا الاجماع على انه لم يكن غيره
والسكينة ما يقتضى السكون وهو الامن على ابى بكر لانه عليه السلام كان ساكن القلب يسكن قلب ابى بكر ويحتمل انه يؤيد بقرب المرجع اليه
ايضا وقيل الى النبى عليه السلام وفيه دليل على فضله من هذا الوجه وان الله امر النبى عليه السلام بان ياخذ فى صحبته للوثوق وكذلك
فيه دلالة على فضل على حيث خصه بالاضجاع على فراشه مع ان فيه تعريض القتل بالفداء لا يقال لا تحف يدل على انه كان عاصيا
بذلك فانه سبحانه يقول لموسى لا تخف انك انت الاعلى والجنود الملئكة يوم بدر والاحزاب وحنين او بالثقة بوعده وكلمة الكفار
دعوتهم الى الشرك وكلمة الله قول لا اله الا الله او دعوته الى الاسلام او لاغلبن انا ورسلى وعلوها الغلبة وسفلها القهر
والضمير اما للفصل او مبتدا او بالاشارة الى الحصر بتاكد امر كلمة الله سبحانه وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على

على كلمة الذين والرفع ابلغ للدلالة على ان كلمة الله هى العالية فى نفسها وان غلبت غيرها فلا بقاء لها هكذا ذكر فى الانوار وفيه نظر
لان كونها عالية فى نفسها هو بجعله سبحانه • انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون • فيه تعميم لاحوال النفر فانه فسر الخفاف والثقال بحال النشاط والثقل للمشقة وقلة العيال وكثرتها وخفة السلاح
اى قلته وثقله والركوب والمشى وسن الشباب والشيخوخة والمرض والصحة فانه عليه السلام لم يرخص الترك لابن ام مكتوم حتى
نزل ليس على الاعمى والهزال والسمن وعن ابن عباس انها نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء وفيه نظر فان التخصيص اولى
بدرجات الا ان ينقل ذلك بورود التصريح به وذكر الاموال والانفس لبيان وجوب الجهاد بهما او باحدهما وكون الجهاد خيرا
مع انه لا خير فى القعود اما على طريقة الناقص والاشج اعدلا بنى مروان او انه خير من الدعة والراحة ولذلك قال ان كنتم تعلمون
ان ثواب الاخرة حق • لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون • العرض ما يحدث من المنافع يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر
اى لو كان سهل الماخذ قريب التناول لاتبعوك اى وافقوك فى الخروج والسفر القاصد المتوسط السهل وسمى به لان المتوسط
بين القلة والكثرة يقصده كل احد نزلت فى المتخلفين من المنافقين فى غزوة تبوك والشقة بعد المسير الى ارض بعيدة يقال
شقة شاقة اى بعدت عليهم الشاقة البعيدة اى يشق على الانسان سلوكها وقرئ بكسر العين وسيحلفون اخبار عن المستقبل
اى عند الرجوع من غزوة تبوك فهو من المعجزات اى لو سهل علينا لخرجنا معكم فهو مقول لهم وما حلفوا عليه وهو ساد مسد
جوابى القسم والشرط والاستطاعة العدة او قوة البدن وكانهم تعللوا بالمرض وجعل يهلكون بدلا لعله اولى من الحال
لان الاهلاك لم يختص بحال الحلف بل كان قبله ايضا والحال عن قوله لخرجنا وان اهلكنا انفسنا لفظا ومعنى والتصحيح بانه فى
قوة سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا وحلف الله ليفعلن تعسف لا يناسب الاية لانه هذا فيه التناسب باعتبار كون
الكل بلفظ الغايب دون ما فى الاية وعلم الله كذبهم انهم كانوا مستطيعين • عفى الله عنك لم اذنت لهم حتى تبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين • ظاهر اللفظ يشعر بانه كان ينبغى ان لا ياذن لهم لذكر العفو واستدل به على جواز صدور الذنب
من الانبياء لا سيما ولم اذنت استفهام انكار واجيب بمنع دلالة العفو لجواز ان يكون لتعظيم وتوقيره كما يقول الرجل
لمن هو معظم عنده عفا الله عنك ما صنعت فى امرى ويحتمل ان يقال لجواز ان يكون دعاء كما فسر به وانه يجوز انه يكون
لترك الاولى كما ورد فى صور اخرى واما حمل الاستفهام على الانكار فغير جايز لانه ان كان ما فعله ذنبا فبعد العفو لا يرد الانكار
ومعنى حتى يتبين هلا توقفت حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب قيل هذا مثل اخذ الفداء يوم بدر
والكلام فيه قد سبق • لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم
بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون • كان الاكابر
من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن فى الجهاد فان الله امرنا به مرة بعد اخرى ولم يكن من عادتهم الاستيذان

بل كان يشق عليهم التخلف حتى شق على علي رضي الله عنه لما امره بالقعود ولم يرض حتى قال النبي عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من
موسى قال ابن عباس اي بعد غزوة تبوك وقال الاخرون كيف يصح وما قبلها وما بعدها فيرد فيها والمقصود تمييز المؤمن
من المنافق وهو حاصل سواء ورد بلفظ الماضي او المستقبل هو في غزوة تبوك وقيل في غيرها ومعنى ان تجاهدوا في ان
لا تجاهدوا او كراهية وذكر المتقين عقيبه يدل على ان هذا الوصف حاصل لهم وعلم بانما ان الاستيذان لا يصدر الا من الكافر
والمراد ستة وثلثون من المنافقين والكفر قد يكون بعدم الايمان وقد يكون بالشك فيه وهم من القسم الاخير وعلم من كون
محل الريب في الايمان الذي هو ضده القلب انه يكون هو محل الايمان ايضا ومعنى الترددان الشاك يبقى غير جازم بنفي او اثبات
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك
الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون • لو كانوا مياسير وكان السفر بعيدا يحتاج الى اهبة وعدة فتركهم العدة
كان دليل التخلف فلو عزموا على الخروج لاعدوا لكن لم يعدوا فعلم انهم لم يريدوا او جعل كراهة الله المستلزمة لعدم
الاعداد دليله وهو ابلغ من الجواب بقوله لكن لم يعدوا وقرئ عدة وعدة وعدة وهو مثل واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا
في حذف تاء التانيث واقام المضاف اليه مقامها والانبعاث الانطلاق قال بعثت البعير فانبعث اي نهرته والتثبيط
رد الشخص عن الفعل الذي هم به اي كره خروجهم فصرفهم عنه وكسلهم وضعف رغبتهم وكان فيه مصلحة المسلمين لقوله
ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا لا يقال يلزم منه وصف الله سبحانه بالكراهية لان المعنى اراد الله عدم ذلك الشيء
وفيه دليل على مسئلة القدر بقوله فثبطهم وقول اقعدوا قيل كان من الشيطان وقيل قول بعضهم لبعض وقيل
اذن النبي عليه السلام لهم وفي ذكر القاعدين اشارة الى انهم كالنساء والصبيان الذين لا يليق بهم الا القعود
في البيوت للعجز عن الحرب ويدل عليه رضوا بان يكونوا مع الخوالف والخبال الفساد والشر اي فساد راي الضعفة
والاستثناء مفرغ وهو من اعم المفاعيل اي ما زادوكم شيئا الا خبالا فيكون متصلا ولا حاجة ان يقدر خيرا ليكون
منقطعا بتوهم لزوم ضلالهم حتى يزاد عليه وسبب النزول في التسلية ان ابن ابي ومعه من العسكر ما ليس باقل
من عسكر النبي عليه السلام فنزل تحت ثنية الوداع ونزل النبي عليه السلام بها فتخلف هو ومن معه من المنافقين و
معنى اوضعوا خلالكم اي اسرعوا بينكم والخلال الوسط بافساد ذات البين بالنمايم من وضع البعير اذا اسرع
واوضعته انا ويحتمل ان يستشهد بقوله عليه السلام لما راى اسراع الناس وقت الرجوع من عرفة البر ليس الا
بالايضاع وتاقرأ من اوقصوا بمعناه ويقرا ولا اوفضوا وما كتب في الامام اوضعوا فلان الفتحة تكتب الفا فكتب
الهمزة الفا وفتحتها اخرى وهو اختراع اصلاح قبل نزول القران ويبغونكم يحتمل ان يكون بدلا او بيانا لاوضعوا
اي يطلبون ايقاع الفتنة باظهار المخالفة بينكم او الشرك والسماعون النمامون ينقلون احاديثكم اليهم او قوم

او قوم يطيعون المنافقين يقال سمع اي اطاع وابتغاؤهم الفتنة من قبل هذه الغزوة افساد امرهم وغلبة الكفر عليهم
بتشتيت امرهم وتفريق كلمتهم او قصد قتل النبي عليه السلام كما كان ليلة العقبة وقف لذلك اثنا عشر رجلا منهم ومعنى
قلبوا احتالوا في ايصال المكاره اليك والتقليب جعل الاسفل الاعلى او دوروا الاراء في ابطال امرك فان قيل حتى جاء
الحق يدل على ان المعنى مجيء الحق بغلبة الاسلام على الشرك وظهوره بان علا امره فيكون قد انقطع سعيهم حينئذ في ذلك
قلنا لعل المراد عدم ظهور اثر مكايدهم وحيلهم بعد ذلك لا انهم رجعوا عن النفاق المقتضي لتلك المفاسد لان قوله وهم
كارهون يدل على ان وقت ظهور الاسلام كانوا باقين على الكفر والنفاق اذ المعنى على رغم منهم • ومنهم من يقول ائذن
لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين • اي من جملة المنافقين من يقول ذلك وسبب النزول
ان النبي عليه السلام قال لجد بن قيس في غزوة تبوك هل لك في جلاد بني الاصفر وكان الاصفر رجل من الحبشة ملك الروم
فاتخذ من نسائهم كل وضيئة حسناء فولدن له بنانا فيهن من بياض الروم وسواد الحبشة يضرب بهن المثل في الحسن
فقال لقد عرف قومي اني مغرم بالنساء اخشى ان لا اصبر عن بنات الاصفر فلا تفتني بهذا وائذن لي في القعود واعينك
بمالي فاعرض عنه النبي عليه السلام واذن له وقيل لا تفتني فاني ان تخلفت بغير اذنك وقعت في الاثم ولعل تقديم الظرف
على عامله يشعر بان ما وقعوا فيه من التخلف او الكفر والنفاق او ما هو سبب عنها من النار هي الفتنة التي سقطوا فيها
لا غير ويؤيده انها محيطة بهم الان باحاطة اسبابها كما يحيط بهم في الاخرة • ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون • اي ان اعطاك الله يا محمد ظفرا او غنيمة ساءتهم وان كان الذي اصاب شدة ونكبة كما في احد فرحوا بها
ولعل ذلك ماخذ الفقهاء في تعريف العداوة وقالوا حينئذ اخذنا تيقظنا واحتياطنا في التخلف عن الجهاد قبل وقوع المكروه
ويتولوا عن مكان هذا القول مسرورين شامتين او تولوا عن الايمان فقل لهم شدة ورخاء الا الذي كتبه الله في اللوح
او القران وهو احدى الحسنيين من الظفر او الشهادة وهو اهل يصيبنا ويصيبنا فيكون تفعيل لا افعل لانهما من بنات
الواو بدليل صوب رايه الا على لغة من قال صاب السهم ومولينا هو الذي يتولى امرنا وينصرنا فعلى المؤمن ان لا يتوكل الا على الله
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم
متربصون • اي ينتظرون بنا اما النصرة او الشهادة فليس العاقبة الا الحسنى ونحن ننتظر بكم اما عذاب من عند الله
كقارعة من السماء مثل ما نزل بالامم السالفة او بايدينا بالقتل فانتظروا عواقبنا فانا ننتظر عواقبكم او انتظروا وعد الشيطان
اياكم فانا ننتظر وعد الله من الاسم الحسن في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة ان غلبنا فالغنيمة والجنة ان غلبنا وقرئ
تربصون بشدة التاء باظهار التاء وبادغام التاء • قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون

قرئ كرها بضم الكاف وفتحها وهما لغتان والمعنى انه وان صدر منهم شئ من اعمال البر لا يقبلها الله تعالى او رسول الله
فان اعتبار الاعمال بالنيات كانهم امروا بان ينفقوا فينظروا هل تقبل منهم وهما حالان من المنفقين اى طايعين او كارهين
اى مختارين او مكرهين ويجوز ان يكون سببها امر رؤسائهم لمصالح ترويج النفاق وقيل في جد بن قيس حيث قال
اعينك بمالى كما سبق والتعميم يؤيد بالتعليل بقوله انكم كنتم قوما فاسقين وقرئ يقبل معروفا ومجهولا والامر قيل في معنى الخبر
للثلاث كل بل يتقبل والقايل ان يقول يحتمل حمله على التهديد نحو اعملوا ما شئتم فان قيل لم قدم مفعولى منع وهما الضمير وان يقبل
مع العناية بالفاعل وهو انهم كفروا ينبغى ان يكون اشد قلنا لافادة حصر الماهية المستفادة من هذا التركيب وكسالى بالضم والفتح
جمع كسلان وسبب الكسل عدم توقعهم بفعلها ثوابا وبتركها عقابا وورد في الاحاديث الصحاح انه لا يقول المؤمن كسلت
وذلك لانه نعت المنافق وظاهر الكلام يدل على ان منع القبول معلل بالامور الثلثة وهو يشكل على مذهب المعتزلة حيث جعلوا
هذه الامور اسبابا مؤثرة بخلاف مذهبنا حيث قلنا انها معرفات وفيه دليل على كون الكافر مأمورا بالفروع والا لما ذموا
بالصلوة على وجه الكسل ❊ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
يحتمل انه يقال ان ذكر الفاء يشعر بان النهى مسبب عن عدم انتفاعهم بانفاق الاموال والمعنى نهى النبى عليه السلام عن ان يسر
بها سرور راض متعجب بها وقيل المراد نهى الامة على وجه المبالغة مثل لا تمدن عينيك وعلل النهى بان الله ما اعطاهم الا ليكون
سبب عذابهم اما بان يغنمها المسلمون او الزام الانفاق مع الكراهة وقطع في الاية رجاءهم عن منافع الاخرة وبين ان
ما يظنون من منافع الدنيا جعلها الله اسباب تعذيبهم فيها وموجبات المحن والافات عليهم وهذا احسن ترتيب يتصور
فانه لما بين قبايح اعمالهم وفضايح احوالهم بين ما لهم في الاخرة من شدة العذاب وما لهم في الدنيا من المصايب ثم بين ان ما يفعلونه
من اعمال البر لا ينتفعون بها في القيمة وما يتصور به من منافع الدنيا فهو سبب تعذيبهم وعند ذلك يظهر ان النفاق جامع
لعامة افات الدين والدنيا وقوله سبحانه انما يريد الله بيان لتعليق التعذيب بارادة الله تعالى وعطف زهوق انفسهم
كافرين عليه يدل على ان ذلك معلق بها ايضا اى يريدون ان يديم نعمه عليهم الى ان يموتوا كافرين فيحتمل انه يستدل به على المعتزلة
في ان الكفر بارادة الله تعالى فانه اذا اراد زهوق انفسهم في حال الكفر فقد اراد الكفر لان ارادة المجموع لا تحصل الا بارادة اجزائه
ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ❊ اوصاف
اخر مذمومة لهم اى يحلفون بالله كاذبين انهم على دينكم وليسوا كذلك ولكنهم يخافون القتل والسبى فاظهروا الايمان واخفوا
النفاق والفرق الخوف ورجل فروق شديد الخوف لو وجدوا حصنا ومفرا لفروا اليه والملجأ المكان الذى يتحصن فيه
ومثل الملجأ مقصورا وممدودا ويقال لجأ يلجأ لجأ بفتح اللام وسكونها والمغارة الموضع الذى يستتر الانسان فيه من غار الماء
في الارض ويقال للكهف الجبل وقيل مهارب من اغار الثعلب اذا اسرع وقرئ بفتح الميم مخففا مدخلا فادغمت التاء
في الدال لان التاء مهموسة والدال مجهورة فهما من مخرج واحد فهو مفتعل من الدخول وقيل نفق اليربوع ويقال للسرب تحت الارض

كالابار

كالابار اى لو وجدوا امكانا من هذه الثلثة مع انها شر الامكنة لذهبوا اليه وهم مسرعون بحيث لا يردهم شئ ومنه جمح الفرس
اى لم يرده اللجام ❊ ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم
رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله انا الى الله راغبون ❊ اى من المنافقين من يعيبك
او يطعن او يغتاب او يحرك شفتيه بالطلب في قسم الصدقات وقيل هو ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج قال للنبى عليه السلام
في قسمة غنايم حنين اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل ابو الجواظ المنافق قال الا ترون صاحبكم
يقسم الصدقات في رعاة الغنم فقال عليه السلام لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام
احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرأ يعقوب بفتح الميم ويقرأ يلمزك بالتشديد ويلامزك ورضاهم ليس الا للمال ولا نظر
لهم الى الدين وتقدير جواب لو انهم رضوا بما اعطاهم النبى عليه السلام من الغنيمة وان قل لكان خيرا لهم وقالوا حسبنا اى
كفانا فضل الله وما اعطينا سيعطينا غيره من فضله اكثر من هذا وانا نرغب الى الله ولا نطلب بالايمان والطاعة اخذ الاموال
والفوز بمناصب الدنيا بل سعادة الاخرة والاستغراق في العبودية ❊ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ❊ وجه الربط انه تعالى
سبحانه لمز المنافقين في الصدقات بين ان مصارفها هكذا وانما تفيد انه لا يستحق هؤلاء شيئا ويدل عليه قول النبى عليه السلام
ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والحكمة في شرع الزكوة سوى ايصال البر الى المحتاجين ازالة حب المال الشاغل عن كمال
حب الله سبحانه ويدل عليه قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الاية وصريح اللفظ يدل على انه لا بد من صرفها الى جميع الاصناف وبه قال
جماعة من الصحابة والتابعين وجوز ابو حنيفة صرفها الى بعضهم واستدل بقول بعض الصحابة حيث قالوا في اى صنف وضعها
جائز فان قيل من اين نشأ الخلاف بينهما قلنا لعل المنشأ هو انه سبحانه جعل مجموعها لمجموعهم فيحتمل انه يكون صدقة كل انسان
لكلهم وان يكون صدقة لكل صنف لكن الاولى اولى لانه لو فرض ان لا تجب الزكوة الا على شخص اما في بلد او اكثر لزم تجويز حرمان
بقية الاصناف ولا يصح ان يقال انه على سبيل البدل لانه ذكر بالواو دون او نعم ان لم يوجد جميع الاصناف بل بعضها وزع
سهم المفقود على الباقى وان لم يوجد نقل الى مكان منه ولا بد على المذهب من صرف كل سهم الى ثلثة فصاعدا لان اقل الجمع ثلثة فان صرف
الى اثنين عدم ثلث الفقراء الثالث ولا بد من التسوية لمطلق التشريك فالكلام في الاصناف اما الفقير على مذهبنا من لا يملك
ولا يقدر على كسب يقع موقعا من حاجته وان قدر على شئ في الجملة والمسكين من يقدر على ما يقع عن بعض حاجته وعكس ابو حنيفة رحمه الله
ومنهم من سوى بينهما دليلنا قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام قال اللهم اجعلنى مسكينا وقال اعوذ بك
من فقر مدقع وقول مجاهد الفقير الذى لا يسأل والمسكين الذى يسأل ومن سأل وجد وكل منهما يحلف عند التهمة ويطالب
بالبينة ان عهد له مال واما العاملون السعاة الذين يجمعونها بشرط ان يكونوا عدولا عارفين بباب الزكوة ممن تحل لهم
لا كالهاشمى لانه عليه السلام لم يبعث لها ابا رافع حين كان مولاه ولا يشترط فيهم العذر لحصول المقصود ولهذا لا يزد على اجره

مطلب بين الفقير والمسكين

المثل على المذهب بواحد فالجمع باعتبار كثرة افرادهم واما المؤلفة قلوبهم فمنهم شريف يتوقع باسلامه اسلام غيره فان النبي
عليه السلام اعطى الاقرع وعيينة او حويطبا وسهيلا واضرابهم وكانوا خمسة عشر رجلا وكان يشق عليه وكذا من يتألف بجهاد
الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون اهون من موتة غيرها واما الرقاب والتقدير عند بعضهم في فك الرقاب ويعطى المكاتبون
الذين عجزوا عن الاداء وبه قال ابن عباس ويدل عليه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم وعند ابي حنيفة رحمه الله انه لا يعتق من الزكوة
رقبة كاملة بل يعان المكاتب بها وعند مالك واحمد انه يشترى بها الرقاب للعتق واما الغارمون فهم الذين لزمهم الغرم
ام لاصلاح ذات البين بتحمل الدية او للمصالح المباحة ولا يشترط في الاول ان يكونوا محتاجا بخلاف الثاني واصل الغرم في اللغة
اللزوم واما سبيل الله فالغزاة ويعطون كالقدر الفرس والسلاح ونفقة الذهاب والاياب وان لم يكونوا محتاجين وشرط
ابو حنيفة وصاحباه الحاجة واما ابن السبيل فهو من قصد سفرا مباحا ولم يجد ما يبلغه مقصده او موضع ماله فيستحق بقدر الحاجة
وفريضة بالنصب مصدر مؤكد اذ التقدير فرض الله الصدقات فريضة وما يقرأ بالرفع فالتقدير تلك فريضة وذكر الاربعة الاخيرة
بفي دون اللام قيل للدلالة على انهم اشد استحقاقا حيث جعلوا كالظرف لها ولقائل ان يعارض بان اللام اقوى دلالة على ذلك
للاختصاص والملك وعلم الله وحكمته بشرع الصدقات ووضعها على هذا الوجه اشارة الى الفائدة التي ذكرنا اولا كذا

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم • هذا بيان ايذائهم للنبي عليه السلام واطلاق العضو وارادة الانسان
للمبالغة كتسمية الجاسوس بالعين فان المعنى يصدق كل ما يسمع ويقبله او يختص سماعه بالخير وقرئ بالجر اي اذن خير
ورحمة فانه اذا لم يقبل غيرهما فكانه لم يسمعه ويؤمن يحتمل ان يكون بدل الاشتمال بين به انه اذن خير ورحمة فانه يصدق الله
فيما انزل عليه من الايات ويصدق الكمل من المؤمنين كالمهاجرين والانصار وعطف رحمة على خير لانه اشرف اقسام
الخير وكونه عليه السلام اذنا لمن آمن من المنافقين باعتبار انه يقبل منهم ويجري عليهم احكام الاسلام من صون الدماء
والاموال ولم يفضحهم وفيه رد لقصدهم باطلاق ذلك عليه لاز بادة الشر بالنظر الى انه سليم القلب لا يدبر بفطنته
فيحقق ما يسمع فانه يكتفي بمجرد دعوتهم الايمان الا ان يقال سببه عليه السلام لما بلغه مذمة طايفة منهم وخافوا من ذلك
قالوا اذن سامعة ماوي ما سمع فيعتذر اليه فيقبله فيكون الخيرية من هذا الوجه وذكر هذه الصفات من الايمان بالله ثم
رد لما قالوه من انه سريع الاغترار فان من كان هذا شانه كيف يصح الطعن فيه وقرئ اذن بتخفيف الذال ومنونا
بالرفع على هو اذن وهو خير لكم والمعنى انه كان كما تقولون فهو خير لكم لاعراضه عنكم وقبول عذركم وجعل الباء صلة الايمان
بالله لارادة معنى الاعتراف بوجوده وصفاته وجعل اللام صلة المؤمنين لان المراد تصديقهم فيما يدعون نحو وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين وما قرئ بالنصب فبالعلة ومعللها محذوف اي ورحمة لكم يأذن لكم • يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله
ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين • سبب الحلف تحقيق الصدق في الاعتذار لتخلفهم عن الجهاد والطعن بقول اذن

وغيرها

وغيره والخطاب للمؤمنين اي فعلوا ذلكم ليرضوكم فقيل لهم ان كنتم صادقين فالله ورسوله بالارضاء اولى منا وتوحيد الضمير
للاشعار بان رضاء الله ورضاء رسوله سيان او والتقدير ورسوله ايضا احق فان قيل المفهوم انهم ان لم يكونوا مؤمنين
لم يكن الامر كذلك وارضاء الله ورسوله مطلوب من كل احد قلنا ليس المراد الا صدور ذلك عنهم ليكون عنوان ايمانهم لا انه
لم يكن ذلك في نفس الامر • الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ذلك الخزي العظيم • اي من يحارب اولياء
الله ويحتمل ان يستدل على ذلك بقوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى من عادى وليا لي فقد بارزني بالحرب مفاعلة من الحد كالمشاقة
وقيل فان الكسر لكنها فتحت على تقدير فالامر ان له نار جهنم او فحق وما قيل ان ان تكرير وفي التقدير لان في قوله انه لا يخفى ضعفه
وكذا عطفها على انه بناء على ان جواب من محذوف والتقدير من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم • يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون • ضمير الجمع في عليهم وتنبئهم للمؤمنين اي يحذر المنافقون
ان تنزل سورة من الله على المؤمنين فتعلمهم بفضائحهم واستهزائهم حتى نقل عن بعضهم انه قال لا ارانا الا شر خلق الله لوددت
اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا وجعلها للمنافقين باعتبار انه اذا كان النزول في شانهم فالنزول
عليهم تجوز بحسب الاستعمال وكذا جعل السورة قائلة للمنافقين في قلوبكم كيت وكيت وكذا جعل يحذر بمعنى ليحذر والجواب
عن السؤال بان الحذر واقع بقوله يحذر بان معناه انه مهر انزال السورة او مظهر حذرهم لعل معناه ان الحذر المستفاد من قوله
يحذر حذر اجمالي والموعود به التفصيلي والامر بالاستهزاء الذي اظهار خلاف ما يبطن امر تهديد وحذرهم ان لم يكن على وجه
الاستهزاء كما قيل دل على ترددهم في الامر • ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين • سبب النزول ان طايفة من المنافقين
منهم ابن ابي قالوا في غزوة تبوك انظروا الى هذا الرجل الذي يريد فتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات او قال واحد
منهم في النبي واصحابه ما رايت ارغب بطونا ولا اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء فاخبر الله نبيه فامرهم بان يقوموا
ويستغفروا من غير تعيين فلم يفعلوا فقال قم يا فلان قم يا فلان فقاموا واعتذروا فقالوا ما كنا في ذلك بل فيما يخوض فيه الركب
لتقصير السفر فقال الله قل يا محمد ابالله واياته ورسله كنتم تستهزءون فلا عبرة باعتذاركم بعد صدور صريح الكفر وظهور ما كنتم
تبطنون من الكفر واصل الخوض الدخول في مثل الماء ثم صار اسما لكل دخول فيه تلويث والاعتذار قيل محو اثر الذنب ومنه اعتذرت
المنازل اي درست وقيل القطع ومنه يقال للقلفة عذرة وهذا يشعر بانهم جعلوا معترفين باستهزائهم لان همزة الاستفهام
هنا للتقرير ومعنى بعد ايمانكم بعد اظهارهم الايمان وجعل التاخير عن الغزو كفرا غير سديد بخلاف ايذاء النبي عليه السلام والفرق بين
ابالله يستهزئ وبين يستهزئ بالله كالفرق بين لا فيها غول ولا غول فيها وكما كان الاستهزاء بالله محالا فالتقدير بتكاليفه
وبذكره مثل يلحدون في اسمائه ان نعف عن طايفة منكم للتوبة والاخلاص وترك الايذاء تعذب طايفة باصرارهم عليها وقرئ
بالنون فيهما ويقرأ بالياء وبناء الفاعل فيهما والفاعل هو الله وما يقرأ بالتاء وبناء المفعول مع ان القياس التاء للاسناد

الى الظرف فلتقدير ان يرحم طايفة • المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون

ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون • اى ان ذكورهم واناثهم متساوية فى تلك الافعال الخبيثة وفيه

تكذيبهم فى حلفهم بانهم منهم ووصفهم بالصفات المنافية بحال المؤمنين من الامر بالمنكر الذى هو الكفر والمعاصى والنهى عن الاسلام

والطاعة دليل على انهم ليسوا منهم ويقبضون ايديهم عن الخيرات وصرف المال فى الجهاد وهو كناية عن البخل او لا يرفعونها فى الدعا

ومعنى نسيانهم انهم جعلوا الله بمنزلة المنسى فجعلهم بمنزلة من الرحمة او تركوا ذكره فتركهم وهو على سنن المقابلة مثل يستهزئ بهم

فهم الكاملون فى التمرد والخروج عن الطاعة والدين عن ابن عباس انهم كانوا ثلثمايه وهن مايه وسبعون • وعد الله المنافقين

والمنافقات والكفار نار جهنم هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم • لعل اقامة المظهر مقام المضمر للدلالة على السببية

ولما كان عذاب المنافق اشد انواعه كان كافيا فى الايلام ومع ذلك لهم نوع اخر ولعل المراد نحو الزمهرير او العلم بانه لا اخر

فان استمرار ذلك هو الاقامة او المراد من خوفهم من ظهور النفاق ونعت الاحصاء وحمل اللعن على الذم والاهانة ويحتمل ان يحمل

على السخط المقترن به اللعنة فانها طرد وابعاد على سبيل السخط ولعل ضم الامرين الى عذاب النار فى مقابلة ضمهم النفاق

والايذاء الى الكفر • كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع

الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون • محل الكاف

اما الرفع اى انتم كالذين من قبلكم او حالكم كحالهم او النصب اى فعلتم كفعلهم او وعدكم الله وعدا كوعدهم قيل للنبى عليه السلام

انهم اهل فارس والروم واهل الكتاب فقال هل الناس الاهم وما به التشبه الاستمتاع والخوض او عدم التدين بدين الله

والخلاق النام الوافر من النصيب من الخلق وهو التقدير الحسن وفايده فاستمتعوا مقدما على قوله كما استمتع مع انه كاف

انه كالمقدمة لاستقباح الفعل فانه اذا وصف حالهم بالشناعة والقبح ثم شبه بحالهم كان ابلغ كما يقال كان فعل الظالم الفلانى

كذا وحالك مثل حاله وعطف عليه دخولهم فى اللهو والباطل او استمتاعهم بالدنيا او لعنهم بالمتقدمين وتوحيد الموصول لارادة

الفوج او الفريق او حذف النون ونزل منزلة من وكالذى صفة المصدر اى كخوض الذى وحبوط اعمالهم فى الدنيا بطلانها وان كانت

على صورة الخير وفى الآخرة بانهم لا يثابون عليها بل يعاقبون بها اشد العقاب فلا خاسر اعظم منهم • الم ياتهم نبأ الذين من

قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا

انفسهم يظلمون • الاستفهام يحتمل التقرير بشهرة احوال هؤلاء ولعل المراد تقرير حبوط الاعمال وكمال الخسران او الاستمتاع فى

الدنيا او كونهم اشد قوة منهم او مجموع هذه الامور اما قوم نوح فاهلكوا بالغرق وعاد بالدبور وثمود بالرجفة وقوم ابرهيم ونمرود

وعسكره بالبعوض واصحاب مدين بالنار يوم الظلة والموتفكات قريات لوط بجعل عاليها سافلها وامطار حجارة السجيل

ومعنى ائتفكت انقلبت بهم وقيل يعم كل هالك وقيل المكذبات مشتقة من الافك كل هؤلا جاءتهم الانبياء بالمعجزات الواضحات

والموتفكات وان كانت اقرب لكن التعميم اولى وما كان الله ليظلمهم بالاهلاك قبل مجئ الرسل ويحتمل حمله على وما كنا معذبين حتى نبعث

رسولا

رسولا ولكن هم ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب • المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون

عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين

والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم •

لما ذكر مثالب المنافقين والمنافقات بما هو الغاية القصوى قابلها بمناقب المؤمنين والمؤمنات على ما هو النهاية فى الدرجات

العظمى بزيادة العبادات البدنية والمالية وقوله تعالى يطيعون الله ورسوله من باب عطف الاعم على الاخص تعميما للفائدة وهو

فى مقابلة قبض اليد والسين للمبالغة فى الوعد مثل سيجعل لهم الرحمن ودا اى انه حاصل من غير تردد وذكر اولئك للاشعار بان تلك

الاوصاف كالمقتضية لهذا النوع من الجزاء فان قيل ما موقع وعد الله قلنا يحتمل البدل عن سيرحمهم الله وبدل البعض ابلغ لان الرحمة

اعم وان يكون استئنافا يبين به الرحمة او فى معنى عطف البيان ومساكن طيبة هى التى تستطيبها النفس او يطيب فيها

العيش عن الحسن قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد واصل العدن الاقامة والخلود ويدل على كونه علما وصفه بالمعرفة

فى قوله تعالى التى وعد الرحمن وقوله عليه السلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون

والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل مدينة فى الجنة وقيل نهر والمعطوف عليه بقوله ومساكن وهو جنات اما تعدد الموعود

لكل واحد او الجمع على وجه التوزيع او تغاير الاوصاف فانه وصف اولا بانه جنس ما هو احسن الاماكن لتميل اليه الطباع ثم بيانه

انه محفوف بطيب النفس معرى عن شوايب كدورات اماكن هذا العالم ثم انها دار اقامة فى جوار العليين مع امن طريان الفناء

عليهم ثم البشارة بما هو اكبر من كل ذلك وهو رضوان الله فانه مبدأ السعادات ونهاية الكرامات وعن النبى عليه السلام ان الله تعالى

يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين خلقك فيقول انا اعطيكم افضل

من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا والاشارة الى جميع ما سبق او الرضوان

والظفر بمطلوب هو اعظم المطالب فان للروح سعادات روحانية وللجسد سعادات جسمانية فاذا حصل مجموع ذلك كان الفوز

العظيم • يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير • لما ذكر من المنافاة بين الفريقين امر

بالجهاد المتضمن اعلاء كلمة الله المقتضية لنيل درجات المؤمنين اى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة او باقامة الحدود فيهم

قال ابن مسعود يجاهدهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه والغلظة قوة

القلب على احداث الالم اى بالغ فى قتال الكفار ومجادلة اهل النفاق ومرجعهم وبئس المصير جهنم • يحلفون بالله ما قالوا ولقد

قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم

وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير • قيل نزلت فى قول جلاس كما سبق

لنحن شر من الحمير او ان ابى قال فى مقابلة منافق ومسلم سمن كلبك ياكل فى تنسيل محمد واصحابه لئن رجعنا الى المدينة الاية او

طعنهم فى الخلوة وحلفهم بعده انهم ما قالوا ذلك ثم ان الجلاس تاب واسلم وكلمة الكفر فسرت بسب النبى عليه الصلوة والسلام

وقيل جحد النعمة وكفرهم بعد الاسلام اظهارهم الكفر بعد اظهار الاسلام وهمّوا بما لم ينالوا قصدهم قتل النبي عليه السلام افتل من سعى بكلامهم والهم اقل من العزم او بالاخراج ويؤيد الاول ما روى ان خمسة عشر منهم تواطوا عند قفوله من تبوك ان يدفعوه عن راحلته بالليل اذا تسنم العقبة فاخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته وحذيفة يسوقها خلفها فسمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل قصدهم ان يتوجوا ابن ابي وان لم يرض النبي عليه السلام اي يجعلوه ملكا وما نقموا اي ما عابوا النبي عليه السلام او ما انكروا او لم يروا ما يوجب المعاداة بل كانوا فقراء فاغناهم الله بالغنيمة وقوله فان يتوبوا اي عن النفاق صار سببا لتوبة جلاس وغناه انه قتل اموله فامر عليه السلام بديته له اثنا عشر الف درهم والاستثناف اعم المفاعيل ان جعلنا ان اغناهم المفعول به او اعم العلل ان جعلنا المفعول له ثم ان تولوا بان اصروا على النفاق يعذبهم الله بفضيحة الدنيا وعذاب النار في الاخرة ولم يكن لهم من ينصرهم وينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب اي من المنافقين من عاهد مع الله لئن آتانا الله المال لنؤدين الصدقة ولنكونن باخراجها وصرفه في الصلاح من الصالحين فلما اعطاهم الله المال وجدوا ما تمنوا نقضوا العهد ومنعوا حق الله وتولوا عن طاعة الله والحال انهم مصرون على الاعراض علم من الجملة الاسمية والمعاهد ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي عليه السلام قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فقال مرة اخرى فقال عليه السلام اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال النبي عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت المدينة فنزل واديا حتى لم يصل بالجماعة غير الظهر والعصر فكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وحتى تركها ثم اتاه المصدق وهما شخصان من عند النبي عليه السلام فابى وقال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت الاية وبلغ ذلك ثعلبة فسال رسول الله عليه السلام ان يقبل صدقته فقال ان الله ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض النبي عليه السلام ثم اتى ابا بكر فلم يقبل صدقته ثم اتى عمر فلم يقبلها ثم اتى عثمان فلم يقبلها وهلك حينئذ وقيل كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر ان يتصدق منه فلما قدم عليه بخل به فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم او فاورثهم البخل ذلك لانه سببه الى يوم يلقون الله بالموت او يلقون جزاء اعمالهم وهو يوم القيمة واللقاء ليس الرؤية وتمسك الجبائي في منع من استدل برؤية الله من المشبهة بهذه الاية قائلا ان الاجماع على ان الكفار لا يرون الله ومع ذلك قال الى يوم يلقونه قال في المفاتيح واستحسن القاضي كلامه ثم قال وانا شديد التعجب من هؤلاء الافاضل كيف قنعت نفوسهم بهذه الوجوه الضعيفة وذلك انا لو تركنا حمل اللقاء على الرؤية في هذه الاية لمنفصل فلم يلزمنا في ساير الصور ثم قال لا شك ان اللقاء عبارة عن الوصول ومن رأى شيئا فقد وصل اليه وكانت الرؤية والقائل ان يقول لو كان الامر بالعكس لحصل



مقصوده بان يقول من راى شيئا فقد لقيه والمثبت اللقاء لا الرؤية وذلك لسبب انهم اخلفوا وعدهم مع الله من التصدق والصلاح وكذبهم في ذلك ويقرا يكذبون بالتشديد وتعلموا بالتاء وحمل السر والنجوى على ما ابطنوا من النفاق والعزم على اخلاف الوعد والتفاجي بالمطاعن وتسمية الزكوة اخت الجزية ولعل الحمل على الاعم اولى لانه يكون كالبرهان على العلم بذلك وكذا قوله تعالى وان الله علام الغيوب وهو مبالغة العالم لانه لما كان ذاته سبحانه تقتضي العلم بجميع المعلومات وجب ان يكون عالما بالامرين فان قيل لما تقرر ان سبب النزول حال ثعلبة فما وجه الضماير قلنا لعله لما كان حال الباقين كذلك في نفس الامر اتى بصيغة الجمع نعتا عليهم الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم اي من صفة المنافقين لمز المطوعين قيل هو ان يعاب الرجل في وجهه يقال لمزه يعيبك في وجهك ولمزه يعيبك في الغيبة والجهد الطاقة مصدر جهده الامر اذا بالغ فيه ويقرا بالضم والفتح ويسخرون اي يستهزئون فيستهزئ بهم اي يفعل فعل المستهزئ منه الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم بسبب فعلهم روي انه لما خطب النبي عليه السلام وحث على الصدقة جاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من الذهب وقيل اربعة الف درهم وقال اقرضت اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال النبي عليه السلام بارك لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله فيه حتى صولحت احدى زوجتيه من نصف الثمن بثمانين الفا وتصدق عاصم بمائة وسق وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال تركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامر النبي عليه السلام ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون ونسبوا عبد الرحمن وعاصما الى الرياء وقالوا كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكن احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين سبب النزول ان عبد الله بن ابي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه المنافق في مرضه فنزل ازيد على السبعين فنزل استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم والامر بمعنى الشرط اي ان شئت فاستغفر وان شئت فلا او الاستواء للياس او هما سيان والسبعون قيل للتكثير كالمثل فيه واعترض عليه بانه كيف تخفى على النبي عليه السلام ذلك وهو خبير العرب باساليب كلامهم واجيب بان ذلك لاظهار الرأفة والرحمة وليس شيء من وجهين احدهما يجب عليه اظهار ما علم من الله في امر الكفر وما يترتب عليه من العقاب للزجر والثاني انه يستلزم جواز الاستغفار للكافر مع العلم بانه لا يجوز ولهذا قيل ما كان يعرف كفره او انه كان لرجاء الغفران بالتوفيق للايمان فانه كان في الحيوة والاولى ما قيل انه كان قبل النهي عنه ونزل ما كان للنبي الاية ثم لما كان التخصيص بالعدد الذي لم يكن الحكم معلولة محتملا للزائد والناقص جوز النبي عليه السلام احتمال المغفرة بالزائد وقيل اراد انه لا يغفر وان استغفرت ابدا لان اصل العدد سبعة عند العرب وعشرة عندنا وما بعد العشرة زيادة عليها واذا ضربت سبعة في عشرة كانت سبعين فكانه قال ان تستغفر لهم ابدا لم يغفر لهم كما يقال قد قلت مائة مرة وعيبتك الف مرة وعن الازهري انه جمع سبعة التي للكثرة لا التي فوق الستة وفيه نظر من جهة قياس الجمع والاشارة الى عدم المغفرة مع كثرة الاستغفار فانه الكافر لا يغفر له والمتمردون في الكفر لا يهديهم الله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله

وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون • هم الذين
تركهم رسول الله عليه السلام بالمدينة واذن لهم في التخلف ومقعدهم اما قعودهم عن الغزو او مكانه والخلاف الخلف كما يقرأ به
اي بعده يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم يعني لم نظعن معهم سمى لان المتوجه الى شيء يخالف ما وراءه وقيل مصدر بمعنى المخالفة
وفي نسبة الكراهة اليهم اشارة الى ان المؤمنين لم يكرهوا ذلك وبذلوها بطيب النفس ولا يخفى ان موجب كراهتهم عدم
ايمانهم وقول لا تنفروا اي في صميم الصيف امام بعضهم لبعض او للمؤمنين ومن جهلهم اختاروا نار جهنم ابدا على مقاساة الحر
مدة يسيرة فهم كمن قيل فيه مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب • فكيف بان يلقى مسرة ساعة وراء تقضيها
واخراج الخبر عن انهم سيضحكون قليلا في الدنيا ويبكون كثيرا في الاخرة في صورة الامر للاشعار بان لزوم المقتضى كلزوم اثره
وقيل المراد بالقلة العدم كما قال • قليلا بها الاصوات الا بغامها • اي ليس بها صوت روي انهم يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا
لهم دمع وقيل كنايتان عن السرور والهموم • فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين • اي ان ردك الله الى طائفة من المنافقين في المدينة
كان كلهم لم يكونوا منهم بل ندم جمع منهم وتاب عن النفاق او المتخلفين وكانوا اثنا عشر رجلا فان قصدوا ان يخرجوا معك الى غزوة
غير تبوك فامنعهم من الخروج على وجه التاكيد وهو اخبار في معنى النهي وهذا المنع لاجل النفاق عقوبة على تخلفهم والخالفون
الذين تخلفوا بعذر او النساء والصبيان او من لا خير فيه او اهل الفساد وتذكير المتخلفين واول مرة غزوة تبوك وتذكير افعل
المضاف الى النكرة هو الاستعمال مثل اكبر امراة وقيل كبرى امراة • ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون • الصلوة صلوة الجنازة او الدعاء روي ان عبد الله بن ابي كان مؤمنا مخلصا فجاء في مرض ابيه
او بعد وفاته ان ياتيه او يصلي عليه ان كان بعد الموت ويكفنه في قميصه فدخل عليه وقال اهلكك حب اليهود فقال لا تؤنبني واستغفر لي
واعطى الثوب الذي يلي جسدك فقبل اما لانه كسا عباسا حين اسر او شكرا لما قال يوم الحديبية حين قالوا لا ناذن لمحمد ويأذن لك انه لي
في رسول الله اسوة حسنة او لانه عليه السلام لمروته ما كان يرد سائلا قيل كان يقف على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما هم بالصلوة
عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله وقيل جذبه هو او جبرئيل والرواية انه صلى فنزلت فكان النبي عنها بعد وقوعها فلا اشكال وايضا كان
مظهر الاسلام وتكفينه في ثوبه ان علم النبي عليه السلام انه لا يرد عنه العذاب فلان ابنه قال لا تشمت به الاعداء وانه عليه السلام
رجا بذلك اسلام غيره كما رجا اسلامه في العيادة روي ان القاسم الخزرج اسلموا لما راوه يستشفي بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه
ومعنى لا تقم على قبره لا تقف عنده الى فراغهم عن الدفن او لا تباشره وقيل اراد المصدر يقال قبره اذا دفنه او لا تزره والتعليل بالفسق
مع ان الكفر اعظم قيل للاشعار بانه كان عندهم موصوفا بالفسق ايضا فان الكافر قد يكون عدلا عند اهله ويحتمل ان يريد بالفسق
الكفر ولا يشكل بصيغة الماضي وهو على الاستقبال لارادة الوقوع كما في ابن ابي فلا يحتاج الى العذر بانه كائن لا محالة • ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون • هذه الاية ليس تكريرا لما سبق

لان

لان التفاوت بين الفاظها حاصل من وجوه مثل ذكر الاولى بالفاء وهذه بالواو وثمة لا مكررة وبالام وهنا بان وثم الحيوة الدنيا
وهنا الدنيا وقيل تكرارها باعتبار المعنى لانها اشد الاشياء جذبا للقلوب فوجب التحذير عنها مرة بعد اخرى وان تكن في جماعة
وهذه في اخرى ولقايل ان يقول التفاوت باعتبار السياق والسياق بين الاثنين يمنع التكرار فان الاولى كالتعليل
لعدم انتفاعهم بها لان ينتفع بها في الاخرة وان الله يريد تعذيبهم بها والثانية لبيان انهم صاروا مستحقين لان يمحوا اسماءهم
عن ديوان الغزاة وان لا يستعمل اموالهم في الجهاد وان يمنع عنهم صلوة النبي ودعاءه فلم يستبعدوا بها وما كان ينبغي ان لا يعجب بها
وكلا المعنيين وان كانا لازمين للموضعين لكن الكلام في التصريح • واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله
استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن
الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • حمل السورة على بعضها وان احتمل كما في القران لكن الحمل على الحقيقة اولى وقيل هي براءة
لاشتمالها على الامر بالايمان والجهاد وفيه دليل على ان تسويرها لم يكن من الصحابة واشتمال السورة على القول يصحح جعل ان مفسرة
والطول السعة والقدرة في المال ذرنا دعنا نكن مع من له عذر كالزمنى ورضوا بان يكونوا مع النساء والخوالف جمع خالفة او بمعنى
لا خير فيه وهو يناسب الطبع المانع من نفوذ الخير في قلوبهم او جمع طائفة خالفة وهذا العدم دركهم ما في الجهاد من عظيم الثواب وما في التقاعد عنه
من اليم العقاب عنه ولكن اضراب عن مفهومها اي ان تخلف المنافقون عنه فقد جاهد من هو خير البرية ببذل الاموال والانفس فيه وهو نظير
فان استكبروا فالذين عند ربك الاية والامر بالايمان اما للدوام خوطب به المؤمنون واما احداثه ان اريد المنافقون حيث لم يتواطأ
قلوبهم السنتهم واولئك لهم ملاذ العالمين والحمل على الحور لقوله تعالى خيرات حسان تخصيص يستدعي تعليل الفائدة وان احتمل كما قبل لا سيما
وحصر الفلاح فيهم يقتضي حمل الجمع المحلى على الاستغراق • وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم • المعذر اما مفعل من التعذير يقال عذر في الامر اذا قصر فيه من ايهام ان له عذرا ولا عذر له او مفتعل من الاعتذار
ادغمت التاء في العين بعد نقل حركتها الى الفاء وعلى هذا يجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ان قرئ بذلك ومعناه
طلب العذر وقيل من غير تصحيح والاول لغو والثاني قيل عذر وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اتى بعذر صحيح وقول ابن عباس لعن الله المعذرين
اراد بالتشديد وقيل الكل ذم نظرا الى السياق وقيل هم قوم من غير سكان المدينة اعتذروا عن التخلف من غزوة تبوك بعد نزول التهديد وقيل
المعذر بالتخفيف المجتهد في العذر وهم اسد وغطفان اعتذروا بالعيال والقلة او رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
على نساء طي فقال عليه السلام سيغني الله عنكم وما يقرأ من تشديد العين والدال قيل لحن لانه لا يدغم التاء في العين واما القاعدون الذين تخلفوا
من غير اعتذار فهم الذين كذبوا الله ورسوله في انهم مؤمنين سيصيب كل من كفر منهم عذاب الدنيا بالقتل والاسر والاخرة بالخلود في النار
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون

انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون • هذا بيان
الاعذار المسقطة للجهاد ومنها الضعف وهو اما خلقي او عارضي وقد عطف المرضى عليهم علم ان الاول خلقي كالاكمه ومن به عرج بين
والمجنون ويلحق بهم الشيخ ولا يخفى انه يندرج العمى والعرج والزمانة تحت المرض والذين لا يجدون يعني الاهبة والزاد والراحلة ايضا
لا حرج عليهم بشرط ان ينصحوا الله ورسوله بالايمان والطاعة سرا وجهرا وبان يتحرزوا عن الارجافات واثارة الفتنة مريدين
لخيرات المجاهدين واصلاح مهاتهم واعانتهم والقاء الاخبار السارة وتقويتهم وعدم السبيل على المحسنين انه لا اثم عليهم وراس
الاحسان كلمة التوحيد فمن قالها فلا سبيل عليه الا بحق الاسلام ثم عطف عليهم الفقراء الذين لا يجدون المراكب بل لم يجدوا الخفاف
النعال وذكر المحسنين بدل ضميرهم للاشعار بانهم منخرطون في سلكهم والله غفور لهم رحيم بهم او بالمسيء فكيف بالمحسن قيل نزلت
في البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبدالله بن كعب الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبدالله بن معقل قالوا
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فلم يجد فتولوا وهم يبكون وقيل نزلت في غيرهم ومعنى لا اجد لا املك
وحمله حملانا اعطاه ما يركبه من دابة او بغل والفيض سيل الماء اي يسيل الدمع من اعينهم وسبق ما فيه من المبالغة في اخر المائدة
وقلت لا اجد يصح ان يكون استينافا اجيب به سؤال من سال عن سبب البكاء ومن للبيان وهي مع ما دخلت عليه في محل النصب على التمييز
وحزنا حال او مفعول له او مصدر لفعل دل عليه ما قبله والا يجدوا متعلق بحزنا او تفيض لئلا تجدوا وفي انما مبالغة جتا وهم انحصار السبيل
عليهم بالنظر الى انهم مع القدرة الكاملة تركوا الجهاد واختاروا الدعة كالخوالف ولعل ذكر الخوالف في هذه المواضع على طريق الاستيناف
لحالهم لما فيه من نهاية المذمة والاغراء على الحرب التي هي من شان الرجال الشجعان • يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن
لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب فينبئكم بما كنتم تعملون • اي اذا رجعتم اعتذروا اليكم
في التخلف قل يا محمد لهم لا تعتذروا فان فائدته التصديق فيه ونحن لا نصدقكم فان الله تعالى قد اخبرنا عن بعض اموركم فهو علة عدم التصديق
فانه لا يسوغ التصديق مع اعلام الله بما في ضمايركم من الفساد فسيرى الله ورسوله حالكم هل ترجعون عن الكفر ام تصرون عليه اي يتعلق علم
الله به والرجوع الى الله ووضع الوصف بانه يعلم الغيوب كلها وكذا الامور الظاهرة للاشعار بانه سيرى عملهم على وجه البرهان ويطلع
على خبث بواطنهم وضمايرهم المملوة بالكذب فانه وان كان غيبا فهو يعلم كل ما هو غيب • سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فاعرضوا عنهم انه رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين • اي يؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة والمحلوف عليه انهم ما قدروا على الخروج وذلك لئلا يعاتبوهم فهم طلبوا اعراض
الصفح فاعطوا اعراض المقت وقيل ترك الكلام وقيل قال النبي عليه السلام لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا وعلل وجوب
الاعراض بخبث باطنهم وذلك لان الاحتراز عن الارجاس الروحانية وكونه ماويهم ما يوجب الاعراض ونهى الله عن الرضا عنهم
لانه اذا لم يرض الله عنهم كان رضاكم مخالفا لرضاء الله تعالى وقيل هو حلف ابن ابي ان يكون مع النبي عليه السلام على عدوه وقال في الفتح
لا تكرار في هذه المعاني لان الاول خطاب منافقي المدينة وهذه مع المنافقين من الاعراب واصحاب البوادي • الاعراب

الفرق بين الاعراب والعرب

اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم • الاعراب سكان البادية والعرب ساكنوا
القرى سموا به لانهم اولاد اسمعيل ونشاوا بعرب وهي تهامة والسنتهم معربة عما في ضمايرهم والعربي من نسبه في العرب
وجمعه عرب كمجوسي ومجوس والاعرابي يقال للبدوي ويجمع على اعاريب والاول لوصف المدح بالنسبة الى الثاني وقيل المراد
اسد وغطفان او اعاريب من حاضري المدينة وقيل من البادية كانوا موالين للمنافقين فهو عام مخصوص بدليل ومن الاعراب
من يؤمن وسبب كونهم اشد كفرا بعدهم عن العالم ومعرفة الكتاب والسنة ويحتمل ان يكون الاشارة الى ذلك في قوله عليه السلام
من سكن البادية فقد جفا اي غلظ قلبه ولهذا كانوا احق ان لا يعلموا حدود الدين وما انزل من الشرايع والاحكام او الوعد والوعيد
او مراتب ادلة التوحيد والنبوة والمعاد واجدر من الجدار اي الصق واعلى والله عليم باحوال كل احد حكيم فيما يصيب
ثواب المحسن وعذاب المسيء • ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم •
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق بعد ما انفقه في سبيل الله وتصدق به غرامة وخسرا وثقلا لانه لا ينفقه الا تقية من المسلمين وهو مصدر
كالغرامة وهو ما ينفق من غير لزوم وذلك لانه لم يعتقد حصول ثواب منه بل ينفقه لنفاقه رياء وينتظر انقلاب الدوائر عليكم وعليهم
تدور المصايب والحروب التي تنتظرونها في المسلمين ليتخلصوا عن الانفاق وهو دعاء معترض نحو غلت ايديهم والدايرة انقلاب
النعمة الى ضدها وفي الاصل ما يدور به الايام والملل وهي اما مصدر اضيف به للبيان كالعاقبة وقيل الجائحة والسوء بالضم البلاء
والمكروه وبالفتح المصدر قال الفراء هو الوجه وقرئ بهما وهو ذم الدايرة مثل رجل سوء والله سميع لما يقولونه في الانفاق عليم
بضمايرهم قيل هم اسد وغطفان وبنو تميم • ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات
الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم • اي ومن اهل البادية من يعترف بوجود الباري سبحانه
وبصفاته ويصدق بالاخرة وتقديم الايمان للدلالة على انه لا بد منه في الطاعات وقيل هم قوم عبدالله ذي البجادين ويتخذ
منفقه سببا للتقربة من رحمة الله ورضوانه والقربات مفعول ثان ليتخذ وقيل هي الطاعة وصلوات الرسول دعاءه واستغفاره
وقيل المعنى يطلبون الغفران من الله والاستغفار من الرسول عليه السلام وفيه ان المفعول الثاني ينبغي ان يراد به ما اريد بالاول
وكان النبي عليه السلام يصلي للمتصدق مثل اللهم صل على آل ابي اوفى والاستيناف المؤكد بحرف التنبيه والتحقيق شهادة من الله
بصحة العقيدة والنية المؤديين لحصول القربة وكذلك سيدخلهم للوعد المؤكد بالسين المفيد لتحقيقه وقرئ قربة بضمتين
وهي الاصل خفف بالسكون والله غفور لسيئاتهم رحيم حيث وفقهم لموجبات معالي الدرجات • والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم • الاكثر على انهم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا او قبل اسلموا قبل الهجرة او تقدم موتهم وقرا يعقوب
الانصار بالرفع عطفا على والسابقون وهم اهل بيعة العقبة الاولى وهم سبعة والثانية وهم سبعون والذين اسلموا
حين قدم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وروي ان عمر قرا الذين بغير واو فقال له زيد انه بالواو فقال ابيا

فقال نعم كذا اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع فقال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثمه قال لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغنا احد بعدنا ولعله اراد التحول عن تلك الحال
الى هذه والذين اتبعوهم اى بالايمان والطاعة الى يوم القيمة وقيل تبعوهم بالاحسان فى القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا
على هذا الا يستحق فاعله الرضوان وقيل يذكرون محاسنهم ويدعون لهم ويذكرونهم الجنة والرحمة ورضى الله عنهم السابقون
اى رضى صالحات اعمالهم ورضوا بنعمة الدنيا ودرجات ثوابهم وكيف لا وهو لمن سن سنة حسنة فاتبعهم الناس والانصار ساعى
جميلة واثار حميدة لا ينقطع اثارها على مر الدهور والازمان وللمهاجرين مشاق طاعات ومعالى درجات لا تخفى على ذوى البصاير
والاذهان وقرى تحتها الانهار من غير من والسابقون قيل مدح لكل الصحابة لسبقهم على غيرهم فى الايمان وقال فى المفاتيح الصحيح عندى
انهم السابقون فى الهجرة والنصرة لانه اطلق اللفظ ثم وصفهم بها فوجب صدق اللفظ الى ما به صاروا مهاجرين وانصارا
واستدل بالاية على صحة امامة ابى بكر لانه اسبق الناس الى الهجرة ويكون محكوما عليه برضى الله عنه ولو كانت امامته باطلة لاستحق المقت
لا الرضى ولا يخصص الرضى بغير وقت طلب الامامة لعموم اللفظ بدليل صحة استثناء اى وقت يراد استثناؤه • وممن حولكم
من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم
اى ومن اهل البادية ممن حول بلدكم وهى المدينة منافقون وهم جهينة واسلم وغفار واشجع كانوا نازلين حولها وكذا من اهل البادية
منافقون ومحله الرفع عطفا على ممن حولكم وهو خبر المبتدا او لاهل المدينة مبتدا مثل قوم مردوا كانت جملة معطوفة على المبتدا والخبر
ومردوا مثل انا ابن جلا فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ومرد ومرن اذا درب فيه وتمرنوا عليه واشعر به لا تعلمهم اى
باعيانهم فانه لولا كمال نفاقهم وتحامى مواقع التهم لما خفى على النبى عليه السلام مع صدق فراسته وحسن فطنته بل الله سبحانه يعلم
اسرارهم لا غير لا سبيل لهم الى الاخفاء منه لكن فانه يعلم السر واخفى منه وتقدم لفظ النفاق يدل على ان المعنى نحن نعلمهم منافقين
فالعلم على اصله والتعذيب مرتين اما القتل والفضيحة وعذاب القبر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان
فانك منافق اخرج يا فلان ففضح ناسا منهم وقيل اخذ الزكوة ونهك ابدانهم وفى الخلود فى النار الثالث وقيل الامراض وعذاب الاخرة
ولا يشكل بمرض المومنين لانه يكفر سيئاتهم • وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليهم ان الله غفور رحيم • قيل نزلت فى عشرة تخلفوا عن تبوك فندموا وقالوا انكون فى الظلال مع النساء ورسول الله
فى الجهاد فاوثقوا انفسهم بسوارى المسجد وحلفوا ان لا يطلقوها حتى يطلقهم النبى عليه السلام فدخل المسجد وصلى ركعتين على عادته
وسال عنهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزل فاطلقهم فقالوا هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا
فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة والتقدير قوم آخرون غير المذكورين وقيل فى قوم من المنافقين
تابوا والصالح والسيئ الجهاد والتخلف عنه او التوبة والاثم او الندم والاعتراف بالذنب والتخلف وموافقة المنافقين ومجرد
الاعتراف ليس بتوبة لكن نقل انهم تابوا وكان الاعتراف مقدمة التوبة لانها فى المستقبل فكل منهما مخلوط بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن

فكل

فكل مخلوط ومخلوط به الاخر ولو قيل خلطت الماء باللبن كان الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وهو استعارة عن الجمع بينهما
لان الاصل مزج يدخل اجزاء احدهما فى الاخر وفيه دليل على بطلان مذهب الاحباط بل يبقى مقتضى الذم والمدح وهذا اذا لم يجعل
الواو بمعنى الباء مثل بعت الشاة شاة ودرهما اى بدرهم وقيل التقدير وآخرون خلطوا وعسى من الله واجب لكن اختيار عسى للاشعار
بان ما نفعله ليس الا على سبيل التفضل ولانه حتى لا يتكل بل يكون على اشفاق منه وانما قال يتوب عليهم من غير ذكر توبتهم ليدل ان الاعتراف
عليها • خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم • الظاهر ان المراد الاموال
الزكوتية او غيرها ان عمت زكوة التجارة لان شرعية الصلوة كانت فى المفروضة روى ان عبد الله بن ابى اوفى قال اتيت رسول
الله عليه السلام بصدقات قوم فقلت يا رسول الله صل على فقال اللهم صل على ابى اوفى وقيل هى الصلوة بعد الموت على خلاف قوله تعالى
ولا تصل على احد منهم مات ابدا وعن الحسن انها صدقة صارت سبب كمال توبتهم كالكفارة والمراد بالتطهير هو التطهير عن الذنوب
ويقرا تطهرهم من اطهره والتاء اما لخطاب النبى عليه السلام او لتانيث الصدقة والتزكية اما مبالغة فى التطهير ومنه نفس زكية
او الانماء فى المال او حكمه عليه السلام بانهم ازكياء والسكن الطمانينة بقبول التوبة او الرحمة عليهم بان من صليت عليهم فهو مغفور
او انهم يسكنون اليها ويسارعون الى اداء الصدقات والله سميع لاعترافهم بالذنب ودعائهم عليم بما فى قلوبهم من الندم على
تقصيرهم قال فى المفاتيح انه لما كان روح النبى عليه السلام مشرقة نيرة تفيض من دعائه لهم نور على ارواحهم يخلصهم من الظلمة الى النور
وهو معنى السكون والصلوة فى الاية قد حملت على الدعاء وحسب اصل اللغة واصحابنا لا يذكرون الصلوة والسلام الا فى حق النبى
عليه السلام وآله تبعا لانه عليه السلام علمنا الصلوة عليهم ومعنى الامتناع انه لا يحسن ذلك لا انه يحرم • الم يعلموا ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون • استفهام تقرير الضمير اما للتائبين والمعنى الم يعلموا قبل التوبة عليهم وقبول صدقتهم ان الله
يتوب على من اتى بالتوبة الصحيحة ويقبل صدقة من خلصت نيته وذكر هو للتخصيص اى من شانه قبول التوبة وقيل معناه ان ذلك
ليس الى النبى عليه السلام بل الله هو الذى يقبلها او لغيرهم للترغيب فى التوبة ويؤيده ما روى انه لما قبل توبتهم قال من لم يتب من الذين
تابوا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فنزلت وما يقرا بالتاء يناسب الاول واخذ الصدقة لعله استعارة عن قبولها
لانه يشبه اخذ من يقبل شيئا ليثيب عنه ومنه قول ابن مسعود ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السايل ولعل الاشارة
الى تحرى اعطاء ما هو احب الى المعطى من افضل الاموال مع خلوص النية وفيه تعظيم شان الرسول عليه السلام حيث جعل اخذه
اخذ الله لها والوصف بان من شانه قبول التوبة وافاضة الرحمة يناسب ذلك وقيل كثير قبول التوبة وقيل سريع القبول والخطاب
بالعمل اما التائبون او غيرهم على المعنيين اى لا يخفى عملكم على الله خيرا كان او شرا وذكر رؤية الله ورسوله الاعمال قيل وعيد وتحذير
من الاصرار والذهول عن التوبة وحث فى فتور العمل بالخير والشر فيحتمل ان يكون ترغيبا ايضا فان العبد اذا علم ان مولاه يرى تحمله المشاق
سهل عليه العمل ويؤيده ما ذكر ان النعمة بالعمل هو مطلق جزاء الاعمال ذكر فى المفاتيح ان ذكر لفظ الله مرتبا عليه القبول للاشعار

بان استغناه الذاتي يقتضي القبول حيث لا يتضرر بالمعصية وقبول التوبة واجب على الله عند المعتزلة وهو تفضل عندنا وبطلان
ما قالوه يظهر بان معنى الوجوب هو الذي يذم تاركه فكيف يعقل في حق الباري وايضا يكون مستكملا بفعل القبول وبطلانه ظاهر
وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم اى ومنهم قوم مرجون اى موقوفون امرهم من ارجيته
اوارجاته بالهمز وغيرها اذا اخرته وقد قرئ بهما ومنه المرجئة للقائلين بالجبر الصرف لانهم اخروا امر الله ولم يعتبروه وقيل يجرمون
بمغفرة التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله تعالى وقيل يؤخرون العمل من الايمان وقيل بغير الهمز معناه جعلوا يرجون ارجاء الله
اى طلقوا اى هم ثلثة اقسام بعضهم مردوا على النفاق وبعضهم اعترفوا واخرون توقفوا في امرهم وقيل هو ارجاء النبي عليه السلام
امرهم ومعنى لامر الله ان يامر فيهم بالانزال في شانهم اما التعذيب ان اصروا على النفاق واما التوبة عليهم ان تابوا وهم كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر النبي عليه السلام بان لا يكلموا ولا يفاتحوا ففوضوا امرهم الى الله مخلصين في النية والتوبة
فرحمهم الله وعن الحسن انه في قوم من المنافقين ارجاهم النبي عليه السلام عن حضرته واما وان كانت للشك ولكن المراد امرهم على الخوف
والرجاء وفيه دليل على ان الندم لا يكفي في التوبة لان الله لا يحكم بتوبتهم واستدل الجبائي على ان الله لا يعفو عن غير التائب لان المذكور
اما التعذيب واما التوبة والجواب انا لا نقطع بحصول العفو لكل المذنبين بل لحصوله لهم في الجملة لا لكل واحد بعينه وايضا عدم الذكر
لا يدل على العدم ويقرا والله غفور رحيم والقراءة المشهورة ابلغ لشمول القسمين اذ المعنى عليم باحوال الفرق حكيم فيما يدبر من امرهم
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قرئ بغير واو لانها قصة مستقلة والانسب المشهورة لانها حال المنافقين
فهي جملة معطوفة على السابقة مبتدا خبره محذوف اى ومنهم او جازيناهم على فعلهم وهو التقدير بدون الواو او خبره منهم
فاضمر واضمة الواو وبدل البعض من الاول او منصوب على الاختصاص روى ان بني غنم حسدت بني عمرو لما بنوا مسجد قبا
وبعثوا الى النبي عليه السلام ان ياتيهم فاتاهم وصلى فيه وقالوا ابني مسجدا ونرسل الى النبي عليه السلام يصلي فيه ويصلي فيه
ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي سماه النبي عليه السلام الفاسق وقال يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يقاتل الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن هرب الى الشام وحيدا ملعونا الباقي بجند من قيصر وارسل الى المنافقين
ليستعدوا وافات تقنسرين وحيدا ملعونا فبنوا مسجدا الى جنب قبا وقالوا للنبي عليه السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل فاذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل من تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت وقيل ناداه جبريل لا تقم فيه فامر عليه السلام مالك بن دخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن والوحشي قاتل حمزة وفي المفاتيح ان عامة المفسرين على انها نزلت في اثنا عشر رجلا من المنافقين بان يهدموه
ويحرقوه وتخذوا مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة والضرار المضارة وهو مصدر ضره اى حاول الضر وهو مفعول له

اى

اى المضارة مع اهل مسجد قبا والكفر تقوية النفاق او الكفر بالنبي عليه السلام والتفريق بان يتركوا الصلوة في مسجد قبا ويفرق
جمع المؤمنين والارصاد المرقب والانتظار ماخوذ من الرصد وهو الطريق يقال رصده اى ترقبه في طريقه وارصده اعده له
منتظرا له والمحارب هو ابو العامر الراهب اى اعدوا المسجد ليصلي فيه ويظهر على رسول الله عليه السلام ولا يشكل قوله احق
بان الامر لا يجوز القيام فيه لان المعنى انه لو كان جائزا لكان هذا اولى وعن السلف كل مسجد بني رياء او بمال غير طيب في معناه
وعمر امر المسلمين ببناء المساجد بعد فتح الامصار وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه ومن قبل متعلق باتخذوا
اى اتخذ قبل نفاق هؤلاء وان نافية اى ما اردنا ببنائه الا ارادة حسنى وهي الصلوة والذكر اى حلفوا كاذبين لا تقم للصلوة فيه
والمسجد المؤسس على التقوى هو مسجد قبا اسسه النبي عليه السلام وصلى فيه ايام اقامته بقبا من الاثنين الى الخميس وقيل مسجد المدينة
لما روى ابو سعيد انه سال النبي عليه السلام عنه فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا مسجد المدينة والاول اوفق لوقوعه
في مقابلة مسجد قبا على سبيل المباراة واول اليوم اول ايام وجوده او من حين بني والقياس منذ عند النقدير من تاسيس اول
يوم وهو احق ان يقام بالصلوة فيه ولما نزل فيه رجال مشى النبي عليه السلام ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا
الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم حتى اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال النبي عليه السلام
اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة ثم جلس فقال يا معشر الانصار ان الله عز وعلا قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا
يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلى الآية وقيل يتطهرون عن المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى
وقيل التطهير عن الامرين ولا اشكل باستعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز لانه المشترك بينهما ومحبتهم محمولة على علتها التي ايثار التطهر
والحرص عليه حرص من يشتهي الشيء ويؤثره على غيره وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ويقرا بالادغام ومحبة الله اذناهم وتقريبهم من جنابه
اذناء المحب حبيبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار
جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم قرئ على
البناء اى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية هي تقوى الله ورضوانه خير امن اسس بنيان امره على اضعف القواعد
الذي هو الباطل والنفاق الذي لشبه جرف او شفير جرف الوادي الذي هو جانبه الذي يحرفه السيول فيكون واهيا هارا
اى متصدعا مشفيا على التهدم فينهار الباطل به اى يطيحه في نار جهنم ويقرا على تقوى بالتنوين على انه يكون الالف للالحاق كتترى
فيمس نون ملحقا بجعفر ويقرا انهارت به قواعده روي انه حفر بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ولما ذكر الانهيار اثبات
للجرف حقيقة منسوبا الى الباطل ظهر حسن ترشيح الاستعارة والمعنى بالترشيح ذكر لازم او وصف لام منسوبا الى آخر تحقيقا
لتسويه اى المنافق اسس بنيان امره على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به فوقع في قعرها وقرئ جرف بضمتين ويقرا اسس
جمع اساس واساس بفتح الهمزة وكسرها واساس على افعال كلاهما جمع اس واسس بالاضافة الى بنيانه في الكل

ونظيره هار ساك وصاب في شائك وصائب واصله هور فالفه منقلبة عن الواو لا الف فاعل وكذلك شوك وصوت لانه

الكل فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف روي ان اصحاب مسجد قبا كلموا عمر ان يأذن لمجمع بن جارية يؤمهم فقال لا ولا نعمة عين

اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت

معهم فيه كنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وامره بالصلوة لقومه وبنيانهم بناءهم مصدر

سمي به المفعول بمعنى المشتى لا الجمع ويدل عليه دخول التاء ويقال بنيانه وبستعمل للاسم كضرب الامير واخبر عنه بالمفرد الذي هو ريبة

او التقدير بني البنيان اي لا يزال بناء مسجد الضرار من الكفر والنفاق لازما لقلوبهم فانهم كانوا منافقين وما بنوه الا مرادا او شكا

في الدين ونفاقا اي لا يزال هدمه سبب شك ونفاق منضما الى شكهم ونفاقهم لا يزول تلك السمة عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم

بالموت قطعا فيزول عنها لعدم قابلية الادراك اما ما دامت باقية فالريبة لازمة لها حتى يموتوا وذكر التقطيع تصوير زوال

حال الريبة عنها وقيل لا يزال نفقة بنيانهم حسرة فيها وقيل ريبة خوفا من ظهور النفاق وجعل الا بمعنى حتى لانه استثناء

من الزمان المستقبل ففيه معنى الغاية ويؤيده قراءة يعقوب الى وقيل استثناء منقطع او يقطع بالتوبة وعلى الاول

فيه مبالغة حيث جعل الزوال محالا ما دامت باقية والتقطيع بالحقيقة اما بالقتل او في الاخرة وقرئ تقطع بفتح التاء

ويقرأ تقطع بخطاب النبي عليه السلام وبالياء مجهولا ويقطع بالتخفيف وقطعت بالخطاب والله عليم بنياتهم حكيم فلا يكون الهدم

لا يكون الا بحكمة ◦ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ◦

وجه بيان فظاعة الكفار [دامرة] وحسن حال المجاهدين معهم وهو من قبيل التمثيل لبذل المال في سبيل الله والانفس بالمقاتلة

بمبادلة على وجه المعاوضة قال ابن رواحة في مبايعة الانصار للنبي عليه السلام اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال

اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا

قال لكم الجنة قال بيع لا نقيل ولا نستقيل وسمع اعرابي النبي عليه السلام وهو يقرأها قال كلام من قال كلام الله قال بيع والله

مربح لا نقيله ولا نستقيله فغزا فاستشهد قال في المفاتيح البائع والمشتري هو الله كالاب يباشرهما للطفل للاشارة الى ان العبد

كذلك وان رعاية الغبطة حاصلة وفي اضافة الانفس اليهم اشارة الى ان الانسان عبارة عن الجوهر الباقي وان البدن كالمركب له

وانه ما دام متعلق القلب بعالم الجسم لم يرتق الى السعادات الروحانية فاذا عرض البدن للقتل وبذل المال فقد اختار

الاخرى على الدنيا والمولى على الهوى وآثار في الانوار بان يقاتلون استيناف يبين به ما لاجله الشرى وفيه معنى الامر

نحو يجاهدون وقرئ بتقديم البناء للمفعول على الفاعل لا اشكال اذ لا ترتيب للواو وان سلم فقتل بعضهم بعد قتلهم المسلمين

كقتل كلهم اياهم واكد هذا الخبر بقوله ثابتا في الكتب الثلثة اعني مبايعتكم هذه او انه اشترى من امتيهما كذلك ثم حققه

بان الله لا يخلف الميعاد فان الخلف من غير الكرم الاكرمين مع حاجته اليه يقبح فكيف بالغني بالذات المحمود الصفات وهذا هو نهاية

نهاية المطالب وغاية المآرب ◦ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف

والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ◦ بيان للمؤمنين المذكورين على سبيل المدح ويدل على انه

رفع مدح نصبها فيما يقرأ به وان اصل ان يكون مجرورة بالصفة وقيل خبرها محذوف اي من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا

واستحسنه في المفاتيح لانه يعم الوعد للمؤمنين ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقاتلون والاول يناسب التفسير بالمطيعين وقيل منه

ومن النفاق والحمل على جميع المعاصي يشمل الكفر وهو جمع محلى باللام فيعم كل تائب والعبادة قيل كل فعل يشعر بتعظيم الله على اقصى

الوجوه او العابدون خبر التائبين وما بعده اخبار آخر او اوصاف للتائبين ويؤيد ذلك تفسير التائبين بالتوبة عن الشرك

فانهم العابدون حيث عبدوا الله وحده قيل لما نزل ان الله اشترى قال بعض المهاجرين وان زنى هو وان سرق فنزل

والحامدون الشاكرون نعمة الاسلام وفي السراء والضراء وقيل هم الذين يقومون بشكر الله على نعمه دينا ودنيا ويجعلون

الطهارة عادتهم وكما كان التسبيح صفة الذين كانوا يعبدون الله قبل خلق الدنيا فالتحميد صفة الذين يعبدون الله بعد

حرايه الاول ونحن نسبح بحمدك والثاني وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون الصائمون لقوله عليه السلام

سياحة امتي الصوم فقيل صوم رمضان وقيل ايام البيض وقيل الدهر وذلك لاشتراكهما في الانقطاع عن معظم اللذات وقيل

المجاهدون وقيل طلبة العلم الذاهبين في الارض وقيل المستمرون على الطاعة فيندرج فيهم المهاجرون كما فسر بهم [بالراكعين] والتعبير

والساجدين بالمصلين لانهما اعظم اعمالها وفسر المعروف بالايمان والطاعة ولعل التعميم اولى كما فسر المنكر بالشرك والمعاصي

وذكر العاطف لانهما يذكران معا فهما كخصلة فالمعنى الجامعون بين الوصفين وحدود الله ما بينه من الحقائق والشرائع [وبحصر]

في العبادات والمعاملات فالاولى للاخرى والاخرى للدنيا وما تقدم عليه مفصل الفضائل وهذا مجملها ويدخل فيهما الجهاد

لان اصل الباب الايمان والزجر عن الشرك ويحصل بالجهاد وقيل الواو في الناهون واو الثمانية كما في وثامنهم والتسمية بالثمانية

لان مبادي الحساب تتم بسبعة وما بعدها كالاستيناف اما زوج كالاثنين وهما اول الاعداد واما فرد والثلثة اول الافراد

واما تضعيف الزوج واوله الاربعة واما زوج الفرد والثلثة اول تضعيف الافراد فالست النهاية وضم اليها مبدا العدد [ومنشاؤه]

والمؤمنون الذين ورد الامر ببشارتهم هم المذكورون ووضع الظاهر موضع ضميرهم للاشعار بان ايمانهم اقتضى هذه [الصفات]

وترك ذكر المبشر به للتعظيم كانه مما لا يدركه الافهام ولا يحيط بهم الاوهام كما قال النبي عليه السلام فيها ما لا عين رأت ولا اذن [سمعت]

ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار

ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لأواه حليم ◦ وجه المناسبة الترهيب

عن الكفر والترغيب في الايمان والمعنى ان النبوة والايمان يمنعان من الاستغفار للمشركين وسبب النزول على ما روي [في الصحيحين]

انه دخل رسول الله عليه السلام على ابي طالب وهو محتضر وعنده ابو جهل وابن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها

عند الله فقالا اترغب عن ملة عبد المطلب فقال آخر كل شيء كلمهم به انا على ملة عبد المطلب وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

مطلب في ان الانسان عبارة عن الجوهر الباقي

مطلب في اصول الاعداد

رواية هشام ان العباس رضي الله عنه قال انا سمعته وهو يقول بصوت خفي كلمة التوحيد وفي رواية انت اعظم الناس
علي حقا واحسنهم عندي يدا قل كلمة يجب لك بها شفاعتي فابى فقال لاستغفرن لك ما لم انه وقيل الاصح ان السبب انه
زار النبي عليه السلام قبر امه بالابواء لما فتح مكة وسال اي ابويه احدث به ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة
قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي وكان موت ابي طالب قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل
قال المسلمون ما يمنعنا من الاستغفار لابائنا وقد استغفر ابرهيم لابيه ومحمد لابي طالب فنزلت والمعنى ما صح للنبي والمؤمنين
الاستغفار للمشركين في حكم الله من ظهور كونهم من اصحاب الجحيم لموتهم على الشرك ويقراء بدل ما كان ما استغفر وما يستغفر
على حكاية الحال وموعدته قوله لاستغفرن لك ويقراء وعدها اباه وحمل على طلب المغفرة بالتوفيق للايمان فلا يشكل بانه كيف
يصح الاستغفار للكافر وهذا وانه امر لا يعلم الا بالوحي فلعله قبل ان يوحى اليه وفي الجملة فيه نظر فانه قد صح انه يقول يوم القيمة
رب انك وعدتني ان لا تخزني واي خزي اعظم من ابي الابعد ولا يندفع النظر بتفسير التبين انه كان بالوحي انه لا يؤمن
وانه يموت كافرا نعم لو قيل ان التبين والتبرا يكونان في القيمة لم يبق اشكال وقيل كان بالاصرار والموت وقيل
بمجرد الاصرار والمعنى لما امرتم باتباع ملة ابرهيم وهو قد تبين بالتبرا فتبروا منهم به كيف يسوغ طلب المغفرة وهو يطلب
اخلاف الوعيد وايضا سؤال لا فايدة فيه عيب واحتج ابو هاشم بجوازه كسؤال الكفار الخروج من النار مع العلم بعدمه
وضعفه ظاهر والاواه كثير التاوه فعال من اوه وهو من فرط رحمته وكثرة حلمه الذي هو الصبر على الاذى والصفح عن الذنب
كان يتعطف على ابيه مع كفره وسوء خلقه والتاوه قول اوه بكذا واوه من كذا قال فاوه بذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد
ارض دونها وسماء وقيل هو مبني على الكسر وقيل على الضم قال في اللباب العامة يقول آوه بالمد وروي مرفوعا ان معناه
الدعاء وروي انه الخاشع المتضرع وقيل الاواه الفقيه وقيل المؤمن بلغة حبش وقيل البكاء للكتاب وقيل الرحيم وقيل
الشفيق وقيل المتاوه شفقا المتضرع مصيبا والزوما للطاعة • وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون
ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • قيل سبب نزولها
ان من الناس من غاب عن نسخ بعض الاحكام فلما رجعوا سالوا عنه حتى قال بعض الاعراب دنا الله يعدل بالضلال انك على امر
وانا على غيره وقيل في المنع عن مخالطة الكفار فكانه قيل كيف يليق هذا التشديد بسؤال ارحم الراحمين فاجيب بانه لم يفعل
الا بعد ان ازاح العذر اي لا يسمي الله قوما بالضلال ولا يؤاخذهم به حتى يبين لهم ما هو واجب الاتقاء كالاستغفار للمشركين
وكذا شرب الخمر والزنا قبل تحريمها فهو عذر لمن خاف المؤاخذة بالاستغفار للكافر قبل النهي عنه ويحتمل ان يستدل بالآية على بطلان
قاعدة الحسن والقبح العقليين وتمسكت المعتزلة بها على انه يصح العقاب ابتداء قبل التبيين والجواب ان الآية لا تدل
على انه لا يفعل الا بعد التبيين ولا تدل على انه ليس له ذلك وكونه سبحانه عليما بكل شيء للاشعار بانه يعلم حال القوم في الصورتين
وقالت المعتزلة المراد بالاضلال الحكم بالضلال واحتجوا بقول الكميت قد ضلل القوي بحكم وابطله الانباري بانه لو كان كذلك



لذكر الاضلال ولا احتجاج بقول الكميت لانه ليس كل موضع فيه فعل يصح افعل يقال كسر وقتل ولا يقال اكسر واقتل وفائدة قوله
سبحانه ان الله له ملك السموات والارض الاشارة الى انه لما ذكر انه لا ينبغي الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى واستلزم
ذلك التبرا منهم اشار الى انه ينبغي ان يتولوه فانه مالك الموجودات ودل على ذلك الانعام بالتوبة بعد جريان ما يقتضي المؤاخذة فقال
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم
ليتوبوا انه بهم رؤف رحيم • قيل التوبة على النبي عليه السلام من اذنه للمنافقين في التخلف في غزوة تبوك او من تهمة التايبون به
والاولى ان يكون من قبيل ليغفر لك وتعميم الحاجة الى التوبة او بيان فضلها لفضل الصلاح حيث وصف الانبياء به وليس المراد
بالاولوية النظر الى استحالة صدور الذنب عن الانبياء بل لعدم سبق ما يشعر بانه توبة عن اقتراف ذنب وتجوز ان يكون لترك
الاولى واما بالنسبة الى المهاجرين والانصار فعلى حقيقتها فانه لا ينفك الانسان عن الزلات وقيل كانوا يتوبون عن وساوس
يقع في قلوبهم والمراد بالساعة مطلق الزمان لان العسر المضاف اليه الساعة من الظهر حتى يعتقب العشرة على بعير او الزاد
حتى يقتسم التمرة اثنان وشدة القيظ حتى يعتصر فروث الابل لم يكن في ساعة واحدة قال غداة طفت علماء بكر بن وائل •
عشية قارعنا جذام وحميرا • اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى • فان المراد منها ليس ساعات معينة وقيل يتناول كل عسرة حتى
حفر الخندق ومعنى تزيغ تميل قيل عن الثبات على الايمان او الموافقة في تلك الغزوة والثاني اوفق لحسن حالهم والاول للفظ
التوبة وفاعل كاد ضمير الشان وترك سيبويه منزلة ليس خلق الله مثله وفي جعل الفاعل القلوب على تقدير كاد قلوب فريق منهم
تزيغ ويكون تانيث الفعل الثاني لتاخره تعسف وجعله ضمير من تقدم من النبي والمعطوفين لانهم قوم واحد ابعد لان القوم
الواحد ايضا يسند الفعل اليهم بصيغة الجمع والعد منه تقدير ان تزيغ ليكون المصدر فان ان لا تزاد الا في الشعر وقرئ يزيغ
بالياء وزاغت يعني المتخلفين كابي لبابة فيكون ثم تاب عليهم مخصا بهم فان اريد الجميع حين احسنوا النية كان تكريرا
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجاء من الله الا اليه
ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم • وعلى الثلثة عطف على النبي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن
امية وهم المرجون فان الارجاء والتخليف سيان والتفسير تخلفوا عن الخروج يناسب ذكر التوبة وكذا فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وما يقراء خالفوا الخلاف ما يقراء خلفوا اي خلفوا الغزاة بالمدينة وقيل خلفوا عن قبول التوبة عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
وما في بما رحبت مصدرية قيل هو مثل في الحيرة كانه فاقد لمكان يقر فيه من القلق وضاقت قلوبهم من فرط الوحشة وعدم السرور
وقيل انهم ذهبوا خلف النبي عليه السلام قال لاحدهم ارض ثمنها مائة الف درهم فقال يا ارضاه ما خلفني عن رسول الله الا امرك
فاذهبي انت في سبيل الله والله لاكابدن المفاوز حتى اصل الى النبي عليه السلام والمعنى الاخر يناسبا انهم كانوا مهجورين خمسين
يوما لا يكلمهم احد ولا يعاملون وامروا باعتزال النساء بعد غزوة تبوك ومعنى وظنوا ان لا ملجاء ايقنوا ان لا نجاة من عذاب الله
الا برحمته ويقرب منه قوله عليه السلام اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من غضبك ومعنى ثم تاب قال في المفاتيح معنى ثم تاب عليهم

ليتوبوا ان فعل العبد مخلوق الله تعالى فقول ثم تاب عليهم يدل على ان التوبة فعل الله وقوله ليتوبوا يدل على انه فعل العبد وهو صريح
قولنا ولعله اشارة الى معنى الكسب ثم تاب الله عليهم بقبول التوبة ليثبتوا على توبتهم بعد اخرى او فيما يستقبل لا فتراق ذنب
يصدر منهم فانهم علموا ان الله سبحانه يتوب على من تاب وان عاد في اليوم مائة مرة قال النبي عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وقد روي ان ناسا من المسلمين لما تخلفوا ندموا فاعرض كل عما يثبطه عن الجهاد كالضياع والنساء
والانفس وقيل لتاكيد العفو قال عليه السلام ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وهو معنى قول ابن عباس
ازداد عنهم رضاه • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا
ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون • الخطاب قيل
للمسلمين فيندرج تحته من تخلف من الطلقاء في غزوة تبوك وقد حصرتهم وتبرأوا من الصادقين اي في الدين نية وقولا
وعملا ومعاهدة ومنهم رجال صدقوا فيندرج تحتهم ما قيل انهم الثلثة لصدقهم وثباتهم وقيل الخطاب لاهل الكتاب او اليهود
اي كونوا مع المهاجرين والانصار واصدقوا واصدقهم وفي الاية دليل المنع من الكذب مطلقا وما كان وان كان نهيا فهو في
معنى النهي والتخصيص بالمذكورين مع ان وجوب الخروج لكلهم يشمل غيرهم قيل كفرهم وانه لا يخفى عليهم خروجه وهذا انما يستقيم
ان لو علم اسلام غيرهم حينئذ او نقول بكون الكفار مخاطبين بالفروع كما هو المذهب وكيف يصح لهم ان لا يصحبوا النبي عليه السلام
في الضراء ويكابدوا معه الشدائد ويصونوا انفسهم عن المكاره وهو اعز النفوس على الله وقد تعرضت لها روي ان ابا خيثمة
بلغ بستانه حين توجه النبي عليه السلام الى تبوك وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر
فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله عليه السلام في الضح اي في الترقرق يعني الحر ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد النبي عليه السلام طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب اي يرفعه فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به النبي عليه السلام ويجوز في لا يرغبوا النصب والجزم ويقال رغب بنفسه عن كذا اذا ترفعت عنه وتركه والموطئ المكان
او المصدر ويجوز ان يراد بالوطئ الايقاع والاطاس قال عليه السلام اخر وطأة وطئها الله بوج وذلك اشارة الى وجوب المتابعة
المدلول عليها بقوله ما كان لهم يعني بسبب الوجوب انه لا يصيبهم شيء من المتاعب كالعطش والجوع في الجهاد ولا يسلكون مفازة
اما من اراضيهم او اراضي الكفار ركبانا ومشاة ولا يتصرفون في بلادهم بما يغيظهم ولا يدركون منهم شيئا بقتل واسر واخذ
مال او هزيمة الا كتب الله لهم بذلك عملا صالحا ونوابا جزيلا والنيل يجوز ان يراد به المنيل وان كان الظاهر انه مصدر مؤكد وهو شامل
لكل ما يوهم يقال نال منه اذا نقصه وظاهره وجوب الجهاد على الكل لكنه مخصوص بغير من له عذر كالمرض لدلالة الاية ولا دلالة للحنفية
على ان من لحق بعد انقضاء الحرب يشارك الغانمين فيما غنموا لان وطئ ديارهم وان كان يغيظهم ويكتب للواطئ الاجر جاز

جاز ان يكون المراد الاجر في الاخرة والمال لم يحصل بسببه وما روي انه عليه السلام اسهم لمن لحق بعد الانقضاء جاز ان يكون على سبيل
الرضخ او من المصالح توفيقا بين الادلة والنفقة الصغيرة تشمل التمرة الواحدة والكبيرة حملت على مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة
والوادي كل منفرج بين الجبال والتلال ينفذ فيه السيل من ودي اذا سال اي لا يقطعون ارضا ذهابا وايابا الا اثابهم الله بذلك
والضمير اما للمذكور من الانفاق والقطع او العمل الصالح وليجزيهم يتعلق بكتب اي الكتب لترتب الجزاء عليه وجعل اللام مثل
البيت حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا فيه بعد للحاجة الى اضمار كثير من غير قرينة بخلاف البيت • وما كان المؤمنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون • اي ما استقام لهم ان ينفروا
جميعا سواء الغزو او طلب العلم كما ليس لهم ان يقعدوا باسرهم للاخلال في الاول بالمعاش والخلل بامر الدين في الثاني فانهما
واجبان وكانت الشرائع تحدث فيحتاج الى من يحفظها ويبلغها قيل السبب ان المؤمنين لما سمعوا عيوب المنافقين في التخلف
عن الجهاد نفروا جميعا ونفي النبي عليه السلام وصح واذا لم يكن ذلك مصلحة فهلا نفر من كل من جماعة كثيرة كقبيلة جماعة قليلة يتحملوا مشاق
التفقه في الدين وليكون قصدهم بذلك انذار قومهم وارشادهم لا الاعراض الدنيوية ليلا يكونوا كما قال عليه السلام تعلموا العلم
ليقال عالم فقد قيل فامر به فسحب في النار ويكون ذلك لارادة الحذر من بأس الله بالعمل الصالح على وجهه وقيل للتفقه من بقي منهم
فانهم لو نفروا جميعا انقطعوا عن التفقه واستدل به على حجية خبر الواحد نظرا الى ان الفرقة ثلثة لانها المحققة فيكون الطائفة اقل منها
وقيل المراد ان من يجاهد مع الكفار اذا رجع انذر قومه بما شاهد من النصر والفتح والاية تدل على انه ينبغي ان يكون القصد من التفقه دعوة
الخلق الى الحق بالتفسير الاول • يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين •
الامر بقتال الاقرب مكانا وقرابة كما قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين مع ان القتال واجب مع عامة الكفار لان الاقرب اولى بالشفقة
وقيل مثل قريظة والنضير وقيل الروم لانهم في الشام وهو اقرب من العراق وغلظة يقرأ بالفتح والضم ايضا اي شدة وصبرا
على القتال وشدة العداوة والعنف من غير رأفة في دين الله فان الله مع المتقين عن مخالفة الله في الغلظة بالنصر على اعدائهم ولعل
وضع المتقين موضع ضميرهم للاشعار بعلة المعية قيل الاية منسوخة بالامر بقتال جميع المشركين نقل عن الحسن وقال في المفاتيح
المحققون انكروها لانه تعالى لما امر بقتل المشركين امر بالاصلح وهو الابتداء بالاقرب هذا يدل على عدم تأخر ما جعل ناسخا فان صح فلا نسخ
لفوات شرطه • واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون • اي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض او لضعفة
المؤمنين على وجه الاستهزاء والانكار ايكم زادته هذه السورة ايمانا فان زيادة العلم تزيد اليقين او العمل فانه داخل في حقيقته
عند بعض ومن ثمراته عند آخرين والكلام في زيادته ونقصانه قد سبق واما المنافقون الذين في قلوبهم شك ونفاق به
وبغض للايمان فيزداد كفرا الى كفرهم لانه كلما تجدد الوحي جددوا الكفر به او شكا الى شكهم واستدل الاصحاب بها على انه تعالى
قد يصد عن الايمان لانه تعالى كان عالما بان سماع هذه السورة يورث الحسد ويزيد الكفر لا يقال لو كانت السورة تقتضي

ذلك لاقتضت في الكل لانا لاندعي انه سبب مستقل • او لايرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لايتوبون ولا هم
يذكرون • يقرا بالتاء والبا والتاء لتعجب للمؤمنين وابتلاؤهم كان بالقحط والمرض او بالغزو والقتل والسبي او ظهور كذبهم
ونفاقهم للمسلمين ثم لايتوبون عن نفاقهم ولا يعتبرون مع مايرون من نصر الله وتأييده والغلبة عليهم • واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون • اى تغامزوا انكارا او سخرية او طعنوا
فيها وقيل في جميع القرآن وخافوا الافتضاح لان النظر كان دالا على الانكار الشديد فخافوا ان يراهم المسلمون او تشاوروا
في تدبير الخروج قائلين هل يراكم من احد لنتصرف فان خفي قاموا او هل يراكم على هذا النظر وهذا الشكل لو رآكم لضركم جدا وقيل
نقل عليهم وينا سب ما قيل سورة في عيبهم ثم انصرفوا من حضرة النبي صلى الله عليه وسلم خوف الفضيحة ونزول شيء فيهم وعن الايمان
وصرف الله اى اضلهم الله جزاء على فعلهم وقيل صرفهم عن الايمان وقيل دعاء عليهم واليه ذهب المعتزلة وهو حجة عليهم في اسناد
الاضلال الى الله لانه ظاهره الجبر قال ابن عباس اى عن كل رشد وخير وعن الحسن انه الطبع وسبب ذلك عدم ادراكهم للالف
بالنفاق او عدم تدبرهم ليفقهوا • لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم • اى من نسبكم عربي قرشي مثلكم قيل ولا فيها نسبه ذكره ابن عباس
يعرفون كلامه وصدقه وامانته وهو شرف لكم وكل ما يحصل له في الدنيا من العز والشرف عايد اليكم وقيل من جنسكم يعني آدمي
مثلكم ولو كان من الملئكة لصعب الامر بسببه على الناس يشق عليه عيبكم وسوء عاقبتكم لكونه مثلكم ويؤيده قوله سبحانه لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين حريص على ايمانكم وخيراتكم في الدين واستعدادكم بدينه شديد الرافة والرحمة بمن آمن
بالله ولا ينافيه التكاليف الشاقة لانه كالطبيب المشفق ولو كان من خير دينه ويقرأ من انفسكم بما قيل هي قراءته عليه السلام وفاطمة
وعائشة وانما لم يقل رحيم بالمؤمنين كما قيل في رد كيدهم واستعن به في مجامع امرك والعرش وان كان ظاهرا في السرير
فقد حمل على الملك ويقرأ برفع العظيم قيل هو آخر آية نزلت وروي ان هذه السورة بخصوصها وسورة الاخلاص نزلتا دفعة

## سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس
وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين • قرئ بفتح الراء وكسرها وبالامالة
وبينا الفتح والكسر والكلام فيه كما في البقرة وقال ابن عباس انا الله ارى فلا وجه لجعل هذا تقدير التحدي وتلك اسم السورة
والتانيث للآيات او لآي القرآن والاشارة الى البعيد اى آيات سورة هي آيات الكتاب الحكم كما سبق والحكيم ذو الحكم او وصف
بصفة قديم قام به هذه الصفة ومنه وعرسه تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها او المصون من النسخ او الحاكم مثل ليحكم
بين الناس والهمزة للتعجب حيث قالوا اللهم اعظم من ان يكون رسوله بشرا والتقدير كان الايحاء الى رجل عجبا والكتب تشمل الاربعة
وما يقرأ برفع العجب فهو كقوله يكون مزاجها عسل وماء من جعل النكرة اسما والمعرفة خبرا واختيار اللام لبيان اختصاص التعجب بهم

وجعل

وجعل التعجب لكون الرجل غير عظيم من عظمائهم ليس بقوي لانه ليس في اللفظ عليه دليل لا سيما وسبب النزول ما قلنا وقولهم لم يجد
رسولا الا يتيم ابي طالب ونحوه لايدل على ان التعجب ههنا لذلك نعم لو علم بالنقل انهم قالوا ذلك فيه لاستقام وحينئذ يكون
تنبيها على جهالتهم حيث اعتقدوا ان استحقاق النبوة يتوقف على استجماع المال والجاه والاسباب العاجلة ولم يعلموا
انها لا تكون الا للنفوس القدسية ذوي الاخلاق الطاهرة ولما لم يكن بد من ايصال التكاليف الى العباد لقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لم يكن ارسال الرسل ممتنعا بل جايزا في العقل كيف وما خلا شيء من الازمنة عنه
ولما تضمن الايحاء القول كانت ان مفسرة وان جعلت مخففة فالتقدير حذف ضمير الشان اى ان الشان قولنا انذر
الناس وبان لهم قدم صدق اى سبق فضل ومنزلة عند الله وتسميتها السابقة قدما من باب تنزيل السبب منزلة المسبب
او السبق بالقدم كتسمية النعمة يدا لحصولها بها وقيل هو كناية عن عمل متقدم ولا يقع فيه تأخير وقيل الشفاعة ومنه صل
لذي العرش واتخذ قدما ينجيك يوم العثار والزلل والاضافة الى الصدق للاشارة الى ان حصولها بصدق النية ففيه زيادة
فضل والاشارة الى الكتاب وقرئ لساحر اشارة الى النبي عليه السلام وفي الجملة اعترفوا بظهور الخارق وكفى في التمييز
بين القبيلين التحدي على يد من هو اكمل الخلق نفسا وخلقا وحمله على السحر في غاية الفساد لانه عليه السلام نشأ بينهم ولم يغب
عنهم قط وما خالط احدا ممن يعلم شيئا من ذلك ولم يكن في مكة العلماء حتى يقال تعلم منهم • ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون
اليه مرجعكم جميعا • تقديم ذكر الرب على الامر بالعبادة لعله لبيان المقتضي للعبادة وكذا ذكر انه لا شفيع فانه رد على الكفار
حيث زعموا ان الهتهم تشفع لهم وهو اولى من قولهم خلقها لا شفاعة شفيع وقولهم لاحد معه والمراد بالايام مقدارها لان اليوم
عبارة عن وقت طلوع الفجر الى غروب الشمس والاستواء قد سبق طرف منه ويأتي ان شاء الله تعالى في طه ومن شرع في تأويله
نزه الحق سبحانه عما لا يليق بجنابه وفسره بالاستعلاء على سبيل القهر كما قال تعالى لتستووا على ظهوره والتدبير النظر في ادبار
الامور لاستحكامها لئلا يلقى ما يكره اى يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المصيب الناظر في ادبار الشيء والامر
الشان يعني تدبير احوال العالم واحوال ملكوت السموات والارض اى لا يحدث في العوالم امر الا بتدبيره وقضائه وحكمه فيكون
كالدليل على نهاية القدرة والعظمة وذكر التذكر وهو التفكر المنبه على استحقاق العبادة لاغير بعد الامر بتوحيده بالعبادة لبيان العلة
للاختصاص بالعبادة حيث لا يشاركه في تلك الصفات غيره وكذا قوله تعالى اليه مرجعكم اى بالموت رجوعكم اليه اى الى حيث
لا حاكم سواه وجميعا حال وهو يقتضي الاستعداد للقاء وهذه الآية كالتتمة لازالة العجب فان بعث رسول
يدعو الخلق الى الحق يبشرهم بثواب صالحات الاعمال وعقاب رذائل الاحوال متوقف على ان للعالم الها قادرا قاهرا نافذ الحكم
واثبات الحشر والقيامة والى الاول الاشارة بان ربكم الله والى الثاني بقوله اليه مرجعكم وفائدة ذكر خلق السموات هو الدلالة
باشكالها وصفاتها وغيرهما الى مدبر قدير عليم حكيم وكلمة الذي وان كانت تذكر في قضية معلومة وبعض الكفار ينكر ذلك والخلق

على هذا الوجه كان معلوما عندهم والعرب بمخالطتهم قد عرفوه وذكر نفي الشفيع للرد على الكفار حيث قالوا الاصنام شفعاؤنا
عند الله • وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • اي يبدو الخلق ليأمرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ووعد الله مصدر مؤكد لنفسه فان الجملة
عن آية المرجع وعد بخلاف حقا فانه مؤكد لغيره فان وعد الله وان لم يكن الا حقا بالنظر الى استحالة الخلف لكن الكلام فيه من حيث
هو وعلل تحقيق الوعد بانه استئناف بقوله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه وكذا ما يقرأ حق انه فان الحكمة في الايجاد والاعادة
المجازاة على الاعمال وما يقرأ بفتح انه اصرح في التعليل ان جعل التقدير لانه لان نصب بناصب الوعد ويقرأ ان بلفظ الفعل
اعني وعد الله ويبدو ورفع انه بناصب حقا تقديره حق حقا بدأ الخلق فهو فاعله نحو حقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا
الا على رقيب ومثل احقا عباد الله ان لست الاقيا بثينة او يلقى الثريا رقيبها • ومتعلق بالقسط ليجزي اي ليجزيهم بالعدالة
او بسبب عدلهم في الامور وظلم انفسهم بالشرك ان الشرك لظلم عظيم وهو انسب لمقابلة والذين كفروا والحميم
الماء المسجر بالنار حتى انتهى حره او العرق ومنه الحمام لانه يتعرق فيه وذكر صاحب الانوار ان تغيير النظم ولعني به العدول
من الجملة الفعلية المناسبة للاولى الى الاسمية للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء
والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض واراد بذلك انه سبحانه جعل جزاء المؤمنين علة لهما دون جزاء الكافرين
قال وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء
اعتقادهم وشوم افعالهم واحتج الاصحاب على انه لا واسطة بين المؤمن والكافر لانه تعالى اقتصر على ذكرهما اجاب القاضي بانه
لا تدل عليه كما لا تدل والله خلق كل دابة على الرابع واجيب بانه انما ترك النادر من الاقسام والفساق اكثر من اهل الطاعة
فكيف لا يذكرون وفيه دليل على اثبات الحشر لانه لا بد من ايصال الثواب الى المطيع والعقاب الى العاصي ويجب في حكمة الله
تمييزها • هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق
نفصل الايات لقوم يعلمون • اي خلقها او صيرها ضياء وهو مصدر ضاء وهو واضاء لغتان او جمع ضوء كسياط جمع سوط
وفيه دليل على وجود الصانع الحكيم فان اختصاص الشمس بالضوء القاهر والقمر بالنور المخصوص لا بد له من مخصص والتقرير
ما سبق غير مرة وعلى الاول حال وعلى الثاني المفعول الثاني والمعنى انها كثرة ضوءها اما نفس الضياء او ذات ضياء وياؤها
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ بهمزة بعد الالف واخرى قبلها بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا وقيل
ما بالذات هو الضوء وما بالعرض النور وقيل هو اصل الضوء وقيل فيه اشارة الى ان القمر يكتسي النور منها والضمير يعود الى
كل منهما اي قدر مسير كل منازل او ذا منزل او يسير منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لكون منازله ونقصه وتمامه معاينة
او لسرعة سيره فانه يقطع الفلك في ثمانية وعشرين يوما ولاناطة احكام الشرع كالصوم والحج به ولذلك علله بقوله لتعلموا
عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وذلك اشارة الى جميع المذكور وبالحق حال

في بيان احتجاج اهل السنة على عدم الواسطة بين المؤمن والكافر



اي خلقها ملتبسة بالحكم البالغة وتخصيص الذين يعلمون اي يعقلون او يتفكرون ويعلمون فوائد مخلوقاته لانهم المنتفعون بها
وقرئ يفصل بالياء • ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون • اي في مجيء احدهما
خلف الآخر وما خلق الله من الكائنات وعجائب المصنوعات لدلالات على وجود الصانع ووحدته وعلمه وتخصيص المتقين لانهم
المنتفعون بها لانهم يتقون العواقب فيحملهم على التفكر والحذر والتدبر والنظر في ان الله خلق العالم لبقاء الناس فيه وقد جعله
دار عمل فلا بد من ثواب وعقاب • ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا
غافلون اولئك مأواهم النار جزاء بما كانوا يكسبون • اي ينكرون البعث والعقاب والتقييد بحسن اللقاء وعدم خوفه
والذهول عنه لغفلتهم خلاف الظاهر ورضوا بالحيوة الدنيا بدل الآخرة وسكنت نفوسهم اليها حيث لا يأملون غيرها والاستدلال
بقول الهذلي • اذا لسعته النحل لم يرج لسعها • ضعيف لندرته واللقاء حمل على لقاء الثواب وعلى تجلي الله للعبد واشراق
نور كبريائه في روحه ومعناه وصول الشيء الى الشيء وهو محال لتنزهه عن الغاية فيحمل على الرؤية وهو مجاز ظاهر والذين
لا يتفكرون في الآيات وغفلوا عنها وهو زوال الشيء عن القلب لوجود ضده والمراد انهم صاروا في الاعراض عنها كالغافل
عن الشيء الذي لا يخطر بباله فكره فاولئك مأواهم النار بسبب فعلهم والعطف يحتمل ان يكون لتغاير الذوات بان يكون الاولون
منكرين للبعث والاخرون الذاهلون او لتغاير الوصفين كالصابح والآيب فيكون الوعيد مرتبا على الامرين جميعا وللقائل
ان يرجح الاول فانه اذا كان كل واحد سببا بحسب صريح اللفظ كان مستلزما لكون الجمع لذلك بخلاف العكس وذكر الكسب معه
بان سوء الاعمال اسباب في حصول هذا العذاب • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم
الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين • الى ادراك
الحقائق المراد بالهداية اما الثبات عليها او الى طريق الجنة نحو نورهم يسعى بين ايديهم او الارشاد بسبب الايمان او تصوره
صورة حسنة يكون نورا له وقائدا الى الجنة اي صدقوا اقوالهم وحققوا التصديق بالعمل اي جمعوا بين عمل القلب وعمل الجوارح
وهو سائر الطاعات ولاجرة بدلالة ظاهر اللفظ على ان السبب المجموع لان قوله تعالى بايمانهم صريح في انه السبب وحده وتمام العمل
يهديهم ايمانهم ليعلم ان الدلائل والمقدمات لا توجب العلم بل هي كالمعدات والله سبحانه هو الموجد للعلم عندها وللقائل ان يقول
الاول وان كان مفهوم الصفة لكن لا نسلم نفي الحكم عن غيره لا سيما ويحتمل ان يكون بيان ما هو الواقع وذكر في الانوار ان تجري
يحتمل استئنافا او خبرا ثانيا او حالا عن الضمير المنصوب اذا اريد الهداية الى الجنة فان قيل اي التقادير اولى قلنا الاول
من حيث المعنى فانه كالبيان والثاني من جهة الارتباط اللفظي والثالث يتعين للتقدير المناسب له ودعوتهم دعاؤهم
لان اللهم اصله يا الله اي انا نسبحك مثل اللهم اياك نعبد ولك نصلي والحمل على العبادة مع انه لا تكليف لعله للنظر الى صورة العبادة
فانهم يقولونه تلذذا وقيل انما مر بهم طير اشتهوه قالوا سبحانك اللهم وبحمدك فيؤتون به فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله وعن الحسن
ان اهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس قال وتحيتهم ما يحيي بعضهم بعضا او تحية الله او الملئكة لهم او ملكهم سلام

والتحية الملك وعليه حمل ما في التشهد وآخر دعايهم الذي هو التسبيح اذا انالوا مناهم قول الحمد لله رب العالمين وان هي المخففة
من الثقيلة وقرئ بها وبنصب الحمد وما احسن ما قال في الانوار في ترتيبه ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
وكبريائه نعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه
بصفات الاكرام ويحتمل ان يقال ان تقديم التسبيح على الحمد لانه لما شاهد تلك الامور الدالة على عظمة الله نزهه عن النقائص
التي قالها الكفار ثم اتبعه حمد الله على نعمة الهام بالتسبيح وساير النعم • ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون • اي لو يعجل الله لكفار مكة الشر حين قالوا امطر علينا او ائتنا منه تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم الخير اي لو عجلنا لهم الشر الذي طلبوه كما يعجل الخير لقضي اليهم اجلهم اي لاميتوا واهلكوا ووضع
استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير للاشارة الى سرعة اجابته لهم حيث جعل فعله في اسعاف حاجتهم منزلة فعلهم في الطلب
وهذا جواب لسؤال من قال لم لم يقابل الاستعجال بالاستعجال وجواب آخر وهو ان من عجل شيئا فقد طلب تعجيله وكل معجل مستعجل
وقرئ ببناء الفاعل وهو الله وكذا فيما يقرأ بالجمع ولما كان لو لامتناع الشيء لامتناع غيره دل على ان التقدير ولكن لا نقضي على انه
ذلك بارادة الله تعالى اعني الترك في شركهم وضلالهم ووجه الربط ان المعنى لا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم فنذرهم • واذا مس
الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
اي من كان هذا طبعه كيف يستعجل وهو الكافر او جنس الانسان او هشام ان المغيرة وهو من مرض وغيره دعانا في هذه
الاحوال فهو قليل الصبر في الضراء قليل الشكر في السراء فقابل الحال دعا او في انواع المكاره فالعامل مسه وانما لم يدع غير الله
لانه يعلم ان لا يكشفه الا الله فاذا كشف عنه مضى على الطريقة الاولى مستمرا على الكفر او غير شاكر او مر كان لم يكن به مكروه معافا
غير شاكر وفيه اشارة الى انه ينبغي ان يكون راضيا بالقضاء بالقلب واللسان لان الله مالك على الاطلاق فله ان يفعل في ملكه
ما يشاء وهو حكيم لا يفعل الباطل وحذف ضمير الشان نحو • وبحر مشرق كان ثدياه حقان • اي كانه ومثل ذلك التزيين من الكفر
او الاعراض عن الشكر زين الله او الشيطان للكافرين والاختلاف يبتني على مسئلة الجبر والقدر بالجحد او للنعم عملهم من
الاعراض عن العبادات والانهماك في اللذات وذكر اذا التي للمستقبل وكشفنا للماضي يدل على انه هكذا كان وهكذا يكون واسراف
الكافر في نفسه بعبادة الصنم وفي ماله للتضييع نحو البحيرة والسائبة • ولقد اهلكنا القرون لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون • اي اهلكنا القرون الخالية
يا اهل مكة وقت ظلمهم بالتكذيب والحال انهم قد جاءتهم رسلنا بالحجج والبينات والشواهد والمعجزات ويجوز ان يعطف على ظلموا
وما كانوا اجمل عطفا على ظلموا اي اعتراضا اي وما صح لهم ان يؤمنوا لعلم الله انهم يموتون على الكفر ولو بقوا ما بقوا لفساد استعدادهم
فان قيل ايهما اولى قلنا العطف لفظا والاعتراض معنى واللام لتاكيد النفي ويعلم ان سبب الاهلاك هذه الامور ومثل
ذلك الاهلاك يهلك كل مجرم جرمهم فهو وعيد لاهل مكة على التكذيب وهذا وضع المظهر موضع المضمر وقرأ يجزي بالياء ثم استخلفناكم

في الارض

في الارض بعد القرون المهلكة استخلاف من يختبر فيجازي كلا بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وكيف محله النصب بيعملون
لا بننظر للصدرية واختيار النظر موضع العلم تشبيها للمحقق بالمنظور اليه او لتعلمها مشاهدة وذكر في الانوار بعد ذكر الظرف
ان فائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا من حيث هي وارادان ذكر كيف المشعر بذلك يدل عليه
وذلك انه لو كان الفعل من حيث هو لم يختلف بحسب الاحوال فمن المعلوم ان شرب الخمر لاساغة اللقمة جائزة وحرام للسكر ومعنى
النظر للعمل انه يعاملهم معاملة من يطلب ليجازي العامل بما يستحقه • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم • اي واضحات الدلالات ولعل تقديم ذلك للدلالة على انهم لم يطلبوا ذلك لكشف معانيها بل ارادوا
ان يكون غير مشتمل على ما يكرهونه من ذم الهتهم وعبادتها ووجه القبح وما يتبعها او بدله بان يجعل مكان آية يكرهها غيرها وهنا
يعلم المغايرة المحسنة للترديد او يكون المراد ان تاتي بقرآن على غير نظمه ويكون هذا ايضا باقيا والتبديل ان تركه وتاتي بدله فامر
بان يجيب بالامتناع عن التبديل لاستلزامه اتيانا هو غير ممكن كما اشار اليه بقوله ما يكون لي اي ما ينبغي وما يصح لي ولو اعترفوا
بانه معجز من عند الله لما طلبوا ذلك لاستحالة اتيان البشر بمثله وكان ذلك تعنتا منهم فانهم لما تحققوا عجز عامة فصحائهم والعلماء
عن المعارضة باقصر آية وكان عجز احدهم عن الاتيان بما هو بجميعه مثله اولى بالاستحالة او قالوه على وجه الامتحان حتى لو فعل
تبين انه ليس من عند الله وقوله اني اخاف ان مراد ائت بقرآن آخر من عند الله بل غرضهم من هذا الاقتراح انه لو فعل لالزم انه
من عنده او انه ان فعل لحل عليه نقمة الله وقالت المعتزلة وقوع العذاب مشروط بعدم التوبة وعندنا مشروط بعدم العفو ايضا
لانه يجوز ان يعفو عن اصحاب الكبائر والتلقاء مصدر يستعمل ظرفا بمعنى المقابلة وما اتبع كالدليل على انه لا يكون له التبديل لانه
اذا لم يتبع الا الوحي سواء كان ناسخا للحكم السابق او منسوخا لم يتصور الاتيان بمقترحهم لانه عصيان وكل ما هو من هذا
القبيل لا يليق بحال الانبياء وعن ابن عباس ان قوله اني اخاف منسوخ بقوله ليغفر لك الله والقول بالنسخ بعيد لانه يقع في
التعبدات لا في ترتب العقل على المعصية وفيه الجواب عن الاعتراض بالنسخ وان القرآن كلامه وفي ذكر الخوف عن العذاب
بالتبديل ايماء الى انهم استوجبوه باقتراحهم وفيه دليل على انه عليه السلام لم يحكم بالاجتهاد • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون • اي لولا مشيئة الله
المقتضية لتلاوتي هذا الكتاب عليكم لما تلوته فانه لولاها لما تصور ممن لم يباشر شيئا من العلوم ولم يعاشر اربابها ان الاتيان
بكتاب بهرت فصاحته فصاحة كل منطيق مشتمل على علوم الاولين والآخرين واقاصيص المتقدمين على ما اشتملت عليه
كتب ساير المرسلين ونفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق ولا ادراكم اي لا اعلمكم الله به اي على لساني
بل على لسان غيري يعني ان الحق الذي اراد الله وقوعه لو لم يظهر بي لظهر بغيري يقال دريت ودريت به واستعماله بالباء اكثر وقرأ
ولا ادراكم بالهمز فيهما مثل لبأت بالحج فانها والالف من واد واحد فتقلب الالف المبدلة من الياء همزة وان جعل من الدراء بمعنى الدفع

فالمعنى ولا جعلكم بتلاوته خصماء تدرؤنى بالخصام وقرئ ولادارأكم بلام الابتداء من غير الف وبالامالة ولولا المشية لما اتيت به
فى هذا الوقت كما لم اته به من قبل فقد اقمت فيكم قريبا من اربعين سنة وما اتيت بشئ منه ولم اقدر عليه افلا تتفكرون فيه بعقولكم
فتعلموا انه من عند الله ثم بعد عن نفسه نسبة الكذب بالتبديل بانه لا اظلم ممن كذب على الله او انه لا اظلم منكم فى الافتراء بنسبة
الولد والشريك وتأكيده جعل التكذيب بالايات نسبا لهم وهو شانهم فان قيل هلا وحد الاية فى انه التناسب توحيد الكذب
فهو مستلزم للجمع دون العكس قلنا لعله لما كان الواقع ذلك احسن تكذيب اية كتكذيب الايات فى انه المجرم لا يبالى رشدا
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون نفى النفع والضر عن الاوثان بالنظر الى انه لا قدرة للجماد على شئ وما قيل ان عبادتها
لا تنفعهم وتركها لا يضرهم ابلغ من حيث المعنى لان الذم على العبادة لانها لا تضر لا باعتبار سلب مطلق القدرة او انها تثبت على الخير
وتعاقب على الشر غير مناسب وكانوا يقولون انها تشفع لنا عند الله قيل فى امر المعاش لانهم انكروا البعث وما ينبه على خطائهم
غاية التعظيم فلا يليق الا بمن له غاية الانعام قيل اعتقدوا ان لكل اقليم متوليا من ارواح عالم الافلاك وقالوا هو عند الله
مشتغل بعبادته فعينوا له صنما وعبدوه او للكواكب او الطلسمات او لصور الانبياء والاكابر وادعوا انهم اذا اشتغلوا
بعبادة هذه الاصنام تشفع اولئك المذكورون لهم عند الله قل يا محمد لهم اتخبرون الله بما لا يعلمه اى بما ليس بموجود لانه اذا
لم يخف عليه خافية من الموجودات فلو كان ثابتا لكان معلوما ونسبة الاخبار اليهم على وجه التهكم وبما فى السموات حال عن الضمير
المنصوب او التقدير بعلمه يؤكد النفى فانهم كانوا يعبدون ما فى احدهما فيلزم من عدم شفاعة القسمين عدم الشفاعة لا ان ما عبد
فيهما يكون معدوما كما قيل فكلمة التنزيه والتعالى عن الشركاء او عن الاشراك وقرئ بالتاء والياء وما كان الناس الا امة
واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون قيل الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
متفقين على ملة الحنيفية وكانوا عشرة قرون وقيل كانوا على دين الاسلام الى ان غيره عمرو بن لحى وقيل على الفطرة لقوله
عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة الخبر وقيل على الشرك وقد تقدم فصاروا املا فى الكفر على الاول ولولا سبق كلمة الله
بالتاخير عن العذاب الى يوم القيمة وهى سبقت رحمتى غضبى اقتضت اسبال النعم على المطيع والعاصى لقضى بينهم عاجلا
بتمييز المحق عن المبطل ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين لا جعلوا نزول
القران مع انه اعظم الايات الباهرة والمعجزات القاهرة الباقى على مر الدهور والاعصار المشرق سطوع برهانه على جميع الافاق
والاقطار وطلب المقترحات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قالوا هلا انزل منها اية والجواب باختصاص
الغيب بالله معناه ان المانع من نزول المقترح امر لا يعلمه الا الله فانتظروا نزول المقترح انى انتظر معكم نزول عقب انتظاركم من
العذاب كالقحط الذى وقع عليهم سبع سنين والقتل يوم بدر واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر
فى اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون حمل الناس على اهل مكة والرحمة على الخصب والسعة ولعل ذلك

باعتبار

باعتبار انهم المخاطبة معهم ومس الضراء اياهم اصابتها اياهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واذا الاولى شرطية واذاقة الرحمة
حملت على ما يدرك بالعقل لان الرحمة لا تذاق وحيث حمل على الخصب ونحوه يكون المراد اذاقة اثر الرحمة فيصح الحمل على ما يذاق بالفم
واذا الثانية للمفاجاة اى فاجؤا اخذاهم المكر بعد ان رحمناهم من بعد ضراء اصابتهم وسمى التكذيب لانه دفع للايات بالقاء
الشبهة والمكر السعى صرف عن ظاهره بالحيل ومنه الجارية الممكورة اى المطوية الخلق وعلم من المفاجاة مسارعتهم الى المكر
فقل يا محمد ان الله يدبر عقابكم بالاستدراج قبل ان تدبروا ابطال امر الرسول والمسلمين وكتبة رسل الله مكرهم اشارة
الى الانتقام منهم وانه اذا لم يخف على الحفظة فكيف على من لا يخفى عليه خافية وقراء يعقوب بالياء وقيل مكرهم نسبة المطر
الى الانواء كما قال عليه السلام حكاية عن الله فيه اصبح كافر ومؤمن بالكوكب هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم
فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق
انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون المعنى بالسير الحمل على السير والتمكين منه
وقرئ ينشركم من نشر ومنه اذا انتم بشر تنتشرون وليس الكون فى الفلك هو المعين حتى يشكل انه التسيير
انما يكون بالكون فيه فلا يسبقه بل المعنى بغاية التسيير مجموع مضمون الجملة من هبوب الريح والظن بالهلاك والدعاء
وجاءتها جواب اذا فان الضمير يرجع الى الفلك على ما ذكر كالضمير فى جرين فانه جمع كالاسد جمع اسد فان فعلا وفعلا اخوان
فى انهما يكسران على فعل يقول العرب رشد ورشد واسد واسد لكن الظاهر ان ضمير جاءتها للريح الطيبة اى تلقتها العاصف
اى الشديدة الهبوب والطيبة المتوسطة بين الصعب والشدة وفايدة الالتفات من الخطاب الى الغيبة المبالغة فى
حالهم العجيبة فكانه تذكر لغيرهم ليستنكر عليهم ذلك ومعنى ظن الاحاطة بصور الهلاك وانسداد مسالك النجاة شبه باحاطة
العدو بالحى وحينئذ دعوا الله من غير اشراك غيره من الاوثان به فى الدعاء ودعوا بدل اشتمال من ظنوا ويقولون لئن خلصتنا
من هذه الواقعة لنشكرن نعمتك ولالزمن طاعتك فلما اجاب دعاءهم فاجؤا الفساد فى الارض والكفر به يقال بغى الجراد
اذا رام الى الفساد والتقييد بغير الحق لان صورة ما يجرى على يد المسلمين من اهلاك زروعهم وقلع اشجارهم صورة الفساد
لكنها بالحق روى ان شخصا سال الصادق دليلا على الصانع فقال صف حالك فقال ركبت البحر وانكسرت السفينة
وبقيت على لوح فقال هل وجدت فى قلبك تضرعا فقال نعم فقال الهك الذى تضرعت اليه حينئذ ومتاع قرئ بالرفع
والنصب على انه خبر البغى وعلى انفسكم معموله والمراد البغى على من هو من جنسكم ينتفع به فى الحيوة الدنيا لا بقاء لها وبالنصب
مصدر مؤكد اى التقدير تتمتعون متاع فيكون على انفسكم الخبر اى بغيكم وبال عليها فى الدنيا اى مفعول البغى لانه بمعنى الطلب
او العلة او الظرف بتقدير مدة الحيوة وقيل لا ينتهيا لكم بغى الا اياما قليلة هى مدة حيوة الدنيا ثم الى ما وعدنا من المجازاة مرجعكم
فاخبركم بما كنتم تعملون وحمل البغى على المصطلح وهو الخروج على الامام بتاويل غير مقطوع الفساد لانه عليه السلام

يتلونها عند ذكره عن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وعن المأمون في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاعدل فخير
فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله والمراد بالانباء المجازاة على عمل البغي وفي الاية دليل
على ان فعل العبد خلق الله لانه اسنده الى نفسه واسنده الى العبد ايضا فيكون كسبه وخلق الله مثل فليضحكوا واضحك
وقول بعض المعتزلة السير في البحر من الله وفي البر من العبد تخصيص بلا دليل وجمع بين الحقيقة والمجاز وكذا غيره من التأويلات
الفاسدة لا يعبأ بها ❊ انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والدواب
والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ❊ المعنى ان شأنها العجيب في سرعة انقضائها بعد اقبالها
واغترار الناس بها مشبه بماء نازل من السحاب ظهر به نبات فذهب وجف بعد ما اخضر وتكاثف فان المثل قول سائر
يشبه مضربه بمورده وهو اولى من التشبيه بالنبات رعاية لظاهر اللفظ وجعل من التشبيه المركب فان المشبه الكيفية
الحاصلة من الاول بالكيفية الحاصلة من الثاني ويحتمل ان يكون من المفرد باعتبار تشبيه نفس الحيوة بالماء وكونها من الدنيا
بحال النبات واختلاط بعضه ببعض اختلاط الجوار لا يداخل بعضه ببعض والاطمينان بها فظن اهلها بحصول النبات
وزوالها بهلاك النبات ومأكول الناس الحبوب والثمار والانعام المراعي واخذ الزخرف يصح جعله من الاستعارة فانه اثبت لها
ما يثبت للعروس اذا ارادت التزين بالوان الثياب الحسنة وغيرها ويقرأ ازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت وازيانت
نحو ابياضت اي صارت ذات زينة وظن اهلها اي اهل قدرتهم على تحصيل ما عليها من النبات والثمار الى الارض امرنا باهلاك
الزرع ومعنى لم تغن لم تلبث ويقرأ بالياء لارادة الزرع المحذوف اي كان لم يقم يقال غنينا بمكان اي اقمنا والمغنى المنزل
وقيل حاصل التشبيه يرجع الى ان عاقبة هذه الحيوة التي ينتفع بها الانسان في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات حين عظم الرجاء به
وقع الياس منه لان الغالب ان صاحب الدنيا اذا وضع قلبه عليها اتاه الموت اوانه كما لم تحصل لتلك النبات عاقبة تحمد
فكذلك هذه اوانه كما بطل سعي الزارع باسباب الهلاك فكذا سعي هذا المغتر اوانه يصير ذلك السعي سببا للشقاء في المستقبل
بسبب الحسرات التي يجدها وقيل من غني بمعنى البقاء وبالامس اي الوقت القريب وتخصيص المتفكرين لانهم المنتفعون
والا فهي ايات لكل احد فان قيل ظاهر الاية يشعر بانحصار التمثيل بالمذكور وقد يشبه باللهو واللعب في المقتضي لهذا الابهام
قلنا لعل المبالغة في شدة التشبيه وكانه لا ينبغي ان يشبه بغيره ما امكن التشبيه به ❊ والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ❊
ترغيب في الحيوة الباقية بعد التنفير عن الحيوة الفانية ولما كان السلام اسم الله تعالى اعظم اضاف الجنة الى الاسم تعظيما لها وذكر في كونه سبحانه
مسمى بالسلام انه ذو السلام لا يقدر عليه غيره وهو تخليص العاجزين عن المكاره والافات وهو مصدر سلم واي سلامة اعظم
من سرور لا يشوبه هم ولا حزن وقيل تسمى السلام اي الدار التي من اهلها سلم من الافات وهو كالرضاع والرضاعة

كبيت

كبيت الله او دار السلامة من الافات كما ورد في الخبر تسمية الجنة دارا في قوله سيدي دار الجزاء او التحية لان الملائكة تحييهم فيها
وبعد دعائهم يرشد ويوفق من تعلقت مشيته بهدايته الى الصراط المستقيم الذي هو طريق الجنة وفيه دليل على ان الكفر والايمان
بقضاء الله لانه تعالى دعا الكل الى الجنة وما هدى الا بعضهم والحسنى فسرت بالجنة والمثوبة والزيادة ما يتفضل به وقيل
الحسنى هي التي مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة واكثر وفي التفسير بالمغفرة والرضوان نوع تكرار ويحتمل ان يراد
دوام الحسنى والتفسير بالنظر الى الله سبحانه ورد به الخبر الصحيح الدافع للمبتدعة الزائغة واكثر المفسرين عليه لذلك وما ذكروه
من الدليل على الامتناع للرؤية للتشبيه فبطلانه قد تقرر في الاصول وقولهم المزيد ينبغي ان يكون من جنس المزيد عليه فلا نسلم
الا في المقدر بمقدار معين وايضا الله تعالى اثبت نضرة الوجوه والنظر الى الله تعالى والنعيم ورؤية الملك الكريم فحمل الاولان
على الجنة والاخران على الرؤية والرهق هو الغشيان والقتر غبرة فيها سواد واصله الغبار والذلة اثر الهوان وفيه تعريض باهل النار ولعل
تكرار ذكر الخلود كلما ذكر الجنة لتمام اللذة لما ذكر ما لهم من السعادات اتبعه بما صانهم من الافات والمراد نفي اسباب الخوف والحزن
وان نعيمهم غير مشوب بما يكدره ❊ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ❊ ان عطف على الذين احسنوا كان المعنى وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة وفيه انه عطف على عاملين مختلفين مثل في الدار زيد والحجرة عمرو ويلزم ان ينوب حرف العطف فيهما في جر الذين
ورفع جزاء وفي جوازه خلاف المنع والجواز مطلقا والفرق بين تقدم المجرور على المرفوع فانه يجوز عند المبرد والاخفش بخلاف ذهب زيد
الى عمرو واخوك الى بشر فان في الاول المجرور الى جانب الفعل القائم مقام الجار ودليل قوله تعالى وفي خلقكم وما يبث من دابة الاية
ويجوز ان يقدر وجزاء الذين كسبوا جزاء سيئة فيكون خبر المحذوف اي جزاؤه ان يجازى سيئة بسيئة مثلها والاول وان كان
مرجوحا لمكان الخلاف لكنه راجح بحسب المعنى واستدل على ان الزيادة الفضل لانه دل بالعدل على ترك الزيادة فيكون الزيادة على
المثوبة فضلا ويقرأ بالياء فان قيل هلا اثبت القتر في الثاني كما نفي في الاول قلنا لان القتر ايضا ذلة فنفي ذكرها ذكره وايضا
قد ذكر قطائع اخزانه لا يعصمهم احد من سخط الله بخلاف المؤمنين لثبوت الشفاعة وقطعا قرئ بسكون الطاء وفيه وصف
لفرط سواد وجوههم ومظلما حال من الليل والعامل اغشيت لانه عامل في قطعا وهو موصوف بقوله من الليل فيكون عاملا في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وعلى قراءة سكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة او حالا منه للتطابق بحسب الافراد ولا احتجاج
للوعيدية بخلود الفساق لان المراد بالاول الكافر ويؤيده ما يقرأ بقطع من الليل مظلم ❊ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا
عن عبادتكم لغافلين ❊ اي نحشر الكفار والمسلمين نقول لهم الزموا مكانكم ومعناه انتظروا ومكانكم كلمة وعيد وجميعا حال
من ضمير الجمع اي نحشرهم حال اجتماعهم وفيه ضمير مرفوع اكد بانتم وشركاؤكم عطف عليه فلا يصح ان ينصب على الظرف ويقرأ
بنصب الشركاء فيكون مفعولا معه وزيلنا اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم ولا يبقى ما بينهم من التواصل او فباعدنا بينهم

في الموقف كما قال تعالى وضلوا عنا ويقرأن للانكار فمعناه وانكار عبادتهم لانهم عبدوا اهواءهم والشياطين الذين امروهم
بها او انهم ما عبدونا بامرنا وارادتنا ويدل عليه ان كنا عن عبادتكم لغافلين ومنهم من قال صدر الكذب عنهم للدهشة والحيرة
ولقائل ان يقول لو كان كذلك لما نطقوا الاستشهاد بالله قيل ينطق الاصنام بذلك وذكر في المفاتيح انه اذا احياهم يجوز ان
يبقيهم ويعذبهم وقيل الشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين واستشهدوا الانكارهم بعلم الله الذي لا يخفى عليه خافية
وان كنا معناه انه كنا واللام يدل على انها المخففة اي يقول الملائكة والمسيح وكل معبودهم او الاصنام بانطاق الله وقيل
هو جحود اهانة ومن خص بالاصنام فلان الخطاب مشتمل على التهديد والوعيد ويحتمل ان يجاب بان التهديد للعابد دون المعبود
هذا وانه يجوز من الله ان يهددهم لانه لا يسأل عما يفعل والمعتزلة احالوه • هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله
مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون • اي في ذلك المكان او عند تلك المخاصمة فانه يتجوز بالمكان عن الزمان تختبر كل نفس
وتذوق ما قدمت امن مقبول او مردود حسن ام قبيح اختبار الرجل ليعرف كنه حاله وقرئ تتلو من التلاوة اي تقرأ ما كتب الحفظة
او من التلو اي تتبع عمله فيقوده وقيل يخلق حيوان من عمله يقوده الى الجنة او النار ويقرأ نبلو فكل مفعوله وما بدل منه اي نفعل بها
فعل المتعرف لسعادتها وشقاوتها او نصيبها بالبلاء فيختص بنفوس العصاة وردوا الى جزاء اعمالهم والله هو المولى
الحقيقي لانه مربيهم لا ما اتخذوه الهة من دونه وقيل ردوا الى حيث لا حكم الا لله ويقرأ الحق بالنصب فيكون مدحا او مصدرا
مؤكدا وضاع عنهم الهتهم او شفاعتها او ما مصدرية اي افتراؤهم في الدنيا • قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون •
هو بيان بطلان اشتراك غير الله به في الوهية حيث لا يقدر على ذلك غيره وانما ذكر الجهتين في حصول الرزق لان حصوله بسبب
نزول المطر من السماء والنبات من الارض واشار الى ان الرزق اما نبات او حيوان والحيوان يغتذي بالنبات وهي لا تحصل
الا من السماء والارض والله مدبرهما فهو الرازق لا غير واذا كان من بيانا لمن على ما قيل فالتقدير من اهل السماء والارض ومعنى
يملك السمع والابصار خلقها وتسويتها على احسن وجه واكمله او حفظها من الآفات مع كثرة انواعها وسرعة تأثرها بها واخراج
الحي من الميت اما الحيوان من النطفة وعلى عكسه او الاماتة والاحياء وتدبير امر العالم علوية وسفلية الذي لا يقدر عليه غير الله تعميم
بعد تخصيص وكيف لا يتقي الشرك والمعاصي ويتجاسر على آله هذا شأنه • فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال
فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون • الاشارة الى الذات الموصوفة بتلك الصفات هو الثابت
الموصوف بالتربية من اطوار النقصان الى الكمال ولعل تخصيص هذا الوصف للاشارة الى جميع ما سبق اسبابه ولما لم يوجد
بين الحق والضلال واسطة لم يكن بعد احدهما غير الآخر سواء فسر الاول بعبادة الله والثاني بعبادة غيره ام لا فاذا ثبت
ان هذا هو الحق كان ما عداه باطلا وهو استفهام انكار فكيف تصرفون من الحق الى الباطل الاعم من الشرك والتوحيد والسعادة
والشقاوة ومعنى كذلك انه كما حقت لله الربوبية وانه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك

بانهم

بانهم لا يؤمنون ويحتمل ان يراد المذكور حقت كلمة الله وحكمه على المتمردين في الكفر المصرين عليه بقاءهم عليه لعلمه سبحانه ذلك منهم
فانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة وان فسرت الكلمة بالعذاب فالتقدير لانهم لا يؤمنون وهو تفسير للفسق وفيه دليل على ان الكفر
بقضاء الله تعالى لانه لما اخبر سبحانه بالجزم عن عدم وقوع ايمانهم استحال الخلف فيه فثبت استحالة صدور الايمان عنهم والمحال
لا يكون مرادا • قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون • انما امر النبي عليه السلام
بهذا السؤال منهم لاعترافهم بان الله يبدأ الخلق دون شركائهم وذكر الاعادة اما لان فيهم من يعترف بها او ان وضوح
دليلها بحيث لا يرتاب فيه فهي كالمعلومة وقد سبق عند قوله ثم اليه ترجعون وانما لم يجب عنهم اذ لا جواب غيره سواء اقروا
بذلك او انكروا او انهم لعنادهم لا ينطقون به وان تحققوا ذلك فعلى اي حال تصرفون عن سواء السبيل والمراد التعجب منهم
في الذهاب عن الامر الواضح • قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي الى الحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون • جاء
هدى في الآية بلغتيها اللام والى ويقال هدى بمعنى اهتدى كشرى واشترى وقرئ يهدي بفتح الهاء وكسرها وتشديد الدال
بادغام التاء فيها ثم فتح الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين فانهم ان من يهدي هذه الهداية اولى بان يعبد
او الذي لا يهدي الا ان يهدى فكيف يصح لكم ان تحكموا بصحة ما يحكم صريح العقل ببطلانه وعادة القرآن ذكر الاستدلال بوجود
الصانع اولا ثم ذكر الهداية ثانيا مثل الذي خلقني فهو يهدين واذا كان حال اشرف من عبدوه كالملائكة والمسيح انه لا يهدي
غيره الا ان يهدى فكيف بالاصنام فتبين اختصاص الالوهية بالحق سبحانه لاعطاء العقل الذي تدرك به الآيات الدالة على وجوده
واعطى الحواس لتكون آلة في اكتساب المعارف لا للذات الحسية بل استدل بها على كمال علمه وعلى وحدته سبحانه وسائر صفاته
الايجابية والسلبية وقرئ بكسر الياء لاتباع ما بعدها وقرئ بالادغام المجرد من غير التفات الى التقاء الساكنين وهو يهدي بسكون
الهاء وادغام التاء في الدال ويقرأ بالمجهول مع المبالغة واتباع اكثرهم الظن ان احكامهم مستندة الى خيالات وتوهمات باطلة
ومن ثمة قاسوا المخلوق على الخالق بظن مشاركته له في التأثير ولا تمسك لنفاة القياس بناء على انه عمل بالظن لان وجوب القياس
معلوم والمراد بالاكثر الجميع او ان بعضهم لا يرضى بمجرد الظن وقيل اتباع الرؤساء وقيل الرؤساء وقيل الضمير المجرور للناس
كلهم واستثنى المؤمنون وفيه بعد وانما لم يغن الظن فيما تعين فيه العلم كاصول الدين بخلاف الفروع وهذا عند من لم يجوز التقليد
فيها وظاهره يدل على صحة دعواه وللمانع ان يخصصه بما اذا لم يطابق الواقع في اتباع الظن فيما لا يسوغ فيه لا سيما اذا لم يكن مطابقا
للحق ويقرأ بالتاء وهو ابلغ • وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين • وجه الربط انه كالدليل على ان الله هو الذي يهدي الى الحق حيث انزل مثل هذا الكتاب وما استفهام
يتضمن الانكار اي ما صح ان يكون مفترى مع علو شأنه لفظا للاعجاز ومعنى لما فيه من العلوم وهو رد لقولهم هو افتراء اي ليس بافتراء
من دون الله ولكن تصديق ما بين يديه اي ما تقدمه من الكتب المنزلة او ذكر البعث والحساب او الاقاصيص والاخبار

والتقدير تصديق الشيء الذي القران بين يديه ولما كان هو المعجز دون الكتب كان كالشاهد بصحتها وقيل ان بمعنى اللام
اي ليفترى وتصديق قرئ مرفوعا على ولكن هو ومنصوبا على تقدير ولكن كان تصديقا او علة لمقدر مثل ولكن انزله التصديق
ما بين يديه وكونه تفصيلا انه يبين ما كتب وفرض من الشرايع والاحكام وغيرهما فان قيل كيف يصح جعله خبر كان وهو مفرد قلنا
لعل المصحح ما في الموصول من الابهام على طريقة امر على اللئيم يسبني ولما كان الريب منتفيا عنه بشهادة العقل للمتامل كان نازلا
من رب العالمين فهو داخل في حيز الاستدراك اي ولكنه من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض مثل زيد لا شك فيه كريم
وفائدته تاكيد كونه مصدقا ومن رب العالمين خبر آخر لكان المقدر ان لم يجعل متعلقا بتصديق او تفصيل وحال من الكتاب
او الضمير فيه والحاصل بيان ما يجب اتباعه بعد المنع من الظن ● ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ●
ام منقطعة فاصل الهمزة انكار قولهم ويقرب منه ان يكون للتقرير لالزام الحجة عليهم والمعنى بل اتقولون افتراه وقيل القرينة
ام تقولون اختلقه محمد من عند نفسه قل ان صح ما زعمتم فاتوا انتم بسورة واحدة مثل القرآن ويحتمل في الفصاحة والبلاغة
ويحتمل ان يراد في اشتماله على هذه العلوم والمعاني على وجه الافتراء لانكم بلغاء فصحاء ويقرأ بالاضافة اي بسورة كتاب مثله
وفي آية اخرى بعشر سور فقيل هي متقدمة على هذه اي لما عجزوا عن العشر تحدوا بواحدة ثم قال وادعوا واستعينوا في الاتيان بها
من امكنكم دون (الله فانه) القادر عليه ان صدقتم في انه مختلق وقيل يحتمل ان تكون اضرابا عن لازم التحدي فانه ينبغي ان يفكر فيه
فيعلم انه حق من عند الله بل كذبوا اول ما سمعوه من غير تدبر واحاطة بما فيه او بما جهلوه وسببه ما فيه مما يخالف دينهم
من التكاليف الشاقة والمنع من عبادة الاوثان والامور الاخروية واستبعدوا حيوة بعد الموت لالفهم تقليد
ابائهم كانكار المبتدعة ما يخالف مذهبهم من غير تامل كمسئلة الرؤية والشفاعة وخلق الاعمال لانه طبع على قلوبهم او لما سمعوا
القصص حسبوا ان المقصود الحكاية ولم يعلموا ان المراد امور اخر كقدرة الله على ما يتضمنها ولما ياتهم تاويله معناه
نفي بلوغ معناه الى اذهانهم او ما فيه من الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة مثل غلبت الروم حتى يتبين
لهم صدقه حيث يجدوه معجزا من جهتي اللفظ والمعنى وانه مع اشتماله على عامة العلوم الالهية والاحكام الدينية
اصولها وفروعها خال عن التناقض والتنافي ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وتمسكت المعتزلة به
على خلق القرآن لانه لو كان قديما لكان الاتيان به محالا في نفس الامر وما تحدى به لانه انما يتحدى بما كان صحيح الوجود
ويحتمل ان يجاب اولا بالمنع فانه مجرد دعوى وثانيا بتحرير محل النزاع حتى يظهر بطلانه بزعمهم وذكر لما لما فيه من التوقع فانه
قد ظهر لهم آخر الامر اعجازه وحيث تكرر ذلك وراجعوا اقدرتهم فراوها عاجزة عن المعارضة وشاهدوا وقوع ما اخبر به ومعنى
كذلك ان مثل هذا التكذيب تكذيب الكفار الخالية الرسل الماضية قبل النظر في المعجزات تقليدا لآبائهم وحسدا او عنادا
ويحتمل ارادة التسلية والوعيد لا سيما في وضع الظالمين موضع ضميرهم ● ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين ●

اي

اي من هؤلاء الكفار من يصدق بقلبه او سيصدق من بعد ومنهم من يكفر بقلبه ولسانه او يموت على كفره والاول اولى
من الثاني لانه تخصيص وهو مجاز وكونه سبحانه اعلم بالمصرين على الكفر فيه تهديد فان اصروا على التكذيب فتبرا منهم وقل لي عملي ولكم عملكم
بما اعمل ولا او اخذ بما تعملون وقيل اليه جزاء عملي ولكم جزاء عملكم قيل منسوخة باية القتال والقائل ان يقول اذا امكن حمله على التخصيص
كيف يسوغ القول بالنسخ نعم لو ورد نقل من الشارع او اتفاق به تعين ووجه المناسبة بما تقدم انه لما بين عاقبة الظالمين
بعذاب الاستيصال ذكر الحكمة في تبقية هؤلاء ● ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون و
منهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ●
اي بعض الكفرة وناس منهم يستمعون الى قرائتك وبيانك الاحكام ولكن لا يقبلون ودل على ذلك عدم امكان اسماع
الصم كيف وقد انضم الى الصمم عدم العقل فان الاصم العاقل قد يمكن اسماعه بالاشارة والحاصل ان الصمم معنى يمنع سماع
الصوت وبعضهم الشديد المانع من الاطلاع على محاسن كلام الله كان كالصمم ومنهم ناس ينظرون اليك فيدركون
دلائل النبوة ولكن لا تقدر على هداية العمي ولو انضم اليه عدم البصيرة بانه لو كان للاعمى بصيرة اي ادراك عقلي فلعله ادراك
بقوة الحدس فلم يبق طريق الى ادراكهم الا ارادة الحق على سبيل القسر كانه هو القادر على رد قوة السمع والبصر الى فاقدهما
وايضا البغض الشديد يمنع من رؤيته محاسن من يعاديه الناظر كما في السمع وان الله لا يظلم الناس بعدم بعثة الرسل وانزال
الكتب او سلب حواسهم وعقولهم ولا تمسك بالاية للمعتزلة على مذهبهم نظرا الى انه نفى الظلم عن نفسه ولو الجاهم اليه لما بقي لانه تصرف
في ملكه واما نسبة الظلم اليهم فللكسب كما سبق بل هم الظالمون بالكفر والتكذيب وهو كالعلة للتبري منهم فان عدم الاعراض كالاشتغال
بما لا يفيد وتقديم المفعول للايذان باختصاص الظلم وفيه دليل على ان للعبد كسبا في الجملة لا كما زعمت المجبرة انه مسلوب الاختيار بالكلية
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ● بيان لظلمهم
انفسهم لان المعنى انهم يوم القيمة يستقربون زمان بقائهم في الدنيا او في القبور لهول المطلع او لانهم لم ينتفعوا بعمرهم ويعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا في بدو الخروج من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لرؤية مقدمات العذاب وقيل
يتعرف بعضهم من بعض في القبور وكان لم يلبثوا حال اي يحشرون مشبهين بمن لم يلبث ويتعارفون متعلق بيوم يحشرهم
بان يكون صفته اي لم يلبثوا قبله او حال يبين عدم لبثهم الا ساعة لانه لو طال العهد لما تعارفوا بل نسوا او صفة لمحذوف اي حشرا
كان لم يلبثوا وقد خسروا استيناف من الله للشهادة على كمال الخسران في تبديلهم الكفر بالايمان وان كان من كلامهم فالتقدير يحشرهم
قائلين هذا القول والمراد بلقاء الله التعجب وقيل الجزاء حينئذ ونفي الاهتداء المسند الى الماضي لعله للاشعار بانهم كانوا
من الخاسرين في علم الله حيث لم يهتدوا الى طريق استعمال ما منحهم الله من القوى واكتساب السعادات بل حصلوا بها جهالات ادت بهم
الى الهلاك ● واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ● جواب الشرط محذوف
اما نرينك بعض الموجود في الدنيا لاقتضاء الحكمة لها فذاك كوقعة بدر وان توفيناك قبل ان نريكه في الآخرة وقوله فالينا

يدل على ذلك وهو جواب ننوفينك وذكرتم ان شهادة الله مستمرة غير متراخية للاشعار بان المراد ان يعاقبهم على فعلهم لانه
فى معرض التهديد الا ان يراد بشهادة الله انطاقه جوارحهم للشهادة عليهم فيكون من باب تشبيه السبب بالمسبب ويقرا بفتح ثم
والمعنى هنالك يشهد الله على فعلهم • ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اى لكل امة من الامم الخالية رسول مبعوث لهدايتهم بالمعجزات ولا يشكل بزمان الفترة لانه يكفى تقدم بعثه ولا يلزم ان يكون حاضرا
معهم فاذا جاءهم رسولهم فكذبوه قضى بينهم بالعدل بانجاء الرسول ونصره عليهم وتعذيب المكذبين مجازاة على فعلهم من غير
ظلم عليهم فاستعجلوا الوعد العذاب وقيل المراد المجى فى الاخرة للشهادة عليهم فالهم استبعاداله والجواب بانه لا يملك لنفسه
ما يضره من الضر والنفع كالمرض والصحة والفقر والغنى لعله لبيان انه لا يملك الاتيان بالموعود جوابا للاستعجال اى اذا لم اقدر على ضركم
والاستثناء منقطع اى ما شاء الله من ذلك فلا دليل للمعتزلة فى ان العبد يستقل بفعله وان جعل متصلا مع تعسف تقدير الا ما
شاء الله ان املكهم فلا دليل ايضا وقوله لكل امة اجل بيان بسبب تاخر العذاب عنهم وذلك ان الله عين لكل امة اجلا معينا
عند الله فاذا جاء ذلك الوقت حصل الموعود من غير تقدم ولا تاخر فدل على انه لا يموت احد الا بقضاء اجله وقد سبق ذكر المسئلة
قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل
للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون • اى اخبرونى ان اتاكم عذاب الله وقت الاشتغال بالنوم او وقت
تحصيل المكاسب تندموا لا محالة فاى شىء من العذاب ويعجلونه وكله مكروه لا ينبغى ان يستعجل وهو جواب متى هذا الوعد وتجوز ان يكون
الجواب ماذا مثل ان اتيتك ماذا تعطينى والاستفهام متعلق بارايتم وقيل فيه معنى التعجب كانه قيل اى شىء هول تستعجلون منه
اى من العذاب ووضع المجرمين موضع ضميرهم قيل للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان لا يستعجلوه ويحتمل ان يكون اشارة الى ان الاستعجال
نفس الجرم فان ترتب الوصف على الحكم مشعر بعليته له وجعل البيات والنهار ظرف الاتيان دون الليل والنهار فان اتيانه فى وقت
الاستراحة او الكسب اشق وجاء البيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم ومعنى اثم اذا ما وقع اى انه اذا جاء عذاب الله
امنتم به حين لا ينفعكم وماذا يستعجل اعتراض لان اثم جواب الشرط ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخولها فى امامن اهل القرى
وهى لانكار التاخير والان فى تقدير القول اى قيل لهم الان امنتم وقد كنتم تكذبون لان استعجالهم العذاب كان على جهة التكذيب
لان من تحقق العذاب لم يطلبه وثم قيل عطف على هذا المقدر وقرئ الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وعذاب الخلد المولم
على الدوام لكسبهم الكفر والمعاصى ويدل على كون العبد مكتسبا اى المؤثر مجموع القدرة والداعية ويدل على ان الجزاء بسبب العمل
غيران عندنا بمقتضى الوعد المحض وعند الغير بايجاب العمل وقد سبق بطلانه • ويستنبئونك احق هو قل اى وربى انه الحق
وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض وافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضى بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون • روى ان حيى بن اخطب قال للنبى عليه السلام احق ما تقول ام باطل يعنى جد ام هزل وذكر فى الانوار ان الظاهر

من

من الاستفهام انه على حقيقته ومن ذهب الى انه للانكار استاس بما يقرا آلحق هو فان اللام للجنس كانه قال هو الحق لا الباطل
او هو الذى سميتموه الحق ولم يات بشىء له دلالة لان لقائل ان يقول اولا لا نسلم انه على هذا التقدير والتقدير الاخر ابعد واقل دلالة
ولئن سلمنا فما وجه الدلالة نعم لو قيل انه اذا كان للجنس واريد به الاستغراق اى لا حق الا هو والمعلوم من حاله انه لا يريد حصر الحق
فيه كان للانكار اما اذا اريد مطلق الجنس فاى شىء يصدق عليه الحق صدق ان الحق هو فالضمير اما لما جئت به من القرآن والنبوة والشرائع
او الوعد بالقيمة او نزول العذاب وجعل للاخير اولى لان اثبات النبوة بالقسم مع منكرها لا يفيد ظاهرا وان ورد ان اعرابيا
سال عن النبوة وناشد صلى الله عليه السلام وآمن به ثم اتبع هذا النوع من الدليل البراهين القاطعة فيما يعقبه من ان لله ما فى
السموات والارض كما سياتى عليه الحق صدق ان الحق هو وهو مرتفع بحق سادّ مسد خبره او خبر مقدم ومحل الجملة النصب بقوله
ويستنبئونك واى للايجاب فى القسم وتوصل بواو فى ايو للتصديق اى وحق ربى ان العذاب كائن او ما اخبرت به ثابت
ومعنى عدم الاعجاز عدم فوت العذاب والمعنى ان الله لا يمانع عما اراد من القضاء وهذه الكلمات انما تكون فى الدنيا اما اذا
حضر والجمع القيمة اشتغلوا بغيرها وهى المذكورات والظلم يشمل الشرك والعدوان مطلقا اى لو ملكت جميع خزائنها واموالها لجعلتها
فدية لها من العذاب لا تنفع وفدى وافتدى بمعنى وانما اشترط الندامة ولم ينطقوا بها لدهشتهم من فظاعة الامر وقيل اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشىء باعتبار انه يخفى ويظن به انه خالصة وقيل اظهروها يقال اسر الشىء واسر الشىء اظهره
وسبب الاخفاء اما لانهم بقوا مبهوتين كمن اريد قتله او حياء من اتباعهم وخوف توبيخهم والتكرار فى قضى لان الاول قضاء
بين الرسل ومكذبيهم او بين الرؤساء والاتباع او بين المؤمنين والكافرين او بين بعض الكفار مع بعض لظلم عليه فى الدنيا
فيضاعف العذاب للظالم وهذا مجازاة على الظلم والشرك وتناول الضمير اياهم لدلالة الظلم على الظالم • الا ان لله ما فى السموات
والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون • فيه بيان انه القادر على جزاء الاعمال
وانه ينجز وعده بالثواب والعقاب وانه المنفرد بالاحياء والاماتة ومرجع الكل اليه فلا يخاف ولا يرجى غيره وعدم علم الاكثر
الناس بذلك لقصور نظرهم على امور الدنيا فان قيل لم حذف مفعول يعلمون وليس المراد نفى مطلق العلم قلنا اختصارا لظهور
الدلالة والظاهر انه كون وعد الله حقا الا ان لله ما فى السموات والارض لقوله ولئن سالتهم الاية واكتفى بالوعد من الوعيد
كما فى قوله تعالى بيدك الخير والحاصل انه لما كان قادرا على كل الممكنات واليه الاشارة بانه له فى الجهتين كان قادرا على انزال العذاب
فى العالمين • يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون • يريد القران المشتمل على صرايح المواعظ او ما يتضمنها من الالهيات والقصص
والامثال والاخبار عن المغيبات ولذلك صار دوا الامراض القلوب من الاعتقادات الفاسدة فالنبى الذى يحصل
بيده الشفاء كالطبيب الحاذق وهو يزجر عما يضره وهو المراد بالموعظة فانها زجر عن كل ما يبعد عن رضوان الله والقرآن
كالادوية يعالج بها امراض القلوب فالانبياء يزجرون عن المحرمات لطهارة الظاهر ويامرون بصالحات الاعمال وازالة الاخلاق

الذميمة فيحصل طهارة الباطن والعقائد الفاسدة والاعمال السيئة هي الامراض ثم وصفه بانه دلالة الى الصراط المستقيم
ورحمة لمن آمن به قل بانزال القرآن المشتمل على الفضل والرحمة فليفرحوا الا انه لا فرح اعظم من زوال ظلمة الروح بتلك الاخلاق الذميمة
فاستنارتها بنور عالم القدس وايضا الفرح باللذات الدنيوية فرح بالاشياء الخسيسة الفانية والفرح بالروحانيات الامور
الشريفة الباقية قال الصديقون الفرح بنعمة الله من حيث انها من الله فرح بالله وهو نهاية السعادة والباء متعلقة بفعل يفسره
فليفرحوا الا ان اسم الاشارة كاعادة الضمير الى بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدته التبيين
بعد الاجمال لانه متعلق الجار والمجرور كان اعم من الفرح وغيره فبين المستعمل باسم الاشارة القائم مقام الضمير وفائدة اخرى
وهو ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح ويجوز ان يتعلق الباء بفعل دل عليه قد جاءتكم اي بمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى
الشرط اي ان فرحوا بشيء فليفرحوا بها او للربط بما سبق ليعلم ان نزول مثل هذا الكتاب يوجب الفرح والتكرير للتاكيد
مثل لا تجزعي ان منفسا اهلكته واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وقرأ يعقوب بالتاء على الاصل وهو مرفوض وهو
ان الفاعل المخاطب لا يؤمر بالحرف كما تقول للمخاطب اضرب وللغائب ليضرب وروت هذه القراءة عن النبي عليه السلام
وهو ضمير ذلك اي بذلك فليفرح المؤمنون وهو خير من حطام الدنيا ولانه تخصيص المؤمنين بهذا الفرح لان غيرهم لا يلتذ
الا باللذات الدنيوية والمؤمن يدعوه ايمانه الى هذا النوع من الفرح قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على
الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون اي قل لهم اخبروني عن تحريمكم بعض رزق الله وتحليلكم بعضه هل هو باذن من الله
او افتراء عليه ولعل وجه الارتباط انه لما بين ان ما جاء من الله هو عين الهدى والرحمة اردفه بما ظهر من الكفار للاستقباح
والزجر عنه فان التكميل يحصل بالتحلية والتخلية ومحل ما انزل الله النصب بارأيتم ان كانت خبرية او انزل ان كانت
استفهامية ومعنى انزل خلق والتعبير عن الخلق بالنزول لان الارزاق كلها من الزرع والضرع وغيرهما مما انزل الله من
السماء وتحريمهم في البحيرة وما عطف عليها وفي قوله تعالى هذه انعام وحرث وام متصلة اصدر منكم ذلك بهذا او بذاك
او منقطعة بمعنى بل انفترون واي شيء ظن المفترين على الله ويوم القيمة منصوب بالظن ويؤيده انه يقرأ بالماضي
وفيه تهديد شديد وكونه سبحانه ذا فضل انه انعم عليهم بصنوف النعم الظاهرة والباطنة كالعقل والهداية بارسال الرسل
ولكن اكثرهم لا يؤدون شكرها وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اصل الشأن الهمزة يقال اشأن شأنك اي قصد قصدك او اعمل
عملك اي لا يكون في امر مقدر او حال من احوالك من اعمال البر او حوائج الدنيا والضمير في منه للشان لان معظم شان النبي
عليه السلام تلاوة القرآن ومفعول يتلو من شأن اذا كانت من للتبعيض لا مزيدة لتاكيد النفي او الضمير للقرآن

وانما

وانما اضمر ثم بين تفخيما له ويجوز ان يكون للتنزيل اي ما تتلو من التنزيل من قرآن ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو الاصل
في الخطاب اي نحن رقباء على اعمالكم صغيرها وكبيرها اي وقت تفيضون فيه ولا تغيب عن علمه ما يوازن نملة صغيرة او هباء
والمثقال ما يساوي الشيء والدليل على عدم العزوب انه سبحانه يوجد الاشياء كلها لا موجد غيره والموجد للشيء لا بد وان يكون
عالما به واصل العزوب البعد يقال عزب الرجل بابله اذا ارسلها الى موضع بعيد من المنزل وقرئ بكسر الزاء وتخصيص الارض
والسماء مع انه كل ما في الموجود والامكان لان اكثر الخلق لا يعرفون غيرهما والمتعلق بهما وتقديم الارض لان الخطاب مع اهلها
وهو كالبرهان على احاطة العلم بها لانه اذا اثبت عدم عزوب ما بهما وغيرها عن علمه ثبت علمه بها ولا في لا اصغر نافية واسمها اصغر وفي
كتاب خبرها والكتاب اللوح وقرئ بالرفع فهو مبتدا وخبر او اعطف على لفظ مثقال ذرة بناء على ان الفتح بدل من الكسر لانه غير
منصرف فالاستثناء منقطع وكذا ان عطف على محله مع الجار والحامل عليه ما ذكر في الكشاف من انه يلزم ان يكون ذلك الشيء
خارجا عن علم الله هو باطل وهو غير لازم لانه اذا كان معنى العزوب البعد ولا شك ان بعض الاشياء في الوجود متاخر
عن البعض كالحوادث اليوم بالنسبة الى السموات والارض فيكون متباعدا بالنظر الى ظهوره في العالم ويكون تعالى
عالما بها حيث اثبته في كتاب كتب فيه صور المعلومات فيه واولياء الله الذين يتولون الله بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
لاخلاصهم وقيل هم الذين لهم الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح فلا يخافون على توقع مكروه دايما ولا هم يحزنون اذا احزن الناس
وقيل يحصل لهم خوف في القيمة للاخبار الواردة فيه لكن ظاهر القرآن اقوى من خبر الواحد الذين آمنوا وكانوا يتقون
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم هو كالبيان لاولياء الله اذ بذلك تحصل
الولاية لا سيما اذا فسر التقوى بالاجتناب عن المعاصي او الاتقاء عن غير الله سبحانه فالذين نصب او رفع على المدح
او على نعت الاولياء او مبتدا وخبره البشرى واثبات البشرى لهم في العالمين على ما بينه الله في موضع من كتابه او الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له قال عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات او محبة الناس والذكر الحسن
او بشارة الملئكة بالرحمة عند الموت تولية الله اياهم وكذلك بشرى الآخرة بتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالكرامة
والصحايف بالايمان وغيرها وروي عن النبي عليه السلام عنهم فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني بسمتهم وحسنتهم
وعن ابن عباس هي الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه ان من عباد الله عبادا ما هم انبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله وما اعمالهم لعلنا نحبهم قال قوم تحابوا في الله
من غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطون فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية وانما كان عدم تبديل كلمات الله الذي هو عدم تغيير مواعيده محققا لقوله تعالى لا يبدل
القول لدي وبشرى الدارين هي المشار اليها بالفوز العظيم لانهم الاولياء ومعنى الولاية القرب المعنوي بانه ان راى رأى
دلايل القدرة وسمع آيات الله ويجول في العبادة واجتهد في الطاعة وحينئذ يقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات

الى النور وقيل البشرى محبة الناس لهم قال ابو ذر ان الرجل ليعمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون اى شركهم وتكذيبهم وتشاورهم في ابطال امرك
لان الحزن انما يتصور اذا توقع تاثير مكرهم فاذا علم انه لا يؤثر لا يكون سببا للحزن واعترض في المفاتيح انه كيف آمنه من ذلك
ولم يزل خائفا الى الهجرة واجاب بان الله وعده النصر وهذا عجب جدا لان الحزن انما يكون للواقع والخوف من الآتي فكيف
يتجه السؤال ثم استانف لتعليل المنع من تحمل الحزن ويؤيده ما يقرا بفتح ان لان لانه التقدير لان العزة لله فينصرك عليهم
كما قال لاغلبن انا ورسلي وفي ذكر الاتصاف بالسمع والعلم تهديد لانه اذا كان قادرا على الانتقام منهم واحاط علما
بمقتضيه فعل لا محالة وذكر من دون ما يعلم انه اذا كان جميع من فيهما من الانبياء والملئكة والانس والجن عبيدا
وهو مالك رقابهم لا يتصف احد منهم بالربوبية فكيف بالاصنام وانه لا اجهل ولا اظلم من عبدتهم وما في وما يتبع ان جعلت
نافية فالمعنى نفي اتباعهم للشركاء لانه فرع ثبوت الشركاء ولا شريك له وان سموهم شركاء لظنهم الباطل لا مستند له
الا تقليد ابائهم الضلال وشركاء مفعول يتبع وان جعلت استفهامية فالمعنى واى شيء يتبعون وفيه معنى الانكار وشركاء
مفعول يدعون على هذا فالتقدير يدعونهم شركاء فيتبعونها او يتبعون شركاء فاكتفى باحدهما اختصارا وان جعلت خبرية
معطوفة على من فالمعنى ولله من في السموات وما يتبع هؤلاء اى وشركاءهم الضالة وفي مملكته ويقرا بالياء فما يتبع استفهام
اى اى شيء الذين يدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين وهم يتبعون الله ويعبدونه مع انهم شركاء بزعمكم فما لكم لا تتبعونه والالتفات
الى الغيبة على هذا فيه تهديد هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون بيان لاستحقاق
الاختصاص بالعبودية التي هي اعظم انواع الشكر على نعمتي جعل الليل زمان السكون والاستراحة عن تعب التردد وغيره والنهار
وقت طلب المعاش وتحصيل ساير المصالح بجعله مبصرا اى مضيئا يبصر فيه المطالب وانما عدل عن اصل الاستعمال وهو انه يكون
مبصرا فيه فانه يعلم به الفرق بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب على الليل فانه سبب السكون فيه وتخصيص السامعين سماع
تدبر وتفكر لانهم المنتفعون بها قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا
ام تقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بيان نوع آخر من الكفر مع ظهور ادلة التوحيد لكونه اقبح وسبحانه كلمة يقال عند التعجب اى هو المنزه عن اتخاذ
الولد كيف وعلة عدم الاتخاذ التي هي الاستغناء التام عن جميع ما سواه ظاهرة والولد لا يتخذ الا لحاجة انه يقوم مقام الولد
او يعينه فيما يعجز له وجميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فاى حاجة الى ان يتخذ شيئا منه ولدا وبيان الاستحالة ان الولد
جزء منفصل من اجزاء الوالد والله سبحانه له وان نافية والمعنى ما عندكم من حجة على نسبة الولد الى الله وقيل هو الباء انه استعمل
بعد قوله عندكم اى عندكم بسلطان ولم يذكر عليه دليل ويحتمل ان يقال انه لما كان المطلوب بالنفي السلطان كانه تقديمه هو المناسب

ثم اثبت

ثم اثبت عدم العلم بذلك للاستفهام المتضمن للانكار لانه كل قول لا دليل عليه فهو جهل قل يا محمد ان الذين افتروا على الله الكذب
بنسبة الولد اليه لا فلاح لهم ولم ينتفعوا به اى لهم مهلة مدة بقائهم او افترائهم منفعة قليلة لبقاء رياستهم ثم بالرجوع
الينا نذيقهم عذاب النار على الدوام بسبب كفرهم والجواب عن تمسك نفاة القياس وخبر الواحد بامثالها قد سبق
وكذا من يرى التقليد في اصول الديانات واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فيه تهديد
لمشركي زمان النبي عليه السلام ويتضمن تسلية بان الاعداء وان بالغوا في ايذاء الانبياء الا ان الله نصره عليهم ونباه
خبرهم وخبر قومه وقت قوله لهم ان قد شق وثقل عليكم مكاني ومكثي بين اظهركم مددا اى نفسي كما يقال فعلت لمكان فلان يريد
نفسه ولمن خاف مقام ربه جنتان او تذكيري ووعظي لان الانبياء اذا وعظوا قاموا ليكونوا اظهر للناظر وكلامه اسمع
ومنه قول الصحابة في شان النبي عليه السلام قام خطيبا وانما كبر عليهم لانه نهاهم عن الدين الذي الفوه وزجرهم عن المعاصي
وطباعهم كانت مشغوفة بالدنيا ولذاتها لا سيما في التذكير ذكر الموت وهي في غاية الكراهة واجمعوا اى اعزموا على امركم
وشركاؤكم مفعول معه وقراءة يعقوب بالرفع عطف على الضمير في اجمعوا وصح للفصل فان طول الكلام يقتضي ان لا يؤكد
بالمنفصل وانما لم يبال باجتماعهم وبذل جهدهم في المكايد وقصد الاهلاك ثقة بالله واعتمادا على وعد النصر ويقرا اجمعوا
من الجمع ونصب الشركاء للعطف على امركم او لان الواو بمعنى مع ومنه لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها واسناد
الاجتماع الى الشركاء في المكايد وما يقرا ادعوا الهتكم وامرهم الذي عليهم غمة فهو اما مصاحبتهم وما كانوا ينالون من الشدة
لكونه مكروها عندهم اى اهلكوني لئلا ينغص عليكم عيشكم بسببي واما ان يكون الامر الاول والغمة السترة اى لا يكن قصدكم
اهلاكي مستورا بل جاهروا به ثم اقضوا ذلك الامر الذي هو الكيد وقصد الاهلاك ومنه وقضينا اليه ذلك الامر الى ما هو
مرادكم من اهلاكي اداء الرجل دين غريمه ولا تمهلوني بعد اعلامكم اياي ما اتفقتم عليه وما يقرا بالفاء فالمعنى انتهوا الى شركم
او اخرجوا الى الفضاء كما يقال اصحر اى خرج الى الصحراء وفيه دليل على النبوة فان مخاطبة عالم من الاعداء المريدين اهلاكه بالامر به
مع عدم قدرتهم من الخوارق فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى ان اعرضتم عن تذكيري
فليس ذلك ليقربكم لطمع في مالكم اجرا على عظتي فاني ما سالتكم شيئا ولا نصحتكم لاغراض الدنيا وليس اجري الا على الله اتوقعه
في الآخرة وانا مامور بان اكون من المسلمين الطالبين لوجه الله باسلامهم فانه تعين عليه عمل شرعي لم يجز له اخذ اجر عليه
كالجهاد مثلا وبين ان اغراضهم ليس الا الحجر والعناد فداموا على التكذيب منجيا نوحا ومن آمن معه في الفلك عن الهلاك
بالطوفان مع الكفار وجعلناهم خلفاء الهالكين بالطوفان فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين حيث اغرقوا فادخلوا
نارا وفيه تعظيم لعذابهم وتحذير لمن انذره النبي عليه السلام وتسلية له وكهذا اكثر الله ذكر اقاصيص الانبياء ولعل ذكر النظر

مع انه مما يعلم للاشعار بانه في التحقق كالمنظور اليه ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى ثم بعثنا من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب
الى قومهم فجاؤهم بالمعجزات الواضحات فاصروا على الكفر بعد مجيئهم كما كانوا من قبل المجئ
حيث تعودوا وتمرنوا عليه وقيل ممن قبل حكم الله عليهم بالشقاوة والمراد بما كذبوا به مثل ما كذبوا الانه ذلك لم يحصل في زمانهم
وفيه دليل على انه الله قد يمنع المكلف من الايمان وقيل الطبع لا يمنعه لقوله تعالى فلا يؤمنون الا قليلا وسيأتي الكلام عليه
في موضعه ان شاء الله تعالى وجعله كناية عن قوم نوح بعيد لانهم اهلكوا قبل مجئ هؤلاء لان الجبر قد وقع الوفاق عليه وكذا دليل
جانب الشر لكسب العبد فيه مدخل كما سبق انه جرت عادة الله تعالى باحداث الامر بعد جزم العبد ثم بعثنا من بعدهم موسى
وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما
الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اى بعثنا من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وقومه بالايات التسع
وغيرها فيها وثوابها تعظيما عن قبولها وتمردا وكانوا مذنبين يقال اجرم اى اكتسب الذنب العظيم من جرمه اى قطعه اى لقطع
الوصل وهو السبب في الاستكبار فلما علموا ان تلك الايات من عند الله لكونها معجزات قالوا عالمين بحقيتها انها سحر
ظاهر سحريته او هو فائق في فنه مع انه مجرد تمويه والساحر مموه وقوله اسحر هذا ليس المحكي بل هو مضمر تقديره يقولون سحر
ثم استأنف موسى منكرا السحر لانهم تبوا القول بكونه سحرا فلا يلايم ما دخل عليه الاستفهام الا انه يكون للتقرير والمحكي مفهوم
قولهم او يكون معنى تقولون تعيبون من قولهم فلان يخاف القالة فيستغني عن المفعول ونظيره فتى يذكرهم اى يعيبهم
ولا يفلح من تمام كلام موسى والمعنى انه من يعلم ان الساحر لا يفلح لا يسحر وايضا يدل على انه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة وكيف يقال للعلق البحراني انه سحر وان جعل اسحر محكي القول كان من تمام قولهم اى كيف توافقك على سحرك ولا يفلح به
الساحرون ولتلفتنا لتصرفنا ولتصدنا واللفت الصرف يقال لفت عنقه وفي معناه قيل واصل اللي يقال لفت عنقه
اذا لواها والكبرياء الملك والعظمة وفي الكبرياء مبالغة لانه فعليا من الكبر وقرئ بالياء ولهذا يوصف الملوك بالكبر والجبروت
ويقال له الجبار ويحتمل ارادة الملك يعني لو ملكا لتكبرا على الناس وقالوا ولسنا بمصدقين لكما فيما جئتما به والمعنى يكون
لكما العز والملك في ارض مصر فالسبب المانع من الدين تقليد الاباء وترك المعجزة القاهرة الحرص على الدنيا وبقاء الرياسة
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون • طلب الحاذق في السحر لمعارضة موسى
بعد ادعاء الربوبية اعترافا بالعجز وقرئ بكل سحار وقد سبق ان الامر بالقاء السحر مع حرمته لابطاله وما خبرية خبرها السحر
اى السحر ما اتيتم به السحر لانه مجرد تمويه لا ما انسبوا اليه كا يقرأ ما جئتم به سحر وقرئ السحر فما استفهامية اى اى شئ جئتم به



اهو السحر وهو بدل من ما او هو مبتدا وجئتم به خبره ويلزم ان يلحقه الاستفهام لتساوي البدل والمبدل فيه او يضمر الخبر
مثل جئتم به وابطال الله له باظهار المعجزة واضمحلال الشعوذة فان الله لا يثبت عمل المفسدين اى هو عمل الكافرين والله
لا يثبت منه شيئا بل يهلكه ويثبت الحق لمعجزة موسى فان الله يظهر للناس حقيته وينصره على من يعاديه وهو يدفع سؤال من
قال كيف امرهم بالسحر وهو كفر وكلماته اوامره او امره او ما وعد به او حكم في اللوح ويقرأ بكلمته ومفعول كره محذوف اى ذلك الاثبات
فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن
المسرفين • اى فما آمن بموسى اوله في بدو الامر الا ذرية من ذراري بني اسرائيل فان الاباء كانوا يخافون فرعون
وفيه تسلية النبي عليه السلام في اعراض القوم وقيل الضمير لفرعون والاول اولى لانه اقرب والذرية المؤمنة مؤمن
آل فرعون وآسية امرأته وجاريته وزوجته وماشطته وقيل وغيرهم وقيل كانت الامهات من بني اسرائيل والاباء
من القبط وجمع الضمير في ملائهم لارادة آل فرعون على حذف المضاف كما يقال ربيعة يفعل كذا ويراد القبيلة المنتسبة
اليه لانهم كانوا يمتثلون اوامره ويقول من له اتباع نحن نفعل ونأمر وان يرجع الى الذرية فالمعنى على خوف من قوم
فرعون ومن اشرافهم لمنعهم اعقابهم عن الايمان من خوف منه على الاولاد وعلى انفسهم ويدل عليه ان يفتنهم اى
يعذبهم ويحملهم على الرجوع الى الكفر وهو بدل من فرعون او مفعول خفتم وتوحيد الضمير ليدل على انه الاصل في الخوف ولعال
حكاية الحال الماضية اى كان مرتفعا عاليا ظاهرا ومن جملة المتجاوزين في الظلم والفساد الحد او الكبر والعتو بادعاء الالوهية
واسترقاق اسباط الانبياء ومن كثر القتل والتعذيب للمخالفين • وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مؤمنين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين • اى
قال حين راى خوفهم منه ان صدقتم بالله ففوضوا امركم اليه في العصمة من فرعون واعتمدوا على الله ان كنتم منقادين
لقضاء الله مخلصين له وذكر في الانوار انه ليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فانه المعلق بالايمان وجوب التوكل
فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت
وقال في اللباب هما شرطان والجزاء واحد اى جعل الايمان والاسلام شرطي التوكل مثل ان دخلت الدار فانت طالق
ان كلمت فلانا والقائل انه يرجح الاول لانه يلزم من الثاني تقدم الجزاء على احد الشرطين وعلى الاول لا يلزم غير تقدير الجزاء اى ان كنتم
مسلمين والمعنى انه يصير شرطا صيرورتهم مخلصين كونهم مسلمين اى منقادين للتكاليف وجد التوكل منكم وهو اكثر من ان
يحصى ولما كانوا مخلصين قالوا توكلنا ربنا لا تسلطهم علينا فيفتنونا بالعذاب اى ربنا لا تجعلنا موضع فتنتهم او فتنة
لهم بان يقولوا لو كانوا على الحق لما اهلكوا فاجاب الله دعاءهم واهلك عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم وتقديم الظرف
على الفعل للتنبيه على انه لا توكل على غير الله وهكذا يكون لانه اذا علم ان ما سوى الله تحت تصرفه وقهره فكيف يتوكل عليه
فانه قيل ظاهر اللفظ يشعر بان موسى عليه السلام كان شاكا في ايمانهم قلنا يحتمل انه يريد ان كنتم كاملين في الايمان فانه الكمال فيه

يقتضي ظهور اثره • واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين
التبوّء اتخاذ المكان مباءة وقيل تبوءا وتبوءا متعديان اى اجعلوا بعض بيوت مصر مباءة اى مرجعا للعبادة او مسكنا
وقيل يقال تبوأت لنفسي وتبوأت لغيري واجعلوا تلك البيوت مساجد متوجهة الى الكعبة وكان يصلي اليها وهذا
في بدو الامر كانوا يصلون خفية وقيل امره الله باتخاذ المساجد على رغم الاعداء مقابلة لشدة عداوته فتوكل الله بصونهم
من شر الاعداء ولعل العدول عن الضمير الى تكرار البيوت للتنصيص على جعل جميعها قبلة وجمع الضمير في جعل البيوت
قبلة بعد الخطاب لموسى وهرون قيل لان الاول الى الانبياء والثاني على كل مكلف وفيه نظر لان كون كل ذلك الى الانبياء
ممنوع فلعل للتعظيم او لان الخطاب معهم كالخطاب مع الامة والتثنية اولا لانهما الاصل فيه وتوحيده بالبشارة
التي هي المقصود لتعظيمه وقيل الخطاب لمحمد عليه السلام • وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم •
اى اعطيتهم من كل ما يتزين من اللباس والحلي والمراكب وغيرها كالذهب والفضة والضياع ولما كان من حق من يدعو
على الغير ان يذكر جريمته التي هي سبب الدعاء ذكر ان تركهم للدين حبهم للدنيا دعا عليهم بلفظ اللام لقرينة ما بعده قيل
لا اشكل كيف يدعو بذلك لانه لما علم لا ينفع فيهم الايات والنذر لكثرة ما كرر عليهم من المعجزات الواضحات والآيات البينات
فلم يزدهم دعاؤه الا ضلالا والاولى ان يقال انه علم بالوحي انهم لا يؤمنون لان الاصرار لا يقتضي استحالة الايمان وهو
دعاء بما هو الواقع ويقرأ بضم الميم فهو كلعس اللبس والطمس على الاموال جعلها حجارة واصله اذهاب الشيء لفرط الغضب
لله لا التحصيل مقصوده لانه حاصل على هذا فلا يؤمنوا نصب لجواب اشدد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق منها حتى
لا يدخلها الايمان وان كانت الايمان للتعليل فالمعنى انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال وفلا يؤمنوا عطف عليه ويقرأ
انك وليضلوا من اضل وقال القاضي لابد من حمل اللام على لام العاقبة لئلا يلزم اسناد الاضلال الى الله او على التعليل
بحسب الظاهر لا على الحقيقة او التقدير لئلا يضلوا او تعجب من موسى على سبيل الانكار وقد سبق الجواب عن مسئلة
بان القدرة بالنسبة الى الضدين على السواء فلا يرجح الا بمرجح لا يجوز ان يكون من العبد لئلا يحتاج الى آخر وهلم جرا بل من الله
سبحانه فيكون الهداية والضلال من الله كما قال قل كل من عند الله وجميع ما ذكره خلاف الظاهر لا سيما لام العاقبة فان
موسى ما كان عالما بالعواقب فان قال اخبره الله به قلنا فيستحيل صدور الايمان عنهم • قال قد اجيبت دعوتكما
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون • من الجواب انهما دعوا الله بذلك او ان هرون امّن وهو ايضا دعاء
اى استجاب الله دعاءكما فانه قيل فهذا يدل على انه حصل ذلك بدعائهما لا بسابقة التقدير قلنا لم لا يجوز ان يكون قد جرى القلم
بوقوعه بشرط صدور دعائهما ويكون ذلك ايضا باذن الله ومعنى الامر بالاستقامة الثبات والمثابرة على الدعوة الى الله
وان كانت لا تنفع المدعو تنفع الداعي لالزام الحجة فمكث اربعين سنة بعد الدعاء ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون الصواب

او

او سبيل الجهلة او لا تستعجلا وعدي فانه واقع لا محالة وربما اجاب الداعي ولكن لا يوصله اليه الا في وقته المقدر والاستعجال
لا يصدر الا من الجهال والنهي لا يدل على صدور ذلك من موسى مثل لئن اشركت وقرئ لا تتبعان بخفة النون وتخفيف
التاء فيكون نفيا اى وانتما لا تتبعان سبيلهم وبكسر النون ساكنة وعلى الاول موضعه الجزم فالنون ساقطة لكنه لما اكدت
بالشديدة وكسرت لسكونها وسكون التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف تشبه نون التثنية • وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين
الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا
لغافلون • ويقرأ جوزنا وهو من اجاز المكان يقال جاز الشيء واجازه اذا صار قدامه وجاوزته اذا جعله قدامه اى
صيرناهم الى الشط الاخر فاتبعهم فرعون اى ادركهم واتبعهم بالف الوصل اخذ في اثرهم باغيا عاديا اى مستكبرا روي ان الله
امر موسى ان يخرج بني اسرائيل من مصر بالليل فاستعاروا من القبط حليهم بعلة العرس فخرجوا وهم ستمائة الف وعشرون
الفا لا يعد فيهم ابن ستين ولا ابن عشرين سنة متوجهين الى البحر ومات ابكار القبط تلك الليلة فشغلوا حتى اصبحوا فركب
فرعون في طلبهم ومعه الف الف وستمائة الف قيل كان في عسكره مائة الف حصان ادهم غير الشيات الاخر وكان فرعون
في الدهم وهرون على مقدمة بني اسرائيل وموسى في الساقة فلما قربت مقدمة فرعون منهم وكانوا سبعمائة الف رجل على راس
على راس كل بيضة وبيده حربة وهو على حصان وفرعون خلفهم فقالت بنو اسرائيل لموسى اين ما وعدتنا هذا البحر امامنا ان دخلناه
غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب فلم ينفلق
وقال انا اقدم منك واشد خلقا فاوحى الله الى موسى ان كنه وقل انفلق ابا خالد باذن الله ففعل فانفلق وصار فيه اثنا
عشر طريقا لكل سبط طريق وكشف الله عن وجه الارض فصارت طرقا يابسة وارتفع من كل طريق الماء كالجبل وكانوا
لا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع كلامه فقال كل قد غرق اصحابنا فاوحى الله الى الجبال من الماء تشبكي فتشبكت فجعل ينظر
بعضهم الى بعض فلما وصل فرعون وجنوده الى البحر ورأوه على تلك الهيئة قال هابوا البحر وخافوا دخوله وكان فرعون
على حصان ولم يكن في خيله فرس انثى فجاء جبرئيل على فرس انثى وخاض البحر وميكائيل يسوقهم لا يشذ رجل منهم فلما شم ادهم
فرعون ريح فرس جبرئيل وفرعون لا يراه انسل خلف فرس جبرئيل في الماء ولم يملك فرعون امره شيئا واقتحمت الخيول
خلفه في الماء فلما دخل اخرهم وهم الاول بالخروج انطبق الماء عليهم فلما الجم فرعون الغرق قال امنت بالذي امنت به بنوا
اسرائيل فدس جبرئيل في فيه من حماة البحر وقال الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن
الايمان وانما فعل غضبا لله وعلما بانه لا ينفعه الايمان لانه كره ايمانه لان كراهة الايمان من الكافر كفر وقيل القائل هو الله
وهو في المفاتيح الكلام على الكلام النفسي لانه وقت ادراك الغرق لا يمكنه التكلم وهذا النقل يدفعه لا سيما ولا منافاة بين ادراك
الغرق اياه والتلفظ به وقراءة الفتح على تقدير الباء وبالكسر بدل من امنت ومعنى الان اتؤمن في وقت الاضطرار

حين الجمه الغرق فهو كايمان المغرغر ويسمى ايمان الياس وقيل لانه قصد به الخلاص او لانه كان مجرد التقليد كما قال امنت به بنوا اسرائيل
فكانه قال لا اعرفه ولكن اسمع منهم ان للعالم الها وسيأتي في طه انه كان من الدهرية فكيف يزول كفره بهذا التقليد بل لا بد من
البرهان وقول القايل ان الايمان يصح بالقلب كالاخرس جهل منه لانه لا عبرة بما لم يتلفظ به لا سيما على مذهب هذا القايل انه قول
باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان نعم لو صار اخرس حينئذ لم يبعد ذلك وانكر في المفاتيح ما نسب الى جبريل لانه ان كان
التكليف باقيا لزم ان يعينه على الايمان والا فلا فايدة وقد الجواب عنه روى ان جبريل استفتاه ما قول الامير في عبد لرجل نشأ
في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده
الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه وقرئ ننجيك بالتخفيف والمعنى كالمشدد ننجيك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر وقيل نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وببدنك اي بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف به
اي وعليك سلاحك قال عمر بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وهو من الخوارق حيث لم يطفو
الحديد على وجه الماء او نلقيك عريانا وقيل صحيحا لم ياكله شيء من دواب البحر او وافيا ويؤيده ما يقرأ بابدانك اي باجزاء البدن
او الدروع وقيل نخرجك من ملكك قصدا او ما يقرأ بالحاء فالمعنى نلقيك بناحية مما يلي البحر او نلقيك وانت بدن بلا روح فهو في
موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك ومعنى لمن خلفك اية انك تكون علامة لمن وراءك من بني اسرائيل وكانوا لا يصدقونه
انه مات لما في انفسهم من هيبته فالقي على ممر بني اسرائيل وقيل اية لمن ياتي بعدك من القرون اي ليظهر لهم ذلته ومهانته وبطلان
دعواه من الالوهية او ان هذا ماله من عظمة الملك لعصيانه وعتوه وقرئ لمن خلقك اي لخالقك كسائر اياته وغفلة اكثر الناس
عن الايات عدم تفكرهم فيها وتدبرهم لها ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي انزلنا بني اسرائيل منزلا مرضيا صالحا مصر والشام
وبيت المقدس ومبوا مفعول او مصدر والمفعول محذوف ورزقناهم من اللذايذ والحلال فما اختلفوا في امر دينهم
الا بعد علمهم بالتورية وما فيها من الاحكام وانه لا يجوز الاختلاف فيه او في امر النبي عليه السلام بعد ما عرفوا امنها بعثته ونبوته
وقيل جاءهم القران وقيل ما يودي الى العلم وهذا بناء على ان المراد ببني اسرائيل اليهود الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام
على ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما انهم قريظة والنضير وبنو قينقاع ومبوا الصدق ما بين المدينة والشام وسبب صيرورة
القران علة الاختلاف انهم كانوا يخبرون به فلما بعث حسدوه فامن بعضهم وكفر الباقون فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين اصل الشك ضم بعض الشيء الى البعض يقال شك الجواهر في العقد فان الشاك يضم
الى نفسه امرا اخر وليس المراد احتمال طريان الشك على النبي عليه السلام لان ذلك ينافي كونه نبيا وتهييج الرسول عليه السلام
دينية او الخطاب للنبي عليه السلام والمراد كل من يسمع فانه منزل عليه كانه قال يا من كنت في شك ايها السامع فيما انزل الى النبي

قال

فسال الذين يقرؤن الكتاب ويحتمل ان يقال المراد ان هذا طريق ازاحة الشك على فرض الوقوع فانه ليس محالا لذاته لان النبي
عليه السلام يشك فيه وكذلك نفي الامتراء والتكذيب اذ المعنى دم على ما انت عليه من اليقين والتصديق ويدل على هذا التاويل
انه لو وقع الشك لما ارتفع بقولهم واكثرهم كفار وانه كان على طريق التهييج فهو كقوله تعالى ولا تكونن ظهيرا للكافرين والخطاب
هنا ايضا قيل للامة نحو فان كنتم في شك مما انزلنا او لسامع يجوز منه الشك كقولهم اذا عز اخوك فهن وما قيل ان النفي
لا يلايم ذكر الفاء بعده فان قيل ما فايدة العدول عما هو صريح في معنى لم يحتج الى التاويل قلنا للاشعار بان ازاحة الريب من اهم
المطالب حتى لو فرض ممن يكاد يستحيل منه لذاته لزم طلب الطريق اليها واذا كان يخاطب من هو اعلى الموجودات وابعدهم
عن ان يحوم حول جنابه ادنى ريب في شيء ما من الامور الدينية كما قال عليه السلام لا اشك فيه ولا اسال بل اشهد انه الحق
وقال ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال منهم احدا فكيف بغيره وايضا العادة ان السلطان اذا اراد خطاب
جمع تحت حكم امير امر الامير به ليكون اقوى في قلوبهم وارادة الرسول مع الامة جايز وعلى هذا فالاستشهاد بنحو اذا طلقتم
ليس ببعيد ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم اي ثبت في اللوح
انهم لا يؤمنون فلا يتغير لانه علم الله ذلك منهم او حكم الله بذلك الامر ويقرب منهم لاملان جهنم او لعنة الله وسخطه ولو جاءتهم
مبالغة فان السبب الاقوى لحصول ايمانهم تعلق ارادة الله تعالى وهو منتف او حين راوا العذاب لم ينفعهم ايمانهم كالمغرغر
وقرئ كلمات والوحدة لوحدة الجنس فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين اي فهلا امن اهل قرية قبل مجيء العذاب كما فعل قوم يونس او لم تكن قرية
امنت بعد معاينة العذاب لارتفاع التكليف فينفعها ايمانها كما لم ينفع فرعون وغيره الا قوم يونس وفيه تحريض
على الايمان وعذاب الخزي هو الهلاك بالهوان والاستثناء متصل لان المراد اهل قرية اي لم ينفع الايمان قرية حينئذ
الا قوم يونس وان جعل منقطعا فالنظر الى الاختلاف في النفع وعلى ما ذكر الواحدي ان لو هنا وفي قوله فلولا كان
من القرون ليسا بمعنى هلا بل مطلق النفي اي ما كانت قرية يتعين الانقطاع لان اول الكلام جرى فهو مثل وما بالربع من احد
من احد الا اواري وما يقرأ بالرفع فعلى البدل روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فدعاهم وكرر
فابوا فاوحى الله اليه ان اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم وخرج من بين اظهرهم فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا
فانظروا فان خرج من بيننا فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما اصبحوا اغامت السماء غيما اسود هايلا له دخان شديد
فهبط حتى غشي مدينتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك وطلبوا يونس فلم يجدوه وقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى
الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ولبسوا المسوح واخلصوا النية واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين
كل والدة وولدها من الناس والانعام فحنت بعضها الى بعض وعلت اصواتها باصواتهم وحنينها بحنينهم وعجوا
وتضرعوا الى الله سبحانه وقالوا يا حي حين لا حي يا محيي الموتى يا حي لا اله الا انت فكشف الله عنهم وكان يونس قد خرج

ينتظر العذاب فلما كشف عنهم العذاب قال كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فذهب مغاضبا لقومه وركب السفينة
كما سياتي في قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين • ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون • اى لو تعلق مشية الله
بايمان الناس كلهم مجتمعين عليه من غير اختلاف فى شخص منهم لامنوا لكن لم يشا فلم يتفقوا عليه افانت تكره الناس بما لم يشا
الله منهم وفيه دليل على ان الكائنات بمشية الله تعالى لان لو لانتفاء الشئ لانتفاء غيره اى لم يحصل ايمان جميع اهل الارض
لعدم حصول المشية والحمل على مشية الالجاء خلاف الظاهر لا سيما وخالق القدرة المستلزمة للكفر هو الله تعالى وتعلم انه سبحانه
خالق الكفر والايمان حيث يجعل الرجس الذى هو العمل القبيح على العبد ويذهبه عنه كما قال يريد الله ليذهب عنكم الرجس
وترتيب الاكراه بالفاء على المشية وايلاء الفاء الهمزة يدل على انكار الاكراه وتقديم الضمير للاشعار باستحالة وقوع خلاف
المشية بالاكراه فكيف بمجرد التحريض قيل سبب النزول شدة حرصه عليه السلام على ايمانهم واكد ذلك بقوله سبحانه
وما صح لنفس من النفوس ان تؤمن الا بارادة الله وتوفيقه فلا تجهد نفسك فيه كما قال تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ويجعل العذاب المسبب عن عدم الايمان على من لم يؤمن حيث لم يعقل دلائله واحكامه او الشيطان او الغضب
وقرئ بالنون فان قيل ما التوفيق بين ظاهره وبين قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
وانه لا يصح شئ من العقود بالاكراه الا الايمان قلنا لعله قبل الامر بالقتال فان السورة مكية وان كان بعده فالمعنى
بيان ان الاكراه الذى ينتهى الى غاية تصدر الايمان من جميع من بعث اليهم ممنوع لا مطلق الاكراه وهو رد على القدرية
فى ان الله لا يشاء عدم الايمان فانه شر فلا يكون بمشيته وفيه دليل على انه لا حكم قبل الشرع لان الاذن عين الاطلاق
فى الفعل ورفع الحجر عنه وظاهر الاية يدل على ان قبل حصول هذا المعنى ليس له الاقدام على الفعل والكلام فى انه كذلك
بالبرهان العقلى ايضا انه لو وجب اما لفايدة اولا والقسمان باطلان فبطل الوجوب اما الاول فظاهر واما الثانى فلانه
اما للتكون وهو منزه او للشكر فى الدنيا وهو تعب من غير فايدة او فى الاخرة ولا يعلم الا بالشرع وفاقا • قل انظروا
ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين • اى تدبروا اى امر عجايب صنعه الدالة على وجوده وكمال قدرته وقرئ بكسر اللام
لالتقاء الساكنين والاصل فيه الكسر وايات السموات الكواكب وما فيها من المنافع ومقاديرها وكيفياتها وايات
الارض المعادن والنبات والحيوان وغيرها وما تغنى الايات المنزلة وايات الانفس والافاق عن قوم سبق فى
علم الله عدم ايمانهم ويحتمل ان يكون استفهامية غلبت انظروا عن العمل فانه بمعنى العلم اى ما ينظرون الا ايا ما تقع عليهم
العقوبة كالذين مضوا من قبلهم وايام الله عقوباته وايام العرب وقايعها فانتظروا امثالها او هلاكى فانى انتظره
ثم ننجى رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين • اى اهلكنا الامم ونجينا الرسل الى مثل ذلك الانجاء



فهو حكاية حال ماضية ويكون عطفا على المقدر مثل نهلك وننجى وكذلك حقا اعتراض اى حق ذلك حقا او صفة مصدر
اى انجاء حقا ننجى امة محمد وكذلك يصح تعلقه بالاول وبالثانى وما ذهب اليه المعتزلة من ان تخليص الرسل والمؤمنين
على الله واجب يجرى مجرى قضاء الدين وقد سبق ان المعنى بالوجوب ما يذم تاركه وهو باطل بل الوجوب بحسب الوعد
الذى لا يخلفه البتة • قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين • الخطاب لاهل مكة ووصفهم بالشك لترددهم عند نزول
الايات او شك بعضهم اى ان ترددتم فى صحة دينى فاسمعوا وصفه وتدبروا بعقولكم وهو انى لا اعبد الحجارة وما لا يقدر
على ضر ونفع بل اله العالم الخالق لما سواه الضار النافع لما ذكر الله الدلايل امر باظهار الدين ليزيل الشكوك والشبهات
والوصف بالتوفى للتهديد فان حقه ان يخاف ويتقى قد امرنى ان اصدق بما اوحى الى ودل على حقيته عقلى الذى هدانى به
واوجه عقلى بالكلية الى طلب الدين ومن المحال ان اوافقكم واختار الضلال على الهداية وتقديم نفى عبادة معبوديهم على عبادة
الله لان ازالة النقش الفاسد شرط للنقش الصحيح فى المحل وذكر التوفية للاشعار بانه المحيى المميت الباعث وقدر ناصرها
النفى واستعمال الامر لما كان بالباء ودونه والتقدير بان اكون مجاز ان يكون حذفها مطردا حيث هو مع ان وان يكون
غير مطرد مثل امرتك الخير وان اقم وجهك معناه استقم ولا تلتفت يمينا وشمالا او استقم فى الدين باداء الفرايض والانتهاء
عن القبايح او استقبل القبلة وان هى المفسرة لان الامر يتضمن القول وان عطفت على الموصولة وهى جملة محتملة الصدق
والكذب لانه لما وصلها بالامر يقتضى ان يكون معه فى تقدير المصدر لدلالة الامر عليه وشبهه سيبويه بقولهم انت الذى تفعل
كذا وجعل حنيفا حالا من الذين او جزء من الوجه لان وصف الوجه بالحنيفى باعتبار التدين بهذا الدين بخلاف الدين
ولا تدع ما يستقل بنفعك وضرك ومعنى فان فعلت اى ان دعوت وفيه اختصار واذن جواب للشرط وعن سؤال
مقدر كان سائلا قال ما الذى يترتب على عبادة الاوثان ولما لم يكن ظلم اعظم من الشرك جعل من الظالمين على اوجه من المبالغة
كيف والظلم وضع الشئ فى غير موضعه واذا كان ما سوى الحق معه ولا عن التصرف فالاضافة فيه وضع فى غير
موضعه واجراء هذا الكلام على ظاهره غير جائز كما سبق غير مرة بل المراد نهى الغير او كما قال فى المفاتيح من عرف مولاه
فالتفت الى الغير كان شركا وهذا الذى تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى وسياتى ان المراد بالشرك الخفى الرياء عند غيره
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
اى ان اصابك الله بضر لم يرفعه عنك الا الله وذكر فى الكشاف ان ذكر المس مع الضر والارادة مع الخير لارادة
الامرين فى كل منهما وانه لا راد لما يريد منهما ليدل بما ذكر على ما ترك وهو كما ترى مجرد دعوى لا دليل عليه نعم ذكر صاحب الانوار
ان الخير مراد بالذات وان الضر انما ابهم بالقصد الاول ومعناه ان ارادة الخير من غير ذكر امر آخر نص فى ان القصد متعلق

ارادته ايصال الخير الى الغير ومس الضر وان استلزم الارادة لكنه يحتمل ان لايكون بالقصد الاول بل الخير والضر
يكون تبعا قيل من المقلوب اى يردبك الخير وآلقلب للعناية وحق الكلام فلا راد له وذكر الفصل للاشعار بان ما يريد بهم من الخير
بمجرد فضله لا لاستحقاقهم ذلك وعدم الاستثناء في الثاني ليعلم ان ما اراده الله كاين لا محالة نعم انما يناله من عباده من تعلقت
به مشيته وذكر المغفرة والرحمة ليطلب الرحمة بالطاعة ويستغفر للمعصية وفي اختيار التباين اشارة الى غلبة جانب الخير
والرحمة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم
بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين اى جاءكم حق انقطع به معذرتكم وهو محمد عليه السلام
والقرآن فمن تبع الحق فقد اهتدى ونفع نفسه دل عليه اللام ومن ضل عنه واختار الضلال فقد ضر نفسه دل عليه على وما انا عليكم
بوكيل الى امركم بحيث اقسركم على ما اريد او ما انا بمسيطر واتباع الوحي بالتبليغ من البشارة والانذار والصبر هو
احتمال ما يلحقه منهم من المكروه الى ان يحكم الله بالنصرة او الامر بالجهاد فيكون منسوخا باية القتال والله خير الحاكمين حيث يطلع
على السراير فيجازى كلا بما يستحقه واصبر وا كما امرت بالصبر وروى ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة
وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال مالك لم تلقنا قال لم يكن عندنا دواب فقال ابن النواضح قال قد قطعناها في طلبك
يوم بدر وقد قال النبي عليه السلام يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى اثرة قال معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني
قال فاصبروا قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معوية بن حسان امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم
وعن ابن عباس ان هذه منسوخة باية القتال وذكر الصبر هنا للاشعار بانه ان اصاب النبي بسبب اتباع الوحي ضير فليصبر

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير
الر ان جعل اسم السورة او الكتاب فالخبر احكمت والا فالتقدير هذا كتاب فما بعده صفته وقدح الزجاج في الاول نظرا الى
الرئيس موصوفا بهذه وحده واستضعفه في المفاتيح لانه ليس المبتداء انحصار خبره فيه وقال الزجاج التقدير الر
هذا كتاب واستضعفه ايضا لانه يبقى الر كلاما باطلا بلا فايدة ولقايل ان يقول لا نسلم ذلك لانه ان جعل اسم السورة
على تقدير القسم وغيره فذاك وان اريد المؤلف فظاهر نعم يلزم على هذا القول ما لم يرض به في الاول من الحصر واحكامه اى وقع
على نظم رصين لا يقع فيه نقص اولم يقع فيه تناقض وكذب او ان ينسخ او ايات هذه السورة وعلى هذا يا سبب احكمه
من احكمت الدابة اذا وضع عليها الحكمة للمنع عن الجماح قال جرير ابنى حنيفة احكموا سفهاكم انى اخاف عليكم ان اغضبا
وقيل احكامها بالحجج فهو احكام من حيث المعنى او جعلت حكيمة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما لاشتمالها على اصول الاحكام
العلمية والعملية وتفصيلها اشارة اليه فانها قد فصلت كالقلايد بالفوايد من التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص
وان اريد بالكتاب القرآن صح ان يراد جعلها سورا والتفسير بعدم النسخ فيه يكون على التجوز ويقرأ فصلت اى فرقت

بين

بين الحق والباطل واحكمت وفصلت بالتكلم وثم ليس لتراخي الزمان بل لتفاوت المراتب ولعل تخصيص الوصف بالحكيم
الخبير هنا ليكون دليلا على اتصاف الكتاب بهذه الاوصاف حيث حصلت من عند العالم بكيفيات الامور ويكون من احكمت
وفصلت وان جعل صفة الكتاب او خبرا له افاد هذا المعنى لكن الاول اصح وان لا تعبدوا مفعول له او بيان ان جعلت
ان مفسرة لاشتمال التفصيل على القول فان قيل هل يصح جعله بدلا من الكتاب قلنا لا يبعد ان يكون بدل البعض وان وقع
الفصل بينهما لانه كالتتمة له وان يكون استينافا للامر بالتوحيد وكسران يدل عليه كما يقرأ به وتمسك المعتزلة على حدوث القرآن
لهذه الاوصاف فان المحكم هو الذى اتقنه فاعله والافتراق يكون بجعل جاعل وكذا القديم لا يقال له انه من عنده واجاب في المفاتيح
بالتزامه بالنسبة الى الحروف والاولى الجواب بمنع المقدمات التى لم يبرهن على شيء منها وانني يحتمل ان يكون كالعلة للامر
بالتوحيد بعلة بالبشارة بالامتثال والنذارة بالعصيان ويكون اغراء عليهما اعنى التوحيد والاستغفار وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير
الى الله مرجعكم جميعا وهو على كل شيء قدير وذكر التوبة بعده ثم اما لارادة الاستغفار عن الشرك ثم التوبة عن الذنوب
او الاخلاص في التوبة والدوام عليها حيث كان الاستغفار ايضا توبة وليعلم ان الداعي الى التوبة لا سبيل اليه الا بها
اذا اريد الجزم بحصوله والا فالله قد يعفو من غير توبة او استغفروا الماضي ثم توبوا اليه لا يقع من الذنوب بعد والامتاع
الذى وقع جوابا هو العيش في الامن والسعة الى الموت او القيمة ويعط كل من زاد في العمل زيادة الاجر او زيادة مقاصد
الدرجات في الجنة وذكر في المفاتيح ان فايدة يمتعكم متاعا حسنا في منافع الدنيا وفي الاخرة يؤت كل ذى فضل فضله رحمه الله
عليه يدل على ان جميع خيرات الدنيا ليس الا منه وبايجاده كان وقال الشيخ الامام الوالد لولا الاسباب لما ارتاب مرتاب
واكثر الناس عقولهم ضعيفة فاشتغال عقولهم بهذه الوسايط تصدهم عن مشاهدة ان الكل منه فاذا الوا واتابوا في المعارف
الالهية وخاضوا في بحار انوار الحقيقة علموا ان ما سواه ممكن لذاته موجود بايجاده فانقطع نظرهم عن سواه وحذف
احدى التائين من تولوا واليوم الكبير يوم القيمة وهو المعنى بالاجل المسمى وقيل المراد ان لا يهلكهم بالاستيصال وذكر
في الانوار ان الارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تغير ومعناه الجواب
عن لزوم التغير في القدير فانه لا يلزم من تعلقها بالاعمال ان لا تكون مقدرة لا تتبدل لجريها على وفق التقدير او يوم القحط
وتلوين الخطاب لتاكيد التحذير وكذا الوصف بكمال القدرة فانه يقدر على ان يعذبهم باشد العذاب وفي تقديم المعمول
دليل على ان لا مرجع الا الى الله وانه لا مدبر هناك الا هو لكن فيه بشارة فان الملك القاهر القادر اذا راى عاجزا اشرفا
على الهلاك خلصه منه ملكت فاسجح الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ثني الصدر عبارة عن الانحراف عن الحق فان المقبل على الشيء مستقبل بصدره
وقصدهم بذلك ان يستخفوا سرهم من الله فحذف المضاف واسند الى الضمير اى يخفى على الله فلا يطلع الرسول

والمؤمنين على سرهم والتقدير يثنون مريدين الاستخفاء ونظير اضمار الارادة قوله اضرب بعصاك الحجر فانفلق
اي فضرب فانفلق واضمار الارادة لصحة المعنى لان ثني الصدر بمعنى الاعراض اظهار للنفاق فلا تعلق به لام التعليل فاضمر
الارادة والمعنى يظهرون النفاق ومع ذلك يريدون الاستخفاء الاحين جواب يوافق كلامهم اي يريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم كراهة ان يسمعوا القران كقول نوح يجعلون اصابعهم في اذانهم اي كيف يستخفون ويفعلون
ما هو ادل على نفاقهم من ثني الصدر وما يسرون ما في قلوبهم وما يعلنون ما يتفقهون به او عمل الليل والنهار وقيل الليل وهو
وقت الاوى الى الفراش والتغطي بالثياب وهو مع انه ابلغ شي في الخفاء ظاهر على الله فلا تفاوت في علمه بين سرهم وعلنهم قيل
نزلت في الاخنس بن شريق كان حلو المنطق مظهر المحبة مع النبي عليه السلام مضمرا خلافها وقيل في المشركين قالوا
اذا ارخينا ستورنا واستغشينا بثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم والحمل على المنافقين لصاحب الانوار
فيه نظر لان الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة • وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل
في كتاب مبين • اي ما من حيوان يحتاج الى الاكل الا قد تكفل الله برزقها وصيغة على لا ينافي كونه على التفضل لانه مبالغة
في الثبوت كما قال كتب على نفسه الرحمة ومستقرها مسكنها من الارض ومستودعها المحل الذي كان مودعا فيه
من صلب ورحم وبيضة فان قيل فما فائدة ذكر هذا العلم هنا قلنا لعل الاشارة الى تحقيق ايصال الرزق فان العلم يجعل
المرزوق كالشرط الى قصد الرزق اليه وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ او لما ذكر العلم بالسر والعلن اردفه بكونه عالما
بجميع المعلومات لتحصيل هذه المهمات وكلمة على لا تدل على الوجوب الا بحسب الوعد والتفضيل • وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا • وجه الربط تحقيق نسبة العلم لتوقف خلق المذكورات
عليه اي خلقهما وما بينهما في مقدار من الوقت يقدر بستة ايام وقيل من ايام الاخرة وفيه دليل على ان اول مخلوق بعد العرش هو الماء
وانهما كانا قبل خلق السموات والارض وقيل كان الماء على متن الريح ولما دل البرهان على كونه سبحانه قادرا على كل الممكنات
لم يبعد امثال ذلك وانه لولا قدرته على امساك الثقيل بغير عمد لما امكن ذلك واللام علة خلق اي خلق ما ذكر لكونها مساكن عباده
لينعم عليهم بانواع النعم ويفعل فعل المختبر لاحوالهم فيجازي كلا بحسب عمله وتعليق فعل البلوى نظرا الى الاستفهام لتضمنه معنى
العلم كقولك انظر ايهم احسن وجها فانه من طريق العلم وذكر العمل الاحسن مع ان اعمال العباد قبيح وحسن فالعبارة ايهم
احسن العمل للاعراض عن اعمال السوء تنويها لصالحات الاعمال عن النبي عليه السلام ايكم ارجح عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • وجه الربط
ان حسن العمل يقتضي الجزاء المتوقف على البعث بحسب الوعد ويقرأ انكم بالفتح على تقدير ذكرت او على ويكون بمعنى لعل اي
توقعوا البعث ولا تقطعوا بعدمه لنسبوا قول النبي عليه السلام الى السحر وقرئ ساحر واراد وان بطلانه كبطلان
السحر ويستلزم انكار ما يتبعه من سائر السمعيات كالجنة والنار وقيل السحر الخداع وقيل خديعة جعلتموها ذريعة

الى

الى منع الناس من اللذات والانقياد لكم وطعنوا في القران كالطعن في البعث • ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة
معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • وجه الربط انه من جملة
المكروه مما اخبر به النبي عليه السلام فانه قد اخبر بالعذاب وحيث سواء اريد عذاب الاخرة او يوم بدر وغيره الى جماعة من الزمان
او جماعة معلومة او قلائل ليقول الكفار اي شي يحبس العذاب عنا استعجالا على وجه الاستهزاء فنبه سبحانه انه لا صارف
له بعد نزوله ويوم ظرف مصروفا وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها كما ذهب اليه سيبويه واستدل المانع بانه نفي فهو مثل ما
واجيب بان النظر الى فعليتها وعملها لذلك بدليل الا ما يا وفي الاية تقدم معمول خبرها والمعمول لا يقع الا حيث يقع العامل
والاخبار باحاطة عذاب استعجلوه بهم بالماضي لتحققه والعدول عن يستعجلون الى يستهزءون لان الاستعجال كان على وجه
الاستهزاء ولعله ابلغ في استحقاقهم العذاب فان الاستعجال لا يستلزم التكذيب من حيث هو • ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور • ذكر هذا الحكم لجنس الانسان لا لاستبعاد المؤمنين منه فهو مثل ان الانسان
لفي خسر وهو اعطاء النعمة والصحة او تمكينها من التلذذ يحتمل ان يكون للاشارة الى ان ثبوت هذا الامر لا يلزم ان يكون
لكل واحد من افراده فان اليأس الشديد بعد سلب النعمة والكفران العظيم على سوالف النعم لعدم ثقته بالله ليسا من عادة كل
احد اللهم الا ان يكون المراد ان هذه خاصيتهم لو لم يمنع منه مانع كما قال الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وقيل
الكافر لان الاصل في المفرد المحلى ان يحمل على المعهود السابق ولان الوصف باليئوس لا يليق الا بالكافر فانه يقع في
اليأس اذا سلبت نعمته لحمله اياها على الاتفاق والمسلم يثق بالله ان يعيدها احسن ما كانت • ولئن اذقناه نعماء
بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
واجر كبير • اي ولئن اذقناه حلاوة نعماء وهي نعمة تظهر اثرها على صاحبها والنعماء بالفتح لا غير مصدر فيه مبالغة كالبأساء
او نعمة مع اخرى كالمال والصحة اي ولئن اذقناه حلاوة نعماء وهي نعمة يظهر اثرها على صاحبها بعد اضافة فقر ومرض
ليقولن بعد كشفه ذهب ذلك عني وفرت نجحي لا يزول عني انه لبطر متفاخر على الناس باذاقة النعماء اياه وقوة الفرح
في الكافر فان منتظر طمعه الفوز باللذات البدنية لانكاره السعادات الاخروية واستثناء الصابرين لانهم ان اصابهم
خير شكروا له وان زال عنهم شر صبروا ولفظ اولئك للاشعار بان المغفرة والاجر للوصفات السابق قال في الانوار
وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ولعله اراد تخصيص الاذاقة بالنعماء والمس بالضراء تغليبا لجانب الرحمة واقول
في اسناد الاول الى نفسه دون الثاني مع ان الكل من عند الله ايماء الى ان المعطي بالذات الخير والشر تبع • فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شي وكيل •
حمل على انه لعلك تترك بعض الموحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة استهزائهم ولا يلزم من توقع حصول شي
وقوعه لجواز ان يكون الصارف وهو عصمة الرسل اقوى وقيل هم على ان لا تقرا عليهم ما يكرهونه حرصا على ايمانهم لما قالوا

اتينا بكتاب ليس فيه عيب الهتنا كما لك ونتبعك وهو اولى لان عدم القراءة في وقت لمصلحة لا يقتضي ترك
التبليغ وبلغ لا يوجب الفوز وفي الجملة اجمع المسلمون على انه لا يجوز ان يخون في الوحي لانه يرتفع الوثوق عن الرسالة
ويفوت المقصود من البعثة وذكر لعل لان العرب اذا ارادوا الابعاد قالوا لعلك تقدر وهم لا يشكون فيه وقولهم
لولا انزل عليه كنز اقتراح منهم وتعنت والا فقد ظهرت عليه ايات يكفي واحدة منها للمعتبر ومعنى ضائق انه يضيق صدرك
من التلاوة عليهم مخافة ان يقولوا هلا انزل عليه كنز ولم ينزل ما يكرهه او نزل ملك يصدقه في دعواه روي انهم قالوا
اجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بملئكة يشهدون بنبوتك ان كنت رسولا وذكر الضيق باسم الفاعل الدال على التجدد
دون الصفة المشبهة الدالة على الثبوت لانه كان يعرض للنبي عليه السلام ضيق الصدر احيانا لانه كان افسح الناس
صدرا تقول زيد سيد لمستمر السيادة وسائد لمن عرضت له السيادة والضمير في به اما لبعض الموحى او التبليغ به
او التكذيب فقال سبحانه ما عليك الا الابلاغ والله حافظ اقوالهم واعمالهم فتوكل عليه فانه يجازيهم • ام يقولون افتراه قل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون • ام منقطعة والتقدير اتقولون انه مفتري وقد سبق ان التحدي كان
اولا بعشر ثم بعد العجز عنها تحدى بسورة والمراد بالمماثلة المجانسة في جنس النظم والبلاغة وافادة المعنى والاخبار
عن المغيبات والاولى ان الحمل على مطلق السور لا على البقرة الى هود كما نقل عن ابن عباس لان بعضها مكية وبعض السور
المتقدمة على هذه مدنية وتوحيد المثل لارادة كل واحد والوصف بالمفتريات المختلقات بزعمهم اي ان كان الامر كما زعمتم
اني اختلقته فانتم فصحاء اهل اللسان فاختلقوا مثله فان سبب الاعجاز الفصاحة ولا تشكل بان المختلق لا يكون مثل الموحى
لان الكلام على الفرض واستعينوا بمن امكنكم الاستعانة به في المعارضة غير الله ان كنتم صادقين في انه مفتري من عندي
فان لم يات المدعون بما استعنتم فيه فاعلموا ان القران انما انزل ملتبسا بعلم مختص بالله سبحانه من النظم المعجز والاخبار
عن الغيب واعلموا ان الله متوحد بالالوهية لظهور عجز الهتهم وجمع الضمير على هذا الخطاب مع المشركين وان اريد
فان لم يستجب المشركون لكم فهو اما لارادة المؤمنين ايضا فانهم قد تحدوا مع الرسول عليه السلام او للتعظيم والاول اوفق
لقوله تعالى فهل انتم مسلمون لان ظاهره فهل انتم منقادون للرسول بالمتابعة بعد قيام الحجة القاطعة وعلى الثاني الثبات
على العلم واليقين وطلب الاخلاص وقيل المعنى ان لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن
بعلم الله فهل انتم بعد لزوم الحجة عليكم وقيل هذا اولى لعدم الاضمار • من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون • اي من قصد بصالح
عمله كمواساة الفقراء او ما قصده المرائي كالقارئ الذي اراد ان يقال انه قارئ او مواساة اهل الكتاب المحتاج
او جهاد المنافقين مع النبي عليه السلام ولم يقصد السعادات الاخروية نوف اليهم اجر عمله كاملا من غير نقص كالجاه

والرياسة

والرياسة وللاجير الغنائم ولا يبخسون تحقيق للتوفية ومن قال يختص بالكفار فلقوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
فالتقدير من كان يريد الحيوة الدنيا فقط وقيل منكروا البعث وقيل اهل الكتابين ويقرا يوف بالياء والنا على البناء
ويوفي بالرفع لان الفعل ماض مثل • وان اتاه كريم يوم مسألة • يقول لا غايب مالي ولا حرم • وانما لم يكن لهم في الاخرة الا النار
لانهم ما ارادوا بعملهم الا الدنيا وقد حصلت لهم وحبط صنعهم الذي ما ارادوا به وجه الله وعملهم باطل في نفسه لفقد شرط الصحة
فلا ثواب له وقد روي في المرائي انه قال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم القيمة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه
ويقرا بالنصب مفعول يعملون وما ابهامية او يكون في معنى المصدر اي بطل بطلانا مثل • ولا خارجا من في زور كلام •
اي خروجا وكانه علل الحبوط ببطلان العمل وبالعكس • افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى
اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون • الهمزة لانكار التسوية بين من كان على برهان من الله في عقايده واعماله يدل على حقيته وهو القرآن
وبين من لم يرد الا الحيوة الدنيا وزينتها اي ليس الموصوف بهذه الصفة كمن لم يتصف بها فحذف الجواب ونظيره
افمن زين له امن هو قانت وهو لعمومه يتناول النبي عليه السلام وكل مؤمن حتى اهل الكتاب الذين اسلموا كابن سلام وفي المفاتيح نخ
انه اظهر لان قوله اولئك يمنع من حمله على النبي عليه السلام وللقائل ان يحمله على التعظيم واذا كان البينة القران فمعنى يتلوه يقراه
عليه والشاهد جبريل يبلغه اليه من الله او ملك يحفظه وان اريد بها دليل العقل فالمعنى ويتبع ذلك الدليل القران النازل
من الله وقيل البينة بمعنى البيان وقيل ما عرف به صحة الدين الحق وقيل المؤمن على بينة ويشهد له النبي عليه السلام ونحو جئنا بك
على هؤلاء شهيدا وقيل يتبع محمدا علي بن ابي طالب وقيل ابو بكر ومن قبل القران او محمد التورية اي ويتلو ذلك البرهان كتاب موسى
وهو عطف على الشاهد وليس التبعية في الوجود بل للدلالة وقيل اللسان لسان محمد روى ابن الحنفية عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنهما ويقرا بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو كتاب موسى وهذا الضمير اما لمن او للبينة فان معناها الدليل
وقيل ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة اي هو لذلك فمعنى اماما اي قدوة لليهود او مطلقا ورحمة لا يناسب الفوز بخير الدارين
وهما حالان ويختلف العامل باختلاف التقدير والحاصل انه قد دل على صحة هذا الدين البينات العقلية والقران والتورية
وعند هذه الشهادات لا يبقى في صحته ريب واولئك الذين هم على بينة يؤمنون بالقرآن او بالتورية والحمل على ابن سلام لا يبعد
اذا تجوز باسناد الايمان ومن يكفر من اهل مكة وسائر من تحزب على النبي عليه السلام من اهل الكتب وغيرهم فمصيره النار ويقرا
مُرية بالضم وهي كالمكسورة اي في شك وتاويل الخطاب ما سبق وعدم ايمان اكثر الناس لعدم نظرهم وقلة تفكرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون • اي لا اعتى ولا اشد كفرا ممن اسند الى
الله ما لم ينزل وجمع اولئك لمدلول من وهم يحبسون في الموقف لتعرض اعمالهم ويشهد الملئكة والنبيون او الحفظة

او كل الخلق او جوارحهم بافترائهم على الله فيفضحون ويحصل لهم الخزي والنكال والاشهاد جمع شاهد كالاصحاب ويقولوا
لهم الا لعنة الله وسحقه على الكاذبين على ربهم وهو وعيد شديد وصفتهم انهم يصفون سبيل الله بالاعوجاج وهو العدول
عن الصواب واهلها بالارتداد بالقاء الشبهات وتكرار الضمير المرفوع للمبالغة في انحصار الكفر فيهم • اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض وما كان لهم من دونه من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون • اي ليسوا بفائتين الله فيفوت عقابهم ومعنى الاعجاز المنع من تحصيل المراد وما كان لهم
من اولياء في الدنيا يمنع عنهم العذاب لكن الله اخرهم الى اجل قدره لذلك وهو من كلام الاشهاد والظاهر ان التضعيف لهم
لمضاعفة جرمهم لانهم ضلوا واضلوا قبل به وقيل للكفر به وانكار البعث وقيل للضلال والاضلال وتقرا يضعف والاول
ابلغ ومن شانهم انهم من تصاممهم وثقل سماع الحق عليهم كانوا كمن لا يستطيع ان يسمعه فهو كقوله صم وكذلك لا يبصرونه
الايات لتعاميهم عنها واستدل الاصحاب به على جواز ان يخلق في المكلف ما يمنعه من الايمان قال ابن عباس منع الله الكافر
من الايمان في الدنيا بهذا وفي الاخرة بقوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وحمل على وصف الهتهم بذلك ليلزم منه
انتفاء ما اعتقدوه من الولاية ونسبة الخسران اليهم يحتمل ان يكون ترشيحا للمجاز الذي هو استبدال عبادة بعبادة الالهة
واكد ذلك بانه قد ضاع عنهم ما اختلفوه من ان الالهة تشفع لهم او التقدير خسروا بما بذلوا وضاع ما حصلوا فحق حقا
ان يكونوا اخسر الخاسرين اوكسب فعلهم انهم الاخسرون وقد سبق زيادة بيان له قيل لا حرف نفي وجرم قطع اي لا قطع
قاطع عنهم انهم الاخسرون • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون •
الخبت الارض المطمئنة والاخابت الخشوع والتواضع وقيل سكون الجوارح واذا قرا الاخبات بالطمانينة فالمعنى
عبدوا الله مطمئنة قلوبهم بذكر الله فارغة عن الالتفات الى الغير او مطمئنة الى صدق الله خائفين وجلين من وجوه
الخلل والتقصير واللام بمعنى الى ونظيره هذا لهذا وقيل اي من خوف ربهم وعطفه على الصالحات من باب عطف الاخص
على الاعم • مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا افلا تذكرون • اي مثل الكافر
كالاعمى الاصم لعدم انتفاعه بالحاستين فيما يتعلق بالسعادة الاخروية والمؤمن كالسميع البصير لان امره بخلافه فهو
من باب اللف او من قبيل عطف احدى الصفتين على الاخرى كالصالح والغانم فالايب فهل يستوي الفريقان في الصفة
والحال افلا يتدبرون في ضرب الامثال • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم • الاكثر على انه اعجمي وقيل لانه كان ينوح على نفسه والتقدير باني وكذلك صح كما في كان اي ارسلناه
ملتبسا بهذا القول وقرئ بالكسر على اضمار القول وكونه مبنيا باعتبار مقتضيات العذاب والمخلص منه قيل اوحي
اليه وهو ابن اربعمائة وثمانين سنة ودعاهم مائة وعشرين وعاش بعدهم ثلثمائة وخمسين والاقرب الى النص ما قيل
انه دعاهم تسعمائة وخمسين وقد اوحي اليه بعد خمسين وعاش بعدهم خمسين وان لا تعبدوا اجعل بدلا من اني لكم نذير

ولا يصح

ولا يصح الا بدل الاشتمال وان جعلت ان مفسرة فهي منصوبة بارسلنا اي ارسلناه بان لا تعبدوا او بتعلق بنذير
او جزم بالنهي والعذاب الاليم الغرق وصف به اليوم مجازا لوقوعه فيه فان المولم هو الله فهو مثل يا سارق الليلة
فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى
لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين • اي قال اشراف قومه اي الذين يملون القلوب هيبة من ملى بكذا اذا اطاقه
وقد سبق ما نراك الا ادميا وكيف نصير بعض احاد البشر واجب الطاعة لجميع العالمين مثلنا سمي به لظهور بشرته
وفيه تعريض بانه ليس باحق بالنبوة والاراذل الاخساء لعدم الشرف والمال جمع الارذل هو جمع الرذل وقيل
مدة اولى من كونه جمعا له ابتداء نظرا الى الزيادة المسبوقة بالشركة وهو الدون في منظره وحالاته وبادي قرئ بالياء
والهمز اي ظاهره او اوله اي اتبعوك من غير فكر في امرك ولا راي صايب فلعلهم يرجعون عند التامل وما اتبعك الاكياس
والاشراف او هم منافقون فيما اظهروا او هو من الروية او الرؤية ونصبه على الظرف اي وقت ظهوره فهو مقدر
بظرف الزمان فلا حاجة الى القول بالمصدر اويد الاكثر تكلفا وما نرى لك ولمن اتبعك من فضل علينا وقصدوا انه
ينبغي ان يكون الرسول ملكا ولما قصرت انظارهم على انحصار السعادات في الاسباب الدنيوية لا محالة كان الاقل
حظا منها ارذل عندهم فمن كان نظره الى ارباب الكمال نظر احتقار لذلك فقد شارك القوم في ذلك والعياذ بالله
وما هم الا كبهايم حرموا عن الكمالات النفسية فجنحوا الى اللذات الخسيسة فظنوا نوحا في دعوى النبوة كاذبا وقومه في تصديقه
وغلبوا المخاطب • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها
كارهون • اي اخبروني ان كنت على ثقة وبرهان من ربي ومعجزة يشهد بصحة دعواي وهو جواب قولهم بشرا مثلنا يعني
حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصوله وهو كذكر طريق دال على امكانه بان يعرف ذات الله وصفاته
وما يجب وما يمتنع وجعل الرحمة للمعجزة والبينة للنبوة اوفق للترتيب وعكسه انسب الى اللفظ وتوحيد الضمير في عميت
اي خفيت مع تقدم البينة والرحمة اما لانهما كالشيء الواحد او لان خفاها يقتضي خفاء النبوة او لارادة كل واحد او التقدير
فعميت الرحمة بعد البينة حيث انكروا النبوة بعد المعجزة فحذف اقتصارا على ذكره مرة وقرئ فعميت اي اخفيت والشيء
اذا بقي مجهولا اشبه العمى لان العلم نور البصيرة الباطنة والابصار نور البصر الظاهر فحسن جعل واحد منهما مجازا
عن الاخر ويقرا فعماها اي الله سبحانه واسناد العمى الى الحجة بالنظر انها لم يهدهم لعدم استعدادهم فهي كالاعمى لا يهدي
غيره وذلك لتصميمهم على الاعراض عنها بل لو تاملتم في الدليل حق التامل لظهر لكم المقصود ولذلك قال انلزمكم
على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ويجوز الاتيان باحد الضميرين منفصلا نحو يلزمكم اياها فانه قد اجتمعا وليس احدهما
مرفوعا وقد قدم الاعرف وهو ضمير المتكلم وسكون الميم عند المحققين لحن لان الحركة اعرابية وليس مقام ضرورة الشعر
فان قيل الاستفهام للانكار والمعنى انه لا يلزمهم مع كراهتهم وايمان المكره صحيح فكيف لا يلزمهم قلنا لعله لم يكن في دينه

كذلك او المعنى لو امكننى الالزام مع الكراهة لالزمتكم كافسريه ۰ ويا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجرى الا على الله

وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون

هذا جواب عن قولهم اتبعك الاراذل اى انا لا اطلب على تبليغ الرسالة مالا ليختلف الحال بكون المتبع فقرا او اغنياء

وانما اجرى على الله فلما كان المراد انه لا يسال الاجر على الدعاء الى الله وتبليغ الرسالة قيل يتعلق بقوله انى لكم نذير مبين

وجعل الغير المذكور لدلالة السياق عليه اى لا اطلب عليه جعلا بل الثواب على الله ولعل ذكر على لتاكد الوعد به وما انا بطارد جواب

لقولهم اطردهم لنؤمن بك استنكافا عن مجالستهم فاجاب كيف اطردهم وهم ملاقوا الله فيخاصمون طاردهم او

يكونوا من اهل الكرامة فكيف يطردونه وما اشاهد منهم الا الايمان وما يلزمنى ان اختبر باطنهم لاطلع على ما يوجب الطرد وتقرا

بالتنوين والعمل وفى طرح مفعول تجهلون المحتمل للسفه حيث سموهم اراذل مثل قولهم فنجهل فوق جهل الجاهلينا وجهل

الجزية او اللقاء نوع تاكيد ويحتمل ان يكون من قبيل يعطى ويمنع مبالغة ثم قال من ينصرنى بان يمنع عنى عذاب الله وانتقامه

ان طردتهم ونظيره قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية ومعنى التذكير ان يفكر فى الامر ويراجع

العقل ليدرك الصواب من الخطاء من التفرقة بين طلب طردهم وعدم التعرض لهم واستدل به على عدم الشفاعة لانه لو وجد

شفيع لوجد من ينصره اعنى نوحا وسبق ان النصرة دفع بقوة ولا يلزم من عدمها عدم الدفع بوجه آخر كالاستكانة له

ولا اقول لكم عندى خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله

اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ۰ اى لا ادعى ان فضلى عليكم بكثرة المال حتى تتجه انكاركم الفضل لعدم المال ويحتمل

ان يكون المراد انى لا اسال منكم اجرا للاستغناء بالمال بل لان الدعوة الى الله ليست الا لوجه الله والاعراض عن المال

مع عدم الغنى ابلغ فى التوكل على الله ولا اعلم الغيب عطف عليه اى لا اقول انى اعلم الغيب حتى تنسبونى الى الكذب او حتى اطلع

على بواطن اتباعى فاطردهم لانهم اتبعونى من غير بصيرة كما زعمتم بانى بشر مثلكم واستدل به على افضلية الملك لان الانسان

اذا قال انا لا ادعى هذا انما يحسن اذا كان ذلك الشىء اشرف احوال من حال ذلك القايل والقايل ان يمنع ذلك اولا ولئن

سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون ببعض الاعتبارات واذا قوبل مجموع فضايل احد الصنفين بالآخر كان البشر اعنى

الانبياء افضل من الملك وما ادعيت الملكية لاكذب ولا احكم على من احتقرتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله توفيقا وايمانا

كما قلتم الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ولا اوافقكم على ذلك لاكون مشاركا لكم فى الظلم وازدرى افتعل من زردت

على الشىء اذا عيبه وازدرى به بصره قلبت تاؤه دالا لتجانس الراى فى الجهرية قال فى الانوار الاسناد الى اعينهم

للتنبيه على ان ازدراءهم لم يكن الا بادى الرؤية من غير روية لما عاينوا من رثاثة حالهم من غير فكر فيه كالانهم ۰ قالوا يا نوح قد جادلتنا

فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ۰ اى خاصمتنا او دعوتنا وعظتنا فاطلت واتيت بانواع

او اكثرت الدعوة والوعظ فاتنا بالعذاب الذى وعدتنا به ان كنت صادقا فى الدعوى والوعيد فان الجدال



مطلب الاستدلال على افضلية الملائكة على البشر

تقليد الكفار كذا وجد فى الاصل

لا يجدى فينا وتقرا جدلنا وفيه دليل على ان الجدال فى تقرير الدلائل وازالة الشبهات طريقة الانبياء وملازمة التقليد

والجهل طريقة الكفار ۰ قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله

يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ۰ اى لا ياتى بالعذاب الموعود اليكم غير الله اى تعلقت مشيته به فلا يفوتونه

ولا يقدرون على الفرار منه وجواب الشرط وهو ان اردت محذوف دل عليه ولا ينفعكم ودخول هذا الشرط على

الشرط الاخر يقتضى تقدم الثانى فى التقدير اى ان كان الله يريد اغواءكم لم ينفعكم ان اردت نصحكم ونظيره ان احسنت

الى احسنت الى ان امكننى واذا قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم يطلق وهو

رد لنسبته جداله الى الباطل وهو دليل ظاهر على ان الاغواء من الله والقول بانه سمى ترك الالجاء وتخلية الكافر وشانه خلاف

الظاهر لا يساعد عليه لا اسعد الله قائله والتفسير بالاهلاك من غوى الفصيل اذا بشم فهلك وان قيل به فهو مرجوح لقلة الاستعمال

هذا وانه يصح ان يحمل الهلاك على الضلال قالوا لو اراد الله اغواءهم لما امر بالدعوة لعدم الفائدة والقايل ان يجيب ان العلم

بالاغواء يمنع الدعوة لا الاغواء فى نفس الامر وحيث لم يتحقق ذلك يجوز له الدعوة رجاء النفع فان قيل ما وجه الوصف بالرب

مع ذكر الاغواء وهو صفة اللطف قلنا اشارة الى ان الهارب عنده انواع التربية واليه رجوعه فيتوقع احسانه ويخاف

عقابه اذا عصاه وابطل استعداده كان الاغواء كالمسبب من فعله ۰ ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى

وانا برئ مما تجرمون ۰ ام منقطعة تفيد الاضراب عن النصح فيكون نسبة الافتراء الى نوح وذهب بعضهم الى انه اعتراض

خوطب به النبى عليه السلام ويقرا بالجمع ومفرده جرم كقفل ان صح انى افتريته فعلى وبال اجرامى اى اقتراف المحذور وحيث

لم يصح فانا برئ من نسبة الافتراء الى ولا يدل على انه شك فيه بل هو كلام يقال ولا يدل على وجه الانكار عند الناس

واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا

ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ۰ اقناط لنوح عن ايمانهم فلذلك دعا عليهم ومن امن من صدق من قبل وقد لمكانه

توقع الايمان منهم والابتياس افتعال من البوس وهو الحزن وجاء بمعنى الفقر والشدة والقول بانه بعد هلاكهم وحزنه

عليهم تعبيد لفك النظم بل المعنى لا تحزن بالتكذيب فانه قد قرب وقت الانتقام وقيل البوس حزن باستكانة وفيه دليل

على صحة القول بالقضاء والقدر لان مع الاخبار عن عدم الايمان يستحيل وجوده لاستحالة انقلاب ذلك الخبر كذبا وانقلاب

العلم جهلا واختلف المعتزلة فى انه هل يجوز ان يستاصل الله قوما فيهم من يؤمن او فى اولادهم ذلك اولا والاكثر على المنع

ومعنى اعيننا حفظنا اى اصنعها محفوظة اى ملتبسا باعيننا او على الملك الذى كان يعلمه الصنعة يقال فلان عين فلان

اى نصب متحفظا عنه شبهه بان الله يحفظه من ان يثنى صنعته او يمنعه عنها احد من الكفرة ومعنى وحينا اى كيفية

صنعتها نعلمها بالوحى اليك عن ابن عباس انه لم يعلمها فاوحى الله اليه اصنعها مثل جؤجؤ الطير ثم قال ولا تراجعنى فى

شان الظالمين ولا تدع بدفع العذاب عنهم لانه لما جرى به القلم الالهى باغراقهم فلا تنفع شفاعتك كما قال رسل الله

لابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك. ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم. روي انه سبحانه امره بغرس اشجار
الساج فلما ادركت قطعها حتى يبست ثم اتخذ منها السفينة ومعه اجراء ينحتون معه وقيل في مائة سنة وقيل في اربعمائة
كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة على ما نقل عن الحسن وقيل ثلثمائة وعرضها خمسون وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كانت ثلاث طبقات العليا للناس وواحدة للطير واخرى للوحش والدواب روي ان الحواريين
قالوا لعيسى لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى اتى الى كثيب من تراب فاخذ كفا منه فقال
اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم
ينفض التراب عن رأسه وقد شاب قال عيسى هكذا كنت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح فحدث كما ذكر الحسن وابن عباس رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله ننطلق به
الى اهلنا يجلس معنا يحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له فقال له عد باذن الله فعاد ترابا وروي انه لما كثر الروث
اوحي الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمز فظهر منه خنزير وخنزيرة تاكل الروث وكثر الفار فتقرض حبال السفينة فاوحى
الله ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج منه سنور وسنورة فجعلا ياكلان الفار قالوا يا عيسى كيف عرف
(قد علا عليه الخوف)
تراب البلاد قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فلذلك لا يألف البيوت وبعث حمامة فجاءت
بورق زيتون في منقارها وطين برجلها فطوقها الحلقة في عنقها ودعا لها بالانس فلذلك تألف البيوت ويصنع حكاية حال ماضية
او التقدير اقبل يصنع قيل في سنتين وقيل في اربعمائة واستهزاؤهم بان قالوا صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وكان عملها في برية بعيدة
عن الماء في وقت عزته وما رأوه من قبل وكانوا يتضاحكون فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقت الغرق والحرق او مثل سخريتكم او نستجهلكم
كما تستجهلونا في صورة الاستجهال والا فما لهم صادر عن الجهل بحقيقة الحال وما صدر منه عن الحقيقة فكيف يصدر عن الانبياء لانه نظير
جزاء سيئة سيئة ولا يشكل بان السخرية من امارات المعاصي فكيف يصدر عن الانبياء لانه جزاء سيئة سيئة وجواب كلما اما سخروا ويكون
قال استئنافا سائلا قال فما كان الحال بعده او يكون قال جوابها ويكون سخروا بدل اشتمال من مر او صفة لملأ ومن يأتيه مفعول تعلمون
او استفهام محله الرفع والعذاب المخزي اي المهلك المفضح هو الغرق الذي حل بهم حلول الدين اللازم والمقيم عذاب الآخرة لانه الدائم
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه
الا قليل. كما روي انه عليه السلام كان في صنعة الفلك الى مجيء امر الله يكون المعنى بحتى التي يبتدأ بعدها الكلام مجيء الموعد وما بين تصنع
وحتى حال من فاعله اي يصنعها في هذه الحالة وفار التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر يفور وهو تنور الخبز وابتداء النبوع منه خارق
وكان في الكوفة او في الهند قيل كان لنوح وقيل لآدم وقيل لحواء من حجارة وقيل بالجزيرة من عين تسمى الوردة وقيل وجه الارض وقيل
اشرف واعلا مكان فيها وعن علي رضي الله عنه انه طلوع الفجر فيحتمل ان يكون التقدير وفار النار حينئذ واللام يجوز ان يكون للعهد

وقيل

(في الهامش: وبيان طول سفينة نوح عليه السلام)
(في الهامش: عجب)

وقيل اسند الامر نحو حمي الوطيس والزوج الفرد من قوله ثمانية ازواج والاثنان المتشابكان على البدل كزوجي الحمام ويقال للواحد
كما يقال السماء زوج والارض زوج والشتاء زوج والصيف زوج اي احمل من كل حيوان فردين ذكر وانثى فزوجين هو المفعول
واثنين التأكيد او هو نحو الهين اثنين وسياتي انه يفيد معنى آخر غير التأكيد واهلك عطف عليه واراد اهله والمؤمنين من غيرهم والقول
بانه فعل ماض فضعفه استعمال على في المستثنى لانه للوعيد والاستثناء من امر الله بانه لا يخاطبه فيه امرأته وابنه وسائر الكفار ومن آمن
عطف على اثنين قيل كانوا ثمانين رجلا وامرأة وقيل نوح وامرأته وثلثة من بنيه ونساؤهم وقيل سبعة. وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها ان ربي لغفور رحيم. اي اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها على تقدير الوقت او لانهما للوقت
وعلى هذا الكلام واحد لانهما حالان عن ضمير اركبوا وان قدر مبتدأ او خبرا اي بسم الله اجراؤها وارساؤها حيث كانت تجري وترسو به فهو وحده
كلام مستقل على معنى ان نوحا اخبرهم بان الله مجريها ومرسيها بذكر اسمه او قدرته ويحتمل ان يكون جملة غير مستقلة في موضع الحال اي جاؤاهم
سكناء علينا فيكون التقدير اركبوا فيها مجراة ومرساة فيكون حالا عن ضمير الفلك والحاصل انه اخبرهم بان السفينة ليست سبب النجاة بل ينبغي
ان تربط الهمة بفضل الله تعالى وهو يحتمل ان يكون كلها واحدا اي اركبوا فيها قائلين او يكونا كلامين اي امرهم بالركوب ثم اخبرهم بذلك
(القائل صاحب الكشاف والقاضي)
وما قيل ان الاسم مقحم فضعيف للزوم الزيادة وايضاح الواضح لاسيما والمبالغة في الاول اعظم ويجوز رفعهما بسم الله على انهما مصدران وقرئ
مجريها بفتح الميم ويقرأ مرسيها كذلك وعلى الوجهين يحتمل الزمان والمكان والمصدر وكل وصف العنوان والرحمة لحصول النجاة المسبب عنهما
اي لم يزل عنهم عجب انهم انما نجوا بعلمهم الصالح. وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن
مع الكافرين. اي اركبوا فيها في حال تجري بهم في موج كل موجة منها كالجبل وهي ترتفع فوق الماء عند اضطرابه او حركة الكبير منه لدخول العصف
(رد على الزمخشري / اي ملاذا)
خلالها شبه بالجبل في تراكمها وارتفاعها وذكر في الانوار ان ما قيل من ان الماء قد طبق ما بين السماء والارض والسفينة كانت تجري في جوفه
ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان ثبت فلعله كان قبل التطبيق ولقائل ان يقول اي منافاة بين شبهها في الموج
وداخل الماء ليحتاج الى التأويل نعم لو كانت العبارة على موج لاحتيج الى ذلك وقيل شبه احاطة الامواج بها بدخولها فيها واسم ابنه كنعان
او يام وعن علي انه كان ابن امرأته ويقرأ ابنها اي ربيبه لاما ذكر من الهداية انه لغير رشده لان منصب الانبياء اجل من ان يقع ذلك عندهم
(رد على الزمخشري)
فيذكروا به لكن الظاهر انه ابن الصلب لقوله ان ابني ولا دلالة لقوله من اهلي على ما ذكر وقول اهل الكتاب وان لم يحتج به على ذلك لكنه
اذا وافق ظاهر الكتاب يكون قرينة والمعزل مفعل من العزلة وهو البعد بعد نفسه في المكان او الدين فخاطبه عليه السلام بان يسلم ويركب
وكان منافقا ويا بني قرئ بكسر الياء للاقتصار عليه من ياء المتكلم وبالفتح من الالف المبدلة منها او سقطت لالتقاء الساكنين فان الراء
ساكنة وقيل اركب بادغام الباء في الميم لا يقال كيف ناداه مع علمه بكفره ودعائه على الكفرة لانا نقول اراد ان يؤمن عند مشاهدة الغرق
بدليل ولا تكن مع الكافرين. قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.
اي سأصير اليه والمعنى لا عاصم من الطوفان شيء لا جبل ولا غيره الا المكان من سبق في علمه ان يرحمه وهو السفينة وقيل لم يوجد اليوم ذا عصمة
الا من رحمه الله فهو بمعنى المبيت كعيشة راضية وعلى هذا قيل على المفعول ومنه ناقة راحلة وماء دافق وسر كاتم وقيل مطلق الاتصاف

وقيل المعنى لا عاصم الا من رحم هو الله اى لا عاصم الا الله او نوح وقد هداه الى النجاة او التقدير لا عاصم اليوم لاحد الا من رحم نحو لا يغر اليوم
الا زيدا وان جعل الاستثناء منقطعا نظرا الى ان المفعول ليس من جنس الفاعل فالتقدير لكن من رحمه معصوم وحال بين نوح وابنه
او بينه وبين الجبل فصار من المهلكين بالغرق وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي
وقيل بعدا للقوم الظالمين البلع هنا النشف اى ادخليها في اجزائك بسرعة وتدرج واقلعي امسكي يقال اقلعت الحمى اذا زالت واقلعت السماء
اذا ذهب مطرها وغيض نقص اى غاب في الارض بان نشفته جاء لازما ومتعديا وقضاء الامر انجاز بعضهم واهلاك الآخرين والجودي جبل
بناحية الموصل او الجزيرة او بآمل استقرت السفينة عليه ومعنى بعدا اهلكهم الله هلاكا اى بعدهم من رحمته وهو من كلام الله سبحانه او المؤمنين
قيل ركبها عاشر رجب ونزل منها عاشر المحرم وهذه الآية مما اذعن لبلاغتها عامة الجاحدين والمعاندين لبلاغتها وفصاحتها وابراز لطايفها مع كمال
وجازتها وانه الوحي الالهي لانه يقصر عنه الطوق البشري على ما يستطلع على طرف من الفوايد البيانية واعلم ان اكثر لطايفها يدور مع الاستعارات
الحسنة وترشيحاتها والمجازات البليغة بالاشارة الى علاقتها فالقول المشتمل على خطاب السماء والارض المراد منه الارادة كما قيل وخطاب السماء
والارض لمشابهتها المامور المذعن المنقاد للامر لظهور القدرة فيهما ويحتمل ان يكون بخلق ادراك فيهما وسماع كلام كما ذكر في ائتيا طائعين
وعلى الاول استعار للغور البلع الذي هو حقيقة في عمل القوة الجاذبة لجذب الغذاء الى المغتذي كان الماء مطعومها وتسمى الاستعارة التصريحية
لذكر البلع الذي هو المشبه به وارادة الغور فان خروج النبات بالماء لقوتها شبه قوة المغتذي بالغذاء وتشبيه الماء بالغذاء
استعارة بالكناية لذكر المشبه والبلع ترشيح للاستعارة بعد جعل الارض مامورة به فانه من صفة المشبه به وهو الحي واضافة الماء
الى الارض الظاهر منها الملك لشدة الاتصال تشبيها بالملك وضمير الخطاب للترشيح والامر بالاقلاع الذي هو حبس المطر ايضا من قبيل
ما استعير لها وذلك تشبيها ترتب الامر بالمنقاد المطيع وفي المخاطب بالنداء الذي يخاطب به العقلاء ما سبق من الترشيح واختيار بناء المفعول
في قيل لانه لا مذهب للوهم الى انه يتاتى ذلك من غير قهار لا يغالب جلت عظمته وذكر البعد للظالمين دون ذكر قوم نوح للاشارة الى ان ذلك العذاب
ما استحقوه الا للظلم واما الاختصار فهو ان الاصل فبلعت الارض واقلعت وغيض الماء النازل من السماء فان قيل ما السر في ذكر الماء
عند خطاب الارض واضافته اليها دون السماء مع ان مصحح الاضافة قائمة في كل منهما لا يقال لانه لما تقدم ذكره كان تكرارا لانه لو قدم
ذكر السماء باضافة مائها اليها ثم ترك في الارض لصح التركيب هذا وان ابتداء الطوفان منها قلنا لعل السبب ان الشبه المقتضي للاضافة
باعتبار استقرار الماء فيها او ان الله جعلها سببا لوقوع المطر لتصاعد الابخرة منها على ما قيل او ان نزول المطر اسهل بل لا ضرر له
ما دامت الارض تبلع ماءها بل هو تابع فلا يعتنى بانقطاعها ما يعتنى بنضوبه فيها كيف واستقرارهم يتوقف على الاول دون الثاني
ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين المقصود من النداء السؤال عن موجب عدم انجاء ابنه مع الوعد
بانجاء اهله مع صدور الوعد الحق الذي لا خلف فيه وحيث عطف ما هو النداء علم ان المراد قصد النداء وان كان نفسه فهو تفسير له
ومعنى احكم الحاكمين اعلم الحكام واعدلهم او بناء الحكم (او اعلم بالحكمة) حاكم منها على طريقة دارع من الدرع فاجابه سبحانه بان عدم نجاته لانه ليس من اهله

وعلله

وعلله بانه عمل غير صالح وفيه اشعار بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وجعله نفس العمل للمبالغة كقول الخنساء في صفة ناقة
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اى مقبلة ومدبرة ولما اشعر قوله من اهلي بكونه ذا عمل صالح بين انتفاءه واعلم ان المقتضي
للنجاة هو الصلاح وهو غير حاصل وان جعل سؤاله مطلقا او مع قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فمعناه غير مرضي وقرئ عمل بالماضي
واستدل به على عدم عصمة الانبياء نظرا الى عود الضمير الى السؤال اى طلب النجاة للكافر وتسميته غير صالح والنهي عنه بقوله فلا تسألني
وانه بغير علم وقد قيل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واني اعظك ان تكون من الجاهلين وتسمية الذنب جهلا مشهور والا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين واجيب بانه لما دلت الدلائل على عصمتهم لزم الحمل على ترك الاولى وحسنات الابرار سيئات المقربين وللقائل ان يقول الطريق
في امثال هذه الاستدلالات منع المقدمات الواهية ابتداء واي حاجة الى تسليم مدعى الخصم ثم الجواب عنه مع انه لم يذكر ما يدل قطعا في معارضة
القواطع الدالة على عصمتهم ومنعه عن سؤال ما يعلم صوابه او جوازه في حكم الله واستدل بذكر المسئلة على ان السؤال كان قبل الغرق وهو كما ترى
دلالة ضعيفة وتسميته سؤالا مع انه نداء لانه في قوة قوله ما السبب في عدم انجائه مع كونه من اهلي وجعل سؤال ما لم يعلمه جهلا وانه لا يعود اليه
لانه يشبه فعل الجاهل وقرئ تسألن بفتح اللام والتشديد بفتح النون وكسرها واثبات الياء مع تشديد النون وتخفيفها واورد على المعاتبة
على هذا السؤال انه اذا يعلم متابعة ابنه فلما اشرف على الغرق تشابه عليه الامر لانه من اهله من سبق عليه القول ان فيهم من لا ينجيهم فكان عليه
ان يعتقد انه من المستثنين وذكر في المفاتيح انه اخطأ في الاجتهاد يعني في كونه مؤمنا او كافرا وللقائل ان يقول قد تقرر انه لا خطأ اجتهاد محمد
صلى الله عليه وسلم فكذا الحكم بنوح كيف وجواز ذلك يقتضي ارتفاع الوثوق من الاحكام الاجتهادية قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به
علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين استعاذ بالله سبحانه ان يسأله فيما يستقبل سؤالا لا علم له بجوازه اتعاظا بموعظة الله سبحانه
واعترف بانه ان لم يغفر الله له ما فرط من السؤال اكن من الذين خسروا في اعمالهم ومتعلق الجار والمجرور في به اما مضمر دل عليه علم مثل لا يحقق
لقوله كانوا فيه من الزاهدين او متعلق الظرف وهو الاستقرار قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم اى انزل الى الارض من الفلك سالما محفوظا من المكاره او مسلما عليك مكرما والبركات الخيرات النامية
ويقرأ بالتوحيد فيشمل البركة في النسل وهي الثبات والدوام ومنه بركة الماء حتى صار ابا البشر فان العرب من سام والحبش من حام
والروم من يافث وان حملت على النعمة وحدها ووجه الربط انه لما جرت عليه المعاتبة للسؤال بشره الله بالسلامة عن التهديد ولحوق مكروه
في الارض مع اغراق جميع ما فيها من الخيرات ومن لابتداء الغاية وعلى امم مبتدأة ناشئة مولودة ممن معك وان جعلت للبيان فيختص بمن معه
لكونهم جماعات او نشأت منهم الامم وامم مبتدأ للتخصيص بالوصف بقوله سنمتعهم والتقدير ان السلام والبركات عليك وعلى امم مؤمنين
يتولدون ممن معك وممن معك امم نمتعهم في الدنيا ثم يصيرون الى النار لكفرهم او قوم صالح وهود وشعيب وما اصابهم من العذاب
قيل ودخل في السلام كل مؤمن الى يوم القيمة وفي المتاع والعذاب كل كافر تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
فاصبر ان العاقبة للمتقين اى قصة نوح او السفينة الخبر بها بعض الاخبار المغيبة اوحيناها اليك وقد كانت غير معلومة لك ولقومك
مع كثرتهم ووفور عددهم ونفي العلم لا ينافي شهرة القصة اذ الكلام في التفصيل لا الاجمال من قبل ايحاء القرآن اليك او العلم الحاصل به

فتلك مبتدأ والمذكورات خبره فاصبر على الاذى الذي ينالك من الدعوة كما صبر نوح فان لك النصر عليهم كما كان لنوح وبه اشعر قوله
ان العاقبة اي بالفوز والظفر للمتقين وفي الفاء رايحة سببية القصة او الايحاء علة للصبر والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون اي واحدا من بينهم وهو عطف
على نوحا وهودا عطف بيان له ورفع غيره على انه صفة على محل الجار والمجرور وما يقرأ بالجر فعلى اللفظ اي ما انتم الا كاذبين في الاشراك بالله تعالى
والاخوة قيل كان من النسب لانه كان من قبيلة عاد ويقال يا اخا تميم والمراد رجل منهم واورد في المفاتيح انه كيف ثبت الاخوة ونفي النسب في ابن نوح
واجاب بان المراد رفع استبعاد امة محمد في بعث واحد منهم اليهم ولا اسألكم كما سبق انه ازاحة للتهمة فان المواعظ لا تنفع مشوبة بالمطامع
والاجر الجعل او الرزق والضمير للابلاغ وذكر الابلاغ هنا لعله للاشعار بان من قدر ان ينعم على بالوجود ولم اك شيئا فهو قادر ان يغنيني عنكم
افلا تستعملون عقولكم فتميزوا بين الخطأ والصواب ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين
اي اطلبوا المغفرة بوسيلة التوبة وما قيل معناه آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره فيه نظر لان الايمان لا يتحقق الا بترك عبادة غير الله وما قيل
ثم توبوا عن سوالف ذنوبكم انما يصح ان لو لم يهدم الايمان ما قبله والمدرار الكثيرة الدرور كالمغزار اي يرسل مطرا ساكبا وترغيبهم بذلك لشدة
حاجتهم حيث كانوا اصحاب زروع وبساتين وكانوا مفتخرين بالقوة بكثرة النعم والقوة على الانتفاع بها وقيل سببه انه انقطع عنهم المطر ثلث سنين
وعقمت ارحام نسائهم وقد روي ان الحسن بن علي علم من طلب منه ما يرزقه الله به الولد فقال عليك بالاستغفار حتى ربما استغفر في يوم سبعمائة
مرة فولد عشرة بنين فلما سئل عن سبب ذلك استدل بالآية ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم مجرمين مصرين على الآثام او مشركين
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون انكروا ما جاءهم به من المعجزة فقالوا ما جئتنا بحجة عنادا منهم
وعن قولك حال عن ضمير تاركي اي لا نترك كما صادرين عن قولك يقال صدر عن رأيه اذا اخذ بقوله وقيل عن جهة قولك نحو جيث عن يمينه واكدوا
عدم ايمانهم بقولهم وما نحن لك بمؤمنين اي لا يصح منا ان نصدقك فيما تدعونا اليه ومعنى اعتراهم آلهتهم نسبة احداث خبل وجنون اليها
احدثت في هود بسبب سبك وعداوتك اياها جعلوا الدعوة الى التوحيد خبلا وجنونا والاستثناء مفرغ والا لغو واعتراك مفعول نقول
واشهد الله جواب عن هذيانهم الذي ابرزوه في صورة الحق باشهاد الله على براءته عن آلهتهم وعدم المبالاة بضررها وامرهم بان يشهدوا
على ذلك عدولا عن قوله واشهدكم للاشعار بان اشهاد الله يفيد المبالغة في اثبات التوحيد والبراءة عن الشرك واشهادهم تهكم واستهانة بهم
ثم امرهم بان يكيدوه هم وآلهتهم اجمل ما يتصور منهم من غير امهال وتوان وما ذاك الا لعدم المبالاة وبذلك اعتمادا على الله في نصره وشد ازره
ولولا ذلك كيف اقبل الرجل الواحد على عالم من الناس بالغوا في عداوتي وايذائي ومثل ذلك لا يصدر الا عن واثق بالله تعالى اني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اي فوضت امري الى الله ووثقت بكلائته وكون ذاته مسخرة تحت قهره
وسلطانه تمثيل بالاخذ بناصيته وهي شعر مقدم الرأس وفي الاصل اسم منبته والعرب اذا وصفت بغاية الذلة قالت ناصية بيد فلان اي مطيع
لان كل من اخذت بناصيته فقد قهر او انه يجيبها ويليها كالدليل على التوكل فانها لا تضر ولا تنفع من غير ارادته سبحانه وهو على طريق العدل في سلطانه

اي على الحمد؟

مطلب

الخبل بالسكون الفساد وبالفتح الجن يقال به خبل اي شيء من اهل الارض صحاح



ولا يهمل انتصاف المظلوم من الظالم ويثيب المحسن ويعاقب المسيء او هو على طريقة ان ربك لبالمرصاد اي الطريق الذي لا يكون لاحد مسلك
الا عليه وان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ اي ان تتولوا
عن الايمان فقد اديت ما علي من ابلاغ الرسالة فيعذرني ربي ويحتمل فقد اعلمتكم بالابلاغ الزاما للحجة ويستخلف خلفا اي يخلف من هو اطوع لله منكم
في دياركم بعد اهلاككم بالاستيصال ويقرأ بالجزم هو ولا تضرونه عطفا على محل جزاء الشرط وهو فقد ابلغتكم ولا تضرونه الا انفسكم فان الحق تعالى
منزه عن التضرر بالمضار فاهلاككم لا ينقص من ملكه شيئا واذا كان حافظا على كل شيء فلا يترك مؤاخذتكم ومثله لا يكون في معرض التضرر بكم
ولعل ذكر على لان الحفيظ يتضمن معنى المهيمن او حافظ لاعمالكم او يحفظني من شركم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ اي لما جاء عذابنا او امرنا به الى عاد يعني الريح العقيم نجينا هودا ومن آمن معه اي حكمنا بانهم لا يستحقونه
قيل كانوا اربعة آلاف قيل العذاب انه كانت تدخل السموم من انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا او سبب النجاة رحمة الله اياهم
بالتوفيق للايمان والتنجية الثانية لبيان ما اطلق اولا او من عذاب الآخرة ايضا ففيه تعريض بانهم يعذبون به ايضا وتلك عاد جحدوا
بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود
اي القبيلة المذكورة عاد او الاشارة الى قبورهم يراها السايحون في الارض والخطاب مع امة محمد عليه السلام وجحدهم لدلالة المحدثات على وجود الصانع
الحكيم ان ثبت انهم كانوا زنادقة وذكر الرسل مع ان المرسل اليهم هو وحده لان عصيان رسول كعصيان الرسل ويحتمل ان يكون للتعظيم
والجبابرة رؤساؤهم والجبار كل كافر قهار يجبر غيره على مراده اي اتبع السفلة الرؤساء واتباعهم طاعتهم والعنيد من عند اذا تجبر وطغى وعند عن الحق
مال وذكر الا المنبهة مرتين مع الدعاء عليهم لتهويل ولحوق اللعنة في الدعاء ثم بعد هلاكهم من الملئكة والمؤمنين لاتباعهم الجبابرة وعصيانهم الرسل
ونصب يوم جاز ان يكون للعطف على المحل في هذه نحو قوله اذا ما تلاقينا من اليوم او غدا او التقدير ولعنة يوم القيمة وبعدا مصدر من غير جنس الفعل
اذ التقدير ابعدهم الله بعدا مثل انبته الله نباتا او ابعدهم فبعدوا بعدا والاول اولى لعلة التقدير والثاني لتناسب اللفظين وذكر الدعاء عليهم
بعد الهلاك حمل على الاشعار باستحقاقهم له ويحتمل ان يكون للحوق عذاب الآخرة بعد الهلاك وذكر هود على طريق عطف البيان مع الشهرة اما للاحتراز
عن عاد ارم او ليكون اتساهم بهذا الدعاء كالسمة اللازمة لهم ومنازلهم كانت باليمن والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب اي وارسلنا اليهم صالحا ومنازلهم بوادي القرى بين المدينة
والشام وعبادة الله توحيده وطاعته والامر بالعبادة قد عقبه بما يدل على وجود الصانع وهو كون الارض قابلة للعمارات النافعة وكون الانسان
قادرا عليها لاسيما حدوث الانسان فيه والعقل الهادي الى تلك التصرفات وذكر الانشاء بعد ذكر الضمير لافادة اختصاص هذه القدرة بالله سبحانه
من غير استعانة بشيء من الاسباب ومن الارض اشارة الى ان آدم خلق منه فالاولاد تابعة له او من نبات الارض فانه اصل النطف واستعمر
بمعنى اعمر كاستهلك بمعنى اهلك اي اعاشكم كقول استحياه اي تركه حيا او جعلكم عمارها روي ان نبيا من الانبياء سأل الله تعالى عن حكمة ابقائهم عمرا مديدا
مع ظلمهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي او جعلكم معمرين اي تسكنون في الارض عمركم ومنه العمرى يقال اعمرتك هذه الدار اي جعلتها لك
مدة عمرك وهو هبة ولعل ذكر الاستغفار بالفاء لان ما تقدم كالسبب له فان المنعم ينبغي ان يشكر ولا يكفر واذا كفر استغفر بالايمان والديانة

قريب الرحمة مجيب لمن يدعوه طها وقيل معنى استعمركم جعلكم عمارها قيل كان ملوك قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وهو سبب تلك الاعمار
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب • اى كنا نرجوا الانتفاع بك
فى المشاورة والتدابير لما نرى فيك من مخايل الرشد والعقل والرأى والعفة او كنا نرى فيك خيرا فرجونا ان نعدك علينا او ان تكون على ديننا
ونعبد حكاية حال ماضية والمريب الموقع فى الريبة وهو قلق النفس وقد سبق واسناده الى الشك مع انه قايم بنفس من الريبة على التجوز والشك
التوقف بين النفى والاثبات والمريب هو الذى يظن به السوء والمعنى انه لم يترجح عندهم فساد قوله • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى
وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير • الاتيان بحرف الشك مع كمال اليقين للتنزل مع الكافرين به اى على فرض
ان استنبانى وآتانى المعجزة ان وافقتكم الى ما تدعوننى اليه وعصيته فمن يمنعنى من عذابه وجواب الشرط الثانى محذوف دل عليه الاول مثل ان دخلت الدار
فانت طالق ان كلمت زيدا ثم ان عصيته فما تزيدوننى اذا غير ان تخسروا اعمالى ولا تزيدوننى بحكمكم ابائى على الكفر الا ان انسبكم الى الخسران او بصارة فى خسرانكم
او ما تزدادون الا خسارا والنسبة الى نفسه لانهم ارادوا الكفر واراد منهم الايمان ويحتمل ان يكون المعنى اى ان وافقتكم وعصيت الله فحسبتم على
لم يكن ذلك الا تخسيرا لمن اعتبر ذلك • ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها
فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب • لما سالوا آية تدل على نبوته اخرج الله ناقة من الصخرة دالة على نبوته والاضافة لذلك ووجه الدلالة
انها خرجت كما سالوها لها شرب يوم ولهم شرب يوم ويستقى من لبنها خلق عظيم لذلك وآية نصب على الحال من لكم وتقدمها لئلا يلتبس بالصفة اشير المدلول
عليه بهذه وقرب العذاب بان لا يتأخر عن مسها بالسوء وهو عقرها بان يقع بعد ثلثة الاربعاء والخميس والجمعة ولعل العدول عنه الى المس ليكون ابلغ
فانه يلزم الثانى من الاول دون العكس فلما عقروها لابطال المعجزة او الضيق قال تمتعوا العيش فى بلدكم ثلثة ايام وتسمية البلد بالدار لانه يدار فيها
اى يتصرف ولذلك يقول لمكان حوالى المدينة نحن من عرب الدار او فى ديار الدنيا وغير المكذوب للمجاز كقولهم ويوم شهدناه اى غير مكذوب فيه او كانه
صدق مع الوعد ولم يكذب فيه او جعل مصدرا كالمعقول والمحصول فالتقدير وعد غير كذب فان قيل ما فائدة العدول عن التصريح بالصدق الى هذه العبارة
قلنا لما كان القوم مكذبين له كانت ان نسلك عليهم وايضا هو ابلغ من الصدق فان الصدق قد ينسبه المعاند الى الكذب وهذا مما لم يقع فيه الكذب اصلا •
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود • اى نجيناهم من عذاب الصيحة والخزى ما يستحيى منه لظهور فضيحته او عذاب
يوم القيمة او الواو للعطف على مقدر اى نجيناهم من ذلك العذاب ومن خزى يومئذ او التقدير نجينا صالحا ومن خزى يومئذ وقرئ اليوم على الفتح
لاضافته الى المبنى كالفتح فى قول الشاعر • على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما اصح والشيب وازع • كما يكتسى التعريف منه وسبب الكسر انه اذ
انه يضاف الى الجملة من المبتدأ والخبر نحو جئتك اذ الشمس طالعة فلما قطع عنه المضاف اليه نون ليدل عليه والقراءة بالكسر لاضافة الخزى الى يوم
ولم يلزم من اضافته الى المبنى ان يكون مبنيا لانها غير لازمة والتنوين عوض من المضاف اليه وهو معطوف على نجينا اى نجيناهم وكانت التنجية
من خزى يومئذ والصيحة كانت من جبريل وهو صوت فى فم وحلق حيوان او العذاب من قولهم صاح به اذا زجره وقيل الصاعقة وسبب الموت
انما هو غشاء الدماغ او الهيبة الشديدة وديارهم منازلهم والجثوم السقوط على الوجه او القعود على الركبة او السكون وجثم الطير بات فى وكره

قيل

قيل ماتوا جميعا فاصبحوا موتى جاثمين سوى رجل واحد حماه حرم الله من عذابه وفى الخبر انه جد ثقيف وثمود قرئ مصروفا وممنوعا منه نظرا الى الحى
والقبيلة والكلام فى تكرير الا والدعاء عليهم قد سبق فى عاد • ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قايمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب • قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل وقيل جبريل فى اثنى عشر وقيل تسعة وقيل الكل احد عشر والبشرى الولد وقيل هلاك قوم لوط وسلاما
ونصب سلاما على المصدر من غير فعله اى سلموا سلاما مثل كلم كلاما وقيل مقول القول فانه اذا وقع مفردا بمعنى الجملة ينصب نحو قول سامع الاذان قلت حقا
اى الله اكبر ويقرأ قالوا سلما وقرئ قال سلم وهو بمعنى السلام كالحرم والحرام او بمعنى الصلح وعلى الاول قوله • مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت •
كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح • وتقدير سلام عليكم اى سلام والرفع ابلغ لما فيه من البيان ولعل ذلك ليكون الجواب احسن فان الانبياء يسمعون القول
ويتبعون احسنه وقال سبحانه فحيوا باحسن منها او ردوها وذكر فى المفاتيح ان سلاما ابلغ من السلم لان التنكير يفيد الكمال والسلام يفيد الماهية
وجعل ذلك مصححا للابتداء بالنكرة ولقايل ان يقول المحلى ابلغ من المعرى لانه يفيد الاستغراق كما فى الحمد لله الذى هو قايل به وقد سبق فما لبث
فما ابطأ مجيئه بالعجل وما لبث بالمجئ به والتقدير عند الخليل عن ان جاء فهو مجرور وقال الآخرون منصوب وفيه نظر والحنيذ ما شوى بالرضف فى اخدود
او يقطر دسمه كقوله تعالى بعجل سمين من حنذت الفرس اذا اجللته حتى يقطر عرقا او مسموط ومجيئهم على صورة الاضياف لمحبة ابرهيم عليه السلام الضيف لا سيما
وقد انقطع عنه خمس عشرة ليلة ولم يعلم انهم ملائكة وهم لا يأكلون فلما رأى لا يمدون ايديهم الى الطعام انكر منهم ونكر بمعناه لخوف مكروه قال الاعشى •
انكرتنى وما كان الذى نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا • وما قيل ان الظاهر انه عرفهم انهم ملائكة ونزولهم لامر انكره الله عليه او تعذيب قومه
بدليل لا تخف وانه لا يقال الا لمن عرفهم مجرد دعوى بل لما كان فى طرف وكان عادة من اراد المكروه لا يأكل خاف من ذلك وقولهم ذلك لقراين
او اعلام الله اياهم او لان كونهم ملائكة يوجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب ومعنى اوجس اضمر بان وقع فى نفسه والايجاس الادراك
وروى انه عليه السلام سالهم عنه فقالوا لا نأكل الا بثمن فقال ثمنه ان تسموا على اوله وتحمدوا على آخره فقال جبريل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه
ربه خليلا • فضحكت امراته فقالوا لا تخف انا ملائكة بعثنا الله لعذاب قوم لوط وقيام امراته سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عمه اما لخدمة الاضياف
كنازل الصحراء ولم يجب الاحتجاب وقيل كان وراء الستر تسمع مقالهم وقيل دعا جبريل فاحيى الله العجل فقام يطير فخرجت لهذه العجيبة وقيل عن الولد
وقيل للصلوة ويقرأ وهو قاعد او جالس وضحكها قيل للامن او هلاك الكفرة وكانت تقول لابرهيم ضم اليك لوطا فانى اعلم انه ينزل عليهم عذاب
وفى مصحف عبد الله وامراته قايمة وهو قاعد
فاعجبها ظهور الامر على ما توهمت او تعجبا من احياء الله العجل او من امتناع الضيف من الاكل وسببه التعجب وقيل حاضت يقال ضحكت الارنب اى حاضت
وهو يناسب البشارة بالولد ويكون ذلك من امارته وهو اما قبل البشارة بالولد او بعدها قال الشاعر • وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة •
ولم تعد حقاقا ثديها ان تكعبا • واللبابة ثوب يغطى به وقيل اشرق وجهها ومنه الروض يضحك ويقرأ بفتح الحاء ويعقوب مبتدأ مقدم عليه خبره
لان التقدير ويحدث من وراء اسحق يعقوب مولود او موجود ومعنى وراء بعد او ولد الولد كما قال الشعبى لولد ولده انه من الوراء وقرئ بالنصب
اى ووهبنا يعقوب وفى العطف على موضع اسحق او على لفظه فانه غير منصرف وان فتحته للجر لوقوع الفصل بالظرف بين الواو والمعمول وتخصيصها
بالبشارة لظهور الاثر الذى هو الحيض عليها او لان النساء اشد سرورا او لانه لا ولد لها وكان لابرهيم اسمعيل والتسمية يجوز ان يكون من الله سبحانه

قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد

أي يا عجبا وأصله للشر لان المعنى طلب حضور الويل وهو حلول الشر ويطلق في كل فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة وقيل الف الندبة

وقيل أصله وي وهو الحزن فويله أي حزن له وقال سيبويه هو زجر لمن أشرف على الهلاك والويل زجر لمن وقع فيه وكان سنها تسعين أو تسعا وتسعين

وشيخا حال عاملها معنى اسم الاشارة ويقرأ بالرفع على هو شيخ أو خبر هذا وبعلى بدل منه قيل كان عمر ابراهيم عليه السلام مائة وعشرين وتعجبها من محيء الولد

باعتبار العادة منهما فان الرجل المسلم اذا اخبره من هو متحقق الصدق بان الله يقلب هذا الجبل ذهبا تعجب نظرا الى العادة لا لانكار قدرة الله

لا بالنظر الى القدرة الالهية فان من كان من اهل بيت النبوة وقد شاهدت عظائم المعجزات كانطفاء تلك النيران وانقلاب البطحاء حوارى

وخصها الله بمزيد الكرامات وقد شابت في ملاحظة الآيات لم تستبعد امثاله ولم تستغربها واهل البيت نصب على المدح او الاختصاص

ومن بركاته ان جميع الانبياء بعده من نسله وهو حميد اي محمود لفعل ما يستحق به الحمد ويوصل العبد الى مراده فلا يبعد ان يرزق الولد في اوان الكبر

او حميد مؤمني عباده والمجيد كثير الخير والاحسان او الكريم العظيم فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم

لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود الروع الفزع اي لما زال الخوف واطمان قلبه

بسبب البشرى وجواب لما محذوف دل عليه يجادلنا فرغ لخطابنا وهو استيناف وقيل القياس جادلنا ليناسب ذهب والتقدير اخذ يجادلنا

اي يجادل رسلنا او التقدير جادلنا وهو حكاية حال ماضية ويقويه ما قيل ان لما ترد المضارع الى الماضي وروي في جداله انه قال لهم ارأيتم

لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا وان ينزل حتى قال رجلا واحدا فقالوا لا فقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه

واهله وروي انهم قالوا لو كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وقيل عدد الكفار اربعة آلاف لا يقال كيف جادلهم مع علمه بانهم يفعلون بامر الله

لانا نقول شبهت هذه المقاولة بالمجادلة لا انه جدال حقيقي وانه كان بسبب مقام لوط فيهم بدليل قوله ان فيها لوطا والعجب من صاحب المفاتيح انه حمل على انه

توبيخهم مع ان الملكة اخبروا عن وقوع العذاب وقال المعتمد عندي انه كان بسبب رجاء التأخير فان الامر لا يوجب الفور ويمكن ان يعتذر عن حمله

على التوبة بقوله عذاب غير مردود والحليم الذي لا يعجل عقوبة من اساء اليه أواه كثير التأوه من الذنوب او تأوه لمشاهدة الملكة لاهلاك قوم لوط

والمنيب الراجع الى الله ما يحب ويرضى وهذا يدل على كمال رقته ورأفته وقيل منيب اي يرجع الى الله في ازالة ذلك العذاب عنهم وتصدير الاوصاف بان

للاشعار بانها هي التي حملته على المجادلة رجاء ان يمهلوا ليتوبوا فقالت الملكة له يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال فانه لا فائدة فيه فانه قد جاء قضاء الله

الذي لا مرد له بجدال او دعاء فخرجوا الى قرى قوم لوط وهي على اربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم

عصيب انما ساءه مجيء الرسل وجاء لازما ومتعديا وضاق صدره لانه خاف عليهم خبث قومه كما جرت به عادتهم مع امثالهم فيعجز عن مدافعتهم

وقيل لانه لم يجد ما ينفق عليهم او لانهم منعوه من انفاق الضيف وذرعا منصوب على التمييز روي انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد لوط اربعا

فلما اخذهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اربعا اشهد انها لشر قرية في الارض عملا فاخبرت بهم امرأته قومها وقالت

ما رأيت احسن منهم وجها ولا اطيب ريحا ولا انظف ثيابا والعصيب من عصبه اذا شده والعصوصب الشديد وجاءه قومه يهرعون اليه

ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد يهرعون يسرعون

قيل

قيل مع رعدة كانهم يدفعون دفعا وقيل يحث بعضهم بعضا وذلك لطلب الفاحشة منهم وقيل هذا لفظ صيغة الفاعل على لفظ المفعول

نحو اولع وارعد وقيل لا يجوز ذلك بل التقدير اولعه طبعه واهرعه خوفه او حرصه ومن قبل مجيء الرسل قد اكثروا فعل الفاحشة اما باتيان الذكران

او ادبار النساء فتمرنوا عليه ولم يمنعهم حياء حتى جاؤوا مسرعين مجاهرين قيل اراد بالبنات زعوراء ورثاء اراد ان يزوجهم او من ستيدهم

المطاعين ابنتيه وكان النكاح من الكافر جائزا او وقاية لاضيافه فانهم طلبوا من قبل فابى او بنات قومه فان النبي ابو الامة كما يقرأ وازواجه

امهاتهم وهو اب لهم وقيل شرط الايمان وقيل لانه لو كان فحش لما دعاهم اليه ويحتمل ان يكون من باب اعدل لابني مروان ويقرأ بالنصب فيكون حالا

ويكون هن خبر بناتي نحو هذا اخي هو ولا يجوز ان يكون ضمير الفصل لانه لا يقع بين الحال وصاحبها بل يقع بين جزئي الجملة والعامل معنى الاشارة

فاتقوا الله في ارتكاب الفاحشة او في اختيارهن عليها ولا تخزون اتام الخزي اي لا تفضحوني او من الخزاية وهي الاستحياء اي لا تخجلوني وذلك

ان المروة تحكم بان من خزي ضيفه فقد خزي نفسه اي لا تخزوني فيهم أليس منكم رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل او من يرد هؤلاء الاوباش

عن ضيفي والضيف بمعنى الاضياف كالطفل في قوله تعالى او الطفل الذين قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي

بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي ليس لنا بازواج لانك لا ترى المناكحة معنا او ما لنا شهوة او ليس نكاح الاناث مذهبنا واكدوا ذلك بانه

يعلم ما يريدونه من اتيان الذكور وجواب لو محذوف مثل ولو ان قرآنا وقوله لو كان لي حال لدفعتكم او فعلت بكم ما تستاهلون وهو ابلغ لانه يذهب الوهم

الى انواع التدابير يقال ما لي به قوة وطاقة اي لو قويت بنفسي عليكم لدفعتكم والايواء الى الركن الشديد التمنع بالقوي العزيز الذي يحمي من يلتجي اليه

من قوم وعشيرة وشبهه بالركن من الجبل في شدته وروي ان الملائكة غضبوا وقالوا ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا

كان يأوي الى ركن شديد وروي عن ابن عباس ان الله ما بعث نبيا بعد هذه الكلمة الا في عز وثروة ويقرأ آوي بالنصب باضمار ان مثل

للبس عباءة وتقر عيني والحلول عليه طلب المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه فانه اسم فيقدر ان بتقدير المصدر ويقرأ ركن بضمتين

قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم

الصبح أليس الصبح بقريب قالوا هذا الكلام حين اغلق بابه يدفع قومه عن ضيفه يناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار وقيل

لا تراهم بعد او لا يصلوا اليك والينا فهون عليك فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم قيل كان عليه وشاح من در منظوم

وهو براق الثنايا فاعماهم فلم يهتدوا الى منازلهم وقالوا في بيته سحرة كما انت يا لوط حتى يصبح فقالت الملكة انا امرنا باهلاكهم حتى يبلغ الصبح

فاخرج انت مع من آمن بك والقطع طائفة وقيل آخر الليل وقيل نصفه وامرأتك بالرفع على انه بدل عن احد وهو المختار في استثناء المنفي فان العامل

ضعيف في النصب وقرئ به على انه استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه ما يقرأ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك والنصب عن لا يلتفت

صحيح مرجوح وقرئ بقطع الالف ووصلها يقال سرت واسريت فيهما لغتان ومن الاول سبحان الذي اسرى ومن الثاني والليل اذا يسر

فان قيل مقتضى الاسباب في قوله فاسر انه ما سرى بها وعلى الابدال من لا يلتفت انه اسرى بها وما قيل انه اختلف في انه سرى بها او خلفها

واختلاف القراءتين للروايتين لا يدفعه لان القراءتين صحيحتان والقول بهما يقتضي التنافي فيحمل على انهما قد استثنيا من قوله ولا يلتفت

والالتفات نظر الانسان الى ما وراءه وقيل المراد قطع تعلق القلب عما تركوا فيها من الاموال وغيرها قلنا من الجائز انها سرت بنفسها

روي انه عليه السلام سأل عن وقت هلاكهم فقالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرأ بضم الباء روي انه سمعت
الهدة فالتفت واقوماه فادركها حجر فقتلها. فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد. اي جاء امرنا بان امر الله جمعا من الملئكة تخربوا تلك المداين فالامر هو ضد النهي وقيل هو مثل قوله انما امرنا لشيء الآية
او اهلاكنا اي الحكم به ادخل جبريل جناحه تحت المؤتفكات سدوم وعامورا ودادوما وصبوايم فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب
ثم جعل عاليها سافلها والاسناد الى نفسه لانه المسبب بقضاء الامر وامطر عليها اي على شذاذها ومسافريها والسجيل معربة من سنك كل كقولهم
حجارة من طين وقيل حجارة صلبة او الشديد او من مثل السجيل وهو الدلو في الارسال او مما كتب الله ان يعذبهم به ومنه السجل او من سجين اي جهنم
وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة ومنه قوله تعالى من جبال فيها من برد والمنضود ما وضع بعضه على بعض حتى صار
حجرا واحدا او مصفوف في تتابع والمسومة المعلمة للعذاب وقيل مسومة ببياض وحمرة او خطوط حمر على هيئة الجزع او اسم من يرمى او بسيما
يعلم انها ليست من جنس حجارة الارض ومعنى عند الله في خزائنه والظالمين قيل اهل مكة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال من ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه او القوى اي قريبة من ظالمي مكة او ما هي بمكان بعيد لقرب الوصول وان كانت في السماء وعد ذلك من المفاتح
معجزة وفيه نظر لانه لم يؤت به التحدي. والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم
بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط. اي ارسلنا الى بني مدين بن ابراهيم او هذه المدينة او القرية المنسوبة اليه شعيبا وكانوا مطففين فامرهم
بالتوحيد اولا لانه الاصل ثم ان يوفوا حقوق الناس ولا ينقصوهم لانه كان من عادتهم البخس والمكيال ما يعدل الشيء في القلة والكثرة والميزان
ما يعدل به الشيء مقابلا بآخر والكل نوع والخير النعمة المغنية عن التطفيف او نعمة من الله حقها ان يشكر الله بها لا ما يفعلون او لا يزيلوه بما يفعلون
ولعله يناسب قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله سبحانه واذا اردنا ان نهلك قرية الآية والمحيط المهلك من احاطة العدو
ومنه احيط بثمره وهو عذاب الاستيصال او يوم القيمة ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب لان اليوم يشتمل على غيره من الحوادث فيكون
قد اجتمع للمعذب جميع ما فيه هكذا قيل وفيه نظر لان الجنس المضاف للاستغراق فعذاب اليوم يشمل جميع انواعه اي يحيط احاطة الدايرة بما فيها
وقيل معنى اخاف اعلم والاكثر انه على اصله لجواز انهم لو تركوا لم يحصل العذاب. ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ. الايفاء اتمام الحق والقسط العدل مصدر لم يستعمل فعله
والامر بالايفاء بعد النهي عن التنقيص جمع بين المنع من القبيح والامر بالحسن على وجه التصريح ليظهر قبح الاول للمنع عنه ويرغب في الثاني
او ليعلم انه لا يكفي ترك قصد التنقيص بل لا بد من فعل الايفاء فلا تكرار الا باعتبار المفهوم والتقييد بالقسط وهو قدر الواجب لان ما زاد عليه
مندوب غير واجب وقد يكون حراما كالربوا والبخس نقصان الحق يقابل الايفاء والبخس النقص وكانوا ينقصون الاثمان ويطلق على المكس
فانه وقع في الاشعار المكس والبخس روايتين وكانوا مكاسين مثل العشارين في هذا الزمان وذكر الاشياء التعميم بعد التخصيص تكثير الفائدة
فانه اعم من النقص في مقدار العين والعثي اشد الفساد وقيل الاول اكثر فيما يدرك حسا والثاني حكما فحمل على السرقة والغارة وقطع السبيل
والعثو يعم انواع الفساد والمعنى على الاول لا تأتوا بتلك المفاسد حالة كونكم آتين بغيره من الفساد وقيل مفسدين امر دينكم والاديان والشرايع.

كما قال زهير
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم
وروي مكس درهم

وبقية الله هو ما يتحصل من الحلال بعد الاجتناب عن الحرام او ما يبقى عند الله من الطاعات او رضاه وايضا اذا عرف بالصدق اعتمد عليه فله الخير
عنده وان عرف بالخيانة احترز عنه فتضيق عليه الرزق والاضافة الى الله ليست باعتبار ان الحرام ليس برزقه بل للعناية بشأن الحلال كاضافة الروح
والعباد وغيرهما والخيرية ليست مشروطة بالايمان بل ظهور فائدة الخيرية انما يكون بعد الايمان لانه ما لا ينتفع به في الآخرة فلانه لا فائدة فيه او المعنى
ان كنتم مصدقين اياي في دعوى الخيرية ويحتمل ان يكون المعنى اني اعلمكم بالخيرية انما يكون بعد الايمان بما اخبركم به وما انا بحفيظ احفظ خيرية البقية عليكم
او احفظكم عن القبايح فاجازيكم عليها او نعم الله التي تضيعوها بقبيح اعمالكم وانما انا نذير وقد اعذرت اذ انذرت. قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد. الاستفهام للانكار ان تأمر صلوته بترك عبادة الاصنام
لان الصلوة وان امكن ان يقال تأمر بترك القبيح كما تنهى عن الفحشاء مجاز من باب السببية او استعارة لكنه لما علم من حالهم ان يعتقدوا حقيقتها
حتى روي انهم كانوا يتغامزون اذا رأوه يصلي فقد جعلوا امره على وجه السخرية كما اذا طالع المعتوه كتابا ثم ذكر شيئا يقال الهذا من مطالعتك ولما تحقق
عندهم حقيقة ما هم عليه بعد ان يعتقدوا ان لا امر بتركه الا ما لا عبرة به كوسوسة الشيطان وما هو من افعال المجانين وقيل المراد الدين عبر عنه
باظهر شعاره او الاتباع ومنه المصلي الذي يتلو السابق وقيل قراءتك او دينك الذي يأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا واضمار التكليف
لانه لا يؤمر الشخص بفعل غيره وقرئ صلوتك بالتوحيد وتأمر وتفعل بالخطاب وعلى الاول معناه يمنعنا من فعل التطفيف وقطع الدراهم وعلى الثاني
الامر بالزكوة ويحتمل الاول ولما لم يكونوا منكرين لان يفعلوا في اموالهم ما يشاؤن علم ان المراد انكار كون الصلوة آمرة وناهية والوصف بالحلم
والرشد على وجه التهكم والمراد السفيه الجاهل لكن عكسوه او عند نفسك والتأكيد فيه من جهة او جه تناهي كفرهم او انك انت المشهور بالحلم وهو
ضبط النفس عند هيجان الغضب وحيث فسر بالعقل. قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب. البينة الحجة الدالة على صحة النبوة
اي اخبروني ان كنت عليها والضمير في منه يرجع الى ربي اي رزقني من عنده بلا كد مني وهو الرزق الحلال اي يسعني مع هذه النعم الدينية والدنيوية
الوسيلة الى الله ان لا ابلغ وحيه من امره ونهيه واخون فيه وهذا جواب لو وهو محذوف للاختصار لدلالة الكلام عليه كرره ويثبت اخرى وهو رد
عليهم في انكار الامر بالتوحيد والمنع عن التطفيف وقيل التقدير اتعدل عنها واتبع الضلال وانا ما اريد ان اخالفكم بان انهاكم عن شيء وافعله ولو كان خيرا
لانه لنفي فضلا عن ان انهى عنه تقول خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفت عنه بالعكس وكيف لا وقد اعترفتم بكمال عقلي في قولكم
انك لانت الحليم الرشيد اذا لم يحتمل التهكم فيكون ما اخبر به اصوب الطرق وانا لا اسعى الا ما فيه خير الدارين لكم من التوحيد وترك التطفيف ومعنى ان اريد
ما اريد في هذه الاوامر والنواهي الا اصلاحكم ما دمت مستطيعا له فهو ظرف اي زمان قدرتي على الاصلاح وان جعل بدلا منه فالمعنى القدر الذي
استطيعه او الاصلاح ما استطعت على حذف المضاف ثم قال وليس كوني موفقا لاصابة الحق في امري ونهيي وساير اعمالي الا بمعونة الله وفيه اشعار
بانه لا يطلب التوفيق الا من الله في اتمام امره ونصره على عدوه وفيه تهديد وكذا في الانابة اي الرجوع الى الله في السراء والضراء والحمل على المعاد لا يفيد ذكره
الا مع تكره قال في الانوار في تخصيص الحق تعالى بالتوكل عليه لانه القادر وهو المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وما ذكره لعله بالنظر الى الحصر الظاهر اولا وتقديم الظرف ثانيا ويعلم انه لا مآب للخلق الا الى الله

وحسن كلامه عليه فى هذا القول انه خطيب الانبياء . ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط
منكم ببعيد ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود . اى لا يحملنكم ولا يكسبنكم شقاقى اصابة عذاب الاستيصال ويتعدى الى
مفعولين كما فى كسبته اياه لانه اصل معناه وان بصلة ثانى مفعوليه قال ولقد طعنت اباعيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
وقرئ بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما اى كاسبا والمعنى سواء وجرمه افصح لانه اكثر فى استعمال الفصحاء وقرئ بفتح مثل لاضافته الى المبنى
كما فتح غير فى قول الشاعر لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال . وعذاب قوم نوح الغرق وقوم هود الريح وقوم صالح
الرجفة ونفى البعد باعتبار الزمان والمكان اى اعتبروا بهم وقيل فى الكفر والعصيان وعلى هذا يحتمل ان يقال فيه لستم ببعيدين عنهم وافراد بعيد
لان المراد اهلاكهم او صفة زمان او مكان او شئ فلا يراعى فيه التانيث او لانه على زنة المصدر . والاستغفار عما سلف والتوبة عما يوجد من الذوام عليها
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز . مما دعاهم اليه من التوحيد
وصحة ولاية والمنع من بخس الاشياء . وهذا لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم رغبة عنه او عبروا عن عدم القبول بعدم الفهم حيث لم يترتب عليه اثر
او انه لا يعبؤ به وكان عليه السلام يدعى خطيب الانبياء فدل على تناهى غيهم وضعفه قيل من جهة المنعة عنهم وقيل ضعف البدن وقيل العمى واعترض عليه
بانه لا يقال انت فينا اعمى لانه لا يختص بهم وتقايل ان يقول انه غير وارد لانهم قد يريدوا ما يلزم العمى من الضعف وذلك قد يختص بكونه بين خصمائه
ويعاديه وقيل سلهم من القوة ليس البصر ليكون المتقى ذلك وحمير يسمى المكفوف ضعيفا ولعل هذا التاويل من بعض المعتزلة لانهم منعوا
استنباء الاعمى كالقضاء والشهادة والفرق ظاهر لانه يكون مؤيدا بالمعجزات القاهرة ويبلغ من الله ما يحتاج اليه الامة وان لم يبهم بجاسة البصير
واعتبار رهطه قيل كان لكونهم على ملتهم لا لقوتهم ويضعفه ما حمل على العزة والمنعة حيث قيل كانوا اربعة الف ولعل نظيره انه كما يقال على البنذة
وانه اسم العصبة يقال لما دون العشرة فلولاهم لقتلناك بهذا النوع وهو شر قتلة ودخولها على انت يدل على ان الكلام فى الفاعل فالمعنى
هم الاعزة لا انت فلم يصلح هذا الجواب لقولهم ما عززت واذا لم تكن عزيزا سهلت علينا فلكك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط . اى رعايتى فى الله اولى من النظر الى الرهط وذكر الله للاشعار بان تهاونهم به تهاون بالله لان نبى الله
يدعوهم اليه والظهرى المنبوذ وراء الظهر اى نسيتموه منسوب الى الظهر والكسرة من تغييرات النسب ككسر امس فى امسى وقيل الظهرى العدة
اى اتخذتم للعصيان عدة والله عالم بجميع اعمالكم فيجازيكم عليها . ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب . اى على تمكنكم ويقال على الحالة التى علق بها صاحبها من عمله مستقرين على جهتكم التى انتم عليها
من الاشراك بالله ومعاداتى اى اعملوا حالة كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة ما فى وسعكم من ايصال الشر الى انى عامل بتاييد الله اياى
وتمكينه ومن اولى مفعولى يعلمون وتعلقه عن العمل ان كانت استفهامية والمخزى المفضح وعلى الاول معناه سوف تعلمون المخزى بالعذاب
والكاذب وعلى الثانى واينا الكاذب وعدم الفاء هنا وذكرها فى الانعام يستفاد منه تم التصريح بالتسبية وهنا بالتقدير لانه استيناف
اجيب به قولهم وماذا يحدثنا اذا عملنا مكانتنا وهذا ابلغ لانه ادل على المقصود مع حذف السؤال لدلالة الكلام عليه وهو يوهم لاطلاق اعظم ما
يتصور من العذاب وما يلحقه بالعذاب المخزى وفى الجملة التقديرى والتصريحى فنان من فنون البلاغة ومعنى ارتقبوا انتظروا هلاكى

وعاقبة الامر

المعترض البيضاوى

بخلاف القاضى ... لانها ... لا التمييز بين ... والكلام عليه

وعاقبة الامر اى منتظر معكم وهو بمعنى الراقب والمرتقب والعدول عن قسيم المخزى بالعذاب وهو من صادق الى الكاذب للشرك معهم حيث زعموا
انه كاذب تجهيلا لهم فان قيل ما شانها جاءت بالواو ورتب العلم بالحالين يستعقب علمهم قلنا لانه لما لم يتحقق وقوع الموعود بسرعة لم يناسب ذكر الفاء
المشعر بظهور الحال عقيب العمل ومجى سياق بعض القصص بالواو وبعضها بالفاء فلا يخفى انه كلما لاح فى الكلام ما يشعر بالسببية ناسب الفاء وترك ذكر الواو
منزلة السبب كما فى قصة صالح ولوط وما يراد به مطلق الجمع فالواو . ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود . وذكر الرحمة سواء اريد بها الايمان وساير الصالحات
او ما هو سبب عنها لم يكن الا بتوفيق من الله فكانه يستجاب بين انه لم ينجه الا محض فضله هى صيحة جبريل عليه السلام والتعبير بالعذاب لما روى انهم هلكوا
بالحر يوم الظلة ووجه الجمع ان شعيبا عليه السلام بعث الى اهل الايكة فهلكوا بالحر والى مدين فهلكوا بالصيحة ويؤيده كما بعدت ثمود وكانوا
قد هلكوا بالصيحة فيكون التشبيه من جهة سبب العذاب والجاثم اللازم لمكانه اى ميتين صرعى كان لم يقيموا فى ديارهم احياء وهو تشبيه لهلاكهم
بانقطاع اثارهم وبعدا اى هلاكا والبعد والبعد كالرشد والرشد وقرئ بعدت بالضم فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك
كوعد واوعد والبعد مصدرهما . ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد
يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود . الظاهر انه عطف الاخص
وهو العصا على الاعم وهو المعجزات او على المقدر المشترك وان جعل السلطان للايات فالمعنى باياتنا المقرونة بالدلالة الواضحة او الموضحة
فان ابان جاء متعديا ايضا او لم يجعل الايات على التورية كما قيل والسلطان على جميع المعجزات القاهرة كما قيل وسميت الحجة سلطانا لان صاحبها
يقهر معارضه كما يقهر السلطان غيره وسمى السلطان به لانه حجة الله فى الارض قيل من التسليط وهو ما يضاء به وقيل من التسلط لان العلماء
سلاطين بقوة علومهم كما ان الملوك سلاطين لمكنتهم والاول اقوى لان ملك لا تقبل التبدل والتغير وتخصيص نفى الرشد عن امره لانه جواب قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقيل بمعنى المرشد او ذى صلاح محمود العاقبة ففيه تجهيل للملا الذين اتبعوه مع ظهور ضلاله حيث ادعى الالهية
وهو كساير البشر ذاتا واعظم الشياطين فعلا واعرضوا عن موسى مع ظهور رشده بالبينات الواضحة وتقدمه على قومه فى القيمة لانه كان قدوتهم
فى الدنيا وهو يصلح تفسيرا لعدم رشد امره وايضا كان دهريا نافيا للمعاد يعتقد انه يجب طاعة كل سلطان لمصلحة العالم فكيف يتصور الرشد
لمن لم يعرف الصلاح ولم يعتقد السعادة الاخروية وقدمه وقدمه بمعنى تقدمه ونزل النار لهم كالماء حيث سمى اتيانها موردا واصل الورد الاتيان الى الماء
وذكر الماء على طريقة نادى لتحققه اى يعودهم الى ان يورد ولعل تخصيص الثانى بالماضى لانه الاهم فخص بالاكد وقيل اوردهم فى الدنيا اى الى سببها
والذم للمورد وهو النار لان المورد يقصد لتسكين العطش فالمخصوص بالذم رفدهم وهو لعنة الدارين وقيل للوارد ويلعنون فى الدنيا
والاخرة فبئس العون المعان او العطاء المعطى والرفد ما يضاف الى غيره ليعمده . ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب . استيناف
يتضمن بيان بعض الاحوال السابقة اى ذلك النبا من جملة اخبار القرى وفائدتها ذكر ادلة الانبياء واجوبة الكفار عن شبهاتهم وانهم لما اصروا
لعنوا وايضا اذا تكررت يلين القلب ويخضع النفس ويكون من المعجزات حيث ذكرها من لم يطالع كتب الاولين ونقصه خبر بعد خبر .

اى مقصوص عليك وبعضها باق وبعضها كالزرع المحصود عفا اثره وقيل القايم الباقى الحيطان والمحصود المخسوف به او ديار هود وصالح
وموسى هى القايمة وديار نوح ولوط المحصيدة وما ظلمناهم بالاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بالتسبب لمقتضى الاهلاك وما قدرت ما اعتقد وها
آلهة ان تدفع عنهم بأس الله اذ جاءهم ويدعون حكاية حال ماضية وعامل لما اغنت والتتبيب التخسير يقال تبه اى اوقعه فى الخسار

وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود اى مثل ذلك الاجل الذى ذكرنا لهؤلاء اخذ ربك اذا اخذ اهل القرى فالكاف فى محل الرفع
والاخذ الثانى الحشر ويقرأ اخذ بالماضى فمحلها النصب ويقرأ اذ اخذ القرى وفيه تحذير عظيم عن الظلم كفرا كان او غيره لغيره او لنفسه اهل مكة
او غيرها حيث وصف الاخذ بالوجيع الصعب وجعه وذلك اشارة الى القصص المذكورة وتخصيص كونها عبرة لمن خاف عذاب الآخرة لاعترافه
بصدورها عن آله قادر مريدها وهو انموذج من عذاب الآخرة فانه المنزجر بها لا من انكرها ولم يجعل تلك الوقايع عقوبات للامم الماضية فى قوله تعالى
لعبرة لمن يخشى والتقدير مع المنكران يقال لو كان وقوعها على سبيل الاتفاق كما زعمت لما كثرت وتكررت مرتبة على ادعية الانبياء واخبارهم
عنها بحيث لم يتأخر عنها قط والاشارة بذلك الى يوم القيمة لدلالة القرينة عليه والناس مرفوع بالمجموع لانه يعمل عمل الجمع والعدول عنه
الى الجملة الاسمية للدلالة على الثبات وان اتصافه بصفة الجمعية لازمة له وكونه مشهودا ولانه يشهد فيه اهل السموات والارضين فهو مثل
ويوم شهدناه والمراد انه تكثر شهوده كما يقال طعام محضور وصفه بانه شهد فيه ابلغ من كونه مشهودا فى نفسه فمن شهد منكم الشهر لان الايام كلها
مشهودة بهذا الاعتبار والمقصود تعظيم هذا اليوم بكثرة شهوده وما نؤخر هذا اليوم الا لانتهاء مدة معينة والمعدود المحسوب المعلوم

يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

فاعل يأت احد امور ثلثة اما اليوم بمعنى الحين اى حين يأتى يوم القيمة او الجزاء اذ الكلام فيه او الله نحو يأتى ربك اى امره وقضاؤه وتحمل
ان يكون الوعد بظهور الامور المذكورة لاشتمال الكلام عليه وقرئ يأت بغير ياء اكتفاء بكسرتها وعامل الظرف لا تكلم اى لا يتكلم فى ذلك اليوم
احد بجواب او شفاعة الا باذن الله او اذكر وما يأذن الله فيه لا يكون الا الجواب الحق او شفاعة من له مقامها وهذا فى بعض المواطن
وفى بعضها لا يتكلمون من الهول والدهشة كما قال هذا يوم لا ينطقون والضمير فى منهم لاهل الموقف المدلول عليهم بنفس اى ينقسمون قسمين
قسم وجبت له النار بمقتضى الوعيد وهم الاشقياء وقسم وجبت له الجنة بمقتضى الوعد وهم السعداء ولا ثالث للقسمة اذا اريد بالسعيد من يدخل الجنة
فى الجملة وبالشقى من لا يدخلها اما اذا اريد من يجتمع فيه الامران لدلالة الاستثناء فثلثة اقسام ويقرأ بضم شين الشقى والسعيد والزفير ابتداء
نهيق الحمار والشهيق آخره وقيل صوت شديد من شدة الكرب وعلى الاول قول الشماخ يصف حمارا بعيد مدى التطريب اول صوته
زفير ويتلوه شهيق محشرج اى متنفس الصعداء وقيل الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب بسبب انحصار الروح فيه
والشهيق اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة النفس فى اخراجه وقيل ارتفاعهم الى اعلى دركات جهنم الزفير من زفر اذا ارتفع والشهيق ضده
وقيل الاول ميلهم الى الدنيا ولذاتها والثانى ضعفهم عن نعيم الآخرة وسعاداتها وخالدين حال مقدرة مثل صيد صايدا غدا والمراد بدوام السموات

والارض

والارض وقت دوامها وهما اما سماء الجنة وارضها بدليل يوم تبدل الارض الآية وايضا وكل ما اظلك سماء واقلك ارض فلا بد لهم منهما واما اشارة
الى الخلود ونفى الانقطاع بما كانت العرب تعبر عنه على وجه التمثيل كما تقول ما دام تعار وما اقام ثبير وهما جبلان وما لاح كوكب وعلى فرض التقييد لا يلزم
من زوالهما زوال العذاب الا من جهة المفهوم فلا يقاوم منطوقا دل على الخلود الذى لا آخر له واعترض صاحب الانوار على التفسير بسماء الجنة وارضها
بانه تشبيه بما لا يعرفه اكثر الخلق فلا يفيد ولقايل ان يقول التشبيه ليس بهما باعتبار خصوصهما بل بالنظر الى انه لا بد من مظل ومقل والاستثناء الاول
من الخلود فى النار لانهم ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من عذاب غير النار كالتسخط والاهانة بالخزى وغيره والاستثناء الثانى من نعيم الجنة
الى ما هو اعظم منه من رضوان والنظر الى جماله والوصول الى جنابه وعلى هذا لا بد من تخصيص النعيم بغير هذه الامور وقال فى الانوار الاستثناء
من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى انهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ثم قال كلاما معناه ان الناس كلهم لا يخرجون عن حال السعادة والشقاوة
لا ان لا يجتمع الامران فى واحد وجعل ذلك جوابا عن اعتراض من يدعى ان ظاهر الكلام مقتضى الانحصار فى قسمين فينبغى ان ينتفى وصف
كل منهما عن الآخر وقد سبق ما يشعر به اولا والاستثناء من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف لان ظاهر الكلام ان يكونوا فى النار والجنة
حين يأتى اليوم ان قيد به والا ففى الدنيا والبرزخ ايضا وعلى هذا يصح الاستثناء من الخلود بالنظر الى انه ينتقض باعتبار الابتداء وقيل
يرجع الى السموات والارض اى الا ان يشاء الله فيهما ما يشاء وما روى فى اللباب عن ابن عباس وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه
يأتى على جهنم زمان يطبق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا فيأمر الله النار فتاكلهم وقول الشعبى جهنم اسرع الدارين عمرانا
واسرعهما خرابا فيكون الاستثناء على ظاهره فمما لا يعتمد عليه لمخالفة الاجماع فان صح النقل فلعله كلام مجازى غير مجرى على ظاهره وان بالغ هذا القايل
حتى قال ولهذا قال فى الجنة عطاء غير مجذوذ وان معصية الكفار متناهية فيكون جزاؤه متناهيا ولم يقل مثله فى النار وقيل الا بمعنى سوى كقوله على
الف الا الالفان القديمان اى سوى الالفين فالمعنى سوى ما يشاء ربك من الزيادة على مدة السموات والارض ولقايل ان يقول هذا انما يصح
ان لو لم يكن المراد بمدة بقائهما الخلود الذى لا آخر له والا فكيف يتصور الزيادة عليها وظهر من تقرير صاحب الانوار ان القول بخروج اهل الكبائر
من النار بالشفاعة لا يأباه اللفظ وان الاستثناء الثانى لا يكذب القايل به كما توهمه بعض المعتزلة تمشية لمذهبه الفاسد وذكر فى المفاتيح
عن القاضى انه قال الآية تبطل القول بكون اهل الاعراف لا فى الجنة ولا فى النار قال وتمسك القاضى ان الاطفال والمجانين خارجون لانهم
لا يحاسبون وكذا فيمن يتساوى حسناته وسيئاته وليس له ان يقول كل من حضر عرصة القيمة لم يخرج عن القسمين لانه يثبت ثالثا لا يكون مؤمنا
ولا كافرا او الفعال لما يريد من غير اعتراض عليه فيه نفى هذا القايل واما جعل ما للنفى والآجوابا له على تقديره لا يد ومان الا مقدار ما شاء ربك اى من خلودها
عن قريب وكذا القول بانه لابثاء غير تخليدهم فما يبعد حمل اللفظ عليه وغير المجذوذ وغير المقطوع الذى لا امد له ينتهى اليه فلا تك فى مرية مما يعبد
هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اى لا تشك والاصل لا تكن لكثرة الاشتغال بعد انزال هذه الآيات
فى شان عبدة الاوثان انها ضلال او تقليد آبائهم او ان المقرين بالصانع منهم كالمنكرين له فى الكفر ثم استأنف تعليلا للنفى بان عبادتهم

كعبادة آبائهم من الشرك من غير تفاوت وقد علمت ما حل و سيحل بهم مثله وانا لموفون نصيبهم من العذاب كما وفي آبائهم وقيل من الرزق
او الخير والشر والتقدير كما كان يعبد آباؤهم فحذف لدلالة قبل عليه والكلام في هذا النهي على التقدير الاول كما سبق في مثل ولا تكن
من الممترين ان القصد للمبالغة او نهي الغير ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم
لفي شك منه مريب وجه المناسبة ان هؤلاء كحال قوم موسى في انه كفر بعضهم وآمن آخرون مع ان آتيناه ولولا سبق القضاء بتاخير العذاب
عن هذه الامة الى يوم القيمة لاستوصلوا او حصل الفراغ من عذابهم والحال انهم في ريب موقع للريبة وفيه مبالغة وان كلا لما ليوفينهم ربك
اعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير اي وان كل فريق من المختلفين اذ التنوين بدل
من المضاف اليه والله ليوفينهم ربك اعمالهم الحسنة والسيئة فان لام لما موطئة للقسم ولام ليوفينهم للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل بين اللامين وهذه التاكيدات هي التي تتجاوز عشرة انواع تدل على امر الربوبية والعدولية ولا تتم الا بالحشر والقيمة وقرئ مخففة
من الثقيلة مع اعمالها قياسا على الفعل حيث يحذف منه بعض الحروف ويعمل بحرف نظرا الى الاصل ومن لم يعمل فلزوال بعض المشابهة ويقرأ كل
وحينئذ يكون ان نافية ولما بمعنى الا ويؤيده ما يقرأ الا ليوفينهم وقرئ لما بالتشديد للادغام اذ الاصل لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فحذفت
الاولى ويقرأ لما بالتنوين نحو اكلا لما اي ملمومين بمعنى مجتمعين وذكر الفاء في فاستقم لعله للتسبيبة عن كونه سبحانه خبيرا باعمال الكل وكما امرت
اي كما امرك الله به ملازما لسبيل الحق فيدخل تحته تبليغ الرسالة والدعاء الى الله وقيل الخطاب للامة وقوله عليه السلام شيبتني هود حمله ابن عباس
على هذه الآية فانها اشق الآيات وقيل الاستقامة على القرآن ومن تاب اي استقم من تاب من الكفر معك والعطف على المستتر من غير تاكيد
للفصل والامر بعدم الطغيان وهو التجاوز عن الحد لعل المراد به من تاب معك والاطلاق للمبالغة فيه وقوله سبحانه استقم كلمة جامعة لما تعلق
بالعقايد والاعمال المختصة بالنبي عليه السلام والمتعلقة ببيان الشرايع وقال في المفاتيح للاستقامة الحقيقية من كل احد او ضرب مثال وهو ان الخط
المستقيم بل الظل لا يتميز في الحس عن طرفيه لاشتباه بعضها ببعض عند التقارب وذلك في جميع ابواب العبودية
واولها معرفة الله وحصولها على وجه يبقى العقل مصونا في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة وعلى فرض
الحصول فالبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله آية اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون اي لا تميلوا او لا ترضوا اعمالهم او لا تذهبوا او لا تلجؤا
بالمشركين والركون قيل الميل اليسير وقيل اصله السكون الى الشيء مع المحبة وتركن بالضم والفتح هو الميل ويقرأ بضم الكاف وكسر التاء
وتركنوا ببناء المجهول فتصيبكم النار والحال انه ما لكم من اعوان يمنعون العذاب عنكم ثم لا ينصركم الله لسبق الوعيد الذي جرى به القلم الالهي
وثم لتفاوت الرتبة اعني استبعاد النصرة والحالة هذه وما احسن كلام صاحب الانوار فيه وهو انه اذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما
كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي
عن الظلم والتهديد عليه وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأها فغشي عليه فلما افاق قيل له هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن
جعل الله الدين بين لاءين لا تطغوا ولا تركنوا وعن سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله

من عالم

موعظة لطيفة

من عالم يزور عاملا وروي انه خالط الزهري السلاطين كتب له اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي
لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي
بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
فيك الى ضلالهم ويدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا
فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل
فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فان قيل ما فائدة نقل كلام هؤلاء
في هذه الآية ولا حجة فيه البتة قلنا قد ثبت في المسائل الفقهية ان من جملة الصغاير مجالسة الفساق وان الاصرار على الصغيرة كالكبيرة
في ثبوت الفسق وسقوط العدالة فترتب العقاب عليه مدلول عليه بالكتاب والسنة وهو عين ما قالوه والتحذيرات المذكورة كانت لمخالطة
حكام غاية ظلمهم امتداد ايديهم الى اموال بيت المال وصرف بعضها في غير مصارفه فكيف بطايفة لم يتركوا شيئا من ظلم انفسهم وغيرهم مالا
ونفسا وعرضا لا صغيرة ولا كبيرة الا في كتابهم الذي دونتها الكرام الكاتبون عليهم اعاذنا الله من ذلك ونجانا من القوم الظالمين
فان قيل ما السر في ذكر المس الذي هو ادنى مراتب الاصابة دون الدخول اليها والاحاطة ونحوهما قلنا لعل ذلك للتفرقة بين حال الظالم والمائل اليه
مع التاكيد بعدم الاولياء والنصرة واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين لما اردف الاستقامة الامر بالصلوة يدل على انها اعظم الاعمال بعد الايمان قيل فيه دلالة على الامر بالصلوة
الخمس لان طرفي النهار الغدوة والعشية وزلف الليل ساعاته القريبة من آخر النهار فيكون الاقامة غدوة الفجر وعشية الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشية ولهذا يدعو العرب بعضهم لبعض بدعائهما والاقامة زلفا المغرب والعشاء ونقل في المفاتيح عن القاضي انه قال تمسك الخوارج
بانحصار الصلوة في الصبح والعشاء بهذه الآية وهذا مما لا ينبغي ان يشرع في الجواب لاسيما وهو خلاف الاجماع وكفر باتفاق اهل الحق وقيل
صلوة العشية العصر وقيل المغرب وقيل كلتاهما ويستدل للاول بانه عليه السلام قد قال ان الصلوة الخمس مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكباير
على ما قاله الزمخشري تبعا للثعلبي
حين سأل رجل وهو ابو اليسر عمرو بن غزية الانصاري انه اصاب من امرأة غير انه لم يأتها فنزلت ان الحسنات يذهبن السيئات وروي انه
قال ألي خاصة فقال عليه السلام بل للناس عامة وروي انه قال عليه السلام توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات
وقيل الحسنات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واستدل به على ان المعصية لا تضر مع الايمان يعني انه لا يخلد صاحبها في النار وزلفا بمعنى زلفة
كقرب وهي المنزلة يقال ازلفه فازلف والقربة ذلك اشارة الى تمام قوله استقم الى هنا وذكرى عظة لمن يتعظ اذا وعظ ثم امر النبي عليه السلام
بالصبر على جميع ما امر به ونهي عنه والحتم به لانه لا يتم شيء منه الا بالصبر ولعله للاشارة الى ان هذه التكاليف امور شاقة يحتاج الانسان
الى حبس النفس عليها وتحمل اثقالها ليكون الاجر الذي لا يضيع عظيم الشان ولهذا رتب عليه بالفاء وفي ذكر المحسنين دون ضمير المخاطب بيان
انه لا يعتد بشيء منه الا بالاخلاص وان هذا حكم عام شامل لجميع المكلفين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد

في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين • اى فهلا كان وهي من حروف التحضيض والنافية ان لم يكن المتمنى
كونه والبقية الثابت من الشيء الذي فى ما عداها والمراد الرأي والعقل والتمييز والبصيرة ولهذا فسر اولو بقية باولى الفضل والخير ولما كانت
العادة استبقاء اجود الشيء صارت البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم وفي الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ومنه بيت الحماسة
ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم وقرئ بقية بوزن لقية بفتح الباء من بقاه اذا راقبه اى اولى مراقبة وخشية من عذاب الله وينهون عن الفساد
كالتفسير لذلك والاستثناء منقطع لان المعنى لكن من انجينا منهم كانوا ينهون قال في الانوار ولا يكن جعله متصلا الا اذا استثنى من النفي المستفاد
من التحضيض ويكون التقدير على ما قال ما كانوا ناهين الا قليلا منهم ويكون النصب ضعيفا ولقائل ان يقول اذا نظرنا الى اللوازم جاز ان يقال
التقدير كلهم مفسدون او هالكون الا قليلا ويكون الاستثناء على اصله ومن للبيان لا للتبعيض لان الانجاء لم يكن لغير الناهين والمراد بالظالمين
المتبعين التاركون للنهي عن الفساد ومعنى اترفوا انعموا اى اعرضوا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجهوا الى تحصيل اللذات الدنية
العاجلة واعرضوا عن السعادات البهية الآجلة واتبع عطف على مفهوم الكلام اذ التقدير الا قليلا نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
ولعل المعنى شرح حال من ترك النهي بعد ذكره وذكر المسبب وان كان المعنى اتبعوا جزاء ما اترفوا فالواو للحال اى انجينا قليلا والحال
ان الظالمين اتبعوا جزاء فعلهم وما يقرأ اتبع يتعين حمله على هذا المعنى وكانوا مجرمين اما عطف على اترفوا اى وكانوا غير شاكرين لتلك النعم
وان عطف على المفهوم وهو اتبعوا الشهوات وكانه تعليل للاتباع وحمل الاجرام على الكفر ايضا • وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون • وجه الربط انه لما دل انجاء القليل على اهلاك اكثرهم بين انتفاء كون ذلك الاهلاك ظلما والمعنى انه يستحيل في حكمته
اهلاك القرى حال كونه ظالما لها فان اهلاك المصلح مع الوعد بانجائه يعد ظلما واللام لتاكيد النفي والصلاح الايمان وقيل بظلم بعضهم واكثرهم
على الصلاح وقيل لا يهلكهم بالشرك بل بظلم بعضهم بعضا لان جزاء الشرك النار وانما اهلك الامم الخالية بالظلم وهو ضعيف جدا للتصريح
باقتضاء الكفر العذاب في مواضع شتى فان قيل هلا قال رب القرى وما فائدة ذكر الرب واى مناسبة للاهلاك بهذا الوصف اما الاول
فلان التربية تنافي الاهلاك واما الثاني فللاشارة الى كمال الجريمة حيث عصوا مربيهم حتى هلكوا • ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين • اى لو تعلقت مشية الله
بجعل جميعهم مسلمين لكانوا متفقين على الاسلام لكنه لم يشأ وفي الآية دليل على ان الله ما اراد الايمان من الجميع والتقييد بالاضطرار خلاف الظاهر
ثم بين انه استمر الاختلاف بالاديان بينهم كاهل الكتب فان كل طايفة يعتقد خلاف ما يعتقده الآخرون او بعضهم واستثنى منهم طايفة
من هداهم بان سبقت الرحمة الالهية في حقهم فاتفقوا على دين الحق ان جعل اللام متعلقة بالكلام السابق كانت للعلة وان جعلت متعلقة بالاختلاف
فللعاقبة وضمير الجمع للناس ويجوز ان يكون للاختلاف والرحمة والتوحيد مثل قوله من ذلك وعدم التانيث لارادة الفضل والغفران او ورد
على القول بانهم خلقوا للاختلاف لانه يلزم ان يكونوا مطيعين بذلك وفي المفاتح ان المختار انه خلق اهل الرحمة لها واهل العذاب له عن ابن عباس
انه خلق الله اهل الرحمة لئلا يختلفوا واهل النار لان يختلفوا وان جعل لمن نظرا الى عمومه فللرحمة وقيل اللام بمعنى على وما قيل للجنة والنار يحتمل
ان يستعاذ من الاختلاف وكلمة الله هنا وعيده او قوله للملائكة لأملأن جهنم اى عملا وتاما من الجنسين او من عصاتهما • وكلا نقص عليك

من انباء

من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين • منصوب على المصدر لان التقدير كل نوع من الاقتصاص
نقصه عليك وهو لا ينافي ان يكون التقدير كل نبأ وكون من انباء الرسل صفة لكل باعتبار المعنى وما نثبت بيان لكلا او بدل والمعنى ان كل
نبأ نوحيه اليك فالحكمة فيه زيادة اليقين وطمانينة القلب والثبات على تبليغ الرسالة واحتمال اذى الكفار فان الانسان اذا رأى من ابتلى
بمثل ما ابتلى به خف عليه وهذه قيل اشارة الى السورة ولعل الاولى ان يكون للانباء لان الموعظة والذكرى لا تختصان بهذه السورة والمراد من المؤمنين
من اتعظ واعتبر بها فانهم المنتفعون بها قيل الحق البراهين الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد والموعظة التنفير عن الدنيا والذكرى الاعمال النافعة
في الآخرة • وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون • اى قل لاهل مكة وفي معناهم ساير الكفرة اعملوا على جهتكم فانا عاملون على جهتنا وحالنا وانتظروا
اصابة الحوادث فانا ننتظر وعد الله بانزال عذابه عليكم كما انزلنا على ساير الامم او الخذلان من الشيطان فانا ننتظر عذاب الرحمن وكيف لا يتوقع والله
مختص بعلم الغيب فهو مطلع لظاهركم وباطنكم واليه يرجع الامور كلها التي منها امركم وغيب السموات علمه المحيط بجميع الكليات والجزئيات والمعدومات
والموجودات فيجازيكم عليه يوم القيمة لا محالة وهو امر تهديد وقيل هو جراها او ما اشتملا عليه وتخصيص النبي عليه السلام بالامر بعبادة الله والتوكل
عليه لما سبق اعراض الكفرة عن الدين اشارة الى ان هذا القدر يكفيك وتقديم العبادة عليه لانه لا عبرة به دونها وقرئ بالتاء تغليبا للمخاطب
وفي هذه القراءة وعد ووعيد وفي الاخرى وعيد

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون • اى الآيات المنزلة في هذه السورة المصدرة بالراء
والمسمات بها هي آيات الكتاب المبين وهو القرآن وان اريد به السورة فالتقدير الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهرة
اعجازها او التي يلوح لمتدبرها انها ليست الا من عند الله او التي لا تشتبه على من نزل بلسانه وهم العرب او التي بين فيها سؤال اليهود من قصة
يوسف حين قالوا للمشركين سلوا محمدا عن سبب انتقال آل يعقوب من الشام الى مصر وآيات جاء لازما ومتعديا واستدلت المعتزلة على الحدوث
بالنزول فان القديم لا يوصف به وباستغفار المراد بالنزول يتجه المنع فلا حاجة الى التخصيص بالمعنى القايم بالذات لدفع الاستدلال والقرآن
يطلق على الكل والبعض ولعله للمشترك بحسب الاشتقاق من القرء وهو الجمع وقيل حقيقة في الكل وهو المرجح لانه يقال للسورة انه بعض القرآن
ومعنى لعلكم انا انزلناه بهذه الصفات او مجموعا مقروا كي تفهموا معانيه فتحققوا ان صدوره منه واقتصاصه على هذا الوجه ممن لم يتعلم
ولم يطالع كتبهم معجز لا يتصور الا بايحاء من الله سبحانه • نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين
اى نتبع بعض الحديث بعضا احسن اقتصاص من الامور السالفة والكتب الماضية لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله
على العجايب والحكم والآيات والعبر فيكون بمعنى المقصوص او بمعنى الحسن مثل احسن مقيلا وهو جميع القرآن لا قصة يوسف وقد قيل به والمراد
انه احسن ما يقتص في بابه يقال فلان اعلم الناس اى في وقته يقال قصه قصصا فعلة بمعنى المفعول كالبعض بمعنى المبغوض او من تسمية المفعول
كالخلق بمعنى المخلوق يقال قص اثره اذا اتبعه واحسن منصوب بالمصدرية لاضافته اليه ولم يذكر المقصوص لدلالة ما بعده او التقدير
بايحائنا اليك وجعل ما موصولة فيه ضعف لان القياس سقوط الالف مثل عم يتساءلون وان مخففة بشهادة اللام الفارقة بينهما

وبين القافية وضمير قبله راجع الى القرآن او القصص او الايحاء وكونه عليه السلام من الغافلين عن القصة لم يطرق سمعه قط علة لكونها من الوحي

اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين اذ بدل اشتمال من احسن القصص قيل

لان الوقت مشتمل على القصص من هو المقصوص وتعايل من يقول المقصوص مشتمل على الوقت لان دلالة الفعل على الزمان بالتضمن او الالتزام

هي المعلومة من قواعدهم لا بالعكس او العامل اذكر ومنع صرف يوسف للعجمة والعلمية ولو كان عربيا من الاسف او الاسف لصرف لعدم اعتبار

وزن الفعل وان قرئ بكسر السين وفتحها لان اعتبار القراءة المنسوبة الى السبعة اولى سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكريم فقال الكريم

بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ويا ابت كعلام رفعه على تاويل النفس لا نقلها بها وقرئ به عوضت عن ياء

الاضافة لتناسبها في لحوق آخر الكلمة قرئت بالفتح وكذا في كل القرآن وهي حركة اصلها لان التقدير يا ابي او لان الاصل يا ابت فحذف الالف

وبقيت الفتحة وليس ذكر التاء المكسورة كالجمع بين العوض والمعوض اعني الياء والكسرة بل عن احدهما والممتنع الجمع بين التاء والياء ولهذا جاز

يا ابتا مع ان الالف بدل من الياء والكسرة ليست كسرة يا غلام بل يا ابي فلا يكتفى بها ووجه جواز يا ابتا دون يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض

ويقرا بالضم كانه اسم براسه من غير اعتبار التعويض وترك السكون الذي هو الاصل لانه حرف صحيح متحرك مثل كاف الخطاب لان الاصل في الاسماء

الاعراب وتسكين الياء والاصل الحركة لانها من حروف اللين والرؤية في المنام لا في اليقظة لقوله لا تقصص رؤياك والاستدلال بانه لو كانت

في اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب ولما خفيت عليه وعلى الناس ليس بشئ لجواز ان يكون في خلوة واسماء الكواكب على ما نقل انه يهودي سأل النبي

عليه السلام فاخبره جبريل بذلك فقال عليه السلام ان اخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق

والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته لان امه

ماتت ولم يدرك لان تصدق الرؤيا قيل الشمس امه لتانيثه ويحتمل ان يقال من جعل القمر تابعا للشمس في النور لا يناسب هذا التاويل عنده والكواكب

اخوته وقيل رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثبت

عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فقال اياك ان تذكر لاخوتك ورؤية الكواكب كانت في سن اثنتي عشرة وعطف الشمس والقمر على الكواكب كعطف جبريل

على الملائكة ورايت ثانيا للاستيناف كانه قال له يعقوب عليهما السلام كيف رايتها فقال رايتهم لى ساجدين وضمير العقلاء ووصفهم بوصفهم

بالسجود وفي هذا العذر نظر فان سجود العقلاء بوضع الجبهة لا مطلق السجود فانه قد جاء في وصف الشجر بمعنى التسخير نعم لو قيل ان ذلك بالنظر الى النزول

والقصد له وصورة التواضع لم يبعد وكان بين رؤياه ومصير اخوته اليه اربعون او ثمانون علية وفائدة تقديم العلم بالامر السار دون الضار

لحصول الابتهاج والحبور والفرح والسرور الى اوان الظهور قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان

للانسان عدو مبين لما عرف يعقوب عليه السلام بتاويل الرؤيا بلوغ يوسف عليه السلام بشرف النبوة وكمال الحكمة خاف عليه حسد اخوته فمنعه عن قصها

لهم لئلا يحتالوا والرؤيا كالرؤية لكنها تختص بما يكون في النوم فرق بينهما بتاء التانيث كالقربة والقربى واسماء اخوته روبيل وشمعون ولاوى

ويهوذا ويشجر وزبالون ودان ونفتالى وجاد وآشر وبنيامين وتصغير يوسف لصغر سنه وذكر صاحب الانوار في تحقيق الرؤيا

انها انطباع الصور المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب

عند فراغها

عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس

المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير

والا احتاجت اليه ومن تحذير يعقوب يوسف عليهما السلام علم ان اخوته كانوا عالمين بعلم التعبير وقرئ رؤياك بالامالة ويقرأ بقلب الهمزة واوا

ومعنى يكيدوا يحتالوا وذكر اللام مع كون الفعل متعديا بنفسه مثل تجردوا العداوة لك ليفيد تاكيدا ولذلك اكده بالمصدر وكون الشيطان عدوا ظاهر العداوة

كقصة آدم وحواء وغيرها فلا يالوهم من شره وفيه ايماء الى انه لو اقدموا على الكيد لكان من الشيطان وقيل يقال كاده وكاد له مثل نصحه ونصحت له

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك

عليم حكيم اي وكما اجتباك بهذه الرؤيا الدالة على تلك الامور العظام والمقصود ما دل عليه الرؤيا ويجتبيك للنبوة والملك مشتق من جبيت الشئ

اذا حصلته لنفسك افتعال منه ويعلمك غير معطوف على يجتبيك بل مستانف لانه ليس المعنى على التشبيه ويحتمل ان يقال المعنى كما انعم عليك بالاجتباء

ينعم عليك بالتعليم وتاويل الاحاديث تعبير المنامات لان الصادقة منها حديث الملك والكاذبة حديث النفس والشيطان او من تاويل مشكلات

الكتب الالهية وسنن الانبياء سميت بها لانها تحدث عن الله والرسل وهو اسم جمع للحديث بمعنى الحادث وتاويلها مآلها ومآل الحوادث قدرة الله

وتكوينه وحكمته فالمراد كيفية الاستدلال باصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله وحكمته كالاباطيل جمع الباطل لا جمع احدوثة

وقيل عواقب الامور وسمي التعبير تاويلا لانه يؤول الامر الى ما راى في المنام وحمل اتمام النعمة الجمع بين نعمتي الدنيا والآخرة اعني النبوة والملك عند العالم

والملك المخلد وعلى ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسمعيل واسحق بالفداء على خلاف فيه وآل يعقوب اهل بيته واصله اهل بتصغيره على اهيل

ولا يستعمل الا في ذوي الاخطار لا يقال آل الاسكاف واتمام النعمة على جميع الاخوة قد استدل عليه يعقوب بضوء الكواكب واتمام النعمة عليهم يقتضي

ذلك وقد ازداد محبته ليوسف لما راى الرؤيا وقال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل ولذلك حسده الاخوة ولما بلغتهم الرؤيا قالوا ما

رضي بان تسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك او بدل منه وذكر الوصفين للاشعار بانه سبحانه عليم بمحل الاجتباء

وحكمته يضع الاشياء مواضعها لانه مقدس عن السفه والعبث فلا يضع النبوة الا في نفس قدسية وجوهرة مشرقة علوية ولا ينافي كون اخوته

انبياء ما صدر عنهم لانه كان قبل النبوة ولا حزن يعقوب على يوسف قطعة بهذه الاحوال لاحتمال ان يكون لمضار تلحقه قبل الوصول اليها

لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اي في قصة

يوسف وحال اخوته معه علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شئ او عجائب واضحة لمن سأل عنها او عرفها او آيات تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

لليهود حين سألوه عنها فاخبر عنها على ما هي عليها من غير تعرف وسماع من احد او مطالعة كتاب وفي هذه القصة تسلية للنبي عليه السلام في بغي قومه عليه

واللام في ليوسف لام الابتداء افادت التاكيد واخوه بنيامين وهو ويوسف من ام واحدة وهي راحيل تزوجها لما توفيت ليا وهي اختها ولهذا قالوا اخوه

مع انهم اخوهم ايضا ولم يثن احب مع انه خبر عنهما لان رعاية المطابقة في افعل من غير جائزة وباللام لازمة وفي الاضافة يستوي

الامران لان لها شبها بكل منهما والواو ونحن عصبة للحال وهذا استبعاد منهم لزيادة محبة يعقوب لهما اي نحن جماعة سيما منها مصالح

والعصبة العصابة العشرة فصاعدا سموا بها لانهم جماعة تعصبت بهم الامور وقيل الى الاربعين ويقرأ بالنصب اي نجتمع عصبة

قيل لا يقال للضعاف عصبة بكفايتنا فكيف يرجح اثنين صغيرين علينا لا كفاية لهما علينا فهو ضلال اى ذهاب عن طريق الصواب حيث لم يعدل
فى المحبة بين اولاده او غالط فى امر دنياه فانا نقوم باموالنا او اختيار الصغير على الكبير وتفسير الضلال بهذه الوجوه يدفع لزوم الكفر على قايل ذلك
للنبى ولا اشكال بانهم كيف خطاؤا يعقوب مع اعترافهم بنبوته لانهم لعلهم اعتقدوا الخطاء فى الاجتهاد وسبب ازدياد المحبة اما ما كان يراه
من مخايل الرشد او لموت امهما. اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين. قيل قاله شمعون وقيل
روبيل وقيل كان باتفاقهم وقيل قاله اجنبى شاوروا معه سوى من منع لان السكوت عليه رضى به وتنكير الارض لارادة ارض بعيدة من العمران
يحصل اليأس عن الاجتماع بابيه ولابهامها انتصب على الظرف فانه لا ينصب من ظرف المكان غير المبهم كالجهات الست ومعنى يخل لكم وجه ابيكم
انه يقبل عليكم بكليته ولا يلتفت الى غيركم لا يشارك فى محبته لكم غيركم وتكونوا من بعد قتله او طرحه او بعد يوسف تائبين عن ذنوبكم وهو تهيئة
للتوبة قبل الذنب او يصلح امر دنياكم مع ابيكم والقول بالجزم فى تكونوا عطف على محل اولى من النصب بان مقدرة مثل وتكتموا الحق لقوة
الارتباط بالسببية واولى ما قيل فى العذر عنهم انه كان قبل النبوة والقول بانهم كانوا مراهقين بعيد جدا. قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف
والقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين. قيل القايل احسنهم رأيا فيه واكبرهم وهو اخوه روبيل وابن خالته وقيل
يهودا وقيل شمعون قال القتل عظيم وهو الذى قال لن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى غيابة الجب ما غاب منه عن العين واظلم وهو اسفله وقعره
وكل ما غيبت شيئا فهو غيابة قال المنخل ان انا يوما غيبتنى غيابتى فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل يريد القبر وقرئ غيابات ويقرأ بالتشديد
وغيبة ووجه الجمع مع وحدة البئر كان للجب اقطارا ونواحى والجب البئر يجب اى يقطع من غير طى قيل عمقها كانت ثمانين قامة واسعة الاسفل
قيل كانت ببيت المقدس وقيل بالاردن وقيل بين مدين ومصر وما قيل انه على ثلثة فراسخ من منزلهم اقرب لقولهم جاؤا اباهم عشاء يلتقطه اى يأخذه
بعض من يجتاز بها والالتقاط اخذ الشئ من الطريق والسيارة الجماعة المسافرون ان كنتم تفعلون بمشورتى او ما قصدتم من التفريق بينه وبين ابيه
او تفعلون به شيئا وانما قال ذلك لعله انه الى السلامة اقرب لورود السيارة عليها واخذهم اياه. قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له
لناصحون ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون. اى لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونشفق عليه ويقرأ باظهار التنوين والادغام باشمام
وغيره وكسر التاء والادغام وفى الكلام اشعار بانه احس منهم ما يحتاج معه الى ان يزال عن رأيه والنصح طلب الصلاح او اصلاح العمل ولذلك سمى الخياط
ناصحا اى نحفظه ونرده عليك سالما والرتعة الخصب اى نتسع فى اكل الفواكه وغيرها وقرئ بالياء فيهما ويقرأ نرتع من ارتع ونرتع بالنون من ارتعى
ولا اشكال فى اجازة يعقوب عليه السلام فى اللعب لانه اريد به الاستباق بدليل ذهبنا نستبق هكذا قيل ولعله تكلف من غير حاجة لان الاذن
فى المباح جايز وقد سمى الله حيوة الدنيا باسرها لعبا. قال انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون. اى ذهابكم به يحزننى ولام الابتداء وهى تفيد سوى الحكمى المضارعة التأكيد وامتنع عن الاذن لشدة
مفارقته لانه كان لا يصبر عنه ساعة والخوف عليه من الذئب كان قد رأى فى المنام ان الذئب قد شد عليه لا سيما والارض مذأبة وذكر كون البلاد
موكلا بالمنطق حيث لقنهم العلة يدل على انه فهم منه انه ما كان ينبغى ان يقول ذلك لهم وانما قال ذلك لئلا يقصدوا قتله ويكتفى بتلك العلة فى دعوى الهلاك
وهم لا يعلمون ذلك وقرئ بالهمز وقيل من تذاءبت الريح اتت من كل جهة فان الذئب يطلب الغنم اشد الطلب والكلام موطئة للقسم والكتفى

واكتفى عن جواب الشرط بجوابه فى قولهم انا اذا لخاسرون حلفوا على خسارهم بفرض ان يأكل الذئب اخاهم مع انهم طايفة بمثلهم تعصب الامور
وتكفى الخطوب والمعنى بالخاسرين ضعفاء حيث يأكل الذئب بعضهم او حقيق ان يهلكوا حيث لا فايدة فيهم بل يدعى عليهم بالخسار وجوابهم عن الاعتذار
بخوف الذئب دون الحزن لفراقه لان الثانى كان سبب غيظهم فتغافلوا عنه روى انه قال يعقوب ليوسف عليهما السلام اتحب ذلك اعنى الذهاب معهم
قال نعم قال اذا كان غدا اذنت لك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد منطقته وخرج مع اخوته تبعهم يعقوب وقال يا بنى اوصيكم بتقوى الله وبحبيبى
يوسف ثم اقبل على يوسف وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال استودعك الله رب العالمين وانصرف عنه. فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
فى غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون. جواب لما محذوف قيل تقديره فعلوا او عظمت فتنتهم ويحتمل الانتساب الى الوجدان
بقدر قصدوا ما سولت لهم انفسهم وعزموا ان يجعلوا فى غيابت الجب وهو مفعول اجمعوا يقال اجمع الامر وازمعه روى انهم اظهروا له العداوة بعد ان
اخرجوه الى البرية فكان يستغيث بهم ولا يغيثونه ويقول يا ابتاه لو تعلم ما نصنع بابنك اولاد الاماء حتى كادوا يقتلونه فمنعهم يهودا فلما قصدوا القاءه
فى البئر تعلق بثيابهم فنزعوها منه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا ثيابه للتلطيخ بالدم وقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به قالوا ادع الاحد عشر
كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فدلوه فى البئر حتى اذا بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء ثم آوى الى صخرة فى البئر فقام عليها وهو يبكى وارادوا ان يصخروه
بحجر فمنعهم يهودا وكان يأتيه بالطعام وكان قد جعل يعقوب ثوبا اى جرابا لابراهيم حين جرد عن ثيابه فى تميمة علقها فى عنقه فجاء جبريل فالبسه اياه واوحى الله
اليه قيل كان قبل البلوغ كيحيى وعيسى عليهما السلام او الهام لم يقل انه وحى الهام كما ذكر وقيل بعد فقيل كان ابن سبع عشرة وذلك لازالة الوحشة والبشارة بالخلاص
وظهور الامر بان يخبرهم بصنيعهم وذلك قوله بعد هل علمتم ما فعلتم بيوسف وهم لا يشعرون من تتمة اوحينا اى اوحينا وهم لا يشعرون اى بقوله لتنبئنهم
اى وهم لا يشعرون عند اخبارك اياهم انك يوسف لعظمة امرك وطول العهد المغير للهيأت والاشكال فى قيل انهم لما دخلوا عليه ممتارين دعا بالصواع
فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم فعلتم معه كذا وكذا الى آخر القصة ولم يعرفوه وقيل يقرأ بالنون وعيد لهم على فعلهم
وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.
قيل تباكوا وقيل وافقوا اباهم فى البكاء عليه ويناسب الاول ما نقل ان امرأة بكت عند شريح فى التخاصم فقال له الشعبى فى ذلك فقال قد جاء اخوة يوسف
باكين لا احكم الا بالسنة المرضية والعشاء آخر النهار ويقرأ عشيا على تصغير عشى ويقال عشيا روى انه لما سمع بكاهم فزع وقال اين يوسف قالوا
انا ذهبنا نستبق اى نتسابق هو كالانتضال والتناضل فى تشارك المعنى اى نتسابق فى العدو او الرمى ويؤيده ما يقرأ ننتضل وقال عليه السلام لا سبق
الا فى خف او حافر ليعلم الاقوى وما انت بمصدق لنا ولو كنا من اهل الصدق عندك لشدة محبتك ليوسف لا سيما وبسوء ظنك فينا وفيه دليل
على ان معنى الايمان التصديق وجواب لو محذوف اى ما صدقتنا. وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون. وصفه بالمصدر للمبالغة كما يقال للكذاب انه الكذب بعينه ويقال جود وبخل وقيل بكذوب فيه نحو ما سكب ودرهم ضرب الامير
ويقرأ بالنصب على الحال وبالدال غير المعجمة اى كدر او طرى واصله البياض الذى يحدث على اظفار الانسان قيل كان دم ظبى او سخلة لطخوه به
فاخذ يعقوب القميص والقاه على وجهه باكيا حتى خضب وجهه بذلك الدم وقال والله ما رايت ذئبا احلم منه اكل ابنى ولم يمزق عليه ثوبه وعلى قميصه
محله النصب على الظرف اى جاؤا فوق قميصه بدم او حال من قوله بدم لا صفة المصدر وصفة النكرة يصح جعلها حالا اذا تقدمت والتقديم للعناية

على الوجه المرجوح من تقديم المجرور على الحال ومعنى سولت سهلت لكم هذا الامر العظيم من السول وهو الاسترخاء وقيل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته
التي يطلبها فزين لطالبها الباطل او زينت وقيل او بكم وعلمه بذلك اما بسلامة القميص او الوحي ايضا او قوله وكذلك يجتبيك ربك فان قيل
كيف حزن مع هذا الاخبار قلنا لعله ظن لحوق عامة التكاليف سوى الموت وصبر يحتمل ان يكون مبتدا اي اجمل واولى او خبرا اي امري صبر جميل وفي الحديث
هو الذي لا شكوى فيه الى غير الله ولهذا عاتبه الله تعالى لما سال عن سقوط حاجبيه على عينيه طول الزمان وكثرة الاحزان انشكو رب خطيئة فاغفرها لي
والجميل من الصبر هو ان يعلم ان منزل تلك البلاء هو الله تعالى وانه المتصرف في ملكه لا اعتراض عليه فيمنعه استغراق قلبه في ذلك عن الشكاية الى غيره
وان ما صدر عنه على وجه الحكمة لانه حكيم لا ان يكون لغرض آخر والله المستعان اشارة الى ان اقدامه على الصبر لا يمكن الا بمعونة الله تعالى لان الدواعي النفسانية
تدعوه الى اظهار الجزع والروحانية تدعوه الى الصبر والرضاء وغلبة الثانية على الاولى لا تكون الا بمعونة الله تعالى • وجاءت سيارة فارسلوا
واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون • كانوا طائفة من المسافرين جاؤا من مدين فيهم مالك بن دعر
يقصد مصر نزلوا قريبا من الجب بعد ثلثة ايام القائه الى البئر وقد اخطاؤا الطريق كانت بعيدة من العمران يردها الرعاة قيل كان ماؤها مالحا عذب
بعد القائه فيه والوارد هو الذي يستقي للقوم وكان مالك بن دعر اذ لا الدلو ارساله في الجب فلما ادلى تعلق به يوسف فاذا هو بغلام احسن ما يكون
ونادى البشرى حين قرب منهم كانه يقول احضري فهذا اوانك يبشر به اصحابه قرئت بغير الف وبالاضافة الى ياء المتكلم وبالياء بدل الالف جعلت بمنزلة
الكسرة قبل ياء الاضافة ومنه يا مولى وهي لغة مشهورة وقرئت بالسكون ولولا قصد الوقف لما جاز لانه التقاء الساكنين على غير حده وقيل هو
اسم صاحب له وقيل التقدير يا قوم هذا بشراي وضمير الجمع في اسروا للارادة اصحاب الوارد معه قيل اخفوا امره وزعموا ان اهل الماء دفعوا اليهم ليبيعوه لهم
بمصر على سبيل البضاعة فهي حال والاسرار ضد الاعلان وقيل معناه الاعلان اي اظهروه بضاعة والبضاعة من البضع وهو القطع اي ما يقطع من المال
للتجارة وقيل الضمير لاخوته قالوا لهم هذا غلام لنا ابق منا وسكت يوسف مخافة القتل وكان هذا بعد ان جاء يهودا بالطعام فلم يجده فاخبر اخوته فاتوا
مالكا وقالوا له ذلك وعلى التقديرين فوصف ذاته بالعليم بها وعيد لمن قصد بيعه • وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين •
الضمير لاخوة يوسف اي باعوه من مالك بن دعر او للوارد واصحابه والشرى بمعنى البيع مشتق من الشروى وهو اعطاء شيء واخذ آخر اي باعوه بثمن
طفيف او زيف لعلمهم بحريته وانه يظهر امره او حرام او ظلم لانه حر وحيث لم يصح بيعه فالبيع والشرى على الوضع اللغوي لا الشرعي واذا جعل الضمير
للوارد فيجوز ان يكون المعنى اشتروه والمعدودة القليلة تعد ولا توزن فانهم ما كانوا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي اربعون درهما وهي كانت عشرين
او اثنين وعشرين والزاهد من يرغب عما في يده فيبيعه بالناقص وكذا من يلتقط شيئا لا يبالي بما يبيعه ويخاف ان يسترد منه روي ان اخوته
وصوهم باستيثاقه لئلا يابق واذا جعل اللام بمعنى الذي لم يكن فيه متعلقا بالزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم عليها لانه من تتمتها فيكون متعلقا
بمحذوف بينه من الزاهدين وانما لم يجز كانوا زيدا من الضاربين لان الظرف لكثرة وقوعه يتسع فيه ما لا يتسع في غيره • وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • القائل عزيز مصر وسمي قطفير او اطفير وكان صاحب خزانة الملك الذي اسمه وليد بن الريان اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل تزايدوا ثمنه فبيع بوزنه فضة وقيل حريرا ومسكا وفضة روي انه قد آمن بيوسف ومات في حيوته فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن

وكان

وكان عمر يوسف عليه السلام حين اشترى سبع عشرة واستوزره الملك وهو ابن ثلثين وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين وما قيل ان ملك
زمانه فرعون موسى فقد تقدم في البقرة بطلانه وقوله لامرأته اكرمي اشارة الى تفقده واللام متعلقة بقال وما قيل لا يصح تعلقها باشترى فلعل المراد
من كونه مشتريا لامرأته والمثوى المنزل اي اجعلي مقامه عندنا كريما مرضيا لتطيب نفسه في صحبتنا يقال لمن نزل به الشخص ابو مثواه وام مثواه فيقال كيف ام مثواك
اي يطيب باقامتك عنده وعلل ذلك بانه لعله ينفعنا بكفايته وامانته في ضياعنا واموالنا اذا حصل له التجارب او نتبناه لانه كان لا يولد له ولد كان
قد تفرس فيه الرشد وكذلك اشارة الى الانجاء وتحبيبه الى قلب العزيز فالكاف منصوب المحل بمكنا اي مكنا في ارض مصر ولنعلمه عطف على مضمر اي لنوحي اليه
اي الحكمة في انجائه وتمكينه العدل وتدبير امور الناس وان نعلمه معاني كتاب الله والعمل بها او تعبير المنامات التي يعلم بها الحوادث التي يقع
من بعد ليستعد لتدبيرها كما ظهر في منام الملك وتنبيه الغلبة الى الجناب الالهي هنا للاشعار بان ما وعد ليوسف في منامه واقع لا دافع له ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الكائنات لا تقع الا بتعلق الارادة القديمة بها نظرا الى ما هو كالاسباب لها وتخصيص الناس باهل مصر او مكة وان
ناسب السياق لكن التعميم اولى • ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين • اقل ما قيل في الاشد ثماني عشرة واكثره اثنان وستون
وقيل ستون وقيل عشرون وقيل ثلث وثلثون وقيل اربعون وقيل احدى وعشرون وابتداؤه من بلوغ الحلم والحكم العلم والعمل والحكم بين الناس
وقيل اصابة القول وقيل النبوة واول ما ظهر الدعوة من قال اعطي النبوة في الجب والعلم تاويل الاحاديث ومثل هذا الجزاء نجزي كل من احسن وفيه
اشعار بالعلية ولهذا قال الحسن من احسن العبادة في الشباب رزق الحكمة عند الاكتهال وقيل الحكم العلم المتعلق بالعقائد والعلم المتعلق بالجوارح
وذكر في المفاتيح ان المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على الامارة بالسوء مستعلية عليها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة
فاضت الانوار القدسية على جواهر النفس لانها مستعدة لها لكنها مختلفة فمنها زكية شريفة اما ان تميل الى اللذات الحسية او الى الروحية فالاولى
شديدة الاستعداد لقبول الانوار الالهية لكن لا تظهر في الصغر لضعف الآلات لكثرة الرطوبات فاذا قلت واعتدلت كملت معارفها وانوارها
وعظم لمعان الانوار فيها • وبلوغ الاشد اشارة الى هذا الاعتدال • وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون • اي تمحلت بطلب المواقعة من راد يرود اذا جاء وذهب اي فعلت فعل المخادع
لصاحبه عن الشيء الذي يريد ان يأخذه منه بحيلة واللام تعيين للمدعو ويقال الرائد للذي يطلب المرعى قيل اغلقت سبعة ابواب كان المبالغة للكمية
ويجوز ان يكون للكيفية لان التغليق الاطباق بما يعسر فتحه وهيت اسم فعل معناه تعال واقبل وقرئ بكسر الهاء وهيت بضم التاء كحيث و[illegible]
بضم الهاء والتاء بالهمز تقول هئت اهيء كجئت اجيء اي تهيأت فاللام متعلق بالفعل وقيل المعنى تقدم لنفسك فلك فيه حظ ومعنى معاذ الله اعتصم
منصوب على المصدر اي اعوذ عياذا بالله والضمير المنصوب لله اي لا اعصيه فانه معبودي او ان الشان والحديث او ان سيدي الذي احسن مثواي
اي لا اخونه في اهله والرب بمعنى المربي وكان قد رباه واحسن اليه بوجوه كثيرة ولا يشكل بانه كان حرا فكيف اعترف بذلك لانه قال على حسب اعتقادهم
ان حمل على السيد ان الشان انه لا يفلح الذي يجازي الحسن بالسيء او الزناة وعلل بانهم ظالمون لانفسهم ويحتمل ان يقال لغيرهم اذا كانت المرأة
ذات بعل وان جعل الضمير لله لانه السبب لاسباب عدم الفلاح وهذا الترتيب في غاية الحسن فانه راعى حق الله بقوله معاذ الله وحق الخلق بقوله
انه ربي ولم يبدل اللذة الفانية باللذة الباقية بقوله انه لا يفلح الظالمون • ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء

انه من عبادنا المخلصين. الهم بالشيء العزم عليه وقصده اي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها ولذلك سمي من اذا قصد شيئا بالهمام والمراد بهمه يوسف
الميل الطبيعي الخارج عن حيز الاختيار لمنازعة الشهوة ولولا ذلك لما مدح بكف النفس عنها وقيل هم بضربها والفرار منها واقول وما قيل انه جلس منها
مجلس الرجل من المرأة كما نقل عن ابن عباس فليس في الآية اشعار به وان صح فليس من الكبائر ويكون قبل النبوة ان قلنا انه نبئ في الجب وما روي
الباقر عن علي رضي الله عنهما انها طمعت فيه وطمع هو فيها اقرب الى اللفظ ونقل في المفاتيح عن الواحدي ان الذين اثبتوا هذا العمل ليوسف عليه السلام
اعلم بحال الانبياء وارتفاع منازلهم من الذين نفوا عنه وقال القول الثاني وهو قول المحققين من المفسرين والمتكلمين ان يوسف كان بريئا
من العمل الباطل والهم المحرم وبه نقول وعنه نذب وانكر اثبات هذا الفعل له وقال كيف يتصور اقدامه على هذا الامر من منكرات الاعمال واقبح الجهالات
ولو نسب الى افسق الخلق لاستنكف منه فكيف بالنبي المؤيد بالمعجزات القاهرة وما سبق من التقرير كلام صاحب الانوار وهو توسط بين هذين القولين
وجواب عن قول الامام في هذه المبالغة فان مقدمات الزنا لا يترتب عليها كمال الاثم الا بالوقاع قال النبي صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق ذلك ويكذبه
نعم لما كان المذهب ان النبي لا يقدم على الصغائر الا سهوا الزم القول بانه ان صح انه كان بالاختيار يكون قبل النبوة وقيل شارفان يهم كما تقول
قتلته لو لم اخف الله شارفت قتله وجواب لولا محذوف اي لخالطها حذف لدلالة وهم بها عليه ولا يصح جعله جوابا مقدما لزوال صدرية الشرط وهو
مع ما في خبره كالكلمة الواحدة فلا يتقدم بعضها والله في لام لقد لبيان ارادة القسم وهم بها يحتمل ان يكون داخلا تحت القسم وان يكون استينافا
فيكون الوقف على همت به فيكون همها اقوى من همه ومن جوز جعل الجواب مقدما تمسك بنحو قولهم قد كنت هالكا لولا ان فلانا خلصني اي لولا
رؤية البرهان على قبح الزنا لخالطها قيل رأى جبريل وقيل يعقوب عاضا على اناملة وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء
وتعمل عمل السفهاء وقد اطنب بعض المفسرين في الموانع التي عرضت ليوسف حتى اعرض عنه والنقل وان لم يكن عليه دخل الا انه لا يناسب حال الانبياء
لانه وان قلنا انه لم يكن نبيا حينئذ لكنه بصدد النبوة وهذا الاستبعاد على طريقة اهل البدع وانكارهم بناء على مذهبهم الفاسد فانه قد سبق
انه لا مؤاخذة على مجرد العزم حتى يبالغ فيه تلك المبالغة بل بالنظر الى انه لا دلالة للفظ عليه نعم لو صح النقل فالتأويل ظاهر كما تقدم تقريره واما قولهم
كما وقعت لآدم ونوح وداود وكلام في غاية الركاكة بل هذيان محض فان تلك مؤاولة بترك الاولى فكيف يطلق البغي الذي يتوجه عن الموت نعم
لو قيل انه كان ذنبا لنقل عنه التوبة كما نقل عن غيره لم يبعد هذا وان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة ادعوا براءته اما يوسف فقد ادعى البراءة والمرأة
اعترفت والزوج اقر بها وشاهد اهلها والنسوة والله سبحانه بقوله انه من عبادنا المخلصين وابليس حيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
هذا وان المرأة لم تصرح بفعله فكيف يصرح بعدها بعد الوف سنة وتعليق لولا بهم وحده دون همها مع انه لا بد من تقدير المخالطة المصححة لتعلقها بالهمين
فيكون التقدير هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما لان الله تعالى لم يقل ولقد هما بالمخالطة على سبيل الاجمال مع انه اخصر وعدل الى التفصيل بان
ذكر كل هم على حدة وقيد همه بذكر لولا بعده والمعنى بمخالطة كل منهما التوصل الى حظه من الآخر وكذلك ان قدرنا اثبتناك مثل ذلك التثبيت فهي منصوبة
المحل وان قدرت خبر المبتدأ اي الامر كذلك فهي مرفوعة والسوء المصروف عنه خيانة السيد او مطلق الذنب الاعم من مقدمات الزنا كالقبيل
والفحشاء الزنا وذكرناه من المخلصين بان يشعر بعلية الصرف فانه اذا كان من اخلص دينه لله اذا كسرت اللام او اخلصه الله لطاعته ان فتحت وقرئ بهما
كان جديرا بان يصرف عنه ذلك واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم

اي تسابق

اي تسابق يوسف وراعيل الى الباب فهو كما خار موسى قومه او ارادة الابتدار لما هم بالخروج ابتدرت للمنع منه ولا ينافي توحيد الباب جمعه اولا
اذ المراد باب الدار الذي يخرج منه روي انه لما هرب سقط فراش القفل ومعنى قدت شقت طولا لجذبها من خلفه واتفق ان لقيا قطفير وعدم اضافة
السيادة اليهما لانه لم يكن يوسف مملوكا وهي وان لم تكن مملوكة لكنه تقول المرأة للزوج يا سيدي ولا يتوهم الملك ولو تضيف الى يوسف لاوهم لجريان
المقتضي بزعمهم قيل كان يريد الدخول وقيل كان جالسا مع عمها وصدور هذا الكلام منها واحالة تلك لبراءة ساحتها عن الريبة وتخويفها من الحبس لعله يحصل
مقصودها بالقرينة ولئن لم يفعل الآية وان جعلت ما استفهامية فللتقرير وتعميم استحقاق العذاب لمريد السوء دون التصريح بذكر يوسف قيل لانه ابلغ
فيما قصدته من تخويفه ولعل السبب المبالغة في تعذيبه لانه اذا عم كل قصد السوء وان لم يجب حكمهم فكيف بمن بعد وقيل بل تجنبها له افتضان لا لتعرضه
للعذاب بالتصريح ولهذا اخرت العذاب عن الحبس صونا للمحبوب عن الذكر بالشر والالم فيه حكمهم والعذاب الاليم الضرب الوجيع او الضرب بالسياط
قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين اي هي
طالبتني بالمواقعة وما قيل انه لولا تعريضه للسجن لما ذكر ذلك ضعيف بل المقتضي انها نسبته الى الخيانة العظيمة في الدين قيل كان الشاهد صبيا هو ابن خالها
انطقه الله بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج زاهد رمي بامرأة فتكلم صبي ببراءته وعيسى
وقيل رجل له رأي من خاص الملك وقيل من كان جالسا مع قطفير ومن اطلع على الحال من اهل الدار وقيل العزيز زاهد وقيل القميص المقدود ولفظ الشهادة
لافادة ذلك القول فائدة الشهادة في اثبات قول يوسف بالحق وحكاية الجملة الشرطية بعدها وهي لا تحكى الا بعد القول لانها نوع منه ودلالة قد الثوب
من قدام على صدقها لانها اذا دفعت عن نفسها انشق القميص من قدامها بالدفع اي توثر للهرب منه فينشق القميص فلما رأى الزوج قد القميص من الدبر بعينه
علم صدقه ويقرأ من قبل ومن دبر بسكون الباء فيهما وبضم اللام والراء مثل قبل وبعد على ارادة حذف المضاف اي من قبل القميص ومن دبره وبالكسر اي
من جهتين يسمى بقبل ودبر وبالفتح لجعلهما علمين لهما فيمنعان من الصرف للتأنيث والعلمية وذكر ان التي للاستقبال لا ينافي كان للماضي لان المعنى ان كان هنا
ليس الماضي فانه مثل قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك اي ان تمن علي امنن عليك ويحتمل عكس ذلك والضمير في قول قطفير انه يرجع الى قولها
ما جزاء اي ان هذا الامر وهو الطمع في يوسف من كيدكن وفيه نظر لان المكر بالتخلص ازالة عن الشيء بنوع من الحيل فالكذب على يوسف ونسبته الى قصدها
هو المكر لا الطمع فيه والمراد بالكيد هنا الحيلة ولهذا قيل يرجع الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وكيدهن اعظم من كيد الشيطان لانه يصل الى الصالح
والطالح والبري والسقيم وهو مواجهة بخلاف كيد الشيطان فان وسوسته بالغيب ولهذا قال تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وهن الطف كيدا وانفذ
حيلة ولفظ الجمع لارادتها وامثالها وحذف حرف النداء عن يوسف للاختصار اكتفاء بالمواجهة امره بكتمان ذلك الحديث وامرها بان تستغفر الله
لذنبها والخطأ الذنب بتعمد ولفظ التذكير قيل لتغليب الذكور ولعل الاولى ان يقال فيه مبالغة لان الذكور اقوى على الافعال وقيل من نسل الخاطئين
فتكون عرقا منهم وفيه دليل على قلة غيرة العزيز حيث اكتفى بهذا القدر مع ظهور هذا الامر وقيل هو من قول الشاهد فيكون الاستغفار من الزوج
وعلى الاول كانوا يثبتون الصانع مع عبادة الاوثان وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها
في ضلال مبين. النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وسقوط علامة التأنيث لانه غير حقيقي وهو كسقوط علامتي التثنية والجمع وضم النون لغة فيه

السيد الزوج بلغة القبط كذا في التيسير

وهن امراة ساقي العزيز وخبازه ودوابيه وصاحب الشحنة وقيل الحاجب والسجان والمدينة مصر والعزيز بلسان العرب الملك والفتى الحدث الشاب
والفتاة الجارية ويراد به الغلام ايضا والشغاف غلاف القلب تقول شغفت فلانا اذا اصبت شغافه نحو كبده اصبت كبده اى دخل الحب الجلد حتى اصاب
القلب او احاطه احاطة الشغاف اى شغلها حبه عن كل شئ فلا يخطر ببالها غيره وقيل حبة القلب وسويداؤه فهو كناية عن العشق وقيل جلدة رقيقة
تسمى لسان القلب قال النابغة قد حال هم دون ذلك والج تبتغيه الاصابع وقرئ بالعين المهملة من شعف البعير اذا احرقه القطران الذي هنئ به وحبا
تمييز وضلالها البعد عن طريق الصواب والرشد فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم سمته كلامهن بالمكر وهو قولهن انها تعشق عبدها
الكنعاني لوقوعه في خفية كالمكر قلن على وجه الاغتياب او افشوا سرها التي استكتمتهن ولقصدهن ان يرين يوسف فدعتهن وقيل خمسة وثلثين البضا
غير تلك الخمسة دعتهن اى مادبة اتخذتها لهن واعتدت من العتيد وهو المعد والمتكأ نحو نمارق والوسايد يعنى والاتكاء عليه وقيل طعاما قال
فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل هو نحو الاترج والبطيخ والموز وما يقطع بالسكين لانه يتكأ عليها قبل الرقاق المعلوق باللحم وغيره
والاكل متكئا عادة المترفة ولذلك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم تصدت ان تقطع السكاكين ايديهن حيث يشغلن عن انفسهن فيقع احدى اليدين
[رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من حديث جابر رضه قال نهى رسول الله عليه السلام ان يأكل بشماله وان يأكل متكئا منه]
على الاخرى ويكون ذلك كالعذر لها والزامهن وما قيل لتهويل يوسف عند مشاهدة الخناجر في ايديهن فيه بعد لانه لا يناسب صورة الدعوة وقرئ بغير همز
وبالمد وقرئ قالت بكسر التاء فلما رأته النساء اعظمت حسنه فانه كان فضل حسنه كفضل البدر على ساير الكواكب وكذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
قيل ما كان يستطيع احد وصفه وكان اذا مشى في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كنور الشمس من الماء عليها وقيل حضن والهاء للسكت قال
يأتي النساء لدى اطهارهن ولا يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا قيل لانها اذا اشتدت غلمتها وقيل امنين فكان المتنبي من ههنا اخذ قوله
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطع اليد جرحها والقول بابانتها وموت سبع منهن مبالغة وحاش
تنزيه له عن حال البشر او تنزيه عن العجز والتعجب عن قدرته على خلق مثل حسنه وفي الاستثناء يفيد التنزيه ايضا كما قال عز الله لمن سمع صوت حاشا الشيطان
وابن الاصبع وقيل فاعل من الحشا الذي بمعنى الناحية وقيل حرف جر وضعت للتنزيه اى تنزيه لله وبراءة لله وقرئ حاشا وقرئ بالاضافة الى الله
وبالتنوين وهو دليل من قال انه مصدر وجواز عدم التنوين مع انه مثل براءة لله نظرا الى الحرفية وهو كسكون عن اسماء في قولهم جلست من عن يمينه
اى لمن هذا الجمال الرائق والكمال الفايق لا يوجدان الا في الملك وذلك حيث رأينه لم يلتفت اليهن ولم يجدن اثرا من الشهوة اى ترقى عن الانسانية
ودخل في الملكية وايضا هن من عظمة النبوة قيل ذلك لانه لما اشتهر واستقر في النفوس ان لا احسن من الملك ولا اكثر خيرا منه كما انه لا اقبح من الشيطان
ولا ابلغ شرا منه فاستدل به على افضلية الملك على البشر بناء على انه كلام في معرض تعظيم الملكية باخراج يوسف عن حال البشرية وذكر في المفاتيح انه اما
ان يراد الخلق الظاهر او الباطن والاول باطل لان وجه الانسان لا يشبه وجه الملك فتعين ان يكون للباطن وهو البعد عن الغضب والشهوة
والاعراض عن اللذات الجسمانية والتوجه الى العبودية وقال الغزالي في هذا المقام باعتقاد دلالة الآية على الافضلية الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة
من تفضيل البشر على الملك معتقدا ان كل من عداهم مجبرة ولقايل ان يبين ضعف الاستدلال بل عدم الدلالة بالكلية فينادي لسان الحال بانفصح المقال
للمبتدعة اخسؤا فيها ولا تكلمون وذلك ان هؤلاء النسوة لم يقصدن بذلك الجمال الظاهر بل قصدن الامر الباطن فمن اين يدل على ذلك

[في الهامش: مطلب]



غاية ما في الباب ان الله سبحانه حكى عنهن ثم قلنا انه على التقدير سلمنا ذلك نهاية ما يقال انهن من قبيل العلماء اهل الاجتهاد فمن اين يلزم اصابتهن
ولزوم اتباعهن سلمنا ذلك من اين يلزم من كون بعض الملك افضل من بعض البشر افضلية كل الملكية من كل الانبياء هذا وانه ادعى الضرورة في الافضلية
وبل يخفى انه كلام من لم يشم رائحة العلوم على ما هي عليها ثم قول الامام وترديده في الاستدلال لا يخفى ضعفه على الفطن وابراز ما فيه تطويل لا يليق
بهذا المقام كيف وفيه كشف عوار صاحب هذا الكلام وقرئ ما هذا بشرى اى بشترى وما يقرأ برفع البشر لغة تميم حيث لم يثبتوا اعمال ما بمعنى ليس والقراءة المتواترة
هي اللغة الحجازية بان ما لما اشبهت ليس لنفي الحال عملت عملها قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين العدول عن اشارة القريب الى البعيد تعظيم في الحسن او الاشارة الى المهيد بعد رتبها ورد الاعتناء بهن حيث
نسبتها الى الافتتان بعيدها او الاستعصام الامتناع البليغ كان المستعصم في عصمة من الممتنع عنه ويطلب الزيادة منها وهو من ابنية المبالغة
ونحوه استمسك وهو تحقيق لبراءة ساحتها عن الفحشاء والضمير المنصوب جعل لما اى امر به حذف الجار مثل امرتك الخير ويحتمل ان رجع الى يوسف ويكون التقدير
آمره به ويتعين ذلك اذا جعلت مصدرية وقرئ ليكونن بالتخفيف وفعل الصاغر صغر بالكسر يصغر اى ليكونن من الاذلاء والوقف على ليكونا
بالالف مثل لنسفعا وليس في القرآن مثلهما وقد قرئ به قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
اى السجن او السجن على المصدر كما قرئ به احب الي من الزنا وذلك حين حذرته عن مخالفتها وامرنه بطاوعتها الا يقع في السجن فقال هذا الكلام
ايثارا لمشاق الحبس وترك الملاذ والصبر على ما يلحقه من العار في الآخرة وهذه الدار واسناد الدعوة الى الكل لانهن كن رغبنه في ذلك فان قيل
هل افعل التفضيل على بابه وما وجه كون الزنا محبوبا اليه قلنا يجوز ان يراد به مطلق الزيادة وان كان الاستعمال كالمنافي له ويجوز ان يحمل على بابه بانه يكون كمال العصمة
اقتضى ان يحصل له في مقابلة الحب الغير الاختياري حب غير اختياري للعقوبة والشناعة في الدنيا نظرا الى عواقب الامور وما قيل انه انما ابتلي بالسجن لانه سأل
ذلك ولم يسأل العافية ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم على من سأل الصبر فيه نظر لان يوسف عليه السلام لم يختر ذلك لكنه لما كان احد الامرين بزعم من قدر
[عن معاذ رضه قال سمع النبي عليه السلام رجلا وهو يقول اللهم اني اسألك الصبر قال سألت الله البلاء فاسأله العافية منه]
السجن كاللازم قال انه كان لا بد والثاني احب الي هذا وانه يحتمل انه يكون الحكمة فيه ان يصير قدوة النفوس الطاهرة المؤثرة لعذاب الدنيا على الآخرة ثم قال
وان لم تصرف عني مكرهن في تحبيب ذلك بان تعصمني عنه امل اليهن بمقتضى الطبع وكانه علقه على ما يتخيل وقوعه بالنظر الى وعد النبوة او حصولها كما سبق
[او ميلا اختياريا قصديا]
يعني مقتضى الطبع ذلك والمراد بالجهل السفه فانه فعل السفهاء فان العالم بقبح الشيء لا يفعله او من الذين لا يعلمون ما يفعلون فان قيل اذا كان العلم وكمال العقل
حاصلين له فكيف يزولان بعدم صرف المكر عنه قلنا لعل المراد انه يصير فعله كفعلهم فنزل عدم ترتب الاثر على العلم كعدمه فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم لما تضمن قوله والا تصرف عني الدعاء للصرف ذكر الاستجابة لدعايه وعصمه ما خاف منه حتى الهمه باختيار السجن على اللذة فان الله هو السميع
لدعاء من التجأ اليه العليم بما احتوى عليه قلبه من الاخلاص او لخصوص حال يوسف عليه السلام ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين اى بدا للعزيز
واهله يعني انه ظهر لهم رأي في حبسه لانها قد خدعته زوجها فارادوا ان يظهروا للناس انه المجرم واضمر فاعل بدا مثل رأى لكثرة الاستعمال وهو التلون في الرأي
وجعل ليسجننه تفسيرا له لا انه الفاعل كما قيل وقيل الفاعل مصدر اى السجن او ارادة ان يوافقها لذلك التعذيب لانها قالت اما ان تأذن لي في الخروج فاعتذر
الى الناس واما ان تحبسه كما حبستني وذلك بعد ما شاهدوا من الآيات الدالة على براءة يوسف عن السوء كشهادة الاهل والقميص وحال النسوة وغيرها لمعنى الزوج
جميعا لمكرها وكونه مطواعا لها وتناسب ما روي من ان حبك للشيء يعمي ويصم وما يقرأ بالتاء فالخطاب بعضهم بعضا والحين سبع سنين وقيل خمس وقيل اثني عشرة

وقيل الى انقطاع القائل فالمتحقق مدة طويلة لقوله وادكر بعد امة ولغة هذيل عتى وبقراءته وانكر عمر رضي الله عنه على ابن مسعود وقال علم الناس بلغة قريش
ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
قيل حبس الملك بعده مملوكين له او شابين ساقيه وخبازه اتهم الخباز بانه اراد ان يسمه وان الساقي وافقه عليه ومعنى مع اي في صحبته اي ادخلا حين
دخوله والمراد بالرؤية رؤية المنام واني حكاية حال ماضية وتسمية العنب خمرا مجاز لعلاقة اطلاق السبب وارادة المسبب ويقرأ عنبا وفي لغة عمان
الخمر اسم العنب قال ذلك الساقي وقال الخباز اني اراني ينهش سباع الطير مما احمل فوق رأسي من الخبز والمراد من المحسنين المحسن في تأويل المنامات
وذلك لانهما سمعاه يعبر لبعض اهل السجن او من المحسنين الى المسجونين كان يقوم بمرضاهم ويوسع من ضاق عليه ويجمع للمحتاج ويفرج عنهم بالكلام الطيب
ووعد الاجر على الصبر كذا قيل ولعل ذلك الموعود له يكون مسلما او الاجر في الدنيا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك بورك لنا
في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله وقال السجان لو قدرت لخليت سبيلك ولكن
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وقيل من المحسنين في العبارة روي ان الفتيين قالا له انا لنحبك فقال انشدكما الله ان لا تحباني فما احبني احد
الا دخل علي من حبه بلاء وذكرت عمته وابيه وزليخا وضمير تأويله يرجع الى ما قصا عليه بتأويل المذكور كما في اسم الاشارة قال في المفاتيح الدليل على حقية
علم التعبير الآية والعقل وهو ان الروح يقدر على مطالعة اللوح لكنها تشتغل عنها بغيرها فاذا نام الشخص قل الاشتغال فتقوى على المطالعة فاذا وقفت
على حالة من الاحوال نزلت آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال والمعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك الادراكات العقلية
عن النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلثة رؤيا يحدث الرجل نفسه ورؤيا يحدث من الشيطان ورؤيا حق واقول على هذه القسمة قسم المعبرون في كتبهم
احوال المنامات ويستدل على كل قسم منها بقراين تعرف بها واحوالها شرحها لا يليق بهذا المقام قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان
يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يأتيكما طعام في اليقظة الا اخبرتكما قبل اتيانه
فهو كاخبار عيسى عليه السلام في قوله وانبئكم بما تأكلون او اخبر حال طعام يؤكل في النوم او ما يبعثه الملك الى انسان اراد قتله والاول انسب لانه اذا كان
اخبارا بالغيب يكون تقديم المعجزة قبل الدعوة ليكون ادعى لحصول التوحيد والزجر عن الشرك وتقبيح امره وكذا عادة العلماء اذا سألهم الجهال والفسقة
يقدمون الموعظة والنصيحة ليكون ما يفيدهم به اثبت في خاطرهم وفيه ان ذكر العالم الذي لا يعلم منزلته في العلم جائز لا يعد من قبيل التزكية المنهية عنها
وتأويله بيان ماهيته وكيفيته نزله منزلة تفسير المشكل وهذا التأويل والعلم بالغيب على ما هو عليه من جملة ما علمني ربي بالوحي لا على طريقة الكهنة والمنجمين
واني تركت وان احتمل ان يكون ابتداء كلام لكن الانسب ان يجعل علة التعليم اي سبب الوحي والتعليم اني اتبعت ملة آبائي فان قيل لم قدم الاقدم
مع ان الاطلاق في الاقرب حقيقة قلنا للتعظيم او لان المتأخر تابع للمتقدم في الملة وحمل من ترك ملتهم على اهل مصر وكان الفتيان على دينهم وفي
تكرار الضمير اشعار بانهم يختصون بالكفر بالآخرة وان الذين هم على ملة ابرهيم عليه السلام مؤمنون بها وكانه جعل افعالهم من خوارم لا يؤمن
بالجزاء ومن حملها حبسه بغير حق بعد رؤية ما يدل على براءته لا بفعال الترك يشعر بانه كان على ملتهم لانه عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه
ان يكون عارضا من قبل او ان عدم اظهاره خوفا ثم اظهاره في ذلك اجرى مجرى الترك وتخصيص الانبياء بانه لا يصح لهم ان يشركوا بالله شيئا

مطلب في حقية علم التعبير وهو يخالف ما عليه المتكلمون

ملكا

ملكا كان او كوكبا او انسيا فضلا عن ان يكون صنما لانهم اهل الوحي باعتبار طريق الاولى وذلك اشارة الى الامتناع من الشرك من فضل الله على الرسل
والمرسل اليهم لانهم ارشدوهم اليه وضمير من للاشارة الى الالطاف خلاف الظاهر وذكر الآباء لانهم كانوا مشاهير الانبياء فيعلم انه من اهل بيت النبوة
وينظروا اليه بعين الاجلال فيكون تأثر قلوبهم بكلامه اكمل ولكن اكثر من بعث اليه الانبياء لا يشكرون نعمة بعث الانبياء اليهم حيث اشركوا بالله او لا ينظرون
ولا يتفكرون في الادلة التي بعثوا بها تقليدا لآبائهم يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي صاحبي
في السجن فالاضافة مثل يا سارق الليلة لان السجن مصحوب فيه او يا ساكنيه مثل اصحاب الجنة ولعل التصريح بكونهما صاحبي السجن لانهما لما لم يكونا مسلمين
لم يناسب اطلاق كونهما صاحبيه شتى متفرقة وكانه قال استحقاق العبادة اما بالذات او بالغير والقسمان منتفيان مع الاختلاف لمختلفة الذوات او الصغر والكبر
والافعال كالملائكة والكواكب والاصنام المتخذة على صور الارواح الفلكية باعتبار العدد والكثرة وهذا التقرير كالاساس لتقرير النبوة لانها مبنية
على اثبات الاله ووجه الحجة في منع الكثرة ان كثرة الآلهة توجب الفساد كما نبه عليه سبحانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكون الاله واحدا
يقتضي حسن النظام فالاستفهام للانكار كيف والاصنام مقهورة لو اراد عبدتها كسرها لقدر عليه والله العالم تعالى قهار قادر على ايصال النفع والضر
فعبادة المقهور الذليل الذي لا يقدر على شيء ثم خاطبهما ومن يشاركهما في عبادة الاوثان من اهل مصر ان تعبدونها ليست الا اسماء خالية عن مسمياتها
سميتموها آلهة لا تستحق الالوهية وكانهم اعتقدوا معدومات موجودة فكانهم ما عبدوا الا مجرد الاسماء يقال سميته كذا وسميته بكذا فان قيل ما معنى تسميتهم بعد
تسمية آبائهم وما سمي باسم مرة لا يسمى به ثانيا قلنا لعل المراد تقرير تسمية آبائهم ان لم يثبت انهم غيروا اصطلاح الاولين واستدل به على ان الاسماء توقيفية
حيث ذمهم الله بالتسمية لان الله ما انزل من حجة على جواز تسميتها بهذه الاسماء واجيب بانه لما جاز ان يكون الانكار لعبادتهم اياها او لتسميتهم آلهة
واعتقاد الالوهية فيها لم يبق فيه دليل فيكون تقدير تمام الكلام ليس الحكم الا لله في امر العبادة والدين ويدل عليه انه امر بالتوحيد الصرف بان لا يعبد
غيره واكد ذلك بانه الدين الثابت الذي ثبت صحته بالبراهين والعقل لا يرضى غيره ولا يقتضي ايثار ما سواه ويعلم بادنى تأمل فيه وانهم لا يفرقون بين القويم
والعوج وذكر في المفاتيح ان اكثر الناس انما لم يعلموا اختصاص صدور الافعال من الله تعالى لانهم يسندون الآثار الى الاتصالات الفلكية كما يشاهد
من ظهور التغيرات في احوال الحيوان والنبات بتفاوت الحر والبرد فجعلوا التدبير للشمس والقمر ولم يعلموا انها في ذواتها مفتقرة الى موجد مبدع قادر حكيم
واذا لم يعلموا الحق خبطوا في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان
وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين هذا تعبير رؤياهما قيل لما حكاه وقيل لما حكم الخباز
وقيل رؤياهما حقيقة واحدهما المذكور اولا الشرابي وتعبيره ان يسقي سيده خمرا فسر الكرمة وجهها بالسيد وحسن حاله عنده وكان قد رأى قضبانا
ثلثة ففسرها بثلثة ايام في السجن ثم يرجع الى حاله وقال للخباز ما رأيت من السلال الثلثة ثلثة ايام ثم تقتل وتخرج فقالا كذبنا فقال قد قضى الله كل
ما عبرت كذبتما ام صدقتما لان هذا من عند الله وتوحيد الامر مع انهما سألا عن امرين لارادة ما اتهما به او ترائيهما من الحبس امر عاقبة نجاة ام هلاك
وفاعل ظن يوسف ان لم يذكر ذلك بالوحي والا فالشرابي الآن يفسر الظن بالعلم كما في يظنون انهم ملاقوا ربهم اذكرني اي قل للملك انه قد حبس انسان
ظلما وقص عليه هذه القصة ليبحث عنها فانسى الشيطان الشرابي ان يذكره والانساء حقيقة وان لم يكن الا من الله لكن الشيطان اشغله بوساوسه

حتى نزل عن قلبه فلبث سبع سنين على ما قاله الاكثرون وقيل هذه المدة بعد الرؤيا وهذا لا يمكن الجمع بينه وبين قوله سجنا ودخل معه السجن فتيان وتعبيره
ان مدة لبثه ثلثة ايام والبضع ما بين الثلثة الى العشرة وما قال ثنتي عشرة فلما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني
عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس واضافة الذكر الى الرب لان المراد ذكره عند ربه لانه معمول المصدر او ذكر اخبار ربه واورد بانه ما وجه
الانكار على يوسف في الاستعانة مع انه عليه السلام كان يطلب من يحرسه واجيب بانه ينبغي للنبي ان لا يعتمد بغير الله لا سيما اذا تضمن شماتة الكفار
وهذا الجواب ليس بشيء لانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم استعان بيهود خيبر في الحرب بل لعله لما اختار السجن في قوله رب السجن احب الي
كان اللايق الصبر على مشاقه حيث آثره على الدعة لمرضاة الله وما قيل ان مثل هذا لا يليق منصب الانبياء فيه نظر لان ذكره عند ربه لو كان سببا
لتحقق براءة ساحته عن النسبة الى ما لا يليق بمنصبه وظهور دعوته وقد جعل الله الملك سببا لخروجه لم يكن به بأس • وقال الملك اني ارى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون • اي رأى ملك مصر سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع اخر مهازيل فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن وسنبلات وهي حبوب منتظمة هي حمل نبات
كالقصبة وكانت خضراء قد ادرك حبها ورأى سبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الكهنة
والسحرة فلم يعرفوا تأويلها ويجوز ايقاع السمان صفة لبقرات ويكون التمييز السبع بنوع البقرات السمان لا بجنسهن وان وصف السبع بها كان التمييز
بالجنس ثم يكون وصف المميز الذي تميز بالجنس بالسمن ولا يخفى عند التأمل ان الثاني ابلغ في المعنى لانه كانه ميز مرتين وعدم اضافة السبع الى العجاف
لان التمييز لتبيين الجنس والعجاف وصف فلا يتميز به ومثل خمسة اصحاب وان كان من قبيل الاضافة الى الوصف لكنه اجري مجرى الاسم واورد ان ذلك
مما يشكل لما فيه من الابهام بخلاف ما نحن فيه فانه لم يقل وبقرات سبع عجاف لانه يعلم ان المراد البقرات واجيب بان ترك الاصل مع وقوع الاستثناء
عما ليس باصل غير جائز وفيه نظر لان باب التمييز كله عدول عن الاصل عما ليس باصل مثلا تصبب عرقا اصله تصبب عرقه وطاب زيد نفسا الاصل وصف
النفس بالطيب والعرق بالتصبب وهو اخصر ومعنى الآخر يتناول السبع كما سبق ان التقدير وسبعا اخر ولا يجوز عطف اخر على السنبلات الخضر
ليكون مجرور المحل لانه يفضي الى نوع تناف لانه على فرض العطف يدخل في حكمها فيكون مميزا للسبع ولفظ الآخر يقتضي ان يكونه غيرها ويعلم بهذا الفرق
بجواز سبعة رجال قعود وقيام بالجر وعدم جواز سبعة رجال قيام وآخرين قعود هكذا قيل وفيه نظر فانه اذا قدر وسبعة رجال آخرين قعود
لم يكن فيه خلل ثم قال الملك لمن توقع منه التعبير عبروها ان كنتم عالمين بالتعبير وهو نقل مبادي الرؤيا الى النفس التأويل بالتأويل وكان قد حصل للملك
قلق واضطراب حيث رأى الناقص مستوليا على الكامل وشهدت فطرته ان هذا ليس بجيد وانه منذر بنوع من الشر لم يعلم كيفيته وعظمت رغبته
في معرفتها وصارت سببا لخلاص يوسف عليه السلام حيث عجز غيره من المعبرين عن تأويله وذكر اللام وان لتقوية العامل مثل لزيد ضربت
حيث يضعف بالتأخير ويجوز ان يكون الفعل وقع موقع المصدر اي التقدير يعبرون ما يعبرون للرؤيا فالمفعول محذوف • قالوا اضغاث احلام
وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين • الاضغاث جمع ضغث وهو الحزم من انواع الحشيش والجمع للمبالغة في وصفها بالبطلان ولعل العلاقة المشابهة
في عدم الاعتبار وانها شبهت بها لكونها مجتمعة من اشياء غير متناسبة ومن هذا الجمع فلان يركب الخيل ويحتمل ان يكون الجمع باعتبار دلالة كل جزء
من هذه الرؤيا على شيء من الحوادث الآتية والتقدير هذا من بعض تخاليط الاحلام واباطيلها والاضافة مقدرة بمن فان المضاف نوع من المضاف اليه

ونفهم

ونفهم علمهم لان التعبير والدلالة ليستا الا للمنامات الصحيحة وفيه ايهام لان الكامل في التعبير قد يهتدي اليها وقيل اعتراف بالقصور في علم التعبير •
وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون • هو الناجي من الفتيين قال ان في الحبس فاضلا صالحا كثير العلم والطاعة وحال الخباز
ويقرأ اذكر بالمعجمة والمعنى على الوجهين بذكر اي يوسف وتعبيره بعد نسيانه ما وصاه والامة الجماعة المجتمعة من الزمان اي مدة طويلة وما يقرأ بالكسر
فالمعنى بعد ما انعم الله عليه بالنجاة وفي جزاء النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور وقيل لا يدل على سبق النسيان فلعله لم يذكر
مخافة ازدياد الشر ليذكر ذنبه وقيل المتذكر يوسف وقرئ امه بفتح الميم اي نسيان من امه يامه وانا انبئكم او آتيكم على ما يقرأ مفعول القول اذكم عني
بنبئكم والتذكير لعله للمذكور او ارادة الحكم فارسلوني او غيري الى السجن او من عنده علمه فارسل فجاء فقال يا يوسف والمبالغة في الصدق لمشاهدة ذلك
منه لا سيما في التعبيرات فقال افتنا في شأن سبع بقرات فكلمة الترجي لعدم الجزم بالرجوع لانه لم يعلم انه يعبرها على وجه يعلمون وحمل علمهم بفضل يوسف
وما كان عليه من كمال العلم قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن
ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون • حمل تزرعون على انه خبر في معنى الامر ليناسب عطف
فذروه وفيه من المبالغة ما سبق فانه في قوة ما امر به فيفعل فاخبر نحو غفر الله لك ولو بقي على حقيقته فيحتمل ان يكون التقدير تزرعون فاذا زرعتم وحصدتم
فذروه وهذا اوفق لقوله نبئنا بتأويله فليتأمل فيه والدأب العادة وقرئ بفتح الهمزة وعلى الوجهين مصدر دأب في العمل والتقدير ازرعوا دائبين او ذوي
واسناد الاكل الى السنين لوقوعه فيه والابقاء في السنبلة لئلا يأكله السوس رعاية لمطابقة البقرات مع السنين التي اولت بهن والقليل هو المخصص
لبذور الزراعة استثنى ما يؤكل في السنين المخصبة والعام الذي يغاث فيه السنة الثامنة اي يمطرون من الغيث ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا
وان جعل من الغوث فالمعنى يغيثهم الله من القحط ويؤيده ما يقرأ يعصرون بالمجهول على معنى ينجون وكذا بالفاعل بمعنى يغيث بعضهم بعضا اي يكثر الثمار فيه
فيعصر العنب والسمسم والزيتون وغيرها فيؤخذ الادهان والاشربة وقرئ بالتاء تغليبا للمستفتي وحمل على يمطرون على التضمين من اعصرت السحابة
فتعدى تعديته او نزع الخافض بتقدير واعصرت عليهم بما يهمهم بشرهم بالخصب والنعمة قيل علم ذلك بحسب العادة اللاهية وقيل بالوحي ولا اشكل بان انتهاء القحط
لا بد وان يكون بالخصب لجواز ان يكون حال تلك السنين ولا يعلم حقيقة ما بعدها من تفصيل الحال وهو انه يغاث الناس وفيه يعصرون قيل هذا لا يكون الا بالوحي
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم • حمل التثبت بعد طول
السجن على انه لما كان ذلك مظنة كونه مستحقا لذلك اراد ان يبرأ ساحته على وجه يحسم مادة الفساد لئلا يحط قدره عند الملك ولعل معظم غرضه عليه السلام
ان لا يقع خلل في الدعوة واظهار النبوة وهو يدل على كمال طهارته لانه لو كان ملوثا بوجه ما يخاف ان يذكره بسوء والعدول عن الامر بتفتيش احوال النسوة
الى الامر بسؤاله عن حالهن لتحقيق الحال بتهييجه على البحث وقرئ فسله بغير همز والنسوة بضم النون وفيه الاشارة الى الابعاد عن مظان التهم وقد مدحه النبي
صلى الله عليه وسلم حيث ذكر في معرض التواضع لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي وروي بوجوه اخر وعدم التنصيص بذكر زليخا قيل
لصيانتها رعاية للادب لحقوق صورة التربية وهي ما ابت ذلك بان اعترفت ان الذنب كان من جانبها وان يوسف بريء منه ويحتمل ان يكون ذلك
لكونهن كانت هادات على براءتها وكيدهن قد سبق انه قولهن اطع مولاتك وغيره وفيه وصفه بالعظمة والايماء الى الوعيد بالمجازاة عليه

قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
اى رجع الرسول من عند يوسف الى الملك فدعا النسوة وامراة العزيز وقال ما شأنكن والخطب الامر العظيم هل وجدتن له ميلا اليكن فنزهنه متعجبات
من كمال عفته كما قلن من قبل ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اى معاذ الله ما علمنا عليه من ذنب قيل ما دعوناه الا الى امراة العزيز وما علمنا سوءا فى دعوة
الملوك الى طاعة المالكة وحصحص ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ ويقرأ بالمجهول قال الصف ابلا فحصحص فى صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوأة ثم صمما اى كان مترددا بالذهاب فعال وقيل ظهر من حص شعره اى استاصل قطعه فظهر بشرته والحصة القطعة ثم اقرت مخافة
شهادتهن عليها وهو من الصادقين فى قوله هى راودتنى ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين وما ابرئ نفسى ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم لما رجع الرسول قال ذلك اى التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه فى حرمه غايبا عنى وانا غايب عنه
فهو حال صالح لهما او ظرف اى لم اخنه بمكان الغيب وراء الابواب المغلقة وان الله عطف على انى وعدم هداية الكيد عدم انفاذه وفيه تعريض بخيانتها
وتوكيد لامانته ويدل عليه تعقيبه بقوله وما ابرئ اذ المراد اظهار نعمة العصمة عليه لا العجب بحاله وعن ابن عباس انه لما قال ذلك قال جبريل ولا حين هممت
وقيل ملك آخر وقيل راعيل وقيل استدرك هو من نفسه ذلك ووقت هذا الكلام قيل عند الدخول على الملك وقيل عند رجوع الرسول فقال ان النفس لامارة
بالسوء وقرئ بقلب الهمزة واوا والادغام اى هى مائلة بالطبع الى الشهوات طالبة اياها باستعمال الجوارح والقوى ولم يستثن الا النفس التى
عصمها الله منها او الا وقت رحمة ربى لها ومن انكر ذلك قال لما كان ذلك الكلام لمدح النفس وتزكيتها استدرك بقوله وما ابرئ نفسى او ان عدم
التعرض لم يكن لعدم الميل فان النفس لامارة بالسوء بل من خوف الله تعالى وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى تصرف الاسارة مثل ولا هم ينقذون
الا رحمة منا ولا عبرة باستبعاد المعتزلة امثال هذه الروايات فانها لا ترجع بنقص على نبى فان معاتبته على ترك الاولى كما سبق والمراد بما من
فان كلا منها يستعمل مقام الآخر والنفس الانسانية لها صفات كثيرة فاذا مالت الى العالم الالهى كانت مطمئنة واذا انصدت الشهوة والغضب
كانت امارة ولما كانت الاول اقل جارت المبالغة فى الثانى فانها مايلة الى المحسوسات ولذاتها وقيل المطمئنة هى العقلية والشهوانية الغضبية
تغايرها ويعلم ان الطاعات من الله بقوله الا ما رحم ربى وقيل من كلام راعيل اى ما خنته فى انى ما كذبت عليه فى غيبته بل قلت الصحيح عنه حين سئلت عنه وما ابرئ
نفسى من الخيانة فانى خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ثم اعتذرت بكون النفس امارة بالسوء الا ما رحمها الله كنفس يوسف عليه السلام
وما قيل ان قوله ذلك ليعلم قال يوسف بعد قولها انه لمن الصادقين بعيد لان يوسف ما كان حاضرا عند قولها ثم استغفرت الله بقولها ان ربى غفور رحيم
وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم اى قال الملك ائتونى
بيوسف اجعله خالصا لنفسى وفى معناه استخلصه وذلك لما شاهد فيه من الرشد والذكاء عند المكالمة وكمال علمه وطهارته وحسن ادبه و [illegible]
بقاءه فى السجن مدة وعدم التماسه من الملك الخروج وقال ايها الصديق انك اليوم عندنا ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شئ روى انه لما اجاب
رسول الملك وخرج من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسالك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها

[illegible]

فاجابه

فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن والسنابل
وهيآتها التى رآها من غير تغيير حرف وقال له من حقك ان تجمع الطعام فى الاهراء اى المخازن فياتيك الخلق من النواحى فيمتارون منك وتجمع لك
من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك والمراد بكونه حفيظا انه يحفظ ما يستحفظ وانه عليم بوجوه التصرف وهما كالمقتضى للتولية حيث رتبهما عليها بانى
ولهذا اذا اختلت احديهما فى متولى الوقف نزع السلطان التولية عنه وكان قصده عليه السلام وحيث روى ان الملك اسلم لم يكن فيه اشكال وان بقى
على كفره فقد قيل انه اذا علم النبى وكان يجب عليه رعاية مصالح الامة ولم يمكنه الدعاء الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وترك الاستثناء
عند قوله انى حفيظ عليم مع قوله سبحانه لا تقولن لشئ انى فاعل ذلك قيل لئلا يتوهم الملك عدم قدرته وقيل عوقب بان اخر عنه سنة وروى فى الخبر
ان التاخير بطلبه ذلك او العالم انه لا يتمكن من الحكم بامر الله الا بتمكين الملك الكافر فله ان يستظهر به وفيه نظر فان هذا انما يتم ان لو لم يكن ماموراً بقتاله
وقيل كان لا يصدر الملك عن رأيه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ومثل ذلك التمكين الذى حصل ليوسف مع الملك مكناله فى ارض مصر يتخذ منها حيث اراد لا يمنعه مانع
لدخول جميعها تحت سلطانه برحمتنا بعطائنا الملك وساير النعم ونخص بها من تعلقت مشيتنا به على وجه الحكمة وهو يدل على اجابة الملك وان لم يذكر وايضا
لما كان الله المؤثر الحقيقى والاثر يتوقف على ترجيح منه وبحصوله يحصل فى قلب الملك الاجابة لا محالة وقرئ نتبوأ بالنون روى ان الملك توجه بتاجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا مكللا بالدر والياقوت فقال له يوسف عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك
واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير وروى انه اجلسه معه على السرير ودانت له
الملوك وفوض الملك امره اليه وعزل قطفير ثم مات وقيل مات قطفير فى تلك الليالى فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها
عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام
بالدراهم والدنانير فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الراى رايك قال فانى اشهد الله واشهدك انى
قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع احدا من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وفى الآية دليل على ان الله
آتاه الملك بمحض المشية الالهية ودعوى جريان امره بمقتضى الصلاح لا دلالة للفظ عليه البتة وقوله سبحانه ولا نضيع اجر المحسنين اى نوفى اجورهم فى الدارين
والفاجر لا يعطى الا فى الدنيا ولاجر الآخرة خير للمتقين عن الشرك والمعاصى ويحتمل ان يختلف الاجر باختلاف مراتب التقوى من اتقاء الشرك او المعاصى
او عما سوى الحق سبحانه وانما كان اجر الآخرة خيرا لانه نفع خالص دايم وذلك مفقود فى خيرات الدنيا ولا دلالة فيه على عدم حصول هذا الخير لمن لا يتقى الكبائر
فان الظاهر ان الثواب الحاصل للمتقين افضل فلا يلزم ان لا يحصل لغيرهم اصلا وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون روى انه عم القحط
ارض كنعان وبلاد الشام وكان يوسف عليه السلام قد اجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات وارسل يعقوب اولاده سوى بنيامين للميرة فدخلوا عليه
فعرفهم ولم يعرفوه لبعد العهد فانه كان الزمان اربعين سنة وتصورهم هلاكه واختلاف الحال وقلة تاملهم من الاستعظام او كان على زى الملوك على راسه
تاج وفى عنقه طوق من ذهب عليه ثياب حرير او بينهم حجاب او كانوا واقفين من بعيد فلما نظر اليهم وكلموه بالعبرانية فقال اخبرونى من انتم وما امركم

وانكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادنا قالوا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن بنو اب واحد وهو شيخ يقال له يعقوب نبي من الانبياء فقال كم كنتم
قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا امسكه ليتسلى به من الهالك قال فمن يعلم ذلك
قالوا يا ايها الملك انا ببلاد ما يعرفنا احد قال يوسف فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك واظهر اسرارهم بذلك دليل صدقهم
وسألوه ان يعطيهم وقر اله فاعطاهم واسترهن بعضهم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فجعلوه عنده. ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه
وانا لفاعلون. يقرأ بكسر الجيم وهو ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وقيل الشريف منها وما زف به المرأة الى زوجها اي اصلحهم بعدتهم واوقر
ركابهم بما جاؤا له امرهم بان يأتوا اليه باخيهم ورغبهم بانه يتم الكيل او بيده الكيل وانه خير المضيفين او واضعين للشيء موضعه ووصف الاخ ناب
مناب تعريفه ومعنى لا كيل لا ابايع منكم ولا تقربوا بلادي وهو اما مجزوم عطفا على محل لا كيل في التقدير اي تحرموا ولا تقربوا او بمعنى النهي وهو اولى للتقدير
قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون. اصل راود وجاء وذهب
اي سنخادعه ونحتال في نزعه عنه وانا لقادرون عليه او لفاعلون ما امرتنا به من غير توان فيه قيل اراد يوسف بذلك تنبيه يعقوب على حاله وقيل
فعل بامر الله والفتية جمع فتى وهو الشاب القوي ويأتي الفتيان والاول للقلة وهم الغلمان الكيالون وبضاعتهم قيل كانت اوراقا وقيل نعالا وادما
والرحل العدد للرحيل قيل اثمارا واستحياء ان يأخذ من ابيه واخوته الثمن وقيل ان لا يكون عندهم ما يرجعون به وقيل لعلهم يردونها لما علم من حالهم انهم لا يستحلونها
فيرجعون بها او حرصهم على الرجوع وعلى الاول المعنى لعلهم يعرفون حق الرد وعلى الثاني حق الاكرام اذا انصرفوا الى اهلهم فلعل معرفتهم هذا الفعل يبعثهم على المعاودة
وهذا الوجه يدفع قدح من قال بعد ان يكونوا عالمين بوضع البضاعة معللا بقوله يعرفونها وقيل فعل ذلك ليعرف ابوهم انه اكرمهم. فلما رجعوا الى ابيهم قالوا
يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين.
فلما رجعوا ذكروا اقوال يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم نزلوا الانذار بمنعه منزلة المنع او اتمام الكيل الذي ارادوه ومعنى نكتل نرفع المانع من الكيل وما نري
بالياء فالاسناد الفعل الى الاخ وبالنون معناه ينضم كيله الى كيلنا واكدوا كونهم حافظين له من خمسة اوجه مبالغة في الارسال فانكر ان يأمنهم حيث قالوا
في شأن يوسف كذلك وما وفوا به فدفعه اليهم متوكلا على الله فقال الله لما قال خير الحافظين وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعد ما توكلت علي وقرئ
حفظا ونصبه على التمييز وكذا حافظا غير انه يحتمل الحال نحو لله دره فارسا ويقرأ خير حافظ وخير الحافظين وهو ارحم الراحمين ولا يجمع مصيبة الى مصيبة
بل يحفظه. ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير
ذلك كيل يسير. ولما فتحوا اوعيتهم ظهر لهم ما جعلوه ثمن الطعام ويقرأ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء مثل قيل وبيع فقالوا واي شيء نريد وراء هذا
من الاكرام اكرمنا وباع منا ورد علينا الثمن او الشاهد على صدقنا فيما يقرأ بالياء ولعل انكر العامة انه لم يظهر للناس انه يتصدق عليهم بل يبيع وفي الحقيقة
لم يأخذ الثمن قالوا قدمنا الى خير رجل اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما اكرمنا اكرامه وقيل ما للنفي اي لا نطلب منك بضاعة نرد بها الى مصر
او ما نطلب ان نكذب معك فيما نخبر به وهذه بضاعتنا بوضح قولهم ما نبغي على الاستيناف والجمل الآتية معطوفة مقررة لامر الرجوع اذ المعنى نستظهر
بالبضاعة ونمير اهلنا بالرجوع والميرة الطعام يحمل من غير بلدك ونحفظ اخانا مما تخافه ونزداد بصحبته وسقا آخر على اوساق اباعرنا واذ اقتر البغي بالكذب

فيكون

فيكون فائدة هذه بضاعتنا بيان صدقهم والجمل الآخر معطوفة على نبغي كانهم قالوا لا نرتكب القبيح بالكذب ونتعاطى الاحسان بهذه الافعال ويقرب منه
التفسير بما ننطق الا بالصواب في طلب ارسال اخينا معنا وان جعل نبغي كلاما مستأنفا نحو سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى فيه وكانه جواب من قال
لم سعيت ومعنى كيل يسير انه قليل لا يكفينا بل نحتاج الى ما يضم اليه من كيل اخينا وقيل سهل عليه والتيسر اتيان الخير بغير مشقة ويجوز ان يكون من كلام يعقوب اي يسير
لا يخاطر بالولد لاجله. قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اي لا اباب حاجة
ان ارسله وقد رأيت منكم ما رأيت حتى تحلفوا بالله وجعله موثقا لانه مما يؤكد به العهود ويشدد وهو اذن من الله حيث اذن فيه ولتأتنني جواب اليمين
اذ التقدير تحلفوا لتأتنني به الا ان تغلبوا فلم تقدروا عليه او تهلكوا جميعا يقال احيط بفلان اي انسدت عليه مسالك النجاة ودنا هلاكه فقيل لكل من هلك
قد احيط به عن ابن عباس حلفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فلعل المنع من الحلف بغير الله مختص بهذه الامة وهو استثناء اذ التقدير لتأتنني به في كل الاحوال
الا في حال الاحاطة او استثناء من اعم الاسباب فيكون ان يحاط بكم مفعولا له ولتأتنني به في تأويل النفي لانه شرط الاستثناء المفرغ اي لا يمتنعون من الاتيان
بسبب الا للاحاطة مثل اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك وايتاء موثقهم اعطاهم العهد المؤكد بالحلف والله مطلع على ذلك رقيب عليه وقيل
شاهد او ضامن للقيام بما اضيف اليه فان قيل ما وجه اخذ الميثاق منهم بعد التوكل على الله بقوله خير حافظا قلنا لعل ذلك للاشارة الى انه لا يعطل التدبير مع التقدير
او ان التوكل على الحفظ للبقاء وهذا للرعاية عما يؤديه. وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون. انما نهاهم في الكرة الثانية بان يدخلوا من باب واحد دون الاولى لانه اشتهر قربهم من الملك واكرامه الذي
لم يكن لغيرهم وكانوا ذوي جمال فخاف عليهم العين لجمالهم وجلالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم العين قد يدخل الرجل القبر والجمل القدر وكان يعوذ الحسن والحسين

مطلب في كيفية اصابة العين

اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة وكل عين لامة وهو وان كان بفعل الله سبحانه لكن الله يحدث ذلك التأثير عند حصول نظر المعيان على المعان ونقل
في المفاتيح عن الجاحظ انه يمتد من العين اجزاء فتتصل بالشخص فيؤثر فيه تأثير اللسع والسم وضعفه القاضي بانه لو كان كذلك لوجب ان يؤثر في كل شخص قال
وهذا الاعتراض ضعيف لان من استحسن شيئا فقد يحب بقاءه ويحصل خوف شديد من زواله فينحصر الروح في داخل القلب ويسخنه في روح الباصرة قوة مسخنة
وقد يجده عند ذلك فيحصل حزن شديد وينحصر الروح مثل ذلك ويسخن شعاع العين ولهذا السبب امر العاين بالوضوء ومن اصابه بالاغتسال
ونقل عن ابي هاشم والبلخي انه يكون امرا اذا اعجب به صاحب العين ان يكون المصلحة في تكليفه ان يغير الله ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف متعلقا به ولا يبعد
اثرا له ذكر ربه ان يقيه ويتغير المصلحة ومنهم من قال ليس من شرط التأثير ان يكون بحسب هذه الكيفيات المحسوسة اعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
فقد يكون نفسانيا محضا ويدل عليه ان اللوح القليل العرض بين جدارين عاليين يتعذر المشي عليه لان خوفه من السقوط يوجب سقوطه وقيل خاف حسد الناس
ان يبلغوا الملك شدة بطشهم فيهلكهم خوفا على مملكته وقيل ليصل بنيامين الى يوسف في الخلوة ومعنى ما اغني انه ان اراد الله بكم سوءا ما حذرته لم ينفعكم ما وصيتكم
فان قيل فما فائدة ذلك حينئذ قلنا لما كان من الممكن ان يكون لله فيهم قضاء معلق اندفاع الشر عنهم بذلك امرهم به وان ابرم الحكم بالضرر لم ينفع وايضا العبد
ينبغي ان يعلم ان ما يدخل في الوجود لا بد وان يكون من قضاء الله ومع ذلك يسعى ويجهد وينظر الى الاسباب المعتبرة في هذا العالم وما اغني عنكم اشارة الى عدم
الالتفات الى الاسباب والنظر الى التوحيد المحض والجمع بين الواو والفاء في عطف احدى الجملتين على الاخرى لتقدم الصلة وهي عليه للاختصاص وفي الفاء
معنى التسبب لان فعل النبي يناسب ان يكون سببا للاقتداء به. ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها

وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون. اي لما دخلوا متفرقين ما اغنى دخولهم كذلك شيئا اصلا حيث اصابهم السوء من نسبة السرقة اليهم ووقوع الفضيحة
فيهم واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله فان قيل لما لم يكن وقوع تلك التهمة صحيحة وظهر آخر الامر براءتهم فقد اغنى عنهم بعض الشيء لا سيما وقد خاف عليهم الهلاك
وغيره وهو عدم دوام افتضاحهم قلنا لما كان القصد ان لا يصيبهم مكروه اصلا لم يغن عنهم شيء بذلك لا اعتبار والاستثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب
وهي شفقته عليهم واظهارها والوصية بما هو الحزم والرأي او حرازة في نفسه من العين او رجاء ان يلقوا يوسف وان يعقوب لذو علم حيث علم ان لا ينفع التدبير
مع التقدير او لا يعمل من غير علم او عامل بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون حاله او لا يعلمون كما يعلمه. ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما
كانوا يعملون. اوى انزله في المحل الذي يأوي فيه او ضمه اليه والايواء تصيير الشيء الى المأوى روي انهم قالوا هذا اخونا جئناك به فقال احسنتم وستجدون ذلك
عندي فاكرمهم فاجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه
على مائدته يؤاكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي
عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف وروي انه قال انا اخبرهم وقيل لم يصرح له فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فقد احسن الله الينا وما كانوا يعملون
من الحسد والعداوة او لا تحزن بما ابتليك عليك ان يحسدوك فانه كان يخاف ان يعرهم بعادة الحسد من الام الصم وجمعا على خير فقال لا افارقك قال قد علمت
اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا بما لا يجمل فواضع معه اخفاء السقاية في رحله ورضي. فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم.
السقاية يشرب منها الملك جعلت الصواع التي يكال بها لعزة الطعام وقيل كانت كأسا من فضة وقيل انا مستطيل يشبه المكوك او هو المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه يشرب منها الاعاجم قيل كانت يسقى منها الدواب ويكال بها وكانت فضة مموهة او من ذهب او مرصعة ومعنى الاذان الاعلام
يقال اذنه اي اعلمه وتأذنه المؤذن اي نادى مناد اذن اي ادركوا وحبسوا بعد ان بعدوا والخطاب اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي على حذف المضاف اي اهل العير
والعير الابل المحمول عليه لانها يعير اي يسير ويرجع وقيل العير الحمير ثم كثر فقيل لكل قافلة وهي جمع عير كسقف وسقف وعومل معاملة بيض وغيد ويقرأ وجعل
بجواب لما محذوف اي حين انطلقوا وقرئ يفقدون من افقده اذا وجده فقيدا والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه اي اي شيء ضاع منكم
ونسبة السرقة قيل كانت من غير اذن يوسف عليه السلام او تعريض بما يشبه السرقة من فعلهم باخيهم او استفهام او على فرض ظهور السرقة وما قيل انه رضي
اخوه بذلك لا يدفع الاشكال عنه لانه نسب الى الكل وهم عنه غافلون وايضا توقع الناس بالاغتياب فالاحسن الحمل على الاستفهام فان النداء بغير اذنه
مشكل لانه يجب عليه المنع مع العلم او فيكم السارق كما يقال قتل بنو تميم فلانا ويقرأ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين المعجمة وغير المعجمة ولمن جاء
على من اظهره والزعيم الكفيل في الاداء اي من جاء به جعل وسق طعام جعالة لمن يأتي به وفيه من الفقه انه يصح الالتزام من غير المالك لان المؤذن لم يكن مالكا
وان احتمل انه كان وكيلا لكنه الكفالة قبل لزوم الحق وهي غير صحيحة فلعل ذلك في دينهم وقال في الفاتح لا يحل للسارق ان يأخذ شيئا على رد السرقة
ولا اشكال فيه لان المنادي ما خصص السارق بل قال ولمن جاء به وهو جعالة صحيحة. قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين مخاطبة الجمع
مع توحيد المؤذن لانه القائل على لسان القوم وتالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل الواو ومختصة باسم الله او اسناد العلم اليهم لما تحقق علمهم ديانتهم في كرتي مجيئهم

حتى

حتى كعموا افواه دوابهم كيلا يتناول مال الغير ورد البضاعتهم وفي اللباب احتمال ان يكون التقدير بالله ما كنا سارقين ولقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض لكلمة
اليمين واقعة على فعلهم يعني السرقة لا على فعل غيرهم يعني علمهم قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين.
اي فما جزاء سرقة الصواع او السارق ان كنتم كاذبين في جحود السرقة قالوا جزاء السارق في اخذ بسرقته ثم وجد خبر جزاؤه وهو من وجد في رحله كان
جزاء السارق استرقاقه سنة في آل يعقوب ولذلك سئل منهم ومعنى قوله فهو جزاؤه انه لا جزاء غيره كما تقول حق فلان ان يعلم عليه فهو حقه تقريرا لاستحقاقه
فهو خبر من لتضمنه معنى الشرط او جواب من والجملة الشرطية بتمامها خبر جزاؤه على اقامة المظهر مقام المضمر والتقدير جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كما اذا سألت
عن اخ زيد فيقال لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو فرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ فقد اقيم المظهر مقام المضمر وان جعل خبر محذوف فالتقدير المسؤول عنه
جزاؤه ثم افتوا بمن وجد في رحله فهو جزاؤه وقيل الفاء في فهو لعطف جملة على اخرى والظالمون هنا السارقون. فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها
من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم. قيل ردوا الى مصر ففتش يوسف
وقيل فتش المؤذن من غير رد وهو انسب لقربه والابتداء باوعيتهم لنفي التهمة قيل قال يوسف لما بلغ وعاءه ما اظن ان هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه
حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولنفسنا فاستخرجوه منه ويقرأ بضم الواو وبالامالة كالاشاح في الوشاح وتأنيث ضمير الصواع مرة وتذكيره اخرى اما لانه يذكر
ويؤنث او للنظر الى السقاية او السرقة ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بتعليمنا اياه او الوحي اليه او المعنى صنعنا له او دبرنا والكيد هنا رد الحكم في شأن السارق
الى اخوة يوسف عليهم السلام ما كان ليوسف ان يأخذ السارق بدل سرقته في حكم الملك وسلطانه لانه كان حكمه تغريم مثلي المسروق والضرب فهو تفسير للكيد الا بمشيئته
واذنه والتقدير الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الظلم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال وان جعل منقطعا فالمعنى لكن اخذه الله بمشيئته والمراد برفع درجاتهم
تعلقت به المشيئة في العلم كرفع درجات يوسف فيه وفوقية العليم على ذي العلم بكونه ارفع درجة منه ولا احتجاج لمن زعم انه تعالى عالم بذاته من غير ان يكون له علم للزوم
ان يكون فوقه عليما لان الكلام في غير الله اعني واقعة يوسف وان العليم الحقيقي هو الله سبحانه فالمعنى فوق كل العلماء عليم هو الله تعالى. قالوا ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون. يعنون يوسف وما نسب من اخذ صنم اذا كسره والقاه
في الجيف او تمثالا من ذهب اخذه من كنيسة كانوا يعبدونه فدفنه او عناقا او دجاجة اعطاهما سائلا او ان عمته كانت لا تصبر عنه فعمدت الى منطقة
ورثتها من اسحق فحزمتها على يوسف ليسلم لها بحكم اخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى بعد ان اراد ان ينزعه منها وامثالها حمل على انه اضمار على شريطة التفسير
واستشكله ابو علي بانه اما ضمير الشان او يجوز نعم رجلا ورب رجلا وليس منها وعلى الاول التقدير اسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا اي صنيعا
بظلمكم اخاكم وعقوق ابيكم فانتم سارقون لاخيكم فافعل التفضيل للمبالغة وتحمل ان يكون على زعمكم والضمير للاجابة او المقالة هي متعلقها ويقرأ بالتذكير على ارادة القول
والكلام والله اعلم بما تصفون بما تنسبكم السرقة الى والى اخي انه ليس الامر كما تزعمون روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا
عليه وقالوا ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم
ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم. قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين
قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون. استعطفوا عليه بذكر السن والقدر وانه يحب هذا الولد ويستأنس به عن الهالك
فخذ احدنا مكانه او استبعادا بدله لانك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او لا تغير عادتك من الاحسان او اعتقت اهل مصر فاعتقه. قال معاذ الله

اى نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ غير من وجدنا الصاع عنده بفتواكم لكونه ظلما وهذا على ظاهر قولهم واما فى الباطن فانه امرنى باخذه لمصالح كثيرة فاخذ غيره
خلاف الوحى وانا اذا جواب لهم وجزاء لان التقدير ان اخذنا غيره ظلمنا على مذهبكم فى الحكم والقضاء واورد كيف جاز من يوسف الاصرار على التزوير وايصال
الحزن الى يعقوب واجيب بانه لعله بالوحى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف
فلن ابرح الارض حتى ياذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين اصله ايسوا زيدت السين والتاء للمبالغة كما فى استعصم وقرئ استايسوا بغير همز اى من يوسف
واجابة ما سألوه خلصوا اى انفردوا واعتزلوا متناجين كالعشير بمعنى معاشر مثل قرباه نجيا او نوحا نجيا او النجى بمعنى المصدر الذى هو التناجى ولهذا قيل قوم نجى مثل
اذ هم نجوى اطلاقا للمصدر وارادة للصفة يقال هم نجى كما يقال هم صديق نظرا الى انه بزنة المصدر وجاء جمع انجية ومن قال من النجو وهو الارتفاع من الارض
لان التناجى يرفع ما عنده الى صاحبه وكان يناجيهم انهم على اى صفة يرجعون وماذا يقولون لابيهم كانهم تحيروا فى ذلك الخطب العظيم كبيرهم فى السن روبيل
وقيل رئيسهم شمعون او فى العقل يهودا او موثقهم عهدهم الوثيق فى قوله فلما اتوه موثقهم ومعنى فرطتم قدمتم ومنه الفارط او قصرتم وما راعيتم عهد ابيكم وقيل ما زائدة
اى فرطتم وان جعلت مصدرية اى تفريطكم فيكونه مبتدأ وخبره من قبل اى وقع تفريطكم فى يوسف قبل هذا او منصوبا عطفا على ان اباكم اى الم تعلموا عهد ابيكم وتفريطكم
وان جعلت موصولة فالرفع والنصب على التقديرين اى الذى قدمتموه فى حق يوسف من الخيانة العظيمة فلن افارق ارض مصر وبرح وزال بمعنى وهى
منصوبة بتقدير عن الارض لا ظرف ولا مفعول لعدم صحة المعنى حتى ياذن لى ابى فى الرجوع اليه او يقضى الله لى بالخروج فيرد اخى او يحكم الله بالانتصاف ممن اخذه
او يحكم بخلاصه او يأمرنى بالمقاتلة روى انهم كلموه فى اخيهم فقال روبيل او يهودا لتتركنا او لاصيحن صيحة لا يبقى حامل الا القت ما فى بطنها وقامت كل شعرة
فى جسده وخرجت من ثيابه وقال لاخوته اكفونى اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل فمسه وكانوا اذا غضب احدهم
ومسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب فقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله ابن ذبيح الله
ابن خليل الله وقيل هم ان يصيبه فركض يوسف رجله على الارض ليريه انه اشد وجذبه فسقط وعنده قال يا ايها العزيز والله خير من يتصور منه الحكم
فانه لا يتصور غير العدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى
اقبلنا فيها وانا لصادقون هذا ينبغى ان يكون من كلام الكبير لا من كلام يوسف لانه كان يعلم انه ما سرق وقرئ سُرِّق بالتشديد اى نسب الى السرقة او علم
ذلك والمراد بما علمنا ظاهرنا والغيب علمه الله وفى التعبير باليقين نظر لان قرينة الوجدان فى رحله لا توجب العلم والا للزم العلم بكونهم سراق بضاعتهم ويؤيده
ما قيل ما علمنا باطن الامر اسرق ام كان فى رحله او ما شهدنا باسترقاق السارق الا بما علمنا من كتبنا وهذا الكلام جواب ليعقوب عليه السلام حين سأل عن ذلك
او ما علمنا انه يسرق حين اعطيناك العهد او انك تصاب به كما اصبت بيوسف وفيه ان الشهادة غير العلم وقيل هى عبارة عن الحكم الذهنى وقيل الليل كانه
دس فى رحله بالليل وقيل التقدير انه سرق بقول الملك واصحابه او انه اشبه السرقة فاطلقت عليه مثل جزاء سيئة او انهم ما كانوا انبياء فذكروا ذلك على سبيل المجاز
واسأل عن اهل القرية التى كنا فيها وهى مصر واصحاب العير وكانوا من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء ومن لم يقدر المضاف فلانه لا يستنكر ان كلمه جدران
القرية معجزة له ويقال ايضا ان الشئ اذا ظهر ظهورا تاما يقال اسأل السماء والارض عنه وانا لصادقون كالقسم المؤكد لدعوتهم قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم اى زينت وسهلت امرا اردتموه والتسويل حديث النفس بما تطمع فيه لما ذكروا القضية
قال وما ادرى الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لانهم لذلك حيث كان بفتواهم او اخراجكم بنيامين من عندى طلبا للمنفعة فعاد بشر فصبر جميل اولى

اوامر

او امرى لك عسى الله ان يأتينى بيوسف واخيه وروبيل ان كان التخلف انه العليم بما فاتنى من الحزن الحكيم الذى ما ابتلانى الا لحكمة ولو بالمثوبة وتولى عنهم وقال
يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم اى اعرض بوجهه عنهم كراهة لما لقى منهم الاسف اشد الحزن ويقال هو ما فات اضافه الى نفسه فان الالف
بدل من ياء الاضافة وكانه ينادى الاسف ويقول هذا اوان حضورك وفى ذكره مع يوسف نوع تجانس يستحسن فى البيان مثل من سبأ بنبأ قال النبى صلى الله عليه وسلم
لم يعط احد من الامم انا لله غير امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وتخصيص يوسف بالاسف عليه دون اخوته قيل لانه اشد
وكان طريا مع طول العهد به وانه كان قاعدة المصيبات ولعل الاولى ان يقال لم يعلم حاله ومحله وما آل اليه بخلاف اخوته وقيل الحزن الحديث يجدد القديم
روى ان بعضهم رأى قبرا فجدد حزنه على اخيه مالك فقيل اتبكى على كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك فقلت له ان الاسى يبعث الاسى فدعنى فهذا كله قبر مالك
وابيضاض العين لمحق الدمع سوادها حتى عمى لما روى انه لم يجف عينه ثمانين سنة الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمى لانه يوجب كدورة فى سواد
العين وقرئ الحَزَن بفتح الحاء وسكون الزاى وبفتحها وقيل ضعف بصره فهو مملو حزنا كظيم بمعنى مكظوم وان اريد الممسك للحزن فى قلبه فهو بمعنى الفاعل
واصله من كظم البعير جرته ردها فى جوفه يقال كظم الغيظ اجترعه وذلك لانضمام حزنه بيوسف الى الحزن ببنيامين روى انه عليه السلام سأل جبريل ما وجد يعقوب
قال وجد سبعين ثكلى قال فما اجره قال اجر مائة شهيد ويعلم منه جواز الاسف والبكاء عند الشدائد ولا يلام عليه لعدم دخوله تحت التكليف ولهذا قال عليه السلام
لما بكى على ابراهيم القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول الا ما يرضى ربنا فان قيل ما السر فى ان يعقوب مع انه من اكابر الانبياء لم يغلبه حب الله بحيث يشغله عن
حب يوسف وهلا رضى بقضاء الله قلنا لما كان يوسف ايضا من اكابر الانبياء وكان يعقوب يعلم ذلك كان حبه حب الله واما عدم رضاه بحيث لا يظهر
عليه الجزع فلما سبق ان الله سبحانه ابتلاه به بحيث لم يقدر على الصبر الكلى فيه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكوا
بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون حذفت لا للعلم به فان جواب القسم لو كان اثباتا لم يكن بد من ذكر اللام او النون فيعلم انه نفى اى لا تزال تفتؤ عليه
ولا تفتر عن حبه ومثله يمين الله ابرح قاعدا وينفك يسمع ما حبيب بها لك حتى تكونه والحرض الدنف المشرف على الهلاك وهو مصدر يستوى فيه الواحد والكثير او
اذابه الهم كانه حتى يمرض او يموت قالوه شفقة عليه ويعلم منه ان الحلف بغلبة الظن جائز والبث حزن لا صبر معه فيبث الى الناس ويعقوب لم يبثه
الا الى الله لانه كاشف الكروب فكانه قال خلونى وشكايتى فانى لا اقول معكم بل مع الله وهذا داب المحققين قال النبى صلى الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك
وبعفوك من غضبك روى ان الله عاتبه لان ذبح شاة فى بيته فقام على بابه مسكين فلم يطعموه واحب الناس الى الله الانبياء ثم المساكين فامر ان يصنع طعاما
ندعوا اليه المساكين وقيل فرق بين جارية وولدها ببيع ولدها فبكت حتى عميت وقيل قال جار له قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال
هشمنى وافنانى ما ابتلانى الله به فقال الله يا يعقوب اتشكونى الى خلقى فقال رب خطيئة اخطأتها فاغفر لى فغفر له وكان بعد ذلك اذا سئل يقول ذلك
وعلمه عليه السلام من الله حسن ظنه به ورحمته انه يأتى بالفرج روى انه رأى ملك الموت فى المنام فسأله عن يوسف فقال هو من الاحياء او توقع حصول الخير رؤياه
الصادقة روى انه قال يا رب ما ترحم الشيخ الكبير قوست ظهرى واذهبت بصرى فاردد على ريحانى يوسف وبنيامين فاتاه جبريل بالبشرى وقال
لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون التحسس طلب الادراك بالحس وقرئ بالجيم وانه يقال للشر والتجسس بالحاء والجيم اى استكشفوا عن احوالهما لانه لما سمع من
احوال الملك مع بنيامين انه طلبه او لانه خلا به دونهم ثم امسكه بالاحتيال فى الصواع قال انى ارجو انه يوسف لانه لما سمع سيرته استبعد ان يظهر فى الكفار مثله

وعلم ان بنيامين لا يسرق وما اذاه الملك ولا تيأسوا من روح الله فرجه وتنفيسه قال الاصمعي هو ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه وتركيب الراء والواو
والحاء يفيد الحركة والاهتزاز ويقرأ بضم الراء اي رحمته التي يحيى بها الانسان انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان الكافر والمسلم لا يقنط في شيء
من حالاته وذكر مع التحسس من مع انه مقام عن قيل للتبعيض اي خبرا من اخباره فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة
فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين اي رجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف والضر الجوع او الهزال سنة والمزجاة المدفوعة يدفعها
كل مساوم لرداءته قيل دراهم ردية او زيوف او بضاعة الاعراب من الصوف والسمن والاقط او الحبة الخضراء والصنوبر او الحبال والنعال والادم
او قليلة او نعاله او كاسدة وقرئت بالامالة لان اصلها الياء فاتم لنا الكيل وتفضل علينا وسامحنا بالاغماض عن حال البضاعة وسموا الزيادة على الحق
صدقة لان الصدقة كانت حراما على الانبياء بل هذا قالوه وهو يتوقف على ان حكم دينهم كحكم ديننا وانهم كانوا انبياء ولهذا قال سفيان بن عيينة حرمتها
تخص نبينا صلى الله عليه وسلم واصل الصدقة هبة يبتغي بها ثواب الآخرة فلا يقال اللهم تصدق علينا بل الله يكافي المتصدق بتوفية الاجر قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
الاستفهام على اصله لا لتوبيخ لهم ويحتمل اي يعلم عدم الترتيب بقوله بعد لا تثريب عليكم يريد هل ادركتم قبح صنيعكم فتبتم عنه ما يتعلق بالله واما ما يتعلق
بالمظلوم فلا بد من عفوه فهو شفقة عليهم مع انه مقام يشفي المغيظ المحنق وينصح لهم مع انه محل درك الثار الموتور ومنه يعلم التفرقة بين اخلاق الانبياء وغيرهم
وسبب صدور هذا الكلام انهم لما تضرعوا اليه بقول مسنا واهلنا الضر رفضت عيناه وقال هذا القول وقيل اتاه كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فرمي به الى النار فجعلت عليه بردا وسلاما
واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن احب اولادي الي فذهب به اخوته ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب
فذهب عيناي من بكائي عليه ثم كنت اتسلى باخيه من امه فذهبوا به ورجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره وقال ذلك وقيل قال اصبر
كما صبروا نظفر كما ظفروا وفعلهم باخيه افراده عن اخيه لابيه وامه بصورة الهلاك وجفاهم به حتى كان معهم كالذليل مع العزيز والمراد بالجاهلين كونهم
صبيانا طياشين قبل ان يبلغوا اوان الحلم والرزانة او مذنبين او جاهلين بما يؤول اليه عاقبة امري وامركم يعني والآن لستم كذلك وهذا مثل قوله سبحانه
ما غرك بربك الكريم كما قيل انه يلقنه الجواب ليقول العبد غرني كرمك وقرئ انك بالايجاب ايضا والاستفهام للتقرير فلا ينافي ذكر ان معه وعرفوه لانه
رفع الحجاب حينئذ وتبسم وعرفوه بثناياه كالدر المنظوم وقيل رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم ما عرفوه به وقيل حين رفع التاج فنظروا الى علامة بقرنه
كالشامة البيضاء كانت ليعقوب وسارة مثلها وذكر اخيه مع انهم سألوه عن نفسه لان في ذكر اخيه بيان ما سألوه وايضا كانه قال فظلمتموه ايضا
وقد انعم الله عليه كما انعم علي وذكر التقوى الذي هو الخوف عن عقاب الله والصبر عن المعاصي وقرئ يتقي باثبات الياء بعد ذكر المن للاشعار بانهما سبب
في حصوله ووضع المحسنين موضع ضميرهم الذي هو اخف للدلالة على انهما من موجبات الاتصاف بكونهم محسنين وانه لا يضيع اجرهم في الدنيا
والآخرة قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اي فضلك واختارك بالعقل
والحلم والصبر والتقوى وحسن السيرة والصورة وان شاننا انا كنا خاطئين ومن قال لم يكونوا انبياء يوم فعلوا ذلك حمل الخطاء على كتمان احوال ابيهم بعد ذلك

ومن قال

ومن قال لم يكونوا انبياء استدل بآثرك الله فانه لا عبرة بالمناصب الدنيوية بالنسبة الى النبوة فلو شاركوه فيها لما قالوا ويحتمل ان يجاب عنه بان تلك المناصب
لما انضمت الى النبوة صارت دينية فقال لا تعيير ولا تأنيب ولا عتب عليكم واصله من الثرب وهو شحم غاشية الكرش اي ازالة الثرب كالتجليد ازالة الجلد فانه
بزواله يبقى في غاية الهزال فجعلت مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض واليوم اما ظرفه فيكون انتفاؤه في غيره اولى ويحتمل ان يرجح جعله ظرفا ليغفر الله
لانه يبقى على عمومه في الازمان ويكون اليوم مقيدا ابشارة الغفران فيه وعلى الاول هو دعاء اخرج في صورة الخبر للتأكيد لانه حصل فاخبر عنه لما ظهر منهم الندم
الذي هو ملاك امر التوبة والاصل فيها وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حين اخذ بعضادتي الباب وقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا
اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم وهكذا جرى مع ابي سفيان حين علمه العباس ذلك روي انهم ارسلوا اليه انك تدعونا الى
طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ
عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عليه السلام وقال عطاء الخراساني
طلب الحوائج من الشبان اسهل منه من الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولقائل ان يقول ذاك حقه وهذا
حق الله بدليل استغفر لنا فطلب وقتا يكون للاجابة اسرع واليوم يغفر الله بعد عفوه عنهم وهو ارحم حال عن الله مقررة للمغفرة فانه اذا كان يوسف
يرحم فارحم الراحمين اولى بها اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين هو القميص الذي البس يوم طرح ابراهيم في النار
وكان في تعويذ يوسف وفيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي وقيل قميصه الذي عليه وقيل كان من الجنة لانه ذو عاهة الا ترى يأت بصيرا مثل جاء البناء
محكما فمعناه صار وتؤيده فارتد او يأتيني ويهودا هو الذي حمله وقيل جاء حافيا حاسرا مسافة ثمانين فرسخا لانه الذي حمل الملطخ بالدم ليجبر به ما فعل اولا
والاهل النساء والذراري وعرف ذلك بالوحي او علم انه ما عمي بل ضعف بصره وبانشراح صدره يقوى روحه ويزيل الضعف عن القوى ولما فصلت العير
قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي انفصلت من دور مصر ويقرأ انفصل فقال الاسباط ومن حوله
اني لاجد حمل الريح الرائحة من مسيرة ثمان او ثلث او شهر وذلك من المعجزات واذا كانت رائحة الجنة فعلم انه ليس في الارض منها غير ريح الثوب لولا ان
تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل لصدقتموني ولا يقال للمراة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي والضلال هنا الذهاب عن الصواب في محبة يوسف
وقيل نسيانه الحزن على يوسف قالوه شفقا عليه حيث اعتقدوا موته او حيرتك او محبتك القديمة او الضلال الذي نسبوه اليه بقرينة القديم فلما ان جاء البشير
القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم البشير يهودا كما سبق وقيل مالك بن ذعر طرح القميص على وجهه او هو طرح عاد بصيرا كما كان اي صيره بصيرا وقيل كان قد ضعف
بصره فانشرح صدره وزالت احزانه فقوي بصره وقيل ارتد بصيرا بخبره وما علمه من الله ريح يوسف فيكون اجد ريح يوسف ابتداء او ولا تيأسوا او حياة
يوسف والاجتماع به او صحة رؤيا يوسف او بلوى الانبياء وروي انه سأل البشير قال كيف تركت يوسف قال ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين
تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ويحتمل ان يكون ذلك للاعلام بان ما عدا دين الاسلام مع عدمه لا عبرة به والا فهو كان يعلم انه نبي
لا يتغير حاله وحينئذ استغفروا اما لانكبوه في حقه وحق يوسف واعترفوا بكونهم خاطئين سبيل الله واخر الاستغفار الى صلوة الليل وقيل الى السحر
وقيل ليلة الجمعة قيل كان يستغفر كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة والتاخير اليه لانه ادق الاوقات للاجابة وقيل ليعلم حقيقة توبتهم وقيل استغفر في الحال

ثم قال داوم عليه او خلف كل صلوة وعند كل دعاء وتقديم الضمير للاشعار بانه لا يغفر الذنوب ويرحم متعاطيها الا الله روي انه قال اللهم اغفر لي جزعي
وقلة صبري عن يوسف واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم وقيل كان يدعو ويؤمن يوسف خلفه وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل وقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم على النبوة وقالوا ان لم يوح اليك بالعفو
فلا قرت لنا اعين ابدا. فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا. روي ان يوسف حمل الى يعقوب جهاز السفر ومأتي راحلة وخرج يوسف والملك في اربعة الف من الجند
والعظماء واهل مصر باجمعهم ويعقوب يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس وقال هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام
يا مذهب الاحزان قيل دخلوا اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون سوى الذرية
والهرمى وكانت الذرية الف الف ومأتي الف فضم اليه ابويه واعتنقهما وقيل ماتت امه والمراد خالته التي تزوجها يعقوب تمت اما لانها الرابة او لان الخالة
وهي موطوءة الاب
بمنزلة الام هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم عليه قبل مصر اما في بيت او مضرب او ان يوسف خرج في قبة يحمل على البغال فدخلوا عليه والاستثناء يتعلق
بالدخول المقيد بالامن كانه قال ادخلوا آمنين ان شاء الله قيل من القحط وقيل من ملوكها فانهم لا يدخلونها الا بجواز وجعله لاستغفار يعقوب بعيد وقيل هو
مجرد تيمن مثل وانا ان شاء الله اللاحقون بكم وحذف جزاء الشرط اي آمنين ان شاء الله وخلم آمنين والجملة الجزائية معترضة بين ذي الحال او دخلوا والحال
وهو آمنين ولا يخفى ان جعله من باب التأخير نظرا الى ان محله سأستغفر لكم على خلاف الاصل ولا ضرورة اليه والسجدة عندهم للتكرمة كالقيام بمنزلة التحية
وخرورهم سجدا يمنع من حمله على مجرد الانحناء وهما ممنوعان في ديننا وعن ابن عباس ان الضمير لله اي شكرا له وقيل امروا لتحقيق الرؤيا فقال يا ابت هذا
تأويل رؤياي اي لا يليق بك ان تسجد لولدك لكنه تأويل هذا الوجهان ينقضان جوابا عن سؤال وهو ان الاكرام والتعظيم من وظيفة يوسف مع يعقوب
ساعيا وان سجدا او جعلوا يوسف كالقبلة يقال صليت للكعبة واليها كما قال حسان: اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن. وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم. جعل كونها حقا
وبينها وبين وقوع تعبيرها اربعون سنة وقيل ثمانون وسبعون وست وثلثون واثنتان وعشرون وثماني عشرة واحسن بي والى بمعنى كاساء
وعدم ذكر الجب قبل لقوله لا تثريب او لانه صار عبدا بعده فان قيل ما فائدة العدول عن جعل الاخراج والاتيان علة للاحسان لانه جعل الامرين ظرفا للاحسان
قلنا لعل ذلك لان الاحسان ارادة ايصال النعمة اليه بهذه الامور وهو ادل ام اجمل اذ للعلة كما ورد في بعض الصور قيل كانوا سكان البوادي وقيل المدن
واللفظ يحتملهما ونزغ الشيطان افساده ونزغ ونخس بمعنى يقال نخس الرائض الدابة حملها على الجري ولطف تدبير الله سبحانه لا تتعلق به مشيته
حيث يأتي على وجه الحكمة علة للاحسان على هذا الوجه روي ان يوسف طاف بيعقوب في الخزائن فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اغفلك وعندك هذه
القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك اني اخاف
ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني ويحتمل ان يقال النظر الى صورة اللفظ والا فيعقوب يعلم انه لا يخاف غير الله روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق ففعل بنفسه ثم عاد الى مصر وعاش ثلثا وعشرين سنة وقد تمسك به ابطل الجبر بان الله اضاف بعض هذه الافعال
الى نفسه وبعضها الى الشيطان والجواب ان الاضافة الى الشيطان مجاز لان عند هذا القائل لا يتمكن الشيطان من الكلام الحق وقد جبر الله عنه فقال

وما كان لي

وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ثم قال سبحانه ان ربي لطيف لما يشاء اي ان هذا الاجتماع بطيب العيش وفراغ البال وان كان
في غاية البعد الا ان ربي لطيف فاذا اراد حصول شيء سهل اسبابه وكونه لطيفا في افعاله لكونه عليما بجميع الاعتبارات الممكنة حكيما في فعله غير عابث بها كما في قضائه
رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
من للتبعيض لانه لم يؤت كل الملك بل مصر والاحاديث الكتب او الرؤيا فمن هنا ايضا للتبعيض ولعل تقديم هذا المعنى على السؤال لان الاعتراف بالنعمة
ادعى الى الازدياد وفاطرهما مبدعهما وهو عبارة عن الايجاد مأخوذ من الفطر الذي هو الشق كانه انشق العدم وخرج منه ولا يلزم ان يكون من العدم المحض
بدليل قوله سبحانه ثم استوى الى السماء وهي دخان فقد خلقها من الدخان وكانه انتقال من عظيم صنع الى ما هو اعظم واظهر للدلالة على ما ادعاه وهو منصوب
على صفة رب او انه منادى والاول ابلغ لفظا والثاني معنى والولي هنا الناصر ومتولي الامر وهو الموصوف بذلك وبابتداء النعمة فيهما لما ذكر ابتداء
الملك واعترف به تمنى الملك الخلد فتمنى الموت الذي هو سببه فقال اقبضني والحقني بآبائي الصالحين او بمطلعهم في المرتبة والكرامة فاعطاه جميع
ما تمناه وقيل طلب انعكاس انوار نفوس اخر عليه سوى نوره الخاص فان النفوس القدسية تنعكس انوار بعضها على بعض ولما توفي تخاصم اهل مصر
في مدفنه فهموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ويصل الى مصر ويكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام
الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع ورحمة امرأة ايوب وهذا السؤال في الحقيقة ليس للموت
وانما هو التوفي على الاسلام والختم بالخير وعليه يحمل قول عمر بن عبد العزيز لما بات عند ميمون بن مهران فرآه كثير البكاء ومسألة الموت وقال له
صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حيوتك خير كثير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له
امره وحمل على تمني الموت مطلقا لكن الاول اولى لقوله عليه السلام لا يتمنى احدكم الموت اما محسن فيزداد في احسانه او مسيء فيتوب كما يتمادى في الموت
خلاص عن متاعب وان الانسان دائما في طلب الكمال المطلق وليس ذلك الا لله وايضا لذات الدنيا سريعة الزوال مشرفة على الفناء ممزوجة بالمنغصات
بل خطاء الارذال منها اكثرها يرجع الى دفع الالم واكثر الحيوانات مشاركة فيها فالاعراض عنها غير مستبعد وطلب التوفية على الاسلام مع انها معلومة الانبياء
فقيل المراد الاستسلام لقضاء الله ويحتمل ان يكون لاظهار الحاجة وانه لا يكون شيء الا باذن الله وتعليم الغير. ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون. خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بان هذه القصة من الاخبار العظيمة التي غابت عنك ولم يحضر بها فعلمك بها لا يكون الا بالوحي
وفيه الزام قومه حيث وافقوا انه لم يكن من حملة هذه الاخبار ولا سمع احد ولم يكن من علم قومه وما كنت لديهم مذكور على وجه التهكم لان كل احد يعلم ذلك
وذلك مبتداء وما بعده خبران وان جعل موصولا فالخبر نوحيه ومن انباء الغيب صلته واجماع امرهم القاؤهم يوسف في الجب ومكرهم قصدهم الغوائل به
وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين. والاكثر وان حمل على اهل مكة او قريش واليهود حين سألوا عن قصة
يوسف فرجي ايمانهم لكن حمله على العموم فالتقدير ما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم عنادا منهم مع انك اتيت لهم على قصصك وبيانك التوحيد
والعدل والمعاد والنبوة والعبادات منفعة دنيوية اي لا يثقل عليهم ذلك ولا تتهم بغرض فاسد وما هو الا عظة عامة لاهل العالم وحث على طلب النجاة فلو عقلوا
عقلاء لقبلوها والضمير للقرآن ويحتمل ان يكون لهذا الطرا منه. وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون. وجه الربط منع استبعاد عدم ايمانهم اي وكم من دلالة على وجود الصانع وصفاته وتوحيده يمرون على تلك الآيات يشاهدونها ولا هم يتفكرون فيها

ولا يعتبرون بها وهي اكثر من ان تحصى بالنظر الى الافلاك وما يتعلق بالعجايب الارضية من النبات والحيوان والمعادن واختلاف خواصها
واحوال البحار وعجايبها والآثار العلوية هذه دلايل الآفاق ودلايل الانفس من التشريح وغيره مما لا يفي العقل بتعدادها ولذلك ابهمها وقرأ الارض
بالرفع فيكون الضمير لها وبالنصب اي يطئون عليها وقرأ والارض يمشون عليها فيشاهدون آثار الاولين وما يؤمن اكثرهم في اعترافهم بالصانع
وخالقية الا وهم مشركون بعبادة غير الله او باتخاذ الاحبار اربابا او اثبات آلهين النور والظلمة او جعل الاسباب مستقلة
وعلى هذا يعم مشركي العرب والمنافقين واهل الكتاب وغيرهم وان قيل بكل منهم وقيل فيه من حلف بغير الله فقد اشرك ولا دلالة للكراهية فيه
على الايمان بمجرد الاقرار باللسان حيث حكم عليهم بكونهم مؤمنين مع انهم مشركون لانه يحتمل ان يقال ما يؤمن اكثرهم باللسان من غير مواطاة القلب كالمنافقين
ولا يلزم منه الحكم بمطلق الايمان افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون اي تأتيهم عقوبة تشملهم وتغشاهم
او الصواعق او تأتيهم القيامة فجأة من غير تقدم علامة وهم لا يعلمون اتيانها ولا يستعدوا لها فيكون اشد وهو كالترديد بين عذاب الدنيا
والآخرة قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين اي طريقة الدعاء الى الله والتوحيد
والاستعداد لما ينفع في الآخرة هي سبيلي وهي تؤنث وتذكر وادعو تفسير للسبيل والبصيرة مصدر بصر وقيل حال من ضمير المتكلم فيكون العامل معنى
اسم الاشارة والبصيرة الحجج الواضحة والبراهين اللايحة ويعلم منه ان الدعاء الى الله انما يحسن بشرط ان يكون الداعي على بصيرة وروي ان العلماء امناء الرسل
على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون اليه وانا تأكيد فاعل ادعو والضمير في على بصيرة حال من ادعو فرفع انا ومن اتبعني وانا مبتدأ خبره على بصيرة
وقدم الكلام بقوله ادعوا الى الله وكذلك يدعو من اتبعني الى الله وقل سبحان الله اي انزهه عما لا يليق ان يوصف به وما انا ممن يشرك بالله غيره بل انزهه
عن الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا افلا تعقلون فيه رد على من قال لو شاء ربنا لانزل ملئكة وذكر الرجال للاشارة الى انه لم يبعث امرأة كيف ولا يصلح للامامة بل القضاء
لاختصاص متعاطيها بكمال العقل ففيه التعريض بحال سجاح وغيرها ولم يبعث نبي من اهل البادية كذلك بل فيهم الجفاء والقسوة واهل القرى اعلم
واحكم وفيه ان المبعوث الى الجن من الانس وحمار رشد الى بعثة الرسل والتحذير عن مخالفتهم والتحريض بالسير في الارض للنظر الى احوال الامم المكذبة
بالتأمل في مصارعهم ولدار الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا عقاب الله وعصيانه بان وحدوا وآمنوا فلا يعقلون قرئ بالياء والتاء
اما بقراءة القرآن الدال على احوال الامم الدارجة او بالتأمل في احوالهم عند النظر الى ديارهم حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين تقديره وما ارسلنا قبلك الا رجالا فامهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم او عن ايمانهم
لتماديهم في الكفر فلا يغرر بهم حالهم اذ انظروا الى حال من قبلهم ومعنى ظنوا ايقنوا ان الامم كذبوهم او كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بالنصرة او كذبهم
القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي ظنوا ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول لهم والثاني للرسل اي وظن المرسل اليهم قد كذبوا
واخلفوا فيما وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وما نقل عن ابن عباس ان الرسل ظنوا اخلف وعد النصر حمل على ما جس على طريق الوسوسة ويدل عليه
قوله كانوا بشرا قال في الانوار هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقايل ان يقول لا بد من تأويل قول ابن عباس رضي الله عنهما
على غير ذلك فانه يقتضي ارتفاع الوثوق عن وعد الله فنقول يحتمل انهم انما ظنوا اخلف الوعد لاحتمال كون القضاء معلقا بامر لم يوجد فيكون التخلف لمقتضى الوعد

لعدم

لعدم ما يتوقف عليه حصوله ويكون معنى الكذب عدم ترتب مقتضى الوعد عليه بسبب فقدان الشرط والحمل على الوسوسة فيه نظر وقرأ بالتخفيف بناء
المعروف اي ظنوا انهم كذبوا فيما قالوا للامم اما على طريقة قول ابن عباس او انهم كاذبون عندهم حيث لم يظهر اثر وعدهم او ظن المرسل اليهم ان الرسل
كذبوهم وعلى التقادير عند اليأس جاءهم نصرنا وحصلت النجاة لمن تعلقت به مشيتنا وهم النبي والانبياء والمؤمنون وقرئ على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرأ فننجي من انجاه ونجاه وقيل ولا يرد اهلاكنا عن الكاذبين وبعلم تعلق مشية الهلاك بهم لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اي في قصص الانبياء واممهم وهو اولى من جعل الضمير ليوسف واخوته
لوجهين الاول موافقة لما يقرأ بكسر القاف والثاني لانه يستلزم الاول الثاني دون العكس والمراد بالعبرة هنا العبور من العلم الى الجهل والتخصيص باولي
العقول الخالصة عن شوايب التقليد للآباء وغيرهم من اهل الضلال لانهم المنتفعون به فانهم اذا تفكروا في حال يوسف وما جرى عليه من الحالات والعزة العظيمة
بعد مقاساة الشدايد الاليمة علم على انه قادر على اعزاز محمد باعلاء كلمة الله ويحتمل ان يراد بالنسبة الى احوال جميع الانبياء والرسل والضمير فيما كان للقرآن
وما بين يديه ساير الكتب الالهية وتفصيل كل ما يحتاج اليه من الامور الدينية لانه يعلم منه اما بخصوصيته او على طريق القياس او السنة المستفاد اعتبارها منه
وهو الهادي من الضلال في اصول الدين ورحمة حيث ينال بها سعادة المنزلين وذلك لمن صدق بالانبياء فيما جاؤا به واتبعوهم باحسان

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الاشارة الى آيات هذه السورة
اذ المراد بالكتاب هي اي السورة الكاملة لا كل واحد من الكتب الاربعة كما قيل او اللوح واما الذي انزل فهو القرآن بالاتفاق لقرينة من ربك وجعل
الكتاب القرآن فلا بد من جعل الواو مقحمة او انه من قبيل الى الملك القرم وابن الهمام اعني العطف على الوصف وعلى الاول معناه والذي انزل اليك من القرآن
كله هو الحق وتوسيط الضمير يشعر بان جميعه هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة كما قالت الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها اي هم الكملة
وقيل الحق خبر الذي وقيل محل الذي جر عطفا على الكتاب فالتقدير آيات الذي والحق اكثر الناس قيل العرب لانه نزل لما قالت الاعراب ان محمدا يقول من تلقاء نفسه
ولا دليل لمنكري القياس لانه لما امر بالعمل به كان الحكم المثبت به نازلا من عند الله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وجاز ربط بيان الجملة من المبتدأ او الخبر الذي هو الموصول
بصلته وان جعل الموصول صفة الله استونف به للدليل على ذلك فان من قدر على ذلك قدر على انزال هذا الكتاب وكذا قوله ترونها استيناف للاستشهاد
بانهم يرونها كذلك ان لم يجعل صفة لعمد وتقدير ترونها بغير عمد خلاف الظاهر وقرأ بضمتين وترونه وهو يؤيد الثاني والعمد جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم
وادم وذكر في الانوار انه دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المشاركة لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك
لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني انه لو كان كذلك للزم ان يكون كل جسم وجسماني كذلك واختصاصها جواب عن قول من يقول علة ارتفاعها
ذلك فاجاب بسبب ذلك الاختصاص لا بد وان يكون الصانع تعالى لما سبق غير مرة وايضا الاحياز لا نهاية لها فلو وجب حصولها في حيز معين
لوجب حصولها في جميعها لانها متساوية فثبت ان حصول الاجرام الفلكية في احيازها ليس لذاتها بل لا بد من مخصص هو الواجب ابتداء او بوسط
وكذا برهن عليه في المفاتح وقيل ترونها صفة عمد اي عمد غير مرئية قال وهو في غاية السقوط لانه لا يبقى فيه دلالة على القدرة وللقايل ان يمنع ما قاله ثم قال

وعندي ان العمد الغير المرئية قدرة الله تعالى والاستواء على العرش هنا بالحفظ والتدبير فان قيل لم جوزتم بكونه الاستواء بمعنى الاستواء في قوله تعالى
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قلنا لا لقوله تعالى وكان عرشه على الماء فانه دل على تقدم خلقه عليها وسخر الشمس والقمر ذللهما لما يقصد منهما
كتذليل المركوب للراكب او تذليل منافعهما كل يجري لاجل مسمى لانقضاء الدنيا والاجل المسمى الوقت الذي عين لانقطاع الامر وهو اذا الشمس كورت
او درجاتهما ومنازلهما قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلة تتم في ستة اشهر ثم تعود وللقمر ثمانية وعشرون فلكل سير خاص الى جهة خاصة بمقدار خاص
من السرعة والبطوء لا يخصص الا الارادة الحق سبحانه يدبر الامر كالتعميم بعد التخصيص فان تدبير الملكوت من الايجاد والاعدام والاحياء وغيرها
والاماتة يشمل المذكورات وغيرها وتفصيل الآيات باعتبار صدر السورة يناسب حملها على تنزيلها وتبيينها مفصلة وباعتبار ما بعده يناسب الحمل
على احداث دلائل الانفس والآفاق ومعنى لعلكم لكي تنظروا فيها وتتدبروا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على ذلك قدر على الحشر والجزاء الذين هما
مقدمتا اللقاء روي انه سئل عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله الخلق دفعة قال كما يرزقهم الآن دفعة ويسمع نداءهم ويجيب
دعاءهم اي كما امكنه تدبيرات العالم ولم يشغله شان عن شان فكذا الحساب وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لما قرر الدلائل السماوية شرع في الدلائل الارضية ومد الارض
بسطها طولا وعرضا لتصير مساكن الحيوان وهو اشارة الى ان الله جعلها مختصة بذلك المقدار المعين لا ازيد ولا انقص مع ان خلافه ممكن فلا بد
من تقدير مقدر واستدل انها بسيطة لا كرية ويمكن ان يمنع الدلالة فان كبر الكرة يقوم مقام السطح ويمكن ان يجمع بينهما بان ذلك مقتضى طبعها والمختار
جعلها مسطحة والرواسي جمع راسية رسا الشيء اذا ثبت والتاء للتانيث اي اجبل رواسي او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال حيث جعلها سببا بها
باعتبار ان موادها يجتمع فيها ويظهر منها وخلق من الارض جميع انواع الثمرات زوجين زوجين والتقييد باثنين لان الزوج يقال للواحد فهو المراد
هنا والا لكان اربعا والثمار وان زادت على ذلك الا انه لا نوع بعض اصنافه عن اثنين وهما مثل الاسود والابيض والصغير والكبير والحلو والحامض
ومعنى يغشي الليل النهار انه ياتي به عقيبه فيستر ظلامه كانه يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان منيرا وقيل المراد تغشية النهار الليل ايضا واكتفى
باحدهما فان قيل ما الحكمة في تخصيص تغشية الليل النهار دون العكس في هذا المقام وقد جاء في غيره على خلافه وايضا الضوء افيد واحسن قلنا لعل ذلك
لانه لما ذكر خلق الثمرات في معرض المنة وبقاء الشمس عليها على سبيل الدوام يقتضي ان يفني ويحترق اراد ان يبين ان احسن اصناف الثمار بسبب ذلك
لا سيما في الليل الاستراحة عن تعب النهار والاشتغال بمقتضيات تكميل النفس لزوال المشاغل والملهيات وتخصيص الآيات بالمتفكرين لانهم
المنتفعون بها حيث يستدلون بها على وجود الصانع العليم القادر المختار في فعله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وجه الربط الدلالة على كمال قدرة الصانع
ان هذه القطع متجاورة متلاصقة مشاركة في الترابية والنسب والاوضاع مختلفة باعتبار كونها طيبة وسبخة رخوة وصلبة صالحة للزروع والشجر
او لاحدهما وغير صالحة لشيء مع ان تاثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية فلم يكن ذلك بسبب الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وكذلك اشجارها
وزروعها مختلفة جنسا ونوعا وطعما وطبعا مع انها تسقى بماء واحد فلا بد من مخصص يخصص كلا منها بخاصية دون اخرى وما هو الا ارادة الفاعل المختار
كما سبق بيانه غير مرة بل من جملة عجائب صنعه ان الحبة الواحدة مع عدم تفاوت ما يؤثر فيها يخرج من جانبها الاعلى جرم الى الهواء

ومن الاسفل

ومن الاسفل جرم غائص في الارض وبعضها يصير خشبا وبعضها ورقا وبعضها قشرا وبعضها لحما وبعضها حارا وبعضها باردا وما ذاك الا بارادته تعالى
لتساوي طباع المؤثرات وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وجر الزرع
والنخيل للعطف على اعناب والصنوان جمع صنو وهي نخلة واحدة لها راسان وضم الصاد حجازية وكسرها تميمية وقيل وصف الجنات والصنو الشكل
وعلى الاول اي متفرقات مختلفة الاصول والاكل الثمر وهو خلاصة الشجر وقرئ يسقى اي المذكور ويفضل لقرينة يدبر ويقرأ بالنون والتاء مجهولا وقيل مثل للصالح
والطالح او القلوب في الرقة والقساوة مع ان الاصل آدم والماء التذكير وتخصيص فصل الآية بيعقلون والاولى بيتفكرون لعله لكون الثاني اغمض
وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لما فرغ بذكر المبدأ وبيان ما يحتاج اليه ذكر مسئلة المعاد اي ان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فقولهم جدير بان يتعجب منه والاستفهام الانكار منهم بان يكونوا
في خلق جديد بعد ان صاروا ترابا يدل على جحدهم الحشر ووجه كون انكارهم من جملة الاعاجيب ان من قدر على امثال هذه الصنائع العظيمة كانت الاعادة
عنده اهون شيء فانها تدل على كمال قدرته والمادة قابلة لانواع تصرفاته وقولهم مبتدأ وعجب خبر تقدم عليه والعجب من الله لم بعد الامن بباره ولا بد
من التاويل لانه لا يكون الا ممن لم يعرف سبب المتعجب منه مثل ارادة الانكار فان الانسان اذا تعجب عن شيء انكره واذا منصوب بما دل عليه في خلق جديد
لا بهو لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وأئذا كنا بدل من قولهم فمحله الرفع ويجوز النصب بالقول وذكر اولئك للدلالة على ان ما سبق علة للكفر وكذلك الثاني
يدل على ان سبب ذوات الضلال المراد بالاضلال او الاغلال يوم القيمة اصرارهم على الكفر وكذلك كونهم ملازمي النار على وجه الخلود وهو دليل المعتزلة
في اختصاص الخلود بالكفار دون اهل الكبائر لان قوله هم فيها خالدون يفيد ان غيرهم لا يخلدون على ما تقرر في علم البيان من تقديم الضمير
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب التعجيل تقديم الشيء
على وقته اي يطلبون ذلك اي العقوبة قبل العافية او الشر قبل الخير فيشمل ما قيل الكفر قبل الاجابة او ما توهم العذاب قبل الاحسان بالامهال مثل اسقط
وامطر استهزاء والشرك والتوحيد وقد مضت وتقدمت عقوبات المكذبين فما اتعظوا بها والمثلة بوزن السمرة العقوبة والمثلة لانها بين العقاب والمعاقب
عليه من المماثلة ويقال للقصاص المثال وامتثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه ويقرأ بتخفيف الثاء وفتح الميم وضمها وسكون الثاء والمثلات جمع مثلة
كركبة وركبات ولذو مغفرة على كون الناس ظالمين فان محل على ظلمهم النصب بالحال والعامل المغفرة دليل على جواز المغفرة قبل التوبة ترك

رد على المعتزلة

العمل في الكفر فبقي الثاني على اصله والتقييد بالصغائر او بمجرد الستر والامهال خلاف الظاهر لا يساعد عليه وتاخير العذاب لا يسمى مغفرة ولا يعارض
بان الظلم لما تناول الكفر لزم الحمل على ما قالوه لان التخصيص بما عداه للدليل الخارجي السالم عن الابطال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
انما انت منذر ولكل قوم هاد اي هلا انزل قالوه غير معتدين بما انزل عليه من الآيات مقترحين نحو آيات موسى وعيسى من فلق البحر واحياء الموتى
فقال الله لمحمد عليه السلام انما انت منذر لهم من سوء العاقبة فما عليك الا الاتيان بمطلق المعجز المصحح لكونك نبيا مرسلا من عند الله ولا فرق في الدلالة
على النبوة والله بحكمته يخص كل نبي بمعجزة لائقة به كما سبق ان كل نبي يبعث بما هو على خلاف عادة ما هو الغالب في زمانه ولكل قوم نبي هاد يهدي
الامة الى الدين بما يعطيه الله من الآيات لا بما يقترحون عليه وقيل الهادي هو الله اي بالايجاد وقيل داع الى الحق قاله ابن عباس وقرئ بالوقف
على الياء على الوصل ولكل قوم طريق مخصوص لاجله استحقوا التخصيص بالمعجزة المخصوصة كغلبة السحر في زمن موسى والطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد عليهم السلام

غريبة

وحكى الثعلبي انه علي رضي الله عنه • الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال •
وجه الربط ان هذه الاوصاف تدل على ان الله قادر على انزال المقترح ولم يفعل لعلمه بانه سؤال تعنت لا يفيد اجابته لسبق الفصل بضمهم على الكفر اولان كان
البعث بثبوت العلم بجميع الجزئيات والمعنى حمل كل انثى او الذي تحمله على اي حال من الحاضرة والآتية وما ينقصه الارحام وتزداده في الجثة ومدة الحمل وعدد المولود
والحسن والقبح والانوثة والذكورة والتمام والخداج واقصى مدة الحمل اربع سنين وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة والسند الاستقراء

مطلب في مدة الحمل

لما نقل ان هرم بن حيان ولد لسبع ولابي حنيفة ان الضحاك ولد لسنتين ويحتمل ان يقال هذه امور تخمينية اعتبروها للاحتياط واما العدد فعند
معظم اصحاب الشافعي انه لا حد له لما روي ان امرأة بانبان القت كيسا فيه اثنا عشر ولدا وقال الشافعي رضي الله عنه اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت
بطونا في بطن خمسة وذهب جماعة من الاصحاب الى ان الاقصى اربعة وقيل المراد نقصان دم الحيض وزيادته وتغيض وتزداد ان جعلا متعديين فالمفعول
محذوف وان جعلا لازمين يتعين ما ان يكون مصدرية لانه لا يستقيم المعنى ان جعلنا ما موصولة لانه يصير المعنى الله يعلم الذي نقص الرحم وازداد فلا ارتباط
والاسناد الى الرحم لا يخفى انه مجازي اذ الفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى وكل كائن بقدر معين عند الله لا يجاوز ولا ينقص عنه فان لكل حادث وقتا وحالا
معينين واسبابا مقتضية كذلك عينها الله سبحانه لا يتعداها والوصف بكونه تعالى عالما بالغيب عن الحس وبما يحضر عنه وقيل الموجود والمعدوم او ما يعرفه الخلق
وما لا يعرفه والموجود ما يمتنع عدمه وما لا والمعدوم لا يمتنع وجوده وما لا ولكل منهما احكام وخواص وحكى صاحب المفاتيح عن والده عن ابي القاسم الانصاري

غريبة

عن امام الحرمين انه كان يقول لله معلومات لا نهاية لها لان الجوهر الفرد يعلم الله من حاله انه يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل وهو عالم بكل تلك الاحوال
على التفصيل وكلها داخلة تحت علم الغيب والشهادة وانه عظيم الشأن المستعلي على كل شيء بقدرته او انه كبير عن ان يوصف بما يوصف به المخلوقات كالدليل
على ثبوت ذلك العلم له او المقتضي للكل امر واحد • سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله • اي سواء من اخفى القول في نفسه ولم يتلفظ به ومن رفع الصوت في تعلق علم الباري بهما وكذا من يطلب الخفاء
في مختبأ بالليل او بارز بالنهار يراه كل احد يقال سرب اذا برز وقيل معناهما بالضد والمعنى ان الله عالم بالانسان سواء كان مستخفيا في الظلمات او بارزا
في الطرقات ولما كان من في معنى اثنين كما في قوله تعالى • نكن مثل من يا ذئب يصطحبان • وعطف سارب على مستخف لم يحتج الى تكرار ذكر من وكأنه قال سواء منكم انسان
مستخف بالليل وسارب بالنهار او يكون عطفا على من هو مستخف ومعنى له اي لمن اسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن سرب معقبات فالضمير لمن والمعقبات
جماعات يعني من الملائكة تعقب في حفظه بناء مبالغة من عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او يعقبون احواله فيكتبونها او من اعتقب فادغمت التاء
في القاف والتاء للمبالغة وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين في التكسير فعلى الاول معنى من بين يديه ومن خلفه اي
من جوانبه وعلى الثاني من الاعمال ما قدم واخر وامر الله بأسه وحفظهم انه متى اذنب استغفروا له وطلبوا له الاستمهال او يحفظونه من المضار روي عن كعب

عدد ملائكة الحفظ

انه قال لولا الملائكة لخطفتكم الجن او المعنى يراقبون احواله من اجل امر الله روي عن عثمان انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة فعد عشرة اثنان
لكتبة اعماله من اليمين واليسار وواحد قابض على الناصية يرفع التراضع ويعصم المحو واثنان يحفظان الصلوة وملك يمنع من دخول الحية في فيك وملك
على عينيك وملائكة الليل كالنهار فهم عشرون وذكر في المفاتيح ان الارواح البشرية في تربية الارواح الفلكية المشاكلة لها في الطبيعة والخاصية
فما ورد في الشرع مقبول عند الكل وما ذكره وان كان قياسا من وجه لكن بين التقريرين بون بعيد وقرئ يحفظونه بامر الله اي يحفظونه من بأس الله ونقمته

وقيل

وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه من القضاء في توهمه وقيل الضمير للنبي عليه السلام اي يحفظونه من الاعداء وذلك لما هم بقتله اربد
وعامر فاهلكهما الله بالنار وغيرها ومن امر الله ليس بصلة للحفظ بل هو ويحفظونه صفتان للمعقبات • ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال • اي ان الله لا يغير ما انهم عليه قوم من النعم والعافية حتى يكونوا هم يغيرون ما بانفسهم من الاحوال الحسنة والاعمال
الصالحة بالمعصية وترك الشكر فيندرج تحته تغيير سمة الايمان والصلاح بالكفر والفسق عند وجودهما واذا اراد بهم عقابا وعذابا فلا دافع له وما لهم من دون الله
ممن يلي امرهم فينصره اسم فاعل من ولي اذا تولى التدبير والولي بمعناه فيعلم ان خلاف مراد الله لا يقع وعامل اذا ما دل عليه الجواب وهو يدل على ان العبد غير مستقل
في الفعل لانه اذا كفر واراد الله عقابه فلو استقل بتحصيل الايمان قادرا على رد ما اراد الله لزم خلاف الآية • هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال • البرق لمعان نار يلمع
من السحاب يخافه المسافر وغيره ويطمع في ان يرزق منه وقيل يخاف من الصواعق التي معه قال ابو الطيب • فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق
وظهور البرق من السحاب دليل على الصانع المختار لان الغالب على السحاب الاجزاء المائية والماء بارد رطب فظهور النار وهي حارة يابسة ضده لا يكون
الا بارادة المختار لا يقال انه بتمزيق الريح تمزيقا عنيفا لانه لو كان كذلك للزم البرق الرعد وليست كذلك وقيل يخاف المطر من يكوف البيت وخرابه ويطمع
الجرين لا اتساعه من لا ينتفع به كاهل مصر ويطمع فيه غيرهم وهما منصوبان على العلة بتقدير ارادة خوف وطمع والا كيف يصح وليسا فعل الفاعل الفعل المعلل او تأويل
الاخافة والاطماع مثل رغما للشيطان او حال من البرق او المخاطبين على تقدير ذوي او اطلاق المصدر على ارادة الفاعل او المفعول مبالغة اي خائفين او مخافين
والسحاب اما اسم الجمع او الجمع للبيت السابق يقال سحاب ثقيلة وثقال اي بالماء واسناد التسبيح الى الرعد اما حقيقة بدليل انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال
ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن انه خلق غير الملك واما على اضمار اي يسبح سامعوه ولا استحالة في تسبيح السحاب فان
البنية ليست بشرط للحيوة فيجوز ان يخلق الله فيه الحيوة وايضا الضفادع يتولد في السحاب والدودة في الثلج او مجاز حيث يراد بالتسبيح الدلالة والملائكة
عطف اما على الرعد او على سامعه اي يسبحون الله من هيبته واجلاله ذكر علمه المذكور في الآية ودلالة قدرته وقيل الضمير للرعد وهم الكفرة المكذبة للنبي عليه السلام
المنكرين لآياته وجدالهم في الله باعتبار انكار الوحدة وصفاته من محمد القدرة على البعث واصل الشدة في الخصومة وقيل الواو للحال لما روي ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اخا لبيد قصدا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخذه عامر بالمجادلة ويقول يحل الامر لي بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله ودار اربد خلفه
بسيفه ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله ولم يقدر على سله فتنبه له الرسول عليه السلام وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم
صاح فقتلته ومات عامر بعده في بيت سلولية ويقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية والله شديد المماحلة والمكايدة لاعدائه يقال محل بفلان اذا
كاده وعرضه للهلاك وتمحل تكلف الحيلة او شديد القوة من المحل بمعنى القوة وجعله مفعولا من الحول غير قياسي لان اعلال ما هو صحيح ليس بقياس لكن يؤيده
ما يقرأ بفتح الميم من حال يحول اذا احتال ومنه احول من ذئب او شديد الفقار فيكون مثلا في القوة كما يقال ساعد الله اشد لان الفقار عمود الظهر وقيل
شديد الغضب او شديد الاخذ والانتقام او شديد الاهلاك بالمحل او شديد العداوة • له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا
كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال • اي لله الدعاء الحق وهو جدير بان يوجه اليه دون غيره اي انه الذي يدعى
فيستجيب ويعطي السؤول فالدعوة مضافة الى الحق مثل كلمة الحق ليدل على ملابسته له او المراد بالحق هو الله تعالى كما قاله الحسن اي دعوة المدعو الحق الذي يسمع

ويجيب

داخر ناطع مع كونه سبحانه شديد المحال بما تقدم للدلالة على انه يجيب دعاء النبي عليهم انه شديد الاخذ او انهم على الضلال في دعائهم غير الله بخلاف المؤمنين
او على قصة اربد فاظهر لكن النظر الى عموم اللفظ قرى تدعون بالياء والتاء وعلى الاول المعنى ان الآلهة الذين يدعون هم المشركون من دون الله سبحانه
لا يستجيبون لهم الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه يطلب بلوغ فيه الى الماء والماء لا يقدر ان يجيب دعاءه ولا يعرف حاجته فوجه الشبه عدم قدرة المدعو
على تحصيل مراده بل عدم العلم بحال الداعي او شبهوا في عدم فائدة دعائهم لمن اراد الاغتراف فبسر اصابعه فلم يلق كفاه شيئا وايضا هو كطالب الماء من البئر بلا دلو
وقيل كالعطشان ينظر في خياله الى الماء او لديه الموت عطشا وكفاه في الماء فلا يقدر على شربه وعلى الثاني معناه والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف
المفعول لدلالة من دونه عليه فان قيل ما فائدة العدول عن سلب القدرة عنهم الى سلب الاستجابة قلنا لعل ذلك انه اقرب الى الالزام فانه لو سلب عنهم لقالوا
لكن الله يجيب الاستجابة ودعاؤهم لما ذكر من الكلام ونحوه
هي تقدر على ذلك ولكن لا يفعله ولا كذلك عدم الاستجابة وما دعاء الكافرين الله او الاصنام الا في ضلال لان اصواتهم على الاول محجوبة عن الله وعلى الثاني ظاهر
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اي سجود تعبد كسجود الملك والمؤمنين وكرها لمن اكره عليه من البشر في حال الشدة
والمراد الانقياد ونظيره كل له قانتون وتسجد ظلالهم بالتبع وانقياد الظلال تصريف الله اياها بالنقص والامتداد ونصب طوعا وكرها على الحال اولى من العلة
من حيث المعنى والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل او اصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى المغرب وقرئ الايصال يقال اصل دخل في الاصيل
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دون الله اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل
تستوي الظلمات والنور بيان استحقاق السجود اي من خالقهما المتولي لامرهما ولما كان الجواب متعينا فكانهم قالوه فحكى عنهم فيلزمهم ان لا يتخذوا
من دونه اولياء او انه تلقين للجواب لكنهم يجيب عنه فيلقن او ان لم يجيبوا فاجب اذ لا جواب غيره ثم قل اشركتم به وكان من حق العلم بكونه تعالى
وبها ان يوحده فكيف تؤثرون على الضار النافع ما لا يقدر على نفع نفسه وضرها فهم اضعف منكم حالا ايها العبدة ثم قل لهم هل يستوي الجاهل بالعبادة
وبمقتضاها والعالم الموحد والآلهة التي لا شعور لها والعالم بحقايق الاشياء او هل يستوي المشرك التائه في ظلمات الجهل والتوحيد المستبصر بكمال العرفان
وقرئ يستوي بالياء وكل ذلك الزامات لهم ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ام منقطعة
بمنزلة بل وهمزة الانكار ودخل تحته وصف الشركاء بخلق كخلق الله اي اخلق ما اشركوا بالله خلقا كخلق الله يشتبه عليهم ام استحقاق العبادة بان يقولوا
هي تشارك في الخالقية فتشارك في الالهية لا بل هم عجزة لا قدرة لهم على ما يقدر عليه اقل الخلق بل لا خالق غير الله فلا يستحق العبادة غيره ولما جعل المقتضي للعبادة
كونه خالقا وهو منتف عن غيره لزم انتفاء العبادة لغير الله والمعتزلة يحجوجون بهذه الآية لانهم زعموا ان الحيوانات يخلق حركات وسكنات مثل ما يخلقه الله
وقد جعلوا لله شركاء وان لم يطلقوا لفظ الخالقية وحصول المخالفة بينهما ببعض الاعتبارات مانعا للمماثلة لما كانت افعال الله متماثلة لانها يخالف بعضها بعضا
ببعض الاعتبارات والحال انه سبحانه هو المتوحد بالربوبية والايجاد وهو الغالب الذي لا يغالب فهو المختص بان يعبد وبيقى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله اي انزل من نفس السماء فانها المبدأ او من السحاب
او من جانب السماء واسناد السيلان الى الاودية وهي جمع واد المحل الذي يسيل فيه الماء بكثرة وعرف بانه الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال
وقيل اسم الماء السائل فيه على سبيل المجاز من اطلاق المحل وارادة الحال اي سالت مياه الاودية قال ابو علي لا يعلم فاعل جمع على افعلة ويشبه ان يكون
لتعاقب فاعل على شيء كعالم وعليم وناصر ونصير ونظيره نادر واندية وتنكير الاودية لان المطر يقع على تناوب بينها وقدرها مقدارها الذي علم الله نفعه



للمطور عليهم وان اتسع كثر الماء والاقل لانه ضرب مثل كما سيأتي والمطرفيه للنفع لا غير او بقدرها ملئها فرفع السيل وضر الغليان حال كونه غالبا
او زايدا او منتفخا على وجه السيل ومما توقدون يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد وغيرها وعدم التصريح به كقوله او قد لي يا هامان على الطين للتهاون
اظهار الكبريائه كما هو عادة الملوك ومن لابتداء الغاية او للتبعيض اي ومنه ينشأ زبد الماء او بعضه زبدا رابيا وبالآخرة يضمحل ويبقى الجوهر الصافي
من الماء والفلزات وابتغاء نصب على العلة يتبين به فوائد الفلزات فانها تتخذ للحلي وآلات الحرب والخوف اعني يؤخذ الذهب والفضة للحلي والحرب
وغيرهما كالاواني وغيرها كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال
اتفق المفسرون ان هذا الكلام ضربه للحق واهله الشامل للقرآن وغيره والباطل وحزبه فالحق الماء ومحله الذي هي الاودية القلوب فانها تحيى بالقرآن
كما ضرب الاعمى والبصير فالقلب الذي يأخذ منه ما ينتفع به فيحفظه ويتدبر فيه يظهر عليه بمزيته ولا يخفى ان بين القلوب في ذلك تفاوتا عظيما واليه الاشارة
بقوله سبحانه بقدرها والزبد الشكوك والشبه وهي تذهب باطلا من قولهم جفأت القدر واجفأت اذا رمت زبدها عند الغليان وجفأت الرجل صرعته
وهذا شان كل ما لا اصل له فانه يضمحل بادنى سبب بخلاف الماء الذي ينفع الناس وكذا الفلز الذي يتخذ منه الحلي والاواني فان ذلك يمكث في الارض
فينتفع الناس والحيوانات بمباشرها وزرعا وزينة وقضاء حاجة وكذلك يضرب تعميم بعد تخصيص اذ المعنى كما بين هذه المعاني بهذا المثل كذلك يبين
ساير المعاني والمشكلات بضرب الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم
سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد قيل هو متعلق بيضرب الله اي يضربها للمستجيبين واما اذا قلنا تم الكلام بالامثال وبعده مستأنف فالحسنى
مبتدأ الذين خبره وعلى الاول تقديره استجابوا الاستجابة الحسنى وعلى الثاني لهم المثوبة الحسنى الجنة فان قيل ما وجه الربط المعنوي على الثاني قلنا لعله
تفصيل لاهل الحق والباطل المضروب لهما المثل وخبر الذين لم يستجيبوا لو مع ما في حيزه اي حالهم انهم لو ملكوا اموال الدنيا وملكوا مثلها لبذلوها ليدفع العذاب
عنهم وذكر لو للدلالة على ان المناقشة في الحساب معهم كعدم الاستجابة وقيل هو عدم مغفرة السيئات وعدم قبول الحسنات وقيل الذين معه التوبيخ ومرجعهم النار
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس المستقر والمكان وفي المفاتيح ان سوء الحساب للاشقياء انهم احبوا الدنيا واعرضوا عن المولى فلما ماتوا حرموا عن معشوقهم
وعن سعادة خدمة المولى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الاستفهام للانكار ان يكونا متساويين يعني من علم
ان القرآن منزل اليك من ربك فاستجاب لله لا يكون كاعمى القلب الجاهل بذلك كالاعمى لا يهتدي لرشده فهما كالماء والزبد انما يدرك ذلك ذوو العقول الخالصة
من تقليد الضلال قيل نزل في حمزة وابي جهل ايضا الاعمى قد يقع في المهالك بلا قايد والبصير يأمن من الهلاك الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب يحتمل ان يكون استينافا يبين به حال اولي الالباب وخبر الذين
اولئك لهم عقبى الدار فيكون في حكم وصفهم به كما قيل وعهد الله ما عقد عليهم يوم الميثاق او في الكتب ولما تقرر ان الجنس المضاف للعموم احتمل الاعم من ذلك
كان الميثاق هو كل ما وثقوه على انفسهم ما بينهم وبين الله من الايمان وغيره او بين الناس والمأمور بالوصل يشمل صلة الرحم وقرابة النبي اخوة الاسلام
بالاحسان اليهم وغيره وعدم التفرقة بينه وبينهم فيندرج تحته الحقوق المؤكدة كافشاء السلام ورده ومراعاة حق المماليك والخدم والجيران بل رعاية دجاجة
تعلف كذا قاله الحسن وقال عليه السلام لا دين لمن لا عهد له وذكر ما رتب على الوفاء بالعهد مع دلالته عليه لئلا يتوهم ان ذلك فيما بين العبد وبين الله لا غير
ومن صفتهم انهم يخافون وعيده لو يعظمونه كما حمل عليه انما يخشى الله بالرفع وسوء الحساب شدته ويحتمل مناقشته فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا قال عليه السلام

من نوقش في الحساب هلك. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة
اولئك لهم عقبى الدار. اي حبسوا انفسهم على شدائد التكاليف وما يصيبهم في اموالهم وانفسهم طلبا لمرضاة الله او تعظيمه لا لان يمدح عليه او لا ينسب
الى الجزع او تشمت به الاعداء وهو لا يختص بالصبر بل لا عمل الا بالاخلاص وينفقون من الرزق الحلال اذ لا مدح في انفاق الحرام صدقة النوافل والفرائض
لقرينتي السر والعلانية فان النفل في السر افضل بخلاف الفرض لدفع تهمة ترك الواجب ويدفعون السيئة بمقابلها بالحسنة وهذا وصف النبي عليه السلام
في التورية فيندرج تحته الدفع بالحسن من الكلام والوصل في مقابلة قطع الارحام وغيرهما من اخلاق الكرام وتغيير منكرات افعال اللئام فان قيل ما فائدة ذكر
ما سبق عليه من الافعال بصيغة المضي دونه قلنا لعله لما كان من اشق رياضات النفس صرفت العناية اليه باختصاصه وذكر بصورته الحاضر من اخلاقهم
وقيل كانوا اذا اتوا بمعصية عقبوها بالحسنة قال عليه السلام لمعاذ اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها فاولئك لهم العاقبة الحسنة او الجنة فانها
منتهى الدنيا وهو استيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الامور ان جعلت الجملة صفات اولي الالباب. جنات عدن يدخلونها ومن صلح من اباءهم
وازواجهم وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. اما بدل او خبر محذوف ويقرأ بضم اللام ودلالة فيه
على ان الانساب لا تنفع في دخول الجنة من غير تقدم ما هو جزاء عمله للجواز انهم يدخلون لشفاعتهم بعد دخولهم بل استدل به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
ويعلم ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض في دخول الجنة للقرابة زيادة في انسهم ويحمل الاستيناس بقوله سبحانه الحقنا بهم ذرياتهم
جاز عطف على المستكن في يدخلون للفصل ويجوز ان يكون مفعولا معه اي يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يكونوا بفضلهم تعظيما لهم والمراد بالاباء
ابوا كل منهم فيدخل فيه الامهات ولعل تقديم الازواج على الذرية مع انهم كالبعض منه لكونهن اصولا لهم قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا
وان لم يعمل مثل عملهم وايضا دخولهم بعملهم لم يكن في ذلك كرامة للمطيع وسلام عليكم في موضع الحال والتقدير مسلمين او قائلين السلام عليكم وجعل بما صبرتم
متعلقا بالسلام اي السلامة عن الآفات بسبب الصبر اولى من التعلق بمحذوف مثل هذا بما صبرتم لان الاصل عدمه وقيل الباء للبدل اي السلام بدل الصبر
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي كل عام الى قبور الشهداء والخلفاء الاربعة ويقرأ نعم بفتح النون والاصل كسرة العين سكن بنقلها الى العين
وبابقاء فتحها ودخول الملئكة مع جلالة قدرهم لاجل التحية والاكرام مبشرين اياهم بقولهم فنعم عقبى الدار مرتبة عظيمة ولكل من صالحات الاعمال
روح قدسي يناسبه بعض الملئكة فبعد الموت اذا اشرقت تلك الروح تجلى فيها ملك الصبر بكمالات مخصوصة وكذلك الشكر واستدل على افضلية الملك
حيث صار ختم السعادة بدخولهم للاكرام ولو كانوا اقل مرتبة لم يكن دخولهم موجبا علو درجتهم وفيه ما لا يخفى ويقول ذلك. والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار. هذا في مقابلة الاولين
وعهد الله ايضا عهد يوم الميثاق وذلك القطع بعد ان اوثقوه بالاعتراف والافساد بالظلم وتهييج الفتن ويجعل الاعم دخل فيه الدعاء الى غير الدين
كما قيل وسوء الدار اما عذاب جهنم او كما في الاول سوء عاقبة الدار. الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا
في الآخرة الا متاع. اي يوسع الرزق لمن يشاء والبسط مباعدة الاطراف ويضيق على من يشاء من قدر عليه رزقه فهو الذي بسط على اهل مكة
وفرحوا به فرح بطر لا فرح سرور بانعام الله ولهذا لم يقابلوه بالشكر المقتضي نعيم الآخرة وليس نعيم الدنيا بالنسبة اليه الا كزاد الراعي او بلغة لا تدوم
او قليل النفع قريب الانقطاع. ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا

صور الاعمال

وتطمئن

وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب. اي هلا انزل انكار للآيات المنزلة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور ادلة
المعجزات ويهدي من رجع الى الحق واقبل اليه وكأنه قال ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم ان يهتدي الى سبيل الحق وان رأى
كل ما يصلح لان يكون آية ويهدي اليه من اناب باقل مما جئت به من الآيات وهو يجري مجرى التعجب من قولهم بان طلب آية واحدة بعد ظهور آيات عظام
من جملتها القرآن الدال بلفظه ومعناه على كونه نبيا مؤيدا من عند الله كان موضع التعجب من عنادهم ومكابرتهم. والذين آمنوا اما بدل من من او خبر مبتدأ
يجري مجرى الجواب عمن قال ما جاءك من آيات فقال هم الذين صدقوا الله ورسله وقلوبهم تطمئن بذكر دلائله الدالة فيشمل القرآن المقتضي لليقين بالاعجاز
على وحدانيته او يزول عنها قلق الخشية بذكر الرحمة او بوعده فيكون المصدر مضافا الى الفاعل او الى المفعول ان اريد بذكر الله بالسنتهم وهو لا ينافي
قوله سبحانه اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وان كان الوجل ضد الاطمينان لان الوجل على خوف العقاب وعدم الاقدام على المعاصي والاطمينان الذكر وعده سبحانه
بالثواب والرحمة واحدهما لا ينافي الآخر وايضا القلب. الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب. اما مبتدأ خبره طوبى او بدل من القلوب
على تقدير قلوب الذين آمنوا ويحتمل الابدال من الموصول المتقدم فان ما بعده من صلته وان يكون منصوبا او مرفوعا على المدح وطوبى مصدر طاب كبشرى
اي اصابوا خيرا وطيبا وهو لين العيش فيدخل تحته قرة العين والحبور والغبطة وقيل اسم شجرة في الجنة وهو تقدير الرفع او النصب نحو سلام لك وسقيا لك
بدليل قراءة حسن مآب واللام للبيان مثل سقيا لك ويقرأ طيبي بكسر الطاء للياء وواوها على ما قرئ منقلبة عن الياء لضمة ما قبلها كموقن وقيل حبشي اسم الجنة
وقيل هندية اسم للبستان وقيل فعلى من الطيب في الرائحة ولهم حسن مرجع. كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب. مثل ما ارسلنا من قبلك رسلا ارسلناك الى امتك ولعل الدليل عليه ذكر مطلق
المؤمنين ويبين ذلك قوله تعالى قد خلت من قبلها امم لتقرأ عليهم الكتاب الموحى اليك ولعل العدول عن القرآن اليه للتصريح بانه موحى من عند الله وهم يكفرون
بانه موصوف بسعة الرحمة فكفروا بالصدور نعمة الارسال وقيل نزل لما امر النبي عليه السلام عليا رضي الله عنه بان يكتب في صلح الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم
قال سهيل والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة اي مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم او عند قولهم وما الرحمن قل يا محمد الرحمن هو ربي
الذي خلقني وبرأني المتعالي عن الشركاء عليه تفويض امري في النصرة عليكم واليه رجعي فيثيبني على المساق او اليه اتوب عن سالف خطيئتي. ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا. المناسب في تقدير جواب لو لكان هذا القرآن حيث سبق ان حكمة
الارسال تلاوته عليهم وكذلك تقديره هم يكفرون بالرحمن في جوابه مقدما عليه وقيل لما آمنوا لانه نزل في كفار مكة حيث قالوا سير بقرآنك الجبال
عن مكة لتتخذ فيها البساتين ويكون فيها العيون كما سخرت لداود ان كنت نبيا وسخر لنا الريح لنركبها متجرين الى الشام وراجعين منها فقد شق
علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فالتقدير ان وقع تسيير الجبال
وتقطيع الارض وتكليم الموتى بقرآن لما آمنوا به للعناد ثم اضرب عما تضمنه لو من معنى النفي فقال بل لله القدرة التامة على كل ممكن تعلقت به ارادته
من هذه الآيات المقترحة وغيرها لكنه لما علم خلو اظهارها عن فائدة الايمان او انه يكون الجاء والمأمور به الايمان الاختياري لم يفعله ويؤيده الآخر قوله سبحانه
افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي
وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد. الاكثر على ان الياس هنا بمعنى العلم لتضمنه معناه فان الآيس عن الشيء عالم بانه لا يجده كما استعمل النسيان بمعنى الترك

طوبى

وقيل هي لغة اي افلم يعلم المؤمنون انه لو تعلقت مشية الله على وجه الالجاء بايمان الناس جميعا لآمنوا ويدل عليه ما يقرأ افلم يتبين وما قيل وقيل بن
سحيم الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم ييأسوا اني ابن فارس زهدم اي الم يعلموا وما قيل انه تصحيف الكاتب او الراوي فليس بشيء وان جاء كل
على العلماء الراسخين الباحثين عما جل ودق في كتاب الله بعيد غاية البعد لا سيما ويرتفع الوثوق عن القراآت ويدل على كونه بمعنى العلم تعليقه بان لو
يشاء الله وقد سبق ان معنى التعليق عدم العمل وهو من خواص افعال القلوب اعني في صورة النفي والاستفهام وحرف الابتداء واذا تعلق ان لو
يشاء الله بآمنوا اي ولم يقنطوا المؤمنون عن ايمان هؤلاء الكفار بان لو يشاء الله هداية الناس جميعا لهداهم واذا حمل على اصل معناه فالتقدير
افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال يصيب الكفرة بصنيعهم من الكفر وسوء الاعمال من عداوة النبي عليه السلام
تقرعهم وتقلقهم من القرع وهو الضرب بالمقرع او تحل القارعة قريبا من دارهم فيفزعون منها وتتطاير اليهم شررها من انواع البلاء والقحط والاسر
والجزية وان كان المراد كفار مكة فالقارعة السرايا التي كانت تغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا لا يبعد ان يكون التاء لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم
(هامش: وتختطف)
فانه حل قريبا منهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله اما فتح مكة او القيمة او الموت ان الله لا يخلف الوعد لامتناع الخلف فيه ومنهم من قال عمومه يتناول كل وعيد
ورد في حق الفساق لان النظر الى عموم اللفظ والجواب ان الخلف عنه تخصيص العموم نعم عمومات الوعيد مخصوصة بآيات العفو ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من قومه من الاقتراح والاستهزاء والاملاء الترك
ملاوة من الزمان اي قدرا منه وفيه وعيد للكفرة وفي الاستفهام نوع تعظيم للعقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد
لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق كالدليل على قدرته سبحانه على الاحد وانه ينبغي ان يوحد والمعنى افمن هو رقيب
على كل نفس بما تكتسب من الخير والشر كمن ليس كذلك فيفوته جزاء اعمالهم وجعلوا استيناف يبين به بعض ما كسبت او عطف على كسبت بتقدير كسبت
كل نفس وجعلها وما مصدرية والقياس وجعلوا له لكن التصريح بذكر الله للاشعار بانه المستحق للعبادة ويحتمل ان يكون الفائدة ان يعلم ان الشركاء
لا استحقاق لها فانها لا تسمى ولا توصف بما تستحق العبادة وام منقطعة اي بل أتنبئونه ويقرأ بالتخفيف وما لا يعلم يعني شركاء تستحق العبادة
لا يعلمها الله مع انه العالم بالاشياء ام يسمونهم شركاء بامر لفظي لا حقيقة له بل على خلاف الحقيقة كتسمية الاسود بالكافور او بباطل او معدوم
او منزل على بعض الانبياء وكانه احتج بعدم ذلك على عدم العلم به فانه لو وجد لعلم ثم اضرب عنه الى بيان السبب وهو تمويه الكفرة وتخييلهم اباطيل
لا حقيقة لها او كيدهم للاسلام وصدهم عن سبيل الحق والمزين قيل بعض شياطين الجن او الانس لانه في معرض الذم فلا يكون المزين هو الله وهو ضعيف
لان المزين لذلك الشيطان ان لم يصل الى الله تعالى لزم التسلسل وايضا ترجيح الداعي لا يحصل الا من الله وحينئذ يجب الفعل وقرئ بفتح الصاد اي
صدوا الناس عن التوحيد ويقرأ بكسرها وصدوا ومن يرد الله ضلاله عن الحق فلا بد لاحد على هدايته وفي هذا التركيب من الحذف والاضمار لقصد الاختصار
وايراد الكلام بطرق شتى لافادة انواع من المعاني لو لم يكن من الله على سبيل الاعجاز لم يف به اوراق متعددة دليل على انه بلغ الغاية القصوى والدرجة العليا
في كمال الفصاحة والآية صريح في ان الاضلال من الله ثم بين جزاء شركهم وهو عذاب الدنيا من القتل والاسر وساير المحن وعذاب الآخرة الذي
هو اشق لدوامه وعدم تصور دافع له لانه لا يكون الا بالشفاعة ولا ينالها الكفرة مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها

تلك

تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي صفتها التي في الغرابة كالمثل وخبره فيما انزل اليك او تجري وهذا انسب بقول من جعل المثل زيادة ولا حاجة
الى القول بها او التقدير هذه مثل الجنة او مثل الجنة جنة تجري ويقرأ على الجمع اي صفاتها ثمارها دائمة الوجود وكذا قيل شبه المؤثر لانه يوجد صيفا وشتاء
وقيل اكلها لا ينقطع بموت وغيره وظلها لا ينسخها الشمس فان اهلها يستضيئون بنور لا حر معه ويعلم ان الجنة لا تفنى بخلاف قول جهم ومن قال لم تخلق
والا لهلك لقوله تعالى كل شيء هالك والجواب بالتخصيص بدليل اعدت ثم بين انه منتهى المتقين الجنة والكافرين النار وفي الانوار ان في ترتيب
النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين ولعل ارادة انه في قوة لا عقبى للفريقين الا الجنة والنار وذلك لتقديم تلك عقبى والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه مآب يعني اليهود والنصارى
لموافقته كتبهم ولعل الحمل على المخصوصين كابن سلام واضرابه وبعض نصارى نجران والحبشة (اولى) لانه ليس كل ما في القرآن يوافق ما كانوا عليه وان كان
يوافق كتبهم ويصح الحمل على العموم فان كلهم يفرحون بالمطابق ويكون المراد بعض ما انزل واما المشركون او منافقوا اهل الكتاب انكروا بعض ما فيه اعني
سوى القاصيص والاحكام الموافقة لما في كتبهم فلا عبرة به لاختلاف الشرايع فيها وربط قل انما امرت بما قبله لانه كابطال ما هم عليه اي اني امرت انما اوحد الله
واعبده وانكاركم لذلك ينافي اعترافكم وجوب العبادة وهذا بالنسبة الى منافقي اهل الكتاب انسب ووجوب العبادة يبطل قول نفاة التكليف والجبر المحض
وما يقرأ برفع لا اشرك فعلى تقدير انا لا اشرك او اعبد الله غير مشرك به وتقديم اليه في الموضعين للاشعار بحصر المدعو اليه والمرجع وكذلك انزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق اي كما انزلنا ساير الكتب على الانبياء انزلنا القرآن اي مشتملا
على الامر بالعبادة والتوحيد والوعد والوعيد حاكما وفاصلا بين الحق والباطل ذا الحكمة مترجما بلسان عربي مبين وكانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم
الى امور توافقهم كالصلوة الى قبلتهم بعد التحويل فقال ان اتبعتهم بعد مجيء العلم بقواطع البراهين فلا ينصرك ناصر ولا يقيك واق وقد سبق انه من باب
التهييج وامر السامعين بالثبات في الدين وقد سبق في البقرة في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه يشتمل على تاكيدات تزيد على عشرة وههنا كذلك
وان كان من وجوه مثلها وغيرها ولا احتجاج للمعتزلة على حدوث القرآن لذكر النزول الذي لا يليق الا بالحدث والنسبة الى العربي لجواز كون ذلك وصفا
لحصوله عند المنزل عليه او كما قيل ان ذلك للمركب من الحروف والاصوات ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول
ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب نزل لما عيبت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقالوا لو كان
نبيا لشغله النبوة عنه فنقض الله قولهم بان الرسل قبله كانوا ذوي ازواج وذرية وما كان في وسعهم الاتيان بالآيات المقترحة الا بعلمه وامره ولفظ الحظر
انما يكون مع القدرة لكن المراد النفي والاجل الوقت الذي نصادفه المقدر اي لكل مكتوب في اللوح او لكل كتاب انزله الله وقت معلوم وما قيل لكل مقترح
اجل ليس بسديد لان المقترحات ما وقعت وقت الاعجاز ويمحو الله رد لانكارهم النسخ اذ المعنى ان الله ينسخ ما يقتضي الحكمة نسخه ويثبت بدله او يتركه
(هامش: مطلب)
غير منسوخ وقيل يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون به يتضرعون الى الله ان يجعلهم
سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم او يمحو ما لا يتعلق به ثواب وعقاب ويثبت ما يتعلق به او يمحو السيئات من التائب ويثبت بدلها الحسنات
او من جاء اجله دون من لم يأت او يغفر ذنب من يشاء ويترك لمن لا يغفر له او يمحو بعض الخلايق ويثبت بعضا من الانسان وغيرهم وكذا النبات
والاشجار واحوالها ويحتمل ان يفسر بابيعها والشمس والقمر ويمحو بالنوم ويثبت باليقظة او الدنيا والآخرة كما قيل وام الكتاب اللوح فانه اصل الكتب

لانه ما من كاين الا وهو مكتوب فيه • وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب • اي سواء اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب
او توفيناك قبله فلا تبال به فانه ليس عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا جزاء اعمالهم وحمل على اظهار الدين على ساير الاديان والتوفية قبله وفايدة انه اذا كانت
هذه التغيرات مشاهدة فما الذي يؤمن الكفرة من ان يغير الله عزهم الى الذل • اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب •
وجه الربط انه دليل على ان يرى النبي صلى الله عليه وسلم بعض الموعود قبل التوفية فانه حمل على فتح المسلمين ارض الكفرة شيئا فشيئا فانه يزيد ارض المسلمين وينقص
ارض الكافرين فعليك البلاغ وعلينا ان نتم ما وعدناك من الظفر وقيل خراب العمران وهلاك اهلها او ذهاب بركة ثمارها او المراد اهلها والنقص موت العلماء
والخيار او الاعم منهم ولا راد لحكمه ولا مغير لارادته ولا يعقبه احد بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي الغريم بالطلب قال لبيد
طلب المعقب حقه المظلوم اي حكم لغلبة الاسلام وتخذيل الكفرة ومحله النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وسرعة حسابه بان يحاسبهم اسرع من لمح البصر
لا يشغله محاسبة بعضهم عن بعض او لا يحتاج الى تدبر وتفكر او سريع الجزاء • وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار •
تسلي النبي صلى الله عليه وسلم بان الكفار من قبلهم ارادوا المكروه بانبيائهم وهي كلا مكر بالنسبة الى مكر الله فان جميع اسبابه بيد الله فلا يضر الا من اراده لانه تثبت
انه خالق لجميع اعمال العباد او انهم مكروا انفسهم فان الله نجى الانبياء ويهلكهم ويعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وستدل على ان الكسب معلوم الله تعالى
وخلاف معلومه لا يقع فلا قدرة للعبد واسناد الكسب اليه وان دل ظاهرا على قدرته لكن الجواب ان المجموع القدرة مع الداعي مستلزم للفعل فالكسب حاصل للعبد
وسيعلم كالبيان لمكر الله فان المراد انه ياتيهم ما اعد لهم من العذاب وهم عنه غافلون واللام يدل على ان المراد العاقبة المحمودة فان اللام للعهد فان ما علمه الكفار
في الاخرة للمسلمين الجنة او كما يدل على المذموم يدل اللام على المحمود وقرئ الكافرون والكفر وسيعلم بالمجهول • ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب • قيل المراد كعب بن الاشرف واصحابه لعل الحمل على الاعم اولى ولا حاجة مع شهادة الله المظهرة للمعجزات الدالة على كونه
مرسلا الى شهادة غيره والباء دخلت الفاعل اي كفى الله فشهيدا تميز او حال ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام ونقل عنه ذلك ايضا ومن انكر فلان السورة مكية
ولا بعد فيه وقيل هم من آمن من اهل الكتاب وقيل الله تعالى ويؤيده ما يقرأ ومن عنده ام الكتاب على من الجارة لانه من عنده علم من علم الكتاب وانما يصح العطف مع
ان المعنى وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شاهدا بيني وبينكم فالتغاير بحسب الوصف وقيل علي بن ابي طالب وعلم الكتاب اما القرآن
او اللوح وعلى الاول علم الكتاب مرتفع بالابتداء وعلى الثاني مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول وهو اذا وقع صلة قوي شبهه بالفعل للاعتماد فيعمل عمله • والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما
في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد • اي المسمى او المفتتح به هو كتاب لتخرج الناس بدعايك اياهم من الضلال الى الهدى وهو شامل للكفر والايمان
والبدعة والسنة بتسهيل الله ومشيته استعير الاذن لما فيه من تسهيل الحجاب وتعلم ان فعل العبد مخلوق الله تعالى واللام وان اشعرت ظاهرا بان افعال الله
معللة بالمصالح كما قالت المعتزلة لكن لا بد من التاويل لان ذلك انما يعقل ان لو كان عن تحصيل بدونه ولو اعترض بانه لو كان الكفر بخلق الله لم يصل اخراجه بالكتاب
اجيب بسبلة العلم والداعي وكرر الى العامل في البدل الذي هو الصراط كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم او استيناف لعين النور والله عطف بيان للعزيز
حيث هو كالاعلام لاختصاصه بالمعبود بحق او بدل وتقديم العزيز لان العلم بالقدرة يتقدم على العلم بالغنى واضافة الصراط اليه باعتبار انه المظهر له

وتخصيص

وتخصيص الوصفين للاشعار بعزة سالكه وحمد حال سابله وقرئ بالرفع على انه مبتدا وخبر او الله خبر محذوف والاول يدل على ان طرق الضلال كثيرة
وطريق الحق واحد وويل اسم للهلاك غير انه لا فعل له ويرفع رفع المصادر كما ينصب نصبها نحو سلام عليكم والمعنى يولولون من العذاب ويصيحون منه قايلين
يا ويلاه احضري فهذا اوانك ويعلم كون ما في السموات والارض لله ان افعال العباد مقدورة لله لانها في الارض وكل ما فيها مملوك له والملك عبارة
عن القدرة • الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد • الاستحباب استفعال من المحبة
اي يطلبون المحبة من انفسهم ان يكون احب اليها وهو الايثار والاختيار وهو مبالغة فيه فان الانسان قد يحب شيئا ويكره كونه محبا له فانه يحب الفجور
ويكره كونه محبا له وهو يدل على غفلة عن حيوة الاخرة والا لما اختار حيوة الدنيا مع كونها معرضة مشوبة بالغموم والهموم على اللذات الروحانية ويقرأ
يصدون من اصد وليست بفصيحة لان في صد المتعدي استغناء عنه ويطلبون لسبيل الله عوجا بان يقولوا للناس انها سبيل ناكبة عن الحق وحذف
الجار كما في اختار قومه والتقدير ويبغون لها انهم في ضلال بعيد عن الحق والمجاز في الاسناد على طريقة جد جده لان الضال هو البعيد او ذوي بعد اي طريق جاير
عن الصواب يقال ضل عن الطريق مكانا بعيدا او صفة للامر الذي به الضلال للملابسة والموصول مبتدا اولئك خبره او صفة للكافرين او منصوب او مرفوع
على الذم • وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم • اي ما ارسلنا رسولا الا بلغة
من بعث اليه ليلا يكون لهم حجة بعدم الفهم فيبين لهم ما امروا به فيدركوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم والنبي صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة
بل الى الثقلين والجمع بين لغات الكل تطويل لا حاجة اليه حيث يترجم عن واحد بالسنتهم وكان اولاها لغة العرب واللسان الواحد ابعد من اختلاف الكلمة
وايضا كان يضيع فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ واتعاب القرايح وتفويت الثواب وقيل الكتب كلها عربية ترجمها جبريل لكل قوم بلغتهم فيكون الضمير لمحمد
عليه السلام وقيل نزلت بالعربية ليبين للعرب ويقرا بلسن وهو اللسان كالريش والرياش ولسن بضم اللام والسين وسكونها واستدل على ان اللغات
توقيفية حيث لا تحصل الا بارسال الرسل ثم بعد الارسال يخذل عن الايمان من لم يرد هدايته ويوفقه لمن اراد توفيقه وهو الغالب لا يمنع مشيته الحكيم
لا يخذل الا من اقتضت حكمته وذلك وان خفي علينا ولا استدلال لبعض اليهودية على انه عليه السلام مبعوث الى العرب خاصة حيث ارسل بلسانهم
لانا نقول انه لا يلزم منه ان لا يكون مبعوثا الى غيرهم • ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور • وجه الربط انه كالامر للنبي عليه السلام بالصبر على اذى القوم وكيفية معاملتهم كاليد والعصا وفلق البحر وغيرها وان
مفسرة لما في الارسال من معنى القول ويجوز ان تكون ناصبة لان صيغ الافعال متساوية في الدلالة على المصدر وان كان بمعنى الامر الانشاء
كما في اعدلوا هو اقرب والظلمات الكفر او ذل الاستعباد والنور الايمان او العز والتقدير بان اخرج قومك اوحي اليه بان افعل ثم امره الله بان
ينذرهم بوقايع الله على الامم كنوح وهود ولوط يقال لحروب العرب ايامها كيوم بغاث ويوم ذي قار واصل ايام ايوام قلبت الواو ياء وادغمت
لانهما اجتمعتا وسبقت احديهما بالسكون وعن ابن عباس نعماؤه كاظلال الغمام وانزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون او ما ظلل الزمان
والذكر حضور المعنى النفس والتذكير اعادته بعد ما غاب بالنسيان واختصاص الايات بمن يصبر على بلاء الله ويشكر على نعمائه لان الذي اذا سمعها
للامم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر ولا ينافي ذلك الحمل على المؤمن كما قال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر • واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الظرف معمول لنعمة الله اي اذكروا انعام الله في ذلك الوقت او معمول عليكم اذ لم يجعل صلة النعمة لانها حينئذ لا تكون كلاما والعامل الفعل او شبهه
ولا يكون الا كلاما تاما وهذا اذا اريد العطية لا الانعام والا تعين ان يكون صلة ويجوز جعله بدل اشتمال من النعمة وجيء بالواو في يذبحون
لانه بيان وبدل وههنا يحتمل انه يكون من عطف الاخص على الاعم عليهم ايضا وتخصيص البلاء بالاخير اولى والاستشهاد بقول زهير جزى الله
بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والتذبيح ظاهر في كونه بلاء واما الاستحياء فانما كان بلاء لان بقاءهن كان مطلوبا للاستخدام
وفي الخلاص نعمة لاسيما وقت الانفراد عن الرجال ولا حاجة الى جعله من النعمة فان البلاء ايضا من الله وان لم ينظر الى انذار الله اياهم والجمل وقعت
احوالا من آل فرعون او ضمير الجميع والعذاب غير ما في البقرة والاعراف لانه فسر ثمة بالقتل والتذبيح. واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم
ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد. عطف على نعمة الله فيكون من كلام موسى
ومعنى تأذن اذن ايذانا بليغا لما في تفعل من التكلف وهو كاوعد وتوعد والتقدير تأذن وقال او هو بمعناه بدليل ما يقرأ وقال ربكم اي ان شكرتم
نعمتي من الانجاء وغيره بالايمان وصالحات الاعمال لاضاعفكم النعم وهو اعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وان جحدتموها فان عذابي يسلبها في الدنيا
والنار في العقبى في غاية الشدة ثم قال موسى ان تكفروا انتم وكل من في الارض لم يرجع وباله الا عليكم فان الله غني عن شكركم لم ينتفع كما قال عليه السلام
حكاية عن ربه لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم وحيكم وميتكم كانوا على اتقى قلب رجل لما زاد ذلك في ملكي شيئا وهو المستحق للاصناف الحمد وان لم يحمده
الحامدون وذكر في المفاتيح ان الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحانية التي هي مطالعة اقسام نعم الله وانواع فضله وهي محبة العبد لله تعالى
وهي اعلى مقامات الصديقين ومنه يترقى الى ان يشغله حب المنعم عن النعمة ولذلك يوجب ازدياد النعم الجسمانية لان الاستقراء دل على ان كل من كان
اكثر شكرا كان اكثر نعمة وفي الجملة انما حسن موقعه لانه اشتغال بمعرفة المعبود فكل مقام حرك من عالم الغرور الى عالم القدس فهو المقتضي لسعادة الدارين

مطلب في فضيلة الشكر

الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب. حمل على انه من كلام محمد او موسى عليهما السلام والذين اي جاءتهم معترض او لا يعلمهم ان عطف
الذين على ما قبله فالمعترض لا يعلمهم اي انهم في الكثرة بحيث لا يحصيهم الا الله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزوله كذب النسابون روي
عن ابن عباس ان بين عدنان واسمعيل ثلثين بطنا لا يعرفون والبينات المعجزات وردوا ايدي الكفرة الى افواههم قيل للغيظ وقيل للتعجب او التفكر
او الاشارة الى السكوت عما بعثوا به او لدفع غلبة الضحك والاستهزاء او الاشارة الى ان جوابنا انا كفرنا بما ارسلتم به افناطا لهم وهو مؤيد بقوله
فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا وقيل وضعوها على افواه الانبياء لئلا يتكلموا وان فسرت بالنعم فالمعنى ردوا نصائحهم وما اوحي اليهم بعدم القبول
والتكذيب وذلك من اعظم النعم يقال لفلان عندي يد اذا اوليته معروفا وقرئ تدعونا بالادغام ومعنى بما ارسلتم اي بزعمكم الارسال الينا لانهم
ما اقروا برسالتهم والريب قلق النفس اي نحن في شك من صحة دعوى الايمان ذي ريبة ويقال اراب اي اتى بالريبة. قالت رسلهم افي الله شك
فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا
فأتونا بسلطان مبين. فيه انكار كون الحق سبحانه مشكوكا فيه مع ظهور الادلة من خلق السموات والارض وغيرها على وجوده وتوحيده وسائر الصفات
التي يتوقف فطرها عليها ولذلك دخلت همزة الانكار دون الشك فانه متحقق الوقوع ووجه الدلالة ان من شاهد بيتا منقشا علم انه يستحيل

الا عند

الا عند وجود نقاش عالم ربان حكيم ولا يخفى ان آثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي اكثر منه فلما شهدت الفطرة بذلك فهنا اولى وهو يدعوكم الى الايمان
ببعثة الرسل لتؤمنوا فيغفر لكم او يدعوكم للمغفرة قال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فيكون قد اقيم المفعول له مقام المفعول به وذكر
مغفرة بعض الذنوب وفي خطاب الكل اما للارادة مغفرة حق الله تعالى دون المظالم فان الاسلام لا يجبها كذا قيل وفيه نظر فانه يجب بعضها ايضا
او لترجيح جانب المؤمنين وفي الانوار انه لما جاءت في خطاب المؤمنين مسوغة بالطاعة وترك المعصية فلعل ذلك لتناوله الخروج عن المظالم
وقال في المفاتيح الآية تدل على المغفرة من غير توبة في حق اهل الايمان لانه اطلق مغفرة بعض الذنوب والكفر خارج بالاتفاق فالمغفور ما عداه والى الاجل
المسمى ما قدر بلوغهم اليه ان آمنوا فيكون القضاء معلقا والا عاجلهم بالعذاب قبله اجابوا بانه لا فضل لكم علينا لما واسنا اياكم في البشرية فمن اين
يكون لكم النبوة ولو بعث الله رسولا لكان من جنس افضل وطلبهم الحجة الواضحة على رسالتهم للعناد وطلب المقترح والا فقد اتتهم رسلهم بالبينات
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
كانهم قالوا المشاركة في الجنسية لا تقتضي المساواة في الفضائل النفسية وشبهتهم انه كيف يبلغ التفاوت بين الاشخاص المساوية في تمام الماهية
فاجابوا بان النبوة عطاء من الله يخص به من يشاء من عباده وما ذكروه مجرد استبعاد للمساهل لها ويعلم ان ترجيح احد الجائزين لمشيئة الله
فلا يقدر على الاتيان بالمقترحات بغير ارادته سبحانه او ما آتيناه باذن الله وهي حجج قاطعة وبينات قاهرة وما طلبتموه امور زائدة والحكم فيها
لله سبحانه فان اظهر فله الفضل والا فالعدل ثم امروا المؤمنين بالتوكل على الله لا غير وترك العناد وطلب المقترح بعد ظهور الحق وقصدوا انفسهم بقوله
وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون. اي ما عذرنا في ان نترك التوكل على الله مع المقتضي
للتوكل وهو انه قد ارشدنا للايمان وانعم علينا بالنبوة ولنصبرن جواب قسم محذوف اي والله لا نترك الدعاء الى الله ولنصبرن على اذاكم وحمل
تكرار التوكل على كون الثاني على ثبات المتوكل على توكله والاول لاستحداثه ويحتمل ان يراد ان في قصد التوكل ايضا ينبغي ان يتوكل على الله وقيل
هو استئناف من الله ويحتمل ان يكون توكلهم على الله للوحي بان الكفرة لا يقدر على ايصال الشر اليهم وان لم يحصل الوحي فارواحهم لما كانت
مشرفة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء عالم الغيب لم يلتفتوا الى احوال الجسمانية ولم يقيموا لها وزنا في حالتي السراء والضراء. وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد.
اي لا بد من احد الامرين اما اخراجنا اياكم من ارضنا واما صيرورتكم الى ديننا والعود بمعنى الصيرورة كثير يقال عاد ما كلمني ما عاد له مال او ارادوا
السكوت عن تعايب آلهتهم كما كانوا قبل ادعاء الرسالة او الخطاب مع كل رسول وامته فغلبوا الجماعة على الواحد او لان لفظ لفظ الغيبة
مثل اقسم زيد ليخرجن او لاخرجن لانه المتكلم والارض ارض الظالمين وديارهم او اوحى الى الانبياء ان نهلك الكافرين ونورثهم ديارهم داموا لهم
فانجز وعده وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره وهذا الاهلاك والاسكان لمن خاف موقف الله او موقف حسابه
او المقام مقحم او خاف قيامي وحفظي لاعماله اي ذلك حق للمتقين او التقدير ذلك الامر حق لمن خاف مقامي وخوف الوعيد خوف العذاب او زواجر القرآن
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
ومن ورائه عذاب غليظ. الصبر للاتقياء والاستفتاح الاستنصار على اعدائهم او القضاء بينهم وبينهم من الفتاحة وهي كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا.

وقيل الضمير للكفار نحو ائتنا بما تعدنا فيكون عطفا على اوحى على الاول وعلى الثاني على قال وقيل الضمير للكل اي كل منهم نصر المحق على المبطل ويقرأ بالامر
اي قال لنهلكن واستفتحوا وخاب قوم الانبياء ولم يدركوا ما تمنوا من النصر وقيل استمطر اهل مكة والفتح المطر في سني القحط التي اصابتهم بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم والجبار العاتي المتكبر على الله وقيل من لا يرى لاحد عليه حقا والعنيد المائل عن الحق والابل العنيد الخارجة عن الطريق وعرق عاند
لا يرقأ دمه يقال فلان يمشي عندا اي ناحية وقيل العنود الترك اي يترك الحق والاكثر على ان الوراء هنا القدام قال عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب وقيل بعد موته والصديد ما يسيل من جلود اهل النار ولحمه او القيح والدم وقيل ما يخرج من فروج الزناة فهو اما عطف بيان
او بدل من الماء او مثل صديدا او وصف فانه يصد عن شربه ويدل عليه يتجرعه اي يتكلف جرعه وكذا لا يكاد فانه اذا لم يقرب فكيف بالاساغة نفيها
يقال ساغ سوغا اذا جاوز الحلق وقيل لا يسوغه بل بعضه لتطويل العذاب ويسقى عطف على مقدر اي يلقى في جهنم ويسقى من ماء صديد واورد
ان الغصص لا يكون الا بعد الاساغة واجيب بان الغصص يحصل بالحصول في الباطن والاساغة اجراء الشراب في الحلق على قبول النفس واستطابة
المشروب ويأتيه اسباب الموت كل منها مستقل بالاهلاك كانها باسرها احاطت به من الجهات وقيل من كل مكان جسده اي من ابهام رجله
او من اصل كل شعرة وما هو بميت ليستريح ومن ورائه بين يديه في كل وقت عذاب اشد من الاول فيتدرج تحته ما قيل من حبس الانفاس في الاجساد وقطعها
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله
خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد قيل خبر مبتدأ تقديره فيما نقص عليكم مثل الذين ويبعد ربطه ويحتمل ان
يجعل استينافا مقررا لحال الكفار بل بيان سبب ما هم فيه من العذاب والمعنى صفتهم اعمالهم كرماد مثل قولك صفة زيد عرضه مصون كانه جواب من
سأل عن مثلهم او مثل اعمال الكافرين والجملة خبر مثل وان جعل اعمالهم وهي كصلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى واغاثة الملهوف والمحتاج
ونحوها او عبادتهم الاصنام التي ظنوها ايمانا وطريقا للخلاص او المجموع الاخرين ووصف اليوم العاصف وهو صفة الريح مجاز كقولهم يوم ماطر ويقرأ
بالاضافة اي يوم ريح عاصف شبهت اعمالهم في عدم الانتفاع لنبوها عن الاصل الذي هو الايمان او اعمالهم للاصنام كالهباء المنثور فان الريح
اذا طيرت الرماد لم يقدر على شيء منه فلا يرون لها اثرا يوم القيمة وذلك اشارة الى ضلالهم مع اعتقاد الاحسان فهذا هو غاية البعد عن طريق الحق
وبرزوا لله جميعا فقال الضعفؤا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص الاخبار بالماضي على طريقة ندائه لتحقق وقوعه ومعنى لله لامره وحسابه بالخروج عن القبور او على ظنهم حيث
اخفوا الفواحش على اعتقاد انها تخفى على الله والبروز الظهور ومنه البراز للصحراء وكتب الضعفؤا بلفظ الواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
ممالة الى الواو نحو علمؤا بني اسرائيل وهم ضعفاء الآراء التابعون واستكبروا اي تكبروا وهم الرؤساء والتبع جمع تابع كخدم وخادم اي في التكذيب
او ذوي تبع والتبع الاتباع او مصدر ومن الاولى للبيان والثاني للتبعيض اي هل انتم مغنون اي دافعون عنا بعض الشيء الذي هو العذاب
وان كانا للتبعيض فالمعنى بعض شيء هو عذاب الله ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء
فقالوا جوابا عن المعاتبة فيما وبخوهم وبكتوهم لو وفقنا الله للايمان لهديناكم لكن لم يهدنا ففعلنا بكم ما فعلنا بانفسنا او لو هدانا الله من العذاب
لانجيناكم قال في الكشاف لعلهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه وهذا يخالف مذهبه في ان الكذب على اهل القيمة محال فاما ان لم يعلم المسألة او كابر تعصبا

واما

واما كانت الهمزة وام للتسوية فالمعنى الجزع والصبر مستويان قيل يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلم ينفعهم ثم يصبرون خمسمائة ولما كان
عناهم من قبيل الجزع قالوا سواء علينا يريدون انفسهم واياهم ما لنا من محيص منجى ومهرب وهو مصدر كالمبيت قل هذا الزوال عن المكروه
وقيل العدول على جهة الفرار وقيل هو كلام الفريقين وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين
لهم عذاب اليم اي قال ابليس لما فرغ عن الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وخرج الفساق من النار قائما خطيبا بين اشقياء الثقلين
في النار ان الله وعدكم البعث والجزاء فوفى ووعدتكم ان لا جنة ولا نار فاخلفتكم اي الوعد وما كان لي من تسلط وحجة عليكم فالجيتكم ولكن دعوتكم الى الضلال
بالوسوسة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ييأس الكفار منه الشفاعة ووعد الحق كمسجد الجامع وحب الحصيد على رأي الكوفيين وعند البصريين
تقرير وعد اليوم او الامر الحق فالاستثناء منقطع فهو كقوله ما تحية بينهم الا ضرب وجيع ويحتمل ان يجعل متصلا فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بمجرد الوسوسة
والدعاء الى الضلال بعد ان صرحت بالعداوة ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بها وتركتم طاعة الله لا يخفى ان الفعل لا يحصل الا بعد القدرة والداعية
ولا مدخل له الا بان يلقي حديثا كما اذا كان غافلا عن اقتراف معصية كالزنا بامرأة فيلقي حديثها في خاطره وانما قال لا تلوموني وهو ملوم على وسوسته
لانه اراد لا تلوموني على فعلكم لانه عدلتم عما يوجبه هداية الله ولا دلالة فيه على استقلال العبد بافعاله لا سيما في اختيار الشقاوة كما قاله المعتزلة لما تبين
ان الاضافة اليه لما له مدخل فيه وهو مجرد العزم الذي هو كالشرط لتأثير فعل الله وهو المراد بالكسب الذي يقول به الاصحاب وكيف يعارض القواطع
من الآيات الدالة وغيرها على ان الكائنات من الله قل كل من عند الله الاصراخ الاغاثة اي لا يغيث بعضنا بعضا من العذاب وقرئ بالكسر
بالاضافة على اصل الحركة لالتقاء الساكنين وهو مرفوض في مثله للزوم اجتماع ياءين وثلاث كسرات وجعلت كما في الخفة فاعطيته حكم الحرف الصحيح
للادغام وهو قياس مناسب غير ان الاستعمال حركها بالفتح اذا كان قبلها الف نحو عصاي والاستشهاد بقوله قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي
غير مرضي لانه مجهول القائل ثم قال اني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل وتبرأت كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم واشرك منقول من شرك للتعدية
الى مفعول ثان تقول شركت فلانا واشركته اي جعلته شريكا له وان جعلت ما موصولة فهو بمعنى من نحو سبحان الله ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت
بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي في عبادة غيره من قبل اشراككم حين رددت السجود لآدم وعلى الاول باشركتموني وان الظالمين الى تمام
كلام او ابتداء من الله تعالى ويدل عليه انه يقرأ وادخل بالمتكلم وفي حكاية امثال ذلك لطف للمكلفين حيث يكون عظة واعتبارا وادخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام اي يدخلهم الملئكة بامر الله وعلى قراءة المتكلم وهي ادخل يتعلق باذن
ربهم بتحيتهم اي تحيتهم الملئكة بامر الله فان قيل فما وجه ارتباط سلام بتحيتهم حينئذ لانه يصير المعنى تحيتهم سلام باذن ربهم قلنا ينبغي ان يكون منقطعا عما قبله
اي فيها سلام واي سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون استفهام تقرير فائدته الاتعاظ له اي الم تعلم وعلق للاستفهام والكلمة الطيبة كلمة التوحيد او شهادة ان لا اله الا الله
او كل كلمة حسنة كالحمد والاستغفار والتهليل والدعوة والشجرة الاولى حملها على النخلة وان قيل انها كل مثمرة طيبة كالعنب والتين او طيبة المنظر
او الانتفاع بها لان ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثل المؤمنين شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي

وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت النبي صلى الله عليه وسلم ان اقولها وكنت اصغر القوم فقال النبي عليه السلام هي النخلة فقال عمر لو قلتها لكانت
احب الي من حمر النعم وعن ابن عباس انها في الجنة اصلها اي الشجرة ثابت في الارض واعلاها وافنانها في جهة العلو كما يقال جبل طويل في السماء وهو
صفة كمال لانها تكون ابعد من العفونات وقيل القرآن والايمان ثابتان في القلب والقراءة والتسبيح والطاعة مرتفع الى السماء ومنه اليه يصعد
الكلم الطيب ويحتمل ان يقال العلوم المتعلقة بالالهيات راسخة في القلب باعتبار البراهين وآثارها من العمل بمقتضاها وافادة الناس بها وبما يتعلق بها
لعلو شانها مرتفعة في السماء لا كالاشياء واللذات المحسوسة قليلة الفائدة وسريعة الزوال لم يتحفظ بها الا البدن بحسب المزاج واللذات العلية بسبب
لكمال الروح ويظهر فائدتها في العالمين وقرئ ثابت اصلها على خلاف الاصل الذي هو تقديم المبتدأ لا كالاشياء وليس في العدول زيادة معنى وهي تثمر
كل وقت عينه الله له بتيسيره سبحانه ذلك وايجاده قيل كل سنة او ستة اشهر وقت الصرام او بكرة وعشيا ان فسرت المؤمن بصعد اي الله
عمله فيهما ثم بين فائدة ضرب الامثال من التفكر في المراد بها حيث هو تشبيه المعقول بالمحسوس المقتضي تعقلها وايضا المعاني العقلية لا يقبلها الحس
والخيال والوهم فاذا ذكر ما يساويها ترك الخيال والحس والوهم المنازعة وحصل الفهم التام بانطباق المعقول على المحسوس ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء هي كلمة الكفر او الدعوة اليه او كل ما نهى الله عنها والشجرة الخبيثة كل ما لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث قال ابن عباس رضه هي لم يخلق
بل مثل وقرئ مثل بالنصب عطفا على كلمة طيبة اجتثت استوصلت جثتها في مقابلة ثابت لان عروقها قريبة من وجه الارض اي ليس لها اصل
بسببه على الارض ولا يصعد فرعها الى السماء يقال قر الشيء قرارا ثبت وكذلك كل قول لا دليل عليه غير ثابت يضمحل لبطلانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمه خبيث وريحه خبيث
والقول الثابت كلمة التوحيد رسخت في القلب بالدليل اي يديمهم الله عليها كما اطمأنت اليها نفوسهم في الدنيا الجمهور على انها نزلت في عذاب القبر
روى البراء بن عازب ان النبي عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن قال فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد في السماء ان صدق عبدي قال فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة بعد البعث والمراد من الباء ان الله يثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الدنيا على هذا القول ولا يخفى ان كل شيء كانت المواظبة
عليه اكثر ورسوخه في القلب اتم وقيل ثبوتهم في الدنيا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد
ولا يخفى ان هذه مبالغة واشارة الى الاخرى والا فمن اكره على الكفر فتلفظ به وقلبه مطمئن بالايمان من جملة اصحاب القول الثابت واضلال الله الظالمين
عدم تثبيتهم على القول الثابت والحمل على من اكتفى بالتقليد في الايمان ليس بطريقة الفقهاء فان ايمان المقلد معتد به عندهم ويشهد له ان اخلاق العرب
كانوا يسلمون من غير بحث عن البراهين القاطعة وان قيل انهم كانوا عالمين بها وهؤلاء حملوا ذم التقليد على ما لا يوافق الحق ويفعل الله ما تعلقت به مشيته
من التثبيت والاضلال بمقتضى الحكمة الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار على تقدير مضاف
اي شكر نعمة الله يعني ان ظلمة قريش كفروا نعمة الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فقحطوا سبع سنين واخذوا وقتلوا يوم بدر روي انها نزلت
في الافجرين منهم بنو المغيرة وبنو امية اما الاولون فكفى الله امرهم يوم بدر واما الآخرون متعوا الى حين واذا حل الى عامة المشركين فنعمة الله بعثة محمد



واحل على تبديل الشكر اي الكفر مثل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر ليس بقوي لانه يقتضي حدوث
الكفر حينئذ وهم قد كانوا كفارا من قبل واحلوا من تابعهم على الكفر دار الهلاك وجهنم عطف بيان يصلونها حال من جهنم او القوم اي يدخلونها مقاسين
لحرها وجهنم يجوز ان ينتصب على شريطة التفسير وبئس المقر جهنم وعن علي رضي الله عنه ان دار البوار بدر وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
قل تمتعوا فان مصيركم الى النار اي سموا اصنامهم اندادا وقرئ ليضلوا بالمجهول وبالمعروف وفتح الياء وبالضم من اضل ولما اشبهت حالهم
حال المسبب للضلال دخلت او للعاقبة او الثانية لام كي ومعنى تمتعوا اي بلذاتكم وعبادة الاصنام فانها من شهواتهم وهو امر تهديد يشعر بان التمتع
بالمطلوب لافضائه الى المهدد به فانهما واتهمان البتة لا يملكون امرا دون امر الشهوة اي ان دمتم على ذلك فان مصيركم الى النار قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال فليس الخطاب آمنوا واقيموا لكن
يدل عليهما ينفقوا ويقيموا ان لم يقل ان اصله ليؤمنوا فحذفت اللام لقرينة قل وعليه حمل جزمها وعلى الاول جوابا للامر وفائدة العدول عن اللام الى الجزم
للاشعار بانهم لفرط مطاوعتهم لا يخلو فعلهم عن الامر وانه كالسبب الموجب والصلوة المفروضة والانفاق الزكوة الواجبة وسائر ابواب الخيرات
لتكون العلانية للواجبة والسر للمندوبة وهما منصوبان اما على الحال او الظرف او المصدر اي انفاق سر وفائدة تقديمه على وصف اليوم للتحريض
على الانفاق في وقت يمكن ان ينتفع به قبل ان لا يقدر عليه فانه لا يعذر المقصر على انتفاع ما ينجو به ولا محالة فينتفع له خليل فلا انتفاع لمبايعة ولا مخالة
الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتيكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وجه الربط انه استيناف
يقرر المقتضي لامتثال المأمور ووصف السعداء والاشقياء يناسب ختمه بالدلائل الدالة على وجود الصانع اذ حصول العلم به نهاية السعادة وفواته
نهاية الشقاوة والجملة مبتدأ وخبر ومن لبيان الرزق الذي يعيشون به مطعوما وملبوسا ورزقا مفعول اخرج ومن الثمرات يجوز ان يكون حالا او بالعكس
او ينتصب بالمصدر لان اخرج لان فيه معنى الرزق والمفعول له وجريان الفلك بامر الله سيرها الى حيث يتوجه اليها بمشيته وتسخير الانهار جعلها
بحيث ينتفع بها او المراد بتسخيرها تعليم كيفية الانتفاع بها وتسخير القمرين جعلهما سبب صلاح الناس والنبات حالة كونهما يدأبان في سيرهما لمصالح
العباد وتسخير الليل والنهار تعاقبهما لقضاء الحوايج والاستراحة بالنوم والله سبحانه قصد بخلق هذه الاشياء الاحسان الى الخلق وهو لا يتم الا بان يراد
انتفاع المحسن بذلك وآتاكم بعض جميع ما سألتم اي من كل شيء شيئا وقرأ يعقوب بالتنوين وما اما خبرية او نافية وعلى الاول معناه آتاكم من كل ذلك
قدر ما تحتاجون اليه وعلى الثاني معناه آتاكم غير سائليه فمحله النصب على الحال وفي الانوار ان المراد ما يحتاج اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل المصدرية والمعنى
كانكم سألتم بلسان الحال والاحصاء الاحاطة بكمية العدد اي لا يمكنكم عد انواعها فضلا عن افراد الانواع وسواء حمل على الاول او الثاني اشعر
بان الجنس المضاف للاستغراق والانسان كثير الظلم بكثرة اهمال شكر النعم او تفويت حظ نفسه شديد الكفران للنعم وقيل غير المؤمنين واذا تدبر الانسان
احوال بدن وما هو مركب منه من الاعضاء والاعصاب والاوردة والشرايين ولها ارواح الى شعب كثيرة ولو اختل بعضها بسبب الكيفية او الكمية
لاختلف مصالح البنية ويعلم التشريح يعلم انه بحر لا ساحل له وكذلك في لقمة يتناولها لا بد من نظام هذا العالم وفي الجملة لو صارت العقول كلها واحدا
لما ادرك من عجايب صنع الله ونعمه الا القليل واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن

كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم اي اذكر ذلك الزمان ووجه الربط ان الكفار دل على حال الكفرة على ما قبل فذكر
حال ابرهيم في التحرز عنه والفرق بين المنكر والمعرف ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفي الثاني ان يجعله من البلاد الامنة
ويحتمل ان يكون السبب ان في الاول قد اتى بصيغة تدل على قصد معين بجعل متصفا بالامن فلا يدل على ان غيره لا يتصف به بخلاف الثاني فان
الصيغة تصلح لساير البلاد على البدل فسؤال الامن له يفيد ان غيره يحتمل اتصافه بالامن فاجاب الله دعوته وجعل البلد الحرام اعني مكة ذا امن وكفاه
كل باغ وظالم ولا يشكل بتخريب الكعبة لان الدعاء للبلد بل لاهله ويقرا واجنبني بالكسر وفيه ثلث لغات جنبه وجنبه واجنبه الشر اي بعدني
وبني من صلبي واد منا على اجتناب عبادتها وعمم ابن عيينة وقال ما عبدت العرب من ولد اسمعيل وان فرض عبادتهم للصنم فدعا ابرهيم عليه السلام
لبني صلبه او اراد بعض بنيه ولا يشكل بان بنيه من صلبه او الذين علم منهم انه لا يعبدون الصنم لم يكن فيه فايدة فان الفايدة هضم النفس واظهار الحاجة
والصافة (?) في كل المطالب الى فضل الله سبحانه او ان الله اجابه في بعضهم دون بعض الصنم وانما كانت لهم حجارة يعظم الحجارة البيت وجعل الاصنام مضلات
لان الضلال بسببهن نحو غرتهم الحيوة الدنيا وقيل كان الشيطان يصوت من جوفها فقال اعوذ بك ان نعصما منها وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله
فمن تبعني كان على ملتي فهو بعضي لشدة اختصاصه بي كما قال عليه السلام في العكس من غش فليس منا ومن عصاني بالكفر فانك غفور رحيم له اذا رجع عنه
او عصاني بغير الكفر او لا يمتنع عليك من غير توبة غفران الوعيد منع منه وفي الاية دليل على ان الكفر والايمان من الله لانه عليه السلام سال ان يبعده عن الكفر
فدل على ان التبعيد من الكفر والتقريب من الايمان ليس الا من الله والحمل على الالطاف كما قاله المعتزلة فاسد لانه عدول عن الظاهر لا سيما واسناد الاضلال
اليهن مجاز ويدل على ثبوت الشفاعة لان قوله غفور رحيم صريح في طلب المغفرة ولا يمكن حمله على الكفر ولا طلب الغفران للصغيرة او الكبيرة بعد التوبة لانهما في
المعصم (?) فتعين ان يكون الكبيرة قبل المغفرة واذا ثبت لابرهيم ثبت لمحمد عليهما السلام لعدم القايل بالفرق ولانه منصب عظيم فعدمه وجدانه نقص وامر بالاقتدا به
عليهما السلام ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون وهو وادي مكة لا زرع فيه اصلا لكونه حجرة فهو مثل غير ذي عوج وكون البيت محرما انه حرم التعرض له وجعل ما حوله حرما لحرمته
او لانه لم يزل كالشيء المحرم عزيز يهابه كل جبار او عظيم الحرمة لا يحل التهاون به او منع مس الطوفان او لم يملكه احد او حرم فيه اشياء مما يجوز في بيوتهم
من المجامعة والاقذار وسبب الاسكان ان هاجر كانت جارية سارة وهبتها من ابرهيم فولدت منها اسمعيل وغارت وناشدته ان يخرجها من عندها
وقيل ضحك اسمعيل من تهيئة سارة اسباب الولادة بعد البشارة فغضبت لذلك وقالت من انك بلغت ان تضحك من ابني واظهر الله لهما عين زمزم
فرأى جرهم قبيلة من العرب الطير فعلمت ان بها ماء فطلبوا ان يشركهم في الماء ويشركوها في الالبان ففعلت روي انها عطشا فانتهت باسمعيل الى موضع زمزم
فضرب بقدمه فعادت عينا فقال النبي عليه السلام يرحم الله ام اسمعيل لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا والاكثر على ان اسمعيل كان طفلا حينئذ
وقيل بالغا لانه كان يعين في بناء البيت ولعل البنا بعده ولام ليقيموا متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم في هذا المحل عن الارتياق الا لها وعمارة
بيتك المحرم فان عمارة المساجد بالعبادات والاستعداد بجوارك والتقرب اليك بالطواف والعكوف عنده وقيل يتعلق بارزقهم او انه ابتداء
دعائهم بذلك ومن في من الناس للتبعيض اي اجعل افئدة من الناس وهي القطع من الناس بلغة قريش وقدح فيه بان جمع الفود من افواد وقيل جمع فواد
السودة روي عن مجاهد انه لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل والترك والهند وقيل اليهود والنصارى وان جعلت من للابتداء



فهو بمنزلة قولك القلب مني سقيم اي قلبي فالمعنى افئدة ناس وتنكير ناس هنا لانها نكرة لافادة التبعيض ويقرا افدة اما لطرح الهمزة تخفيفا وان كان
قياسه اخراجها بين بين او من افد يهوي اي يسرع مجيئه لكم من قولهم تهوي محارها هوي الاجدل والهوي النزول من علو الى سفل وبالفتح بالعكس
ويقرا تهوى من هويت والثمرات ما يجلب اليها من ساير البلاد واظهر الطايف قريبا منها قال ابن عباس نقلها من ارض فلسطين ورزقا اللحم ويحتمل
ان يريد ان بركاتها انتقلت اليه وذلك لارادة شكرهم بهذه النعم وكيف لا وهي مع كونها غير ذي زرع يجتمع فيها نوالة الفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في اوان واحد فصارت كاخصب البلاد ثمارا ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء اي يستوي عندك
السر والعلانية لانك العالم بعلم ذاتي فتعلم مصالحنا وانت ارحم بنا والدعاء لاظهار العبودية ويحتمل ان يكون المقتضي الترغيب فيه ايضا بقوله
واذا سالك عبادي وايضا للتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك والاستعجال لبرك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء وقيل ما جرى بينه وبين هاجر
حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله الكلم (؟) قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله حمل على كلام اعتراضا
لتصديق ابرهيم عليه السلام وان يكون من كلامه عمم العلم بالغايبات مؤكدا بمن الاستغراقية الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي
لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب تخصيص الحمد بالموهبة
في الكبر لان حصولها حينئذ ابعد عادة والظفر بالمقصود بعد الياس اعظم في النفس فانه روي انه ولد اسمعيل على تسع وتسعين واسحق على مائة وثنتي
عشرة وقيل لاربع وستين او تسعين وعن سعيد بن جبير انه لم يولد له الا بعد مائة وسبع عشرة فقال ان ربي سميع اي مجيب فانه قال رب هب لي
من الصالحين فشكر نعمة وتخصيص ما اجيب بالسمع مع انه يسمع ما لا يجيب فانه اذا اعتد بالكلام يقال سمع كما قيل سمع الملك كلام فلان وسميع بناء
مبالغة من الصفات اضيف الى معموله فانه يعمل عمل فعله وان جعل اسنادا مجازيا بان يكون الدعاء سميعا وهذا الدعاء قيل كان قبل اسحق وقيل بعد وجوده
والاكثر على الاول وهذا الدعاء لا يدل على صدور الذنب عنه لجواز ان يكون للالتجاء الى الله وقطع الطمع الا من فضله فهو اضافة فعيل الى فاعله
ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وذكر البعض للعلم بان في ذريته كفارا كقوله تع لا ينال عهدي الظالمين ولا يزال من ذريته طايفة على الفطرة
الى يوم القيمة ومعنى قوله تع تقبل دعائي عبادتي وتكرير الرب للتضرع في قبول العبادة والدعاء لابويه مع الكفر وقد سبق العذر عنه في براءة
والحمل على آدم وحوا بعيد وبشرط الاسلام ينافيه قوله سبحانه وما كان استغفار ابرهيم لابيه فانه لا حاجة الى العذر حينئذ وما يقرا لولدي او لولدي
تثنية وجمعا فلا اشكال فيه ويقرا والدي وابوي ولذريتي ومعنى يقوم الحساب يثبت مستعار من قام الرجل على رجله وقامت الحرب على ساق
يقال ترجلت الشمس اذا اثبت ضورها واشتد قيام اهل الحساب اليه وعن مجاهد ان الله استجاب دعوته فلم يعبد الصنم احد من ولده بعد الدعاء
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس
يوم ياتيهم العذاب اما ان يكون المراد بالخطاب الرسول عليه السلام للتثبت او الايذان بعلمه بفعل الظالمين وارادة عقابه اياهم على جهة التهديد
او لا تحسبنه يعاملهم معاملة العاجل واما غيره فلا اشكال وقيل تسلية للمظلوم وتهديد للظالم وقرئ نؤخرهم بالنون ومعنى تشخص الابصار عدم ثباتها في اماكنها
لهول المطلع لا تغمض مسرعين الى الداعي او فاتحين اعينهم او مطرقين لا يرفعون رؤسهم او ناكسيها لا يرتد اليهم طرفهم لبقاء عيونهم شاخصة من الخوف
لا تطرف او لا ينظروا الى انفسهم والافئدة جمع الفواد وهو القلب وقيل موضعها اي خالية عن الفهم لفرط الدهشة او الحيرة والحق وقيل لا تعي شيئا ومنه وصف

تلب الاحمق والجبان بالهواء اى لا رأى فيه قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء جمع ظليم ذكر النعام او نزعت عن اجوافهم وقيل بدورهم فيها

ولا استقر وهذه الصفات الخمس قيل تحصل عند تمييز الفريقين الى الجنة والنار وقيل عند القيام من القبور وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب

فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال هو يوم القيمة او الموت والعذاب

قيل اللام للعهد وهو مخصوص الابصار اى آخرها وكونه يوم الموت قدح فيه لانهم يسألون الرجعة فيه مفعول ثانى لانذر اى انذرهم يا محمد هذا اليوم وهو

ابلغ من ذكر عذابه اى ردنا الى الدنيا وامهلنا ربما نجيب دعوة رسلك الى الاسلام او امهلنا ولا تمتنا الى اجل نؤمن فيه فيقال لهم اقسمتم حلفتم انكم

اذا متم فلا حيوة بعده او لا تعذبون وليس المراد نفى زوال بالموت وقيل قالوه بطرا او لسان حالهم من بناء الشديد والامد البعيد يدل ان عليه وما لكم

جواب القسم روعى فيه مطابقة اقسمتم لا الحكاية لفظهم والا لقال ما لنا وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال

كمساكن قوم عاد وثمود فانهم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى لا يقال القوم لا يكونوا مقرين بان اهلاكهم لتكذيبهم لانا نقول على قراءة النون لا اشكال وبالتاء

معناه القوم علموا انهم كانوا طالبين للدنيا وهذا حالهم فينبغى ان يطلب الآخرة واصل سكن ان يعدى بفى اذا اريد اتخاذها سكنى وهو من السكون الذى

هو اللبث يقال اقام وقرئ فى الدار لكن ما نقل الى معنى آخر كتبوا حذف فى وان كان من السكون بمعنى القرار فالمعنى اطمأنوا فيها سالكين سيرة من قبلهم من الظلم

فلم يعتبروا ولم يرتدعوا مع انه بين بشاهدتها والاخبار عنها كيفية اهلاكهم بعد ان ضرب الله الامثال لهم ببيان احوالهم التى هى فى الغرابة كالامثال

وقد مكروا مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اى مكرهم الذى بذلوا جهدهم فى ابطال امر الانبياء وعند الله مكتوب مكرهم فهو مجاز بهم عليه او يكون
وعند الله مكرهم

مضافا الى المفعول اى ما يمكرهم جزاء لمكرهم وان كان مكرهم فى العظمة بحيث يزلزل الجبال وان نافية واللام كلام فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم فالجبال

تمثيل لامر النبى صلى الله عليه وسلم فى ان ثبوته كثبوت الجبال الراسية اظهاره على الاديان كلها وان جعلت مخففة من الثقيلة فالتقدير انهم مكروا ما يزيلوا به

ما هو فى الشدة كالجبال ثباتا من آيات الله وشرايعه وما قرئ لتزول بالفتح والرفع على هذا التقدير واللام هى الفارقة وفيه تعظيم المكر ويقرأ بفتح اللام على انها

للابتداء ويقرأ ان كاد وما روى ان نمرود قصد السماء بنوع من الحيل فى تابوت رفعها النسور فلما رجع كادت الجبال تزول عن اماكنها خوفا من قيام الساعة

يتوقف على ايجاد الله فيها العقل كما قيل فى عرض الامانة على السموات وقدح فيه الفاضل لان فيه خطرا عظيما لا يكاد العاقل يفعله ولم يرد فيه خبر صحيح وقيل ليس المراد

الاخبار عن وقوع الزوال بل التهويل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام اى الوعد بنصر الرسل قال تعالى لاغلبن انا ورسلى

وارتباطه بقوله يوم يأتيهم العذاب وتقديم المفعول الثانى للاشعار بانه لا يخلف الوعد اصلا لكان الحسن المضاف ثم ذكر الرسل ليعلم انه اذا لم يخلف مع غيرهم

فكيف معهم ولقائل ان يقول لولا هذه الفائدة لكان لا يخلف الميعاد ابلغ منه للخلو عن ابهام الباطل الذى يحتاج الى خارجى لازاحته وفى ذكر الوصفين

مبالغة لتحقيق الوعد لانه لا يغالب وينتقم لاوليائه من اعدائه وقراءة جر الرسل ونصب الوعد فيها من الضعف ما فى قوله قتل شركائهم اولادهم

يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار التبديل يكون تارة بتغيير فى الذات كتبديل الدرهم بالدينار وفى الصفة

والشكل كبدلت الحلقة خاتما واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنه وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم وتغيير الارض

بتسيير جبالها وتفجير بحارها بحيث لا يرى فيها عوج والسماء بانتثار كواكبها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقد كالاديم العكاظى وقيل
منسوب الى عكاظ وهو سوق بناحية مكة

يخلق ارضا غيرها بيضاء لم يخط عليها احد وعن على رضى الله عنه ارض من فضة وسماء من ذهب وقيل مرة كالمهل ومرة كالدهان قال فى الانوار

ولا يلزم

لهم جواز صعود نمرود الى السماء

لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا بعد على الثانى ان يجعل الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به

قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين لاه ويوم اما بدل من يوم يأتيهم واما ظرف انتقام وحينئذ يخرجون من قبورهم للمحاسبة

وفى تخصيص الوصفين اشعار بان الامر فى غاية الصعوبة لانه اذا كان الامر لغالب لا يغالب ولا استغاثة بغيره كان اشد وترى المجرمين يومئذ مقرنين

فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب اى قرن بعضهم مع بعض

او مشدودين بالقرن وهو الحبل او مقرنين مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين ومعنى فى الاصفاد وهى القيود وقيل كل كافر مع شيطان

فى غل او كل كافر مع آخر مثله ان يقرنون فيها او مقرنين مصفدين وقيل الاغلال وانشد سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق

والقطران ما يهنأ به الابل ليحرق الجرب وقد يبلغ حره الجوف وهو يتحلب من شجرة الابهل وقيل هو النحاس والقطران اسود اللون منتن يسرع
الدنيا

اشتعاله يطلى به جلود اهل النار كالقميص فيلحقهم لدغه وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح والتفاوت بينه وبين قطران

كتار بهما وعن يعقوب قطران بالكسر وفيه ثلاث لغات وتعلو النار باشتعالها وجوههم وهى اشرف الاعضاء كما قال يسحبون فى النار على وجوههم

ويقرأ يغشى بمعنى تغشى وتخصيصها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا حواسهم فى تدبره اى يفعل بالمجرمين ليصل جزاء كل مجرم اليه ويعلم من عقاب المجرمين

اثابة المطيعين وقيل تخصيص الوجه لان اثر الامور الباطنة تظهر فى الوجه وحمل سرعة الحساب على انه لا يظلمهم ولا يزيد على ما يستحقونه من العذاب

وقد سبق تحقيقه هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب اى القرآن او هذه السورة او آيات الوعظ كفاية

فى العظة والتذكير ولينذروا عطف على نحو لينصحوا بهذا البلاغ ووجه العلم بوحدة الحق سبحانه ان المخافة تدعو الى النظر فى وصف من يخاف منه ويحتمل ان يكون

قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عليه السلام انا اعلمكم بالله واخشاكم له للاشارة الى ان الخشية للعلم بجلال من يخشى منه قال فى المفاتيح كلام معناه

ان قوله سبحانه ليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى ان رئيس القوة العلمية للنفس معرفة التوحيد بحسب الذات والصفات والافعال والتذكير اشارة الى القوة العملية وهو

الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة ورزقنا الله التسديد فى الافعال والاقوال والتوفيق لاكتساب صالحات الاعمال والاخلاص فى جميع الاحوال

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

اى المفتتح به هذه السورة هى ما اشتملت عليه من الآيات والمراد بالقرآن المبين السورة اى وآيات قرآن مبين واى قرآن لانه الكتاب البالغ اقصى درجات

الكمال وقيل الكتاب هو الكتب المتقدمة باعتبار المعنى والمبين يبين الرشد من الغى ووجه ربط ربما قبل ان الذين كفروا بهذا الكتاب سيودون

يوم القيمة او يوم الموت او حين يخرج المسلمون من النار او كلما رأوا حالا من احوال المسلم وقرئ بالتخفيف ويقرأ بفتح الراء والتخفيف وفيه ثمان لغات

التشديد والتخفيف بالباء ودونها مع ضم الراء وفتحها ودخولها على المضارع مع ان الاصل الماضى لانه كالمحقق وقوعه ولا يدخل الا على النكرات

وما كافة تكفها عن العمل الذى هو الجر فدخلت على الفعل وانما اختصت بالنكرة لانها للتقليل نوع من جنس وهى تفيد التكثير هنا عند من يجعلها من الاضداد

او للمبالغة ان لم يحمل على ان التوهينية لا تقتضى التقليل كما تقول ربما يندم على فعلك اذ المعنى ان الندم وان كان قليلا او مشكوكا لحق عليك ان تتركه

فان قليل مقتضى الندم يحترز عنه كثيره فالتقدير انهم لو كانوا يودون الاسلام قليلا لكان من حقهم المسارعة اليه فكيف وهم يودونه كثيرا دائما

ولو كانوا الحكاية ورد بهم وحقه لو كنا مسلمين فانه ملفوظ بلفظ الغيبة لانه اخبر عنهم نحو حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن صح فكذا لو كنا مسلمين
ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بان يدعهم يأكلون ويتمتعون بدنياهم وصيغة الامر تفيد الاذن فيعلم ان الله قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون
مفسدة والمعتزلة حملوه على التهديد والجواب ان ظاهره الاذن لكن يدل على انه يعرهم وفيه قطع الطمع عن انزجارهم واتعاظهم وان طول املهم باستقامة
الاحوال شغلهم عن الاستعداد للمعاد وسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا شاهدوا ما يترتب عليه من الجزاء ولعل ان التلذذ والتنعم ليسا من اخلاق المؤمنين
وقيل التمتع في الدنيا من اخلاق الهالكين وعن علي رضي الله عنه انما اخشى عليكم طول الامل واتباع الهوى فان الاول ينسي عن الآخرة والثاني يصد عن الحق
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وجه الربط ان علمهم بصنيعهم ان تأخر فلسبق علم الله بوقت هلاكهم
فان الله لا يهلك قرية الا ولها امد معين كتب في اللوح او كتاب مخصوص والمستثنى صفة القرية وسبق اذا وقع على الشخص فمعناه جاوز واذا وقع
على الزمان فبالعكس قولهم سبق فلان عام كذا اي مضى قبل ان يبلغه ودخول الواو مع ان الاصل عدمها لحصول المعنى بدونها مثل الا لها منذرون غير انها
لما اشبهت الحال اكدت بها للصوق الصفة بالموصوف وتأنيث الامة للفظها والتذكير لارادة القوم وحمل من على التبعيض بمعنى ان هذا الحكم يحصل في بعض
من ابعاض هذه الحقيقة اولى من كونها زائدة للتأكيد كما قيل بها وسبب الاختصاص بالوقت المعين قدرة الله وارادته ويعلم ان من مات او قتل باجله ولو لم يقتل
فمثله مخطئ وان حمل الاجل على عذاب الاستئصال كما قيل وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم والذكر القرآن اي انزل عليك بزعمك او قالوه استهزاء وبقراءة الحق وهو مثل
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك تقول قول من ستر عليه وجه الصواب حيث تريد ان نترك دين آبائنا قالوه استبعادا لكلامه ولو مع ما
للتحضيض هنا وان استعمل لامتناع الشيء لوجود غيره اي هلا تأتينا لتصديق دعواك ان كنت صادقا او لتعذيبنا على تكذيبك كما جاءت الامم الدارجة
فانا نصدقك حينئذ ونتبعك قال لو ما الحياء ولو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري فقال الله ما ننزل الملائكة الا ملتبسا بالحق اي الوجه الذي قدرنا
واقتضته حكمتنا ولا حكمة في اتيانهم فانكم لا تزدادون الا عنادا او كذا لا حكمة في استئصالكم مع انه سبقت كلمتنا بايمان بعضكم او اولادكم وقرئ بالياء على الاسناد
الى الله والتاء وبناء المجهول وتنزل بمعنى تتنزل واذن جواب للكفرة وجزاء الشرط مقدر اي لو نزلنا الملائكة لما انظروا بل استؤصلوا كذبوهم لانهم لا ينزلون
الا للعذاب او الموت وقيل تقديره اذن مخفف بطرح الهمزة وتقدير بعدها اي اذا كانوا ما طلبوا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون رد انكارهم
نزول الذكر بوجوه من التأكيد حرف التخصيص وتأكيد الضمير والاسناد الى نفسه والجملة الاسمية وتعقيبه بما هو مشتمل على مثله وتسميته ذكرا باعتبار الاشعار
بما هو المقصود وانه محفوظ من الشياطين وقت النزول وغيره من الزيادة والتحريف نوّل حفظه وغيره استحفظها الاحبار وهو كالدليل على كونه منزلا
من عند الله كما قال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اعني انه تطرق اليه الزيادة والنقصان وقيل له للنبي عليه السلام لقوله والله يعصمك من الناس
او حافظون القرآن في قلب من اردنا به الخير وجمع الصحابة للقرآن لا ينافيه فانه ايضا من حفظ الله وفيه دليل على ان البسملة من القرآن والا لكانت زيادة
من عندهم فلم يكن محفوظا وقيل حفظه جعله معجزا لا يقدر على ابطاله او انه قيض له طائفة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه بين الخلق الى آخر الدنيا ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون الشيع جمع شيعة وهي فرقة يتبع طريقة ومذهبا من شاع اذا تبع من الشياع وهو
الحطب الصغار يوقد بها الكبار اي ارسلنا اليهم رسلا دل الارسال عليهم وفيه تسلية للنبي عليه السلام حيث نسبوه الى الجنون اي عادة هؤلاء الجهال

ولا يخفى ان استعمال المصحف

مع الرسل

مع الرسل كذلك والسبب استثقال التزام الطاعات وترك ما الفوه لاستيلاء ويثقل على الرؤساء خدمة الانبياء والغالب انهم يكونوا تاركي الدنيا
والاموال وما يأتيهم حكاية حال ماضية فان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب منها كذلك نسلكه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون السلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الابرة اي مثل ما سلكنا الاستهزاء في قلوب الكفرة المتقدمين نسلكه في قلوب المجرمين من امتك او نسلك الذكر في قلوبهم
بالقاء الانبياء اليهم غير مقبول بل مكذبا به فان محل لا يؤمنون النصب على الحال على الذكر لان ضمير به له قالوا هما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد
وهو ضعيف منقوض بقوله والمطلقات يتربصن مع قوله وبعولتهن احق بردهن فان الاول اعم وما قيل ان الجملة وهو لا يؤمنون حال عن الضمير
او بيان وعلى التقديرين يلزم عود الضمير الى ما رجع اليه نسلكه ممنوع لجواز ان يكون حالا عن المجرمين وكذا ان جعل بيانا فانه لا منافاة اذ المعنى يستهزئون بالرسل
لانهم لا يؤمنون بالذكر فيكون كالدليل عليه اي سنة الله فيهم بادخال الكفر في قلوبهم او باهلاك مكذبي الرسل منهم قد مضت وهو وعيد لاهل مكة وعلى الاول
وهو تفسير ابن عباس وتلامذته والمتقدمون يلزم ان يكون الله خالق الكفر والضلال في قلوبهم والثاني تأويل المعتزلة ولا يخفى ان الذكر بالنون صورة
التعظيم فلا يناسب عدم ترتب الاثر عليه وايضا يمتنع ان يكون حصول الكفر بالعبد لان كل احد يريد الصدق والحق لا الكفر والجهل ومع ذلك لا يحصل
فعلم انه ليس منه لا يقال انما حصل الكفر لظنه انه الايمان لانه على هذا التقدير قد رضي بتحصيل جهل الجهل متقدم عليه وينقل الكلام اليه ويلزم التسلسل او الانتهاء
الى جهل سابق حصل بتخليق الله فيه ثم قال ولو فتحنا على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا صاعدين اليها مشاهدين لعجائبها او مشاهدين لصعود الملائكة
وهو جواب لوما تأتينا بالملائكة لقالوا لشدة عنادهم انما سدت ابصارنا من الابصار ويقال سكرت الريح اذا سكنت او سحرت بل نحن قوم مسحورون
سحرنا النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قولهم في غيره من المعجزات واكدوا ذلك بانما وبل ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل
شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين لما كان الكلام في النبوة متوقفا على التوحيد عقبه بدلائل سماوية وارضية والبروج
قيل هي الكواكب التي تنزلها الشمس والقمر او الاثنا عشر التي قسم الفلك اليها وسمي كل برج بكوكب فيه كالحمل والثور والتزيين اما للسماء او للبروج والاول اولى
لقوله وحفظناها وهي السماء والناظرون المعتبرون المستدلون على الصانع الرجيم الملعون او المرجوم بالشهب واصله الرمي بالحجارة ويقال
للذكر بالقبيح ومنه لارجمنك والمعنى انه يمنع من الصعود اليها والتصرف في امرها والاطلاع على احوالها ووسوسة اهلها والاستثناء اما منقطع
اي لكن من استرق او مجرور بدلا من كل شيطان واستراقهم اختلاسهم سرا اشبه به خطفهم اليسيرة من اهل السموات لمناسبة بينهم في اصل الجوهر
او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها ان فرض لها تأثير وعن ابن عباس انهم حجبوا بعد ان ولد عيسى عن ثلث سماوات فلما ولد النبي عليه السلام
منعوا عن كلها والشهاب نار تظهر للناظر على شكل العمود ويطلق للكوكب والنار قيل يهلك وقيل لا بل يجرح او يخبل والارض مددناها والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين مد الارض بسطها من تحت الكعبة وقد مدت على وجه
الماء والرواسي الجبال الثوابت خلقت لئلا تميد الارض باهلها او للدلالة على طرق الارض ويحتمل ان يكون خلقها وبعدها كما قيل والموزون المقدر
بالحكمة على وجه لا يزاد عليه ولا ينقص منه او ماله وزن في باب النعمة والمنفعة او شانه ان يوزن او الفلزات السبع وهي الذهب والفضة
والنحاس والحديد وغيرها والمعايش جمع معيشة مصدر عاش وهي اسم لما يعاش به او طلب اسباب الرزق جارت بياء صريحة وهو خطاء

في نحو الشتاء بل بالهمز او بين بين وقرئت بالهمزة على التشبيه ومن لستم له برازقين من هم في مؤنتة من العيال والمماليك والدواب للتعيب وقيل
الوحش والله هو الرزاق لكم ولهم ومحل من نصب عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له برازقين او محل لكم اي ولمن لستم ويمتنع الجر عطفا على الضمير المجرور
لعدم اعادة الجار لاسيما واضمار معايش يستلزم العطف على عاملين مختلفين وحاصل الآية الاستدلال بها على كمال قدرة الصانع وحكمته والتفرد في الوهية
والمنة على العباد بتخصيص الارض بمقدار وشكل مختلفة الاجزاء مع امكان غيرها وخلق ما فيها من النبات والحيوان المختلفين طبعا وخلقا وكذا المعادن
ولا دليل للمعتزلة لان لفظ الخزائن انما ورد على وجه التمثيل فلم لا يجوز ان يكون المراد كونه سبحانه قادرا على ايجاد الاشياء من العدم الى الوجود • وان من شيء
الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم • حمل الخزائن على المنتفع له اولى من تقدير الماء والمطر وجميع ما تنبته الارض لانه اعم غير ان عامتهم على انها المطر
وهو تمثيل لكمال القدرة او استعارة على كل المقدورات وقيل استعير للخزائن كلها فانها بيد الله وقيل مقدوراته ويقرب منه ارادة كون تماثيل الاشياء
في العرش والانزال بمقتضى الحكمة هو المقدار الذي علم مصلحته والمراد الاعطاء او على اصله ان اريد المطر ويدل عليه قوله عليه السلام ليس عام بامطر
ولكن الله يقسمه كيف يشاء وقيل المراد ما يحصل في هذا العالم من الحر والبرد على مقادير معينة جعلها الله سببا للمعادن والنبات والحيوان بقدرته وعلمه
وحكمته ولما بين انه ابت كل شيء ذكر ما هو السبب له وليعلم ان المنزل متناه وان كانت مقدوراته غير متناهية • وارسلنا الرياح لواقح • بيان للانزال
جمع لاقحة شبهت بالحامل حيث جاء من سحاب ماطر كما قيل للتي لا ماء فيها عقيم ويحتمل ان يكون ترشيحا للاستعارة وقيل بمعنى الملاقح كما اريد المطاوح
بالطوايح جمع مطيحة والمعنى انها تلقح الاشجار او السحاب وعن ابي هريرة انها الجنوب وانها من الجنة وما يقرأ بالوحدة فللجنس والهواء غير متحرك في نفسه فلا بد له
من محرك غير دائمة ولا لازمة فيدوم الحركة فيكون ارادة المختار • فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين • اسقيناكموه اي جعلناه سقيا لكم
ونحن المختصون بالانزال والخزن في محاله كالغدران وهذا ايضا مما يدل على كمال حكمته فان طبيعة هذا النوع من الماء الغور فالوقوف على وجه ينتفع به لا بد له
من مخصص ليس الا كما سبق واليه الاشارة بقوله وما انتم له بخازنين فان قيل هلا نفي الخزن مطلقا ليكون اصرح في اختصاصه سبحانه بذلك كما قال وما يعلم
تأويله الا الله قلنا لعله لما كان المقصود بيان عجزهم عما يستغنون ونفي القدرة عنهم رأسا اكتفى بذلك ونفيه عن غيرهم لا يصلح الزاما لهم كما صلح النفي عنهم
لاعترافهم بذلك وهو ظاهر فان الفاعل انزله من السماء احيانا لا بمقتضى الطبيعة البخارية • وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون • اي بايجاد الحيوة في المواد
القابلة لها ويشمل حيوة النشو كما في النبات فيكون الاماتة ازالة الحيوة عن القسمين وانما كرر الضمير للاشعار بالحصر وكذلك في قوله سبحانه وارثا بعد
فناء الخلق كلهم يعني الباقي بعدهم استعارة ممن يرث الميت لبقائه بعده ومنه واجعله الوارث منا • ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين •
وجه الربط انه بيان لكونه محييا ومميتا ان اريد المستقدمين ولادة وموتا او بيان العلم ان اريد المتقدم الى الاسلام والطاعة او المتاخر وكذا ان اريد
باعتبار سبب النزول ان امراة جميلة صلت خلف النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الصفوف وكان بعضهم يتقدم لئلا يراها وبعضهم يتاخر ليراها وقيل رغب النبي
في الصف الاول فازدحموا عليه حتى ان بني عذرة كانت دورهم بعيدة فارادوا بيعها لذلك فنزلت وقيل الاموات والاحياء وقيل الذين خلقوا
والذين لم يخلقوا او في الخيرات او امة محمد عليه السلام ومن قبلهم ويحتمل ان يحمل على الاعم وفيه بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته يدل على علمه كما سبق
ان التوجه الى ايجاد المجهول محال • وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم • يحشرهم للجزاء والتاكيدات لتحقيق الحشر وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر
على ذلك وذكر العلم والحكمة للدلالة على انه العالم بحصرهم مع كثرتهم وتباعد اطرافهم وانه لا يفعل ما يفعل الا على وجه الحكمة لا سيما وذكر بناء المبالغة

ولقد

ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون • الانسان آدم خلق من طين يابس لمفارقة الماء عنه يصوت اذا نقر واذا طبخ يسمى فخارا من الصلصلة
وهي صوت الشيء اذا نقر او من صل اللحم اذا انتن وقيل اذا توهمت في الصوت مدا فهو صليل وان توهمت رجعا فهو صلصلة والحمأ الطين المسود من مجاورة الماء
اي طين كائن من حمإ والمسنون صفة له ايضا ومعناه المصور من سنة الوجه اي صورته قال تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب • وقيل
المصبوب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر ثم غير ذلك ثم بعد اطوار عبرت عليها نفخ من الروح فشبه بالجواهر المذابة
في القوالب وقيل المسنون من سننت الحجر اذا حككت بعضه ببعض فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا وقيل المخلص وانه لا بطل وجودات لا اول لها
فلا بد من انتهاء الانسان الى فرد منه هي خلق بقدرة الله غير مخلوق من الابوين وهو المراد بقوله ولقد خلقنا الانسان ولا منافاة بينه وبين ما ورد من التراب
وغيره لانه خلق اولا من تراب ثم من طين ثم من حمإ مسنون ثم من صلصال • والجان خلقناه من قبل من نار السموم • قيل ابو الجن وقيل ابليس او الجنس والاشكل
بانه ما خلق منها الا الاصل الاول لانهم لما تشعبوا منه كان حكمهم حكمه كما في بني آدم قيل فهم خلقوا من التراب ونار السموم شديد الحر التي تقتل سميت بذلك لدخولها في المسام
وقيل لا دخان لها وقيل فوق الهواء وقيل نار الشمس وقيل ابليس من طائفة من الملئكة يقال لهم الجن خلقوا منها قال صاحب الانوار ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب عليها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله
من نار باعتبار الغالب كالانسان من التراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله ويحتمل ان يكون بلو لعدم اشتراط البنية عندنا وبيان بدو
خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء هذا ما قاله واعلم ان المقدمة الاولى هي ان الله تعالى
فاعل مختار نسبة قدرته الى جميع الممكنات على السواء ومواد الابدان قابلة لتاثير القدرة لانها لو لم تكن كذلك استحال تاثرها بها من قبل لاستحالة انقلاب الممتنع
ممكنا ومعنى قبل من قبل خلق الانسان • واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين • اي اذكر وقت قول ربك للملئكة اذا سويت خلقه عدلتها وجعلتها مستعدة لنفخ الروح
فيها قيل سويت شكله بالصورة الانسانية او اجزاء بدنه باعتدال الطبايع وتناسب الامشاج ونفخت فيها الروح حتى جرت في تجاويف اعضائه
قال صاحب الانوار ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجويف الشرايين
الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا وفي اللباب ان المراد بالنفخ جعل الروح فيه وفي الكشاف انه تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه ولقائل ان يقول
اي منافاة بين نفخ حقيقي من بعض الوسايط وترتب حصول الروح عليه محافظة على الظاهر ثم ان الحامل لهم على ذلك قياس حصول الروح في آدم على المولود
واستحالة صدور النفخ من الله حقيقة وانت اذا تاملت علمت ضعف ذلك واضافة الروح الى نفسه للتشريف وحمل الروح على ما به يصير الجسم حيا مدركا
وقيل ما يأتي الانبياء وصالح العباد فقعوا امر من وقع اي اسقطوا سقوط سجود وتاكيد صدور السجود عن كلهم بكل واجمعين لمنع توهم التخصيص وما قيل انه
لبيان سجودهم مجتمعين يأباه انه ليس على صيغة الحال والاستثناء قيل متصل كما سبق ان اسم الملك عليه بعد التغليب كقولهم رايتهم الا هندا وابى
استئناف اجيب به من قال هلا سجد وانكر الحسن ذلك فيكون منقطعا عنده اي ولكن ابليس ابى • قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن
لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون • اصله ما لك في ان لا تكون مع الساجدين اي ما الذي منعك فاجاب انه ما ينبغي لي ان اسجد لبشر جسماني
مع اني ملك روحاني واللام لتاكيد معنى النفي اي ينافي حالي ذلك لانك خلقتني من اشرف العناصر وخلقته من اخسها استنقصه باعتبار اصل الخلقة

وقد سبق في الاعراف ان الشرف باعتبار المواهب الالهية ثم ان ما قال الله نص وما قاله قياس فكيف يعارض النص بالقياس • قال فاخرج منها فانك
رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • اي من السماء او من الجنة او من
بين الملئكة فانك من جملة الشياطين المرجومين او المطرودين من الرجم لان من جملة من يطرد من يرجم بالحجارة والحمل على اللعنة يحتمل ان يقدح لما يلزم من التكرار
الا ان يراد بالثاني انه مدعو عليه في السموات والارض والتقييد بيوم الدين اما لانه ابعد نهاية يفيد بها طول الزمان وعليه حمل قوله ما دامت السموات والارض
وايضا هو يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وحينئذ يناسب اثرها ولا يشكل بقوله واذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين لان تلك بحيث
ينسى هذه عنها وكانها نوع آخر او لانه يعذب بما ينسى اللعن معه بصير كالزايل والفاء في فانظرني يتعلق بمحذوف دل عليه فاخرج كانه قال اذا اخرجتني
فانظرني اراد طلب زمان يسح يغوي فيه الناس وقيل الخلاص عن الموت اذ لا موت حينئذ فلم يجب اليه وهذا يستدعي تنافيا بين حمل صاحب الكشاف
اليوم على يوم القيمة حيث قال اليوم المعلوم ويوم الدين ويوم يبعثون واحد وخولف بين العبارات للبلاغة وذكر في اللباب ان الجمهور على انه وقت
النفخة الاولى وردّ صاحب الانوار الثاني بانه لعله يموت في اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه ولا يندفع عنه اذا تأملت كلامه ولا نداء هذه المخاطبة
على شرفه حيث كان على سبيل الاهانة • قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين • قسم اذ الباء للقسم
وما مصدرية والمعنى اقسم باغوايك اياي المعاصي في الدنيا التي هي دار الخلود كقوله اخلد الى الارض وقد زين لآدم اكل الشجرة وجعل الزينة في الدنيا
مستحسنة لا ولاده حتى اختاروها على الآخرة ولهذا قال لاغوينهم اجمعين وجواب القسم لازينن واغواؤه بسببه لعنه حيث افضى الى الغي وهو حسن
لانه خضوع لامر الله ولهذا احسن اي يكون متشابه وانما يصح عند من صحح القسم بفعل الله تعالى ويكون كناية وحمل الباء السببية والمعتزلة اولوا الاغواء
بالنسبة الى الغي او التسبب له بامر الله ابليس بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة وكلام يوافق مذهبهم قالوا انما امهله الله وهو لغيه
وتسليطه على بني آدم لان الله علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار وان لم يمهلوا وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب قال صاحب الانوار بعد حكاية مذهبهم وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولعل مراده بذلك ان سبب هذا التأويل دفع نسبة القبح
الى الله تعالى والموت على الكفر مع القدرة على المنع بالنظر الى الذات التي يقتضي ذلك هذا وان الموت على الكفر لا ينافي كونه مسببا عن اغواء الله تعالى كيف وقد قال
ابليس بما اغويتني وما انكر الله عليه فيكون اغواؤه من الله تعالى ثم ان الله تعالى لما صرح ابليس بانه يطلب الامهال للاغواء وقد اجابه الى ذلك هذا وان اهل الحق
يرشدون الخلق الى الحق وابليس يدعوهم الى الضلال طوارا والهداية لهداهم وقولهم تعريضا اضعف لان تحصيل ارادة لا يلزم من فواتها خلل كما يتضمن
هذا الشر العريض لا يناسب الحكيم على قاعدتهم من الحسن والقبح العقليين وانما استثنى المخلصين لانهم اخلصوا انفسهم لطاعة الله او اخلصهم الله لطاعته
وطهرهم عن الشوايب حيث قرئ بفتح اللام كما لا يعمل فيهم تزيينه واغواؤه • قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين • هذا اشارة الى الامتثال لامر الله والطاعة او الاخلاص طريق على والى مستقيم او ان لا يكون لك سلطان على عباد الله الا من اتبعك
من الغاوين ومعنى على التزام مراعاة تلك الطريق باعتبار بيانها واظهارها او تخليص المخلصين من اغوايك او الاخلاق من مر عليه فكانه مر على وعلى
رضواني وعن الحسن معناه الي وقيل ان قول ابليس يتضمن تفويض الامور الى الله لانه ادعى اغواء الكل الا من عصمه الله فقال الله تفويض الامور الى
طريق مستقيم وقيل معناه الي وقيل تهديد كما يقال على طريقك ويقرأ علي من علو الشرف واصل وضع ان عبادي ابهم وغير تعظيمهم او ان المراد

بيان عصمتهم وانقطاع سلطنة الشيطان وهو حجته او قهره عنهم وفيه تكذيب الشيطان حيث اوهم ان له سلطانا على بعضهم بحلس لان غاية تزيينه
التحريض والترغيب كما قال وما كان لي عليكم من سلطان وهو تصديق للشيطان وقيل تكذيب لايهام ان له سلطانا على من ليس بمخلص لان غاية تزيينه التحريض
والترغيب كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الآية فيكون الاستثناء منقطعا لانه تفريع على نفي السلطنة فلم يندرج المتبعون تحتهم فالتقدير
لكن من اتبعك وفيه رد على من قال شرط الاستثناء كون المستثنى اقل لانه استثنى الغاوين من المخلصين تارة وعكس اخرى • وان جهنم لموعدهم اجمعين
لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • هو موعد الغاوين وهم المتبعون ولجهنم سبعة ابواب يدخل المعذبون منها او اطباقها ودركها اعلاها
للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين عن ابن عباس
ان لمدعي الربوبية جهنم ولعبدة النار لظى ولعبدة الاصنام الحطمة ولليهود سقر وللنصارى السعير وللصابئين الجحيم وللملحدين الهاوية وهو المراد
بقوله لكل باب منهم جزء مقسوم اي نصيب مفرز له ولعل تخصيص كل دركة بقوم بحسب افعالهم وحصر العدد لانحصار اهلها وفي الانوار انه لما كان مجامع
المهلكات الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية حصر فيها والظاهر انه اراد بذلك انهم اعرضوا عن الفكر في قضية الرسل وما جاءوا به
واقتصروا على التقليد كما قال سبحانه انا وجدنا آباءنا على امة الآية وقرئ جزؤ وجز بتخفيف الزاي ويقرأ جزّ على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي
ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرى الوصل مجرى الوقف ومنهم حال من الجزء والعامل الحال وهو استقرار من المتمكن في الظرف لا في المقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفه لان العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في المتمكن في المقسوم المقسوم فيكون عاملا في منهم وهي صفة لا تعمل في الشيء الذي
تقدم على موصوفه للضعف • ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين • يريد
المتقين من اتباع الشيطان قيل في الكفر ورجحه في المفاتيح نظرا الى ان اسم الفاعل يتحقق بمرة كما انه لا يلزم في تحقق الضارب ان يكون آتيا بجميع انواع
الضرب انه لما اتفق الامة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم فخصص به والفواحش لان غيرها مكفرة بالصلوات والاولى ان يعم
ليتناول المتقي عن الكفر فان له الجنات ايضا وان كان بعد دخول النار لكل واحد جنة وعين نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان والمعتزلة على ان المراد
من يتقي جميع المعاصي لانه اسم مدح فلا يتناول الا من يكون كذلك والمنع ظاهر يقال لهم ادخلوها ويقرأ أُدخلوها بكسر الخاء فلا يكسر التنوين لان ذلك
مقتضى كون الهمزة للوصل بسلامة من النار والآفات اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من المرض والزوال ونزع ما في صدورهم اما في الدنيا للالفة
كما قال تعالى والف بين قلوبهم او في الجنة والغل الحقد وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقال لابن طلحة ارجو
ان اكون وابوك منهم فقال قائل كلا الله اعدل ان يجمعك وطلحة في مكان وقد سل عليك فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وفي رواية بفيك التراب
وقيل المراد التطهير عن النجاسة على درجاتها واخوانا حال عن الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير في المضاف اليه والعامل فيها
معنى الاضافة وهذا ابعد وان حمل عليه مثوبكم الآية وعلى سرر حال اخرى وعن الحسن تدور معهم الاسرة حيثما داروا ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين عن ضميرهم اي متصافين بالمودة والمحبة او متقابلين في المنزل لا يتصل بعضهم بعضا وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر
لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين • النصب التعب وهو اما حال اخرى عن احد الضماير السابقة او فاعل ادخلوها او من الضمير في متقابلين
والمراد الاخوة في المودة والمخالصة لا النسب كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وما هم منها بمخرجين اشارة الى ان تمام النعمة بالخلود

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان هذه الآية نزلت في ابي بكر وعمر وعلي وصف على ذلك فقال واي غل قال غل الجاهلية ان بني تيم وبني عدي وبني هاشم
كان في الجاهلية ما كان فلما اسلم هؤلاء القوم تحابوا فاخذت ابا بكر خاصرة فجعل علي رضي الله عنه يسخن يده ويكمد بها خاصرة ابي بكر فنزلت والسرير معروف
وقيل مجلس رفيع مهيأ للسرور ولانه ماخوذ من السرور وقيل ما بين صنعاء الى الجابية نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
تقرير لما ذكر من الوعد والوعيد قيل سبب النزول ما روي عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه اطلع علينا ونحن نضحك فقال لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى
اذا كان عند الحجر رجع القهقرى فقال اني لما خرجت جاء جبريل فقال لم تقنط عبادي فقال اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وذكر المغفرة
يشعر بان المراد ليس من يتقي الذنوب كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد على الوعيد والاشارة الى كمال الثواب
بان المضار اما روحانية او جسمانية ونفى القسمين بنفي الحقد والحسد والغضب والاعياء والتعب الحاصلين من المتاعب الجسمية وكان ذلك بالدوام
وقال في المفاتيح ان الارواح القدسية لما بقيت مطهرة عن علائق الشهوة والغضب مبرأة عن كدورات عالم الاجسام ووقع عليها انوار عالم الكبرياء والجلال
فاشرقت بها وتلألأت باضواء عالم الصمدية وكل نور فاض على واحد فاض على الاخرى كالمرآة المصقلة ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ذكر وصف الانبياء بعد ذكر السعداء والاشقياء ليكون سماعها سببا لازدياد الطاعة
وترك المعصية وضيف ابرهيم الملئكة الذين جاؤه ببشرى الولد واهلاك قوم لوط وفي عطفه على ما سبق تحقيق لامر الوعد والوعيد وفيه الاعتبار
بما حل عليهم ايضا واذ ظرف نبئ وسلاما تقديره نسلم عليك او سلمنا او سلموا سلاما وجلون خائفون وهو اضطراب النفس لتوقع المكروه حيث
دخلوا بغير اذن في غير وقت الدخول وقرئ لا تأجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله اي اوجله فنهوا عن الوجل معللين بانهم جاؤا بالبشارة على طريقة
الاستئناف على وجه التاكيد وقرئ نبشرك من البشر والغلام اسحق لقوله فبشرناها باسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من القانطين استفهام تعجب وسؤال عن حصول الولد في تلك السن او الرد الى سن الشباب فباي اعجوبة اي باي شيء تبشرون وذكر في التفاسير
من جملة الوجوه ان البشارة بما لا يتصور عادة بشارة بغير شيء فهو استفهام جحد وفيه نظر فان ابرهيم كان عالما بانهم ملئكة الله فكيف يكذب بشارتهم وهو يدل
على الجهل بكونه سبحانه عالما او منزها عن البخل والحاجة وهو محال فينبغي ان يحمل على ان السؤال عن كيفية مقتضى البشارة ويمكن ان يصير جوابا عن قول
من قال لم استفهم عن البشرية حيث قال فبم تبشرون مع التصريح ببشارة الولد ولا يشكل بقولهم فلا تكن من القانطين فان ذلك لتعليم الغير ولانه لما شابه
ولانه لما شابه سؤاله سؤال القانطين ذكر ذلك وقول صاحب المفاتيح انه صار كالمدهش من الفرح ليس بقوي وقوله انه اراد ان يسمع مرة اخرى لطيفة
اقرب وقرئ بكسر النون مشددة في كل القرآن ادغاما لنون الجمع في نون الوقاية وبحذف نون الجمع هربا من اجتماع المثلين ودلالة بابقاء نونه
الوقاية على الياء والمراد بالحق عن ابن عباس رضي الله عنهما بما قضاه الله تعالى او انه يخرج من صلب ابرهيم اسحق ومن صلبه مثل ما اخرج من صلبه
فان اكثر الانبياء من صلبه بما يقع لا محالة او اليقين الذي لا شك فيه وابار رسله او الطريقة الحقة التي هي قول الله ووحيه ثم قالوا لا تكن من الآيسين من ذلك
بحسب الظاهر وان كنت مصدقا بحسب القدرة فان الله قد خلق بشرا من غير ابوين فمن عاقر وشيخ اقرب وقرئ من القنطين من قنط يقنط قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون فاجاب بانه لا يقنط الا المخطئون طريق المعرفة وهذا يؤكد النظر السابق فانه اجاب بانه لو قنطت لكنت من الضالين
لكن تعلمون اني لست منهم فلا اقنط نعم انما يقنط من لم يعرف سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته ونحوه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

دقرى

وقرئ يقنط بالكسر ويقرأ بالضم والماضي منهما قنط بالفتح بالاتفاق قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين
الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين الخطب الامر العظيم اي ما شانكم ولعل ابرهيم عليه السلام علم انهم ما اتوا بالبشارة وحدها بقرينة انها لا تحتاج الى عدد
كالبشارة لزكريا عليه السلام ولانهم ذكروا في اثناء الامر ولو كانت المقصودة لابتدأوا بها لازالة الوجل او بغيرها والقوم قوم لوط والاستثناء قيل منقطع ان كان
من القوم لانهم مجرمون بخلاف آل لوط فيختلف الجنسان ومتصل ان كان في الضمير في مجرمين التقدير قد اجرموا الا آل لوط منهم والمراد بالآل اتباع دينه
ولقائل ان يقول لا فرق بين الصورتين لانه اذا كان النظر الى اختلاف الجنس ففي نفس الامر كذلك ومن حيث اللفظ ايضا فان وصف القوم بالمجرمين
وضميرهم واحد في ثبوت الاجرام لهم والفرق بين المعنيين على التقديرين ان في الاول آل لوط مخرجون من حكم الارسال اذ المراد من الارسال ارسال الى المجرمين
فهو للاهلاك فيختص الارسال بالقوم وآل لوط قد انجاهم الله منه وعلى الثاني الارسال يعمهم لكن الملئكة امروا باهلاك القوم وانجائهم وعلى الاول قوله انا لمنجوهم
كخبر لكن في الاتصال بآل لوط اي آل لوط منجون وعلى الثاني مستأنف احسن به ابرهيم عليه السلام بانا منجوهم والا امرأته استثناء من الضمير المجرور في لمنجوهم
لا من الاستثناء لانه لم يتحد الحكم كما اتحد في انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته بمنجوهم واصل المعنى
واحد في قراءة التخفيف والتشديد ومعنى التقدير جعل الشيء على مقدار ليظهر التفاوت والباقون مع الكفرة وانما جاز تعليق فعل التقدير لانه يستلزم
لمعنى التقدير او يجري مجرى القول لانه بمعنى القضاء واسناد الملئكة الى انفسهم وهو فعل الله للقرب والاختصاص ويحتمل ان يكونه لانهم الوسائط فيه خاصة
كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا والمدبر الملك ويقرأ بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق
وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون قيل آل لوط نفسه وقيل لانهم في بلدة واحدة
منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم قيل لانهم سلموا ولم يكن من عادتهم وقيل لانهم كانوا على شبان المرد فخاف من هجوم المرد فقال هذه الكلمة فاجاب انكم تطرقون بشر
فاجابوا بانا ما جئناك الا بما فيه فرحك لتشفيك من عدوك وقالوا نحن رسل الله ما جئناك بما تنكر بل بالاجل والحق اليقين من عذابهم واكد بانهم صادقون في الاخبار
بنزول العذاب بهم وقرئ فاسر بالوصل والقطع والمعنى فاذهب بهم في الليل ويقرأ فسر من السير والقطع من الليل طائفة منه وقيل في آخر الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم والامر باتباع ادبارهم لانه اجيبت دعوته عليهم فلا بد وان يتفرغ باله ويجتهد في الشكر ولا يشغل
قلبه بمن خلفه للاطلاع على حالهم ولئلا يتخلف بعضهم فيصيبه ما اصابهم وليوطنوا انفسهم على الهجرة عن مساكنهم وليكونوا غير ملتفتين كالمتحير على قطعه كما قال
بلغت نحو الحي حتى وجدتني وحفت من الاصغاء ليتا واخدعا واما النهي عن الالتفات فللاشارة عن الامتناع عن المضي والتواني في السير او للنظر
الى ما وراءه او يصيبه ما اصابهم او لعدم اطاقة رؤية العذاب والمحل الذي امروا بالمضي اليه مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف
المبهم لعدم تعينه ومثل الضمير في تؤمرون وقيل هو الشام وقيل الآمر جبريل وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين معنى قضينا اليه
اعلمناه واوحينا اليه ولذلك عدي بالى وان دابر بيان لذلك الامر ابدل عنه تفخيما للابهام ثم التفسير والمعنى انهم يستأصلون ويقرأ بالكسر ان
فيكون استينافا والدابر الاصل وقيل الاخر اي لا يبقى منهم احد اي يستأصلون وقت دخولهم في الصبح وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون يعني سدوم استبشروا بالملئكة طمعا في الفاحشة قيل اعلمهم امرأته بعلامة بينهم قال لوط لهم لا تفضحوني
بفضيحة لان من اسيء او احسن الى ضيفه او جاره فكانه احسن اليه وتخزون من الخزي او الخزاية وهي الحياء اي لا تذلوني ولا تستحيوني بالتعرض لضيفي

الاستبشار شاد شدن

قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هولاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اى اولم نمنعك عن ان تمنعنا احدهم او من ضيافة
الغرباء فانا نغلبك عليهم ولا يقدر ان تجير منهم احدا اذ كان عليه السلام يحجز بينهم وبين المتعرض له نهيا عن المنكر فاوعدوه بقولهم لتكونن من المخرجين وذلك اشارة
بالبنات الى مطلق النساء لان نبى كل امة ابو الرجال والنساء وورد فى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم اى فانكحوهن ولا تتعرضوا للاضياف
وهذا ان صلح ما احلت لكم او ان اردتم قضاء الشهوة وقد سبق فى هود غير ذلك من ان المراد بناته على ارادة شرط الاسلام او انه كان يحل المسلم من الكافر
لعمرك قسم من الملئكة بحيوة لوط عليه السلام على ارادة قوله لهم انهم فى غوايتهم التى ذهبت بعقولهم ليتحروا الصواب الذى امرهم به من اختيار البنات على البنين
متحيرون فلا يتصور منهم التمييز بين الخطاء والصواب والعمر والعمر واحد قال ذهب الشباب واخلف العمر واثار المفتوح للقسم لكثرة الاستعمال
وحذف الخبر واجب لاشعار القسم به اى لعمرك قسمى وقيل قسم بحيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقسم الله بحيوة احد غيره كرامة له • فاخذتهم الصيحة



مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين •
هى صيحة جبريل وقيل صيحة هائلة العذاب الذى اخذهم داخلين فى شروق الشمس رفع جبريل مدينتهم الى السماء ثم قلبها والحجارة قيل مطرت عليهم بعد الرفع
وقيل على الغائبين والسجيل الطين المتحجر معرب سنك كل او مكتوب عليه اسم المهلك من السجل المتوسم المتفكر المعتبر وقيل الطالب لسمة الشئ وقيل

السجيل معرب سنك كل

العارفين وذلك لانهم المنتفعون وانها اى المدينة او القرى والمراد آثارها لبسبيل ثابت غير مندرس يسلكه الناس فيرون الآثار فهو كما قال لقريش
لتمرون عليهم مصبحين لان من آمن بالله وصدق علم ان ذلك لانتقام الله من الكفرة لانبيائه لعل حملها على حوادث العالم • وان كان اصحاب الايكة
لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين • قيل التقدير ان الامر والشان ان اصحاب شعيب كانوا ظالمين كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة
الملتفة وقيل اسم المدينة وقيل الناحية وعامة شجرهم كان المقل بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكهم بالظلة وهى نار جاءتهم بعد ان استظلوا بها والانتقام
كان بالاهلاك والامام المبين الطريق الواضح سمى الطريق بالامام وهو اسم ما يؤتم به لانه مما يؤتم به ولذلك سمى به مطمر البناء واللوح الذى يكتب به

المطمر خيط للبناء يقدر به كالمطمر ق

وقيل الكتاب بلغة حمير والضمير فى انهما قيل لقرى قوم لوط والايكة وقيل لها ولمدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما ومدين دل عليها اشتد
الحر عليهم اياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم • ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين • الحجر
وادى ثمود بين المدينة والشام بعث اليهم صالح فكذبوه وجمع المرسلين لان تكذيب بعض الانبياء تكذيب الكل او اراد صالحا واصحابه ومر عليه النبى
صلى الله عليه وسلم فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر ناقته حتى خلفها
والآيات الناقة وشربها ودرها وقيل انزل عليهم آيات من كتاب الله وقيل نصب لهم الادلة فاعرضوا عنها والحاصل انه لما ذكر اهلاكهم فكانه قيل
كيف يليق بالرحيم ذلك فاجاب انى خلقتهم للعبادة فاذا تركوها واعرضوا عنها وجب فى الحكمة اهلاكهم وقيل تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ولا دليل للمعتزلة



حيث قالوا كل ما بينهما لا يكون الا حقا والباطل لا يكون مخلوق الله لانا نقول افعال العباد بينهما فيكون مخلوق الله لعموم اللفظ • وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • اصل النحت فى الخشب فاستعير للنقب فى الجبل وقيل كانوا يبنون
من الحجارة وامنهم من الخراب من جهة وثاقة البيوت او نقب اللصوص والاعداء وغيرها او من عذاب الله فلم يدفع اموالهم ولا اولادهم ولا بيوتهم الحصينة
بل خروا جاثمين • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ذكر فى الانوار وجه الربط ان المعنى ما خلقناهما الا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد

ودوام

ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض ويحتمل ان يقال ان اهلاكهم من جهة عدم اعتبارهم بالآيات الآفاقية
فكانهم حسبوا ان هذين العالمين ما خلقنا بالحق حيث اعرضوا عن النظر فيهما وحال حالتهما حتى افضى ذلك الى الهلاك وان الساعة لآتية
فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم • المقصود من اتيان الساعة الوعد بالانتقام والوعد بالاثابة على الحسنات والمجازات بالسيئات
والانتقام من اعداء النبى صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم اعراضا جميلا واصبر على اذاهم قيل منسوخة باية السيف وقيل اصفح حيث الصفح اولى فلا يكون
منسوخة وقرئ الخالق والاول يفيد الكثرة والمعنى هو خالقك وخالقهم لا يخفى عليه ما هو الاصلح فيمنع من القتال تارة ويامر بالقتل على حسب المصالح
ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم • قيل هى الفاتحة لانها سبع آيات وقيل السبع الطول والانفال وبراءة فى حكم الواحدة ولذلك



لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او سبع صحايف وهى الاسباع والمثانى لانها ان كانت الفاتحة فيثنى فى القرآن او من الثناء لما فيها من الثناء
على الله تعالى والواحدة مثناة او مثنية وان كانت السور او الاسباع فلما فيها من تكرير المواعظ والوعد والوعيد او لانها كانها تثنى على الله تعالى
بافعاله الجليلة وصفاته الجميلة ومن للتبعيض الا ان يراد الاسباع فيكون للبيان والقرآن العظيم من عطف العام على الخاص الا ان يراد الاسباع
فانه يكون من عطف احد الوصفين على الآخر • لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين • حرم على النبى
صلى الله عليه وسلم النظر الى الدنيا وزخارفها نظر رغبة وتمن اى لا تطمح اليها طموح راغب فيها والازواج الاصناف وانما منع من ذلك لاستحقارها
بالنسبة الى ما آتاه الله من اللذات الحقيقية والى اشار فى حديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القرآن فراى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وافى من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لقد اوتيتم سبع آيات
هى خير من هذه القوافل السبع فان قلت اى مناسبة لهذه القصة مع ظاهر اللفظ قلت الاشارة الى ان النهى وان كان فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم
لكن المراد الامة كما فى غير هذه الصورة ومعنى لا تحزن اى على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والتفسير بقولهم لا تتمن اموالهم مرجوح لفظا ومعنى



وخفض الجناح هنا التواضع مع المؤمنين لاستماع الضعفاء منهم مجاز من خفض الطاير جناحه وهذا مما لم يستعمل الآفة • وقل انى انا النذير المبين
كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين • المراد بالانذار المبين من نزول العذاب على فرض عدم الايمان الظاهر برهانه ومعنى كما انزلنا
مثل العذاب الذى انزلنا عليهم مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو صفة لمفعول النذير اقيم مقامه او مصدر محذوف اى انزلنا انزالا فان آتيناك
بمنزلة انزلنا او آتيناك سبعا من المثانى كما انزلنا على المقتسمين المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالنبى
صلى الله عليه وسلم فيكون الانزال اهلاكهم يوم بدر او الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل اليهود والنصارى آمنوا بالقرآن بما وافق
كتبهم او الذين قالوا هذه السورة لى وهذه لك استهزاء فهو من القسمة او القسم واذا حمل على اهل الكتاب فيتعلق كما انزلنا بآتيناك اى المعنى
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى حيث قالوا بعضه حق حيث وافق كتبهم وبعضه باطل لمخالفته لها وجه التشبيه ولقد آتيناك
سبعا من المثانى كما انزلنا على اهل الكتاب وتوسط ولا تمدن بين المشبه والمشبه به لكونه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالقرآن
كتبهم وقد قسموه الى محرف ومبدل وغير ذلك وقيل هم الذين تقاسموا السبعة واهل قرينتهم الملئكة بالحجارة حتى قتلوهم فهو من القسم لا القسمة

عضين اجزاء كتاب

والمراد بعضين جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال روبة وليس دين الله بالمعضى اى المجعول اعضاء اى اجزاء
يقال بعضها حق وبعضها باطل وقيل من العضه وهى الكذب والسحر والعضه السحر فى لغة قريش يقال للساحر عاضه وقيل عضهه اذا بهته وفى الحديث
لعن النبى صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وجمع جمع السلامة كما فى قلون وارضون جبرا لما نقص من السنة فان جمع السلامة اشرف
لانه للاشرف وقيل قسموه اى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين ويجوز ان يكون الذين بصلته مبتدا خبره فوربك وان كان الظاهر انه صفة المقتسمين
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اقسم الله سبحانه بربوبيته انه يسال المقتسمين من فعلهم وعيدا عليهم
وقيل سؤال تقريع لا سؤال استفهام واورد عليه فى المفاتيح انه حينئذ لا وجه لتخصيص هذا اليوم فان الاستفهام على الله محال مطلقا وهذا للتوفيق
بينه وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبهم المجرمون او يسال جميع الكفار عن كفرهم واجابتهم للمرسلين وساير المعاصى فيجازيهم عليه او فى بعض المواطن
دون بعض واورد عليه الامام بانه يستلزم الوقوع فى اليوم فيلزم التناقض وللقايل ان يجيب بان هذا اذا اريد باليوم جميعه فلو اريد بعض اليوم
توفيقا لم يلزم ذلك فاصدع بما تؤمر واجهر به واظهره ويدل عليه ما ذكر انه من الصديع وهو الصبح قال كان بياض غرته صديع وقيل اجهر به فى الصلوة
وكان يستخفى من قبل وقيل اصله اعلان الحق وقيل من الفصل اى احكم وقيل افرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار والمجرور وما قيل انه
مثل امرتك الخير ليس بسديد لانه لم يحذف ثمه الا الجار وحده وما يجوز ان يكون مصدرية وان كان الظاهر انها موصولة والاعراض عن المشركين
قيل الصبر على اذاهم ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما هو منسوخ وقيل ولا تلتفت الى قولهم فان قيل ما وجه تخصيص الرب بالقسم عليه مع ان المقسم
سؤال هلاك المسئول عنه والرب معناه التربية والانعام قلنا ذلك بالنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم والانتقام عن اعدائه انا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى يعلمون عاقبة امرهم فى الدنيا والآخرة كفاية المستهزئين اهلاكهم وهم خمسة نفر من اشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدى بن قيس والاسود بن يغوث والاسود بن المطلب وقيل بدل عدى بن قيس الحارث بن الطلاطلة
كانوا يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كلهم ماتوا قبل بدر قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيهم فاشار
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فانكسر وطارت شظية فاصاب عرق النساء فى عقبه فقطعه ويقول
قتلنى رب محمد فمات واوحى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة وقيل خرج بعد مطر ووقع الى شعاب مكة فضربته حية ويقول قتلنى رب محمد فانتفخت
رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والاسود بن المطلب خرج بزمعة ليلقى ابيه زمعة فاذا قام الشام
فقعد فى اصل شجرة فاتاه جبرئيل فجعل يضرب راسه بالشجر وهو يقول يا غلاماه ادركنى فقال الغلام ما ارى احدا يضرب راسك وانما انت تضرب به
ولا يزال يضرب حتى مات وقيل هذا فى اسود بن عبد يغوث وقيل امر اسود بن عبد يغوث انه ذهب الى آل بنى كنانة لحذرهم النبى صلى الله عليه وسلم وضمن لهم
الضمانات على اغتيالهم اياه فاصابته سموم فاسود حتى كانه حبشى فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب فى وجهه فصار يطوف فى شعاب مكة ويقول
قتلنى رب محمد وقيل الاسود بن المطلب اشار جبرئيل الى عينيه فعمى وقيل المراد كل المشركين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين بقولهم الذى يضيق به صدره عليه السلام الشرك والصاحبة والولد والاستهزاء به
والنسبة الى السحر والشعر فطريقك ان تفزع الى الله بالتسبيح والتحميد يكفى امرك ويكشف همك او نزهه سبحانه حامدا له عما يقولون على ان هذا كذلك

المعنى بما تؤمر به من الشرايع فحذف الى ركقوله امرتك الخير كما قد

وكن

وكن من المصلين كان النبى عليه السلام اذا حزنه امر فزع الى الصلوة وقيل من المتواضعين واعبد الله دايما الى وقت الموت وسمى به لانه متيقن الوقوع
وقيل النصر على الكافرين قيل فى سبب زوال الضيق بهذه الامور انه اذا نزل بعض المكاره اقبل على الطاعة كانه يقول يجب على ذلك سواء نزل المكروه ام لا
وقيل ينكشف له اضواء عالم الربوبية فيحقر الدنيا عنده ويخف فقدانها وقال المعتزلة اذا نزه الله سبحانه عن القبايح لم يعتقد انها نزلت به من الله من غير عوض وفايدة

فيطيب قلبه

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون سبب النزول انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار ان هذا
يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما راوا انه ما نزل شىء قالوا ما نرى شيئا فانزل الله تع اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فانزل الله سبحانه اتى امر الله فوثب النبى عليه السلام
فرفع الناس رؤسهم فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتى امر الله اى حكم بوقوعه غير انه قد خص بعض فلا يتقدم عليه واستعمال
لفظ الماضى لتحقق وقوعه كانوا يستعجلون ما اوعدهم النبى عليه السلام من قيام الساعة واهلاك الله تعالى اياهم كما فى يوم بدر فقالوا ان صح ما يقوله
فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فقالوا فلا تستعجلوه فانه لا خير لكم فيه ووجه ذكر التسبيح والمراد انه تبرا وجل ان يكون له شريك ان استعجالهم
كان على وجه الاستهزاء فيكون كفرا او كفرهم الشرك والاولى ان يقال انهم لما قالوا ان صح ما قال محمد فالاصنام تشفع لنا فقد اشركوا فنزه نفسه
عن الشرك وما قرئ بالياء مع ما فيه من تلوين الخطاب يناسب ما سبق من ان الناس رفعوا رؤسهم ووثب النبى عليه السلام عند نزوله وما يصح ان
يكون مصدرية فيكون المعنى تنزيه الله سبحانه عن مشاركة هذه الاصنام التى هى اخس الموجودات لانه اذا لم يصلح الذوات الشريفة والارواح اللطيفة لها
فكيف هذه بل لا يصلح للشفاعة فكيف للشركة ينزل الملئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون وجه الربط انه لما حكم بمجى العذاب قيل من اين تعلم ذلك فاجاب بان ذلك بنزول الملئكة بالوحى قرئ ينزل بالتخفيف
والتشديد وتنزل بمعنى تتنزل وينزل على بناء المفعول الروح الوحى او القرآن او النبوة يحيى به قلب الجاهل بالارشاد الى امر الله او انه فى الدين
مقام الروح فى الجسد وذكر فى المفاتيح ان الجسد ظلمانى كثيف لا يكمل الا بالروح المستلزم ظهور آثارها فى الحواس وهى لا يكمل الا بالعقل وبه يشرق
وكمال نور العقل لا يظهر الا بمعرفة الله سبحانه وصفاته والعوالم وهذه المعارف لا تكمل الا بالوحى فالروح الحقيقى هو الوحى والقرآن وتعقيب ذلك الوعد
بذكر الوحى للاشعار بما علم النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك الوعد وانه لا ينبغى ان يستبعد وما قيل انهم حفظة على الملئكة لا نزلهم الملائكة كما لا ترى الملئكة
ليس بقوى لا يدرسون ولا يتوقع منهم ليكون كذلك وقيل جبرئيل لانه يعبر عن الكل بمقدمهم وقيل الباء بمعنى مع اى الملئكة تنزل مع الروح وقيل
روح الانسان ومعنى من امره بامره ومعنى ان انذروا بان انذروا المشركين العذاب اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته الا انه اعلام مع تخويف
ويدل على بشر والمومنين وانما صح جعل ان مفسرة لان الانذار فيه معنى القول ويصح ان يكون مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب
بنزع الخافض او المخففة من الثقيلة ومن فوايد الانوار ان الآية تدل على ان الوحى بوساطة الملئكة وان حاصل الكلام التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى
كمال القوة العلمية واشرفها ولهذا قدمها والامر بالتقوى الذى هو منتهى الكمالات العملية وان النبوة عطائية وان الوحى لا يصل الى النبى الا بالملك
ثم حصول العلم للملك وللنبى منه نظرى او ضرورى وان للنفس استعداد قبول صور الموجودات من عالم وهى القوة النظرية وسعادة بهذه حصول المعارف

واجلها معرفة الصانع ولها استعداد التصرف فى هذا العالم وهى القوة العملية والى الاولى اشار بانه لا اله ومن الثانى بقوله فاتقون وتمام الكلام فيه
فى الكلام والآيات التى بعدها تدل على وحدانيته من حيث انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لزم التمانع
واعلم ان جميع ماذكره قد برهن عليه فى اصول الدين على هذا الطريق من الاستدلال والتمانع احد الحالين والتقدير الآخر اجتماع مؤثرين على اثر واحد
تعالى عن جميع ما عبد من دون الله مما يحتاج فى وجوده واستمرار وجوده اليه وفيه دليل على انه ليس من قبيل الاجرام وتعقب التنزيه عن الشرك لخلق
السموات والارض للاشعار بان القايل بقدمها مثبت للشركاء مع الله تعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين المراد الجنس وخلقه من جماد
لا حس له ولكونه من غاية الرطوبة لا يحفظ الشكل فلولا الفاعل المختار لما حصل هذه الاحوال العجيبة من كونه منطيقا مجادلا عن نفسه مكافحا للخصوم مثبتا
للحجة ولا يلزم منه القول بالفاعل المختار لان النطفة ان كانت متفقة الاجزاء فالطبيعة اذا اثرت فيها كان تأثيرها بالذات لا بالاختيار
فيكون فعله الكرة وان كانت مختلفة الاجزاء وهى رطوبة سريعة كما سبق ووجه الاستدلال بكونه خصيما مبينا انه فى اول الفطرة اقل الحيوانات
ادراكا وفطنة فان النملة تميز بين عداوة الذيب وصداقة الغنم بخلاف ولد الانسان واذا عالم الافلاك والعناصر والحقايق الالهية
فلا بد من فاعل مختار حكيم يبلغه اليها او صار خصيما لربه منكرا للبعث كما قال من يحيى العظام وهى رميم والخصيم المخاصمة كالعشير بمعنى المعاشر والانعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون اى الابل والبقر والغنم والحمل على انه منصوب على شريطة التفسير وان صح لوجود القيود لكن العطف
على الانسان احسن لانه يصير المعنى خلق الانسان والانعام ثم استأنف بقوله خلقها كانه جواب قائل لم خلق الانعام لانتفاعكم ويكون التقدير اقل
ثم بين وجه الانتفاع فان فيها الدفء وهو اسم ما يدفأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر ويقرأ دف بطرح الهمزة ولكم وان كان
الظاهر تعلقه بخلقها يجوز ان يتعلق بما بعده اى لكم فيها دف والمنافع الآخر كالدر والنسل والظهر ويأكلون لحومها وتقديم الظرف لا يدل على
اختصاص الاكل لانه قد فسر بالسلة والغنم ومعظم اكل اللحوم منها وغيرها من صيد البر والطيور كانها غير معتد به بالنسبة اليها فيندفع به السؤال
بانه كالمفيد للحصر اولرؤس الاى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اى لكم زينة ووقت الاراحة وقت الرد الى مراحها بالليل من فراغتها
ووقت التسريح وقت الاخراج بالغداة الى المرعى وفى هذين الوقتين تزين الافنية بها وتعظيم اصحابها فى اعين الناظرين وتقديم الاراحة
لانها ترجع بلا ابطونها فيكون الجمال فيها اظهر ويقرأ حينا فالفعلان وصف له اى تريحون وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم اى امتعة السفر او مطلق الحمل او ابدانكم ومنه الثقلان واخرجت الارض اثقالها اى ابدان الانسان والالكر جرى البلد
على العموم وان حمل على مكة والمدينة ومصر ودمشق الانفس كلفتها ومشقتها ويقرأ بفتح الشين فقيل لغتان وقيل الفتح مصدر شققته بنصفين
والكسر بمعنى المشقوق وقيل الشق النصف فكانه يذهب نصف قوته والمعنى اذا لم تبلغوا انتم بانفسكم الا بهذا الوجه فكيف يحمل شى معك وبهذا علم
وجه التقدير لو لم يخلق الابل والعدول من حامليها الى بالغيه مع وجود المطابقة لانه اذا لم يبلغ بنفسه الا بالمشقة فكيف بالحمل فالله رؤف رحيم حيث خفف
عليكم هذا الثقل ذكر فى المفاتيح انه استدل بها منكر الكرامات لان من قال بها قال بالطى للاولياء ولما لم يبلغ احد الا بالانعام بطل ذلك واذا بطل فيه
بطل فى غيره لعدم الفارق واجاب بالتخصيص لثبوت الوقوع واحسن منه فى الجواب ان يقال الحكم الثابت للجنس لا يلزم ثبوته لكل فرد
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون عطف على الانعام اى خلقها لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وحذف اللام لدلالة الاول عليه

لا يلزم من ثبوت الحكم للجنس ثبوته لكل فرد

وقيل

وقيل وجعلها زينة وانما لم يرد الزينة على طبق الركوب لان الركوب فعل الحاملين والزينة فعل الله تعالى وقرئ بغير الواو فيحتمل ان يكون علة
للركوب ويجوز ان يكون حالا وما روى عن ابن عباس من حرمة لحم الخيل حيث ذكر الركوب والزينة يعارضه ما روى جابر من انا كنا نأكل فى عهد
النبى صلى الله عليه وسلم وعدم ذكر الاكل لان النظر الى المنفعة العظمى فلا يدل على حرمة لحم الخيل وايضا الآية مكية فلو دلت التحريم لما كان لقول
عامة المفسرين ان لحم الحمار حرم بالمدينة وجه وبعد خلق ما ذكر يخلق ما لا تعلمون فان الحيوانات المخلوقة فى البر والبحر والهواء مما لا يحيط بها غير
علم البارى سبحانه كما اشار اليه بقوله وما يعلم جنود ربك الا هو روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ارضا مثل الدنيا ثلثين مرة محشوة
خلقا من خلق لا يعلمون ان الله يعصى طرفة عين ولا يعلمون خلق آدم ولا خلق ابليس ثم قرأ ويخلق ما لا تعلمون او ما خلق فى الجنة والنار وفايدة الاجمال
انه لما لم يكن حصر انواع الحيوانات واقسامها وعجايب احوالها لزم الاكتفاء به للاشعار بذلك ومما يدل عليه ما روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس
ان بيمين العرش نهرا من نور مثل السموات والارض السبع والبحار السبع يغتسل فيه جبرئيل كل سحر فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض
فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا كذا ملكا فيدخل كل يوم سبعون الفا البيت المعمور والكعبة لا يعودون اليه الى قيام الساعة وعلى الله قصد السبيل
ومنها جاير ولو شاء لهديكم اجمعين اى اوجب على نفسه بيان الطريق الموصل الى الحق والقصد بمعنى القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اذا كان مستقيما كانه
يقصد من غير عدول عنه ولا دلالة فى الآية على ما تمسك المعتزلة باعتبار تغيير الاسلوب حيث كان المناسب يقتضى ان يقول وعليه جاير لانه ليس
على الله ان يبين جايرها كذا قال صاحب الانوار ولقائل ان يقول الواجب بانه يلزم من بيان الطريق المستقيم بيان طريق الضلال فان ما عدا الحق
باطل كان مناسبا وايضا المقصود بالذات بيان قصد السبيل وذكر الجاير بالعرض واما الاستدلال بها على وجوب اللطف عليه فقد سبق الجواب
غير مرة انه لا حاكم على الله ليجب عليه شى نعم لما اراد تأكيد الامر اخرجه مخرج الوجوب وهو بايجابه سبحانه على نفسه كما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة
والمراد انه سبحانه اوجب على نفسه بحسب الفضل والكرم تبيين الدين المستقيم وعلى ما يقرأ ومنكم جاير اى عن القصد فلا اشكال ولو شاء لهديكم
الى قصد السبيل هداكم فاهتديتم لا محالة ولو لما كان لامتناع الشى لامتناع غيره افاد انه تعالى ما شاء هداية الكل فما هداهم وهو ظاهر فى ابطال مقالات
المعتزلة او لاوصلكم الى الجنة من غير استحقاق هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون لما كان اشرف الموجودات بعد الحيوان النبات ذكره عقيب الاستدلال
السماء اما جانب العلو او من السحاب فينقسم الى مشروب والى ما يصير سببا حصول شجر ترعاه المواشى ويطلق الشجر على كل ما ينبت وانشد الزجاج
يعلفها اللحم اذا عز الشجر وفى الحديث لا تأكلوا ثمن الشجر يعنى الكلاء فانه سحت ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية به اى بعضه شراب وقيل
لا شراب الا منه وما هو فى قعر الارض فمنه لقوله تعالى فاسكناه فى الارض وتقديم الظرف وهو منه يدل على الحصر وهو لذلك لان مياه العيون
والآبار منه والسوم رعى الماشية يقال سامت الماشية واسامها صاحبها من السومة وهى العلامة لانها تؤثر فى الارض علامات والزرع الحبوب
وقرئ بالنون على التعظيم ويقرأ ينبت لكم بالفاعل والزرع الى آخره بالرفع وتقديم الحب على الفاكهة لانه اشرف قوتا وتخصيص هذه الفواكه بالذكر
لانها اشرف من غيرها فايدة وطبعا والسوم المقيد لتربية الحيوان الذى لحمه اشرف الغذاء ايضا لذلك ومن تبعيضية لانه لم ينبت به كل الثمرات
فان ما فى الدنيا بعض ما فى الجنة ليكون انموذجا منه وفى هذا المذكور علامة دالة على وجود الصانع وحكمته فان خروج ساق الشجر من الحبة التى تقع

في الارض بان يشق اعلاها فيخرج منها ساقها ويخرج من اسفلها عروقها ولا يزال عليها الاطوار الى كمال النشو والاثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الطباع مع ان موادها متحدة ونسبة التاثيرات العلوية والسفلية اليها متحدة اضطر العقل الى ان المؤثر ليس الا ارادة الفاعل
المختار لا غير تعالى شانه عن مشاركة الاضداد والانداد وعن ان لا يكون الاستقلال والاستبداد فيما شاء واراد ولما كان في الآية نظرا وفكرا
كما سبق اختص دركها بقوم يستعملون عقولهم بالفكر فيها وفي اساسها فيعلمون انه لا مؤثر في الحقيقة غير الله سبحانه لانه لو فرض غير الله
لكان اما موجبا او مختارا والاول لا نسبته الى الكل واحدة فيستحيل قبول بعض الاجسام باثر معين دون غيره فلزم ان يكون مختارا وهو المطلوب

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ذكر ان الله سبحانه هيأها لمنافعكم فالليل
للسكون والاستراحة والنهار لابتغاء فضل الله وتعلم عدد السنين والحساب ببعضها وتهتدي ببعضها في ظلمات البر والبحر ومعنى مسخرات ثانيا
انه ينفعكم بها حال كونها مسخرات لله سبحانه جعلها نافعة بالتدبيرات الالهية فيسخرون لما خلقن له قال في الانوار ان فيه ايذانا بالجواب عما
عسى يقال المؤثر فيه حركات الكواكب واوضاعها فاجاب بانه وان سلم فلا شك في كونها ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل مثلا العنب لقشره طبع وللحمه طبع وله طبع وايضا ترى احد وجهي الورد
في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد مع ان نسبة تلك التاثيرات اليها واحدة فدل على انه ليس المؤثر تلك الطباع ولهذا يكون شكل البسيط كرة
لان تاثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب ان يكون متشابها والكرة جميع جوانبها متشابه وقيل جمع مسخرة بمعنى تسخير فالجمع باعتبار
الانواع وقرئ بالرفع ابتداء وخبرا ويكون تعميم بعد تخصيص باعتبار الشمس والقمر وقرئا بالرفع وجمع الآية والتخصيص بارباب العقل لان الآثار العلوية
في الدلالة على كمال عظمة الحق سبحانه اظهر وابين هكذا قيل وينبغي ان يقال لانه اخفى دلالة واحوج الى التامل والفكر حيث اختص بارباب العقول السليمة

وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون محله النصب بالعطف على الليل اي وسخر ما خلق في الارض من الحيوان والشجر والثمر
مختلف الاصناف وذكر الالوان لانها تختلف بالالوان غالبا وقيل المراد الحيوان والجماد والذرء اظهار الشيء بايجاده والانتفاع بكونها آية يختص
بقوم يذكرون ان اختلافها في الهيآت والمناظر وغيرها لا يكون الا بصنع صانع حكيم ولعل توحيد الآية هنا وجمعها في الاول لانها اعظم دلالة بالتذكر
لانه لما كان القصد اثبات المختار فينبغي ان يتذكر العاقل انه لو كان الموجب بالذات لما اختلفت الآثار ولا استغنا بذكر اليوم والليلة عن ذكر الشمس والقمر
لان حدوثها ليس لحركتهما بل لحركة الفلك الاعظم والله هو محركه لا غيره ومن قال الافلاك والكواكب جمادات وهو اكثر المسلمين حمل الامر على الشان وغيرهم
حمل على الاذن والتكليف وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
لما فرغ من المنة بخلق ما في جانب العلو وما على الارض ذكر احوال البحر ومنافعها فانه من جملة ما من به على الناس فعبر عن التمكن من الانتفاع به ركوبا واصطيادا
وغوصا لاخراج الجواهر واللحم الطري السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع لذلك الى اكله وظهوره في الماء المالح الزعاق
من دلايل قدرته ولا تمسك لمالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما يحنث باكل اللحم لان مبنى الايمان على العرف كما ان من حلف لا يقعد في السراج
لا يحنث بالقعود في الشمس مع ان الله سماها سراجا وكذا لو حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض وهذا ما الزم ابو حنيفة رضي الله عنه سفيان
في مسئلة لحم السمك والامام في المفاتيح نصر سفيان بان العرف مضطرب فانه يحنث بلحم العصفور مع انه لو امر الغلام بشرى اللحم فشرى لحم العصفور

ينبغي ان يكتب قوله وهو الذي ... في اثنا تفسير قوله وسخر لكم الآية

ذم عليه وللقايل ان يقول الحق ليس معه لان الضابط هو انه متى قوي دلالة اللفظ بحسب الوضع حمل عليه وان عارضها قوة الاستعمال عكس
فلا يلزم الاضطراب وكذا لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا والحلية اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اللؤلؤ وحده
واسناد اللبس الى الرجال واللبس للنساء غالبا لانهن من جملتهم ولان التزين لهم فكانها زينتهم مواخر جمع ماخرة اي جواري والمخر شق الماء
من يمين وشمال وقيل صوت جري الفلك وقيل المخر استدبار الريح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم استمخروا الريح واعدوا النبل اي عند البول
وابتغاء فضل الله طلب سعة رزق الله بالتجارة وكل ذلك على رجاء منكم ان يعرفوا نعم الله فيقوموا بحقها وتعقيب الشكر بهذه لعله من جهة ان الانتفاع
بالمهالك من اعظم انواع النعم وهذا ادل على انه بعقيب النعم كلها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون معنى الالقاء
جعل الشيء مماسا لغيره اي خلق الله في الارض والرواسي الثوابت والميد الميل اي خلقها كراهة ان تميد وتضطرب بكم والمايد الذي يدار به اذا
ركب البحر وسبب الاضطراب على ما ذكر في الانوار انه لما كانت الارض بسيطة كان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى
سبب التحريك ولعله اراد بذلك كرية الشكل فلما خلقت الجبال على وجهها وتفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز واعني مركز العالم فصارت
كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل ذلك اما يجب ان تتحرك اولم يجب والمن لكن صارت الجبال كالخشونات واقعة على وجه الكرة مانعة من الحركة وقيل
لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملايكة مم خلقت وانهارا عطف على رواسي نظرا
الى ان في الالقاء معنى الجعل كما قال تعالى والجبال اوتادا والهداية الى المقاصد او التوحيد وتعقيب ذكرها بذكر الجبال لانها ينفجر من الجبال وعلامات وبالنجم
هم يهتدون في معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغيره واصلها صورة تعلم بها المعنى من خط ولفظ واشارة وهيئة وقيل الجبال وحدها
وقيل والرياح بل من الناس من يعرف بشم التراب وعلى هذا يكون عطفا على موضع ان تميد وعلى الاول عطف على معمول القى على ارادة معنى الجعل
والاهتداء بالنجم في الليل وقيل المراد بالنجم الجنس وذلك انما يصح ان لو جعل الاهتداء الاعم من معرفة الطرق والضوء الذي يمشي فيه واما اذا
اريد الطرق فالحق ما نقل عن الحسن ان المراد الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ونحوها وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه الجدي ولعل ذلك لانه اعظم النجوم دلالة فان اهل البحر لا دليل عندهم اعظم منه ولهذا قيل يختص بالبحر ويقرا النجم بضمة وسكون وضمتين
وقيل ضمير يهتدون لقريش لانهم كانوا كثيرين الاسفار في البراري محتاجين الى الاهتداء بالنجوم وما يهتدى اليه بالنجوم القبلة عند الاستتار
والالتفات الى الغيبة وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص لان المعنى وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فيكون الشكر اوجب عليهم لان
انتفاعهم اكثر لذلك ولذلك قال تميد بكم ثم قال يهتدون بالغيبة افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون استفهام انكار سبق دليل الانكار من الدلائل
على تفرده بالالوهية وكمال العلم والقدرة باعتبار ما عدد من مبدعاته التي اضطر عبدة الاصنام الى الاعتراف به كما حكى عنهم بقوله ولئن سالتهم الآية
فكانه قال يسوي بينه وبين من لا يقدر على خلق شيء ولو كالذباب بل لا يقدر على استخلاص شيء منه وحق النظم ان يقول افمن لا يخلق كمن يخلق فعكس
للاشعار بانهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات باعتبار العجز ومن لا يخلق يشمل الاصنام وغيرها مما عبد من دون الله وذكر من قيل للازدواج
وقيل على زعمهم وقيل لان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف مما لا علم عنده ويحتمل ان يكون تغليبا لاولي العلم فانهم قد عبدوا
الملايكة والمسيح وعزيرا وذكر التذكر للاشارة الى ان فساده لوضوحه عند العقل كالحاصل الذي يعلم بادنى تذكر وفيه اشعار بان العبد لا يخلق شيئا

وقول المعتزلة المراد به خلق ما سبق خلاف الظاهر. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. نعم الله تعالى وان كانت كثيرة لا يمكن لكل احد ضبطها والعلم بمنافعها وما يترتب عليها لكنه لا بد من تصورها ببعض الاعتبارات حيث امر بشكرها وما قيل ان المعنى لا تضبطوا اعدادها فضلا عن القيام بشكرها فلعلهم ارادوا كمال الشكر وذكر ذلك عقيب تلك النعم للاشعار بان وراءها ما لا ينحصر وكونه سبحانه غفورا رحيما بالنظر الى التجاوز عن عباده حيث قصروا في اداء الشكر بقدر ما يجب ولما كانت النعم غاية الحصر امتنع القيام بشكرها وكيف لا ومن جملة النعم اندفاع الامراض عن البدن ولكل ذرة منه لها انحراف مزاجي لولا نعمة الله من الصحة لكانت مادة ونعم الطريق الى الشكر الاجمالي كما تقرر ان اعظم انواع الحمد قول القائل الحمد لله حق حمده حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده واطلاق الكلام يشعر بكون الكافر منعما عليه لا كما قيل انه لا نعمة عليه ووصفه سبحانه بالعلم بالسر والعلانية وان كان شكر الشاكر وكفر الكافر وما يعمهما وغيرهما مضمر الوعيد على الشرك مع تكاثر الادلة. والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون. ذكر الالهة التي يدعونهم الكفار بهذا الموصول لما تقدم من الوجوه وقرئ بالياء والتاء ويقرأ يدعون على بناء المفعول بين الله سبحانه عدم الوهيتهم بنفي ما هو من لوازمها كانه قال لو كانوا آلهة لكانوا خالقين ولم يكونوا مخلوقين ولما صح عليهم الموت بل كانوا ابدي الحيوة عالمين بوقت البعث اي بعثهم او بعث عبدتهم فكيف وقت جزاء عبادتهم والاله لا بد وان يعلم ذلك وانتفاء هذه الامور بل بعضها يدل على عدم الالوهية وذكر كونهم غير احياء مع دلالة الاموات للايذان بان الاله هو الحي الذي لا يحصل عقيب حيوته موت او لغباوة المخاطب يعبر عن المقصود بعبارات الافهام وفيه اشعار بان البعث من توابع التكليف فانه نفى عنهم العلم بالبعث ولو كانوا يخلقونهم العبادة لكانوا مبعوثين لترتب الثواب والعقاب على الاعمال ومن حملهم على الملائكة فسر كونهم من الاموات بلحوق الموت بهم لا محالة ويقرأ بكسر الهمزة. الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين. ذكر التوحيد ثانيا ليس بتكرير في الحقيقة لانه كالنتيجة للمعاني المذكورة وذكر عدم ايمانهم بالآخرة للدليل على مقتضى الاصرار على الكفر فان من آمن بالآخرة نظر في الدلائل المقتضية لاكتساب ما ينفعه فيها ومن لا يؤمن بها ايمانا مطابقا للحق كان قلبه منكرا تقليدا لآبائهم فيستكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والنظر فيما يقوله وتصديقه في ذلك ولا ينظر في الدلائل ولا في الترغيب والترهيب لعدم المبالاة بالثواب والعقاب ثم اكد الوعيد بقوله لا جرم الى آخره اي حقا ان الله مطلع على سرهم وعلنهم فيجازيهم على اعمالهم وان الله يعلم محله رفع بالمصدر وهو جرم وهو فعل عند الزجاج فان قيل هلا قال بعض المستكبرين قلنا قد سبق نظيره مع جوابه وهو انه لا واسطة بينهما بمعنى ان كل من لا يحبه فقد ابغضه وفيه تحذير لنفي المحبة معه بذكرها. واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون. القائلون على وجه قيل بعضهم لبعض او المقتسمون المستفرون عن الدين وقيل هو قول المسلمين وعلى الاول ذكر الانزال على وجه الاستهزاء وماذا اما مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزل الله او منصوب بانزل وهو نظير ماذا ينفقون واساطير الاولين اذا رفع فالتقدير المنزل واذا نصب فالمعنى انزل اساطير الاولين ويحتمل انهم اعرضوا عن بيان المنزل هو اساطير الاولين على خلاف قول المسلمين اذ المعنى احاديث الاولين واباطيلهم ولام ليحملوا للعلة اي قالوا ذلك ليضلوا الناس فيحملوا اوزار ضلالهم كاملة اذ ذاك مسبب عن رسوخ ضلالهم فحملوا اوزارهم كاملة وبعض اوزار ضلالهم وهو ما قصد به اضلاله لا العقاب الذي يستحقه الاتباع فالمضل له وزر بالاضلال والمضل بمتابعته فيه

اعظم انواع الحمد

وفيه اشعار

وفيه اشعار بان المومن قد يخفف من عقابه ليكون للتخصيص فائدة ومعنى بغير علم ان متابعتهم للمضلين بمجرد التقليد فهو حال عن المفعول اي يضلون الجاهلين بضلالهم فيشعر بانهم لا يعذرون بل كان يجب عليهم البحث عن طلب الحق حيث سماهم ضلالا مع الجهل وما يزرون محله الرفع دل عليه ما قبله اي بئس شيئا يزرونه فعلهم وانما النفي في الاخير بالوعيد وما تقدم ذكر عن كل جوابا لانه ذكر في موضع آخر وهو سواكعها وابطالها. قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون الاكثر على ان المراد نمرود بن كنعان صرحا ليرصد امر السماء طوله خمسة آلاف ذراع فهبت ريح والقت راس الصرح الى البحر وقيل رام الصعود بالنسور كما سبق في سورة ابرهيم ومعنى فخر عليهم انه لما سقط راس الصرح خر عليهم الباقي وخربت بيوتهم واحدث نمرود وتبلبلت السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسانه بالسريانية واهلكه الله ببعوضة دخلت دماغه ووكدت وبقي سنين يضرب راسه بالمطارق وقيل بخت نصر وقيل مثل ضربه الله اي احدثوا صور مكر ارادوا وان يمكروا بها الله ورسله واتاهم العذاب قيل كانت زلازل تقلعت ابنيتهم من الاساس وقيل تمثيل لابطال مصنوعات ارادوا بها مكر انبياء الله فاهلكهم الله بها فهو حال بنوا ابنية محكمة بالاساطين وهي التي يعمد بها البناء فسقط عليهم السقف فهلكوا ومعنى من فوقهم انهم كانوا تحتها وقيل من السماء ومعنى اتى الله اتى امره من جهة القواعد فقلعها من اصلها اي نولد البلاء من اعيان تلك المنصوبات ان حمل على التمثيل او خر عليهم السقف بغتة من حيث لا يتوقعون المجي من تلك الجهة. ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين. اي يوم القيمة يعذبهم بعذاب فيه اهانة سوى ما عذبوا به في الدنيا وهو عذاب النار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته واضافة الشركاء الى نفسه لحكاية قولهم تهكما بهم وتشاقون تعادون النبي والمومنين في شان ما زعمتم انها شركاء وقرئ بكسر النون اي تشاقونني فحذف نون الاعراب تخفيفا والذين اوتوا العلم الانبياء والمومنون الذين كانوا يشافهونهم وهم يدعونهم الى الهدى شماتة بهم ولطفا للسامعين او الملائكة قالوا الذلة والعذاب على الكافرين وتمسك المرجية بها على اختصاص العذاب بالكفار لاختصاص ماهية الخزي والسوء بهم وذلك حصولها لغيرهم ويؤيده قول موسى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وللقائل ان يقول لو لم يكن في دلالة ظاهرة فكيف والنصوص بخلافه متظاهرة. الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون قرئ بالياء ويقرأ بادغامها في التاء اي تتوفاهم الملائكة بقبض ارواحهم وقيل يحشرونهم اليها ولما كان ذلك بامر الله لم ينافي قوله سبحانه الله يتوفى الانفس لكونهم مباشرين له وظلمهم انفسهم بالكفر والتعريض للعذاب المخلد وقيل اقامتهم بمكة بعد الاسلام حتى اخرجهم قريش قهرا فقتلوا والاولى الحمل على العموم والقاء السلم مسالمتهم واخباتهم عند معاينة العذاب وذلك حالة كونهم قائلين ما كنا نعمل من كفر وعدوان جعل تفسير السلم فالمراد القول الدال على الاستسلام او في الاعتقاد اذ لو علمنا ان الكفر سوء لما كفرنا والسوء الشرك وهذا عند من لم يجوز الكذب على اهل القيمة ومن يجوز قال سبب كذبهم غاية الخوف فيجيبهم الملائكة ولعلهم المرادون باولي العلم حيث فسر بهم تكذيبا لهم ان الله عليم باحوالكم فيجازيكم عليها. فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين. اي فليدخل كل صنف منكم الباب المعدل له او المراد نوع العذاب وحمل على العموم فهو له لقوله سبحانه لها سبعة ابواب والحمل على عذاب القبر غير بعيد كما قيل لقوله عليه السلام فياتيه من حرها وسمومها وخالدين حال مقدرة اي الملين الى الخلود وحمل المتكبر على المتعظم من اتباع النبي عليه السلام انما يصح على الاول. وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين.

اى مؤمنى مكة اى لما سألهم المبعوثون من القبايل ماذا انزل ربكم على محمد قالوا انزل خيرا على خلاف قول المقتسمين والحمل على اتقاء الشرك اولى
من فعل جميع الواجبات وترك المنهيات كما قاله المعتزلة حيث حكموا بتخليد الفساق لانه يصح بصدوره فرد واحد انه صارت ولانه فى مقابلة المشرك
ولان فيه تعليل التقييد ونصب خيرا دون رفعه يدل على انهم لم يتوقفوا فى الجواب لانه معمول فعل دل عليه انزل فلا ينفصل عنه وهو طبق السؤال
ولو رفع كان استينافا وجواب الجاحد هو العدول بالجواب عن السؤال حيث قالوا هو اساطير الاولين وليس بانزال والخير هنا القول
الجامع لجميع الخيرات والاخبار ههنا الايمان والعمل او كلمة التوحيد والحسنة ثواب مضاعف بجعل مكافاة لهم فى الدنيا وثوابهم فى الآخرة اعظم
وللذين وما بعده حمل على انه بدل من خيرا على انه حكاية قول المتقين اى قالوا ذلك فقدم عليه تسمية خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون استينافا وعدا لهم
ويجعل قولهم من جملة ما احسنوا واذا قلت فى هذه الدنيا متعلق بحسنة فالمعنى للذين احسنوا ان يحصل لهم الحسنة فى الدنيا من المدح والرفعة والظفر
بالعدو والفتح وما يفتح الله عليهم من المكاشفات بثواب الطاعات فان قلت اى الوجهين اولى قلت الثانى لان كون المنزل خيرا غير مختص بهم
وان كان يجوز ان يقال انهم المنتفعون به لاسيما فى الاستيناف زيادة فائدة العدة ولنعم دار المتقين دار الآخرة حذف المخصوص بالمدح ان لم يجعل
جنات عدن المخصوص جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك تجزى الله المتقين خبر مبتدا اى هى وقيل مبتدا
ولعل الصحيح كون عدن علما ولهم فيها جميع انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان ذلك لا يحصل الا فيها ومثل هذا الجزاء يجزى الله المتقين
الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الطيب هنا الطاهر عن الكفر والمعصية لانه بازاء الظالم لنفسه المراد به الكافر
وقيل المؤمن اذ الفرح بالبشارة بالجنة ويناسبه قول الملائكة لهم سلام عليكم وقيل يقول ملك الموت السلام عليك يا ولى الله الله يقرئك السلام
وحمل الامر بالدخول على انه فى الآخرة وان حمل زمان البرزخ فلقوله عليه السلام فياتيه من روحها وطيبها وقيل المراد وفاة الحشر والاكثر على انه قبض
الارواح وحمل دخول الجنة على انها كانها صارت دارا اى ادخلوها خاصة لكم فكانكم فيها هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى امر ربك كذلك
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن التقدير هل ينظرون فى التصديق
بنبوتك الا ان تاتيهم الملئكة شاهدين بذلك او ان الكفار لا ينزجرون عن تلك البينات الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد او عذاب الاستيصال
اتيانهم اما لقبض ارواحهم او تبيين العذاب يوم القيمة وامر الله عذابه الموجود او القيمة او تبيين الموعود على الثانى والواو للحال وكذلك اى
ذلك الشرك او التكذيب او استبطاء العذاب فعل متقدميهم فعذبوا التعذيبهم وما كان ما اصابهم ظلما من الله تعالى بل هم ظلموا انفسهم بارتكاب
ما اقتضى ذلك فان قيل ما فائدة تغيير النظم وهو ولكن ظلموا انفسهم قلنا للاشارة الى ان الظلم كان قد صار كالعادة المستمرة لهم والاول
لم يتحقق منه الا ما صدق عليه الظلم وقوله فاصابهم كالبيان لنتيجة ظلمهم انفسهم اى اصابهم جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف فانها ليست سيئة
او تسمية للجزاء باسمها وحاق اى احاط بجوانبهم عقاب استهزائهم فلا تكرار وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا
آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين غرض الكفرة من ذلك منع البعثة والتكليف لانه
اذا كان ما شاء الله يمتنع عدم وقوعه فلو شاء ههنا ترك عبادة الاصنام لتركنا سواء جاء النبى او لم يجئ فيصح الانكار حينئذ او قالوه استهزاء
والمراد بالمحرم البحاير والسوايب وغيرهما ولم يذكروا ذلك اعتذارا او لو شاء الله التوحيد وترك التحريم لالجا اليه ولو قالوا ذلك على وجه الاعتذار

كان قولا حقا وكان منكره القايل بانه سبحانه ليس خالقا للشر متمذهبا بمذهب الثنوية وفى الكلام الذى بعده جواب الكفرة حيث قال كذلك
فعل الذين من قبلهم يعنى الاشراك وتحريم الحلال وتكذيب الرسل وليس عليهم الا البلاغ المبين حقيقة والهادى هو الحق سبحانه غير انه يؤدى اليه
على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه يجب حصوله باسباب رابطوها والبعثة وان كانت مما جرت به العادة الالهية الا انها تنفع بعضا
دون بعض كالغذاء الصالح فانه لا ينفع الا المزاج المستقيم والى القسمين اشار بالكلام المتاخر والبلاغ بمعنى الابلاغ او مصدر بلغ ولقد بعثنا
فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين اى بعثنا الرسل ليامروا الامة بالعبادة والاجتناب عن الشرك والشيطان فمنهم من وفقه الله للايمان ومنهم لم يوفقه حيث اراد
ضلاله ولم يرد ايمانه ويستحيل عدمه والا لانقلب الخبر الواجب الصدق كذبا وهو محال ومستلزم المحال محال فسيروا يا امة محمد فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة عاد وثمود وغيرهم وقيل اقرؤا القرآن لتعرفوا كيف كان حالهم ولا يخفى انه لا دلالة فيه على انه لا يشاء الشر لانه لا يلزم من مشيته
الالجاء اليه وفى الآية دليل على ان الامر غير الارادة فيجوز ان يامر بشىء ولا يريده وبالعكس والقول بان المراد هداية نيل الثواب والعقاب
عذاب الاستيصال خروج عن الظاهر فلا يلتفت اليه ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين اى ان بالغت
فى الايمان ممن حقت عليه الضلالة فان الله لا يهدى من اراد ضلاله وقرئ يهدى على المجهول قال فى الانوار هو ابلغ ولعله اشار الى ان نفى الهداية
على العموم ابلغ وان حمل على انه لا يهديهم النبى ولا غيره فهو ابلغ ايضا وان كان القايل اراد به مذهبا فاسدا فانه يلزم منه نفى هداية الله
بخلاف العكس وما لهم من يرفع عنهم العذاب بقوة ولا دلالة فيه على ارادة الخذلان بالهداية باعتبار انه يقابله وان سلم انه غير مسلم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فائدة عطفه على وقال الاشارة الى انهما شاركان فى القطاعة
حيث انكروا البعث موكدين بالقسم بالله على اغلظ الوجوه روى ان مسلما ادعى على مشرك ووقع فى كلام المسلم والذى ارجوه بعد الموت فاقسم
المشرك بالله لا يبعث الله من يموت وبلى رد عليهم فى نفى البعث اى بلى يبعثهم ووعدا يؤكد الوعد المستفاد من يبعث وفى ذكر الوعد رد قولهم
بلى ولفظ عليه المتضمن لاستحالة خلف الوعد تاكيد لبليغ واكثر الناس انما لم يعلموا البعث اما القصور نما العوه متوهمون الاستحالة واما لعدم
علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت العادة الالهية براعاتها او لا يعلمون انه وعد يستحيل خلفه والحاصل انه من شبه منكرى البعث لانه اذا لم يكن
بعث والنبى قد قرره فيكون مقررا للباطل والجواب انه سبحانه مكون الاشياء بمحض القدرة ولا يتوقف على سبق مادة ومدة وقد وعد ووعده
واجب الصدق ثم انهم ادعوا الضرورة وبطلانه ظاهر ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشىء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون علة للبعث اى بلى يبعثهم ليظهر لمنكرى البعث والمقتسمين صحة ما اختلفوا فيه وانهم كانوا كاذبين فيما كانوا زاعمين
فهو بيان لفائدة البعث وهو التمييز بين المحق والمبطل ومستحق الثواب والعقاب والضمير لمن يموت فيشمل الفريقين وقيل اللام متعلقة بقوله
ولقد بعثنا وقوله انما قولنا يتضمن امكان البعث وذلك ان تكوين الله تعالى لا يتوقف على تقدم مادة ومدة لئلا يلزم التسلسل وكما امكن التكوين
ابتداء امكن اعادته وما قرئ من نصب فيكون فللعطف على نقول او لجواب الامر وان نقول خبر قولنا وكن فيكون من كان التامة اى اذا اردنا حدوث
شىء قلنا احدث فيحدث فهو كان التامة وهو تمثيل لكمال القدرة وتشبيه بحال الآمر المطاع الذى يمتثل امره من غير توقف وان امر البعث عليه فى غاية السهولة

وقرئ برفع يكون وحمل على انه تم الكلام عند قوله ان نقول له ثم ابتدأ فقال فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة
ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وجه الربط ان من كان منكرا للبعث لم يبعد منه الايذاء المحوج الى الهجرة وقيل
هم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين جمعوا بين الهجرة الى الحبشة والمدينة او المدينة وقيل الذين حبسوا بمكة كبلال وعمار وخباب وصهيب وهو
اقتدى باله وباجره ويحتمل الحمل على الاعم فجزاؤهم ان يبوئ لهم تبوئة حسنة ويقرأ لنثوينهم اي اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة والمراد الغلبة
على اعدائهم الكفار روي ان عمر رضي الله عنه كان اذا اعطى المهاجر شيئا قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة
اكبر وقيل المباءة الحسنة المدينة والضمير في يعلمون قيل للكفار اي لو علموا ان الله تعالى جمع للمهاجرين خير الدارين لآمنوا وقيل للمهاجرين وتعاقب ان يقول
هذا غير سديد على اطلاقه لان الايمان بذلك واجب نعم لو حمل على كمال العلم او تفاصيل الخبرية كان صحيحا وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله اي لزادوا
على صبرهم الذين صبروا مدح مرفوع او منصوب اي هم او اعني وصبرهم الصبر على العذاب او مفارقة الوطن التي هي احب الاحباب وتوكلهم
الانقطاع الكلي عن الخلق والتوجه الكلي الى الحق وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات
والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون رد لما قالوه ان الله اعظم من ان يرسل بشرا بانه قد جرت العادة
الالهية بارسال الرسل من البشر كيف ولو كان الرسول ملكا لما امكن للبشر ادراك كلامه الا للافراد كالانبياء والى هذا اشار بقوله سبحانه ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وقوله نوحي بيان لما به تميز عن غيره فان جهلتم بذلك او شككتم فيه فاسألوا اهل الكتاب او علماء الاخبار ليتحقق لكم وتقييد
الرجل علم انه لا تصلح المرأة للرسالة ولم يرسلها الله ولا الملائكة وزعم بعض المعتزلة انه لم يرسل ملكا الا بصورة الرجال وحمل على ان المراد المبعوث
بحضرة الامم والا فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل بصورته مرتين وبالبينات متعلقة بارسلنا اي ارسلناهم بالمعجزات والكتب كأنه اجيب
من سأل عن حكمة الارسال ويجوز ان يتعلق بارسلنا فيدخل تحت الاستثناء والمعنى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات نحو قولك ما جاء الا زيد
بالبشاير والاصل جاء زيد بالبشاير وجاز ان يكون صفة رجالا اي ارسلوا بالبينات والمعنى ان كنتم لا تعلمون فانهم يعلمونكم ان الرسل
الى البشر ليسوا الا رجالا ويجوز ان يتعلق بمقدر تقديره ثم ارسلوا وهو يتوقف على سبق وان علق بنوحي فالمعنى نوحي اليهم بالبينات
وان جعل الشرط في معنى التبكيت لا التعليق بشيء كما هو المتعارف والالزام نحو قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي جاز ان يتعلق بلا تعلمون
وقوله فاسألوا اعتراض على تلك التقادير سوى هذا واهل الذكر قيل هم اهل القرآن او التورية او العلماء باخبار الماضين او تذكير بتحقيق وقد سبق غيره
والبينات المعجزات او الحلال والحرام والزبر الكتب من زبرا اذا كتب لا يقال فيه دليل على بطلان القياس نظرا الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
مبين لكل التكاليف لانه لما بين ان القياس حجة فيكون من جملة المبين والباء متعلقة بارسلنا اي وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر
ويضعفه وقوع الاستثناء بينهما والاعتذار بكون الا وصفا كما لو كان فيهما آلهة اضعف لانها غير تابعة لجمع منكور وقيل متعلقة بمحذوف
اي الا رجالا ارسلوا بالبينات وقد سبق والذكر القرآن لاشتماله على الموعظة والتنبيه او العلم والتبيين يتناول التنصيص على المقصود
عند الاشكال والارشاد الى ما يدل عليه كادلة العقل والقياس ولعلهم عطف على لتبين اي وارادة ان يستعملوا افكارهم فيعلموا انه حق عند الله ويدركوا حقايقه
افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على

على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اي اهل مكة الذين مكروا المكرات السيئات في اهلاك الانبياء وكاهل مكة احتالوا لهلاك النبي صلى الله عليه وسلم وصد
اصحابه عن الايمان ان يخسف بهم كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب بغتة كما فعل بقوم لوط او يأخذهم متقلبين في متاجرهم ومسايرهم لكسب
دنياهم فما هم بمعجزين جنود الله من اعجزه اذا وجده او جعله عاجزا او يأخذهم متخوفين بان يتخوفوا باهلاك قوم قبلهم فيعذبهم حالة كونهم متوقعين
العذاب وان فسر بمعنى تنقص فالمعنى يأخذهم على تنقصهم على التدريج هم واموالهم حتى يهلكوا او التنقص الواقع في اطراف بلادهم كما قال تعالى او لا يرون
انا نأتي الارض ننقصها روي ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا ثم قال قال شاعرنا ابو كبير وقيل زهير
يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن والتامك السنام والقرد المتراكم والسفن القشر ثم امر عمر رضي الله عنه
بحفظ اشعار الجاهلية وقال فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ووصف الله نفسه بالرأفة والرحمة لما فيه من ترك المعاجلة بالعقوبة مع وجود المقتضي لها
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون المراد الاشارة الى ان من كان بهذا الشأن قدر على ايصال
العذاب اليهم والى وجوب عبادة من خلق هذه الاجرام على هذا الوجه وهو استفهام انكار اي قد رأوا وحيث قرئ بالتاء اي قد رأيتم هذه الصنايع
فما لهم لم يتفكروا ليظهر لهم كمال قدرته وما موصولة بخلق الله مبهمة بيانها من شيء يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى الاجرام التي لها ظلال من اليمين جنس
معناه الايمان وفسر الظل هنا بما يغيب عن مسافة الشمس فلا يصيب ضوءها والمراد باليمين يمين الشيء جعل وجه الشيء ما يواجه الشمس لانه ينتقل الظل
عن اليمين الى جانب وقيل عن اليمين اول النهار وسجدا حال عن الظلال وهم داخرون حال عن الضمير في ظلاله اذ المراد الجمع وبالواو تغليبا للعقلاء
او لانه وصفهم ولما كانت الرؤية بمعنى النظر والاعتبار وصلها بالى لان الاعتبار لا يكون بمجرد الرؤية والمراد بالسجود الاستسلام ولو بالطبع
يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب والمعنى انه يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها قال الازهري
هو رجوع الظلال بعد انتصاف النهار وبعد انصراف الشمس عنها والظل ما يكون بالغداة ما لم تنله الشمس قال فلا الظل من برد الضحى تستطيعه
ولا الفيء من برد العشي تذوق وقيل كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه فهو ظل ومن انكر ذلك ابطله بقول النابغة
فسلام الاله يغدو عليهم وفيوء الفردوس ذات الظلال وليس في الجنة شمس او باختلاف المشارق والمغارب بتقدير الله من جانب الى آخر
حالة كونها منقادة للقدرة من التفيؤ لان اختلاف احوالها بحسب الاختلافات اليومية في الشرق والغرب وبحسب اختلافات الواقعة في طول
السنة في يمين الفلك ويساره لا بد له من مخصص قادر حكيم وليس الا الله سبحانه لانه وان كان اختلاف الاظلال لاختلاف حركات الشمس لمحركها ليس
الا الله سبحانه او ملتصقة بالارض على هيئة الساجد وانقياد الاجرام ودخورها انقيادها لافعال الله فيها وقيل المراد يمين الفلك وهو الجانب
الشرقي لان الكواكب منها تأخذ في الطلوع وشماله جانبه الغربي المقابل له لان الظلال تبتدي في اول النهار من جانب الشرق ويقع على الربع المغربي
من الارض وابتداؤه عند الزوال من جانب الغرب ووقوعها على الربع الغربي وقيل تخصيص الظل بذكره للانقياد اليه سريع التغير وهو يقتضي متغيرا
غيره ودبره قال الحسن اما ظلك فيسجد لله واما انت فلا تسجد له فبئس ما صنعت وقيل في تخصيص الشمائل بالجمع دون اليمين ان الابتداء عن اليمين
ثم ينقص حالا بعد حال عن الشمائل او لانه بمعنى الايمان او نظرا الى لفظ ما ومعناه جمعا افرادا وجمعا ولقائل ان يقول لا يصلح شيء من ذلك نحوه جوابا
اذا سئل عن الترجيح نعم لو فسر اليمين بالمشرق وسلم ان مشرق الشمس واحدة وان الشمائل تلك الانحرافات الواقعة في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض كان الجواب

ولله يسجد ما في السموات والارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون المراد الانقياد طوعا او كرها
فيشمل سجود المكلفين وانقياد غيرهم فلا يضر التعبير عنهما بلفظ واحد قال ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي متواضعة ومن دابة اما بيان لما في السماء والارض
جميعا على ان في السماء خلقا يدبون اذ هي الحركة الاختيارية او لما في الارض ويراد بساجد السماء الخلق الذي يقال له الروح او مطلق الملائكة وذكرهم
بعده تكرير كما في عطف جبريل او ما في السماء ملائكتها والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم واحتج بهذا العطف من زعم ان الملائكة ارواح مجردة
وللقائل ان يمنع ذلك لانه يكفي لصحة العطف التغاير ببعض الاعتبارات ثم من الناس من تمسك بجواز استعمال المشترك في جميع مفهوماته وبهذا الا صحيح
ان لو لم يكن حقيقة في احد معنييه مجازا في الثاني او لقدر مشترك بينهما وذكر ما دون من لان تناول من لغير العقلاء على التغليب ولا دليل عليه وما يستعمل في القبيلين
فان قيل فيلزم استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز فان ما حقيقة في غير ذوي العقول فيكون ارادة العقلاء على سبيل المجاز قلنا لم لا يجوز ان يراد
المشترك بين القبيلين وهو المنقاد وقوله هم يجوز ان يختص بالملائكة للقرب وان يشمل القبيلين وهم لا يستكبرون عن عبادته حال من فاعل يسجد
ويخافون حال من ضمير لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين نزول عذاب عليهم من فوقهم او يخافونه ومن يخاف منه فوقهم بالقهر والغلبة نحو وهو القاهر
فوق عباده ويجوز ان يكون بيانا لعدم الاستكبار وتحقيقا له لان من خاف شيئا اذعن له وفي قوله يفعلون ما يؤمرون اي من الطاعة والتدبير
دليل على كونهم مكلفين وانهم بين الخوف والرجاء واثبات الانقياد للاشرف وعدمه قال مطلقا وهم الملائكة والاخس وهي الدابة يشعر
بعموم الانقياد وفيه دليل على ان الملائكة يمتثلون الواجبات ويمتنعون عن المنهيات لانهم امروا بتركها حيث نهوا عن تعاطيها ويدل على
كونهم مكلفين فيكونون قادرين على الخير والشر ولا يدل على كونهم اشرف لما سبق من ذكر الاشرف لجواز ان يكون من عطف احد النوعين على الآخر
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون ليس المقصود بيان الاحتراز عن توهم ان المراد المنع عن الجنسية بل ان
المحذور العدد وفيه اشارة الى ان ما فوق الاثنين ينبغي ان لا يتخذ ايضا فان الوحدة من لوازم الالهية فالمقصود بيان الوحدانية دون
الالهية لان القول بالهين يستدعي نفي الاله لما يلزم من التركيب والتطارد ومن هنا يعلم ان ذلك القصد هو الحامل على الجمع بين العدد والمعدود
مع انه لا حاجة اليه لحصول الدلالة بلفظ المعدود فلا يقال رجلان اثنان وفي المفاتيح انه لشناعته اكده وعبر عنه بعبارتين والالتفات من الغيبة
الى التكلم ابلغ في الترهيب فان الاصل فاياه فارهبوه وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله
ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اي لله ذوو العلم وغيرهم فيهما خلقا وملكا لانه القديم وما سواه محدث وجد بتخليقه وايجاده ويدل على ان
افعال العبد من الله لانها مما في الارض وكذا الطاعة اللازمة وذلك نتيجة ثبوت الوحدانية وواصبا حال عن الظرف اي استقر له الدين لازما
اي ذا كلفة تقول وصب الدين وصبا اي دائما ووصب في الالم يوصب وقيل الوجع الثابت وقيل له الجزاء دائما ثوابا وعقابا واي شيء حل واتصل بكم
من النعم عافية وغنى وخصبا وغيرها فهو من الله وحسن دخول الفاء في الخبر لتضمن المبتدا الشرط وهو موصول بالظرف وعلى هذا فلا تجأرون فلا تتضرع
الا الى الله ولا ترفع الصوت بالدعاء واصله من جوار البقر وهو صوته قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا والضر
الاسقام والحاجة ويقرأ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا
فسوف تعلمون اي ثم اذا كشف الضر النازل بكم فاجاء الكفرة منكم الاشراك في عبادة الله بالاصنام والمخاطبون المشركون وهم الكفرة

اى وهم

اى وهم انتم فيكون من للبيان لا للتبعيض اللهم الا ان يكون فيهم من اعتبر ليكفروا اللام للعاقبة وان جعلت للعلة فالمعنى كانهم جعلوا غرضهم
كفران نعمة كشف الضر او الكفر بانها من الله والامر بالتمتع للتهديد والوعيد وهذا غاية الجهل لانه لما شهدت الفطرة الاصلية ان لا يفزع الا
الى الواحد فعند زوال البلاء ينبغي ان يبقى على ذلك الاعتقاد ويقرأ فيمتعوا ببناء المجهول عطف على ليكفروا ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ذكر ذلك بعد تقرير كون النعم من الله ليكون اقبح اي يجعلون للاصنام حظا في الالوهية ويعتقدون
فيها جهالات من كونها تضر وتنفع وتشفع عند الله وقيل لا يعلمون الآلهة اي جعلوا للاصنام التي لا علم لها نصيبا من زرعهم وانعامهم او البحيرة
والسائبة ونحوهم كما سبق ولتسألن وعيد على كذبهم ومن رجح ان يكون ضمير يعلمون للمشركين لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز
وايضا هذا الجمع بذوي العلم اولى ومن رجح فلانه لا يحتاج الى اضمار مفعول يعلمون بل المراد نفي العلم رأسا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون
هذا وان نزلت في خزاعة وكنانة لا ينافي ان يراد به الاعم اعني كل من قال الملائكة بنات الله وسبحانه تنزيه له سبحانه عن نسبة الولد اليه وقد يذكر للتعجب ايضا
وما يشتهونه البنون وجعلوهم لانفسهم قال في المفاتيح والذي يغلب على الظن انهم انما سموهم بنات لاستتارهم عن العيون وللقائل ان يقول فالجن
والشياطين كذلك ومحل يشتهون الرفع على الابتداء والنصب ان عطف على البنات ومعنى الجعل الاختيار وهذا وان كان يفضي الى ان يكون ضمير
الفاعل وهو المستكن في ضمير المفعول لشيء واحد وهو غير جائز في غير افعال القلوب لكنه لما وقع احدهما في المعطوف والآخر في المعطوف عليه جاز ذلك
فانهما يتغايران باعتبار العطف وظل بمعنى صار كما يجيء اصبح وامسى بمعناها ويجوز ان يراد دوام النهار كله مغتما كئيبا حياء من الناس ومنهم من كان
يدفنها او يرميها من شاهق الاستنكاف لان اكثر وضع الحمل يتفق بالليل وهو ممتلئ غضبا على المراة وقيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول يبعد عن القوم
ويستخفي من اجل سوء المبشر به ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون ام يدسه في التراب او يخفيه من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتبشير في اصل اللغة الخبر الذي يؤثر في تغيير بشرة الوجه لانه اذا قوي الفرح انبسط روح قلبه من الداخل الى الاطراف لا سيما الوجه لما بين القلب
والدماغ من التعلق وفي الغم فالعكس فانه اذا قوي الغم اختنق الروح في باطن القلب ويظهر فيه اثر الارضية من الصفرة والسواد واستنارة الوجه من
لوازم الفرح وسواده من لوازم الغم وفاعل شاء جعل البنات لله والبنين لانفسهم وتذكير ضمير الانثى لتذكير اللفظ ويقرأ بالتانيث فيهما ولا دلالة في الآية
على بطلان الجبر من اضافة الشر الى الله تعالى لان الدلائل الاقناعية انما تؤثر اذا كانت مسبوقة بالبرهان وقد دل الدليل على استحالة الولد لله وقام
البرهان على ان الكائنات باسرها مضافة الى الله تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم اي لهم صفة السوء
التي هي الحاجة الى الولد وابقاء الذكور ووأد البنات والمثل الاعلى الاستغناء الذاتي عن كل شيء والتنزه عن صفات المخلوقين وعما لا يليق وقيل
قول لا اله الا الله وانه لم يلد ولم يولد والوصف بالعزة يناسب الاستغناء وبالحكمة للتنزه عما لا يليق ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على الارض وجاز اضمارها للدلالة
ان الاجسام لا بد لها من حيز تسكن فيه اي لاهلك الدواب كلها بشؤم ظلم الظالمين وقيل لو عجل عقوبة الكفار ما ترك عليها ما يدب او ما ترك من ظالم اهلك ولو
الآباء لم يؤخذ الابناء ورد ابو هريرة على من قال الظالم لا يضر الا نفسه وقال بلى حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه

كالجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم واذا جاء وقت اجلهم لم يؤخروا بل اهلكوا او عذبوا واثبات الظلم لعموم الناس لا ينافي انتفاء الحكم عن بعضهم
كالانبياء لجواز ان يكون النظر الى الاكثر ويدل عليه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد فان قيل اما انهم لا يؤخرون فظاهر فما معنى انهم لا يتقدمون
وذلك محال عقلا قلنا لعل المراد انه بين ذلك انهم لم يتقدموا على هذا الزمان لكون الهلاك متقيدا بهذا الوقت اعني الاجل المسمى الذي هو وقت العذاب
او حين الموت او القيامة • ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون • هذا تعميم
بعد تخصيص لانه يشمل جعل البنات لله والشركاء في الربابة وخسائس الاموال روي انه يرى ما اعطى للسلاطين من نفائس الاموال وما اعطى لله
من ارذالها تقريبا له وتصف السنتهم الكذب وهو المذكور بعد وهو ان الحسنى لهم في الآخرة لقوله تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقيل البنون وقيل الجنة على فرض البعث فانهم كانوا مكذبين ولا جرم رد لكلامهم والمعنى كسب اي كسب فعلهم ان لهم النار وقيل وجب فيكون محل ان لهم النار
الرفع وانهم مفرطون عطف على ان لهم النار فهم فرط من يقدمهم الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرئ بكسر الراء من الافراط في المعاصي
او صار ذا فرط ارسله الى النار يهيئ لهم محلا ويقرأ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعة وقيل معناه منسيون من افرطت
فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته • تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • لما كان السامعون منكرين لذلك اكده بالقسم وتزيين الشيطان اعمالهم تحسينها عندهم حتى
كفروا بالمرسلين وقبلوا غرور الشيطان وكونه وليهم اليوم ان جعل حكاية للحال الماضية فالمراد ايامهم السالفة ويجوز ان يراد زمان الدنيا وان جعل حكاية
عن الحال الآتية فالمراد يوم القيمة حال كونهم معذبين في النار اي هو ناصرهم لا غيره وهو نفي الناصر على ابلغ وجه فانه اذا انحصر النصرة فيه ومن المعلوم
انه لا ينصره منه وهو عدو وهذا كان ابلغ وعلى الاول معنى كونه وليهم قرينهم وتقدير مضاف مثل ولي امثالهم وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء
لانهم منهم ارتكاب خلاف الظاهر من غير ضرورة وما ذهب اليه المعتزلة من ابطال الجبرية انه اذا كان التزيين هو الداعي الى الفعل لم يكن حصول الفعل
بخلق الله جوابه انه اذا كان المزين للكفار الشيطان فالمزين للشيطان ينبغي ان يكون الله تعالى لئلا يلزم التسلسل وزمان ثبوت العذاب لهم يوم القيمة
ويجوز ان يكون اعم فان اكثر الامم قد هلكوا بالاستيصال وبيان انزال الكتاب يناسب حكاية الامم السالفة فان قيل ما انزل كل الكتاب لذلك وظاهره
يستدعي ذلك قلنا ذكر ذلك مبالغة لما كان اهم فان اختلافهم في الآيات والنبوات وان اريد بالكتاب بعضه المتعلق به كان وجها والاول اوفق
لما بعده فان الهداية والرحمة تحصلان من جميعه وهما معطوفان على محل لتبين فينتصبان على العلة لانهما فعلا منزل الكتاب ودخول اللام على لتبين لانه
وشرط نصب المفعول له ان يكون فعل الفاعل المعلل والتخصيص بالمؤمنين لانهم المنتفعون به • والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون • لما اقتضى ذكر انزال الكتاب وجود الآمر القادر ذكر ما يدل عليه وفيه دلالة على امكان الاعادة كما جاء مصرحا به عقيبه
فيكون فيه انذارا والسماء اما السحاب او جهة فوق وغيرهما كما سبق واحياء الارض بانبات انواع النبات والاشجار بعد تنبيتها وفي ذلك لآية
على وجود الصانع الحكيم لمن سمع سماع تدبر وتفكر فان قيل لم اكتفى بالسماع هنا وبالتعقل في غيره قلنا للاشارة الى وضوح الدلالة • وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين • اي لكم في التأمل في احوالها دلالة تعبرون بها من الجهل بحقيقتها الى العلم
بالفكر والانعام قيل اسم الجمع وتوحيد الراجع في المؤمنين لذلك وجمعها انا لانه جمع تكسير او لانه اسم الجمع فللمعنى فعلى الاول لانه كاجبال جمع جبل

وعلى الثاني

وعلى الثاني فلانه كاخلاق والكباش ثوب نغل من برمة وقرئ نسقيكم بالفتح ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
نحو سقيت من الحوض لان الاسقاء يبتدئ من بين الفرث والدم ويتعلق ذلك بنسقيكم وحال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
فالاهتمام بشأنه يقتضي التقديم وحيث جعل حالا فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم وذكر في الانوار ان اللبن يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي ما انهضم بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان العلف المنطبخ في الكرش يكون اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما قال ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي تغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد
يجذب صفاوة المنهضم ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فيميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد
على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه بتقدير العليم الحكيم
ثم ان كان انثى زاد اخلاطها لغلبة البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم للجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض لمجاورة اللحوم الغددية فيصير لبنا والتدبير في ذلك يحوج الى الاعتراف بوجود صانع حكيم موصوف بكمال الرحمة والاحتجاج
على طهارة المني نظرا الى اتحاد مجراه مع البول ضعيف بل الدليل عليه قول عائشة رضي الله عنها كنت افرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويصلي فيه ومعنى خالصا صافيا لا ترى معه لون الدم ولا تشم منه رائحة الفرث او مصفى عن مصاحبة الاجزاء الكثيفة لضيق مخرجه وفيه
نوع امتنان والسائغ سهل المرور من حكم الله انه خلق في اسفل المعدة منفذا فاذا تناول الانسان غذاء او شربة دقيقة انطبق بالكلية لا يخرج
منه شيء من الماكول الى ان يكمل انهضامه ويحصل الانفصال المذكور الذي ذكرناه ويكون في اللبن طبايع الدهنية حارة رطبة والجبنية باردة
يابسة وجميعها لم توجد في العشب الذي تناولته الشاة فانقلاب الاجسام الى الاتصاف بهذه الاحوال مع عدم تناسب بعضها مع بعض لا يكون
الا بتدبير فاعل حكيم مدبر لاحوال العالم عالم بالمصالح فسبحان من شهدت ذرات الوجود بكمال قدرته وحكمته ورحمته ويدل على صحة الحشر لانه كما امكن
انقلاب العشب الى الاتصاف بهذه الصفات فما المانع من اتصاف اجزاء البدن بصفة الحياة ويقرأ بالتخفيف والتشديد هو ابلغ وفيه دليل
على طهارته مطلقا لانه ذكر في معرض المنة • ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون
عطف على نسقيكم اي نسقيكم مما في بطونه ومن ثمرات النخيل والاعناب وتتخذون استئناف يبين وجه الاسقاء فيكون امتنانا كما قيل او جمعا
بين المنة والعتاب او متعلق بتتخذون وكرر الظرف للتوكيد وان جعل تتخذون صفة لمحذوف فيكون كقوله كفى كان من ارمى البشر اي رجل صفته كذا
والتقدير ثمر تتخذون منه سكرا واذا جعل الظرف وهو منه مكررا رجع الى المضاف المحذوف الذي هو العصير نحو قوله تعالى او هم قائلون اذ المراد
الاهل وقيل التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب آيات بالرفع والنصب عطفا على اسم ان وعند الكوفيين ما تتخذون وعند البصريين شيء
والسكر الخمر سمي بالمصدر مبالغة ونظيره في المصدرية رشد رشدا قال وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلي اليوم والسكران صاحي ولا احتجاج للحنفية
حيث حملوا السكر على عصير العنب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه فانه لم يعهد في كلامهم احتمال عشر كلمات في ذكر كلمة من غير دليل ولا دلالة على ذلك في قوله
صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها لان الخمر كل ما خامر العقل وهو مسلم انه مسكر فانه جوز الى حد الاسكار نعم قوله صلى الله عليه وسلم يسمونها بغير اسمها فيستحلونها
وان حمل السكر على الطعم لم يحتج الى التأويل او ما يسد الجوع من السكر وهو السد كما قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل المراد

سکر الخمر وهو منسوخ لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية ولا يخفى ان الاولى اولى لان النسخ ابعد التقديرات والرزق الحسن
الخل والزبيب والدبس وفي الآية تحريض للعاقل على التامل لانه المنتفع بالنظر فيها. واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون
ايحاؤها الهامها وتعليمها على وجه ترى صنعتها بحيث لا يقدر عليها حذاق المهندسين بآلات معدة لذلك من صحة القسمة المحوجة الى افكار دقيقة
ومن جملة لطايفها انها اتخذت بيوتها مسدسة ولو كانت مربعة لخلت الزوايا افادة خلتها ولو كانت مدورة لحصل خلا من خارجها اذا اضم بعضها
الى بعض ففي ذلك دلالة ظاهرة على ان الله تعالى الهمها بذلك كما الهم الغنم عداوة الذيب من غير تقدم ضرر وفي هذا الحيوان عجايب تدل على وجود الصانع وحكمته
من جملتها ان يكون واحد من جملة النحل اعظم منه نافذ الحكم على الباقي وهي تخدمه وتحمله عند الطيران واذا انفرت من وكرها ذهبت مع الجميع فاذا اراد
العود ضربت الطبول وآلات الموسيقي وبواسطة تلك الالحان يقدر على ردها الى وكرها وقد نقل انه اذا وجد سلطان من جنس المخدوم قتل واحد لا محالة
او ضم اليه طائفة يكون رئيسا لها وان مفسرة لتضمن الايحاء معنى القول في الجملة ويقرأ بفتح الحاء ولفظه مذكر وتانيثه للمعنى وقرئ بيوتا بكسر الباء
ويعرشون بكسر الراء والعرش ما يرفع من سقف البيت وتسميتها بيتا تشبيها ببيت الانسان من حسن الصنعة وقيل المراد ما يبني لها في الجبل والشجر
والبيت ليتعسل فيه وقيل الكروم والعدل من الاصل الذي هو في الجبل والشجر لبيان البعضية فانها لا تبني في كل جبل وشجر وعموم الثمرات والمراد
ما يعمها وازهارها يتناول الحلو والمر والتعقيب باسلكي للاشارة الى انها تسلك الطرق التي الهمت سلوكها في عمل العسل بعد الاكل والاكل
بعد بناء البيت وقيل اسلكي ما اكلت في المسالك التي يستحيل النور وان كان مرا عسلا من جوفها ومنافذ ماكلها وقيل اسلكي سبل بيوتك بعد ذلك
تلك السبل لها وسهلها لها فهي حال من السبل او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لامر الله واختلاف الوانها من ابيض واحمر وغيرهما لعله لاختلاف
الانوار وسمي شرابا لانه مما يشرب وجعله شفاء للناس لا يستلزم ان ينفع كل احد في كل مرض نعم غالب المعاجين لا يخلو عنه وتنكير الشفاء للتعظيم
ويبعد للتعليل لما ذكر وما ورد في الخبر الصحيح انه صلى الله عليه وسلم امر بسقي العسل لمن قال ان اخي يشتكي بطنه وكرر ذلك مع ازدياد الاسهال لما علم ان
سببه بلغم لزج محتاج الى استفراغه فلم يزل يسقيه الى ان برأ فقال صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك وذكر البطن قد استدل من قال ان
الازهار يستحيل في باطنها فيخرج منه ومن قال انه لعاب يحصل من اجزاء طيبة يلتقطها من الاشجار ويدخرها للشتاء فانها اذا اشبعت اخذت مرة اخرى
للادخار قال في المفاتيح هذا اقرب واشهد بحال الترنجبين فان مزاجه قريب من مزاج العسل وايضا هي يغتذي بالعسل كما يغتذي بتلك الاجزاء وعلى هذا
يكون المراد من البطون افواهها فسر البطن بالفم لانه في حكمه باعتبار استحالة ما فيه ويؤيد الاول انه روي عن علي كرم الله وجهه انه ونيم الذباب ولعل تشبيهه
بالونيم وذكر التفكر ههنا دون ما سبق من الآيتين لما ذكرنا من غرايب الصنايع الدالة على الصانع الحكيم العليم واختلاف الوان العسل مع كون الماكول
متشابه الطبيعة تدل على ان التاثير بالفاعل المختار كما في اختلاف الوان الجبال لا بالطبع. والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم
بعد علم شيئا ان الله عليم قدير. من جملة ما يدل على وجود الصانع وصفاته فان تفاوت الآجال والاطوار المختلفة لا يكون الا من قادر حكيم يخصص كل واحد
بوجه والتوفية لا تختص ببعض دون بعض بل يتوفى الصبي والشاب النشيط ويؤخر الشيخ الفاني وارذل العمر الخرافة قيل خمس وسبعون على ما نقل عن علي
وقيل ثمانون وقيل تسعون فيصير الى حال شبيه بحال الاطفال في النسيان وقيل لئلا يعقل بعد ما كان يعقل وهذا ضعيف لانه يصير عين الشيء غايته

(هامش: اى ونيم الخرء)
(هامش: رضه)



وقيل هذا في غير المسلم لانه لا يراد بطول العمر الا كرامته ويمكن ان يجاب بانه لا منافاة وذكر في المفاتيح كلاما في احوال اطوار بدن الانسان حاصله
ان الانسان خلق من المني والدم وهما حاران رطبان والحرارة تؤثر في تصليب الاعضاء والى سن الكمال وابطل ذلك بان ما قالوه من انه تقل
الرطوبات عند كمال البدن فينبغي ان يقوى تحليل الرطوبات لقوة الحرارة وليس كذلك لانه قبل تولد البدن لم يحصل مثل هذا الانتقال ولا
عشر عشيره فدل على انه بتدبير القادر الحكيم عز شانه ثم قال ان الحرارة الغريزية لا تزال تفني الرطوبة حتى ينتفي وهو الموت قال فلم لا يجوز ان يقوى
على ايراد بدلها يعني من الغذاء قالوا لضعف الحرارة قال فيلزم الدور لان نقصان الرطوبة يتوقف على ضعف الحرارة وانما تقل الحرارة اذا
قلت الرطوبة وقلتها يضعف المعاونة قال وكنت اقرأ يوما الم نخلقكم من ماء مهين الى ويل للمكذبين فعلمت لا شك ان المراد ارباب الطبايع
وانا او من بان هذه التاثيرات ليست الا من خالق العالم الذي هو احكم الحاكمين او لئلا يزداد علمه واللام ان كانت للعلة وهو الظاهر لذكر كي
فالفائدة ان يعلم انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل كذلك ينقله من الاماتة الى الاحياء وان جعلت للعاقبة فظاهر فان قيل ليس كل من بلغ هذا السن
صار بحيث لا يعلم شيئا قلنا اثبات الحكم لا يقتضي ثبوته لكل فرد والله عليم بافعل باعدائه واوليائه قدير على ما يريد. والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون. المخصص لتفاوت الارزاق هو الله سبحانه
فيكون من الآيات الدالة على قدرته فان الارقاء ايسار امثال السادات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم والبصائري
الكيس الناس واعقلهم يسعى طول عمره ولا يجد القليل من الدنيا واجهل الخلق يفتح عليه ابواب الدنيا قال ومن الدليل على القضاء وكونه. بؤس اللبيب
فتفضيل البعض في الرزق وغيره من الصحة والعلم والعقل ونقايصها على البعض لا بد له من مخصص هو ارادة الحق سبحانه وليس الذين فضلوا
وهم السادة بمعطي رزقهم على عبيدهم واما بهم فان ما يردون عليهم هو رزق الله اياهم جعله في ايديهم فهم وسايط فالمالك والمملوك سواء
في الحاجة الى رزق الله فقوله فيه سواء لا يتمكن احد من رزق مملوكه الا برزق الله اياه وفيه اشارة الى الانكار على المشركين حيث اشركوا
بعض المخلوقات بالله في الالوهية وقيل تقديره اهم فيه سواء وقوله تعالى افبنعمة الله استفهام تضمن انكار ان يتخذوا معه شركاء مع انهم
لا يرضون التسوية بينهم وبين عبيدهم فكيف يجعلون عبيده شركاء له ومقتضى ذلك ان يضاف اليهم بعض تلك النعمة وجحدوها بعد وضوحها
قيل نزلت في وفد نجران اي انكم لا تشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدي ولدا وشريكا في الالوهية. والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون. لما ذكر جحد النعمة عقبه
بذكر بعض النعم وهو جعل الازواج من جنس الرجال ليحصل الانس وقيل المراد حواء حيث خلقت من ضلع آدم والحفدة الاسراع في الخدمة فقيل هم
البنون يانس بهم في الصغر ويخدمون في الكبر وقيل البنات لانهن يخدمن اتم خدمة وقيل الاختان وفيه تجوز وقيل الخدم وهو ضعيف جدا
لانه لا اختصاص لهم بالازواج وقيل اولاد المرأة من زوج آخر فان قيل ما وجه جعل الازواج من انفسكم دون البنين وهم من جنسهم وحصول القسمين
لا يتصور من الزوجين قلنا لما كان المقصود الاعظم من الازواج حصول الاولاد والتناسل ناسب ايقاع الالفة فذكر انهن من جنسهم وان اريد حوا
فلا اشكال بخلاف البنين فذكر في كل صورة ما يناسب المقصود ومعنى من انفسكم مثل فاقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم اي بعضكم بعضا ومن في
من الطيبات للتبعيض لانه لا يرزق كل احد كل رزق وان رزق الجميع فما في الجنة لم يرزقوا بعد وهي اللذائذ او الحلالات والباطل الذي آمنوا به

(هامش: وطيب عيش الاحمق)

اعتقادهم منفعة الاصنام من الشفاعة وغيرها ونعمة الله المتحققة كما ذكرت يكفرون بها وينكرونها كما ينكر المحال عقلا وقيل الباطل نحو تحريم البحيرة
ونعمة الله ما احل لهم وقيل الشيطان ومحمد صلى الله عليه وسلم ووجه جحد النعمة انهم لما اشركوا بالله غير الله فقد اضافوا بعض تلك النعم الى غير الله والحمل
على الاعم اولى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم
وانتم لا تعلمون حمل المعبود من دون الله على الصنم والاولى الاعم وان ذكر بلفظ ما نظرا الى صفة المعبودية به والرزق ان اريد به المرزوق
فشيئا بدل منه او صفة او تاكيد للا يملك اى لا يملك شيئا من الملك وان اريد المصدر فهو مفعوله ومن السموات والارض صلة له اعنى انهما معمولاه
وما يرزق من السموات المطر ومن الارض النبات وضمير العقلاء فى لا يستطيعون ان حمل على الاصنام فقط لانها فى معنى الآلهة ولا يملك
نظرا الى اللفظ وان جعل للكفار فلا اشكال وهو اولى من حيث المعنى لانه اذا كان لا يملك العاقل المختار فكيف الجماد والجمع بين عدم الملك
والاستطاعة قيل لان لا يستطيعون حال عن الضمير وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم وان قدر فالفائدة
التوكيد او انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ذلك ويحتمل ان يراد بالاول زمان الحال والثانى الاستقبال كما حمل عليه قوله سبحانه لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والنهى عن ضرب الامثال للمنع عن اثبات المثل له فان تشبيه حال بحال يقتضى ذلك من جملة ضرب المثل انهم
قالوا نحن اخس من ان نعبد الله بل نعبد الكواكب والاصنام وهى تعبد الله كخدم الملوك يخدم الاصغر الاكبر وعظم ذلك وساير المعاصى انتم لا تعلمونها
فلا تعلموا عقاب ذلك والله يعلم حقيقة ذلك فيعاقبكم عليها ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستويان الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون هذا تعليم من الله لضرب المثل ومنه يعلم انه مثل ضربه لنفسه ولمن عبد دونه لانه لا يقدر
على نفع وضر وان من لا يعمل بطاعة الله كانه لا يقدر على ما ينفعه فمثل الكافر كمثل من لا يفرق بين المملوك العاجز والحر القادر والحاصل انه اذا لم يجز
بين عبدين لما بينهما من التفاوت فكيف بين الاله العالم والاصنام وقيل غير القادر الكافر وحر القادر المؤمن والجمع بين اللفظين لتمييز المملوك
من غيره لان العبد على القسمين وهى القدرة بناء على لا يملك وان ملك للاحتراز عن المأذون والمكاتب لان وصف العبودية المشعرة بالذل
لا يناسب الملك وترتب الحكم على الوصف يشعر بالعلية لا سيما ومن رزقناه قسيمه ولو ملك لكان قد رزق رزقا حسنا ومن يجوز ان يكون موصوفة
اى حرا رزقناه ليطابق عبدا وان يكون موصولة وهى اولى لكثرة الاستعمال وان لزم عطف المعرفة على النكرة وذكر الحمد للاشعار بانه لا يستحق الحمد
غير الله لانه مولى النعم كلها ولفظ الجمع لان المراد جنس العبيد والاحرار وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه
اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم الابكم الذى لا يفهم ولا يفهم وهو ثقل وعيال واصله من الغلظ الذى
هو نقيض الحدة يقال كل البكم اذا غلظت نصرته على من يلى امره لا يقضى حاجة ولا يكفى مهما حيث ينفذ الى مطلب وعدم مساواة بينه وبين من يأمر
بالعدل وهو الاستقامة فى الامور كلها وفى نفسه على سيرة صالحة ودين قويم وعلم وقدرة كاملتين مما لا يشك فيه عاقل فجوابه لا والجمهور على ان
هذا المثل ضربه الله لنفسه فانه اذا لم يكن الابكم العاجز مساويا للناطق مع الاستواء فى الانسانية فكيف يساوى الجماد رب العالمين فى الالهية
ايضا وتعريف الصراط بما ذكر بعد ذلك وما قيل فى عثمان ومولاه لا ينافى ان يكون فى النبى صلى الله عليه وسلم وكل من كان على طريقته عليه السلام
ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شىء قدير هذا تهديد يناسب حال المعرض عن الله تعالى

الى الاصنام

الى الاصنام والحمل على جواب كفار قريش حيث سألوا عن الساعة او ملك السموات او ما غاب عن الحس لا ينافى ما ذكرنا وقيل هو ما فى قوله ان الله عنده علم الساعة
وسميت ساعة لانها تفجأ الانسان فى ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة والمناسب للسياق ارادة الساعة وفى الجملة يختص علم الغيب بالحق سبحانه
مطلقا ومعنى كلمح البصر الاشارة الى القرب اى الساعة عند الله اقرب وان بعد عندكم او هى من لمح البصر اى اذا بالغتم فى استقرابه وهو رجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها وكونها اقرب بان يكون فى نصف ذلك الزمان مثلا وقيل اماتتها واحياء الموتى يوجد فى اقرب وقت والمراد مسافة لمح البصر
واو قيل بمعنى بل وقيل بمعنى الواو وحمل على الشك فى حق المخاطب وكون الله قادرا على كل شىء كاقامة الدليل على امكان اقامة الساعة فى اقرب من لمح البصر
فان الممكنات متساوية فى صحة المقدورية ويمكن ايجاد الخلق دفعة كما يمكن متدرجا والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وهو مما يدل على قدرته الهاء فى الامهات زيادة مثل اهراق وقرئ بكسر الهمزة وبه وبكسر الميم وزيادته
فى المفرد شاذة وقد ورد امهتى خندف والياس ابى والمعنى اخرجكم جاهلين بحقوق نعم الله سبحانه من هذه الحواس وغيرها مستصحبين جهل الجمادية
فافاض عليكم هذه القوى لتدركوا بها الجزئيات ثم تدركوا بعقولكم ما بينها من المباينات التى بها يتميز بعضها عن بعض فيحصل لكم البديهيات
وبوساطتها تدركوا الكسبيات وذلك للشكر وانعم الله فى حقكم هذه الاطوار المختلفة الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله
ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالياء والتاء الطير هنا جمع طاير والجو الهواء المتباعد من الارض ولا ممسك لهن فى الجو الا الله حيث خلقها
مذللات للطيران وفيه اشعار بان الله سبحانه خالق الافعال وما قيل ان الاضافة الى نفسه لانه اعطى الآلات خلاف الظاهر وهو من جملة ادلة
قدرة الصانع فان مشاركتها فى ثقل الجسد يقتضى السقوط حيث لا علاقة ولا دعامة لكن لما خلقها خلقة يتمكن بها للطيران وخلق الجو بحيث يمكن
الطيران فيه وامساكها فيه على خلاف طبعها وذلك بان خلق الهواء خلقة لطيفة دقيقة سهل النفاذ فيه واعطى للطير جناحا يكسره مرة ويبسط
اخرى كالسابح والتقييد بالمؤمنين لانهم المنتفعون به والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين السكن ما ينقطع اليه من بيت آجر او حجر وخيمة ونحوها والانسان يسكن اليه فهو المسكن
قال جاء الشتاء وكنا لم نجد سكنا يا ويح نفسى من حفر القراميص وجعل من جلود الانعام قبابا من ادم ونطع وقيل النابتة على الجلد من شعر وصوف
تجدونها خفيفة يوم سفركم وثباتكم فى منازلكم فيخف عليكم ضربها اى فى الاوقات كلها اذا حمل اليوم على الوقت وقرئ ظعنكم بفتح العين ومن اصوافها
عطف على بيوتكم اى وجعل لكم من اصواف الضائنة والاشعار الماعزة واوبار الابل اثاثا ما يفرش ويلبس واحدها اثاثة وقيل اجتماع بعض المتاع
الى بعض حتى يكثر وان فسر بمتاع البيت كما قيل فعطف متاعا من عطف الاعم على الاخص للتتميم بالتعميم ان لم يرد بالمتاع ما يباع منه والى حين اما
وقت قضاء الوطر او ان يبلى او يموت صاحبها والتنكير للتعظيم يدل على الاخير والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم
سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين الاكنان جمع كن وهو ما يستكن به
والحمل على الكهوف من البيوت المنحوتة فيها اولى لانها اقرب الى جعل الله والسرابيل كل ما يلبس من ثوب متخذ من صوف وكتان وقطن ودرع وقيل
القميص جمع سربال وبرده تقيكم بأسكم وذكر الحر يغنى عن البرد او لانه خاطب به العرب وهم يستريحون الى البرد والبأس الحرب فان الدرع
ينتفع بها فيها ومعنى كذلك انه كما اتم هذه النعم المذكورة يتم ساير النعم عليكم ولعل للرجاء منا اى ينظرون فى تلك النعم فينقادون له وما يقرأ تسلمون

من السلام اي تشكرون فتسلمون من العذاب او من الجرح بالدرع او بالنظر في آياته فتسلمون من الشرك فان اعرضوا ولم يقبلوا منك فقد مهدت العذر
بعد ما اديت ما وجب عليك من الابلاغ • يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • يريد ان المشركين يعرفون ان الله هو المنعم الحقيقي اذ هو الخالق لها
ثم ينكرون تلك النعم حيث اشركوا غير الله معه في العبادة او انها من الله بشفاعة آلهتنا وقيل قولهم ورثناها من آبائنا ولعل الاشارة الى قولهم اوتيته
على علم عندي وقيل لولا فلان لما اصبت ذلك من غير ان يجعل الله سببا في الاصابة واكثرهم الجاحدون عنادا او تقدير نعمة النبوة على التخصيص كما قرر
لا دليل عليه وثم للتفاوت فان من حق من عرف النعمة ان لا ينكرها وجاز ان يكون للمهلة اي عرفوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انكروها والجمهور على ان المراد
بالاكثر الجميع وقيل لان فيهم من لا يتاتى منه الانكار كالصبي والمجنون او المراد الجاحد المعاند وقد كان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بنبوته
ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون •
اي يوم القيمة نبعث نبي كل امة شهيدا عليهم (يشهد عليهم) بما فعلوا من ايمان وكفر وتكذيب ثم لا يؤذن للكافرين منهم في الاعتذار عبر عن عدم الحجة بعدم الاعتذار
لانه بها يحصل او في الرجوع الى الدنيا او في الكلام ومعنى لا يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يطلب منهم الى ما يرضى الله فانها الدنيا دار العمل والعقبى
الرضا ويوم منصوب بمقدر نحو اذكر او وقعوا في العذاب واذا راوا جهنم وعذابها لم يخفف عنهم وفيه دليل على ان العذاب لا يتاخر عن رؤيتها
ولا يمهلون ولا يؤخرون • واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون • المراد بها الاصنام ومعنى شركاؤنا آلهتنا التي سميناها شركاء او ان حمل
على الشياطين انهم شركاؤهم في المعنى والاول اولى باعتبار نسبة العبودية اليهم ولقوله تعالى حكاية عنهم بل كانوا يعبدون الجن والثاني
باعتبار النطق وقولهم انهم لكاذبون للاشارة الى انهم عبدوا اهواءهم او انهم كاذبون في نسبتنا الى انا شركاء الله او في انهم حملوهم على الكفر
ملزمين اياهم عليه وهذا بعد انطاق الله اياهم وقيل هذا في عزير والمسيح والملائكة لما راوهم في الجنة وهم في النار والتكذيب باعتبار نسبة دعائهم
الى الشرك ومعنى القاء السلم الى الله استسلام الكفار يوم البعث وقيل استسلامهم بالذل لحكم الله وبطل عنهم ما زعموا من ان لله شركاء او انهم شفعاء
بل هم منهم برآء فضاع سعيهم وخاب عملهم • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • اي يزيد عذابا
على عذابهم بسبب كفرهم وصدهم الناس عن الايمان او المسجد الحرام فمضاعفة كفرهم اقتضت مضاعفة العذاب كحيات وعقارب كالبخت والبغال
او الزمهرير الذي يهربون منه الى النار وحمل الافساد على الصد وان ناسب السياق لكن لما كان لهم فساد غيره واللفظ يحتمله فالحمل عليه مناسب
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم ثم جئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين •
اضافة نبي كل قوم اليهم لانه كان يبعث منهم وقيل من بني آدم وجئنا بك يا محمد شهيدا على امتك ولعل ذكر على دون اللام لما فيه من التهديد المناسب
لهذا المحل او لمناسبة الاستعلاء فانه كالمهيمن عليهم ونزلنا ان حمل على الحال فبتقدير قد والظاهر الاستيناف والتبيان البيان البالغ نهاية
البيان والشيء ما يتعلق بامر الدين فانه مذكور اما بالتفصيل او بالاجمال كالمستفاد من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما ينطق عن الهوى
فيما يتعلق بامر الدين او بالقياس وكذا الاجماع الذي دل عليه الكتاب والسنة فهو تبيان لما عداه وتبيانه اصول الدين فمعلوم منه ومن استدل
على ثبوت الاجماع به ادعى انه لا بد لكل زمان من شهيد وهو جايز الخطاء والا افتقر الى آخر ويتسلسل فثبت انه لا بد من قوم يقوم بهم الحجة
وذلك الشهيد لا بد وان لا يكون مو

الزمان لا يخلو من شهيد على الناس
وذلك الشهيد لا بد وان لا يكون جايز الخطا

وهم

وهم اهل الاجماع وقيل اعضاء الانسان ورده القاضي بانه لا يقال للعضو انه من الامة وقد قال تعالى من كل امة ولقائل ان يقول لما ثبت شهادة الاعضاء
فالمراد بعض عضو بعض الامة مجازا وهو هدى ورحمة لكل احد وان لم يهتد ولم يرحم به لاعراضه عنه وبشرى للمسلمين خاصة لاتباعهم اياه
ويحتمل ان يقال هو بشرى لكل ان آمن به لئلا يتفكك النظم • ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون • العدل يحصل برعاية التسوية والانصاف وذلك شامل لكل امر ففي الاعتقاد بالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشبيه وعدم
التعذيب والتخليد وفي الاعمال بالكسب وهو ان عادة الله جرت بايجاد الفعل عند جزم العزم وهو متوسط بين الجبر والقدر وان صفاته غير حادثة
ولا متغيرة والتعبد على الوجه المذكور متوسط بين الترك الكلي والرهبانية والجود المتوسط بين البخل والتبذير ولذلك ذم التهور والجبن بخلاف الشجاعة
المتوسط بينهما ويحتمل ان يقال من جملة ما تتناوله رعاية استعمال القوى البدنية والنفسانية فيما امر الله به ومنه يعلم لزوم رعاية العدل
بين اهل المنزل والمدينة كما قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وايضا قلما يخلو الفرايض عن نوع خلل فينجبر بالنوافل
وقد ورد في الخبر الصحيح انه يجبر متروكات الفرايض بالنوافل يوم القيمة وقيل الصبر على الاوامر والنواهي وقيل نفع لا ضرر فيه وقيل العفو وما
امر به اعطاء القرابة المال بقدر الحاجة فان فيه صلة الرحم والفحشاء قيل الزنا وقيل البخل وقيل يتناول قبيح القول والفعل وقيل ما فيه حد
والمنكر ما ينكره العقل او ما يكره من اثارة القوة الغضبية كما ان الاول من القوة الشهوية وقيل ما لا يعرف من شريعة نبي او يكره ظهوره والبغي
قيل الكبر والظلم وقيل الاستيلاء والاستعلاء على الناس فان فسر بالظلم فمن عطف الاعم على الاخص للتعميم والا فبالعكس للاهتمام والتكبر نوع شيطنة
قال في الانوار هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد شر من الانسان الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بواسطة هذه الثلث يعني الشهوية والغضبية
والوهمية ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام ابن مظعون وروي عن عثمان بن مظعون عن النبي عليه السلام
ان جبريل قال يا محمد ان الله يامر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرايض وذي القربى القرابة والفحشاء الزنا والمنكر
ما لا يعرف في شريعة وسنة والبغي الاستطالة والله سبحانه خلق في الانسان القوة الشهوانية وهي بهيمية يتولد الفحشاء ومنها ان لم يدعها
في المباح وغضبية هي سبعية يتولد منها المنكر ان لم يستعملها بطلب الرياسة فيما امر الله به من دفع الظلم ووهمية شيطانية فلها ويحتاج
الى تهذيبها بخلاف العقلية الملكية فانها قدسية علوية يامر بالعدل كما سبق ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة
فيناسب بعد تلك الآية واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون • عهد الله كل تعهد
يلزمه الشخص باختياره او البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام او اليمين بالله وهذا يختص بما لا يكون الحنث اولى وقيل كل ما يجب الوفاء
بمقتضاه وادلة العقل والسمع اكد فيما يدلان عليه نهي عن الحنث في الايمان بعد الامر بالخير والنهي عن الشر ليعلم بالتخصيص المبالغة في رعايتها
واكد ووكد فصيحان والهمزة بدل من الواو والمراد توثيقها وهي تعم ايمان البيعة وقيل فيها نزلت او في حلف الجاهلية والتعميم اولى واليمين الغموس
قيل ليست من الايمان لانها لا تفيد البر والحنث ولو كانت يمينا لقبلت للآية والكفيل الشاهد والرقيب لان الكفيل كالمهيمن على المكفول المراعي
لحاله ويقول الحالف عند حلفه الله راع علي كفيل ان افعل كذا والله كفيل بالوفاء او يكفل بالجنة لمن وفى به والله عالم بافعالكم فيعلم الوفاء ونقض العهد
فهو تهديد • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم
يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون •

وكانت خرقاء ... كانت تغزل ... تنقض ... امراة سوداء

خطاب لناقضي العهد على طريق ضرب المثل اي لا تنقضوا العهد كريطة بنت عمرو او انه امراة صنعت هذا والغزل المغزول وكانت حمقاء كانت قد اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الصوف وغيره الى نصف النهار ثم تامر بنقض المغزول

من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت فتلها من بعد الاحكام انكاثا طاقات جمع نكث الغزل من الصوف والشعر يبرم وينسج وهي حال من غزلها او مفعول له

لنقضت فانه بمعنى صيرت تتخذون حال من ضمير لا تكونوا او في الحال الذي اقيم مقام الجر واصل الدخل ما يدخل في الشيء ولم يكن منه اي لا تكونوا متخذي ايمانكم

دغلا ومفسدة او خيانة ومكرا ان تكون امة هي اربى من امة اي ازيد عددا اي تغدروا بقوم لقلتهم بعد المحالفة كانوا كانوا يحالفون قوما فاذا وجدوا اكثر واعز حالفوهم لكونهم

اكثر فالتقدير بان يكون او لان يكون اربى والضمير في به لان تكون اذ المعنى ويختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بالعهد بالعهد او تغترون

بالكثرة وقيل لاربى والامر بالوفاء وقيل بالعز والذل او الغنا والفقر او العهد او القلة والكثرة نظرا الى المعنى والتبيين يوم القيمة

بالمجازاة على الاعمال ففيه تهديد ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون اي

ولو شاء الله ان يجعلكم متفقين على الاسلام لالجاكم اليه ولكن يضل من يشاء ضلالته ويهدي الى الحق من يشاء هدايته وهو دليل على المعتزلة

وقولهم ولتسئلن دليل على ان المراد خذلان من صمم على الكفر لانه لو لم يكن كذلك لما اثبت لهم عملا كما ترى ليس بشيء لان المنع ظاهر لا سيما على القول

بالكسب الذي هو اصح القولين وكذا قولهم لالجاهم ولكن ما الجاهم وفوض الامر الى اختيارهم لئلا يبطل التكليف والسؤال سؤال مجازاة وتبكيت

ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ذكره مصرحا بعد ذكره مضمنا

في النهي عن التشبيه اكد والمراد ان يجعلوها وسيلة الى قطع اموال المسلمين كذا قيل ولعله فتزل اقدام المتخذين عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها

فيستعقب ذوق السوء في الدنيا بسبب الصد عن سبيل الله والخروج عن الدين او صد الغير لان نقض ايمان البيعة المستلزمة للارتداد

قد يستن به غيرهم او اليأس عن الايمان بالله ولفاعله العذاب العظيم وتنكير القدم وتوحيدها لاستعظام الضلال فانه اذا كان هذا حال القدم

الواحدة فكيف بالكثير والذاهب الى التخصيص لئلا يلزم التكرير من غير فائدة وهو مثل يضرب لكل من وقع في بلاء بعد عافية ومحنة بعد نعمة

في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم

باحسن ما كانوا يعملون خطاب لقوم بمكة من ضعفة المسلمين قصدوا النقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شاهدوا من ايذاء قريش

المسلمين ووعدهم اياهم على الرجوع عن الاسلام بشيء من الدنيا وهو المراد بالثمن القليل وباعتبار عموم اللفظ لعل التعميم اولى وتعليل النهي بان

ان ما عند الله من اظهار الاسلام وحصول الغنيمة وثواب الآخرة خير مما عندهم من اعراض الدنيا وتمم ذلك بان ما عندهم ينفد ينقضي ويفنى

وما عند الله من خزاين النعم والرحمة لا يزول ولا يفنى فكذا نعيم اهل الجنة وهو حجة على جهم بن صفوان ومما رغبهم في الصبر على مشاق الاسلام

واذى الكفار قوله تعالى ولنجزينهم من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون تبيين من

بذكر الذكر والانثى مع تناوله لهما للتصريح بمشاكلة حال الانثى بحال الذكر لانه في الذكر اظهر والحمل عليه هو الكثير ولقائل ان يقول لعل فائدته بيان

ان عبادة الانثى وان كانت اضعف وانقص سوى جزاؤها بعبادة الذكر لان ضعف فاعلها يقتضي شدة مشقتها لا سيما ونقصان عقلها

يقتضي التكاسل فيها والحيوة الطيبة قيل في الدنيا لتعقيبه بقوله ولنجزينهم وهو الرزق الحلال الطيب وعبادة الله مع اكل الحلال او القناعة

وهي

وهي اطيب من عيش الكافر لانه يعلم ان اللذات الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بها ولا يكثر غمه بفواتها وايضا قلبه مملو بنور الله منشرح به فلا يتسع الاحزان

بسببها وقيل في القبر قبل الحشر والآخرة شاملة لها ايضا وقيل في الآخرة وعلى الاول المراد ان يرزق الحلال ويوفق لصالح الاعمال ويصان

عن الهموم والآفات وعلى الثاني الجنة ولقايل ان يحمله على القسمين ولعل نظر الاول الى نحو ولو ان اهل القرى الآية ولئلا يلزم نوع تكرار بقوله

ولنجزينهم وقيل القناعة وهي للصالح الفقير والطالح في اعتباره ظاهر ان حيوته منغصة وفي يساره حرصه كذلك فان قيل ما معنى الباء ان كانت

السببية لزم ان لا يجازى بغير الاحسن وهو باطل وان كانت للتعويض والبدلية نحو اشتروا به ثمنا قليلا فاوجه جعل هذا القسم مجازيا به دون غيره

قلنا لعل المراد ان عمله وان لم يكن كله احسن الاعمال يجعله الله من احسنها باعتبار ترتب الجزاء عليه فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ذكر في وجه الربط انه للايذان

بان الاستعاذة من جملة صالحات الاعمال ولعل الاولى ان يقال انه من باب بيان الاخص بعد الاعم وذكر الاستعاذة لتعليم كيفية القراءة

ومنهم من حمله على ظاهره بمعنى انه تستعيذ بعد القراءة وهو قول جمع من الصحابة والتابعين وما قيل انه على التقديم والتاخير اي اذا استعذت بالله

فاقرا تعسف لا سيما والمقصود دفع وساوس الشيطان فلا يحصل الا بالتقديم مثل قوله اذا قمتم الى الصلوة وذكر الفعل بدل الاعلى ارادته للزوم حصوله

عند القصد والارادة وذكر الشيطان والمراد به ابليس المطرود او المرجوم بالشهب او انه يرجم بني آدم بالشهاب لان مكايده محذورة في كل حين

لا سيما عند القراءة وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح لما في لفظ الله من المعنى المناسب

لطرد الشيطان وفي المفاتيح ان الاقرب ان المراد المردة من الشياطين فان قيل فاذا لم يكن له سلطان على كل المؤمنين بل على الذين يتولونه فاوجه

تعميم ندبية الاستعاذة قلنا بالحاجة الى الالتجاء الى الله سبحانه في كل حال فان عدم سلطنته ايضا بارادة الحق سبحانه وسلطانه اغواؤه والمؤمن

المتوكل يدفع وساوسه بخلاف من يحبه ويتبع وساوسه وفايدة الاستعاذة يظهر لمن علم كونه ضعيفا لا يمكن تحفظه من الشيطان الا بعصمة الله

ولهذا قيل لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله والضمير المجرور للرب وقيل للشيطان لانه المسبب للشرك

واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى

وبشرى للمسلمين اي اذا نسخنا آية فانزلنا مكانها اخرى بان يقتضي المصلحة كالمنع من القتال عند الضعف والامر عند القوة قال المشركون

انه متقول يقول من تلقاء نفسه حيث يامر اصحابه اليوم بامر ثم ينهاهم عنه غدا فهو يسخر باصحابه ففيه جوابهم بل تنسخ شريعة باخرى لان الله اعلم

بحال الناسخ والمنسوخ واكثرهم لا يعلمون حالهما باعتبار ترتب المصلحة وروح القدس جبريل عليه السلام ووصف بالقدس الذي هو الطهارة

عن النقص المعنوي نحو حاتم الجود اي الروح المقدس وحاتم الجواد وقرئ القدس بتخفيف الدال وبالحق حال اي ملتبسا بالحق فيعلم ان النسخ حق

ولعله لان المنزل بدل المنسوخ ولا دلالة على ان غير القرآن لا ينسخ القرآن بل القرآن ينسخ بالقرآن غير ان الضابط ان المقطوع لا ينسخ بالمظنون

فلا ينسخ بالآحاد والقياس واما الاجماع وان كان قطعيا لكنه لا ينعقد بخلاف القرآن فلا ينسخ القرآن به وبالعكس وقيل في معنى ليثبت ليبلوهم

بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وهذا المعنى مدلول عليه بالالتزام والا فالظاهر انه علة لينزل فان التنزيل من حيث هو علة

حين

ضابطة ...

للتثبت باعتبارات شتى وهدى وبشرى للمسلمين انما جعلا منصوبين على العلة للعطف على ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشرى وقرئ ليثبت

ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله

ولهم عذاب اليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون اختلف فى البشر قيل المراد به جبر او يسار غلامين

يصنعان السيف اذا مر يقف عليهما يسمع ما يقرآنه فقيل لاحدهما فى ذلك فقال بل هو يعلمنى وقيل غلام حويطب اسمه عائش او يعيش حسن الاسلام

وكان صاحب كتب وقيل سلمان وقيل بلعام النصرانى كان يختلف الى النبى صلى الله عليه وسلم ويتعلم العلم واللسان اللغة ويلحدون يميلون اليه

يقال لحد القبر اذا مال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه وقرئ يلحدون بالفتح فالمعنى لسان الشخص الذى نسبوا التعليم اليه مايلين عن الاستقامة

لسان اعجمى غير بين وقيل هو الذى فى لسانه عجمة وان كان من العرب وهو الذى لا يفصح ويقرأ اللسان عربى بفصاحة وبيانه عجز العرب عن الاتيان

باقصر سورة منه فاخذ المعنى من غيره لا يقتضى القدرة على التركيب وايضا انه عليه السلام كيف يفهم العجمى ولغة ساير الكتب هذا وان من تامل فى اشتمال

القرآن على مسايل اصول الدين ومعظم الالهيات والنبوات وفروع الدين والقصص والامثال وما يتعلق بالسياسات علم انه لا يحصل الا من علماء

هذه الفنون مددا مديدة واشهر فكيف يستوفى ليسمع منه كلمات ركيكة مترتبة على لغة العجم ولعله لم يعرف معناها هذا وان الاخبار عن المغيبات

كغلبة الروم وغيرها لا يتعلق بذلك والعدول عن المعارضة الى هذه الكلمات الركيكة بامثال هذا الطعن ابين دليل على غاية العجز والجملتان

لا محل لهما لانهما استئنافان للبيان وآيات الله القرآن اى ان الذين لم يصدقوا بآية من عند الله لا يوفقهم الله للايمان به وانما يفترى

رد لقولهم على مشاكلة والمعنى ان الاقدام على هذا النوع من الافتراء لا يليق الا ممن لا يتوقع ثوابا ولا عقابا فى الآخرة وهو الذى لا يؤمن بالقرآن

واولئك هم الكاذبون فيه تاكيد نسبة الكذب اليهم من ثمانية اوجه كونه كالمستلزم لاعادة ذكر وصفهم بانحصار الكذب فيهم والجزع عن عدم

الايمان وبجميع الآيات واطلاقه الصالح للدوام وتوسيط ضمير الفصل واطلاق الكذب الصالح لكل نوع والتركيب من الجملة الاسمية

وايضا المعنى ان عادتهم الكذب وهم قريش والذكر بالاسم يدل على الدوام قال تعالى فعصى آدم ربه فغوى ولا يطلق عليه انه عاص وغاو

من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم

استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين هو بدل من الذين لا يؤمنون واولئك اعتراض فالمعنى لا يفترى

الكذب الا من كفر بالله بعد ايمانه واستدرك المكره فانه لم يدخل تحت حكم الافتراء المشار اليه بقوله من كفر وقيل يجوز ان يكون بدلا من الخبر

وهو الكاذبون وان ينتصب على الذم اى اعنى من كفر وان يكون مبتدا حذف جوابه لما روى ان المشركين اخذوا عمارا واباه ياسرا وامه سمية

وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما وربطوا سمية بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها واما عمار فانه اعطاهم بلسانه ما ارادوا

مكرها واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه واتى عمار يبكى

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وقيل فى جمع من المهاجرين فتنهم قريش فى طريق المدينة وعدم الموافقة

والصبر على البلاء افضل لما فيه من اعزاز الدين وايضا لما اخذ مسيلمة رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال وما تقول فى قال

انت ايضا والآخر اظهر الصمم ولم يوافقه فقتله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق صدعا

اول قتيلين فى الاسلام



وطمانينة القلب على الايمان سكونه عليه ولا ينافيه التلفظ بكلمة الكفر وفيه اشعار بان الايمان التصديق القلبى ويدل عليه قوله تعالى كتب فى قلوبهم

الايمان ثم استثنى من المكره من اعتقد الكفر وطاب به نفسا والاجماع على انه يجب ان تبرأ طيبه عن الرضا بالكفر عند تلفظه به فيعنى بحمد آخرا ويذكر

على وجه الاستفهام ومعنى قوله ولكن من شرح انه قبله على انشراح صدر فصدرا منصوب على التمييز ويكفى فى الاكراه التخويف بالضرب الشديد

وينبغى ان يقيد بصدوره ممن يغلب الظن قدرته وكذلك فى وقوع الطلاق ولا يقيد بالاكراه على القتل بل بقتل المكره لان المحذور منه لا يكون

اعظم منه وانما كان له الغضب والعذاب العظيم لان ذنبه اعظم الذنوب وذلك اشارة الى الوعيد اى استحقاقه لهما بسبب ايثارهم الدنيا

على الآخرة وان الله خذلهم فلم يهتدوا الى الحق اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة

هم الخاسرون الطبع سبب لعدم قبول الحق والتامل فيه وهو قريب من الختم فهم الكاملون فى الغفلة حيث اغفلوا تدبر العواقب وهى اهم الاشياء

واستلزم ذلك ان يكونوا كاملى الخسارة حيث صرفوا اعمارهم فيما ادى بهم الى الخلود فى النار وحرموا الفوز بالخيرات والسعادات فان الانسان

كالتاجر فى الدنيا يشترى بطاعته سعادة الآخرة فاذا حصلت الموانع منها عظم خسرانه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا

ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اى الذين عذبوا كعمار فالله ينصره عليهم

وعلم ذلك من اللام يقال الملك لفلان لا عليه فهو لحميه وذلك من بعد ما فتنوا بالعذاب للاكراه على وقرئ على بناء الفاعل اى بعد ما عذبوا المؤمنين

كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا وثم للتفاوت بين حال الفريقين وحالهم انهم جاهدوا العدو وصبروا على الجهاد حيث اسلموا

وهاجروا وقيل فى عبد الله بن سعد بن ابى سرح ارتد فامر عليه السلام يوم الفتح بقتله فاستجار له عثمان ثم اسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية يتوقف

على كون الآية مدنية وساير الكفار فان الله بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما صدر منهم قبل ذلك رحيم يخصهم بصنوف النعم مجازاة على

صنيعهم من الردة والشك فى الرسول صلى الله عليه وسلم وعامل يوم الرحيم او مقدر نحو اذكر ذكر فى الكشاف فى بيان تعدد النفس انه يقال

لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة اعنى بدن الحى والثانية عينها وذاتها كانه قيل يوم

ياتى كل انسان يجادل عن ذاته ويعتذر عنه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسى نفسى قيل هذا اذا زفرت جهنم زفرة لا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب

الا جثى لركبتيه وهذا الكلام كما ترى مشعر بانه لا مغايرة بينهما فى الحقيقة والمغايرة ظاهرة فيحتمل ان يريد بالنفس الاولى المشار اليه بقوله انا

وبالثانية البدن فان الانسان عبارة عنه عند المتقدمين والمراد بالمجادلة نحو هؤلاء اضلونا والله ربنا ما كنا مشركين ولا ينفعه ذلك

بل يعطى كل نفس جزاء فعلها وافيا ولا يظلمون بنقص شئ منه لا يقال هذه الآية تدل على عدم الشفاعة لان الله تعالى يوصل الى كل احد ما عمل

من غير نقصان لان هذا العموم معارض بعمومات اثبات الشفاعة فيوفق بينهما بالتخصيص وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها

رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قيل القرية مكة والاولى الحمل على غيرها

لانها ضربت مثلا لمكة فتكون غيرها وقيل المدينة وقيل بلدة عظيمة قديمة كفر اهلها فجرى عليهم ذلك وقيل قرية مقدرة على هذه الصفة ومن صفتها

ان اهلها كانوا آمنين من الحرب والقتل وقيل المراد الكفاية والشبع مطمئنة لا انزعاج معها لانتفاء الخوف المقتضى له وقيل المراد الصحة تاتيها

اقواتها وموادها كثيرا واسعا بلا تعب من جميع النواحى ووصف القرية للنظر الى اهلها كما يقال قرية طيب وحار فان اريد انها مكة فمن اليمن والشام

ستجاب الى القصح ... الايمان لا ... نفسه خير ... ربه ان تكلم ... افترب ... ذكرنا او قتل ... ولم يبح ... النقول

والجنة لدعوة ابرهيم عليه السلام فاجعل افئدة الآية والكفر بانعم الله بمحمد والقرآن والاسلام وهو جمع نعمة كشدة واشد وقيل جمع نعماء كبأساء
وابؤس او جمع نعم كطعم ويدل عليه انه نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموسم هذه ايام طعم ونعم فلا تصوموا وذكر جمع القلة للاشعار بالادنى
على الاعلى لانه اذا كفران القليل يوجب العذاب فالكثير اولى الاذاقة استعارة لما يلحق الانسان من الشدائد بل صارت كالحقيقة لشيوعها فيها
يقال ذاق فلان البؤس واذاقه العذاب والعلاقة التشبيه بما يدرك من اثر الضرر بما يدرك من طعم المر وعلاقة اللباس التشبيه به لاشتماله على اللابس
ما غشي الانسان والتبس به من الحوادث فاستعمال الاذاقة في لباس الجوع والخوف فبالنظر الى ما يغشاهم من الجوع والخوف قال ومن يذق الدنيا فاني
طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها وتارة ينظر في نحو هذه الاستعارة الى المستعار وتارة الى المستعار له نحو قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال
لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له ومثال الثاني وهو النظر الى المستعار قوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر فلفظ الاعتجار للنظر الى المستعار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف
ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا ولحوق هذا العذاب بسبب صنيعهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين افرطوا في اذاه
فقال اللهم اشدد وطاتك عليهم واجعلها سنين كسني يوسف فقطع الله عنهم التجارات والامطار فقحطوا سبع سنين حتى اكلوا العلهز والجيف
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون رجع الى بيان حال اهل مكة بعد ضرب المثل بذكر الممثل له وحال تكذيبهم اياه والتكذيب
مع كونه من نسبهم يعرفون حاله في الامانة والصدق كما سبق او القتل يوم بدر وهم ظالمون حال من المفعول اي متلبسين بالظلم نحو توفاهم الملائكة ظالمي
انفسهم
وفائدته بيان استمرار الظلم الى لحوق العذاب وهو الجوع بمكة او القتل يوم بدر والاول اولى لقرينة الجوع كانه قال اتركوا الكفر فكلوا فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ذكر في المناسبة انه امرهم باكل الحلال والشكر بالانعام بعد الزجر وقيل الخطاب للمؤمنين عن الكفر
والتهديد بالتمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا عن افعال الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ولعل الاولى ان يقال انهم لما عذبوا بالقحط بسبب التكذيب
قال لهم لا تكذبوا فتحرموا الرزق الحلال بل آمنوا ليرزقكم الله الحلال الطيب ثم اشكروا فان للنعم احتجة تقص بالشكر ويدل على ما ذكرنا
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم كلمة انما يفيد الحصر فلما امروا باكل الحلال عدد المحرمات ليعلم ان ما عداها حلال فان قيل فالمحرمات لا تنحصر
في المذكورات فكيف ساغ ذكر انما قلنا لما ذكر النصوص على حرمة ما عداها علم ان المراد سوى ما علم بغيره او اراد الزجر عما كانوا يتعاطون الصيغة
ابلغ وذكر في المفتاح ان المحرمات منحصرة فيما ذكر في السور الاربع والحصر فيها شرع تام في اول مكة واخرها واول المدينة واخرها لانها ذكرت
في اربع سور سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان والجواب ما سبق فان من جملة المحرمات كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير
ولم يذكر في السور ووصف ما سبق في المائدة من تحريم السائبة وغيرها والكذب منصوب بلا تقولوا ويجوز نصبه بتصف وما مصدرية
ويكون هذا حلال وهذا حرام متعلقا بلا تقولوا اي لا تقولوا ذلك لوصف السنتكم وجعل وصف الالسنة من قبيل فوطم وجهها تصف الجمال وعينها تصف السحر

كان قولهم

كان قولهم عين الكذب والقول الاولى ان يجعل من قبيل قوله سبحانه كبرت كلمة تخرج من افواههم فان ما لا يرجع الى اصل ولم يكن له اصل لا يضاف الى
مجرد التلفظ ويقرأ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع والنصب صفة للالسنة وعلى الذم بمعنى الكلم الكواذب وهذا من
فصيح الكلام كان ماهية الكذب مجهولة وكلامهم الكذب يكشف حقيقة الكذب ويوضح ماهيته قال سرى برق المعرة بعد وهن فبات براحة يصف الكلالا
واللام في لتفتروا يصلح للعلية فانهم نسبوا التحريم الى الله وقيل للعاقبة والاول يستلزم الثاني دون العكس وذكر عدم فلاح المفترين لان ظاهر
القصد في ذلك الفلاح اما دينا او دنيا او كليهما فبين ان لا فلاح له فانه وان حصل مطلوب ما فهو قليل ومتاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم
متاع قليل ولهم في الآخرة عذاب اليم جزاء لقولهم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان
ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم الاشارة الى قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن قبل وان كان الظاهر تعلقه بقصصنا قيل متعلق بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم عليهم بل هو مسبب من فعلهم حيث فعلوا ما عوقبوا عليه
والفرق بينهم وبين غيرهم ان التحريم بالنسبة اليهم للعقوبة على معصيتهم والى غيرهم للمضرة وبجهالة حال اي عملوا السوء جاهلين غير عالمين بعقاب الله
غير متدبرين للعواقب لغلبة الشهوة والشباب وقيل بداعي الجهل والمعصية ما لم يصر الشهوة غالبة للعقل والعلم لم يصدر عنه تلك المعصية فالسوء
لا يصدر الا بجهالة ثم ان ربك بعد التوبة او بعد الجهالة لغفور لما بدا منه من السوء وان كان قد اقدم على الكفر والمعاصي دهرا ان ابرهيم كان امة
قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين اي يأتم به
اهل الدنيا لانه كان معلم الخير فيؤتم به الناس وعن ابن مسعود ان معاذا كان امة قانتا لله فقال الاشجعي غلطت انما هو ابرهيم فقال الامة الذي
يعلم الناس فهو بمعنى المأموم او مؤتم به كالرحلة والنخبة بمعنى المفعول فهو مثل اني جاعلك للناس اماما والامة الامام بلغة قريش او المراد انه
لاستجماعه صفات الكمال والخير امة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد او انه كان مؤمنا وحده كما قال عليه السلام في قيس بن ساعدة
يحشر يوم القيامة امة وحده وعن شهر بن حوشب لم يبق الارض الا باربعة عشر يدفع بهم عن اهل الارض الا ابرهيم عليه السلام فانه كان وحده فان قيل
الحمل ايهما اولى قلنا الاول ادخل في العربية بالنظر الى الحقيقة والثاني باعتبار المبالغة وان الظاهر استلزام الثاني الاول دون العكس
فهو اولى والقانت المطيع الدايم على الطاعة الحنيف المايل الى ملة الاسلام غير الزايل عنه وقيل المستقيم وقيل الحاج وكان اكثر ميله الى تقرير علم
الاصول كما ظهر في البحث مع نمرود وابطل عبادة الاصنام والكواكب ومن وقف على علم القرآن علم انه كان غرقا في بحر التوحيد وتعلق علم المؤمن غير المشرك
لتكذيب قريش حيث زعموا انهم على ملة ابيهم الانعم وان كان نعم اذ ان القلة الا ان المراد الكثرة وايضا اذا كان شاكرا للقليل فكيف بالكثير
ومن جملة شكر ابرهيم عليه السلام لنعم الله ما روي انه كان لا يتغدى الا مع الضيف فلم يحضره احد في بعض الايام فرأى فوجا من الملك فدعاهم الى الطعام
فخيلوا ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم على انه عافاني شكرا لله على انه عافاني اجتباه اختاره الله للنبوة وهداه الى ملة الاسلام والمراد
بالمستقيم اي في الدعوة الى الله والترغيب في الحق والتنفير عن الباطل دون التهود والتنصر وحسنة الدنيا لسان الصدق الذي سأله بقوله
واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو الصيت الحسن كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقيل النبوة او ان كل الملل يحبون اليه او الولد الطيب
وقيل قول المصلي كما صليت على ابرهيم ولعل الحمل على ما يصدق على جميع ذلك اولى وهو في الآخرة من جملة الانبياء او من اهل الجنة

فان قيل من ثبت نبوته استحال تغير حاله فما فائدة ذكره قلنا لانه من جملة النعم التي تستدعي الشكر وزوالها غير مستحيل عقلا فهو من فضل الله
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اى ثم اوحينا اليك يا محمد ان اتبع دينه في التوحيد والدعوة اليه برفق وقيل كان على
شرعه ومبعوثا لاحيائه وبيان الادلة والمجادلة بالتي هي احسن وثم اما لابانة قدره والاشعار بان اعظم ما اوتي ابرهيم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا القول ضعيف جدا
باتباع دينه او للتراخي زمانه عن زمان النبي عليه السلام فان قيل الملة الدين وهو جميع ما كان يدعو اليه من الاصول والفروع فلم يكن دين النبي عليه السلام
ناسخا لدينه قلنا لزم الحمل على ارادة الاصول كما ذهب اليه المحققة من الاصوليين توفيقا بينه وبين ما دل على كون دينه ناسخا لدينه باعتبار بعض فروعه
انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ذكر في وجه المناسبة ما سبق في ذكر القرية من التحذير عن المعاصي
ويحتمل ان يكون للرد على اليهود حيث قالوا ان ابرهيم كان يهوديا وهو يناسب التقدير الاول وانما عدي بعلى اذ التقدير انما فرض السبت
او لان السبت باعتبار ارتكابهم المعاصي فيه او الاختلاف بان حلل الصيد فيه بعضهم وحرمه آخرون او كان القوم الذي يجب عليهم العبادة فيه
الجمعة او الاحد فقالوا نريد ان يكون اليوم الذي فرغ الله عن الخلق او وبال ترك تعظيمه وهو المسخ والمعنى بالحكم مجازاة كل فريق بما يجب عليه من التحليل
والتحريم واصل السبت من قولهم سبتت اليهود اذا عظمت سبتها ثم لما بين حال الامة السابقة وما اصابهم وبحثهم في الآخرة خاطب النبي صلى الله عليه وسلم
بان يدعو امته من الاسلام ببيان الدليل المبين للحق المزيح لشبهة الخصم ولا ينافي ما قيل بالنبوة والموعظة اما القرآن وقيل كلاهما القرآن ولا ينافي
ارادة ما يظهر لهم منه النصح والنفع لهم ويناسبه ما قيل من ارادة معرفة مراتب الاعمال وخلط البشارة بالنذارة باللفظين والمجادلة الحسنة
طريقة البحث باللين من غير مغالطة وغلظة كما قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك او على قدر ما يحتملون لقوله صلى الله عليه وسلم
امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم والجدل يكون على وجهين احدهما ان يكون الدليل مركبا من مقدمات مسلمة عند الخصم والثاني
ان يكون مركبا من مقدمات باطلة ويراد الترويج على الخصم بالطرق الفاسدة والحيل الباطلة والمجادلة بالاحسن الاول والطالب للمعارف اما ان يكون له
مستعدا لدرك الحكم والحقايق والبحث معه بالحكم المحضة او يغلب على طبعه المخاصمة والمشاغبة وطريق البحث معهم الالزام واليه اشار بجادلهم
او يكون بين الدرجتين وهو المقصود بالمخاطبة معه بالموعظة الحسنة وهذا بحسب استعدادهم بالاشراق بالنور الالهي وعدمه وتفاوت المراتب
في ذلك والنسخ بعيد وان قيل به وبعد البيان على هذا الوجه فالله اعلم بالضالين والمهتدين ممن ينفع معه الوعظ والنصيحة ومن لا يؤثر فيه وعجزت
عنه الحيل لعدم الاستعداد فيجازيهم على حسب اعمالهم وما عليك الا البلاغ المبين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وجه الربط انه لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء الى سبيل الله وهو الاسلام فهو اولى بالاذعان وقد روي انه لما مثل احد بحمزة
ورآه وغيره ممثولا بهم قال لئن ظفرت بقريش لامثلن بسبعين رجلا فنزلت فكفر عن يمينه وايضا الدعوة لا تنفك عن مرض المعادات
وترك الشهوات واشار الى من يبايعه بالموافقة ومراعاة العدل مع من يناصبه وفيه اشعار بان لولي العقوبة ان يماثل فعل الجاني ولا يتجاوز عنه
وفي لفظ ان عاقبتم حث على العفو تعريضا وفي ولئن صبرتم حث عليه تصريحا وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والضمير يرجع الى صبرهم المدلول عليه بصبرتم

مثل اعدلوا اى ان صبرتم فصبركم خير لكم ووضع الظاهر وهو الصابرون موضع الضمير ارادة للصبر وثناء عليهم وان رجع الى جنس الصبر
فالمعنى ان جنس الصبر خير لجنس الصابرين وترك الجزع ولا صبر الا بمعونة الله ولا تحزن عليهم لانهم قالوا بما اصابهم الشهادة يرزقون
فرحين وقيل لا تحزن على الكافرين والضيق تخفيف الضيق اى امر ضيق ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقول وقرئ ضيق كالقيل وان الله
مع الذين اتقوا الشرك او المعاصي والذين هم محسنون في افعالهم او فيما رزقهم الله والمعية بمعنى النصرة والمعاونة وما ذكرنا من الحمل على ما اصابهم
في غزوة احد فانما يصح ان لو كانت اواخرها مدنية اما اذا قلنا كلها مكية فلا يصح الحمل عليه والله سبحانه اعلم وفي الآية دليل
على ان كمال سعادة الانسان في امرين التعظيم لامر الله وهو المراد بالتقوى والشفقة على خلق الله وهي المرادة بالاحسان

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير سبحان
في الاصل مصدر على زنة غفران وليس من لفظه فعل جعل علما للتسبيح كعثمان منصوب باسبح اى اسبح الله سبحانا بمعنى تسبيحا وعامله لازم الاضمار
لكثرة الاستعمال ثم نزل منزلة الفعل فقام مقامه في تنزيه ذاته تعالى عما لا يليق به مما نسب اليه الكفرة كاتخاذ الولد وفي اكثر استعماله يكون مضافا وقد جاء
منونا كقوله سبحانه ثم سبحانا وبغيرهما نحو سبحان من علقمة الفاخر وقد سبق ان اصله التباعد فمعنى سبح الله اى بعد الجناب الالهي ونزهه عما
لا يليق به والسرى والاسرى الذهاب بالليل وذكر ليلا للاشعار بتقليل مدة الاسرا لان التنكير يدل على البعضية هكذا قيل ولقائل ان يقول التنكير
يدل على التوحيد فيكون المراد انه اسرى به في ليلة بمعنى انه وقع فيها وفيه نوع اعجاز فانه مسيرة اربعين ليلة وما يقرأ من قوله من الليل اى بعض الليل
ولانه خارجية لا ينافي ما ذكرنا وذكر العبد لما روي ان الله سبحانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم حينئذ بم اشرفك قال بان تنسبني الى نفسك بالعبودية
والاسرا كان من عين المسجد وقيل اسم لجميع بلد مكة فقيل انه كان من بيت ام هاني بنت ابي طالب ودليل الاول ما روى انس انه قال بينا انا عند البيت
بين النايم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول قم يا محمد فجلست فلم ار شيئا فرجعت الى الضجعي حتى جاء الثالثة فاخذ بعضدي واخرجني الى باب المسجد
وحديث المعراج قد اختلف فيه انه اسرى بجسده او بروحه في المنام والاكثر على الاول لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وهذا لا ينافي ما سبق انه كان من الحرم فان كله يسمى مسجدا او لانه محيط به ليطابق المبدأ الذي هو منقطع
الحل للمنتهى الذي هو المسجد الحرام المنتهي وهو المسجد الاقصى وفائدته تعظيم المكان حيث يطلق عليه المسجد وان لم يكن ثم قال لام هاني مثل لي النبيون
وصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد طائفة وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعددها واحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واذا حملنا على قول الاكثر فالمنقول انه عرج الى
السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى قال في الانوار تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس
ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام

ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم
او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات لاسيما والاستعجاب كالاستعجاب لنزول جبريل من العرش الى مكة فى لحظة والقول باستناعه طعن فى نبوة
جميع الانبياء وكذلك امر انتقال ابليس من المشرق الى المغرب لالقاء الوسوسة عند من يقول انه جسم ينتقل وهو مذهب المسلمين وكذا احضار عرش
بلقيس فى رجع العين والمسجد الاقصى بيت المقدس باتفاق المفسرين وسمى بالاقصى لانه فى مقابلة الادنى من العرب او اهل مكة او النبى عليه السلام
وهو المسجد الحرام وهو بناء سليمان عليه السلام وقيل بنى بعد الكعبة باربعين عاما والبركة حوله بركة الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومعبد الانبياء
والمياه والاشجار او جعل فيه السعة فى الرزق والرخص فى السعر والضمير فى نريه للنبى صلى الله عليه وسلم والآيات هى الدالة على توحيد الله
وصدق نبوته برؤية ما رأى من السموات وغيرها اورد عليه ان ابرهيم عليه السلام ارى ملكوت السموات والنبى صلى الله عليه وسلم رأى بعض الآيات
فيكون معراجه افضل واجيب بان الآيات له لانها افضل كذا ذكره فى المفاتيح وليس بقوى لان الملكوت ايضا تدل بل الاولى ان يقال المستغنى
عن كثرة الادلة المكتفى بالقليل منها اعظم شانا كما اشير بقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اعنى الاستعداد وهو السميع لاقوال محمد ودعائه
البصير بافعاله فيجازيه عليها بحسبها ويجوز ان يتعلقا بمقالة الكفار فى حقه او انه اسمع وابصر النبى عليه السلام الآيات المذكورة • وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا • اى الكتاب الذى هو التورية ولعل وجه
المناسبة بيان ان تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليس ببدع فان موسى عليه السلام اوتى الكتاب المنعوت وقد وجد من بنى اسرائيل ما وجد وايضا
فيه تخويف لكفار مكة فان بنى اسرائيل مع كثرتهم عاقبهم الله بهذه العقوبات ان لا تتخذوا اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل وقيل هى الناصبة
وقيل زائدة وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا والمراد بالوكيل الرب اى الها تتكلون عليه فى اموركم ونصب ذرية اما على الاختصاص او النداء على قراءة
التاء او على انه احد مفعولى لا تتخذوا اى لا تتخذوهم اربابا ومثله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا لان عيسى وعزيرا من ذرية من حملهم اليه
لاسيما عند من حمله على سام لان بنى اسرائيل من نسله والصحيح ان المراد العرب والعجم ويقرأ ذرية بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من ضمير لا تتخذوا وبكسر الذال
وفيه تذكر بانعام الله عليهم بالانجاء من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة قيل الناس كلهم ذرية من سام وحام ويافث ووصف نوح بالشكور بناء
المبالغة لانه كان يشكر الله تعالى على مجامع حالاته وترتب الوصف يشعر بان الانجاء ببركة شكره وقيل الضمير لموسى كان يقول عند الاكل الحمد لله
الذى اطعمنى ولو شاء اجاعنى وفى الشرب ولو شاء اظمانى وفى الاكتساء ولو شاء لاعرانى وفى الاحتذاء ولو شاء لاحفانى وعند قضاء الحاجة
الحمد لله الذى اخرج عنى اذاه فى عافية ولو شاء حبسه وكان يوثر المؤمنين عند الافطار ان وجد هم محتاجين ووجه مناسبة الوصف بالشكر ان تركه
لا يناسب المنع من اتخاذ وكيل من دون الله ويحتمل ان يكون ذلك ارشادا للنبى صلى الله عليه وسلم ليتاسى به فى ذلك للاشتراك معه فى نيل نعم الله سبحانه
وفى الآية الالتفات من الغيبة الى التكلم للتعظيم • وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد
اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • اى اوحينا اليهم واعلمناهم على وجه القطع واخبرناهم
فى التورية وقيل فى اللوح بان الله قد قضى بانهم يفسدون وهو جواب قسم مقدر اى واقسمنا لتفسدن وصح ذلك نظرا الى تاكده وقوعه حيث كان
قضاء مقطوعا به ويقرأ على بناء المفعول وبفتح التاء من فسد والقضاء فى اللغة قطع الاشياء عن احكام ومنه فقضيهن سبع سموات

قال

قال وعليهما سرور تأن قضاهما قضاؤهما داود وصنع السوابع تبع ويستكبرون عن الطاعة ويظلمون الناس بالقتل واخذ الاموال ومنه
ان فرعون علا فى الارض واولى المرتين قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والثانية قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد
قتل عيسى عليه السلام والوعد الموعد اى وقت عقاب اوليهما ووقت اخريهما ويقرأ عبيدا لنا قيل سنجاريب وقيل بختنصر عامل لهراسف
على بابل وجنوده وقيل جالوت وبقى الى زمن داود عليه السلام قتلوا علماءهم وخربوا المسجد واحرقوا التورية وسبوا سبعين الفا منهم وقيل اربعين الفا
يقرأ التورية وذهب بالبقية وبقوا فى الذل الى ان غزا ملك اهل بابل وتزوج امرأة من بنى اسرائيل فردهم بطلبها منه وقيل كانوا قوما مؤمنين لان الله تعالى
اضافهم الى نفسه والباس الشديد القوة بالعدد والعدد والباس القتال ومنه حين الباس والمعتزلة اضطروا فقالوا معنى البعث التخلية بينهم وبينهم
وهذا فاسد بحسب العربية اذ معناه خلينا هم وسلطناهم عليكم ومع ترك الظالم ليظلم مع القدرة على الدفع ظلم فى الشاهد والجوس التردد بين خلال الديار
بالفساد ويقرأ فحاسوا بالحاء فهو بمعناه وجوسوا وكان ذلك الوعد لا بد وان يفعل لما سبق من تعلق القضاء المبرم به وفى المسئلة دليل على القول بالقضاء
والقدر لان الله تعالى اخبر عنه بقضينا وهو الحكم الجزم وعدم الوقوع يستدعى انقلاب الصدق كذبا وهو محال لقوله تعالى بعثنا وكان مشتملا على الظلم والمعاصى
والخير والشر من الله تعالى والقول بالتخلية بينهم خلاف الظاهر • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا • الكرة
الدولة اى لما تبتم ورجعتم الى الطاعة نصرناكم عليهم حتى اعدتم اسراكم واخذتم اموالهم او القينا فى قلب الملك حتى ردها عليكم وقيل هو غلبة
داود عليه السلام واغناكم بالاموال وكثرة الاولاد والنفير والنفر من ينفر معك اى جعلناكم اكثر من الاعداء اعدادا او جمع نفر نحو عبد وعبيد
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا •
اى لا يتعدى احسانكم بفعل الطاعة واساءتكم الى غيركم بفعل المعاصى فعنى لها عليها لانهم مجزيون على الاحسان والاساءة وقيل فاليها
وعن على رضى الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها والآخرة صفة المرة اى بعثناهم فى المرة الثانية ليجعلوا وجوهكم
بادية آثار المساءة والكآبة فيها وقرئ ليسوء على التوحيد اى الله سبحانه او الوعد او البعث ويقرأ لنسوءن وليسوءن ولنسوءن بالنون المخففة
واللام متعلقة بقوله وبعثناهم المقدر وهو جواب اذا جاء وقيل جاء ليسوء وعامل ما علوا ليتبروا اى ليهلكوا كل شىء غلبوه او ما للدوام
وهو فى الحقيقة للمصدر اى مدة علوهم وقيل المراد اصحاب الوجوه والمسجد بيت المقدس • عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا •
اى بعد المرة الثانية ان تبتم توبة نصوحا وان عدتم الى المعاصى عدنا الى عقوبتكم فلما عادوا الى المعاصى فعاد نقم الله عليهم بتسلط الاكاسرة عليهم
وضرب الخراج عليهم او باعطاء الجزية الى النبى صلى الله عليه وسلم والحصير هو الذى يفرش اى جعلنا جهنم لهم معادا والجمهور على ان المراد الحبس
اى جعلنا جهنم حبسا لهم يحصرون فيها لا يخرجون منها ابدا او يبسط لهم كالحصير المبسوط • ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما • وجه الربط ان المفهوم مما سبق ان فعل الخير
خير الدارين والشر عكسه والقرآن يبين ذلك فيناسب البناء عليه بهمه اى يهدى للحالة او الملة او الطريقة التى هى اقوم وفى الحذف
فصاحة باعتبار حصول الدلالة واقوم اتم استواء وهى كلمة التوحيد وذكر فى المفاتيح انه ينبغى ان يحمل على مطلق الزيادة مثل الناقص والاشج
لان المراد بالاستقامة كونه حقا وصدقا ودخول التفاوت فيه محال فيكون مجازا ولقائل ان يقول انما نشأ ذلك من تفسير المستقيم بما قاله وهو فى اللغة

فقط الافعل فى كلام بعض الفضلاء يستعمل كقولنا الله اكبر اى ما الله كبير وكقولنا الناقص اعدل بنى مروان اى مستقيم

مستعمل في معنى آخر لا يلزم ذلك والأجر الكبير الجنة وقرئ يبشر بالتخفيف وأن الذين عطف على أن لهم أجرا كبيرا فيكون ذلك بشارة
ثانية بقهر الأعداء والتقدير بأن الذين وعلى مقدر نحو يخبر وقيل معنى أعتدنا أعددنا بقلب الدال تاء لقرب المخرج بشهادة الادغام
وأورد عليه سؤال وهو أنه لم يذكر العصاة وأجيب بأن في ذلك الزمان كان الناس فريقين مؤمن وكافر وإنما ظهر العصاة بعد ذلك
والسؤال غير قوي والجواب ليس بشيء لأنه لا يلزم من ذكر طائفتين من ثلث ذكر الثالثة ثم أن العصاة كانوا موجودين في كل حين نعم
يمكن أن يقال في قيد ويعملون الصالحات إشارة إلى حط رتبته وقد علم في غير هذا المقام أن المراد العقاب ويدع الإنسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا أي ويدعو على نفسه وماله وأهله عند الضجر بالشر كما يدعو بالخير وكان مقتضى اتباع القرآن أن لا يفعل
ذلك ونظيره ولو يعجل الله الآية وشأن الإنسان العجلة في كل شيء يريده من غير توقف فيه يعلم به عاقبته ومن جملته ما روي أن سودة
رحمت أسيرا لأنينه فأرخت كتافه فهرب فدعا عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقطع اليد ثم ندم وقال اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه وفي رواية
دعائي على من لا يستحق من أهل رحمة فاجعل دعائي له رحمة وقيل الإنسان الكافر يدعو على نفسه استهزاء والعذاب يأتيه لا محالة لكنه لعجلته
يستعجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية فضرب عنقه صبرا يوم بدر
وقيل المراد آدم رام النهوض قبل وصول الروح إلى بدنه وقيل معناه من عجل وهو الضعف يعني النطفة وقيل ضجورا لا يصبر على المشاق
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
وكل شيء فصلناه تفصيلا أي علامتين تدلان على علمه وقدرته ووحدانيته كما أنزلنا القرآن للفوائد الدينية والدنيوية ثم إن كان الليل
والنهار آيتين في أنفسهما فالإضافة للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود وقولهم نفس الشيء وذاته فالليل آية في نفسها كما تقول
دخلت بلاد خراسان أي البلاد التي هي خراسان أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة وإن أريد بهما الشمس والقمر
فالمعنى جعلنا الليل ممحو الضوء مظلمة لا يستبان فيه شيء كما لا يظهر ما محي من الكتاب وفيه بلاغة حسنة لحسن التشبيه والإيجاز وجعلنا النهار
يبصر فيه الأشياء وقيل محو آية الليل التي هي القمر نقصان شعاعه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله لكل واحد سبعين جزءا من النور
فمحا من نور القمر تسعة وستين فجعلها مع نور الشمس بأن أمر جبريل جناحه على وجه القمر وعن علي رضي الله عنه أن آية الليل اللطخة التي
في القمر محيت وقيل السواد الذي فيه وجعل قيل بمعنى خلق دون صير لاستدعائه تقدم حالة أخرى ومعنى ابتغاء الفضل التوصل إلى أمر المعاش
والمعاد ببياض النهار وكونهما آيتين فلأنه لا بد من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وهو الله سبحانه كما سبق غير مرة وهو دليل
على أن الأول أولى لما ذكر أن لزيادة نوره ونقصانه في أحوال هذا العالم ومصالحه كما ذكر أهل التجارب في المد والجزر وغيرهما وفي الثاني
برهان على الفاعل المختار لأن جرم القمر بسيط فيكون متشابه الأجزاء فالاختلاف يدل على الفاعل المختار وما قيل لارتكاز كواكب في الفلك
أقل ضوءا من القمر أجيب عنه بأنه لم يظهر في أجزائه دون بعض مع تساوي أجزائه وباختلافهما يعلم عدد السنين ويعلم جنس الحساب ولولا ذلك
لتعطلت الأمور وبينا في القرآن كل ما يحتاج إليه بيانا غير ملتبس لئلا يكون للناس حجة بعده وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا طائره عمله أو جزاؤه أو حظه المقدر الذي علم الله وقوعه

لازم

لازم الوصول إليه أو نصيبه أو دليله لكل إنسان دليل من نفسه يرشده إلى الحق ولعل ذلك إشارة إلى الاستعداد أو خلقه أو كتاب سعادته وشقاوته
أو أصله ورزقه والعبارة الشاملة ما يصيبه من خير وشر ومنه يعلم أن كل ما قدره الله يكون واجب الوقوع فلا قدرة للعبد وصرفه عنه وأصله
أن العرب كانت تزجر بالسانح والبارح من الطير والظبي وغيرهما زاعمين دلالتهما على الخير والشر قال أهل المعاني وصوله عمله إليه كطائر يطير إليه
من الأزل إلى ذلك الوقت فإذا علم الإنسان أن عمله كطائر يطير إليه لا محالة علم أن الكفاية الأبدية لا تحصل إلا بالعناية الأزلية والمعنى أنه
يلزمه لزوم القلادة أو الغل ومنه قول العرب تقلدها طوق الحمامة وتخصيص العنق لأن الخير زينة كالحلي والشر شينة كالغل وكتابا منصوب
على الحال ويقرأ العنق بالسكون ويخرج بالنون ويخرج والضمير لله سبحانه ويخرج لبناء المفعول ويجوز أن يراد ظهوره له لأنه لم يره في الدنيا
ويجوز أن يكون ضمير يخرج للطائر أي يخرج له عمله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وكذا يلقاه ويلقاه صفة الكتاب ومنشورا كذلك أو حال
من يلقاه ونقول له اقرأ كتاب أعمالك ويقرأ وإن لم يكن قارئا والباء زائدة أي كفى نفسك محاسبا أو شاهدا أو حاكما أو ضابطا وحسيبا بمعنى
حاسب كصريم بمعنى صارم وصلته على يقال حسبت عليه أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد وتذكيره لأنه بمعنى الشهيد والقاضي ونحوه يتولاه
الرجال فكأنه صفة رجل أو بتأول بالشخص ونحوه أن رحمة الله قريب من المحسنين من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها
ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أي إنما يهتدي لنفسه لأن ثوابها له وعليها وبال ضلالها فكل نفس ترتكب إثما
فإنما ترتكب وزرها لا وزر غيرها اقتضت حكمتنا أن لا نعذب قوما إلا بعد إلزام الحجة عليهم ببعث رسول إليهم وهو يدل على أنه لا واجب
قبل الشرع وفيها دليل أن الطفل لا يؤاخذ بذنب أبيه ولا يعذب الميت ببكاء أهله عليه وما قيل إنها تدل على أن الإثم ليس من فعل الله
وإلا لما أخذ به ممنوع والمعتزلة لما أوجبوا النظر في المعجزة بالعقل قالوا فائدة البعثة الإيقاظ والتنبيه للنظر في أدلة العقل ولبيان
البعثة لا عقال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف ونظرهم إلى لزوم إفحام الرسل وهو لازم عليهم على فرض الإيجاب العقلي لأنه ليس
ببديهي وفي الآية دليل على أن شكر المنعم لا يجب عقلا لأنه لا عقاب قبل بعثة الرسل ولا يتحقق الوجوب إلا بترتب العقاب عليه والآية يحتمل
إجراها على ظاهرها والمعنى لا تعذيب إلا بعد بعثة الرسل والعقل ليس رسول الله بل به يثبت رسالة الرسل وإن تخصص البعثة بالأطريق
إلى معرفته إلا بالشرع والآية كما ترى حجة ظاهرة عليهم وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا أي إذا تعلقت الإرادة القديمة لنفاذ القضاء السابق
أردنا وقت الإهلاك أمرنا متنعميها بالطاعة بأمر النبي المبعوث إليهم ويدل عليه السياق لأن الفسق الخروج عن الطاعة فيدل عليها من جهة
مقابلة الفسق لها وقيل أمرناهم بالفسق لقوله سبحانه ففسقوا فيها فإنه إذا قيل أمرته فقرأ لم يفهم منه إلا الأمر بالقراءة ويكون الأمر مجازا من الحمل عليه
أو التسبب باعتبار إعطاء النعم المقتضي للبطر المقتضي للفسق والقول بعدم الجواز لهذه الدلالة مجرد دعوى لا دليل عليه ويحتمل أن لا ينوى له
مفعول فيقال أمرته فعصاني فكما أنه جاز أن يكون المأمور به شيء غير المعصية جاز أن يكون المأمور به غير الفسق لأن الفسق إتيان ضد المأمور
فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا به وقرئ أمرنا بالتشديد ويجوز أن يكون بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء
إذا كثرته يقال مهرة مأمورة أي كثيرة النتاج والقرون أهل كل عصر وقيل من الزمان مائة وعشرون سنة وروي مرفوعا مائة وقيل أربعون

وعلى انا عاد وثمود او قرون بين ذلك وآ اهلكنا عامل في كم ومن القرون بيان له وفي قوله سبحانه كفى الى آخره وعيد شديد لانه اذا كانت الذنوب

علة الهلاك والله عالم بها فيعاقب عليها وتقديم خبيرا المتقدم متعلقه وفي الآية دليل على ان مراد الله سبحانه وايضا لما حق القول عليهم

امتنع صدور الايمان منهم لاستلزام انقلاب خبر الله الصدق كذبا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم

يصليها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اى من لم يرد غير الدنيا كالكفار

فله المعجل المشروط بشرطين احدهما ان يتعلق به مشية الله والثانى ان يتعلق به الارادة لانه لا يجد كل احد متمناه ولا يدرك الواحد كل ما يتمناه

فكم ممن اجتمع عليه فقر الدنيا والآخرة وفيه اشعار بان الامر معلق بالمشية ولا فائدة فى اللهم لمهم وتقرا نشاء والضمير لله فيطابق المشهورة وقيل لمن

وتخصيص بمن اراد الله به ذلك ولكن بدل لمن بدل البعض وقيل الآية فى المنافق لم يرد بموافقة المسلمين الا اصابة ثواب الدنيا فله جهنم فى الآخرة

يدخلها مطرودا مبعدا والمراد بسعيها كمال السعى وهو امتثال الاوامر والانتهاء عن النواهى واللام يشير الى الاخلاص للاختصاص والحال انه

يعتقد فى الله ورسوله واليوم الآخر اعتقادا صحيحا اذ لا ينفع عمل بلا نية ولا نية بلا اخلاص ولا اخلاص بلا ايمان وحينئذ يثيبه الله على طاعته

وهو المراد بالسعى المشكور وفيه تخويف عظيم للعصاة وبشارة عظيمة للمؤمنين لان الله لا يخفى عليه شئ من احوال الخلق وهو قادر كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا اى كل واحد من الطائفتين فالتنوين بدل من المضاف اليه نعطيهم مرة بعد اخرى بحيث

لا ينقطع اللاحق عن السابق وهؤلاء وهؤلاء بدل من كلا ومن عطاء متعلق بنمد فنرزق من اطاع وعصى لانه تفضل فلا يكون عطاء الله ممنوعا

من العاصى لعصيانه انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا

اى انظر نظر المعتبر بكيفية التفضيل وهو تفاوت الناس فى السعة والضيق وكيف منصوب على الحال اى متفاوتين والآخرة اكبر درجات

بالنظر الى الجنة فانها النعيم المقيم وجهنم وهى العذاب الدائم الاليم وايضا بالدرجات فى الجنة والدركات فى النار روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

ان بين اعلى اهل الجنة واسفلهم درجة كالنجم يرى فى مشارق الارض ومغاربها والخطاب فى لا تجعل للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد الامة او كل احد

قال فى المفاتيح الاولى ان يكون الخطاب للانسان لان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم ما بلغا عنده الكبر ولا احدهما ومعنى تقعد تصير كقوله

قعدت كانها حربة او تتحير يقال قعد عن الشئ اذا عجز فيجمع بين ذم الملائكة والمؤمنين وكيف لا يستحقهما وقد قابل احسان الله بالاساءة

بان اضاف النعم او بعضها الى غيره بجعله شريكا له والخذلان من الله والمفهوم ان حال المقابل ممدوحا منصورا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا

اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما لما ذكر عبادة السبب الحقيقى عقبه

بتعظيم السبب الظاهرى وهما الابوان وقضى لا سيما ولا نعمة لاحد بعد الله على الانسان كنعمة الابوين امر الله بذلك امرا جزما بان لا تعبدوا الا الله

واحسنوا بالوالدين احسانا والتنكير للتعظيم او بان يحسنوا او امر او قضى وتقرا وصى وروى فى المفاتيح عن ابن عباس انه كان فى الاصل ووصى فالتصق

احدى الواوين بالصاد فقرئ وقضى ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى احد لان خلاف قضاء الله ممتنع قال وهو بعيد لانه حينئذ يرتفع الامان

عن القرآن وفائدة ذكر مثله القدح فيه وحيث لا يتقدم معمول المصدر عليه لانه فى تقدير ان مع الفعل ولانه صدر الكلام ولانه ضعيف لا يجوز تعلق بالوالدين

بالاحسان ودخول نون التاكيد فى يبلغن لارادة التحقيق ولذلك زيدت ما على ان الشرطية ولا يدخل بدون ذلك فلا يقال ان تكرمنك وقرئ

يبلغان

ابوى النبى ما بلغا الكبر عنده عليه السلام

يبلغان وعلى هذا يكون احدهما بدلا عن ضمير الوالدين وعلى الاول فاعل يبلغان وكلاهما عطف على احدهما ولا يصح ان يكون تاكيدا وان قدرنا يبلغان

كلاهما لانه عطف على احدهما ولا يجوز تاكيد المثنى وكان ذكر احدهما دون الاكتفاء بكلاهما يشعر بعدم ارادة التاكيد لا يقال الترديد لا يليق بالتاكيد

لان المقصود بيان ان الحكم المتاكد اما ان يقع اولا ومعنى اف نتنا وهو صوت للضجر وعن الاصمعى انه وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار

وقيل هو تبع ومن قال صوت قال عند اسقاط التراب عنه واختلف فى ان دلالته على المنع من كل مكروه لفظية كقولهم لا يملك النقير والقطمير فانه يدل

على انه لا يملك شيئا او بالقياس الجلى من الاستدلال بالادنى على الاعلى وهو ارجح وبالغ فى اللطف معهما وتقرا بالحركات الثلث منونا عند ارادة التنكير

وبغيره عند ارادة التعريف الكسر على اصل تحريك المبنى والضم للاتباع والفتح للتخفيف يقال تافف فلان اى يقول اف اف وقيل لا تقل اذا اصابهما

اف متضجرا وتعلم من عندك ان يكونا كلا عليه لا كافل لهما غيره فيكونان فى محل وربما يحتاج الى ان يتكلف ما كانا يتكلفان فى صغره وضم ذلك مع التوحيد

فيه مبالغة فى التوصية بحقهما ومنع من التكلم بكلمة مع ما يصيبه من الضجر والنهر زجر مع اغلاظ اى لا تزجرهما عما يتعاطاه مما لا يعجبك وكريم كل شئ

ما اشتمل على محاسن ذلك النوع وينبغى ان لا يدعوهما باسمهما كما فعل ابو ابرهيم بل كما فعل ابرهيم حيث قال ثم انه وان بالغ فى الاحسان لم يحصل

المكافاة لان انعامهما على سبيل الابتداء وفى المثل البادى بالبر لا يكافى لابطال المنع من التافيف يدل على المنع من النهر فلا حاجة اليه لان المراد منه

اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهما والتكذيب واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم اعلم بما فى نفوسكم

ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا خفض الجناح كناية عن التذلل اى تواضع لهما والن جوانبك لهما ولا تستكبر عليهما واضافته الى الذل

كاضافة حاتم الى الجود اذا اريد جناح الخاطب وجناحاه يداه والاضافة للبيان او اريد اثبات جناح للذل على وجه الاستعارة كما جعل لبيد للشمال يدا

وللقرة زماما فى قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فيكون مبالغة فى التذلل والتواضع لهما وحيث افتقر اليك اليوم من كنت

افتقر اليهما بالامس فلا تكتف بعطفك لهما واسال الله لهما الرحمة الباقية وان كانا كافرين بان يهديهما الله للاسلام ولا تطعهما فيما فيه معصية الله سبحانه

كما قال سبحانه وان جاهداك الآية ولم يقتصر فى تعليم البر بالافعال بل فى الاقوال ولفظ الرحمة شامل لخيرات الدارين اى الاحسان كما احسنا الى فى التربية

والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة اعظمها قول النبى صلى الله عليه وسلم رضاء الرب فى رضاء الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين وان

رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغا فى الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان وهما يحبان بقاءك

وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وما قيل ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد الامة او انه نسخ بقوله سبحانه ما كان للنبى الآية يدفعه ان ابوى النبى

صلى الله عليه وسلم توفيا قبل هذا الخطاب وروى عنه عليه السلام ليفعل البار ما شاء فلن يرى النار ابدا وليفعل العاق ما شاء فلن يرى الجنة ابدا

والله اعلم بما فى نفوس كل من خوطب لذلك من قصد البر اليهما وغيره من الصلاح والفساد ونقل عن سفيان انه يدعو فى اواخر التشهدات وقيل فى ذكر التنوير

اشارة الى الاخلاص فان كانوا طائعين لله فى بر الوالدين وترك العقوق لهما ثم ان كنتم قاصدين للبر ثم فرطت منكم فى ذلك معصية فى حال غضب

ثم رجعتم الى الله بالتوبة فان الله كان للتائبين غفورا وقيل للمطيعين او المصلين بين العشائين او الضحى وفيه تنبيه على انه لا يضر لهما ما يسوءهما

وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن

عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا الخطاب مع كل احد بدليل عطفه على الا تعبدوا الا الله والمراد بذى القربى غير الاصل والفرع

والامر بذلك توصية بهم بعد التوصية بالوالدين والعرف خص الاقارب بغيرهما بخلاف اقرب الاقارب والامر بالايتاء للندب وذهب
ابو حنيفة الى انه يجب الانفاق على العجزة والفقراء منهم وعندنا لا يجب الا على الاصل والفرع وقيل اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم واليه ذهب
علي بن الحسين اي الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم اي ما وجب لهم في الفيء والغنيمة والمسكين وهو الذي لا يملك ما يكفيه وابن السبيل المجتاز او الشاخص
الذي يريد الذهاب الى بلده او بلد ماله ولا قدرة له على ذلك اصل التبذير التفريق والمراد الانفاق على وجه الاسراف او في معصية الله او رياء وسمعة
روي انهم كانوا ينحرون الجزور ويتقامرون عليها وليس المراد كثرة الانفاق في الخير فانه لا سرف في الخير كما لا خير في السرف روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على سعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال اني الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار واخوان الشياطين مماثلوهم في السرف
والعرب يسمي اللازم للشيء اخاه او اصدقاءهم حيث يطيعونهم وهو نهاية الذم لانه لا شر من الشيطان او قرناؤهم في النار والمبالغة في الكفور فانه
لا يطيع شيئا مما يجب ان يطيع والضمير في عنهم لذوي القربى والمسكين وابن السبيل ان اعرضت حياء ومنهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأله
فقراء اصحابه ولم يكن عنده ما يعطيهم اعرض عنهم حياء ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم انعامهم وابتغاء الرحمة انتظار رزق الله سبحانه
من فيء وغنيمة وغيرهما ترجوه برحمتك عليهم ولا تتركهم بعد ان سألوك غير محاسن نحو يرزقنا الله واياكم من فعله وقيل ليناً من قولهم يسّرنه اذا ليّنته

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا
امر بالاقتصاد بين الاسراف والتقتير وغل اليد يراد به البخل ذكر على وجه التمثيل لان من قبض يده عن الاعطاء فكان يده مشدودة الى العنق اي لا تجعلها
في الانقباض كمغلولة الممنوعة وبسط اليد عبارة عن الاعطاء لان المعطي يبسط يده نحو المعطى واللوم قيل من الله لان المسرف غير مرضي او من الناس
اما لانهم يقولون اعطى فلانا ولم يعطني او ما احسن تدبير المعيشة او من نفسه لانه يندم فان قيل في كل ذلك نظر اما الاول فلان هذا ليس مما يرضاه الله
كما سبق انه لا سرف في الخير واما من الناس فلان اللوم منهم كفر واما من نفسه فلان من كان على كمال الجود لم يندم الا على انه لم يفعل اكثر منه قلنا يحتمل انه
يكون اللوم من الله على ترك الاولى او لتعليم الغير او يندم على ما فعل مخافة ان يفتتن به من لا علم له فيلومه روي ان صبيا استكسا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من ساعة الى ساعة فعاد فقال ان امي تستكسيك القميص الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه فاذن بلال بالصلوة فلم يخرج فشغل
الصحابة فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا روي انه صلى الله عليه وسلم اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة فانشأ عباس بن مرداس شعر
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن يضع اليوم لا يرفع
فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزل ومعنى محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا ابلغ منه وحسرت الدابة اذا سيرتها
حتى انقطع سيرها ومنه ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وفي ذكر بسط الرزق على مشية الله سبحانه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ليس ذلك
لهوان عليك بل اعطاء الارزاق بالمشية تابعة للحكم او لان البسط من الله الذي عنده خزاينه والعبيد عليهم الاقتصاد ومعنى يقدر يضيق
هكذا قيل ومن لقايل ان يقول فيه تعليم للاعطاء فانه اذا كان الله الذي من كل عنده خزاينه يبسط تارة ويضيق اخرى فغير الله اولى بذلك فيكون
كالتعليل لمنع كمال البسط والقبض بل يكون على وجه الاقتصاد وقوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا كالتعليل للبسط والتقتير نظرا الى المصلحة

كما قال سبحانه ولو بسط الله الرزق لعباده الآية ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا

في الكفر
وعيينة بن حصن

ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف
في القتل انه كان منصورا اي لا تئدوا اولادكم مخافة الفاقة والملق الحصر والمكن حمل الفقر على الملق وقيل المراد وأد البنات مخافة العار وهو
لا يناسب ذكر الاملاق وضمن طلم الارزاق الخطء الكبير الذنب العظيم والخطأ والخطاء لغتان كمثل ومثل وخطئ خطأ نحو اثم اثما وهو ضد الصواب
وقيل الخطأ العمد والخطاء بالفتح السهو وخطأ بالكسر والمد وقيل قد اكثر المد فيه وانما وصفه بالكبر لان ذلك ان كان من خوف الفقر فهو سوء
الظن بالله سبحانه وان كان لاجل الغيرة على البنات كان سعيا في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة على خلق الله
والزنا هو ايلاج فرج في فرج محرم لعينه مشتهى طبعا من غير شبهة واكراه فيتناول اللواط والفاحشة القبيحة الزائدة على القبيح وبئس السبيل
الى الجماع سبيل الزنا لانه يفضي الى قطع التعرض عن الاولاد لانه لا يتعين الوالد ويفضي الى خراب العالم وايضا التنازع فيه والزنى يفضي
الى الهرج والمرج والنفس المحرم قتلها المؤمن والمعاهد والحق هو القصاص او الارتداد بعد الاحصان او الزنا والبغي وساير ما يبيح الدم كالصائل
والمظلوم المقتول من غير مبيح الدم ووليه وارث دمه والسلطان هو القود او العفو او الحجة على المقتول والضمير لا يسرف لولي الدم اي لا يقتل
اثنين بواحد ومن لم يقتل كفعل الجاهلية ويقرأ بالرفع وهو في معنى الامر لانه كانه امر فاسد فاخبر عنه وبالتاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وخلفائه بعده او خطاب للولي ابتداء ولا تسرفوا عطف على تقتلوا والنصرة اما للولي حيث اوجب الله له القصاص فلا يزيد على ذلك او ان الله
نصره بقوة السلطان فلا يطلب الزايد على حقه واما للمظلوم لان الله ناصره بايجاب القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما للمقتول
بغير حق بايجاب القصاص بذلك استدل القايل بالتحسين والتقبيح العقليين بهذه الآية لان الله تعالى نهى عن الزنا وعلل بكونه فاحشة
ولو كان ذلك عبارة عن كونه منهيا عنه لزم تعليل الشيء بنفسه فيكون وصفا له لاجل قبح والجواب ما ثبت في ابطاله من لزوم تكليف ما لا يطاق الممتنع
وقوعه عقلا وتقديم الزنا على القتل وهو اعظم لانه يمنع دخول الانسان في الوجود والقتل ابطال له والمنع من الوجود مقدم على ابطاله ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا لعل ذكر مال اليتيم وهو الطفل الذي لا اب له بعد ذكر القتل لايهام التعظيم
لا سيما والطمع في ماله اكثر فهو احوج الى الحفظ لصغره وضعفه والاحسن حفظه وتثميره كما قال اما ابا الاحتلام او غيره وقيل ثماني عشرة فاذا بلغ غير كامل العقل
لم تزل الولاية عنه والعهد امر الله ونهيه وقيل في مال اليتيم وقيل العقود الشرعية كالبيع والنكاح واليمين والصلح مسؤلا مطلوبا يطلب الوفاء
من العاهد او يسأل عن الناقض لم نقض والتقدير صاحب العهد يكون مسؤلا او يكون تخييلا شبهها بالاستعارة يقال للعهد لم نكثت ولم لم يوف بك
وفيه تبكيت للناقض ونظيره واذا الموؤدة سئلت واوفوا بالكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به
علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا لما كان المنع عن البخس شبيها بالوفاء بالعهد قربه به اي لا تطففوا بالنقص عن الوزن
والكيل القسطاس رومي وقرئ بكسر القاف وهو القبان وقيل ميزان العدل والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو ما يحصل فيه الاستقامة
والاعتدال بحيث لا يميل الى احد الجانبين والايفاء خير واكثر بركة في الدنيا واحسن تأويلا في العقبى وهو تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف اي لا تتبع وقرأ
ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة لانهم يتبعون احوال اشكال الناس ويستدلون به على احوال الانساب وعن ابن الحنفية انه شهادة
الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا امر بك فيقول هذا يفعل كذا ولم تره ولم تسمعه وقيل هو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا

القسطاس رومي
وهو القبان

ار البهتان والكذب

في ردغة الخبال بسكون الدال وفتحها
ما في الفائح من عصارة اهل النار
حتى يأتي بالمخرج حمله الطيبي على انه
يحمل عليه من ذنب المغتاب فيعذب
بالنار على مقداره ثم يخرج منها
سعدي

بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج قال الكميت ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن ان قفينا والمراد نهي المشركين
عن اتباع آبائهم في الالهيات والنبوات وقيل الكذب وهو عام خص بغير القياس وقيم المتلفات والاجتهاد والعمل بالشهادة والحكم بايمان مخصص معلوم
ونحوها واستدل به مانع القياس فانه اتباع الظن والجواب منع ذلك وانه مأمور به ولا عبرة به في منع الاجماع لانه قطعي ويقرأ الفواد بفتح الفاء والواو
قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتحة وكل اولئك يريد به السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام
كان كل واحد مسئولا عنه ما فعل به صاحبه ويجوز رجع الضمير الى مصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر والفؤاد وفي الآية اشارة الى جميع العلوم لان
المستفادة من الحواس اشار اليها بذكر السمع والبصر والمستفاد من العقل اشير اليه بذكر الفؤاد وعنه في موضع الرفع بالفاعلية كقوله غير المغضوب عليهم
لان مسئولا مسند الى الجار والمجرور ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك
مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا اي لا تمش ذا مرح اي اختيال وتكبر واصله شدة الفرح فيكون حالا عن الفاعل
ويقرأ مرحا وهو ابلغ باعتبار ان الصفة المشبهة تدل على الثبوت والمصدر ابلغ عند الاخفش لزيادة التأكيد ويقرأ لن تخرق بضم الراء والمعنى لن تجعل
بدوسك لها فيها خرقا ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك اي لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان تبلغ هذا وهو تهكم بالمختال فانه لضعفه وعجزه لا يليق
التكبر سيئة وقرئ ويقرأ سيئات وسيئا وكل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة في قوله لا تجعل وعن ابن عباس انها المذكورة
في الواح موسى عليه السلام والتمام يعتبر تأنيث السيئة لانه اذا كان بمعنى الذنب والاثم فقد زال عنه حكم الصفات فهو كقراءة من قرأ سيئا ولا تختلف
بالاسناد الى مذكر او مؤنث فتقول الزنا سيئة والسرقة سيئة وفي المشهورة اضيف السيئ الى ضمير كل ولا يخفى انه اذا قرئ سيئة اريد بها الخصال
المذمومة وعند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها لانه بمعنى سيئ ومكروها يجوز نصبه على الحال من ضمير كان او في الظرف على انه صفة سيئ على تأويل
مقابل المرضي وهو المبغوض لا ما يقابل مراد الله وهو ما لا يريد لقيام البرهان على ان الكائنات بأسرها واقعة بارادته تعالى لا يقال المكروه عنه مراد فلا يكون
محلو فانه اذ المراد انه منهي عنه ولا يوصف بكونه كارها لما ذكرنا وذلك اشارة الى جميع ما امر به او نهي عنه من جملة ما اوحى اليك في القرآن من الحكمة
من معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ومجموع ما سبق من التكاليف خمسة وعشرون اولها لا تجعل مع الله الها آخر والامر بالتوحيد عبارة عن معرفة الحق لذاته
وسائر التكاليف عبارة عن تعلم الخير للعمل به ذكر الاشارة الى التوحيد ليكون الابتداء والانتهاء به فان كل فعل لا باعث عليه عبث وما كان الباعث عليه
غير الله باطل فان من عدم التوحيد الذي هو اساس الحكم وان بلغ الغاية القصوى في كل علم ثم بين غائلة الشرك بان يكون في جهنم ملوما في نفسه مبعدا عن رحمة الله
وقيل مطرودا عن رحمة الله والخطاب وان كان ظاهرا انه للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد غيره وفيه مبالغة افأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا خاطب الله القائلين بان الملائكة بنات الله بانكار مستفاد
من الهمزة فان الحكمة لا تقتضي بان يكون العبيد احسن حالا من السيد فان البنين اشرف من البنات فكيف يترك الاحسن مع القدرة على خلافه وهو مستلزم
اضافة الولد اليه وهو من خواص الاجسام السريعة الزوال المحتاجة الى بدل بعدها فيلزم من ذلك ان يكون قولا عظيما بالغا نهاية القبح وغاية الجهل فتستعظم
اثمه وعقوبته لانه يستلزم كون الاله مركبا من الاجزاء والابعاض وذلك ينافي القدم وايضا جعل المرجوح المبغوض لهم الولد والمراد بالتصريف تكرير القول
وهو كناية عن البنين لان من اراد بيان شيء يصرف كلامه من نوع الى آخر ومن مثال الى مثال ويجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الولد الى الله تعالى

لانه

لانه مما كرره فيه وقيل كررنا حججا ودلايل وقيل مواعظ وامثالا وقصصا واخبارا ويقرأ صرفنا بالتخفيف وقرئ ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر
ولم يقصد به الا ان يتذكروا ويفهموا سوابه فما يزيدهم الا نفورا عن الحق واتباعه او الاعتبار به وقيل الذكر باللسان لانه يؤدي الى تأثر القلب به قل لو كان
معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا قرئ بالياء اي كما يقوله المشركون وعلى الاول الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم واذا
لابتغوا جواب لو اي لطلبوا الى خالق السموات والارض سبيلا بالمعاندة كعادة الملوك وهو اشارة الى دليل التطارد المانع من تعدد الآلهة وقد
ذكرناه ويأتي في قوله لو كان فيهما آلهة او بالتقرب والطاعة لعلمهم بكماله وقدرته كقوله اولئك الذين يدعون الآية ولقائل ان يقول لعله كناية عن لزوم القول
بعدم ذي العرش على تقدير التعدد للتطارد والتمانع نزه ذاته تعالى عن قول المشركين تعاليا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه سبحانه في اعلى مراتب الوجود
للوجوب والبقاء الذاتي وايجاد الولد من ادنى مراتبه فان فائدته بقاؤه بعد والده وذكر تسبيح السموات والارض ههنا تنزيهه سبحانه عما نسب اليه وعن
كل ما هو من خواص الامكان والمراد اما بلسان القال بايجاد الحيوة فيها لم تفقه ذلك التسبيح لا سيما وكل جزء منه وكل صفة وحال له تسبيح واذا لم ينضبط
تلك الاجزاء ولا احوالها لم يفهم كل التسبيح او المراد الكفار وهم ما كانوا يفهمون حقيقة واسناد التسبيح الى من يتصور منه حقيقة كالملك والانسان والى من
لا يتصور غالبا كالسموات اما للامر مشترك بين اللفظة ولسان الحال وهو الاشعار بالتنزيه عن النقايص او بتجويز الاستعمال فيهما كما ذهب اليه كثير
من المحققين ووصف ذاته بالحلم والغفران لعدم معاجلة عقوبة من نسب اليه تلك السيئة ومن اخل بالنظر ولم يفقه التسبيح واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم
نفورا المستور قيل من اعينهم او ذا ستر نحو سيل مفعم ذا افعام او ساتر نحو وعده مأتيا او حجاب مستور بغيره لا يفهمون ولا يفهمون عدم فهمهم فيكون
نفيا عن فهمهم الآيات بعد نفي فهم آياتنا الانفس والآفاق حيث قال سبحانه ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حكاية قولهم نحو قلوبنا في اكنة فيكون تقريرا
لكونهم مطبوعين على الضلال ويؤيده قوله سبحانه وجعلنا على قلوبهم اكنة وهو مما يهدم مذهب المعتزلة وهو جمع كنان وهو ما يكن الشيء ويستره عن غيره
وجميع ذلك لا يتأتى على من ذهب الى انه صفة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان المشركون يؤذونه عند الخروج الى الصلوة وفيه دليل على جواز ان يرى الشيء الحاضر
مع سلامة الجواب بان يجعل الله في عينه مانعا من الرؤية وقد حمل الحجاب المستور عليه وقيل معناه ذو ستر يقال مرطوب اي ذو رطوبة وكراهة مفعول له
اي جعلنا الاكنة كراهة ان يفقهوه وقيل ان لا تفقهوه ويجوز ان يكون مفعول مدلول جعل الاكنة اي منعناهم ان يفقهوه والوقر الثقل المانع من
الاستماع اي لم ينفعهم سماع اللفظ وان كان مجردا وفيه ابطال مذهب المعتزلة فانه ظاهر في ان الله منعهم عن الايمان وسماع القرآن بحيث تعلموا حقايقه
والحمل على المنع من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم وفرض شاغل خلاف الظاهر وذكر الرب وحده احتراز عن ذكر آلهتهم فهو كلمة التوحيد ووحده مصدر سد
مسد الحال اصله يحد وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة على ادبارهم اي اعقابهم والنفور اما مصدر بمعنى التولية اي ولوا نافرين نفورا او جمع نافر
كقعود وقاعد وسببه ترك ذكر الاصنام فيزداد كفرهم عند استماع التوحيد نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي نحن اعلم بما يسمع بعضهم بعضا والباء للسببية
والمراد الهزء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهو في موضع الحال اي يستمعون هازئين وسبب الاستماع ذلك كما روي انهم كانوا يقومون عن يمين النبي عليه السلام

يا رين مصفقين مخلطين القرآن بالاشعار و اذ الثانية ظرف لنعلم اى نحن اعلم بغرضهم الفاسد من الاستماع حين يستمعون و هم ذو نجوى اى يتناجون
و هو مصدر او جمع نجى و اذ الثالثة ابدل من الثانية على وضع الظالمين موضع ضميرهم للاشعار بكون مقولهم ظلما و يجوز ان يقدر باذكر و المسحور من
اثر فيه السحر فى ازالة العقل او من له سحر و هو الرئة اى الا رجلا يتنفس مثلكم روى انهم اجتمعوا فى دار الندوة فقال بعضهم انه شاعر و قال آخر مجنون و قال آخر
ساحر و ضرب الامثال تمثيله صلى الله عليه وسلم بواحد من هؤلاء و فى جميع ذلك ضلوا عن الحق فتفكر كيف وصفوك بهذه الصفات و يحتمل ان يكون وجه الضلال
ان الموصوف بصفة من هذه لا يحتاج فى دفعه الى هذه الامور العظام من التشاور فى امره و اخراج من بلدهم مخافة ازهاب ادبارهم فلولا ظهور الحق لما خافوه
الى هذا الحد و يدل عليه لا يستطيعون سبيلا حيث صاروا كالمتحيرين فى امره او لا يهتدون الى الرشاد لا يقال كيف قال ان تتبعون و هم ما اتبعوا النبى
صلى الله عليه وسلم لانا نقول التقدير ان اتبعتم فلم تتبعوا الا رجلا مسحورا او قيل بجذو عالان السحر خديعة • و قالوا ائذا كنا عظاما و رفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم و يقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا وجه الربط انه كالبيان لكونه مسحورا اى قال من انكر البعث منهم استبعاد الاحياء بعد ان صاروا حطاما و ذلك
لما بين غضاضة الحى و يبوسة الرميم من المنافاة فرد عليهم ما قالوه ابلغ رد و ذلك انه لو فرض بقاء العظام التى هى بعض اجزاء الانسان التى تركب
منها البدن بل هى كالعمد لها كان مما يقدر ان يخلقكم منها بان يكونوا ابعد شئ من تلك الغضاضة بان يكونوا حجارة او حديدا مع ما فى طبعهما من اليبوسة
العظيمة و البعد عن مناسبة الحى لعدم الرطوبة فيهما بالكلية كان قادرا على ان يخلقكم منها و يجعلها مواد ابدانكم و ذلك لانه لا يتوقف الا على قبول
الحيوة و قدرة خالقها و هما موجودان و الاستبعاد باعتبار تفرق الاجزاء قدح فى علم الصانع المبرهن بالعقل و النقل و دليل قبوله الحيوة انها
لو لم تكن قابلة لما قبلها ابتداء بل لو كنتم ابعد شئ من قبول الحيوة على زعمكم و قوله سبحانه او خلقا مبالغة اخرى بانه لو صرتم مما يكبر عندكم من قبول الحيوة
و يعظم على الخالق بتصوركم احياؤه و قيل الموت و قيل السموات لاوجد الله فيه الحيوة و كونوا امر و المعنى لو كنتم كذلك لاماتكم ثم احياكم و قيل تقديره
اذا امكن ان نصيره حجارة امكن اعادته من العظام الرفات و عن الحسن ما ادرى ما الذى يكبر و هذا يذكر للمبالغة يقال لو كان عين الحيوة لاماته
اى انتهت الى اى صفة كانت فالله يعيدها و العامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله و خلقا حال او مصدر و الانغاض
الرؤس تحريكها استبعادا او استهزاء و عسى هنا للوجوب اى هو قريب فان كل ما هو آت قريب و علم وقته مختص بالله تعالى قال تعالى انما علمها
عند ربى و لا اشكل بانه مضى سبعمائة و لم يظهر لانها قريبة بالنسبة الى ما مضى و يوم منصوب على الظرف او خبر كان او اسم عسى يوم يدعوكم فتستجيبون (منتهي سبعمائة)
بحمده و تظنون ان لبثتم الا قليلا و قل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا • اى يدعوكم للمحاسبة اى يبعثون منقادين
غير ممتنعين فاستعار له الدعاء لسرعة و الاستجابة للاشعار بسرعتها و تيسر امرهما و التقدير الكلمة التى هى احسن و الين و فى معناه ان يدعوهم
من قبورهم او اسرافيل بالنفخة الاخيرة و يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور فى قرن واحد يقول ايتها العظام و بحمده حال اى حامدين لله على
كمال قدرته كما روى انهم ينفضون التراب عن رؤسهم و يقولون سبحانك اللهم و بحمدك او منقادين كما يقال للممتنع عن الامر سيفعل و انت حامد اى ملين لين
الراغب فيه الحامد عليه و انما ظنوا قصر مدتهم لانهم لم يعلموا لانهم كانوا امواتا او مدة لبثهم فى الدنيا و قيل تم الكلام عند قوله قريبا و الخطاب مع المؤمنين
فانهم يحمدون الله على احسانه فان قيل المشهور الاول فما تحقيق ذلك و الحمد يذكر عند النعمة قلنا قد قيل انه يرفع عنهم العذاب بين النفختين



بدليل بعثنا من مرقدنا فالحمد على تلك النعمة او انهم قصدوا به تحصيل نعمة من الله كما قصدوا بالاعراف النجاة حين لا ينفعهم او ان الله انطقهم بان نعم الله
مما يشكر و هم كفروا فيكون كالالزام لهم لما شاهدوا من الهول فتحاقرت الدنيا فى انفسهم حتى حسبوا انهم ما لبثوا بالنسبة الى الآخرة الا يوما و قيل المدة بين النفختين
و فى الاول نظر لانهم اذا كانوا معذبين فيطول عندهم تلك المدة و قوله سبحانه و قل لعبادى يناسب الآية الاولى باعتبار انهم لم يلتفتوا الى الدليل على ما شرع
عندهم فى الدارين و اصروا على العناد فالطريق ترك المخاشنة التى تصير طريقا للشيطان الى ان يهيج بينهم الشر و المراء لاسيما و هو عدو بين العداوة
الى ان تأذن لقتالهم و الكلام المقول لهم ما يأتى ذكره و قيل ان لا يكون ذكر الحجة مخلوطا بالشتم و السب و ما روى انه نزل حيث شتمه بعضهم فهم به ابو بكر
او هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله او الامر بالمعروف و النهى عن المنكر قد اخذ فى عموم ما ذكرناه و قيل قول يهديكم الله • ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم و ما ارسلناك عليهم وكيلا و ربك اعلم بمن فى السموات و الارض و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض و آتينا داود زبورا •
هو تفسير للكلمة التى احسن اى قولوا لهم هذا الكلام و ما بينهما اعتراض فان الله اذا كان اعلم بالهداية و التوفيق لم يمكن قسرهم على الاهتداء و قيل معناه ان
يشأ يجرهم من كفار مكة و اذانهم ان يشأ يسلطهم عليكم و قيل الخطاب خاطبهم بخطاب حسن يجذب قلوبهم و هو معنى عدم كونه وكيلا اى موكولا الزامهم
و انما ارسلناك مبشرا او نذيرا و قوله تعالى اعلم بمن فى السموات و الارض رد عليهم حين يستبعدوا نبوة النبى صلى الله عليه وسلم و قالوا كيف يستأهل يتيم ابى طالب
لها دون صناديد قريش و كيف يستأهل للكمالات الفقراء و المساكين نحو بلال و صهيب و خباب و اضرابهم او المراد ان علمه غير مقصور عليكم بل يتعلق
بجميع الموجودات و المعدومات و ذرات الارضين و السموات فقال الله اعلم باحوالهم مما يصلح لكل واحد منهم و من المعلوم ان المراتب العلية من الكمالات
و المناقب القدسية من السعادات لا تنال بالحطام الدنيوى بل بينهما منافاة و تفضيل الانبياء بعضهم على بعض كما ذكر ان منهم من كلمه الله و منهم من
اتخذه خليلا و منهم من اتخذه حبيبا و هو النبى صلى الله عليه وسلم و هو افضلهم و ذكر الزبور لذلك فان فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء و ان امته
خير الامم و اليه الاشارة بقوله و لقد كتبنا فى الزبور الآية و العباد الصالحون النبى عليه السلام و امته و لعل تنكير الزبور للتعظيم لان السؤال اذا كان
عن الترجيح لم يصلح المجوزات جوابا كما ذكر فى البقرة عن توحيد السمع و ذكر ان الزبور مائة و خمسون سورة كلها فى الوعظ و الثناء على الله سبحانه و ايضا فيه
تكذيب اليهود حيث قالوا لا نبى بعد موسى و لا كتاب بعد التورية • قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا • اى قل يا محمد للمشركين ادعوا ما سميتموهم
آلهة و هم جماعة سوى الله كالمسيح و عزير و الملئكة او نفر من الجن عندهم ناس من العرب ثم اسلم الجن و لم يشعروا و قيل الشمس و القمر و الضر نحو القحط و المرض
و الفقر و لا يقدرون على ذلكم منكم الى غيركم او تبديل ذلك بغيره كتحويل المرض الى الصحة و الفقر الى الغناء يبتغون خبر اولئك و يدعون صفة اى الذين
اتخذتموه آلهة طلب القربة الى الله و الوسيلة الطلبة بالطاعة و الصلاح و يجوز ان يضمن يبتغون يحرصون بانهم يكون اقرب الى الله فايهم بدل
من واو يبتغون و قيل ايهم اقرب بدل من الوسيلة اى يتوسلون باقرب منزلة الى الله تعالى و قيل يتضرعون الى الله تعالى و حالهم فى الرجاء و الخوف من الله تعالى
فكيف يكون لهم الالوهية و كيف لا يخافون عذاب الله حقيق بان يحذر منهم الملئكة المقربون فكيف غيرهم و ايضا الكفار كانوا معترفين بان الملائكة
محتاجة الى الله فى كمالاتها فالاشتغال بعبادة الله اولى • و ان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب
مسطورا • اى بالاستيصال لمكة بالحبشة و المدينة بالجوع و البصرة بالغرق و الكوفة بالترك و الجبال بالصواعق و الرواجف و خراسان بانواع اخر

او معذبوها بالقحط والقتل وانواع البلايا وقيل الصالحة بالهلاك بآجالهم والطالحة بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار وعاقبتها اما الاستيصال
او عذاب من قتل كبرائهم او من المسلمين بالقتل والسبي واخذ الجزية ثم بين انه حكم مجزوم به وذلك لانه مكتوب في اللوح المحفوظ وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا وجه الربط انه جواب عن قولهم بعض الانبياء قد سخرت له
الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فأتنا بشيء منها اي ما منعنا ارسال الآيات التي اقترحها كاذهاب الجبال عن مكة او جعلها ذهبا لانها لو ظهرت لكذبوا بها
فهذا شانهم لقرب طباعهم من طباع عاد وثمود ولجاءهم عذاب الاستيصال وقد قضينا بان لا نستأصلهم ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بينة
كناقة صالح وغيرها ثم كفروا بها فلو جاءهم غيرها لكفروا او استعير ترك الارسال للمنع لشبهه به في عدم وقوع المسؤول ومن جملة الآيات المقترحة التي
استوصل المكذبون ناقة صالح ومبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بفتح الصاد والظلم بها جحدوا كونها من عند الله
او ظلموا انفسهم بتكذيبها وان نرسل في محل المفعول الثاني لان كذب رفع بالفاعل والثاني بالآيات بزيادة الباء وهي المعجزات او آيات القرآن او الموت الذريع
الا تخويفا من عذاب الدنيا والآخرة لا المقترحات لانه لا آية الا وتتضمن التخويف عند التكذيب واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي احاط علمه بهم او انهم في قبضة قدرته
وقيل يريد بالناس قريشا ففيه بشارة بالنصرة عليهم يوم بدر نحو قوله سيهزم الجمع ولما كان المحقق كالواقع اخبر عنه على طريقة ما دخي حتى كان يخبر عن
مصارعهم بما اراه الله سبحانه فلما سمعت قريش جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعده ولعل وجه المناسبة بحال الرؤيا باحاطته بهم ان ذلك
من جملة المغيبات التي اخبر عنها كدخول مكة فلما تأخر صار فتنة لبعضهم والاكثر على انها رؤية عين ليلة الاسرى لان الفتنة فيها اظهر وان كانت رؤيا (ارتاح)
المنام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده لقد صدق الله الآية فوجه الفتنة انه لما رجع من الحديبية اشتبه وجه الدخول على كثير منهم حتى قال ابو بكر (والمقصود التخويف)
لما لم يبين زمان الدخول فسيدخلونها من بعد وقيل هو رؤية منام رأى عليه السلام القردة ينزو على منبره فاولها ببني امية وكان قد اثبق الى عمر
فسمع الحكم يقص الرؤيا فاتهم ثم تبين ان الحكم كان يتسمع فنفاه من المدينة والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم التي ذكرت في قوله انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم واورد على هذا ان الرؤية كانت بمكة وما كانت للنبي صلى الله عليه وسلم منبر بها واجيب بانه يجوز ان يرى بمكة ان منبره بالمدينة
ينزو عليه القردة وروي انهم قالوا ما نعرف الزقوم الا اكل التمر بالزبد وقيل الكشوث وقيل اليهود وقيل ابو جهل وقيل الشيطان ووجه اللعن اما لعن
اكلها او ان طلعها كانه رؤس الشياطين والشيطان ملعون او لانه في ابعد مكان من الرحمة وهو اصل الجحيم واللعنة الابعاد عن الرحمة او لانها مكروهة
من قولهم طعام ملعون اذا كان مبغوضا وقيل وجه اللعنة انهم قالوا ان محمدا يزعم ان نار الجحيم تحرق الحجارة ويقول ينبت فيها الشجر واي بعد في ذلك
ومن المشهور ان دويبة ببلاد الترك تسمى السمندل تتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت القيت في النار فينظف ولا يحترق ويقرب منه النعامة تبلع
الجمر والحديدة المحماة كالجمرة فلا يضرها وايضا في كل شجر نار فان قيل لما كانت الشجرة ايضا سبب الفتنة فلم لم يؤخر الفتنة عنها وعن الرؤيا
قلنا لعله من قبيل قولهم نحن بما عندنا وانت بما عندك راض اي نحن راضون في ان نقدر الفتنة في الثاني او انه اكتفى بالاعظم فتنة عن الاقل وفي الحلة
ويدل على الاول ما قرئ برفع الشجرة اي الشجرة الملعونة كذلك وفيه نظر فان ذلك لا يصلح جوابا اذا كان الكلام في ترجيح التركيب ولعن الشجرة قيل
للكفار والذين ياكلونها او المراد تبعيدها وهي مبعدة عن جميع صفات الخير فما يزيدهم التخويف الا مجاوزة عن الحد في العصيان

واذ قلنا

العبارة في المفاتيح قال ابن عباس الشجرة الملعونة في القرآن المراد بها بنو امية يعني الحكم بن ابي العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله الحكم يخبر برؤيا رسول الله فاشتد ذلك عليه واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم فنفاه رسول الله ٥

دويبة ببلاد الترك تسمى السمندل ويقرب منه النعامة

في كل شجر نار

---

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته
الا قليلا لعل وجه المناسبة انه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يرى من قومه فبين الله سبحانه ان اول الانبياء قد كان هذا حاله مع الشيطان
او الكبر والحسد حمل الكفرة على العناد كما حمل الشيطان على قصة آدم طينا حال من من اي اسجد وهو طين في اصله او عن ضمير صلته اي اسجد لمن كان في وقت خلقه
طينا او على نزع الخافض اي خلقته من الطين او على التمييز وكرمت اي كرمته علي بان فضلته باسجاد الملائكة ومعنى ارايتك اخبرني والا محل للكاف بل هو تأكيد للخطاب (اخبرني)
وهذا مفعول والتقدير لم كرمته علي وانا خير منه حيث خلقتني من النار التي هي اشرف ويقبح في العقل امر الافضل بخدمة المفضول ثم ابتدأ وقال والله لئن
بان تركتني حيا لاستأصلن ذريته بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا اكلت جميع ما عليها وقيل من حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا
تقودها به والمعنى لاضلنهم واللام الثانية جواب القسم والقليل العباد المخلصون وقد سبق ان علمه بقدرته عليهم اما بالسماع من الملائكة او قوله سبحانه
اتجعل فيها وامارات تدل على ذلك كضعف عزم آدم وايضا القوة العقلية الدافعة لضرر الشهوية والسبعية والغضبية لا تكمل الا في الآخر
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا الامر بالذهاب للابعاد لا لارادة الانتقال
او البعد من الاولياء وضمير المخاطبين دون الغائبين مع انه مقتضى من لتغليب المخاطب اذ التقدير فان منهم جزاؤك وجزاؤهم ولعل ذلك من قبيل الالتفات
للعناية بشأن التخويف وجزاء منصوب اما بدلالة جزاء جهنم على تجازون او تقديره كما في غيره من المصادر او على الحال الموطئة لقوله موفورا واستفزز
استخف والفز الخفيف وقيل ازعج واصله القطع وتفزز الثوب اذا انخرق بصوتك بدعائك اياهم الى موافقتك وكل صوت دعا الى فساد فقيل
فقيل هو صفة الشيطان وقيل هو تمثيل بحال من له تسلط على من يدعوه بصوت على قومه وقيل الانعام بحيرة وسائبة ونحوهما او بتبتيكهم آذان الانعام
وقيل قولهم هذا لله وهذا لشركائنا فيجيبونه ويقدر على اخراجهم من اماكنهم فيجلب عليهم بجنده فيستأصلهم وقيل ضرب مثل يقال للمجد في الامر جئتنا بخيلك
ورجلك ومعنى اجلب صح عليهم والجلبة شدة الصوت اي ادعهم الى طاعتك بركبانك وقرئ بكسر الجيم والاكثر على الضم وهما لغتان والاول
كناعب وتعب والثاني كندس ونُدُس وقرأ ورجالك ورجالك والمراد اعوانه من راكب وراجل وهو كل راكب او راجل في معصية الله وقيل استعبد
من الشياطين راكب وراجل والخيل يقال للخيالة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل هو اسم جمع للراجل كالصحب والركب والمشاركة
في الاموال بجمعها من الحرام والتصرف الفاسد والاولاد بتسميتهم نحو عبد العزى والحمل على التدين بالدين الباطل وقيل اولاد الزنا والموؤدة او الدعاء
الى الزنا وما يعدهم اعتراض يؤكد حال فعل الشيطان على من يغويه والاتكال على مواعيده الباطلة من تسويف التوبة وان لا حشر ولا نار كان غرضه التنفير
عن الاعتقاد الحق والترغيب في الباطل وقيل وعد شفاعة الاصنام لا على مغفرة الذنوب ولو كانت كبائر بالشفاعة فانه من مواعيد الله ورسوله عليه السلام
والمقنط منها هو الشيطان لتكذيبه الرحمن ورسوله الذي وعد بها الغفران ووعد الغرور كون زاجر الان ما يدعو اليه من اللذات اما دفع الآلام او خسيسة
لاشتراك الكلاب فيها ولا تحصل الا باتعاب فيكون الترغيب فيها تغريرا ثم بين سبحانه ان العباد السعداء الذين خلقهم للجنة لا سلطان له عليهم فان قيل
لا يلزم من نفي السلطنة نفي مداخلته بالكلية وهو لا يخلص لا يتأثرون به اصلا فما فائدة هذه العبارة لا سيما واذا كان العباد يتوكلون به في الاستعاذة منه
فهو يعيذهم عن ان يتخبط عقلهم بل لا يقدر الا على وسوسة ويحفظهم وينصرهم وقيل المراد اهل الفضل والايمان قلنا لان من المعلوم صدور صغائر الذنوب منهم

وهو من الشيطان وهي وان كانت مغفورة لهم لكنها بداخلة في فيها مرضاة في الجنة واعاذه الله بالحفظ من الكباير والاصرار على الصغاير والآية
كما ترى تدفع المعتزلة وتهدم مذهبهم الزايغ فانه ظاهر في ان ما يصدر من المعاصي بتمكين الله سبحانه والحمل على الخذلان ونحوه صرف للكلام عن ظاهره لا سيما
ولو كان تحصيل الخير ودفع الشر يحصل للانسان من نفسه لوجب ان يقال كفى الانسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان لكن قال كفى بربك نعلم ان الكل منه
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا
لعل ذكر هذه النعمة دون غيرها لانها من اعجبها واعظمها فان البحر محل الغوايل والهلكات فاذا صار سببا لنيل النعم بفضل الله وبالنجاة عنه كان الله
حقيقا بان يشكر ولا يكفر فيحترز عن عبادة الشيطان التي هي مخالفة الرحمن والازجاء الاجراء والتسيير وقيل سوق الشيء حالا بعد حال والابتغاء
من فضل الله طلب الربح للتجارة والتعقيب بكونه سبحانه رحيما بالمؤمنين كالوعد بانجاز الحاجة مع السلامة من غوايله والضر خوف الغرق بعصوف الرياح وغيره
وحينئذ يبطل ويزول عن الخاطر غير الله ممن يسمونهم آلهة وقيل ينسى كل معبود فلما نجاكم من الغرق وانتهيتم الى البر ولعل وصل الى صلة لتضمين نحو
انتهيتم اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في الكفران كقول ذي الرمة * عطاء فتى تمكن في المعالي * فاعرض في المكارم واستطالا * ولا اجراء الانسان
على ظاهره يناسب الحمل على الثاني اذ المراد انه جحود للنعم أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان
يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا والاستفهام للانكار على حرف العطف المراد به عطف على مقدر
مثل انجوتم فامنتم فحملكم على الاعراض فان الله قادر على ان يهلككم في البر بالخسف وهو دخول الشيء في الشيء وعين خاسفة غايبة حدقتها في الرأس كما قدر
ان يهلككم في البحر بالغرق ولا يختص جانب بظهور القدرة فيه بل الجوانب كلها سواء باعتبار القدرة على الاهلاك فيه والخسف بهم ان يقلبه عليهم
وهم عليه وبكم حال او صلة وقيل جانب البر الساحل او امنتم ان يرسل عليكم حجارة من السماء كما فعل بقوم لوط وقد سبق اليه الاشارة بقوله سبحانه
وما هي من الظالمين ببعيد وقيل الحاصب الريح تأتي بالحصباء وحينئذ لا تجدوا من يحفظكم ويخلصكم من عذابه او امنتم يكون قد قدر لكم ركوب البحر تارة اخرى
يقال اتره جئت به تارة اي اعدته وقرئ بالنون فيه وفي الاربعة التي بعدها والقاصف من الريح هي تكسر كل شيء اتت عليه وقيل هي التي يكون لها قصف
اي صوت شديد كانها تنقصف اي تتكسر ويقرأ بالتاء اذ الفعل للريح وكذا يخسف ويرسل والتبيع المطالب ومنه اتباع بالمعروف كما قال الشماخ
كما لاذ الغريم من التبيع اي لا تجدوا من يطالبنا بما فعلنا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
لعل وجه المناسبة تأكيد تقبيح الكفران منهم بعد هذه المنة العظيمة او ان هذا الجنس لو استحقاق ما ذكرناه من النعم والمعنى شرفناهم بانواع الكرامة او النسبة
الى الكرم ومنها حسن اعتدال المزاج وحسن الصورة والخط والكتابة وبها حصلت المباحث العقلية والشرعية التي انتهت الى اقصى الكمال بضم المتأخر مباحث
الى بحث المتقدم والتميز بالعقل وقوة الفهم والتفهيم والتهيؤ لاصلاح امر المعاش والمعاد ودرك العلوم النظرية واللدنية بالرياضات ونيل تلك السعادات
ومن شرف الانسان ان له قوة عاقلة مدركة لحقايق الاشياء على ما هي عليها وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله سبحانه ويشرق فيها ضوء كبريائه وهو الذي
يطلع على عالمي الخلق والامر ويحيط باقسام المخلوقات من الارواح والاجسام وايضا العناصر الاربعة باعتبار خلق الانسان من التراب والانتفاع
بالماء شربا وزرعا وغيرهما والهواء بالنظر الى انه لولاه لاستولى النتن على العالم والنار بجهة الطبخ والنضج والاضاءة والمعادن والنبات والحيوان
مسخرة له فالعالم كقرية معمورة وجميع ما فيها المصلحة فهو كالمخدوم والمطاع وساير الحيوانات كالعبيد له وايضا العالم العلوي اشرف وروح الانسان

من جنس

من جنس الارواح العلوية والجواهر القدسية فليس في هذا العالم شيء حصل فيه من العالم الا الانسان فيكون اشرف ومن جملة ما تميز به عن ساير الحيوانات ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان كل حيوان يتناول الطعام بفيه والانسان بيده حتى انه لما ذكر عند الرشيد ذلك رمى بالملعقة ومن جملة التكريم الحمل في البحر على السفن حتى يدرك لطايف
البلاد البحرية وفي البر على الدواب لذلك وليعتبر بالآيات الآفاقية ورزقناهم من المستلذات او الحلالات وفضلناهم بالغلبة والاستيلاء او بالشرف
والكرامة والاصدار بالكثير اما عن الملائكة او خواصهم وهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ولا تمسك للمعتزلة وغيرهم على افضلية جميع الملائكة على جميع البشر
لانه لا يلزم من عدم تفضيل احد الجنسين على الآخر عدم تفضيل بعض الافراد فانه اذا قيل الرجل خير من المرأة لم يلزم ان يكون كل فرد من الرجال خيرا من كل فرد من النساء
بل المحقق خلافه ثم ان لصاحب الكشاف في هذا المقام كلاما لا يحسن ان ينقل فان كل من سمع علم انه من جنس كلام العامة حيث لم يأت ببرهان ولا بامارة تدل
على تفضيل الملك بل صورة شناعة ونسبة طايفة الى انهم فضلوا الانبياء عليهم من غير دليل ولو كان من رجال هذا البحث لاتى بالمعقولات والمنقولات
التي استدل بها الخصوم وابطلها بالزامات حقة وكان له الكلام حينئذ نعم قد استدل به هكذا وهو ان الآية تدل على ان الانسان ليس باشرف من بعض
المخلوقات وكل من قال بان شيئا ليس الانسان افضل قال هو الملك فلزم ان لا يكون افضل من الملك ويمكن ان يجاب عنه بانه لا يلزم من كونه ليس بافضل
ان يكون هو افضل لجواز ان يكونا متساويين واختلف في ان عوام الملك افضل من عوام المؤمنين ام لا فالذاهب الى الاول تمسك بهذه الآية
والى الثاني تمسك بقوله صلى الله عليه وسلم وعزتي وجلالي لا اجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه
بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا لما بين تفضيل الانسان ذكر ان مراتبهم
مختلفة والامام من يتبع ويؤتم به في الدين من كتاب او نبي وقيل المراد الدين وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بامام زمانهم
وكتاب ربهم وسنة نبيهم وقيل كتاب اعمالهم او معبودهم وهو يناسب ما بعده فمن اوتي من الناس فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
او يقال يا امة موسى يا امة عيسى يا اتباع نمرود يا اتباع فرعون ويدعون بكونهم تبعا لامامهم كما تقول ادعوك باسمك او مختلطين بامامهم اي يدعون
وامامهم فيهم او الداعي الى الافعال الظاهرة والاخلاق الباطنة كالعفة والشهوة والشجاعة والحمد فذلك الخلق كالامام كذا ذكره في المفاتيح
فمن اوتي كتابه من المدعوين ويوم منصوب بما دل عليه لا يظلمون او اذكر ويقرأ يدعو ويدعو على قلب الالف واوا كما في افعوا في افعى او على انه علامة
كما في اسروا النجوى والذين تأكيد فانه مثله في الاشتمال على الفاعل وقيل جمع ام كخف وخفاف وجل وجلال وفيه بعد ووجه باظهار شرف عيسى عليه السلام
والحسن والحسين رضي الله عنهما ولفظ اولئك لمعنى الكثرة وكتابه كتاب عمله فيقرأه مرة بعد اخرى تبجحا له وفرحا به وعدم ذكر من يؤتى كتابه بشماله
اما للاكتفاء بقوله تعالى ومن كان في هذه اعمى او لان الخجلة والدهشة والخشية تمنعهم من قراءة مشتملة على رعاية الحروف فيكون قراءتهم كلا قراءة
لا سيما ويستعقب الانتقام فيه ولا يظلمون ولا ينقصون مما يستحقون من الثواب قدر فتيل وهو ما يفتل باطراف الاصابع ويطرح او ما في شق
نوى التمر ومن كان في الدنيا اعمى القلب لا يهتدي الى رشده فهو في الآخرة اعمى لا يهتدي الى طريق النجاة لانه ليس وقت ذلك او من كان اعمى
عن رؤية تلك النعم في قوله ربكم الذي يزجي فهو في امر الآخرة الذي لم يعاين اعمى واضل او القدرة على خلق السماء والارض او آفاتهم الدنيا التي
اشتد حرصهم عليها ولم يكن معهم نور الله بقوا في الظلمة مستعار من عمى البصر لهذه المشابهة وقيل هو افعل التفضيل ويؤيده ذكر اضل وهذا اذا
لم يلحق العيوب النفسية بالبدنية او يجوز مطلقا وانما قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لانه اذا كان لا يتم هنا الا بمن

فكانها وقعت فى الوسط والامالة تكون فى الآخر وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا هذا بيان حال عمى القلوب
روى ان ثقيفا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لاندخل فى دينك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلوتنا اى لانركع
وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم واديا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل
ان الله امرنى وقيل نزلت فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك واللام هى الدالة على كون ان هى المخففة والمعنى ان الشان
انهم قاربوك من الفتنة بصرفك واستنزالك عن الوحى بالامر والنهى لتقول علينا مالم نقل ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا وقيل قصدوا ان تكف عن ذم
آلهتهم لما طلبوا ذلك وخرجت عن خلتنا ولولا تثبيتنا اياك بالعصمة لقاربت ان تميل الى خداعهم قيل لان كادوا كيدا اذا احتال ركونا قليلا
وفى هذا تهييج ولطف للمؤمنين وهذا المثل لم يكن الا حرصا على هدايتهم والآية تدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يهم لان لولا لامتناع الشى لامتناع غيره
وان كان هذا الخاطر مما يتجاوز الله عنه ومعنى اذا لاذقناك انه لو ركنت اليهم ادنى ركون لاذقناك عذاب القبر وعذاب الآخرة مضاعفين او عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به فى العالمين بمثل هذا الفعل غيرك لان الخطاء من الانبياء اعظم وتحقيق الكلام عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا
فى الممات فهو صفة موصوف محذوف اقيمت الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب ثم لاتجد نصيرا يدفع عنك
العذاب والآية لاتدل على صدور الذنب كما قال الطاعن لان قرب الذنب ذنب لان لولا لامتناع الشى لامتناع غيره والتهديد على المعصية لايدل
على الاقدام عليها وفى الآية دليل على انه لاعصمة من المعاصى الا بتوفيق الله تعالى لانه اذا كان النبى صلى الله عليه لولا تثبيت الله لكان يميل الى الكفار فغيره اولى
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا اى
ان كاد اليهود ليستفزونك من ارض المدينة او من ارض العرب او المشركون من ارض مكة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم حسد به اليهود فقالوا ان الانبياء
بعثوا بالشام وهى المحشر وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك وعلمنا انه لايمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله
مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى تجتمع اليه اصحابه للحرص على ايمانهم وقيل ذلك اخراجه من مكة
الا ان تقول الآية مكية فيكون هو الوجه ولايشكل ذلك بقوله تعالى وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك لانا نقول انهم هموا باخراجه
لكنه عليه السلام خرج باختياره وفيه بعد واذا لايلبثون اى لايبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا وان كان المراد مكة وقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه و
لاينافيه ما قيل انهم لو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وعلى الاول ذكر قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير وقرأ لايلبثوا
منصوبا باذن وعلى الاول عطف على الفعل ورفعه بخبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم وعلى الثانية عطف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك
وقرئ خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا فالشواطب النساء تشقق القصب للحصير بعد خراب
ديار الاحباب ومعنى من ارسلنا ان اخراج الرسل سنة الامم السالفة اى سن الله ذلك وهو مهلكهم بعده فهى منصوبة على المصدر المؤكد لغيره
ولاينافى ذلك للاضافة الى الرسل للملابسة كونهم مخرجين بدلالة ولاتجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا والمعنى ان الله اجرى عادته بتخصيص الحوادث
باوقات معينة ولايمكن لاحد تغييرها لان الصفة المقتضية له ان كانت حادثة افتقر حدوثها الى المخصص وتسلسل وان كانت قديمة امتنع تغيره

لان ثبت

لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا لما قرر الالهيات والنبوات اردفها باشرف الطاعات ومعنى اقم عدل اركانها واپ عليها ودلوك الشمس زوالها وميلها
للغروب قال النبى صلى الله عليه وسلم اتانى جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر وقيل دلوكها غروبها ويدل على الاول ما قيل ان اشتقاقه
من الدلك فان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها وغسق الليل ظلمته وقيل غروب الشمس وقيل عند غيبوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشتدادها يقال
غسقت العين اذا امتلأت دمعا وعلى الاولين الآية تجمع الصلوات الخمس وقيل صلوة العصر وقرآن الفجر صلوة سميت ببعض اركانها فيكون دليلا
على انه لم يوجب القراءة وهو الاصح وسمى الفجر به لانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح وكونها مشهودة يجتمع عليها ملائكة الليل والنهار وروى
انه يشهده سبحانه ثم ملائكة الليل عند العروج وهو اول الصبح فيكون افضل من الاسفار ثم اذا امتدت القراءة واضاء النهار حضرت ملائكة النهار
وملائكة الليل عند الصعود او كثرة المصلين او من حقها ذلك او تحريضا على طول القراءة ولذلك يقرأ طوال المفصل وقيل تشهد العقول والارواح بان
انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى النور ومن الموت الى الحيوة ومن السكون الى الحركة لايقدر عليه الا الخالق بالحكمة البالغة ذكره فى المفاتح وتهجد نام
وتهجد استيقظ نحو حنث وحنث والتهجد ترك الهجود ايضا نحو التأثم والتحرج نافلة عبادة زائدة لك على الخمس وهى بمعنى التهجد فيكون المعنى فريضة
مختصة بك وقيل غنيمة وقيل ما فيه معنى الفضيلة نسخت فى حق الامة وقيل هو ان تصلى ثم ترقد ثم تصلى ثم ترقد والمقام المحمود الذى يحمد القائم فيه
ويطلق على كل ما يجلب الحمد من الكرامات وقيل مقام الشفاعة وقيل تقربه سبحانه منه والاول اولى لان دفع الالم فوق تحصيل المنفعة فيكون مقام
الشفاعة فى اسقاط العقاب وهو نصب على الظرف وان ضمن نقيمك فمفعول به وجاز ان يكون حالا اى ذا مقام محمود وعسى قيل مصدر من غير
لفظ فعله وعسى من الله واجب لانه للاطماع ومن اطمع انسانا فى شئ ثم حرمه كان عارا عليه والله اكرم من ان يطمع ثم يحرم وقل رب ادخلنى مدخل
صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان معناه امتنى اماتة صدق واخرجنى مخرج صدق من قبرى فالمدخل القبر فيضم الميم فيهما بمعنى المصدر فالمعنى ادخلنى ادخالا مطهرا عن السيئات واخرجنى
اخراجا ملقى بالكرامات وما يقرأ من فتح الميم فالمعنى ادخلنى فادخل مدخل صدق واخرج مخرج صدق وذكره بعد البعث يريد الاول وقيل اراد
ادخال المدينة والاخراج من مكة بالهجرة او الدنيا والجنة او جميع امور دنياه وآخرته وقيل ادخاله فى الغار واخراجه سالما او فى تحمل اعباء الرسالة
واخراجه مؤديا حقها والمعنى بالصدق الصلاح كما تقول رجل صدق اى ادخلنى فى الصلوة واخرجنى منها مع الاخلاص او فى القيام بمهمات الدين
والشريعة واخرجنى اخراجا لايبقى على تبعة او المراد الصدق فى العبودية فى كل دخول وخروج والسلطان على الحجة على من يخالفه فى امر النبوة او اظهار
ما وعده الله سبحانه بقوله والله يعصمك من الناس ليظهره على الدين كله وليستخلفنهم او وعده ملك فارس والروم وفتح مكة وكسر الاصنام
وكانت ثلثمائة وستين فجعل يطعنها بمخصرة فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل حتى روى انه شكا اليه الكعبة من ذلك فاوحى اليها ان يملأها خدودا
سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطيور الى اوكارها لهم عجيج حولك بالتلبية وزهق بطل يقال زهقت روحه فلان اذا بطلت
والباطل الشرك والكفر او المعصية ويقابلها الاسلام والطاعة ان الباطل كان مضمحلا فى كل وقت والحق يدوم ويبقى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا قيل من للبيان اى الذى هو الشفاء وان كله شفاء كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله فقيل من جميع الاسقام ببركته او سقم القلب والضلال لان المرض الروحاني اعتقادات باطلة واخلاق
ذميمة وفي القرآن من الدلايل ما ينتفع به الاول والارشاد الى الاخلاق الجيدة والاعمال الصالحة فينتفع به الثاني واما الامراض الجسمانية فينتفع
ببركة قراءته وان جعلت للتبعيض فالمعنى ان البعض الذي شفاء للمؤمنين فهو كشفاء المرضى وقيل زايدة نحو واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
ولا يؤثر الكافر به الا نقصانا نحو فزادتهم رجسا الى رجسهم للكفر به والبيان اولى اذا حمل على انه شفاء من داء الجهل واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ووجه الربط ان النفوس الزكية تظهر فيها آثار
الشفاء والرحمة والنفوس الخبيثة بعكس ذلك اي اذا وسعنا عليه وصححنا بدنه اعرض عن ذكر الله او ما كان فيه من الضيق وقيل مختص بالكافر او وليد بن المغيرة
ونأى بعد عن القيام بشكر النعم او تأكيد الاعراض لان الاعراض ان يوليه عرض وجهه والثاني ما يجانب ان يكون عنه عطفه وتوليه ظهره او
استكبر لان ذلك عادة المستكبر كانه مستغن وقوي ونأى بالقلب واذا مسه الفقر والجدب صار قنوطا من الفرج والشاكلة الطبيعة والعادة والمذهب
والمراد ما يشاكل حاله في الهدى والضلال او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاجه يقال طريق ذو شواكل اذا كانت متشعبة وقيل ما هو اشكل بالصواب
واولى بالحق عنده والاهدى هو الاصوب والاصح وهو الاقرب الى الخير والابعد من الشر ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا هو الروح الذي يحيى به الانسان والاكثر على انه الذي في بدن الانسان والذي يدبره فاجاب بانه من جملة الابداعيات الكائنة بكن
فانه ذلك الامر الذي يوجد الله به الاشياء من غير سبق مادة وتولد من اصل كاعضاء بدنه او انما وجد بامره وحدث بتكوينه بمجرد قوله كن وهذا اعم
وقيل من وحي ربي وقيل السؤال من قدمه وحدوثه وان كان السؤال من حقيقته فهي لما كانت من البسايط لا يمكن معرفته بخواص غيره عن غيره
ولهذا اجاب موسى عليه السلام فرعون بذكر صفاته لما استحال التعريف بحسب الحقيقة ولهذا قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وهو ما يستفاد بتوسط الحواس
لان العلوم النظرية لا تدرك الا من البديهيات المستفادة من ادراك الجزئيات ولهذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما واكثر العلوم لا تدركه الحس وقيل
الروح جبرئيل وملك اعظم من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه له سبعون الف لسان لكل لسان له سبعون
الف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها يخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة الى يوم القيمة وقيل القرآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وايضا به يحصل حيوة الارواح والعقول اذ به يحصل معرفة الله وايضا ما قبله وما بعده في وصف القرآن روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت عنها فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فابهم
امر الروح وهو في التورية كذلك واجاب عن القصتين وروي انه لما نزل وما اوتيتم من العلم قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم
فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والتعجب الذي ذكروه
يختص بهم والا فاي منافاة بين الخير الكثير الذي يحصل لمن اوتي الحكمة وبين كون علم الانسان قليلا بالنسبة الى علم الله تعالى لسحر السؤال وقيل الخطاب
لليهود لانهم زعموا الخير الكثير باتيانا التورية اليهم ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيرا وجه الاذهاب ان يمحى من القلب والمصاحف فلا يعلم شيا منه كما هو قبل الوحي اللام الاولى للدلالة على القسم لانها موطئة له
والثانية جواب ناب مناب جواب الشرط دون العكس لان القسم هو المقصود ثم بعد الاذهاب لا تجد كفيلا يسترده الا رحمة فانها بتوكل

بارد

من فقد حسا فقد فقد علما

بالرد وان حمل الاستثناء على المنقطع فالمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وفيه منة عظيمة كما في الانزال فانه قد ورد على ما رآه ابن عباس رضي الله عنهما
انه يرفع القرآن برفع المصاحف وينزع ما في القلوب من العلم به فلا دلالة فيه على حدوثه نظرا الى ان القديم لا يمكن ازالته والفضل الكبير هنا النبوة وانزال القرآن
وجعله سيد ولد آدم وختم النبوة به واعطاء المقام المحمود ولقايل ان يقول ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم انا اكرم الاولين والآخرين على الله يدل على كونه اشرف
من جميع الملائكة ايضا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لما ذكر الوحي وحاله اردفه
برد ما قالت اليهود فيه فانه روي انهم قالوا ان كنت نبيا فأتنا بآية كآية موسى فان القرآن وان عجز الحاضرون عن الاتيان بمثله فلعل في الغائبين
من يقدر عليه والملائكة لعلهم لم يذكرهم لانه عليه السلام لم يكن مبعوثا اليهم وايضا اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا الان ذلك ايضاح عند الله ليظهر المعجز معهم
واللام الموطئة تمنع من كون الثانية جواب الشرط فهو جواب القسم كما قال وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غايب مالي ولا حرم جعل يقول استينافا
لا جوابا بسبب كون الشرط ماضيا والجواب مضارعا فيجوز الامران ومن غريب الكلام الذي لا يقدم عليه الا الجاهل الاستدلال بكونه معجزا على كونه غير قديم
بناء على ان العجز لا يطلق الا عند القدرة فيقال لهذا القايل اولا ما المانع من ظهور العجز بعد القدرة كما هو مذهب الصرف وعلى المذهب الحق فقوله واما
المحال فلا يقال للفاعل انه قد عجز عنه فما المعنى بالمحال ان كان لذاته فهو مسلم وان كان لغيره فلا نسلم ولم قلت انه من قبيل الاول ثم قوله رأس مال المكابرة
فهو معارض بالمثل ثم قوله وقلب الحقايق لا يخفى انه نوع هذيان اذا تأملته والظهير الظاهر المعين ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى
اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي رددنا وكررنا من كل معنى فيه نوع غرابة كالمثل المشتمل على الترغيب والترهيب واحوال الائمة
والامم الماضية والعبر باحوالهم فابى اكثر اهل مكة او كفار ذلك الزمان لانهم لم يقنعوا باعجاز القرآن واقترحوا الآيات وقيل في الاعتذار عن عدم النفي
في هذا الاستثناء وهو المفرغ انه انما جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان في ابى معنى النفي ولقايل ان يقول لم لا يجوز ان يكون
من قبيل قرأت الا يوم الجمعة لانه ان كان المراد اهل مكة فهم محصورون وان اراد كفار ذلك الزمان فكذلك ثم لما لزمهم الحجة تعللوا بطلب آيات اخر
كالمبهوت المتحير وسبب النزول ان قريشا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سل لنا ربك الذي بعثك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا
بلادنا وليجر فيها انهارا كانهار العراق والشام وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسأله عما تقول احق هو
ام باطل فان فعلت صدقناك فقال صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت انما جئتكم من عند الله بما بعثني فقد بلغت ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم
وان تردوه اصبر لامر الله قالوا فان لم تفعل فسل ربك يبعث ملكا يصدقك وسله يجعل جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك
فانك تقوم في الاسواق وتلتمس المعاش ما انا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا وتقرأ بيت من ذهب قالوا
فاسقط علينا السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ان ارادوا حيث قال ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقالوا ان لم تستطع
الخير فاستطع الشر فاسقط الى آخره وقال قايل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا وقال عبد الله بن امية المخزومي لا اؤمن لك ابدا
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وتعني في السماء في معارجها وانا انظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بالتصديق

فانقلب النبي عليه السلام حزينا لما رأى من تباعدهم والينبوع العين الغزيرة التي من شانها ان ينبع بالماء لا ينقطع يفعول من نبع كيعبوب من عب الماء
نخيل جمع نخل كعبيد جمع عبد وقرئ كسفا بسكون السين يقال كسفت الشيء قطعته وقيل قطعا بالعذاب والكسف بالفتح جمع واحد كالذبح والطحن بمعنى
المطحون حال من السماء والقبيل الضمين والقبالة الضمان وقيل مقابلة او شهيدا او مجتمعين اجتماع القبائل او كفيلا على تصديقك او المقابل كالعشير
او فوجا بعد فوج والزخرف الذهب او الزينة وهو كقوله واني وقيل بها الغريب او ترقى اي تصعد والكتاب هو المشتمل على ان يكون فيه اني ارسلت
محمدا رسولا وتقرأ قال اي النبي عليه السلام هل كنت الا بشرا رسولا فيكون حال الرسل من قبلي لا ياتون الامم الا بما يظهره الله على ايديهم ولم يكن لهم ان
تقترحوا الآيات وسبحان الله يذكر للتعجب اما متعلقا من حالهم او لاجل نسبة الاتيان والمجيء الى الله سبحانه او التحكم في اقتراح الآيات. وما منع
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا. اي ما منع الناس عن الاعتراف بحقية القرآن ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم الا استبعاد
ارسال البشر وذلك ظنهم بالحكمة فامره الله بان يجيبهم بما يزيل الشبهة وهو انه لو كان المرسل اليهم ملائكة يمشون في الارض مشي الانس لنزلنا
اليهم الرسول ملكا لان المجانسة يقتضي ادراك المجانس وفهم كلامه والا فاكثر الخلق لا يقدرون على ادراك الملك فكيف يفهم كلامه واذا كان دليل
الصدق المعجز فسواء ظهر على الملك او البشر وجب الاعتراف على حقية المرسل وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا تقدمت عليه لكون ذي الحال نكرة
وان يكون موصوفا وكذلك بشرا وذكر ان الاول اولى بالجواب وللقائل ان يحقق ذلك بانه اذا جعل ملكا حالا من رسولا لزم ان لا ينفك الذات
المنزل عن الحكم عليه بكونه ملكا ورسولا فانه مبين للمفعول مقيد للفعل بذلك الوصف وهذا هو المطلوب المقترح وهو ان لا ينفك عن حال الملكية في شيء
من اوقاته ولو جعل موصوفا جاز انفكاكه عن وصف الرسالة في وقت من اوقاته ولو جعل موصوفا جاز انفكاكه عن وصف الرسالة في وقت النزول
لانه لا استحالة في ان ينزل ملك ولم يكن رسولا ثم يأمره الله بالرسالة وشهادة الله للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة باظهار المعجزة حين قالوا من يشهد لك
انك رسول الله او يشهد على التبليغ او على كفركم والله خبير باحوالهم الباطنة والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم
فان الله عليم ببواطنهم وانهم لا يقولون ذلك الا حسدا لطلب الرياسة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا من يوفقه الله للايمان فلا مهتدي غيره لانه لا موفق
غيره ومن يضله عنه فلا اولياء له يهدونه وفيه تسلية الرسول عليه السلام وان الهدى والضلال من الله سبحانه والحشر على الوجه ان يسحب عليه او يمشي عليه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل يسرعون يقال مر القوم
على وجوههم اذا اسرعوا والعمي والبكم والصم يكون لهم وقت الخروج من القبور ثم يزول عنهم لما ثبت من نقايضها يوم الحشر نحو ورأى المجرمون النار
سمعوا لها تغيظا وزفيرا او المراد لا يجدون بهذه المدركات على وجه ينفعهم كما كانوا في الدنيا او يكونوا موتى القوى عند الحشر الى النار خبت اي سكن لهبها
بان اكلت ابدانهم وزيادة السعير بان تبدل جلودهم ولحومهم فتستعر ثانيا وثالثا كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الفناء عذبهم الله بها بين الحالتين
والاشارة بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا. والاشارة الى العذاب او العمى وقرينه ويحتمل ان يريد الاعم



وقوله اولم يروا رد على استبعادهم الاعادة بان السبب في ذلك قدرة القادر وقابلية المحل فكما ان يمكن خلق السموات والارض مع عظمتها فليمكن
الاعادة للاشتراك في السبب فناسب عطف وجعل لهم اجلا على اولم يروا فان قيل ما وجه مناسبة وجعل الى آخره بما سبق قلنا لعل المقصود بيان انه لما تخصص
الاجل بوقت معين ولا مخصص غير الارادة فكذلك الاعادة بعد الموت ويدل عليه ان مقتضى ما ذكر من الدليل الاعتراف بحقية الاعادة ومع ذلك
ابوا الا الجحود. قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا. وجه المناسبة ان الايجاد من الجود الالهي
فالمنكر له منكر لذلك فقال الامساك خشية الانفاق الذي مظنة الاعدام شانكم وهو انكم لو ملكتم جميع خزائن نعم الله لغلب عليكم الامساك وهو من قبيل
الحذف والتفسير نحو لو ذات سوار لطمتني وتقييد الايجاز مع البيان وامسك وان كان متعديا فقيل لم يقدر له مفعول لانه في قوة بخلتم وللقائل ان يقول
لو وجه بانه اذا لم يقدر له مفعول كان ابلغ من حيث المعنى لانه يصير المعنى ان من شانكم الامساك لاي شيء كان مثل قولهم فلان يعطي ويمنع فانه ابلغ من ان
يذكر له مفعول لانه يتعلق به ولا يلزم منه التعلق بشيء آخر بخلاف صورة الاطلاق والانسان خلق بخيلا في الجملة لانه وان كان جوادا فليس ذلك الا لغرض
فهو بخيل بالاضافة الى الله سبحانه وقيل اراد بيان بخلهم بعطاء الله لرسوله حسدا منهم وفي تقديم الضمير دليل على اختصاص تلك الحجة بهم وفيه مبالغة عظيمة
لان خزائن الله غير متناهية ولو ملكوها لبقوا على الشح والحجة. ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني
لاظنك يا موسى مسحورا. اي علمنا ان اظهارها في زمانك ينفعهم لفعلنا كما فعلنا لموسى عليه السلام والآيات هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والسنون والنقص من الثمرات وقيل كلاهما واحد والتاسعة اما تلقف العصا او ازالة العقدة بلسانه او انفجار العيون
او انفلاق البحر او الطور الذي نتقه الله على بني اسرائيل وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا
من الزحف ولا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله وما ذكر ان الآيات اكثر من التسع لا اشكال فيه لان التخصيص بالعدد لا يدل على نفي الزائد
فسل يا محمد بني اسرائيل يعني مؤمنيهم كعبد الله بن سلام واضرابه لتزداد يقينا وللقائل ان يقول لو حمل على الالزام كان اولى باعتبار انه اخبار عن الغيب
بالنسبة اليه عما جرى بين موسى وفرعون وملائه اذ جاء اباءهم او فقلنا لموسى سل بني اسرائيل من فرعون بان يرسلهم معك ويمنعه اذ جاءهم الا
ان يحمل على الالتفات او عن اباءهم وحال بينهم او ان يعاضدوك ويكون قلوبهم وايديهم معك وقراءة النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الماضي بغير همزة
وهي لغة قريش تدل عليه واذ متعلقة على الاول باتينا او اضمار اذكر او يخبروك وعلى الثانية متعلق بقلنا لهم المحذوف وعلى الثالثة يصح تعلقها بسل
لاستقامة المعنى بخلاف غيرها لانه يلزم ان يكون سؤاله عليه السلام وقت المجيء وهو باطل والمسحور الذي ازيل عقله او اصابه خبل بنوع من السحر او الساحر
كما يقال مائن بمعنى آت وميمون وقيل اوتي السحر. قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا
فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا فقال موسى
لفرعون لقد علمت انه ما انزل هؤلاء الا الله مكشوفات واضحات ولا يمنعها الا مكابرة ونحوه واستيقنتها انفسهم وقرئ بالمتكلم والمعنى اني عالم
باني لست بمسحور كما زعمت وان هذه الآيات منزلها الله سبحانه والاول اولى لان ما علمه لا يكون حجة على فرعون والبصائر الدالة من بصيرة القلب وهي
ما تدل على القصد او شواهد وهي ظاهرة في الحال وان جاز نصبها على العلة ثم عارض ظنه بظنه انه مثبور اي هالك او ممنوع من الخير وقيل مهلكا او ملكا

التخصيص بالعدد لا يدل على نفي

او الملعون او عديم العقل وظن موسى صحيح وظنه باطل وجه كونه مثبورا انه لما علم انها معجزات دالة على ثبوته وانكرها كان عاقبته الدمار والهلاك فان قيل
كيف صح اثبات الظن لفرعون مع اثبات العلم بحال موسى قلنا لعل هذا باعتبار زعمه ثم انه ليس في القرآن ما يدل على اثبات الظن له ويقرأ وان اخالك
لمثبورا على انها المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يخرجهم من ارض مصر او يقتلهم فاغرقه الله مع قومه وحاق المكر السيئ باهله والارض ارض مصر والشام
والوعد قيام الساعة وقيل نزول عيسى واللفيف الجماعات من قبائل شتى او المختلطون من كل نحو والاول اولى لبقاء العموم وبالحق انزلناه وبالحق نزل
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا فيه تاكيد للامور المذكورة لاشتمال الكتاب عليه اي انزلنا القرآن
اي ملتبسا بالحق فهو حال عن المفعول والمراد الحكمة المقتضية للانزال لكونه وسيلة الى خيرات الدنيا والآخرة او انزلناه من السماء الا محفوظا بالملائكة
وما نزل الا محفوظا من تخليط الشياطين او قصد بانزاله اثبات الحق ورد الباطل والحمل على الآيات باعتبار المذكور او الوعد فيه تعسف وكونه عليه السلام
مبشرا انما هو بالوعد على الطاعة بالجنة ونذيرا بالوعيد على المعصية بالنار وقرآنا منصوب على التفسير اي فرقنا قرآنا فرقناه ويقرأ بالتشديد لنزوله منجما
على مكث اي امهال وتؤدة ويقرأ بفتح الميم ويؤيد نزلناه فانه نزل بحسب الحوادث في عشرين سنة قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيه تهديد
وقلة مبالاة بهم مثل من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يعني انهم وان لم يؤمنوا وهم اهل جاهلية فقد آمن به من هو خير منهم وهم علماء اهل الكتاب
الذين قرأوا الكتب واعترفوا بانه النبي الموعود به في الكتب السابقة وقيل مطلق العلماء وقيل المؤمنون وان الذين تعليل لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا
او تعليل على طريق التسلية اي ان لم يؤمنوا فقد آمن من هو خير منهم وحالهم انهم اذا تليت عليهم آيات خروا سجدا لله سجين له تعظيما لامره يقال
خر للذقن اذا سقط لوجهه والذقن مجمع اللحيين وانما ذكر الذقن لان اول ما يلقى الساجد من الارض الذقن ومعنى اللام مع ان على اظهر لارادة الاختصاص
اي جعل ذقنه ووجهه للخرور وقيل اشارة الى المسارعة ولهذا لم يقل يسجدون لانه اذا استولى خوف الله تعالى سقط كالمغشي عليه فيكون خروره على الذقن
اذا سمعوا القرآن عرفوه انه من عند الله فقبلوه والوعد ما ذكر في الكتب من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب عليه ويزيد القرآن اياهم
خضوعا ولين قلب ويكون حال من فاعل يخرون اي يسجدون باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلوتك
ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الهين وما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وقال اهل
الكتاب انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم والنزول لهذا عكس النزول للاول والدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو في الاصل يقتضي
مفعولين ترك احدهما استغناء عنه والمعنى سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا هذا او هذا فلا يشكل بانه يوهم المغايرة كقولك ادع زيدا او عمرا
والتنوين عوض من المضاف اليه لان ايا لازم الاضافة لافادة التعدد وما صلة لما في اي من الابهام اي اي هذين الاسمين سميتم او ذكرتم فلذات الله
الاسماء الحسنى والاصل ان يقال فهو حسن ويلزم من كون جميع اسمائه حسنى ان يكون الاسمان حسنيين ولعل العدول لئلا يتوهم الانحصار فيهما ووصف
الكل بالحسن وافعل التفضيل في اسمائه سبحانه لعله باعتبار كون البعض محتاجا اليه للبعض الآخر فان القادر يتوقف على العالم من غير عكس
والمنع عن الجهر بالصلوة لان ابن عباس رضي الله عنهما قال انها نزلت بمكة والنبي عليه السلام مختص بها وكان المشركون اذا سمعوا القرآن سبوه ومن انزل

ومن انزل عليه

ومن انزل عليه ولا تخافت بالصلوة بحيث لا يسمعك اصحابك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة
ويقول اسمع من اناجيه وعمر رضي الله عنه يجهر ويقول اوقظ الوسنان وازجر الشيطان فامر ابا بكر بالرفع قليلا وعمر بالخفض قليلا وعن عائشة رضي الله عنها
انها نزلت في التشهد كان يرفع الصوت بقوله التحيات لله وقالت ايضا في الدعاء وقيل انها في مطلق الصلوة يجهر ببعضها ويخفت بالبعض والامر
بالحمد مرتبا عليه هذه الاوصاف مناسب باعتبار ان من هذا شانه كانت النعم كلها منه فيستحق الحمد ولا شريك له من الملائكة وعزير والمسيح والاصنام
فان متخذ الولد مركب لان الولد المركب من اجزاء ذلك الشيء والمركب محدث لافتقاره الى اجزائه والمحتاج لا يقدر على كل الانعام فلا يستحق كمال الحمد ولم يتخذ وليا
يدفع عنه الذل بالاعتزاز به او لا ولي له من اليهود والنصارى لانهم اذلاء فيكون من الذل صفة الولي والامر بالتكبير المراد به وصفه سبحانه بالكبرياء واهل الحق
يعظمونه باعتبار انه لا يجري شيء في ملكه الا بقضائه والمعتزلة يعظمون بدفع نسبة ايجاد ما يسمى شرا بالنظر الى العباد روي ان الاستاذ ابا اسحق
الاسفرايني كان في بيت صاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الجبار فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه
الا ما يشاء ولا يخفى على العاقل ان التعظيم في الثاني دون الاول وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح غلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية والله اعلم

والتوسط في الامور احسن الاحوال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا لما كان الحمد في مقابلة النعم ولا نعمة اعظم من الهداية الى الايمان والكتاب وسيلة اليها رتب الانزال على الحمد وفيه
تلقين لكيفية الحمد وكون الكتاب نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم فلانه يطلعه على اسرار علوم التوحيد وصفات الجلال والاكرام عن غيره من العلم بالعالم
العلوي والسفلي وان تصير نفسه كالمرآة يتجلى فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت واما بالنسبة الينا فلما فيه من التكاليف والاحكام
والوعد والوعيد الحمد والعوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان والمراد خلوه عما يناقض بعضه بعضا او ميل عن البلاغة الى الركاكة او من الاتقان
الى الفساد والجمع بينهما مع ان نفي العوج يستلزم ان يكون قيما للنفي العام وبالعكس لئلا يتوهم انه اطلاق مجازي فانه ان وجد ادنى عوج
لم يمنع الاطلاق وان فسر بكونه معتمدا عليه ومرجوعا اليه كقيم الدار او قيما على سائر الكتب الالهية شاهدا بصحتها او لمصالح العباد والوصفان
كالوصفين في هدى للمتقين باعتبار الكمال والتكميل ومما يدل على عدم العوج انه يدعو الخلق الى الحق ومن اللذات الشهوانية الى الانوار الصمدانية
او مصلحا لم يكن بمجرد التاكيد والاكثر على انه في التقدير مقدم اي انزله قيما ولم يجعل له عوجا والاولى نصبه بمضمر نحو جعله قيما لانه لو جعل حالا من الكتاب
لوقع ولم يجعل فاصلا بين الحال وصاحبها وهو من تتمة الصلة ويجوز ان يكون الواو للحال ولم يلزم ذلك او ينتصب على الحال من الضمير في له
والاقتصار على احد مفعولي انذر لان العناية به اكثر مع دلالة القرينة ولهذا قدمه وكرره وهو علة لانزال الكتاب والمنذر النبي صلى الله عليه وسلم
والمنذر الكافرون والبأس الشديد عذاب الاستيصال او عذاب جهنم والمراد من لدنه الارادة مع القدرة وفائدة الاختصاص وتقديم الانذار
لان دفع الضر اهم والا دلالة للانزال على الحدوث باعتبار المنافي للقدم لان ذلك بالنظر الى الذوات الحاملة له والاجر الحسن الجنة والضمير في فيه
ولدنه قرئ باسكان الدال والاشمام وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وفيه ثمان لغات من الحركات الثلث على اللام وسقوط الالف
معها ويقرأ يبشر بالتخفيف والتثقيل وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا

هم اليهود والنصارى ومن قال الملئكة بنات الله وهو من عطف الاخص على الاعم فانه معطوف على لينذر وتخصيصهم بالذكر وتكرير الانذار متعلقا بهم
لفظا غير كفرهم وعدم ذكر المنذر به لعل الابهام للتعظيم والاطلاق الشامل لجميع انواعه وقيل استغناء بذكره اولا ونفى العلم يصح تعلقه بالولد او اتخاذه
او القول لا يصدر ذلك عن العلم بل عن الجهل الكامل والتوهم الكاذب او تقليدا لما سمعوه من متقدميهم من اطلاق الاب والابن بمعنى الموجد والموجد
من غير علم بمرادهم منهما ولا علم لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبنى وعدم تعلق العلم به لاستحالته فى نفسه ومعنى كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه وسمى اتخذ الله
ولدا كلمة كما تسمى القصيدة كلمة ولا يدل على كون الكلام جسما نظرا الى ان الخروج حركة لا يصح الا على الجسم لان اطلاق الخروج من جهة ان خروج النفس
سبب لحدوث الكلمة وكلمة فهى منصوبة على التمييز نحو نعمت الدابة شحما وقيل على التعجب اى اكبرتها كلمة اى من كلمة او للشبه بفعل المدح نحو نعم الرجل
رجلا زيد ويقرأ بالرفع على الفاعلية ويخرج من افواههم اما صفة للكلمة او صفة مخصوص هو المخصوص بالذم لا كبر بمعنى بئس ويقرأ كبرت بالسكون
مع الاشمام وعلى الاول يفيد استعظام جرأتهم على الله بذكر اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها هكذا ذكره فى الانوار ولعل
وجه الاستعظام ان وصف الكلمة بكونها خارجة من افواههم مع العلم بان غيرها كذلك لا بد له من فائدة وهو الاشعار بانه لا ينبغى ان تصف بهذه الكلمة
نفعه فكبر لوضوح بطلانها يقال فلان يقول ذلك من طرف لسانه اى لا قصد معه وحقق ذلك بقوله والخارج بالذات هو الهواء الحامل ومعناه
ان الحروف كيفيات تعرض للصوت فيكون اطلاق الكلمة عليه مجازا عدل اليه لافادة هذا المعنى وما يقولوا اتخذ الله ولدا الا كذبا للعدم مطابقته
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا البخع الذبح البليغ وقيل الجهد يقال بخعت لك نفسى اى جهدتها وقيل بخع الارض
بالزراعة اضعفها اى لا تبخع نفسك ويقرأ باخع نفسك على الاضافة التى هى الاصل ويقرأ ان لم يؤمنوا وعلى هذا يكون باخع للماضى ولا يجوز اعمال
باخع الا باعتبار كونه حكاية حال ماضية لان شرط عمله ان يكون للحال او الاستقبال والمراد بالآثار توليهم او موتهم على الكفر والحديث القرآن والاسف
فرط الحزن والغضب اى تأسفا او متأسفا عليهم ويجوز نصبه على المصدر اى تأسف اسفا وقيل فلعلك جواب الشرط تقدم عليه انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اى من الاشجار والانهار وقيل كل ما كان عليها وقيل الرجال او الانبياء
او العلماء وتعدد باعتبار لفظ ما واستدل بما بعده ان المراد المحرمات لان قوله سبحانه لنبلوهم انما هو باعتبار تعاطيهم العمل ويحتمل ان يراد شكر تلك النعم
والدليل على انه للحلال قوله تعالى قل من حرم زينة الله ومعنى صعيدا ترابا وقيل الصعيد جرزا بلقعا لا شئ او لا نبات او الميت من غير نبات وقيل فى الربط
انا لا نمنع عنهم هذه النعم بكفرهم فلا ينبغى ان تترك الدعوة لافراط الحزن بسبب كفرهم ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا
اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ام منقطعة اى بل احسبت اى لا تتعجب منه فليس ذلك بغريب من قدرتنا
والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم فى الكهف هجد وقيل لوح من رصاص
رقمت اسماؤهم فيه جعل على باب الكهف اوحديثهم رقمه الناس رقما فى الجبل وقيل الوادى الذى فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين
غضبان وايلة دون فلسطين وقيل ثلثة انفس خرجوا مرتادين لاهلهم اصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة فانطبقت على باب الكهف
فاوصدت عليهم فقال قائل منهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا برحمته فقال رجل انى استأجرت رجلا وسط النهار بشرط اصحابه اوله فعمل
فاردت ان انقصه فالحسه فغضب لقول بعضهم اتعطى هذا مثل ما اعطيت ولم يعمل الا نصف النهار وترك اجره فوضعت فى جانب البيت

قال واحد استعملت اجراء آزوات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب اصدهم وترك اجره ... ناحيه

فاشترت به

فاشترت به فصيلة من البقر فبلغت ما شاء الله فمر بى بعد حين شيخ ضعيف لا اعرفه فقال ان لى عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت اياك ابغى وهذا حقك فعرضتها عليه
جميعا فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تتصدق على فدفعتها اليه جميعا فقال اللهم ان فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء
وقال الآخر اصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا فقلت ما هو دون نفسك فابت على وذهبت ثم رجعت ثلث مرات ثم ذكرت لزوجها
لها مخافة موت العيال فلما سلمت الى نفسها وكشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت ما شأنك قالت اخاف الله رب العالمين فقلت لها خفته
فى الشدة ولا اخافه فى الرخاء فتركتها واعطيتها اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى عرف بعضهم بعضا وقال الآخر
كان لى ابوان شيخان وكانت لى غنم كنت اسقيهما فاصابنى يوما غيث فحبسنى فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت لهما وتركتها قائمة فمضيت
الى ابوى فدنا ما فشق على ان اوقظهما فما برحت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا قال النعمان
لكانى اسمع هذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ففرج الله عنهم وقال اذ اوى اذكر او عجبا واوى جعله منزله وماواه والفتية جمع فتى قيل كانت مدينة
بالروم اسمها افسوس ملكه دقيانوس وجعل يدعوهم الى عبادة الاوثان فمن اتبع دينه تركه والا قتله فهدى شابا الى الاسلام واسلم بيده خمسة اعلمه
فعلم بهم الملك ودفعهم الى آبائهم فهربوا ومروا براع ومعه كلب له فدعوه الى امرهم فتابعهم واتبعه كلبه وقيل بل نبح عليهم فطردوه مرارا فقال ما تريدون
لا تخشوا جانبى انا احب احباء الله فناموا حتى احرسكم ثم اتوا الكهف فدخلوا ثم ارسلوا بعضهم لشرى طعام فلم تمكن الامن بعضه لان الملك والناس
تبعوهم فاكلوا اما اتى به ولم يشبعوا وناموا على وجوههم فضرب الله على آذانهم بالنوم فتبعهم الملك والناس ودخلوا الكهف على آثارهم فاعمى الله عليهم
فلم يجدوا شيئا فقال الملك سدوا عليهم باب الكهف حتى يموتوا ثم انصرف الملك فعمد رجلان مسلمان يكتمان ايمانهما الى لوح من رصاص
وكتبا فيه اسماء الفتية واسماء آبائهم ومدينتهم وانهم خرجوا فرارا من دقيانوس الملك الكافر فمن ظفر بهم فهم مسلمون والرفاة فى السدم داخل الكهف
وقيل كانوا فتية لم يعرف بعضهم بعضا خرج الملك محرجا فتخلف عنه الفتية فرجعوا الى باب المدينة وقد اغلق ولم يفتح لهم فاخبر واحد منهم بحاله فقالوا
جميعا نحن على هذا فذلك قوله فقالوا ربنا رب السموات والارض فدخلوا الكهف ورقدوا ورقد الكلب بفناء الكهف فضرب على آذانهم فلما فقدهم
اهلهم فانطلقوا الى الملك فاخبروه فدعا بصخرة فكتب عليها انهم هلكوا فى زمان كذا فنصبها فى سور المدينة على الباب وقال هو الرقيم وقيل كانوا كلهم
متمولين يكتم بعضهم بعضا ايمانه ثم اظهروا بعضهم بعضا واستبشروا به وكان الكهف قريبا فقال بعضهم ايتوا الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم
من امركم مرفقا فدخلوا ومعهم كلبهم فناموا ثلثمائة سنين ففقدهم اصحابهم ولم يجدوهم وكتبوا اسماءهم وانهم فى زمان كذا فى مملكة كذا ووضعوه فى خزائن
الملك وقالوا ليكونن لهذا شان اسماؤهم مكسلمينا يمليخا مرطونس بينونس دوانوانس ساريونس كفشططيونس وذكر بوجه آخر وانهم
علموا بدخولهم الكهف فسد عليهم الباب ثم ان راعيا فتح باب الكهف لمطر اصابه فرد الله اليهم ارواحهم فنظر واحد الى الشمس عند الزوال او الغروب
فقال كم لبثتم قال واحد منهم لبثنا يوما وقال آخر بل لبثنا بعض يوم ثم قال فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما يعنى اطهر واحل
لانهم كانوا يذبحون الخنازير ودفعوا الدراهم الى يمليخا فلما انتهى الى باب المدينة اذا حجارة مكسورة على بابه فقال انه هذا شئ ما رأيناه بالامس فلما خرج
ودنا الى باب المدينة لم يعرفها فلما دخل المدينة لم يعرف احدا من الناس فاشكل عليه فقال لعل هذا غير بلدى فسأل فقيل افسوس فاتى بهم نفسه واخرج الدراهم
الى الخباز فدفع اليه واخذ الخباز الدراهم وانكرها وقال له من اين لك هذه الدراهم لقد وجدت كنزا لتخبرنى والا رفعتك الى الملك لانه لم يكن ضرب

باسمه

وكان كل ملك يتعهد يضرب باسمه فمن وجد معه غير ذلك الضرب علم انه كنز فقال ما اخرجت هذه من المدينة الا امس فظن الجبار انه يحتال عليه ليرسله فقال احتال
على اعطني من هذا الكنز والا لارفعنك الى الملك فاجتمع الناس فذهبوا به الى الملك وجعل يمليخا يبكي من خوف الرفع الى الملك الذي هرب منه فلما دخل على غيره
سكن فقال له الملك من اين لك هذه الدراهم قال خرجت بها عشية امس انا واصحابنا فرارا من الملك دقيانوس فقال انت رجل شاب وذلك قد مضى منذ دهر
طويل فما انا بالذي ارسلك حتى تخبرني من اين لك هذه فقص عليه امره وامر اصحابه وقال اناس من المسلمين قد سمعنا احوالهم وانا لا ندري لعله صادق
فاركب فانظر لعل الله اراد ان يظهرك عليه او يكون في ولايتك فركب الملك والكافر والمسلم معه حتى انتهوا الى الكهف فلما راى اصحابه الناس قد انتهوا اليهم
عانق بعضهم بعضا ولم يشكوا انه الملك الجبار الكافر فقال لهم يمليخا امكثوا حتى ادخل اولا واخبرهم بالقصة فراى اللوح الذي كتبه المسلمان فقالوا انهم
ماتوا في زمان دقيانوس واحياهم الله في زمان الملك فلم يبق احد الا اسلم فبينا هم يجدونهم اذ ماتوا وقيل اعمى الله عليهم امرهم لما دخل يمليخا الكهف
فاتخذوا عليهم مسجدا وقايل ربنا آتنا الغنية والرحمة المغفرة والرزق والامن من العدو والتهيئة احداث هيأة الشيء وامرهم ما هم عليه من مفارقة
الكفار رشدا اصابة نصير راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا نحو رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم
لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي انمناهم بضرب حجاب مانع من السمع يقال ضرب السطر اذا ابطله او من قولهم ضربهم الله بالنوم كما يقال ضربه الله
بالفالج ويقال بنى على امراته اي ضرب عليها القبة او سلبنا حواسهم وتخصيص السمع لان سلب السمع يستلزم سلب العقل ومعنى عددا ذات عدد اي
سنين كثيرة فهو صفة العدد او تسمية المفعول باسم المصدر وقيل معدودة عند الله لا يعلمها الحزبان ويقرب منه يعدون من غير تحقيق فان قلت فاذا كان
المراد الكثرة فهلا ذكر جمع الكثرة قلنا قد سبق انه يقام احدهما مقام الآخر وايضا الجمع بالواو والنون هنا على خلاف القياس للجبر فليس على حقيقة
جمع الكثرة وعددا قيل منصوب على المصدر اي يعد عددا واي لما تضمن معنى الاستفهام لم يعمل لنعلم لانه علقه عنه بل مبتدأ والحزبان المختلفان
من اصحاب الكهف اختلفوا في مدة اللبث من اليهود والنصارى او ملوك المدينة واصحاب الكهف ويقرأ بالمجهول لانه ارتفع باسناد نعلم اليه وفاعل
نعلم مضمون الجملة كانه مفعول نعلم واحصى زعم بعضهم ان الجمهور على انه افعل التفضيل من الاحصاء واستضعفه بعضهم نظرا الى انه من غير الثلاثي
قليل شاذ غير قياسي وسيبويه لم ينقل الا ما اعطاه وما اولاه وايضا نصب امدا لا يجوز ان يكون باحصى فانه لا يعمل في الظاهر لضعفه الا على شرط
مثل ما رايت رجلا احسن في عينه الكحل منه من غير زيد وهي مفقودة هنا والنصب باضمار فعل دل عليه احصى نحو واضرب منا بالسيوف القوانسا
فانه منصوب بيضرب الذي دل عليه اضرب ايضا شاذ فاحصى فعل ماض وامدا مفعول به وهو خبر اي والمراد بقوله لنعلم ليتعلق به علمنا لان علمه سبحانه
قديم وقراءة المجهول معناها ليحصل العلم لبعض الخلق وفائدته ظهور امر الامد فيكون اعتبار المؤمنين نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية
آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والحق
هو الصدق وقيل اليقين وزيادة الهدى التثبيت عليه وربطنا قوينا بالصبر على مهاجرة الاوطان والنعيم بترك عبادة الاوثان واذ
ظرف ربطنا اي قاموا بين يدي دقيانوس وقيل اجتمعوا وراء المدينة واتفقوا على ان ربهم رب السموات والارض وقيل بالدعوة الى الايمان سرا
او على رجليهم او من رقدتهم ثابتين على الايمان والشطط من الشط وهو البعد اي قلنا قولا ذا شطط اي افراطا في الظلم او كذبا او خبطا وجورا وهو منصوب
على المصدر اي قول شطط هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون



الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا قومنا عطف بيان والخبر اتخذوا وهو اخبار في معنى الانكار لان المراد
التسبب مع المخالفة في الدين لولا معناها هلا يأتون على عبادتهم بحجة وقيل بكتاب ولما استحال الحجة على المحال علم عدم الحجة فان قيل ما فائدة الوصف
بالبين واذا لم يكن لهم سلطان لم يكن لهم سلطان بين وايضا فيه ايهام ان لهم حجة قلنا لانه لو لم يقيده به كان لهم ان يقولوا ان على ذلك حجة وفي الحجة
ولا عبرة بها مع البين ليعلم عجزهم على سبيل التحقيق واستدل به على ان عدم الدليل يدل على عدم المدلول وفيه اشعار بانه لا عبرة بالتقليد في الاصول
ولا اظلم ممن افترى على الله بالاشراك مع الها آخر واذا فقدتم عنهم وعن معبوديهم والاستثناء منقطع ان لم يثبت انهم كانوا يعبدون الله مع تلك
الاصنام كما قيل وما يجوز ان يكون مصدرية اي عبادتهم وان يكون نافية على انه اخبار من الله ويكون اعتراضا لتحقيق اعتزالهم فأووا اتخذوا الكهف
مأوى ينشر يبسط ويوسع عليكم من رزقه او توفيقه وعن الفراء انه جواب اذ نحو ان فعلت كذا فافعل كذا والمرفق الفلاح اي يسهل لكم من امر الدين
او المعاش وقرئ بالفتح وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض وهو على الوجهين ما يرتفق به وقيل هما لغتان وترى الشمس اذا طلعت تزاور
عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا
وترى يا محمد لو رايتهم تميل الشمس عن كهفهم والزور الميل ومنه الزائر والزور لانه ميل عن الصدق وقرئ تزور كتحمر من الازورار وتزوار
واصل تزاور تتزاور فادغمت التاء في الزاء بعد ان سكنت كتجار وفائدته ان لا يقع شعاعها عليهم فيوذيهم وكان الكهف جنوبيا وذات اليمين
جهة اليمين وحقيقتها الجهة اسم ذات اليمين تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات يعني الكهف وشماله ويدل عليه وهم في فجوة منه اي في متسع وهو وسط
بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم حر الشمس ولا كرب الغار وذلك ان باب الكهف كان في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية
لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيوذي اجسادهم ويبلي ثيابهم وليس المراد رؤية المخاطب
ولكن العادة في المخاطبة ذلك اي لو رايت على هذه الهيئة والمراد بالذات الجهة وهو صفة اقيم مقام الموصوف لانها تناسب ذو في قولهم ذو مال
وذات مال وهو منصوب على الظرف نظرا الى الجهة وتقرض تعدل ويقال للقطع والسير في البلاد والمختار وان امكن ان يبقيهم على حالهم من غير
هذه الامور امكن ان يجعلها اسبابا لحفظهم والمناسب لجعلها من آثار الله الثاني فانها الدالة على كمال قدرته ويناسب ذلك ان الله تعالى كان
يمنع وقوع الشمس عليهم حالتي الطلوع والغروب وكان من الخوارق كراماتهم وذلك اشارة اليه وعلى الاول اشارة الى الحفظ على ذلك الوجه
من يهده الله بالتوفيق فكانه لا مهتدي غيره لاصابته كمال الفلاح والمراد به اما الثناء او انه لا ينتفع بها الا الموفق للاعتبار بها ومن يخذله الله
فلن تجد له من يليه ويرشده الى الحق وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بفتح السين وكسرها اللغة خطاب لكل احد او للرسول صلى الله عليه وسلم والايقاظ جمع كالانكاد جمع نكد
وذلك لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم ينقلبون الى الجهتين ولهم تقلبات في السنة او مرة يوم عاشوراء كيلا تاكل الارض ابدانهم
وقيل يبقون تسع سنين على كل جانب ورقود مصدر وصف به نحو قوم ركع وسجود وقيل جمع راقد وفيه انه لم يجمع فاعل على فعول وذات
اليمين صفة البقعة ويقرأ يقلبهم والضمير لله سبحانه وعلى المصدر ونصبه بترى المدلول عليه بتحسبهم والكلب ما سبق انه لهم او لغيرهم

والاضافة لا توجب ان يكون لهم وقيل لم يكن كلبا بل طباخا لهم واسم الكلب زيان او قطمير او قطفير ولونه احمر او اصفر والاكثر على انه اغبر او غيرها من الالوان
واللون وباسط انما عمل لارادة حكاية الحال الماضية ولولا ذلك لكانت اضافة حقيقية والوصيد تقول اصدت الباب واوصدته فناء الكهف وقيل
العتبة والمراد موضعها اول عتبة للكهف ويقرأ لو اطلعت بضم الواو او الباب قال بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقيل
التراب ولو اشرفت عليهم لهربت منهم وفرارا قيل منصوب على المصدر اي فررت منهم فرارا ولامتلأت من الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وقرئ
بتشديد اللام والهمزة ويقرأ بالتخفيف وقلبها وقرئ رعبا بالتثقيل وذلك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم او وحشة مكانهم او طول اظفارهم
وشعورهم ويحتمل ان يكون من الجوع روي ان معوية قصد ان يدخل الكهف فمنعه ابن عباس لهذه الآية فبعث ناسا فبعث الله ريحا فاحرقتهم
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا
اي كما انمناهم بعثناهم ليدلهم على الاماتة والاحياء الدالين على القدرة وغيرهم ممن يعرف حالهم وسبب الالتباس عليهم قد سبق في القصة وجعل اللام
للعاقبة تعسف ولا يكون ذلك كذبا منهم لانهم بنوا على الظن والنائم لا يضبط حاله وفيه اشعار بجواز بناء الامر على الظن ومن قال ربكم اعلم وهو مليخا
كانه علم بالدليل من طول الاظفار مثلا او بالهام الله ان المدة طويلة فلا يعلم مقدارها الا الله لما راوا من التغير الذي لا يحصل الا فيها وما قيل انهم لما راوا
الشمس آخر النهار قالوا او بعض يوم فيه نظر لان المناسب بل بعض يوم ثم رجعوا الى اهم من ذلك وهو طلب الطعام والورق يقال لغير المضروب من الفضة
ايضا وقرئ بتخفيف الراء ويقرأ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو وغير مدغم وقرئ مدغما وان كان برده التقاء الساكنين
على غير حده وحملهم الفضة دليل على ان التزود لا ينافي التوكل ان كان عن قصد ولكن لا يتوكل على ما في ايدي الناس كالمسافرين وقد سبق ومعنى ايها ازكى نافع اهل المدينة
او مطلق الاهل احل واصله النماء او اطيب من الحل برزق بطعام وليتلطف في طلب الازكى لانهم كانوا اكلة الخنازير وقيل مجوسا وفيهم من يخفي الايمان
وقيل ابعد عن الغصب لان ملكهم كان ظالما وقيل الذ وقيل ارخص او في دخول المدينة لئلا يعلم ولا يفعل ما يؤدي الى الشعور بنا وان لم يكن بقصد فانه السبب
فكانه قصد ذلك والضمير في انهم للاهل المقدر ومعنى يظهروا يطلعوا او من ظهره اذا علاه وغلبه لو يعلموا امكانكم والرجم قتل اشد وكان ذلك عادتهم او
يعيدوكم بالاكراه اي يصيروكم اليها ويقال في ابتداء الفعل ما عدت افعل كذا والعود الى الكفر سبب انتفاء الفلاح ابدا قال في المفاتيح ينبغي ان يحمل
على الميل الى دينهم باكراه وغيره لانه لا يضر اظهار الكفر مع الاكراه ولقائل ان يقول في كلامه نظر فان التجاوز عن الامر المكره عليه من خصائص امة النبي
لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه والمراد ان لا تفلحوا باظهار الدين وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله
حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
اي مثل ما انمناهم ثم بعثناهم اطلعنا الناس على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث والثواب والعقاب يوم القيمة حق وان القيمة لا شك فيها بالاستدلال
بحالهم عليها قيل ملك زمانهم كان مع كفره منصفا فجعل امرهم هداية وقيل لاختلافهم في بعث الاجساد فان نومهم الطويل يشبه الموت وانتباههم
البعث فمن قدر عليهما قدر على البعث واذ ظرف اعثرنا والتنازع بعد تعظمهم وقيل قبلها وهو ان بعضهم قالوا ماتوا وقال الآخرون كانوا نياما او ان
بعضهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بهم وقال الآخرون ابنوا عليهم بنيانا محافظة على تربتهم كما حوفظ على تربة الرسول عليه السلام



بالحظيرة وقيل بين المسلمين والنصارى في بناء المسجد او الكنيسة وقيل في حقيقة البعث انه للارواح او للاجساد او للنفسين او في تدبير امرهم حين ماتوا
كيف يخفون مكانهم بالبناء او بالمسجد ثم لما تحير المتنازعون قالوا ربهم اعلم بهم وقيل هو كلام الله سبحانه والغلبة على الامر على الدين دين اصحاب الكهف
وهم المسلمون وقيل الملك روي انه ملك مدينتهم رجل صالح واختلف اهل مملكته في البعث فدخل الملك داره ولبس مسحا وجلس على رماد واغلق بابه وسأل ربه
ان يبين لهم الحق فالقى في نفس راع منهم ان يهدم باب الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه فانطلق الملك والناس اليهم بعد بعثهم واحدا اشترى الطعام واتهموه
بالورق بضرب دقيانوس وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا
الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم والقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل تابوتا من الذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعل من الساج وبنى مسجدا
على باب الكهف سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا الضمير للخائضين في قصتهم من المسلمين واهل الكتاب فالاول قول العاقب
من النصارى وكان نسطوريا والثاني للسيد منهم وكان يعقوبيا والثالث قول المسلمين علموا ذلك بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
انا من ذلك القليل وقيل الاول لليهود والثاني للنصارى وانما قدم رجما بالغيب على القول الثالث ولو كان مثلهما لاخر عنهما وقيل تم الكلام بقوله سبعة
والواو للاستيناف قيل هذه الواو حيث وقعت في عطف جملة على اخرى وفيها ما يعود اليها يتحد المعنى بين الاتيان بها وتركها وقيل بل رابعهم وخامسهم
استيناف من الله سبحانه وقيل هي واو الثمانية لانهم كانوا يقولون واحد اثنان الى سبعة ثم يقولون وثمانية لان العقد كان سبعة كما الآن عشرة
وقد سبق في التائبون العابدون طرف منه ومعنى رابعهم انه ربعهم بانضمامه اليهم وكذلك في البواقي بخلاف رابع اربعة اذ المعنى واحد منهم واستدل
بقوله ربي اعلم بان الاخير كالاولين في الرجم بالغيب الذي معناه رميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع لهم عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذ ظن
كانه لا فرق بينهما كما قال زهير وما هو بالحديث المرجم اي المظنون وليس ببعيد لانه يفوت فائدة التخصيص ولهذا قيل التقدير ربي اعلم وقد اخبركم
والقليل قيل النبي صلى الله عليه وسلم وقيل من اهل الكتاب وقد سبق ورواية اخرى في اسمائهم ان الذين كانوا على يمين الملك انهم مليخا ومكسلمينا
ومشلينيا واهل اليسار مرنوش ودبرنوش وشاذنوش والسابع الراعي وعدم التبيين في الاخيرين اما للاكتفاء بالاول او انه اريد به فعل معنى الاستقبال
الصالح للرجم بالغيب ودلالة ظاهر الآية على كون الظن مذموما لا يدل على بطلان القياس وخبر الواحد بل يحمل على المنع منه في الاصول توفيقا بين الدلائل
وفي الجملة التركيب بهذا الوجه يدل على ان الثالث هو الحق وذلك لانه اثبت العلم للقليل بعد حصر الاقوال في الثلثة فان عدم رابع في مثل هذا يدل على العدم
والاصل ايضا عدمه واثبت الاولين رجما بالغيب وايضا ادخل الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة وهي وثامنهم والموصوفة ويقولون سبعة
وكان القياس عدمه للاشعار بارتباط الصفة بالموصوف نظرا الى انه كما لا يمكن انفكاك الحال عن ذي الحال فكذا حال الصفة عن الموصوف وايضا
اتى بالجملة الاسمية الدالة على دوام الوصف للموصوف ومعنى لا تمار لا تجادل وهو مجادلة اخراج ما في قلب المناظر من الخطأ على طريق الاحتجاج اي لا تزد على
اهل الكتاب واكتف بما اوحي اليك في شأنهم مراء ظاهرا غير متعمق فيه ولا تجهل لهم في الرد عليهم ولا تستفت منهم احدا على وجه التعنت فانه خلاف الامر
ولا سؤال متعلم فان الله قد اوحى اليك وثبت انه لا علم لهم بذلك ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل
عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا المراد بالغد مستقبل الزمان وان ذكر لفظ الغد حين سأله اليهود عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين

ايتونى غدا اخبركم ولم يستثن وابطأ عليه الوحى لا يقال لما امكن حصول عايق عن الاخبار وكان منفر القوم وكان اللايق قول ان شاء الله لا تاخير
من الجاير انه كان عالما بحصول ذلك العلم له والتاخير للتاديب فان ترك الاولى وفايدته مطلقا انه لو مات القايل او غلبت ارادة الله
على ارادته لم يوجد صورة الكذب ويعلم منه بطلان قول المعتزلة انه لا يجوز ان ينهى عن شئ وهو يريده فانه اذا حلف ليقضين دين زيد غدا ثم قال ان شاء الله
لم يحنث وفاقا فانه تعالى نهى عن الاخلاف ولم يرد وقوعه لانه سبب ذلك انه لا يعلم انه يعوقه عايق فيظهر خلف الوعد وقيل يختص بقصة اصحاب الكهف
والاستثناء متعلق بلا تقولن لانه لو علق بفاعل لا يصير المعنى انى فاعل كذا الا ان يتعرض مشية الله تعالى دون فعله فانى لا افعله وذلك مما لا يتعلق
بالنهى ومعناه على الاول ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بالاذن فيه او لا تقولن الا بمشية الله اى تقول ان شاء الله اى ملتبسا بها
قايلا ان شاء الله فهو فى موضع الحال او يكون فى معنى كلمة تابيدا اى لا تقوله ابدا مثل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لانه مما لا يشاء الله
وهو نهى تاديب لما سبق قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتم ايمان عبد حتى يستثنى فى كل كلامه ومعنى واذكر ربك اى مشية ربك اذا نسيت الاستثناء وعند
ابن عباس رضى الله عنهما الى سنة ونقل الى شهر ما لم يحنث وعن الحسن فى مجلس كلامه وقيل ما لم يحد فى كلام غير يمينه والمذهب انه لا يصح الاستثناء الا متصلا
وقول ابن عباس محمول على نية الاستثناء وظاهر الكتاب يؤيد ان المعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وقيل المعنى اذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء وقيل هذا فى نسيان الصلوات وغيرها اى اذكر عقاب ربك وقيل وجوب الاتصال انه لو لم يجب لم يستقر
شئ من العهود والايمان وذكر فى المفاتيح انه حضر الشافعى رضى الله عنه عند المنصور وقد قصده بعض اصحاب ابى حنيفة رضى الله عنه بانه يخطى جدك
ابن عباس فى شرط الاتصال فى الاستثناء فقال هذا يدعى ان خلافتك غير مستقرة لجواز ان الناس بعد عقد البيعة اذا رجعوا الى بيوتهم استثنوا
والجواب عن قول ابن عباس انه لو صح ذلك لم يتقرر طلاق ولا اعتاق ولا شئ من العقود ولم يعلم صدق ولا كذب واقرب رشدا اى فى الدلالة على
انى نبى وقد هداه الله الى اعظم من نبا اصحاب الكهف وهو الذى وعدهم به من احوال الانبياء السالفة كنوح وابرهيم والاخبار بالغيوب والحوادث
النازلة فى المستقبل او يدلنى لاقرب رشدا او ادنى خيرا من المنسى ولعل النسيان كان خيرا كقوله تعالى او ننسها نات بخير منها وذكر الرب ههنا قد حمل
على قوله عسى ان يهدينى لاقرب وقيل المراد ذكر هذه الكلمة ولبثوا فى كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا هذا قول الله وقيل اهل الكتاب ويرده قل الله اعلم اى ممن اختلف فيه والتسع تسع سنين
وعلم بالاول وهذه المدة مدة نومهم وقيل الزيادة للقمرية على الشمسية وهى وان كانت تسعا واشهرا لكن لم يذكر الاشهر اذ الكلام فى بيان السنين
وقرئ بالاضافة على وضع السنين موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وتقرا ثلثماية سنة وسنين عطف بيان لثلثماية وقال ابو اسحق
لو انتصب التمييز لوجب ان يكونوا قد لبثوا تسعماية سنة يريد ان اقل الجمع ثلثة فيكون ثلثماية ثلث مرات فينبغى ان ينتصب على البدل من ثلثماية
وذكر غيب السموات والارض وما خفى فيهما وظواهر الامور وبواطنها (من احوال اهلهما) ليكون كالدليل على انه اعلم بمدة لبثهم اذ لا فرق بين معلوم ومعلوم فى تعلق العلم
وذكر صيغة التعجب للاشعار بان علم الله بالمبصرات والمسموعات يخالف علم ساير المبصرين والسامعين لانه لا يتفاوت عنده المدركات من المعقولات
والمحسوسات خفيها وجليها وايضا قد سبق ان القول بالبعث يتوقف على كونه سبحانه عالما قادرا على كل الممكنات وان ما امكن حصوله فى وقت صح فى ساير
الاوقات فذكر العلم مناسب هنا وكذلك يقال فى النوم هذه المدة انه كالممكن فى نوم (فى نوم) ايام الممكن فى اكثر منه والمختار حفظه والهاء تعود الى الله سبحانه



وهو مرفوع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه واصل ابصر صار ذا بصر ثم نقل الى الامر بمعنى الانشاء واظهر الضمير لان صيغة الانشاء لا تناسب (الخبر)
وهو منصوب عند الاخفش وفاعله ضمير المامور وهو كل احد والباء تكون مزيدة ان لم تكن للتعدية بمعنى التصيير فالمعنى على قوله ان يكون امر الكل (احد)
ان يصفه بالبصر وضمير بهم لاهل السموات والارض او لكفار قريش او لاصحاب الكهف او للقايلين احوالهم على خلاف قول الله تعالى فانهم قد يعرضوا للعقاب
ولا ولى لهم يمنعه عنهم اى ما لهم من دون الله من يتولى امورهم ولا يشرك الله فى قضائه احدا منهم ولا يجعل له مدخلا والمناسب فيما يخبر به من الغيب
وقرئ الجزم على انه نهى كل احد عن الاشراك واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا والامر بتلاوة الوحى يناسب حال
حصول العلم بحال اصحاب الكهف منه فانه اذا كان من المعجزات المستفادة من الوحى ان يلازم درسه ولهذا قيد بعضهم ذلك بقصتهم وقيل اتبع القرآن
ولا تلتفت الى قولهم ايت بقرآن غير هذا او بدله فانه لا مبدل لكلماته ولا يقدر عليه الا الله تعالى حيث قال واذا بدلنا آية مكان آية ولا تجد من دونه ملتجا
تلتجى اليه ان قصدت التبديل ولا معدلا عن امره ونهيه واستدل به على عدم جواز تخصيص النص بالقياس اذ المعنى الزم بالكتاب ولا تستبدل بعدم
جواز نسخ الكتاب لان النسخ ليس بتبديل وايضا هو ثابت الى وقت ورود الناسخ فهو ثابت فى وقته واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا اى ثبتها
مع هولاء الموصوفين وهم فقراء المهاجرين والانصار كصهيب وعمار وخباب وابى ذر رضى الله عنهم وسبب النزول ان قوما من رؤساء (الكفرة)
او المولفة قلوبهم كعيينة بن حصين والاقرع بن حابس قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولاء كان ريحهم ريح الضان لانه كان عليهم جباب الصوف
حتى نجالسك ونأخذ عنك وهو قريب من قول قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون وقد سبق فى الانعام ان النبى عليه السلام قصد ان يجعل لهم مجلسا
غير مجلسهم لما قال عمر لو فعلت ذلك لترى ما يقولونه فنزل فقام عليه السلام يلتمسهم فاصابهم بعض المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله لم يمتنى حتى امرنى ان (اصبر نفسى)
مع رجال من امتى معكم المحيا ومعكم الممات وقيل الصبر على تعليم القرآن اياهم وذكر بهم طرفى النهار شامل للصلوة والدعاء والتسبيح والتحميد ووجه الله
رضاه وطاعته او الجهة التى تؤدى الى رضاه وعن ابن عباس تعظيمه كما يقال هذا وجه الرأى وان جعلا علمين واللام كما فى قوله هولاء المحمودون بالباب
لغرض التكثير لكثرة المسمى ولا تعد ولا تصرف بصرك الى غيرهم تقول عدا كذا اى جاوزه وعدا عنه اذا انصرف والمراد صاحب العين ويقال عداطوره وبريد
المخاطب اى تريد مجالسة الاغنياء وانما عدى بعن بتضمين نبا تقول نبت عنه عينه اذا لم يتعلق به وعلت عنه عينه اذا اقتحمته وفايدة التضمين ترجيحه
على تعدهم عيناك افادة المعنيين فانه يرجع المعنى الى ولا تقتحم عيناك مجاوزتين الى غيرهم نحو ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى لا تضموها اليه اكلين لها
وقيل للعين والتوحيد يضعفه وان ورد بها العينان بهك وتقرأ ولا تعد عيناك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله
فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى وتريد فى موضع من اغفلنا وهو كما ترى ظاهر فى ان ذلك صدر من الله سبحانه وجعله من باب اغلقه ونحوه
صرف عن غالب الاستعمال والتقدير على ذلك وجدناه غافلا وهو قول المعتزلة ويبطله لو كان كذلك لما ذموا وايضا الاشتراك خلاف الاصل فيكون حقيقة
فى التكوين لانه اكثر ولا ينافيه واتبع هواه حيث لم يحمل لانه اذا اغفل الله قلوبهم ولزم منه اتباعهم اهواءهم وقرأ اغفلنا
على اسناد الفعل الى القلب والمعنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وذكر فى المفاتيح ان ذكر الله نور وذكر غير الله ظلمة لان الوجود طبيعة (النور)
والعدم منبع الظلمة والله سبحانه واجب الوجود وكان النور الحق فاذا اشرق القلب بالذكر حصل فيه النور واذا توجه الى الخلق حصل فيه الظلمة

لان الامكان طبعه عدمية فكان منبع الظلمة واتباع هواه هو الاقبال على الخلق ومعنى كان امره فرطا تجاوزا عن الحق وتقدما للخلق والصواب بيده
وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم على الخيل ويقرب منه ان الفرط هو العاجلة السريع وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا حمل الحق على
الاسلام والقرآن والاعم منهما وان كان افيد للعموم لكن الاولى للارتباط ما قبل انه تقريب الفقراء وبابه فمن شاء فليؤمن فان قيل فما وجه الربط على الاول
قلنا لما كان الحق بعمومه شاملا لذلك المعنى كان مفيدا لتلك المناسبة وغيرها والامر للتهديد او بيان استغناء الحق سبحانه عن ايمانهم وان من سلك
طريق النجاة نجا ومن اتبع هواه في اتباع الباطل هلك والاستدلال للمعتزلة على كون الفعل مفوضا الى رأى العبد لان حصول الايمان والكفر موقوفان
على مشيتهما فحصول تلك القصد والاختيار ان كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه لزم ان يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد واختيار آخر
ويلزم التسلسل فلا بد من الانتهاء الى مشية من الله ينقطع بها ذلك فيكون العبد مضطرا عن امر الله وانه تهديد السرادق الحجرة حول الفسطاط
وهو كالحائط لاهل النار وقيل الدخان وقيل المحيط بالدنيا او حائط من النار وهو استعارة على الوجوه وان يستغيثوا من العطش جعل مكان
الاغاثة لهم ذلك كقولهم فاغيثوا بالصيلم اى الداهية والمهل دردى الزيت اسود غليظ اذا انتن من المستغيث سقطت فروة رأسه او الصديد
او ما اذيب من الفلزات كالنحاس بئس الشراب ذلك وهو المهل وساءت النار متكأ او مجتمعا او مجلسا وعلى الاول يكون ذكره ذكر لمشاكلة وهو وحسنت
مرتفقا والا فاى ارتفاق لهم فيها ثم لم يبعد ان يكون من قبيل اى ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح وقيل بئس موضع الرفقاء
وهم الكفار والشياطين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ظاهر الآية
يشعر بمغايرة الايمان العمل وتقديره مبهم مستغنى عنه مثل السمن منوان بدرهم وذكر في الانوار انه مثل نعم الرجل زيد ومراده انه سواء جعل فاعلا
او مبتدأ فلا بد من الضمير ولم يذكر للعلم به ولعل وجه المناسبة ان العموم قام مقام الضمير المفيد للربط حيث لا التباس لتناوله للكل واولئك خبر المبتدأ
وانا لا نضيع اعتراض او يكونان خبرين ويجوز ان يكون اولئك كلاما مستانفا لاجر المبهم وتفصيله من جهة بيان المكان وغيره وجرى الانهار
وذكر اللباس وجنات عدن اى اقامة واساور جمع اسورة وهي جمع سوار ومن الاولى للابتداء اى مبدأ التحلية من الاساور والثانية للتبيين
اذ التقدير الكاينة من السندس وهو مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ وهو الديباج الرومي وهو معرب استبر وتنكير اساور للتعظيم والارائك
السرر ونعم الثواب الجنة وحسنت الارائك متكأ وهذه صورة حال نهاية التنعم واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا وجه الربط ان الكفار افتخروا باموالهم على الفقراء فبين ان ذلك لا يوجب فخرا قيل كان الرجلين اخوين
من بني اسرائيل مؤمن وكافر ورثا من ابيهما ثمانية الف دينار فاشترى الكافر بماله ارضا وخدما وحشما وتزوج به امراة وجعل المؤمن بعضه في مقابلة
ارضه شرى ارض في الجنة وصداق الحور والولدان المخلدين فاصابته فاقة فتعرض لاخيه في طلب شئ فطرده وقيل هما المرادان بقوله تعالى
قال قائل منهم اني كان لى قرين يقول انك لمن المصدقين وقيل كانا من اهل مكة واسم المؤمن ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد ياليل زوج ام سلمة
قبل النبي صلى الله عليه وسلم واسم الكافر الاسود بن عبد الاسد والجنتان بستانان او واحد من طرفي الشجر زرع واشجارها محاطة بالنخل

الحجرة ويحكى مكان محجور

للاجر المبهم

الاستبرق الديباج الرومي وهو معرب استبر

بالصاب



او من جانبيهما نخل وجعلنا بينهما زرعا اى ان ارضهما تجمع الاقوات والفواكه وعمارتهما متواصلة متشابكة لا يفصلها ما يقطع بعضها عن بعض ويكون شنيعة
ووصف بانها تعطى تمام الثمر كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
آتت حمل على اللفظ لانه مفرد ولو قيل آتتا نظرا الى المعنى جاز ولم تنقص من اكلها شيئا كما هو المعهود في ساير البساتين ان تنقص في عام دون عام
والظلم النقصان يقال ظلمني حقي اى نقصني والمحاورة من حار اذا رجع اى يراجعه في الكلام سأله فيم انفق ماله فقال في وجوه البر لا قدم عليه فقال الكافر
ضيعت مالك بطن ظننته والله لا يكون ما ظننت ويقرأ فجرنا بالتخفيف والتشديد لدوام النهر وكل الجنتين اى اكله والضمير يرجع الى كل ومعنى وكان له ثمر
اى من كل الثمار يقال ثمر ماله اذا كثره وقيل الذهب والفضة اى كان له غنى الثمار وكان له انواع المال متمكن من العمارة وقرئ بفتح الثاء وقيل بالضم
الانواع وبالفتح حمل الشجر والنفر الانصار والحشم او الاولاد والذكور دون الاناث لانهم ينفرون عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان
تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قايمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا اى اخذ بيد اخيه المسلم فادخله جنته وتوحيدها لاتصال
احديهما بالاخرى او ان الدخول لا يكون فيهما معا او المراد جنس الجنة التي له في الدنيا دون الآخرة وهو ظالم لكفره وفخره واعجابه معرض بذلك نفسه
لعذاب الآخرة وقال ما اظن ان هذه الجنة تهلك او الارض لانكاره البعث والقيامة ولطول امله واغتراره بالمهلة او المراد مدة حياته ووجوده
لانه وان انكر البعث علم ان هذه الاشياء متغيرة متبدلة ثم اقسم انه ان رد الى الله على سبيل الفرض ليجدن خيرا من جنته وقرئ منهما اى من الجنتين
انقلابا او موضع انقلاب لكرامته على الله او انه يستحق الاكرام اين كان وذلك لظنه استحقاقه وبقاره بعد الموت وهو منصوب على التمييز
والخيرية باعتبار الدوام والبقاء قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا اشرك
لكن م
بربى احدا يعني قال له اخوه المسلم حال كونه مراجعا اياه في الكلام منكرا لكفره معللا لقبحه بانه خلقه من تراب باعتبار ان آدم سبب لوجوده وهو مخلوق
من التراب او ان التراب سبب لما يكون منه النطفة ثم خلق من النطفة التي هي السبب القريب لوجوده فان اعطاء الحيوة وانقلابه هذه الاطوار
يقتضى ان يؤمن بالخالق فانه اذا قدر على خلقه هكذا اقدر على اعادته لوجود القابل والفاعل نزل كفره بالبعث منزلة كفره بالله اذ السبب الشك
في كمال قدرة الله واصل لكنا لكن انا حذفت الهمزة ونقلت حركتها الى نون لكن فادغمت لاجتماع المثلين ونظيره وتقليني لكن اياك لا اقلي
لكن م
اى لكن انا لا اقليك والمعنى لكن الشان ان الله ربى والجملة خبر انا والرابط ياء الضمير او ضمير الله والله بدله وربى خبره والجملة خبر انا وقرئ
بالالف في الوصل لانها عوض عن الهمزة او لانه اجرى الوصل مجرى الوقف ويقرأ لكن انا على الاصل والاستدراك من اكفرت اى انت كفرت بالله وانا
آمنت به والاختلاف بينهما بالنفي والاثبات بحسب المعنى نحو جاء زيد لكن عمرا غايب ويقرأ لكن هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى وفي ذكر
لا اشرك دفع وهم انه ممن يقول بالهية الله والهية غير الله كانه قال لا ارى الفقر والغنى الا منه والكافر لما اغتر بكثرة المال والغنى فكانه جعل لله
شريكا في اعطاء العز والغنى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا اى هلا قلت اذ دخلت جنتك ويجوز
ان يكون شرطية لا تخصيصية وعلى الاول ما موصولة محلها الرفع خبر المبتدأ اى الامر ما شاء الله او بالعكس اى ما شاء الله كاين وعلى الثاني محلها
النصب والجزاء محذوف نحو ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والتقدير اى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت ان الجنة وما فيها بمشية الله

ان شاء ابقاها وان شاء افناها وانه لا قوة الا بالله اعترافا بانك ما قويت على عمارتها الا بمعونته ادفي ذكر الولد دليل لمن فسر النفر بالولد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا اعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره وروى عنه عليه السلام انه من اعطى من اهل ومال فيقول ذلك لم ير ما يكره به وهو دليل

لدفع اصابة العين

على المعتزلة اذ المعنى ان ما اراد الله واقع وكل ما لم يقع فهو ما اراده ولا عبرة بجواب الكعبي ان المراد ما شاء الله حما تولاه لانه تخصيص بغير دليل
ولا بقول القفال ان المراد ان هذه الاشياء الموجودة في البستان ما شاء الله لانه صرف الكلام عن ظاهره بغير دليل ومما يضعفه ان معنى لا قوة الا بالله
انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله واقداره انا ضمير الفصل ويقرأ بالرفع فيكون الضمير للتاكيد فان قيل كيف يصح جعل ضمير الفصل وفائدته
فصل الخبر عن الوصف فيما اذا صح جعل صفة وخبر الخبر نحو زيد هو المنطلق والضمير لا يوصف قلنا الاصل ذلك لكن من النحاة من جوز وصف الضمير وهذا لا يصح
الا على ذلك الرأى والجملة مفعول ثان لترن ولقائل ان يقول ان في هذا التقرير نظرا لان ذلك انما يصح ان لو كانت الرؤية بمعنى العلم والمعنى ان كنت تراني
فقيرا ولجدك غنيا وانا اتوقع من الله ان يفقرك عما تفتخر به من الدنيا ويخرب بستانك ويغنيني بنعيم الآخرة وهو خير من جنتك لدوامه وبقائه
او من الدنيا والحسبان كالغفران بمعنى الحساب مثل والشمس والقمر بحسبان اى مقدار قدره الله وهو الحكم بتخريبه والمعنى عذاب حساب وقيل حسبانا
مرامى وواحدها حسبانة وهي الصواعق اى يصبح جنتك ارضا ملسا لا شيء فيها يزلق عليها لملاستها والمراد ان يذهب اشجارها او يغور ماؤها
في الارض بحيث لا يلحقها الارشية فلا يتأتى منك طلبه او رد الماء الغائر او طلب بدله والغور نعت لفظ المصدر نحو زور واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا اصل احيط به احاط به العدو اى استولى عليه ثم استعير في كل اهلاك وذلك باستجابة دعاء المسلم
نزل بها نار فاحرقته فاصبح الكافر يقلب كفيه ظهر البطن تلهفا وهو كالكناية بعض اليدين عن الندامة وعدى بعلى لتقدير بندم اى اصبح يندم على ما انفق
فيها وقيل يقلب ملكه فلا يرى لها عوضا خاوية ساقطة بعضها على بعض والعروش الابنية وقيل او عروشها قائمة لا ثمر فيها او المراد فاتش من كرومها
او كناية عن الخراب اوان عروشها سقطت على الارض وسقطت الكروم عليها ثم تمنى ان لا يكون مشركا حتى لا يخرب بستانه ولم ينفعه الندم
وقد لا يكون الندم بسبب ان خراب بستانه بالشرك لان الشرك لا يقع للموجب بل لما انفق عمره في طلب الدنيا ندم على الاعراض عن ترك الدين
وقيل كان توبة لانه علم انه ما اصابه الا من جهة شركه ودخولا في الايمان والفئة الجماعة اى لم ينفعه النفر الذين افتخر بهم ومعنى من دون الله اى ينصرونه
باستقلالهم والحال انه لا ناصر غير الله ولم ينصره فلا ناصر له وما كان منتصرا بنفسه حيث لم يقدر على دفعه الولاية بالفتح النصرة وبالكسر السلطان
والملك وقرئ بهما وقيل بهما لغتان كالوكالة والوصاية وتعلق بعضهم الوقف على هنالك ومعناه في تلك الحال يعني القيمة يؤمنون بالله
ويتبرؤن عن الاصنام او الموالاة لله به الى اوليائه فيغلبهم على اعدائه وهو اشارة الى الموضع والوقت فيكون باليتني عن اضطرار وقرئ الحق
بالرفع صفة للولاية وعلى الابتداء وما بعده خبره ويقرأ بالجر صفة لله وبالنصب على المصدر المؤكد لغيره ومعنى هو خير انه خير لاوليائه وقرئ
عقبا بضم القاف والسكون ويقرأ عقبى على فعلى فكلاهما بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا اى اذكر لهم ما يشبه حال حيوة الدنيا في زهرتها ونضرتها وسرعة زوالها او بيانا بسبب اصل المثل
في الشان العجيب الغريب وقد حمل عليه والسماء السحاب او جانب السماء فاختلط به اى بسببه او الانزال النبت وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا



وما قيل اختلط بالماء فيتم التركيب اختلط بنبات الارض حتى روى ورف اى نما او وجهه بان كل مختلطين كل منهما موصوف بصفة صاحبه ومعنى هشيما
مهشوما جافا مكسورا بعد تمامه وتزين الارض به او قبله لانقطاع الماء عنه فتفرقه الرياح وقرئ الريح وتذريه من اذرى وكان الله الاقتدار على الانشاء والافناء
وغيرهما او كان في ذراعلى تكوينه فكونه المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا يشترك في تلك الزينة
السعيد والشقي ويعلم انها ايضا سريعة الزوال لانها زينة الحيوة الدنيا وكل ما هو زينتها سريعة الزوال والباقيات من اعمال الخير التي تبقى اثرها بعد فنائه
او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او الطيب من القول او ما هو اشتغال بالحق لان غيره فان فالاشتغال بالباقي
هو الباقي ويشمل الكل ما اريد به وجه الله كما قيل والكلام الطيب وغيره خير جزاء وخير املا لان متعاطيها يامل ثواب الله في الدنيا ويصيبه في العقبى
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا لما ذكر خساسة الدنيا عقبه باحوال القيمة اى اذكر ذلك اليوم وان عطف
على عند ربك فالمعنى انها خير عند ربك وفي ذلك اليوم وقيل العامل فيه المضمر في لقد جئتمونا وقرئ بالياء والبناء للمفعول ويقرأ نسير من سرنا وتسير
من سارت اى تسير في الجو فيجعل هباء منثورا او تقلع من وجه الارض وفي المفاتيح ان الله لم يبين انها الى اين تسير ولعل نظرهم قال في الجو الى قوله
وترى الارض بارزة وبروز الارض ظهور ما من تحت الجبال بارزة لا اشجار ولا بناء ولا نبات عليها ويقرأ ترى على بناء المفعول وحشر الناس جمعهم



الحشر قبل التسيير

في الموقف وقيل بروزها في باطنها كالموتى المقبورين وذكره بالماضي للاشعار بان الحشر قبل التسيير لمشاهدة ما وعدوا فالواو للحال فيكون قد مضمرة
والمغادرة الترك ومنه الغادر لتركه الوفاء والغدير لترك السيل اياه ويقرأ بالياء وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم
ان لن نجعل لكم موعدا اى يعرضون على الله عرض الجند على السلطان ظاهرين صفا او صفا صفا لا يحجب بعضهم بعضا فيقال لهم او قلنا لهم لقد بعثناكم
كما خلقناكم اولا احياء كالهيئة الاولى او للخروج من قصة الى اخرى اى زعمتم ان لا نفي موعدنا في اعادتكم اى وعدنا وقيل المراد المكان او مع من فعلكم
على المؤمنين بالمال الكريم البعث ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اى جنس صحف الاعمال في الميزان او في الايمان والشمائل وترى ارباب الآثام خائفين
من مطالعة قبائح اعمالهم فينادون هلكتهم الخاصة بهم بالحضور فان ذلك اوانها ثم يتعجبون من الكتاب لا يترك شيئا من المعاصي الا عدها واد
ضبطها كلها وذكر الصغر والكبر لبيان الاحاطة بالجميع لان الاشياء لا تخلو عنهما بالنسبة الى المقابلة وقيل كتبت عليهم الصغار حيث لم يتركوا الكبائر
ويحتمل ان يستدل بقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر والصغيرة ما لا حد فيه والكبيرة ما فيه ذلك ووجدوا
ما عملوا حاضرا في الكتب او جزاءه ولا يظلم ربك احدا بان ينقص من صالح عمله او يكتب عليه ما لم يعمله او بزيادة العذاب او نقصان الثواب
قال ابن لسنا واولها ما العقله والاستدلال للمعتزلة في نفي الفعل عن الله تعالى لانه لو صدر منه وعذب به العباد كان ظلما لما سبق من انه اذا علم الله
ان يفعله العبد استحال ان لا يفعل وانه اذا وجد القدرة مع الداعي لزم الفعل فيكون مضطرا او ما قيل انه لو لم يكن ظلما لما كان لنفيه معنى ايضا باطل
بان الله نفى ايجاد الولد عنه مع استحالة وقوعه واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا تكرار هذه القصة لمناسبتها لما هو كالمقدمة او للتعليل وتهنا لما ذكر من المفتخرين
وما ماله وغيره من اهل المعاصي من المكروه عقب بها ليعلم ان ذلك سنة ابليس او انه لما ذكر نداء الشركاء عقبه بمن هو الاصل في الشرك

والجن طايفة غير الملائكة مستعدة للخير والشر بخلاف الملك فانه متمحض للخير اللهم الا ان يكون بمجرد التسمية وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم خلقوا من نار السموم وغيرهم من الملئكة من النور يخالف ذلك وقيل نسب الى الجنان لكونها خازنا لها وقيل من الجن الذين ظفر بهم الملائكة وهو السبب
وله ذرية وقد سبق في البقرة طرف منه واثبات الذرية كالدليل على انه ليس من الملائكة وقوله تع كان من الجن كالجواب عن قول من قال ما باله لم يسجد
فقال لانه كان من الجن يؤيد القول الاخير ففسق فخرج عن امتثال امر ربه يقال فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت وقال فواسق عن قصدها جوايرا
والفا للسببية وفيه اشارة الى ان الملك لا يعصي وانما عصى ابليس لانه كان جنيا والاستفهام للانكار اي من كان هذا شانه كيف تتخذونه وليا
ومقتدى في التكبر واظهار الجاه والعجب من دون المنعم الحقيقي المربي المفيض لطفه بالايجاد وفي دوام البقاء وهو الله سبحانه مع ظهور عداوته
وتصريحه بالاغواء والاضلال والاهلاك الحقيقي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته المعصية بدل الطاعة والنار بدل الجنة ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا اي ما احضرت ابليس وذريته او الكفار او الملائكة خلق هذه المذكورات
والاول انسب اذ المراد نفي الاعتضاد بهم واستقباح حال من يتخذهم اولياء شركاء في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشراك فيها
يستلزم الاشراك فيها والعدول عن الضمير الى الظاهر اعني المضلين ذما واستبعادا للاعتضاد بهم وان كان الضمير للكفار فالمعنى انهم ما اختصوا
بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى يكون ايمان غيرهم تبعا لايمانهم كما زعموه فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين وما قيل ان الله ما اطلعهم على السعادة
والشقاوة فلم يكن لهم الحكم لانفسكم بالرفعة ولغيركم بغيرها فيه تكلف وما يقرأ من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنت يؤيد ذلك وقرئ عضدا
بالتخفيف وعضدا بضم العين للاتباع وعضدا على وزن خدم ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا
يحتمل عطفه على يوم فعامله اذكر اي يقول الله للكفار وقرئ بالنون عطفا على قلنا واضافة الشركاء والمراد بهم الحق على زعمهم على طريق التوبيخ اي زعمتم انهم
شركاء يمنعون العذاب عنكم اي دعوهم ليعينوهم فلم يعينوهم فلم يجيبوهم الى ما دعوهم اليه لانه تعالى بين في آية اخرى انهم قالوا انا كنا لكم تبعا الآية وجعل
بين الكفار ومعبوديهم مهلكا من وبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره او المراد المصدر كالموعد وحيث حمل على المكان فقيل المراد واد من جهنم ووجه
كونه بينهم اي يتساوون فيه وعن الحسن عداوة كالهلاك لشدتها وقيل بين الكفار لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل
البين الوصال اي تواصلهم صار مهلكا وجاز الحمل على ما بين الملائكة وعزير وعيسى وبين الكفار حيث هي في اعلى الجنان وهؤلاء في جهنم وقيل
البين البرزخ البعيد واراد الذي يهلك فيه الساري لبعده ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا اي لما عاينوها
ايقنوا انهم واقعون فيها او مخالطوها فان شدة المخالطة تسمى مواقعة ولم يجدوا عنها معدلا قال اي عن سبيه من مصرف وقيل ملجا وقيل المراد
الاصنام فان قيل ما فائدة العدول عن العلم الى الظن قلنا لعل ذلك باعتبار ان من الجائز في العقل والحكمة ان لا يعذبوا ولهذا قال عليه السلام
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم والحكم بلزوم ذلك الا بعاد او يظنون مواقعتها من غير تأخير اذا رأوها من بعيد
ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا التصريف ترديد الكلام مرة بعد اخرى والمراد من كل شيء الامور التي يحتاج اليها
في الدين والدنيا والانسان اكثر المخلوقات جدالا وخصاما وهذا اولى وقيل المراد ابي بن خلف او النضر بن الحرب او حمل الجدال على مجادلة الكفار الانبياء
ونصب جدلا على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا

موبقا



اي وما منع الناس الايمان والاستغفار وقت مجيء الهدى وهو الرسول الهادي الى الحق او القرآن الا انتظار الهلاك على وجه الاستيصال وهو سنة
الاولين كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الآية او انتظار ان يأتيهم عذاب الآخرة او الاعادة الاولين قالت المعتزلة الآية تدل على انه لم يوجد ما يمنع
الايمان والجواب ان علم الله بعدم الايمان مانع وكذا داعيتهم الكفر مع القدرة مانع فالمراد الموانع المحسوسة كما سيأتي فان قيل ما وجه هذا الحصر وقد جاء ان المانع
البغي والحسد وتقليد الآباء وغيرها قلنا لعل المراد بيان مانع يتقيد ببيان انها عدم الايمان وان حمل على العادة شملت تلك الموانع وقبلا بالكسر
اي معاينة وقرئ قبلا اي جمع قبيل اي صنفا صنفا يعقب بعضها بعضا وقيل هو لغة فيه وقرئ بفتحتين وهو لغة فيه ايضا ونصبه على الحال التام العذاب
او ضمير الجمع وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا اي يبشرون
المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار ومجادلتهم باقتراح الآيات بعد علمهم بالمعجزات ورفع النبوات او سؤالهم عن اصحاب الكهف وغيره على وجه التعنت
وقصدهم ازالة الحق الذي هو النبوة ويدحضوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطنها والآيات اما آيات القرآن او دلايل العقل
ويمكن ان يحمل على الاعم وما في ما انذروا اما مصدرية او موصولة والعايد من الصلة محذوف والمراد به النار اتخذوها استهزاء ولعبا هزوا بالسكون
اي موضع هزء ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا اي انه ذكر بمعاني
القرآن وتلي عليه اللفظ وتذكير الضمير في يفقهوه لذلك فلم يتذكر بل صار عنها في عرض اي ناحية ونسي وبال ما قدمت يداه من الكفر والعصيان ولم يبال بجزائها
وذكران للاشعار بان السبب في ذلك هو الطبع على قلوبهم وهو المراد بالاكنة التي جمع كنان وقيل غشاوة وجمع الضماير لاعتبار مدلول من وان يفقهوه
تقديره كراهة ان يفقهوه وجعلنا في آذانهم ثقلا وصمما فلا يسمعون الحق وان تدعهم الى الايمان فلا تجد منهم اهتداء اصلا بعد الطبع والوقر لا تقليدا
ولا تحقيقا لشدة تصميمهم زمان التكليف المراد بالابد فان قيل الظاهر في انتفاء الاهتداء انه مسبب عن الامور السابقة فهلا قال فان تدعهم ليكون مشعرا
بالسببية قلنا لعل القصد بيان عدم الاستعداد مع قطع النظر عن تلك الامور فيكون ابلغ في قطع الطمع عن ايمانهم واذا جواب وجزاء كانه لما قال
الرسول لشدة حرصه على ايمانهم ما لي ادعوهم فقيل وان تدعهم فلم يهتدوا مع تلك الموانع ومناسبة وصف الرب بكمال الرحمة والمغفرة مقتضى حالهم
ان يستاصلهم فترك المؤاخذة عاجلا ليس الا لرحمته والموعد لعذاب الدنيا يوم بدر وللآخرة يوم القيمة ولم يكن لهم موضع نجاة يومئذ يقال وال اذا نجا
ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا لما كان المراد اصحابها اتى بضميرهم وحملت على قرى نوح وعاد وثمود
واهلكناهم خبر تلك بعد الوصف بالقرى لتعيين المشار اليه باسم الجنس ويجوز نصب تلك بالاضمار على شريطة التفسير والقصد بيان استحقاق الاهلاك
لانهم قد ظلموا كما ظلم اولئك والمهلك المراد به المصدر او الزمان اي جعلنا لاهلاكهم وقتا معلوما كما فعلنا باهل مكة يوم بدر وفائدة تعيين وقت الاهلاك
ليكونوا الى التوبة اقرب وقرئ بفتح الميم مضاف الى الفاعل وبضمها الى المفعول وقيل مهلك مسعد قال ومهلك من هلك من حرجا فيصح بفتحها اضافتها اليهما
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا وجه المناسبة كون
كل من القصتين محل ظهور امور يعتبر بها والرد على المنكرين على القضاء فان موسى مع عظمته تواضع للخضر لعلمه واليهود قالوا للمشركين ان اخبركم محمد
بقصة الكهف فهو نبي والا فلا فبين ان موسى مع علمه ونبوته وكمال لم يعلم اشياء علمها الخضر والاكثر على انه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام

وقيل اخو يوشع وتم رجح كونه مملوكا فللنظر الى لفظ الفتى فانه يستعمل فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى والجواب
انه انما قال لانه كان يخدمه وخبر لا ابرح محذوف لدلالة حال السفر عليه اى لا ابرح سائرا او المعنى ابلوغ مجمع البحرين فيكون التقدير لا ازال امشى حتى ابلغه
ووجه بوجه آخر وهو لا يبرح سيرى حتى ابلغ فيكون هو الخبر فلما حذف المضاف وهو سيرى اقيم ياء المتكلم مقامه انقلب الفعل عن لفظ الغايب الى المتكلم
وعطف او امضى يقتضى ان يكون التقدير لا ازال اسير حتى يكون احد الامرين اما لقاء الخضر واما السير حتى اصل اليه وان كان حقبا ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس
والروم وهو المكان الذى وعد موسى لقاء الخضر فيه واسمه طنجة او افريقية وقيل بحر المشرق والمغرب المحيطين بالارض وقيل بحرا العلم وهما موسى وخضر
وسبب ذلك ما روى انه خطب خطبة بليغة فاعجب بها فقال رجل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله بلى عبدنا الخضر فسال موسى ان يلقاه فجعل فقدان الحوت آية
فانطلق هو وفتاه حتى اتيا الصخرة عند مجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة الاسكندر الاكبر وقيل ان موسى سال ربه اى عبادك
احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى قال فان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك وقيل قال موسى بعد مجى الالواح لا احد افضل واستبعده صاحب المفاتيح
علمها الخضر من نبى مثله ولا بعد لجواز ان يريد علما آخر زمانه وروى ان جبرئيل عليه السلام اتاه فقال انظر الى هذا الطير الصغير يضرب بمنقاره البحر فاتت فيما
اوتيت من العلم دون قدر ما حمله قال فى المفاتيح الاصوليون ضعفوا هذه الرواية لان الانبيا ينبغى ان يعلموا ان علومهم متناهية فيجوز ان يزيد عليها
علم آخر وجوابه ما ذكرناه من التخصيص وقيل لما ركبا السفينة جاء عصفور فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور
وفى المفاتيح ان هذا تشبيه متناه بمتناه وعلم الله غير متناه ويمكن ان يجاب بان ذلك لتقريب الفهم وضرورة انه لا يمكن طلب المناسبة الا بهذا الوجه
وبينهما ظرف اضيف على الاتساع نحو شهادة بينكم والاصل شهادة ما بينكم لكنه لما لم يكن بد يقع فيه ذلك اضيف الى المحل او بمعنى الوصل نسيا حوتهما
اما موسى ان يطلبه ويتعرفه او يوشع ان يذكر ما رآه لموسى روى انه رقد فاضطرب الحوت ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر ان كان نبيا
وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء ولا يصيب من ذلك الماء ميتا الا عاش وقيل كان مالحا وقيل طريا
مشويا وقيل غير مشوى فقام يوشع ليخبر موسى فنسى ونسبة النسيان اليهما لان موسى لم يتعرف خبره وقد بلغ الموضع الموصوف او هو لاحدهما ونسب
اليهما نحو يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من المالح لا من الفرات ووجه نسيان ذلك مع انه من الغرايب لان فى زمان النبوة يقع ذلك كثيرا
او لان الشيطان شغله عن تذكره بوساوسه حتى اعتاد النسيان او لاستغراقه بالشاهد وانجذابه الى عالم القدس فاتخذ السمك طريقا من البر الى البحر
سربا فيه سربا وهو يستدعى مفعولين نحو اتخذ الله ابرهيم خليلا قيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار مثل الطاق فحصل فى مثل السرب
معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا اى جاوز موسى ويوشع مجمع البحرين او الصخرة وهى الموعد ثم قال موسى ليوشع
آتنا طعامنا لنتغدى به وكان قد القى على موسى النصب والجوع ولم يجدهما قبله ويدل عليه قوله هذا اى وراء الصخرة ومعنى ارايت اخبرنى مفقود وقته
ومتعلق اذ وفانى محذوف لانه لما طلب موسى الحوت تذكر يوشع ما رآه منه ونسيانه فدهش وطلب الخبر منه وبيان السبب فى ذلك فكانه قال

ارايت

ارايت ما دهانى او وقع لى وهو على معناه الاصلى وقد جاء على المتعارف اذا حدث لاحدهم عجيب قال لصاحبه ارايت ما حدث لى اذ اوينا الى الصخرة
فانى نسيت الحوت قيل عند ساحل ايلة وقيل عند نهر الزيت وانما حصر فاعل النسيان فى الشيطان لانه سبب عن وسوسته وشغله قلبه او لانه نقصان
فى الجملة فينسب اليه او لهضمه نفسه والتقدير وما انسانى ذكره لان ان اذكره بدل من الضمير المنصوب ويقرا ان اذكركه ولكون سبيله عجبا باعتبار انه
كالسرب والفعل اما لموسى عليه السلام اى تعجب من اتخاذ الحوت سبيله فى البحر او يكون اتخذ سبيله من كلام الفتى اتخاذا عجبا والفعل للحوت وقال موسى
عجبت من ذلك عجبا او من نسيان يوشع واما ان يكون من كلام يوشع ووجه العجب ان اثره بقى حيث سار وقيل جمد الماء تحته وقيل صار صخرا وقيل يبس
يضرب الحوت ذنبه وقيل كان الحوت يمشى كالكوكب درى وكانا يمشيان على اثره فيحتمل ان الحوت دلهما الى الخضر قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما
قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اى قال موسى ذلك الاتخاذ ما كنا نطلبه لانه علامة الوصول الى الخضر
فرجعا فى الطريق الذى جاء فيه يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما او فارتدا مقتصين واصل نبغ نبغى والقياس ان لا يحذف فى الاسماء
الا انه لما كانت تحذف مع الساكن بعدها نحو نبغ اليوم حذفت مع غير الساكن والجمهور على ان العبد خضر والاكثر على انه نبى لان المراد بالرحمة النبوة
لقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك واختلف فى حيوته وسمى بالخضر واسمه بليا وهو ابن ملكان لانه ورد فى الخبر انه جلس على فروة بيضاء اى ارض
مرتفعة او صلبة فاهتزت تحته خضراء وقيل لانه اذا صلى كان يخضر حواليه ووجده موسى نايما فوق الماء عليه قطيفة خضراء وقد ادخلها تحت راسه ورجليه
فقال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال لقد كان لك فى التورية علم وفى بنى اسرائيل شغل وقيل العبد اليسع او الياس او حضرون بن قابيل بن آدم وقيل
الخضر امه رومية وابوه فارسى وقيل كان ابن ملك لم يقبل خلافته ولحق بالجزاير وقيل كان ملكا امر الله موسى ان ياخذ منه علم الباطن لان الحق بعث
بعده من بنى اسرائيل وقيل العلم او الطاعة او الحيوة والعلم اللدنى هو علم الغيوب وهو ما لا يعلم غيره وقد اخذ من الله بغير واسطة ولذلك اخبر عن الغيب
فان قيل ما فايدة ابهام ذكره وهلا صرح باسمه قلنا لان ذلك اقرب الى التعظيم وايضا فيه ظن خيريته وبغيره وحسن اعتقاد ومحبة فيثبت صاحبه ذلك
ومن العلم اللدنى ما يحصل بواسطة الرياضة وذلك بان تضعف القوة الحسية والخيالية والقوى العقلية وتشرق عليها الانوار الالهية
فتحصل معارف والنفوس متفاوتة فبعضها نورانى علوى قليل التعلق باحوال البدن فتكون قوى الاستعداد للجلايا القدسية والانوار
الالهية فلا جرم تفيض عليها تلك الانوار على سبيل الكمال وهو المشار اليه بالعلم اللدنى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال
انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا قال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شئ
حتى احدث لك منه ذكرا اى هل اصحبك لآخذ منك علما من جملة ما علمت يرشدنى الى الهدى والصواب والرشد بالضم وبفتحتين كالبخل والبخل
لغتان وقرئ بهما وهو اصابة الخير وهو مفعول تعلمنى وقيل مفعول له او مطلق بتقدير ارشد رشدا ومفعول علمت العايد المحذوف وما قيل ان
موسى ليس موسى بن عمران بل موسى بن ميشان لان النبى ينبغى ان يكون اعلم زمانه ليس بصحيح لانه لما نقل الى ابن عباس من قول نوف ابن امراة
كعب ذلك قال كذب عدو الله لانه قد اجيب انه لا قصور عن منصب نبى يتعلم من نبى والقايل ان يقول الجواب ينبغى ان يعم كونه نبيا او وليا
لمكان الخلاف فينبغى ان يقال لا يلزم ان يكون النبى اعلم زمانه فى جميع العلوم بل فيما يتعلق بمعرفة الله والاحكام الدينية والاخبار عن الغيوب
ليس منها ويجاب عنه ايضا بان المذكور فى جميع القرآن موسى بن عمران عليه السلام فينصرف المطلق اليه ولو كان غيره لقيد به

ونفى استطاعة الصبر على وجه التاكيد تكرر لانه تصدر امور منكرة فى ظاهر الشرع يجب على النبى انكاره ولهذا قال استبعد صبره على وجه التاكيد وهو
من وجوه التصدير بحرف التحقيق ولن التى للتاكيد وايقاع النكرة فى سياق النفى والاشارة الى علة انتفائها بقوله معى والتركيب فى الجملة الاسمية
والاستبعاد بكيف وفيه دليل على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل لانه استبعد حصول الصبر ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة
حاصلة قبل حصول ذلك العلم ولو كان كذلك لما وقع الاستبعاد لان القادر على الفعل لا يبعد اقدامه عليه والمراد عدم الاستطاعة فى الاغلب الاكثر
لئلا يلزم كذب احدهما وهو منصوب بالتميز او المصدر لان فيه معنى الخبر ولا اعصى محله النصب بالعطف على صابرا اى غير عاص والمراد به الصبر
عن الانكار او عن السؤال اى لا اعصيك فى كل ما تريد او لا ابتدى بالانكار قبل الاخبار وانما علق بالمشية لصعوبته فان الحمية الدينية عند مشاهدة
منكرات مما لا يطاق دفعها وكل ذلك رجاء اقتباس العلم اللدنى وقيل لم يلزمه الوفاء بالصبر للاستثناء وفيه اشعار بان الامور عند الله تعالى
ومعنى فان اتبعتنى انك ان اتبعتنى ورايت امرا يخفى عليك وجهه وقد علمت انه صحيح فلا تبتدئنى بالسؤال حتى اكون انا الذى ابتدى ببيانه
وهذه طريقة المتعلم مع المعلم وقرى فلا تسالنى بالنون الثقيلة. فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا. اى مشى موسى والخضر على الساحل فمرت بهما
سفينة فحملها اصحابها من غير كرى لاعتقادهم زهدهم بعد نسبتهم الى التلصص بل قال صاحبها ارى وجوه الانبياء وقيل لوح الخضر بنوبقا وثبت
او عرفوه فاخذ الخضر لوحا من السفينة بالفاس حتى دخلها الماء وقيل حشاها موسى بثوبه وقيل جلس الخضر بعد ذلك برفعها وقرى ليغرق اهلها ويغرق التغرق
بالتشديد واللام للعلة باعتبار ان ذلك سبب ظاهر وان لم يقصد وقيل للعاقبة امرا اى داهية من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اذا امراء
او من الامر بمعنى الكاسد او الشدة ثم لما ذكره بما قال من قبل اعتذر اليه بنسيان عهد عدم الاعتراض عليه وفيه دليل على انه كان مرفوعا عنهم حتى نهاه
عن المؤاخذة مع قيام المقتضى لها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه من المعاريض كان نسى شيئا آخر ولم ينس هذا الامر واراد بالنسيان الترك
وظاهر التعليل يضعف هذا القول روى انه جاء عصفور فنقر نقرة من الماء فقال الخضر ان علمى وعلمك وعلوم جميع الخلائق فى علم الله كهذه النقرة من البحر
ومعنى لا ترهقنى اى لا تغشنى عسرا من امرى فانه تعسر مصاحبتك بيسر اعلى بالاغضاء وترك المناقشة وارهقه غشيه وارهقه اياه والمراهق الذى قرب
ان يغشاه حال البلوغ عسرا مفعول ثان وقرى عسرا بالضمتين. فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت
شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال ان سالتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا. ثم خرجا من السفينة ودخلا
البلد فاخذ الخضر غلاما من شق غلمان يلعبون احسنهم وجها انظفهم ثوبا فقتل راسه او ذبحه بالسكين او دمغه بالحجر او رميه برجله او ضرب راسه
بالجدار حتى مات وكان اسمه حشنو ذو كان مراهقا وقيل بالغا ومخالفة هذه الصورة السابقة بذكر الفاء لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب بلا
القتل فانه تعقب لقاء الغلام وقد جعل خرقها جزاء للشرط والقتل من جملة الشرط لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل ووجه الفرق انه لما تم الكلام
فى الصورة الاولى شرطا وجزاء اعترض على فعله وفى الثانية لم يصبر الى الفراغ بل خلط الاعتراض بالكلام حيث جعله جزاء لانه جدير بان يجعل عمدة الكلام
اذ المقصود الجزاء وقرى زكية وزاكية والاول الطاهرة من الذنوب وقيل الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت والاول انسب
بكونه مراهقا والتشديد فى الانكار لاثم بما قتل نفسا او اتى ذنبا يقتضى القتل وتخصيص القتل مع قد يباح الدم بغيره لانه اقوى وروى انه كان رجلا

واسمه حيسون ماض

بعلا

يعمل بالفساد وتاذى منه ابواه وقيل كان كافرا والعرب تسمى الرجل بالغلام وقيل كان يقطع الطريق فيلجأ الى ابويه فيحلفان دونه غير عالمين وهذه
الروايات ينافيها ما روى ان نجدة الحرورى كتب الى ابن عباس كيف جاز قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتله والنكر المنكر وقرى بضمتين وزيادة لك هنا للمكافحة بالعتاب على ترك الوصية وشما بقلة الثبات والصبر
لما تكرر الانكار وقيل الامر اسهل من النكر لان الغرق قد لا يحصل والقتل قد حصل وقيل الامر اعظم لان الخرق كان يؤدى الى اتلاف نفوس كثيرة ثم قال
ان سالتك بعد هذا فلا توافقنى فى الصحبة لانه لا مزيد على مخالفتك ثلث مرات وقد اعذرت فيما بينى وبينك من الفراق وقرى لدنى بتحريك النون
رحم الله اخى موسى
الاعاجيب
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لولم تجله الحياء على اخذ ذمامه الا بصاحبه لرأى من عجايب عبد الله وعلمه شيئا كثيرا وفى رواية اعجب العجايب فانطلقا
اى الى الابلة
حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق
بينى وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا. القرية قيل انطاكية وقيل ابلة وقيل باجروان وقيل ابعد ارض الله من السماء يقال ضفته اذا جئته
ضيفا واضفته اذا دعوته الى ضيافتك واصله الميل ومنه ضاف السهم عن الغرض اذا مال عنه سالاهم طعاما فابوا ان يضيفوهما وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل فيها حقه وارادة الجدار استعارة لمشابهة المداناة
بعد
من الوقوع او صورة الميل قال فى مهمه فلقت به هاماتها فلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابى براء ويرغب عن دماء بنى
عقيل
وقولهم كرمان يهم بالاحسان ومثله سكت عن موسى الغضب وينقض ينكسر تفرق اجزائه تقول قضضت الشىء اذا كسرته وقيل سقط بناه
من جديد وقيل اقامه بالعمد وقيل مسحه فاستوى وكان طوله مائة ذراع فاستوى فان قيل كيف صح من موسى ان يعترض على الخضر فى اصلاح من غير
اخذ اجرة بعد ان لم يطعمهم اهل القرية والظاهر انه لم يبلغ الجوع الى حيث يغضب لاجله قلنا لعله اراد ان يبين انهما لما كانا على جناح السفر ومن الجائز
ان يريدان يحصل ما يتقوى به على السير وذلك القدر يجوز ان يؤخذ بالقهر من واحد الزايد بالعزم فاعترض لتركه الواجب ظاهرا لاتخذت اتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وعند البصريين ليس من الاخذ وقرى لتخذت اى لاخذت وباظهار الدال وادغامه قال ذلك تحريضا على اخذ الاجرة ليبعثا به
او رأى ذلك كالاشتغال بما لا يعنيه مع مساس الحاجة الى ما يعنيه. قال هذا فراق بينى وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا. الاشارة الى ما تصوره من الفراق بحسب الميعاد
المفعول
كما يقال ابتداء هذا اخوك او الى الوقت او سؤال موسى لانه سبب الفراق واصله هذا فراق بينى بالتنوين وقرأ به فاضيف الى الظرف كما يضاف الى
على الاتساع وقيل البين الوصل نحو تقطع بينكم اى هذا فراق اتصالنا وانما لم يستطع عليه الصبر لكونه منكرا فى الظاهر فان الاصل حرمة الاموال والدماء
واحكام الانبياء مبنية على الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر واحكام الخضر كانت مبنية على الامور الخفية ومبنى المسائل ان عند تعارض
الضررين يجب تحمل الاسهل لدفع الاقوى وعلم الخضر وان لم يكن مما يتعلم لكن اذا كان يحصل بتصفية الباطن ويكون المراد طريق حصوله على اى وجه
المكن
قيل كانت السفينة لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر فوصفا المسكنة لزمانة بعضهم على التجوز وقيل لعجزهم عن دفع الملك عنهم
وقيل محاويج وفيه دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكن بقدر كفايته ولهذا لما قيل لابن عباس كيف يكونوا مساكين والسفينة
قد تساوى الف دينار قال المسافر مسكين وان كان معه الف دينار وهو دليل الشافعى حيث قال حال الفقير اسوء لانه فانه يقال لمن لا يملك شيئا

[illegible marginal gloss]

يقع موقعا من حاجة ويقرأ مساكين بالتشديد ملاحين او دباغين وعملهم اتخاذها للقوت وكان امامهم كما قال من ورائهم جهنم واصله من توارى وكل ما غاب عنك

فقد توارى فيشتمل امام الشيء وخلفه واسم الملك الكافر جلندى بن كركر او منولة بن جلند الازدي وتقديم ارادة العيب مع خوف الغصب الذي هو سببها

للعناية بها او لان العلة مجموع الخوف وكونهم مساكين رتبه على اقوى الجزئين وعقبه بالآخر على سبيل التتميم فهو نحو زيد ظني مقيم وكان الملك لا يغصب

الا السفن الصحاح ولهذا يقرأ كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما

خيرا منه زكوة واقرب رحما اي خفنا ان يغشيهما وعلمنا ذلك باعلام الله اياي وهو ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان

وطاغ كافر مريدا باضلالهما او كفرا النعمتهما بعقوقه ويقرأ فخاف ربك اي كره كراهة الخائف سوء العاقبة فعلى هذا يجوز ان يكون خشينا من قول الله تعالى

وكان فيهما ضمير الشان وابدال الله ان يرزقهما ولدا خيرا منه زكوة اي طهارة من الذنوب ورذائل الاخلاق وانه لا يقدم عند البلوغ على هذه الامور

ومن قال كان بالغا فسر الزكوة بانه لم يظهر عليه ما يوجب قتله وان اراد موسى عليه السلام انه لم فجوابه ان الله علم انه اذا بلغ اقدم على الطغيان فالمراد

اطهر دينا واتم صلاحا وزكوة يحتمل نصبها على التمييز وعلى المصدر بتقدير التضمين او اضمار فعلها والرحم الرحمة والتعطف على الوالدين قيل ولدت لهما بنت

فتزوجها نبي فولدت نبيا صار سببا لهداية امة فان قيل فما حكم هذا الولد هل يحكم عليه بالكفر او الايمان قلنا ان لم يكن بالغا فالظاهر الايمان نظرا الى

الابوين وكذا ان كان بالغا الظاهر قوله خيرا منه زكوة وجواز القتل لابد وان يكون للوحي والا فبمجرد هذا الظن لا يجوز قتله ويدل عليه جواب ابن عباس

لنجدة الحروري لما سال عنه انك لو كنت مثل عالم موسى لجاز لك قتل مثله وقرئ بالتشديد والتخفيف ونصبه على التمييز والعامل اسم التفضيل

واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك

وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اسمهما اصرم وصريم والكنز من النقدين على ما هو الظاهر والذم على الكنز فيما اذا لم يود زكوتها لانه

ورد في الخبر الصحيح ان كل مال يودى زكوته فليس بكنز وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق

كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح ولمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله

محمد رسول الله الا ان عقد بصلاح الاب يقتضي حفظ حقه فيهما وقيل كان العلم لمناسبة صلاح الاب وتعلق وصيهما كان يعرف ان تحت الجدار

كنزهما والا فلا فائدة في عمارة الجدار قيل كان الجد السادس لهما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لخارجي بم حفظ الغلامين قال

بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه قال قد انبانا الله انكم قوم خصمون ومعنى رحمة مرحومين او يكون مفعولا له وان نصبت على المصدر

فلان هذه الارادة رحمة من الله واسناد الارادة على نفسه اولا لانه المباشر للتعييب والادب فيه اكثر والاسناد الى الله واليه في الثاني

لان الاهلاك منه والايجاد من الله تعالى وفي الثالث الى الله لانه لا مدخل لغير الله في البلوغ وايضا يختلف حال المعتبر بالافعال بالنظر الى الوسائط

تارة والاعراض عنها اخرى وما فعلته ما فعلت عن رايي بل بامر الله تعالى والحاصل انه اذا تعارض شران كان تحمل اهونهما لدفع الاعظم هو الحكمة

اصل تسطع تستطع حذفت التاء تخفيفا وذكر في الانوار ومن فوائد القصة ان لا يعجب العالم بعلمه وان فاق فلعل فيه حكمة يخفى عليه شانها

وان يداوم على التعلم ويراعي الادب مع المعلم وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه ما لم يصر عليه فاذا اصر هاجره والله سبحانه اعلم

ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا قد سبق ان اليهود او قريشا



سالوا النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الآيات والجمهور على انه الذي ملك البسيطة باسرها وروي عن ابن عباس انه عبد الله بن ضحاك قيل سمي

بذلك لما بلغ المشرق والمغرب قرني الدنيا او كان له قرنان صغيران يواريهما العمامة او لانه ملك فارس والروم او لشجاعته يقال فلان ينطح

اقرانه او كان له ضفيرتان او انقرض في زمانه قرنان من الناس وابعد ما قيل انه كان له قرنان من الذهب او كان جانبا راسه من النحاس قيل

كان عبدا صالحا ذا حكمة وعلم وهيبة بين الناس فسخر له النور يهديه من قدامه والظلمة تحفظه من ورائه وقيل كان نبيا وقيل ملكا لما روي عن عمر

انه سمع رجلا ينادي آخر يا ذا القرنين فقال ما رضيتم باسماء الناس حتى تسميتم باسماء الملائكة وروي مرفوعا انه كان ملكا مسح الارض بالاسباب عليهم

وقيل كان نبيا لان التمكين الكامل لا يكون الا للانبياء وقد آتاه الله من كل شيء فيشمل النبوة وقوله تعالى اما ان تعذب الآية يدل على انه

كلمه الله فيكون نبيا ولا يخفى ما فيه من المنوع غير ان قوله سبحانه وآتيناه من كل شيء سببا اقوى ما يستدل به لان بقاءه على العموم اولى لا سيما

ولا بد للتخصيص من دليل اما لليهود او قريش والضمير في منه لذي القرنين او لله ومكنه تصرفه على حسب ارادته والمراد من كل شيء من الاسباب

والآلات والوصل الى المطالب ومعنى اتبع سببا طريقا بين المشرق والمغرب او مسلكا لفتح الامصار وقتل الاعداء وقيل المراد بالثاني

الاول وحذف لام العهد للروي او بلغا حاجة او انباعا للآثار حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما

قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا اي اتبع سببا او طريقا يوصله الى المغرب حتى بلغ وكذلك اراد بلوغه وحمئة ما خوذة

من حمئت البير اذا صارت ذات حماة وقرئ حامية اي حارة والجمع بينهما متصور او ان يارها مقلوبة من الهمزة لكسر ما قبلها واول بعضهم

تلك العين ببعض البحار المغربية فانها شديدة السخونة وكان قد بلغ ساحل المحيط وحيث لم ير غير الماء رآها كذلك كانها ترى تغرب في البحر

ولهذا قال وجدها ولم يقل تغرب وهذا تاويل الجبائي ذكره في المفاتح والانوار والآخرون لم يتعرضوا له وروي عن كعب الاحبار انه قال

اجد في التورية انها تغرب في ماء وطين وهو يؤيد قول ابن عباس لما قرا حامية ووافقه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس نزل القرآن

في بيتي ووجد عند تلك العين قوما كفارا لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظه البحر وقيل الضمير للشمس لانه لما راى الشمس تغرب هناك

كان ذلك الموضع كانهم سكنوا عند الشمس والقائل في قلنا هو الله سبحانه فان كان نبيا فبالوحي اليه والا الى نبي زمانه او الهامه فيقتلهم

ان شاء ان يستبقيهم وهو اتخاذ الحسن بان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة او تقتلهم ان اصروا على الكفر او تحسن اليهم بتعليم الشرايع

ان آمنوا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا

فقال ذو القرنين اما من بقي على الكفر فسوف اعذبه انا واتباعي بالقتل والله يعذبه في القيمة بعذاب لم يعهد مثله فلا يعرف وما قيل انه الطبخ في القدر

فيحتاج الى تاويل الرد واما من آمن بالله وكان نعطيه ونكسوه وفي الآخرة الجنة والى الاول الاشارة باليسر اي فيما نامره به بالتسهيل اليسر

من الزكوة والخراج او كلاما حسنا او ذا يسر نحو قولا ميسورا وان جعلت اوللتنويع فالمعنى انه ان اصر عذب وان آمن احسن اليه وقرئ جزاء منونا

منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على انه مفعول مطلق اي يجزى جزاء او على التمييز اي فله الحسنى جزاء ويقرأ منصوبا غير منون

على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على الابتداء والحسنى بدله وعلى قراءة الرفع والاضافة فالتقدير جزاء الفعلة الحسنى

الجامعة بين الايمان والعمل الصالح ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا

ثم سلك طرقا ومنازل حتى بلغ مطلع الشمس وقيل سار من المشرق الى المغرب وقرئ بفتح اللام وهو مصدر فلا بد من تقدير مضاف نحو مكان كالزم
في قوله كان من الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع اي كان اثر الرامسات لانه لا يبلغ الى نفس المصدر ولان الجر لا يخبر عنه بانه قضيم
والقوم قيل الزنج وكانوا في اسراب حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معاشهم وحروثهم فالمعنى لم يكن بينهم وبين الشمس ستر لان الابنية لا تثبت
على ارضهم وقيل بلغ اليهم بعض الناس الى وراء الصين بيوم وليلة فوجدهم يفرش احدهم اذنه ويلبس الاخرى قال هذا الراوي كان معي صاحب
يعرف لسانهم فقال جئنا ننظر كيف تطلع الشمس وبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء كانت كهيئة الزيت وكانوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج فيأكلونه وقيل كانوا يدخلون عند
ارتفاع الشمس ثم يخرجون عند زوالها يرعون رعي البهائم وقيل لم نجعل لهم لباسا ومعنى كذلك ان امر ذي القرنين كما ذكر وفيه تعظيم له او الاشارة
الى كونه مأمورا بالتعذيب او الاحسان وقد احطنا بما لديه من العساكر واسباب الوصل الى المطالب علما متعلقا بظواهره وبواطنه وعلما صلاحيته
للملك وقيل تم الكلام عند قوله كذلك وخبرا نصب على المصدر كان احطنا متضمن للخبر وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ما بلغ مغربها وقيل تطلع الشمس
على مثل ما تغرب عنهم اي انهم كفرة فحكمهم في التعذيب والاحسان كحكم الاولين ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
اي ثم سار طريقا معترضا بين المشرق والمغرب مبتدئا سيره من الجنوب الى الشمال حتى بلغ موضع بناء السدين وهو بين جبل ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان عاليان من ورائهما يأجوج ومأجوج وهما في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك مما يلي الشرق وقرئ بالفتح والضم
وهما لغتان وقيل بالضم ما كان من خلق الله كالجبل وما كان بالفتح فهو من الآدمي وقيل بالفتح مصدر اسم الممدود لانه فعل بمعنى مفعول وقيل بالعكس
وبين مفعول به لان بلغ متعد واعرب بالرفع كما اعرب بالجر في فراق بيني وبينك ظرف متصرف اعني انه يقع فاعلا ومفعولا اي لا يفقهون
قولا لعدم تناسب لغتهم باللغات وقلة فطنتهم وقرئ تفقهون اي السامع كلامهم لغرابة لغتهم وعلى الاول قيل لا يفقهون التفرقة
بين الخير والشر وعلى الاول لا بد من تاويل فهم ذي القرنين بانه فهم بالاشارة او لا يفقهون الا بمشقة ويأجوج ومأجوج جيلان من ولد
يافث وقيل من الترك وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واضعف ما قيل انهم خلقوا من آدم حين احتلم فاختلط بالتراب وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وما قيل انهما من اجيج النار اي تلهبها او من اجاج الظليم اذا اسرع تعسف يرده منع الصرف ويروى عن ابن عمر انهم تسعة اجزاء
من عشرة بني آدم ويحتمل احتمالا قريبا ان يكون كذلك لانه ورد في الخبر انه لا يموت واحد منهم حتى يخرج من صلبه الف ولد وقد وصفوا تارة
بانهم قصار كالشبر وقيل طوال كالنخل وذكر ابو نعيم في كتاب العصر انهم اربعة وعشرون طائفة على اشكال مختلفة وفسادهم في الارض انهم
كانوا يأكلون الرطب ويحملون اليابس ويقتلون من يبالونه ويحملونهم من ارضهم وقرئا بالهمزة ومعنى جعلهم له خرجا ان يعينوا له جعلا نخرجه
من اموالهم وقرئ خراجا وهو ما يجبيه السلطان كل سنة فقيل مترادفان والاكثر على ان الخراج كالذمة والخرج الجعل قال ما مكني فيه ربي خير
فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما وقرئ مكنني على الفك اي ما خولني الله به اي جعلني مكينا فيه من المال والقوة خير مما يبذلونني من الاجر
فالضمير لما وقيل للسد فيحمل القوة على صناع الابنية او آلاتها والردم الحاجز الحصين وهو اقوى من السد ومنه ثوب مردم اذا كان رقاعها بعضها

فوق

فوق بعض لانه سد موضع الخرق بالرقعة آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني
افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا الزبرة القطعة الكبيرة وجمعها زبر اي اعدوها للسد قيل حفر حتى بلغ الماء
وجعل الاساس من الصخر والنحاس والبنيان من الزبر بينها الحطب والفحم حتى بلغ الى اعلى الجبلين اي اتى بها فوضع بعضها فوق البعض حتى بلغ
الى حيث يسد الجبلين ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي لانه صار كالنار فالتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا والصدفان الجبلان وقرئ الصدفان بفتحتين وهما جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان ومعنى ساوى
ان العملة نصدوها الى ان ساوى والقطر النحاس المذاب لانه يقطر والافراغ الصب وقيل للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى جعلوا الحديد
كالنار بالاحمار قال آتوني اي آتوني قطرا افرغ عليه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون في اعمال الثاني في صورة تنازع
الفعلين نظرا الى القرب لانه لو اعمل آتوني في قطرا للزم اضمار معمول افرغ لئلا يلتبس وقرئ قال ائتوني بوصل الالف واصل اسطاعوا
استطاعوا فحذف التاء لقرب المخرج مع الطاء كما في المثلين ولهذا قرئ بالادغام وفيه لزوم التقاء الساكنين على غير حده وقيل يقرا بقلب
السين صادا فما قدر يأجوج ومأجوج ان يعلوا السد لارتفاعه وملاسته واما طوله فقيل مائة فرسخ وما قدروا على نقبه لثخنه وصلابته
قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا
اي هذا السد نعمة من الله علي ورحمة على خلقه وما قيل ان الاشارة الى الاقدار او العمل لا يناسب الضمير في جعله ظاهرا فاذا شارف
مجيء الوعد وهو يوم القيمة واليه الاشارة بقوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ومعنى دكا مدكوكا مستويا بالارض او كسرا او ملصقا
بالارض وقرئ دكاء بالمد اي مستويا بالارض ومنه ناقة دكاء لا سنام لها روي انهم يحفرون الردم كل يوم حتى اذا رأوا الشعاع قالوا
نرجع غدا نفتحه وفي رواية ولا يقولون ان شاء الله فاذا جاء الوقت قال واحد منهم ان شاء الله وفسادهم في الارض من التخريب والقتل
واكل ما عليها وشرب مياهها لكثرتهم وانهم يرمون نشابهم الى السماء لايهام انهم يغلبون من في السماء ورجوعه بالدم وان الله يبعث نغفا
اي دودا في اسماعهم فيدخل آذانهم فيموتون مشهور في الاخبار والى قوله حقا حكاية كلام ذي القرنين اي كائنا لا محالة ومعنى تركنا بعضهم انا
جعلنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض وقت الخروج في البلاد غير مكة والمدينة وبيت المقدس او يوم السد ماج بعضهم في بعض لما منعوا
من الخروج وقيل يوم القيمة والناس والجن مضطربين حيارى وهذا وان تأيد بقوله ونفخ غير انه ضعيف لعدم سبق الذكر او الذين اجمعوا
للسد كانوا يموجون متعجبين ونفخ لقيام الساعة في الصور وهو شيء ينفخ فيه قيل قرن وقيل جمع صورة فجمعناهم للحساب والجزاء وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا اي ابرزناها لهم قبل دخولها فشاهدوها تهويلا والمراد
بالذكر الآيات وهي شاملة لآيات القرآن وآيات الانفس والآفاق لما ذكر بعده فيذكرون بالتعظيم والتوحيد او الوفق لما بعده من عدم
استطاعة السمع وقيل المراد عيون القلوب كقوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وعدم استطاعة السمع يراد به انهم صم غير انه ابلغ ان الاصم
قد يسمع بالمبالغة في الاصاخة وذلك لاستثقالهم للقرآن او لحجب الله اياهم من السمع كقوله تعالى واذا قرأت القرآن الآية افحسب الذين كفروا
ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استفهام يتضمن انكار فعلهم من اتخاذ غير الله كالملائكة والمسيح وغيرهم

حتى الاصنام كقوله تعالى عبادا امثالكم اولياء ينفعهم فحذف المفعول الثاني لانه مثل قوله تعالى واتخذ الله وانما ساغ لقرينة دلالة الفعل فان هذا الاتخاذ

لا يكون الا لقصد النفع اوليه ان يتخذوا اسمه المفعولين وعدم ولايتهم ونصرتهم فقد اشير اليه في قوله تعالى انت ولينا من دونهم ويقرأ افحسب اي

اكافيهم فيكون ما بعده خبره ويجوز ان يكون لحصول شروط عمل اسم الفاعل اذ هو المراد بالمصدر والظن والنزل الماكول كالزقوم والغسلين قد اعدلهم

كما يعد للضيف وقيل المنزل وقيل جمع نازل وما قيل انه منصوب على الحال يستقيم على الوجه وعلى الاول لقصد التخصيص قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا

الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قيل هم اهل الكتاب وقيل الرهابنة وسئل عن علي رضي الله عنه فقال هم اهل

حروراء وهم الخوارج وقيل كان مخالف لدين الاسلام وقيل المبتدعة وكيف لا يكون اخسر وقد اتعب نفسه فاداه الى النار ومعنى ضل ضاع لانهم

وان آمنوا بنبيهم لكن لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم حبطت اعمالهم ومحل الذين رفع كانه قيل من هم قال هم الذين والجر بدلا والنصب ذما ظاهر وحسبانهم

حسبانهم عجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا

واتخذوا آياتي ورسلي هزوا الآيات آيات القرآن او كتبهم او ادلة الانفس والآفاق ولقاء ربه رؤية الله تعالى يقال لقيت فلانا اذا رأيته وقيل

اللقاء الوصول فامتنع حمله على الله تعالى فالمراد لقاء ثواب الله واجيب بانه اذا حمل على الرؤية كان مجازا مشهورا وهو اولى من الاضمار والاولى ان يقول

هما متساويان وما وعدوا به من البعث والحشر او لقاء عذابه فحبطت لكفرهم اعمالهم فنزدري بهم ولا يكون لهم مقدار وقيل يأتون باعمال كالجبال لكنها لم تزن

شيئا او لا يوضع لهم ميزان لان ذلك لمحاسبة الحسنات والسيئات او للانحباط وذلك اشارة الى الامر المذكور اي الامر ذلك وفيه ابهام بينه الجملة بعده

ولهذا قيل جهنم عطف بيان للجزاء والجملة خبر ذلك والعائد محذوف للقرينة او جزاؤهم بدله وجهنم خبره وهذا العذاب لكفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله

محل الهزء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الفردوس بستان يجمع الكرم والنخل

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس اعلى الجنان درجة منها تفجر انهار الجنة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس خالدين اي آيلين الى الخلود فهي حال مقدرة

لا يبغون عنها تحولا الى افضل لانه لا افضل او المراد تأكيد الخلود وفيه دليل على ان الاعمال الصالحة متغايرة للايمان لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه

قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا احتجت المعتزلة به على حدوث القرآن لانه يدل على ان كلمات الله

قد ينفد وما ثبت عدمه امتنع قدمه وايضا يدل على انه سبحانه قادر على ان يجئ بمثله والذي يجاء به يكون محدثا اجاب في المفاتيح بان المراد الالفاظ الدالة على

تلك الصفة الازلية ولقائل ان يقول هذا على سبيل التمثيل فلا يلزم منه النفاد حقيقة والمراد بالمجئ ظهور صفة الله سبحانه بمثله في العدم من جملة العلوم ولا يلزم

الحروف المداد اسم ما يمد به الدواة والسراج من الحبر والسليط والمعنى ان علوم الله سبحانه وحكمته بحيث لو كتبت بجميع البحر المتصلة بالمحيط والمحيط ايضا

والتفسير بوعد الله ووعيده وغيرهما تخصيص لا حاجة اليه لاندراج الكل تحت العلوم لنفد الماء قبل ان تنفد الكلمات وذلك لانها غير متناهية ولو ضم الى البحار

مثلها للمد لنفد ايضا قبل ان يتم كتبتها قيل سبب النزول انه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا نحن اوتينا التورية ومن اوتيها فقد

اوتي خيرا كثيرا ويقرأ مددا بكسر الميم جمع مدة والمراد ما يستمده منه الكاتب قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لعل وجه المناسبة لما ذكر ان علوم الله تعالى بهذه الحيثية فلعله يخطر بالبال انه يساوي غيره في عدم العلم بها

فقال لسان الامر كذلك باعتبار المساواة بالبشرية وانما التميز بالوحي المطلع على العلوم الالهية لا بالها غير الانبياء وقيل في سبب النزول

ان جندب



ان جندب بن زبير قال اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ولا يقبل ما شورك فيه

وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والمراد

والمراد بلقاء الله لقاء ثوابه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اواخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال

تم النصف الاول من كتاب المسمى بتحقيق التفسير في تكثير التنوير المنسوب الى الامام العلامة عضد الدين

في اليوم السابع من صفر سنة ثلث وسبعين والف على يدي العبد المعترف بالجرم

والتقصير عبد الله بن سعيد الفقير سامحه الله تعالى

بلطفه العميم وفضله الكثير وكرمه الخطير

وصلى الله على الفاتح الخاتم

محمد واله وصحبه وسلم

والحمد لله رب

العالمين

- ٢٥٨ ق -